﴿ فهرست الجزء الخامس من البحر المحيط لابي حيان رحمه الله ﴾

صحيفة

٤ الكلام على قوله تعالى براءة من الله ورسوله الآية
٦ حج سيدنا أبي بكر والأذان ببراءة الله ورسوله من المشركين
٩ الاذن في قتل المشركين بعد انسلاخ الأشهر الحرم
١١ الكلام على قوله وان أحد من المشركين استجارك فأجره أمحكمته أم منسوخة
١٥ في تفسير قوله ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم الآية
١٦ الكلام على قوله قاتلوهم يعذبهم الله الآية
٢٠ تفسير وسبب نزول قوله أجعلتم سقاية الحاج الآية
٢٣ الكلام على قوله لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين
٢٦ قصيدة زهير بن صرد التي يرجو بها رسول الله في ردّ مال وأسارى هوازن
٢٧ الكلام على قوله انما المشركون نجس
٢٩ الكلام على قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الآية
٣١ في تفسير قوله وقالت اليهود عزير الآية
٣٥ الكلام على قوله يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان
٣٧ الكلام على قوله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا الآية
٣٩ الكلام على قوله انما النسيء زيادة في الكفر
٤١ الكلام على قوله يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله
٤٥ الكلام على قوله لو كان عرضا قريبا الآية
٤٧ الكلام على قوله عفا الله عنك الآية
٤٨ الكلام على قوله ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة الآية
٤٩ سبب نزول وتفسير قوله ولو أرادوا الخروج الآية
٥٣ تفسير قوله فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم الآية .
٥٤ تفسير قوله لو يجدون ملجأ الآية
٥٧ في تفسير قوله انما الصدقات للفقراء الآية وشرح الاصناف الثمانية والكلام على المؤلفة قلوبهم والقدر الذي يكون به الانسان غنيا
٦٢ سبب نزول وتفسير قوله ومنهم الذين يؤذون النبي الآية
٦٤ في تفسير قوله ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله الآية وما يتعلق بها من الاعراب
٦٥ في تفسير قوله يحذر المنافقون الآية
٦٨ في تفسير قوله كالذين من قبلكم الآية والكلام على قوله كالذي خاضوا من علم الاعراب
٧٢ في تفسير قوله يحلفون بالله ما قالوا الآية وعلى من يعود الضمير في يحلفون
٧٤ سبب نزول وتفسير قوله ومنهم من عاهد الله الآية
٧٥ في تفسير الذين يلمزون الآية

صحيفة

٧٦ سبب نزول وتفسير قوله استغفر لهم أولا تستغفر لهم
٧٨ فى تفسير قوله فرح المخلفون الآية
٨٥ فى تفسير قوله ليس على الضعفاء الآية
٩٢ فى تفسير قوله وممن حولكم من الأعراب الآية
٩٤ ذكر من نزلت فيهم وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية
٩٧ سبب نزول وتفسير قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الآية
١٠٠ فى تفسير قوله أفمن أسس بنيانه الآية
١٠٢ فى تفسير قوله ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم الآية
١٠٤ فى تفسير قوله التائبون العابدون الآية
١٠٥ سبب نزول وتفسير قوله تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا الآية
١٠٨ فى تفسير قوله لقد تاب الله على النبى الآية
١١٢ فى تفسير قوله ما كان لأهل المدينة الآية
١١٣ فى تفسير قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافه الآية
١١٩ أول سورة يونس
١٢١ فى تفسير قوله الر تلك الآيتين
١٢٥ فى تفسير قوله تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء الآية
١٣١ سبب نزول وتفسير قوله واذا تتلى عليهم آياتنا الآية
١٣٦ فى تفسير قوله واذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء الآية
١٣٧ فى تفسير قوله هو الذى يسيركم الآية
١٤١ فى تفسير قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا الآية
١٤٧ فى تفسير قوله والذين كسبوا السيئات الآية
١٥١ فى تفسير قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا الآية ومايتعلق بها من الاعراب
١٥٧ فى تفسير قوله تعالى وما كان هذا القرآن أن يفترى الآية
١٥٨ فى تفسير قوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه الآية
١٦٢ فى تفسير ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الآية ومايتعلق بها من الاعراب
١٦٦ فى تفسير قوله قل أرأيتم ان أتاكم عذابه الآية
١٦٨ فى تفسير ويستنبئونك أحق هو الآية
١٧١ فى تفسير قوله قل بفضل الله وبرحمته الآية
١٧٣ فى تفسير قوله وما تكون فى شأن الآية
١٧٥ فى تفسير قوله ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم الآية
١٧٦ فى تفسير قوله ولا يحزنك قولهم ان العزة لله الآيتين
١٧٨ فى تفسير قوله واتل عليهم نبأ نوح الآية

صحيفة

١٨١ فى تفسير قوله ثم بعثنا من بعدهم موسى الآيتين
١٨٢ فى تفسير قوله تعالى قالوا أجئتنا لتلفتنا الآيات
١٨٤ فى تفسير قوله فما آمن لموسى الاذرية من قومه الآيات
١٨٦ فى تفسير قوله تعالى فما آمن لموسى الاذرية الآيتين
١٨٨ فى تفسير قوله وجاوزنا ببنى اسرائيل الآيات
١٩١ فى تفسير قوله فان كنت فى شك الآية وما المراد من الشك والخطاب لمن
١٩٢ فى تفسير قوله فلولا كانت قرية الآية
١٩٣ فى تفسير قوله تعالى ولوشاء ربك لآمن من فى الأرض وسبب نزولها
١٩٥ فى تفسير قوله قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دينى الآيات
١٩٨ أول سورة هود
٢٠٠ فى تفسير قوله الر كتاب أحكمت الآيات
٢٠٢ سبب نزول وتفسير قوله ألا انهم يثنون صدورهم الآيه
٢٠٤ فى تفسير قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والارض الآيتين
٢٠٦ سبب نزول وتفسير قوله فلعلك تارك بعض مايوحى اليك الآيه
٢٠٨ تفسير قوله أم يقولون افتراه الآيتين
٢١٠ فى تفسير قوله أفمن كان على بينة من ربه والاختلاف فى تفسير الشاهد
٢١٢ فى تفسير قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى الآيات والاختلاف فى لاجرم معنى واعرابا
٢١٤ كلام الملأ من قوم سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام معه حين دعاهم الى التوحيد وتكذيبهم اياه
٢١٥ رده عليهم
٢١٧ تمام رده عليهم مع التلطف فى الخطاب
٢٢١ صنع سيدنا نوح عليه السلام السفينة وسخرية قومه منه حين ذلك ومايتعلق بذلك
٢٢٤ تفسير قوله وقال اركبوا فيها الآيات وماحصل من المحاورة بين سيدنا نوح وابنه ووصف الموج حين الركوب فى السفينة
٢٢٨ فى تفسير قوله وقيل يا أرض ابلعى ماءك الآيات وماحصل من السؤال والجواب فى شأن ابن سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام ومايتعلق بذلك
٢٣٣ إباء قوم سيدنا هود عليه الصلاة والسلام عن الايمان به ورده عليهم
٢٣٥ إهلاكهم ونجاة سيدنا هود ومن معه
٢٣٨ دعاء سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام لقومه وتكذيبهم اياه
٢٤٠ إهلاكهم بالصيحة ونجاة سيدنا صالح ومن معه
٢٤١ مجىء الملائكة لسيدنا ابراهيم بالبشرى وقصتهم معه
٢٤٦ مجىء الرسل لسيدنا لوط عليه الصلاة والسلام ومافعله قومه معه لأجل الرسل يحسبونهم ضيوفا وما كان يقوله لهم
٢٤٨ كلام الرسل مع سيدنا لوط واعلامهم اياه ان قومه موعد هلاكهم الصبح وذكر اهلاكهم

صحيفة

بقلب مدائنهم عليهم
٢٥٢ إرسال سيدنا شعيب عليه السلام الى قومه ووعظه لهم
٢٥٣ ردهم عليه واستهزاؤهم به وماقاله لهم عليه الصلاة والسلام
٢٥٦ ذكر استضعافهم له ورده عليهم وذكر اهلاكهم بالصيحة ونجاته ومن معه
٢٦٩ سبب نزول وتفسير قوله وأقم الصلاة الآيتين وذكر الاختلاف فى طرفى النهار وزلف الليل
٢٧٥ أول سورة سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام
٢٧٦ تفسير قوله تعالى الر الآية وسبب نزول هذه السورة
٢٧٨ تفسير قوله تعالى نحن نقص عليك الآيات
٢٨٢ تفسير قوله لقد كان فى يوسف الآيات
٢٨٤ طلب اخوة سيدنا يوسف من أبيهم أن يرسله معهم وماقاله لهم أبوهم
٢٨٧ مافعلوه معه وماقالوه لأبيهم حين رجعوا وأخذ السيارة له
٢٩١ شراؤه بثمن بخس وذكر ما اشترى به تحديدا
٢٩٣ مراودة امرأة العزيز له ومايتعلق بها
٢٩٦ استباقهم الباب ورميها له بأنه أراد بها سوأ ورده عليها واستدعاؤه شاهدا من أهلها فشهد عليها ومايتعلق بذلك
٣٠١ مافعلته امرأة العزيز مع النسوة اللاتى كن يعذلنها فى حبه وماقلنه حين رأين سيدنا يوسف
٣٠٨ ماقصه عليه الفتيان اللذان كانا معه فى السجن من الرؤيا
٣٠٩ ماقاله لهم عقب ذلك
٣١١ تفسيره لهما الرؤيا
٣١٢ رؤية الملك وطلبه من ملئه تفسيرها وماردوا به عليه
٣١٤ ماقاله أحد الفتيين اللذين كانا معه فى السجن وذهابه الى سيدنا يوسف وتفسيره له الرؤيا
٣١٦ استدعاء الملك له وامتناعه حتى تظهر براءته وظهورها بالفعل
٣٢٠ قصة سيدنا يوسف مع اخوته حين جاؤا للميرة
٣٢٢ اخبارهم والدهم حين رجعوا بمنع الكيل منهم بسبب عدم وجود أخيهم بنيامين واستدعائهم له من أبيهم ليسافر معهم وماقاله لهم
٣٢٣ أخذ سيدنا يعقوب عليهم العهد حتى أعطاه لهم ووصيته لهم ومدح الله له عليه الصلاة والسلام
٣٢٧ ماعمله سيدنا يوسف حين دخلوا عليه من تعريفه أخاه نفسه وجعله الصاع فى رحله ومايتعلق بذلك
٣٣٢ تفتيش أوعيتهم لأجل الصاع واستخراجه من رحل أخيه ومايتعلق بذلك
٣٤١ تعارفهم واعترافهم بخطئهم ودعاؤه لهم وعدم عتبه عليهم وأمره لهم بأن يذهبوا بقميصه لوالده ومايتعلق بذلك
٣٤٤ وجدان سيدنا يعقوب ريح القميص من مدة بعيدة ورد بصره اليه حين جاءه به البشير وما يتعلق بذلك

صحيفة

٣٤٧ دخول سيدنا يعقوب وأولاده جميعا مصر وتأويل رؤيا سيدنا يوسف ومايتعلق بذلك
٣٥٢ فى تفسير قوله تعالى قل هذه سبيلى الآيات والكلام على قوله حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا واشباع ذلك حق الاشباع
٣٥٦ أول سورة الرعد
٣٦١ فى تفسير قوله تعالى وهو الذى مد الارض الآيات
٣٦٢ الكلام على قوله تعالى وفى الارض قطع متجاورات الآيه
٣٦٨ الكلام على قوله تعالى الله يعلم ما تحمل كل أنثى الآيات
٣٧٣ الكلام على قوله عز وجل هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا الآيات
٣٨٠ الكلام على قوله أنزل من السماء ماء فسالت الآيات
٣٨٤ الكلام على قوله تعالى أفمن يعلم أنما أنزل الآيات
٣٩١ الكلام على قوله ولو أن قرآنا سيرت به الارض الآيات
٣٩٧ الكلام على قوله تعالى ولقد أرسلنا رسلا الآيات
٤٠٢ أول سورة ابراهيم عليه الصلاة والسلام
٤٠٧ الكلام على قوله ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم الآيات
٤١٠ الكلام على قوله تعالى قالت لهم رسلهم ان نحن الابشر مثلكم الآيات
٤١٥ تفسير قوله عز وجل ألم تر أن الله خلق السموات الآيتين
٤١٨ خطبة ابليس للأشقياء فى الآخرة
٤٢١ الكلام على قوله تعالى ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة الآيات
٤٢٥ الكلام على قوله تعالى قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة الآيات
٤٣٣ فى تفسير قوله عز وجل ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن الآيات
٤٣٧ الكلام على قوله تعالى وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم الآيات
٤٤١ أول سورة الحجر
٤٤٣ الكلام على قوله الر تلك آيات الكتاب الآيات ومناسبتها لما قبلها واشباع الكلام على ربما
٤٤٧ فى تفسير قوله تعالى ولقد أرسلنا من قبلك الآيات
٤٥٠ الكلام على قوله والارض مددناها الآيات
٤٥٢ الكلام على قوله ولقد خلقنا الانسان الآيات
٤٥٦ فى قوله تعالى ان المتقين فى جنات وعيون الآيات
٤٥٨ قصة سيدنا ابراهيم مع الملائكة
٤٥٩ تتمة قصة سيدنا ابراهيم مع بعض من قصة سيدنا لوط
٤٦١ تمام قصة سيدنا لوط مع قومه
٤٦٣ الكلام على أصحاب الحجر
٤٦٤ الكلام على قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض الى آخر السورة
٤٧١ أول سورة النحل

صحيفة

٤٧٢ الكلام على قوله أتى أمر الله الآيات
٤٨١ الكلام على قوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق الآيات
٤٨٣ الكلام على قوله واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم الآيات
٤٨٧ فى تفسير قوله وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم الآيات
٤٩٥ الكلام على قوله أولم يروا الى ماخلق الله الآيات
٥٠٠ الكلام على قوله تعالى وقال الله لاتتخذوا الآيات
٥٠٥ الكلام على قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس الآيات
٥٠٧ الكلام على قوله تعالى وان لكم فى الانعام الآيات
٥١٣ الكلام على قوله تعالى والله خلقكم ثم يتوفاكم الآيات
٥١٨ الكلام على قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا الآيات
٥٢٣ الكلام على قوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا الآيات
٥٢٥ الكلام على قوله تعالى ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لايؤذن للذين كفروا الآيات
٥٢٩ فى تفسير قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآيات
٥٣١ الكلام على تفسير قوله تعالى ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة الآيات
٥٣٤ الكلام على قوله تعالى فاذا قرأت القرآن الآيات
٥٣٧ الكلام على تفسير قوله تعالى ان الذين لايؤمنون بآيات الله لايهديهم الله الآيات
٥٤١ فى تفسير قوله عز وجل يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها الآيات
٥٤٤ الكلام على قوله تعالى ولاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب الآيات
٥٤٦ الكلام على قوله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا الآيات
٥٤٩ الكلام على قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة الى آخر السورة

(تمت)

الجزء الخامس

﴿ من التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط ﴾

تأليف أوحد البلغاء المحققين وعمدة النحاة والمفسرين أثير الدين أبي عبد الله
محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي
الجياني الشهير بأبي حيان المولود سنة ٦٥٤ المتوفى
بالقاهرة سنه ٧٥٤ رحمه الله وبوأه دار رضاه آمين

وبهامشه تفسيران جليلان * أحدهما النهر الماد من البحر لأبي حيان أيضا * وثانيهما
كتاب الدر اللقيط من البحر المحيط لتلميذ أبي حيان الامام تاج الدين أبي محمد أحمد بن عبد
القادر بن أحمد بن مكتوم القيسي الحنفي النحوي المولود سنة ٦٨٢ المتوفى سنه ٧٤٩
نور الله ضريحه * مجعولا النهر بصدر الصحيفة مفصولا بينه وبين الدر اللقيط بجدول

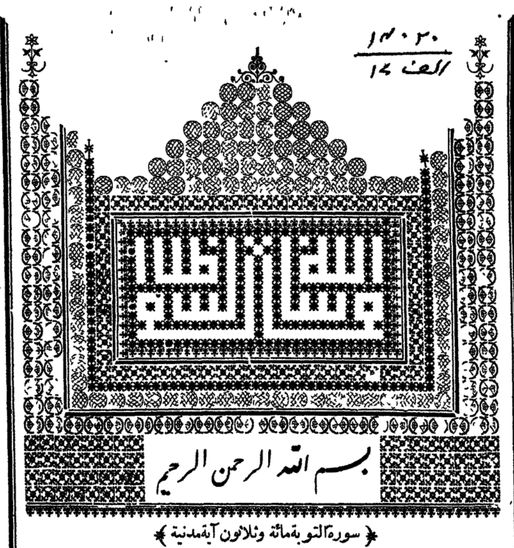
طبع هذا الكتاب على نفقة سلطان المغرب الاقصى جلالة أمير المؤمنين وحامي حوزة الدين
فرع الشجرة النبوية وخلاصة السلالة الطاهرة العلوية سيدنا ومولانا
عبد الحفيظ
ابن السلطان مولاي الحسن ابن السلطان سيدي محمد خلد الله ملكه

بتوكيل الحاج محمد بن العباس بن شقرون خديم المقام العالي بالله الآن بثغر طنجة
ووكيل دولة المغرب الاقصى سابقا بمصر على يد نجله الحاج عبد السلام بن شقرون

وخدمة لكتاب الله وأداء لبعض ما يجب قد بذلنا وسع الطاقة واحضرنا أصولا معتمدة معولا
عليها مأثورة عن فحول علماء الغرب والشرق مقابلة على نسخ موثوق بها بالكتبخانة
الخديوية المصرية وعلى الله سبحانه التوكل وبه الاعانة

(الطبعة الاولى سنة ١٣٢٨ ــ هـ)

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سورة التوبة مائة وثلاثون آية مدنية ﴾ ﴿سورة براءة﴾

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين * فسيحوا فى الارض أربعة أشهر واعلموا
أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين * وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج
الاكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير
معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم * الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم
يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين * فاذا انسلخ الاشهر الحرم
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا
الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم * وان أحد من المشركين استجارك فأجره
حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون * كيف يكون للمشركين عهد عند الله
وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب
المتقين * كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم
وأكثرهم فاسقون * اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون * لا
يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون * فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم
فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون * وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم
فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون * ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج
الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين * قاتلوهم يعذبهم

الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين * ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم * أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون * ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون * انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين * أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين * الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون * يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم * خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم * يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون * قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين * لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين * ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم * يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم * قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون * المرصد مفعل من رصد يرصد رقب يكون مصدرا وزمانا ومكانا * وقال عامر بن الطفيل

ولقد علمت وما إخالك ناسيا * أن المنية للفتى بالمرصد

الال الحلف والجؤار ومنه قول أبي جهل

لال علينا واجب لا نضيعه * متين قواه غير منتكث الحبل

كانوا اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه من الال وهو الجؤار وله أليل أى أنين يرفع به صوته * وقيل القرابة * وأنشد أبو عبيدة على القرابة قول الشاعر

أفسد الناس خلوف خلفوا * قطعوا الال واعراق الرحم

وظاهر البيت انه في العهد ومن القرابة قول حسان

لعمرك ان الك من قريش * كال السقب من رأل النعام

وسميت إلالا نها عقدت مالا يعقد الميثاق * وقيل من أل البرق لمع * وقال الأزهرى الاليل البريق يقال أل يؤل صفا ولمع * وقال القرطبي مأخوذ من الحدة ومنه الالة الحربة واذن مؤللة محددة فاذا قيل للعهد والجؤار والقرابة إلّ فمعناه ان الاذن منصرف الى تلك الجهة التي يتحدد لها والعهد يسمى إلا لصفائه ويجمع في القلة آلّ وفي الكثرة الال وأصل جمع القلة أألل فسهلت الهمزة الساكنة

﴿ براءة من الله ورسوله ﴾ الآية هذه السورة مدنية كلها وقيل الا آيتان من آخرها فانهما نزلتا بمكة وهذا قول الجمهور ويقال برئت من فلان أبرأ براءة أي انقطعت بيننا العصمة ومنه برئت من الدين وارتفع براءة على الابتداء والخبر الى الذين عاهدتم ومن الله صفة مسوغة لجواز الابتداء بالنكرة أو على اضمار مبتدا (ع) أي هذه براءة وقرأ عيسى بن عمر براءة بالنصب قال ابن عطية أي الزموا وفيه معنى الاغراء وقال الزمخشري اسمعوا براءة الى الذين عاهدتم قال ابن اسحاق وغيره كانت العرب قد أوثقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدا عاما على أن لا يصد أحد عن البيت الحرام ونحو هذا من الموادعات فنقض ذلك بهذه الآية وأجل لجميعهم أربعة أشهر فمن كان له مع رسول الله عهد خاص وبقي منه أقل من الاربعة أبلغ به تمامها ومن كان أمده أكثر أتم له عهده واذا كان ممن تحسس منه نقض العهد قصر على أربعة أشهر ومن لم يكن له عهد خاص فرضت له الاربعة يسيح في الارض أي يذهب فيها سوحا آمنا وظاهر من المشركين العموم فدخل فيه مشركو قريش وغيرهم فسيحوا في الارض أمر اباحة وفي ضمنه تهديد وهو التفات من غيبة الى خطاب أي قل لهم ليسيحوا أو يقال ساح سياحة وسوحا وسيحانا ومنه سيح الماء وهو الجاري المنبسط قال ابن عباس أول الاشهر شوال حين نزلت الآية وانقضاؤها انقضاء المحرم بعد يوم الاذان بخمسين فكان أجل من له عهد أربعة أشهر من يوم النزول وأجل سائر المشركين خمسون ليلة من يوم الاذان ﴿ غير معجزي الله ﴾ أي لا تفوتونه وان أمهلكم وهو مخزيكم أي مذلكم في الدنيا بالقتل والاسر والنهب وفي الآخرة بالعذاب

التي هي فاء الكلمة فابدلها ألفا وأدغمت اللام في اللام * الذمة العهد * وقال أبو عبيدة الامان * وقال الاصمعي كل ما يجب أن يحفظ ويحمى * أبى يأبى منع قال

أبى الضيم والنعمان يحرق نابه * عليه فافضى والسيوف معاقله

وقال

أبى الله الا عدله ووفاءه * فلا النكر معروف ولا العرف ضائع

ويجيء مضارعه على فعل بفتح العين شاذ ومنه آبى اللحم لرجل من الصحابة * شفاه أزال سقمه * العشيرة جماعة مجتمعة بسبب أو عقد أو وداد كعقد العشيرة * اقترفا اكتسب * كسد الشئ كسادا وكسودا بار ولم يكن له نفاق * الموطن الموقف والمقام قال الشاعر

وكم موطن لولاي طحت كما هوى * باجرامه من قلة النيق منهوى

ومثله الوطن * حنين واد بين مكة والطائف * وقيل واد الى جنب ذي المجاز * العيلة الفقر عال يعيل افتقر قال

وما يدري الفقير متى غناه * وما يدري الغني متى يعيل

الجزية ما أخذ من أهل الذمة على مقامهم في بلاد الاسلام سميت بذلك لانهم يجزونها أي يقضونها أو لانها تجزى بها من منّ عليهم بالاعفاء عن القتل * المضاهاة المماثلة والمحاكاة وثقيف تقول المضاهأة بالهمز وقد ضاهأت فادت المخالفة للتي قبلها الا ان كان ضاهت يدعى ان أصلها الهمز كقولهم في توضأت وقرأت وأخطأت توضيت وقريت وأخطيت فيمكن وأما ضهيا بالهمز مقصورا فهمزته زائدة كهمزة عرفىء أو ممدودا فهمزته للتأنيث زائدة أو ممدودا بعده هاء التأنيث حكاه البحتري عن أبي عمرو الشيباني في النوادر قال جمع بين علامتي تأنيث ومدلول هذه اللفظة في ثلاث لغاتها المرأة التي لا تحيض أو التي لا ثدي لها شابهت بذلك الرجال فمن زعم ان المضاهاة مأخوذة من ضهياء فقوله خطأ لاختلاف المادتين لاصالة همزة المضاهأة وزيادة همزة ضهيا في لغاتها الثلاث ﴿ براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض أربعة أشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين ﴾ هذه السورة مدنية كلها * وقيل الا آيتين من آخرها فانهما نزلتا بمكة وهذا قول الجمهور وذكر المفسرون لها اسماء واختلافا في سبب ابتدائها بغير بسملة وخلافا عن الصحابة أهي والانفال سورة واحدة أو سورتان ولا تعلق لمدلول اللفظ بذلك فأخلينا كتابنا منه ويطالع ذلك في كتب المفسرين ويقال برئت من فلان أبرأ براءة أي انقطعت بيننا العصمة ومنه برئت من الدين وارتفع براءة على الابتداء والخبر الى الذين عاهدتم ومن الله صفة مسوغة لجواز الابتداء بالنكرة أو على اضمار مبتدأ أي هذه براءة * وقرأ عيسى بن عمر براءة بالنصب * قال ابن عطية أي الزموا وفيه معنى الاغراء * وقال الزمخشري اسمعوا براءة * قال (فان قلت) بم تعلقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين (قلت) قد أذن الله تعالى في معاهدة المشركين أولا فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدوهم فلما نقضوا العهد أوجب

الله تعالى النبذ اليهم نحو طب المسلمون بما تجدّد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله تعالى ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين * وقال ابن عطية لما كان عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لازما لجميع أمته حسن أن يقول عاهدتم * وقال ابن اسحاق وغيره كانت العرب قد أوثقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدا عاما على أن لا يصدّ أحد عن البيت الحرام ونحو هذا من المواد عات فنقض ذلك بهذه الآية وأحل لجميعهم أربعة أشهر فمن كان له مع الرسول عهد خاص وبقى منه أقل من الاربعة أبلغ به تمامها ومن كان أمده أكثر أتم له عهده واذا كان ممن يحتبس منه نقض العهد قصر على أربعة أشهر ومن لم يكن له عهد خاص فرضت له الأربعة يسيح فى الارض أى يذهب فيها مسرحا آمنا وظاهر لفظة من المشركين العموم فكل من عاهده المسلمون داخل فيه من مشركى مكة وغيرهم * وروى انهم نكثوا الابنى ضمرة وكنانة فنبذ العهد الى الناكثين * وقال مقاتل المراد بالمشركين هنا ثلاث قبائل من العرب خزاعة وبنو مدلج وبنو خزيمة * وقيل هذه الآية فى أهل مكة وكان الرسول صلى الله عليه وسلم صالح قريشا عام الحديبية على أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس فدخلت خزاعة فى عهد الرسول وبنو بكر بن عبد مناة فى عهد قريش وكان لبنى الديل من بنى بكر دم عند خزاعة فاغتنموا الفرصة وغفلة خزاعة فخرج نوفل بن معاوية الديلى فيمن أطاعه من بنى بكر وبيتوا خزاعة فاقتتلوا وأعانت قريش بنى بكر بالسلاح وقوم أعانوهم بأنفسهم فهزمت خزاعة الى الحرم فكان ذلك نقضا الصلح الحديبية فخرج من خزاعة بديل بن ورقاء وعمرو ابن سالم فى ناس من قومهم فقدموا على الرسول صلى الله عليه وسلم مستغيثين وأنشده عمرو فقال

يا رب انى ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الأتلدا
كنت لنا أبا وكنا ولدا * ثمت أسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا اعبدا * وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا * أبيض مثل الشمس ينمو صعدا
ان سيم خسفا وجهه تربدا * فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست تدعو أحدا * وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالحطيم هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم أنصركم فتجهز الى مكة وفتحها سنة ثمان ثم خرج الى غزوة تبوك وتخلف من تخلف من المنافقين وأرجفوا الأراجيف فجعل المشركون ينقضون عهودهم فأمره الله تعالى بالقاء عهدهم اليهم وأذن فى الحرب فسيحوا أمر اباحة وفى ضمنه تهديد وهو التفات من غيبة الى خطاب أى قل لهم سيحوا يقال ساح سياحة وسوحا وسيحانا ومنه سيح الماء وهو الجارى المنبسط * وقال طرفة

لو خفت هذا منك مانلتنى * حتى ترى خيلا أمامى تسيح

* قال ابن عباس والزهرى أول الاشهر شوال حتى نزلت الآية وانقضاؤها انقضاء المحرم بعد يوم الأذان بخمسين فكان أجل من له عهد أربعة أشهر من يوم النزول وأجل سائر المشركين خمسون ليلة من يوم الاذان * وقال السدى وغيره أولها يوم الأذان وآخرها العشر من ربيع الآخر * وقيل العشر من ذى القعدة الى عشرين من شهر ربيع الاول لان الحج فى تلك السنة كان فى ذلك

﴿وأذان من الله ورسوله﴾ قرئ وإذن بكسر الهمزة وسكون الذال وقرئ ان الله بكسر الهمزة وفتحها فالفتح على تقدير بأن الله والكسر على اضمار القول على مذهب البصريين أو لان الاذان في معنى القول فكسرت على مذهب الكوفيين وحكى أبو عمرو عن أهل نجران أنهم يقرؤن من الله بكسر النون على أصل التقاء الساكنين واتباعا لكسرة الميم

الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة غير معجزي الله لاتفوتونه وان أمهلكم وهو مخزيكم أي مذلكم في الدنيا بالقتل والأسر والنهب وفي الآخرة بالعذاب * وحكى أبو عمرو عن أهل نجران انهم يقرأون من الله بكسر النون على أصل التقاء الساكنين واتباعا لكسرة النون ﴿وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله﴾ قرأ الضحاك وعكرمة وأبو المتوكل وإذن بكسر الهمزة وسكون الذال * وقرأ الحسن والأعرج ان الله بكسر الهمزة فالفتح على تقدير بأن والكسر على اضمار القول على مذهب البصريين أو لان الاذان في معنى القول فكسرت على مذهب الكوفيين * وقرأ ابن أبي اسحاق وعيسى بن عمر وزيد بن علي ورسوله بالنصب عطفا على لفظ اسم ان وأجاز الزمخشري أن ينتصب على انه مفعول معه * وقرئ بالجر شاذا ورويت عن الحسن وخرجت على العطف على الجوار كما انهم نعتوا وأكدوا على الجوار * وقيل هي واو القسم * وروى ان اعرابيا سمع من يقرأ بالجر فقال ان كان الله بريء من رسوله فأنا منه بريء فلببه القارئ الى عمر فحكى الاعرابي قراءته فعندها أمر عمر بتعليم العربية وأما قراءة الجمهور بالرفع فعلى الابتداء والخبر محذوف أي ورسوله بريء منهم وحذف لدلالة ماقبله عليه وجوزوا فيه أن يكون معطوفا على الضمير المستكن في بريء وحسنه كونه فصل بقوله من المشركين بين متحمله والمعطوف ومن أجاز العطف على موضع اسم ان المكسورة أجاز ذلك مع ان المفتوحة ومنهم من أجاز ذلك مع المكسورة ومنع مع المفتوحة * قال ابن عطية ومذهب الأستاذ يعني أبا الحسن بن البادش على مقتضى كلام سيبويه أن لاموضع لما دخلت عليه ان اذهو معرب قد ظهر فيه عمل العامل وانه لافرق بين ان وبين ليت والاجماع أن لاموضع لما دخلت عليه هذه انتهى وهذا كلام فيه تعقب لان علة كون ان لاموضع لما دخلت عليه ليس ظهور عمل العامل بدليل ليس زيد بقائم ومافي الدار من رجل فانه ظهر عمل العامل ولهما موضع وقوله والاجماع الى آخره يريد ان ليت لاموضع لها من الاعراب بالاجاع وليس كذلك لان الفراء خالف وجعل حكم ليت ولعل وكان ولكن وان حكم ان في كون اسمهن له موضع واعراب وأذان كاعراب براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة كما لايقال عمرو معطوف على زيد في زيد قام وعمرو قاعد والاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام كما أن الامان والعطاء يستعملان بمعنى الايمان والاعطاء وبضعف جعله خبرا عن وأذان اذا أعربناه مبتدأ بل الخبر قوله الى الناس وجاز الابتداء بالنكرة لانها وصفت بقوله من الله ورسوله ويوم منصوب بما يتعلق به الى الناس وقد أجاز بعضهم نصبه بقوله وأذان وهو بعيد من جهة أن المصدر اذا وصف قبل أخذه معموله لايجوز اعماله فيما بعد الصفة ومن جهة أنه لايجوز أن يخبر عنه الابعد أخذه معموله وقد أخبر عنه بقوله الى الناس لما كان سنة تسع أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحج فكره ان يرى المشركين يطوفون عراة فبعث أبا بكر أميرا على الموسم ثم أتبعه عليا ليقرأ هذه

﴿يوم الحج الاكبر﴾ والظاهر أن يوم الحج الاكبر يوم واحد فقال عمر وجماعة هو يوم عرفة وروى مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو موسى وجماعة هو يوم النحر وقيل يوم الحج الاكبر أيام الحج كلها قاله سفيان بن عيينة والذي تظاهرت به الاحاديث أن عليا رضي الله عنه أذن بتلك الآيات يوم عرفة اثر خطبة أبي بكر رضي الله عنه ثم رأى أنه لم يعم الناس بالاسماع فتتبعهم بالاذان بها يوم النحر وفي ذلك اليوم بعث أبو بكر من يعينه بها كأبي هريرة وغيره وتتبعوا بها أيضا أسواق العرب كذي المجاز وغيره وبذلك يترجح قول سفيان وجملة براءة من الله ورسوله اخبار بثبوت البراءة وجملة وأذان من الله ورسوله اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت فافترقتا وعلقت البراءة بالمعاهدين لانها مختصة بهم ناكثيهم وغيرنا كثيهم وعلق الأذان بالناس لشموله معاهدا ناكثا وغيره مسلما وكافرا ﴿ورسوله﴾ معطوف على موضع اسم ان اذ كان قبل دخول ان كان في موضع رفع على الابتداء وفي العطف على هذا الموضع خلاف ويجوز أن يكون معطوفا على الضمير المستكن في قوله بريء تقديره بريء هو ورسوله والاجود أن يكون مرفوعا على الابتداء وخبره محذوف تقديره ورسوله بريء منهم وحذف

الآيات على أهل الموسم راكبا ناقته العضباء فقيل له لو بعثت بها الى أبي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما اجتمعا قال أبو بكر أمير أو مأمور قال مأمور فلما كان يوم التروية خطب أبو بكر وقام علي يوم النحر بعد جمرة العقبة فقال يا أيها الناس انى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين آية أو أربعين * وعن مجاهد ثلاث عشرة ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وأن لا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي أبلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وأنه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف * وقيل عادة العرب في نقض عهودها أن يتولى رجل من القبيلة فلو تولاه أبو بكر لقالوا هذا خلاف ما يعرف منا في نقض العهود فلذلك جعل عليا يتولاه وكان أبو هريرة مع علي فاذا صحل صوت علي نادى أبو هريرة والظاهر أن يوم الحج الاكبر هو يوم احد * فقال عمر وابن الزبير وأبو جحيفة وطاووس وعطاء وابن المسيب هو يوم عرفة * وروى مرفوعا الى الرسول صلى الله عليه وسلم * وقال أبو موسى وابن أبي أوفى والمغيرة ابن شعبة وابن جبير وعكرمة والشعبي والنخعي والزهري وابن زيد والسدي هو يوم النحر * وقيل يوم الحج الاكبر أيام الحج كلها قاله سفيان بن عيينه * قال ابن عطية والذي تظاهرت به الاحاديث أن عليا أذن بتلك الآيات يوم عرفة اثر خطبة أبي بكر ثم رأى أنه لم يعم الناس بالاسماع فتتبعهم بالأذان بها يوم النحر وفي ذلك اليوم بعث أبو بكر رضي الله عنه من يعينه بها كأبي هريرة وغيره ويتبعوا بها أيضا أسواق العرب كذي المجاز وغيره وبهذا يترجح قول سفيان ويقول كان هذا يوم صفين ويوم الجمل يريد جميع أيامه * وقال مجاهد يوم الحج الاكبر أيام منى كلها ومجامع المشركين حين كانوا بذي المجاز وعكاظ ومجنة حتى نودي فيهم أن لا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا ووصفه بالاكبر * قال الحسن وعبد الله بن الحرث بن نوفل لانه حج ذلك العام المسلمون والمشركون وصادف عيد اليهود والنصارى ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر وضعف هذا القول بأنه تعالى لا يصفه بالاكبر لهذا * وقال الحسن أيضا لأنه حج فيه أبو بكر ونبذت فيه العهود * قال ابن عطية وهذا هو القول الذي يشبه نظر الحسن وبيانه أن ذلك اليوم كان المفتتح بالحق وأمارة الاسلام بتقديم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبذت فيه العهود وعز فيه الدين وذل فيه الشرك ولم يكن ذلك في عام ثمان حين ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسد كان أمير العرب على أوله فكل حج بعد حج أبي بكر فتركب عليه فحقه لهذا أن يسمى أكبر انتهى ومن قال انه يوم عرفة فسمي الاكبر لانه معظم واجباته فاذا فات فات الحج ومن قال انه يوم منى فلان فيه معظم الحج وتمام أفعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي * وقيل وصف بالاكبر لان العمرة تسمى بالحج الاصغر * وقال منذر بن سعيد وغيره كان الناس يوم عرفة مفترقين اذا كانت الحمس تقف بالمزدلفة وكان الجمع يوم النحر بمنى ولذلك كانوا يسمونه يوم الحج الاكبر أي الاكبر من الاصغر الذي هم فيه مفترقون وقد ذكر المهدوي أن الحمس ومن اتبعها وقفوا بالمزدلفة في حجة أبي بكر رضي الله عنه * وحكى القرطبي عن ابن سيرين أن يوم الحج الاكبر أراد به العام الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وحج معه الامم وهذا يحتاج الى اضمار كأنه قال هذا الأذان حكمه متحقق يوم الحج الاكبر وهو عام حج رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وسمي أكبر لانه فيه ثبتت مناسك الحج وقال فيه خذوا عني مناسككم وجملة براءة من الله ورسوله اخبار

في الدنيا العصمة أنفسكم وأولادكم وأموالكم وفي الآخرة لدخولكم الجنة وخلاصكم من النار ﴿وان توليتم﴾ أي عن الاسلام ﴿فاعلموا انكم غير معجزي الله﴾ أي لا تفوتونه عما يحل بكم من نقماته ﴿وبشر الذين كفروا﴾ جعل الانذار بشارة على سبيل الاستهزاء بهم والذين كفروا عام يشمل المشركين عبدة الاوثان وغيرهم وفي هذا وعيد عظيم بما يحل بهم ﴿الا الذين عاهدتم﴾ الاظهر أن يكون استثناء منقطعا بمعنى لكن ويبعد أن يكون متصلا وان كان قد قال به قوم لعسر ظهور المستثنى منه قبله الذي هؤلاء بعض منه ﴿فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم﴾ أي الى انقضاء مدة عهدهم والظاهر أن قوله الى مدتهم يكون في المدة التي كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أمروا باتمام العهد الى تمام المدة وعن ابن عباس كان بقي لحي من كنانة تسعة أشهر فأتم اليهم عهدهم ولم يظاهروا عليكم أحدا أي لم يعينوا عليكم أحدا كما فعلت قريش ببني بكر حين أعانوهم بالسلاح على خزاعة وتعدى أتموا بالى لتضمنه معنى فادوا أي فادوه تاما كاملا

بثبوت البراءة وجملة وأذان من الله ورسوله اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت فافترقتا وعلقت البراءة بالمعاهدين لانها مختصة بهم ناكثيهم وغير ناكثيهم وعلق الاذان بالناس لشموله معاهدا وغيره ناكثا وغيره مسلما وكافرا هذا هو قول الجمهور وقيل ويجوز أن يكون الخطاب للكفار بدليل آخر الآية وبدليل مناداة على بالجمل الاربع فظاهره أن المخاطب بتلك الجمل الكفار ولما كان المجرور خبرا عن قوله وأذان كان بالى أي مفتقد الى الناس وواصل اليهم ولو كان المجرور في موضع المفعول لكان باللام ومن في من المشركين متعلقة بقوله برئ تعلق المفعول تقول برئت منك وبرئت من الدين بخلاف من في قوله براءة من الله فانها في موضع الصفة ﴿فان تبتم﴾ أي من الشرك الموجب لتبرئ الله ورسوله منكم ﴿فهو﴾ أي التوب ﴿خير لكم﴾ في الدنيا بعصمة أنفسكم وأولادكم وأموالكم وفي الآخرة لدخولكم الجنة وخلاصكم من النار ﴿وان توليتم﴾ أي عن الاسلام ﴿فاعلموا أنكم غير معجزي الله﴾ أي لا تفوتونه عما يحل بكم من نقماته ﴿وبشر الذين كفروا بعذاب أليم﴾ جعل الانذار بشارة على سبيل الاستهزاء بهم والذين كفروا عام يشمل المشركين عبدة الاوثان وغيرهم وفي هذا وعيد عظيم بما يحل بهم ﴿الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين﴾ قال قوم هذا استثناء منقطع التقدير لكن الذين عاهدتم فثبتوا على العهد أتموا اليهم عهدهم * وقال قوم منهم الزجاج هو استثناء متصل من قوله الى الذين عاهدتم من المشركين * وقال الزمخشري وجهه أن يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الأرض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فأتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كأنه قيل بعد ان أمروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فأتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر * وقيل هو استثناء متصل وقبله جملة محذوفة تقديرها اقتلوا المشركين المعاهدين الا الذين عاهدتم وهذا قول ضعيف جدا والأظهر أن يكون منقطعا لطول الفصل بجمل كثيرة بين ما يمكن أن يكون مستثنى منه وبينه * قال مجاهد وغيره هم قوم كان بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم عهد لمدة فأمر أن يفي لهم * وعن ابن عباس لما قرأ علي براءة قال لبني ضمرة وحي من كنانة وحي من سليم ان الله قد استثنا كم ثم قرأ هذه الآية والظاهر أن قوله الى مدتهم يكون في المدة التي كانت بينهم وبين الرسول أمروا باتمام العهد الى تمام المدة * وعن ابن عباس كان بقي لحي من كنانة تسعة أشهر فأتم اليهم عهدهم وعنه أيضا الى مدتهم الى الأربعة الأشهر التي في الآية وهذا بعيد لانه يكون الاستثناء لا يفيد تجديد حكم اذ يكون حكم هؤلاء المستثنين حكم باقي المعاهدين الذين لم يتصفوا بما اتصف به هؤلاء من عدم النقض وعدم المظاهرة * وقرأ عطاء بن السائب الكوفي وعكرمة وأبو زيد وابن السميقع ينقضوكم بالضاد معجمة وتناسب العهد وهي بمعنى قراءة الجمهور لان من نقض من العهد فقد نقص من الأجل المضروب وهو على حذف مضاف أي ولم ينقضوا عهدكم بحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه لدلالة الكلام عليه * وقال الكرماني هي بالضاد أقرب الى معنى العهد الا ان القراءة بالصاد أحسن ليقع في مقابلته التمام في قوله فأتموا اليهم والتمام ضد النقص وانتصب شيأ على المصدر أي لا قليلا من النقص ولا كثيرا ولم يظاهروا عليكم أحدا كما

﴿ فاذا انسلخ الاشهر الحرم ﴾ الظاهر أن هذه الاشهر هي التي أبيح للناكثين أن يسيحوا فيها ووصفت بالحرم لانها محرم فيها القتال وتقدم ذكر الخلاف في ابتدائها وانتهائها واذا تقدمت النكرة وذكرت بعد ذلك فالوجه أن يؤتى بالضمير نحو لقيت رجلا فضربته ويجوز أن يعاد اللفظ معرفا بال نحو لقيت رجلا فضربت الرجل ولفظ حيث وجدتموهم عام في الاماكن من حل وحرم ﴿وخذوهم﴾ عبارة عن الاسر والأخيذ الاسير ويدل على جواز أسرهم ﴿واحصروهم﴾ قيدوهم وامنعوهم من التصرف في بلاد المسلمين وقيل استرقوهم وحاصروهم ان تحصنوا قال القرطبي في قوله واقعدوا لهم كل مرصد دلالة على جواز اغتيالهم قبل الدعوة لان المعنى اقعدوا لهم مواضع الغرة وهذا تنبيه على ان المقصود ايصال الاذى اليهم بكل طريق امابطريق القتال أو بطريق الاغتيال وقد أجمع المسلمون على جواز السرقة من أموال أهل الحرب واستلال خيلهم واتلاف مواشيهم اذا عجزوا عن الخروج بها الى دار الاسلام الا أن يصالحوا على مثل ذلك قال الزمخشري كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم فيه وانتصابه على الظرف كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم انتهى وهذا الذي قاله قد قاله الزجاج قال كل مرصد ظرف كقولك ذهبت مذهبا ورده أبو علي لان المرصد المكان الذي يرصد العدو فيه فهو مكان مخصوص لايحذف الحرف منه الا سماعا كما حكى سيبويه دخلت البيت وكما عسل الطريق الثعلب انتهى وأقول يصح انتصابه على الظرف لان قوله واقعدوا لهم ليس معناه حقيقة القعود بل المعنى ارصدوهم في كل مكان يرصد فيه ولما كان هذا المعنى جاز قياسا أن يحذف منه في كما قال * وقد قعدوا انفاقها كل مقعد * فتى كان العامل في الظرف المختص عاملا من لفظه أو معناه جاز أن يصل اليه بغير واسطة في فيجوز جلست مجلس زيد وقعدت مجلس زيد تريد في مجلس زيد فكما يتعدى الفعل الى المصدر من غير لفظه اذا كان بمعناه فكذلك الى الظرف وقال الاخفش معناه على كل مرصد فحذف على وأعمل الفعل وحذف على ووصل الفعل الى مجرورها فنصبه يخصه أصحابنا بالشعر وأنشدوا قول الشاعر

تحن فتبدي ما بها من صبابة * وأخفي الذي لولا الاسى لقضاني

أي لقضى علي

فعلت قريش ببني بكر حين أعانوهم بالسلاح على خزاعة وتعدى أتموا بالى لتضمنه معنى فأدوا أي فأدوه تاما كاملا وقول قتادة ان المستثنين هم قريش عوهدوا زمن الحديبية مردود باسلام قريش في الفتح قبل الاذن بهذا كله وقوله يحب المتقين تنبيه على ان الوفاء بالعهد من التقوى وان من التقوى أن لايسوى بين القبيلتين ﴿ فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ﴾ تقدم الكلام على انسلخ في قوله فانسلخ * وقال أبو الهيثم يقال أهللنا هلال شهر كذا أي دخلنا فيه ولبسناه فنحن نزداد كل ليلة الى مضى نصفه لباسا منه ثم نسلخه عن أنفسنا بعد تكامل النصف منه جزءا فجزءا حتى نسلخه عن أنفسنا كله فينسلخ وأنشد

اذا ما سلخت الشهر أهللت مثله * كفى قاتلا سلخ الشهور واهلال

والظاهر أن هذه الأشهر هي التي أبيح للناكثين أن يسيحوا فيها ووصفت بالحرم لانها محرم فيها القتال وتقدم ذكر الخلاف في ابتدائها وانتهائها واذا تقدمت النكرة وذكرت بعد ذلك فالوجه ان تذكر بالضمير نحو لقيت رجلا فضربته ويجوز أن يعاد اللفظ معرفا بال نحو لقيت رجلا فضربت الرجل ولا يجوز أن يوصف بوصف يشعر بالمغايرة لو قلت لقيت رجلا فضربت الرجل الازرق وأنت تريد الرجل الذي لقيته لم يجز بل ينصرف ذلك الى غيره ويكون المضروب غير الملقى فان وصفته بوصف لايشعر بالمغايرة جاز نحو لقيت رجلا فضربت الرجل المذكور وهنا جاء الأشهر الحرم لان هذا الوصف مفهوم من قوله فسيحوا في الارض أربعة أشهر اذ التقدير أربعة أشهر حرم لايتعرض اليكم فيها فليس الحرم وصفا مشعرا بالمغايرة * وقيل الأشهر الحرم هي غير هذه الاربعة وهي الاشهر التي حرم الله فيها القتال منذ خلق السموات والارض وهي التي جاء في الحديث فيها ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ذو القعدة . وذو الحجة . والمحرم : ورجب فتكون الأربعة من سنتين * وقيل أولها المحرم فتكون من سنة وجاء الامر بالقتل على سبيل التشجيع وتقوية النفس وانهم لامنعة عندهم من أن يقتلوا وفي اطلاق الامر بالقتل دليل على قتلهم بأي وجه كان وقد قتل أبو بكر أصحاب الردة بالاحراق بالنار وبالحجارة وبالرمي من رؤوس الجبال والتنكيس في الآبار وتعلق بعموم هذه

﴿فان تابوا﴾ أي عن الكفر والغدر والتوبة تتضمن الايمان وترك ما كانوا فيه من المعاصي ﴿فخلوا سبيلهم﴾ كناية عن الكف عنهم واجرائهم مجرى المسلمين في تصرفاتهم حيث ماساروا ولا يتعرض لهم

(الدر)

﴿سورة التوبة﴾

(س) كل مرصد ممر ومجتاز يرصدونهم فيه وانتصابه على الظرف كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم انتهى (ح) هذا الذي قاله الزجاج قال كل مرصد ظرف كقولك ذهبت مذهبا ورده أبو علي لان المرصد المكان الذي يرصد فيه العدو فهو مكان مخصوص لايحذف الحرف منه الاسما كما حكى سيبويه دخلت البيت وكما عسل الطريق الثعلب انتهى وأقول يصح انتصابه على الظرف لان قوله واقعدوا لهم ليس معناه حقيقة القعود بل المعنى ارصدوهم في كل مرصد يرصد فيه ولما كان هذا المعنى جاز قياسا أن يحذف منه في كما قال * وقد قعدوا انقاقها كل مقعد * فتى كان العامل في الظرف المختص عاملا من لفظه أو من معناه جاز أن يصل اليه بغير وساطة في فيجوز جلست مجلس زيد وقعدت مجلس زيد يريد في مجلس زيد فكما يتعدى الفعل الى المصدر من غير لفظه اذا كان معناه فكذلك الى الظرف وقال الاخفش معناه على كل مرصد فحذف واعمل الفعل وحذف على ووصول الفعل الى

الآية وأحرق علي قوما من أهل الردة وقد وردت الاحاديث الصحيحة بالنهي عن المثلة ولفظ المشركين عام في كل مشرك وجاءت السنة باستثناء الاطفال والرهبان والشيوخ الذين ليسوا ذوي رأي في الحرب ومن قاتل من هؤلاء قتل * وقال الزمخشري يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم ولفظ حيث وجدتموهم عام في الاماكن من حل وحرم وخذوهم عبارة عن الاسر والأخيذ الأسير ويدل على جواز أسرهم واحصروهم قيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد * وقيل استرقوهم * وقيل معناه حاصروهم ان تحصنوا * وقرئ فحاصروهم شاذا وهذا القول يروى عن ابن عباس وعنه أيضا حولوا بينهم وبين المسجد الحرام * وقيل امنعوهم عن دخول بلاد الاسلام والتصرف فيها الاباذن * قال القرطبي في قوله واقعدوا لهم كل مرصد دلالة على جواز اغتيالهم قبل الدعوة لان المعنى اقعدوا لهم مواضع الغرة وهذا تنبيه على ان المقصود ايصال الأذى اليهم بكل طريق اما بطريق القتال واما بطريق الاغتيال وقد أجمع المسلمون على جواز السرقة من أموال أهل الحرب واسلال خيلهم واتلاف مواشيهم اذا عجز عن الخروج بها الى دار الاسلام الا أن يصالحوا على مثل ذلك * قال الزمخشري كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم فيه وانتصابه على الظرف كقوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم انتهى وهذا الذي قاله الزجاج قال كل مرصد ظرف كقولك ذهبت مذهبا ورده أبو علي لان المرصد المكان الذي يرصد فيه العدو فهو مكان مخصوص لايحذف الحرف منه الاسما كما حكى سيبويه دخلت البيت وكما عسل الطريق الثعلب انتهى * وأقول يصح انتصابه على الظرف لان قوله واقعدوا لهم ليس معناه حقيقة القعود بل المعنى ارصدوهم في كل مكان يرصد فيه ولما كان بهذا المعنى جاز قياسا أن يحذف منه في كما قال * وقد قعدوا انقاقها كل مقعد * فتى كان العامل في الظرف المختص عاملا من لفظه أو من معناه جاز أن يصل اليه بغير واسطة في فيجوز جلست مجلس زيد وقعدت مجلس زيد تريد في مجلس زيد فكما يتعدى الفعل الى المصدر من غير لفظه اذا كان بمعناه فكذلك الى الظرف * وقال الاخفش معناه على كل مرصد فحذف وأعمل الفعل وحذف على ووصول الفعل الى مجرورها فتنصبه يخصه أصحابنا بالشعر وأنشدوا

تحن فتبدي مابها من صبابة * وأخفي الذي لولا الأسى لقضاني

أي لقضى علي ﴿فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم﴾ أي عن الكفر والغدر والتوبة تتضمن الايمان وترك ما كانوا فيه من المعاصي ثم نبه على أعظم الشعائر الاسلامية وذلك اقامة الصلاة وهي أفضل الاعمال البدنية وايتاء الزكاة وهي أفضل الاعمال المالية وبهما تظهر القوة العملية كما بالتوبة تظهر القوة العلمية عن الجهل فخلوا سبيلهم كناية عن الكف عنهم واجرائهم مجرى المسلمين في تصرفاتهم حيثما شاؤوا ولا تتعرضوا لهم كقول الشاعر * خل السبيل لمن يبني المناربه * أو يكون المعنى فأطلقوهم من الأسر والحصر والظاهر الاول لشمول الحكم لمن كان مأسورا وغيره * وقال ابن زيد افترضت الصلاة والزكاة جميعا وأبى الله أن لاتقبل الصلاة الا بالزكاة وقال يرحم الله أبا بكر ما كان أفقهه في قوله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة وناسب ذكر وصف الغفران والرحمة منه تعالى لمن تاب عن الكفر والتزم شرائع الاسلام * قال الحافظ أبو بكر بن العربي لاخلاف بين المسلمين ان من ترك

الصلاة وسائر الفرائض مستحلا كفر ودفن في مقابر الكفار وكان ماله فيأ ومن ترك السنن فسق ومن ترك النوافل لم يحرج الا أن يجحد فضلها فيكفر لأنه يصير رادا على النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء به وأخبر عنه انتهى والظاهر أن مفهوم الشرط لا ينهض أن يكون دليلا على تعيين قتل من ترك الصلاة والزكاة متعمدا غير مستحل ومع القدرة لان انتفاء تخلية السبيل تكون بالحبس وغيره فلا يتعين القتل وقد اختلف العلماء في ذلك * فقال مكحول ومالك والشافعي وحماد بن زيد ووكيع وأبو ثور يقتل * وقال ابن شهاب وأبو حنيفة وداود يسجن ويضرب ولا يقتل * وقال جماعة من الصحابة والتابعين يقتل كفرا وماله مال مرتد وبه قال اسحاق قال اسحاق وكذلك كان رأى أهل العلم من لدن النبي صلى الله عليه وسلم الى زماننا ﴿وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾ قال الضحاك والسدى هي منسوخة بآية الامر بقتل المشركين * وقال الحسن ومجاهد هي محكمة الى يوم القيامة * وعن ابن جبير جاء رجل الى علي رضي الله عنه فقال ان أراد الرجل منا أن يأتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل ليسمع كلام الله أو يأتيه لحاجة قتل قال لا لان الله تعالى قال وان أحد من المشركين استجارك الآية انتهى * وقيل هذه الآية انما كان حكمها مدة الأربعة الأشهر التي ضربت لهم أجلا والظاهر انها محكمة ولما أمر تعالى بقتل المشركين حيث وجدوا وأخذهم وحصرهم وطلب غرتهم ذكر لهم حالة لا يقتلون فيها ولا يؤخذون ويؤسرون وتلك اذا جاء واحد منهم مسترشدا طالبا للحجة والدلالة على ما يدعو اليه من الدين فالمعنى وان أحد من المشركين استجارك أي طلب منك أن تكون مجيرا له وذلك بعد انسلاخ الاشهر ليسمع كلام الله وما تضمنه من التوحيد ويقف على ما بعثت به فكن مجيرا له حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم أبلغه داره التي يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة وحتى يصح أن تكون للغاية أي الى أن يسمع ويصح أن تكون للتعليل وهي متعلقة في الحالين بأجره ولا يصح أن يكون من باب التنازع وان كان يصح من حيث المعنى أن يكون متعلقا باستجارك أو بفأجره وذلك لمانع لفظي وهو أنه لو أعمل الأول لاضمر في الثاني وحتى لا تجر المضمر فلذلك لا يصح أن يكون من باب التنازع لكن من ذهب من النحويين الى أن حتى تجر المضمر يجوز أن يكون ذلك عنده من باب التنازع وكون حتى لا تجر المضمر هو مذهب الجمهور ولما كان القرآن أعظم المعجزات علق السماع به وذكر السماع لانه الطريق الى الفهم وقد يراد بالسماع الفهم تقول لمن خاطبته فلم يقبل منك أنت لم تسمع تريد لم تفهم وكلام الله من باب اضافة الصفة الى الموصوف لا من باب اضافة المخلوق الى الخالق ومأمنه مكان أمنه * وقيل مأمنه مصدر أي ثم أبلغه أمنه وقد استدلت المعتزلة بقوله حتى يسمع كلام الله على حدوث كلام الله لانه لا يسمع الا الحروف والاصوات ومعلوم بالضرورة حدوث ذلك وهذا مذكور في علم الكلام وفي هذه الآية دلالة على أن النظر في التوحيد أعلى المقامات اذ عصم دم الكافر المهدر الدم بطلبه النظر والاستدلال وأوجب على الرسول أن يبلغه مأمنه وفيها دلالة على أن التقليد غير كاف في الدين اذ كان لا يمهل بل يقال له إما أن تسلم وإما أن تقتل وفيها دلالة على أنه بعد سماع كلام الله لا يقر بأرض الاسلام بل يبلغ مأمنه وأنه يجب حفظه وحوطته مدة يسمع فيها كلام الله والخطاب

وجهه فقال ان أراد الرجل منا ان يأتي محمدا بعد انقضاء الاجل ليسمع كلام الله أو يأتيه لحاجة قتل قال لا لان الله تعالى قال وان أحد من المشركين استجارك فأجره الآية ولما أمر تعالى بقتل المشركين حيث وجدوا وأخذهم وحصرهم وطلب غرتهم ذكر لهم حالة لا يقتلون فيها ولا يؤخذون ويؤسرون وهي اذا جاء واحد منهم مسترشدا طالبا للحجة والدلالة على ما تدعو اليه من الدين فالمعنى وان أحد من المشركين استجارك أي طلب منك أن تكون مجيرا له وذلك بعد انسلاخ الاشهر ليسمع كلام الله وما تضمنه من التوحيد ويقف على ما بعثت به فكن مجيرا له حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ﴿ثم أبلغه﴾ داره التي يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة ﴿ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾ أي ذلك الامر بالاجارة وابلاغ المأمن بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويتفهموا الحق

(الدر) مجرورها فينصبه بعض أصحابنا بالشعر

يكون للمشركين عهد مع اضمار الغدر والنكث والاستفهام يراد به النفي كثيرا قال الشاعر
*فهذي سيوف ياهدي ابن مالك
كثير ولكن كيف بالسيف ضارب*
أي ليس بالسيف ضارب ولما كان الاستفهام معناه النفي صلح مجيء الاستثناء وهو متصل وقيل منقطع أي لكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام وقال ابن عباس هم قريش وقال السدي بنو جذيمة بن الديل وقال ابن اسحاق قبائل بني بكر كانوا دخلوا وقت الحديبية في المدة التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش كيف في موضع نصب خبر ليكون وعهد اسم يكون والظاهر ان ما مصدرية ظرفية أي استقيموا لهم مدة استقامتهم وليست شرطية وقال أبو البقاء هي شرطية كقوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة انتهى فكان التقدير ما استقاموا لكم من زمان فاستقيموا لهم وقال الحوفي ماشرط في موضع رفع بالابتداء والخبر استقاموا

بقوله استجارك وفاجره يدل على أن أمان السلطان جائز وأما غيره فالحر يمضي أمانه * وقال ابن حبيب ينظر الامام فيه والعبد قال الأوزاعي والثوري والشافعي وأحمد واسحاق ومحمد بن الحسن وأبو ثور وداود له الامان وهو مشهور مذهب مالك * وقال أبو حنيفة لا أمان له وهو قول في مذهب مالك والحرة لها الامان على قول الجمهور * وقال عبد الملك بن الماجشون لا الا أن يجيزه الامام وقوله شاذ والصبي اذا أطاق القتال جاز أمانه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون أي ذلك الامر بالاجارة وابلاغ المأمن بسبب أنهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق قاله الزمخشري * وقال ابن عطية اشارة الى هذا اللطف في الاجارة والاسماع وتبليغ المأمن لا يعلمون نفي علمهم بمراشدهم في اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين ﴾ هذا استفهام معناه التعجب والاستنكار والاستبعاد * قال التبريزي والكرماني معناه النفي أي لا يكون لهم عهد وهم لكم ضد ونبه على علة انتفاء العهد بالوصف الذي قام به وهو الاشراك * وقال القرطبي وفي الآية اضمار أي كيف يكون للمشركين عهد مع اضمار الغدر والنكث انتهى والاستفهام يراد به النفي كثيرا ومنه قول الشاعر

فهاذي سيوف ياهدي بن مالك * كثير ولكن ليس بالسيف ضارب

أي ليس بالسيف ضارب ولما كان الاستفهام معناه النفي صلح مجيء الاستثناء وهو متصل * وقيل منقطع أي لكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام * قال الحوفي ويجوز أن يكون الذين في موضع خبر على البدل من المشركين لان معنى ما تقدم النفي أي ليس يكون للمشركين عهد الا الذين لم ينكثوا * قال ابن عباس هم قريش * وقال السدي بنو جذيمة بن الديل * وقال ابن اسحاق قبائل بني بكر كانوا دخلوا وقت الحديبية في المدة التي كانت بين الرسول صلى الله عليه وسلم وقريش * وقال الزمخشري كبني كنانة وبني ضمرة * وقال قوم منهم مجاهد هم خزاعة ورد باسلامهم عام الفتح * وقال ابن زيد هم قريش نزلت فلم يستقيموا فنزل تأجيلهم أربعة أشهر بعد ذلك وضعف هذا القول بأن قريشا بعد الاذان بأربعة أشهر لم يكن فيهم الا مسلم وذلك بعد فتح مكة بسنة وكذلك خزاعة قاله الطبري فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على الوفاء وجوز أبو البقاء أن يكون خبر يكون كيف لقوله كيف كان عاقبة مكرهم وأن يكون الخبر للمشركين وعند على هذين ظرف للعهد أو ليكون أو للحال أو هي وصف للعهد وأن يكون الخبر عند الله وللمشركين تبيين أو متعلق بيكون وكيف حال من العهد انتهى والظاهر أن ما مصدرية ظرفية أي استقيموا لهم مدة استقامتهم وليست شرطية * وقال أبو البقاء هي شرطية كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة انتهى فكان التقدير ما استقاموا لكم من زمان فاستقيموا لهم * وقال الحوفي ما شرط في موضع رفع بالابتداء والخبر استقاموا ولكم متعلق باستقاموا فاستقيموا لهم الفاء جواب الشرط انتهى فكان التقدير فأي وقت استقاموا فيه لكم فاستقيموا لهم وانما جوزان تكون شرطية لوجود الفاء في فاستقيموا والأن المصدرية الزمانية لا تحتاج الى الفاء وقد أجاز ابن مالك في المصدرية الزمانية أن تكون شرطية وتجزم وأنشد على ذلك ما يدل ظاهره على صحة دعواه وقد

ولكم متعلق باستقاموا ﴿ فاستقيموا لهم ﴾ الفاء جواب الشرط انتهى فكان التقدير فأي وقت استقاموا لكم فيه فاستقيموا لهم وانما جوز أن تكون شرطية لوجود الفاء في فاستقيموا لان المصدرية الزمانية لا تحتاج الى الفاء

ذكرنا ذلك في كتاب التكميل وتأولنا ما استشهد به فعلى قوله تكون زمانية شرطية ان الله يحب المتقين يعنى أن الوفاء بالعهد من أخلاق المتقين والتربص بهؤلاء ان استقاموا من أعمال المؤمنين والتقوى تتضمن الايمان والوفاء بالعهد ﴿ كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون ﴾ كيف تأكيد لنفى ثباتهم على العهد والظاهر أن الفعل المحذوف بعدها هو من جنس أقرب مذكور لها وحذف للعلم به فى كيف السابقة والتقدير كيف لهم عهد وحالهم هذه وقد جاء حذف الفعل بعد كيف لدلالة المعنى عليه كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وقال الشاعر

وخبرتمانى انما الموت بالقرى * فكيف وهاتا هضبة وكثيب

أى فكيف مات وليس فى قرية وقال الحطيئة

فكيف ولم أعلمهم خذلوكم * على معظم وان أديمكم قدّوا

أى فكيف تلوموننى على مدحهم واستغنى عن ذلك لأنه جرى فى القصيدة ما دل على ما أضمر وقدر أبو البقاء الفعل المحذوف بعد كيف بقوله كيف تطمئنون اليهم وقدره غيره كيف لا يقتلونهم والواو فى وان يظهروا واو الحال وتقدم الكلام على وقوع جملة الشرط حالا فى قوله وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ومعنى الظهور العلو والظفر تقول ظهرت على فلان علوته والمعنى وان يقدروا عليكم ويظفروا بكم * وقرأ زيد بن على وان يظهر وامبنيا للمفعول لا يرقبوا لا يحفظوا ولا يرعوا الا عهدا أو قرابة أو حلفا أو سياسة أو الله تعالى أو جؤارا أى رفع صوت بالتضرع أقوال * قال مجاهد وأبو مجلز إل اسم الله بالسريانية وعرب ومن ذلك قول أبى بكر حين سمع كلام مسيلمة * فقال هذا كلام لم يخرج من إل وقرأت فرقة ألا بفتح الهمزة وهو مصدر من فعل الال الذى هو العهد * وقرأ عكرمة إيلا بكسر الهمزة وياء بعدها فقيل هو اسم الله تعالى ويجوز أن يراد به إل أبدل من أحد المضاعفين ياء كما قالوا فى إما إيما قال الشاعر

ياليتما أمنا سالت نعامتها * إيما الى جنة إيما الى نار

* قال ابن جنى ويجوز أن يكون مأخوذا من آل يؤول اذا ساس أبدل من الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها أى لا يرقبون فيكم سياسة ولا مداراة ولا ذمة ومن رأى ان الال هو العهد جعله والذمة لفظين لمعنى واحد أو متقاربين ومن رأى ان الال غير العهد فهما لفظان متباينان ولما ذكر حالهم مع المؤمنين ان ظهروا عليهم ذكر حالهم معهم اذا كانوا غير ظاهرين فقال يرضونكم بأفواههم واستأنف هذا الكلام أى حالهم فى الظاهر يخالف لباطنهم وهذا كله تقرير واستبعاد لثبات قلوبهم على العهد وإباء القلب مخالفته لما يجرى على اللسان من القول الحسن * وقيل يرضونكم بأفواههم فى العدة بالايمان وتأبى قلوبهم الا الكفر * وقيل يرضونكم فى الطاعة وتأبى قلوبهم الا المعصية والظاهر بقاء الاكثر على حقيقته فقيل وأكثرهم لأن منهم من قضى الله له بالايمان * وقيل لأن منهم من له حفظ لمراعاة الحال الحسنة من التعفف عما يثلم العرض ويجر أحدوثة السوء وأكثرهم خبثا الانفس خريجون فى الشر لا مروءة تردعهم ولا طباع مرضية تزعهم لا يحترزون عن كذب ولا مكر ولا خديعة ومن كان بهذا الوصف كان مذموما عند الناس وفى جميع الاديان ألا ترى الى أهل الجاهلية وهم كفار كيف يمدحون أنفسهم بالعفاف وبالصدق وبالوفاء بالعهد وبالاخلاق الحسنة * وقيل معنى وأكثرهم وكلهم فاسقون قاله ابن عطية والكرمانى ﴿ اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء

﴿ كيف وان يظهروا عليكم ﴾ الظاهر أن الفعل المحذوف الذى بعدها هو من جنس أقرب مذكور لها وحذف للعلم به فى كيف السابقة والتقدير فكيف يكون لهم عهد وحالهم هذه والواو للحال ومعنى يظهروا يغلبوا وجواب الشرط لا يرقبوا وقال الشاعر فى حذف الفعل بعد كيف

وخبرتمانى انما الموت بالقرى
وكيف وهاتا هضبة وكثيب *

أى فكيف مات وليس فى قرية * الال الحلف والذمة العهد وقال أبو عبيدة الامان والاباء مخالفة القلب لما يجرى على اللسان من القول الحسن ﴿ اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ﴾ الظاهر عود الضمير على من قبله من المشركين المأمور بقتلهم ويكون المعنى اشتروا بالقرآن وما تدعو اليه من الاسلام ثمنا قليلا وهو اتباع الشهوات والاهواء لما تركت دين الله وآثرت الكفر كان ذلك كالشراء والبيع

ما كانوا يعملون ﴾ الظاهر عود الضمير على من قبله من المشركين المأمور بقتلهم ويكون المعنى اشتروا بالقرآن وما يدعوا اليه من الاسلام ثمنا قليلا وهو اتباع الشهوات والاهواء لما تركت دين الله وآثرت الكفر كان ذلك كالشراء والبيع * وقال مجاهد هم الاعراب الذين جمعهم أبو سفيان على طعامه * وقال أبو صالح هم قوم من اليهود وآيات الله التوراة * وقال ابن عباس هم أهل الطائف كانوا يمدون الناس بالاموال يمنعونهم من الدخول في الاسلام فصدوا عن سبيله أي صرفوا أنفسهم عن دين الله وعدلوا عنه والظاهر ان ساء هنا محولة الى فعل ومذهوبا بها مذهب بئس ويجوز اقرارها على وصفها الأول فتكون متعدية أي أنهم ساءهم ما كانوا يعملون لحذف المفهوم لفهم المعنى ﴿ لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون ﴾ هذا تنبيه على الوصف الموجب للعداوة وهو الايمان ولما كان قوله لا يرقبوا فيكم يتوهم أن ذلك مخصوص بالمخاطبين نبه على علة ذلك وان سبب المنافاة هو الايمان وأولئك أي الجامعون لتلك الاوصاف الذميمة هم المعتدون المجاوزون الحد في الظلم والشر ونقض العهد ﴿ فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين ﴾ أي فان تابوا عن الكفر ونقض العهد والتزموا أحكام الاسلام فاخوانكم أي فهم اخوانكم والاخوان والاخوة جمع أخ من نسب أو دين ومن زعم أن الاخوة تكون في النسب والاخوان في الصداقة فقد غلط قال تعالى انما المؤمنون اخوة * وقال أو بيوت اخوانكم وعلق حصول الاخوة في الدين على الالتباس بمجموع الثلاثة ويظهر ان مفهوم الشرط غير مراد ﴿ ونفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ أي نبينها ونوضحها وهذه الجملة اعتراض بين الشرطين بين قوله فان تابوا وقوله وان نكثوا بعثا وتحريضا على تأمل ما فصل تعالى من الاحكام وقال لقوم يعلمون لانه لا يتأمل تفصيلها الا من كان من أهل العلم والفهم ﴿ وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ﴾ أي وان نقضوا أقسامهم من بعد ما تعاهدوا وتحالفوا على أن لا ينكثوا وطعنوا أي عابوه وثلبوه واستنقصوه والطعن هنا مجاز وأصله الاصابة بالرمح أو العود وشبهه وهو هنا بمعنى العيب كما جاء في حديث امارة اسامة ان تطعنوا في امارته فقد طعنتم في امارة أبيه من قبل أي عبتموها واستنقصتموها والظاهر أن هذا الترديد في الشرطين هو في حق الكفار أصلا لأن من أسلم ثم ارتد فيكون قوله فقاتلوا أئمة الكفر أي رؤساء الكفر وزعماءه والمعنى فقاتلوا الكفار وخص الائمة بالذكر لأنهم هم الذين يحرضون الاتباع على البقاء على الكفر * وقال الكرماني كل كافر امام نفسه فالمعنى فقاتلوا كل كافر * وقيل من أقدم على نكث العهد والطعن في الدين صار رأسا في الكفر فهو من أئمة الكفر * وقال ابن عباس أئمة الكفر زعماء قريش * وقال القرطبي هو بعيد لأن الآية في سورة براءة وحين نزلت كان الله قد استأصل شأفة قريش ولم يبق منهم الا مسلم أو مسالم * وقال قتادة المراد أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وغيرهم وهذا ضعيف ان لم يؤخذ على جهة المثال لأن الآية نزلت بعد بدر بكثير * وروى عن حذيفة انه قال لم يجئ هؤلاء بعد يريد لم ينقرضوا فهم يجيئون أبدا ويقاتلون * وقال ابن عطية أصوب ما في هذا أن يقال انه لا يعني بها معين وانما دفع الأمر بقتال أئمة الناكثين العهود من الكفرة الى يوم القيامة دون تعيين واقتضت حال كفار العرب ومحاربي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون الاشارة اليهم أولا بقوله أئمة الكفر وهم حصلوا حينئذ تحت اللفظة إذ الذي يتولى قتال النبي صلى

﴿لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة﴾ هذا تنبيه على الوصف الموجب للعداوة وهو الايمان ولما كان قوله لا يرقبوا فيكم يوهم أن ذلك مخصوص بالمخاطبين نبه على علة ذلك وان سبب المنافاة هو الايمان ﴿وأولئك﴾ أي الجامعون لتلك الاوصاف الذميمة ﴿هم المعتدون﴾ المتجاوزون الحد في الظلم والشر ونقض العهد ﴿فان تابوا وأقاموا الصلاة﴾ أي فان تابوا عن الكفر ونقض العهد والتزموا أحكام الاسلام ﴿فاخوانكم﴾ أي فهم اخوانكم والاخوان والاخوة جمع أخ من نسب أو دين ﴿ونفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ أي نبينها ونوضحها وهذه الجملة اعتراض بين الشرطين من قوله فان تابوا وقوله وان نكثوا بعثا وتحريضا على تأمل ما فصل تعالى من الاحكام وقال لقوم يعلمون لانه لا يتأمل تفصيلها الا من كان من أهل العلم والفهم ﴿وان نكثوا أيمانهم﴾ أي وان نقضوا عهدهم من بعد ما تعاهدوا وتحالفوا على أن لا ينكثوا ﴿وطعنوا﴾ أي عابوه وسلبوه واستنقصوه والطعن هنا مجاز وأصله الاصابة بالرمح أو العود وشبهه والظاهر أن هذا الترديد في الشرطين هو في حق الكفار أصلا لا في من أسلم ثم ارتد فيكون قوله ﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾ أي رؤساء الكفار وزعماءه والمعنى فقاتلوا الكفار وخص الائمة بالذكر لانهم هم الذين يحرضون

انفراده كاف في الحض على مقاتلتهم ومعنى نكثوا أيمانهم نقض العهد قال السدي وجماعة نزلت في كفار مكة نكثوا أيمانهم بعد عهد الحديبية وأعانوا بني بكر على خزاعة انتهى ﴿وهموا﴾ هو همّ قريش ﴿باخراج الرسول﴾ عليه السلام من مكة حين تشاوروا بدار الندوة فاذن الله تعالى لنبيه عليه السلام في الهجرة فخرج بنفسه وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم أولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادئون والبادئ أظلم ﴿أتخشونهم﴾ تقرير للخشية منهم وتوبيخ عليها ﴿فالله أحق أن تخشوه﴾ فتقاتلوا أعداءه ولفظ الجلالة مبتدأ وخبره أحق وان تخشوه بدل من الله أي وخشية الله أحق من خشيتهم فان تخشوه في موضع رفع ويجوز أن يكون في موضع نصب أو جر على الخلاف اذا حذف حرف الجر وتقديره بان

الله عليه وسلم والدفع في صدر شريعته هو امام كل من يكفر بذلك الشرع الى يوم القيامة ثم يأتي في كل جيل من الكفار أئمة خاصة بجيل جيل انتهى * وقيل المراد بالعهد الاسلام فعناه كفروا بعد اسلامهم ولذلك قرأ بعضهم وان نكثوا إيمانهم بالكسر وهو قول الزمخشري قال فقاتلوا أئمة الكفر فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بأنهم اذا نكثوا في حالة الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الاوفياء من العرب ثم آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهد وقعدوا يطعنون في دين الله تعالى ويقولون ليس دين محمد بشئ فهم أئمة الكفر وذو الرئاسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم والمشهور من مذهب مالك ان الذمي اذا طعن في الدين ففعل شيأ مثل تكذيب الشريعة والسب للنبي صلى الله عليه وسلم ونحوه قتل * وقيل ان أعلن بشئ مما هو معهود من معتقده وكفره أدب على الاعلان وترك وان كفر بما هو ليس من معتقده كالسب ونحوه قتل * وقال أبو حنيفة يستتاب واختلف اذا سب الذمي ثم أسلم تقية القتل فالمشهور من مذهب مالك انه يترك لان الاسلام يجب ما قبله وفي العتبية انه يقتل ولا يكون أحسن حالا من المسلم * وقرأ الحرميان وأبو عمرو بابدال الهمزة الثانية ياء * وروى عن نافع مد الهمزة * وقرأ باقي السبعة وابن أبي أويس عن نافع بهمزتين وأدخل هشام بينهما ألفا وأصله أأممة على وزن أفعلة جمع امام أدغموا الميم في الميم فنقلت حركتها الى الهمزة قبلها * وقال الزمخشري (فان قلت) كيف لفظ أئمة (قلت) همزة بعدها همزة بين بين أي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمز هي قراءة مشهورة وان لم تكن مقبولة عند البصريين وأما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز أن تكون ومن صرح بها فهو لاحن محرف انتهى وذلك دأبه في تلحين المقرئين وكيف يكون ذلك لحنا وقد قرأ به رأس البصريين النحاة أبو عمرو بن العلاء وقارئ مكة ابن كثير وقارئ مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم نافع ونفي ايمانهم لما لم يثبتوا عليها ولا وفوا بها جعلوا لا ايمان لهم أو يكون على حذف الوصف أي لا ايمان لهم يوفون بها * وقرأ الجمهور بفتح الهمزة * وقرأ الحسن وعطاء وزيد بن علي وابن عامر لا ايمان لهم أي لا اسلام ولا تصديق * قال أبو علي وهذا غير قوي لانه تكرار وذلك انه وصف أئمة الكفر بأنهم لا ايمان لهم فالوجه في كسر الألف انه مصدر آمنه ايمانا ومنه قوله تعالى وآمنهم من خوف فالمعنى انهم لا يؤمنون أهل الذمة اذ المشركون لم يكن لهم الا الاسلام أو السيف * قال أبو حاتم فسر الحسن قراءته لا اسلام لهم انتهى وكذا تبعه الزمخشري * فقال وقرئ لا ايمان لهم أي لا اسلام لهم ولا يعطون الامان بعد الردة والنكث ولا سبيل اليه وبقراءة الفتح استشهد أبو حنيفة على أن يمين الكافر لا يكون يمينا وعند الشافعي يمينهم يمين وقال معناه انهم لا يوفون بها بدليل انه تعالى وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا أئمة الكفر أي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم من العظائم ما وجد انتهاءهم عما هم فيه وهذا من كرمه سبحانه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة ﴿ ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين ﴾

تخشوه أي أحق من غيره بأن تخشوه وجوز أبو البقاء أن يكون أن تخشوه مبتدأ وأحق خبره قدم عليه وأجاز ابن عطية أن يكون أحق مبتدأ وخبره أن تخشوه والجملة خبر عن الأول وحسن الابتداء بالنكرة لانها أفعل التفضيل

﴿قاتلوهم﴾ لما تقدم الحض على القتال في قوله ألا تقاتلون أمر هنا فقال قاتلوهم ﴿يعذبهم الله﴾ أي بالقتل والنهب وسبي الذرية ونص على قوله ﴿بأيديكم﴾ على انهم هم الذين يعذبونهم ﴿ويخزهم﴾ يهينهم ويذلهم ﴿وينصركم عليهم﴾ يعنكم على قتلهم وجاء التركيب ﴿صدور قوم مؤمنين﴾ ليشمل المخاطبين وكل مؤمن واذهاب الغيظ بما نال الكفار من المكروه وهذه الجملة كالتأكيد للتي قبلها والضمير المجرور في قلوبهم عائد على قوم وقرأت فرقة ويذهب فعلا لازما غيظ فاعل به وقرأ زيد بن علي كذلك الا انه رفع الباء وقرئ ويتوب الله رفعا وهو استئناف اخبار بان بعض أهل مكة وغيرهم يتوب عن كفره وكان ذلك فقد أسلم عالم كثيرون وحسن اسلامهم وقرأ زيد بن علي ويعقوب وجماعة ويتوب بنصب الباء جعله داخلا في جواب الامر من طريق المعنى قيل ويمكن أن تكون التوبة داخلة في الجزاء قال ابن عطية ويتوجه ذلك عندي اذا ذهب الى أن التوبة يراد بها هنا ان قتل الكافرين والجهاد في سبيل الله هو توبة لكم أيها المؤمنون وكمال لايمانكم فتدخل التوبة على هذا في شرط القتال انتهى وهذا الذي قدره من كون التوبة تدخل تحت جواب الامر هو بالنسبة الى المؤمنين الذين أمروا بقتال الكفار والذي يظهر أن ذلك بالنسبة الى الكفار فالمعنى على من يشاء من الكفار وذلك ان قتال الكفار وغلبة المسلمين اياهم قد ينشأ عنها اسلام كثير من الناس وان لم يكن لهم رغبة في الاسلام ولا داعية قبل القتال ألا ترى الى قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة كيف كان سببا لاسلامهم لان الداخل في الاسلام قد يدخل فيه على بصيرة وقد يدخل على كره واضطرار

ألا حرف عرض ومعناه هنا الحض على قتالهم وزعموا انها مركبة من همزة الاستفهام ولا النافية فصار فيها معنى التحضيض * وقال الزمخشري دخلت الهمزة على تقرير على انتفاء المقاتلة ومعناها الحض عليها على سبيل المبالغة ولما أمر تعالى بقتال أهل الكفر أتبع ذلك بالسبب الذي يبعث على مقاتلتهم وهو ثلاثة أشياء جمعوها وكل واحد منها على انفراده كاف في الحض على مقاتلتهم ومعنى نكثوا أيمانهم نقض العهد قال السدي وابن اسحق والكلبي نزلت في كفار مكة نكثوا أيمانهم بعد عهد الحديبية وأعانوا بني بكر على خزاعة انتهى وهمهم هو همّ قريش باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا بدار الندوة فأذن الله في الهجرة فخرج بنفسه أو بنو بكر باخراجه من المدينة لما أقدموا عليه من المشاورة والاجتماع أو اليهود هموا بغدر الرسول صلى الله عليه وسلم ونقضوا عهده وأعانوا المنافقين على اخراجه من المدينة ثلاثة أقوال أولها للسدي * وقال الحسن من المدينة * قال ابن عطية وهذا مستقيم لغزوة أحد والأحزاب وغيرهما وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم أولا بالكتاب المبين وتحدّاهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادؤن والبادي أظلم فما يمنعكم من أن تقاتلوهم بمثله تصدمونهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها وتقرر أن من كان في مثل صفاتهم من نكث العهود واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بان لا تترك مصادمته وأن يوبخ من فرط فيها قاله الزمخشري وهو تكثير * وقال ابن عطية أول مرة * قيل يريد أفعالهم بمكة بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين وقال مجاهد ما بدأت به قريش من معونة بني بكر حلفائهم على خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم فكان هذا بدء النقض * وقال الطبري يعني فعلهم يوم بدر انتهى * وقرأ زيد بن علي بدوكم بغير همز ووجهه انه سهل الهمزة من بدأت بابدالها ياء كما قالوا في قرأت قريت فصار كرميت فلما أسند الفعل الى واو الضمير سقطت فصار بدوكم كما تقول رموكم أتخشونهم تقرير للخشية منهم وتوبيخ عليها فالله أحق أن تخشوه فتقتلوا أعداءه ولفظ الجلالة مبتدأ وخبره أحق وأن تخشوه بدل من الله أي وخشية الله أحق من خشيتهم وأن تخشوه في موضع رفع ويجوز أن تكون في موضع نصب أو جر على الخلاف اذا حذف حرف الجر وتقديره بأن تخشوه أي أحق من غيره بأن تخشوه وجوز أبو البقاء ان يكون ان تخشوه مبتدأ وأحق خبره قدم عليه وأجاز ابن عطية أن يكون أحق مبتدأ وخبره ان تخشوه والجملة خبر عن الأول وحسن الابتداء بالنكرة لانها أفعل التفضيل وقد أجاز سيبويه أن تكون المعرفة خبرا للنكرة في نحو اقصد رجلا خير منه أبوه ان كنتم مؤمنين أي كاملي الايمان لانهم كانوا مؤمنين * وقال الزمخشري يعني ان قضية الايمان الصحيح أن لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله تعالى ولا يخشون أحدا الا الله ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم﴾ قررت الآيات قبل هذا أفعال

الكفرة المقتضية لقتالهم والحض على القتال وحزم الامر بالقتال فى هذه وتعذيبهم بأيدى المؤمنين هو فى الدنيا بالقتل والاسر والنهب وهذه وعود ثبتت قلوبهم وصححت نياتهم وخزيهم هواهانتهم ودلهم وينصركم يظفركم بهم وشفاء الصدور باعلاء دين الله وتعذيب الكفار وخزيهم * وقرأ زيد بن على ونشف بالنون على الالتفات وجاء التركيب صدور قوم مؤمنين ليشمل المخاطبين وكل مؤمن لان مايصيب أهل الكفر من العذاب والخزى هو شفاء لصدر كل مؤمن * وقيل المراد قوم معينون * قال ابن عباس هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال أبشروا فان الفرج قريب * وقال مجاهد والسدى هم خزاعة ووجه تخصيصهم انهم هم الذين نقض فيهم العهد ونالتهم الحرب وكان يومئذ فى خزاعة مؤمنون كثير ألا ترى الى قول الخزاعى المستنصر بالنبى صلى الله عليه وسلم

ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا * وفى آخر الرجز * وقتلونا ركعا وسجدا

واذهاب الغيظ بما نال الكفار من المكروه وهذه الجملة كالتأكيد للتى قبلها لان شفاء الصدر من آلة الغيظ هو اذهاب الغيظ * وقرأت فرقة ويذهب فعلا لازما غيظ فاعل به * وقرأ زيد بن على كذلك الا انه رفع الباء وهذه المواعيد كلها وجدت فكان ذلك دليلا على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته وبدىء أولا فيها بما تسبب عن النصر وهو تعذيب الله الكفار وبأيدى المؤمنين واخزاؤهم اذا كانت البداءة بما ينال الكفار من الشر هى التى يسر بها المؤمنون ثم ذكر السبب وهو نصر الله المؤمنين على الكافرين ثم ذكر ماتسبب أيضا عن النصر من شفاء صدور المؤمنين واذهاب غيظهم تتميما للنعم فذكر ماتسبب عن النصر بالنسبة للكفار وذكر ماتسبب للمسلمين من الفرح والسرور بادراك الثار ولم يذكر مانالوه من المغانم والمطاعم اذ العرب قوم جبلوا على الحمية والانفة فرغبتهم فى ادراك الثار وقتل الاعداء هى اللائقة بطباعهم

ان الاسود أسود الغاب همتها * يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

* وقرأ الجمهور ويتوب الله رفعا وهو استئناف اخبار بأن بعض أهل مكة وغيرهم يتوب عن كفره وكان ذلك عالم كثيرون وحسن اسلامهم * قال الفراء والزجاج وأبو الفتح وهذا أمر موجود سواء قوتلوا أو لم يقاتلوا فلا وجه لادخال اليوم فى جواب الشرط الذى فى قاتلوهم انتهى * وقرأ زيد بن على والاعرج وابن أبى اسحق وعيسى الثقفى وعمرو بن عبيد وعمر بن فائد وأبو عمرو ويعقوب فيما روى عنهما ويتوب الله بنصب الباء جعله داخلا فى جواب الامر من طريق المعنى قيل ويمكن أن تكون التوبة داخلة فى الجزاء * قال ابن عطية ويتوجه ذلك عندى اذا ذهب الى ان التوبة يراد بها ان قتل الكافرين والجهاد فى سبيل الله هو توبة لكم أيها المؤمنون وكمال لايمانكم فتدخل التوبة على هذا فى شرط القتال * وقال غيره لما أمرهم بالمقاتلة شق ذلك على بعضهم فاذا أقدموا على المقاتلة صار ذلك العمل جاريا مجرى التوبة من تلك الكراهة * وقيل حصول الكفر وكثرة الأموال لذة تطلب بطريق حرام فلما حصلت لهم طريق حلال كان ذلك داعيا لهم الى التوبة مما تقدم فصارت التوبة متعلقة بتلك المقاتلة انتهى وهذا الذى قرروه من كون التوبة تدخل تحت جواب الامر هو بالنسبة للمؤمنين الذين أمروا بقتال الكفار والذى يظهر أن ذلك بالنسبة الى الكفار فالمعنى على من يشاء من الكفار وذلك ان قتال الكفار وغلبة المسلمين اياهم قد ينشأ عنها اسلام كثير من الناس وان لم يكن لهم رغبة فى الاسلام ولا داعية قبل القتال ألا ترى الى قتال

رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة كيف كان سببا لاسلامهم لان الداخل في الاسلام قد يدخل فيه على بصيرة وقد يدخل على كره واضطرار ثم قد تحسن حاله في الاسلام ألا ترى الى عبد الله بن أبي سرح كيف كان حاله أولا في الاسلام ثم صار أمره الى أحسن حال ومات أحسن ميتة في السجود في صلاته وكان من خيار الصحابة والله عليم يعلم ما سيكون مثل ما يعلم ما قد كان وفي ذلك تقرير لما رتب من تلك المواعيد وانها كائنة لا محالة حكيم في تصريف عباده من حال الى حال على ما تقتضيه حكمته تعالى ﴿أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الذين جاهدوا منكم﴾ تقدم تفسير نظير هذه الجملة والمعنى انكم لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين الخلص منكم وهم المجاهدون في سبيل الله الذين لم يتخذوا بطانة من دون الله من غيرهم ﴿ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة﴾ ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا غير متخذين وليجة والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل وهي البطانة والمدخل يدخل فيه على سبيل الاستسرار شبه النفاق به * وقال قتادة الوليجة الخيانة * وقال الضحاك الخديعة * وقال عطاء الأوداء * وقال الحسن الكفر والنفاق * وقال أبو عبيدة كل شئ أدخلته في شئ وليس منه فهو وليجة والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة يكون للواحد والاثنين والجمع بلفظ واحد ووليجة الرجل من يختص بدخيلة أمره من الناس وجمعها ولائج وولج كصحيفة وصحائف وصحف * وقال عبادة بن صفوان الغنوي

ولائجهم في كل مبدى ومحضر * الى كل من يرجى ومن يتخوف

وفي هذه الآية طعن على المنافقين الذين اتخذوا الولائج لاسيما عند فرض القتال والمعنى لا بد من اختباركم أيها المؤمنون كقوله أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولما كان الرجل قد يجاهد وهو منافق نفى هذا الوصف عنه فبين أنه لا بد للجهاد من الاخلاص خاليا عن النفاق والرياء والتودد الى الكفار ﴿والله خبير بما تعملون﴾ قرأ الجمهور بالتاء على الخطاب مناسبة لقوله أم حسبتم وقرأ الحسن ويعقوب في رواية رويس وسلام بالياء على الغيبة التفاتا ﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾ قرأ ابن السميقع أن يعمروا بضم الياء وكسر الميم أن يعينوا على عمارته * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والجحدري مسجد بالافراد وباقي السبعة ومجاهد وقتادة وأبو جعفر والاعرج وشيبة بالجمع * ومناسبة هذه الآية لما قبلها انه تعالى لما ذكر البراءة من المشركين وأنواعا من قبائحهم توجب البراءة منهم ذكروا انهم موصوفون بصفات حميدة توجب انتفاء البراءة منها كونهم عامري المسجد الحرام روي انه أقبل المهاجرون والأنصار على أسارى بدر يعيرونهم بالشرك وطفق علي يوبخ العباس فقال الرسول وقطيعة الرحم وأغلظ له في القول فقال العباس تظهرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقال أولكم محاسن قالوا نعم ونحن أفضل منكم أجرا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فأنزل الله هذه الآية ردا عليهم ومعنى ما كان للمشركين أي بالحق الواجب والا فقد عمروه قديما وحديثا على سبيل التغلب * وقال الزمخشري أي ما صح وما استقام انتهى وعمارته وحوله والقعود فيه والمكث من قولهم فلان يعمر المسجد أي يكثر غشيانه أو رفع بنائه واصلاح ما تهدم منه أو التعبد فيه والطواف به والصلاة ثلاثة أقوال ومن قرأ بالافراد فيحتمل أن يراد به المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام أو الجنس فيدخل تحته المسجد الحرام اذ هو صدر ذلك الجنس

ثم قد يحسن حاله في الاسلام ﴿أم حسبتم أن تتركوا﴾ تقدم تفسير نظير هذه الجملة والمعنى انكم لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين الخلص منكم وهم المجاهدون في سبيل الله والذين لم يتخذوا بطانة من دون الله من غيرهم ﴿ولم يتخذوا﴾ معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة ويجوز أن تكون الجملة حالا من ضمير جاهدوا أي جاهدوا غير متخذين وليجة والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل وهي البطانة والمدخل يدخل فيه على سبيل الاستسرار شبه النفاق به ﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله﴾ الآية روي انه لما أقبل المهاجرون والانصار على أسارى بدر يعيرونهم بالشرك وطفق علي يوبخ العباس فقال العباس تظهرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقال أولكم محاسن قال نعم ونحن أفضل منكم أجرا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فأنزل الله هذه الآية ردا عليهم وانتصب شاهدين على الحال والعامل فيه يعمروا وصاحب الحال هو الضمير وشهادتهم على أنفسهم بالكفر هو قولهم في الطواف لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك أو قولهم اذا سئلوا عن دينهم قالوا نعبد اللات والعزى

مقدّمته ومن قرأ بالجمع فيحتمل أن يراد به المسجد الحرام وأطلق عليه الجمع اما باعتبار ان كل مكان منه مسجد واما لانه قبلة المساجد كلها واما مها فكان عامره عامر المساجد ويحتمل أن يراد الجمع فيدخل تحته المسجد الحرام وهو آكد لأن طريقه طريقة الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفى لقراءة القرآن من تصريحك بذلك وانتصب شاهدين على الحال والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة متعبدات الله تعالى مع الكفر به وبعبادته * وقرأ زيد بن على شاهدون على اضمارهم شاهدون وشهادتهم على أنفسهم بالكفر قولهم فى الطواف لبيك لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك أو قولهم اذا سئلوا عن دينهم نعبد اللات والعزى أو تكذيبهم الرسول أو قول المشرك أنا مشرك كما يقول اليهودى هو يهودى والنصرانى هو نصرانى والمجوسى هو مجوسى والصابئ هو صابئ أو ظهور أفعال الكفرة من نصب أصنامهم وطوافهم بالبيت عراة وغير ذلك أقوال خمسة هذا اذا حمل على أنفسهم على ظاهره * وقيل معناه شاهدين على رسولهم وأطلق عليه أنفسهم لانه ما من بطن من بطون العرب الاوله فيهم ولادة ويؤيد هذا القول قراءة من قرأ على أنفسهم بفتح الفاء أى أشرفهم وأجلهم قدرا ﴿أولئك حبطت أعمالهم﴾ التى هى العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة وغيرها مما ذكر انه من الاعمال الجيدة * قال الزمخشرى واذا هدم الكفر أو الكبيرة الأعمال الثابتة الصحيحة اذا تعقبها فما ظنك بالمقارن والى ذلك أشار تعالى بقوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على انهم قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على أنفسهم فى حال واحدة وذلك محال غير مستقيم انتهى وقوله أو الكبيرة دسيسة اعتزال لان الكبيرة عندهم من المعاصى تحبط الأعمال ﴿وفى النار هم خالدون﴾ ذكر مآل المشركين وهو النار خالدين فيها * وقرأ زيد بن على بالياء نصبا على الحال وفى النار هو الخبر كما تقول فى الدار زيد قاعدا * وقال الواحدى دلت الآية على ان الكفار ممنوعون من عمارة مسجد المسلمين ولو أوصى لم تقبل وصيته ويمنع من دخول المساجد فان دخل بغير اذن مسلم استحق التعزير وان دخل باذن لم يعزر والأولى تعظيم المساجد ومنعها منهم وقد أنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد ثقيف وهم كفار المسجد وربط ثمامة بن أثال الحنفى فى سارية من سوارى المسجد وهو كافر ﴿انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ قرأ الجحدرى وحماد بن أبى سلمة عن ابن كثير مسجد الله بالتوحيد * وقرأ السبعة وجماعة بالجمع والمعنى انما يعمرها بالحق والواجب ويستقيم ذلك فيمن اتصف بهذه الأوصاف وفى ضمن هذا الخبر أمر المؤمنين بعمارة المساجد ويتناول عمارتها رمّ ما تهدم منها وتنظيفها وتنويرها وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو أجله وصونها عما لم تبن له من الخوض فى أحوال الدنيا وفى الحديث اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان ولم يذكر الايمان بالرسول لان الايمان باليوم الآخر انما هو متلقف من أخبار الرسول فتضمن الايمان بالرسول أولم يذكر لما علم وشهر من أن الايمان بالله تعالى قرينته الايمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة والأذان والاقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كأنهما شئ واحد لا ينفك أحدهما عن صاحبه فانطوى تحت ذكر الايمان بالله تعالى الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم * وقيل دل عليه بذكر اقامة الصلاة وايتاء الزكاة اذ لا يتلقى ذلك الامنه والمقصود من بناء المساجد وعمارتها هو كونها مجمعا لاقامة الصلوات فيها والتعبدات من الذكر والاعتكاف وغيرهما وناسب ذكر ايتاء

﴿من آمن﴾ أعاد الضمير على لفظ من فى قوله آمن وما عطف عليه ثم راعى المعنى فى قوله فعسى أولئك وعسى من الله تعالى واجبة حيثما وقعت فى القرآن وفى ذلك قطع اطماع المشركين أن يكونوا مهتدين اذ من جمع هذه الخصال الاربعة جعل حاله حال من ترجى له هذه الهداية فكيف بمن هو عار منها وقال تعالى ان يكونوا من المهتدين أى من الذين سبقت لهم الهداية ولم يأت التركيب أن يكونوا مهتدين بل جعلوا بعضا من المهتدين وكونهم منهم أقل فى التعظيم من أن يجردلهم الحكم بالهداية

الزكاة مع عمارة المساجد انهما لما كانت مجمعا للناس بان فيها أمر الغني والفقير وعرفت أحوال من
يؤدي الزكاة ومن يستحقها ولم يخش الا الله قال ابن عطية يريد خشية التعظيم والعبادة والطاعة
ولا محالة أن الانسان يخشي غيره ويخشي المحاذير الدنيوية وينبغي أن يخشى في ذلك كله قضاء الله
وتصريفه * وقال الزمخشري هي الخشية والتقوى في أبواب الدنيا وأن لا يختار على رضا الله
رضا غيره واذا اعترضه أمران أحدهما حق الله تعالى والآخر حق نفسه خاف الله وآثر حق الله على
حق نفسه * وقيل كانوا يخشون الأصنام ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم انتهى وعسى من الله
تعالى واجب حيثما وقعت في القرآن وفي ذلك قطع أطماع المشركين أن يكونوا مهتدين اذ من جمع
هذه الخصال الأربعة جعل حاله حال من ترجى له الهداية فكيف بمن هو عار منها وفي ذلك ترجيح
الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالاعمال الصالحة فربما دخلها بعض المفسدات وصاحبها لا يشعر
بها وقال تعالى أن يكونوا من المهتدين أي من الذين سبقت لهم الهداية ولم يأت التركيب أن يكونوا
مهتدين بل جعلوا بعضا من المهتدين وكونهم منهم أقل في التعظيم من أن يجرد لهم الحكم بالهداية
﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله
لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ في صحيح مسلم من حديث النعمان بن بشير قال
كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أسقي الحاج
* وقال الآخر ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أعمر المسجد الحرام * وقال آخر الجهاد في سبيل
الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يوم الجمعة ولكني اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه
فنزلت هذه الآية وذكر ابن عطية وقوله أقوالا أخر في سبب النزول كلها تدل على الافتخار
بالسقاية والعمارة * وقرأ الجمهور سقاية وعمارة وهما مصدران نحو الصيانة والوقاية وقوبلا
بالذوات فاحتيج الى حذف من الأول أي أهل سقاية أو حذف من الثاني أي كعمل من آمن * وقرأ
ابن الزبير والباقر وأبو حيوة سقاة الحاج وعمرة المسجد جمع ساق وجمع عامر كرام ورماة
وصانع وصنعة * وقرأ ابن جبير كذلك الا أنه نصب المسجد على ارادة التنوين في عمرة * وقرأ
الضحاك سقاية بضم السين وعمرة بني الجمع على فعال كرخل ورخال وظئر وظؤار وكان
المناسب أن يكون بغير هاء لكنه أدخل الهاء كما دخلت في حجارة وكانت السقاية في بني هاشم
وكان العباس يتولاها ولما نزلت هذه الآية قال العباس ما أراني الا أترك السقاية فقال النبي صلى الله
عليه وسلم أقيموا عليها فهي لكم خير وعمارة المسجد هي السدانة وكانت في بني عبد الدار وشيبة
وعثمان بن طلحة هما اللذان دفع اليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة في ثامن يوم الفتح
بعد ان طلبه العباس وعلي وقال صلى الله عليه وسلم لعثمان وشيبة خذوها خالدة تالدة لا ينازعكما عليها
الا ظالم يعني السدانة ومعنى الآية انكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم
المثبتة ولما نفى المساواة بينهما أوضح بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين من الراجح منهما وأن
الكافرين بالله هم الظالمون ظلموا أنفسهم بترك الايمان بالله وبما جاء به الرسول وظلموا المسجد
الحرام اذ جعله الله متعبدا له فجعلوه متعبدا لأوثانهم وذكر في المؤمنين اثبات الهداية لهم بقوله
فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وفي المشركين هنا نفي الهداية بقوله والله لا يهدي القوم

﴿أجعلتم سقاية الحاج﴾ الآية في صحيح مسلم من حديث النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أسقي الحاج وقال آخر ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكني اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه فنزلت هذه الآية وسقايه هو على حذف مضاف تقديره ذوي سقاية الحاج فيعادل قوله كمن آمن ولما نفي المساواة بينهما أوضح بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين من الراجح منهما وان الكافرين بالله هم الظالمون ظلموا أنفسهم بترك الايمان بالله تعالى وبما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم وظلموا المسجد الحرام اذ جعله الله تعالى متعبدا له فجعلوه متعبدا لأوثانهم

(الدر)

(ح) قرأ الضحاك سقاية الحاج بضم السين بني الجمع على فعال بضم الفاء كرخل ورخال وظئر وظؤار وكان المناسب أن يكون بغيرها ولكنه ادخل الهاء كما دخلت في حجارة

الظالمين ﴿ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ﴾ زادت هذه الآية وضوحا فى الترجيح للمؤمنين المتصفين بهذه الأوصاف على المشركين المفتخرين بالسقاية والعمارة فطهروا أنفسهم من دنس الشرك بالايمان وطهروا أبدانهم بالهجرة الى موطن الرسول وترك ديارهم التى نشؤا عليها ثم بالغوا بالجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس المعرضين بالجهاد للتلف فهذه الخصال أعظم درجات البشرية وأعظم هنا يسوغ أن تبقى على بابها من التفضيل ويكون ذلك على تقدير اعتقاد المشركين بأن فى سقايتهم وعمارتهم فضيلة فخوطبوا على اعتقادهم أو يكون التقدير أعظم درجة من الذين آمنوا ولم يهاجروا ولم يجاهدوا * وقيل أعظم ليست على بابها بل هى كقوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وقول حسان * فشركما لخيركما الفداء * وكأنه قيل عظيمون درجة وعند الله بالمكانة لا بالمكان كقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته * قال أبو عبد الله الرازى الأرواح المقدسة البشريه اذا تطهرت عن دنس الأوصاف البدنية والقاذورات الجسدانية أشرقت بأنوار الجلال وعلا فيها أضواء عالم الجمال وترقت من العبدية الى العندية بل كأنه لا كمال فى العبدية الا بمشاهدة الحقيقة العندية ولذلك قال تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا انتهى وهو شبيه بكلام الصوفية ثم ذكر تعالى أن من اتصف بهذه الأوصاف هو الفائز الظافر بأمنيته الناجى من النار ﴿ يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم ﴾ قال ابن عباس هى فى المهاجرين خاصة انتهى وأسند التبشير الى قوله ربهم لما فى ذلك من الاحسان اليهم بأن مالك أمرهم والناظر فى مصالحهم هو الذى يبشرهم فذلك على تحقيق عبوديتهم لربهم ولما كانت الأوصاف التى تحلوا بها وصاروا بها عبيده حقيقة هى ثلاثة الايمان والهجرة والجهاد بالمال والنفس قوبلوا فى التبشير بثلاثة الرحمة والرضوان والجنات فبدأ بالرحمة لانها الوصف الاعم الناشئ عنها تيسير الايمان لهم وثنى بالرضوان لانه الغاية من احسان الرب لعبده وهو مقابل الجهاد اذ هو بذل النفس والمال وقدم على الجنات لان رضا الله عن العبد أفضل من اسكانهم الجنة وفى الحديث الصحيح ان الله تعالى يقول يا أهل الجنة هل رضيتم فيقولون يا ربنا كيف لا نرضى وقد باعدتنا عن نارك وأدخلتنا جنتك فيقول لكم عندى أفضل من ذلك فيقولون وما أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضائى فلا أسخط عليكم بعدها وأتى ثالثا بقوله وجنات لهم فيها نعيم مقيم أى دائم لا ينقطع وهذا مقابل لقوله وهاجروا لأنهم تركوا أوطانهم التى نشؤا فيها وكانوا فيها منعمين فآثروا الهجرة على دار الكفر الى مستقر الايمان والرسالة فقوبلوا على ذلك بالجنات ذوات النعيم الدائم فجاء الترتيب فى أوصافهم على حسب الواقع الايمان ثم الهجرة ثم الجهاد وجاء الترتيب فى المقابل على حسب الأعم ثم الاشرف ثم التكميل * قال التبريزى ونكر الرحمة والرضوان للتفخيم والتعظيم برحمة أى رحمة لا يبلغها وصف واصف * وقرأ الاعمش وطلحة بن مصرف وحميد بن هلال يبشرهم بفتح الياء وضم الشين خفيفة * وقرأ عاصم فى رواية أبى بكر ورضوان بضم الراء وتقدم ذكر ذلك فى أوائل آل عمران * وقرأ الاعمش بضم الراء والضاد معا * قال أبو حاتم لا يجوز هذا انتهى وينبغى أن يجوز فقد قالت العرب سلطان بضم اللام وأورده التصريفيون فى أبنية الاسماء ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ﴾ كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم ايمانه الا بأن يهاجر ويصادم أقاربه

﴿ الذين آمنوا وهاجروا ﴾ الآية زادت هذه الآية وضوحا فى الترجيح للمؤمنين المتصفين بهذه الاوصاف على المشركين المفتخرين بالسقاية والعمارة فطهروا أنفسهم من دنس الشرك بالايمان وطهروا أبدانهم بالهجرة الى موطن رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك ديارهم التى نشأوا فيها ثم بالغوا فى الجهاد فى سبيل الله تعالى بالمال والنفس المعرضين بالجهاد للتلف فهذه الخصال أعظم درجات البشرية ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا ﴾ الآية نهى عن اتخاذ الآباء والاخوان أولياء اذ كانوا قد آثروا الكفر على الايمان وحكم بأن من تولاهم كان منهم وانه ظالم

﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم﴾ هذه الآية تقتضي الحض على الهجرة وذكر الأبناء لأنهم أعلق بالنفس وقدم الآباء لأنهم هم الذين يجب برهم وإكرامهم وحبهم وثنى بالأبناء لأنهم أعلق بالقلوب ولما ذكر الأصل والفرع ذكر الحاشية وهي الاخوان ثم ذكر الأزواج وهن في المحبة والايثار كالأبناء ثم الأبعد بعد الأقرب في القرابة فقال ﴿وعشيرتكم﴾ ثم ذكر ﴿وأموال اقترفتموها﴾ أي اكتسبتموها لان الاموال يعادل حبها حب القرابة بل حبها أشد وكانت الاموال في ذلك الوقت عزيزة وأكثر الناس كانوا فقراء ثم ذكر ﴿وتجارة تخشون كسادها﴾ والتجارة لا تتهيأ الا بالأموال وجعل تعالى التجارة سببا لزيادة الاموال ونمائها ثم ذكر ﴿ومساكن ترضونها﴾ وهي القصور والدور ومعنى ترضونها تختارون الاقامة بها وانتصب أحب على انه خبر كان واسمها آباؤكم فما بعده وقرأ الحجاج بن يوسف أحب بالرفع فخطاه يحيى بن يعمر من حيث الرواية لانه لم يرو الا النصب وان كان الرفع جائزا من جهة العربية لانه كان يكون في كان ضمير الامر والشان وهو اسمها وآباؤكم وما عطف عليه مبتدأ وأحب خبر والجملة في موضع نصب على أنها خبر كان ﴿أحب اليكم من الله﴾ أي من الايمان بالله واتباع رسوله عليه السلام ﴿وجهاد في سبيله فتربصوا﴾ أي انتظروا وهو أمر يتضمن التهديد ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ قال ابن عباس هو فتح مكة

الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من يخالفنا في الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وهلكت أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك فعلى هذا الخطاب للمؤمنين الذين كانوا بمكة وغيرها من بلاد العرب خوطبوا ان لا يوالوا الآباء والاخوة فيكونوا لهم تبعا في سكنى بلاد الكفر * وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم وذكر الآباء والاخوان لأنهم أهل الرأي والمشورة ولم يذكر الأبناء لأنهم في الغالب تبع لآبائهم * وقرأ عيسى بن عمران استحبوا بفتح الهمزة جعله تعليلا وغيره بكسر الهمزة جعله شرطا ومعنى استحبوا آثروا وفضلوا استفعل من المحبة أي طلبوا محبة الكفر * وقيل بمعنى أحب وضمن معنى اختار وآثر ولذلك عدي بعلى ولما نهاهم عن اتخاذهم أولياء أخبر أن من تولاهم فهو ظالم * فقال ابن عباس هو مشرك مثلهم لان من رضي بالشرك فهو مشرك * قال مجاهد وهذا كله كان قبل فتح مكة * وقال ابن عطية وهذا ظلم المعصية لا ظلم الكفر ﴿قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ هذه الآية تقتضي الحض على الهجرة وذكر الأبناء لأنه ذكر المحبة وهم أعلق بالنفس بخلاف الآية قبلها فلم يذكروا لأن المقصود منها الرأي والمشورة وقدم الآباء لأنهم الذين يجب برهم وإكرامهم وحبهم وثنى بالأبناء لكونهم أعلق بالقلوب ولما ذكر الاصل والفرع ذكر الحاشية وهي الاخوان ثم ذكر الازواج وهن في المحبة والايثار كالأبناء ثم الأبعد بعد الأقرب في القرابة فقال وعشيرتكم * وقرأ الجمهور بغير ألف * وقرأ أبو بكر عن عاصم وأبو رجاء وأبو عبد الرحمن بألف على الجمع وزعم الأخفش ان العرب تجمع عشيرة على عشائر ولا تكاد تقول عشيرات بالجمع بالألف والتاء ثم ذكر وأموال اقترفتموها أي اكتسبتموها لأن الاموال يعادل حبها حب القرابة بل حبها أشد كانت الاموال في ذلك الوقت عزيزة وأكثر الناس كانوا فقراء ثم ذكر وتجارة تخشون كسادها والتجارة لا تتهيأ الا بالاموال وجعل تعالى التجارة سببا لزيادة الأموال ونمائها وتفسير ابن المبارك بأن ذلك اشارة الى البنات اللواتي لا يتزوجن لقلة خطابهن تفسير غريب ينبو عنه اللفظ * وقال الشاعر

كسدن من الفقر في قومهن * وقد زادهن مقامي كسودا

ثم ذكر ومساكن ترضونها وهي القصور والدور ومعنى ترضونها تختارون الاقامة بها وهذه الدواعي الأربعة سبب لمخالطة الكفار حب الاقارب والاموال والتجارة والمساكن فذكر تعالى ان مراعاة الدين خير من مراعاة هذه الأمور وفي الكلام حذف أي أحب اليكم من امتثال أمر الله تعالى ورسوله في الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام والقراء على نصب أحب لأنه خبر كان وكان الحجاج بن يوسف يقرأ أحب بالرفع ولحنه يحيى بن يعمر وتلحينه إياه ليس من جهة العربية وانما هو لمخالفته اجماع القراء النقلة والا فهو جائز في علم العربية على أن يضمر في كان ضمير الشأن ويلزم ما

﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾ المواطن مقامات الحرب ومواقفها وهذه المواطن وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة ووصفت بالكثرة قال أئمة التاريخ كانت ثمانين موطنا ﴿ويوم حنين﴾ حنين هو واد بين مكة والطائف قريب من ذي المجاز وصرف مذهو به مذهب المكان ولو ذهب به مذهب البقعة لم يصرف كما قال الشاعر * نصروا نبيهم وشدوا أزره * بحنين يوم تواكل الابطال * وإذ بدل من يوم وأضاف الاعجاب الى جميعهم وان كان صادرا من واحد منهم لما رأى الجمع الكثير أعجبه ذلك وقال لن نغلب اليوم من قلة وهذه الكثرة قال ابن عباس كانوا ستة عشر ألفا والباء في ﴿بما رحبت﴾ للحال وما مصدرية أي ضاقت بكم الارض مع كونها رحبة واسعة لشدة الحال عليهم والرحب السعة بفتح الراء والواسع يقال فلان رحب الصدر وبلد رحب وأرض رحبة وقد رحبت رحبا ورحابة ﴿ثم وليتم مدبرين﴾ أي وليتم فارين على أدباركم منهزمين تاركين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسند التولي الى جميعهم وهو واقع من أكثرهم اذ ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس من الابطال على ما يأتي ذكره فنقول لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كان في عشرة آلاف من أصحابه وانضاف اليه ألفان من الطلقاء فصاروا اثني عشر ألفا الى ما انضاف اليهم من الاعراب من سليم وبني كلاب وعبس وذبيان وسمع بذلك كفار العرب فشق عليهم فجمعت له هوازن والفافها وعليهم مالك بن عوف النضري وثقيف عليهم عبد ياليل بن عمرو وانضاف اليهم اخلاط من الناس حتى كانوا ثلاثين ألفا فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد استعمال عتاب بن أسيد على مكة حتى اجتمعوا بحنين فلما تصاف الناس حمل المشركون على مجاني الوادي وكانوا قد كمنوا بها فانهزم المسلمون قال قتادة ويقال أن الطلقاء من أهل مكة فروا وقصدوا القاء الهزيمة في المسلمين وبلغ فلهم مكة وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه على بغلة شهباء تسمى دلدل لا يتخلخل والعباس قد اكتنفه آخذا بلجامها وابن عمه أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وابنه جعفر وعلي بن أبي طالب وربيعة بن الحرث والفضل بن العباس وأسامة ابن زيد وأيمن بن عبيد وهو أيمن ابن أم أيمن وقتل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه وهؤلاء من أهل بيته وثبت معه أبو بكر وعمر فكانوا عشرة رجال رضي الله عنهم ولهذا قال العباس نصرنا رسول الله في الحرب تسعة * وقد فر من قد فر منهم واقشعوا وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه بما مسه في الله لا يتوجع * وثبتت أم سليم رضي الله عنها في جملة من ثبت ممسكة بعيرا لابي طلحة وفي يدها خنجر ونزل صلى الله عليه وسلم عن بغلته الى الأرض واستنصر الله وأخذ قبضة من تراب وحصا فرمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه قال يعلى بن عطاء فحدثني أبناؤهم عن آبائهم قال لم يبق منا أحد الا دخل عينيه ذلك التراب وقال عليه السلام للعباس وكان صيتا ناد أصحاب السمرة فنادى الأنصار فخذا فخذا ثم نادى يا أصحاب الشجرة يا أصحاب البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك وانهزم المشركون فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس وركض رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفهم على بغلته وفي صحيح مسلم من حديث البراء ان هوازن كانوا رماة فرموهم برشق من نبل كأنها رجل من جراد فانكشفوا فاقبل القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان يقود بغلته فنزل ودعا واستنصر الله تعالى وهو يقول أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب * اللهم انزل نصرك قال البراء كنا والله اذا حمي الوطيس نتقي برسول الله صلى الله عليه وسلم وان الشجاع منا الذي يتحاذى به يعني النبي صلى الله عليه وسلم وفي أول هذا الحديث أكنتم وليتم يوم حنين

بعدها بالابتداء والخبر وتكون الجملة في موضع نصب على أنها خبر كان وتضمن الأمر بالتربص التهديد والوعيد حتى يأتي الله بأمره * قال ابن عباس ومجاهد الاشارة الى فتح مكة * وقال الحسن الاشارة الى عذاب أو عقوبة من الله والفاسقين عموم يراد به الخصوص فيمن توافى على فسقه أو عموم مطلق على أنه لا هداية من حيث الفسق وفي التحرير الفسق هنا الكفر ويدل عليه ما قابله من الهداية والكفر ضلال والضلال ضد الهداية وان كان ذلك في المؤمنين الذين لم يهاجروا فيكون الفسق الخروج عن الطاعة فانهم لم يمتثلوا أمر الله ولا أمر رسوله في الهجرة ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾ لما تقدم قوله قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم واستطرد بعد ذلك بما استطرد ذكرهم تعالى نصره إياهم في مواطن كثيرة والمواطن مقامات الحرب ومواقفها * وقيل مشاهد الحرب توطنون أنفسكم فيها على لقاء العدو وهي جمع موطن بكسر الطاء قال

وكم موطن لولاي طحت كما هوى * باجرامه من قلة النيق منهوى

وهذه المواطن وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة ووصفت بالكثرة لأن أئمة التاريخ والعلماء والمغازي نقلوا أنها كانت ثمانين موطنا وحنين واد بين مكة والطائف قريب من ذي المجاز وصرف منه هو بابه مذهب المكان ولو ذهب به مذهب البقعة لم يصرف كما قال

نصروا نبيهم وشدوا أزره * بحنين يوم تواكل الابطال

وعطف الزمان على المكان * قال الزمخشري وموطن يوم حنين أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين * وقال ابن عطية ويوم عطف على موضع قوله في مواطن أو على لفظه بتقدير وفي يوم فحذف حرف الخفض انتهى واذ بدل من يوم وأضاف الاعجاب الى جميعهم وان كان صادرا من واحد لما رأى الجمع الكثير أعجبه ذلك وقال لن نغلب اليوم من قلة * والقائل قال ابن المسيب هو أبو بكر أو سلامة بن سلامة بن قريش أو ابن عباس أو رجل من بني بكر ونقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ساءه كلام هذا القائل ووكلوا الى كلام الرجل والكثرة بفتح الكاف ويجمع على كثار وتميم تكسر الكاف وتجمع على كثر كشذرة وشذر وكسرة وكسر وهذه الكثرة عن ابن عباس ستة عشر ألفا وعن النحاس أربعة عشر ألفا وعن قتادة وابن زيد وابن اسحاق والواقدي اثنا عشر ألفا وعن مقاتل عن ابن عباس احد عشر ألفا وخمسمائة والباء في بما رحبت للحال وما مصدرية أي ضاقت بكم الارض مع كونها رحبا واسعة لشدة الحال عليهم وصعوبتها كانهم لا يجدون مكانا يستصلحونه للهرب والنجاة لفرط ما لحقهم من الرعب فكانما ضاقت عليهم والرحب السعة وبفتح الراء الواسع يقال فلان رحب الصدر وبلد رحب وأرض رحبة وقد رحبت رحبا ورحابة * وقرأ زيد بن علي بما رحبت في الموضعين بسكون الحاء وهي لغة تميم يسكنون ضمة فعل فيقولون في طرف ظرف ثم وليتم مدبرين أي وليتم فارين على أدباركم منهزمين تاركين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسند التولي الى جميعهم وهو واقع من أكثرهم إذ ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس من الابطال على ما يأتي ذكره ان شاء الله فيقول لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كان في عشرة آلاف من أصحابه وانضاف اليه الفان من الطلقاء فصاروا اثني عشر ألفا الى ما انضاف اليهم من الاعراب من سليم وبني كلاب وعبس وذبيان وسمع بذلك كفار العرب فشق عليهم فجمعت له هوزان وألفافها وعليهم مالك بن عوف النصري وثقيف وعليهم عبد ياليل بن عمرو وانضاف اليهم اخلاط من الناس حتى كانوا ثلاثين ألفا فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما استعمل عتاب بن أسيد على مكة حتى اجتمعوا بحنين فلما تصاف الناس حمل المشركون من مجاني الوادي وكان قد كمنوا بها فانهزم المسلمون * قال قتادة ويقال ان الطلقاء من أهل مكة فروا وقصدوا القاء الهزيمة في المسلمين وبلغ فلهم مكة وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه على بغلة شهباء تسمى دلدل لا يتحلحل والعباس قد اكتنفه آخذا بلجامها وابن عمه أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وابنه جعفر وعلي بن أبي طالب وربيعة بن الحرث والفضل بن العباس وأسامة بن زيد وأيمن بن عبيد وهو أيمن ابن أم أيمن وقتل بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم هؤلاء من أهل بيته وثبت معه أبو بكر وعمر فكانوا عشرة رجال ولهذا قال العباس

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة * وقد فر من قد فر منهم وأقشعوا

وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه * بما مسه في الله لا يتوجع

وثبتت أم سليم في جملة من ثبت ممسكة بعيرا لأبي طلحة وفي يدها خنجر ونزل صلى الله عليه

يا أبا عمارة فقال أشهد على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولى

وسلم عن بغلته الى الأرض واستنصر الله وأخذ قبضة من تراب وحصا فرمى بها فى وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه * قال يعلى بن عطاء فحدثنى أبناؤهم عن آبائهم قالوا لم يبق منا أحد الا دخل عينيه من ذلك التراب وقال للعباس وكان صيتا ناد أصحاب السمرة فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك وانهزم المشركون فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمى الوطيس وركض رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفهم على بغلته وفى صحيح مسلم من حديث البراء أن هوازن كانوا رماة فرموهم برشق من نبل كأنها رجل من جراد فانكشفوا فأقبل القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان يقود بغلته فنزل ودعا واستنصر وهو يقول

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب اللهم أنزل نصرك قال البراء كنا والله اذا احمى البأس نتقى به صلى الله عليه وسلم وان الشجاع منا الذى يحاذى به يعنى النبي صلى الله عليه وسلم وفى أول هذا الحديث أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة فقال اشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولى ﴿ ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ﴾ السكينة النصر الذى سكنت اليه النفوس قاله ابن عطية * وقال الزمخشرى رحمته التى سكنوا بها * وقيل الوقار والثبات بعد الاضطراب والقلق ويخرج من هذا القول الرسول صلى الله عليه وسلم فانه لم يزل ثابت الجأش ساكنه وعلى المؤمنين ظاهره شمول من فر ومن ثبت * وقيل هم الأنصار اذهم الذين كروا وردوا الهزيمة * وقيل من ثبت مع الرسول صلى الله عليه وسلم حاله فر الناس * وقرأ زيد بن على سكينته بكسر السين وتشديد الكاف مبالغة فى السكينة نحو شريب وطبيخ ﴿وأنزل جنودا لم تروها﴾ هم الملائكة بلا خلاف ولم تتعرض الآية لعددهم * فقال الحسن ستة عشر ألفا * وقال مجاهد ثمانية آلاف *وقال ابن جبير خمسة آلاف وهذا تناقض فى الاخبار والجمهور على انهالم تقاتل يوم حنين وعن ابن المسيب حدثنى رجل كان فى المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه حسان فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا أكتافنا والظاهر انتفاء الرؤية عن المؤمنين لان الخطاب هو لهم * وقد روى ان رجلا من بنى النضير قال للمؤمنين بعد القتال أين الخيل البلق والرجال الذين كانوا عليها بيض ما كنا فيهم الا كهيئة الشامة وما كان قتلنا الا بأيديهم فأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك الملائكة * وقيل لم تروها نفى عن الجميع ومن رأى بعضهم لم يركلهم * وقيل لم يرها أحد من المسلمين ولا الكفار وانما أنزلهم يلقون التثبيت فى قلوب المؤمنين والرعب والجبن فى قلوب الكفار * وقال يزيد بن عامر كان فى أجوافنا مثل ضربة الحجر فى الطست من الرعب ﴿وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين﴾ أى بالقتل الذى استحر فيهم والأسر لذراريهم ونسائهم والنهب لأموالهم وكان السبي أربعة آلاف رأس * وقيل ستة آلاف ومن الابل اثناعشر ألفا سوى ما لا يعلم من الغنم وقسمها الرسول بالجعرانه وفيها قصة عباس بن مرداس وشعره وكان مالك بن عوف قد أخرج الناس للقتال والذرارى ليقاتلوا عليها فخطأه فى ذلك دريد بن الصمة قال هل يرد المنهزم شئ وفى ذلك اليوم قتل دريد القتلة المشهورة قتله ربيعة بن رفيع بن أهبان السلمى ويقال له ابن الدغنة ﴿ ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم ﴾ اخبار بأن الله يتوب

(ثم أنزل الله سكينته) السكينة النصر والوقار والثبات بعد الاضطراب والقلق ويخرج من هذا القول رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يزل ثابت الجأش ساكنه (وعلى المؤمنين) ظاهره شمول من فر ومن ثبت وقيل هم الأنصار اذهم الذين كروا وردوا الهزيمة (وأنزل جنودا لم تروها) هم الملائكة بلا خلاف ولم تتعرض الآية لعددهم (وعذب الذين كفروا) أى بالقتل الذى استقر فيهم والاسر لذراريهم ونسائهم والنهب لاموالهم وكان السبي أربعة آلاف رأس وقيل ستة آلاف ومن الابل اثناعشر ألفا سوى ما لا يعلم من الغنم وقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجعرانة وفيها قصة عباس بن مرداس وشعره وكان مالك بن عوف قد أخرج الناس للقتال والذرارى ليقاتلوا عنها فخطأه فى ذلك دريد ابن الصمة وقال وهل يرد المنهزم شئ وفى ذلك قتل دريد القتلة المشهورة قتله ربيعة بن رفيع بن اهبان السلمى ويقال له ابن الدغنة ﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء﴾ الآية اخبار بان الله تعالى يتوب على من يشاء ويهدى من يشاء ممن بقى من الكفار للاسلام ووعد بالمغفرة والرحمة كمالك بن عوف النضرى

على من يشاء فيهدى من يشاء ممن بقي من الكفار للاسلام ووعد بالمغفرة والرحمة كمالك بن عوف النضرى رئيس هوازن ومن أسلم معه من قومه * وروى ان ناسامنهم جاؤا فبايعوا على الاسلام وقالوا يارسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقدسبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا وكان سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الابل والغنم مالا يحصى فقال ان خير القول أصدقه اختاروا إما ذراريكم ونساءكم واما أموالكم فقالوا اما نعدل بالاحساب شيأ وتمام الحديث انهم أخذوا نساءهم وذراريهم الا امرأة وقع عليها صفوان بن أمية فحملت منه فلم يردها * أخبرنا القاضي العالم أبو علي الحسين بن عبد العزيز بن أبي الاحوص القرشي قراءة مني عليه بمدينة مالقة * قال أخبرنا أبو الحسن بن محمد بن بيقي بن حبلة الخزرجي باوو بولة * قال أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي الاصبهاني باسكندرية ح وأخبرنا أستاذنا الامام العلامة الحافظ أبو جعفر أحمد بن ابراهيم ابن الزبير قراءة مني عليه بغرناطة عن القاضي أبي الخطاب محمد بن أحمد بن خليل السكوني عن أبي طاهر السلفي وهو آخر من حدث عنه بالغرب ح وأخبرنا عاليا القاضي السعيد صفي الدين أبو محمد عبد الوهاب بن حسن بن الفرات قراءة عليه مرتين بثغر الاسكندرية عن أبي الطاهر اسمعيل بن صالح بن ياسين الجبلي وهو آخر من حدث عنه قالا أعني السلفي والجبلي أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن ابراهيم الرازى * قال أخبرنا أبو الحسن علي بن بقاء بن محمد الوراق بمصر أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عمر اليمني التنوخي بانتقاء خلف الواسطي الحافظ ح وأخبرنا المحدث العدل نجيب الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهمداني عرف بابن العجمي قراءة مني عليه بالقاهرة (قلت) له أخبرك أبو الفخر أسعد بن أبي الفتوح بن روح وعفيفة بنت أحمد بن عبد الله في كتابيهما قالا أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله بن أحمد بن عقيل الجوزدانية * قالت أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن ريذة الضبي * قال أخبرنا أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني الحافظ قالا أعني التنوخي والطبراني أخبرنا عبيد الله بن رماحس زاد التنوخي ابن محمد ابن خالد بن حبيب بن قيس بن رمادة من الرملة على بريدين في ربيع الآخر من سنة ثمانين ومائتين *وقال الطبراني ابن رماحس الجشمي القيسي برمادة الرملة سنة سبع وسبعين ومائتين *قال حدثنا أبو عمرو زياد بن طارق زاد التنوخي الجشمي * وقال الطبراني وكان قد أتت عليه عشرون ومائة سنة قال التنوخي عن زياد أنبأنا زهير أبو جندل وكان سيد قومه وكان يكنى أباصرد * قال لما كان يوم حنين أسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبيناهو يميز بين الرجال والنساء وثبت حتى قعدت بين يديه أذكره حيث شب ونشأ في هوازن وحيث أرضعوه فأنشأت أقول * وقال الطبراني عن زياد قال سمعت أباجرول زهير بن صرد الجشمي يقول لما أسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قوم هوازن وذهب يفرق السبي والشاء فأتيته فأنشأت أقول هذا الشعر

امنن علينا رسول الله في كرم * فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على بيضة قدعاقها قدر * مفرق شملها في دهرها غير
أبقت لنا الحرب هتافا على حزن * على قلوبهم الغماء والغمر
ان لم تداركهم نعماء تنشرها * يا أرجح الناس حلما حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها * اذفوك يملؤها من محضها الدرر
اذأنت طفل صغير كنت ترضعها * واذ يزينك ما تأتى وما تذر

رئيس هوازن ومن أسلم معه من قومه وروى ان ناسامنهم جاؤا فبايعوا على الاسلام وقالوا يارسول أنت خير الناس وأبر الناس وقدسبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا وكان السبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الابل والغنم مالا يحصى فقال عليه السلام ان خير القول أصدقه اختاروا اما ذراريكم واما أموالكم فقالوا ما نعدل بالاحساب شيئا وتمام الحديث انهم أخذوا نساءهم وذراريهم الا امرأة وقع عليها صفوان بن أمية فحبلت منه فلم يردها

﴿يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس﴾ لما أمر عليه السلام عليا ان يقرأ على مشركى مكة أول براءة وينبذ اليهم عهدهم وان الله برىء من المشركين ورسوله قال أناس يا أهل مكة ستعلمون ماتلقون من الشدة وانقطاع السبل وفقد الحمولات فنزلت والظاهر الحكم عليهم بأنهم نجس أى ذوو نجس قال ابن عباس والحسن وعمر بن عبد العزيز والطبرى وغيرهم الشرك هو الذى نجسهم فأعيانهم نجسة كالخمر والكلاب والخنازير وقال الحسن من صافح مشركا (٢٧) فليتوضأ وفى التحرير وبالغ الحسن حتى قال ان الوضوء يجب من مس يد المشرك ولم يأخذ أحد بقول الحسن الا الهادى من الزيدية وقال قتادة ومعمر بن راشد وغيرهما وصف المشرك بالنجاسة لانه جنب اذ غسله من الجنابة ليس بغسل وعلى هذا القول يجب الغسل على من أسلم من المشركين وهو مذهب مالك وقال ابن عبد الحكم لا يجب ولاشك انهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فجعلوا نجسا مبالغة فى وصفهم بالنجاسة ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام﴾ الظاهر ان النهى مختص بالمشركين وبالمسجد الحرام وهذا مذهب أبى حنيفة وأباح دخول اليهود والنصارى المسجد الحرام وغيره ودخول عبدة الأوثان فى سائر المساجد وقال الشافعى هى عامة فى الكفار خاصة فى المسجد الحرام فأباح دخول اليهود والنصارى والوثنيين فى سائر المساجد وقاس مالك جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم على المشركين وقاس سائر المساجد على المسجد الحرام ومنع من دخول الجميع فى جميع المساجد ﴿وان خفتم عيلة﴾ العيلة الفقر وقرىء عائلة وهو مصدر كالعاقبة أو نعت لمحذوف أى حالا عائلة ﴿فسوف يغنيكم الله من فضله﴾ أتى فى جواب الشرط بسوف وهى أكثر مبالغة فى التنفيس من السين والاغناء انما وقع كثيرا بعد اتساع الاسلام وفتح البلاد حتى يحكى عن الزبير وطلحة انهما بلغا من اتساع المال ما يتعجب منه وعلق الاغناء بالمشيئة لأنه يقع فى حق بعض دون بعض وفى وقت دون وقت

يا خير من مرحت كمت الجياد به * عند الهياج اذا ما استوقد الشرر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته * واستبق منا فانا معشر زهر
إنا نؤمل عفوا منك نلبسه * هذى البرية ان تعفو وتنتصر
إنا لنشكر للنعمى وقد كفرت * وعندنا بعد هذا اليوم مدّخر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه * من أمهاتك ان العفو مشتهر
واعف عفا الله عما أنت راهبه * يوم القيامة اذ يهدى لك الظفر

وفى رواية الطبرانى تقديم وتأخير فى بعض الابيات وتغيير لبعض ألفاظ فترتيب الابيات بعد قوله اذ أنت طفل قوله لا تجعلنا ثم انا لنشكر ثم فالبس العفو ثم تأخير من مرحت ثم انا نؤمل ثم فاعف وتغيير الألفاظ قوله واذ يريبك بالراء والباء مكان الزاى والنون وقوله النعماء اذ كفرت وقوله اذ تعفو وفى رواية الطبرانى قال فلما سمع النبى صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال صلى الله عليه وسلم ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم * وقالت قريش ما كان لنا فهو لله ولرسوله * وقالت الانصار ما كان لنا فهو لله ولرسوله وفى رواية التنوخى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فلله ولكم وقالت الأنصار ما كان لنا فلله ولرسوله ردّت الانصار ما كان فى أيديها من الذرارى والاموال ﴿يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم﴾ لما أمر النبى صلى الله عليه وسلم عليا أن يقرأ على مشركى مكة أول براءة وينبذ اليهم عهدهم وان الله برىء من المشركين ورسوله قال أناس يا أهل مكة ستعلمون ماتلقون من الشدّة وانقطاع السبل وفقد الحمولات فنزلت * وقيل لما نزل انما المشركون نجس شق على المسلمين وقالوا من يأتينا بطعامنا وكانوا يقدمون عليهم بالتجارة فنزلت وان خفتم عيلة الآية والجمهور على ان المشرك من اتخذ مع الله الها آخر وعلى أن أهل الكتاب ليسوا بمشركين ومن العلماء من أطلق عليهم اسم الاشراك لقوله ان الله لا يغفر أن يشرك به أى يكفر به * وقرأ الجمهور نجس بفتح النون والجيم وهو مصدر نجس نجسا أى قذر قذرا والظاهر الحكم عليهم بأنهم نجس أى ذوو نجس * قال ابن عباس والحسن وعمر بن عبد العزيز وغيره الشرك هو الذى نجسهم فأعيانهم نجسة كالخمر والكلاب والخنازير * وقال الحسن من صافح مشركا فليتوضأ وفى التحرير وبالغ الحسن حتى قال ان الوضوء يجب من مس يد المشرك ولم يأخذ أحد بقول الحسن الا الهادى من الزيدية * وقال قتادة ومعمر بن راشد وغيرهما وصف المشرك بالنجاسة لانه جنب اذ غسله من الجنابة

ليس بغسل وعلى هذا القول يجب الغسل على من أسلم من المشركين وهو مذهب مالك * وقال ابن عبد الحكم لا يجب ولا شك أنهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فجعلوا نجسا مبالغة في وصفهم بالنجاسة * وقرأ أبو حيوة نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف أي جنس نجس أوضرب نجس وهو اسم فاعل من نجس فخففوه بعد الاتباع كما قالوا في كبد كبد وكرش كرش وقرأ ابن السميقع أنجاس فاحتمل أن يكون جمع نجس المصدر كما قالوا أصناف واحتمل أن يكون جمع نجس اسم فاعل وفي النهي عن القربان منعهم عن دخوله والطواف به بحج أو عمرة أو غير ذلك كما كانوا يفعلون في الجاهلية وهذا النهي من حيث المعنى هو متعلق بالمسلمين أي لا يتركونهم يقربون المسجد الحرام والظاهر ان النهي مختص بالمشركين و بالمسجد الحرام وهذا مذهب أبي حنيفة وأباح دخول اليهود والنصارى المسجد الحرام وغيره ودخول عبدة الاوثان في سائر المساجد * وقال الزمخشري ان معنى قوله فلا يقربوا المسجد الحرام فلا يحجوا ولا يعتمروا و يدل عليه قول علي حين نادى ببراءة لا يحج بعد عامنا هذا مشرك قال ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عند أبي حنيفة انتهى * وقال الشافعي هي عامة في الكفار خاصة في المسجد الحرام فأباح دخول اليهود والنصارى والوثنيين في سائر المساجد وقاس مالك جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم على المشركين وقاس سائر المساجد على المسجد الحرام ومنع من دخول الجميع في جميع المساجد * وقال عطاء المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين أن لا يمكنوهم من دخوله * وقيل المراد من القربان أن يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك * وقال جابر بن عبد الله وقتادة لا يقرب المسجد الحرام مشرك الا أن يكون صاحب حرية أو عبد المسلم والمعنى بقوله بعد عامهم هذا هو عام تسع من الهجرة وهو العام الذي حج فيه أبو بكر أميرا على الموسم وأتبع بعلي ونودي فيها ببراءة * وقال قتادة هو العام العاشر الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والعيلة الفقر * وقرأ ابن مسعود وعلقمة من أصحابه عائلة وهو مصدر كالعاقبة أو نعت لمحذوف أي حالا عائلة وان هنا على بابها من الشرط * وقال عمرو بن فائد المعنى واذ خفتم كقولهم ان كنت ابني فأطعني أي اذ كنت وكون ان بمعنى اذ قول مرغوب عنه وتقدم سبب نزول هذه الآية وفضله تعالى قال الضحاك ما فتح عليهم من أخذ الجزية من أهل الذمة * وقال عكرمة أغناهم بادرار المطر عليهم وأسلمت العرب فتمادى حجهم ونحرهم وأغنى الله من فضله بالجهاد والظهور على الأمم وعلق الاغناء بالمشيئة لانه يقع في حق بعض دون بعض وفي وقت دون وقت * وقيل لاجراء الحكم على الحكمة فان اقتضت الحكمة والمصلحة اغناءكم أغناكم * وقال القرطبي اعلاما بأن الرزق لا يأتي بحيلة ولا اجتهاد وانما هو فضل الله و يروى للشافعي

لو كان بالحيل الغنى لوجدتني * بنجوم أقطار السماء تعلق

لكن من رزق الحجا حرم الغنى * ضدان مفترقان أي تفرق

ومن الدليل على القضاء وكونه * بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

ان الله عليم بأحوالكم حكيم لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة * وقال ابن عباس عليم بما يصلحكم حكيم فيما حكم في المشركين ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم

﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون﴾ نزلت حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بغزو الروم وغزا بعد نزولها تبوك وقيل نزلت في قريظة والنضير فصالحهم وكانت أول جزية أصابها المسلمون وأول ذل أصاب أهل الكتاب بأيدي المسلمين نفي الايمان بالله عنهم لان سبيلهم سبيل من لا يؤمن بالله اذ يصفونه بما لا يليق أن يوصف به

الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ نزلت حين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بغزو الروم وغزا بعد نزولها تبوك * وقيل نزلت في قريظة والنضير فصالحهم وكانت أول جزية أصابها المسلمون وأول ذلك أصاب أهل الكتاب بأيدي المسلمين نفي الايمان بالله عنهم لأن سبيلهم سبيل من لا يؤمن بالله اذ يصفونه بما لا يليق أن يوصف به قاله الكرماني * وقال الزجاج لأنهم جعلوا له ولدا وبدلوا كتابهم وحرموا ما لم يحرم وحللوا ما لم يحلل * وقال ابن عطية لأنهم تركوا شرائع الاسلام الذي يجب عليهم الدخول فيه فصار جميع مالهم في البعث وفي الله من تخيلات واعتقادات لا معنى لها اذ يلقونها من غير طريقها وأيضا فلم تكن اعتقاداتهم مستقيمة لأنهم شبهوا وقالوا عزير ابن الله وثالث ثلاثة وغير ذلك ولهم أيضا في البعث آراء كثيرة في منازل الجنة من الرهبان وقول اليهود في النار يكونون فيها أياما انتهى وفي الغيبان نفي عنهم الايمان لأنهم مجسمة والمؤمن لا يجسم انتهى والمنقول عن اليهود والنصارى انكار البعث الجسماني فكأنهم يعتقدون البعث الروحاني ماحرم الله في كتابه ورسوله في السنة * وقيل في التوراة والانجيل لأنهم أباحوا أشياء حرمتها التوراة والانجيل والرسول على هذا موسى وعيسى وعلى القول الأول محمد صلى الله عليه وسلم * وقيل ولا يحرمون الخمر والخنزير * وقيل ولا يحرمون الكذب على الله قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى * وقيل ماحرم الله من الربا وأموال الاميين والظاهر عموم ماحرم الله ورسوله في التوراة والانجيل والقرآن ولا يدينون دين الحق أي لا يعتقدون دين الاسلام الذي هو دين الحق وماسواه باطل * وقيل دين الحق دين الله والحق هو الله قاله قتادة يقال فلان يدين بكذا أي يتخذه دينا ويعتقده * وقال أبو عبيدة معناه ولا يطيعون طاعة أهل الاسلام وكل من كان في سلطان ملك فهو على دينه وقد دان له وخضع * قال زهير

لئن حللت بجو في بني أسد * في دين عمرو وحالت بيننا فدك

من الذين أوتوا الكتاب بيان لقوله الذين والظاهر اختصاص أخذ الجزية من أهل الكتاب وهم بنو اسرائيل والروم نصا وأجمع الناس على ذلك وأما المجوس فقال ابن المنذر لا أعلم خلافا في أن الجزية تؤخذ منهم انتهى * وروي أنه كان بعث في المجوس نبي اسمه زرادشت واختلف أصحاب مالك في مجوس العرب وأما السامرة والصابئة فالجمهور على أنهم من اليهود والنصارى تؤخذ منهم الجزية وتؤكل ذبيحتهم * وقالت فرقة لا تؤخذ منهم جزية ولا تؤكل ذبائحهم * وقيل تؤخذ منهم الجزية ولا تؤكل ذبائحهم * وقال الأوزاعي تؤخذ من كل عابد وثن أو نار أو جاحد مكذب * وقال أبو حنيفة لا يقبل من مشركي العرب الا الاسلام أو السيف وتقبل من أهل الكتاب ومن سائر كفار العجم الجزية * وقال مالك تؤخذ من عابد النار والوثن وغير ذلك كائنا من كان من عربي تغلبي أو قرشي أو عجمي الا المرتد * وقال الشافعي وأحمد وأبو ثور لا تقبل الا من اليهود والنصارى والمجوس فقط والظاهر شمول جميع أهل الكتاب في اعطاء الجزية * وقال أبو حنيفة ومالك والشافعي لا تؤخذ الا من الرجال البالغين الاحرار العقلاء ولا تضرب على رهبان الديارات والصوامع المنقطعين * وقال مالك في الواضحة ان كانت قد ضربت عليهم ثم انقطعوا لم تسقط وتضرب على رهبان الكنائس واختلف في الشيخ الفاني ولم تتعرض الآية لمقدار ما على كل رأس

والروم نصا وأجمع الناس على ذلك وأما المجوس فقال ابن المنذر لا أعلم خلافا في ان الجزية تؤخذ منهم انتهى وروي انه كان بعث في المجوس نبي اسمه زرادشت واختلفت أصحاب مالك في مجوس العرب وأما السامرة والصابئة فالجمهور على انهم من اليهود والنصارى وتؤخذ منهم الجزية وتؤكل ذبائحهم وقالت فرقة لا تؤخذ منهم الجزية ولا تؤكل ذبائحهم وقيل تؤخذ منهم الجزية ولا تؤكل ذبائحهم والظاهر شمول جميع أهل الكتاب في اعطاء الجزية ولم يرد نص في مقدار الجزية وقال الشافعي وغيره على كل رأس دينار وقال أبو حنيفة على الفقير المكتسب اثنا عشر درهما وعلى المتوسط في الغنى ضعفها وعلى المكثر ضعف الضعف ثمانية وأربعون درهما ولا تؤخذ عنده من فقير لا كسب له ﴿عن يد﴾ قال ابن عباس أي يعطونها بأيديهم ولا يرسلون بها ﴿وهم صاغرون﴾ جملة حالية أي ذليلون حقيرون وذكر كيفيات في أخذها منهم وفي صغارهم لم تتعرض الآية لتعيين شيء منها

﴿ وقالت اليهود عزير بن الله ﴾ الآية بين الله سبحانه وتعالى لحاق اليهود والنصارى بأهل الشرك وان اختلفت طرق الشرك فلا فرق بين من يعبد الصنم وبين من يعبد المسيح وغيره وقائل ذلك قوم من اليهود وكانوا بالمدينة قال ابن عباس قالها أربعة من أحبارهم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف وقيل قاله فنحاص والدليل على

ولا لوقت اعطائها * فأما مقدارها فذهب مالك وكثير من أهل العلم الى مافرضه عمر أربعة دنانير على أهل الذهب وأربعون درهما على أهل الفضة وفرض عمر ضيافة وارزاقا وكسوة * وقال الثوري رويت عن عمر ضرائب مختلفة وأظن ذلك بحسب اجتهاده في عسرهم ويسرهم * وقال الشافعي وغيره على كل رأس دينار * وقال أبو حنيفة على الفقير المكتسب اثناعشر درهما وعلى المتوسط في الغنى ضعفها وعلى المكثر ضعف الضعف ثمانية وأربعون درهما ولا يؤخذ عنده من فقير لا كسب له * قال ابن عطية وهذا كله في العنوة وأما الصلح فهو ماصولحوا عليه من قليل أو كثير * وأما وقتها فعند أبي حنيفة أول كل سنة وعند الشافعي آخر السنة وسميت جزية من جزى يجزى اذا كافأ عما أسدى عليه فكأنهم أعطوها جزاء مامنحوا من الامن وهى كالعقدة والجلسة ومن هذا المعنى قول الشاعر

نجزيك أو نثنى عليك وأن من * أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

* وقيل لانها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه أي يقضوه عن يد * قال ابن عباس يعطونها بأيديهم ولا يرسلون بها * وقال عثمان يعطونها نقدا لانسيئة * وقال قتادة يعطونها وأيديهم تحت يد الآخذ فالمعنى أنهم مستعلى عليهم * وقيل عن اعتراف * وقيل عن قوة منكم وقهر وذل ونفاذ أمر فيهم كما تقول اليد في هذا الفلان أي الامر له * وقيل عن انعام عليهم بذلك لان قبولها منهم عوضا عن أرواحهم انعام عليهم من قولهم له على يد أي نعمة * وقال القتبي يقال أعطاه عن يد وعن ظهر يد اذا أعطاه مبتدئا غير مكافئ * وقيل عن يد عن جماعة أي لايعفى عن ذى فضل منهم لفضله واليد جماعة القوم يقال القوم على يد واحدة أي هم مجتمعون * وقيل عن يد أي عن غنى وقدرة فلا تؤخذ من الفقير ولخص الزمخشري في ذلك فقال اما أن يريد يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية وعن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك أرواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم وإما أن يريد يد المعطى فالمعنى عن يد مواتية غير ممتنعة لان من أبى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا أعطى بيده اذا انقاد واحتجب ألا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة أو عن يد الى يد أي نقدا غير نسيئة أولا مبعوثا على يد آخر ولكن عن يد المعطى الى يد الاخذ وهم صاغرون جملة حالية أي ذليلون حقيرون وذكروا كيفيات في أخذها منهم وفي صغارهم لم تتعرض لتعيين شئ منها الآية * قال ابن عباس يمشون بها ملبيين * وقال سلمان الفارسي لايحمدون على اعطائهم * وقال عكرمة يكون قائما والآخذ جالسا * وقال الكلبي يقال له عند دفعها أد الجزية ويصك في قفاه وحكى البغوي يؤخذ بلحيته ويضرب في لهزمته ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا

أن هذا القول كان فيهم أن الآية تليت عليهم فما أنكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزيز وهو غلام يسيح فى الارض فاتاه جبريل عليه السلام فقال له الى أين تذهب قال أطلب العلم فحفظه التوراة فاملاها عليهم من ظهر لسانه لم يخرم حرفا فقالوا ماجمع الله التوراة فى صدره وهو غلام الا أنه ابنه وظاهر قول النصارى المسيح ابن الله بنوة النسل كما قالت العرب فى الملائكة وكما قيل عنهم أنهم يقولون ان المسيح إله وابن إله وقيل ان بعضهم يعتقدها بنوة حنو ورحمة وهذا القول لم يظهر الا بعد النبوة المحمدية وظهور دلائلها وصدقها وبعد أن خالطوا المسلمين وناظروهم فرجعوا عما كانوا يعتقدونه فى عيسى عليه السلام وقرئ عزير منونا على أنه اسم عربى مصغر وقرئ غير منون على أنه أعجمى منع الصرف للعجمة والعلمية وهو مبتدا وخبره ابن الله ومعنى بافواههم أنه قول لايعضده برهان فما هو الالفظ فارغ يفوهون به كالالفاظ المهملة التى هى كالاجراس والنغم لاتدل على معان وقرئ يضاهئون ويضاهون ومعناه يشابهون وهو على حذف مضاف تقديره يضاهى قولهم قول الذين كفروا والذين كفروا هم أسلاف المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم

من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ بين تعالى لحاق اليهود والنصارى بأهل الشرك وان اختلفت طرق الشرك فلا فرق بين من يعبد الصنم و بين من يعبد المسيح وغيره لان الشرك هو أن يتخذ مع الله معبودا بل عابد الوثن أخف كفرا من النصراني لأنه لا يعتقد أن الوثن خالق العالم والنصراني يقول بالحلول والاتحاد وقائل ذلك قوم من اليهود كانوا بالمدينة * قال ابن عباس قالها أربعة من أحبارهم سلام بن مشكم * ونعمان بن أوفى * وشاس بن قيس ومالك بن الصيف * وقيل قاله فنحاص * وقال النقاش لم يبق يهودي يقولها بل انقرضوا وتذم الطائفة أو تمدح بصدور ما يناسب ذلك من بعضهم * قيل والدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية تليت عليهم فما أنكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فأتاه جبريل فقال له الى أين تذهب قال أطلب العلم فحفظه التوراة فأملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله تعالى التوراة في صدره وهو غلام الا أنه ابنه ونقلوا حكايات في ذلك وظاهر قول النصارى المسيح ابن الله بنوة النسل كما قالت العرب في الملائكة وكذا يقتضي قول الضحاك والطبري وغيرهما عنهم ان المسيح اله وانه ابن الاله و يقال ان بعضهم يعتقدها بنوة حنو ورحمة وهذا القول لم يظهر الا بعد النبوة المحمدية وظهور دلائل صدقها و بعد أن خالطوا المسلمين وناظروهم فرجعوا عما كانوا يعتقدونه في عيسى وقرأ عاصم والكسائي عزير منونا على انه عربي و باقي السبعة بغير تنوين ممنوع الصرف للعجمة والعلمية كعاذر وعيذار وعزرائيل وعلى كلتا القراءتين فابن خبر * وقال أبو عبيد هو أعجمي خفيف فانصرف كنوح ولوط وهود * قيل وليس قوله بمستقيم لأنه على أربعة أحرف وليس بمصغر انما هو اسم أعجمي جاء على هيئة المصغر كسليمان جاء على هيئة عثمان وليس بمصغر ومن زعم أن التنوين حذف من عزير لالتقاء الساكنين كقراءة قل هو الله أحد الله الصمد وقول الشاعر * اذا غطيف السلمي فرا * أولأن ابنا صفة لعزير وقع بين علمين فحذف تنوينه والخبر محذوف أي الهنا ومعبودنا فقوله متمحل لأن الذي أنكر عليهم انما هو نسبة البنوة الى الله تعالى ومعنى بأفواههم انه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ فارغ يفوهون به كالالفاظ المهملة التي هي أجراس ونغم لا تدل على معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب وما لا معنى له يقال بالفم لا غير * وقيل معنى بأفواههم الزامهم المقالة والتأكيد كما قال يكتبون الكتاب بأيديهم ولا طائر يطير بجناحيه ولا بد من حذف مضاف في قوله يضاهون أي يضاهي قولهم والذين كفروا قدماؤهم فهو كفر قديم فيهم أو المشركون القائلون الملائكة بنات الله وهو قول الضحاك أو الضمير عائد على النصارى والذين كفروا اليهود أي يضاهي قول النصارى في دعواهم بنوة عيسى قول اليهود في دعواهم بنوة عزير واليهود أقدم من النصارى وهو قول قتادة * وقرأ عاصم وابن مصرف يضاهئون بالهمز وباقي السبعة بغير همز قاتلهم الله أنى يؤفكون دعاء عليهم عام لانواع الشر ومن قاتله الله فهو المقتول * وقال ابن عباس معناه لعنهم الله * وقال ابان بن تغلب

قاتلها الله تلحاني وقد علمت * اني لنفسي افسادي واصلاحي

* وقال قتادة قتلهم وذكر ابن الانباري عاداهم * وقال النقاش أصل قاتل الدعاء ثم كثر استعمالهم حتى قالوه على جهة التعجب في الخير والشر وهم لا يريدون الدعاء * وأنشد الاصمعي

﴿ قاتلهم الله ﴾ دعاء عليهم عام لانواع الشر ﴿ أنى يؤفكون ﴾ أي كيف يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل على سبيل التعجب

يا قاتل الله ليلى كيف تعجبني * وأخبر الناس انى لا أباليها

وليس من باب المفاعلة بل من باب طارقت النعل وعاقبت اللص أنى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل على سبيل التعجب ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم﴾ تعدت اتخذ هنا المفعولين والضمير عائد على اليهود والنصارى * قال حذيفة لم يعبدوهم ولكن أحلوا لهم الحرام فأحلوه وحرموا عليهم الحلال فحرموه وقد جاء هذا مرفوعا فى الترمذى الى الرسول صلى الله عليه وسلم من حديث عدى بن حاتم * وقيل كانوا يسجدون لهم كما يسجدون لله والسجود لا يكون الا لله فأطلق عليهم ذلك مجازا * وقيل علم سبحانه أنهم يعتقدون الحلول وانه سبحانه تجلى فى بواطنهم فيسجدون له معتقدين أنه الله الذى حل فيهم وتجلى فى سرائرهم فهؤلاء اتخذوهم أربابا حقيقة ومذهب الحلول فشا فى هذه الأمة كثيرا وقالوا بالاتحاد وأكثر ما فشا فى مشائخ الصوفية والفقراء فى وقتنا هذا وقد رأيت منهم جماعة يزعمون أنهم أكابر * وحكى أبو عبد الله الرازى انه كان فاشيا فى زمانه حكاه فى تفسيره عن بعض المروزيين كان يقول لأصحابه أنتم عبيدى واذا خلا ببعض الحمقا من أتباعه ادعى الالهية واذا كان هذا مشاهدا فى هذه الأمة فكيف يبعد ثبوته فى الأمم السابقة انتهى وهو منقول من كتاب التحرير والتحبير وقد صنف شيخنا المحدث المتصوف قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن القسطلانى كتابا فى هذه الطائفة فذكر فيهم الحسين ابن منصور الحلاج وأبا عبد الله الشوذى كان بتلمسان وابراهيم بن يوسف بن محمد بن دهان عرف بابن المرأة وأبا عبد الله بن أحلى المتأمر بلورقة وأبا عبد الله بن العربى الطائى وعمر بن على بن الفارض وعبد الحق بن سبعين وأبا الحسن الششترى من أصحابه وابن مطرف الاعمى من أصحاب ابن أحلى والصفيفير من أصحابه أيضا والعفيف التلمسانى وذكر فى كتابه من أحوالهم وكلامهم وأشعارهم ما يدل على هذا المذهب وقتل السلطان أبو عبد الله بن الأحمر ملك الاندلس الصفيفير بغرناطة وأنا بها وقد رأيت العفيف الكوفى وأنشدنى من شعره وكان يتكلم هذا المذهب وكان أبو عبد الله الأيكى شيخ خانكاه سعيد السعداء مخالطا له خلطة كثيرة وكان متهما بهذا المذهب وخرج التلمسانى من القاهرة هاربا الى الشام من القتل على الزندقة وأما ملوك العبيديين بالمغرب ومصر فان أتباعهم يعتقدون فيهم الالهية وأولهم عبيد الله الملقب بالمهدى وآخرهم سليمان الملقب بالعاضد والاحبار علماء اليهود والرهبان عباد النصارى الذين زهدوا فى الدنيا وانقطعوا عن الخلق فى الصوامع أخبر عن المجموع وعاد كل الى ما يناسبه أى اتخذ اليهود أحبارهم والنصارى رهبانهم والمسيح ابن مريم عطف على رهبانهم ﴿وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون﴾ الظاهر أن الضمير عائد على من عاد عليه فى اتخذوا أى أمروا فى التوراة والانجيل على ألسنة أنبيائهم * وقيل فى القرآن على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقيل فى الكتب الثلاثة * وقيل فى الكتب المنزلة وعلى لسان جميع الأنبياء * وقال الزمخشرى أمرتهم بذلك أدلة العقل والنصوص فى الانجيل والمسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة * وقيل الضمير عائد على الاحبار والرهبان المتخذين أربابا أى وما أمر هؤلاء الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح أن يكونوا أربابا وهم مأمورون مستعبدون وفى قوله عما يشركون دلالة على اطلاق اسم الشرك على اليهود والنصارى ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله

واحده حبر والرهبان عباد النصارى الذين زهدوا فى الدنيا وانقطعوا عن الخلق فى الصوامع أخبر عن المجموع وعاد الى ما يناسبه أى اتخذ اليهود أحبارهم والنصارى رهبانهم ﴿والمسيح ابن مريم﴾ عطف على رهبانهم ﴿وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا﴾ الظاهر أن الضمير عائد على من عاد عليه فى اتخذوا أى أمروا فى التوراة والانجيل وعلى ألسنة أنبيائهم وفى قوله عما يشركون دلالة على اطلاق اسم الشرك على اليهود والنصارى ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم﴾ مثلهم ومثل حالهم فى طلبهم أن يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ فى نور عظيم منبث فى الآفاق ونور الله تعالى هداه الصادر عن القرآن والشرع المنبث فمن حيث سماه نورا سمى محاولة افساده اطفاء وكنى بالافواه عن قلة حيلتهم وضعفها أخبر أنهم يحاولون أمرا جسيما بشئ ضعيف فكان الاطفاء بنفخ الافواه ﴿ويأبى الله﴾ أجرت العرب أبى بمعنى الفعل المنفى كأنه قال لا يريد الله فلذلك دخلت الا فى الايجاب

الاأن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ مثلهم ومثل حالهم فى طلبهم أن يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ فى نور عظيم منبث فى الآفاق ونور الله هداه الصادر عن القرآن والشرع المنبث فمن حيث سماه نورا سمى محاولة افساده اطفاء وقالت فرقة النور القرآن وكنى بالافواه عن قلة حيلتهم وضعفها أخبر أنهم يحاولون أمرا جسيما بسعى ضعيف فكان الاطفاء بنفخ الافواه ويحتمل أن يراد بأقوال لابرهان عليها فهى لاتتجاوز الأفواه الى فهم سامع وناسب ذكر الاطفاء الأفواه * وقيل ان الله لم يذكر قولا مقرونا بالافواه والألسن الاوهو زور ومجىء الا بعد ويأبى يدل على مستثنى منه محذوف لانه فعل موجب والموجب لاتدخل معه الالا تقول كرهت الازيدا وتقديره المستثنى منه ويأبى الله كل شئ الاأن يتم قاله الزجاج * وقال على بن سليمان جاز هذا فى أبى لانه منع وامتناع فضارعت النفى * وقال الكرمانى معنى أبى هنا لايرضى الاأن يتم نوره بدوام دينه الى أن تقوم الساعة * وقال الفراء دخلت الالان فى الكلام طرفا من الجحد * وقال الزمخشرى أجرى أبى مجرى لم يرد ألاترى كيف قوبل يريدون أن يطفئوا بقوله ويأبى الله وكيف أوقع موقع ولايريد الله الاأن يتم نوره ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ هو محمد صلى الله عليه وسلم والهدى التوحيد أو القرآن أو بيان الفرائض أقوال ثلاثة ودين الحق الاسلام ان الدين عند الله الاسلام والظاهر أن الضمير فى ليظهره عائد على الرسول لانه المحدث عنه والدين هنا جنس أى ليعليه على أهل الاديان كلهم فهو على حذف مضاف فهو صلى الله عليه وسلم غلبت أمته اليهود وأخرجوهم من بلاد العرب وغلبوا النصارى على بلاد الشام الى ناحية الروم والمغرب وغلبوا المجوس على ملكهم وغلبوا عباد الأصنام على كثير من بلادهم ممايلى الترك والهند وكذلك سائر الأديان * وقيل المعنى يطلعه على شرائع الدين حتى لايخفى عليه شئ منه فالدين هنا شرعه الذى جاء به * وقال الشافعى قد أظهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم على الأديان بان أبان لكل من سمعه انه الحق وماخالفه من الأديان باطل * وقيل الضمير يعود على الدين * فقال أبو هريرة والباقر وجابر بن عبد الله اظهار الدين عند نزول عيسى بن مريم ورجوع الأديان كلها الى دين الاسلام كانها ذهبت هذه الفرقة الى اظهاره على أتم وجوهه حتى لايبقى معه دين آخر * وقالت فرقة ليجعله أعلاها وأظهرها وان كان معه غيره كان دونه وهذا القول لايحتاج معه الى نزول عيسى بل كان هذا فى صدر الأمة وهو كذلك باق ان شاء الله تعالى * وقال السدى ذلك عند خروج المهدى لايبقى أحد الادخل فى الاسلام وأدى الخراج * وقيل مخصوص بجزيرة العرب وقد حصل ذلك ماأبقى فيها أحدا من الكفار * وقيل مخصوص بقرب الساعة فانه اذ ذاك يرجع الناس الى دين آبائهم * وقيل ليظهره بالحجة والبيان وضعف هذا القول لان ذلك كان حاصلا أول الأمر * وقيل نزلت على سبب وهو انه كان لقريش رحلتان رحلة الشتاء الى اليمن ورحلة الصيف الى الشام والعراقين فلما أسلموا انقطعت الرحلتان لمباينة الدين والدار فذكروا ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فالمعنى ليظهره على الدين كله فى بلاد الرحلتين وقد حصل هذا أسلم أهل اليمن وأهل الشام والعراقين وفى الحديث زويت لى الأرض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى مازوى لى منها * قال بعض العلماء ولذلك اتسع مجال الاسلام بالمشرق والمغرب ولم يتسع فى الجنوب انتهى ولاسيما اتساع الاسلام بالمشرق فى زماننا فقل مابقى فيه كافر بل أسلم معظم الترك التتار والخطا وكل من كان يناوى الاسلام ودخلوا فى دين الله أفواجا والحمد لله

بعد مامعناه النفى و ﴿أن يتم ﴾ فى موضع نصب ونظيره قول الشاعر

أبى الله الاعدله ووفاءه * فلاالنكر معروف ولا العرف ضائع

﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى﴾ الآية الظاهر أن الضمير فى ليظهره عائد على رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه المحدث عنه والدين هنا جنس أى ليعليه على أهل الاديان كلهم فهو على حذف مضاف فهو صلى الله عليه وسلم غلبت أمته اليهود وأخرجوهم من بلاد العرب وغلبوا النصارى على بلاد الشام الى ناحية الروم والمغرب وغلبوا المجوس على ملكهم وغلبوا عباد الاصنام على كثير من بلادهم ممايلى الترك والهند وكذلك سائر الأديان

وخص المشركون هنا بالذكر لما كانت كراهة مختصة بظهور دين محمد صلى الله عليه وسلم وخص الكافرون قبل لانها كراهة اتمام نور الله في قديم الدهر و باقيه يعم الكفرة من لدن خلق الدنيا الى انقراضها ووقعت الكراهة والاتمام مرارا كثيرة ﴿ ياأيها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل و يصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم * يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون * ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين * انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما و يحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين * ياأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل * إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما و يستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير * إلا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم * انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون * لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون * عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين * لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين * انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون * ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين * لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين * لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون * ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين * ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل و يتولوا وهم فرحون * قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون * قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون * قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين * وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله و برسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون * فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون * و يحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون * لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليهم وهم يجمحون * ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون * ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا الى الله راغبون * انما الصدقات للفقراء والمساكين

والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾ أصل الكنز في اللغة الضم والجمع ولا يختص بالذهب والفضة قال

لا در درّى ان أطعمت ضائعهم * قرف الحتى وعندى البر مكنوز

وقالوا رجل مكتنز الخلق أي مجتمعه * وقال الراجز

على شديد لحمه كناز * بات ينزيني على أوفاز

ثم غلب استعماله في العرف على المدفون من الذهب والفضة * الكى معروف وهو إلزاق الحار بعضو من البدن حتى يتمزق الجلد * والجبهة معروفة وهي صفحة أعلى الوجه * والغار معروف وهو نقر في الجبل يمكن الاستخفاء فيه * وقال ابن فارس الغار الكهف والغار نبت طيب الريح والغار الجماعة والغاران البطن والفرج * ثبطه عن الأمر أبطأ به عنه وناقة ثبطة أي بطيئة السير * وأصل التثبيط التعويق وهو أن يحول بين الانسان وبين أمر يريده بالتزهيد فيه * الزهق الخروج بصعوبة * قال الزجاج بالكسر خروج الروح * وقال الكسائي والمبرد زهقت نفسه وزهقت لغتان والزهق الهلاك وزهق الحجر من تحت حافر الدابة اذا ندر والزهوق البعد والزهوق البئر البعيدة المهواة * الملجأ مفعل من لجأ الى كذا انحاز والتجأ وألجأته الى كذا اضطررته * جمح نفر باسراع من قولهم فرس جموح أي لا يرده اللجام اذا حمل قال

سبوحا جموحا واحضارها * كمعمعة السعف الموقد

وقال مهلهل

وقد جمحت جماحا في دمائهم * حتى رأيت ذوى أجسامهم جمدوا

وقال آخر

اذا جمحت نساؤكم اليه * اشظ كأنه مسد مغار

جمز قفز * وقيل بمعنى جمح * قال رؤبة * قاربت بين عنقي وجمزى * اللمز قال الليث هو كالغمز في الوجه * وقال الجوهري العيب وأصله الاشارة بالعين ونحوها * وقال الأزهري أصل اللمز الدفع لمزته دفعته * الغرم أصله لزوم مايشق والغرام العذاب الشاق وسمى العشق غراما لكونه شاقا ولازما ﴿ ياأيها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ لما ذكر انهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ذكر ما هو كثير منهم تنقيصا من شأنهم وتحقيرا لهم وان مثل هؤلاء لاينبغي تعظيمهم فضلا عن اتخاذهم أربابا لما اشتملوا عليه من أكل المال بالباطل وصدهم عن سبيل الله واندرجوا في عموم الذين يكنزون الذهب والفضة فجمعوا بين الخصلتين المذمومتين أكل المال بالباطل وكنز المال ان ضنوا أن ينفقوها في سبيل الله وأكلهم المال بالباطل هو أخذهم من أموال اتباعهم ضرائب باسم الكنائس والبيع وغير ذلك مما يوهمونهم به ان النفقة فيه من الشرع والتقرب الى الله وهم يحجبون تلك الأموال كالراهب الذي استخرج سلمان كنزه وكما يأخذونه من الرشا في الأحكام كايهام حماية دينهم وصدهم عن سبيل الله هو دين الاسلام واتباع الرسول * وقيل الجور في الحكم ويحتمل أن يكون يصدون متعديا وهو أبلغ في الذم ويحتمل أن يكون قاصرا * وقرأ الجمهور والذين بالواو وهو عام يندرج فيه من يكنز من المسلمين وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط ولذلك دخلت الفاء في خبره في قوله فبشرهم * وقيل والذين يكنزون من أوصاف الكثير من الأحبار والرهبان * وروى هذا القول عن عثمان

﴿ياأيها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار ﴾ الآية لما ذكر تعالى أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ذكر ماعليه كثير منهم تنقيصا من شأنهم وتحقيرا وان مثل هؤلاء لاينبغي تعظيمهم فضلا عن اتخاذهم أربابا لما اشتملوا عليه من أكل المال بالباطل وصدهم عن سبيل الله واندراجهم في عموم الذين يكنزون الذهب والفضة لجمعوا بين الخصلتين الذميمتين أكل المال بالباطل وكنز المال وأكلهم المال بالباطل هو أخذهم من أموال اتباعهم ضرائب باسم الكنائس والبيع وغير ذلك مما يوهمونهم به أن النفقة فيه من الشرع والتقرب الى الله تعالى وصدهم عن سبيل الله هو دين الاسلام واتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين مبتدا اسم موصول ضمن معنى اسم الشرط فلذلك دخلت الفاء في خبره في قوله فبشرهم والضمير في لا ينفقونها عائد على المكنوزات الدال عليها الذهب والفضة

ومعاوية * وقيل كلام مبتدأ أراد به مانعي الزكاة من المسلمين * وروى هذا القول عن السدى والظاهر العموم كما قلناه فيقرن بين الكانزين من المسلمين و بين المرتشين من الاحبار والرهبان تغليظا ودلالة على انهم سواء في التبشير بالعذاب * وروى العموم عن أبي ذر وغيره * وقرأ ابن مصرف الذين بغير واو وهو ظاهر فى كونه من أوصاف من تقدم ويحتمل الاستئناف والعموم والظاهر ذم من يكنز ولا ينفق فى سبيل الله وما جاء فى ذم من ترك صفراء او بيضاء وانه يكوى بها الى غير ذلك من احاديث هو قبل أن تفرض الزكاة والتوعد فى الكنز انما وقع على منع الحقوق منه فلذلك قال كثير من العلماء الكنز هو المال الذى لا تؤدى زكاته وان كان على وجه الارض فأما المال المدفون اذا أخرجت زكاته فليس بكنز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما أديت زكاته فليس بكنز وعن عمر انه قال لرجل باع أرضا أحرز مالك الذى أخذت احفر له تحت فراش امرأتك فقال أليس بكنز فقال ما أدى زكاته فليس بكنز وعن ابن عمر وعكرمة والشعبي والسدى ومالك وجمهور أهل العلم مثل ذلك * وقال على أربعة آلاف فادونها نفقة وما زاد عليها فهو كنز وان أديت زكاته * وقال أبو ذر وجماعة معه ما فضل من مال الرجل عن حاجة نفسه فهو كنز وهذان القولان يقتضيان أن الذم فى جنس المال لا فى منع الزكاة فقط * وقال عمر بن عبد العزيز هى منسوخة بقوله خذ من أموالهم صدقة فأتى فرض الزكاة على هذا كله كأن الآية تضمنت لا تجمعوا مالا فتعذبوا فنسخه التقرير الذى فى قوله خذ من أموالهم صدقة والله تعالى أكرم من أن يجمع على عبده مالا من جهة أذن له فيها ويؤدى عنه ما أوجبه عليه فيه ثم يعاقبه وكان كثير من الصحابة رضوان الله عليهم كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الأموال ويتصرفون فيها وما عابهم أحد ممن أعرض عن الفتنة لان الاعراض اختيار للأفضل والادخل فى الورع والزهد فى الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه وما روى عن على كلام فى الأفضل وقرأ أبو السمال ويحيى بن يعمر يكنزون بضم الياء وخص بالذكر الذهب والفضة من بين سائر الاموال لانهما قيم الاموال وأثمانها وهما لا يكنزان الا عن فضلة وعن كثرة ومن كنزهما لم يعدم سائر أجناس الاموال وكنزهما يدل على ما سواهما والضمير فى ولا ينفقونها عائد على الذهب لان تأنيثه أشهر أو على الفضة وحذف المعطوف فى هذين القولين أو عليهما باعتبار أن تحتهما أنواعا فروعى المعنى كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا أو لانهما محتويان على جمع دنانير ودراهم أو على المكنوزات لدلالة يكنزون أو على الأموال أو على النفقة وهى المصدر الدال عليه ولا ينفقونها أو على الزكاة أى ولا ينفقون زكاة الاموال أقوال وقال كثير من المفسرين عاد على أحدهما كقوله واذا رأوا تجارة أو لهوا وليس مثله لان هذا عطف بأو وحكمها ان الضمير يعود على أحد المتعاطفين بخلاف الواو الا أن ادعى ان الواو فى والفضة بمعنى أو فيمكن وهو خلاف الظاهر ﴿يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ يقال حميت الحديدة فى النار أى أوقدت عليها لتحمى وتقول أحميتها أدخلتها لكى تحمى أيضا فحميت * وقرأ الجمهور يوم يحمى عليها بالياء أصله يحمى النار عليها فلما حذف المفعول الذى لم يسم فاعله وأسند الفعل الى الجملة والمجرور لم تلحق التاء كما تقول رفعت القصة الى الامير واذا حذفت القصة وقام الجار والمجرور مقامها قلت رفع الى الامير و يدل على ان ذلك فى الاصل مسند الى النار قراءة الحسن وابن عامر فى رواية تحمى بالتاء * وقيل من قرأ بالياء فالمعنى يحمى الوقود ومن قرأ بالتاء فالمعنى تحمى النار والناصب ليوم أليم أو مضمر

﴿يوم يحمى عليها﴾ يوم منصوب بقوله أليم والضمير فى عليها عائد على المكنوزات يوقد عليها فى نار جهنم اذ يجوز أن يخلق الله تلك المكنوزات فيحمى عليها ﴿فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم﴾ وخصت هذه المواضع بالكى لانه فى الجبهة أشنع وفى الجنب والظهر أوجع ولانها مجوفة فتصل الى أجوافهم النار بخلاف اليد والرجل ﴿هذا ما كنزتم﴾ هو على اضمار قول تقديره فيقال لهم هذا اشارة الى المصدر المفهوم من قوله فتكوى أى هذا الكى جزاء ما كنزتم

﴿ان عدة الشهور﴾ الآية كانت العرب لاعيش لا كثرها الامن الغارات واعمال سلاحها فكانت اذا توالت عليهم الأربعة الحرم صعب عليهم وأملقوا وكان بنو فقيم من كنانة أهل دين وتمسك بشرع ابراهيم عليه السلام فانتدب منهم القلمس وهو حذيفة ابن عبيد بن فقيم فنسأ الشهور للعرب ثم خلفه على ذلك ابنه عباد ثم ابنه قلع ثم ابنه أمية ثم ابنه عوف ثم ابنه جنادة بن عوف وعليه قام الاسلام وكانت العرب اذا فرغت من حجها جاء اليه من شاء منهم مجتمعين فقالوا أنسئنا شهرا أى أخر عنا حرمة الشهر المحرم فاجعلها فى صفر فيحل المحرم فيغيرون فيه ويعيشون ثم يلتزمون حرمة صفر ليوافقوا عدة الأشهر الأربعة الحرم ويسمون ذلك الصفر المحرم ويسمون ربيعا الاول صفرا وربيعا الآخر ربيعا الاول وهكذا فى سائر الشهور يستقبلون نسيئهم فى المحرم الموضوع لهم فيسقط على هذا حكم المحرم الذى حلل لهم وتجئ السنة من ثلاثة عشر شهرا أولها المحرم المحلل ثم المحرم الذى هو فى الحقيقة صفر ثم استقبال السنة كما ذكرنا قال مجاهد ثم كانوا يحجون من كل عام شهرين ولاء وبعد ذلك يبدلون فيحجون عامين ولاء ثم كذلك حتى كانت حجة أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى ذى القعدة حقيقة وهم يسمونه ذا الحجة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر فى ذى الحجة حقيقة فلذلك قوله ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا أربعة حرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان * ومناسبة هذه الآية لما قبلها انه تعالى لما ذكر أنواعا من قبائح أهل الشرك وأهل الكتاب ذكر أيضا نوعا منه وهو تغيير العرب أحكام الله تعالى لانه حكم فى وقت بحكم خاص فاذا غيروا ذلك الوقت فقد غيروا حكم الله تعالى والشهور جمع كثرة وأعاد الضمير عليها كاعادته على الواحدة المؤنثة فقال منها أى من تلك الشهور ولما كانت الأربعة الحرم للقلة عاد الضمير عليها بالنون فى قوله فيهن تقول العرب الجذوع انكسرت لانه جمع كثرة والاجذاع انكسرن لانه جمع قلة وانتصب كافة على الحال من الفاعل أو المفعول ومعناه جميعا ولا يثنى ولا يجمع ولا تدخله أل ولا يتصرف فيها بغير الحال وتقدم بسط الكلام فيها عند قوله تعالى ادخلوا فى السلم كافة فاغنى عن اعادته والمعية بالنصر والتأييد وفى ضمنه الأمر بالتقوى والحث عليها

يفسره عذاب أى يعذبون يوم يحمى * وقرأ أبو حيوة فيكوى بالياء لما كان ما أسند اليه ليس تأنيثه حقيقيا ووقع الفصل أيضا ذكر وأدغم قوم جباههم وهى مروية عن أبى عمرو وذلك فى الادغام الكبير كما أدغم مناسككم وما سلككم وخصت هذه المواضع بالكى * قيل لانه فى الجبهة أشنع وفى الجنب والظهر أوجع * وقيل لانها مجوفة فيصل الى أجوافها الحر بخلاف اليد والرجل * وقيل معناه يكوون على الجهات الثلاث مقاديمهم ومآخرهم وجنوبهم * وقيل لما طلبوا المال والجاه شان الله وجوههم ولما طووا كشحا عن الفقير اذا جالسهم كويت ظهورهم * وقال الزمخشرى لانهم لم يطلبوا بأموالهم حيث لم ينفقوها فى سبيل الله تعالى الا الاغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم وأن يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالاكرام ويحتشمون ومن أكل طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم كما ترى أغنياء زمانك هذه أغراضهم وطلباتهم من أموالهم لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالأجور * وقيل لانهم كانوا اذا أبصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا بأركانهم وولوا ظهورهم وأضمر القول فى هذا ما كنزتم أى يقال لهم وقت الكى والاشارة بهذا الى المال المكنوز أو اشارة الى الكى على حذف مضاف من ما كنزتم أى هذا الكى نتيجة ما كنزتم أو ثمرة ما كنزتم ومعنى لانفسكم لتنتفع به أنفسكم وتلتذ فصار عذابا لكم وهذا القول توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم أى وبال المال الذى كنتم تكنزون ويجوز ان تكون ما مصدرية أى وبال كونكم كانزين * وقرئ يكنزون بضم النون وفى حديث أبى ذر بشر الكانزين برصف يحمى عليها فى نار جهنم فيوضع على حلمة ثدييه وتزلزله وتكوى الجباه والجنوب والظهور حتى يلتقى الحر فى أجوافهم وفى صحيح البخارى وصحيح مسلم الوعيد الشديد لمانع الزكاة ﴿ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ كانت العرب لاعيش لاكثرها الامن الغارات وأعمال سلاحها فكانت اذا توالت عليهم الاربعة الحرم صعب عليهم وأملقوا وكان بنو فقيم من كنانة أهل دين وتمسك بشرع ابراهيم عليه السلام فانتدب منهم القلمس وهو حذيفة بن عبيد بن فقيم فنسأ

الشهور للعرب ثم خلفه على ذلك ابنه عباد ثم ابنه قلع ثم ابنه أمية ثم ابنه عوف ثم ابنه جنادة بن عوف وعليه قام الاسلام وكانت العرب اذا فرغت من حجها جاء اليه من شاء منهم مجتمعين فقالوا أنسئنا شهرا أى أخر عنا حرمة المحرم فاجعلها فى صفر فيحل لهم المحرم فيغيرون فيه ويعيشون ثم يلزمون حرمة صفر ليوافقوا عدة الاشهر الاربعة ويسمون ذلك الصفر المحرم ويسمون ربيعا الاول صفرا وربيعا الآخر ربيعا الاول وهكذا فى سائر الشهور يستقبلون نسيئهم فى المحرم الموضوع لهم فيسقط على هذا حكم المحرم الذى حلل لهم وتجىء السنة من ثلاثة عشر شهرا أولها المحرم المحلل ثم المحرم الذى هو فى الحقيقة صفر ثم استقبال السنة كما ذكرنا * قال مجاهد ثم كانوا يحجون فى كل عام شهرين ولاء وبعد ذلك يبدلون فيحجون عامين ولاء ثم كذلك حتى كانت حجة أبى بكر فى ذى القعدة حقيقة وهم يسمونه ذا الحجة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر فى ذى الحجة حقيقة فذلك قوله ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا أربعة حرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان * ومناسبة هذه الآية انه لما ذكر أنواعا من قبائح أهل الشرك وأهل الكتاب ذكر أيضا نوعا منه وهو تغيير العرب أحكام الله تعالى لانه حكم فى وقت بحكم خاص فاذا غيروا ذلك الوقت فقد غيروا حكم الله والشهور جمع كثرة لما كانت أزيد من عشرة بخلاف قوله الحج أشهر معلومات لجاء بلفظ جمع القلة والمعنى شهور السنة القمرية لانهم كانوا يؤرخون بالسنة القمرية لا الشمسية توارثوه عن اسماعيل وابراهيم ومعنى عند الله أى فى حكمه وتقديره كما تقول هذا عند أبى حنيفة * وقيل التقدير عدة الشهور التى تسمى سنة واثنا عشر لانهم جعلوا أشهر العام ثلاثة عشر * وقرأ ابن القعقاع وهبيرة عن حفص باسكان العين مع اثبات الألف وهو جمع بين ساكنين على غير حده كما روى التقت حلقتا البطان باثبات ألف حلقتا * وقرأ طلحة باسكان الشين وانتصب شهرا على التمييز المؤكد كقولك عندى من الرجال عشرون رجلا ومعنى فى كتاب الله قال ابن عباس هو اللوح المحفوظ * وقيل فى ايجاب الله * وقيل فى حكمه * وقيل فى القرآن لأن السنة المعتبرة فى هذه الشريعة هى السنة القمرية وهذا الحكم فى القرآن قال تعالى والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب وقال يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج * قال ابن عطية أى فيما كتبه وأثبته فى اللوح المحفوظ وغيره فهى صفة فعل مثل خلقه ورزقه وليس بمعنى قضائه وتقديره لان تلك هى قبل خلق السموات والأرض انتهى وعند الله متعلق بعدة * وقال الحوفى فى كتاب الله متعلق بعدة يوم خلق السموات والأرض متعلق أيضا بعدة * وقال أبو على لا يجوز أن يتعلق قوله فى كتاب الله بعدة لأنه يقتضى الفصل بين الصلة والموصول بالخبر الذى هو اثنا عشر شهرا ولأنه لا يجوز انتهى وهو كلام صحيح * وقال أبو البقاء عدة مصدر مثل العدد وفى كتاب الله صفة لاثنا عشر ويوم معمول لكتاب على أن يكون مصدرا لا جثة ويجوز أن يكون جثة ويكون العامل فى يوم معنى الاستقرار انتهى * وقيل انتصب يوم بفعل محذوف أى كتب ذلك يوم خلق السموات ولما كانت أشياء توصف بكونها عند الله ولا يقال فيها انها مكتوبة فى كتاب الله كقوله ان الله عنده علم الساعة جمع هنا بينهما اذ لاتعارض والضمير فى منها عائد على اثنا عشر لانه أقرب لا على الشهور وهى فى موضع الصفة لاثنا عشر وفى موضع الحال من ضمير فى مستقر وأربعة حرم سميت حرما لتحريم القتال فيها أو لتعظيم انتهاك المحارم فيها وتسكين الراء لغة وذكر ابن قتيبة عن بعضهم انها الاشهر التى أجل المشركون فيها

أن يسبحوا والصحيح أنها رجب وذو القعدة وذوا الحجة والمحرم وأولها عند كثير من العلماء رجب فيكون من سنتين * وقال قوم أولها المحرم فيكون من سنة واحدة ذلك الدين القيم أي القضاء المستقيم قاله ابن عباس * وقيل العدد الصحيح * وقيل الشرع القويم اذ هو دين ابراهيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم الضمير في فيهن عائد على الاثنا عشر شهرا قاله ابن عباس والمعنى لا تجعلوا حلالا حراما ولا حراما حلالا كفعل النسيء ويؤيده كون الظلم منهيا عنه في كل وقت لا يختص بالاربعة الحرم * وقال قتادة والفراء هو عائد على الأربعة الحرم نهى عن المظالم فيها تشريفا لها وتعظيما بالتخصيص بالذكر وان كانت المظالم منهيا عنها في كل زمان * وقال الزمخشري فلا تظلموا فيهن أي في الأشهر الحرم أي تجعلوا حرامها حلالا وعن عطاء الخراساني أحلت القتال في الأشهر الحرم براءة من الله ورسوله * وقيل معناه لا تأثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم أشهر الحج بقوله تعالى فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وان كان ذلك محرما في سائر الشهور انتهى ويؤيد عوده على الأربعة الحرم كونها أقرب مذكور وكون الضمير جاء بلفظ فيهن ولم يجئ بلفظ فيها كما جاء منها أربعة حرم لانه قد تقرر في علم العربية أن الهاء تكون لما زاد على العشرة تعامل في الضمير معاملة الواحدة المؤنثة فتقول الجذوع انكسرت وأن النون والهاء والنون للعشرة فما دونها الى الثلاثة تقول الاجذاع انكسرن هذا هو الصحيح وقد يعكس قليلا فتقول الجذوع انكسرن والاجذاع انكسرت والظلم بالمعاصي أو بالنسيء في تحليل شهر محرم وتحريم شهر حلال أو بالبداءة بالقتال أو بترك المحارم لعدكم أقوال وانتصب كافة على الحال من الفاعل أو من المفعول ومعناه جميعا ولا يثنى ولا يجمع ولا تدخله أل ولا يتصرف فيها بغير الحال وتقدم بسط الكلام فيها في قوله ادخلوا في السلم كافة فأغنى عن اعادته والمعية بالنصر والتأييد وفي ضمنه الأمر بالتقوى والحث عليها ﴿ انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ يقال نسأه وأنسأه اذا أخره حكاه الكسائي * قال الجوهري وأبو حاتم النسيء فعيل بمعنى مفعول من نسأت الشئ فهو منسوء اذا أخرته ثم حول الى نسيء كما حول مقتول الى قتيل ورجل ناسئ وقوم نسأة مثل فاسق وفسقة انتهى * وقيل النسيء مصدر من أنسأ كالنذير من أنذر والنكير من أنكر وهو ظاهر قول الزمخشري لانه قال النسيء تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر * وقال الطبري النسيء بالهمز معناه الزيادة انتهى فاذا قلت أنسأ الله الله أجله بمعنى أخر لزم من ذلك الزيادة في الاجل فليس النسيء مرادفا للزيادة بل قد يكون منفردا عنها في بعض المواضع واذا كان النسيء مصدرا كان الاخبار عنه بمصدر واضحا واذا كان بمعنى مفعول فلا بد من اضمار إما في النسيء أي ان نسأ النسيء أو في زيادة أي ذو زيادة وبتقدير هذا الاضمار يرد على ما يرد على قوله ولا يجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول لانه يكون المعنى انما المؤخر زيادة والمؤخر الشهر ولا يكون الشهر زيادة في الكفر * وقرأ الجمهور النسيء مهموزا على وزن فعيل * وقرأ الزهري وحميد وأبو جعفر وورش عن نافع والحلواني النسيّ بتشديد الياء من غير همز وروى ذلك عن ابن كثير سهل الهمزة بابدالها ياء وأدغم الياء فيها كما فعلوا في نبيء وخطيئة فقالوا نبي وخطية بالابدال والادغام وفي كتاب اللوامح قرأ جعفر بن محمد والزهري والاشهب النسي بالياء من غير همز مثل الندى * وقرأ السلمي وطلحة والاشهب وشبل النسء

﴿ انما النسيء زيادة في الكفر ﴾ الآية قرئ النسيء مهموزا على وزن فعيل وقرئ النسيّ بتشديد الياء من غير همز وتقدم الكلام عليها في قوله أو ننسها في البقرة زيادة في الكفر جاءت مع كفرهم بالله تعالى لان الكافر اذا أحدث معصية ازداد كفرا والضمير في به عائد على النسيء واللام في ليواطئوا متعلقة بقوله ويحرمونه وذلك على طريق الاعمال ومعنى ليواطئوا أي ليحفظوا في كل عام أربعة أشهر في العدد فازالوا الفضيلة التي خص الله بها الاشهر الحرم وحفظوا العدة وحدها بمثابة أن يفطر رمضان ويصوم شهرا من السنة بغير مرض أو سفر

باسكان السين * وقرأ مجاهد النسوء على وزن فعول بفتح الفاء وهو التأخير وروبت هذه عن طلحة والسلمي وقول أبي وائل ان النسيء رجل من بني كنانة قول ضعيف وقول الشاعر

أنسنا الناسئين على معدّ * شهور الحل نجعلها حراما

* وقال آخر *

نسؤ الشهور بها وكانوا أهلها * من قبلكم والعز لم يتحول

وأخبر أن النسيء زيادة في الكفر أي جاءت مع كفرهم بالله لان الكافر اذا أحدث معصية ازداد كفرا كما قال تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم كما أن المؤمن اذا أحدث طاعة ازداد ايمانا كما قال تعالى فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأعاد الضمير في به على النسيء لا على لفظ زيادة * وقرأ ابن مسعود والاخوان وحفص يضل مبنيا للمفعول وهو مناسب لقوله زين وباقي السبعة مبنيا للفاعل وابن مسعود في رواية والحسن ومجاهد وقتادة وعمرو بن ميمون ويعقوب يضل أي الله أي يضل به الذين كفروا اتباعهم وروبت هذه القراءة عن الحسن والاعمش وأبي عمرو وأبي رجاء * وقرأ أبو رجاء يضل بفتحتين من ضللت بكسر اللام أضل بفتح الضاد منقولا فتحها من فتحة اللام اذ الاصل أضلل * وقرأ النخعي ومحبوب عن الحسن نضل بالنون المضمومة وكسر الضاد أي نضل نحن ومعنى تحريمهم عاما وتحليلهم عاما لا يراد ان ذلك كان مداولة في الشهر بعينه عام حلال وعام حرام وقد تأول بعض الناس القصة على أنهم كانوا اذا شق عليهم توالي الاشهر الحرم أحل لهم المحرم وحرم صفرا بدلا من المحرم ثم مشت الشهور مستقيمة على أسمائها المعهودة فاذا كان من قابل حرم المحرم على حقيقته وأحل صفر ومشت الشهور مستقيمة وان هذه كانت حال القوم وتقدم لنا ان الذي انتدب أولا للنسيء القلمس * وقال ابن عباس وقتادة والضحاك الذين شرعوا النسيء هم بنو مالك من كنانة وكانوا ثلاثة وعن ابن عباس ان أول من فعل ذلك عمرو بن لحي وهو أول من سيب السوائب وغير دين ابراهيم * وقال الكلبي أول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة والمواطأة الموافقة أي ليوافقوا العدة التي حرم الله وهي الاربعة ولا يخالفونها وقد خالفوا التخصيص الذي هو أصل الواجبين والواجبان هما العدد الذي هو أربعة في أشخاص أشهر معلومة وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم كما تقدم ويقال تواطؤا على كذا اذا اجتمعوا عليه كان كل واحد منهم يطأ حيث يطأ صاحبه ومنه الايطاء في الشعر وهو أن يأتي في الشعر بقافيتين على لفظ واحد ومعنى واحد وهو عيب ان تقارب واللام في ليواطئوا متعلقة بقوله ويحرمونه وذلك على طريق الاعمال ومن قال انه متعلق بيحلونه ويحرمونه معا فانه يريد من حيث المعنى لا من حيث الاعراب * قال ابن عطية ليحفظوا في كل عام أربعة أشهر في العدد فأزالوا الفضيلة التي خص الله بها الاشهر الحرم وحدها بمثابة أن يفطر رمضان ويصوم شهرا من السنة بغير مرض أو سفر انتهى * وقرأ الاعمش وأبو جعفر ليواطيوا بالياء المضمومة لما أبدل من الهمزة ياء عامل البدل معاملة المبدل منه والاصح ضم الطاء وحذف الياء لأنه أخلص الهمزة ياء خالصة عند التخفيف فسكنت لاستثقال الضمة عليها وذهبت لالتقاء الساكنين وبدلت كسرة الطاء ضمة لأجل الواو التي هي ضمير الجماعة كما قيل في رضيوا رضوا وجاء عن الزهري ليواطيوا بتشديد الياء هكذا الترجمة عنه * قال صاحب اللوامح فان لم يرد به شدة بيان الياء وتخليصها من الهمز دون التضعيف فلا أعرف وجهه انتهى فيحلوا ما حرم الله أي بمواطأة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله تعالى من القتال أو من ترك الاختصاص

﴿ ياأيها الذين آمنوا مالكم ﴾ الآية لما أمر تعالى رسوله بغزوة تبوك وكان زمان جدب وحر شديد وقد طابت الثمار عظم ذلك على الناس وأحبوا المقام نزلت عتابا على من تخلف عن هذه الغزوة وكانت سنة تسع من الهجرة بعد الفتح بعام غزا فيها الروم في عشرين ألفا من راجل وراكب وتخلف عنه قبائل من الناس ورجال من المؤمنين كثير ومنافقون وخص الثلاثة بالعتاب الشديد بحسب مكانهم من الصحبة اذهم من أهل بدر وممن يقتدى بهم وكان تخلفهم عن غير علة حسبما يأتي الكلام عليه ان شاء الله ولما شرح معايب الكفار رغب في مقاتلتهم وما لكم استفهام معناه الانكار والتقريع وبني قيل للمفعول والقائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذكر اغلاظا ومخاشنة لهم وصونا لذكره اذ أخلد الى الهوينا والدعة من أخلد وخالف أمره عليه السلام ومعنى اثاقلتم الى الارض ملتم الى شهوات الدنيا حين أخرجت الارض ثمارها وكرهتم مشاق السفر وقيل ملتم الى الاقامة بأرضكم ولما ضمن معنى الميل والاخلاد عدي بالى وفي قوله أرضيتم نوع من الانكار والتعجب أي أرضيتم بالنعيم العاجل في الدنيا الزائل بدل النعيم الباقي ومن تظافرت

أقوال المفسرين على انها بمعنى بدل أي بدل الآخرة كقوله تعالى لجعلنا منكم ملائكة أي بدلا منكم ومنه قول الشاعر فليت لنا من ماء زمزم شربة * مبردة باتت على طهيان أي بدلا من ماء زمزم والطهيان عود ينصب في ناحية الدار للهواء تعلق فيه أوعية الماء حتى يبرد وأصحابنا لا يثبتون ان من تكون للبدل ويتعلق في الآخرة بمحذوف تقديره فما متاع الحياة الدنيا محسوبا في نعيم الآخرة

للاشهر بعينها * وقرأ الجمهور زين لهم سوء أعمالهم مبنيا للمفعول والأولى أن يكون المنسوب اليه التزيين الشيطان لأن ما أخبر به عنهم سيق في المبالغة في معرض الذم * وقرأ زيد بن علي زين لهم سوء بفتح الزاي والياء والهمزة والأولى أن يكون زين لهم ذلك الفعل سوء أعمالهم * قال الزمخشري خذلهم الله تعالى فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهدي أي لا يلطف بهم بل يخذلهم انتهى وفيه دسيسة الاعتزال * وقال أبو علي لا يهديهم الى طريق الجنة والثواب * وقال الاصم لا يحكم لهم بالهداية * وقيل لا يفعل بهم خيرا والعرب تسمي كل خير هدى وكل شر ضلالة انتهى وهذا اخبار عمن سبق في علمه انهم لا يهتدون ﴿ ياأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل ﴾ لما أمر الله رسوله بغزاة تبوك وكان زمان جدب وحر شديد وقد طابت الثمار عظم ذلك على الناس وأحبوا المقام نزلت عتابا على من تخلف عن هذه الغزوة وكانت سنة تسع من الهجرة بعد الفتح بعام غزا فيها الروم في عشرين ألفا من راكب وراجل وتخلف عنه قبائل من الناس ورجال من المؤمنين كثير ومنافقون وخص الثلاثة بالعتاب الشديد بحسب مكانهم من الصحبة إذهم من أهل بدر وممن يقتدى بهم وكان تخلفهم لغير علة حسبما يأتي ان شاء الله تعالى ولما شرح معايب الكفار رغب في مقاتلتهم ومالكم استفهام معناه الانكار والتقريع وبني قيل للمفعول والقائل هو الرسول صلى الله عليه وسلم لم يذكر اغلاظا ومخاشنة لهم وصونا لذكره اذ أخلد الى الهوينا والدعة من أخلد وخالف أمره صلى الله عليه وسلم * وقرأ الاعمش تثاقلتم وهو أصل قراءة الجمهور اثاقلتم وهو ماض بمعنى المضارع وهو في موضع الحال وهو عامل في اذا أي مالكم تتثاقلون اذا قيل لكم انفروا * وقال أبو البقاء الماضي هنا بمعنى المضارع أي مالكم تتثاقلون وموضعه نصب أي أي شئ لكم في التثاقل أو في موضع جر على مذهب الخليل انتهى وهذا ليس بجيد لأنه يلزم منه حذف ان لأنه لا ينسبك مصدر الا من حرف مصدري والفعل وحذف أن في نحو هذا قليل جدا أو ضرورة واذا كان التقدير في التثاقل فلا يمكن عمله في اذا لأن معمول المصدر الموصول لا يتقدم عليه فيكون الناصب لاذا والمتعلق به في التثاقل ما هو معلوم لكم الواقع خبرا لما * وقرئ اثاقلتم على الاستفهام الذي معناه الانكار والتوبيخ ولا يمكن أن يعمل في اذا ما بعد حرف الاستفهام فقال الزمخشري يعمل فيه ما دل عليه أو ما في مالكم من معنى الفعل كأنه قال ما تصنعون اذا قيل لكم كما تعمله في الحال اذا قلت مالك قائما والاظهر أن يكون التقدير مالكم تتثاقلون اذا قيل لكم انفروا وحذف لدلالة اثاقلتم عليه ومعنى اثاقلتم الى الارض ملتم الى شهوات الدنيا حين أخرجت الارض ثمارها قاله مجاهد وكرهتم مشاق السفر * وقيل ملتم الى الاقامة بأرضكم قاله الزجاج ولما ضمن معنى الميل والاخلاد عدي بالى وفي قوله أرضيتم نوع من الانكار والتعجب أي أرضيتم بالنعيم العاجل في الدنيا الزائل بدل النعيم الباقي ومن تظافرت أقوال المفسرين على أنها بمعنى بدل أي بدل الآخرة كقوله لجعلنا منكم ملائكة أي بدلا منكم ومنه

﴿إلا تنفروا يعذبكم﴾ الآية هذا وعيد للمتثاقلين عظيم حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم ويستبدل قوما آخرين خيرا منهم وأطوع وانه غني عنهم في نصرة دينه لايقدح تثاقلهم فيها شيئا ﴿الا تنصروه فقد نصره الله﴾ الآية الا تنصروه وفيه انتفاء النصر باى طريق كان من نفر أوغيره وجواب الشرط محذوف تقديره فسينصره الله ويدل عليه فقد نصره الله أي ينصره في المستقبل كما نصره في الماضي ومعنى اخراج الذين كفروا اياه فعلهم به مايؤدي الى الخروج والاشارة الى خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ونسب الاخراج اليهم مجازا كما نسب في قوله التي أخرجتك وقصة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر مذكورة في السير وانتصب ثاني اثنين على الحال أي أحد اثنين وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وروى انه لما أمر بالخروج قال

لجبريل عليه السلام من يخرج معي قال أبو بكر وقال الليث ماصحب الأنبياء عليهم السلام مثل أبي بكر وقال سفيان بن عيينة خرج أبو بكر رضي الله عنه بهذه الآية من المعاتبة التي في قوله الا تنصروه وقال ابن عطية بل خرج منها كل من شاهد غزوة تبوك وانما المعاتبة لمن تخلف فقط وهذه الآية منوهة بقدر أبي بكر وتقدمه وسابقته في الاسلام وفيها ترغيبهم في الجهاد ونصر دين الله اذ بين فيها ان الله ينصره كما نصره اذ كان في الغار وليس معه أحد فيه سوى أبي بكر رضي الله عنه والغار نقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكث صلى الله عليه وسلم فيه ثلاثا ﴿اذهما في الغار﴾ بدل واذ يقول بدل ثان وقال العلماء من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله تعالى وليس ذلك لسائر الصحابة وكان سبب حزن أبي بكر خوفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاه رسول الله تسكينا لقلبه وأخبره بقوله ﴿ان الله معنا﴾ يعني بالمعونة والنصر وقال أبو بكر يارسول الله ان قتلت فأنا رجل واحد وان قتلت هلكت الأمة وذهب دين الله فقال صلى الله عليه وسلم ماظنك باثنين الله ثالثهما وقال أبو بكر رضي الله عنه قال النبي ولم يجزع يوقرني *

قول الشاعر فليت لنا من ماء زمزم شربة * مبردة باتت على طهيان

أي بدلا من ماء زمزم والطهيان عود ينصب في ناحية الدار للهواء تعلق فيه أوعية الماء حتى تبرد وأصحابنا لايثبتون ان تكون من للبدل ويتعلق في الآخرة بمحذوف التقدير فما متاع الحياة الدنيا محسوبا في نعيم الآخرة * وقال الحوفي في الآخرة متعلق بقليل وقليل خبر الابتداء وصلح أن يعمل في الظرف مقدما لأن رائحة الفعل تعمل في الظرف ولو قلت مازيدا عمرا الا يضرب لم يجز ﴿الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيأ والله على كل شئ قدير﴾ هذا سخط على المتثاقلين عظيم حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم ويستبدل قوما آخرين خيرا منهم وأطوع وانه غني عنهم في نصرة دينه لايقدح تثاقلهم فيها شيأ * وقيل يعذبكم بامساك المطر عنكم * وروى عن ابن عباس انه قال استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيلة فقعدت فأمسك الله عنها المطر وعذبها به والمستبدل الموعود بهم * قال جماعة أهل اليمن * وقال ابن جبير أبناء فارس * وقال ابن عباس هم التابعون والظاهر مستغن عن التخصيص * وقال الاصم معناه انه تعالى يخرج رسوله من بين أظهرهم الى المدينة * قال القاضي وهذا ضعيف لأن اللفظ لادلالة فيه على أنه ينتقل من المدينة الى غيرها ولا يمتنع أن يظهر في المدينة أقواما يعينونه على الغزو ولا يمتنع أن يعينه بأقوام من الملائكة أيضا حال كونه هناك والضمير في ولا تضروه شيأ عائد على الله تعالى أي ولا تضروا دينه شيأ وقيل على الرسول لانه تعالى قد عصمه ووعده بالنصر ووعده كائن لامحالة ولما رتب على انتفاء نفرهم التعذيب والاستبدال وانتفاء الضرر أخبر تعالى انه على كل شئ تتعلق ارادته به قدير من التعذيب والتغيير وغير ذلك ﴿الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذهما في الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا﴾ الا تنصروه فيه انتفاء النصر بأي طريق كان من نفر أوغيره وجواب الشرط محذوف تقديره فسينصره ويدل عليه فقد نصره الله أي ينصره في المستقبل كما نصره في الماضي

(الدر) فقد نصره الله (ح) جواب الشرط محذوف تقديره فسينصره الله ويدل عليه قوله فقد نصره الله أي ينصره في المستقبل كما نصره في الماضي (ش) فان قلت كيف يكون قوله تعالى فقد نصره الله جوابا للشرط * قلت فيه وجهان أحدهما فسينصره الله وذكر معنى ما قدمناه والثاني انه تعالى أوجب له النصر وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده انتهى (ح) هذا لايظهر منه جواب الشرط لان ايجاب النصرة له أمر سبق والماضي لايترتب على المستقبل فالذي يظهر الوجه الاول

* وقال الزمخشري (فان قلت) كيف يكون قوله تعالى فقد نصره الله جوابا للشرط (قلت) فيه وجهان أحدهما فسينصره وذكر معنى ماقدمناه * والثاني انه تعالى أوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت فلم يخذل من بعده انتهى وهذا لايظهر منه جواب الشرط لان ايجاب النصرة له أمر سبق والماضي لايترتب على المستقبل فالذي يظهر الوجه الاول ومعنى اخراج الذين كفروا اياه فعلهم به مايؤدي الى الخروج والاشارة الى خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ونسب الاخراج اليهم مجازا كما نسب في قوله التي أخرجتك وقصة خروج الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر مذكورة في السير وانتصب ثاني اثنين على الحال أي أحد اثنين وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه * وروي انه لما أمر بالخروج قال لجبريل عليه السلام من يخرج معي قال أبو بكر * وقال الليث ماصحب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مثل أبي بكر * وقال سفيان بن عيينة خرج أبو بكر بهذه الآية من المعاتبة التي في قوله الاتنصروه * قال ابن عطية بل خرج منها كل من شاهد غزوة تبوك وانما المعاتبة لمن تخلف فقط وهذه الآية منوهة بقدر أبي بكر وتقدمه وسابقته في الاسلام وفي هذه الآية ترغيبهم في الجهاد ونصرة دين الله اذبين فيها ان الله ينصره كما نصره اذ كان في الغار وليس معه فيه أحد سوى أبي بكر وقرأت فرقة ثاني اثنين بسكون ياء ثاني * قال ابن جني حكاها أبو عمرو ووجهه انه سكن الياء تشبيها لها بالألف والغار نقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكث فيه ثلاثا اذهما بدل واذ يقول بدل ثان * وقال العلماء من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله تعالى وليس ذلك لسائر الصحابة وكان سبب حزن أبي بكر خوفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاه الرسول تسكينا لقلبه وأخبره بقوله ان الله معنا يعني بالمعونة والنصر * وقال أبو بكر يارسول الله ان قتلت فانا رجل واحد وان قتلت هلكت الامة وذهب دين الله فقال صلى الله عليه وسلم ماظنك باثنين الله ثالثهما * وقال أبو بكر رضي الله عنه

قال النبي ولم يجزع يوقرني * ونحن في سدف من ظلمة الغار
لا تخش شيأ فان الله ثالثنا * وقد تكفل لي منه باظهار
وانما كيد من تخشى بوارده * كيد الشياطين قد كادت لكفار
والله مهلكهم طرا بما صنعوا * وجاعل المنتهى منهم الى النار

﴿فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾ قال ابن عباس السكينة الرحة * وقال قتادة في آخرين الوقار * وقال ابن قتيبة الطمأنينة وهذه الاقوال متقاربة والضمير في عليه عائد على صاحبه قاله حبيب بن أبي ثابت أو على الرسول قاله الجمهور أو عليهما وأفرده لتلازمهما ويؤيده ان في مصحف حفصة فأنزل الله سكينته عليهما وأيدهما والجنود الملائكة يوم بدر والاحزاب وحنين * وقيل ذلك الوقت يلقون البشارة في قلبه ويصرفون وجوه الكفار عنه والظاهر أن الضمير عليه عائد على أبي بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان ثابت الجأش ولذلك قال لاتحزن ان الله معنا وأن الضمير في وأيده عائد على الرسول صلى الله عليه وسلم كما جاء لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه يعني الرسول وتسبحوه يعني الله تعالى * وقال ابن عطية والسكينة عندي انما هي ماينزله الله على أنبيائه من الحياطة لهم والخصائص التي لاتصلح الا لهم كقوله فيه سكينة من ربكم ويحتمل أن يكون قوله فأنزل الله سكينته

ونحن في سدف من ظلمة الغار
لاتخش شيئا فان الله ثالثنا
وقد تكفل لي منه باظهار
وانما كيد من تخشى بوارده
كيد الشياطين قد كادت لكفار
والله مهلكهم طرا بما صنعوا
جاعل المنتهى منهم الى النار
﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾ قال ابن عباس السكينة الرحة والوقار والضمير في عليه عائد على رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهو المحدث عنه وقال ابن عطية والسكينة عندي انما هي ماينزله الله تعالى على أنبيائه من الحياطة لهم والخصائص التي لاتصلح الا لهم لقوله فيه سكينة من ربكم ويحتمل أن يكون قوله فأنزل الله سكينته الى آخره يراد به ماصنعه الله تعالى لنبيه الى وقت تبوك من الظهور والفتوح لا ان يكون هذا يختص بقصة الغار وكلمة الذين كفروا هي الشرك وهي مقهورة وكلمة الله هي التوحيد وهي فصل بين المبتدأ والخبر أو مبتدأ والعليا خبره والجملة خبر لقوله وكلمة الله

الى آخر الآية يراد به ماصنعه الله لنبيه الى وقت تبوك من الظهور والفتوح لا أن يكون هذا يختص بقصة الغار وكلمة الذين كفروا هي الشرك وهي مقهورة وكلمة الله هي التوحيد وهي ظاهرة هذا قول الاكثرين وعن ابن عباس كلمة الكافر ما قرروا بينهم من الكيد به ليقتلوه وكلمة الله انه ناصره * وقيل كلمة الله لااله الا الله وكلمة الكفار قولهم في الحرب يالبنى فلان ويالفلان * وقيل كلمة الله قوله تعالى لاغلبن أنا ورسلي وكلمة الذين كفروا قولهم في الحرب أعل هبل يعنون صنمهم الاكبر * وقرأ مجاهد وأيده والجهور وأيده بتشديد الياء * وقرىء وكلمة الله بالنصب أي وجعل وقراءة الجهور بالرفع أثبت في الاخبار وعن أنس رأيت في مصحف أبي وجعل كلمته هي العلياء وناسب الوصف بالعزة الدالة على القهر والغلبة والحكمة الدالة على مايصنع مع أنبيائه وأوليائه ومن عاداهم من اعزاز دينه واخماد الكفر ﴿انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون﴾ لما توعد تعالى من لاينفر مع الرسول صلى الله عليه وسلم وضرب له من الامثال ماضرب أتبعه بهذا الامر الجزم والمعنى انفروا على الوصف الذي يخف عليكم فيه الجهاد أو على الوصف الذي يثقل والخفة والثقل هنا مستعار لمن يمكنه السفر بسهولة ومن يمكنه بصعوبة وأما من لا يمكنه كالاعمى ونحوه فخارج عن هذا * وروى أن ابن أم مكتوم جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أعلي أن أنفر قال نعم حتى نزلت ليس على الاعمى حرج وذكر المفسرون من معانى الخفة والثقل أشياء لاعلى وجه التخصيص بعضها دون بعض وانما يحمل ذلك على التمثيل لاعلى الحصر قال الحسن وعكرمة ومجاهد شبابا وشيوخا * وقال أبو صالح أغنياء وفقراء في اليسر والعسر * وقال الاوزاعي ركبانا ومشاة * وقيل عكسه * وقال زيد بن أسلم عزبانا ومتزوجين * وقال جويبر أصحاء ومرضى * وقال جماعة خفافا من السلاح أي مقلين فيه وثقالا أي مستكثرين منه * وقال الحكم بن عيينة وزيد بن على خفافا من الاشغال وثقالا بها * وقال ابن عباس خفافا من العيال وثقالا بهم * وحكى التبريزى خفافا من الاتباع والحاشية ثقالا بهم * وقال على بن عيسى هو من خفة اليقين وثقله عند الكراهة * وحكى الماوردى خفافا الى الطاعة وثقالا عن المخالفة * وحكى صاحب الفتيان خفافا الى المبارزة وثقالا في المصابرة * وحكى أيضا خفافا بالمسارعة والمبادرة وثقالا بعد التروى والتفكر * وقال ابن زيد ذوى صنعة وهو الثقيل وغير ذوى صنعة وهو الخفيف * وحكى النقاش شجعانا وجبناء * وقيل مهازيل وسمانا * وقيل سباقا الى الحرب كالطليعة وهو مقدم الجيش والثقال الجيش باسره * وقال ابن عباس وقتادة النشيط والكسلان والجهور على أن الامر موقوف على فرض الكفاية ولم يقصد به فرض الاعيان * وقال الحسن وعكرمة هو فرض على المؤمنين عنى به فرض الاعيان في تلك المدة ثم نسخ بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وانتصب خفافا وثقالا على الحال وذكر باموالكم وأنفسكم اذ ذلك وصف لأكمل ما يكون من الجهاد وأنفعه عند الله فحض على كمال الأوصاف وقدمت الاموال اذ هي أول مصرف وقت التجهيز وذكر ما المجاهد فيه وهو سبيل الله والخير به هي في الدنيا بغلبة العدو ووراثه الارض وفي الآخرة بالثواب ورضوان الله وقد غزا أبو طلحة حتى غزا في البحر ومات فيه وغزا المقداد على ضخامته وسمنه وسعيد بن المسيب وقد ذهبت احدى عينيه وابن أم مكتوم مع كونه أعمى ﴿لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة

﴿انفروا خفافا وثقالا﴾ لما توعد تعالى من لاينفر مع رسوله عليه السلام وضرب له من الأمثال ماضرب أتبعه بهذا الأمر الجزم والمعنى انفروا على الوصف الذي يخف عليكم فيه الجهاد أو على الوصف الذي يثقل والخفة والثقل هنا مستعار لمن يمكنه السفر بسهولة ومن يمكنه بصعوبة وأما من لا يمكنه كالاعمى ونحوه فخارج عن هذا ﴿لو كان عرضا قريبا﴾ أي لو كان مادعوا اليه غنما قريبا سهل المنال وسفرا قاصدا وسطا مقاربا وهذه الآية في قصة تبوك حين استنفر المؤمنين فنفروا واعتذر منهم لامحالة فريق لاسيما من القبائل المجاورة للمدينة ﴿لاتبعوك﴾ لبادروا اليه لالوجه الله ولا لظهور كلمته ﴿ولكن بعدت عليهم الشقة﴾ أي المسافة الطويلة في غزو الروم والشقة السفر البعيد وربما قالوه بالكسر في الشين

﴿ وسيحلفون ﴾ أي المنافقون وهذا اخبار بغيب قال الزمخشري في قوله وسيحلفون بالله مانصبه بالله متعلق بسيحلفون أو هو من كلامهم والقول مراد في الوجهين أي سيحلفون متخلصين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله ﴿ لو استطعنا لخرجنا معكم ﴾ أو وسيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جواب القسم ولو جميعا والاخبار بما سوف يكون بعد القول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة أو استطاعة الابدان كأنهم تمارضوا انتهى وماذهب اليه من ان قوله لخرجنا سد مسد جواب القسم ولو جميعا ليس بجيد بل للنحويين في هذا مذهبان أحدهما أن لخرجنا هو جواب القسم وجواب لو محذوف على قاعدة اجتماع القسم والشرط اذا تقدم القسم على الشرط وهو اختيار ابن عصفور والآخر ان لخرجنا هو جواب لو وجواب القسم هو لو وجوابها وهذا هو اختيار ابن مالك أما ان لخرجنا يسد مسدهما فلا أعلم أحدا ذهب الى ذلك ﴿ يهلكون أنفسهم ﴾ بالحلف الكاذب أي يوقعونها في الهلاك به والظاهر انها جملة استئناف إخبار منه سبحانه وتعالى وقال الزمخشري يهلكون أنفسهم اما أن يكون (٤٥) بدلا من سيحلفون أو حالا بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل أن يكون حالا من قوله لخرجنا أي لخرجنا معكم وان أهلكنا أنفسنا وألقيناها الى التهلكة بما نحملها من السير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم ألا ترى انه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولافعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية انتهى أما كون يهلكون بدلا من سيحلفون فبعيد لان الهلاك ليس مرادفا للحلف ولا هو نوع من الحلف ولا يجوز أن يبدل فعل من فعل الا أن يكون مرادفا له أو نوعا منه وأما كونه حالا من قوله لخرجنا فالذي يظهر أن ذلك لا يجوز لان قوله لخرجنا فيه ضمير التكلم فالذي يجري عليه انما

وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون ﴾ أي لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل المنال وسفرا قاصدا وسطا مقاربا وهذه الآية في قصة تبوك حين استنفر المؤمنين فنفروا واعتذر منهم فريق لاصحابه لاسيما من القبائل المجاورة للمدينة وليس قوله يا أيها الذين آمنوا مالكم خطابا للمنافقين خاصة بل هو عام واعتذر المنافقون باعذار كاذبة فابتدأ تعالى بذكر المنافقين وكشف ضمائرهم * لاتبعوك لبادروا اليه لا لوجه الله ولا لظهور كلمته ولكن بعدت عليهم الشقة أي المسافة الطويلة في غزو الروم والشقة بالضم من الثياب والشقة أيضا السفر البعيد وربما قالوه بالكسر قاله الجوهري * وقال الزجاج الشقة الغاية التي تقصد * وقال ابن عيسى الشقة القطعة من الارض يشق ركوبها * وقال ابن فارس الشقة المسير الى أرض بعيدة واشتقاقها من الشق أو من المشقة * وقرأ عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر العين والشين وافقه الأعرج في بعدت * وقال أبو حاتم انها لغة بني تميم في اللفظين انتهى * وحكى الكسائي شقة وشقة وسيحلفون أي المنافقون وهذا اخبار بغيب * قال الزمخشري في قوله وسيحلفون بالله مانصبه بالله متعلق بسيحلفون أو هو من كلامهم والقول مراد في الوجهين أي سيحلفون متخلصين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم أو وسيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جواب القسم ولو جميعا والاخبار بما سوف يكون بعد القول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة واستطاعة الابدان كأنهم تمارضوا انتهى وماذهب اليه من أن قوله لخرجنا سد مسد جواب القسم ولو جميعا ليس بجيد بل

(الدر) (ش) وقوله لخرجنا سد مسد جواب القسم ولو جميعا (ح) ماذهب اليه من ان قوله لخرجنا سد مسد جواب القسم ولو جميعا ليس بجيد بل للنحويين في هذا مذهبان أحدهما أن لخرجنا هو جواب القسم وجواب لو محذوف على قاعدة اجتماع القسم والشرط اذا تقدم القسم على الشرط وهو اختيار أبي الحسن بن عصفور والآخر أن لخرجنا هو جواب لو وجواب القسم هو لو وجوابها وهذا اختيار ابن مالك اما ان لخرجنا يسد مسدهما فلا أعلم أحدا ذهب الى ذلك ويحتمل أن يتاول كلامه على انه لما حذف جواب لو ودل عليه جواب القسم جعل كأنه سد مسد جواب القسم وجواب لو (ش) يهلكون أنفسهم اما أن يكون بدلا من سيحلفون أو حالا بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل أن يكون حالا من قوله لخرجنا أي لخرجنا معكم وان أهلكنا أنفسنا وألقيناها في التهلكة بما نحملها من السير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم ألا ترى انه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولافعلن

يكون بضمير المتكلم فلو كان حالا من ضمير لخرجنا لكان التركيب نهلك أنفسنا أي مهلكي أنفسنا وأما قياسه ذلك على حلف بالله ليفعلن ولافعلن فليس بصحيح لانه اذا أجراه على ضمير الغيبة لا يخرج منه الى ضمير المتكلم لو قلت حلف زيد ليفعلن وأنا قائم على أن يكون وأنا قائم حالا من ضمير ليفعلن لم يجز وكذا عكسه نحو حلف زيد لافعلن يقوم تريد قائما لم يجز وأما قوله وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم فغالطة ليس مخبرا عنهم بقوله لو استطعنا لخرجنا معكم بل هو حال لفظ قولهم ثم قال ألا ترى انه لو قيل لو استطاعوا الخرجوا لكان سديدا الى آخر كلامه صحيح لكنه تعالى لم ينقل ذلك اخبارا عنهم بل حكاية والحال من جملة كلامهم المحكى فلا يجوز أن يخالف بين ذي الحال وحاله لاشتراكهما في العامل لو قلت قال زيد خرجت يضرب خالدا تريد أضرب خالدا لم يجز ولو قلت قالت هند خرج زيد أضرب خالدا تريد خرج زيد ضاربا خالدا لم

(الدر)

فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية انتهى (ح) أما كون يهلكون بدلا من سيحلفون فبعيد لان الاهلاك ليس مرادفا للحلف ولا هو نوع من الحلف ولا يجوز أن يبدل فعل من فعل الا أن يكون مرادفا له أو نوعا منه وأما كونه حالا من قوله لخرجنا فالذي يظهر أن ذلك لا يجوز لان قوله لخرجنا فيه ضمير التكلم فالذي يجري عليه انما يكون بضمير التكلم فلو كان حالا من ضمير لخرجنا لكان التركيب نهلك أنفسنا أي مهلكي أنفسنا وأما قياسه ذلك على حلف

للنحويين في هذا مذهبان أحدهما ان لخرجنا هو جواب القسم وجواب لو محذوف على قاعدة اجتماع القسم والشرط اذا تقدم القسم على الشرط وهذا اختيار أبي الحسن بن عصفور والآخر ان لخرجنا هو جواب لو وجواب القسم هو لو وجوابها وهذا اختيار ابن مالك ان لخرجنا يسد مسدهما فلا أعلم أحدا ذهب الى ذلك ويحتمل أن يتأول كلامه على أنه لما حذف جواب لو ودل عليه جواب القسم جعل كأنه سد مسد جواب القسم وجواب لو جميعا * وقرأ الأعمش وزيد بن علي لو استطعنا بضم الواو وفر من ثقل الكسرة على الواو وشبهها بواو الجمع عند تحريكها لالتقاء الساكنين * وقرأ الحسن بفتحها كما جاء اشتروا الضلالة بالاوجه الثلاثة يهلكون أنفسهم بالحلف الكاذب أي يوقعونها في الهلاك به والظاهر أنها جملة استئناف اخبار منه تعالى * وقال الزمخشري يهلكون أنفسهم اما أن يكون بدلا من سيحلفون أو حالا بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل أن يكون حالا من قوله لخرجنا أي لخرجنا معكم وان أهلكنا أنفسنا وألقيناها في التهلكة بما يحملها من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم ألا ترى أنه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولأفعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية انتهى أما كون يهلكون بدلا من سيحلفون فبعيد لان الاهلاك ليس مرادفا للحلف ولا هو نوع من الحلف ولا يجوز أن يبدل فعل من فعل الا أن يكون مرادفا له أو نوعا منه وأما كونه حالا من قوله لخرجنا فالذي يظهر ان ذلك لا يجوز لان قوله لخرجنا فيه ضمير التكلم فالذي يجري عليه انما يكون بضمير المتكلم فلو كان حالا من ضمير لخرجنا لكان التركيب نهلك أنفسنا أي مهلكي أنفسنا وأما قياسه ذلك على حلف بالله ليفعلن ولأفعلن فليس بصحيح لأنه اذا أجراه على ضمير الغيبة لا يخرج منهم الى ضمير المتكلم لو قلت حلف زيد ليفعلن وأنا قائم على أن يكون وأنا قائم حالا من ضمير ليفعلن لم يجز وكذا عكسه نحو حلف زيد لأفعلن يقوم تريد قائما لم يجز وأما قوله وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم فهي مغالطة ليس مخبرا عنهم بقوله لو استطعنا لخرجنا معكم بل هو حال لفظ قولهم ثم قال ألا ترى لو قيل لو استطاعوا الخرجوا لكان سديدا الى آخره كلام صحيح لكنه تعالى لم ينقل ذلك اخبارا عنهم بل حكاية والحال من جملة كلامهم المحكى فلا يجوز أن يخالف بين ذي الحال وحاله لاشتراكهما في العامل لو قلت قال زيد خرجت يضرب خالدا تريد اضرب خالدا لم يجز ولو قلت قالت هند خرج زيد

بالله ليفعلن ولافعلن فليس بصحيح لانه اذا أجراه على ضمير الغيبة لا يخرج منه الى ضمير المتكلم لو قلت حلف زيد ليفعلن وأنا قائم على أن يكون وأنا قائم حالا من ضمير ليفعلن لم يجز وكذا عكسه نحو حلف زيد لافعلن يقوم تريد قائما لم يجز وأما قوله وجاء به على لفظ الغائب لأنه مخبر عنهم مغالطة ليس مخبرا عنهم بقوله لو استطعنا لخرجنا معكم بل هو حال لفظ قولهم ثم قال ألا ترى لو قيل لو استطاعوا الخرجوا لكان سديدا الى آخر كلامه كلام صحيح لكنه تعالى لم ينقل ذلك اخبارا عنهم بل حكاية والحال من جملة كلامهم المحكى فلا يجوز أن يخالف بين ذي الحال وحاله لاشتراكهما في العامل لو قلت قال زيد خرجت يضرب خالدا تريد أضرب خالدا لم

أضرب خالدا تريد خرج زيد ضاربا خالدا لم يجز ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ﴾ قال ابن عطية هذه الآية في صنف مبالغ في النفاق واستأذنوا دون اعتذار منهم عبد الله بن أبيّ والجد بن قيس ورفاعة بن التابوب ومن اتبعهم * فقال بعضهم ائذن لي ولا تفتني * وقال بعضهم ائذن لنا في الاقامة فأذن لهم استبقاء منه عليهم وأخذا بالاسهل من الامور وتوكلا على الله * قال مجاهد قال بعضهم نستأذنه فان أذن في القعود قعدنا وان لم يأذن قعدنا فنزلت الآية في ذلك انتهى * وقال أبو عبد الله ابراهيم بن عرفة النحوي الداودي المنبوذ بنفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الآية وحاشاه من ذلك بل كان له أن يفعل وأن لا يفعل حتى ينزل عليه الوحي كما قال لو استقبلت من أمري ما استدبرت لجعلتها عمرة لانه كان له أن يفعل وأن لا يفعل وقد قال الله تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء لأنه كان له أن يفعل ما يشاء مما لم ينزل عليه فيه وحي واستأذنه المخلفون في التخلف واعتذروا اختار أيسر الأمرين تكرما وتفضلا منه صلى الله عليه وسلم فأبان الله تعالى أنه لو لم يأذن لهم لأقاموا للنفاق الذي في قلوبهم وانهم كاذبون في اظهار الطاعة والمشاورة فعفا الله عنك عنده افتتاح كلام أعلمه الله به انه لا حرج عليه فيما فعله من الاذن وليس هو عفوا عن ذنب انما هو أنه تعالى أعلمه انه لا يلزمه ترك الاذن لهم كما قال صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق وما وجبتا قط ومعناه ترك أن يلزمكم ذلك انتهى ووافقه عليه قوم فقالوا ذكر العفو هنا لم يكن عن تقدم ذنب وانما هو استفتاح كلام جرت عادة العرب بأن تخاطب بمثله لمن تعظمه وترفع من قدره يقصدون بذلك الدعاء له فيقولون أصلح الله الأمير كان كذا وكذا فعلى هذا صيغته صيغة الخبر ومعناه الدعاء انتهى ولم ولهم متعلقان بأذنت لكنه اختلف مدلول اللامين اذ لام لم للتعليل ولام لهم للتبليغ فجاز ذلك لاختلاف معنييهما ومتعلق الاذن غير مذكور لما قدمناه يدل على أنه القعود أي لم أذنت لهم في القعود والتخلف عن الغزو حتى تعرف ذوي العذر في التخلف ممن لا عذر له * وقيل متعلق الاذن هو الخروج معه للغزو ولما ترتب على خروجهم من المفاسد لانهم كانوا عينا للكفار على المسلمين ويدل عليه قوله وفيكم سماعون لهم وكانوا يخذلون المؤمنين ويتمنون أن تكون الدائرة عليهم فقيل لم أذنت لهم في اخراجهم وهم على هذه الحالة السيئة وبين أن خروجهم معه ليس مصلحة بقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا وحتى غاية لما تضمنه الاستفهام أي ما كان أن تأذن لهم حتى يتبين من له العذر هكذا قدره الحوفي * وقال أبو البقاء حتى يتبين متعلق بمحذوف دل عليه الكلام تقديره هلا أخرتهم الى أن يتبين أو ليتبين وقوله لم أذنت لهم يدل على المحذوف ولا يجوز أن تتعلق حتى بأذنت لان ذلك يوجب أن يكون أذن لهم الى هذه الغاية أو لأجل التبيين وهذا لا يعاتب عليه انتهى وكلام الزمخشري في تفسير قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم مما يجب اطراحه فضلا عن أن يذكر فيرد عليه وقوله الذين صدقوا أي في استئذانك وانك لو لم تأذن لهم خرجوا معك وتعلم الكاذبين تريد في انهم استأذنوك يظهرون لك انهم يقفون عند حدك وهم كذبة وقد عزموا على العصيان أذنت لهم أو لم تأذن * وقال الطبري حتى تعلم الصادقين في ان لهم عذرا وتعلم الكاذبين في ان لا عذر لهم * وقال قتادة نزلت بعد هذه الآية آية النور فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم وهذا غلط لان النور نزلت سنة أربع من الهجرة في غزوة الخندق في استئذان بعض المؤمنين الرسول في بعض شأنهم في بيوتهم في بعض الاوقات فأباح الله أن يأذن فتباينت الآيتان في الوقت والمعنى ﴿ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا

بجز ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم ﴾ الآية اللام في لم لام التعليل وما استفهامية حذف منها الالف واللام الثانية للتبليغ وهما متعلقان بأذنت وجاز ذلك لاختلاف معنييهما وحتى غاية للاستفهام وقوله الذين صدقوا في استئذانك وانك لو لم تأذن لهم خرجوا معك ﴿ وتعلم الكاذبين ﴾ يريد في انهم استأذنوك يظهرون لك انهم يقفون عند حدك وهم كذبة وقد عزموا على العصيان أذنت لهم أو لم أذن ﴿ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله ﴾ ما قبل هذه الآية وما بعدها ورد في قصة تبوك والظاهر أن متعلق الاستئذان هو أن يجاهدوا أي ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والأنصار لا يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم أبدا ويقولون لنجاهدن معه بأموالنا وأنفسنا

﴿ الدر ﴾

يجز ولو قلت قالت هند خرج زيد أضرب خالدا تريد خرج زيد ضاربا خالدا لم يجز

بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين ﴾ قال ابن عباس لا يستأذنك أى بعد غزوة تبوك * وقال الجمهور ليس كذلك لان ماقبل هذه الآية ومابعدها ورد فى قصة تبوك والظاهر ان متعلق الاستئذان هو أن يجاهدوا أى ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك فى أن يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والانصار لا يستأذنون النبى صلى الله عليه وسلم أبدا ويقولون لنجاهدن معه بأموالنا وأنفسنا * وقيل التقدير لا يستأذنك المؤمنون فى الخروج ولا القعود كراهة أن يجاهدوا بل اذا أمرت بشئ ابتدروا اليه وكان الاستئذان فى ذلك الوقت علامة على النفاق وقوله والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام فى زمرة المتقين وعدة لهم بأجزل الثواب ﴿ انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون ﴾ هم المنافقون وكانوا تسعة وثلاثين رجلا ومعنى ارتابت شكت ويترددون يتحيرون لا يتجه لهم هدى فتارة يخطر لهم صحة أمر الرسول وتارة يخطر لهم خلاف ذلك ﴿ ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ﴾ قال ابن عباس عدة من الزاد والماء والراحلة لان سفرهم بعيد فى زمان حر شديد وفى تركهم العدة دليل على انهم أرادوا التخلف * وقال قوم كانوا قادرين على تحصيل العدة والاهبة * وروى الضحاك عن ابن عباس العدة النية الخالصة فى الجهاد * وحكى الطبرى كل مايعد للقتال من الزاد والسلاح * وقرأ محمد بن عبد الملك بن مروان وابنه معاوية عده بضم العين من غير تاء والفراء يقول تسقط التاء للاضافة وجعل من ذلك وإقام الصلاة أى وإقامة الصلاة وورد ذلك فى عدة أبيات من لسان العرب ولكن لا يقيس ذلك انما نقف فيه مع مورد السماع * قال صاحب اللوامح لما أضاف جعل الكناية نائبة عن التاء فأسقطها وذلك لأن العد بغير تاء ولا تقديرها هو البثر الذى يخرج فى الوجه * وقال أبو حاتم هو جمع عدة كبرة وبرودرة ودرو الوجه فيه عدد ولكن لا يوافق خط المصحف * وقرأ زربن حبيش وابان عن عاصم عده بكسر العين وهاء اضمار * قال ابن عطية وهو عندى اسم لما يعد كالذبح والقتل للعدو سمى قتلا إذ حقه أن يقتل * وقرئ أيضا عدة بكسر العين وبالتاء دون اضافة أى عدة من الزاد والسلاح أو مما لهم مأخوذ من العدد ولما تضمنت الجملة انتفاء الخروج والاستعداد وجاء بعدها ولكن وكانت لا تقع الا بين نقيضين أو ضدين أو خلافين على خلاف فيه لا بين متفقين وكان ظاهر مابعد لكن موافقا لما قبلها * قال الزمخشرى (فان قلت) كيف موقع حرف الاستدراك (قلت) لما كان قوله ولو أرادوا الخروج معطيا معنى نفى خروجهم واستعدادهم للغزو * قيل ولكن كره الله انبعاثهم كأنه قيل ماخرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ماأحسن الى زيد ولكن أساء الى انتهى وليست الآية نظير هذا المثال لأن المثال واقع فيه لكن بين ضدين والآية واقع فيها لكن بين متفقين من جهة المعنى والانبعاث الانطلاق والنهوض * قال ابن عباس فثبطهم كسلهم وفترنياتهم وبنى وقيل للمفعول فاحتمل أن يكون القول اذن الرسول لهم فى القعود أو قول بعضهم لبعض اما لفظا واما معنى أو حكاية عن قول الله فى سابق قضائه * وقال الزمخشرى جعل القاء الله تعالى فى قلوبهم كراهة الخروج أمرا بالقعود * وقيل هو من قول الشيطان بالوسوسة قال (فان قلت) كيف جاز أن يوقع الله تعالى فى نفوسهم كراهة الخروج الى الغزو وهى قبيحة وتعالى الله عن الهام القبيح (قلت) خروجهم كان مفسدة لقوله تعالى لو خرجوا فيكم مازادوكم

شكت ويترددون يتحيرون لا يتجه لهم هدى فتارة يخطر لهم صحة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتارة يخطر لهم خلاف ذلك ﴿ ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ﴾ قال ابن عباس عدة من الماء والزاد والراحلة لان سفرهم بعيد وفى زمان حر شديد وفى تركهم العدة دليل على انهم أرادوا التخلف ﴿ ولكن كره الله انبعاثهم ﴾ قال الزمخشرى * فان قلت كيف موقع حرف الاستدراك * قلت لما كان قوله ولو أرادوا الخروج معطيا معنى نفى خروجهم واستعدادهم للغزو وقيل ولكن كره الله انبعاثهم كأنه قيل ماخرجوا ولكنهم تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ماأحسن الى زيد ولكن أساء الى انتهى وليست الآية نظيرة هذا المثال لان المثال واقع فيه لكن بين ضدين وفى الآية لكن واقع فيها بين متفقين من جهة المعنى والانبعاث الانطلاق والنهوض قال ابن عباس فثبطهم كسلهم وفترنياتهم

﴿ لوخرجوا فيكم مازادوكم الاخبالا ﴾ الآية لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبدالله بن أبى عسكره أسفل منها ولم يكن باقل العسكرين فلما سار تخلف عنه عبدالله فيمن تخلف فنزلت والخبال قال ابن عباس الفساد ومراعاة اخاد الكلمة وتقدم شرح الخبال فى آل عمران وهذا الاستثناء متصل وهو مفرغ اذ المفعول الثانى لزاد لم يذكر وقد كان فى هذه الغزوة منافقون كثير ولهم لاشك خبال فلو خرج هؤلاء لتألبوا فزاد الخبال ﴿ ولأوضعوا ﴾ الايضاع الاسراع قال الشاعر أرانا موضعين لامر غيب * ونسحر بالطعام وبالشراب

ومفعول أوضعوا محذوف تقديره ولاوضعوا ركائبهم بينكم لان الراكب أسرع من الماشى والخلال جمع الخلل وهو الفرجة بين الشيئين وجلسنا خلال البيوت وخلال الدور أى بينها ويبغون حال أى باغين والفتنة هى الكفر ﴿وفيكم سماعون لهم﴾ قال الزمخشرى أى نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم أوفيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم انتهى فاللام فى القول الأول للتعليل وفى الثانى لتقوية التعدية كقوله تعالى فعال لما يريد والقول الاول قاله سفيان ابن عيينة والحسن ومجاهد وابن زيد قالوا معناه جواسيس يستمعون الأخبار وينقلونها اليهم ورجحه الطبرى والقول الثانى قول الجمهور قالوا معناه وفيكم مطيعون

(الدر)

بعدها ولكن وكانت لكن لاتقع الابين نقيضين

أوضدين أوخلافين على خلاف فيه لابين متفقين وكان ظاهر مابعد لكن موافقا لماقبلها قال (ش) فان قلت كيف موقع حرف الاستدراك *قلت لما كان قوله ولو أرادوا الخروج معطيا معنى نفى خروجهم واستعدادهم للغزو قيل ولكن كره الله انبعاثهم كانه قيل ماخرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما يقول ماأحسن الى زيد ولكن أساء الى انتهى وليست الآية نظير هذا المثال لأن المثال واقع فيه ولكن بين ضدين والآية واقع فيه لكن بين متفقين

الاخبالا فكان ايقاع كراهة ذلك الخروج فى نفوسهم حسنا ومصلحة انتهى وهذا السؤال والجواب على طريقة الاعتزال فى المفسدة والمصلحة وهذا القول هو ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم القعود والجثوم فى البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قوله تعالى رضوا بأن يكونوا مع الخوالف والقعود هنا عبارة عن التخلف والتراخى كما قال

دع المكارم لاترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

﴿ لوخرجوا فيكم مازادوكم الاخبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين ﴾ لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبدالله بن أبى عسكره أسفل منها ولم يكن بأقل العسكرين فلما سار تخلف عنه عبدالله فيمن تخلف فنزلت بعرى(٣) الله ورسوله الى قوله وهم كارهون وفيكم أى فى جيشكم أوفى جملتكم وقيل فى بمعنى مع * قال ابن عباس الخبال الفساد ومراعاة اخاد الكلمة * وقال الضحاك المكر والغدر * وقال ابن عيسى الاضطراب * وقال الكلبى الشر وقاله ابن قتيبة * وقيل ايقاع الاختلاف والاراجيف وتقدم شرح الخبال فى آل عمران وهذا الاستثناء متصل وهو مفرغ إذ المفعول الثانى لزاد لم يذكر وقد كان فى هذه الغزوة منافقون كثير ولهم لاشك خبال فلو خرج هؤلاء لتألبوا فزاد الخبال * وقال الزمخشرى المستثنى منه غير مذكور فالاستثناء من أعم العام الذى هو الشئ فكان هو استثناء متصلا لأن الخبال بعض أعم العام كانه قيل مازادوكم شيأ الاخبالا * وقيل هو استثناء منقطع وهذا قول من قال انه لم يكن فى عسكر الرسول خبال فالمعنى مازادوكم قوة ولاشدة لكن خبالا * وقرأ ابن أبى عبلة مازادوكم بغير واو يعنى مازادكم خروجهم الاخبالا والايضاع الاسراع قال

أرانا موضعين لأمر غيب * ونسحر بالطعام وبالشراب

ويقال وضعت الناقة تضع وضعا ووضوعا قال

ياليتنى فيها جذع * أخب فيها وأضع

* قال الحسن معناه لأسرعوا بالنميمة * وقرأ محمد بن القاسم لأسرعوا بالفرار ومفعول أوضعوا محذوف تقديره ولاوضعوا ركائبهم بينكم لأن الراكب أسرع من الماشى * وقرأ مجاهد ومحمد بن زيد ولاوفضوا أى أسرعوا كقوله الى نصب يوفضون * وقرأ ابن الزبير ولارفضوا بالراء من رفض أسرع فى مشيه رفضا ورفضانا قال حسان

بزجاجة رفضت بمافى جوفها * رفض القلوص براكب مستعجل

سامعون ﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل﴾ تقدم ذكر السبب فى نزول هذه الآية والتى قبلها من قصة رجوع عبد الله بن أبى بأصحابه فى هذه الغزاة حقر شأنهم فى هذه الآية وأخبر أنهم قديما سعوا على الاسلام فأبطل الله سعيهم قال ابن عباس بغوا لك الغوائل وقال ابن جريج وقف اثنا عشر رجلا من المنافقين على الثنية ليلة العقبة كى يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى من قبل أى من قبل هذه الغزوة وذلك ما كان من حالهم وقت هجرة رسول الله (٥٠) صلى الله عليه وسلم ورجوعهم عنه فى أحد وغيرها وتقليب الامور هو تدبيرها ظهرا لبطن والنظر فى نواحيها وأقسامها والسعى بكل حيلة ﴿حتى جاء الحق﴾ أى القرآن وشريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولفظة جاء مشعرة بأنه كان قد ذهب ﴿وظهر أمر الله﴾ وصفه بالظهور لانه كان كالمستور أى غلب وعلا دين الله تعالى ﴿وهم كارهون﴾ أى لمجىء الحق وظهور دين الله ﴿ومنهم من يقول ائذن لى﴾ الآية نزلت فى الجد بن قيس ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمر بالغزو الى بلاد الروم حرض الناس فقال للجد بن قيس هل لك العام فى جلاد بنى الاصفر وقال له وللناس اغزوا تغنموا بنات الاصفر فقال الجد ائذن لى فى التخلف ولا تفتنى بذكر بنات الاصفر فقد علم قومى انى لا أتمالك عن النساء اذا رأيتهن ومعنى ولا تفتنى بالنساء هذا قول ابن عباس والفتنة التى سقطوا فيها هى فتنة التخلف وظهور كفرهم ونفاقهم ولفظة سقطوا تنبئ عن تمكن

وقال غيره * والرافضات الى منى فالقبقب * والخلال جمع الخلل وهو الفرجة بين الشيئين * وقال الاصمعى تخللت القوم دخلت بين خللهم وخلالهم وجلسنا خلال البيوت وخلال الدور أى بينها و يبغون حال أى باغين * قال الفراء يبغونها لكم والفتنة هنا الكفر قاله مقاتل وابن قتيبة والضحاك أو العيب والشر قاله الكلبى أو تفريق الجماعة أو المحنة باختلاف الكلمة أو النميمة * وقال الزمخشرى يحاولون أن يفتنوكم بأن يوقعوا الخلاف فيما بينكم و يفسدوا نياتكم فى مغزاكم وفيكم سماعون لهم أى نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم أو فيكم قوم يسمعون للمنافقين و يطيعونهم انتهى فاللام فى القول الأول للتعليل وفى الثانى لتقوية التعدية كقوله فعال لما يريد والقول الأول قاله سفيان بن عيينة والحسن ومجاهد وابن زيد قالوا معناه جواسيس يستمعون الاخبار و ينقلونها اليهم ورجحه الطبرى والقول الثانى قول الجمهور قالوا معناه وفيكم مطيعون سماعون لهم ومعنى وفيكم فى خلالكم منهم أو منكم ممن قرب عهده بالاسلام والله عليم بالظالمين يعم كل ظالم ومعنى ذلك انه يجازيه على ظلمه واندرج فيه من يقبل كلام المنافقين ومن يؤدى اليهم أخبار المؤمنين ومن تخلف عن هذه الغزاة من المنافقين ﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون﴾ تقدم ذكر السبب فى نزول هذه الآية والتى قبلها من قصة رجوع عبد الله بن أبى وأصحابه فى هذه الغزاة حقر شأنهم فى هذه الآية وأخبر أنهم قديما سعوا على الاسلام فأبطل الله سعيهم وفى الامور المقلبة أقوال * قال ابن عباس بغوا لك الغوائل * وقال ابن جريج وقف اثنا عشر من المنافقين على الثنية ليلة العقبة كى يفتكوا به * وقال أبو سليمان الدمشقى احتالوا فى تشتيت أمرك وابطال دينك * قال ابن جريج كانصراف ابن أبى يوم أحد بأصحابه ومعنى من قبل أى من قبل هذه الغزاة وذلك ما كان من حالهم وقت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوعهم عنه فى أحد وغيرها وتقليب الأمور هو تدبيرها ظهر البطن والنظر فى نواحيها وأقسامها والسعى بكل حيلة * وقيل طلب المكيدة من قولهم هو حول قلب * وقرأ مسلمة بن محارب وقلبوا بتخفيف اللام حتى جاء الحق أى القرآن وشريعة الرسول صلى الله عليه وسلم ولفظة جاء مشعرة بأنه كان قد ذهب وظهر أمر الله وصفه بالظهور لأنه كان كالمستور أى غلب وعلا دين الله وهم كارهون لمجىء الحق وظهور دين الله وفى ذلك تنبيه على أنه لا تأثير لمكرهم وكيدهم ومبالغتهم فى اثارة الشر فانهم مذ راموا ذلك رده الله فى نحرهم وقلب مرادهم وأتى بضد مقصودهم فكما كان ذلك فى الماضى كذا يكون فى المستقبل ﴿ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ نزلت فى الجد بن قيس وذكر أن رسول الله

(الدر) من جهة المعنى (ش) وفيكم سماعون لهم أى نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم أو فيكم قوم يسمعون للمنافقين و يطيعونهم انتهى (ح) فاللام فى القول الأول للتعليل وفى الثانى لتقوية التعدية لقوله تعالى فعال لما يريد والقول الاول قاله سفيان ابن عيينة والحسن ومجاهد وابن زيد قالوا معناه جواسيس يسمعون الاخبار و ينقلونها اليهم ورجحه الطبرى والقول الثانى قول الجمهور قالوا معناه وفيكم مطيعون سامعون لهم

صلى الله عليه وسلم لما أمر بالغزو الى بلاد الروم حرض الناس فقال للجد بن قيس هل لك العام في جلاد بني الاصفر وقال له وللناس اغزوا تغنموا بنات الاصفر * فقال الجد ائذن لي في التخلف ولا تفتني بذكر بنات الاصفر فقد علم قومي اني لا أتمالك عن النساء اذا رأيتهن وتفتنني ولا تفتني بالنساء هو قول ابن عباس ومجاهد وابن زيد * وقيل ولا تفتني أي ولا تصعب علي حتى احتاج الى مواقعة معصيتك فسهل أنت علي ودعني غير مختلج وقال قريبا منه الحسن وقتادة والزجاج قالوا الا تكسبني الاثم بأمرك اياي بالخروج وهو غير متيسر لي فآثم بمخالفتك * وقال الضحاك لا تكفرني بالزامك الخروج معك * وقال ابن بحر لا تصرفني عن شغلي فتفوت علي مصالحي ويذهب أكثر ثماري * وقيل ولا تفتني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي * وقيل انه قال ولكن أعينك بمالي ومتعلق الاذن محذوف تقديره في القعود وفي مجاورته الرسول صلى الله عليه وسلم على نفاقه * وقرأ ورش بتخفيف همزة ائذن لي بابدالها واوا لضمة ماقبلها * وقال النحاس مامعناه اذا دخلت الواو أو الفاء على ائذن فهجاؤها في الخط ألف وذال ونون بغير ياء أو ثم فالهجاء ألف وياء وذال ونون والفرق أن ثم يوقف عليها وتنفصل بخلافهما * وقرأ عيسى بن عمرو لا تفتني بضم التاء الاولى من أفتن * قال أبو حاتم هي لغة تميم وهي أيضا قراءة ابن السميقع ونسبها ابن مجاهد الى اسماعيل المكي وجمع الشاعر بين اللغتين فقال

لئن فتنتني فهي بالامس أفتنت * سعيدا فأمسى قد قلا كل مسلم

والفتنة التي سقطوا فيها هي فتنة التخلف وظهور كفرهم ونفاقهم ولفظة سقطوا تنبئ عن تمكن وقوعهم فيها * وقال قتادة الاثم بخلافهم الرسول في أمره واحاطة جهنم بهم اما يوم القيامة أو الآن على سبيل المجاز لأن أسباب الاحاطة معهم فكأنهم في وسطها أو لان مصيرهم اليها ﴿ ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون ﴾ قال ابن عباس الحسنة في يوم بدر والمصيبة يوم أحد وينبغي أن يحمل قوله على التمثيل واللفظ عام في كل محبوب ومكروه وسياق الجمل يقتضي أن يكون ذلك في الغزو ولذلك قالوا الحسنة الظفر والغنيمة والمصيبة الخيبة والهزيمة مثل ماجرى في أول غزوة أحد ومعنى أمرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم في التخلف عن الغزو من قبل ماوقع من المصيبة ويحتمل أن يكون التولي حقيقة أي ويتولوا عن مقام التحديث بذلك والاجتماع له الى أهليهم وهم مسرورون * وقيل أعرضوا عن الايمان * وقيل عن الرسول فيكون التولي مجازا ﴿ قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ قرأ ابن مسعود وابن مصرف هل يصيبنا مكان لن يصيبنا * وقرأ ابن مصرف أيضا وأعين قاضي الري هل يصيبنا بتشديد الياء وهو مضارع فيعل نحو بيطر لا مضارع فعل اذ لو كان كذلك لكان صوّب مضاعف العين قالوا صوب رأيه لما بناه على فعل لأنه من ذوات الواو وقالوا اصاب يصوب ومصاوب جمع مصيبة وبعض العرب يقول صاب السهم يصيب جعله من ذوات الياء فعلى هذا يجوز أن يكون يصيبنا مضارع صيب على وزن فعل والصيب يحتمل أن يكون كسيد وكلين وقال عمرو بن شقيق سمعت أعين قاضي الري يقول قل لن يصيبنا بتشديد النون * قال أبو حاتم ولا يجوز ذلك لأن النون لا تدخل مع لن ولو كانت لطلحة بن مصرف لجازت لانها مع هل قال تعالى هل يذهبن كيده مايغيظ انتهى ووجه هذه القراءة تشبيه لن بلا وبلم وقد سمع لحاق هذه النون بلا وبلم فلما شاركتهما لن في النفي لحقت معها نون التوكيد وهذا

وقوعهم فيها ﴿ ان تصبك حسنة تسؤهم ﴾ قال ابن عباس الحسنة يوم بدر والمصيبة يوم أحد وينبغي أن يحمل قوله على التمثيل واللفظ عام في كل محبوب ومكروه وسياق الجمل يقتضي أن يكون ذلك في الغزو ولذلك قالوا الحسنة الظفر والغنيمة والمصيبة الخيبة والهزيمة مثل ماجرى في غزوة أحد ومعنى أمرنا

(الدر)

(ح) قال النحاس مامعناه اذا دخلت الواو والفاء على ايذن فهجاؤها في الخط ألف وذال ونون بغير ياء أو ثم فالهجاء ألف وياء وذال ونون والفرق أن ثم يوقف عليها وتنفصل بخلافهما (ح) عمرو بن شقيق سمعت أعين قاضي الري قل لن يصيبنا بتشديد النون قال أبو حاتم ولا يجوز ذلك لان النون لا تدخل مع لن ولو كانت مع هل كقراءة ابن مصرف لجازت قال الله تعالى هل يذهبن كيده مايغيظ انتهى ووجه هذه القراءة تشبيه لن بلا وبلم وقد سمع لحاق هذه النون بلا وبلم فلما شاركتهما لن في النفي لحقت معها نون التوكيد وهذا توجيه شذوذ

الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم في التخلف عن الغزو من قبل ما وقع من المصيبة ﴿ قل هل تربصون بنا ﴾ أي ما تنتظرون بنا الا احدى العاقبتين كل واحدة منهما هي الحسنى من العواقب اما النصرة واما الشهادة فالنصرة مآلها الى الغلبة والاستيلاء والشهادة مآلها الى الجنة ﴿ قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً ﴾ قرئ بضم الكاف ويعني في سبيل الله ووجوه البر وهو أمر معناه التهديد والتوبيخ أنفقوا قال ابن عطية انفقوا أمر في ضمنه جزاء وهذا مستمر في كل أمر

توجيه شذ وذ أي ما أصابنا فليس منكم ولا بكم بل الله هو الذي أصابنا وكتب أي في اللوح المحفوظ أو في القرآن من الوعد بالنصر ومضاعفة الاجر على المصيبة أو ما قضى وحكم ثلاثة أقوال هو مولانا أي ناصرنا وحافظنا قاله الجمهور * وقال الكلبي أولى بنا من أنفسنا في الموت والحياة * وقيل مالكنا وسيدنا فلهذا يتصرف كيف شاء فيجب الرضا بما يصدر من جهته وقال ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم فهو مولانا الذي يتولانا ونتولاه ﴿ قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون ﴾ أي ما ينتظرون بنا الا احدى العاقبتين كل واحدة منهما هي الحسنى من العواقب إما النصرة وإما الشهادة فالنصرة مآلها الى الغلبة والاستيلاء والشهادة مآلها الى الجنة * وقال ابن عباس ان الحسنيين الغنيمة والشهادة * وقيل الأجر والغنيمة * وقيل الشهادة والمغفرة وفي الحديث تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته الا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته أن يدخل الجنة أو يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة والعذاب من عند الله * قال ابن عباس هو هنا الصواعق * وقال ابن جريج الموت * وقيل قارعة من السماء تهلكهم كما نزلت على عاد وثمود * قال ابن عطية ويحتمل أن يكون توعدا بعذاب الآخرة أو بأيدينا بالقتل على الكفر فتربصوا مواعيد الشيطان انا معكم متربصون اظهار دينه واستئصال من خالفه قاله الحسن * وقال الزمخشري فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فلا بد أن نلقى كلنا ما نتربصه لا نتجاوزه انتهى وهو أمر يتضمن التهديد والوعيد * وقرأ ابن محيصن الاحدى باسقاط الهمزة * قال ابن عطية فوصل ألف احدى وهذه لغة وليست بالقياس وهذا نحو قول الشاعر

* يابا المغيرة رب أمر معضل * ونحو قول الآخر ان لم أقاتل فالبسني برقعا * انتهى

﴿ قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم انكم كنتم قوماً فاسقين ﴾ قرأ الأعمش وابن وثاب كرها بضم الكاف ويعني في سبيل الله ووجوه البر * قيل وهو أمر ومعناه التهديد والتوبيخ * وقال الزمخشري هو أمر في معنى الخبر كقوله تعالى قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ومعناه لن يتقبل منكم أنفقتم طوعاً أو كرهاً ونحوه قوله تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وقوله * أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة * أي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أو لا تستغفر لهم ولا نلومك أسأت الينا أم أحسنت انتهى وعن بعضهم غير هذا بان معناه الجزاء والشرط أي ان تنفقوا طوعا أو كرها لم يتقبل منكم وذكر الآية وبيت كثير على هذا المعنى * قال ابن عطية أنفقوا أمر في ضمنه جزاء وهذا مستمر في كل أمر معه جزاء والتقدير ان تنفقوا لن نتقبل منكم وأما اذا عري الامر من الجواب فليس يصحبه تضمن الشرط انتهى ويقدح في هذا التخريج أن الأمر اذا كان فيه معنى

معه جزاء والتقدير ان تنفقوا لن يتقبل منكم وأما اذا عري الامر من الجواب فليس يصحبه تضمن الشرط انتهى ويقدح في هذا التخريج ان الامر اذا كان فيه معنى الشرط كان الجواب كجواب الشرط فعلى هذا يقتضي أن يكون التركيب فلن يتقبل بالفاء لان لن لا تقع جوابا للشرط الا بالفاء فكذلك ما ضمن معناه وانتصب طوعا أو كرها على الحال والطوع أن يكون من غير إلزام الله ورسوله والكره الزام ذلك وسمى الالزام اكراها لانهم منافقون فصار الالزام شاقا عليهم كالاكراه وعلل انتفاء التقبل بالفسق والمراد به هنا الكفر ويدل عليه قوله في الآية بعدها

(الدر)

(ع) أنفقوا أمر في ضمنه جزاء وهذا مستمر في كل أمر معه جزاء والتقدير ان تنفقوا لن يتقبل منكم وأما اذا عري الامر من الجواب فليس يصحبه تضمن الشرط انتهى (ح) يقدح في هذا التخريج ان الامر اذا كان فيه معنى الشرط كان كجواب الشرط فعلى هذا يقتضي أن يكون التركيب فلن يتقبل بالفاء لان لن لا تقع جوابا للشرط الا بالفاء فكذلك ما ضمن معناه ألا ترى جزمه الجواب في مثل اقصد زيدا يحسن اليك (ش) وفي سبيل الله فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم

الشرط كان الجواب كجواب الشرط فعلى هذا يقتضى أن يكون التركيب فلن يتقبل بالفاء لان لن لاتقع جوابا للشرط الا بالفاء فكذلك ما ضمن معناه ألا ترى جزمه الجواب فى مثل اقصد زيدا يحسن اليك وانتصب طوعا أو كرها على الحال والطوع أن يكون من غير الزام الله ورسوله والكره الزام ذلك وسمى الالزام اكراها لانهم منافقون فصار الالزام شاقا عليهم كالاكراه أو يكون من غير الزام من رؤسائكم أو الزام منهم لانهم كانوا يحملونهم على الانفاق لما يرون فيه من المصلحة والجمهور على أن هذه نزلت بسبب الجد بن قيس حين استأذن فى القعود وقال هذا مالى أعينك به * وقال ابن عباس فيكون من اطلاق الجمع على الواحد أوله ولمن فعل فعله فقد نقل البيهقى وغيره من الأئمة انهم كانوا ثلاثة وثمانين رجلا استثنى منهم الثلاثة الذين خلفوا وأهلك الباقون ونفى التقبل اما كون الرسول لم يقبله منهم ورده واما كون الله لا يثيب عليه وعلل انتفاء التقبل بالفسق * قال الزمخشرى وهو التمرد والعتو والأولى أن يحمل على الكفر * قال أبو عبد الله الرازى هذه اشارة الى أن عدم القبول معلل بكونهم فاسقين فدل على أن الفسق يؤثر فى ازالة هذا المعنى وأكد الجبائى ذلك بدليله المشهور فى هذه المسألة وهو أن الفسق يوجب الذم والعقاب الدائمين والطاعة توجب المدح والثواب الدائمين والجمع بينهما محال فكان الجمع بين استحقاقهما محالا وقد أزال الله هذه الشبهة بقوله ومامنعهم الآية وان تصريح هذا اللفظ لا يؤثر فى القبول الا الكفر ودل ذلك على أن مطلق الفسق لا يحبط الطاعات فنفى تعالى أن عدم القبول ليس معللا بعموم كونه فسقا بل بخصوص وصفه وهو كون ذلك الفسق كفرا فثبت أن استدلال الجبائى باطل انتهى وفيه بعض تلخيص ﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون﴾ ذكر السبب الذى هو بمفرده مانع من قبول نفقاتهم وهو الكفر وأتبعه بما هو ناشئ عن الكفر ومستلزم له وهو دليل عليه وذلك هو اتيان الصلاة وهم كسالى وايتاء النفقة وهم كارهون فالكسل فى الصلاة وترك النشاط اليها وأخذها بالاقبال من ثمرات الكفر فايقاعها عندهم لا يرجون به ثوابا ولا يخافون بالتفريط فيها عقابا وكذلك الانفاق للاموال لا يكرهون ذلك الا وهم لا يرجون به ثوابا وذكر من أعمال البر هذين العملين الجليلين وهما الصلاة والنفقة واكتفى بهما وان كانوا أفسد حالا فى سائر أعمال البر لان الصلاة أشرف الاعمال البدنية والنفقة فى سبيل الله أشرف الأعمال المالية وهما وصفان المطلوب اظهارهما فى الاسلام ويستدل بهما على الايمان وتعداد القبائح يزيد الموصوف بها ذما وتقبيحا * وقرأ الأخوان وزيد ابن على أن يقبل بالياء وباقى السبعة بالتاء ونفقاتهم بالجمع وزيد بن على بالافراد * وقرأ الأعرج بخلاف عنه أن تقبل بالتاء من فوق نفقتهم بالافراد وفى هذه القراآت الفعل مبنى للمفعول وقرأت فرقة أن نقبل منهم نفقتهم بالنون ونصب النفقة * قال الزمخشرى وقراءة السلمى أن نقبل منهم نفقاتهم على أن الفعل لله تعالى انتهى والأولى أن يكون فاعل منع قوله الا أنهم أى كفرهم ويحتمل أن يكون لفظ الجلالة أى وما منعهم الله ويكون الا أنهم تقديره الا لانهم كفروا وأن تقبل مفعول ثان إما لوصول منع اليه بنفسه وإما على تقدير حذف حرف الجر فوصل الفعل اليه ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾ لما قطع رجاء المنافقين عن جميع منافع الآخرة بين أن الأشياء التى يظنونها من باب منافع الدنيا جعلها الله تعالى أسبابا ليعذبهم بها فى الدنيا أى ولا يعجبك أيها السامع بمعنى لا يستحسن ولا يفتتن بما أوتوا من

﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله﴾ وذكر السبب الذى هو بمفرده مانع من قبول نفقاتهم وهو الكفر وأتبعه بما هو ناشئ عن الكفر ومستلزم له وهو دليل عليه وذلك إتيان الصلاة وهم كسالى وايتاء النفقة وهم كارهون والكسل فى الصلاة وترك النشاط اليها وأخذها بالاقبال من ثمرات الكفر فايقاعها عندهم لا يرجون به ثوابا ولا يخافون بالتفريط فيها عقابا وكذلك الانفاق للاموال لا يخرجون ذلك الا وهم لا يرجون به ثوابا ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾ لما قطع رجاء المنافقين عن جميع منافع الآخرة بين ان الاشياء التى يظنونها من باب منافع الدنيا جعلها تعالى أسبابا لتعذيبهم بها فى الدنيا أى فلا تعجبك أيها السامع بمعنى لا تستحسن ولا تفتتن بما أوتوا من زينة الدنيا وفى هذا تحقير لشأن المنافقين والضمير فى بها عائد على الاموال واللام فى ليعذبهم لام كى ومفعول يريد محذوف تقديره يريد كسبهم الاموال والاولاد لاجل تعذيبهم

زينة الدنيا كقوله ولاتمدن عينيك وفى هذا تحقير لشأن المنافقين * قال ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدى وابن قتيبة فى الكلام تقديم وتأخير والمعنى فلاتعجبك أموالهم ولاأولادهم فى الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة انتهى ويكون انما يريد الله ليعذبهم بها جملة اعتراض فيها تشديد للكلام وتقوية لانتفاء الاعجاب لان من كان مآل اتيانه المال والولد للتعذيب لاينبغى أن تستحسن حاله ولايفتتن بها الا أن تقييد الاعجاب المنهى عنه الذى يكون ناشئا عن أموالهم وأولادهم من المعلوم أنه لا يكون الا فى الحياة الدنيا فنفى ذلك كأنه زيادة تأكيد بخلاف التعذيب فانه قد يكون فى الدنيا كما يكون فى الآخرة ومع أن التقديم والتأخير خصه أصحابنا بالضرورة * وقال الحسن الوجه فى التعذيب انه بما ألزمهم فيهما من أداء الزكاة والنفقة فى سبيل الله فالضمير فى قوله بها عائد فى هذا القول على الاموال فقط * وقال ابن زيد وغيره التعذيب هو مصائب الدنيا ورزاياها هى لهم عذاب اذلا يؤجرون عليها انتهى ويتقوى هذا القول بان تعذيبهم بالزام الشريعة أعظم من تعذيبهم بسائر الرزايا وذلك لاقتران الذلة والغلبة وأمر الشريعة لهم قاله ابن عطية وقد جمع الزمخشرى هذا كله * فقال انما أعطاهم ما أعطاهم للعذاب بان عرضهم للمغنم والسبى وبلاهم فيه بالآفات والمصائب وكلفهم الانفاق منه فى أبواب الخير وهم كارهون له على رغم أنوفهم وأذاقهم أنواع الكلف والمجاشم فى جمعه واكتسابه وفى تربية أولادهم * وقيل أموالهم التى ينفقونها فانها لاتقبل منهم ولاأولادهم المسلمون مثل عبدالله بن عبدالله بن أبى وغيره فانهم لاينفعون آباءهم المنافقين حكاه القشيرى * وقيل بتمكن حب المال من قلوبهم والتعب فى جمعه والوصل فى حفظه والحسرة على تخلفته عند من لايحمده ثم يقدم على ملك لايعذره وقدم الاموال على الاولاد لانها كانت أعلق بقلوبهم ونفوسهم أميل اليها فانهم كانوا يقتلون أولادهم خشية ذهاب أموالهم قال تعالى ولاتقتلوا أولادكم خشية إملاق * قال الزمخشرى (فان قلت) ان صح تعليق العذاب بارادة الله تعالى فما بال زهوق أنفسهم وهم كافرون (قلت) المراد الاستدراج بالنعم كقوله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما كأنه قيل ويريد أن يديم عليهم نعمته الى أن يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة انتهى وهو بسط كلام ابن عيسى وهو الرمانى وهما كلاهما معتزليان قال ابن عيسى المعنى انما يريد الله أن يملى لهم ويستدرجهم ليعذبهم انتهى وهى نزغة اعتزالية والذى يظهر من حيث عطف وتزهق على ليعذب أن المعنى ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ونبه على عذاب الآخرة بعلته وهو زهوق أنفسهم على الكفر لان من مات كافرا عذب فى الآخرة لامحالة والظاهر أن زهوق النفس هنا كناية عن الموت * قال ابن عطية ويحتمل أن يريد وتزهق أنفسهم من شدة التعذيب الذى ينالهم ﴿ ويحلفون بالله انهم لمنكم وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون ﴾ أى لمن جملة المسلمين وأكذبهم الله بقوله وماهم منكم ومعنى يفرقون يخافون القتل ومايفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية وهم يبطنون النفاق أو يخافون اطلاع الله المؤمنين على بواطنهم فيحل بهم مايحل بالكفار ولما حقر تعالى شأن المنافقين وأموالهم وأولادهم عاد الى ذكر مصالحهم وماهم عليه من خبث السريرة فقال ويحلفون بالله على الجملة لاعلى التعيين وهى عادة الله فى ستر أشخاص العصاة ﴿ لو يجدون ملجأ أومغارات أومدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ﴾ لما ذكر فرق المنافقين من المؤمنين أخبر بما هم عليه معهم مما يوجب الفرق وهو انهم لو أمكنهم الهروب منهم لهربوا ولكن صحبتهم لهم صحبة اضطرار لا اختيار * قال ابن عباس

﴿ ويحلفون بالله انهم لمنكم ﴾ أى لمن جملة المسلمين وأكذبهم بقوله ﴿ وماهم منكم ﴾ ومعنى يفرقون يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية وهم يبطنون النفاق ﴿ لو يجدون ملجأ ﴾ لما ذكر تعالى فرق المنافقين من المؤمنين أخبر بما هم عليه معهم مما يوجبه الفرق وهو انهم لو أمكنهم الهرب منهم لهربوا ولكن صحبتهم لهم صحبة اضطرار لا اختيار والملجأ الحرز والمغارات جمع مغارة وهى الغار بجمع على غيران بنى من غار يغور اذا دخل بدأ أولا بالاعم وهو الملجأ اذ يطلق على كل مايلجأ اليه الانسان ثم ثنى بالمغارات وهى الغيران فى الجبال ثم أتى ثالثا بالمدخل وهو النفق باطن الارض ﴿ لولوا اليه ﴾ أى الى واحد من الثلاث ﴿ وهم يجمحون ﴾ أى يسرعون اسراعا لا يردهم شئ

الملجأ الحرز * وقال قتادة الحصن * وقال السدي المهرب * وقال الاصمعي المكان الذي يتحصن فيه * وقال ابن كيسان القوم يأمنون منهم والمغارات جمع مغارة وهي الغار ويجمع على غيران بني من غار يغور اذا دخل مفعلة للمكان كقولهم مزرعة * وقيل المغارة السرب تحت الأرض كنفق اليربوع * وقرأ سعد بن عبد الرحمن بن عوف مغارات بضم الميم فيكون من أغار * قيل وتقول العرب غار الرجل وأغار بمعنى دخل فعلى هذا يكون مغارات من أغار اللازم ويجوز أن يكون من أغار المنقول بالهمزة من غار أي أماكن في الجبال يغيرون فيها أنفسهم * وقال الزجاج ويصح أن يكون من قولهم جبل مغار أي مفتول ثم يستعار ذلك في الأمر المحكم المبرم فيجيء التأويل على هذا لو يجدون نصرة أو أمورا مرتبطة مشددة تعصمهم منكم أو مدخلا لولوا اليه * وقال الزمخشري ويجوز أن يكون من أغار الثعلب اذا أسرع بمعنى مهارب ومغار انتهى والمدخل قال مجاهد المعقل يمنعهم من المؤمنين * وقال قتادة السرب يسيرون فيه على خفاء * وقال الكلبي نفقا كنفق اليربوع * وقال الحسن وجها يدخلون فيه على خلاف الرسول * وقيل قبيلة يدخلون فيها تحميهم من الرسول ومن المؤمنين * وقال الجمهور مدخلا وأصله مدتخل مفتعل من ادخل وهو بناء تأكيد ومبالغة ومعناه السرب والنفق في الارض قاله ابن عباس بدىء أولا بالاعم وهو الملجأ اذ ينطلق على كل ما يلجأ اليه الانسان ثم ثنى بالمغارات وهي الغيران في الجبال ثم أتى ثالثا بالمدخل وهو النفق باطن الارض * وقال الزجاج المدخل قوم يدخلونهم في جملتهم * وقرأ الحسن وابن أبي اسحق ومسلمة بن محارب وابن محيصن ويعقوب وابن كثير بخلاف عنه مدخلا بفتح الميم من دخل * وقرأ محبوب عن الحسن مدخلا بضم الميم من أدخل * وروى ذلك عن الاعمش وعيسى ابن عمر * وقرأ قتادة وعيسى بن عمر والاعمش مدّخلا بتشديد الدال والخاء معا أصله متدخل فأدغمت التاء في الدال * وقرأ أبي مندخلا بالنون من اندخل قال

* ولا يدي في حميت السمن تندخل * وقال أبو حاتم قراءة أبي متدخلا بالتاء * وقرأ الأشهب العقيلي لوالوا اليه أي لتابعوا اليه وسارعوا * وروى ابن أبي عبيدة بن معاوية بن نوفل عن أبيه عن جده وكانت له صحبة انه قرأ لوالوا اليه من الموالاة وأنكرها سعيد بن مسلم وقال أظنها لوألوا بمعنى للجأوا * وقال أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي وهذا مما جاء فيه فاعل وفعل بمعنى واحد ومثله ضاعف وضعف انتهى * وقال الزمخشري وقرأ أبي بن كعب متدخلا لولوا اليه لالتجأوا اليه انتهى وعن أبي لولوا وجوههم اليه ولما كان العطف بأو عاد الضمير اليه مفردا على قاعدة النحو في أو فاحتمل من حيث الصناعة أن يعود على الملجأ أو على المدخل فلا يحتمل على أن يعود في الظاهر على المغارات لتذكيره وأما بالتأويل فيجوز أن يعود عليها وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء * وقرأ أنس بن مالك والاعمش وهم يجمزون * قيل يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد * وقال ابن عطية يجمزون يهرولون ومنه قولهم في حديث الرجم فلما اذلقته الحجارة جمز

﴿ ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ﴾ اللامز حرقوص بن زهير التميمي وهو ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان الرسول صلى الله عليه وسلم

﴿ ومنهم من يلمزك ﴾ اللامز هو حرقوص بن زهير التميمي وهو ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله الحديث وقيل غيره والمعنى من يعيبك في قسم الصدقات والضمير في ومنهم للمنافقين والكاف لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الترديد بين الشرطين يدل على دناءة طباعهم ونجاسة أخلاقهم وأن لمزهم الرسول عليه السلام انما هو لشرههم في تحصيل الدنيا ومحبة المال وان رضاهم وسخطهم انما متعلقه العطاء والظاهر حصول مطلق الاعطاء أو نفيه وما أحسن مجيء جواب هذين الشرطين لان الاول لا يلزم أن يقارنه ولا أن يعتقبه بل قد يجوز أن يتأخر نحو ان أسلمت دخلت الجنة فانما يقتضي مطلق الترتيب وأما جواب الشرط الثاني فجاء باذا الفجائية وانهم اذا لم يعطوا فاجأ سخطهم ولم يمكن تأخره لما جبلوا عليه من محبة الدنيا والشره في تحصيلها ومفعول رضوا محذوف أي رضوا ما أعطوه وليس المعنى رضوا عن الرسول لانهم منافقون ولان رضاهم وسخطهم لم يكن لاجل الدين بل لاجل الدنيا وجاءت اذا الفجائية رابطة لجواب الجزاء بجملة الشرط ولا تحفظ أن اذا جاءت جوابا للشرط الا وحرف الشرط ان وكذلك في قوله اذا هم يقنطون وسائر أدوات الشرط كانت اسما كمن وما ومهما أو ظرف زمان كمتى وأيان أو مكان كحيثما لا نعلمه جاء جواب شيء منها باذا الفجائية على كثرة مطالعتي لدواوين العرب

يقسم غنائم حنين فقال اعدل يارسول الله الحديث * وقيل هو ابن الجواظ المنافق قال ألا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم * وقيل ثعلبة بن حاطب كان يقول انما يعطى محمد قريشا * وقيل رجل من الانصار أتى الرسول بصدقة يقسمها * فقال ماهذا بالعدل وهذه نزغة منافق والمعنى من يعيبك فى قسم الصدقات وضمير ومنهم للمنافقين والكاف للرسول وهذا الترديد بين الشرطين يدل على دناءة طباعهم ونجاسة أخلاقهم وان لمزهم الرسول انما هو لشرههم فى تحصيل الدنيا ومحبة المال وان رضاهم وسخطهم انما متعلقه العطاء والظاهر حصول مطلق الاعطاء أو نفيه * وقيل التقدير فان أعطوا منها كثيرا رضوا وان لم يعطوا منها كثيرا بل قليلا وما أحسن مجىء جواب هذين الشرطين لان الاول لا يلزم أن يقارنه ولا أن يعتقبه بل قد يجوز أن يتأخر نحو ان أسلمت دخلت الجنة فانما يقتضى مطلق الترتب وأما جواب الشرط الثانى فجاء باذا الفجائية وانه اذا لم يعطوا فاجأ سخطهم ولم يمكن تأخره لما جبلوا عليه من محبة الدنيا والشره فى تحصيلها ومفعول رضوا محذوف أى رضوا ما أعطوه وليس المعنى رضوا عن الرسول لانهم منافقون ولان رضاهم وسخطهم لم يكن لاجل الدين بل للدنيا * وقرأ الجمهور يلمزك بكسر الميم * وقرأ يعقوب وحماد بن سلمة عن ابن كثير والحسن وأبو رجاء وغيرهم بضمها وهى قراءة المكيين ورويت عن أبى عمرو * وقرأ الاعمش يلمزك وروى أيضا حماد بن سلمة عن ابن كثير يلامزك وهى مفاعلة من واحد * وقيل وفر الرسول صلى الله عليه وسلم قسم أهل مكة فى الغنائم استعطافا لقلوبهم فضج المنافقون ﴿ ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون ﴾ هذا وصف لحال المستقيمين فى دينهم أى رضوا قسمة الله ورسوله وقالوا كفانا فضل الله وعلقوا آمالهم بما سيؤتيه الله اياهم وكانت رغبتهم الى الله لا الى غيره وجواب لو محذوف تقديره لكان خيرا لهم فى دينهم ودنياهم وكان ذلك الفعل دليلا على انتقالهم من النفاق الى محض الايمان لان ذلك تضمن الرضا بقسم الله والاقرار بالله وبالرسول اذ كانوا يقولون سيؤتينا الله من فضله ورسوله * وقيل جواب لو هو قوله وقالوا على زيادة الواو وهو قول كوفى * قال الزمخشرى والمعنى ولو انهم رضوا ما أصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وأن قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله تعالى وصنعه وحسبنا ماقسم لنا سيرزقنا غنيمة أخرى فسيؤتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما آتانا اليوم انا الى الله فى ان يغنمنا ويخولنا فضله راغبون انتهى * وقال ابن عباس راغبون فيما يمنحنا من الثواب ويصرف عنا من العقاب * وقال التبريزى راغبون فى أن يوسع علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة وغيرها مما فى أيدى الناس * وقيل ما آتاهم الله بالتقدير ورسوله بالقسم انتهى وأتى أولا بمقام الرضا وهو فعل قلبى يصدر عمن علم انه تعالى منزه عن العتب والخطأ عليم بالعواقب فكل قضائه صواب وحق لا اعتراض عليه ثم ثنى باظهار آثار الوصف القلبى وهو الاقرار باللسان فحسبنا مارضى به ثم أتى ثالثا بأنه تعالى ماداموا فى الحياة الدنيا ماد لهم بنعمه واحسانه فهو اخبار حسن اذ مامن مؤمن الا ونعم الله مترادفة عليه حالا ومآلا امافى الدنيا واما فى الآخرة ثم أتى رابعا بالجملة المقتضية الالتجاء الى الله لا الى غيره والرغبة اليه فلا يطلب بالايمان أخذ الاموال والرئاسة فى الدنيا ولما كانت الجملتان متغايرتين وهما ماتضمن الرضا بالقلب وماتضمن الاقرار باللسان تعاطفتا ولما كانت الجملتان الاخيرتان من آثار قولهم حسبنا الله لم تتعاطفا اذهما كالشرح

﴿ولو أنهم رضوا﴾ الآية هذا وصف لحال المستقيمين فى دينهم أى رضوا قسمة الله ورسوله وقالوا كفانا فضل الله ورسوله وعلقوا آمالهم بما سيؤتيه الله اياهم وكانت رغبتهم الى الله تعالى لا الى غيره وجواب لو محذوف تقديره لكان خيرا لهم فى دينهم ودنياهم

﴿انما الصدقات للفقراء﴾ لما ذكر تعالى من يعيب الرسول فى قسم الصدقات بانه يعطى من يشاء ويحرم من يشاء أو يخص أقاربه أو يأخذ لنفسه ما بقى وكانوا يسألون فوق ما يستحقون بين تعالى مصرف الصدقات وأنه عليه السلام انما قسم على ما فرضه الله تعالى ولفظة انما ان كانت وضعت للحصر فالحصر مستفاد من لفظها وان لم توضع للحصر فالحصر مستفاد من الأوصاف اذ مناط الحكم بالوصف يقتضى التعليل به والتعليل بالشئ يقتضي الاقتصار عليه والظاهر أن مصرف الصدقات هؤلاء الاصناف والظاهر ان العطف مشعر بالتغاير فيكون الفقراء غير المساكين والظاهر بقاء هذا الحكم للاصناف الثمانية دائما اذ لم يرد نص فى نسخ شئ منها وتقدم الكلام على الفقراء والمساكين وفى الرقاب وابن السبيل فى البقرة ﴿والعاملين عليها﴾ العامل هو الذى يستنيبه الامام فى السعى فى جمع الصدقات وكل من تصرف لا يستغنى عنه فيها فهو من العاملين ويسمى جابى الصدقات والساعى ﴿والمؤلفة قلوبهم﴾ هم أشراف من العرب مسلمون لم يتمكن الايمان من قلوبهم أعطاهم صلى الله عليه وسلم ليتمكن الايمان من قلوبهم فمن المؤلفة أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو والحرث بن هشام وحويطب بن عبد العزى وصفوان بن أمية ومالك بن عوف النضرى والعلاء بن حارثة الثقفى فهؤلاء أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بعير لكل واحد ومخرمة بن نوفل بن (٥٧) الزهرى وعمير بن وهب الجمحى وهشام بن عمرو العايدى أعطاهم دون المائة ومن المؤلفة سعيد بن يربوع والعباس ابن مرداس والاقرع بن حابس وزيد الخيل وعلقمة ابن علاثة وأبو سفيان الحرث بن عبد المطلب وحكيم بن حزام وعكرمة ابن أبي جهل وسعيد بن عمرو وعيينة بن حصن وحسن اسلام المؤلفة حاشا عيينة فانه لم يزل مغموصا عليه ﴿والغارمين﴾ قال ابن عباس الغارم من عليه دين وزاد مجاهد وقتادة فى غير معصية ولا اسراف والجمهور على انه يقضى منها دين الميت اذ هو غارم وقال أبو حنيفة وابن المواز من المالكية لا يقضى منها وقال أبو حنيفة ولا تقضى منها كفارة ونحوها من حقوق الله تعالى وانما الغارم من عليه دين يحبس فيه وقيل يدخل فى الغارمين من تحمل حالات فى اصلاح وبر وان كان غنيا اذ كان ذلك يجحف بماله وهو قول الشافعى وأصحابه وأحمد ﴿وفى سبيل الله﴾ هو المجاهد يعطى منها اذا كان فقيرا والجمهور على أنه يعطى منها وان كان غنيا ما ينفق فى غزوته وقال الشافعى وأحمد وعيسى بن دينار وجماعة لا يعطى الغنى الا ان احتاج فى غزوته وغاب عنه وفره وقال أبو حنيفة وصاحباه لا يعطى الا ان كان فقيرا أو منقطعا به فاذا أعطى ملك وان لم يصرفه فى غزوته وقال ابن عبد الحكم ويجعل من الصدقة فى الكراع والسلاح وما يحتاج اليه من آلات الحرب وكف العدو عن الحوزة لانه كله فى سبيل الله ومنفعته للجمهور والجمهور على انه يجوز الصرف منها الى الحجاج والمعتمرين وان كانوا أغنياء وانتصب فريضة لانه فى معنى المصدر المؤكد لان قوله تعالى انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات فريضة لهم فهى مصدر وقرئ فريضة بالرفع على تلك فريضة ﴿والله عليم حكيم﴾ لان ما صدر عنه هو عن علم منه بخلقه وحكمة منه فى القسمة أى عليم بمقادير المصالح حكيم لا يشرع الا ما هو الاصلح

لقولهم حسبنا الله فلا تغاير بينهما ﴿انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ لما ذكر تعالى من يعيب الرسول فى قسم الصدقات بأنه يعطى من يشاء ويحرم من يشاء أو يخص أقاربه أو يأخذ لنفسه ما بقى وكانوا يسألون فوق ما يستحقون بين تعالى مصرف الصدقات وانه صلى الله عليه وسلم انما قسم على ما فرضه الله تعالى ولفظة انما ان كانت وضعت للحصر فالحصر مستفاد من لفظها وان كانت لم توضع للحصر فالحصر مستفاد من الاوصاف اذ مناط الحكم بالوصف يقتضى التعليل به والتعليل بالشئ يقتضى الاقتصار عليه والظاهر ان مصرف الصدقات هؤلاء الاصناف والظاهر ان العطف مشعر بالتغاير فتكون الفقراء غير المساكين والظاهر بقاء هذا الحكم للأصناف الثمانية دائما اذ لم يرد نص فى نسخ شئ منها والظاهر أنه يعتبر فى كل صنف منها ما دل عليه لفظه ان كان موجودا والخلاف فى كل شئ من هذه الظواهر فاما ان مصرف الصدقات هؤلاء الاصناف فذهب جماعة من الصحابة والتابعين الى أنه يجوز أن يقتصر على بعض هؤلاء الاصناف ويجوز أن يصرف الى جميعها فمن الصحابة عمر وعلى ومعاذ وحذيفة وابن عباس ومن التابعين النخعى وعمر بن

عبد العزيز وأبو العالية وابن جبير قالوا في أي صنف منها وضعتها أجزأتك قال ابن جبير لو نظرت الى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين نخيرتهم بها كان أحب الى * قال الزمخشرى وعليه مذهب أبي حنيفة قال غيره وأبي يوسف ومحمد وزفر ومالك * وقال جماعة من التابعين لا يجوز الاقتصار على أحد هذه الأصناف منهم زين العابدين على بن الحسين وعكرمة والزهرى بل يصرف الى الاصناف الثمانية وقد كتب الزهرى لعمر بن عبد العزيز يفرقها على الاصناف الثمانية وهو مذهب الشافعي قال الا المؤلفة فانهم انقطعوا وأما ان الفقراء غير المساكين فذهب جماعة من السلف الى ان الفقير والمسكين سواء لا فرق بينهما في المعنى وان افترقا في الاسم وهما صنف واحد سمى باسمين ليعطى سهمين نظرا لهم ورحمة * قال في التحرير وهذا هو أحد قولي الشافعي وذهب الجمهور الى انهما صنفان يجمعهما الاقلال والفاقة واختلفوا فيما به الفرق * فقال الاصمعى وغيره منهم أحمد بن حنبل وأحمد بن عبيد الفقير أبلغ فاقة * وقال غيره منهم أبو حنيفة ويونس بن حبيب وابن السكيت وابن قتيبة المسكين أبلغ فاقة لانه لا شئ له والفقير من له بلغة من الشئ * وقال الضحاك الفقراء هم من المهاجرين والمساكين من لم يهاجر * وقال النخعى نحوه * وقال عكرمة الفقراء من المسلمين والمساكين من أهل الذمة لا نقول لفقراء المسلمين مساكين وروى عنه بالعكس حكاه مكى * وقال الشافعي في كتاب ابن المنذر الفقير من لا مال له ولا حرفة سائلا كان أو متعففا والمسكين الذى له حرفة أو مال ولكن لا يغنيه ذلك سائلا كان أو غير سائل * وقال قتادة الفقير الزمن المحتاج والمسكين الصحيح المحتاج * وقال ابن عباس والحسن ومجاهد والزهرى وابن زيد وجابر بن زيد والحكم ومقاتل ومحمد بن مسلمة المساكين الذين يسعون ويسألون والفقراء هم الذين يتعاونون وأما بقاء الحكم للأصناف الثمانية فذهب عمر بن الخطاب والحسن والشعبي وجماعة الى انه انقطع صنف المؤلفة بعزة الاسلام وظهوره وهذا مشهور مذهب مالك وأبي حنيفة قال بعض الحنفيين أجمعت الصحابة على سقوط سهمهم في خلافة أبي بكر لما أعز الله الاسلام وقطع دابر الكافرين * وقال القاضى عبد الوهاب ان احتيج اليهم في بعض الاوقات أعطوا من الصدقات * وقال كثير من أهل العلم المؤلفة قلوبهم موجودون الى يوم القيامة * قال ابن عطية واذا تأملت الثغور وجدت فيها الحاجة الى الائتلاف انتهى * وقال يونس سألت الزهرى عنهم فقال لا أعلم نسخا في ذلك * قال أبو جعفر النحاس فعلى هذا الحكم فيهم ثابت فان كان أحد يحتاج الى تألفه ويخاف أن تلحق المسلمين منه آفة أو يرجى حسن اسلامه بعد دفع اليه * وقال القاضى أبو بكر بن العربى الذى عندى انه ان قوى الاسلام زالوا وان احتيج اليهم أعطوا سهمهم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم فان في الصحيح بدا الاسلام غريبا وسيعود كما بدا وفي كتاب التحرير قال الشافعي العامل والمؤلفة قلوبهم مفقودان في هذا الزمان بقيت الاصناف الستة فالاولى صرفها الى الستة وأما أنه يعتبر في كل صنف منها ما دل عليه لفظه ان كان موجودا فهو مذهب الشافعي ذهب الى أنه لا بد في كل صنف من ثلاثة لان أقل الجمع ثلاثة فان دفع سهم الفقراء الى فقيرين ضمن نصيب الثالث وهو ثلث سهم * وقال أصحاب أبي حنيفة يجوز أن يعطى جميع زكاته مسكينا واحدا * وقال مالك لا بأس أن يعطى الرجل زكاة الفطر عن نفسه وعياله واحدا واللام في للفقراء * قيل للملك * وقيل للاختصاص والظاهر عموم الفقراء والمساكين فيدخل فيه الاقارب والاجانب وكل من اتصف بالفقر والمسكنة فأما ذوو قربى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال أصحاب أبي حنيفة تحرم عليهم

الصدقة منهم آل العباس وآل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل الحرث بن عبد المطلب * وروى عن أبي حنيفة وليس بالمشهور أن فقراء بني هاشم يدخلون في آية الصدقة * وقال أبو يوسف لا يدخلون * قال أبو بكر الرازي المشهور عن أصحابنا أنهم من تقدم من آل العباس ومن ذكر معهم ويخص التحريم الفرض لا صدقة التطوع * وقال مالك لا تحل الزكاة لآل محمد وتحل التطوع * وقال الثوري لا تحل لبني هاشم ولم يذكر فرقا بين النفل والفرض * وقال الشافعي تحرم صدقة الفرض على بني هاشم وبني المطلب وتجوز صدقة التطوع على كل أحد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يأخذها * وقال ابن الماجشون ومطرف وأصبغ وابن حبيب لا يعطى بنو هاشم من الصدقة المفروضة ولا من التطوع * وقال مالك في الواضحة لا يعطى آل محمد من التطوع وأما أقارب المزكى فقال أصحاب أبي حنيفة لا يعطى منها والدوان علا ولا ابن وان سفل ولا زوجة * وقال مالك والثوري والحسن بن صالح والليث لا يعطى من تلزمه نفقته * وقال ابن شبرمة لا يعطى قرابته الذين يرثونه وانما يعطى من لا يرثه وليس في عياله * وقال الاوزاعي لا يتخطى بزكاة ماله فقراء أقاربه اذا لم يكونوا من عياله ويتصدق على مواليه من غير زكاة ماله * وقال مالك والثوري وابن شبرمة والشافعي وأصحاب أبي حنيفة لا يعطى الفرض من الزكاة * وقال عبيد الله بن الحسن اذا لم يجد مسلما أعطى الذمي فكأنه يعني الذمي الذي هو بين ظهرانيهم * وقال مالك وأبو حنيفة لا تعطى الزوجة زوجها من الزكاة * وقال الثوري والشافعي وأبو يوسف ومحمد تعطيه واختلفوا في المقدار الذي اذا ملكه الانسان دخل به في حد الغنى وخرج عن حد الفقر وحرمت عليه الصدقة * فقال قوم اذا كان عند أهله ما يغديهم ويعشيهم حرمت عليه الصدقة ومن كان عنده دون ذلك حلت له * وقال قوم حتى يملك أربعين درهما أو عدلها من الذهب * وقال قوم حتى تملك خمسين درهما أو عدلها من الذهب وهذا مروى عن علي وعبد الله والشعبي * قال مالك حتى تملك مائتي درهم أو عدلها من عرض أو غيره فاضلا عما يحتاج اليه من مسكن وخادم وأثاث وفرش وهو قول أصحاب أبي حنيفة فلو دفعها الى من ظن أنه فقير فتبين أنه غني أو تبين أن المدفوع اليه أبوه أو ذمي ولم يعلم بذلك وقت الدفع * فقال أبو حنيفة ومحمد يجزئه * وقال أبو يوسف لا يجزئه والعامل هو الذي يستنيبه الامام في السعي في جمع الصدقات وكل من يصرف ممن لا يستغنى عنه فيها فهو من العاملين ويسمى جابي الصدقة والساعي قال

ان السعاة عصوك حين بعثتهم * لم يفعلوا مما أمرت فتيلا

وقال

سعى عقالا فلم يترك لنا سبدا * فكيف لو قد سعى عمرو عقالين

أراد بالعقال هنا زكاة السنة وتعدى بعلى ولم يقل فيها لان على للاستعلاء المشعر بالولاية والجمهور على أن للعامل قدر سعيه ومؤنته من مال الصدقة وبه قال مالك والشافعي في كتاب ابن المنذر وأبو حنيفة وأصحابه فلو تجاوز ذلك الثمن من الصدقة * فقيل يتم له من سائر الانصباء * وقيل من خمس الغنيمة * وقال مجاهد والضحاك والشافعي هو الثمن على قسم القرآن * وقال مالك من رواية ابن أبي اويس وداود بن سعيد عنه يعطون من بيت المال واختلف في الامام هل له حق في الصدقات فنهم من قال هو العامل في الحقيقة ومنهم من قال لا حق له فيها والجمهور على أن أخذها مفوض للامام ومن استنابه فلو فرقها المزكى بنفسه دون اذن الامام أخذها منه ثانيا * وقال أبو حنيفة لا يجوز أن يعمل على الصدقة أحد من بني هاشم ويأخذ عمالته منها فان تبرع فلا خلاف بين أهل

العلم في جوازه * وقال آخرون لابأس لهم بالعمالة من الصدقة * وقيل ان عمل أعطيها من الخمس والمؤلفة قلوبهم أشراف العرب مسلمون لم يتمكن الايمان من قلوبهم أعطاهم ليتمكن الايمان من قلوبهم أو كفار لهم اتباع أعطاهم ليتألفهم واتباعهم على الاسلام * قال الزهري المؤلفة من أسلم من يهودي أو نصراني وان كان غنيا فمن المؤلفة أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو والحرث ابن هشام وحويطب بن عبد العزى وصفوان بن أمية ومالك بن عوف النصري والعلاء بن حارثة الثقفي فهؤلاء أعطاهم الرسول صلى الله عليه وسلم مائة بعير مائة بعير ومخرمة بن نوفل الزهري وعمير ابن وهب الجمحي وهشام بن عمرو العايدي أعطاهم دون المائة ومن المؤلفة سعيد بن يربوع والعباس بن مرداس وزيد الخيل وعلقمة بن علاثة وأبو سفيان الحرث بن عبد المطلب وحكيم بن حزام وعكرمة بن أبي جهل وسعيد بن عمرو وعيينة بن حصن وحسن اسلام المؤلفة حاشا عيينة فلم يزل مغموصا عليه وأما قوله وفي الرقاب فالتقدير وفي فك الرقاب فيعطى ما حصل به فك الرقاب من ابتداء عتق يشترى منه العبد فيعتق أو تخليص مكاتب أو أسير * وقال النخعي والشعبي وابن جبير وابن سيرين لا يجزىء أن يعتق من الزكاة رقبة كاملة وهو قول أصحاب أبي حنيفة والليث والشافعي * وقال ابن عباس وابن عمر أعتق من زكاتك * وقال ابن عمر والحسن وأحمد واسحق يعتق من الزكاة وولاؤه لجماعة المسلمين لا للمعتق وعن مالك والاوزاعي لا يعطى المكاتب من الزكاة شيأ ولا عبد كان مولاه موسرا أو معسرا * وعن ابن عباس والحسن ومالك هو ابتداء العتق وعون المكاتب بما يأتي على حريته والجمهور على أن المكاتبين يعانون في فك رقابهم من الزكاة ومذهب أبي حنيفة وابن حبيب ان فك رقاب الاسارى يدخل في قوله وفي الرقاب فيصرف في فكاكها من الزكاة * وقال الزهري سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين ونصف يعتق منه رقاب مسلمون ممن صلى والغارم من عليه دين قاله ابن عباس وزاد مجاهد وقتادة في غير معصية ولا اسراف والجمهور على انه يقضى منها دين الميت إذ هو غارم * وقال أبو حنيفة وابن المواز لا يقضى منها * وقال أبو حنيفة ولا يقضى منها كفارة ونحوها من صنوف الله تعالى وانما الغارم من عليه دين يحبس فيه * وقيل يدخل في الغارمين من تحمل حمالات في اصلاح وبر وان كان غنيا اذا كان ذلك يجحف بماله وهو قول الشافعي وأصحابه وأحمد وفي سبيل الله هو المجاهد يعطى منها اذا كان فقيرا والجمهور على انه يعطى منها وان كان غنيا ما ينفق في غزوته * وقال الشافعي وأحمد وعيسى بن دينار وجماعة لا يعطى الغني الا ان احتاج في غزوته وغاب عنه وفره * وقال أبو حنيفة وصاحباه لا يعطى الا اذا كان فقيرا أو منقطعا به واذا أعطى ملك وان لم يصرفه في غزوته * وقال ابن عبد الحكم ويجعل من الصدقة في الكراع والسلاح وما يحتاج اليه من آلات الحرب وكف العدو عن الحوزة لأنه كله من سبيل الغزو ومنفعته والجمهور على أنه يجوز الصرف منها الى الحجاج والمعتمرين وان كانوا أغنياء * وقال الزمخشري وفي سبيل الله فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم انتهى والذي يقتضيه تعداد هذه الاوصاف انها لا تتداخل واشتراط الفقر في بعضها يقضي بالتداخل فان كان الغازي أو الحاج شرط اعطائه الفقر فلا حاجة لذكره لأنه مندرج في عموم الفقراء بل كل من كان بوصف من هذه الاوصاف جاز الصرف اليه على أي حال كان من فقر أو غنى لأنه قام به الوصف الذي اقتضى الصرف اليه * قال ابن عطية ولا يعطى منها في بناء مسجد ولا قنطرة ولا شراء مصحف انتهى وابن السبيل قال ابن عباس هو عابر السبيل * وقال قتادة في آخرين هو الضيف * وقال جماعة

(الدر)

(ح) الذي يقتضيه تعداد هذه الاصناف انها لا تتداخل واشتراط الفقر في بعضها يقتضي التداخل فان كان الغازي أو الحاج شرط اعطائه الفقر فلا حاجة لذكره لانه مندرج في عموم الفقراء بل كل من كان بوصف من هذه الاوصاف جاز الصرف اليه على أي حال كان من فقر أو غنى لانه قام به الوصف الذي اقتضى الصرف اليه

هو المسافر المنقطع به وان كان له مال فى بلده * وقالت جماعة هو الحاج المنقطع * وقال الزجاج هو الذى قطع عليه الطريق وفى كتاب سحنون قال مالك اذا وجد المسافر المنقطع به من يسلفه لم يجزله أن يأخذ من الصدقة والظاهر الصرف اليه وان كان له مايغنيه فى طريقه لأنه ابن سبيل والمشهور انه اذا كان بهذا الوصف لايعطى * قال الزمخشرى (فان قلت) لم عدل عن اللام الى فى فى الاربعة الاخيرة (قلت) للايذان بأنهم أرسخ فى استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لأن فى للوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات و يجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما فى فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الاسر وفى فك الغارمين من الغرم من التخليص والانقاذ ولجمع الغازى الفقير أو المنقطع فى الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير فى فى قوله تعالى وفى سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين (فان قلت) فكيف وقعت هذه الآية فى تضاعيف ذكر المنافقين ومكائدهم (قلت) دل بكون هذه الاوصاف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسما لاطماعهم واشعارا باستيجابهم الحرمان وانهم بعداء عنها وعن مصارفها فالهم ولها وماسلطهم على الكلام لها ولمن قاسمها وانتصب فريضة لأنه فى معنى المصدر المؤكد لأن قوله تعالى انما الصدقات للفقراء معناه فرض من الله الصدقات لهم * وقرىء فريضة بالرفع على تلك فريضة انتهى * وقال الكرمانى وأبو البقاء فريضة حال من الضمير فى الفقراء أى مفروضة * قال الكرمانى كما تقول هى لك طلقا انتهى وذكر عن سيبويه انها مصدر والتقدير فرض الله الصدقات فريضة * وقال الفراء هى منصوبة على القطع * والله عليم حكيم لأن ماصدر عنه هو عن علم منه بخلقه وحكمة منه فى القسمة أو عليم بمقادير المصالح حكيم لايشرع الا ماهو الاصلح ﴿ ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين * ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزى العظيم * يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ماتحذرون * ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن * لاتعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين * المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون * وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم * كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون * ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون * والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم * وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ﴾ * الاعتذار

﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ﴾ كان حرام بن خالد وعبيد بن هلال والجلاس بن سويد في آخرين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لاتفعلوا فانا نخاف أن يبلغه فيوقع بنا فقال الجلاس بل نقول ماشئنا فان محمدا أذن سامعة ثم نأتيه فيصدقنا فنزلت وقيل غير ذلك يقال رجل أذن اذا كان يسمع مقال كل أحد يستوي فيه الواحد والجمع قاله الجوهري وقال الشاعر *
وقد صرت اذنا للوشاة سميعة * ينالون من عرضي ولو شئت مانالوا *
وارتفع أذن على اضمار مبتدا أي قل هو اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين تعدية يؤمن أولا بالباء وثانيا باللام قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر فعدى بالباء وقصد الاستماع للمؤمنين وان يسلم لهم مايقولون فعدى باللام وقرئ ورحمة بالرفع عطفا على اذن وبالجر عطفا على خير ﴿ ورحمة للذين آمنوا منكم ﴾ وخص المؤمنين وان كان رحمة للعالمين لان ماحصل لهم من الايمان بسبب رسول الله لم يحصل لغيرهم وخصوا هنا بالذكر وان كانوا قد دخلوا في العالمين لحصول مزيتهم وأبرز اسم الرسول ولم يأت مضمرا على نسق يؤمن بلفظ الرسول تعظيما لشأنه وجمعا له في الآية بين الرتبتين العظيمتين من النبوة والرسالة واضافته اليه زيادة في تشريفه وحتم على من أذاه بالعذاب الاليم وحق لهم ذلك والذين يؤذون عام يندرج فيه هؤلاء الذين آذوا هذا الايذاء الخاص وغيره

التنصل من الذنب * فقيل أصله المحو من قولهم اعتذرت المنازل ودرست فالمعتذر يحاول ازالة ذنبه قال ابن أحمر

قد كنت تعرف آيات فقد جعلت * اطلال إلفك بالوعساء تعتذر

وعن ابن الاعرابي ان الاعتذار هو القطع ومنه عذرة الجارية لأنها تعذر أي تقطع واعتذرت المياه انقطعت والعذر سبب لقطع الذم * عدن بالمكان يعدن عدونا أقام قاله أبو زيد وابن الاعرابي قال الاعشى

وان يستضيفوا الى حلمه * يضافوا الى راجح قد عدن

وتقول العرب تركت ابل فلان عوادن بمكان كذا وهو أن تلزم الابل المكان فتألفه ولا تبرحه وسمي المعدن معدنا لانبات الله الجوهر فيه واثباته إياه في الارض حتى عدن فيها أي ثبت وعدن مدينة باليمن لانها أكثر مدائن اليمن قطانا ودورا ﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ﴾ كان قدام بن خالد وعبيد بن هلال والجلاس بن سويد في آخرين يؤذون الرسول صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لاتفعلوا فانا نخاف أن يبلغه فيوقع بنا فقال الجلاس بل نقول بما شئنا فان محمدا اذن سامعة ثم نأتيه فيصدقنا فنزلت * وقيل نزلت في نبتل بن الحرث كان ينم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الى المنافقين فقيل له لاتفعل فقال ذلك القول * وقيل نزلت في الجلاس وزمعة ابن ثابت في آخرين أرادوا أن يقعوا في الرسول وعندهم غلام من الانصار يدعى عامر بن قيس فحقروه فقالوا لئن كان مايقول محمد حقا لنحن شر من الحمير فغضب الغلام فقال والله ان مايقول محمد حق وأنتم لشر من الحمير ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فدعاهم فسألهم فحلفوا ان عامرا كاذب وحلف عامر أنهم كذبة وقال اللهم لاتفرق بيننا حتى يتبين صدق الصادق وكذب الكاذب ونزلت هذه الآية يحلفون بالله لكم ليرضوكم فقال رجل أذن اذا كان يسمع مقال كل أحد يستوي فيه الواحد والجمع قاله الجوهري * وقال الزمخشري الاذن الرجل الذي يصدق كل مايسمع ويقبل قول كل أحد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كان جملته أذن سامعة ونظيره قولهم للربيئة عين * وقال الشاعر

قد صرت أذنا للوشاة سميعة * ينالون من عرضي ولو شئت مانالوا

وهذا منهم تنقيص للرسول صلى الله عليه وسلم إذ وصفوه بقلة الحزامة والانخداع * وقيل المعنى ذو أذن فهو على حذف مضاف قاله ابن عباس * وقيل أذن حديد السمع يسمع مقالتنا * وقيل أذن وصف بني على فعل من أذن يأذن أذنا اذا استمع نحو أنف وشلل وارتفع أذن على اضمار مبتدأ أي قل هو أذن خير لكم وهذه الاضافة نظيرها قولهم رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الاذن ويجوز أن يراد هو أذن في الخير والحق ومايجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ويدل عليه خير ورحمة في قراءة من جرها عطفا على خير أي هو أذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله قاله الزمخشري * وقرأ الحسن ومجاهد وزيد بن علي وأبو بكر عن عاصم في

رواية قل أذن بالتنوين خير بالرفع وجوزوا في أذن أن يكون خبر مبتدأ محذوف وخير خبر ثان لذلك المحذوف أي هو أذن هو خير لكم لأنه صلى الله عليه وسلم يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء خلتكم وأن يكون خير صفة لاذن أي اذن ذو خير لكم أو على ان خيرا أفعل تفضيل أي أكثر خيرا لكم وأن يكون اذن مبتدأ خبره خير وجاز أن يخبر بالنكرة عن النكرة مع حصول الفائدة فيه قاله صاحب اللوامح وهو جائز على تقدير حذف وصف أي اذن لا يؤاخذكم خير لكم ثم وصفه تعالى بانه يؤمن بالله ومن آمن بالله كان خائفا منه لا يقدم على الايذاء بالباطل ويؤمن للمؤمنين أي يسمع من المؤمنين ويسلم لهم ما يقولون ويصدقهم لكونهم مؤمنين فهم صادقون ورحمة للذين آمنوا منكم وخص المؤمنين وان كان رحمة للعالمين لان ما حصل لهم بالايمان بسبب الرسول لم يحصل لغيرهم وخصوا هنا بالذكر وان كانوا قد دخلوا في العالمين لحصول مزيتهم وهذه الاوصاف الثلاثة مبينة جهة الخيرية ومظهرة كونه صلى الله عليه وسلم اذن خير وتعدية يؤمن أولا بالباء وثانيا باللام * قال ابن قتيبة هما زائدان والمعنى يصدق الله ويصدق المؤمنين * وقال الزمخشري قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر فعدى بالباء وقصد الاستماع للمؤمنين وان يسلم لهم ما يقولون فعدى باللام ألا ترى الى قوله تعالى وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما أنباه عن الباء ونحوه فما آمن لموسى الاذرية من قومه أنؤمن لك واتبعك الارذلون آمنتم له قبل أن آذن لكم انتهى * وقال ابن عطية يؤمن بالله يصدق بالله ويؤمن للمؤمنين * قيل معناه ويصدق المؤمنين واللام زائدة كما هي في ردف لكم * وقال المبرد هي متعلقة بمصدر مقدر من الفعل كانه قال وايمانه للمؤمنين أي وتصديقه * وقيل يقال آمنت لك بمعنى صدقتك ومنه قوله وما أنت بمؤمن لنا وعندي ان هذه التي معها اللام في ضمنها باء فالمعنى ويصدق للمؤمنين فيما يخبرونه به وكذلك وما أنت بمؤمن لنا بما نقوله لك انتهى * وقرأ أبي وعبد الله والاعمش وحمزة ورحمة بالجر عطفا على خير فالجملة من يؤمن اعتراض بين المتعاطفين وباقي السبعة بالرفع عطفا على يؤمن ويؤمن صفة لاذن خير وابن أبي عبلة بالنصب مفعولا من أجله حذف متعلقه التقدير ورحمة يأذن لكم فحذف لدلالة أذن خير لكم عليه وأبرز اسم الرسول ولم يأت به ضميرا على نسق يؤمن بلفظ الرسول تعظيما لشأنه وجمعا له في الآية بين الرتبتين العظيمتين من النبوّة والرسالة واضافته اليه زيادة في تشريفه وحتم على من أذاه بالعذاب الاليم وحق لهم ذلك والذين يؤذون عام يندرج فيه هؤلاء الذين أذوا هذا الايذاء الخاص وغيرهم ﴿يحلفون بالله ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين﴾ الظاهر ان الضمير في يحلفون عائد على الذين يقولون هو أذن أنكروه وحلفوا انهم ما قالوه * وقيل عائد على الذين قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير وتقدم ذكر ذلك * وقيل عائد على الذين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون اعتذروا وحلفوا واعتلوا قاله ابن السائب واختاره البيهقي وكانوا ثلاثة وثمانين حلف منهم ثمانون فقبل الرسول اعذارهم واعترف

﴿يحلفون بالله لكم﴾ الظاهر ان الضمير في يحلفون عائد على الذين يقولون هو أذن أنكروه وحلفوا أنهم ما قالوه واللام في ليرضوكم لام كي قال ابن عطية مذهب سيبويه انهما جملتان حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها والتقدير عنده والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه ومذهب المبرد ان في الكلام تقديما وتأخيرا وتقديره والله أحق أن يرضوه ورسوله انتهى فقوله مذهب سيبويه انهما جملتان حذفت الاولى ان كان الضمير في انهما جملتان عائدا على كل واحدة من الجملتين فكيف يقول حذفت الاولى ولم تحذف الاولى انما حذف خبرها وان كان الضمير عائدا على الخبر وهو أحق أن يرضوه فلا تكون جملة الا باعتقاد كون أن يرضوه مبتدأ وأحق المتقدم خبره لكن لا يتعين هذا القول اذ يجوز أن يكون الخبر مفردا بأن يكون التقدير أحق بأن يرضوه وعلى التقدير الاول يكون التقدير والله إرضاؤه أحق وقدره الزمخشري والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك انتهى وفي تقديره تفكيك للكلام حيث جعل أحق أن يرضوه خبرا عن قوله والله فنوى به التقديم أو أضمر خبرا لقوله ورسوله وقدره كذلك والذي نقول انه لما كانت طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة لله تعالى كما قال من يطع الرسول فقد أطاع الله صارا لذلك متلازمين كالشيء الواحد فأخبر عنهما اخبار الواحد فأفرد الضمير كما قال الشاعر * بها العينان تنهل * ولم يقل تنهلان وقالت العرب رب يوم وليلة مر بي تريد مرا بي * فأفرد الضمير لتلازمهما

﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله﴾ أى ألم يعلم المنافقون وهو استفهام معناه التوبيخ والانكار وقرئ بالتاء وهو التفات خرج من ضمير الغيبة الى ضمير الخطاب واسم ان هو ضمير الأمر والشأن وخبران هو جملة الشرط والجزاء فمن مبتدأ و يحادد مجزوم به قال ابن عباس المحادة هنا المخالفة و يحادد خبر لمن والفاء داخلة فى جواب الشرط و ينسبك من أن وما بعدها مصدر خبر لمبتدأ محذوف تقديره فجزاؤه كينونة النار له قال الزمخشرى و يجوز أن يكون فان له معطوفا على انه على ان جواب من محذوف تقديره ألم يعلموا أنه من يحادد الله و رسوله يهلك فان له نار (٦٤) جهنم انتهى فيكون فان له نار جهنم فى موضع نصب وهذا الذى قدره لايصح لانهم نصوا على انه اذا حذف الجواب لدلالة الكلام عليه كان فعل الشرط ماضيا فى اللفظ أو مضارعا مجزوما بلم فمن كلامهم أنت ظالم ان فعلت ولا يجوز ان تفعل وهنا حذف جواب الشرط وفعل الشرط ليس ماضى

منهم بالحق ثلاثة فأطلع الله رسوله على كذبهم ونفاقهم وهلكوا جميعا بآفات ونجا الذين صدقوا * وقيل عائد على عبد الله بن أبى ومن معه حلفوا أن لايتخلفوا عن رسول الله وليكونوا معه على عدوه * وقال ابن عطية المراد جميع المنافقين الذين يحلفون للرسول والمؤمنين انهم معهم فى الدين وفى كل أمر وحرب وهم يبطنون النفاق و يتربصون بالمؤمنين الدوائر وهذا قول جماعة من أهل التأويل واللام فى ليرضوكم لام كى وأخطأ من ذهب الى أنها جواب القسم وأفرد الضمير فى أن يرضوه لانهما فى حكم مرضى واحد اذ رضا الله هو رضا الرسول أو يكون فى الكلام حذف * قال ابن عطية مذهب سيبويه انهما جملتان حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها والتقدير عنده والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه وهذا كقول الشاعر

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مختلف

ومذهب المبرد ان فى الكلام تقديما وتأخيرا وتقديره والله أحق أن يرضوه و رسوله *وقيل الضمير عائد على المذكور كما قال رؤبة

فيها خطوط من سواد و بلق * كانه فى الجلد توليع البهق

انتهى فقوله مذهب سيبويه انهما جملتان حذفت الأولى لدلالة الثانية عليها ان كان الضمير فى انهما عائدا على كل واحدة من الجلتين فكيف تقول حذفت الأولى ولم تحذف الأولى انما حذف خبرها وان كان الضمير عائدا على الخبر وهو أحق أن يرضوه فلا يكون جملة الا باعتقاد كون أن يرضوه مبتدأ وأحق المتقدم خبره لكن لايتعين هذا القول اذ يجوز أن يكون الخبر مفردا بأن يكون التقدير أحق بأن يرضوه وعلى التقدير الأول يكون التقدير والله ارضاؤه أحق وقدره الزمخشرى والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك * ان كانوا مؤمنين كما يزعمون فأحق من يرضونه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بالطاعة والوفاق ﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزى العظيم﴾ أى ألم يعلم المنافقون وهو استفهام معناه التوبيخ والانكار *وقرأ الحسن والأعرج بالتاء على الخطاب فالظاهر أنه التفات فهو خطاب للمنافقين * قيل و يحتمل أن يكون خطابا للمؤمنين فيكون معنى الاستفهام التقرير وان كان خطابا للرسول فهو خطاب تعظيم والاستفهام فيه للتعجب والتقدير ألا تعجب من جهلهم فى محادة الله تعالى وفى مصحف أبى ألم يعلم * قال ابن عطية على خطاب النبى عليه السلام انتهى والأولى أن يكون خطابا للسامع قال أهل المعانى ألم تعلم الخطاب لمن حاول تعليم انسان شيأ مدة و بالغ فى ذلك التعليم فلم يعلم فقال له ألم تعلم بعد المباحث

(الدر)

(ح) أفرد الضمير فى يرضوه لانهما فى حكم مرضى واحد اذ رضا الله هو رضا الرسول أو يكون فى الكلام حذف (ع) مذهب سيبويه انهما جملتان حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها والتقدير عنده والله أحق أن يرضوه و رسوله أحق أن يرضوه وهذا كقول الشاعر

* نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مختلف

ومذهب المبرد ان فى الكلام تقديما وتأخيرا وتقديره والله أحق أن يرضوه و رسوله وقيل الضمير عائد على المذكور كما قال رؤبة فيها خطوط من سواد و بلق * كأنه فى الجلد توليع البهق انتهى (ح) قوله مذهب سيبويه انهما جملتان حذفت الاولى ان كان الضمير فى انهما عائدا على كل واحدة من الجلتين فكيف تقول حذفت الاولى ولم تحذف الاولى انما حذف جزؤها وان كان الضمير عائدا على الخبر وهو أحق أن يرضوه فلا يكون جملة الا باعتقاد كون أن يرضوه مبتدأ وأحق المتقدم خبره لكن لايتعين هذا القول اذ يجوز أن يكون الخبر مفردا بان يكون التقدير أحق بأن يرضوه وعلى التقدير الاول يكون التقدير والله ارضاؤه أحق وقدره (ش) والله أحق أن يرضوه و رسوله كذلك

اللفظ ولا مضارعا مقرونا بلم وذلك ان جاء في كلامهم فمخصوص بالضرورة وأيضا فتجد الكلام تاما دون تقدير هذا الجواب

﴿يحذر المنافقون﴾ قال ابن كيسان وقف جماعة منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة

الظاهرة والمدة المديدة وحسن ذلك لانه طال مكث النبي صلى الله عليه وسلم معه وكثر منه التحذير عن معصية الله والترغيب في طاعة الله قال بعضهم المحادّة المخالفة حاددته خالفته واشتقاقه من الحد أي كان على حد غير حادة كقولك شاقة كان في شق غير شقه * وقال أبو مسلم المحادة مأخوذة من الحديد حديد السلاح والمحادة هنا * قال ابن عباس المخالفة * وقيل المحاربة * وقيل المعاندة * وقيل المعاداة * وقيل مجاوزة الحد في المخالفة وهذه أقوال متقاربة * وقرأ الجمهور فان له بالفتح والفاء جواب الشرط فتقتضي جملة وان له مفرد في موضع رفع على الابتداء وخبره محذوف قدره الزمخشري مقدما نكرة أي فحق أن يكون وقدره غيره متأخرا أي فان له نار جهنم واجب قاله الأخفش ورد عليه بان أن لا يبتدأ بها متقدمة على الخبر وهذا مذهب سيبويه والجمهور وأجاز الاخفش والفراء وأبو حاتم الابتداء بها متقدمة على الخبر فالأخفش خرج ذلك على أصله أو في موضع رفع على انه خبر مبتدأ محذوف أي فالواجب ان له النار * قال علي بن سليمان وقال الجرمي والمبرد ان الثانية مكررة للتوكيد كان التقدير فله نار جهنم وكرر ان توكيدا * وقال الزمخشري ويجوز أن يكون فان له معطوفا على انه على أن جواب من محذوف تقديره ألم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم انتهى فيكون فان له نار جهنم في موضع نصب وهذا الذي قدره لا يصح لانهم نصوا على انه اذا حذف الجواب لدلالة الكلام عليه كان فعل الشرط ماضيا في اللفظ أو مضارعا مجزوما بلم فمن كلامهم أنت ظالم ان فعلت ولا يجوز ان تفعل وهنا حذف جواب الشرط وفعل الشرط ليس ماضي اللفظ ولا مضارعا مقرونا بلم وذلك ان جاء في كلامهم فمخصوص بالضرورة وأيضا فتجد الكلام تاما دون تقدير هذا الجواب ونقلوا عن سيبويه ان أن بدل من أنه * قال ابن عطية وهذا معترض بان الشئ لا يبدل منه حتى يستوفي والاولى في هذا الموضع لم يأت خبرها بعد اذ لم يتم جواب الشرط وتلك الجملة هي الخبر وأيضا فان الفاء مانع البدل وأيضا فهي معنى آخر غير الاول فيقلق البدل واذا تلطف للبدل فهو بدل اشتمال انتهى * وقال أبو البقاء وهذا يعني البدل ضعيف لوجهين أحدهما أن الفاء التي معها تمنع من ذلك والحكم بزيادتها ضعيف والثاني ان جعلها بدلا يوجب سقوط جواب الكلام انتهى * وقيل هو على اسقاط اللام أي فلأن له نار جهنم فالفاء جواب الشرط ويحتاج الى اضمار ما يتم به جواب الشرط جملة أي فمحادته لان له نار جهنم * وقرأ ابن أبي عبلة فان له بالكسر في الهمزة حكاها عنه أبو عمرو الداني وهي قراءة محبوب عن الحسن ورواية أبي عبيدة عن أبي عمرو ووجهه في العربية قوي لان الفاء تقتضي الاستئناف والكسر مختار لانه لا يحتاج الى اضمار بخلاف الفتح * وقال الشاعر

فمن يك سائلا عني فاني * وجروة لا ترود ولا تعار

وعلى هذا يجوز في أن بعد فاء الجزاء وجهان الفتح والكسر ذلك لان كينونة النار له خالدا فيها هو الهوان العظيم كما قال ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته ﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون﴾ كان المنافقون يعيبون الرسول

عند مرجعه من تبوك ليفتكوا به فأخبره جبريل عليه السلام فنزلت وقيل قالوا في غزوة تبوك أيرجو هذا الرجل أن تفتح له قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فأنزل الله تعالى قل استهزؤا والظاهر أن يحذر خبر ويدل عليه ﴿ان الله مخرج ما تحذرون﴾ فقيل هو واقع منهم حقيقة لما شاهدوا الرسول صلى الله عليه وسلم يخبرهم بما يكتمونه وقع الحذر والخوف في قلوبهم

(الدر)

ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم (ح) قرأ الجمهور فان له نار جهنم بالفتح والفاء جواب الشرط فتقتضي جملة وان له مفرد في موضع رفع على الابتداء وخبره محذوف قدره (ش) مقدما نكرة أي فحق أن له وقدره غيره متأخرا أي فان له نار جهنم واجب قاله الأخفش ورد عليه بأن أن لا يبتدأ بها متقدمة على الخبر وهذا مذهب سيبويه والجمهور وأجاز الاخفش

 والفراء وأبو حاتم الابتداء بها متقدمة على الخبر فالاخفش خرج ذلك على أصله (ش) ويجوز أن يكون فان له معطوفا على انه على ان جواب من محذوف تقديره ألم يعلموا أن من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم انتهى (ح) فيكون فان له نار جهنم في موضع نصب وهذا الذي قدره لا يصح لانهم نصوا على انه اذا

﴿ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب﴾ أى ولئن سألتهم عما قالوا من القبيح فى حقك وحق أصحابك من قول بعضهم انظروا الى هذا الرجل يريد أن يفتتح قصور الشام وقول بعضهم كانكم بهم غدا فى الجبال أسرى لبنى الاصفر وقول بعضهم ما رأيت كهؤلاء أرغب بطونا ولا أكثر كذبا ولا أجبن عند اللقاء فأطلع الله نبيه على ذلك فعنفهم فقالوا يانبي الله ما كنا فى شئ من أمرك ولا أمر أصحابك انما كنا فى شئ مما يخوض فيه الركب كنا فى غير جد فنزلت ﴿قل أبالله﴾ الآية تقرير على استهزائهم وضمنه الوعيد ولم يعبأ باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبأنه موجود منهم حتى وبخوا باخطائهم موضع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به على حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته وهو حسن وتقديم بالله وهو معمول خبر كان عليها يدل على جواز تقديمه عليها وعن ابن عمر قال رأيت قائل هذه المقالة يعنى انما كنا نخوض ونلعب واسمه وديعة بن ثابت متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم يماشيها والحجارة تنكته وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون

ويقولون عسى الله أن لا يفشى سرنا فنزلت قاله مجاهد * وقال السدى قال بعضهم وددت انى جلدت مائة ولا ينزل فينا شئ يفضحنا فنزلت * وقال ابن كيسان وقف جماعة منهم للرسول صلى الله عليه وسلم فى ليلة مظلمة عند مرجعه من تبوك ليفتكوا به فأخبره جبريل عليه السلام فنزلت * وقيل قالوا فى غزوة تبوك أيرجو هذا الرجل أن يفتح له قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فأنزل الله قل استهزؤا والظاهر أن يحذر خبر ويدل عليه ان الله مخرج ما تحذرون * فقيل هو واقع منهم حقيقة لما شاهدوا الرسول يخبرهم بما يكتمونه وقع الحذر والخوف فى قلوبهم * وقال الاصم كانوا يعرفونه رسولا من عند الله فكفروا حسدا واستبعد القاضى فى العالم بالله ورسوله وصحة دينه أن يكون محادا لهما وليس ببعيد فانه اذا استحكم الحسد نازع الحاسد فى المحسوسات * وقيل هو حذر أظهروه على وجه الاستهزاء حين رأوا الرسول يذكر أشياء وانها عن الوحى وكانوا يكذبون بذلك فاخبر الله رسوله بذلك وأعلم أنه مظهر سرهم ويدل عليه قوله قل استهزؤا * وقال الزجاج وغيره ممن ذهب الى التحرز من أن يكون كفرهم عنادا هو مضارع فى معنى الامر أى ليحذر المنافقون ويبعده مخرج ما تحذرون وأن تنزل مفعول يحذر وهو متعد * قال الشاعر

حذر أمورا لا تضرّ وآمن * ماليس ينجيه من الاقدار

وقال تعالى ويحذركم الله نفسه لما كان قبل التضعيف متعديا الى واحد عداه بالتضعيف الى اثنين * وقال المبرد حذر انما هى من هيئات الأنفس التى لا تتعدى مثل فزع والتقدير يحذر المنافقون من أن تنزل ولا يلزم ذلك ألا ترى أن خاف من هيئات النفس وتتعدى والظاهر أن قوله عليهم وتنبئهم الضمير ان فيهما عائدان على المنافقين وجاء عليهم لان السورة اذا نزلت فى معناهم فهى نازلة عليهم قاله الكرمانى والزمخشرى * قال الكرمانى ويحتمل أنه من قولك هذا عليك لا لك ومعنى تنبئهم بما فى قلوبهم تذيع أسرارهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكأنها تخبرهم بها * وقال الزمخشرى والضمير فى عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفى قلوبهم للمنافقين وصح ذلك لان المعنى يعود اليه انتهى والامر بالاستهزاء أمر تهديد ووعيد كقوله اعملوا ما شئتم ومعنى مخرج ما تحذرون مبرز الى حيز الوجود ما تحذرونه من انزال السورة أو مظهر ما كنتم تحذرونه من اظهار نفاقكم وفعل ذلك تعالى فى هذه السورة فهى تسمى الفاضحة لانها فضحت المنافقين * قيل كانوا سبعين رجلا أنزل الله أسماءهم وأسماء آبائهم فى القرآن ثم رفع ذلك ونسخ رحمة ورأفة منه على خلقه لان أبناءهم كانوا مسلمين ﴿ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن﴾ أى ولئن سألتهم عما قالوا من القبيح فى حقك وحق أصحابك من قول بعضهم انظروا الى هذا الرجل يريد أن يفتتح قصور الشام وقول بعضهم كأنكم غدا فى الجبال أسرى لبنى الاصفر وقول بعضهم ما رأيت كهؤلاء لا أرغب بطونا ولا أكثر كذبا ولا أجبن عند اللقاء فاطلع الله نبيه على ذلك فعنفهم فقالوا يانبي الله ما كنا فى شئ من أمرك ولا أمر أصحابك انما كنا فى شئ مما

(الدر) كان حذف الجواب لدلالة الكلام عليه كان فعل الشرط ماضيا فى اللفظ أو مضارعا مجزوما بلم فن كلامهم أنت ظالم ان فعلت ولا يجوز ان تفعل وهنا حذف جواب الشرط وفعل الشرط ليس ماضى اللفظ ولا مضارعا مقرونا بلم وذلك ان جاء فى كلامهم فمخصوص بالضرورة وأيضا فتجد الكلام تامادون تقدير هذا الجواب

يخوض فيه الركب كنا في غير جد قل أبالله تقرير على استهزائهم وضمنه الوعيد ولم يعبأ باعتذارهم لأنهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبأنه موجود منهم حتى وبخوا باخطائهم موضع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به على حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته قاله الزمخشري وهو حسن وتقديم بالله وهو معمول خبر كان عليها يدل على جواز تقديمه عليها وعن ابن عمر رأيت قائل هذه المقالة يعني انما كنا نخوض ونلعب وديعة بن ثابت متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم يماشيها والحجارة تنكته وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب والنبي يقول أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن وذكر أن هذا المتعلق عبدالله بن أبي بن سلول وذلك خطأ لأنه لم يشهد تبوك ﴿ لاتعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين ﴾ نهوا عن الاعتذار لأنها اعتذارات كاذبة فهى لاتنفع قد كفرتم أظهرتم الكفر بعد ايمانكم أي بعد اظهار ايمانكم لأنهم كانوا يسرون الكفر فأظهروه باستهزائهم وجاء التقسيم بالعفو عن طائفة والتعذيب لطائفة وكان المنافقون صنفين صنف أمر بجهادهم جاهد الكفار والمنافقين وهم رؤساؤهم المعلنون بالأراجيف فعذبوا باخراجهم من المسجد وانكشاف معظم أحوالهم وصنف ضعفة مظهرون الايمان وان أبطنوا الكفر لم يؤذوا الرسول فعفي عنهم وهذا العذاب والعفو فى الدنيا * وقيل المعفو عنها من علم الله انهم سيخلصون من النفاق ويخلصون الايمان والمعذبون من مات منهم على نفاقه * وقيل المعفو عنه رجل واحد اسمه مخشي بن حمير بضم الحاء وفتح الميم وسكون الياء كان مع الذين قالوا انما كنا نخوض ونلعب * وقيل كان منافقا ثم تاب توبة صحيحة * وقيل انه كان مسلما مخلصا الا أنه سمع كلام المنافقين فضحك لهم ولم ينكر عليهم فعفا الله عنه واستشهد باليمامة وقد كان تاب ويسمى عبد الرحمن فدعا الله أن يستشهد ويجهل أمره فكان ذلك باليمامة ولم يوجد جسده * وقرأ زيد بن ثابت وأبو عبد الرحمن وزيد بن علي وعاصم من السبعة ان نعف بالنون نعذب بالنون طائفة ولقيني شيخنا الأديب الحامل أبو الحكم مالك بن المرحل المالقي بغرناطة فسألني قراءة من تقرأ اليوم على الشيخ أبي جعفر بن الطباع فقلت قراءة عاصم فأنشدني

لعاصم قراءة * لغيرها مخالفه ان نعف عن طائفة * منكم نعذب طائفه

* وقرأ باقي السبعة ان تعف تعذب طائفة مبنيا للمفعول * وقرأ الجحدري أن يعف يعذب مبنيا للفاعل فيهما أي ان يعف الله * وقرأ مجاهد ان تعف بالتاء مبنيا للمفعول تعذب مبنيا للمفعول بالتاء أيضا * قال ابن عطية على تقدير ان تعف هذه الذنوب * وقال الزمخشري الوجه التذكير لأن المسند اليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب الى المعنى كأنه قيل ان ترحم طائفة فأنث لذلك وهو غريب والجيد قراءة العامة ان يعف عن طائفة بالتذكير وتعذب طائفة بالتأنيث انتهى مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من

والمنافقين وهم رؤساؤهم المعلنون بالاراجيف فعذبوا باخراجهم من المسجد وانكشاف معظم أحوالهم وصنف ضعفة مظهرون الايمان وان أبطنوا الكفر لم يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفي عنهم وهذا العذاب والعفو فى الدنيا وقيل العفو عمن علم الله انهم سيخلصون من النفاق ويخلصون الايمان والمعذبون من مات منهم على نفاقه وقرئ ان نعف مبنيا للمفعول التقدير ان تعف هذه الذنوب ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ﴾ بين سبحانه وتعالى ان ذكورهم واناثهم ليسوا من المؤمنين كما قال تعالى ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم بل بعضهم من بعض فى الحكم والمنزلة والنفاق فهم على دين واحد وليس المعنى على التبعيض حقيقة لان ذلك معلوم ووصفهم بخلاف ما عليه المؤمنون من انهم

(الدر)

(ح) لقيني شيخنا الاديب الكامل أبو الحكم مالك بن المرحل المالقي بغرناطة فسألني قراءة من تقرأ اليوم على الشيخ أبي جعفر ابن الطباع فقلت قراءة عاصم فأنشدني لعاصم قراءة * لغيرها مخالفه ان نعف عن طائفه * منكم نعذب طائفه

﴿ يأمرون بالمنكر ﴾ وهو الكفر وعبادة غير الله والمعاصي ﴿ وينهون عن المعروف ﴾ وهو الايمان والطاعات وقبض الايدي عبارة عن عدم الانفاق في سبيل الله والنسيان هنا الترك تركوا طاعة الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ فنسيهم ﴾ أي تركهم من الخير وأما من الشر فلم ينسهم منه ﴿ وعد الله المنافقين ﴾ الآية والكفار هنا المعلنون بالكفر وخالدين فيها حال مقدرة لان الخلود لم يقارن الوعد ﴿ وحسبهم ﴾ كافيهم وذلك مبالغة في عظم عذابهم اذ عذابهم شئ لا يزاد عليه ولعنهم أهانهم مع التعذيب ولما ذكر تشبيههم بمن قبلهم وذكر ما كانوا فيه من شدة القوة وكثرة الاولاد والاموال واستمتاعهم بما قدر لهم من الانصباء شبه استمتاع المنافقين باستمتاع الذين من قبلهم وأبرزهم بالاسم الظاهر فقال كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ولم يكن التركيب كما استمتعوا بخلاقهم ليدل بذلك على التحقير لانه كما يدل باعادة الظاهر مكان المضمر على التفخيم والتعظيم كذلك يدل باعادته على التصغير والتحقير لشأن المذكور كقوله تعالى يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا وكقوله ان المنافقين هم الفاسقون ولم يأت التركيب انه كان ولا انهم هم ﴿ وخضتم ﴾ أي دخلتم في اللهو والباطل وهو مستعار من الخوض في الماء ولا يستعمل الا في الباطل لان التصرف في الحق انما هو على ترتيب ونظام وأمور الباطل انما هي خوض ومنه قوله عليه السلام رب متخوض في مال الله له النار يوم القيامة ﴿ كالذي خاضوا ﴾ أي كالخوض الذي خاضوا قاله الفراء وقيل كالفوج الذي خاضوا وقيل النون محذوفة أي كالذين خاضوا أي كخوض الذين خاضوا وقيل الذي مع ما بعدها ينسبك منه مصدر أي كخوضهم والظاهر ان أولئك اشارة الى الذين وصفهم بالشدة وكثرة الاموال والاولاد والمعنى وأنتم كذلك تحبط أعمالكم

بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون ﴾ بين تعالى أن ذكورهم واناثهم ليسوا من المؤمنين كما قال تعالى ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم بل بعضهم من بعض في الحكم والمنزلة والنفاق فهم على دين واحد وليس المعنى على التبعيض حقيقة لأن ذلك معلوم ووصفهم بخلاف ما عليه المؤمنون من انهم يأمرون بالمنكر وهو الكفر وعبادة غير الله والمعاصي وينهون عن المعروف لأن الذين نزلت فيهم لم يكونوا أهل قدرة ولا افعال ظاهرة وذلك بظهور الاسلام وعزته وقبض الايدي عبارة عن عدم الانفاق في سبيل الله قاله الحسن * وقال قتادة عن كل خير * وقال ابن زيد عن الجهاد وحمل السلاح في قتال أعداء الدين * وقال سفيان عن الرفع في الدعاء * وقيل ذلك كناية عن الشح في النفقات في المبار والواجبات والنسيان هنا الترك * قال قتادة تركوا طاعة الله وطاعة رسوله فنسيهم أي تركهم من الخير أما من الشر فلم ينسهم * وقال الزمخشري أغفلوا ذكره فنسيهم تركهم من رحمته وفضله ويعبر بالنسيان عن الترك مبالغة في أنه لا يخطر ذلك ببالهم الفاسقون أي هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ من كل خير وكفى المسلم زاجرا أن يلم بما يكسب هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين ﴿ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم ﴾ الكفار هنا المعلنون بالكفر وخالدين فيها حال مقدرة لأن الخلود لم يقارن الوعد وحسبهم كافيهم وذلك مبالغة في عظم عذابهم إذ عذابهم شئ لا يزاد عليه ولعنهم أهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين كما عظم أهل الجنة وألحقهم بالملائكة المقربين مقيم مؤبد لا نقلة فيه * قال الزمخشري ويجوز أن يريد ولهم عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه أبدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على أسرارهم ﴿ كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون ﴾ هذا التفات من ضمير الغيبة الى ضمير الخطاب * قال الفراء التشبيه من جهة الفعل أي فعلتم كأفعال الذين من قبلكم فتكون الكاف في موضع نصب * وقال الزجاج المعنى وعد كما وعد الذين من قبلكم فهو متعلق بوعد * وقال ابن عطية وفي هذا قلق * وقال أبو البقاء ويجوز أن تكون متعلقة بيستهزؤن وهذا فيه بعد * وقيل في موضع رفع التقدير أنتم كالذين والتشبيه وقع في الاستمتاع والخوض وقوله كانوا أشد تفسير لشبههم بهم وتمثيل لفعلهم بفعلهم والخلاق النصيب أي ما قدر لهم * قال الزمخشري (فان قلت) أي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من

قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما أغنى كالذى خاضوا (قلت) فائدته ان قدم الأولين بالاستمتاع ما أوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم فشبهوا بهم الفانية عن النظر فى العاقبة وطلب الفلاح فى الآخرة وان يخسس أمر الاستمتاع ويهجن أمر الراضى به ثم شبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما يريد أن ينبه بعض الظلمة على سماجة فعله فيقول أنت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وأنت تفعل مثل فعله وأما وخضتم كالذى خاضوا فعطوف على ماقبله مستند اليه مستغن باسناده اليه عن تلك المقدمة انتهى يعنى استغنى عن أن يكون التركيب وخاضوا نخضتم كالذى خاضوا * قال ابن عطية كانوا أشد منكم وأعظم فعصوا فهلكوا فأنتم أحرى بالاهلاك لمعصيتكم وضعفكم والمعنى عجلوا حظهم فى دنياهم وتركوا باب الآخرة فاتبعتموهم أنتم انتهى ولما ذكر تشبيههم بمن قبلهم وذكر ما كانوا فيه من شدة القوة وكثرة الاولاد واستمتاعهم بما قدر لهم من الانصباء شبه استمتاع المنافقين باستمتاع الذين من قبلهم وأبرزهم بالاسم الظاهر فقال كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ولم يكن التركيب كما استمتعوا بخلاقهم ليدل بذلك على التحقير لانه كما يدل باعادة الظاهر مكان المضمر على التفخيم والتعظيم كذلك يدل باعادته على التحقير والتصغير لشأن المذكور كقوله تعالى يا أبت لاتعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا وكقوله ان المنافقين هم الفاسقون ولم يأت التركيب انه كان ولانهم هم وخضتم أى دخلتم فى اللهو والباطل وهو مستعار من الخوض فى الماء ولايستعمل الافى الباطل لان التصرف فى الحق انما هو على ترتيب ونظام وأمور الباطل انما هى خوض ومنه رب متخوض فى مال الله له النار يوم القيامة كالذى خاضوا أى كالخوض الذى خاضوا اتاله الفراء وقيل كالخوض الذين خاضوا * وقيل النون محذوفة أى كالذين خاضوا أى كخوض الذين * وقيل الذى مع مابعدها يسبك منهما مصدر أى كخوضهم والظاهر أن أولئك اشارة الى الذين وصفهم بالشدة وكثرة الاموال والاولاد والمعنى وأنتم كذلك يحبط أعمالكم * قال ابن عطية ويحتمل أن يريد بأولئك المنافقين المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم ويكون الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم وفى ذلك خروج من خطاب الى خطاب غير الاول وقوله فى الدنيا مايصيبهم فى الدنيا من التعب وفساد أعمالهم وفى الآخرة نار لاتنفع ولايقع عليها جزاء ويقوى الاشارة بأولئك الى المنافقين قوله فى الآية المستقبلة ألم يأتهم فتأمله انتهى * وقال الزمخشرى حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة نقيض قوله تعالى وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين ﴿ ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ لما شبه المنافقين بالكفار المتقدمين فى الرغبة فى الدنيا وتكذيب الانبياء وكان لفظ الذين من قبلكم فيه ابهام نص على طوائف بأعيانها ستة لانهم كان عندهم شئ من أنبائهم وكانت بلادهم قريبة من بلاد العرب وكانوا أكثر الأمم عددا وأنبياؤهم أعظم الأنبياء نوح أول الرسل وابراهيم الأب الاقرب للعرب ومايليها من الأمم مقاربون لهم فى الشدة وكثرة المال والولد فقوم نوح أهلكوا بالغرق وعاد بالريح وثمود بالصيحة وقوم ابراهيم بسلب النعمة عنهم حتى سلطت البعوضة على نمرود ملكهم وأصحاب مدين بعذاب يوم الظلة والمؤتفكات بجعل أعالى أرضها أسافل وامطار الحجارة عليهم * قال الواحدى معنى الائتفاك الانقلاب أفكته فائتفك أى قلبته فانقلب والمؤتفكات صفة للقرى التى ائتفكت بأهلها فجعل أعلاها أسفلها والمؤتفكات مدائن قوم لوط

﴿ ألم يأتهم نبؤ الذين من قبلهم ﴾ لما شبه المنافقين بالكفار المتقدمين فى الرغبة فى الدنيا وتكذيب الأنبياء وكان لفظ الذين من قبلهم فيه ابهام نص على طوائف باعيانها ستة لانه كان عندهم شئ من أنبائهم وكانت بلادهم قريبة من بلاد العرب وكانوا أكثر الامم عددا وأنبياؤهم أعظم الانبياء نوح أول الرسل وابراهيم الاقرب للعرب ومايليهما من الأمم مقاربون لهم فى الشدة وكثرة المال والولد وقوم نوح اهلكوا بالغرق وعاد بالريح وثمود بالصيحة وقوم ابراهيم بسلب النعمة عنهم حتى سلطت البعوضة على نمرود ملكهم وأصحاب مدين بعذاب يوم الظلمة والمؤتفكات بجعل أعالى أرضها أسافل وامطار الحجارة عليهم

* وقيل قريات قوم لوط وهود وصالح وائتفا كهنّ انقلاب أحوالهنّ عن الخير الى الشر * قال ابن عطية والمؤتفكات أهل القرى الاربعة * وقيل التسعة التي بعث اليهم لوط عليه السلام وقد جاءت في القرآن مفردة تدل على الجمع ومن هذه اللفظة قول عمران بن حطان

لمنطق مستبين غير ملتبس * به اللسان ورأى غير مؤتفك

أي غير منقلب متصرّف مضطرب ومنه يقال للريح مؤتفكة لتصرفها ومنه أنى يؤفكون والافك صرف القول من الحق الى الكذب انتهى وفي قوله ألم يأتهم تذكير بأنباء الماضين وتخويف أن يصيبهم مثل ما أصابهم وكان أكثرهم عالمين بأحوال هذه الأمم وقد ذكر شيئ منها في أشعار جاهليتهم كالأفوه الأزدي وعلقمة بن عبدة وغيرهما ويحتمل أن يكون قوله ألم يأتهم تذكيرا بما قص الله عليهم في القرآن من أحوال هؤلاء وتفاصيلها والظاهر أن الضمير في أتتهم رسلهم بالبينات عائد على الأمم الستة المذكورة والجملة شرح للنبأ * وقيل يعود على المؤتفكات خاصة وأتى بلفظ رسل وان كان نبيهم واحدا لانه كان يرسل الى كل قرية رسولا داعيا فهم رسل رسول الله ذكره الطبري * وقال الكرماني قيل يعود على المؤتفكات أي أتاهم رسول بعد رسول والبينات المعجزات وهي وأصحاب بالنسبة الى الحق لا بالنسبة الى المكذبين * قال ابن عباس ليظلمهم ليهلكهم حتى يبعث فيهم نبيا ينذرهم والمعنى انهم أهلكوا باستحقاقهم * وقال مكي فما كان الله ليضع عقوبته في غير مستحقها اذ الظلم وضع الشئ في غير موضعه ولكن كانوا أنفسهم يظلمون اذ عصوا الله وكذبوا رسله حتى أسخطوا ربهم واستوجبوا العقوبة بفعلهم وابذلك أنفسهم * وقال الكرماني ليظلمهم باهلاكهم يظلمون بالكفر والتكذيب * وقال الزمخشري فما صح منه أن يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وأن يعاقبهم بغير جرم ولكن ظلموا أنفسهم حيث كفروا به فاستحقوا عقابه انتهى وذلك على طريقة الاعتزال ويظهر ان بين قوله بالبينات وقوله فما كان كلاما محذوفا تقديره والله أعلم فكذبوا فأهلكهم الله فما كان الله ليظلمهم ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم ﴾ لما ذكر المنافقين والمنافقات وما هم عليه من الاوصاف القبيحة والأعمال الفاسدة ذكر المؤمنين والمؤمنات وقال في أولئك بعضهم من بعض وفي هؤلاء بعضهم أولياء بعض * قال ابن عطية اذ لا ولاية بين المنافقين ولا شفاعة لهم ولا يدعو بعضهم لبعض فكان المراد هنا الولاية في الله خاصة * وقال أبو عبد الله الرازي بعضهم من بعض يدل على ان نفاق الاتباع وكفرهم حصل بسبب التقليد لأولئك الأكابر وسبب مقتضى الطبيعة والعادة أما الموافقة الحاصلة بين المؤمنين فانما حصلت لا بسبب الميل والعادة بل بسبب المشاركة في الاستدلال والتوفيق والهداية والولاية ضد العداوة ولما وصف المؤمنين بكون بعضهم أولياء بعض ذكر بعده ما يجري كالتفسير والشرح له وهي الخمسة التي يتميز بها المؤمن على المنافق فالمنافق يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف ولا يقوم الى الصلاة الا وهو كسلان ويبخل بالزكاة ويتخلف بنفسه عن الجهاد واذا أمره الله تثبط وثبط غيره والمؤمن بضد ذلك كله من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واقام الصلاة وايتاء الزكاة والجهاد وهو المراد في هذه الآية بقوله ويطيعون الله ورسوله انتهى وفيه بعض تلخيص * وقال أبو العالية كل ما ذكره الله في القرآن من الامر بالمعروف فهو دعاء من الشرك الى الاسلام وما ذكر من النهي عن المنكر فهو النهي عن عبادة الاصنام والشياطين *

﴿والمؤمنون والمؤمنات﴾ لما ذكر تعالى المنافقين والمنافقات وما هم عليه من الاوصاف القبيحة والاعمال الفاسدة ذكر المؤمنين والمؤمنات وقال في أولئك بعضهم من بعض وفي هؤلاء بعضهم أولياء بعض اذ لا ولاية بين المنافقين ولا شفاعة لهم ولا يدعو بعضهم لبعض فكان المراد هنا الولاية في الله خاصة

وقال ابن عباس و يقيمون الصلاة هي الصلوات الخمس * قال ابن عطية و بحسب هذا تكون الزكاة المفروضة والمدح عندي بالنوافل أبلغ اذ من يقيم النوافل أجدى باقامة الفروض و يطيعون الله ورسوله جامع للمندوبات انتهى سيرحمهم الله * قال ابن عطية السين مدخلة في الوعد مهلة لتكون النفوس تتنعم برجائه وفضله تعالى * وقال الزمخشري السين مفيدة وجوب الرحمة لامحالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سأنتقم منك يوما يعني انك لاتفوتني وان تبطأ ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك سوف نؤتيهم أجورهم انتهى وفيه دفينة خفية من الاعتزال بقوله السين مفيدة وجوب الرحمة لامحالة يشير الى أنه يجب على الله تعالى اثابة الطائع كما تجب عقوبة العاصي وليس مدلول السين توكيد ما دخلت عليه انما تدل على تخليص المضارع للاستقبال فقط ولما كانت الرحمة هنا عبارة عما يترتب على تلك الاعمال الصالحة من الثواب والعقاب في الآخرة أتى بالسين التي تدل على استقبال الفعل ان الله عزيز غالب على كل شئ قادر عليه حكيم واضع كلا موضعه ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن و رضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾ لما أعقب المنافقين بذكر ما أوعدهم به من نار جهنم أعقب المؤمنين بذكر ما وعدهم به من نعيم الجنان ولما كان قوله سيرحمهم الله وعدا اجماليا فصله هنا تنبيها على أن تلك الرحمة هي هذه الاشياء ومساكن طيبة* قال ابن عباس هي دور المقربين *وقيل دور في جنات عدن مختلفة في الصفات باختلاف حال الحالين بها * وقيل قصور زبرجد ودر وياقوت يفوح طيبها من مسيرة خمسمائة عام في أماكن اقامتهم وفي الحديث قصر في الجنة من اللؤلؤ فيه سبعون دارا من ياقوتة حمراء وفي كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا وذكر في آخر هذا الحديث أشياء وان صح هذا النقل عن الرسول وجب المصير اليه * في جنات عدن أي اقامة * وقال كعب الاحبار هي بالفارسية الكروم والاعناب * قال ابن عطية وأظن هذا ما اختلط بالفردوس * وقال ابن مسعود عدن بطنان الجنة وشرقها وعنه وسط الجنة * وقال عطاء نهر في الجنة جناته على حافتيه * وقال الضحاك وأبو عبيدة مدينة الجنة وعظمها فيها الانبياء والعلماء والشهداء وأئمة العدل والناس حولهم بعد والجنات حولها * وقال الحسن قصر في الجنة لا يدخله الا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل ومد بها صوته وعنه قصور من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد *وروى أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر ولا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وان صح هذا عن الرسول وجب المصير اليه * وقال مقاتل هي أعلى درجة في الجنة * وقال عبد الله بن عمرو قصر حوله البروج والمروج له خمسة آلاف باب على كل باب خيرة لا يدخله الا نبي أو صديق أو شهيد * وقيل قصبة الجنة (٣) فيها نهر على حافتيه بساتين * وقيل التسنيم وفيه قصور الدر والياقوت والذهب والارائك عليها الخيرات الحسان سقفها عرش الرحمن لا ينزلها الا الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون يفوح ريحها من مسيرة خمسمائة عام وهذه أقوال عن السلف كثيرة الاختلاف والاضطراب و بعضها يدل على التخصيص وهو مخالف لظاهر الآية اذ وعد الله بها المؤمنين والمؤمنات * وقال الزمخشري وعدن علم لقوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن عباده صفة لقوله الجنة للفصل بالبدل الذي هو جنات والحكم انه اذا اجتمع النعت والبدل قدم النعت وجيء بعده بالبدل

ما وعدهم به من نعيم الجنات ولما كان قوله أولئك سيرحمهم الله وعدا اجماليا فصله هنا تنبيها على ان تلك الرحمة هي هذه الاشياء ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين﴾ لما ذكر وعيد غير المؤمنين وكانت السورة قد نزلت في المنافقين بدأ بهم في ذلك بقولهم وعد الله المنافقين والمنافقات الآية ولما ذكر أمر الجهاد وكان الكفار غير المنافقين أشد شكيمة وأقوى أسبابا في القتال وانكاء بتصديهم للقتال قال جاهد الكفار والمنافقين فبدأ بهم قال ابن عباس جاهد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان

(الدر)

وعدن علم لقوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن و يدل عليه ما روى أبو الدرداء الى آخره (ح) انما استدل بالآية على ان عدنا علم لان المضاف اليها وصف بالتي وهي معرفة فلو لم تكن جنات مضافة الى معرفة لم توصف بالمعرفة ولا يتعين ذلك اذ يجوز أن تكون التي خبر مبتدأ محذوف أو منصوبا باضمار أعني أو أمدح أو بدلا من جنات و يبعد أن يكون

﴿ وهموا بمالم ينالوا ﴾ قال مجاهد نزلت في خمسة عشر رجلا هموا بقتله صلى الله عليه وسلم وتوافقوا على أن يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة فأخذ عمار ابن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينا هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم ياأعداء الله فهربوا وكان منهم عبدالله بن أبي وعبد الله بن أبي سرح وطعمة ابن أبيرق والجلاس بن سويد وأبو عامر بن نعمان وأبو الاحوص ﴿فان يتوبوا يك خيرا لهم﴾ هذا احسان منه تعالى ورفق بهم حيث فتح لهم باب التوبة بعد ارتكاب تلك الجرائم العظيمة وكان الجلاس بعد حلفه وانكاره انه ماقال الذي نقل عنه قد تاب واعترف وصدق الناقل عنه وحسنت توبته ولم يرد ان أحدا قبلت توبته منهم غير الجلاس قيل وفي هذا دليل على قبول توبة الزنديق المسر للكفر المظهر للايمان وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي وقال مالك لاتقبل فان جاء تائبا من قبل نفسه قبل أن يعثر عليه قبلت توبته بلاخلاف يك خيرا لهم اسم يك ضمير يعود على المصدر المفهوم من قوله يتوبوا تقديره يك هو أي التوب خيرا لهم

ويدل عليه ماروى أبو الدرداء وساق الحديث المتقدم الذكر عن أبي الدرداء وانما استدل بالآية على أن عدنا علم لأن المضاف اليها وصف بالتي وهي معرفة فلو لم تكن جنات مضافة لمعرفة لم توصف بالمعرفة ولا يتعين ذلك اذ يجوز أن تكون التي خبر مبتدأ محذوف أو منصوبا باضمار أعني أو أمدح أو بدلا من جنات ويبعد أن تكون صفة لقوله الجنة للفصل بالبدل الذي هو جنات والحكم أنه اذا اجتمع النعت والبدل قدم النعت وجيء بعده بالبدل * وقرأ الاعمش ورضوان بضمتين * قال صاحب اللوامح وهي لغة ورضوان مبتدأ وجاز الابتداء به لأنه موصوف بقوله من الله وأتى به نكرة ليدل على مطلق أي وشيء من رضوانه أكبر من كل ماذكر والعبد اذا علم برضا مولاه عنه كان أكبر في نفسه مماوراءه من النعيم وانما يتهيأ له النعيم بعلمه برضاه عنه كما أنه اذا علم بسخطه تنغصت حاله ولم يجد لها لذة ومعنى هذه الجملة موافق لماروي في الحديث ان الله تعالى يقول لعباده اذا استقروا في الجنة هل رضيتم فيقولون وكيف لانرضى ياربنا فيقول اني سأعطيكم أفضل من هذا كله رضواني أرضى عنكم فلا أسخط عليكم أبدا * وقال الحسن وصل الى قلوبهم برضوان الله من اللذة والسرور ماهو ألذ عندهم وأقر لاعينهم من كل شيء أصابوه من لذة الجنة * قال ابن عطية ويظهر أن يكون قوله تعالى ورضوان من الله أكبر اشارة الى منازل المقربين الشاربين من تسنيم والذين يرون كما يرى النجم الغائر في الافق وجميع من في الجنة راض والمنازل مختلفة وفضل الله تعالى متسع انتهى * وقال الزمخشري رضاه تعالى هو سبب كل فوز وسعادة انتهى والاشارة بذلك الى جميع ماسبق أو الى الرضوان قولان والاظهر الأول ﴿ ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ لماذكر وعيد غير المؤمنين وكانت السورة قد نزلت في المنافقين بدأ بهم في ذلك بقوله وعدالله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم ولماذكر أمر الجهاد وكان الكفار غير المنافقين أشد شكيمة وأقوى أسبابا في القتال وانكاء بتصديهم للقتال قال جاهد الكفار والمنافقين فبدأ بهم * قال ابن عباس وغيره جاهد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان * وقال الحسن وقتادة والمنافقين باقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا أسبابها * وقال ابن مسعود جاهدهم باليد فان لم تستطع فباللسان فان لم تستطع فبالقلب والاكفهرار في وجوههم وأغلظ عليهم في الجهادين والغلظ ضد الرقة والمراد خشونة الكلام وتعجيل الانتقام على خلاف ماأمر به في حق المؤمنين واخفض جناحك للمؤمنين وكل من وقف منه على فساد في العقائد فهذا حكمه يجاهد بالحجة ويستعمل معه الغلظ ماأمكن ﴿ يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بمالم ينالوا وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة ومالهم في الارض من ولي ولانصير ﴾ الضمير عائد على المنافقين * فقيل هو حلف الجلاس وتقدمت قصته مع عامر بن قيس * وقيل حلف عبد الله بن أبي أنه ماقال لئن رجعنا الى المدينة الآية * وقال الضحاك حلفهم حين نقل حذيفة الى الرسول صلى الله عليه وسلم سبهم أصحابه واياه في خلوتهم وأما وهموا بمالم ينالوا فنزلت قيل في ابن أبي في قوله ليخرجن قاله قتادة وروي عن ابن عباس * وقيل بقتل الرسول والذي هم به رجل يقال له الاسود من قريش رواه مجاهد عن ابن عباس * وقال مجاهد نزلت في خمسة

عشر هموا بقتله وتوافقوا على أن يدفعوه عن راحلته الى الوادى اذا تسنم العقبة فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينماهما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم ياأعداء الله فهربوا وكان منهم عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعيمة بن أبيرق والجلاس بن سويد وأبو عامر بن نعمان وأبو الأحوص * وقيل همهم بمالم ينالوا هو أن يتوجوا عبد الله بن أبي اذا رجعوا من غزوة تبوك يباهون به الرسول صلى الله عليه وسلم فلم ينالوا ماهموا به فنزلت وعن ابن عباس كان الرسول صلى الله عليه وسلم جالسا فى ظل شجرة فقال انه سيأتيكم انسان فينظر اليكم شيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا ان طلع رجل أزرق فدعاه فقال علام تشتمني أنت وأصحابك فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ماقالوا فأنزل الله هذه الآية وكلمة الكفر قول ابن أبي لما شاور الجهجاه الغفارى وسنان بن وبرة الجهنى وقد كسع أحدهما رجل الآخر فى غزوة المريسيع فصاح الجهجاه يالالانصار وصاح سنان ياللمهاجرين فثار الناس وهدأهم الرسول فقال ابن أبى ماأرى هؤلاء الاقد تداعوا علينا مامثلنا ومثلهم الا كما قال الاول سمن كلبك يأكلك أو الاستهزاء أوقول الجلاس المتقدم أوقولهم نعقد التاج أوقولهم ليس بنبي أو القول لئن رجعنا الى المدينة أقوال وكفروا أى أظهروا الكفر بعد اسلامهم أى اظهار اسلامهم ولم يأت التركيب بعد ايمانهم لان ذلك لم يتجاوز ألسنتهم والهم دون العزم وتقدم الخلاف فى الهام والمهموم به * وقيل هو هم المنافقين أو الجلاس بقتل ناقل حديث الجلاس الى الرسول وفى تعيين اسم الناقل خلاف * فقيل عاصم بن عدى * وقيل حذيفة * وقيل ابن امرأة الجلاس عمير بن سعد * وقيل اسمه مصعب * وقيل هموا بالرسول والمؤمنين أشياء لم ينالوها ومانقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله هذا مثل قوله هل تنقمون منا الا أن آمنا ومانقموا منهم الا أن يؤمنوا وكان حق الغنى من الله ورسوله أن يشكر لا أن ينقم جعلوا الغنى سببا ينتقم به فهو كقوله

ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وكان الرسول قد أعطى لعبد الله بن أبي دية كانت قد تغلظت له * قال عكرمة اثناعشر ألفا * وقيل بل كانت للجلاس وكانت الانصار حين قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة فى ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا وقال الرسول للانصار وكنتم عالة فاغناكم الله بي * وقيل كان على الجلاس دين كثير فقضاه الرسول وحصل له من الغنائم مال كثير وقوله ومانقموا الجملة كلام أجرى مجرى التهكم به كما تقول مالى عندك ذنب الا انى أحسنت اليك فان فعلهم يدل على انهم كانوا لئاما * وقال الشاعر

مانقموا من بنى أمية الا * انهم يحلمون ان غضبوا
وانهم سادة الملوك ولا * يصلح الا عليهم العرب

وقال الآخر وهو نظير البيت السابق

ولاعيب فينا غير عرق لمعشر * كرام وانا لانحط على النمل

فان يتوبوا هذا احسان منه تعالى ورفق ولطف بهم حيث فتح لهم باب التوبة بعد ارتكاب تلك الجرائم العظيمة وكان الجلاس بعد حلفه وانكاره ان قال مانقل عنه قد اعترف وصدق الناقل عنه وتاب وحسنت توبته ولم يرد أن أحدا قبلت توبته منهم غير الجلاس * قيل وفى هذا دليل على قبول

توبة الزنديق المسر الكفر المظهر للايمان وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي وقال مالك لاتقبل فان جاء تائبا من قبل نفسه قبل أن يعثر عليه قبلت توبته بلا خلاف وان يتولوا أي عن التوبة أو الايمان أو الاخلاص أو الرسول والمعنى وان يديموا التولي اذهم متولون في الدنيا بالحاقهم بالحربيين اذ أظهروا الكفر فيحل قتالهم وقتلهم وسبي أولادهم وأزواجهم وغنم أموالهم * وقيل مايصيبهم عند الموت ومعاينة ملائكة العذاب * وقيل عذاب القبر * وقيل التعب والخوف والهجنة عند المؤمنين وفي الآخرة بالنار ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين * فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون * فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون * ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب﴾ قال الضحاك هم نبتل بن الحرث وجد بن قيس ومعتب بن قشير وثعلبة ابن حاطب وفيهم نزلت الآية * وقال الحسن ومجاهد في معتب وثعلبة خرجا على ملأ فقالا ذلك * وقال ابن السائب في رجل من بني عمرو بن عوف كان له مال بالشام فأبطأ عنه فجهد لذلك جهدا شديدا فحلف بالله لئن آتانا من فضله أي من ذلك المال لأصدقن منه ولاصلن فآتاه فلم يفعل والأكثر على انها نزلت في ثعلبة وذكروا له حديثا طويلا وقد لخصت منه أنه سأل الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله أن يرزقه مالا فقيل له قليل تؤدي شكره خير من كثير لاتطيقه فالح عليه فدعا الله فاتخذ غنما كثرت حتى ضاقت عنها المدينة فنزل واديا ومازالت تنمو واشتغل بها حتى ترك الصلوات وبعث اليه الرسول صلى الله عليه وسلم المصدق فقال ماهذه الا الجزية ماهذه الا أخت الجزية فنزلت هذه الآية فأخبره قريب له بها فجاء بصدقته الى الرسول فلم يقبلها فلما قبض الرسول أتى أبا بكر فلم يقبلها ثم عمر فلم يقبلها ثم عثمان فلم يقبلها وهلك في أيام عثمان * وقرأ الاعمش لنصدقن ولنكونن بالنون الخفيفة فيهما والظاهر والمستفيض من أسباب النزول انهم نطقوا بذلك ولفظوا به * وقال معبد بن ثابت وفرقة لم يتلفظوا به وانما هو شئ نووه في أنفسهم ولم يتكلموا به ألم تسمع الى قوله ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم من الصالحين أي من أهل الصلاح في أموالهم بصلة الرحم والانفاق في الخير والحج وأعمال البر * وقيل من المؤمنين في طلب الآخرة بخلوا به أي باخراج حقه منه وكل بخل أعقب بوعيد فهو عبارة عن منع الحق الواجب والظاهر أن الضمير في فأعقبهم هو عائد على الله عاقبهم على الذنب بما هو أشد منه * قال الزمخشري خذلهم حين نافقوا وتمكن من قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى أن يموتوا بسبب اخلافهم ماوعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه خلف الموعد ثلث النفاق انتهى وقوله خذلهم هو لفظ المعتزلة * وقال الحسن وقتادة الضمير في فأعقبهم للبخل أي فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم * وقال أبو مسلم فاعقبهم أي البخل والتولي والاعراض * قال ابن عطية يحتمل أن يكون نفاق كفر ويكون تقرير ثعلبة بعد هذا النص والابقاء عليه لمكان اظهاره الاسلام وتعلقه بما فيه احتمال و يحتمل أن يكون نفاق معصية وقلة استقامة فيكون تقريره صحيحا ويكون ترك قبول الزكاة منه عقابا له ونكالا وهذا نحو ماروى أن عاملا كتب الى عمر بن عبد العزيز ان فلانا يمنع الزكاة فكتب اليه أن دعه واجعل عقوبته أن لايؤدي الزكاة مع المسلمين يريد لما يلحقه من المقت في ذلك والظاهر عود الضمير في يلقونه على الله تعالى * وقيل يلقون الجزاء * فقيل جزاء بخلهم * وقيل جزاء أفعالهم * وقرأ أبو رجاء يكذبون بالتشديد ولفظة فاعقبهم نفاقا لاتدل ولاتشعر بانه كان مسلما ثم لما بخل بالمال ولم يف

﴿ومنهم من عاهد الله﴾ الآية قال الضحاك هم نبتل ابن الحرث والجد بن قيس ومعتب بن قشير وثعلبة ابن حاطب وفيهم نزلت الآية والظاهر ان الضمير في فأعقبهم هو عائد على الله تعالى عاقبهم على الذنب بما هو أشد منه والظاهر عود الضمير في يلقونه على الله تعالى وقيل جزاء أفعالهم ﴿ألم يعلموا﴾ هذا استفهام تضمن التوبيخ والتقريع وقرأ علي وأبو عبد الرحمن والحسن تعلموا بالتاء وهو خطاب للمؤمنين على سبيل التقرير وانه تعالى فاضح المنافقين ومعلم المؤمنين أحوالهم التي يكتمونها شيأ فسيأ ﴿سرهم ونجواهم﴾ هذا التقسيم عبارة عن احاطة علمه تعالى بهم والظاهر ان الآية في جميع المنافقين من عاهد وأخلف وغيره

بالعهد صار منافقا كما قال أبو عبد الله الرازي لأن المعقب نفاق متصل الى وقت الموافاة فهو نفاق مقيد بغاية ولا يدل المقيد على انتفاء المطلق قبله واذا كان الضمير عائدا على الله فلا يكون اللقاء متضمنا رؤية الله لاجماع العلماء على أن الكفار لا يرون الله فالاستدلال باللقاء على الرؤية من قوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام ليس بظاهر ولقوله من حلف على يمين كاذبة ليقطع حق امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان وأجمعوا على أن المراد هنا لقي ما عند الله من العقاب ألم يعلموا هذا استفهام تضمن التوبيخ والتقريع * وقرأ علي وأبو عبد الرحمن والحسن تعلموا بالتاء وهو خطاب للمؤمنين على سبيل التقرير وأنه تعالى فاضح المنافقين ومعلم المؤمنين أحوالهم التي يكتمونها شيئا فشيئا سرهم ونجواهم هذا التقسيم عبارة عن احاطة علم الله بهم والظاهر أن الآية في جميع المنافقين من عاهد وأخلف وغيرهم وخصها فرقة بمن عاهد وأخلف فقال الزمخشري ما أسروه من النفاق والعزم على اخلاف ماوعدوه ومايتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها * وقيل أشار بسرهم الى مايخفونه من النفاق وبنجواهم الى مايفيضون به بينهم من تنقيص الرسول صلى الله عليه وسلم وتعييب المؤمنين * وقيل سرهم مايسار به بعضهم بعضا ونجواهم ماتحدثوا به جهرا بينهم وهذه أقوال متقاربة متفقة في المعنى ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لايجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم﴾ نزلت فيمن عاب المتصدقين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فتصدق عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف وأمسك مثلها فبارك له الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أمسك وفيما أعطى وتصدق عمر بنصف ماله وعاصم بن عدي بمائة وسق وعثمان بصدقة عظيمة وأبو عقيل الأراشي بصاع تمر وترك لعياله صاعا وكان آجر نفسه لسقي نخيل بهما ورجل بناقة عظيمة قال هي وذو بطنها صدقة يارسول الله وألقى الى الرسول خطامها فقال المنافقون ما تصدق هؤلاء الارياء وسمعة وماتصدق أبو عقيل الاليذكر مع الاكابر أوليذكر بنفسه فيعطى من الصدقات والله غني عن صاعه * وقال بعضهم تصدق بالناقة وهي خير منه وكان الرجل أقصر الناس قامة وأشدهم سوادا فنظر اليه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال قل هو خير منك ومنها يقولها ثلاثا وأصل المطوعين المتطوعين فأدغمت التاء في الطاء وهم المتبركون كعبد الرحمن وغيره والذين لا يجدون الا جهدهم هم مندرجون في المطوعين ذكروا تشريفا لهم حيث مافاتتهم الصدقة بل تصدقوا بالشيء وان كانوا أشد الناس حاجة اليه وأتعبهم في تحصيل ماتصدقوا به كأبي عقيل وأبي خيثمة وكان قد لمز في التصدق بالقليل ونظرائهما وكان أبو علي الفارسي يذهب الى أن المعطوف في هذا وشبهه لم يندرج فيما عطف عليه قال لأنه لا يسوغ عطف الشيء على مثله وكذلك كان يقول في وملائكته ورسله وجبريل وميكال وفي قوله فيهما فاكهة ونخل ورمان والى هذا كان يذهب تلميذه ابن جني وأكثر الناس على خلافهما وتسمية بعضهم التجريد جردوا بالذكر على سبيل التشريف وقد تقدم الكلام على ذلك في قوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال * وقرأ ابن هرمز وجماعة جهدهم بالفتح * فقيل هما لغتان بمعنى واحد * وقال القتبي بالضم الطاقة وبالفتح

﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات﴾ نزلت فيمن عاب المتصدقين وكان رسول الله حث على الصدقة فتصدق عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف وأمسك مثلها فبارك له الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أعطى وفيما أمسك وتصدق عمر بنصف ماله وعاصم بن عدي بمائة وسق وعثمان بن عفان بصدقة عظيمة وأبو عقيل الاراشي بصاع تمر وترك لعياله صاعا وكان أجر نفسه لسقي نخل بهما ورجل بناقة عظيمة قال هي وذو بطنها صدقة يارسول الله وألقى الى رسول الله خطامها فقال المنافقون ماتصدق هؤلاء الارياء وسمعة وماتصدق أبو عقيل الاليذكر مع الاكابر أوليذكر بنفسه فيعطى من الصدقات والله غني عن صاعه وقال بعضهم تصدق بالناقة وهي خير منه وكان الرجل أقصر الناس قامة وأشدهم سوادا فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بل هو خير منك ومنها يقوله ثلاثا ﴿والذين لايجدون الا جهدهم﴾ هم مندرجون في المطوعين ذكروا تشريفا لهم حيث فاتتهم الصدقة بل تصدقوا بالشيء وان كانوا أشد الناس اليه حاجة وأتعبهم في تحصيل ما تصدقوا به كأبي عقيل وأبي خيثمة وكان قد لمز في التصدق بالقليل ونظرائهما الذين يلمزون مبتدأ وفي الصدقات متعلق بيلمزون والذين لايجدون معطوف على المطوعين كأنه قيل يلمزون الاغنياء وغيرهم ﴿فيسخرون﴾ معطوف على يلمزون وسخر منهم ومابعده خبر عن الذين يلمزون

المشقة * وقال الشعبي بالضم القوت وبالفتح في العمل * وقيل بالضم شيء قليل يعاش به والاحسن في الاعراب أن يكون الذين يلمزون مبتدأ وفي الصدقات متعلق بيلمزون والذين لا يجدون معطوف على المطوعين كأنه قيل يلمزون الاغنياء وغيرهم وفيسخرون معطوف على يلمزون وسخر الله منهم وما بعده خبر عن الذين يلمزون وذكر أبو البقاء أن قوله والذين لا يجدون معطوف على الذين يلمزون وهذا غير ممكن لان المعطوف على المبتدا مشارك له في الخبر ولا يمكن مشاركة الذين لا يجدون الاجهدهم مع الذين يلمزون الا ان كانوا مثلهم منافقين * قال وقيل والذين لا يجدون معطوف على المؤمنين وهذا بعيد جدا * قال وخبر الأول على هذه الوجوه فيه وجهان أحدهما فيسخرون ودخلت الفاء لما في الذين من التشبيه بالشرط انتهى هذا الوجه وهذا بعيد لانه اذ ذاك يكون الخبر كأنه مفهوم من المبتدا لان من عاب وغمز أحدا هو ساخر منه فقرب أن يكون مثل سيد الجارية مالكها وهو لا يجوز * قال والثاني أن الخبر سخر الله منهم قال وعلى هذا المعنى يجوز أن يكون الذين يلمزون في موضع نصب بفعل محذوف يفسره سخر تقديره عاب الذين يلمزون * وقيل الخبر محذوف تقديره منهم الذين يلمزون * وقال أبو البقاء أيضا من المؤمنين حال من الضمير في المطوعين وفي الصدقات متعلق بيلمزون ولا يتعلق بالمطوعين لئلا يفصل بينهما بأجنبي انتهى وليس بأجنبي لانه حال كما قررو اذا كان حالا جاز الفصل بها بين العامل فيها وبين المعمول أخو لذلك العامل نحو جاء في الذي يمر راكبا بزيد والسخرية الاستهزاء والظاهر أن قوله سخر الله منهم خبر لفظا ومعنى ويرجحه عطف الخبر عليه * وقيل صيغته خبر ومعناه الدعاء ولما قال فيسخرون منهم قال سخر الله منهم على سبيل المقابلة ومعناه أمهلهم حتى ظنوا أنه أهملهم * قال ابن عباس وكان هذا في الخروج الى غزوة تبوك * وقيل معنى سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم وجزاء الشيء قد يسمى باسم الشيء كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها * قال ابن عطية تسمية العقوبة باسم الذنب وهي عبارة عما حل بهم من المقت والذل في نفوسهم انتهى وهو قريب من القول الذي قبله * وقال الأصم أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقبل معاذيرهم الكاذبة في الظاهر ووبال فعلهم عليهم كما هو فكأنه سخر منهم ولهذا قال ولهم عذاب أليم وهو عذاب الآخرة المقيم انتهى وفي هذه الآية دلالة على أن لمز المؤمن والسخرية منه من الكبائر لما يعقبهما من الوعيد ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ سأل عبد الله بن عبد الله بن أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا أن يستغفر لأبيه في مرضه ففعل فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم قد رخص لي فأزيد على السبعين فنزلت سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم * وقيل لما نزل سخر الله منهم ولهم عذاب أليم سألوا الرسول أن يستغفر لهم فنزلت وعلى هذا فالضمائر عائدة على الذين سبق ذكرهم أو على جميع المنافقين قولان والخطاب بالأمر للرسول والظاهر أن المراد بهذا الكلام التخيير وهو الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال له عمر كيف تستغفر لعدو الله وقد نهاك الله عن الاستغفار لهم فقال صلى الله عليه وسلم ما نهاني ولكنه خيرني فكأنه قال له عليه السلام ان شئت فاستغفر وان شئت فلا تستغفر ثم أعلمه انه لا يغفر لهم وان استغفر سبعين مرة * وقيل لفظه أمر ومعناه الشرط بمعنى ان استغفرت أو لم تستغفر لن يغفر الله فيكون مثل قوله قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم وبمنزلة قول الشاعر

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت

﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ﴾ الآية سأل عبد الله بن عبد الله بن أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا أن يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت فقال عليه السلام قد رخص لي فازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم وعلى هذا فالضمائر عائدة على جميع المنافقين والخطاب بالأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر ان المراد بهذا الكلام التخيير وهو الذي روي عنه صلى الله عليه وسلم وقد قال له عمر كيف تستغفر لعدو الله وقد نهاك الله عن الاستغفار لهم فقال عليه السلام ما نهاني ولكنه خيرني فكأنه قال له ان شئت فاستغفر وان شئت فلا تستغفر ثم أعلمه انه لا يغفر لهم وان استغفر سبعين مرة

ومن الكلام في هذا في قوله قل أنفقوا طوعا أو كرها والى هذا المعنى ذهب الطبري وغيره وهو اختيار الزمخشري قال وقد ذكرنا أن هذا الأمر في معنى الخبر كأنه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت أم لم تستغفر وان فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في المجيء به على لفظ الأمر انتهى يعني في تفسير قوله تعالى قل أنفقوا وكان قال هنالك (فان قلت) كيف أمرهم بالانفاق ثم قال لن يتقبل (قلت) هو أمر في معنى الخبر كقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ومعناه لن يتقبل منكم أنفقتم طوعا أو كرها ونحوه قوله استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وقوله

* أسيئي بنا أو أحسني لاملومة * أي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أو لا تستغفر لهم ولا نلومك أحسنت الينا أو أسأت * فان قيل متى يجوز نحو هذا * قلت اذا دل الكلام عليه كما كان في قولك غفر الله لزيد ورحمه (فان قلت) لم فعل ذلك (قلت) لنكتة وهي ان كثيرا كأنه يقول لعزة امتحني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك وعامليني بالاساءة والاحسان وانظري هل تتفاوت حالي معك مسيئة كنت أو محسنة وفي معناه قول القائل

أخوك الذي ان قمت بالسيف عامدا * لتضرب به لم يستغشك في الود

وكذلك المعنى أنفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم أو لا تستغفر لهم وانظر هل ترى خلافا بين حالي الاستغفار وتركه انتهى * وقيل هو أمر مبالغة في الاياس ومعناه انك لو طلبت الاستغفار لهم طلب المأمور أو تركته ترك المنهي عنه لم يغفر لهم * وقيل معناه الاستواء أي استغفارك لهم وترك الاستغفار سواء (فان قلت) كيف جاز أن يستغفر لهم وقد أخبر أنهم كفروا * فالجواب قالوا من وجوه * أحدها ان ذلك كان على سبيل التأليف ليخلص ايمان كثير منهم وقد روي انه لما استغفر لابن سلول وكساه ثوبه وصلى عليه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يطلب الاستشفاء بثوب الرسول وكان رأس المنافقين وسيدهم * وقيل فعل ذلك تطييبا لقلب ولده ومن أسلم منهم وهذا قريب مما قبله * وقيل كان المؤمنون يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لقومهم المنافقين في حياتهم رجاء أن يخلصوا في ايمانهم وبعد مماتهم رجاء الغفران فنهاه الله عن ذلك وأيأسهم منه وقد سأل عبد الله بن عبد الله الرسول أن يستغفر لأبيه رجاء أن يخفف عنه * وقيل انما استغفر لقوم منهم على ظاهر اسلامهم من غير أن يحقق خروجهم عن الاسلام ورد هذا القول بانه تعالى أخبر بانهم كفروا فلا يصح أن يقال انه غير عالم بكفرهم * وقال أبو عبد الله الرازي الأقرب في تعلق هذه الآية بما قبلها ماذكره ابن عباس ان الذين كانوا يلمزون هم الذين طلبوا الاستغفار ولا يجوز أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم اشتغل بالاستغفار فنهاه عنه لوجوه * الأول أن المنافق كافر وقد ظهر في شرعه عليه السلام أن الاستغفار للكافر لا يجوز فلهذا السبب أمره الله تعالى بالاقتداء بابراهيم عليهما السلام الا في قوله لاستغفرن لك واذا كان هذا مشهورا في الشرع فكيف يجوز الاقدام عليه * الثاني أن استغفار الغير للغير لا ينفعه اذا كان ذلك الغير مصرا على القبيح والمعصية * الثالث أن اقدامه على الاستغفار للمنافقين يجري مجرى اغرائهم بالاقدام على الذنب * الرابع انه اذا كان لا يجيبه بقي دعاء الرسول مردودا عند الله وذلك يوجب نقصان منصبه صلى الله عليه وسلم * الخامس أن هذا الدعاء لو كان مقبولا من الرسول لكان قليله مثل كثيره في حصول الاجابة فثبت أن المقصود من هذا الكلام أن القوم لما طلبوا منه أن يستغفر لهم منعه الله منه وليس المقصود من ذكر هذا العدد تحديد المنع بل هو كما يقول القائل ان سأله حاجة لو سألتني سبعين مرة لم أقضها لك

لا يريد بذلك انه اذا زاد قضاها فكذا ههنا والذى يوءكد ذلك قوله تعالى فى الآية ذلك بأنهم كفروا فبين أن العلة التى لأجلها لا ينفعهم استغفار الرسول لهم وان بلغ سبعين مرة هى كفرهم وفسقهم وهذا المعنى قائم فى الزيادة على السبعين فصار هذا القليل شاهدا بان المراد ازالة الطمع أن ينفعهم استغفار الرسول مع اصرارهم على كفرهم ويوءكده والله لا يهدى القوم الفاسقين والمعنى ان فسقهم مانع من الهداية فثبت أن الحق ما ذكرناه * وقال الأزهرى فى جماعة من أهل اللغة السبعون هنا جمع السبعة المستعملة للكثرة لا السبعة التى فوق الستة انتهى والعرب تستكثر فى الآحاد بالسبعة وفى العشرات بالسبعين وفى المئين بسبعمائة * قال الزمخشرى والسبعون جار مجرى المثل فى كلامهم للتكثير * قال على رضى الله تعالى عنه

لأصبحن العاص وابن العاصى * سبعين ألفا عاقدى النواصى

* قال ابن عطية وأما تمثيله بالسبعين دون غيرها من الاعداد فلأنه عدد كثيرا ما يجىء غاية ومقنعا فى الكثرة ألا ترى الى القوم الذين اختارهم موسى والى أصحاب العقبة وقد قال بعض اللغويين ان التصريف الذى يكون من السين والباء والعين هو شديد الامر من ذلك السبعة فانها عدد مقنع هى فى السموات وفى الارض وفى خلق الانسان وفى بدنه وفى أعضائه التى بها يطيع الله وبها يعصيه وبها ترتيب أبواب جهنم فيما ذكر بعض الناس وهى عيناه وأذناه وأسنانه وبطنه وفرجه ويداه ورجلاه وفى سهام الميسر وفى الاقاليم وغير ذلك ومن ذلك السبع العبوس والعنبس ونحو هذا من القول انتهى واستدل القائلون بدليل الخطاب وان التخصيص بالعدد يدل على أن الحكم فيما وراء ذلك بخلافه بما روى انه قال والله لأزيدن على السبعين ولم ينصرف حتى نزل سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم فكف عنه * قيل ولقائل أن يقول هذا الاستدلال بالعكس أولى لأنه تعالى لما بين انه لا يغفر لهم البتة ثبت أن الحال فيما وراء العدد مساو للحال فى العدد وذلك يدل على أن التقييد بالعدد لا يوجب أن يكون الحكم فيما رآه بخلافه * قال الزمخشرى (فان قلت) كيف خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أفصح العرب وأخبرهم بأساليب الكلام وتمثيلاته والذى يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله تعالى ذلك بأنهم كفروا الآية فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال رخص لى ربى فأزيد على السبعين (قلت) لم يخف عليه صلى الله عليه وسلم ذلك ولكنه خيل بما قال اظهارا لغاية رحمته ورأفته على من بعث اليه كما قال ابراهيم عليه السلام ومن عصانى فانك غفور رحيم وفى اظهار النبى صلى الله عليه وسلم الرأفة والرحمة لطف لأمته ودعاء لهم الى ترحم بعضهم على بعض انتهى وفى هذا السؤال والجواب غض من منصب النبوة وسوء أدب على الانبياء ونسبته اليهم ما لا يليق بهم واذا كان صلى الله عليه وسلم يقول لم يكن لنبى خائنة الأعين أو كما قال وهى الاشارة فكيف يكون له النطق بشئ على سبيل التخييل حاشا منصب الأنبياء عن ذلك ولكن هذا الرجل مسرح الألفاظ فى حق الانبياء بما لا يليق بحالهم ولقد تكلم عند تفسير قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم بكلام فى حق الرسول نزهت كتابى هذا أن أنقله فيه والله تعالى يعصمنا من الزلل فى القول والعمل ذلك اشارة الى انتفاء الغفران وتبيين العلة الموجبة لذلك وانتفاء هداية الله الفاسقين هو للذين حتم لهم بذلك فهو عام مخصوص ﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ لما ذكر

من المنافقين ذكر حال المنافقين الذين لم يخرجوا معه وتخلفوا عن الجهاد واعتذروا باعذار وعلل كاذبة حتى أذن لهم فكشف الله تعالى لرسوله عن أحوالهم وأعلمه بسوء فعالهم فانزل عليه فرح المخلفون أى عن غزوة تبوك وكان عليه السلام قد خلفهم بالمدينة لما اعتذروا فاذن لهم وهذه الآية تقتضى التوبيخ والوعيد ولفظة المخلفون تقتضى الذم والتحقير ولذلك جاء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وهى أمكن من لفظة المتخلفين اذهم مفعول بهم ذلك ولم يفرح الا منافق فخرج من ذلك الثلاثة وأصحاب العذر ولفظ المقعد يكون للزمان والمكان والمصدر وهو هنا للمصدر أى بقعودهم وهو عبارة عن الاقامة بالمدينة وانتصب خلاف على الظرف أى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال فلان أقام خلاف الحى أى بعدهم اذ ظعنوا ولم يظعن معهم ومنه قول الشاعر

خلاف الذى مضى

وقل للذى يبغى

تأهب لأخرى مثلها وكأن قد

تعالى ماظهر من النفاق والهزء من الذين خرجوا معه الى غزوة تبوك من المنافقين ذكر حال المنافقين الذين لم يخرجوا معه وتخلفوا عن الجهاد واعتذروا بأعذار وعلل كاذبة حتى أذن لهم فكشف الله للرسول صلى الله عليه وسلم عن أحوالهم وأعلمه بسوء فعالهم فأنزل الله عليه فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله الآية أي عن غزوة تبوك وكان الرسول قد خلفهم بالمدينة لما اعتذروا فأذن لهم وهذه الآية تقتضي التوبيخ والوعيد ولفظة المخلفون تقتضي الذم والتحقير ولذلك جاء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وهي أمكن من لفظة المتخلفين اذهم مفعول بهم ذلك ولم يفرح الامنافق فخرج من ذلك الثلاثة وأصحاب العذر ولفظ المقعد يكون للزمان والمكان والمصدر وهو هنا للمصدر أي بقعودهم وهو عبارة عن الاقامة بالمدينة وانتصب خلاف على الظرف أي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال فلان أقام خلاف الحي أي بعدهم اذا ظعنوا ولم يظعن معهم قاله أبو عبيدة والأخفش وعيسى بن عمرو * قال الشاعر

عقب الربيع خلافهم فكأنما * بسط السواطب بينهن حصيرا

﴿ ومنه قول الشاعر ﴾

فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى * تأهب لأخرى مثلها وكأن قد

ويؤيد هذا التأويل قراءة ابن عباس وأبي حيوة وعمرو بن ميمون خلف رسول الله * وقال قطرب ومؤرج والزجاج والطبري انتصب خلاف على انه مفعول لأجله أي لمخالفة رسول الله لأنهم خالفوه حيث نهض للجهاد وقعدوا ويؤيد هذا التأويل قراءة من قرأ خلف بضم الخاء وما تظاهرت به الروايات من أنه أمرهم بالنفر فغضبوا وخالفوا وقعدوا مستأذنين وغير مستأذنين وكراهتهم للجهاد هي لكونهم لا يرجون به ثوابا ولا يدفعون بزعمهم عنهم عقابا وفي قوله فرح وكرهوا مقابلة معنوية لان الفرح من ثمرات المحبة وفي قوله أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظيمة أي كالمؤمنين الذين بذلوا أموالهم وأنفسهم في الجهاد في سبيل الله وآثروا ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه ومافيهم مافي المؤمنين من باعث الايمان والفرح بالقعود يتضمن الكراهة للخروج وكأن الفرح بالقعود هو لمثل الاقامة ببلده لأجل الالفة والايناس بالاهل والولد وكراهة الخروج الى الغزو لانه تعريض بالنفس والمال للقتل والتلف واستعذروا بشدة الحر فأجاب الله تعالى عما ذكروا انه سبب لترك النفر وقالوا انه قال بعضهم لبعض وكانوا أربعة وثمانين رجلا * وقيل قالوا للمؤمنين لم يكفهم ماهم عليه من النفاق والكسل حتى أرادوا أن يكسلوا غيرهم بنهيهم على العلة الموجبة لترك النفر * قال ابن عباس وأبو رزين والربيع قال رجل يارسول الله الحر شديد فلا ننفر في الحر * وقال محمد بن كعب هو رجل من بني سلمة انتهى أي قال ذلك عن لسانهم فلذلك جاء وقالوا بلفظ الجمع وكانت غزوة تبوك في وقت شدة الحر وطيب الثمار والظلال فأمر الله نبيه أن يقول لهم قل نار جهنم أشد حرا أقام الحجة عليهم بأنه قيل لهم اذا كنتم تجزعون من حر القيظ فنار جهنم التي هي أشد أحرى أن تجزعوا منها لو فقهتم * قال الزمخشري قل نار جهنم أشد حرا استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بذلك التصون في مشقة الابد كان أجهل من كل جاهل * ولبعضهم

مسرة أحقاب تلقيت بعدها * مساءة يوم اربها شبه الصاب

فكيف بأن تلقى مسرة ساعة * وراء تقضيها مساءة أحقاب

﴿فان رجعك الله الى طائفة منهم﴾ الخطاب لرسول الله صلى (٨٠) الله عليه وسلم والمعنى فان رجعك الله من سفرك هذا وهو غزوة تبوك ﴿فاستأذنوك﴾ عطف على محذوف تقديره فاردت الخروج بعد والرجوع فاستأذنوك وجواب الشرط قوله فقل وأمر الله تعالى نبيه أن يقول لهم لن تخرجوا معى هى عقوبة لهم واظهار لدناءة منزلتهم وسوء حالهم وأكد نفى الخروج فى المستقبل بقوله ﴿أبدا﴾ وهو ظرف مستقبل وانتقل بالنفى من الشاق عليهم وهو الخروج الى الغزاة الى الاشق وهو قتال العدو لانه أعظم الجهاد وثمرة الخروج وموضع بارقة السيوف التى تحتها الجنة ثم علل انتفاء الخروج والقتال بكونهم رضوا بالقعود أول مرة ورضاهم ناشئ عن نفاقهم وكفرهم وخداعهم وعصيانهم أمر الله تعالى فى قوله انفروا خفافا وثقالا وقالوا هم لا تنفروا فى الحر فعلل بالمسبب وهو الرضا الناشئ عن السبب وهو النفاق وأول مرة هو الخرجة الى غزوة تبوك ومرة مصدر كأنه قيل أول خرجة دعيتم اليها لانها لم تكن أول خرجة خرجها عليه السلام للغزاة فلابد من تقييدها اذ الأولية تقتضى السبق وقيل التقدير أول خرجة خرجها الرسول لغزو الروم بنفسه وقيل أول مرة من قبل الاستئذان

انتهى * وقرأ عبيد الله يعلمون مكان يفقهون وينبغى أن يحمل ذلك على معنى التفسير لانه مخالف لسواد ما أجمع المسلمون عليه ولما روى عنه الائمة والامر بالضحك والبكاء فى معنى الخبر والمعنى فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا الا انه أخرج على صيغة الأمر للدلالة على انه حتم لا يكون غيره روى ان أهل النفاق يبكون فى النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم والظاهر أن قوله فليضحكوا قليلا اشارة الى مدة العمر فى الدنيا وليبكوا كثيرا اشارة الى تأبيد الخلود فجاء بلفظ الامر ومعناه الخبر عن حالهم * قال ابن عطية ويحتمل أن تكون صفة حالهم أى هم لما هم عليه من الخطر مع الله وسوء الحال بحيث ينبغى أن يكون ضحكهم قليلا وبكاؤهم كثيرا من أجل ذلك وهذا يقتضى أن يكون وقت الضحك والبكاء فى الدنيا نحو قوله عليه السلام لامته لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وانتصب قليلا وكثيرا على المصدر لانهما نعت للمصدر أى ضحكا قليلا وبكاء كثيرا وهذا من المواضع التى يحذف فيها المنعوت ويقوم نعته مقامه وذلك لدلالة الفعل عليه * وقال أبو البقاء ويجوز أن يكونا نعتا لظرف محذوف أى زمانا قليلا وزمانا كثيرا انتهى والاول أجود لان دلالة الفعل على المصدر بحروفه ودلالته على الزمان بهيئته فدلالته على المصدر أقوى وانتصب جزاء على أنه مفعول لأجله وهو متعلق بقوله وليبكوا كثيرا ﴿فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين﴾ الخطاب للرسول والمعنى فان رجعك الله من سفرك هذا وهو غزوة تبوك * قيل ودخول ان هنا وهى للممكن وقوعه غالبا اشارة الى أنه صلى الله عليه وسلم لا يعلم بمستقبلات أمره من أجل وغيره الا أن يعلمه الله وقد صرح بذلك فى قوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء * قال نحوه ابن عطية وغيره * الى طائفة منهم لان منهم من مات ومنهم من تاب وندم ومنهم من تخلف لعذر صحيح فالطائفة هنا الذين خلصوا فى النفاق وثبتوا عليه هكذا قيل واذا كان الضمير فى منهم عائدا على المخلفين الذين خرجوا وكرهوا أن يجاهدوا فالذى يظهر أن ذكر الطائفة هو لاجل أن منهم من مات * قال ابن عطية ويشبه أن تكون هذه الطائفة قد حتم عليها بالموافاة على النفاق وعينوا للنبى صلى الله عليه وسلم والا فكيف يترتب على أن لا يصلى على موتاهم ان لم يعينهم وقوله وماتوا وهم فاسقون نص فى موافاتهم ومما يؤيد هذا أن النبى صلى الله عليه وسلم عينهم لحذيفة بن اليمان وكانت الصحابة اذا رأوا حذيفة تأخر عن الصلاة على جنازة رجل تأخروا هم عنها * وروى عن حذيفة أنه قال يوما بقى من المنافقين كذا وكذا وقال له عمر بن الخطاب أنشدك الله أنا منهم فقال لا والله لا أمنت منها أحدا بعدك وأمر الله نبيه أن يقول لهم لن تخرجوا معى هو عقوبة لهم واظهار لدناءة منزلتهم وسوء حالهم وهذا هو المقصود فى قصة ثعلبة بن حاطب التى تقدمت فى الامتناع من أخذ صدقته ولا خزى أعظم من أن يكون انسان قد رفضه الشرع ورده كالجمل الاجرب * قال الزمخشرى فاستأذنوك للخروج يعنى الى غزوة بعد غزوة تبوك وكان اسقاطهم من ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذى علم الله تعالى أنه لم يدعهم اليه الا النفاق بخلاف غيرهم من المخلفين انتهى وانتقل بالنفى من الشاق عليهم وهو الخروج الى الغزاة الى الاشق وهو قتال العدو لانه أعظم الجهاد وثمرة الخروج وموضع بارقة السيوف التى تحتها الجنة ثم

علل انتفاء الخروج والقتال بكونهم رضوا بالقعود أول مرة ورضاهم ناشئ عن نفاقهم وكفرهم وخداعهم وعصيانهم أمر الله فى قوله انفروا خفافا وثقالا وقالوا هم لا تنفروا فى الحر فعلل بالمسبب وهو الرضا الناشئ عن السبب وهو النفاق وأول مرة هى الخرجة الى غزوة تبوك ومرة مصدر كأنه قيل أول خرجة دعيتم اليها لانها لم تكن أول خرجة خرجها الرسول للغزاة فلا بد من تقييدها اذ الاولية تقتضى السبق * وقيل التقدير أول خرجة خرجها الرسول لغزوة الروم بنفسه * وقيل أول مرة قبل الاستئذان * وقال أبو البقاء أول مرة ظرف ونعنى ظرف زمان وهو بعيد * وقال الزمخشرى (فان قلت) مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف اليها وهو دال على واحدة من المرات (قلت) أكثر اللغتين هند أكبر النساء وهى أكبرهن ثم ان قولك هى كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه ولكن هى أكبر امرأة وأول مرة وآخر مرة انتهى فاقعدوا مع الخالفين أى أقيموا وليس أمرا بالقعود الذى هو نظير الجلوس وانما المراد منعهم من الخروج معه * قال أبو عبيدة الخالف الذى خلف بعد خارج فقعد فى رحله وهو الذى يتخلف عن القوم * وقيل الخالفين المخالفين من قولهم عبد خالف أى مخالف لمولاه * وقيل الاخساء الادنياء من قولهم فلان خالفة قومه لاخسهم وأرذلهم ودلت هذه الآية على توقى صحبة من يظهر منه مكر وخداع وكيد وقطع العلقة بينهما والاحتراز منه وعن قتادة ذكر لنا أنهم كانوا اثنى عشر رجلا * قال ابن عطية والخالفون جميع من تخلف من نساء وصبيان وأهل عذر غلب المذكر فجمع بالواو والنون وان كان ثم نساء وهو جمع خالف * وقال قتادة الخالفون النساء وهذا مردود * وقال ابن عباس هم الرجال * وقال الطبرى يحتمل قوله فى الخالفين أن يريد الفاسدين فيكون ذلك مأخوذا من خلف الشئ اذا فسد ومنه خلوف فم الصائم * وقرأ مالك بن دينار وعكرمة مع الخلفين وهو مقصور من الخالفين كما قال عددا وبددا يريد عاددا وباددا وكما قال الآخر * مثل النقى لبده ضرب الظلل * يريد الظلال ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ النهى عن الصلاة على المنافقين اذا ماتوا عقوبة ثانية وخزى متأبد عليهم وكان فيما روى يصلى على المنافقين اذا ماتوا ويقوم على قبورهم بسبب ما يظهرونه من الاسلام فانهم كانوا يتلفظون بكلمتى الشهادة ويصلون ويصومون فبنى الامر على ما ظهر من أقوالهم وأفعالهم ووكل سرائرهم الى الله ولم يزل على ذلك حتى وقعت واقعة عبد الله بن أبى وطول الزمخشرى وغيره فى قصته فتظافرت الروايات أنه صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية بعد ذلك وروى أنس أنه لما تقدم ليصلى عليه جاءه جبريل فجذبه بثوبه وتلا عليه ولا تصل على أحد منهم مات أبدا فانصرف ولم يصل وذكروا محاورة عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء ليصلى عليه ومات صفة لاحد فقدم الوصف بالمجرور ثم بالجملة وهو ماض بمعنى المستقبل لان الموت غير موجود ولا محالة نهاه الله عن الصلاة عليه والقيام على قبره وهو الوقوف عند قبره حتى يفرغ من دفنه وقيل المعنى ولا تتولوا دفنه وقبره فالقبر مصدر كان صلى الله عليه وسلم اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فنهى عن ذلك فى حق المنافقين فلم يصل بعد على منافق ولا قام على قبره انهم كفروا تعليل للمنع من الصلاة والقيام بما يقتضى الامتناع من ذلك وهو الكفر والموافاة عليه ﴿ ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴾ تقدم نظير هذه الآية وأعيد ذلك لأن تجدد النزول له شأن فى

﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ﴾ النهى عن الصلاة على المنافقين اذا ماتوا عقوبة ثانية لهم وخزى متأبد وكان عليه السلام فيما روى يصلى على المنافقين اذا ماتوا ويقوم على قبورهم بسبب ما يظهرونه من الاسلام فانهم كانوا يتلفظون بكلمتى الشهادة ويصلون ويصومون فبنى الأمر على ما ظهر من أقوالهم وأفعالهم ووكل سرائرهم الى الله تعالى ولم يزل على ذلك حتى وقعت واقعة عبد الله بن أبى وروى أنس انه لما تقدم ليصلى عليه جاء جبريل عليه السلام فجذبه بثوبه وتلا عليه ولا تصل على أحد منهم الآية فانصرف ولم يصل عليه ومات صفة لاحد تقدم الوصف بالمجرور ثم بالجملة وهو ماض بمعنى المستقبل لان الموت غير موجود ولا محالة نهاه تعالى عن الصلاة عليه والقيام على قبره وهو الوقوف على قبره حتى يفرغ من دفنه ﴿ ولا تعجبك ﴾ الآية تقدم الكلام على نظيرها وأعيد ذلك لان تجدد النزول له شأن فى تقرير ما نزل له

تقريرمانزل له وتأكيده وارادة أن يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وأن يعتقد أن العمل به مهم يفتقر الى فضل عناية به لاسيما اذا تراخى ما بين النزولين فأشبه الشئ الذى أهم صاحبه فهو يرجع اليه فى أثناء حديثه و يتخلص اليه وانما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر منه قاله الزمخشرى * وقال ابن عطية ووجه تكريرها توكيد هذا المعنى * وقال أبو على ظاهره انه تكرير وليس بتكرير لأن الآيتين فى فريقين من المنافقين ولو كان تكريرا لكان مع تباعد الآيتين لفائدة التأكيد والتذكير * وقيل أراد بالأولى لاتعظمهم فى حال حياتهم بسبب كثرة المال والولد و بالثانية لاتعظمهم بعد وفاتهم لمانع الكفر والنفاق وقد تغاير الآيتان فى ألفاظ هنا ولا وهناك فلا ومناسبة الفاء انه عقب قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون أى للانفاق فهم معجبون بكثرة الاموال والاولاد فنهاه عن الاعجاب بفاء التعقيب ومناسبة الواو وأنه نهى عطف على نهى قبله ولا تصل ولا تقم ولا تعجبك فناسبت الواو وهنا وأولادهم وهناك ولا أولادهم فذكر لا مشعر بالنهى عن الاعجاب بكل واحد واحد على انفراده و يتضمن ذلك النهى عن المجموع وهنا سقطت فكان نهيا عن اعجاب المجموع و يتضمن ذلك النهى عن الاعجاب بكل واحد واحد فدلت الآيتان بمنطوقهما ومفهومهما على النهى عن الاعجاب بالأموال والاولاد مجتمعين ومنفردين وهنا أن يعذبهم وهناك ليعذبهم فأتى باللام مشعرة بالتعليل ومفعول يريد محذوف أى انما يريد الله ابتلاءهم بالاموال والاولاد لتعذيبهم وأتى بان لأن مصب الارادة هو التعذيب أى انما يريد الله تعذيبهم فقد اختلف متعلق الفعل فى الآيتين هذا الظاهر وان كان يحتمل زيادة اللام والتعليل بان وهناك الدنيا وهنا فى الحياة الدنيا فأثبت فى الحياة على الاصل وحذفت هنا تنبيها على خسة الدنيا وانها لاتستحق أن تسمى حياة ولاسيما حين تقدمها ذكر موت المنافقين فناسب أن لاتسمى حياة ﴿ واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين * رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لايفقهون ﴾ الجمهور على أن السورة هنا كل سورة كان فيها الأمر بالايمان والجهاد * وقيل براءة لأن فيها الأمرين * وقيل بعض سورة فأطلق عليه سورة كما يطلق على بعض القرآن قرآن وكتاب وهذه الآية وان تقدم أنهم كانوا استأذنوا الرسول فى القعود فيها تنبيه على أنهم كانوا متى تنزل سورة فيها الأمر بالايمان والجهاد استأذنوا وليست هنا اذا تفيد التعليق فقط بل انجر معها معنى التكرار سواء كان ذلك فيها بحكم الوضع انه بحكم غالب الاستعمال لا الوضع وهى مسألة خلاف فى النحو ومما وجد معها التكرار قول الشاعر

اذا وجدت أوار النار فى كبدى * أقبلت نحو سقاء القوم أبترد

ألا ترى ان المعنى متى وجدت وان آمنوا يحتمل ان أن تكون تفسيرية لأن قبلها شرط ذلك و يحتمل أن تكون مصدرية أى بأن آمنوا أى بالايمان والظاهر ان الخطاب للمنافقين أى آمنوا بقلوبكم كما آمنتم بألسنتكم * قيل و يحتمل أن يكون خطابا للمؤمنين ومعناه الاستدامة والطول * قال ابن عباس والحسن الغنى * وقيل القوة والقدرة * وقال الاصم أولو الطول الكبراء والرؤساء وأولو الأمر منهم أى من المنافقين كعبد الله بن أبى والجد بن قيس ومعتب بن قشير واضرابهم وأخص أولو الطول لأنهم القادرون على التنفير والجهاد ومن لامال له ولا قدرة لايحتاج الى الاستئذان والاستئذان مع القدرة على الحركة أقبح وأفحش والمعنى استأذنك أولو الطول منهم فى القعود وفى

﴿واذا أنزلت سورة ﴾ الآية أن يحتمل أن تكون تفسيرية بمعنى أى و يحتمل أن تكون مصدرية أى بالايمان والظاهر ان الخطاب للمنافقين أى آمنوا بقلوبكم كما آمنتم بألسنتكم و﴿استأذنك ﴾جواب اذا و﴿ أولو الطول ﴾ الكبراء والرؤساء والطول قال ابن عباس الغنى والمعنى استأذنك أولو الطول منهم فى القعود وفى استأذنك التفات اذهو خروج من لفظ الغيبة فى قوله و رسوله الى ضمير الخطاب ﴿ وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين ﴾ أى الزمنا وأهل العذر ومن ترك لحراسه المدينة وفى قوله ﴿ رضوا بان يكونوا مع الخوالف ﴾ تهجين لهم ومبالغة فى الذم والخوالف النساء والظاهر ان قوله ﴿وطبع ﴾خبر من الله تعالى بما فعل بهم فلاجل الطبع لايفقهون ولا يتدبرون ولا يتفهمون مافى الجهاد من الفوز والشهادة والسعادة وما فى التخلف من الشقاء والضلال

استاذنك التفات إذهو خروج من لفظ الغيبة وهو قوله ورسوله الى ضمير الخطاب وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الزمني وأهل العذر ومن ترك لحراسة المدينة لأن ذلك عذر وفي قوله رضوا بأن يكونوا مع الخوالف تهجين لهم ومبالغة في الذم والخوالف النساء قاله الجمهور كابن عباس ومجاهد وقتادة وشمر بن عطية وابن زيد والفراء وذلك أبلغ في الذم كما قال

وما أدرى وسوف إخال أدرى * أقوم آل حصن أم نساء

فان تكن النساء مخبآت * فحق لكل محصنة هداء

﴿ وقال آخر ﴾

كتب القتل والقتال علينا * وعلى الغانيات جر الذيول

فكونهم رضوا بأن يكونوا قاعدين مع النساء في المدينة أبلغ ذم لهم وتهجين لانهم نزلوا أنفسهم منزلة النساء العجزة اللواتى لامدافعة عندهن ولا غنى * وقال النضر بن شميل الخوالف من لاخير فيه * وقال النحاس يقال للرجل الذى لاخير فيه خالفة وهذا جمعه بحسب اللفظ والمراد أخساء الناس وأخلافهم * وقالت فرقة الخوالف جمع خالف فهو جار مجرى فوارس ونواكس وهوالك والظاهر ان قوله وطبع خبر من الله بما فعل بهم * وقيل هو استفهام أى أوطبع على قلوبهم فلأجل الطبع لايفقهون ولايتدبرون ولايتفهمون مافى الجهاد من الفوز والسعادة ومافى التخلف من الشقاء والضلال ﴿ لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ﴾ لماذكر أن أولئك المنافقين اختاروا الدعة وكرهوا الجهاد وفروا من القتال وذكر ما أثر ذلك فيهم من الطبع على قلوبهم ذكر حال الرسول والمؤمنين فى المثابرة على الجهاد وذلك مالهم من الثواب ولكن وضعها أن تقع بين متنافيين ولما تضمن قول المنافقين ذرنا واستئذانهم في القعود كان ذلك تصريحا بانتفاء الجهاد فكأنه قيل رضوا بكذا ولم يجاهدوا ولكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا والمعنى ان تخلف هؤلاء المنافقون فقد توجه الى الجهاد من هو خير منهم وأخلص نية كقوله تعالى فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار والخيرات جمع خيرة وهو المستحسن من كل شئ فيتناول محاسن الدنيا والآخرة لعموم اللفظ وكثرة استعماله في النساء ومنه فيهن خيرات حسان * وقال الشاعر

ولقد طعنت مجامع الربلات * ربلات هند خيرة الملكات

* وقيل المراد بالخيرات هنا الحور العين * وقيل المراد بها الغنائم من الأموال والذرارى * وقيل أعد الله لهم جنات تفسير للخيرات إذ هو لفظ مبهم ﴿ وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾ ولما ذكر أحوال المنافقين الذين بالمدينة شرح أحوال المنافقين من الاعراب * قرأ الجمهور المعذرون بفتح العين وتشديد الذال فاحتمل وزنين أحدهما أن يكون فعل بتضعيف العين ومعناه تكلف العذر ولاعذر له ويقال عذر في الأمر قصر فيه وتوانى وحقيقته أن يوهم أن له عذرا فيما يفعل ولاعذر له والثانى أن يكون وزنه افتعل وأصله اعتذر كاختصم فأدغمت التاء فى الذال ونقلت حركتها الى العين فذهبت ألف الوصل ويؤيده قراءة سعيد بن جبير المعتذرون بالتاء من اعتذر وممن ذهب الى أن وزنه افتعل الأخفش والفراء وأبو عبيد وأبو حاتم والزجاج وابن الانبارى * وقرأ ابن عباس وزيد بن على

﴿ لكن الرسول ﴾ الآية لكن وضعها أن تقع بين متنافيين ولما تضمن قول المنافقين ذرنا استئذانهم في القعود كان ذلك تصريحا بانتفاء الجهاد وكأنه قيل رضوا بكذا ولم يجاهدوا لكن الرسول جاهدوا والمعنى ان تخلف هؤلاء المنافقون فقد توجه الى الجهاد من هو خير منهم وأخلص نية والخيرات جمع خيرة وهو المستحسن من كل شئ فيتناول محاسن الدنيا والآخرة لعموم اللفظ وكثر استعماله في النساء ومنه قوله تعالى فيهن خيرات حسان ﴿ وجاء المعذرون ﴾ الآية وقرىء بالتشديد والتخفيف والظاهر ان هؤلاء الجائين كانوا مؤمنين كما قال ابن عباس لأن التقسيم يقتضى ذلك ألاترى الى قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا الآية فلو كان الجميع كفارا لم يكن لوصف الذين قعدوا بالكذب اختصاص وكان يكون سيصيبهم عذاب أليم والمعذرون هم أسد وغطفان وقيل غير ذلك

﴿ ليس على الضعفاء ﴾ الآية لما ذكر تعالى حال من تخلف عن الجهاد مع القدرة عليه ذكر حال من له عذر في تركه والضعفاء جمع ضعيف وهو الهرم ومن خلق في أصل البنية شديد النحافة والضؤولة بحيث لا يمكنه الجهاد والمريض من عرض له المرض أو كان زمنا ويدخل فيه العمى والعرج ﴿ والذين لا يجدون ما ينفقون ﴾ هم الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة ونفى الحرج عنهم في التخلف عن الغزو ونفي الحرج لا يتضمن المنع من الخروج الى الغزو فلو خرج أحد هؤلاء ليعين المجاهدين بما يقدر عليه من حفظ متاعهم أو تكثير سوادهم ولا يكون كلا عليهم كان له في ذلك ثواب جزيل فقد كان عمرو بن الجموح أعرج وهو من أتقياء الانصار وهو في أول الجيش فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عذرك فقال والله لأحفرن بعرجتي هذه في الجنة وكان ابن أم مكتوم أعمى يخرج الى أحد وطلب ان يعطى اللواء (٨٤) فاخذه فاصيبت يده التي فيها اللواء فامسكه باليد الأخرى فضربت فامسكه بصدره وقرأ وما محمد الا رسول الآية وشرط سبحانه وتعالى في انتفاء الحرج النصح لله ورسوله وهو أن تكون نياتهم وأقوالهم سرا وجهرا خالصة لله تعالى من الغش ساعية في إيصال الخيرات للمؤمنين داعية لهم بالنصر والتمكين في سنن أبي داوود لقد تركتم بعدكم قوما ما سرتم سيرا ولا أنفقتم من نفقة ولا قطعتم واديا الا وهم معكم فيه قالوا يا رسول الله وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة قال حبسهم العذر وقرأ أبو حيوة اذا نصحوا الله ورسوله بنصب الجلالة والمعطوف ﴿ ما على المحسنين من سبيل ﴾ أي من لائمة تناط بهم أو عقوبة و لفظ المحسنين عام في كل محسن ﴿ أحسن ﴾ لتحملهم ﴿ أي على ظهر يركب ويحمل عليه أثاث المجاهد واذا تقتضي جوابا والأولى أن يكون ما يقرب منها وهو قلت ويكون قوله تولوا جوابا لسؤال مقدر كأنه قيل فما حالهم اذ أجابهم الرسول قيل تولوا وأعينهم تفيض من الدمع قال الزمخشري فان قلت هل يجوز أن يكون قوله قلت لا أجد استئنافا مثله يعني مثل رضوا بأن يكونوا مع الخوالف كأنه قيل اذا ما أتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين قلت لا أجد ما أحملكم عليه الا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت نعم ويحسن انتهى ولا يجوز ولا يحسن في كلام العرب فكيف في كلام الله تعالى وهو فهم أعجمي وتقدم الكلام على نحو وأعينهم تفيض من الدمع في المائدة وقال الزمخشري هنا وأعينهم تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو أبلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كأنها دمع فائض ومن للبيان كقولك أفديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز انتهى ولا يجوز ذلك لان التمييز الذي أصله فاعل لا يجوز جره بمن وأيضا فانه معرفة ولا يجوز الا على رأي

والضحاك والأعرج وأبو صالح وعيسى بن هلال ويعقوب والكسائي في رواية المعذرون من أعذر * وقرأ مسلمة المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر * قال أبو حاتم أراد المتعذرين والتاء لا تدغم في العين لبعد المخارج وهي غلط منه أو عليه واختلف في هؤلاء المعذرين أهم مؤمنون أم كافرون * فقال ابن عباس ومجاهد وجماعة هم مؤمنون وأعذارهم صادقة * وقال قتادة وفرقة هم كافرون وأعذارهم كذب وكان ابن عباس يقول رحم الله المعذرين ولعن المعذرين * قيل هم أسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فأذن لهم في التخلف * وقيل هم رهط عامر ابن الطفيل قالوا ان غزونا معك غارت اعراب طي على أهالينا ومواشينا فقال صلى الله عليه وسلم سيغني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله تعالى * قال ابن اسحق نفر من غفار منهم خفاف بن ايماء وهذا يقتضي أنهم مؤمنون والظاهر أن هؤلاء الجائين كانوا مؤمنين كما قال ابن عباس لان التقسيم يقتضي ذلك ألا ترى الى قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم فلو كان الجميع كفارا لم يكن لوصف الذين قعدوا بالكذب اختصاص وكان يكون التركيب سيصيبهم عذاب أليم ويحتمل أن يكونوا كفارا كما قال قتادة فانقسموا الى جاء معتذر والى قاعد واستؤنف اخبار بما يصيب الكافرين ويكون الضمير في منهم عائدا على الاعراب أو يكون المعنى سيصيب الذين يوافون على الكفر من هؤلاء عذاب أليم في الدنيا بالقتل والسبي وفي الآخرة بالنار * وقرأ الجمهور كذبوا بالتخفيف أي في ايمانهم فاظهروا ضد ما أخفوه * وقرأ أبي والحسن في المشهور عنه ونوح واسمعيل كذبوا بالتشديد أي لم يصدقوه تعالى ولا رسوله وردوا عليه أمره والتشديد أبلغ في الذم ﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم * ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم

تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ماينفقون ﴾ لماذ كر حال من تخلف عن الجهاد مع القدرة عليه ذ كر حال من له عذر فى تركه والضعفاء جمع ضعيف وهو الهرم ومن خلق فى أصل البنية شديد النحافة والضؤولة بحيث لايمكنه الجهاد والمريض من عرض له المرض أوكان زمنا و يدخل فيه العمى والعرج والذين لايجدون ماينفقون هم الفقراء * قيل هم مزينة وجهينة و بنوعذرة ونفى الحرج عنهم فى التخلف عن الغزو ونفى الحرج لايتضمن المنع من الخروج الى الغزو فلوخرج أحد هؤلاء ليعين المجاهدين بمايقدرعليه من حفظ متاعهم أوتكثير سوادهم ولا يكون كلا عليهم كان له فى ذلك ثواب جزيل فقد كان عمرو بن الجموح أعرج وهو من أتقياء الأنصار وهو فى أول الجيش وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد عذرك فقال والله لأحفرن بعرجتى هذه فى الجنة وكان ابن أم مكتوم أعمى فخرج الى أحد وطلب أن يعطى اللواء فأخذه فأصيبت يده التى فيها اللواء فأمسكه باليد الأخرى فضربت فأمسكه بصدره وقرأ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل وشرط فى انتفاء الحرج النصح لله ورسوله وهو أن يكون نياتهم وأقوالهم سرا وجهرا خالصة لله من الغش ساعية فى ايصال الخير للمؤمنين داعية لهم بالنصر والتمكين ففى سنن أبى داود لقد تركتم بعدكم قوما ماسرتم مسيرا ولاأنفقتم من نفقة ولا قطعتم واديا الاوهم معكم فيه قالوا يارسول الله وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة قال حبسهم العذر * وقرأ أبو حيوة اذا نصحوا الله ورسوله بنصب الجلالة والمعطوف ماعلى المحسنين من سبيل أى من لائمة تناط بهم أوعقوبة ولفظ المحسنين عام يندرج فيه هؤلاء المعذورون الناصحون غيرهم وقيل المحسنين هنا المعذورون الناصحون ويبعد الاستدلال بهذه الجملة على نفى القياس وان المحسن هو المسلم لانتفاء جميع السبيل فلايتوجه عليه شئ من التكاليف الا بدليل منفصل فيكون يخص هذا العام الدال على براءة الذمة * وقال الكرمانى المحسنين هم الذين أطاعوا الله ورسوله فى أقوالهم وأفعالهم ثم أكد الرجاء فقال والله غفور رحيم وقراءة ابن عباس والله لأهل الاساءة غفور رحيم على سبيل التفسير لا على أنه قرآن لمخالفته سواد المصحف قيل وقوله ماعلى المحسنين من سبيل فيه نوع من أنواع البديع يسمى التمليح وهو أن يشار فى فحوى الكلام الى مثل سائر أوشعر نادر أوقصة مشهورة أوما يجرى مجرى المثل * ومنه قول يسار بن عدى حين بلغه قتل أخيه وهو يشرب الخمر

اليوم خمر ويبدو فى غد خبر * والدهر من بين انعام وايئاس

ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم معطوف على ماقبله وهم مندرجون فى قوله ولا على الذين لايجدون ماينفقون وذكروا على سبيل نفى الحرج عنهم وانهم بالغوا فى تحصيل مايخرجون به الى الجهاد حتى أفضى بهم الحال الى المسألة والحاجة لبذل ماء وجوههم فى طلب مايحملهم الى الجهاد والاستعانة به حتى يجاهدوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يفوتهم أجر الجهاد و يحتمل أن لايندرجوا فى قوله ولا على الذين لايجدون ماينفقون بان يكون هؤلاء هم الذين وجدوا ماينفقون الا انهم لم يجدوا المركوب وتكون النفقة عبارة عن الزاد لا عبارة عما يحتاج اليه المجاهد من زاد ومركوب وسلاح وغير ذلك مما يحتاج اليه وهذه نزلت فى العرباض بن سارية * وقيل فى عبد الله ابن مغفل * وقيل فى عائذ بن عمرو * وقيل فى أبى موسى الأشعرى ورهطه * وقيل فى تسعة نفر من بطون شتى فهم البكاؤن وهم سالم بن عمير من بنى عمرو من بنى عوف وحرمى بن عمرو من بنى واقف وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب من بنى مازن بن النجار وسلمان بن صخر من بنى المعلى

الكوفيين الذين يجيزون مجئ التميز معرفة وانتصب حزنا على المفعول له والعامل فيه تفيض وقال أبو البقاء أومصدر فى موضع الحال و ﴿ ألا يجدوا ﴾ مفعول له أيضا والناصب له حزنا وقال أيضا ويجوز أن يتعلق بتفيض ولا يجوز ذلك على اعرابه حزنا مفعولا له وقوله والعامل فيه تفيض لان العامل لايقتضى اثنين من المفعول له الا بالعطف أو البدل وقوله أن لايجدوا ماينفقون فيه دلالة على أنهم مندرجون تحت قوله ولا على الذين لايجدون ماينفقون حرج وتقدم نفيان نفى الجرح عمن ذكر والثانى نفى السبيل بمعنى اللائمة والعتب على المحسنين فيكون قوله ولا على الذين معطوف على المحسنين عطف الخاص على العام ويحسن هذا

وأبو رعيلة عبد الرحمن بن زيد بن بني حارثة وعمرو بن غنمة من بني سلمة وعائذ بن عمرو المزني * وقيل عبدالله بن عمر والمزني * وقال مجاهد البكاؤن هم بنو بكر من مزينة * وقال الجهور نزلت في بني مقرن وكانوا ستة اخوة صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم وليس في الصحابة ستة اخوة غيرهم ومعنى لتحملهم أي على ظهر مركب و يحمل عليه أثاث المجاهد قال معناه ابن عباس * وقال أنس بن مالك لتحملهم بالزاد وقال الحسن بن صالح بالبغال و روى أن سبعة من قبائل شتى قالوا يارسول الله قد ندبتنا الى الخروج معك فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال لاأجد ما أحملكم عليه فتولوا وهم يبكون * وقرأ معقل بن هارون لنحملهم بنون الجاعة واذا تقتضي جوابا والاولى أن يكون مايقرب منها وهو قلب و يكون قوله تولوا جوابا لسؤال مقدر كأنه قيل فما كان حالهم اذا أجابهم الرسول قيل تولوا وأعينهم تفيض * وقيل جواب اذا تولوا وقلب جملة في موضع الحال من الكاف أي اذا ما أتوك قائلا لا أجد وقد قبله مقدر كما قيل في قوله حصرت صدورهم قاله الزمخشري أو على حذف حرف العطف أي وقلت قاله الجرجاني وقاله ابن عطية وقدره فقلت بالفاء وأعينهم تفيض جملة حالية * قال الزمخشري (فان قلت) فهل يجوز أن يكون قوله قلت لا أجد استئنافا مثله يعني مثل رضوا بان يكونوا مع الخوالف كأنه قيل اذا ما أتوك لتحملهم تولوا وقيل مالهم تولوا باكين قلت لا أجد ما أحملهم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض (قلت) نعم و يحسن انتهى ولا يجوز ولا يحسن في كلام العرب فكيف في كلام الله وهو فهم أعجمي وتقدم الكلام على نحو وأعينهم تفيض من الدمع في أوائل حزب لتجدن من سورة المائدة * وقال الزمخشري هنا وأعينهم تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو أبلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كأن كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك أفديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التميز انتهى ولا يجوز ذلك لان التميز الذي أصله فاعل لا يجوز جره بمن وأيضا فانه معرفة ولا يجوز الا على رأي الكوفيين الذين يجيزون مجيء التميز معرفة وانتصب حزنا على المفعول له والعامل فيه تفيض * وقال أبو البقاء أو مصدر في موضع الحال وأن لايجدوا مفعول له أيضا والناصب له حزنا قال أبو البقاء و يجوز أن يتعلق بتفيض انتهى ولا يجوز ذلك على اعرابه حزنا مفعولا له والعامل فيه تفيض لان العامل لا يقتضي اثنين من المفعول له الا بالعطف أو البدل وقوله أن لايجدوا ماينفقون فيه دلالة على انهم مندرجون تحت قوله ولا على الذين لا يجدون ماينفقون حرج ﴿إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون * يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لاتعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم و رسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون * سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون * يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين * الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم * ومن الأعراب من يتخذ ماينفق مغرما و يتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم * ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر و يتخذ ماينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم * والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي

(الدر)

(ش) فان قلت هل يجوز ان يكون قوله قلت لا أجد استئنافا مثله يعني مثل رضوا بأن يكونوا مع الخوالف كأنه قيل اذا ما أتوك لتحملهم وتولوا فقيل مالهم تولوا باكين قلت لا أجد ما أحملكم عليه الا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت نعم و يحسن انتهى (ح) لا يجوز هذا ولا يحسن في كلام العرب فكيف في كلام الله وهو فهم أعجمي (ش) وأعينهم تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو أبلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كان كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك أفديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التميز (ح) لا يجوز ذلك لان التميز الذي أصله فاعل لا يجوز جره بمن وأيضا فانه معرفة ولا يجوز الا على رأي الكوفيين الذين يجيزون مجيء التميز معرفة

الله عنهم و رضوا عنه وأعدّ لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم * وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردّون الى عذاب عظيم * وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم * خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم * ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده و يأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم * وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردّون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون * وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم * والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وارصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون * لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين * أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين * لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم * ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون و يقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم * التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله و بشر المؤمنين * ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم * وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له انه عدوّ لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم * وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شيء عليم * ان الله له ملك السموات والارض يحيي و يميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير * لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم * وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم * يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين * ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين * ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون * الاعراب صيغة جمع وفرق بينه و بين العرب فالعربي من له نسب في العرب والاعرابي البدوي منتجع الغيث والكلأ كان من العرب أو من مواليهم وللفرق نسب اليه على لفظه فقيل الاعرابي وجمع الأعراب على الاعارب جمع الجمع * أجدر أحق وأحرى قال الليث جدر جدارة فهو جدير وأجدر به يؤنث و يثني و يجمع * قال الشاعر

تخيل عليها جنة عبقرية * جديرون يوماً أن ينالوا فيستعلوا

أسس على وزن فعل مضعف العين وآسس على وزن فاعل وضع الأساس وهو معروف و يقال فيه

أس والجرف البئر التي لم تطو * وقال أبو عبيدة الهوة وما يجرفه السيل من الأودية * هار منهال ساقط يتداعى بعضه في اثر بعض وفعله هار يهور و يهار و يهير فعين هار يحتمل أن تكون واوا أو ياء فاصله هاير أو هاور فقلبت وصنع به ما صنع بقاض وغاز وصار منقوصا مثل شاكي السلاح ولاث قال * لاث به الآشاء والعبرى * وقيل هار محذوف العين لفرعله (٣) فتجرى الراء بوجوه الاعراب * وحكى الكسائي تهور وتهير * أواه كثير قول أوه وهي اسم فعل بمعنى أتوجع ووزنه فعال للمبالغة فقياس الفعل أن يكون ثلاثيا وقد حكاه قطرب حكى آه يؤوه أوها كقال يقول قولا ونقل عن النحويين أنهم أنكروا ذلك وقالوا ليس من لفظ أوه فعل ثلاثي انما يقال أوه تأويها وتأوه تأوها * قال الراجز * فأوه الداعي وضوضأ أكلبه * وقال المثقب العبدي

اذا ماقمت أرحلها بليل * تأوه آهة الرجل الحزين

وفي أوه اسم الفعل لغات ذكرت في علم النحو * الظمأ العطش الشديد وهو مصدر ظمئ يظمأ فهو ظمآن وهي ظمآى ويمد فيقال ظماء * الوادي ما انخفض من الأصل مستطيلا كمجاري السيول ونحوها وجمعته العرب على أودية وليس بقياسه قال تعالى فسالت أودية بقدرها وقياسه فواعل لكنهم استثقلوه لجمع الواوين * قال النحاس ولا أعرف فاعلا وأفعلة سواه وذكر غيره نادو أندية قال الشاعر

وفيهم مقامات حسان وجوههم * وأندية ينتابها القول والفعل

والنادي المجلس * وحكى الفراء في جمعه أوداء كصاحب وأصحاب قال جرير

عرفت ببرقة الاوداء رسما * محيلا طال عهدك من رسوم

* وقال الزمخشري الوادي كل منعرج من جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو في الأصل فاعل من ودى اذا سال ومنه الودى وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض تقول لا تصل في وادي غيرك ﴿ انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ﴾ أثبت في حق المنافقين ما نفاه في حق المحسنين فدل لاجل المقابلة أن هؤلاء مسيؤن وأي اساءة أعظم من النفاق والتخلف عن الجهاد والرغبة بأنفسهم عن رسول الله وليست انما للحصر انما هي للمبالغة في التوكيد والمعنى انما السبيل في اللائمة والعقوبة والاثم على الذين يستأذنونك في التخلف عن الجهاد وهم قادرون عليه لغناهم وكان خبر السبيل على وان كان قد فصل بالى كما قالت

هل من سبيل الى خمر فاشربها * أم من سبيل الى نصر بن حجاج

لان على تدل على الاستعلاء وقلة منعه من دخلت عليه ففرق بين لا سبيل لي على زيد ولا سبيل لي الى زيد وهذه الآية في المنافقين المتقدم ذكرهم عبد الله بن أبي والجد بن قيس ومعتب بن قشير وغيرهم ورضوا استئناف كأنه قيل ما بالهم استأذنوا في القعود بالمدينة وهم قادرون على الجهاد فقيل رضوا بالدناءة وانتظامهم في سلك الخوالف وعطف وطبع تنبيها على أن السبب في تخلفهم رضاهم بالدناءة وطبع على قلوبهم فهم لا يعلمون ما يترتب على الجهاد من منافع الدين والدنيا ﴿ يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ لن نؤمن لكم علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر أن يصدق فيما يعتذر به فاذا علم أنه مكذب في اعتذاره كف

قوله انما السبيل معرفا بالألف واللام اذ عاد على النكرة في قوله من سبيل ﴿ انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء ﴾ أثبت في حق المنافقين ما نفاه في حق المحسنين فدل لاجل المقابلة بان هؤلاء مسيئون وأي اساءة أعظم من النفاق والتخلف عن الجهاد والرغبة بانفسهم عن رسول الله ﴿ رضوا ﴾ تقدم الكلام عليه ﴿ يعتذرون اليكم ﴾ الآية ولن نؤمن لكم علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر أن يصدق فيما يعتذر به فاذا علم أنه مكذب في اعتذاره كف عنه ﴿ قد نبأنا الله من أخباركم ﴾ علة الانتفاء التصديق لانه تعالى اذا أخبر الرسول والمؤمنين بما انطوت عليه سرائرهم من الشر والفساد لم يمكن تصديقهم في معاذيرهم

(الدر)

قالوا لم يجيء فاعل وجمعه أفعلة الا واديا وأودية وناديا وأندية والنادي المجلس وحكى الفراء في جمع الوادي أوداء أفعالا قال جرير

* عرفت ببرقة الاوداء رسما * محيلا طال عهدك من رسوم

عنه قد نبأنا الله من أخباركم علة لانتفاء التصديق لانه تعالى اذا أخبر الرسول والمؤمنين بما انطوت عليه سرائرهم من الشر والفساد لم يمكن تصديقهم في معاذيرهم * قال ابن عطية والاشارة بقوله قد نبأنا الله من أخباركم الى قوله مازادوكم الا خبالا ولا وضعوا خلالكم ونحو هذا ونبأ هنا تعدت الى مفعولين كعرف نحو قوله من أنبأك هذا والثاني هو من أخباركم أي جملة من أخباركم وعلى رأي أبي الحسن الاخفش تكون من زائدة أي أخباركم * وقيل نبأ بمعنى أعلم المتعدية الى ثلاثة والثالث محذوف اختصار الدلالة الكلام عليه أي من أخباركم كذبا أو نحوه وسيرى الله توعد أي سيراه في حال وجوده فيقع الجزاء منه عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر * وقال الزمخشري وسيرى الله عملكم أتنيبون أم تثبتون على الكفر ثم تردون اشارة الى البعث من القبور والتنبؤ بأعمالهم عبارة عن جزائهم عليها * قال ابن عيسى وسيرى لجعله من الظهور بمنزلة مايرى ثم يجازى عليه * وقيل كانوا يظهرون للرسول عند تقريرهم معاذيرهم حبا وشفقة فقيل وسيرى الله عملكم هل يبقون على ذلك أولا يبقون والغيب والشهادة هما جامعان لاعمال العبد لا يخلو منهما وفي ذلك دلالة على أنه مطلع على ضمائرهم كاطلاعه على ظواهرهم لا تفاوت عنده في ذلك ﴿سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون﴾ لما ذكر أنهم يصدر منهم الاعتذار أخبر أنهم سيؤكدون ذلك الاعتذار الكاذب بالحلف وأن سبب الحلف هو طلبتهم أن يعرضوا عنهم فلا يلوموهم ولا يوبخوهم فاعرضوا عنهم أي فأجيبوهم الى طلبتهم وعلل الاعراض عنهم بأنهم رجس أي مستقذرون بما انطووا عليه من النفاق فتجب مباعدتهم واجتنابهم كما قال رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه فمن كان رجسا لا تنفع فيه المعاتبة ولا يمكن تطهير الرجس ويحتمل أن يكون سبب الحلف مخافتهم أن يعرضوا عنهم فلا يقبلوا عليهم ولا يوادوهم فأمر تعالى بالاعراض عنهم وعدم توليهم وبين العلة في ذلك برجسيتهم وبان مآل أمرهم الى النار * قال ابن عباس فاعرضوا عنهم لا تكلموهم وفي الخبر أنه عليه السلام لما قدم من تبوك قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم * قيل ان هذه الآية من أول مانزل في شأن المنافقين في غزوة تبوك وكان قد اعتذر بعض المنافقين واستأذنوه في القعود قبل مسيره فأذن فخرجوا وقال أحدهم ماهو الا شحمة لاول آكل فلما خرج الرسول نزل فيهم القرآن فانصرف رجل من القوم فقال للمنافقين في مجلس منهم نزل فيكم قرآن فقالوا له وماذلك قال لا أحفظ الا أني سمعت وصفكم فيه بالرجس فقال لهم مخشي لوددت ان أجلد مائة ولا أكون معكم فخرج حتى لحق بالرسول صلى الله عليه وسلم فقال له ماجاء بك فقال له وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسفعه الريح وانا في الكن فروى أنه ممن تاب * قال ابن عطية فاعرضوا عنهم أمر بانتهارهم وعقوبتهم بالاعراض والوصم بالنفاق وهذا مع اجمال لا مع تعيين مصرح من الله ولا من رسوله بل كان لكل واحد منهم ميدان المقالة مبسوطا وقوله رجس أي نتن وقذر وناهيك بهذا الوصف محطة دنيوية ثم عطف محطة الآخرة ومن حديث كعب بن مالك أنهم جاؤا يعتذرون ويحلفون لما قدم المدينة وكانوا بضعة وثمانين فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله ﴿يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ قال مقاتل نزلت في عبد الله بن أبي حلف بالله الذي لا اله الا هو لا يتخلف عنه بعدها

وان سبب الحلف هو طلبهم ان تعرضوا عنهم فلا تلوموهم ولا توبخوهم فاعرضوا عنهم أي فاجيبوهم الى طلبتهم وعلل الاعراض عنهم بانهم رجس أي مستقذرون بما انطووا عليه من النفاق فيجب مباعدتهم واجتنابهم كما قال رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ﴿يحلفون لكم لترضوا عنهم﴾ الآية قال مقاتل نزلت في عبد الله بن أبي حلف بالله الذي لا إله الا هو لا يتخلف عنه بعدها وحلف ابن أبي سرح ليكونن معه على عدوه وطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرضى عنه فنزلت وهنا حذف المحلوف به وفي قوله سيحلفون بالله أثبت كقوله تعالى اذ أقسموا ليصرمنها وقوله وأقسموا بالله فلا فرق بين اثباته وحذفه في انعقاد ذلك يمينا وغرضهم في الحلف رضا الرسول عليه السلام والمؤمنين عنهم لنفعهم في دنياهم لا لان مقصدهم وجه الله والبر اذ هي ايمان كاذبة وأعذار مختلقة لا حقيقة لها وفي الآية قبلها لما ذكر حلفهم لاجل الاعراض

 جاء الأمر بالاعراض هنا لان الاعراض من الأمور التي تظهر للناس وهنا ذكر

وحلف بن أبي سرح لنكونن معه على عدوه وطلب من الرسول أن يرضى عنه فنزلت وهنا حذف المحلوف به وفي قوله سيحلفون بالله أثبت كقوله اذ أقسموا ليصرمنها وقوله وأقسموا بالله فلا فرق بين حذفه واثباته في انعقاد ذلك يمينا وغرضهم في الحلف رضا الرسول والمؤمنين عنهم لنفعهم في دنياهم لا ان قصدهم وجه الله تعالى والمراد هي أيمان كاذبة وأعذار مختلقة لا حقيقة لها وفي الآية قبلها لما ذكر حلفهم لأجل الاعراض جاء الامر بالاعراض نصا لان الاعراض من الامور التي تظهر للناس وهنا ذكر الحلف لاجل الرضا فأبرز النهي عن الرضا في صورة شرطية لان الرضا من الأمور القلبية التي تخفى وخرج مخرج المتردد فيه وجعل جوابه انتفاء رضا الله عنهم فصار رضا المؤمنين عنهم أبعد شئ في الوقوع لانه معلوم منهم أنهم لا يرضون عمن لا يرضى الله عنهم ونص على الوصف الموجب لانتفاء الرضا وهو الفسق وجاء اللفظ عاما فيحتمل أن يراد به الخصوص كأنه قيل فان الله لا يرضى عنهم و يحتمل بقاؤه على العموم فيندرجون فيه ويكونون أولى بالدخول اذ العام اذا نزل على سبب مخصوص لا يمكن اخراج ذلك السبب من العموم بتخصيص ولا غيره ﴿ الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم ﴾ نزلت في أعراب من أسد وتميم وغطفان ومن أعراب حاضري المدينة أي أشد كفرا من أهل الحضر واذا كان الكفر متعلقا بالقلب فقط فالتقدير أشد أسباب كفر واذا دخلت فيه أعمال الجوارح تحققت فيه الشدة وكانوا أشد كفرا ونفاقا لتوحشهم واستيلاء الهواء الحار عليهم فيزيد في تيههم ونخوتهم وفخرهم وطيشهم وتربيتهم بلا سائس ولا مؤدب ولا ضابط فنشأوا كما شاؤا لبعدهم عن مشاهدة العلماء ومعرفة كتاب الله وسنة رسول الله ولبعدهم عن مهبط الوحي كانوا أطلق لسانا بالكفر والنفاق من منافقي المدينة اذ كان هؤلاء يستولي عليهم الخوف من المؤمنين فكان كفرهم سرا ولا يتظاهرون به إلا تعريضا وأجدر أي أحق أن لا يعلموا أي بأن لا يعلموا والحدود هنا الفرائض * وقيل الوعيد على مخالفة الرسول والتأخر عن الجهاد * وقيل مقادير التكاليف والأحكام * وقال قتادة أقل علما بالسنن وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الجفاء والقسوة في الفدادين والله عليم يعلم كل أحد من أهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من ثواب وعقاب ﴿ ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما و يتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ﴾ نزلت في أعراب أسد وغطفان وتميم كانوا يتخذون ما يؤخذ منهم من الصدقات * وقيل من الزكاة ولذلك قال بعضهم ماهي الا جزية أو قريبة من الجزية * وقيل كل نفقة لا تهواها أنفسهم وهي مطلوبة شرعا وهو ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لأنه لا ينفق الا تقية من المسلمين و رياء لا لوجه الله تعالى وابتغاء المثوبة عنده فعل هذا المغرم الزام ما لا يلزم * وقيل المغرم الغرم والخسر وهو قول ابن قتيبة وقريب من الذي قبله * وقال ابن فارس المغرم ما لزم أصحابه والغرام اللازم ومنه الغريم للزومه وإلحاحه والتربص الانتظار والدوائر هي المصائب التي لا تخلص منها تحيط به كما تحيط الدائرة * وقيل تربص الدوائر هنا موت الرسول صلى الله عليه وسلم وظهور الشرك * وقال الشاعر

تربص بها ريب المنون لعلها * تطلق يوما أو يموت حليلها

وتربص الدوائر ليخلصوا من إعياء النفقة وقوله عليهم دائرة السوء دعا معترض دعاء عليهم بنسبة ما أخبر به عنهم كقوله وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم والدعاء من الله هو بمعنى ايجاب الشئ

الحلف لاجل الرضا فابرز النهي عن الرضا في صورة شرطية لأن الرضا من الأمور القلبية التي تخفى وخرج مخرج المتردد فيه وجعل جوابه انتفاء رضا الله عنهم فصار رضا المؤمنين عنهم أبعد شئ في الوقوع لأنه معلوم منهم لانهم لا يرضون عمن لا يرضى الله عنهم ونص على الوصف الموجب لانتفاء الرضا وهو الفسق وجاء اللفظ عاما فيحتمل أن يراد به الخصوص كأنه قيل فان الله لا يرضى عنهم و يحتمل بقاؤه على العموم فيندرجون فيه و يكونون أولى بالدخول اذ العام اذا نزل على سبب مخصوص لا يمكن اخراج ذلك السبب من العموم بتخصيص ولا غيره ﴿ الأعراب أشد كفرا ونفاقا ﴾ الآية نزلت في أعراب من أسد وتميم وغطفان وأجدر أحق ألا يعلموا أي بأن لا يعلموا والحدود هنا الفرائض ﴿ ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ﴾ الآية نزلت في أعراب من أسد وغطفان وتميم وكانوا يتخذون ما يؤخذ منهم من الصدقات مغرما والمغرم الغرم

لأنه تعالى لا يدعو على مخلوقاته وهي في قبضته * وقال الكرماني عليهم تدور المصائب والحروب التي يتوقعونها على المسلمين وهنا وعد للمسلمين وإخبار * وقيل دعاء أي قولوا عليهم دائرة السوء أي المكروه وحقيقة الدائرة ماندور به الايام * وقيل يدور به الفلك في سيره والدوائر انقلاب النعمة الى ضدها وفي الحجة يجوز أن تكون الدائرة مصدرا كالعاقبة ويجوز أن تكون صفة * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو السوء هنا وفي سورة الفتح ثانية بالضم وباقي السبعة بالفتح فالفتح مصدر * قال الفراء سوأته سوأ ومساءة وسوائية والضم الاسم وهو الشر والعذاب والفتح ذم الدائرة وهو من باب اضافة الموصوف الى صفته وصفت الدائرة بالمصدر كما قالوا رجل سوء في نقيض رجل صدق يعنون في هذا الصلاح لا صدق اللسان وفي ذلك الفساد ومنه ما كان أبوك امرأ سوء أي امرأ فاسدا * وقال المبرد السوء بالفتح الرداءة ولا يجوز ضم السين في رجل سوء قاله أكثرهم وقد حكي بالضم وقال الشاعر

وكنت كذيب السوء لما رأى دما * بصاحبه يوما أحال على الدم

والله سميع لأقوالهم عليم بنياتهم ﴿ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ماينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم ﴾ نزلت في بني مقرن من مزينة قاله مجاهد * وقال عبد الرحمن بن مغفل بن مقرن كنا عشرة ولد مقرن فنزلت ومن الاعراب من يؤمن الآية يريد الستة والسبعة الاخوة على الخلاف في عددهم وبنيهم * وقال الضحاك في عبد الله ذي النجادين ورهطه * وقال الكلبي في أسلم وغفار وجهينة ولما ذكر تعالى من يتخذ ماينفق مغرما ذكر مقابله وهو من يتخذ ماينفق مغنما وذكر هنا الاصل الذي يترتب عليه انفاق المال في القربات وهو الايمان بالله واليوم الآخر إذ جزاء ماينفق انما يظهر ثوابه الدائم في الآخرة وفي قصة أولئك اكتفى بذكر نتيجة الكفر وعدم الايمان وهو اتخاذه ماينفق مغرما وتربصه بالمؤمنين الدوائر والاجود تعميم القربات من جهاد وصدقة والمعنى يتخذه سبب وصل عند الله وأدعية الرسول وكان يدعو للمصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى وقال تعالى وصل عليهم والظاهر عطف وصلوات على قربات * قال ابن عطية ويحتمل أن يكون وصلوات الرسول عطفا على ماينفق أي ويتخذ بالاعمال الصالحة صلوات الرسول قربة * قال ابن عباس صلوات الرسول هي استغفاره لهم * وقال قتادة أدعيته بالخير والبركة سماها صلوات جريا على الحقيقة اللغوية أولأن الدعاء فيها وحين جاء ابن أبي أوفى بصدقته قال آجرك الله فيما أعطيت وجعله لك طهورا والضمير في أنها قيل عائد على الصلوات * وقيل عائد على النفقات وتحرير هذا القول انه عائد على ماعلى معناها والمعنى قربة لهم عند الله وهذه شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق رجائه على طريق الاستئناف مع حرف التنبيه وهو ألا وحرف التوكيد وهو ان * قال الزمخشري وما في السين من تحقيق الوعد وما أدل هذا الكلام على رضا الله تعالى عن المتصدقين وان الصدقة منه تعالى بمكان اذا خلصت النية من صاحبها انتهى وتقدم الكلام معه في دعواه ان السين تفيد تحقيق الوعد * وقرأ ورش قربة بضم الراء وباقي السبعة بالسكون وهما لغتان ولم يختلفوا في قربات انه بالضم فان كان جمع قربة فجاء الضم على الاصل في الوضع وان كان جمع قربة بالسكون فجاء الضم اتباعا لما قبله كما قالوا ظلمات في جمع ظلمة ﴿ والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم

والخسر ﴿ ومن الاعراب ومن يؤمن بالله اليوم الآخر ﴾ الآية نزلت في بني مقرن من مزينة قاله مجاهد ولما ذكر تعالى من يتخذ ماينفق مغرما ذكر مقابله وهو من يتخذ ماينفق مغنما وذكر هنا الأصل الذي يترتب عليه انفاق المال في القربات وهو الايمان بالله واليوم الآخر اذ جزاء ماينفق انما يظهر ثوابه الدائم في الآخرة وفي قصة أولئك اكتفى بذكر نتيجة الكفر وعدم الايمان وهو اتخاذه ماينفق مغرما وتربصه بالمؤمنين الدوائر والأجود تعميم القربات من جهاد وصدقة والمعنى يتخذه سبب وصلة عند الله وأدعية الرسول وكان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى وقال تعالى وصل عليهم والظاهر عطف وصلوات على قربات ﴿ والسابقون الأولون ﴾ قال أبو موسى الاشعري وغيره من صلى الى القبلتين ومن تفسير للسابقون والسابقون مبتدأ ورضي الله عنهم الخبر

ورضوا عنه وأعدّ لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾ قال أبو موسى الاشعري وابن المسيب وابن سيرين وقتادة السابقون الاولون من صلى الى القبلتين * وقال عطاء من شهد بدرا قال وحوّلت القبلة قبل بدر بشهرين * وقال الشعبي من أدرك بيعة الرضوان بيعة الحديبية ما بين الهجرتين ومن فسر السابقين بواحد كأبي بكر أو علي أو زيد بن حارثة أو خديجة بنت خويلد فقوله بعيد من لفظ الجمع وانما يناسب ذلك في أول من أسلم والظاهر ان السبق هو الى الاسلام والايمان * وقال ابن بحر هم السابقون بالموت أو بالشهادة من المهاجرين والانصار سبقوا الى ثواب الله وحسن جزائه ومن المهاجرين والانصار أي ومن الانصار وهم أهل بيعة العقبة أولا وكانوا سبعة نفر وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب ابن عمير فعلمهم القرآن * قال ابن عطية ولو قال قائل ان السابقين الاولين هم جميع من هاجر الى أن انقضت الهجرة لكان قولا يقتضيه اللفظ وتكون من لبيان الجنس والذين اتبعوهم باحسان هم سائر الصحابة ويدخل في هذا اللفظ التابعون وسائر الامة لكن بشرط الاحسان وقد لزم هذا الاسم الذي هو التابعون من رأى من رأى النبي صلى الله عليه وسلم * وقال أبو عبد الله الرازي الصحيح عندي أنهم السابقون في الهجرة والنصرة لأن في لفظ السابقين اجمالا ووصفهم بالمهاجرين والانصار يوجب صرف ذلك الى ما اتصف به وهي الهجرة والنصرة والسبق الى الهجرة صفة عظيمة من حيث كونها شاقة على النفس ومخالفة للطبع فمن أقدم أولا صار قدوة لغيره فيها وكذلك السبق في النصرة فاز بمنصب عظيم انتهى ملخصا ولما بين تعالى فضائل الاعراب المؤمنين المتصدقين وما أعد لهم من النعيم بين حال هؤلاء السابقين وما أعد لهم وشتان ما بين الاعدادين والثناءين هناك قال ألا انها قربة لهم وهنا رضي الله عنهم وهناك سيدخلهم الله في رحمته وهنا وأعد لهم جنات تجري وهناك ختم ان الله غفور رحيم وهنا ذلك الفوز العظيم * وقرأ عمر بن الخطاب والحسن وقتادة وعيسى الكوفي وسلام وسعيد بن أبي سعيد وطلحة ويعقوب والانصار برفع الراء عطفا على والسابقون فيكون الانصار جميعهم مندرجين في هذا اللفظ وعلى قراءة الجمهور وهي الجر يكونون قسمين سابق أول وغير أول ويكون المخبر عنهم بالرضا سابقوهم والذين اتبعوهم الضمير في القراءتين عائد على المهاجرين والانصار والظاهر أن السابقون مبتدأ ورضي الله الخبر وجوّزوا في الخبر أن يكون الاولون أي هم الاولون من المهاجرين وجوزوا في قوله والسابقون أن يكون معطوفا على قوله من يؤمن أي ومنهم السابقون وجوزوا في والانصار أن يكون مبتدأ وفي قراءة الرفع خبره رضي الله عنهم وذلك على وجهين والسابقون وجه العطف ووجه أن لا يكون الخبر رضي الله وهذه أعاريب متكلفة لا تناسب اعراب القرآن * وقرأ ابن كثير من تحتها باثبات من الجارة وهي ثابتة في مصاحف مكة وباقي السبعة باسقاطها على ما رسم في مصاحفهم وعن عمر انه كان يرى والذين اتبعوهم باحسان بغير واو صفة للانصار حتى قال له زيد بن ثابت انها بالواو فقال ائتوني بأبي فقال تصديق ذلك في كتاب الله في أول الجمعة وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وأوسط الحشر والذين جاؤا من بعدهم وآخر الانفال والذين آمنوا من بعد * وروي انه سمع رجلا يقرؤه بالواو فقال من أقرأك فقال أبي فدعاه فقال أقرأنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ثم قال عمر لقد كنت أرانا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا ﴿ وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة

* وممن حولكم من الاعراب * ذكر فيها أن منافقين حولكم من الاعراب وفي المدينة لا تعلمونهم أي لا تعلمون أعيانهم أولا تعلمونهم منافقين ومعنى حولكم حول بلدتكم وهي المدينة والذين كانوا حول المدينة جهينة وأشجع وغفار ومزينة وعصية ولحيان وغيرهم ممن جاور المدينة * ومن أهل المدينة * معطوف على ممن حولكم فاشتركا في النفاق ويكون مردوا اخبارا عن الصنفين ويجوز أن يكون ومن أهل المدينة استئناف خبر لمبتدأ محذوف تقديره قوم مردوا ويجوز حذف هذا المبتدأ الموصوف بالفعل كقولهم منا ظعن ومنا أقام يريدون منا جمع ظعن ومنا جمع أقام ويكون الموصوف بالتمرد نافقوا المدينة قال الزمخشري كقوله أنا ابن جلا انتهى ان كان شبهه في مطلق حذف الموصوف فحسن وان كان شبهه في خصوصيته فليس بحسن لان حذف الموصوف مع من وافامة صفته مقامه وهي في تقدير الاسم ولاسيما في التفصيل منقاس كقولهم مناظعن

مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم ﴾ لما شرح أحوال منافقى المدينة ثم أحوال منافقى الاعراب ثم بين أن فى الاعراب من هو مخلص صالح ثم بين رؤساء المؤمنين من هم ذكر فى هذه الآية أن منافقين حولكم من الاعراب وفى المدينة لا تعلمونهم أى لا تعلمون أعيانهم أو لا تعلمونهم منافقين ومعنى حولكم حول بلدتكم وهى المدينة والذين كانوا حول المدينة جهينة وأسلم وأشجع وغفار ومزينة وعصية ولحيان وغيرهم ممن جاوز المدينة ومن أهل المدينة يجوز أن يكون من عطف المفردات فيكون معطوفا على من فى قوله وممن فيكون المجرور ان يشتركان فى المبتدأ الذى هو منافقون ويكون مردوا استئنافا أخبر عنهم انهم خرجون فى النفاق ويبعد أن يكون مردوا صفة للمبتدأ الذى هو منافقون لأجل الفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف على وممن حولكم فيصير نظير فى الدار زيد وفى القصر العاقل وقد أجازه الزمخشرى تابعا للزجاج ويجوز أن يكون من عطف الجمل ويقدر موصوف محذوف هو المبتدأ أى ومن أهل المدينة قوم مردوا أو منافقون مردوا * قال الزمخشرى كقوله * أنا ابن جلا * انتهى فان كان شبهه فى مطلق حذف الموصوف وان كان شبهه فى خصوصيته فليس بحسن لان حذف الموصوف مع من واقامة صفته مقامه وهى فى تقدير الاسم ولا سيما فى التفصيل منقاس كقولهم مناظعن ومنا أقام وأما أنا ابن جلا فضرورة شعر كقوله

* يرمى بكفى كان من أرمى البشر * أى بكفى رجل وكذلك أنا ابن جلا تقديره أنا ابن رجل جلا أى كشف الأمور وبينها وعلى الوجه الأول يكون مردوا شاملا للنوعين وعلى الوجه الثانى يكون مختصا بأهل المدينة وتقدم شرح مردوا فى قوله شيطانا مريدا لعنه الله * وقال هنا ابن عباس مردوا مرنوا وثبتوا * وقال أبو عبيدة عتوا من قولهم تمرد * وقال ابن زيد أقاموا عليه لم يتوبوا لا تعلمهم أى حتى نعلمك بهم أو لا تعلم عواقب أمرهم حكاه ابن الجوزى أو لا تعلمهم منافقين لان النفاق مختص بالقلب وتقدم لفظ منافقين فدل على المحذوف فتعدت الى اثنين قاله الكرمانى * وقال الزمخشرى يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط توقيهم ماذا يشكك فى أمرهم وأسند الطبرى عن قتادة فى قوله لا تعلمهم نحن نعلمهم قال فما بال أقوام يتكلفون علم الناس فلان فى الجنة وفلان فى النار فاذا سألت أحدهم عن نفسه قال لا أدرى أنت لعمرى بنفسك أعلم منك بأعمال الناس ولقد تكلفت شيأ ما تكلفه الرسل * قال نبى الله نوح وما علمى بما كانوا يعملون * وقال نبى الله شعيب بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ * وقال الله تعالى لنبيه لا تعلمهم نحن نعلمهم انتهى فلو عاش قتادة الى هذا العصر الذى هو قرن ثمانمائة وسمع ما أحدث هؤلاء المنسوبون الى الصوف من الدعاوى والكلام المبهرج الذى لا يرجع الى كتاب الله والى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم والتجرى على الاخبار الكاذب عن المغيبات لقضى من ذلك العجب وما كنت أظن ان مثل ما حكى قتادة يقع فى ذلك الزمان لقربه من الصحابة وكثرة الخير لكن شياطين الانس يبعد أن يخلو منهم زمان * نحن نعلمهم * قال الزمخشرى نطلع على سرهم لانهم يبطنون الكفر فى سويداء قلوبهم إبطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين لا تشك معه فى ايمانهم وذلك انهم مردوا على النفاق وضروا به ولهم فيه اليد الطولى انتهى وفى قوله نحن نعلمهم تهديد وترتب عليه بقوله سنعذبهم مرتين والظاهر ارادة التثنية

ابن جلا تقديره أنا ابن رجل جلا أى كشف الامور وبينها وفى قوله ﴿ نحن نعلمهم ﴾ تهديد وترتب عليه الوعيد بقوله ﴿ سنعذبهم مرتين ﴾ والظاهر ارادة التثنية ويحتمل أن يكون لا يراد بها شفع الواحد بل يكون المعنى على التكثير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين أى كرة بعد كرة كذلك يكون معنى سنعذبهم مرتين أى مرة بعد مرة

(الدر)

(ح) ويجوز أن يكون من عطف الجمل ويقدر موصوف محذوف هو المبتدأ أى ومن أهل المدينة قوم مردوا أو منافقون مردوا (ش) كقوله أنا ابن جلا انتهى (ح) ان كان شبهه فى مطلق حذف الموصوف فحسن وان كان شبهه فى خصوصيته فليس بجيد لان حذف الموصوف مع من واقامة صفته مقامه وهى فى تقدير الاسم ولا سيما فى التفصيل منقاس كقولهم مناظعن ومنا أقام وأما أنا ابن جلا فضرورة شعر كقوله

ويحتمل أن يكون لا يراد بها شفع الواحد بل يكون المعنى على التكثير كقوله ثم ارجع البصر كرتين أي كرة بعد كرة كذلك يكون معنى هذا سنعذبهم مرة بعد مرة وإذا كانت التثنية مرادة فأكثر الناس على ان العذاب الثاني هو عذاب القبر وأما المرة الأولى فقال ابن عباس في الاشهر عنه هو فضيحتهم ووصمهم بالنفاق وروى في هذا التأويل انه عليه السلام خطب يوم جمعة بدر فندر بالمنافقين وصرح وقال اخرج يافلان من المسجد فانك منافق واخرج أنت يافلان واخرج أنت يافلان حتى أخرج جماعة منهم فرآهم عمر يخرجون من المسجد وهو مقبل الى الجمعة فظن ان الناس انتشروا وان الجمعة فاتته فاختفى منهم حياء ثم وصل المسجد فرأى ان الصلاة لم تقض وفهم الأمر * قال ابن عطية وفعله صلى الله عليه وسلم على جهة التأديب اجتهاد منه فيهم ولم يسلخهم ذلك من الاسلام وانما هو كما يخرج العصاة والمتهمون ولا عذاب أعظم من هذا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يتكلم فيهم على الاجمال دون تعيين فهذا أيضا من العذاب انتهى ويبعد ما قال ابن عطية لانه نص على نفاق من أخرج بعينه فليس من باب اخراج العصاة بل هؤلاء كفار عنده وان أظهروا الاسلام * وقال قتادة وغيره العذاب الأول علل وأدواء أخبر الله نبيه انه سيصيبهم بها وروى انه أسر الى حذيفة باثني عشر منهم وقال ستة منهم تكفيهم الدبيلة سراج من نار جهنم تأخذ في كتف أحدهم حتى تفضي الى صدره وستة يموتون موتا * وقال مجاهد هو عذابهم بالقتل والجوع * قيل وهذا بعيد لان منهم من لم يصبه هذا * وقال ابن عباس أيضا هو انهم باقامة حدود الشرع عليهم مع كراهيتهم فيه * وقال ابن اسحق هو همهم بظهور الاسلام وعلو كلمته * وقيل ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند قبض أرواحهم * وقال الحسن الأول ما يؤخذ من أموالهم قهرا والثاني الجهاد الذي يؤمرون به قسرا لانهم يرون ذلك عذابا * وقال ابن زيد مرتين هما عذاب الدنيا بالأموال والأولاد كل صنف عذاب فهو مرتان وقرأ فلا تعجبك الآية * وقيل احراق مسجد الضرار والآخر احراقهم بنار جهنم ولا خلاف ان قوله الى عذاب عظيم هو عذاب الآخرة وفي مصحف أنس سيعذبهم بالياء وسكن عياش عن أبي عمر والياء ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم﴾ نزلت في عشرة رهط تخلفوا عن غزوة تبوك فلما دنا الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة أوثق سبعة منهم * وقيل كانوا ثمانية منهم كردم ومرداس وأبو قيس وأبو لبابة * وقيل سبعة * وقيل ستة أوثق ثلاثة منهم أنفسهم بسواري المسجد فيهم أبو لبابة * وقيل كانوا خمسة * وقيل ثلاثة أبو لبابة بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن خذام الأنصاري * وقيل نزلت في أبي لبابة وحده ويبعد ذلك من لفظ وآخرون لانه جمع فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد حين قدم فصلى فيه ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكروا أنهم أقسموا لا يحلون أنفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر فيهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فنزلت فأطلقهم وعذرهم * وقال مجاهد نزلت في أبي لبابة في شأنه مع بني قريظة حين استشاروه في النزول على حكم الله ورسوله فأشار هو لهم الى حلقه يريد أن الرسول صلى الله عليه وسلم يذبحهم ان نزلوا فلما افتضح تاب وندم وربط نفسه في سارية في المسجد وأقسم أن لا يطعم ولا يشرب حتى يعفو الله عنه أو يموت فمكث كذلك حتى عفا الله عنه والاعتراف الاقرار بالذنب عملا صالحا توبة وندما وآخر سيئا

﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم ﴾ الآية نزلت في جماعة من الصحابة أوثق ثلاثة منهم أنفسهم بسواري المسجد فيهم أبو لبابة رغبوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فنزلت

(الدر)

(ع) وفعله صلى الله عليه وسلم هذا بهم على جهة التأديب اجتهاد منه فيهم ولم يسلخهم ذلك من الاسلام وانما هو كما يخرج العصاة والمتهمون ولا عذاب أعظم من هذا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يتكلم فيه على الاجمال دون تعيين فهذا أيضا من العذاب انتهى (ح) يبعد ما قال (ع) لانه نص على نفاق من أخرج بعينه فليس من باب اخراج العصاة بل هؤلاء كفار عنده وان أظهروا الاسلام

أى تخلفا عن هذه الغزاة قاله الطبرى أو خروجا الى الجهاد قبل وتخلفا عن هذه قاله الحسن وغيره أو توبة وإثما قاله الكلبى وعطف أحدهما على الآخر دليل على أن كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به كقولك خلطت الماء واللبن وهو بخلاف خلطت الماء باللبن فليس فيه الا أن الماء خلط باللبن قال معناه الزمخشرى ومتى خلطت شيأ بشئ صدق على كل واحد منهما انه مخلوط ومخلوط به من حيث مدلولية الخلط لأنها أمر نسبى * قال الزمخشرى ويجوز أن يكون من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم والاعتراف بالذنب دليل على التوبة فلذلك قيل عسى الله أن يتوب عليهم * قال ابن عباس عسى من الله واجب انتهى وجاء بلفظ عسى ليكون المؤمن على وجل إذ لفظة عسى طمع وإشفاق فأبرزت التوبة فى صورته ثم ختم ذلك بما دل على قبول التوبة وذلك صفة الغفران والرحمة وهذه الآية وان نزلت فى ناس مخصوصين فهى عامة فى الامة الى يوم القيامة * وقال أبو عثمان مافى القرآن آية أرجى عندى لهذه الامة من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم وفى حديث الاسراء والمعراج من تخريج البيهقى ان الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ وتابوا رآهم الرسول صلى الله عليه وسلم حول ابراهيم وفى ألوانهم شئ وانهم خلطت ألوانهم بعد اغتسالهم فى أنهر ثلاثة وجلسوا الى أصحابهم البيض الوجوه ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم والله سميع عليم ﴾ الخطاب للرسول والضمير عائد على الذين خلطوا قالوا يارسول الله هذه أموالنا التى خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ماأمرت أن آخذ من أموالكم شيأ فنزلت فيروى انه أخذ ثلث أموالهم مراعاة لقوله خذ من أموالهم والذى تظاهرت به أقوال المتأولين ابن عباس وغيره أنها فى هؤلاء المتخلفين وقال جماعة من الفقهاء المراد بهذه الآية الزكاة المفروضة فقوله على هذا من أموالهم هو لجميع الاموال والناس عام يراد به الخصوص فى الاموال إذ يخرج عنه الاموال التى لازكاة فيها كالرباع والثياب وفى المأخوذ منهم كالعبيد وصدقة مطلق فتصدق بأدنى شئ واطلاق ابن عطية على انه مجمل فيحتاج الى تفسير ليس بجيد وفى قوله خذ دليل على أن الامام هو الذى يتولى أخذ الصدقات وينظر فيها ومن أموالهم متعلق بخذ وتطهرهم وتزكيهم حال من ضمير خذ الفاعل ضمير خذ وأجازوا أن يكون من أموالهم فى موضع الحال لأنه لو تأخر لكان صفة فلما تقدم كان حالا وأجازوا أن يكون تطهرهم صفة وان يكون استئنافا وان يكون ضمير تطهرهم عائدا على صدقة وبعد هذا العطف وتزكيهم فيختلف الضميران فاما ماحكى مكى من أن تطهرهم صفة للصدقة وتزكيهم حال من فاعل خذ فقد رد بأن الواو للعطف فيكون التقدير صدقة مطهرة ومزكيا بها وهذا فاسد المعنى ولو كان بغير واو جاز انتهى ويصح على تقدير مبتدأ محذوف والواو للحال أى وأنت تزكيهم لكن هذا التخريج ضعيف لقلة نظيره فى كلام العرب والتزكية مبالغة فى التطهر وزيادة فيه أو بمعنى الانماء والبركة فى المال * وقرأ الحسن تطهرهم من أطهر وأطهر وطهر للتعدية من طهر وصل عليهم أى ادع لهم أو استغفر لهم أو صل عليهم اذا ماتوا أقوال ومعنى سكن طمأنينة لهم ان الله قبل صدقتهم قاله ابن عباس أو رحمة لهم قاله أيضا أو قربة قاله أيضا أو زيادة وقار لهم قاله قتادة أو تثبيت لقلوبهم قاله أبو عبيدة أو أمن لهم قال

يا جارة الحى ان لا كنت لى سكنا * إذ ليس بعض من الجيران أسكننى

وهذه أقوال متقاربة * وقال أبو عبد الله الرازى انما كانت صلاته سكنا لهم لأن روحه صلى الله عليه وسلم كانت روحانية قوية مشرقة صافية فاذا دعا لهم وذكرهم بالخير ثارت آثار من قوته الروحانية على

﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير عائد على الذين خلطوا قالوا يارسول الله هذه أموالنا التى خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ماأمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فنزلت

أرواحهم فأشرقت بهذا السبب أرواحهم وصفت سرائرهم وانقلبوا من الظلمة الى النور ومن الجسمانية الى الروحانية * قال الشيخ جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان عرف بابن النقيب فى كتابه التحرير والتحبير كلام الرازى كلام فلسفى يشير فيه الى أن قوى الانفس مؤثرة فعالة وذلك غير جائز على طريقة أهل التفسير انتهى * وقال الحسن وقتادة فى هؤلاء المعترفين المأخوذ منهم الصدقة هم سوى الثلاثة الذين خلفوا * وقرأ الاخوان وحفص ان صلاتك هنا وفى هود صلاتك بالتوحيد وباقى السبعة بالجمع والله سميع باعترافهم عليم بندامتهم وتوبتهم ﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم ﴾ قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فنزلت وفى مصحف أبى وقراءة الحسن بخلاف عنه ألم تعلموا بالتاء على الخطاب فاحتمل أن يكون خطابا للمتخلفين الذين قالوا اما هذه الخاصة التى يخص بها هؤلاء واحتمل أن يكون على معنى قل لهم يا محمد وأن يكون خطابا على سبيل الالتفات من غير اضمار القول ويكون المراد به التائبين كقراءة الجمهور بالياء وهو تخصيص وتأكيد ان الله من شأنه قبول توبة من تاب فكأنه قيل ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم انه تعالى يقبل التوبة الصحيحة ويقبل الصدقات الخالصة النية لله * وقيل وجه التخصيص بهو هو أن قبول التوبة وأخذ الصدقات انما هو لله لا لغيره فاقصدوه ووجهوها اليه * قال الزجاج وأخذ الصدقات معناه قبولها وقد وردت أحاديث كنى فيها عن القبول بأن الصدقة تقع فى يد الله تعالى قبل أن تقع فى يد السائل وان الصدقة تكون قدر اللقمة فيأخذها الله بيمينه فيربيها حتى تكون مثل الجبل * وقال ابن عطية المعنى يأمر بها ويشرعها كما تقول أخذ السلطان من الناس كذا اذا حملهم على أدائه وعن بمعنى من وكثيرا ما يتوصل فى موضع واحد بهذه وهذه تقول لا صدقة الا عن غنى ومن غنى وفعل ذلك فلان من أسره ونظره وعن أسره ونظره انتهى * وقيل كلمة من وكلمة عن متقاربتان الا أن عن تفيد البعد * فاذا قيل جلس عن يمين الامير أفاد أنه جلس فى ذلك الجانب ولكن مع ضرب من البعد فيفيد ها ان التائب يجب أن يعتقد فى نفسه أنه بعيد عن قبول الله توبته بسبب ذلك الذنب فيحصل له انكسار العبد الذى طرده مولاه وبعده عن حضرته فلفظة عن كالتنبيه على انه لا بد من حصول هذا المعنى للتائب انتهى والذى يظهر من موضوع عن انها للمجاوزة فاذا قلت أخذت العلم عن زيد فمعناه انه جاوز اليك واذا قلت من زيد دل على ابتداء الغاية وانه ابتداء أخذك اياه من زيد وعن أبلغ لظهور الانتقال معه ولا يظهر مع من وكأنهم لما جاوزت توبتهم عنهم الى الله اتصف هو تعالى بالتوبة عليهم ألا ترى الى قوله وان الله هو التواب الرحيم فكل منهما متصف بالتوبة وان اختلفت جهتا النسبة ألا ترى الى ما روى ومن تقرب الى شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا ومن أتانى يمشى أتيته هرولة ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ صيغة أمر ضمنها الوعيد والمعتذرون التائبون من المتخلفين هم المخاطبون * وقيل هم المعتذرون الذين لم يتوبوا * وقيل المؤمنون والمنافقون فسيرى الله الى آخرها تقدم شرح نظيره واذا كان الضمير للمعتذرين الخالطين التائبين وهو الظاهر فقد أبرزوا بقوله فسيرى الله عملكم ابراز المنافقين الذين قيل لهم لا تعتذروا قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الآية تنقيصا من حالهم وتنفيرا عما وقعوا فيه من التخلف عن الرسول وأنهم وان تابوا ليسوا كالذين جاهدوا معه بأموالهم وأنفسهم لا يرغبون بأنفسهم عن نفسه

﴿ ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ﴾ الآية قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فنزلت ﴿ وقل اعملوا ﴾ الآية تقدم تفسير نظيرها

﴿ وآخرون مرجون ﴾ قال ابن عباس وغيره نزلت في الثلاثة الذين تخلفوا قبل التوبة عليهم هلال بن أمية الواقفي ومرارة بن الربيع العامري وكعب بن مالك وقرئ مرجؤن بالهمز و بغير الهمز ومعناه التأخير ﴿ لامر الله ﴾ أي لحكمه إما يعذبهم ان أصروا ولم يتوبوا وإما يتوب عليهم ان تابوا ﴿ والذين اتخذوا مسجدا ضرارا ﴾ الآية لما ذكر طرائق ذميمة لاصناف المنافقين أقوالا وأفعالا ذكر ان منهم من بالغ في الشر حتى ابتنى مجمعا للمنافقين يدبرون ما شاؤا فيه من الشر وسموه مسجدا ولما بنى بنو عمرو ابن عوف مسجد قباء و بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء وصلى فيه حسدهم بنو عمهم بنو غنم بن عوف و بنو سالم بن عوف وحرضهم أبو عامر الفاسق على بنائه حين نزل الشام هاربا من وقعة حنين فراسلهم في بنائه وقال ابنوا لى مسجدا فاني ذاهب الى قيصر آتي بجند من الروم فاخرج محمدا وأصحابه فبنوه الى مسجد قباء وكانوا اثني عشر رجلا من المنافقين حرام بن خالد ومن داره أخرج المسجد وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وحارثة بن عامر وابناه مجمع و زيد ونبتل بن الحرث وعباد بن حنيف و نجاد ابن عثمان و وديعة بن ثابت وأبو حنيفة الازهر و بخرج بن عمرو ورجل من بني ضبيعة وقالوا يا رسول الله

صلى الله عليه وسلم بنينا مسجد الذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب أن تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم انى على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا صلينا ان شاء الله فيه وكان أمامهم مجمع ابن حارثة وكان غلاما قارئا للقرآن حسن الصوت وهو ممن حسن اسلامه وولاه عمر إمامة مسجد قباء بعد مراجعة ثم بعثه الى الكوفة يعلمهم القرآن فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من

غزوة تبوك نزل بذي أوان بلد بينه و بين المدينة ساعة من نهار ونزل عليه القرآن في شأن مسجد الضرار فدعا مالك بن الدخشم ومعنا وعاصما ابني عدي وقيل بعث عمار بن ياسر ووحشيا قاتل حمزة بهدمه وتحريقه فهدم وحرق بنار في سعف واتخذ كناسة ترمى فيها الجيف والقمامة وقرئ الذين بغير واو فاحتمل أن يكون بدلا من قوله وآخرون مرجون وأن يكون خبرا مبتدا تقديره هم الذين وأن يكون مبتدا محذوف الخبر تقديره منهم الذين واتخذوا هنا تعدى لواحد كقوله اتخذت بيتا أي عملت بيتا وضرارا مفعول من أجله وقوله ان أردنا الا الحسنى هي جملة القسم المحلوف عليها مصدرة بان النافية التقدير ما أردنا الا الحسنى كقوله ولئن زالتا ان أمسكهما أي ما أمسكهما ﴿ لا تقم فيه أبدا ﴾ نهاه أن يقوم فيه أبدا لان بناته كانوا خادعوا الرسول فهم عليه السلام بالمشي معهم واستدعى بقميصه لينهض فنزلت لا تقم فيه أبدا وعبر بالقيام عن الصلاة فيه قال ابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين المؤسس على التقوى مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء وهي يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس ﴿ يحبون أن يتطهروا ﴾ في الحديث قال لهم يا معشر الانصار رأيت الله أثنى عليكم بالطهور فماذا تفعلون قالوا يا رسول الله ان أيا جيراننا من اليهود يتطهرون بالماء يريدون الاستنجاء بالماء ففعلنا ذلك فلما

﴿ وآخرون مرجون لامر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم ﴾ قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وابن اسحق نزلت في الثلاثة الذين خلفوا قبل التوبة عليهم هلال بن أمية الواقفي ومرارة بن الربيع العامري وكعب بن مالك * وقيل نزلت في المنافقين المعرضين للتوبة مع بنائهم مسجد الضرار * وقرأ الحسن وطلحة وأبو جعفر وابن نصاح والاعرج ونافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون وترجي بغير همز * وقرأ باقي السبعة بالهمز وهما لغتان لامر الله أي لحكمه إما يعذبهم ان أصروا ولم يتوبوا وإما يتوب عليهم ان تابوا * وقال الحسن هم قوم من المنافقين أرجأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حضرته وقال الاصم يعني المنافقين أرجأهم الله فلم يخبر عنهم بما علم منهم وحذرهم بهذه الآية ان لم يتوبوا وإما معناها الموضوعة له هو أحد الشيئين أو الأشياء فينجر مع ذلك أن تكون للشك أو لغيره فهي هنا على أصل موضوعها وهو القدر المشترك الذي هو موجود في سائر ما زعموا أنها وضعت له وضع الاشتراك والله عليم بما يؤول اليه أمرهم حكيم فيما يفعله بهم ﴿ والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ﴾ لما ذكر طرائق ذميمة لاصناف المنافقين أقوالا وأفعالا ذكر أن منهم من بالغ في الشر حتى ابتنى مجمعا للمنافقين يدبرون فيه ما شاؤا من الشر وسموه مسجدا ولما بنى عمرو بن عوف مسجد قباء و بعثوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم فجاء وصلى فيه ودعا لهم حسدهم بنو عمهم

بنوغنم بن عوف و بنوسالم بن عوف وحرضهم أبو عمر والفاسق على بنائه حين نزل الشام هاربا من وقعة حنين فراسلهم فى بنائه وقال ابنوا لى مسجدا فانى ذاهب الى قيصر آتى بجند من الروم فأخرج محمدا وأصحابه فبنوه الى مسجد قباء وكانوا اثنى عشر رجلا من المنافقين خذام بن خالد ومن داره أخرج المسجد وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وحارثة بن عامر وابناه مجمع و زيد ونبتل بن الحرث وعباد بن حنيف ونجاد بن عثمان ووديعة بن ثابت وأبو حنيفة الازهر و بحزج بن عمرو و رجل من بنى ضبيعة وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلى لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم انى على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه وكان امامهم مجمع بن جارية وكان غلاما قارئا للقرآن حسن الصوت وهو ممن حسن اسلامه وولاه عمر امامة مسجد قباء بعد مراجعة ثم بعثه الى الكوفة يعلمهم القرآن فلما اقفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك نزل بذى أوان بلد بينه و بين المدينة ساعة من نهار ونزل عليه القرآن فى شأن مسجد الضرار فدعا مالك بن الدخشم ومعنا وعاصما بنى عدى * وقيل بعث عمار بن ياسر و وحشيا قاتل حمزة بهدمه وتحريقه فهدم وحرق بنار فى سعف واتخذ كناسة ترمى فيها الجيف والقمامة * وقال ابن جريج صلوا فيه الجمعة والسبت والاحد وانهار يوم الاثنين ولم يحرق * وقرأ أهل المدينة نافع وأبو جعفر وشيبة وغيرهم وابن عامر الذين بغير واو وكذا هى فى مصاحف المدينة والشام فاحتمل أن يكون بدلا من قوله وآخرون مرجون وأن يكون خبرا بتداء تقديره هم الذين وأن يكون مبتدأ * وقال الكسائى الخبر لاتقم فيه أبدا * قال ابن عطية و يتجه باضمار إما فى أول الآية و إما فى آخرها بتقدير لاتقم فى مسجدهم * وقال النحاس والحوفى الخبر لايزال بنيانهم * وقال المهدوى الخبر محذوف تقديره معذبون أونحوه * وقرأ جمهور القراء والذين بالواو عطفا على وآخرون أى ومنهم الذين اتخذوا ويجوز أن يكون مبتدأ خبره كخبره بغير الواو اذا أعرب مبتدأ * وقال الزمخشرى (فان قلت) والذين اتخذوا ما محله من الاعراب (قلت) محله النصب على الاختصاص كقوله تعالى والمقيمين الصلاة * وقيل هو مبتدأ وخبره محذوف معناه فيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله تعالى والسارق والسارقة وانتصب ضرارا على أنه مفعول من أجله أى مضارة لاخوانهم أصحاب مسجد قباء ومعازة وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا بين المؤمنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين فى مسجد قباء فيغتص بهم فأرادوا أن يفترقوا عنه وتختلف كلمتهم اذ كان من يجاور مسجدهم يصرفونه اليه وذلك داعية الى صرفه عن الايمان ويجوز أن ينتصب على أنه مصدر فى موضع الحال وأجاز أبو البقاء أن يكون مفعولا ثانيا لاتخذوا وارصادا أى اعدادا لأجل من حارب الله ورسوله وهو أبو عامر الراهب أعدوه له ليصلى فيه و يظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد تعبد فى الجاهلية فسمى الراهب وسماه الرسول صلى الله عليه وسلم الفاسق وكان سيدا فى قومه نظيرا وقريبا من عبدالله بن أبى بن سلول فلما جاء الله بالاسلام نافق ولم يزل مجاهرا بذلك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد محاورة لا أجد قوما يقاتلونك الاقاتلتك معهم فلم يزل يقاتله وحزب على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأحزاب فلما ردهم الله بغيظهم أقام بمكة مظهرا للعداوة فلما كان الفتح هرب الى الطائف فلما أسلم أهل الطائف هرب الى الشام يريد قيصر مستنصرا على الرسول فمات وحيدا طريدا غريبا بقنسرين وكان قد دعا بذلك على الكافر بن وأمن الرسول فكان كما دعا وفيه يقول كعب بن مالك

جاء الاسلام لم ندعه فقال فلاتدعوه اذن وقرئ أسس بنيانه مبنيا للفاعل وأسس مبنيا للمفعول فيهما وشفا الشئ حافته وألفه منقلبة عن واو ولذلك يقال فى تثنيته شفوان والجرف ماجرف السيل من الأودية أوالهوة قاله أبو عبيدة وقيل الجرف البئر التى لم تطو وهار أى ساقط يقال هار يهور وهار يهير واسم الفاعل هائر فقيل حذفت الهمزة فبقى هار وقيل قلبت الكلمة من هائر الى هارى فحذفت الياء لاجل التنوين وصار الاعراب فى الراء قالوا فى الرفع هار وفى النصب هارا وفى الجر هار

معاذالله من فعل خبيث * كسعيك فى العشيرة عبد عمرو
وقلت بان لى شرفا وذكرا * فقد تابعت ايمانا بكفر

* وقرأ الأعمش وارصادا للذين حاربوا الله ورسوله والظاهر أن من قبل متعلقا بحارب يريد فى غزوة الأحزاب وغيرها أى من قبل اتخاذ هذا المسجد * وقال الزمخشرى (فان قلت) بم يتصل قوله تعالى من قبل (قلت) باتخذوا أى اتخذوا مسجدا من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف انتهى وليس بظاهر والحالف هو بحزج أى ما أردنا ببناء هذا المسجد الا الحسنى والتوسعة علينا وعلى من ضعف أو عجز عن المسير الى مسجد قباء * قال الزمخشرى ما أردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى أو لارادة الحسنى وهى الصلاة وذكر الله تعالى والتوسع على المصلين انتهى كأنه فى قوله الا الخصلة الحسنى جعله مفعولا وفى قوله أو لارادة الحسنى جعله علة وكأنه ضمن أراد معنى قصد أى ما قصدنا ببنائه لشىء من الأشياء الا الارادة الحسنى وهى الصلاة وهذا وجه متكلف فأكذبهم الله فى قولهم ونهاه أن يقوم فيه فقال لا تقم فيه أبدا نهاه لان بناته كانوا خادعوا الرسول فهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالمشى معهم واستدعى قيصه لينهض فنزلت لا تقم فيه أبدا وعبر بالقيام عن الصلاة فيه * قال ابن عباس وفرقة من الصحابة والتابعين المؤسس على التقوى مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء وهى يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وهو أولى لان الموازنة بين مسجد قباء ومسجد الضرار أوقع منها بين مسجد الرسول ومسجد الضرار وذلك لائق بالقصة * وعن زيد بن ثابت وأبى سعيد وابن عمر أنه مسجد الرسول وروى انه صلى الله عليه وسلم قال هو مسجدى هذا لما سئل عن المسجد الذى أسس على التقوى واذا صح هذا النقل لم يمكن خلافه ومن هنا دخلت على الزمان واستدل بذلك الكوفيون على أن من تكون لابتداء الغاية فى الزمان وتأوله البصريون على حذف مضاف أى من تأسيس أول يوم لان من مذهبهم انها لا تجر الأزمان وتحقيق ذلك فى علم النحو * قال ابن عطية ويحسن عندى أن يستغنى عن تقدير وان تكون من تجر لفظة أول لانها بمعنى البداءة كأنه قال من مبتدأ الأيام وقد حكى لى هذا الذى اخترته عن بعض أئمة النحو انتهى وأحق بمعنى حقيق وليست أفعل تفضيل اذ لا اشتراك بين المسجدين فى الحق والتاء فى أن تقوم تاء خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم * وقرأ عبدالله بن يزيد فيه بكسر الهاء فيه الثانية بضم الهاء جمع بين اللغتين والأصل الضم وفيه رفع توهم التوكيد ورفع رجال فيقوم اذ فيه الأولى فى موضع نصب والثانية فى موضع رفع وجوزوا فى فيه رجال أن يكون صفة لمسجد والحال والاستئناف وفى الحديث قال لهم يا معشر الانصار رأيت الله أثنى عليكم بالطهور ماذا تفعلون قالوا يا رسول الله انا رأينا جيراننا من اليهود يتطهرون بالماء يريدون الاستنجاء بالماء ففعلنا ذلك فلما جاء الاسلام لم ندعه فقال فلا تدعوه اذا وفى بعض ألفاظ هذا الحديث زيادة واختلاف وقد اختلف أهل العلم فى الاستنجاء بالحجارة أو بالماء أيهما أفضل ورأت فرقة الجمع بينهما وشذ ابن حبيب فقال لا يستنجى بالحجارة حيث يوجد الماء فعلى ما روى فى هذا الحديث يكون التطهير عبارة عن استعمال الماء فى ازالة النجاسة فى الاستنجاء * وقيل هو عام فى النجاسات كلها * وقال الحسن من التطهير من الذنوب بالتوبة * وقيل يحبون أن يتطهروا بالحمى المكفرة للذنوب فحموا عن آخرهم وفى دلائل النبوة للبيهقى أن أهل قباء شكوا الحمى فقال ان شئتم دعوت الله فأزالها عنكم وان شئتم جعلتها لكم طهرة فقالوا بل جعلها لنا

طهرة ومعنى محبتهم التطهير انهم يؤثرونه و يحرصون عليه حرص المحب الشيء المشتهى له على أشياء ومحبة الله اياهم انه يحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه * وقرأ ابن مصرف والأعمش يطهروا بالادغام * وقرأ ابن أبي طالب المتطهرين ﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ قرأ نافع وابن عامر أسس بنيانه مبنيا للمفعول في الموضعين * وقرأ باقي السبعة وجماعة ذلك مبنيا للفاعل و بنصب بنيان * وقرأ عمارة بن عائذ الأولى على بناء الفعل للمفعول والثانية على بنائه للفاعل وقرأ نصر بن علي وروي عن نصر بن عاصم أسس بنيانه وعن نصر بن علي وأبي حيوة ونصر ابن عاصم أيضا أساس جمع أس وعن نصر بن عاصم آسس بهمزة مفتوحة وسين مضمومة * وقرئ إساس بالكسر وهي جموع أضيفت الى البنيان * وقرئ أساس بفتح الهمزة وأس بضم الهمزة وتشديد السين وهما مفردان أضيفا الى البنيان فهذه تسع قراءات وفي كتاب اللوامح نصر بن عاصم أفمن أسس بالتخفيف والرفع بنيانه بالجر على الاضافة فأسس مصدر أس الحائط يؤسه أسا وأسسا وعن نصر أيضا أساس بنيانه كذلك الا أنه بالالف وأس وأسس وأساس كل مصادر انتهى والبنيان مصدر كالغفران أطلق على المبني كالخلق بمعنى المخلوق * وقيل هو جمع واحده بنيانة قال الشاعر كبنيانة القاري موضع رحلها * وآثار نسعيها من الدف أبلق

وقرأ عيسى بن عمر على تقوى بالتنوين وحكى هذه القراءة سيبويه وردها الناس * قال ابن جني قياسها أن تكون ألفها للالحاق كارطى * وقرأ جماعة منهم حمزة وابن عامر وأبو بكر جرف باسكان الراء و باقي السبعة وجماعة بضمها وهما لغتان * وقيل الاصل الضم وفي مصحف أبي فانهارت به قواعده في نار جهنم والظاهر أن هذا الكلام فيه تبيين حالي المسجدين مسجد قباء أو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجد الضرار وانتفاء تساويهما والتفريق بينهما وكذلك قال كثير من المفسرين * وقال جابر بن عبد الله رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار وانهار يوم الاثنين * وروى سعيد بن جبير أنه اذ أرسل الرسول بهدمه رؤي منه الدخان يخرج وروي أنه كان الرجل يدخل فيه سعفة من سعف النخل فيخرجها سوداء محترقة وكان يحفر ذلك الموضع الذي انهار فيخرج منه دخان * وقيل هذا ضرب مثل أي من أسس بنيانه على الاسلام خير أم من أسس بنيانه على الشرك والنفاق وبين أن بناء الكافر كبناء على شفا جرف هار يتهور أهله في جهنم * قال ابن عطية قيل بل ذلك حقيقة وان ذلك المسجد بعينه انهار في نار جهنم قاله قتادة وابن جريج وخير لا شركة بين الامرين في خير الا على معتقد باني مسجد الضرار فبحسب ذلك المعتقد صح التفضيل * وقال الزمخشري والمعنى أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله تعالى ورسوله خير أم من أسس على قاعدة هي أضعف القواعد وأوهاها وأقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لأنه جعل مجازا عن ما ينافي التقوى (فان قلت) فما معنى قوله تعالى فانهار به في نار جهنم (قلت) لما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل قيل فهار به على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم الا أنه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف ولتصور أن الباطل كأنه أسس بنيانه على شفا جرف من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل وكنه أمره والفاعل فانهار أي البنيان أو الشفا أو الجرف به أي المؤسس الباني

أو انهار الشفا أو الجرف به أى بالبنيان و يستلزم انهيار الشفا والبنيان ولا يستلزم انهيار أحدهما انهياره والله لا يهدى القوم الظالمين اشارة الى تعديهم ووضع الشئ فى غير موضعه حيث بنوا مسجد الضرار اذ المساجد بيوت الله يجب أن يخلص فيها القصد والنية لوجه الله وعبادته فبنوه ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله ﴿لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم﴾ يحتمل أن يكون البنيان هنا مصدرا أى لا يزال ذلك الفعل وهو البنيان ويحتمل أن يراد به المبنى فيكون على حذف مضاف أى لا يزال بناء المبنى * قال ابن عباس لا يزالون شاكين * وقال حبيب بن أبى ثابت غيظا فى قلوبهم أى سبب غيظ * وقيل كفرا فى قلوبهم * وقال عطاء نفاقا فى قلوبهم * وقال ابن جبير أسفا وندامة * وقال ابن السائب ومقاتل حسرة وندامة لانهم ندموا على بنيانه * وقال قتادة فى الكلام حذف تقديره لا يزال هدم بنيانهم الذى بنوا ريبة أى حزازة وغيظا فى قلوبهم * وقال ابن عطية الذى بنوا تأكيد وتصريح بأمر المسجد ورفع الاشكال والريبة الشك وقد يسمى ريبة فساد المعتقد واضطرابه والاعراض فى الشئ والتخبيط فيه والحزازة من أجله وان لم يكن شكا فقد يرتاب من لا يشك ولكنها فى معتاد اللغة تجرى مع الشك ومعنى الريبة فى هذه الآية تعم الحنق واعتقاد صواب فعلهم ونحو هذا مما يؤدى كله الى الريبة فى الاسلام فمقصد الكلام لا يزال هذا البنيان الذى هدم لهم يبقى فى قلوبهم حزازة وأثر سوء وبالشك فسر ابن عباس الريبة هنا وفسرها السدى بالكفر * وقيل له أفكفر مجمع بن جارية قال لا ولكنها حزازة * قال ابن عطية ومجمع رحمه الله قد أقسم لعمر انه ما علم باطن القوم ولا قصد سوأ والآية انما عنت من أبطن سوأ وليس مجمع منهم ويحتمل أن يكون المعنى لا يزالون مريبين بسبب بنيانهم الذى اتضح فيه نفاقهم وجملة هذا ان الريبة فى الآية تعم معانى كثيرة يأخذ كل منافق منها بحسب قدره من النفاق * وقال أبو عبد الله الرازى جعل نفس البنيان ريبة لكونه سببا لها وكونه سببا لها انه لما أمر بتخريب ما فرحوا ببنائه ثقل ذلك عليهم وازداد بغضهم له وارتيابهم فى نبوته أو اعتقدوا هدمه من أجل الحسد فارتفع ايمانهم وخافوا الايقاع بهم قتلا ونهبا أو بقوا شاكين أيغفر الله لهم تلك المعصية انتهى وفيه تلخيص * وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص الا أن تقطع قلوبهم بفتح التاء أى تتقطع وباقى السبعة بالضم مضارع قطع مبنيا للمفعول * وقرئ يقطع بالتخفيف * وقرأ الحسن ومجاهد وقتادة ويعقوب الى أن تقطع وأبو حيوة الى أن تقطع بضم التاء وفتح القاف وكسر الطاء مشددة ونصب قلوبهم خطابا للرسول أى تقتلهم أو فيه ضمير الريبة وفى مصحف عبد الله ولو قطعت قلوبهم وكذلك قرأها أصحابه * وحكى أبو عمرو وهذه القراءة ان قطعت بتخفيف الطاء * وقرأ طلحة ولو قطعت قلوبهم خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو كل مخاطب وفى مصحف أبى حتى الممات وفيه حتى تقطع فمن قرأ بضم التاء وكسر الطاء ونصب القلوب فالمعنى بالقتل وأما على من قرأه مبنيا للمفعول * فقال ابن عباس وقتادة وابن زيد وغيرهم بالموت أى الى أن يموتوا * وقال عكرمة الى أن يبعث من فى القبور * وقال سفيان الى أن يتوبوا عما فعلوا فيكونون بمنزلة من قطع قلبه * قال ابن عطية وليس هذا بظاهر الا أن يتأول ان يتوبوا توبة نصوحا يكون معها من الندم والحسرة ما يقطع القلوب هما * وقال الزمخشرى لا يزال بنيانهم سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا يزال وسمه فى قلوبهم ولا يضمحل أمره الا أن تقطع قلوبهم قطعا وتفرق أجزاء فحينئذ يسألون عنه وأما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه

﴿لا يزال بنيانهم﴾ ويحتمل أن يكون البنيان هنا مصدرا أى لا يزال ذلك الفعل وهو البنيان ويحتمل أن يراد به المبنى فيكون على حذف مضاف أى لا يزال بناء المبنى ﴿ريبة﴾ أى شكا يريد سبب ريبة وقرئ ﴿تقطع﴾ مبنيا للمفعول وتقطع مبنيا للفاعل وأصله تتقطع وحذفت التاء الثانية فبقى تقطع

﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم﴾ الآية نزلت في البيعة الثانية وهي بيعة العقبة الكبرى وهي التي أناف فيها رجال الانصار
على السبعين وكان أصغرهم سنا عقبة بن عامر وذلك أنهم اجتمعوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة فقالوا اشترط لك
ولربك والمتكلم بذلك عبد الله بن رواحة فاشترط رسول الله حمايته مما يحمون منه أنفسهم واشترط لربه التزام الشريعة وقتال
الاحمر والاسود في الدفع عن الحوزة فقالوا أما النا على ذلك فقال صلى الله عليه وسلم الجنة فقالوا نعم ربح البيع
لا نقيل ولا نقائل وفي بعض الروايات ولا نستقيل فنزلت والآية عامة في كل من جاهد في سبيل الله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة والظاهر من قوله في التوراة والانجيل والقرآن ان كل أمة أمرت بالجهاد ووعدت عليه بالجنة فيكون بالتوراة متعلقا بقوله اشترى والأمر بالجهاد والقتال موجود في جميع الشرائع ﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾ هذا استفهام على جهة التقرير أي لا أحد أوفى ولما أكد الوعد بقوله حقا أبرزه في صورة العهد الذي هو آكد وأوثق من الوعد اذ الوعد في غير حق الله تعالى جائز اخلافه والعهد لا يجوز الا الوفاء به اذ هو آكد من الوعد قال الزمخشري ومن أوفى بعهده من الله لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من
الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا في الجهاد أحسن منه وأبلغ انتهى وفيه
دسيسة الاعتزال واستعمال قط في غير موضعه لانه أتى به مع قوله لا يجوز عليه قبيح قط وقط ظرف ماض فلا يعمل فيه الا الماضي ثم
قال ﴿فاستبشروا﴾ خاطبهم على سبيل الالتفات لان في مواجهته تعالى بالخطاب تشريفا لهم وهي حكمة الالتفات هنا وليست
استفعل هنا للطلب بل هي بمعنى أفعل كاستوقد وأوقد ﴿الذي بايعتم به﴾ وصف على سبيل التوكيد ومحيل على البيع السابق
ثم قال ﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾ أي الظفر لحصول على الربح التام والغبطة في البيع لحط الذنب ودخول الجنة

بقتلهم أو في القبور أو في النار * وقيل معناه الا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على
تفريطهم والله عليم بأحوالهم حكيم فيما يجري عليهم من الأحكام أو عليم بنياتهم حكيم في عقوبتهم
﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون
وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم
به وذلك هو الفوز العظيم﴾ نزلت في البيعة الثانية وهي بيعة العقبة الكبرى وهي التي أناف فيها
رجال الانصار على السبعين وكان أصغرهم سنا عقبة بن عمرو وذلك أنهم اجتمعوا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم عند العقبة فقالوا اشترط لك ولربك والمتكلم بذلك عبد الله بن رواحة فاشترط صلى الله
عليه وسلم حمايته مما يحمون منه أنفسهم واشترط لربه التزام الشريعة وقتال الاحمر والاسود في الدفع
عن الحوزة فقالوا أما النا على ذلك قال الجنة فقالوا نعم ربح البيع لا نقيل ولا نقائل وفي بعض الروايات
ولا نستقيل فنزلت والآية عامة في كل من جاهد في سبيل الله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم
القيامة وعن جابر بن عبد الله نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فكبر الناس فأقبل
رجل من الانصار ثانيا طرف ردائه على أحد عاتقيه فقال يا رسول الله أنزلت هذه الآية قال نعم فقال
بيع ربيح لا نقيل ولا نستقيل وفي بعض الروايات فخرج الى الغزو فاستشهد * وقال الحسن لا والله
ان في الأرض مؤمن الا وقد أخذت بيعته * وقرأ عمر بن الخطاب والأعمش وأموالهم بالجنة مثل
تعالى اثابتهم بالجنة على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشراء وقدم الانفس على الأموال ابتداء
بالاشرف وبما لا عوض له اذا فقد وفي لفظة اشترى لطيفة وهي رغبة المشتري فيما اشتراه واغتباطه
به ولم يأت التركيب ان المؤمنين باعوا والظاهر أن هذا الشراء هو مع المجاهدين * وقال ابن
عيينة اشترى منهم أنفسهم أن لا يعملوها الا في طاعة وأموالهم أن لا ينفقوها الا في سبيل الله فالآية على
هذا أعم من القتل في سبيل الله وعلى هذا القول يكون يقاتلون مستأنفا ذكر أعظم أحوالهم ونبه
على أشرف مقامهم وعلى الظاهر وقول الجمهور يكون يقاتلون في موضع الحال * وقرأ الحسن
وقتادة وأبو رجاء والعربيان والحرميان وعاصم أولا على البناء للفاعل وثانيا على البناء للمفعول
* وقرأ النخعي وابن وثاب وطلحة والأعمش والاخوان بعكس ذلك والمعنى واحد اذ الغرض أن
المؤمنين يقاتلون ويؤخذ منهم من يقتل وفيهم من يقتل وفيهم من يجتمع له الامران وفيهم من لا يقع
له واحد منهما بل تحصل منهم المقاتلة * وقال الزمخشري يقاتلون فيه معنى الأمر لقوله تعالى
تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم انتهى فعلى هذا لا تكون الجملة في موضع الحال لان
ما فيه معنى الأمر لا يقع حالا وانتصب وعدا على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة لان معنى اشترى

﴿ التائبون العابدون ﴾ قال ابن عباس نزلت ان الله اشترى الآية قال رجل يارسول الله وان زنا وان سرق وان شرب الخمر فنزلت التائبون الآية وهذه أوصاف الكملة من المؤمنين (١٠٣) د كرها الله ليستبق الى التحلي بها عباده وليكونوا على أوفى درجات الكمال التائبون قيل هو مبتدأ خبره العابدون ومابعده خبر بعد خبر أي التائبون في الحقيقة الجامعون لهذه الاوصاف وقيل خبره الآمرون وقيل خبره محذوف بعد تمام الاوصاف وتقديره من أهل الجنة وترتيب هذه الاوصاف في غاية من الحسن اذ بدأ أولا بما يخص الانسان مرتبة على ماينبغي ثم بما يتعدى من هذه الاوصاف من الانسان لغيره وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم بما يشمل ما يخصه في نفسه وما يتعدى الى غيره وهو الحفظ لحدود الله تعالى ولما ذكر مجموع هذه الاوصاف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبشر المؤمنين وفي الآية قبلها فاستبشروا أمرهم بالاستبشار فحصلت لهم المزية التامة بأن الله أمرهم بالاستبشار وأمر رسوله أن يبشرهم

بأن لهم الجنة وعدهم الله الجنة على الجهاد في سبيله والظاهر من قوله في التوراة والانجيل والقرآن أن كل أمة أمرت بالجهاد ووعدت عليه بالجنة فيكون في التوراة متعلقا بقوله اشترى ويحتمل أن يكون متعلقا بتقدير قوله مذكورا وهو صفة فالعامل فيه محذوف أي وعدا عليه حقا مذكورا في التوراة فيكون هذا الوعد بالجنة انما هي هذه الامة قد ذكر في التوراة والانجيل والقرآن * وقيل الامر بالجهاد والقتال موجود في جميع الشرائع ومن أوفى استفهام على جهة التقرير أي لا أحد ولما أكد الوعد بقوله عليه حقا أبرزه هنا في صورة العهد الذي هو آكد وأوثق من الوعد اذ الوعد في غير حق الله تعالى جائز إخلافه والعهد لا يجوز الا الوفاء به اذ هو آكد من الوعد * قال الزمخشري ومن أوفى بعهده من الله لان إخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا في الجهاد أحسن منه وأبلغ انتهى وفيه دسيسة الاعتزال واستعمال قط في غير موضوعه لانه أتى به مع قوله لا يجوز عليه قبيح قط وقط ظرف ماض فلا يعمل فيه الا الماضي ثم قال فاستبشروا خاطبهم على سبيل الالتفات لأن في مواجهته تعالى لهم بالخطاب تشريف لهم وهي حكمة الالتفات هنا وليست استفعل هنا للطلب بل هي بمعنى أفعل كاستوقد وأوقد والذي بايعتم به وصف على سبيل التوكيد ومحيل على البيع السابق ثم قال وذلك هو الفوز العظيم أي الظفر للحصول على الربح التام والغبطة في البيع لحط الذنب ودخول الجنة ﴿ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ﴾ قال ابن عباس لما نزل ان الله اشترى من المؤمنين الآية قال رجل يارسول الله وان زنا وان سرق وان شرب الخمر فنزلت التائبون الآية وهذه أوصاف الكملة من المؤمنين ذكرها الله تعالى ليستبق الى التحلي بها عباده وليكونوا على أوفى درجات الكمال وآية ان الله اشترى مستقلة بنفسها لم يشترط فيها شيء سوى الايمان فيندرج فيها كل مؤمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا وان لم تكن فيه هذه الصفات والشهادة ماحية لكل ذنب حتى روي أنه تعالى يحمل عن الشهيد مظالم العباد ويجازيهم عنه وقالت فرقة هذه الصفات شرط في المجاهد والآيتان مرتبطتان فلا يدخل في المبايعة الا المؤمنون الذين هم على هذه الأوصاف ويبذلون أنفسهم في سبيل الله وسأل الضحاك رجل عن قوله تعالى ان الله اشترى الآية وقال لأحملن على المشركين فأقاتل حتى أقتل *فقال الضحاك ويلك أين الشرط التائبون العابدون الآية وهذا القول فيه حرج وتضييق وعلى هذين القولين ترتب اعراب التائبون * فقيل هو مبتدأ خبره مذكور وهو العابدون ومابعده خبر بعد خبر أي التائبون في الحقيقة الجامعون لهذه الخصال * وقيل خبره الآمرون * وقيل خبره محذوف بعد تمام الاوصاف وتقديره من أهل الجنة أيضا وان لم يجاهد قاله الزجاج كما قال تعالى وكلا وعد الله الحسنى ولذلك جاء وبشر المؤمنين وعلى هذه الاعاريب تكون الآية معناها منفصل من معنى التي قبلها * وقيل التائبون خبر مبتدأ محذوف تقديره هم التائبون أي الذين بايعوا الله هم

(الدر)

(ش) ومن أوفى بعهده من الله لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا في الجهاد أحسن منه وأبلغ انتهى (ح) فيه دسيسة الاعتزال واستعمال قط في غير موضعه لانه أتى به مع قوله لا يجوز عليه قبيح قط وقط ظرف ماض فلا يعمل فيه الا الماضي

﴿ما كان للنبي والذين آمنوا﴾ الآية نزلت في شأن أبي طالب حين احتضر فوعظه أي عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله وكان بالحضرة أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقالا له يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فقال أبو طالب يا محمد لولا أني أخاف أن يعير بها ولدي من بعدي لاقررت بها عينك ثم قال انا على ملة عبد المطلب ومات فنزلت انك لا تهدي من أحببت فقال عليه السلام لاستغفرن لك ما لم أنه عنك فكان يستغفر له حتى نزلت هذه (١٠٤) فترك الاستغفار لابي طالب ﴿وما كان استغفار ابراهيم لابيه﴾ الآية ولما كان استغفار ابراهيم لأبيه بصدد أن يقتدى به ولذلك قال جماعة من المؤمنين سنستغفر لموتانا كما استغفر ابراهيم لأبيه بين العلة في استغفار ابراهيم لأبيه وذكر أنه حين اتضحت له عداوته لله تبرأ منه ابراهيم والموعدة التي وعدها ابراهيم اباه هي قوله سأستغفر لك ربي وقوله لاستغفرن لك والضمير الفاعل في وعدها عائد على ابراهيم وكان أبوه بقيد الحياة فكان يرجو ايمانه فلما تبين له من جهة الوحي من انه عدو لله وانه يموت كافرا وانقطع رجاؤه منه تبرأ منه وقطع عنه استغفاره ويدل على ان الفاعل في وعد ضمير يعود على ابراهيم قراءة الحسن وابن السميقع وأبي نهيك ومعاذ القارئ وحماد الراوية وعدها أباه وقيل الفاعل ضمير والد ابراهيم واياه ضمير ابراهيم وعده أبوه انه سيؤمن وكان ابراهيم عليه السلام قد قوي طمعه في ايمانه فحمله على ذلك الاستغفار له حتى نهي عنه ﴿أواه﴾ الاواه الخاشع المتضرع وقيل غير ذلك قال الزمخشري أواه فعال من أوه كلال من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التأوه ومعناه انه لفرط ترحمه ورأفته وحلمه كان يتعطف على أبيه الكافر الى آخره وتشبيه أواه من أوه بلال من اللؤلؤ ليس بجيد لان مادة أوه موجودة في صورة أواه ومادة لؤلؤ مفقودة في لال لاختلاف التركيب اذ لال ثلاثي ولؤلؤ رباعي وشرط الاشتقاق التوافق في الحروف

التائبون فيكون صفة مقطوعة للمدح ويؤيده قراءة أبي وعبد الله والاعمش التائبين بالياء الى والحافظين نصبا على المدح * قال الزمخشري ويجوز أن يكون صفة للمؤمنين وقاله أيضا ابن عطية * وقيل يجوز أن يكون التائبون بدلا من الضمير في يقاتلون قال ابن عباس التائبون من الشرك * وقال الحسن من الشرك والنفاق * وقيل عن كل معصية وعن ابن عباس العابدون بالصلاة * وعنه أيضا المطيعون بالعبادة وعن الحسن هم الذين عبدوا الله في السراء والضراء وعن ابن جبير الموحدون السائحون * قال ابن مسعود وابن عباس وغيرهما الصائمون شبهوا بالسائحين في الارض لامتناعهم من شهواتهم * وعن عائشة سياحة هذه الامة الصيام ورواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم * قال الازهري قيل للصائم سائح لأن الذي يسيح في الارض متعبد لا زاد معه كان ممسكا عن الاكل والصائم ممسك عن الاكل * وقال عطاء السائحون المجاهدون وعن أبي امامة أن رجلا استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في السياحة فقال ان سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله صححه أبو محمد عبد الحق * وقيل المراد السياحة في الارض * فقيل هم المهاجرون من مكة الى المدينة * وقيل المسافرون لطلب الحديث والعلم * وقيل المسافرون في الارض لينظروا ما فيها من آيات الله وغرائب ملكه نظر اعتبار * وقيل الجائلون بأفكارهم في قدرة الله وملكوته والصفات اذا تكررت وكانت للمدح أو الذم أو الترحم جاز فيها الاتباع للمنعوت والقطع في كلها أو بعضها واذا تباين ما بين الوصفين جاز العطف ولما كان الأمر مباينا للنهي إذ الامر طلب فعل والنهي ترك فعل حسن العطف في قوله والناهون ودعوى الزيادة أو واو الثمانية ضعيف وترتيب هذه الصفات في غاية من الحسن اذ بدأ أولا بما يخص الانسان مرتبة على ما سبق ثم بما يتعدى من هذه الاوصاف من الانسان لغيره وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم بما شمل ما يخصه في نفسه وما يتعدى الى غيره وهو الحفظ لحدود الله ولما ذكر تعالى مجموع هذه الاوصاف أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يبشر المؤمنين وفي الآية قبلها فاستبشروا وأمرهم بالاستبشار فحصلت لهم المزية التامة بأن الله أمرهم بالاستبشار وأمر رسوله أن يبشرهم ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم﴾ قال الجمهور ومداره على ابن المسيب والزهري وعمرو بن دينار نزلت في شأن أبي طالب حين احتضر فوعظه وقال أي عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله وكان بالحضرة أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقالا له يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فقال أبو طالب يا محمد لولا أني أخاف أن يعير بها ولدي من بعدي لاقررت بها عينك ثم قال أنا على ملة عبد المطلب ومات فنزلت انك لا تهدي من

أحببت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك مالم أنه عنك فكان يستغفر له حتى نزلت هذه الآية فترك الاستغفار لأبي طالب * وروى ان المؤمنين لما رأوه يستغفر لأبي طالب جعلوا يستغفرون لموتاهم فلذلك دكروا في قوله ما كان للنبي والذين آمنوا * وقال فضيل بن عطية وغيره لما فتح مكة أتى قبر أمه ووقف عليه حتى سخنت عليه الشمس وجعل يرغب في أن يؤذن له في الاستغفار لها فلم يؤذن له فأخبر انه أذن له في زيارة قبرها ومنع أن يستغفر لها ونزلت الآية وقالت فرقة نزلت بسبب قوله صلى الله عليه وسلم والله لأزيدن على السبعين * وقال ابن عباس وقتادة وغيرهما بسبب جماعة من المؤمنين قالوا نستغفر لموتانا كما استغفر ابراهيم لأبيه وتضمن قوله ما كان للنبي الآية النهي عن الاستغفار لهم على أي حال كانوا ولو في حال كونهم أولي قربى فقوله ولو كانوا جملة معطوفة على حال مقدرة وتقدم لنا الكلام على مثل هذا التركيب ان ولو تأتي لاستقصاء مالولاها لم يكن ليدخل فيما قبلها مابعدها ودلت الآية على المبالغة في اظهار البراءة عن المشركين والمنافقين والمنع من مواصلتهم ولو كانوا في غاية القرب ونبه على الوصف الشريف من النبوة والايمان وانه مناف للاستغفار لمن مات على ضده وهو الشرك بالله ومعنى من بعد ماتبين أي وضح لهم انهم أصحاب الجحيم لموافاتهم على الشرك والتبين هو باخبار الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به والظاهر أن الاستغفار هنا هو طلب المغفرة وبه تظافرت أسباب النزول * وقال عطاء بن أبي رباح الآية في النهي عن الصلاة على المشركين والاستغفار هنا يراد به الصلاة قالوا والاستغفار للمشرك الحي جائز اذ يرجى اسلامه ومن هذا قول أبي هريرة رحم الله رجلا استغفر لأبي هريرة ولأمه قيل له ولأبيه قال لا ان أبي مات كافرا فان ورد نص من الله على أحد انه من أهل النار وهو حي كأبي لهب امتنع الاستغفار له فتبين كينونة المشرك انه من أصحاب الجحيم بموته على الشرك وبنص الله عليه وهو حي انه من أهل النار ويدخل على جواز الاستغفار للكفار اذا كانوا أحياء لانه يرجى اسلامهم ماحكى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نبي قبله شجه قومه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يخبر عنه بأنه قال اللهم اغفر لقومي فانهم لايعلمون ولما كان استغفار ابراهيم لأبيه بصدد أن يقتدى به ولذلك قال جماعة من المؤمنين نستغفر لموتانا كما استغفر ابراهيم لأبيه بين العلة في استغفار ابراهيم لأبيه وذكر أنه حين اتضحت له عداوته لله تبرأ منه ابراهيم والموعدة التي وعدها ابراهيم أباه هي قوله سأستغفر لك ربي وقوله لاستغفرن لك والضمير الفاعل في وعدها عائد على ابراهيم وكان أبوه بقيد الحياة فكان يرجو ايمانه فلما تبين له من جهة الوحي من الله أنه عدو لله وانه يموت كافرا وانقطع رجاؤه منه تبرأ منه وقطع استغفاره ويدل على ان الفاعل في وعد ضمير يعود على ابراهيم قراءة الحسن وحماد الراوية وابن السميقع وأبي نهيك ومعاذ القارىء وعدها أباه * وقيل لفاعل ضمير والد ابراهيم واياه ضمير ابراهيم وعده أبوه انه سيؤمن فكان ابراهيم قد قوي طمعه في ايمانه فحمله ذلك على الاستغفار له حتى نهي عنه * وقرأ طلحة وما استغفر ابراهيم وعنه ومايستغفر ابراهيم على حكاية الحال والذي يظهر أن استغفار ابراهيم لأبيه كان في حالة الدنيا ألاترى الى قوله واغفر لأبي انه كان من الضالين وقوله رب اغفر لي ولوالدي ويضعف ماقاله ابن جبير من أن هذا كله يوم القيامة وذلك ان ابراهيم يلقى أباه فيعرفه ويتذكر قوله سأستغفر لك ربي فيقول له الزم حقوي فلن أدعك اليوم لشيء فيدعه حتى يأتي الصراط فيلتفت اليه فاذا هو قد مسخ ضبعا فيتبرأ منه حينئذ انتهى ماقاله ابن جبير ولايظهر ربطه بالآخرة * قال

الزمخشري (فان قلت) خفي على ابراهيم عليه السلام ان الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده (قلت) يجوز أن يظن انه مادام يرجى له الايمان جاز الاستغفار له على ان امتناع جواز الاستغفار للكافر انما علم بالوحي لان العقل يجوز أن يغفر الله للكافر ألا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك مالم أنه عنك وعن الحسن قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يستغفر لآبائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم * وعن علي رضي الله عنه رأيت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت له فقال أليس قد استغفر ابراهيم انتهى وقوله لان العقل يجوز أن يغفر الله للكافر رجوع الى قول أهل السنة والأواه الدعاء أو المؤمن أو الفقيه أو الرحيم أو المؤمن التواب أو المسبح أو الكثير الذكر له أو التلاء لكتاب الله أو القائل من خوف الله أواه المكثر ذلك أو الجامع المتضرع أو المؤمن بالحبشية أو المعلم المخير أو الموقي أو المستغفر عند ذكر الخطايا أو الشفيق أو الراجع عن كل ما يكرهه الله أقوال السلف وقد ذكرنا مدلوله في اللغة في المفردات * وقال الزمخشري أواه فعال من أوه كلال من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التأوه ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على أبيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لأرجمنك انتهى وتشبيه أواه من أوه بلال من اللؤلؤ ليس بجيد لان مادة أوه موجودة في صورة أواه ومادة لؤلؤ مفقودة في لال لاختلاف التركيب اذ لال ثلاثي ولؤلؤ رباعي وشرط الاشتقاق التوافق في الحروف الاصلية وفسروا الحليم هنا بالصافح عن الذنب الصابر على الاذى وبالصبور وبالعاقل وبالسيد وبالرقيق القلب الشديد العطف *وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شئ عليم * ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير * مات قوم كان عملهم على الامر الاول كاستقبال بيت المقدس وشرب الخمر فسأل قوم الرسول بعد مجيء النسخ ونزول الفرائض عن ذلك فنزلت * وقال الكرماني أسلم قوم من الاعراب فعملوا بما شاهدوا الرسول يفعله من الصلاة الى بيت المقدس وصيام الايام البيض ثم قدموا عليه فوجدوه يصلي الى الكعبة ويصوم رمضان فقالوا يارسول الله دنا بعدك بالضلال انك على أمر وانا على غيره فنزلت * وقيل خاف بعض المؤمنين من الاستغفار للمشركين دون اذن من الله فنزلت الآية مؤنسة أي ما كان الله بعد أن هدى للاسلام وأنقذ من النار ليحبط ذلك ويضل أهله لمقارفتهم ذنبا لم يتقدم منه نهي عنه فاما اذ بين لهم ما يتقون من الامر ويجتنبون من الاشياء فحينئذ من واقع بعد النهي استوجب العقوبة * وقال الزمخشري يعني ما أمر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهي عنه وبين انه محظور ولا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم الا اذا أقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بأنه واجب الاتقاء والاجتناب وأما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي في هذه الآية شديدة ما ينبغي أن يغفل عنها وهي أن المهدي للاسلام اذا أقبل على بعض محظورات الله داخل في حكم الضلال والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فأما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف انتهى وفي هذا الاخير من كلامه وفي قوله قبل في تفسير ليضل ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم دسيسة الاعتزال وفي كلامه اسهاب وهو بسط ما قال مجاهد قال ما كان ليضلكم بالاستغفار للمشركين بعد اذ هداكم للايمان حتى يتقدم بالنهي عن ذلك ويبينه لكم فتتقوه انتهى وتقدم

الاصلية *وما كان الله ليضل قوما * الآية مات قوم كان عملهم على الامر الاول كاستقبال بيت المقدس وشرب الخمر فسأل قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مجيء النسخ ونزول الفرائض عن ذلك فنزلت أي ما كان الله ليديم اضلال قوم أرشدهم الى الهدى حتى يبين لهم ما يتقونه أي يجتنبونه فلا يجدي ذلك فيهم فحينئذ يدوم اضلالهم

(الدر)

(ش) أواه فعال من أوه كلال من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التأوه ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على أبيه الكافر الى آخره (ح) تشبيه أواه من أوه بلال من اللؤلؤ ليس بجيد لان مادة أوه موجودة في صورة أواه ومادة لؤلؤ مفقودة في لال لاختلاف التركيب اذ لال ثلاثي ولؤلؤ رباعي وشرط الاشتقاق التوافق في الحروف الاصلية

﴿ لقد تاب الله على النبي ﴾ الآية قال ابن عطية التوبة من الله تعالى رجوعه لعبده من حالة الى حالة أرفع منها وقد تكون فى الاكثر رجوعا عن حالة المعصية الى حالة الطاعة وقد تكون رجوعا من حالة طاعة الى أكمل منها وهذه توبته فى هذه الآية على النبي لانه رجع به من حالة قبل تحصيل الغزوة وتحمل مشاقها الى حالة بعد ذلك أكمل منها وأما توبته على المهاجرين والانصار فحالها معرضة لان تكون من نقصان الى طاعة وجد فى الغزو ونصرة فى الدين وأما توبته على الفريق فرجوع من حالة محطوطة الى حالة غفران ورضا ﴿ اتبعوه ﴾ أى اتبعوا أمره ﴿ فى ساعة العسرة ﴾ أى الضيق والشدة والعدم وهذا هو جيش العسرة الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزه عثمان بن عفان بألف جمل وألف دينار وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب الدنانير بيده وقال وما على عثمان ما عمل بعد هذا وجاء أنصارى بسبعمائة وسق من تمر قال مجاهد وغيره بلغت العسرة بهم الى أن كان العشرة منهم يعتقبون على بعير واحد من قلة الظهر والى ان قسموا التمرة بين الرجلين وكان النفر يأخذون التمرة الواحدة فيمصها أحدهم ويشرب عليها الماء ثم يفعل بها كلهم ذلك وقال عمر بن الخطاب أصابهم فى بعضها عطش شديد حتى جعلوا ينحرون الابل ويشربون مافى كروشها من الماء ويعصرون الفرث حتى استسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع يديه يدعو فما رجعهما حتى انسكبت سحابة فشربوا وادخروا ثم ارتحلوا فاذا السحابة لم تخرج عن العسكر وفى هذه الغزاة هموا من المجاعة بنحر الابل فأمر صلى الله عليه وسلم بجمع فضل أزوادهم حتى اجتمع منه على النطع شئ يسير فدعا فيه بالبركة ثم قال خذوا فى أوعيتكم فملؤها حتى لم يبق وعاء وأكل القوم كلهم حتى شبعوا وفضلت فضلة وكان الجيش ثلاثين ألفا وزيادة وهى آخر مغازيه صلى الله عليه وسلم وفيها خلف عليا رضى الله عنه بالمدينة فقال المنافقون خلفه بغضا له فاخبره بقولهم فقال أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ووصل عليه السلام الى أوائل بلاد العدو وبث السرايا فصالحه أهل أذرح وايلة وغيرهما على الجزية وانصرف قال ابن عباس ﴿ تزيغ ﴾ تعدل عن الحق فى المتابعة وكاد تدل على القرب لا على التلبس بالزيغ وقرئ يزيغ بالياء فيتعين أن يكون فى كاد ضمير الشأن وارتفاع قلوب بيزيغ لامتناع ان تكون قلوب اسم كاد ويزيغ فى موضع الخبر لان النية به التأخير ولا يجوز من بعدما كاد قلوب يزيغ بالياء وقرئ بالتاء فاحتمل أن يكون فى كاد ضمير الشأن كقراءة الياء واحتمل أن يكون قلوب اسم كاد وتزيغ الخبر وسط بينهما كما فعل ذلك بكان وفى هذين الاعرابين كلام ذكر فى البحر ﴿ فريق منهم ﴾ قال الحسن همت فرقة بالانصراف لما لقوا من المشقة وقيل زيغها كان بظنون لها ساءت فى معنى عزم الرسول عليه السلام على تلك الغزوة لما رأته من شدة العسرة وقلة الوفر وبعد الشقة وقوة العدو المقصود ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾ الآية معطوف على قوله والانصار ومعنى خلفوا أى عن غزوة تبوك ﴿ حتى اذا ضاقت عليهم الأرض ﴾

فى أسباب النزول ما يشرح به الآية من سوء الهم عمن مات وقد صلى الى بيت المقدس وشرب الخمر ومن قصة الاعراب * والذى يظهر فى مناسبة هذه الآية لما قبلها وفى شرحها أنه تعالى لما بين أنه لا يستغفر للمشركين ولو كانوا أولى قربى كان فى هذه الآية وفى التى بعدها تباين ما بين القرابة حتى منعوا من الاستغفار لهم فمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاستغفار لعمه أبى طالب وهو الذى تولى تربيته ونصره وحفظه الى ان مات ومنع ابراهيم من الاستغفار لابيه وهو أصل نشأته ومربيه وكذلك منع المسلمون من الاستغفار للمشركين أقرباء وغير أقرباء فكأنه قيل لا تعجب لتباين هؤلاء هذا خليل الله وهذا حبيب الله والاقرباء المختصون بهم المشركون أعداء الله فاضلال هؤلاء لم يكن الابعدان أرشدهم الله الى طريق الحق بما ركز فيهم من حجج العقول التى أغفلوها وتبيين ما يتقون بطريق الوحى فتظافر عليهم الحجج العقلية والسمعية ومع ذلك لم يؤمنوا ولم يتبعوا ما جاءت الرسل به عن الله تعالى ولذلك ختمها بقوله ان الله بكل شئ عليم فيضل من يشاء ويختص بالهداية من يشاء فالمعنى وما كان الله ليديم اضلال قوم أرشدهم الى الهدى حتى يبين لهم ما يتقونه أى يجتنبونه فلا يجدى ذلك فيهم فحينئذ يدوم اضلالهم ولما ذكر تعالى علمه بكل شئ فهو يعلم ما يصلح لكل أحد وما هيئ له فى سابق الأزل ذكر ما دل على القدرة الباهرة من أنه له ملك السموات والأرض فيتصرف فى عباده بما شاء ثم ذكر من أعظم تصرفاته الاحياء والاماتة أى الايجاد والاعدام وتفسير الطبرى هنا قوله يحيي ويميت بأنه اشارة الى أنه يجب للمؤمنين أن لا يجزعوا من عدو وان كثر ولا يهابوا أحدا فان الموت المخوف والحياة المحتومة انما هى بيد الله غير مناسب هنا وان كان فى نفسه قولا صحيحا وتقدم شرح قوله ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير فى البقرة ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رءوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض

بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم ﴾ لما تقدم الكلام فى أحوال المنافقين من تخلفهم عن غزوة تبوك واستطرد الى تقسيم المنافقين الى أعراب وغيرهم وذكر ما فعلوا من مسجد الضرار وذكر مبايعة المؤمنين الله فى الجهاد وأثنى عليهم وأنه ينبغى أن يباينوا المشركين حتى الذين ماتوا منهم بترك الاستغفار لهم عاد الى ذكر ما بقى من أحوال غزوة تبوك وهذه شنشنة كلام العرب يشرعون فى شئ ثم يذكرون بعده أشياء مناسبة ويطيلون فيها ثم يعودون الى ذلك الشئ الذى كانوا شرعوا فيه * قال ابن عطية التوبة من الله رجوعه لعبده من حالة الى حالة أرفع منه وقد يكون فى الأكثر رجوعا عن حالة المعصية الى حالة الطاعة وقد يكون رجوعا من حالة طاعة الى أكمل منها وهذه توبته فى هذه الآية على النبى صلى الله عليه وسلم لأنه رجع به من حالة قبل تحصيل الغزوة وتحمل مشاقها الى حالة بعد ذلك أكمل منها وأما توبته على المهاجرين والانصار فحالها معرضة لان تكون من نقصان الى طاعة وجد فى الغزو ونصرة الدين وأما توبته على الفريق فرجوع من حالة محطوطة الى حالة غفران ورضا * وقال الزمخشرى تاب الله على النبى كقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر واستغفر لذنبك وهو بعث للمؤمنين على التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبى والمهاجرون والانصار وإبانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى وان صفة الاوابين صفة الانبياء كما وصفهم بالصالحين لتظهر فضيلة الصلاح * وقيل معناه تاب الله عليه من إذنه للمنافقين فى التخلف عنه لقوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم انتهى * وقيل لايبعد ان صدر عن المهاجرين والانصار أنواع من المخالفات الا أنه تعالى تاب عليهم وعفا عنهم لأجل أنهم تحملوا مشاق ذلك السفر ثم انه تعالى ضم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تنبيها على عظم مراتبهم فى قبول التوبة اتبعوه أى اتبعوا أمره فهو من مجاز الحذف ويجوز أن يكون هو ابتدأ بالخروج وخرجوا بعده فيكون الاتباع حقيقة ساعة العسرة أى فى وقت العسرة والساعة مستعارة للزمان المطلق كما استعاروا الغداة والعشية واليوم قال

غداة طفت علماء بكر بن وائل * عشية قارعنا جذام وحميرا

وآخر * اذا جاء يوما وارثى يبتغى الغنى * وهى غزوة تبوك كانت تسمى غزوة العسرة ويجوز أن يريد بساعة العسرة الساعة التى وقع فيها عزمهم وانقيادهم لتحمل المشقة إذ السفرة كلها تبع لتلك الساعة وبها وفيها يقع الأجر على الله وترتبط النية فمن اعتزم على الغزو وهو معسر فقد أنفق فى ساعة عسرة ولو اتفق أن يطرأ لهم غنى فى سائر سفرهم لما اختل كونهم متبعين فى ساعة العسرة والعسرة الضيق والشدة والعدم وهذا هو جيش العسرة الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزه عثمان بن عفان بألف جمل وألف دينار * وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب الدنانير بيده * وقال وما على عثمان ما عمل بعد هذا وجاء انصارى بسبعمائة وسق من بر * وقال مجاهد وقتادة والحسن بلغت العسرة بهم الى ان كان العشرة منهم يعتقبون على بعير واحد من قلة الظهر والى أن قسموا التمرة بين الرجلين وكان النفر يأخذون التمرة الواحدة فيمصها أحدهم ويشرب عليها الماء ثم يفعل بها كلهم ذلك * وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه أصابهم فى بعضها عطش شديد حتى جعلوا ينحرون الابل ويشربون ما فى كروشها من الماء

تقدم تفسيره ﴿ وضاقت عليهم أنفسهم ﴾ استعارة لان الهم والغم ملأها بحيث لايسعها أنس ولاسرور وحرجت من فرط الوحشة والغم ﴿ وظنوا ﴾ أى علموا وقال قوم الظن هنا على بابه من ترجيح أحد الجائزين لانه وقف أمرهم على الوحى ولم يكونوا قاطعين بانه ينزل فى شأنهم قرآن أو كانوا قاطعين لكنهم يجوزون تطويل المدة فى بقائهم فى الشدة فالظن عاد الى تجويز تلك المدة قصيرة وجاءت هذه الجمل فى كنف اذا فى غاية الحسن والترتيب فذكر أولا ضيق الارض عليهم وهو كناية عن استيحاشهم ونبوة الناس عن كلامهم وثانيا ﴿ وضاقت عليهم أنفسهم ﴾ هى كناية عن تواتر الهم والغم على قلوبهم حتى لم يكن فيها شئ من الانشراح والاتساع فذكر أولا ضيق المحل ثم ثانيا ضيق الحال فيه لانه قد يضيق المحل وتكون النفس منشرحة ثم ثالثا لما يئسوا من الخلق عذقوا أمورهم بالله وانقطعوا اليه وعلموا أنه لايخلص من الشدة ولايفرجها الا هو تعالى ﴿ ثم تاب عليهم ليتوبوا ﴾ ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة أخرى ليستقيموا على توبتهم وينيبوا أو ليتوبوا أيضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة علما منهم ان الله تواب على من تاب ولو عاد فى اليوم مائة مرة

ويعصرون الفرث حتى استسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع يديه يدعو فما رجعهما حتى انسكبت سحابة فشربوا وادخروا ثم ارتحلوا فاذا السحابة لم تخرج عن العسكر وفي هذه الغزوة هموا من المجاعة بنحر الابل فأمر بجمع فضل أزوادهم حتى اجتمع منه على النطع شئ يسير فدعا فيه بالبركة ثم قال خذوا في أوعيتكم فملؤها حتى لم يبق وعاء وأكل القوم كلهم حتى شبعوا وفضلت فضلة وكان الجيش ثلاثين ألفا وزيادة وهي آخر مغازيه صلى الله عليه وسلم وفيها خلف عليا بالمدينة وقال المنافقون خلفه بغضا له فأخبره بقولهم فقال أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ووصل صلى الله عليه وسلم الى أوائل بلاد العدو وبث السرايا فصالحه أهل أذرح وأيلة وغيرهما على الجزية وانصرف * تزيغ قلوب فريق قال الحسن همت فرقة بالانصراف لما لقوا من المشقة * وقيل زيغها كان بظنون لها ساءت في معنى عزم الرسول على تلك الغزوة لما رأته من شدة العسرة وقلة الوفر وبعد الشقة وقوة العدو المقصود * وقال ابن عباس تزيغ تعدل عن الحق في المبايعة وكاد تدل على القرب لا على التلبس بالزيغ * وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء فتعين أن يكون في كاد ضمير الشأن وارتفاع قلوب بتزيغ لامتناع أن يكون قلوب اسم كاد وتزيغ في موضع الخبر لأن النية به التأخير ولا يجوز من بعد ما كاد قلوب يزيغ بالياء * وقرأ باقي السبعة بالتاء فاحتمل أن يكون قلوب اسم كاد وتزيغ الخبر وسط بينهما كما فعل ذلك بكان * قال أبو علي ولا يجوز ذلك في عسى واحتمل أن يكون فاعل كاد ضمير يعود على الجمع الذي يقتضيه ذكر المهاجرين والانصار أي من بعد ما كاد هو أي الجمع وقد قدر المرفوع بكاد باسم ظاهر وهو القوم ابن عطية وأبو البقاء كأنه قال من بعد ما كاد القوم وعلى كل واحد من هذه الاعاريب الثلاثة اشكال على ما تقرر في علم النحو من أن خبر أفعال المقاربة لا يكون الامضارعا رافعا ضمير اسمها فبعضهم أطلق وبعضهم قيد بغير عسى من أفعال المقاربة ولا يكون سببا وذلك بخلاف كان فان خبرها يرفع الضمير والسببي لاسم كاد فاذا قدرنا فيها ضمير الشأن كانت الجملة في موضع نصب على الخبر والمرفوع ليس ضميرا يعود على اسم كاد بل ولا سببا له وهذا يلزم في قراءة الياء أيضا وأما توسيط الخبر فهو مبني على جواز مثل هذا التركيب في مثل كان يقوم زيد وفيه خلاف والصحيح المنع وأما توجيه الآخر فضعيف جدا من حيث أضمر في كاد ضمير ليس له على من يعود الابتوهم ومن حيث يكون خبر كاد واقعا سببيا ويخلص من هذه الاشكالات اعتقاد كون كاد زائدة ومعناها مراد ولا عمل لها إذ ذاك في اسم ولا خبر فتكون مثل كان اذا زيدت يراد معناها ولا عمل لها ويؤيد هذا التأويل قراءة ابن مسعود من بعد ما زاغت باسقاط كاد وقد ذهب الكوفيون الى زيادتها في قوله تعالى لم يكد يراها مع تأثيرها للعامل وعملها هي فأحرى أن يدعى زيادتها وهي ليست عاملة ولا معمولة * وقرأ الأعمش والجحدري تزيغ برفع التاء * وقرأ أبي من بعد ما كادت تزيغ ثم تاب عليهم الضمير في عليهم عائد على الأولين أو على الفريق فالجملة كررت تأكيدا أو يراد بالأول انشاء التوبة وبالثاني استدامتها أو لأنه لما ذكر ان فريقا منهم كادت قلوبهم تزيغ نص على التوبة ثانيا رفعا لتوهم أنهم مسكوت عنهم في التوبة ثم ذكر سبب التوبة وهو رأفته بهم ورحمته لهم والثلاثة الذين خلفوا تقدمت أسماؤهم ومعنى خلفوا عن الغزو وغزو تبوك قاله قتادة أو خلفوا عن أبي لبابة وأصحابه حيث تيب عليهم بعد التوبة على أبي لبابة وأصحابه ارجاء أمرهم خمسين يوما ثم قبل توبتهم وقد رد تأويل قتادة كعب بن مالك بنفسه فقال معنى خلفوا تركوا عن قبول العذر وليس بتخلفنا عن الغزو * وقرأ الجمهور خلفوا بتشديد

اللام مبنيا للمفعول * وقرأ أبو مالك كذلك وخفف اللام * وقرأ عكرمة بن هارون المخزومي وذر ابن حبيش وعمرو بن عبيد ومعاذ القارى وحميد بتخفيف اللام مبنيا للفاعل ورويت عن أبي عمرو أى خلفوا الغازين بالمدينة أو فسدوا من الخالفة * وقرأ أبو العالية وأبو الجوزاء كذلك مشدد اللام * وقرأ أبو زيد وأبو مجلز والشعبي وابن يعمر وعلى بن الحسين وابناه زيد ومحمد الباقر وابنه جعفر الصادق خالفوا بألف أى لم يوافقوا على الغزو * وقال الباقر ولو خلفوا لم يكن لهم وقرأ الاعمش وعلى الثلاثة المخلفين ولعله قرأ كذلك على سبيل التفسير لأنها قراءة مخالفة لسواد المصحف حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت تقدم تفسير نظيرها فى هذه السورة فى قصة حنين وضاقت عليهم أنفسهم استعارة لأن الهم والغم ملأها بحيث لا يسعها أنس ولا سرور وخرجت عن فرط الوحشة والغم وظنوا أى علموا قاله الزمخشرى * وقال ابن عطية أيقنوا كما قالوا فى قول الشاعر

فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج * سراتهم فى الفارسى المسرّد

* وقال قوم الظن هنا على بابه من ترجيح أحد الجائزين لأنه وقف أمرهم على الوحى ولم يكونوا قاطعين بأنه ينزل فى شأنهم قرآن أو كانوا قاطعين لكنهم يجوزون تطويل المدة فى بقائهم فى الشدة فالظن عاد الى تجويز تلك المدة قصيرة وجاءت هذه الجمل فى كنف اذا فى غاية الحسن والترتيب فذكر أولا ضيق الارض عليهم وهو كناية عن استيحاشهم ونبوة الناس عن كلامهم وثانيا وضاقت عليهم أنفسهم وهو كناية عن تواتر الهم والغم على قلوبهم حتى لم يكن فيها شئ من الانشراح والاتساع فذكر أولا ضيق المحل ثم ثانيا ضيق الحال فيه لأنه قد يضيق المحل وتكون النفس منشرحة * سم الخياط مع المحبوب ميدان * ثم ثالثا لما يئسوا من الخلق عذقوا أمورهم بالله وانقطعوا اليه وعلموا أنه لا يخلص من الشدة ولا يفرجها الا هو تعالى ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون واذا ان كانت شرطية فجوابها محذوف تقديره تاب عليهم ويكون قوله ثم تاب عليهم نظير قوله ثم تاب عليهم بعد قوله لقد تاب الله على النبي الآية ودعوى ان ثم زائدة وجواب اذا ما بعد ثم بعيد جدا وغير ثابت من لسان العرب زيادة ثم ومن زعم أن اذا بعد حتى قد تجرد من الشرط وتبقى لمجرد الوقت فلا تحتاج الى جواب بل تكون غاية للفعل الذى قبلها وهو قوله خلفوا أى خلفوا الى هذا الوقت ثم تاب عليهم ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة أخرى ليستقيموا على توبتهم وينيبوا أو ليتوبوا أيضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة علما منهم أن الله تواب على من تاب ولو عاد فى اليوم مائة مرة * وقيل معنى ليتوبوا ليدوموا على التوبة ولا يراجعوا ما يبطلها * وقيل ليتوبوا ليرجعوا الى حالهم وعادتهم من الاختلاط بالمؤمنين وتستكن نفوسهم عند ذلك * قال ابن عطية وقوله ثم تاب عليهم ليتوبوا لما كان هذا القول فى تعديد نعمه بدأ فى ترتيبه بالجهة التى هى عن الله تعالى ليكون ذلك منبها على تلقى النعمة من عنده لا رب غيره ولو كان القول فى تعديد ذنب لكان الابتداء بالجهة التى هى عن المذنب كما قال تعالى فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ليكون هذا أشد تقريرا للذنب عليهم وهذا من فصاحة القرآن وبديع نظمه ومعجز اتساقه وبيان هذه الآية ومواقع ألفاظها انما تكمل مع مطالعة حديث الثلاثة الذين خلفوا وقد خرج حديثهم بكماله البخارى ومسلم وهو فى السير فلذلك اختصرت سوقه وانما عظم ذنبهم واستحقوا عليه ذلك لان الشرع يطالبهم من الجد فيه بحسب منازلهم منه وتقدمهم فيه اذ هو أسوة وحجة للمنافقين والطاعنين اذ كان

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ الآية هو خطاب للمؤمنين أمر بكونهم مع أهل الصدق بعد ذكر قصة الثلاثة الذين نفعهم صدقهم وازاحهم عن رتبة النفاق واعترضت هذه الجملة تنبيها على رتبة الصدق وكفى بها انها ثانية لرتبة النبوة فى قوله فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين الى آخره ﴿ما كان لأهل المدينة﴾ (١١١) الأية نزلت فيمن تخلف من أهل المدينة عن غزوة تبوك وفيمن تخلف من حولهم من الاعراب من مزينة وجهنية وأشجع وأسلم وغفار ومناسبتها لما قبلها انه لما أمر المؤمنين بتقوى الله وأمر بكينونتهم مع الصادقين وأفضل الصادقين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم المهاجرون والانصار اقتضى ذلك موافقة الرسول عليه الصلاة والسلام صحبته أنى توجه من الغزوات والمشاهد ﴿ ولا يرغبوا بانفسهم ﴾ الآية قال الزمخشري أن يصحبوه على البأساء والضراء ويكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط واغتباط وأن يلقوا بأنفسهم فى الشدائد ما تلقاه نفسه الكريمة صلى الله عليه وسلم علما بانها أعز نفس عند الله وأكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض فى الشدائد والهول وجب على سائر الانفس أن تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث بها أصحابها ولا يقيموا لها وزنا ﴿لا يصيبهم ظمأ﴾ الظمأ العطش ولما كان العطش أشق الاشياء المؤذية للمسافرين بكثرة الحركة وازعاج النفس وخصوصا فى شدة الحر كغزوة تبوك بدئ به أولا وثنى بالنصب وهو التعب لانه الكلال الذى يلحق المسافر والاعياء الناشئ عن العطش والسير وأتى ثالثا بالجوع لانه حالة يمكن الصبر عليها الاوقات العديدة بخلاف العطش والنصب المفضيين الى الخلود والانقطاع عن السفر فكان الاخبار بما يعرض للمسافر أولا فثانيا فثالثا وموطئا مفعل من وطئ فاحتمل ان يكون مكانا واحتمل ان يكون مصدرا والفاعل فى يغيظ عائد على المصدر اما على موطئ ان كان مصدرا واما على ما يفهم من موطئ

كعب من أهل العقبة وصاحباه من أهل بدر وفى هذا ما يقتضى أن الرجل العالم والمقتدى به أقل عذرا فى السقوط من سواه وكتب الاوزاعى الى المنصور أبى جعفر فى آخر رسالة واعلم أن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تزيد حق الله عليك الا عظما ولا طاعته الا وجوبا ولا الناس فيما خالف ذلك منك الا انكارا والسلام ولقد أحسن القاضى التنوخى فى قوله

* والعيب يعلق بالكبير كبير * انتهى * وروى أن أناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من بداله فيلحق بهم كابى خيثمة ومنهم من بقى لم يلحق بهم منهم الثلاثة * وسئل أبو بكر الوراق عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ هو خطاب للمؤمنين أمروا بكونهم مع أهل الصدق بعد ذكر قصة الثلاثة الذين نفعهم صدقهم وأزاحهم عن ربقة النفاق واعترضت هذه الجملة تنبيها على رتبة الصدق وكفى بها انها ثانية لرتبة النبوة فى قوله فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين * قال ابن جريج وغيره الصدق هنا صدق الحديث * وقال الضحاك ونافع ما معناه اللفظ أعم من صدق الحديث وهو بمعنى الصحة فى الدين والتمكن فى الخير كما تقول العرب رجل صدق وقالت هذه الفرقة كونوا مع محمد وأبى بكر وعمر وخيار المهاجرين الذين صدقوا الله فى الاسلام * وقيل هم الثلاثة أى كونوا مثل هؤلاء فى صدقهم وثباتهم * وقال الزمخشرى هم الذين صدقوا فى ايمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وهم الذين صدقوا فى دين الله نية وقولا وعملا انتهى * وقيل الخطاب بالذين آمنوا لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك * وعن ابن عباس الخطاب لمن آمن من أهل الكتاب أى كونوا مع المهاجرين والانصار ومع تقتضى الصحبة فى الحال والمشاركة فى الوصف المقتضى للمدح * وقرأ ابن مسعود وابن عباس من الصادقين ورويت عن النبى صلى الله عليه وسلم وكان ابن مسعود يتأوله فى صدق الحديث وقال الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل ولا ان يعد منكم أحد صبيه ثم لا ينجزه اقرؤوا ان شئتم وكونوا مع الصادقين وقال صاحب اللوامح ومن أعم من مع لان كل من كان من قوم فهو معهم فى المعنى المأمور به ولا ينعكس ذلك * وقرأ زيد بن على وابن السميقع وأبو المتوكل ومعاذ القارئ مع الصادقين بفتح القاف وكسر النون على التثنية ويظهر انهما الله ورسوله لقوله تعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ولما تقدم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه أمروا بان يكونوا مع الله ورسوله بامتثال الامر واجتناب المنهى عنه كما يقال كن مع الله يكن معك ﴿ ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح

ان الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون ﴾ نزلت فيمن تخلف من أهل المدينة عن غزوة تبوك وفيمن تخلف ممن حولهم من الاعراب من مزينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار * ومناسبتها لما قبلها أنه لما أمر المؤمنين بتقوى الله وأمر بكينونتهم مع الصادقين وأفضل الصادقين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم المهاجرون والانصار اقتضى ذلك موافقة الرسول وصحبته أنى توجه من الغزوات والمشاهد فعوتب العتاب الشديد من تخلف عن الرسول في غزوة واقتضى ذلك الامر لصحبته وبذل النفوس دونه * قال الزمخشري بأن يصحبوه على البأساء والضراء وأمروا أن يكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط واغتباط وأن يلقوا أنفسهم في الشدائد ما يلقاه نفسه صلى الله عليه وسلم علما بأنها أعز نفس عند الله تعالى وأكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهون وجب على سائر الانفس أن تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها أصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون أخف شئ عليهم وأهونه فضلا أن يربؤا بأنفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهى بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بأنفة وحمية * قال الكرماني هذا نفي معناه النهي وخص هؤلاء بالذكر وكل الناس في ذلك سواء لقربهم منه وأنه لا يخفى عليهم خروجه * قال قتادة كان هذا الالزام خاصا مع النبي صلى الله عليه وسلم وجوب النفر الى الغزو اذا خرج هو بنفسه ولم يبق هذا الحكم مع غيره من الخلفاء * وقال زيد بن أسلم كان هذا الأمر والالزام في قلة الاسلام واحتياج الى اتصال الايدي ثم نسخ عند قوة الاسلام بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة قال وهذا كله في الانبعاث الى غزو العدو وعلى الدخول في الاسلام وأما اذا ألم العدو بجهة فيتعين على كل أحد القيام به ومكافحته والاشارة بذلك الى ما تضمنه انتفاء التخلف من وجوب الخروج معه وبذل النفس دونه كأنه قيل ذلك الوجوب للخروج وبذل النفس هو بسبب ما أعد الله لهم من الثواب الجسيم على المشاق التي تنالهم وما يتسنى على أيديهم من ايذاء أعداء الاسلام والظمأ العطش * وقرأ عبيد بن عمير ظماء بالمد مثل سفه سفاها ولما كان العطش أشق الاشياء المؤذية للمسافر بكثرة الحركة وازعاج النفس وخصوصا في شدة الحر كغزوة تبوك بدئ به أولا وثني بالنصب وهو التعب لأنه الكلال الذي يلحق المسافر والاعياء الناشئ عن العطش والسير وأتى ثالثا بالجوع لأنه حالة يمكن الصبر عليها الاوقات العديدة بخلاف العطش والنصب المفضيين الى الخلود والانقطاع عن السفر فكان الاخبار بما يعرض للمسافر أولا فثانيا فثالثا وموطئا مفعل من وطئ فاحتمل أن يكون مكانا واحتمل مصدرا والفاعل في يغيظ عائد على المصدر اما على موطئ ان كان مصدرا واما على ما يفهم من موطئ ان كان مكانا أي يغيظ وطؤهم اياه الكفار وأطلق موطئا اذا كان مكانا ليعم كل موطئ يغيظ وطؤه الكفار سواء كان من أمكنة الكفار أم من أمكنة المسلمين اذا كان في سلوكه غيظهم والوطء يدخل فيه بالحوافر والاخفاف والارجل * وقرأ زيد بن علي يغيظ بضم الياء والنيل مصدر فاحتمل أن يبقى على موضوعه واحتمل أن يراد به المنيل وأطلق نيلا ليعم القليل والكثير مما يسوءهم قتلا واسرا وغنيمة وهزيمة وليست الياء في نيل بدلا من واو خلافا لزاعم ذلك بل نال مادتان احداهما من ذوات الواو نلته أنوله نولا ونوال من العطية ومنه التناول والاخرى هذه من ذوات الياء نلته أناله نيلا اذا أصابه وأدركه وبدئ في هاتين الجملتين بالاسبق أيضا وهو الوطء ثم ثني بالنيل من العدو وجاء العموم في الكفار بالألف واللام وفي من عدو لكونه في سياق النفي

اياه الكفار والنيل مصدر فاحتمل ان يبقى على موضعه واحتمل ان يراد به المنيل واطلق نيلا ليعم القليل والكثير مما سوءهم قتلا واسرا وغنيمة وهزيمة وبدئ في هاتين الجملتين بالاسبق ايضا وهو الوطء ثم ثني بالنيل من العدو وجاء للعموم في الكفار بالالف واللام وفي من عدو لكونه في سياق النفي وبدئ أولا بما يخص المسافر في الجهاد في نفسه ثم ثانيا بما يترتب على تحمل تلك المشاق من غيظ الكفار والنيل من العدو ﴿ولا ينفقون نفقة صغيرة﴾ قال ابن عباس كالتمرة ونحوها والكبيرة ما فوقها وقدم صغيرة على سبيل الاهتمام كقوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ولا اصغر من ذلك ولا اكبر واذا كتب اجر الصغيرة فاحرى اجر الكبيرة ومفعول كتب مضمر يعود على المصدر المفهوم من ينفقون ويقطعون كأنه قيل كتب لهم هو اي الانفاق والقطع وتأخرت هاتان الجملتان وقدمت تلك الجملة السابقة لانها اشق على النفس وانكى للعدو وهاتان اهون لانهما في الاموال

و بدىء أولا بما يخص المسافر في الجهاد في نفسه ثم ثانيا بما يترتب على تحمل تلك المشاق من غيظ الكفار والنيل من العدو * قال الزمخشري و يجوز أن يراد بالوطء الايقاع والابادة لا الوطء بالاقدام والحوافر كقوله عليه السلام آخر وطأة وطئها الله بوج والكتب هنا يحتمل أن يكون حقيقة أي كتب في الصحائف أوفي اللوح المحفوظ ليجازى عليه يوم القيامة و يحتمل أن يكون استعارة عبر عن الثبوت بالكتابة لأن من أراد أن يثبت شيأ كتبه والجملة من كتب في موضع الحال و به أفرد الضمير اجراء له مجرى اسم الاشارة كأنه قيل الا كتب لهم بذلك عمل صالح أي باصابة الظمأ والنصب والمخمصة والوطء والنيل وفي الحديث من أغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار * وقال ابن عباس بكل روعة تنالهم في سبيل الله سبعون ألف حسنة * والنفقة الصغيرة قال ابن عباس كالتمرة ونحوها والكبيرة ما فوقها * وقال الزمخشري صغيرة ولو تمرة ولو علاقة سوط ولا كبيرة مثل ما أنفق عثمان في جيش العسرة انتهى وقدم صغيرة على سبيل الاهتمام كقوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ولا أصغر من ذلك ولا أكبر واذا كتب أجر الصغيرة فأحرى أجر الكبيرة ومفعول كتب مضمر يعود على المصدر المفهوم من ينفقون و يقطعون كأنه قيل كتب لهم هو أي الانفاق والقطع و يجوز أن يعود على قوله عمل صالح المتقدم الذكر وتأخرت هاتان الجملتان وقدمت تلك الجمل السابقة لأنها أشق على النفس وأنكى في العدو وهاتان أهون لأنهما في الاموال وقطع الارض الى العدو سواء حصل غيظ الكفار والنيل من العدو أم لم يحصلا فهذا أعم وتلك أخص وكان تعليل تلك آكد اذ جاء بالجملة الاسمية المؤكدة بان وذكر فيه الاجر ولفظ المحسنين تنبيها على أنهم حازوا رتب الاحسان التي هي أعلى رتب المؤمنين وفي هاتين الجلتين أتى بلام العلة وهي متعلقة بكتب والتقدير أحسن جزاء الذي كانوا يعملون لان عملهم له جزاء حسن وله جزاء أحسن وهنا الجزاء أحسن جزاء * وقال أبو عبد الله الرازي أحسن ما كانوا يعملون فيه وجهان الأول أن أحسن من صفة فعلهم وفيها الواجب والمندوب دون المباح انتهى هذا الوجه فاحتمل أن يكون أحسن بدلا من ضمير ليجزيهم بدل اشتمال كأنه قيل ليجزى الله أحسن أفعالهم بالاحسن من الجزاء أو بما شاء من الجزاء و يحتمل أن يكون ذلك على حذف مضاف فيكون التقدير ليجزيهم جزاء أحسن أفعالهم والثاني أن الاحسن صفة للجزاء أي يجزيهم جزاء هو أحسن من أعمالهم وأجل وأفضل وهو الثواب انتهى هذا الوجه واذا كان الاحسن من صفة الجزاء فكيف أضيف الى الاعمال وليس بعضا منها وكيف يقع التفضيل اذ ذاك بين الجزاء و بين الاعمال ولم يصرح فيه بمن ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ﴾ لما سمعوا ما كان لاهل المدينة الآية أهمهم ذلك فنفروا الى المدينة الى الرسول فنزلت * وقيل قال المنافقون حين نزلت ما كان لاهل المدينة الآية هكذا أهل البوادي فنزلت وقيل لما دعا الرسول على مضر بالسنين أصابتهم مجاعة فنفروا الى المدينة للمعاش وكادوا يفسدونها وكان أكثرهم غير صحيح الايمان وانما أقدمه الجوع فنزلت الآية فقال وما كان من ضعفة الايمان لينفر وامثل هذا النفير أي ليس هؤلاء بمؤمنين وعلى هذه الاقوال لا يكون النفير الى الغزو والضمير الذي في ليتفقهوا عائد على الطائفة النافرة وهذا هو الظاهر * وقال ابن عباس الآية في البعوث والسرايا والآية المتقدمة ثابتة الحكم مع خروج الرسول في الغزو وهذه ثابتة الحكم اذا لم يخرج أي يجب اذا لم يخرج أن لا ينفر الناس كافة فيبقى هو مفردا وانما ينبغي

وقطع الارض الى العدو وسواء حصل غيظ للكفار والنيل من العدو ام لم يحصلا فهذا أعم وتلك أخص وكان تعليل تلك آكد اذ جاء بالجملة الاسمية المؤكدة بان وذكر فيه الاجر ولفظ المحسنين تنبيها على انهم جاوزوا رتبة الاحسان التي هي اعلى رتب المؤمنين وفي هاتين الجلتين اتى بلام العلة وهي متعلقة بكتب والتقدير احسن جزاء الذين كانوا يعملون لان عملهم له جزاء حسن وله جزاء أحسن وهنا الجزاء أحسن جزاء ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾ الآية لما سمعوا ما كان لاهل المدينة الى آخره أهمهم ذلك فنفروا الى المدينة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ﴿ ولينذروا قومهم ﴾ اى ليجعلوا غرضهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم الى الخير والنصيحة لهم ﴿ لعلهم يحذرون ﴾ ارادة ان يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا

أن ينفر طائفة وتبقى طائفة لتتفقه هذه الطائفة فى الدين وتنذر النافرين اذا رجعوا اليهم وقالت فرقة هذه الآية ناسخة لكل ما ورد من الزام الناس كافة النفير والقتال فعلى هذا وعلى قول ابن عباس يكون الضمير فى ليتفقهوا عائدا على الطائفة المقيمة مع النبى صلى الله عليه وسلم ويكون معنى ولينذروا قومهم أى الطائفة النافرة الى الغزو ويعلمونهم بما تجدد من أحكام الشريعة وتكاليفها وكان ثم جملة محذوفة دل عليها تقسيمها أى فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة وقعد أخرى ليتفقهوا * وقيل على أن يكون النفير الى الغزو يصح أن يكون الضمير فى ليتفقهوا عائدا على النافرين ويكون تفقههم فى الغزو وبما يرون من نصرة الله لدينه واظهاره الفئة القليلة من المؤمنين على الكثيرة من الكافرين وذلك دليل على صحة الاسلام واخبار الرسول بظهوره هذا الدين والذى يظهر أن هذه الآية انما جاءت للحض على طلب العلم والتفقه فى دين الله وأنه لا يمكن أن يرحل المؤمنون كلهم فى ذلك فتعرى بلادهم منهم ويستولى عليها وعلى ذراريهم أعداؤهم فهلا رحل طائفة منهم للتفقه فى الدين ولانذار قومهم فذكر العلة للنفير وهى التفقه أولا ثم الاعلام لقومهم بما علموه من أمر الشريعة أى فهلا نفر من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم فكفوهم النفير وقام كل بمصلحة هذه بحفظ بلادهم وقتال أعدائهم وهذه لتعلم العلم وافادتها المقيمين اذا رجعوا اليهم * ومناسبة هذه الآية لما قبلها أن كلا النفيرين هو فى سبيل الله وإحياء دينه هذا بالعلم وهذا بالقتال * قال الزمخشرى ليتفقهوا فى الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق فى أخذها وتحصيلها ولينذروا قومهم وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم فى التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لعلهم يحذرون ارادة أن يحذروا الله تعالى فيعملوا عملا صالحا ووجه آخر وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعد ما نزل فى المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن الوحى والتفقه فى الدين فأمروا بان ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد وتبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذى هو الجهاد الأكبر لأن الجهاد بالحجة أعظم أمرا من الجهاد بالسيف وقوله تعالى ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة ولينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم ما حصلوا فى أيام غيبتهم من العلوم وعلى الأول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ لما حض تعالى على التفقه فى الدين وحرض على رحلة طائفة من المؤمنين فيه أمر تعالى المؤمنين كافة بقتال من يليهم من الكفار فجمع من الجهاد جهاد الحجة وجهاد السيف وقال بعض الشعراء فى ذلك

من لا يعدله القرآن كان له * من الصغار وبيض الهند تعديل

* قيل نزلت قبل الأمر بقتال الكفار كافة فهى من التدريج الذى كان فى أول الاسلام وضعف هذا القول بأن هذه الآية من آخر ما نزل وقالت فرقة انما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما تجاوز قوما من الكفار غازيا لقوم آخرين أبعد منهم فأمر الله بغزو الادنى فالادنى الى المدينة * وقالت فرقة الآية مبينة صورة القتال كافة فهى مترتبة مع الأمر بقتال الكفار كافة ومعناها ان الله تعالى أمر فيها المؤمنين أن يقاتل كل فريق منهم الجيش الذى يضايقه من الكفرة وهذا هو القتال لكلمة الله ورد البأس الى الاسلام وأما اذا مال العدو الى صقع من أصقاع المسلمين ففرض

*﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين ﴾ الآية لما حض الله تعالى على التفقه فى الدين وحرض على رحلة طائفة من المؤمنين فيه أمر تعالى المؤمنين كافة بقتال من يليهم من الكفار فجمع بين الجهاد بين جهاد الحجة وجهاد السيف وقال بعض الشعراء

* من لا يعدله القرآن كان له * من الصعاد وبيض الهند تعديل *

﴿ وليجدوا فيكم غلظة ﴾ الغلظة تجمع الجرأة والصبر على القتال وشدة العداوة والغلظة حقيقة فى الاجسام فاستعيرت هنا للشدة فى الحرب وفى قوله واعلموا تبشير لهم بالنصر

على من اتصل به من المؤمنين كفاية عدو ذلك الصقع وان بعدت الدار ونأت البلاد وقال قتادة هذه المقالة نزلت الآية مشيرة الى قتال الروم بالشام لأنهم كانوا يومئذ العدو الذي يلي ويقرب اذ كانت العرب قد عمها الاسلام وكانت العراق بعيدة ثم لما اتسع نطاق الاسلام توجه الفرض في قتال الفرس والديلم وغيرهما من الأمم وسأل ابن عمر رجل عن قتال الديلم فقال عليك بالروم * وقال علي بن الحسين والحسن هم الروم والديلم يعني في زمنه * وقال ابن زيد المراد بهذه الآية وقت نزولها العرب فلما فرغ منهم نزلت في الروم وغيرهم قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى آخرها * وقيل هم قريظة والنضير وفدك وخيبر * وقال قوم تحرجوا أن يقاتلوا أقرباءهم وجيرانهم فأمروا بقتالهم ويلونكم ظاهره القرب في المكان * وقيل هو عام في القرب في المكان والنسب والبداءة بقتال من يلي لأنه متعذر قتال كلهم دفعة واحدة وقد أمرنا بقتال كلهم فوجب الترجيح بالقرب كما في سائر المهمات كالدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولأن النفقات فيه والحاجة الى الدواب والادوات أقل ولأن قتال الابعد تعريض لتدارك المسلمين الى الفتنة ولأن الذين يكونون ان كانوا ضعفاء كان الاستيلاء عليهم أسهل وحصول غير الاسلام أيسر وان كانوا أقوياء كان تعرضهم لدار الاسلام أشد ولأن المعرفة بمن يلي آكد منها بمن بعد للوقوف على كيفية أحوالهم وعددهم وعددهم فترجحت البداءة بقتال من يلي على قتال من بعد وأمر تعالى المؤمنين بالغلظة على الكفار والشدة عليهم كما قال تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وذلك ليكون ذلك أهيب وأوقع للفزع في قلوبهم وقال تعالى أعزة على الكافرين وفي الحديث ألقوا الكفار بوجوه مكفهرة وقال تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وقال فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والغلظة تجمع الجرأة والصبر على القتال وشدة العداوة والغلظة حقيقة في الاجسام واستعيرت هنا للشدة في الحرب * وقرأ الجمهور غلظة بكسر الغين وهي لغة أسد والأعمش وابان بن تغلب والمفضل كلاهما عن عاصم بفتحها وهي لغة الحجاز وأبو حيوة والسلمي وابن أبي عبلة والمفضل وابان أيضا بضمها وهي لغة تميم وعن أبي عمرو ثلاث اللغات ثم قال واعلموا ان الله مع المتقين لينبه على أن يكون الحامل على القتال ووجود الغلظة انما هو تقوى الله تعالى ومن اتقى الله كان الله معه بالنصر والتأييد ولا يقصد بقتاله الغنيمة ولا الفخر ولا اظهار البسالة ﴿ واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون ﴾ قال ابن عباس نزلت هذه والثانية في المنافقين كانوا اذا نزلت سورة فيها عيب المنافقين خطبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض بهم في خطبته فينظر بعضهم الى بعض يريدون الهرب ويقولون هل يراكم من أحد ان قمتم فان لم يرهم أحد خرجوا من المسجد ولما استطرد من سفر الغزو وتأنيب المتخلفين عن الرسول الى سفر التفقه في الدين ثم أمر بقتال من يلي من الكفار والغلظة عليهم عاد الى ذكر مخازي المنافقين اذ هم الذين نزل معظم السورة فيهم وكان في الآية قبلها اشارة الى الغلظة على الكفار وهم منهم وقولهم أيكم زادته هذه ايمانا يحتمل أن يكون خطاب بعض المنافقين لبعض على سبيل الانكار والاستهزاء بالمؤمنين ويحتمل أن يقولوا ذلك لقراباتهم المؤمنين يستقيمون اليهم ويطمعون في ردهم الى النفاق ومعنى قولهم ذلك هو على سبيل التحقير للسورة والاستخفاف بها كما تقول أي غريب في هذا وأي دليل في هذا وفي الفتيان قيل هو قول المؤمنين للحث والتنبيه * وقرأ الجمهور أيكم

*﴿واذا ما انزلت سورة﴾ الآية قال ابن عباس نزلت هذه والثانية في المنافقين كانوا اذا نزلت سورة فيها عيب المنافقين خطبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض بهم في خطبته فينظر بعضهم الى بعض يريدون الهرب ويقولون هل يراكم من احد ان قمتم فان لم يرهم احد خرجوا من المسجد ﴿ايكم زادته هذه ايمانا﴾ يحتمل أن يكون خطاب بعض المنافقين لبعض على سبيل الانكار والاستهزاء بالمؤمنين ويحتمل أن يقولوا ذلك لقراباتهم المؤمنين فيستقيمون اليهم ويطمعون في ردهم الى النفاق ومعنى قولهم هذه هو على سبيل التحقير للسورة والاستخفاف بها كما تقول اى غريب في هذا واى دليل في هذا

بالرفع * وقرأ زيد بن علي وعبيد بن عمير أيكم بالنصب على الاشتغال والنصب فيه عند الأخفش أفصح كهو بعد أداة الاستفهام نحو أزيدا ضربته والتقسيم يقتضي أن الخطاب من أولئك المنافقين المستهزئين عام للمنافقين والمؤمنين وزيادة الايمان عبارة عن حدوث تصديق خاص لم يكن قبل نزول السورة من قصص وتجديد حكم من الله تعالى أو عبارة عن تنبيه على دليل تضمنته السورة ويكون قد حصلت له معرفة الله بأدلة فنبهته هذه السورة على دليل زاد في أدلته أو عبارة عن ازالة شك يسير أو شبهة عارضة غير مستحكمة فيزول ذلك الشك وترتفع الشبهة بتلك السورة وأما على قول من يسمى الطاعة ايمانا وذلك مجاز عند أهل السنة فتترتب الزيادة بالسورة اذ يتضمن أحكاما * وقال الربيع فزادتهم ايمانا أي خشية أطلق اسم الشئ على بعض ثمراته * وقال الزمخشري فزادتهم ايمانا لأنها أزيد للمتقين على الثبات وأثلج للصدور أو فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة في الايمان لأن الايمان يقع على الاعتقاد والعمل انتهى وهي نزغة اعتزالية وهم يستبشرون بما تضمنته من رحمة الله ورضوانه * وأما الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون والصحة والمرض في الاجسام فنقل الى الاعتقاد مجازا والرجس القذر والرجس العذاب وزيادته عبارة عن تعمقهم في الكفر وخبطهم في الضلال واذا كفروا بسورة فقد زاد كفرهم واستحكم وتزايد عقابهم * قال قطرب والزجاج أراد كفرا الى كفرهم * وقال مقاتل اثما الى اثمهم * وقال السدي والكلبي شكا الى شكهم * وقال ابن عباس أراد ما أعد لهم من الخزي والعذاب المتجدد عليهم في كل وقت في الدنيا والآخرة وأنتج نزول السورة للمؤمنين شيئين زيادة الايمان والاستبشار بما لهم عند الله وللذين في قلوبهم مرض زيادة رجس والموافاة على الكفر أداهم كفرهم الأصلي والزيادة الى أن ماتوا على الكفر ﴿ أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ﴾ لما ذكر أتهم بموتهم على الكفر راجعون الى عذاب الآخرة ذكر انهم أيضا في الدنيا لا يخلصون من عذابها والضمير في يرون عائد على الذين في قلوبهم مرض وذلك على قراءة الجمهور بالياء * وقرأ حمزة بالتاء خطابا للمؤمنين والرؤية يحتمل أن تكون من رؤية القلب ومن رؤية البصر * وقرأ أبي وابن مسعود والأعمش أولا ترى أي أنت يا محمد وعن الأعمش أيضا أولم تروا * وقال أبو حاتم عنه أولم يروا * قال مجاهد يفتنون يختبرون بالسنة والجوع * وقال النقاش عنه مرضة أو مرضتين * وقال الحسن وقتادة يختبرون بالأمر بالجهاد * قال ابن عطية والذي يظهر مما قبل الآية ومما بعدها ان الفتنة والاختبار انما هي بكشف الله أسرارهم وافشائه عقائدهم فهذا هو الاختبار الذي تقوم عليه الحجة برؤيته وترك التوبة وأما الجهاد أو الجوع فلا يترتب معهما ماذكرناه فمعنى الآية على هذا أفلا يزدجر هؤلاء الذين تفضح سرائرهم كل سنة مرة أو مرتين بحسب واحد واحد ويعلمون أن ذلك من عند الله فيتوبون ويذكرون وعد الله ووعيده انتهى وقاله مختصرا مقاتل قال يفضحون باظهار نفاقهم وأما الاختبار بالمرض فهو في المؤمنين وقد كان الحسن ينشد

أفي كل عام مرضة ثم نقهة * فحتى متى حتى متى والى متى

* وقالت فرقة معنى يفتنون بما يشيعه المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأكاذيب والأراجيف وان ملوك الروم قاصدون بجيوشهم وجموعهم اليهم واليه الاشارة بقوله لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض فكان الذين في قلوبهم مرض يفتنون في ذلك * وحكى الطبري هذا القول عن حذيفة وهو غريب من المعنى * وقال الزمخشري يفتنون يبتلون بالمرض

﴿ أولا يرون ﴾ قرئ بياء الغيبة يعني به الكفار وبتاء الخطاب يعني به المؤمنين والرؤية اما بصرية أو علمية ومعنى الآية أفلا يزدجر واهؤلاء الذين تفضح سرائرهم كل سنة مرة او مرتين بحسب واحد واحد ويعلمون ان ذلك من عند الله فيتوبون ويذكرون وعد الله ووعيده

والقحط وغيرهما من بلاء الله تعالى ثم لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون فى أمرهم أو يبتلون بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم و يعاينون أمره وما ينزل الله تعالى عليه من النصر وتأييده أو يفتنهم الشيطان فيكذبون و ينقضون العهود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقتلهم و ينكل بهم ثم لا ينزجرون * وقرأ ابن مسعود ولاهم يتذكرون ﴿وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾ ذكر أولا ما يحدث عنهم من القول على سبيل الاستهزاء ثم ذكر ثانيا ما يصدر منهم من الفعل على سبيل الاستهزاء وهو الايماء والتغامز بالعيون انكارا للوحى وسخرية قائلين هل يراكم من أحد من المسلمين لننصرف فانا لا نقدر على استماعه و يغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم أو ترامقوا يتشاورون فى تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من أحد والظاهر اطلاق السورة أية سورة كانت * وقيل ثم صفة محذوفة أى سورة تفضحهم و يذكر فيها مخازيهم نظر بعضهم الى بعض على جهة التقرير يفهم من تلك النظرة التقرير هل يراكم من ينقل عنكم هل يراكم من أحد حين تدبرون أموركم ثم انصرفوا أى عن طريق الاهتداء وذلك انهم حين ما بين لهم كشف أسرارهم والاعلام بمغيبات أمورهم يقع لهم لامحالة تعجب وتوقف ونظر فلو اهتدوا لكان ذلك الوقت مظنة النظر الصحيح والاهتداء * قال الضحاك هل اطلع أحد منهم على سرائركم مخافة القتل ثم انصرفوا ان كان حقيقة فالمعنى قاموا من المكان الذى تتلى فيه السورة أو مجازا فالمعنى انصرفوا عن الايمان وذلك وقت رجوعهم اليه واقبالهم عليه قاله الكلبى أو رجعوا الى الاستهزاء أو الى الطعن فى القرآن والتكذيب له ولمن جاء به أو عن العمل بما كانوا يسمعونه أو عن طريق الاهتداء بعد ان بين لهم ومهد وأقيم دليله وهذا القول راجع لقول الكلبى صرف الله قلوبهم صيغته خبر وهو دعاء عليهم بصرف قلوبهم عما فى قلوب أهل الايمان قاله الفراء والظاهر أنه خبر لما كان الكلام فى معرض ذكر التكذيب بدأ بالفعل المنسوب اليهم وهو قوله ثم انصرفوا ثم ذكر فعله تعالى بهم على سبيل المجازاة لهم على فعلهم كقوله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم * قال الزجاج أضلهم * وقيل عن فهم القرآن والايمان به * وقال ابن عباس عن كل رشد وخير وهدى * وقال الحسن طبع عليها بكفرهم * قال الزمخشرى صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان و بصرف قلوبهم عما فى قلوب أهل الايمان من الانشراح بأنهم قوم لا يفقهون يحتمل أن يكون متعلقا بانصرفوا أو بصرف فيكون من باب الاعمال أى بسبب انصرافهم أو صرف الله قلوبهم هو بسبب أنهم لا يتدبرون القرآن فيفقهون ما احتوى عليه مما يوجب ايمانهم والوقوف عنده ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم﴾ لما بدأ السورة ببراءة الله ورسوله من المشركين وقص فيها أحوال المنافقين شيأ فشيأ خاطب العرب على سبيل تعداد النعم عليهم والمن عليهم بكونه جاءهم رسول من جنسهم أو من نسبهم عربيا قرشيا يبلغهم عن الله متصف بالأوصاف الجميلة من كونه يعز عليه مشقهم فى سوء العاقبة من الوقوع فى العذاب و يحرص على هداهم و يرأف بهم و يرحمهم * قال ابن عباس ما من قبيلة من العرب الا ولدت النبى صلى الله عليه وسلم فكأنه قال يا معشر العرب لقد جاءكم رسول من بنى اسمعيل ويحتمل أن يكون الخطاب لمن بحضرته من أهل الملل والنحل ويحتمل أن يكون خطابا لبنى آدم والمعنى انه لم يكن من غير جنس بنى آدم لما فى ذلك من التنافر بين الاجناس قوله

﴿وإذا ما أنزلت سورة نظر﴾ الآية ذكر أولا ما يحدث منهم من القول على سبيل الاستهزاء ثم ذكر ثانيا ما يصدر من الفعل على سبيل الاستهزاء وهو الايماء والتغامز بالعيون انكارا للوحى وسخرية قائلين هل يراكم من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نقدر على استماعه ونظر بصرية وهى معلقة وهل يراكم من احد فى موضع نصب بها ﴿ثم انصرفوا﴾ اى عن الايمان والفكر فى السورة التى نزلت ﴿صرف الله قلوبهم﴾ الظاهر أنه خبر لما كان الكلام فى معرض ذكر الذنب بدأ بالفعل المنسوب اليهم وهو قوله ثم انصرفوا ثم ذكر تعالى فعله بهم على سبيل المجازاة لهم فى فعلهم لقوله تعالى فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴿لقد جاءكم رسول﴾ الآية لما ابتدأ السورة سبحانه ببراءة الله ورسوله من المشركين وقص فيها احوال المنافقين شيئا فشيئا خاطب العرب على سبيل تعداد النعم والمن عليهم بكونهم جاءهم رسول من جنسهم عربيا قرشيا يبلغهم عن الله متصف بالاوصاف الجميلة من كونه

ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ولما كان المخاطبون عاما اماعامة العرب واماعامة بنى آدم جاء الخطاب عاما بقوله عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم أى على هدايتكم حتى لايخرج أحد عن اتباعه فيهلك ولما كانت الرأفة والرحمة خاصة جاء متعلقها خاصا وهو قوله بالمؤمنين رؤف رحيم ألا ترى الى قوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال أعزة على الكافرين وقال فى زناة المؤمنين ولاتأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر * قال ابن عطية وقوله من أنفسكم يقتضى مدحا لنسب النبى صلى الله عليه وسلم وانه من صميم العرب وأشرفها وينظر الى هذا المعنى قوله عليه السلام ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى بنى هاشم من قريش واصطفانى من بنى هاشم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم انى من نكاح ولست من سفاح معناه ان نسبه صلى الله عليه وسلم الى آدم عليه السلام لم يكن النسل فيه الامن نكاح ولم يكن فيه زنا انتهى وصف الله نبيه عليه السلام بستة أوصاف الرسالة وهى صفة كمال الانسان لما احتوت عليه من كمال ذات الرسول وطهارة نفسه الزكية وكونه من الخيار بحيث أهل أن يكون واسطة بين الله و بين خلقه ولما كانت هذه الصفة أشرف الأشياء بدئ بذكرها وكونه من أنفسهم وهى صفة مؤثرة فى التبليغ والفهم عنه والتأنس به فان كان خطابا للعرب ففى هذه الصفة التنبيه على شرفهم والتحريض على اتباعه وان كان الخطاب لبنى آدم ففيه التنويه بهم واللطف فى ايصال الخير اليهم وأنه معروف بينهم بالصدق والامانة والعفاف والصيانة وكونه يعز عليه مايشق عليكم فهذا الوصف من نتائج الرسالة ومن كونه من أنفسهم لان من كان منك وادّلك الخير وصعب عليه إيصال مايؤذى اليك وكونه حريصا على هدايتهم وهو أيضا من نتائج الرسالة لانه بعث ليعبد الله و يفرد بالألوهية وكونه رؤفا رحيما بالمؤمنين وهما وصفان من نتائج التبعية له والدخول فى دين الله انما المؤمنون اخوة المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا حتى تحب لأخيك المؤمن ماتحب لنفسك * وقرأ ابن عباس وأبو العالية والضحاك وابن محيصن ومحبوب عن أبى عمرو وعبد الله بن قسيط المكى و يعقوب من بعض طرقه من أنفسكم بفتح الفاء ورويت هذه القراءة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن فاطمة وعائشة رضى الله عنهما والمعنى من أشرفكم وأعزكم وذلك من النفاسة وهو راجع لمعنى النفس فانها أعز الاشياء والظاهر أن ما مصدرية فى موضع الفاعل بعزيز أى يعز عليه مشقتكم كما قال

يسر المرء ماذهب الليالى * وكان ذهابهن له ذهابا

أى يسر المرء ذهاب الليالى و يجوز أن يكون ماعنتم مبتدا أى عنتكم عزيز عليه وقدم خبره والاول أعرب وأجاز الحوفى أن يكون عزيز مبتدا وماعنتم الخبر وأن تكون ما بمعنى الذى وأن تكون مصدرية وهو اعراب دون الاعرابين السابقين * وقال ابن القشيرى عزيز صفة للنبى صلى الله عليه وسلم وانما وصف بالعزة لتوسطه فى قومه وعراقة نسبه وطيب جرثومته ثم استأنف فقال عليه ماعنتم أى يهمه أمركم انتهى والعنت تقدم شرحه فى البقرة فى قوله لأعنتكم * وقال ابن عباس هنا مشقتكم * وقال الضحاك اثمكم * وقال سعيد بن أبى عروبة ضلالكم * وقال العتبى ماضركم * وقال ابن الانبارى ماأهلككم * وقيل ماغمكم والاولى ان يضمر فى عليكم أى على هداكم وايمانكم كقوله ان تحرص على هداهم وقوله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين * وقيل حريص على ايصال الخيرات لكم فى الدنيا والآخرة * وقال الفراء الحريص هو الشحيح والمعنى انه شحيح عليكم

يعز عليه مشقتهم فى سوء العاقبة من الوقوع فى العذاب ويحرص على هداهم و يرأف بهم ويرحمهم صلى الله عليه وسلم *

أن تدخلوا النار * وقيل حريص على دخولكم الجنة وانما احتيج الى الاضمار لان الحرص لا يتعلق بالذوات و يحتمل بالمؤمنين أن يتعلق برؤف و يحتمل أن يتعلق برحيم فيكون من باب التنازع وفى جواز تقدم معمول المتنازعين نظر فالاكثرون لا يذكرون فيه تقدمه عليهما وأجاز بعض النحويين التقديم فتقول زيدا ضربت وشتمت على التنازع والظاهر تعلق الصفتين بجميع المؤمنين * وقال قوم بالتوزيع رؤف بالمطيعين رحيم بالمذنبين * وقيل رؤف بمن رآه رحيم بمن لم يره * وقيل رؤف باقربائه رحيم بغيرهم * وقال الحسن بن الفضل لم يجمع الله لنبي بين اسمين من أسمائه الا لنبينا صلى الله عليه وسلم فانه قال بالمؤمنين رؤوف رحيم وقال تعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم ﴿فان تولوا فقل حسبي الله لا إله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾ أي فان أعرضوا عن الايمان بعد هذه الحالة التي منّ الله عليهم بها من ارسالك اليهم واتصافك بهذه الأوصاف الجليلة فقل حسبي الله أي كافيّ من كل شئ عليه توكلت أي فوضت أمري اليه لا الى غيره وقد كفاه الله شرهم ونصره عليهم اذ لا إله غيره وهي آية مباركة لانها من آخر ما نزل وخص العرش بالذكر لانه أعظم المخلوقات * وقال ابن عباس العرش لا يقدر أحد قدره انتهى وذكر فى معرض شرح قدرة الله وعظمته وكان الكفار يسمعون حديث وجود العرش وعظمته من اليهود والنصارى ولا يبعد أنهم كانوا سمعوا ذلك من أسلافهم * وقرأ ابن محيصن العظيم برفع الميم صفة للرب ورويت عن ابن كثير * قال أبو بكر الاصم وهذه القراءة أعجب الي لان جعل العظيم صفة لله تعالى أولى من جعله صفة للعرش وعظم العرش بكبر جثته واتساع جوانبه على ما ذكر فى الاخبار وعظم الرب بتقديسه عن الحجمية والاجزاء والابعاض و بكمال العلم والقدرة وتنزيهه عن أن يتمثل فى الاوهام أو تصل اليه الافهام وعن ابن عباس آخر ما نزل لقد جاءكم الى آخرها * وعن أبي أقرب القرآن عهدا بالله لقد جاءكم الآيتان وهاتان الآيتان لم توجدا حين جمع المصحف الا فى حفظ خزيمة ابن ثابت ذي الشهادتين فلما جاء بهما تذكرها كثير من الصحابة وقد كان زيد يعرفها ولذلك قال فقدت آيتين من آخر سورة التوبة ولو لم يعرفها لم ندر هل فقد شيئا أولا فانما ثبتت الآية بالاجماع لا بخزيمة وحده * وقال عمر بن الخطاب ما فرغ من تنزيل براءة حتى ظننا أن لن يبقى منا أحد الا سينزل فيه شئ وفى كتاب أبي داود عن أبي الدرداء قال من قال اذا أصبح واذا أمسى حسبي الله لا إله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله تعالى ما أهمه

﴿ سورة يونس مائة وتسع آيات مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿الر تلك آيات الكتاب الحكيم * أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس و بشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لسحر مبين * إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون * اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون * هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون * ان فى اختلاف الليل والنهار

﴿ سورة يونس عليه السلام ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(الدر)

بالمؤمنين رؤف رحيم (ح) يحتمل بالمؤمنين ان يتعلق برؤف و يحتمل أن يتعلق برحيم فيكون من باب التنازع وفى جواز تقديم معمول المتنازعين نظر فالاكثرون يمنعون فيه تقدمه عليهما وأجاز بعض النحويين التقديم فتقول زيدا ضربت وشتمت على التنازع

وماخلق الله فى السموات والارض لآيات لقوم يتقون * ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمئنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون * أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون * ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم * دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين * ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون * ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين * ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون * واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع الى ما يوحى الى انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم * قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون * فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون * ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون * وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون * ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا انى معكم من المنتظرين * واذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر فى آياتنا قل الله أسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ماتمكرون * هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم اذا هم يبغون فى الارض بغير الحق يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون ﴾ القدم قال الليث وأبو الهيثم القدم السابقة قال ذو الرمة

وأنت امرؤ من أهل بيت ذؤابة * لهم قدم معروفة ومفاخر

* وقال أبو عبيدة والكسائى كل سابق فى خير أو شر فهو قدم * وقال الأخفش سابقة اخلاص كما فى قول حسان لنا القدم العليا اليك وخلفنا * لاولنا فى طاعة الله تابع

* وقال أحمد بن يحيى كل ماقدمت من خير * وقال ابن الانبارى العمل الذى يتقدم فيه ولا يقع فيه تأخير ولا ابطاء * المرور مجاوزة الشئ والعبور عليه تقول مررت بزيد جاوزته والمرة القوة ومنه ذو مرة ومر الحبل قواه ومنه لاتحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى * العاصف الشديدة يقال عصفت الريح * قال الشاعر

حتى اذا عصفت ريح مزعزعة * فيها قطار ورعد صوته زجل

وأعصف الريح قال الشاعر

ولهت عليه كل معصفة * هوجاء ليس للبها رير

﴿ وقال أبو تمام ﴾

ان الرياح اذا ما أعصفت قصفت * عيدان نجد ولا يعبأن بالرتم

الموج ما ارتفع من الماء عند هبوب الهواء سمى موجا لاضطرابه ﴿ الر تلك آيات الكتاب

﴿ الر تلك آيات الكتاب

الحكيم ﴾ هذه السورة مكية الاثلاث آيات فانها نزلت بالمدينة وهي فان كنت في شك الى آخرهن قاله ابن عباس وسبب نزولها ان اهل مكة قالوا لم يجد الله رسولا الا يتيم أبي طالب فنزلت * ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما أنزل واذا ما انزلت سورة وذكر تكذيب المنافقين ثم قال لقد جاءكم رسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم اتبع ذلك بذكر الكتاب الذي أنزل والنبي الذي أرسل وان ديدن الظالمين واحد منافقيهم ومشركيهم في التكذيب بالكتب الالهية وبمن جاء بها ولما كان ذكر القرآن مقدما على ذكر الرسول في آخر السورة جاء في أول هذه السورة كذلك فتقدم ذكر الكتاب على ذكر الرسول والظاهر أن تلك باقية على موضوعها من استعمالها البعد المشار اليه وقال مجاهد وقتادة أشار بتلك الى الكتب المتقدمة من التوراة والانجيل والزبور فتكون الآيات القصص التي وصفت في تلك الكتب وقال الزجاج اشارة الى آيات القرآن التي جرى ذكرها والهمزة في ﴿ أكان للناس ﴾ للاستفهام على سبيل الانكار لوقوع العجب من الايحاء الى بشر منهم (١٢١) بالانذار والتبشير أي لا عجب في ذلك فهي عادة الله في الامم السالفة أوحى الى رسلهم الكتب بالتبشير والانذار على أيدي من اصطفاهم منهم واسم كان انا أوحينا وعجبا الخبر وللناس قيل هو في موضع الحال من عجبا لانه لو تأخر لكان صفة فلما تقدم كان حالا وقيل يتعلق بقوله عجبا وليس مصدرا بل هو بمعنى معجب والمصدر اذا كان بمعنى المفعول جاز تقدم معموله عليه كاسم المفعول وقيل هو تبيين أي أعني للناس وقيل يتعلق بكان وان كانت ناقصة وهذا لا يتم الا اذا قدرت دالة على الحدوث فانها ان تمحضت للدلالة على الزمان لم يصح تعلق بها وقرأ عبد الله عجب فقيل عجب اسم كان وان أوحينا هو الخبر فيكون نظير قوله * يكون مزاجها عسل وماء * وهذا محمول على الشذوذ وهذا تخريج الزمخشري وابن عطية وقيل كان تامة وعجب فاعل بها والمعنى أحدث للناس عجب لأن أوحينا وهذا التوجيه حسن ﴿ وان أنذر ﴾ ان تفسيرية أو مصدرية مخففة من الثقيلة وأصله انه أنذر الناس على معنى ان الشأن قولنا أنذر الناس قاله الزمخشري ويجوز أن تكون ان المصدرية الثنائية الوضع لا المخففة من الثقيلة لانها توصل بالماضي والمضارع والامر فوصلت هنا بالامر وينسبك منها مع مصدر تقديره بانذار الناس وهذا الوجه أولى من التفسيرية لان الكوفيين لا يثبتون لان أن تكون تفسيرية ومن المصدرية المخففة من الثقيلة التقدير حذف اسمها واضمار خبرها وهو القول فيجتمع فيها حذف الاسم والخبر ولان التأصيل خير من دعوى الحذف بالتخفيف و ﴿ قدم صدق ﴾ قال ابن عباس وغيره هي الاعمال الصالحة من العبادات ﴿ عند ربهم ﴾ سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة ولما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد ﴿ ان هذا ﴾ هذا اشارة الى الايحاء بالانذار والتبشير ﴿ لسحر مبين ﴾ لشيء يعلل به وهو شيء لا حقيقة له كما قال * ونسحر بالطعام وبالشراب * أي نعلل بهما

الحكيم أكان للناس عجبا ان أوحينا الى رجل منهم ان أنذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لسحر مبين ﴾ هذه السورة مكية الاثلاث آيات فانها نزلت بالمدينة وهي فان كنت في شك الى آخرهن قاله ابن عباس * وقال الكلبي الاقوله ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به فانها نزلت في اليهود بالمدينة * وقال قوم نزل من أولها نحو من أربعين آية بمكة ونزل باقيها بالمدينة * وقال الحسن وعطاء وجابر هي مكية وسبب نزولها أن أهل مكة قالوا لم يجد الله رسولا الا يتيم أبي طالب فنزلت * وقال ابن جريج عجبت قريش ان يبعث رجل منهم فنزلت * وقيل لما حدثهم عن البعث والمعاد والنشور تعجبوا * ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما أنزل واذا ما أنزلت سورة وذكر تكذيب المنافقين ثم قال لقد جاءكم رسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم أتبع ذلك بذكر الكتاب الذي أنزل والنبي الذي أرسل وان ديدن الضالين واحد منافقيهم ومشركيهم في التكذيب بالكتب الالهية وبمن جاء بها ولما كان ذكر القرآن مقدما على ذكر الرسول في آخر السورة جاء في أول هذه السورة كذلك فتقدم ذكر الكتاب على ذكر الرسول وتقدم ما قاله المفسرون في أوائل هذه السورة المفتتحة بحروف المعجم وذكروا هنا أقوالا عن المفسرين منها أنا الله أرى ومنها انا الله الرحمن ومنها أنه يتركب منها ومن حم ومن نون الرحمن فالراء بعض حروف الرحمن مفرقة ومنها أنا الرب وغير ذلك والظاهر أن تلك باقية على موضوعها من استعمالها البعد المشار اليه * فقال مجاهد وقتادة أشار بتلك الى الكتب المتقدمة من التوراة والانجيل والزبور فيكون الآيات القصص التي وصفت في تلك الكتب * وقال الزجاج اشارة الى آيات القرآن التي جرى ذكرها * وقيل اشارة الى الكتاب المحكم الذي هو مخزون مكتوب عند الله ومنه نسخ كل كتاب كما قال بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ * وقال وانه في أم الكتاب * وقيل اشارة الى الرا وأخواتها من حروف المعجم أي تلك الحروف المفتتح بها السور وان قربت

ألفاظها فمعانيها بعيدة المنال وهي آيات الكتاب أي الكتاب بها يتلى وألفاظه اليها ترجع
ذكره ابن الانبارى * وقيل استعمل تلك بمعنى هذه لو المشار اليه حاضر قريب قاله ابن عباس
واختاره أبو عبيدة * فقيل آيات القرآن * وقيل آيات السور التي تقدم ذكرها في قوله واذا
ما أنزلت سورة * وقيل المشار اليه هو الراء فانها كنوز القرآن و بها العلوم التي استأثر الله بها
* وقيل اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة والحكيم الحاكم أو ذو
الحكمة لاشتماله عليها وتعلقه بها أو المحكم أو المحكوم به أو المحكم أقوال والهمزة في أكان للاستفهام
على سبيل الانكار لوقوع العجب من الايحاء الى بشر منهم بالانذار والتبشير أي لا عجب في ذلك
فهي عادة الله في الأمم السالفة أوحى الى رسلهم الكتب بالتبشير والانذار على أيدي من اصطفاه
منهم واسم كان ان أوحينا وعجبا الخبر وللناس فقيل هو في موضع الحال من عجبا لانه لو تأخر
لكان صفة فلما تقدم كان حالا * وقيل يتعلق بقوله عجبا وليس مصدرا بل هو بمعنى معجب والمصدر
اذا كان بمعنى المفعول جاز تقدم معموله عليه كاسم المفعول * وقيل هو تبيين أي أعنى للناس * وقيل
يتعلق بكان وان كانت ناقصة وهذا لا يتم الا اذا قدرت دالة على الحدث فانها ان تمحضت للدلالة على
الزمان لم يصح تعلق بها * وقرأ عبدالله عجب * فقيل عجب اسم كان وان أوحينا هو الخبر فيكون نظير
* يكون مزاجها عسل وماء * وهذا محمول على الشذوذ وهذا تخريج الزمخشرى وابن
عطية * وقيل كان تامة وعجب فاعل بها والمعنى أحدث للناس عجب لان أوحينا وهذا التوجيه حسن
ومعنى للناس عجبا انهم جعلوه لهم أعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم
وانكارهم * وقرأ رؤبة الى رجل بسكون الجيم وهي لغة تميمية يسكنون فعلا نحو سبع وعضد في
سبع وعضد ولما كان الانذار عاما كان متعلقه وهو الناس عاما والبشارة خاصة فكان متعلقها
خاصا وهو الذين آمنوا وأن أنذر أن تفسيرية أو مصدرية مخففة من الثقيلة وأصله انه أنذر الناس على
معنى ان الشأن قولنا أنذر الناس قاله الزمخشرى و يجوز أن تكون المصدرية الثنائية الوضع لا
المخففة من الثقيلة لانها توصل بالماضي والمضارع والأمر فوصلت هنا بالامر و ينسبك منها معه مصدر
تقديره بانذار الناس وهذا الوجه أولى من التفسيرية لان الكوفيين لا يثبتون لان أن تكون
تفسيرية ومن المصدرية المخففة من الثقيلة لتقدير حذف اسمها واضمار خبرها وهو القول فيجتمع
فيها حذف الاسم والخبر ولان التأصيل خير من دعوى الحذف بالتخفيف و بشر الذين آمنوا أن لهم
أي بأن لهم وحذفت الباء * وقدم صدق قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والربيع بن أنس وابن
زيد هي الاعمال الصالحة من العبادات * وقال الحسن وقتادة هي شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم
* وقال زيد بن أسلم وغيره هي المصيبة بمحمد صلى الله عليه وسلم * وقال ابن عباس وغيره هي السعادة
السابقة لهم في اللوح المحفوظ * وقال مقاتل سابقة خير عند الله قدموها والى هذا المعنى أشار وضاح
اليمن في قوله

مالك وضاح دائم الغزل * ألست تخشى تقارب الاجل
صل لذي العرش واتخذ قدما * ينجيك يوم العثار والزلل

* وقال قتادة أيضا سلف صدق * وقال عطاء مقام صدق * وقال يمان ايمان صدق * وقال الحسن
أيضا ولد صالح قدموه * وقيل تقديم الله في البعث لهذه الامة وفي ادخالهم الجنة كما قال نحن الآخرون
السابقون يوم القيامة * وقيل تقدم شرف * ومنه قول العجاج

ذل بني العوام من آل الحكم * وتركوا الملك لملك ذي قدم

* وقال الزجاج درجة عالية وعنه منزلة رفيعة * ومنه قول ذي الرمة

لكم قدم لاينكر الناس انها * مع الحسب العادى طمت على البحر

* وقال الزمخشرى قدم صدق عند ربهم سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة ولما كان السعى والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم فى الخير واضافته الى صدق دلالة على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة * وقال ابن عطية والصدق فى هذه الآية بمعنى الصلاح كما تقول رجل صدق وعن الاوزاعى قدم بكسر القاف تسمية بالمصدر * قال الكافرون ذهب الطبرى الى أن فى الكلام حذفا يدل الظاهر عليه تقديره فلما أنذر و بشر قال الكافرون كذا وكذا * قال ابن عطية قال الكافرون يحتمل أن يكون تفسيرا لقوله أكان للناس عجبا أن أوحينا الى بشر عجبا قال الكافرون عنه كذا وكذا * وقرأ الجمهور والعربيان ونافع لسحر اشارة الى الوحى و باقى السبعة وابن مسعود وأبو رزين ومسروق وابن جبير ومجاهد وابن وثاب وطلحة والاعمش وابن محيصن وابن كثير وعيسى بن عمرو بخلاف عنهما لساحر اشارة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وفى مصحف أبى ماهذا الا سحر * وقرأ الاعمش أيضا ماهذا الا ساحر * قال ابن عطية وقولهم فى الانذار والبشارة سحر انما هو بسبب انه فرق كلمتهم وحال بين القريب وقريبه فأشبه ذلك مايفعله الساحر وظنوه من ذلك الباب * وقال الزمخشرى وهذا دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين فى تسميته سحرا ولما كان قولهم فيما لا يمكن أن يكون سحرا ظاهر الفساد لم يحتج قولهم الى جواب لانهم يعلمون نشأته معهم بمكة وخلطتهم له وما كانت قلة علم ثم أتى به من الوحى المتضمن مالم يتضمنه كتاب الهى من قصص الاولين والاخبار بالغيوب والاشتمال على مصالح الدنيا والآخرة مع الفصاحة والبراعة التى أعجزتهم الى غير ذلك من المعانى التى تضمنها يقضى بفساد مقالتهم وقولهم ذلك هو ديدن الكفرة مع أنبيائهم اذا أتوهم بالمعجزات كما قال فرعون وقومه فى موسى عليه السلام ان هذا لساحر عليم قالوا ساحران تظاهرا وقوم عيسى عليه السلام ان هذا الا سحر مبين ودعوى السحر انما هى على سبيل العناد والجحد ﴿ ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ تقدم تفسير مثل هذه الجملة فى سورة الاعراف وجاء تاعقب ذكر القرآن والتنبيه على المعاد فى الاعراف ولقد جئناهم بكتاب فصلناه وقوله يوم يأتى تأويله وهنا تلك آيات الكتاب وذكر الانذار والتبشير وثمرتهما الانظهر الافى المعاد * ومناسبة هذه لما قبلها ان من كان قادرا على ايجاد هذا الخلق العلوى والسفلى العظيمين وهو ربكم الناظر فى مصالحكم فلا يتعجب أن يبعث الى خلقه من يحذر من مخالفته و يبشر على طاعته اذ ليس خلقهم عبثا بل على مااقتضته حكمته وسبقت به ارادته اذ القادر العظيم قادر على مادونه بطريق الاولى ﴿ يدبر الامر مامن شفيع الا من بعد اذنه ﴾ قال مجاهد أى يقضيه وحده والتدبير تنزيل الامور فى مراتبها والنظر فى أدبارها وعواقبها والامر قيل الخلق كله علويه وسفليه * وقيل يبعث بالامر ملائكة فجبريل للوحى وميكائيل للقطر وعزرائيل للقبض واسرافيل للصور وهذه الجملة بيان لعظيم شأنه وملكه ولما ذكر الايجاد ذكر ما يكون فيه من الامور وانه المنفرد به ايجادا وتدبيرا لا يشركه أحد فى ذلك وانه لا يجترئ أحد على الشفاعة عنده الا باذنه اذ هو تعالى أعلم بموضع الحكمة والصواب وفى هذه دليل على عظم عزته وكبريائه كما قال يوم يقوم الروح والملائكة صفا الآية ولما كان الخطاب عاما وكان الكفار يقولون عن أصنامهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله رد ذلك تعالى عليهم وناسب ذكر الشفاعة التى تكون فى القيامة بعد ذكر المبدأ ليجمع بين الطرفين الابتداء

﴿ ان ربكم الله ﴾ الآية تقدم تفسيرها فى الاعراف

والانتهاء * وقال أبو مسلم الاصبهاني الشفيع هنا من الشفع الذي يخالف الوتر فمعنى الآية انه أوجد العالم وحده لاشريك يعينه ولم يحدث شئ في الوجود الامن بعد أن قال له كن * وقال أبو البقاء يدبر الأمر يجوز أن يكون مستأنفا وخبرا ثانيا وحالا ﴿ ذلكم الله ربكم فاعبدوه ﴾ أي المتصف بالايجاد والتدبير والكبرياء هو ربكم الناظر في مصالحكم فهو المستحق للعبادة اذ لا يصلح لان يعبد الاهو تعالى فلا تشركوا به بعض خلقه ﴿ أفلا تذكرون ﴾ حض على التدبير والتفكر في الدلائل الدالة على ربوبيته واخلاص العبادة له ﴿ اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ﴾ ذكر ما يقتضي التذكير وهو كون مرجع الجميع اليه وأكد هذا الاخبار بأنه وعد الله الذي لاشك في صدقه ثم استأنف الاخبار وفيه معنى التعليل بابتداء الخلق واعادته وان مقتضى الحكمة بذلك هو جزاء المكلفين على أعمالهم وانتصب وعد الله وحقا على أنهما مصدران مؤكدان لمضمون الجملة والتقدير وعد الله وعدا فلما حذف الناصب أضاف المصدر الى الفاعل وذلك كقوله صبغة الله وصنع الله والتقدير في حقا حق ذلك حقا * وقيل انتصب حقا بوعد على تقدير في أي وعد الله في حق * وقال علي بن سليمان التقدير وقت حق وأنشد

أحقا عباد الله ان لست خارجا * ولا والجا الا علىّ رقيب

وقرأ عبد الله وأبو جعفر والاعمش وسهل بن شعيب أنه يبدأ بفتح الهمزة * قال الزمخشري هو منصوب بالفعل أي وعد الله تعالى بدء الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه وعد الله على لفظ الفعل ويجوز أن يكون مرفوعا بما نصب حقا أي حق حقا بدء الخلق كقوله

أحقا عباد الله ان لست جائيا * ولا ذاهبا الا علىّ رقيب

انتهى * وقال ابن عطية وموضعها النصب على تقدير أحق انه * وقال الفراء موضعها رفع على تقدير لحق أنه * قال ابن عطية ويجوز عندي أن يكون أنه بدلا من قوله وعد الله * قال أبو الفتح ان شئت قدرت لانه يبدأ فمن في قدرته هذا فهو غني عن اخلاف الوعد وان شئت قدرت وعد الله حقا أنه يبدأ ولا يعمل فيه المصدر الذي هو وعد الله لانه قد وصف ذلك بتمامه وقطع عمله * وقرأ ابن أبي عبلة حق بالرفع فهذا ابتداء وخبره انه انتهى وكون حق خبر مبتدأ وأنه هو المبتدأ هو الوجه في الاعراب كما تقول صحيح انك تخرج لان اسم ان معرفة والذي تقدمها في نحو هذا المثال نكرة والظاهر أن بدء الخلق هو النشأة الاولى واعادته هو البعث من القبور وليجزي متعلق بيعيده أي ليقع الجزاء على الاعمال * وقيل البدء من التراب ثم يعيده الى التراب ثم يعيده الى البعث * وقيل البدء نشأته من الماء ثم يعيده من حال الى حال * وقيل يبدؤه من العدم ثم يعيده اليه ثم يوجده * وقيل يبدؤه في زمرة الاشقياء ثم يعيده عند الموت الى زمرة الاولياء وبعكس ذلك * وقرأ طلحة يبدئ من أبدأ رباعيا وبدأ وأبدأ بمعنى وبالقسط معناه بالعدل وهو متعلق بقوله ليجزي أي ليثيب المؤمنين بالعدل والانصاف في جزائهم فيوصل كلا الى جزائه وثوابه على حسب تفاضلهم في الاعمال فينصف بينهم ويعدل اذ ليسوا كلهم متساوين في مقادير الثواب وعلى هذا يكون القسط منه تعالى * قال الزمخشري أو بقسطهم بما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا الصالحات لان الشرك ظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام لانفسهم وهذا أوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون انتهى فجعل القسط من فعل الذين آمنوا وهو على طريقة الاعتزال والظاهر أن والذين كفروا مبتدأ ويحتمل أن يكون معطوفا على قوله الذين آمنوا فيكون الجزاء بالعدل قد شمل الفريقين ولما كان

﴿ ذلكم الله ربكم ﴾ أي المتصف بالايجاد والتدبير والكبرياء وهو ربكم الناظر في مصالحكم فهو المستحق للعبادة اذ لا يصلح للعبادة الاهو تعالى فلا تشركوا به بعض خلقه ﴿ أفلا تذكرون ﴾ حض على التدبر والتفكر في الدلائل الدالة على ربوبيته واخلاص العبادة له تعالى ﴿ اليه مرجعكم ﴾ الآية ذكر ما يقتضي الذكر وهو كون مرجع الجميع اليه وأكد هذا الاخبار بأنه وعد الله الذي لاشك في صدقه ثم استأنف الاخبار وفيه معنى التعليل بابتداء الخلق واعادته وان مقتضى الحكمة بذلك هو جزاء المكلفين على أعمالهم وانتصب وعد الله حقا على انهما مصدران مؤكدان لمضمون الجملة والتقدير وعد الله وعدا فلما حذف الناصب أضاف المصدر الى الفاعل وذلك كقوله تعالى صبغة الله والتقدير في حقا حق ذلك حقا وقيل انتصب حقا بوعد على تقدير في أي وعد الله في حق وقال علي بن سليمان التقدير وقت حق وأنشد

أحقا عباد الله ان لست خارجا ولا والجا الا على رقيب

الحديث مع الكفار مفتتح السورة معهم ذكر شيئا من أنواع عذابهم فقال لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون وتقدم شرح هذا فى سورة الانعام ﴿هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ لما ذكر تعالى الدلائل على ربوبيته من ايجاد هذا العالم العلوى والسفلى ذكر ما أودع فى العالم العلوى من هذين الجوهرين النيرين المشرقين فجعل الشمس ضياء أى ذات ضياء أو مضيئة أو نفس الضياء مبالغة وجعل يحتمل أن تكون بمعنى صير فيكون ضياء مفعولا ثانيا ويحتمل أن تكون بمعنى خلق فيكون حالا والقمر نورا أى ذا نور أو منورا أو نفس النور مبالغة أوهما مصدران * وقيل يجوز أن يكون ضياء جمع ضوء كحوض وحياض وهذا فيه بعد ولما كانت الشمس أعظم جرما خصت بالضياء لانه هو الذى له سطوع ولمعان وهو أعظم من النور قال أرباب علم الهيئة الشمس قدر الارض مائة مرة وأربعا وستين مرة والقمر ليس كذلك فخص الاعظم بالاعظم وقد تقدم الفرق بين الضياء والنور فى قوله فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وقوله تعالى الله نور السموات والارض يقتضى أن النور أعظم وأبلغ فى الشروق والا فلم عدل الى الاقل الذى هو النور * فقال ابن عطية لفظة النور أحكم وأبلغ وذلك أنه شبه هداه ولطفه الذى يصيبه لقوم يهتدون وآخرين يضلون معه بالنور الذى هو أبدا موجود فى الليل وأثناء الظلام ولو شبهه بالضياء لوجب أن لا يضل أحد اذ كان الهدى يكون كالشمس التى لا تبقى معها ظلمة فمعنى الآية أنه تعالى جعل هداه فى الكفر كالنور فى الظلام فيهتدى قوم ويضل قوم آخرون ولو جعله كالضياء لوجب أن لا يضل أحد وبقى الضياء على هذا أبلغ فى الشروق كما اقتضت هذه الآية * وقرأ قنبل ضئاء هنا وفى الانبياء والقصص بهمزة قبل الالف بدل الياء ووجهت على أنه من المقلوب جعلت لامه عينا فكانت همزة وتطرفت الواو التى كانت عينا بعد ألف زائدة فانقلبت همزة وضعف ذلك بأن القياس الفرار من اجتماع همزتين الى تخفيف احداهما فكيف يتخيل الى تقديم وتأخير يؤدى الى اجتماعهما ولم يكونا فى الاصل والظاهر عود الضمير على القمر أى مسيره منازل أو قدره ذا منازل أو قدر له منازل فحذف وأوصل الفعل فانتصب بحسب هذه التقادير على الظرف أو الحال أو المفعول كقوله والقمر قدرناه منازل وعاد الضمير عليه وحده لانه هو المراعى فى معرفة عدد السنين والحساب عند العرب * وقال ابن عطية ويحتمل أن يريدهما معا بحسب انهما متصرفان فى معرفة عدد السنين والحساب لكنه اجتزئ بذكر أحدهما كما قال والله ورسوله أحق أن يرضوه وكما قال الشاعر

رمانى بأمر كنت منه ووالدى * بريئا ومن أجل الطوى رمانى

والمنازل هى البروج وكانت العرب تنسب اليها الانواء وهى ثمانية وعشرون منزلة الشرطين والبطين * والثريا * والدبران * والهقعة * والهنعة * والذراع * والنثرة * والطرف * والجبهة * والدبرة * والصرفة * والعواء * والسماك * والغفر * والزبانان * والاكليل * والقلب * والشولة * والنعائم * والبلدة * وسعد الذابح * وسعد بلع * وسعد السعود * وسعد الاخبية * والفرع المؤخر والرشاء وهو الحوت * واللام متعلقة بقوله وقدره منازل * قال الاصمعى سئل أبو عمرو عن الحساب أفتنصبه أو تجره فقال ومن يدرى ما عدد الحساب انتهى يريد أن الجر انما يكون مقتضيا أن الحساب يكون يعلم عدده والحساب لا يمكن أن يعلم منتهى عدده

﴿هو الذى جعل الشمس ضياء﴾ لما ذكر تعالى الدلائل على (١٢٥) ربوبيته من ايجاد هذا العالم العلوى والسفلى ذكر ما أودع فى العالم العلوى من هذين الجوهرين النيرين المشرقين فجعل الشمس ضياء أى ذات ضياء أو مضيئة أو نفس الضياء مبالغة وجعل يحتمل أن تكون بمعنى صير فيكون ضياء مفعولا ثانيا ويحتمل أن تكون بمعنى خلق فتكون حالا ﴿والقمر نورا﴾ أى ذا نور أو منورا أو نفس النور مبالغة اذ هما مصدران ولما كانت الشمس أعظم جرما خصت بالضياء لانه هو الذى له سطوع ولمعان وهو أعظم من النور والظاهر عود الضمير على القمر أى مسيره منازل أو قدره ذا منازل وعاد الضمير عليه وحده لانه هو المراعى فى معرفة عدد السنين والحساب عند العرب والمنازل هى البروج وكانت العرب تنسب اليها الانواء وهى ثمانية وعشرون منزلة الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك والغفر والزبانان والاكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية والفرع المقدم والفرع المؤخر والرشاء وهو الحوت واللام متعلقة بقوله وقدره منازل

والحساب حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي مما ينتفع به في المعاش والاجارات وغير ذلك مما يضطر فيه الى معرفة التواريخ * وقيل اكتفى بذكر عدد السنين عن عدد الشهور وكنى بالحساب عن المعاملات والاشارة بذلك الى مخلوقه وذلك يشار بها الى الواحد وقد يشار بها الى الجمع ومعنى بالحق متلبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا كما جاء ربنا ماخلقت هذا باطلا وماخلقنا السموات والارض ومابينهما لاعبين ماخلقناهما الا بالحق * وقال ابن جرير الحق هنا هو الله تعالى والمعنى ماخلق الله ذلك الا بالله وحده لاشريك معه انتهى وماقاله تركيب قلق اذ يصير ماضرب زيد عمرا الا بزيد * وقيل الباء بمعنى اللام أي للحق وهو اظهار صنعته وبيان قدرته ودلالة على وحدانيته * وقرأ ابن مصرف والحساب بفتح الحاء ورواه أبو توبة عن العرب * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص يفصل بالياء جريا على لفظة الله وباقي السبعة بالنون على سبيل الالتفات والاخبار بنون العظمة وخص من يعلم بتفصيل الآيات لهم لانهم الذين ينتفعون بتفصيل الآيات ويتدبرونها في الاستدلال والنظر الصحيح والآيات العلامات الدالة أو آيات القرآن ﴿ ان في اختلاف الليل والنهار وماخلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون ﴾ والاختلاف تعاقب الليل والنهار وكون أحدهما يخلف الآخر وما خلق الله في السموات من الاجرام النيرة التي فيها والملائكة المقيمين بها وغير ذلك مما يعلمه الله تعالى والارض من الجوامد والمعادن والنبات والحيوان وخص المتقين لانهم الذين يخافون العواقب فيحملهم الخوف على تدبرهم ونظرهم ﴿ ان الذين لايرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ﴾ الظاهر أن الرجاء هو التأميل والطمع أي لايؤملون لقاء ثوابنا وعقابنا * وقيل معناه لايخافون * قال ابن زيد وهذه الآية في الكفار والمعنى ان المكذب بالبعث ليس يرجو رحمة في الآخرة ولا يحسن ظنا بأنه يلقى الله وفي الكلام محذوف أي ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة كقوله أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة والمعنى أن منتهى غرضهم وقصارى آمالهم انما هو مقصور على مايصلون اليه في الدنيا واطمأنوا أي سكنوا اليها وقنعوا بها ورفضوا ماسواها والظاهر أن قوله والذين هم هو قسم من الكفار غير القسم الاول وذلك التكرير الموصول فيدل على المغايرة ويكون معطوفا على اسم ان ويكون أولئك اشارة الى صنفي الكفار ذي الدنيا المتوسع فيها الناظر في الآيات فلم يؤثر عنده رجاء لقاء الله بل رضي بالحياة الدنيا لتكذيبه بالبعث والجزاء والعادم التوسع الغافل عن آيات الله الدالة على الهداية ويحتمل أن يكون من عطف الصفات فيكون الذين هم عن آياتنا غافلون هم الذين لايرجون لقاء الله والظاهر ان واطمأنوا بها عطف على الصلة ويحتمل أن يكون واو الحال أي وقد اطمأنوا بها * والآيات قيل آيات القرآن * وقيل العلامات الدالة على الوحدانية والقدرة * وقال ابن زيد ما أنزلنا من حلال وحرام وفرض من حدود وشرائع أحكام وبما كانوا يكسبون اشعار بأن الاعمال السابقة يكون عنها العذاب وفي ذلك رد على الجبرية ونص على تعلق العقاب بالكسب ومجيئه بالمضارع دليل على أنهم لم يزالوا مستمرين على ذلك ماضي زمانهم ومستقبله ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم

السموات ﴾ من الاجرام النيرة التي فيها والملائكة المقيمين بها وغير ذلك مما يعلمه الله تعالى والارض من الجوامد والمعادن والنبات والحيوان وخص المتقين لانهم الذين يخافون العواقب فيحملهم الخوف على تدبرهم ونظرهم ﴿ ان الذين لايرجون لقاءنا ﴾ الظاهر أن الرجاء هو التأميل والطمع أي لايؤملون لقاء ثوابنا وعقابنا أو معنى لايخافون والظاهر أن قوله والذين هم هو قسم من الكفار غير القسم الاول وذلك لتكرير الموصول فيدل على المغايرة ويكون معطوفا على اسم ان ويكون أولئك اشارة الى صنفي الكفار ذي الدنيا الموسع فيها الناظر في الآيات فلم يؤثر عنده رجاء لقاء الله بل رضي بالحياة الدنيا لتكذيبه بالبعث والجزاء والعادم التوسع الغافل عن آيات الله الدالة على الهداية ويحتمل أن يكون من عطف الصفات فيكون الذين هم عن آياتنا غافلون هم الذين لايرجون لقاء الله والظاهر أن واطمأنوا بها عطف على الصلة ويحتمل ان تكون واو الحال أي وقد اطمأنوا بها والآيات قيل آيات القرآن أو العلامات الدالة على الوحدانية والقدرة ﴿ ان الذين آمنوا ﴾ الآية أي يرشدهم في هداهم بسبب ايمانهم السابق ويثبتهم أو يهديهم الى طريق الجنة بسبب ايمانهم السابق

وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين * أي يزيد في هداهم بسبب ايمانهم السابق وتثبتهم فأما الذين آمنوا فزادتهم أو يهديهم الى طريق الجنة بنور ايمانهم كما قال يسعى نورهم بين أيديهم وبايمانهم * قال مجاهد يكون لهم ايمانهم نورا يمشون به وفي الحديث اذا قام من قبره يمثل له رجل جميل الوجه طيب الرائحة فيقول من أنت فيقول أنا عملك الصالح فيقوده الى الجنة وبعكس هذا في الكافر * وقال ابن الانباري ايمانهم يهديهم الى خصائص المعرفة ومزايا في الالطاف تسر بها قلوبهم وتزول بها الشكوك والشبهات عنهم كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وهذه الزوائد والفوائد يجوز حصولها في الدنيا قبل الموت ويجوز حصولها بعد الموت * قال القفال واذا حملنا الآية على هذا كان المعنى يهديهم ربهم بايمانهم وتجري من تحتهم الانهار الا أنه حذف الواو * وقيل معناه تقدمهم الى الثواب من قول العرب القدم تهدي الساق * وقال الحسن يرحمهم * وقال الكلبي يدعوهم والظاهر أن تجري مستأنفا فيكون قد أخبر عنهم بخبرين عظيمين أحدهما هداية الله لهم وذلك في الدنيا والآخر بجريان الانهار وذلك في الآخرة كما تضمنت الآية في الكفار شيئين أحدهما اتصافهم بانتفاء رجاء لقاء الله وما عطف عليه والثاني مقرهم ومأواهم وذلك النار فصار تقسيما للفريقين في المعنى وتقدم قول القفال أن يكون تجري معطوفا حذف منه الحرف وان يكون حالا ومعنى من تحتهم أي من تحت منازلهم * وقيل من بين أيديهم وليس التحت الذي هو بالمسافة بل يكون الى ناحية من الانسان ومنه قد جعل ربك تحتك سريا وقال وهذه الانهار تجري من تحتي * قال الزمخشري (فان قلت) دلت هذه الآية على أن الايمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيامة هو الايمان المقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور (قلت) الأمر كذلك ألا ترى كيف أوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل كأنه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم أي بايمانهم المضموم اليه هذا العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه انتهى وهو على طريقة الاعتزال وجوزوا في جنات النعيم أن يتعلق بتجري وأن يكون حالا من الانهار وأن يكون خبرا بعد خبر لأن ومعنى دعواهم دعاؤهم ونداؤهم لأن اللهم نداء الله والمعنى اللهم انا نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد * وقيل عبادتهم كقوله وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ولا تكليف في الجنة فيكون ذلك على سبيل الابتهاج والالتذاذ وأطلق عليه العبادة مجازا * وقال أبو مسلم فعلهم واقرارهم * وقال القاضي طريقهم في تقديس الله وتحميده وتحيتهم أي ما يحيي به بعضهم بعضا فيكون مصدرا مضافا للمجموع لا على سبيل العمل بل يكون كقوله وكنا لحكمهم شاهدين * وقيل يكون مضافا الى المفعول والفاعل الله تعالى أو الملائكة أي تحية الله اياهم أو تحية الملائكة اياهم وآخر دعواهم أي خاتمة دعائهم وذكرهم * قال الزجاج أعلم تعالى أنهم يبتدئون بتنزيهه وتعظيمه ويختمون بشكره والثناء عليه * وقال ابن كيسان يفتتحون بالتوحيد ويختمون بالتحميد * وعن الحسن البصري يعزوه الى الرسول ان أهل الجنة يلهمون التحميد والتسبيح وان المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن لازم الحذف والجملة بعدها خبران وأن وصلتها خبر قوله وآخر * وقرأ عكرمة ومجاهد وقتادة وابن يعمر وبلال بن أبي بردة وأبو مجلز وأبو حيوة وابن محيصن ويعقوب ان الحمد بالتشديد ونصب الحمد قال ابن جني ودلت على أن قراءة الجمهور بالتخفيف ورفع الحمد هي على ان هي المخففة كقول الاعشى

والظاهر أن يكون تجري مستأنفا فيكون قد أخبر عنهم بخبرين عظيمين أحدهما هداية الله لهم وذلك في الدنيا والآخرة وبجريان الانهار وذلك في الآخرة كما تضمنت الآية في الكفار شيئين أحدهما اتصافهم بانتفاء رجاء لقاء الله وما عطف عليه والثاني مقرهم ومأواهم فصار تقسيما للفريقين في المعنى لما هداهم ونعمهم بالجنة نزهوا الله تعالى وقدسوه بقولهم سبحانك اللهم واللهم تقدم الكلام عليه *﴿تحيتهم﴾ أي تحية بعضهم لبعض أو تحية الملائكة لهم كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب وان هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن لازم الحذف والجملة بعدها خبران وأن وصلتها خبر قوله وآخر دعواهم وزعم صاحب النظم أن أن هنا زائدة والحمد لله خبر وآخر دعواهم وهو مخالف لنصوص النحويين

﴿ولو يعجل الله للناس الشر﴾ الآية قال مجاهد نزلت في دعاء الرجل على نفسه وماله أو ولده ونحو هذا فأخبر تعالى انه لو فعل مع الناس في اجابته الى المكروه مثل ما يريدون فعله معهم في اجابته الى الخير لأهلكهم وانتصب استعجالهم على انه مصدر تشبيهي تقديره استعجالا مثل استعجالهم وقال الزمخشري أصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم كأن استعجالهم بالخير تعجيل لهم انتهى مدلول عجل غير مدلول استعجل لان عجل يدل على الوقوع واستعجل يدل على طلب التعجيل وذلك واقع من الله تعالى وهذا مضاف اليهم فلا يكون التقدير على ما قاله الزمخشري فيحتمل وجهين ان يكون التقدير تعجيلا مثل استعجالهم بالخير فشبه التعجيل بالاستعجال لان طلبتهم الخير ووقوع تعجيله مقدم عندهم على كل شئ والثاني ان يكون ثم محذوف يدل عليه المصدر تقديره ولو يعجل الله للناس الشر اذا استعجلوا به استعجالهم بالخير لانهم كانوا يستعجلونه بالشر ووقوعه على سبيل التهكم كما كانوا يستعجلونه بالخير وقرئ لقضى مبنيا للمفعول أجلهم بالرفع ولقضى مبنيا للفاعل وفيه ضمير يعود على الله تعالى وأجلهم نصب على المفعول والفاء في فنذر جواب ما أخبر به عنهم على طريق الاستئناف تقديره فنحن نذر قاله الحوفي وقال أبو البقاء فنذر معطوف على فعل محذوف تقديره ولكن نمهلهم فنذر

في فتية كسيوف الهند قد علموا * ان هالك كل من يحفى وينتعل

يريد انه هالك اذا خففت لم تعمل في غير ضمير أمر محذوف وأجاز المبرد إعمالها كحالها مشددة وزعم صاحب النظم ان ان هنا زائدة والحمد لله خبر وآخر دعواهم وهو مخالف لنص سيبويه والنحويين وليس هذا من محال زيادتها ﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى اليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون﴾ قال مجاهد نزلت في دعاء الرجل على نفسه وماله أو ولده ونحو هذا فأخبر تعالى لو فعل مع الناس في اجابته الى المكروه مثل ما يريدون فعله منهم في اجابته الى الخير لاهلكهم ثم حذف بعد ذلك من القول جملة يتضمنها الظاهر تقديرها فلا يفعل ذلك ولكن نذر الذين لا يرجون فاقتضب القول ووصل الى هذا المعنى بقوله فنذر الذين لا يرجون فتأمل هذا التقدير تجده صحيحا قاله ابن عطية * وقيل نزلت في قولهم إئتنا بما تعدنا وما جرى مجراه * وقال الزمخشري والمراد أهل مكة وقولهم فأمطر علينا حجارة يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير لأميتوا وأهلكوا (فان قلت) كيف اتصل به فنذر الذين لا يرجون لقاءنا وما معناه (قلت) قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كأنه قال ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم أجلهم فنذرهم في طغيانهم أو فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم * ومناسبة هذه الآية لما قبلها انه تعالى لما ذكر عجب الناس من ايحاء الله الى رجل منهم وكان فيما أوحى اليه الانذار والتبشير وكانوا يستهزؤن بذلك ولا يعتقدون حلول ما أنذروه بهم فقالوا أمطر علينا حجارة وقال اخبارا عنهم ويستعجلونك بالعذاب وقالوا فأتنا بما تعدنا ثم استطرد من ذلك الى وحدانيته تعالى وذكر ايجاده العالم ثم الى تقسيم الناس الى مؤمن وكافر وذكر منازل الفريقين ثم رجع الى أن ذلك المنذر به الذي طلبوا وقوعه معجلا لو وقع لهلكوا فلم يكن في إهلاكهم رجاء ايمان بعضهم وإخراج مؤمن من صلبهم بل اقتضت حكمته أن لا يعجل لهم ما طلبوه لما ترتب على ذلك وانتصب استعجالهم على أنه مصدر مشبه به * فقال الزمخشري أصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجاله لهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير إشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم كأن استعجالهم بالخير تعجيل لهم * وقال الحوفي وابن عطية التقدير مثل استعجالهم وكذا قدره أبو البقاء ومدلول عجل غير مدلول استعجل لان عجل يدل على الوقوع واستعجل يدل على

(الدر)

سورة يونس عليه السلام

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى اليهم أجلهم (ش) أصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله فوضع استعجاله لهم بالخير موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم كان استعجالهم بالخير تعجيل لهم (ح) مدلول عجل غير مدلول استعجل لان عجل يدل على الوقوع واستعجل يدل على طلب التعجيل وذلك واقع من الله وهذا مضاف اليهم فلا يجوز التقدير على ما قاله (ش) فيحتمل وجهين أحدهما أن يكون التقدير تعجيلا مثل استعجالهم بالخير فشبه التعجيل بالاستعجال لان طلبتهم للخير ووقوع تعجيله مقدم عندهم على كل شئ والثاني أن يكون ثم محذوف يدل عليه المصدر تقديره ولو يعجل الله للناس الشر اذا استعجلوا به استعجالهم بالخير لانهم كانوا يستعجلون بالشر ووقوعه على سبيل التهكم كما كانوا يستعجلون بالخير

﴿وإذا مس الانسان الضر﴾ الآية مناسبتها لما قبلها انهم لما استدعوا حلول الشر بهم وانه تعالى لا يفعل ذلك بطلبهم بل يترك من لا يرجو لقاءه يعمه في طغيانه بين شدة افتقار الناس اليه واضطرارهم (١٢٩) الى استمطار احسانه مسيئهم ومحسنهم والظاهر انه لا يراد بالانسان هنا شخص معين وانه لا يراد به الكافر بل المراد الانسان من حيث هو سواء كان كافرا أو عاصيا بغير الكفر ولجنبه حال أي مضطجعا ولذلك عطف عليه الحالان وذو الحال الضمير في دعانا والعامل فيه دعانا أي دعانا متلبسا بأحد هذه الاحوال واحتملت هذه الأحوال الثلاثة أن تكون لشخص واحد واحتملت أن تكون لأشخاص اذ الانسان جنس والمعنى ان الذى أصابه الضر لا يزال داعيا ملتجئا راغبا الى الله تعالى في جميع حالاته كلها وابتدأ بالحالة الشاقة وهي اضطجاعه وعجزه عن النهوض وهي أعظم في الدعاء وآكد ثم بما يليها وهي حالة القعود وهي حالة العجز عن القيام ثم بما يليها وهي حالة القيام وهي حالة العجز عن المشى فتراه يضطرب ولا ينهض للمشى كحالة الشيخ الهرم والجملة من قوله كأن لم يدعنا الى ضر مسه في موضع الحال أي الى كشف ضر مسه والكاف من كذلك في موضع نصب أي مثل ذلك والاشارة بذلك الى تزيين الاعراض عن الابتهال الى الله تعالى عند كشف الضر وعدم شكره وذكره على ذلك

طلب التعجيل وذلك واقع من الله وهذا مضاف اليهم فلا يكون التقدير على ما قاله الزمخشري فيحتمل وجهين أحدهما أن يكون التقدير تعجيلا مثل استعجالهم بالخير فشبه التعجيل بالاستعجال لان طلبهم للخير ووقوع تعجيله مقدم عندهم على كل شيء والثاني أن يكون ثم محذوف يدل عليه المصدر تقديره ولو يعجل الله للناس الشر اذا استعجلوا به استعجالهم بالخير لانهم كانوا يستعجلون بالشر ووقوعه على سبيل التهكم كما كانوا يستعجلون بالخير * وقرأ ابن عامر لقضى مبنيا للفاعل أجلهم بالنصب والاعمش لقضينا وباقي السبعة مبنيا للمفعول وأجلهم بالرفع وقضى أكمل والفاء في فنذر جواب ما أخبر به عنهم على طريق الاستئناف تقديره فنحن نذر قاله الحوفي وقال أبو البقاء فنذر معطوف على فعل محذوف تقديره ولكن نمهلهم فنذر ﴿وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون﴾ ومناسبة هذه الآية لما قبلها انه لما استدعوا حلول الشر بهم وانه تعالى لا يفعل ذلك بطلبهم بل يترك من يرجو لقاءه يعمه في طغيانه بين شدة افتقار الناس اليه واضطرارهم الى استمطار احسانه مسيئهم ومحسنهم وأن من لا يرجو لقاءه مضطر اليه حاله مس الضر له فكل يلجأ اليه حينئذ ويفرده بانه القادر على كشف الضر والظاهر أنه لا يراد بالانسان هنا شخص معين كما قيل انه أبو حذيفة هاشم بن المغيرة بن عبد الله المخزومي قاله ابن عباس ومقاتل * وقيل عقبة بن ربيعة * وقيل الوليد بن المغيرة * وقيل هما قاله عطاء * وقيل النضر بن الحرث وانه لا يراد به الكافر بل المراد الانسان من حيث هو سواء كان كافرا أم عاصيا بغير الكفر واحتملت هذه الاقوال الثلاثة أن تكون لشخص واحد واحتملت أن تكون لاشخاص اذ الانسان جنس والمعنى ان الذى أصابه الضر لا يزال داعيا ملتجئا راغبا الى الله في جميع حالاته كلها وابتدأ بالحالة الشاقة وهي اضطجاعه وعجزه عن النهوض وهي أعظم في الدعاء وآكد ثم بما يليها وهي حالة القعود وهي حالة العجز عن القيام ثم بما يليها وهي حالة القيام وهي حالة العجز عن المشى فتراه يضطرب ولا ينهض للمشى كحالة الشيخ الهرم ولجنبه حال أي مضطجعا ولذلك عطف عليه الحالان واللام على بابها عند البصريين والتقدير ملقيا لجنبه لا بمعنى على خلافا لزاعمه وذو الحال الضمير في دعانا والعامل فيه دعانا أي دعانا ملتبسا باحد هذه الاحوال * وقال ابن عطية ويجوز أن يكون حالا من الانسان والعامل فيه مس ويجوز أن يكون حالا من الفاعل في دعانا والعامل فيه دعا وهما معنيان متباينان والضر لفظ عام لجميع الامراض والرزايا في النفس والمال والاحبة هذا قول اللغويين * وقيل هو مختص برزايا البدن الهزال والمرض انتهى والقول الاول قول الزجاج وضعف أبو البقاء أن يكون لجنبه فما بعده أحوالا من الانسان والعامل فيها مس قال لامرين أحدهما ان الحال على هذا واقع بعد جواب اذا وليس بالوجه والثاني ان المعنى كثرة دعائه في كل أحواله لا على الضر يصيبه في كل أحواله وعليه آيات كثيرة في القرآن انتهى وهذه الثاني يلزم فيه من مسه الضر في هذه الاحوال دعاؤه في هذه الاحوال لانه جواب ما ذكرت فيه هذه الاحوال فالقيد في حيز الشرط قيد في الجواب كما تقول

اذا جاء نازيد فقيرا أحسنا اليه فالمعنى أحسنا اليه فى حال فقره فالقيد فى الشرط قيد فى الجزاء ومعنى كشف الضر رفعه وازالته كانه كان غطاء على الانسان ساترا له * وقال صاحب النظم واذا مس الانسان وصفه للمستقبل وفلما كشفنا للماضى فهذا النظم يدل على أن معنى الآية أنه هكذا كان فيما مضى وهكذا يكون فى المستقبل فدل ما فى الآية من الفعل المستقبل على ما فيه من المعنى المستقبل وما فيه من الفعل الماضى على ما فيه من المعنى الماضى انتهى والمرور هنا مجاز عن المضى على طريقته الاولى من غير ذكر لما كان عليه من البلاء والضر * وقال مقاتل أعرض عن الدعاء * وقيل مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به وهذا قريب من القول الذى قبله والجملة من قوله كان لم يدعنا الى ضر مسه فى موضع الحال أى الى كشف ضر مسه * قال ابن عطية وقوله مر يقتضى أن نزولها فى الكفار ثم هى بعد تتناول كل من دخل تحت معناها من كافر وعاص يعنى الآية مر فى اشراكه بالله وقلة توكله عليه انتهى والكاف من كذلك فى موضع نصب أى مثل ذلك وذلك اشارة الى تزيين الاعراض عن الابتهال الى الله تعالى عند كشف الضر وعدم شكره وذكره على ذلك وزين مبنى للمفعول فاحتمل أن يكون الفاعل الله اما على سبيل خلق ذلك واختراعه فى قلوبهم كما يقول أهل السنة واما بتخليته وخذلانه كما تقول المعتزلة أو الشيطان بوسوسته ومخادعته * قيل أو النفس وفسر المسرفون بالكافرين والكافر مسرف لتضييعه السعادة الابدية بالشهوة الخسيسة المنقضية كما يضيع المنفق ماله متجاوزا فيه الحد ما كانوا يعملون من الاعراض عن جناب الله وعن اتباع الشهوات ﴿ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون ﴾ هذا اخبار لمعاصرى الرسول صلى الله عليه وسلم وخطاب لهم باهلاك من سلف قبلهم من الامم بسبب ظلمهم وهو الكفر على سبيل الردع لهم والتذكير بحال من سبق من الكفار والوعيد لهم وضرب الامثال فكما فعل بهؤلاء يفعل بكم ولفظة لما مشعرة بالعلية وهى حرف تعليق فى الماضى ومن ذهب الى أنها ظرف معمول لأهلكنا كالزمخشرى متبعا لغيره فانما يدل إذ ذاك على وقوع الفعل فى حين الظلم فلا يكون لها اشعار إذ ذاك بالعلية لو قلت جئت حين قام زيد لم يكن مجيئك متسببا عن قيام زيد وأنت ترى حيثما جاءت لما كان جوابها أو ما قام مقامه متسببا عما بعدها فدل ذلك على صحة مذهب سيبويه من أنها حرف وجوب لوجوب وجاءتهم ظاهره انه معطوف على ظلموا أى لما حصل هذان الامران مجىء الرسل بالبينات وظلمهم أهلكوا * وقال الزمخشرى والواو فى وجاءتهم للحال أى ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهى المعجزات انتهى * وقال مقاتل البينات مخوفات العذاب والظاهر أن الضمير فى قوله وما كانوا عائدا على القرون وانه معطوف على قوله ظلموا وجوز الزمخشرى أن يكون اعتراضا لا معطوفا قال واللام لتأكيد النفى بمعنى وما كانوا يؤمنون حقا تأكيد لنفى ايمانهم وان الله تعالى قد علم انهم مصرون على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم والمعنى ان السبب فى اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فائدة فى امهالهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثة الرسل انتهى * وقال مقاتل الضمير فى قوله وما كانوا ليؤمنوا عائد على أهل مكة فعلى قوله يكون التفاتا لأنه خرج من ضمير الخطاب الى ضمير الغيبة ويكون متسقا مع قوله واذا تتلى عليهم والكاف فى كذلك فى موضع نصب أى مثل ذلك الجزاء وهو الاهلاك نجزى القوم المجرمين فهذا وعيد شديد لمن أجرم يدخل فيه أهل مكة وغيرهم

﴿ولقد أهلكنا القرون﴾ الآية هذا اخبار لمعاصرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطاب لهم باهلاك من سلف قبلهم من الأمم بسبب ظلمهم وهو الكفر على سبيل الردع لهم والتذكير بحال من سبق من الكفار والوعيد لهم بضرب الامثال فكما فعل بهؤلاء يفعل بكم ولفظة لما مشعرة بالعلية وهى حرف تعليق فى الماضى وجاءتهم ظاهره أنه معطوف على ظلموا اى لما حصل هذان الامران مجىء الرسل بالبينات وظلمهم أهلكوا والظاهر أن الضمير فى وما كانوا عائد على القرون وانه معطوف على قوله ظلموا والكاف فى كذلك فى موضع نصب اى مثل ذلك الجزاء وهو الاهلاك نجزى القوم المجرمين فهذا وعيد شديد لمن أجرم يدخل فيه أهل مكة وغيرهم والخطاب فى ﴿جعلناكم﴾ لمن بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى استخلفناكم فى الارض بعد القرون المهلكة ﴿لننظر كيف تعملون﴾ خيرا أم شرا فنعاملكم على حسب عملكم ومعنى لننظر ليتبين فى الوجود ما علمناه ازلا فالنظر مجاز عن هذا

﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا ﴾ الآية قال ابن عباس وابن الكلبي نزلت في المستهزئين بالقرآن من أهل مكة. قالوا يا محمد ائت بقرآن غير هذا فيه ما نسألك والتبديل يكون في الذات بأن تجعل ذات بدل ذات أخرى و يكون في الصفة وهو أن يزال بعض نظمه بأن يجعل مكان آية العذاب آية الرحمة ولما كان الاتيان بقرآن غير هذا (١٣١) غير مقدور للانسان لم يحتج الى نفيه ونفى ما هو مقدور للانسان وان كان مستحيلا ذلك في حقه صلى الله عليه وسلم فقيل له قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي قل لو شاء الله ما تلوته الآية هذه مبالغة في التبرئة مما طلبوا منه اي أن تلاوته عليهم هذا القرآن انما هو بمشيئة الله تعالى واحداثه أمرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل أمي لم يتعلم ولم يسمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلدة فيها علماء فيقرأ عليهم كتابا فصيحا يبهر كلام كل فصيح و يعلو كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من الاصول والفروع وأخبار ما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله تعالى وقد بلغ بين ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على احواله ولا يخفى عليكم شيء من اسراره ولا سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به أحد من أقرب الناس منه وألصقهم به ومفعول شاء محذوف أي قل لو شاء الله أن لا أتلوه وجاء جواب لو على الفصيح من عدم اتيان اللام لكونه منفيا بما و يقال دريت به وأدريت زيدا به والمعنى ولا أعلمكم به على لساني ونبه على أن ذلك وحي من الله باقامته فيهم عمرا وهو أربعون سنة من قبل ظهور القرآن على لساني يافعا وكهلا لم تجربوني في كذب ولا تعاطيت شيأ من هذا ولا عانيت اشتغالا فكيف أتهم باختلاقه والظاهر عود الضمير في من قبله على القرآن

* وقرأت فرقة يجزي بالياء أي يجزي الله وهو التفات والخطاب في جعلناكم لمن بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقيل خطاب لمشركي مكة والمعنى استخلفناكم في الارض بعد القرون المهلكة لننظر أتعملون خيرا أم شرا فنعاملكم على حسب عملكم ومعنى لننظر لنتبين في الوجود ما علمناه أولا فالنظر مجاز عن هذا * قال الزمخشري فان قلت كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة (قلت) هو مستعار للعلم المحقق الذي هو علم بالشيء موجود أشبه بنظر الناظر وعيان المعاين في حقيقته انتهى وفيه دسيسة الاعتزال وانه يلزم من النظر المقابلة وفيه انكار وصفه تعالى بالبصير ورده الى معنى العلم * وقيل لننظر هو على حذف مضاف أي لينظر رسلنا وأولياؤنا وأسند النظر الى الله مجازا وهو لغيره * وقرأ يحيى بن الحرث الزماري لنظر بنون واحدة وتشديد الظاء وقال هكذا رأيته في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه و يعني انه رآها بنون واحدة لأن النقط والشكل بالحركات والتشديدات انما حدث بعد عثمان ولا يدل كتبه بنون واحدة على حذف النون من اللفظ ولا على ادغامها في الظاء لأن ادغام النون في الظاء لا يجوز ومسوغ حذفها انه لا أثر لها في الانف فينبغي أن تحمل قراءة يحيى على انه بالغ في اخفاء الغنة فتوهم السامع انه ادغام فنسب ذلك اليه وكيف معمولة لتعملون والجملة في موضع نصب لننظر لأنها معلقة وجاز التعليق في نظر وان لم يكن من أفعال القلوب لأنها وصلة فعل القلب الذي هو العلم ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ان أتبع الا ما يوحى الي اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾ قال ابن عباس والكلبي نزلت في المستهزئين بالقرآن من أهل مكة قالوا يا محمد ائت بقرآن غير هذا فيه ما نسألك * وقال مجاهد وقتادة نزلت في جماعة من مشركي مكة * وقال مقاتل في خمسة نفر عبد الله بن أمية المخزومي والوليد ابن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس العامري والعاص بن وائل * وقيل الخمسة الوليد والعاصي والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث والحرث بن حنظلة وروي هذا عن ابن عباس * قال الزمخشري غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين فقالوا ائت بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك * وقال ابن عطية نزلت في قريش لأن بعض كفار قريش قال هذه المقالة على معنى ساهلنا يا محمد واجعل هذا الكلام الذي من قبلك هو باختيارنا وأحل ما حرمته وحرم ما أحللته ليكون أمرنا حينئذ واحدا وكلمتنا متصلة انتهى و نبه تعالى على الوصف الحامل لهم على هذه المقالة وهو كونهم لا يؤمنون بالبعث والجزاء على ما اقترفوه والمعنى واذا تسرد عليهم آيات القرآن واضحات نيرات لا لبس فيها قالوا كيت وكيت وأضيفت الآيات اليه تعالى لأنها كلامه جل وعز والتبديل يكون في الذات بأن يجعل بدل ذات ذات أخرى و يكون في الصفة والتبديل هنا هو في الصفة وهو ان يزال بعض نظمه بأن يجعل مكان آية العذاب آية الرحمة ولا يراد بالتبديل هنا ان يكون في الذات لأنه يلزم جعل الشيء المقتضي للتغاير هو الشيء

بعينه لأن التبديل في الذات هو الاتيان بقرآن غيرهذا ولما كان الاتيان بقرآن غير هذا غير مقدور للانسان لم يحتج الى نفيه ونفي ماهو مقدور للانسان وان كان مستحيلا ذلك في حقه صلى الله عليه وسلم فقيل له قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي وانتفاء الكون هنا هو كقوله تعالى ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أي يستحيل ذلك ويحتمل أن يكون التبديل في الذات على أن يلحظ في قوله ائت بقرآن غير هذا بقاء هذا القرآن ويؤتى بقرآن غيره فيكون أو بدله بمعنى أزله بالكلية وائت ببدله فيكون المطلوب أحد أمرين اما ازالته بالكلية وهو التبديل في الذات أو الاتيان بغيره مع بقائه فيحصل التغاير بين المطلوبين وتلقاء مصدر كالبنيان ولم يجئ مصدر على تفعال غيرهما ويستعمل ظرفا للمقابلة تقول زيد تلقاءك وقرئ بفتح التاء وهو قياس المصادر التي للمبالغة كالتطواف والتجوال والترداد والمعنى من قبل نفسي ان أتبع فيما آمركم به وما أنهاكم عنه من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل الا ما يجيئني خبره من السماء واستدل بقوله ان أتبع الا ما يوحى الي على نفي الحكم بالاجتهاد وعلى نفي القياس وانما قالوا ائت بقرآن غير هذا أو بدله لأنهم كانوا لا يعترفون بأن القرآن معجز أو ان كانوا عاجزين عن الاتيان بمثله ألا ترى الى قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقولهم افترى على الله كذبا ولا يمكن أن يريدوا ائت بقرآن غير هذا أو بدله من جهة الوحي لقوله اني أخاف * قال الزمخشري (فان قلت) فما كان غرضهم وهم أدهى الناس وأنكرهم في هذا الاقتراح (قلت) المكر والكيد أما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه انه من عندك وانك لقادر على مثله فأبدل مكانه آخر وأما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما أن يهلكه الله فنجو منه أو لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله تعالى انتهى وان عصيت بالتبديل من تلقاء نفسي وتقدم اتباع الوحي وترك العمل به وهو شرط جوابه محذوف دل عليه ما قبله واليوم العظيم هو يوم القيامة ووصف بالعظم لطوله أو لكثرة شدائده أو للمجموع وانظر الى حسن هذا الجواب لما كان أحد المطلوبين التبديل بدأ به في الجواب ثم أتبع بأمر عام يشمل انتفاء التبديل وغيره ثم أتى بالسبب الحامل على ذلك وهو الخوف وعلقه بمطلق العصيان فبأدنى عصيان ترتب الخوف * قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون * هذه مبالغة في التبرئة مما طلبوا منه أي ان تلاوته عليهم هذا القرآن انما هو بمشيئة الله تعالى واحداثه أمرا عجيبا خارجا عن العادات وهو أن يخرج رجل أمي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلدة فيها علماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا يبهر كلام كل فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الاصول والفروع واخبار ما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله تعالى وقد بلغ بين ظهرانيكم أربعين سنة تطلعون على أحواله ولا يخفى عليكم شئ من أسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به أحد من أقرب الناس اليه وألصقهم به ومفعول شاء محذوف أي قل لو شاء الله أن لا أتلوه وجاء جواب لو على الفصيح من عدم اتيان اللام لكونه منفيا بما ويقال دريت به وأدريت زيدا به والمعنى ولا أعلمكم به على لساني * وقرأ قنبل والبزي من طريق النقاش عن أبي ربيعة عنه ولأدراكم بلام دخلت على فعل مثبت معطوف على منفي والمعنى ولأعلمكم به من غير طريقي وعلى لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني بهذه الكرامة ورآني لها أهلا دون الناس * وقراءة الجمهور ولا أدراكم به فلا مؤكدة وموضحة ان الفعل منفي لكونه معطوفا

على منفي وليست لا هي التي تنفي الفعل بها لانه لا يصح نفي الفعل بلا اذا وقع جوابا والمعطوف على الجواب جواب وأنت لا تقول لو كان كذا لا كان كذا انما يكون ما كان كذا * وقرأ ابن عباس وابن سيرين والحسن وأبو رجاء ولا ادرأتكم به بهمزة ساكنة وخرجت هذه القراءة على وجهين أحدهما ان الاصل أدريتكم بالياء فقلبها همزة على لغة من قال لبأت بالحج ورثأت زوجي بأبيات يريد لبيت ورثيت وجاز هذا البدل لان الالف والهمزة من واد واحد ولذلك اذا حركت الالف انقلبت همزة كما قالوا في العالم العألم وفي المشتاق المشتأق والوجه الثاني ان الهمزة أصل وهو من الدرء وهو الدفع يقال درأته دفعته كما قال ويدرأ عنها العذاب ودرأته جعلته دارئا والمعنى ولأجعلنكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال وتكذبونني وزعم أبو الفتح انما هي أدريتكم فقلب الياء ألفا لانفتاح ما قبلها وهي لغة لعقيل حكاها قطرب يقولون في أعطيتك أعطأتك * وقال أبو حاتم قلب الحسن الياء ألفا كما في لغة بني الحرث بن كعب السلام علاك قيل ثم همز على لغة من قال في العالم العألم * وقرأ شهر ابن حوشب والاعمش ولا أنذرتكم به بالنون والذال من الانذار وكذا هي في حرف ابن مسعود ونبه على ان ذلك وحي من الله تعالى باقامته فيهم عمرا وهو أربعون سنة من قبل ظهور القرآن على لساني يافعا وكهلا لم تجربوني في كذب ولا تعاطيت شيأ من هذا ولا عانيت اشتغالا فكيف أتهم باختلاقه أفلا تعقلون ان من كان بهذه الطريقة من مكثه الازمان الطويلة من غير تعلم ولا تتلمذ ولا مطالعة كتاب ولا مراس جدال ثم أتى بما ليس يمكن أن يأتي به أحد ولا يكون الا محقا فيما أتى به مبلغا عن ربه ما أوحي اليه وما اختصه به كما جاء في حديث هرقل هل جربتم عليه كذبا قال لا فقال لم يكن ليدع الكذب على الخلق ويكذب على الله وأدغم ثاء لبثت أبو عمرو وأظهرها باقي السبعة * وقرأ الاعمش عمرا باسكان الميم والظاهر عود الضمير في من قبله على القرآن وأجاز الكرماني أن يعود على التلاوة وعلى النزول وعلى الوقت يعني وقت نزوله ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون﴾ تقدم تفسير مثل هذا الكلام ومساقه هنا باعتبارين أحدهما انه لما قالوا ائت بقرآن غير هذا أو بدله كان في ضمنه أنهم ينسبونه الى انه ليس من عند الله وانما هو اختلاق فبولغ في ظلم من افترى على الله كذبا كما قال فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله وقد قام الدليل القاطع على أن هذا القرآن هو من عند الله وقد كذبتم بآياته فلا أحد أظلم منكم والاعتبار الثاني ان ذلك توطئة لما يأتي بعده من عبادة الاوثان أي لا أحد أظلم منكم في افترائكم على الله ان له شريكا وان له ولدا وفيما نسبتم اليه من التحليل والتحريم ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ الضمير في ويعبدون عائد على كفار قريش الذين تقدمت محاورتهم وما لا يضرهم ولا ينفعهم هو الاصنام جماد لا تقدر على نفع ولا ضر قيل ان عبدوها لم تنفعهم وان تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود أن يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان أهل الطائف يعبدون اللات وأهل مكة العزى ومناة وأسافا ونائلة وهبل والاخبار بهذا عن الكفار هو على سبيل التجهيل والتحقير لهم ولمعبوداتهم والتنبيه على انهم عبدوا من لا يستحق العبادة وفي قوله من دون الله دلالة على انهم كانوا يعبدون الاصنام ولا يعبدون الله * قال ابن عباس يعنون في الآخرة * وقال النضر بن الحرث اذا كان يوم القيامة شفعت في اللات والعزى * وقال الحسن شفعاؤنا في اصلاح معايشنا في الدنيا

﴿فمن أظلم﴾ تقدم الكلام عليه ﴿ويعبدون من دون الله﴾ الضمير عائد على كفار قريش الذين تقدمت محاورتهم و﴿ما لا يضرهم ولا ينفعهم﴾ هو الاصنام جماد لا تقدر على نفع ولا ضر قيل ان عبدوها لم تنفعهم وان تركوها لم تضرهم ومن حق المعبود أن يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان أهل الطائف يعبدون اللات وأهل مكة يعبدون العزى ومناة واسافا ونائلة وهبل وفي قوله من دون الله دلالة على انهم يعبدون الأصنام ولا يعبدون الله قال ابن عباس يعنون في الآخرة أي النفع والضر ﴿أتنبئون﴾ استفهام على سبيل التهكم بما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الأصنام واعلام بأن الذي أنبئوا به باطل غير منطو تحت الصحة فكأنهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه

لأنهم لايقرون بالبعث وأتنبؤن استفهام على سبيل التهكم بما ادّعوه من المحال الذى هو شفاعة الاصنام واعلام بأن الذى أنبأوا به باطل غير منطو تحت الصحة فكأنهم يخبرونه بشئ لايتعلق به علمه وما موصولة بمعنى الذى * قال الزمخشرى بكونهم شفعاء عنده وهو انباء ماليس بمعلوم لله تعالى واذا لم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لان الشئ مايعلم و يخبر عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه انتهى فتكون ما واقعة على الشفاعة والفاعل بيعلم هو الله والمفعول الضمير المحذوف العائد على ما وقوله فى السموات ولا فى الارض تأكيد لنفيه لان مالم يوجد فيهما فهو منتف معدوم قاله الزمخشرى وفى التحرير أتنبؤن معناه التهكم والتقريع والتوبيخ والانكار والمعنى على هذا أتخبرون الله بما يعلم خلافه فى السموات والأرض فان صفات الذات لا يجرى فيها النفى * وقيل أتخبرون الله بما لايعلمه موجودا فى السموات والارض فكيف يصح وجود مالايعلمه الله وهو كما يقال للرجل قد قلت كذا فيقول ماعلم الله هذا منى أى ما كان هذا قط اذ لو كان لعلمه الله انتهى والذى يظهر ان ما موصول يراد به الاصنام لا الشفاعة التى ادعوها والفاعل بيعلم ضمير يعود على ما لا على الله وذلك على حذف مضاف والمعنى قل أتعلمون الله بشفاعة الاصنام التى انتفى علمها فى السموات والارض أى ليست متصفة بعلم البتة فيكون ذلك ردا عليهم فى دعواهم انها تشفع عند الله لان من كان منتفيا عنه العلم فكيف يشفع وهو لايعلم من يشفع فيه ولا ما يشفع فيه ولا من تشفع عنده كما رد عليهم فى العبادة بقوله مالا يضرهم ولا ينفعهم فانتفاء الضر والنفع قادح فى العبادة وانتفاء العلم قادح فى الشفاعة فتبطل العبادة ودعوى الشفاعة ويكون قوله فى السموات والارض على هذا تنبيها على محال المعبودات المدعى شفاعتهم إذ من المعبودات السماوية الكواكب كالشمس والشعرى * وقرئ أتنبئون بالتخفيف من أنبأ ولما ذكر تعالى عبادتهم مالا يضر ولا ينفع وكان ذلك اشراكا استأنف تنزيها بقوله سبحانه وتعالى وما يحتمل أن تكون بمعنى الذى ومصدرية أى شركائهم الذين يشركونهم به أو عن اشراكهم * وقرأ العربيان والحرميان وعاصم يشركون بالياء على الغيبة هنا وفى حرفى النحل وحرف فى الروم وذكر أبو حاتم انه قرأها كذلك الحسن والأعرج وابن القعقاع وشيبة وحميد وطلحة والأعمش * وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر فى النمل فقط بالياء على الخطاب وعاصم وأبو عمرو وبالياء على الغيبة * وقرأ حمزة والكسائى الخمسة بالتاء على الخطاب وأتى بالمضارع ولم يأت عن ما أشركوا للدلالة على استمرار حالهم كما جاؤا يعبدون وانهم على الشرك فى المستقبل كما كانوا عليه فى الماضى ﴿ وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون ﴾ لما ذكر تعالى الدلالة على فساد عبادة الأصنام ذكر الحامل على ذلك وهو الاختلاف الحادث بين الناس والظاهر عموم الناس و يتصور فى آدم و بنيه الى أن وقع الاختلاف بعد قتل أحد ابنيه الآخر وقاله أبى بن كعب * وقال الضحاك المراد أصحاب سفينة نوح اتفقوا على الحنيفية ودين الاسلام * وعن ابن عباس من كان من ولد آدم الى زمان ابراهيم و رد بانه عبد فى زمان نوح عليه السلام الاصنام كود وسواع وحكى ابن القشيرى ان الناس قوم ابراهيم الى أن غير الدين عمرو بن لحى * وقال ابن زيد هم الذين أخذ عليهم الميثاق يوم ألست بربكم لم يكونوا أمة واحدة غير ذلك اليوم * وقال الأصم هم الأطفال المولودون كانوا على الفطرة فاختلفوا بعد البلوغ وأبعد من ذهب الى أن المراد بالناس هنا آدم وحده وهو مروى عن مجاهد والسدى وعبر عنه بالامة لانه جامع لأنواع الخير وهذه الاقوال هى

﴿ وما كان الناس الا أمة واحدة ﴾ لما ذكر تعالى الدلالة على فساد عبادة الاصنام ذكر الحامل على ذلك وهو الاختلاف الحادث بين الناس والظاهر عموم الناس ويتصور فى آدم وبنيه الى أن وقع الاختلاف بعد قتل احد ابنيه الآخر أمة واحدة تقدم الكلام عليها فى البقرة والكلمة هنا هو القضاء والتقدير لبنى آدم فى الآجال المقدرة

(الدر)

(ش) بكونهم شفعاء وهو انباء بماليس بمعلوم لله تعالى واذا لم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيألان الشئ مايعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه انتهى (ح) فيكون ما واقعة على الشفاعة والفاعل بيعلم هو الله تعالى والمفعول هو الضمير المحذوف العائد على ما

﴿ ويقولون لولا أنزل ﴾ الآية هذه من اقتراحهم وكانوا لا يعتقدون بما أنزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي لم ينزل على أحد من الأنبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة من الآيات دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول فكأنه لم ينزل عليه شيء قط حتى قالوا لولا أنزل عليه آية من ربه واحدة وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد

على أن المراد بأمة واحدة في الاسلام والايمان * وقيل في الشرك وأريد قوم ابراهيم كانوا مجتمعين على الكفر فآمن بعضهم واستمر بعضهم على الكفر أو من كان قبل البعث من العرب وأهل الكتاب كانوا على الكفر والتبديل والتحريف حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فآمن بعضهم أو العرب خاصة أقوال ثالثها للزجاج والظاهر ان المراد بقوله أمة واحدة في الاسلام لان هذا الكلام جاء عقيب ابطال عبادة الاصنام فلا يناسب أن يقوي عباد الاصنام فان الناس كانوا على ملة الكفر انما المناسب أن يقال انهم كانوا على الاسلام حتى تحصل النفرة من اتباع غير ما كان الناس عليه وأيضا فقوله ولولا كلمة هو وعيد فصرفه الى أقرب مذكور وهو الاختلاف هو الوجه والاختلاف بسبب الكفر هو المقتضي للوعيد لا الاختلاف الذي هو بسبب الايمان اذ لا يصلح أن يكون سببا للوعيد وقد تقدم الكلام على نحو هذا في البقرة في قوله كان الناس أمة واحدة ولكن أعدنا الكلام فيه لبعده والكلمة هنا هو القضاء والتقدير لبني آدم بالآجال المؤقتة * قال ابن عطية ويحتمل أن يريد الكلمة في أمر القيامة وان العقاب والثواب انما يكون حينئذ * وقال الزمخشري هو تأخير الحكم بينهم الى يوم القيامة يقضي بينهم عاجلا فيما اختلفوا فيه وتمييز المحق من المبطل وسبقت كلمة الله بالتأخير لحكمة أوجبت أن تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب * وقال الكلبي الكلمة ان الله أخر هذه الأمة لا يهلكهم بالعذاب في الدنيا الى يوم القيامة فلولا هذا التأخير لقضي بينهم بنزول العذاب أو باقامة الساعة * وقيل الكلمة السابقة أن لا يأخذ أحدا الا بحجة وهو ارسال الرسل * وقيل الكلمة قوله سبقت رحمتي غضبي ولولا ذلك ما أخر العصاة الى التوبة ﴿ ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين ﴾ هذا من اقتراحهم * قال الزمخشري وكانوا لا يعتدون بما أنزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي لم تنزل على أحد من الانبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول فكأنه لم ينزل عليه قط حتى قالوا لولا أنزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي فقل انما الغيب لله أي هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لي ولا لأحد به يعني ان الصارف عن انزال الآيات المقترحة أمر مغيب لا يعلمه الا هو سبحانه فانتظروا نزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين بما يفعل الله تعالى بكم لعنادكم وجحدكم الآيات * وقال ابن عطية آية من ربه آية تضطر الناس الى الايمان وهذا النوع من الآيات لم يأت بها نبي قط ولا من المعجزات اضطرارية وانما هي معرضة للنظر ليهتدي قوم ويضل آخرون فقل انما الغيب لله إن شاء فعل و إن شاء لم يفعل لا يطلع على غيبه في ذلك أحد وقوله فانتظروا وعيد وقد صدقه الله تعالى بنصرته محمدا صلى الله عليه وسلم * وقيل الآية التي اقترحوا أن ينزل ما تضمنه قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الآية * وقيل آية كآية موسى وعيسى كالعصا واليد البيضاء واحياء الموتى طلبوا ذلك على سبيل التعنت ﴿ وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكرا إن رسلنا

وانهماكهم في الغي به ﴿ فقل انما الغيب لله ﴾ أي هو سبحانه المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لي ولا لأحد به يعني ان الصارف عن انزال الآيات المقترحة أمر مغيب لا يعلمه الا هو ﴿ فانتظروا ﴾ نزول ما اقترحتموه ﴿ اني معكم من المنتظرين ﴾ بما يفعل الله تعالى بكم لعنادكم وجحدكم الآيات وجحدكم من جاء بها ﴿ واذا أذقنا الناس ﴾ الآية سبب نزولها انه لما دعا على أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجدب فقحطوا سبع سنين فأتاه أبو سفيان فقال ادع لنا بالخصب فان أخصبنا صدقناك فسأل الله تعالى فسقوا ولم يؤمنوا والرحمة هنا الغيث بعد القحط والامن بعد الخوف والصحة بعد المرض والغنى بعد الفقر وما أشبه ذلك ومعنى مستهم خالطتهم وفي هذه الجملة دليل على سرعة تقلب ابن آدم من حالة الخير الى حالة الشر وذلك بلفظ أذقنا كأنه قيل أول ذوقه الرحمة قبل أن يداوم استطعامها مكر و بلفظ من المشعرة بابتداء الغاية أي بنشئ المكر أثر كشف الضر لا يمهل ذلك وبلفظ اذا الفجائية الواقعة جوابا لاذا الشرطية أي في وقت اذاقة الرحمة فاجؤوا بالمكر ولما كانت هذه الجملة كما قلنا تتضمن سرعة المكر منهم قيل ﴿ قل الله أسرع مكرا ﴾ فجاءت أفعل التفضيل ومعنى وصف المكر بالاسرعية انه تعالى قبل أن تدبروا مكائدكم قضى

يكتبون ما تمكرون ﴾ لما ذكر تعالى قوله واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون الآية ثم ذكر قوله وقالوا لولا أنزل عليه آية وذلك على سبيل التعنت أخبر أن هؤلاء انما يصيرون لهذه المقالات عندما يكونون فى رخاء من العيش وخلو بال وأن إحسان الله تعالى قابلوه بما لا يجوز من ابتغاء المكر لآياته وكان خليقا بهم أن يكونوا أول من صدق بآياته واعراضهم عن الآيات نظير قوله فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه * وسبب نزولها انه لما دعا على أهل مكة الرسول بالجدب فقحطوا سبع سنين فاتاه أبو سفيان فقال ادع لنا بالخصب فان أخصبنا صدقنا فسأل الله لهم فسقوا ولم يؤمنوا وهذه وان كانت فى الكفار فهى تتناول من العاصين من لا يؤدى شكر الله عند زوال المكروه عنه ولا يرتدع بذلك عن معاصيه وذلك فى الناس كثير تجد الانسان يعقد عند مس الضر التوبة والتنصل من سائر المعاصى فاذا زال عنه رجع الى أقبح عاداته والرحمة هنا الغيث بعد القحط والامن بعد الخوف والصحة بعد المرض والغنى بعد الفقر وما أشبه ذلك ومعنى مستهم خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم ومعنى مكر فى آياتنا التكذيب بالقرآن والشك فيه قاله جماعة * وقال مجاهد ومقاتل الاستهزاء والتكذيب * وقال أبو عبيدة الرد والجحود * وحكى الماوردى النفاق لانه اظهار الايمان وابطان الكفر وهو شبيه بما قال الزمخشرى ان المكر أخفى الكيد * وقال ابن عطية والمكر الاستهزاء والطعن عليها من الكفار واطراح الشكر والخوف من العصاة انتهى والاذاقة والمس هنا مجازان وفى هذه الجملة دليل على سرعة تقلب ابن آدم من حالة الخير الى حالة الشر وذلك بلفظ أذقنا كأنه قيل أول ذوقه الرحمة قبل أن يداوم استطعامها مكروه بلفظ من المشعرة بابتداء الغاية أى ينشى المكر اثر كشف الضراء لا يمهل ذلك و بلفظ اذا الفجائية الواقعة جوابا لاذا الشرطية أى فى وقت اذاقة الرحمة فاجاؤا بالمكر ولما كانت هذه الجملة كما قلنا تتضمن سرعة المكر منهم قيل قل الله أسرع مكرا الجاءت أفعل التفضيل ومعنى وصف المكر بالأسرعية انه تعالى قبل أن يدبروا مكائدهم قضى بعقابكم وهو موقعه بكم واستدرجكم بامهاله * قال ابن عطية أسرع من سرع ولا يكون من أسرع يسرع حكى ذلك أبو على ولو كان من أسرع لكان شاذا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نار جهنم لهى أسود من القار وما حفظ من النبى صلى الله عليه وسلم فليس بشاذ انتهى * وقيل أسرع هاهنا ليست للتفضيل وحكاية ذلك عن أبى على هو مذهب وفى بناء التعجب وأفعل التفضيل من أفعل ثلاثة مذاهب المنع مطلقا وما ورد من ذلك فهو شاذ والجواز مطلقا والتفصيل بين أن تكون الهمزة فيه للنقل فيمتنع أو لغير النقل فيجوز نحو أشكل الامر وأظلم الليل وتقرير الصحيح من ذلك هو فى علم النحو وأما تنظير أسود من القار باسرع ففاسد لان أسود ليس فعله على وزن أفعل وانما هو على وزن فعل نحو سود فهو أسود ولم يمتنع التعجب ولا بناء أفعل التفضيل عند البصريين من نحو سود وحمر وأدم الا لكونه لونا وقد أجاز ذلك بعض الكوفيين فى الألوان مطلقا وبعضهم فى السواد والبياض فقط والرسل هنا الحفظة بلا خلاف والمعنى أن ما تظنونه خافيا مطويا عن الله لا يخفى عليه وهو منتقم منكم * وقرأ الحسن وابن أبى اسحاق وأبو عمرو رسلنا بالتخفيف * وقرأ الحسن وقتادة ومجاهد والاعرج وروريت عن نافع يمكرون على الغيبة جريا على ما سبق * وقرأ أبو رجاء وشيبة وأبو جعفر وابن أبى اسحاق وعيسى وطلحة والاعمش والجحدرى وأيوب بن المتوكل وابن محيصن وشبل وأهل مكة والسبعة بالتاء على الخطاب مبالغة لهم فى الاعلام بحال مكرهم والتفاتا لقوله قل الله أى قل لهم فناسب الخطاب وفى قوله

بعقابكم وهو موقعه بكم واستدرجكم بامهاله

﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر﴾ مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر أن الناس اذا أصابهم الضر لجأوا الى الله تعالى واذا أذاقهم الرحمة عادوا الى عادتهم من اهمال جانب الله تعالى والمكر في آياته وكان المذكور في الآيتين أمرا كليا أوضح ذلك الأمر الكلي بمثال جلي كاشف عن حقيقة ذلك المعنى الكلي ينقطع فيه رجاء الانسان عن كل متعلق به الا الله تعالى فيخلص له الدعاء وحده في كشف هذه النازلة التي لا يكشفها الا هو تعالى وقرئ ينشركم من النشر والبث ويسيركم من التسيير ﴿وجرين﴾ النون عائدة على الفلك ويراد به الجمع اذ الفلك يكون مفردا كقوله في الفلك المشحون ويكون جمعا كهذا ولهذا اعاد الضمير عليه جمعا والباء في بهم للتعدية وفي بريح للسبب وفي قوله بهم التفات اذ هو خروج من خطاب في قوله كنتم الى غيبة في قوله بهم وفرحوا وما بعد ذلك من ضمير الغيبة قال الزمخشري فائدة الالتفات في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح انتهى والذي يظهر (١٣٧) والله أعلم أن حكمة الالتفات هنا هي ان قوله هو الذي يسيركم في البر والبحر خطاب فيه امتنان واظهار نعمه للمخاطبين والمسيرون في البر والبحر مؤمنون وكفار والخطاب شامل فحسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح على الشكر ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة فيرجع فلما ذكرت حالة آل الامر في آخرها الى ان المتلبس بها هو باغ في الارض بغير الحق عدل عن الخطاب الى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون يخاطبون بصدور مثل هذه الحالة التي آخرها البغي وقوله ﴿جاءتها﴾ جواب اذا و ﴿عاصف﴾ صفة لريح على معنى النسب أي ذات عصف اذ لو كانت جارية على الفعل لكانت بالتاء كقوله تعالى ولسليمان الريح عاصفة والمعنى من كل مكان من أمكنة الموج والظن هنا على بابه الاصلي من ترجيح أحد الجائزين ومعنى ﴿أحيط بهم﴾ أي للهلاك كما يحيط العدو بمن يريد اهلاكه وهي كناية عن استيلاء أسباب الهلاك ﴿دعوا الله﴾ جواب لسؤال مقدر كأنه قيل فما كان حالهم في تلك الشدة فقيل دعوا الله ﴿لئن أنجيتنا﴾ اللام موطئة لقسم محذوف في موضع الحال تقديره مقسمين ﴿من هذه﴾ أي من هذه الشدة

ان رسلنا التفات أيضا اذ لم يأت ان رسله * وقال أيوب بن المتوكل في مصحف أبي يا أيها الناس ان الله أسرع مكرا وان رسله لديكم يكتبون ما تمكرون وينبغي أن يحمل هذا على التفسير لانه مخالف لما أجمع عليه المسلمون من سواد المصحف والمحفوظ عن أبي القراءة والاقراء بسواد المصحف ﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر تعالى أن الناس اذا أصابهم الضر لجأوا الى الله تعالى فاذا أذاقهم الرحمة عادوا الى عادتهم من اهمال جانب الله والمكر في آياته وكان قبل ذلك قد ذكر نحوا من هذا في قوله واذا مس الانسان الضر الآية وكان المذكور في الآيتين أمرا كليا أوضح تعالى ذلك الامر الكلي بمثال جلي كاشف عن حقيقة ذلك المعنى الكلي ينقطع فيه رجاء الانسان عن كل متعلق به الا الله تعالى فيخلص له الدعاء وحده في كشف هذه النازلة التي لا يكشفها الا هو تعالى ويتبين بطلان عبادته ما لا يضر ولا ينفع ودعواه أنه شفيعه عند الله ثم بعد كشف هذه النازلة عاد الى عادته من بغيه في الارض فانجاؤه تعالى اياهم هو مثال من أذاقة الرحمة وما كانوا فيه قبل من اشرافهم على الهلاك هو مثال من الضر الذي مسهم * وقرأ زيد بن ثابت والحسن وأبو العالية وزيد بن علي وأبو جعفر وعبد الله بن جبير وأبو عبد الرحمن وشيبة وابن عامر ينشركم من النشر والبث * وقرأ الحسن أيضا ينشركم من الانشار وهو الاحياء وهي قراءة عبد الله * وقرأ بعض الشاميين ينشركم بالتشديد للتكثير من النشر الذي هو مطاوعة الانتشار * وقرأ باقي السبعة والجمهور يسيركم من التسيير * قال أبو علي هو تضعيف مبالغة لا تضعيف تعدية لان العرب تقول سرت الرجل وسيرته ومنه قول الهذلي

(الدر) (ح) قال أبو علي في قراءة الجمهور يسيركم من التسيير هو تضعيف مبالغة لا تضعيف تعدية لان العرب تقول سرت الرجل وسيرته ومنه قول الهذلي فلا تجزعن من سنة أنت سرتها * فأول راض سنة من يسيرها (ع) وعلى هذا البيت اعتراض حتى لا يكون شاهدا في هذا وهو أن يكون الضمير كالظرف كما تقول سرت الطريق انتهى (ح) ما ذكره أبو علي لا يتعين بل الظاهر ان التضعيف فيه للتعدية لان سار الرجل لازما أكثر من سرت الرجل متعديا فجعله ناشئا عن الأكثر أحسن من جعله

(الدر) ناشئا عن الأقل وأما جعل (ع) الضمير كالظرف قال كما تقول سرت الطريق فهذا لا يجوز عند الجمهور لان الطريق عندهم ظرف مختص كالدار والمسجد فلا يصل اليه الفعل غير دخلت عند سيبويه وانطلقت وذهبت عند الفراء الا بوساطة في الا في ضرورة واذا كان كذلك فضميره أحرى أن لا يتعدى اليه الفعل واذا كان ضمير الظرف الذي يصل اليه الفعل بنفسه يصل اليه بوساطة في الا ان اتسع فيه فلان يكون الضمير الذي يصل الفعل الى ظاهره بفي أولى أن يصل اليه الفعل بوساطة في وزعم ابن الطراوة ان الطريق ظرف غير مختص فيصل اليه (١٣٨) الفعل بغير واسطة في وهو زعم مردود في النحو (ش)

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها * فاول راض سنة من يسيرها

* قال ابن عطية وعلى هذا البيت اعتراض حتى لا يكون شاهدا في هذا وهو أن يكون الضمير كالظرف كما تقول سرت الطريق انتهى وما ذكره أبو علي لا يتعين بل الظاهر أن التضعيف فيه للتعدية لان سار الرجل لازما أكثر من سرت الرجل متعديا فجعله ناشئا عن الا كثر أحسن من جعله ناشئا عن الاقل وأما جعل ابن عطية الضمير كالظرف قال كما تقول سرت الطريق فهذا لا يجوز عند الجمهور لان الطريق عندهم ظرف مختص كالدار والمسجد فلا يصل اليه الفعل غير دخلت عند سيبويه وانطلقت وذهبت عند الفراء الا بوساطة في الا في ضرورة واذا كان كذلك فضميره أحرى أن لا يتعدى اليه الفعل واذا كان ضمير الظرف الذي يصل اليه الفعل بنفسه يصل اليه بوساطة في الا ان اتسع فيه فلان يكون الضمير الذي يصل الفعل الى ظاهره بفي أولى ان يصل اليه الفعل بوساطة في وزعم ابن الطراوة ان الطريق ظرف غير مختص فيصل اليه الفعل بغير وساطة في وهو زعم مردود في النحو ومعنى يسيركم يجعلكم تسيرون والسير معروف وفي قوله والبحر دلالة على جواز ركوب البحر ولما كان الخوف في البحر أغلب على الانسان منه في البر وقع المثال به لذلك المعنى الكلي به من التجاء العبد لربه تعالى حالة الشدة والاهمال لجانبه حالة الرخاء * قال الزمخشري (فان قلت) كيف جعل الكون في الفلك غاية التسيير في البحر والتسيير في البحر انما هو بالكون في الفلك (قلت) لم يجعل الكون في الفلك غاية التسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في خبرها كانه قال يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة فكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الامواج والظن للهلاك والدعاء للانجاء انتهى وهو حسن * وقرأ أبو الدرداء وأم الدرداء في الفلكي بزيادة ياء النسب وخرج ذلك على زيادتها كما زادوها في الصفة في نحو أحمري وزواري وفي العلم كقول الصلتان * أنا الصلتاني الذي قد علمتم * وعلى ارادة النسب مرادا به اللج كانه قيل في اللج الفلكي وهو الماء الغمر الذي لا تجرى الفلك الا فيه والضمير في وجرين عائد على الفلك على معنى الجمع إذ الفلك كما تقدم في سورة البقرة يكون مفردا وجمعا والضمير في بهم عائد على الكائنين في الفلك وهو التفات إذ هو خروج من خطاب الى غيبة وفائدة صرف الكلام من الخطاب الى الغيبة قال الزمخشري المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعى منهم الانكار والتقبيح انتهى والذي يظهر والله أعلم أن حكمة الالتفات هنا هي ان قوله هو الذي يسيركم في البر والبحر خطاب فيه امتنان واظهار نعمة للمخاطبين

فائدة الالتفات في قوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم المبالغة كأنه يذكرون لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعى منهم الانكار والتقبيح انتهى (ح) والذي يظهر والله أعلم أن حكمة الالتفات هنا هي ان قوله هو الذي يسيركم في البر والبحر خطاب فيه امتنان واظهار نعمة للمخاطبين والمسيرون في البر والبحر مؤمنون وكفار والخطاب شامل فحسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح الشكر ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة فيرجع فلما ذكرت حالة آل الامر في آخرها الى ان المتلبس بها هو باغ في الارض بغير الحق عدل عن الخطاب الى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون يخاطبون بصدور مثل هذه الحالة التي آخرها البغي (ع) بهم خروج من الحضور الى الغيبة وحسن ذلك لان قوله كنتم في الفلك هو بالمعنى المعقول حتى اذا حصل بعضكم في السفن انتهى (ح) كانه قدر مفردا غائبا فعاد الضمير عليه فيصير كقوله أو كظلمات في بحر لجي يغشاه أي أو كذي ظلمات فعاد الضمير غائبا على اسم غائب فلا يكون ذلك من باب الالتفات (ح) والباء في بهم وبريح قال أبو البقاء تتعلق الباآن بجرين انتهى والذي يظهر أن الباء في بهم متعلقة بجرين تعلقها بالمفعول نحو مررت بزيد وان الباء في بريح يجوز أن تكون للسبب فاختلف المدلول في الباءين فجاز أن يتعلقا بفعل واحد ويجوز أن تكون الباء للحال أي وجرين بهم ملتبسة بريح طيب فيتعلق بمحذوف كما تقول جاء زيد بثيابه أي ملتبسا بها

والمسير ون في البر والبحر مؤمنون وكفار والخطاب شامل فحسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح على الشكر ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة فيرجع فلما ذكر حالة آل الامر في آخرها الى أن الملتبس بها هو باغ في الارض بغير الحق عدل عن الخطاب الى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون يخاطبون بصدور مثل هذه الحالة التي آخرها البغي * وقال ابن عطية بهم خروج من الحضور الى الغيبة وحسن ذلك لان قوله كنتم في الفلك هو بالمعنى المعقول حتى اذا حصل بعضكم في السفن انتهى فكأنه قدر مفردا غائبا يعاد الضمير عليه فيصير كقوله تعالى أو كظلمات في بحر لجي يغشاه أي أو كذي ظلمات فعاد الضمير غائبا على اسم غائب فلا يكون ذلك من باب الالتفات والباء في بهم و بريح قال العكبري تتعلق الباآن بجرين انتهى والذي يظهر أن الباء في بهم متعلقة بجرين تعلقها بالمفعول نحو مررت بزيد وان الباء في بريح يجوز أن تكون للسبب فاختلف المدلول في الباءين فجاز أن يتعلقا بفعل واحد و يجوز أن تكون الباء للحال أي وجرين بهم ملتبسة بريح طيبة فتتعلق بمحذوف كما تقول جاء زيد بثيابه أي ملتبسا بها وفرحوا بها يحتمل أن يكون معطوفا على قوله وجرين بهم و يحتمل أن يكون حالا أي وقد فرحوا بها كما احتمل قوله وجرين أن يكون معطوفا على كنتم وأن يكون حالا والظاهر ان قوله جاءتها ريح عاصف هو جواب اذا والظاهر عود الضمير في جاءتها على الفلك لانه هو المحدث عنه في قوله وجرين بهم وقاله مقاتل وجوزوا أن يعود على الريح الطيبة وقاله الفراء و بدأ به الزمخشري ومعنى طيب الريح لين هبوبها وكونها موافقة * وقرأ ابن أبي عبلة جاءتهم ومعنى من كل مكان من أمكنة الموج والظن هنا على بابه الاصلي من ترجيح أحد الجائزين * وقيل معناها التيقن ومعنى أحيط بهم أي الهلاك كما يحيط العدو بمن يريد اهلاكه وهي كناية عن استيلاء أسباب الهلاك * وقرأ زيد بن علي حيط بهم ثلاثيا والجملة من قوله دعوا الله قال أبو البقاء هي جواب ما اشتمل عليه المعنى من معنى الشرط تقديره لما ظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله انتهى وهو كلام لا يتحصل منه شيء * وقال الطبري جواب حتى اذا كنتم في الفلك جاءتها ريح عاصف وجواب قوله وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله انتهى وهو مخالف للظاهر لان قوله وظنوا ظاهره العطف على جواب اذا لا انه معطوف على كنتم لكنه محتمل كما تقول اذا زارك فلان فأكرمه وجاءك خالد فأحسن اليه وكأن أداة الشرط مذكورة * وقال الزمخشري هي بدل من ظنوا لا دعائهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به انتهى وكان أستاذنا أبو جعفر بن الزبير يخرج هذه الآية على غير ما ذكروا و يقول هو جواب سؤال مقدر كأنه قيل فما كان حالهم اذ ذاك فقيل دعوا الله مخلصين له الدين انتهى ومعنى الاخلاص افراده بالدعاء من غير اشراك أصنام ولا غيرها قال معناه ابن عباس وابن زيد * وقال الحسن مخلصين لا اخلاص ايمان لكن لاجل العلم بأنه لا ينجيهم من ذلك الا الله فيكون ذلك جاريا مجرى الايمان الاضطراري انتهى والاعتراف بالله مركوز في طبائع العالم وهم مجبولون على انه المتصرف في الأشياء ولذلك اذا حقت الحقائق رجعوا اليه كلهم مؤمنهم وكافرهم لئن أنجيتنا ثم قسم محذوف وذلك القسم ومابعده محكي بقول أي قائلين أو أجرى دعوا مجرى قالوا لانه نوع من القول والاشارة بهذه الى الشدائد التي هم فيها * وقال الكلبي الى الريح العاصف ﴿ فلما أنجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم

يترتب مابعدها من الجواب على ماقبلها من الفعل الذي بعد لما وانها تفيد الترتيب والتعليق في المضي وانها كما قال سيبويه حرف ومذهب غيره انها ظرف وقد أوضحنا ذلك فيما كتبناه في علم النحو والجواب باذا الفجائية دليل على انه لم يتأخر بغيهم عن انجائهم بل بنفس ماوقع الانجاء وقع البغي قال ابن عباس يبغون بالدعاء الى عبادة غير الله والعمل بالمعاصي والفساد والخطاب بيا أيها الناس قال الجمهور لاهل مكة والذي يظهر أنه خطاب لأولئك الذين أنجاهم الله و بغوا و يحتمل كما قالوا العموم فيندرج أولئك فيهم وهذا ذم للبغي في أوجز لفظ ومعنى على أنفسكم وبال البغي ولا يجني ثمرته الا أنتم وقرئ متاع بالنصب على الظرف أي وقت متاع الحياة الدنيا وقرئ متاع بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هو متاع وأجاز النحاس وتبعه الزمخشري أن يكون على أنفسكم متعلقا بقوله بغيكم كما تعلق في قوله فبغى عليهم و يكون الخبر متاع اذا رفعته ومعنى ﴿ على أنفسكم ﴾ أي على أمثالكم والذين جنسكم جنسهم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا

﴿انما مثل الحيوة الدنيا﴾ الآية مناسبتها لما قبلها أنه لما قال يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم ضرب مثلا عجيبا غريبا للحياة الدنيا يذكر من سعى فيها على سرعة زوالها وانقضائها وأنها بحال ما تعز وتسر تضمحل ويؤول أمرها الى الفناء والمثل هنا يحتمل أن يراد به الصفة وأن يراد به القول السائر المشبه به حال الثاني بالأول ومن السماء اما أن يراد به من السحاب واما أن يراد من جهة السماء والظاهر أن النبات اختلط بالماء ومعنى الاختلاط تشبثه به (١٤٠) وتلقفه اياه وقبوله له لأنه يجري له مجرى الغذاء فتكون الباء للمصاحبة وكل مختلطين يصح في كل منهما ان يقال اختلط بصاحبه ولما كان النبات ينقسم الى مأكول وغيره بين ان المراد أحد القسمين بمن فقال ﴿مما يأكل الناس﴾ كالحبوب والثمار والبقول والأنعام كالحشيش وسائر ما يرعى ومما يأكل حال من النبات والعامل فيه محذوف تقديره كائنا مما يأكل وما موصولة صلته يأكل والضمير محذوف تقديره يأكله الناس وحتى غاية فيحتاج أن يكون الفعل الذي قبلها متطاولا حتى تصح الغاية فأما ان يقدر قبلها محذوف أي فما زال ينمو حتى اذا أو يتجوز في فاختلط ويكون معناه فدام اختلاط النبات بالماء حتى اذا وقوله ﴿أخذت الأرض زخرفها وازينت﴾ جملة بديعة اللفظ جعلت الارض آخذة زخرفها متزينة وذلك على جهة التمثيل بالعروس

فننبئكم بما كنتم تعملون ﴾ قال ابن عباس يبغون بالدعاء الى عبادة غير الله والعمل بالمعاصي والفساد * قال الزمخشري (فان قلت) ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق (قلت) بلى وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقطع أشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة انتهى وكأنه قد شرح قوله يبغون بأنهم يفسدون ويعبثون مترقين في ذلك ممعنين فيه من بغى الجرح اذا ترقى للفساد انتهى * قال الزجاج البغي الترقي في الفساد * وقال الاصمعي بغى الجرح ترقى الى الفساد وبغت المرأة فجرت انتهى ولا يصح أن يقال في المسلمين انهم باغون على الكفرة الا ان ذكر ان أصل البغي هو الطلب مطلقا ولا يتضمن الفساد فحينئذ ينقسم الى طلب بحق وطلب بغير حق ولما حمل ابن عطية البغي هنا على الفساد قال أكد ذلك بقوله بغير الحق وجواب لما اذا الفجائية وما بعدها ومجيء اذا وما بعدها جوابا لها دليل على انها حرف يترتب ما بعدها من الجواب على ما قبله من الفعل الذي بعد لما وانها تفيد الترتب والتعليق في المضي وانها كما قال سيبويه حرف ومذهب غيره انها ظرف وقد أوضحنا ذلك فيما كتبناه في علم النحو والجواب باذا الفجائية دليل على انه لم يتأخر بغيهم عن انجائهم بل بنفس ما وقع الانجاء وقع البغي والخطاب بيا أيها الناس * قال الجمهور لاهل مكة والذي يظهر أنه خطاب لأولئك الذين أنجاهم الله وبغوا ويحتمل كما قالوا العموم فيندرج أولئك فيهم وهذا ذم للبغي في أوجز لفظ ومعنى على أنفسكم وبال البغي عليكم ولا يجني ثمرته الا أنتم فقوله على أنفسكم خبر للمبتدا الذي هو بغيكم فيتعلق بمحذوف وعلى هذا التوجيه انتصب متاع في قراءة زيد بن علي وحفص وابن أبي اسحق وهارون عن ابن كثير على انه مصدر في موضع الحال أي متمتعين أو باقيا على المصدرية أي يتمتعون به متاع أو نصبا على الظرف نحو مقدم الحاج أي وقت متاع الحياة الدنيا وكل هذه التوجيهات منقولة والعامل في متاع اذا كان حالا أو ظرفا ما تعلق به خبر بغيكم أي كائن على أنفسكم ولا ينتصبان ببغيكم لانه مصدر قد فصل بينه وبين معموله بالخبر وهو غير جائز وارتفع متاع في قراءة الجمهور على انه خبر مبتدا محذوف وأجاز النحاس وتبعه الزمخشري أن يكون على أنفسكم متعلقا بقوله بغيكم كما تعلق في قوله فبغى عليهم ويكون الخبر متاع اذا رفعته ومعنى على أنفسكم على أمثالكم والذين جنسكم جنسهم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا * وقرأ ابن أبي اسحاق أيضا متاعا الحياة الدنيا بنصب متاع وتنوينه ونصب الحياة * وقال سفيان بن عيينة في هذه الجملة تعجل لكم عقوبته في الحياة الدنيا وقرأت فرقة فينبئكم بالياء على الغيبة والمراد الله تعالى ﴿ انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها

(الدر) (ش) فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم واحراق زرعهم وقطع أشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة (ح) كأن قد شرح قوله يبغون بأنهم يفسدون ويعبثون مترقين في ذلك ممعنين فيه من بغى الجرح اذا ترقى للفساد انتهى قال الزجاج البغي الترقي في الفساد وقال الاصمعي بغى الجرح ترقى الى الفساد وبغت المرأة فجرت انتهى ولا يصح أن يقال في المسلمين انهم باغون على الكفرة الا ان ذكر أن أصل البغي هو الطلب مطلقا ولا يتضمن الفساد فحينئذ ينقسم الى طلب بحق وطلب بغير حق

اذا أخذت الثياب الفاخرة فى كل لون فا كتست وتزينت بأنواع الحلى فاستعير الاخذ وهو التناول باليد لاشتمال نبات الارض على بهجة ونضارة وألوان مختلفة واستعير لتلك البهجة والنضارة والالوان المختلفة لفظ الزخرف وهو الذهب لما كان من الأشياء البهجة المنظر السارة للنفوس وازينت أى بنباتها وما أودع فيها من الحبوب والثمار والازهار ﴿ انهم قادرون عليها ﴾ أى على التمكن من تحصيلها ومنفعتها ورفع غلتها وذلك لحسن نموها وسلامتها من العاهات فالضمير فى أهلها عائد على الارض وهو على حذف مضاف أى على ما أودعها من الغلات وما ينتفع به وجواب اذا قوله ﴿ أتاها أمرنا ﴾ كالريح والصر والسموم وغير ذلك من الآفات كالفأر والجراد وقيل أتاها أمرنا اهلاكها وأبهم فى قوله ﴿ ليلا أو نهارا ﴾ وقد علم تعالى متى يأتيها أمره أو تكون أو للتنويع لان بعض الارض يأتيها أمره ليلا وبعضها نهارا ولا يخرج كائن عن وقوعه والحصيد فعيل بمعنى مفعول أى المحصود وعبر بحصيد عن التالف استعارة جعل ما هلك من الزرع بالآفة قبل أوانه حصيدا لعلاقة ما بينهما من الطرح على الأرض ﴿ كأن لم تغن بالأمس ﴾ مبالغة فى التلف والهلاك حتى كأنها لم توجد قبل ولم تقم بالأرض بهجة خضرة نضرة تسر أهلها ﴿ كذلك نفصل الآيات ﴾ أى مثل هذا التفصيل الذى فصلناه فى الماضى نفصل فى المستقبل

(الدر) (ح) إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما قال يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ضرب مثلا عجيبا غريبا للحياة الدنيا يذكر به من يبغى فيها على سرعة زوالها وانقضائها وأنها بحال ما تعز وتسر تضمحل ويؤول أمرها الى الفساد قال (ش) هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا فى سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد

انهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما قال يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ضرب مثلا عجيبا غريبا للحياة الدنيا تذكر من يبغى فيها على سرعة زوالها وانقضائها وانها بحال ما تعز وتسر تضمحل ويؤول أمرها الى الفناء * وقال الزمخشرى هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا فى سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض

الاقبال بحال نبات الارض فى فنائه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه انتهى وانما هنا ليست للحصر لا وضعا ولا استعمالا لانه تعالى ضرب للحياة الدنيا أمثالا غير هذا والمثل هنا يحتمل ان يراد به الصفة وأن يراد به القول السائر المشبه به حال الثانى بالاول والظاهر تشبيه صفة الحياة الدنيا بماء فيما يكون به وينرتب عليه من الانتفاع ثم الانقطاع وقيل شبهت الحياة الدنيا بالنبات على تلك الاوصاف فيكون التقدير كنبات ماء فحذف المضاف وقيل شبهت الحياة بحياة مقدرة على هذه الاوصاف فيكون التقدير كحياة قوم بماء أنزلناه من السماء قيل ويقوى هذا قوله وظن أهلها انهم قادرون عليها والسماء اما ان يراد من السحاب وأما ان يراد من جهة السماء والظاهر ان النبات اختلط بالماء ومعنى الاختلاط تشبثه به وتلقفه اياه وقبوله له لأنه يجرى له مجرى الغذاء فتكون الباء للمصاحبة وكل مختلطين يصح فى كل منهما ان يقال اختلط بصاحبه فلذلك فسره بعضهم بقوله خالطه الماء وداخله فغذى كل جزء منه وقال الكرمانى فاختلط به اختلاط مجاورة لان الاختلاط تداخل الاشياء بعضها فى بعض انتهى ولا يمتنع اختلاط النبات بالماء على سبيل التداخل فلا تقول انه اختلاط مجاورة وقيل اختلط اختلف وتنوع بالماء وينبو لفظ اختلط عن هذا التفسير وقيل معنى اختلط تركب وقيل امتد وطال وقال (ش) فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا وقال (ع) وصلت فرقة النبات بقوله فاختلط أى اختلط النبات بعضه ببعض بسبب الماء انتهى وعلى هذه الاقوال الباء فى بما للسببية وأبعد من ذهب الى ان الفاعل فى قوله فاختلط هو ضمير يعود على الماء أى فاختلط الماء بالارض ويقف هذا الذاهب على قوله فاختلط ويستأنف به نبات الارض على الابتداء والخبر المقدم قال (ع) يحتمل على هذا ان يعود الضمير فى به على الماء وعلى الاختلاط الذى تضمنه الفعل انتهى والوقف على قوله فاختلط لا يجوز وخاصة فى القرآن لانه تفكيك للكلام المتصل الصحيح المعنى الفصيح اللفظ وذهاب الى اللغز والتعقيد والمعنى الضعيف الاترى انه لو صرح باظهار الاسم الذى الضمير فى به كناية عنه فقيل بالاختلاط نبات الارض أو بالماء نبات الارض لم يكد ينعقد كلاما من مبتدأ وخبر لضعف هذا الاسناد وقربه من عدم الافادة ولولا ان (ع)

(الدر) ذكره ونخرجه على ماذكرناه عنه لم نذكره ولما كان النبات ينقسم الى مأكول وغيره بين أن المراد أحد القسمين بمن فقال مما يأكل الناس كالحبوب والثمار والبقول والانعام والحشيش وسائر ما يرعى قال الحوفي من متعلقة باختلط وقال أبو البقاء مما يأكل حال من النبات فاقتضى قول أبي البقاء ان يكون العامل في الحال محذوفا لان المجرور والظرف اذا وقعا حالين كان العامل محذوفا وقول أبي البقاء هو الظاهر وتقديره كائنا مما يأكل وحتى غاية فيحتاج ان يكون الفعل الذي قبلها متطاولا حتى تصح الغاية فأما ان يقدر قبلها محذوفا أي فما زال ينمو حتى اذا أو يتجوز في فاختلط ويكون معناه فدام اختلاط النبات بالماء حتى اذا وقوله أخذت الارض زخرفها وازينت جملة بديعة اللفظ جعلت الارض آخذة زخرفها متزينة وذلك على جهة التمثيل بالعروس اذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتست وتزينت بأنواع الحلي فاستعير الاخذ وهو التناول باليد لاشتمال نبات الارض على بهجة ونضارة وألوان مختلفة واستعير لتلك البهجة والنضارة والالوان المختلفة لفظ المزخرف وهو الذهب لما كان من الاشياء البهجة المنظر السارة للنفوس وازينت أي بنباتها وما أودع فيه من الحبوب والثمار ويحتمل أن يكون قوله وازينت تأكيدا لقوله أخذت الارض زخرفها واحتمل أن لا يكون تأكيدا إذ قد يكون أخذ الزخرف لا للقصد التزيين فقيل وازينت ليفيد انها قصدت التزيين ونسبة الاخذ الى الارض والتزيين من بديع الاستعارة وقرأ الجمهور وازينت وأصله وتزينت فادغمت التاء في الزاي فاجتلبت همزة الوصل لضرورة تسكين الزاي عند الادغام وقرأ أبي وعبدالله وزيد بن علي والاعمش وتزينت على وزن تفعلت وقرأ سعد بن أبي وقاص وأبو عبد الرحمن وابن يعمر والحسن والشعبي وأبو العالية وقتادة ونصر بن عاصم وابن هرمز وعيسى الثقفي وأزينت على وزن أفعلت كأحصد الزرع أي حضرت زينتها وحانت وصحت الياء فيه على جهة الندور كاعيلت المرأة والقياس وأزانت كقولك وأبانت وقرأ أبو عثمان النهدي (١٤٢) بهمزة مفتوحة بوزن افعألت قاله عنه صاحب اللوامح قال كأنه

كانت في الوزن بوزن احمارت لكنهم كرهوا الجمع بين ساكنين فحركت الالف فانقلبت همزة مفتوحة ونسب (ع) هذه القراءة لفرقة فقال وقرأت

في جفافه وذهابه حطاما بعدما التف وتكاثف وزين الأرض بخضرته ورفيفه انتهى وانما هنا ليست للحصر لا وضعا ولا استعمالا لأنه تعالى ضرب للحياة الدنيا أمثالا غير هذا والمثل هنا يحتمل أن يراد به الصفة وأن يراد به القول السائر المشبه به حال الثاني بالاول والظاهر تشبيه صفة الحياة الدنيا بماء فيما يكون به ويترتب عليه من الانتفاع ثم الانقطاع * وقيل شبهت الحياة الدنيا بالنبات على تلك الاوصاف فيكون التقدير كنبات ماء فحذف المضاف * وقيل شبهت الحياة بحياة مقدرة على

فرقة وازيانت وهي لغة منها قول الشاعر * اذا ما الهوادي بالعبيط احمارت * وقرأ أشياخ عوف بن أبي جميلة وازيانت بنون مشددة وألف ساكنة قبلها قال (ع) وهي قراءة أبي عثمان النهدي وقرأت فرقة وازاينت والاصل وتزاينت فادغم والظن هنا على بابه من ترجيح أحد الجائزين وقيل بمعنى أيقنوا وليس بسديد ومعنى القدرة عليها التمكن من تحصيلها ومنفعتها ورفع غلتها وذلك لحسن نموها وسلامتها من العاهات والضمير في أهلها عائد على الارض وهو على حذف مضاف أي أهل نباتها وقيل الضمير عائد على الغلة وقيل على الزينة وهو ضعيف وجواب اذا قوله أتاها أمرنا كالريح والصر والسموم وغير ذلك من الآفات كالجراد والفأر وقيل أتاها أمرنا هلاكها وأبهم في قوله ليلا أو نهارا وقد علم تعالى متى يأتيها أمره أو تكون للتنويع لأن بعض الأرض يأتيها أمره ليلا وبعضها نهارا ولا يخرج كائن عن وقوعه فيهما والحصيد فعيل بمعنى مفعول أي المحصود ولم يؤنث كما لم يؤنث امرأة جريح وقال أبو عبيدة الحصيد المستأصل انتهى وعبر بحصيد عن التألف استعارة جعل ما هلك من الزرع بالآفة قبل أوانه حصيدا العلاقة ما بينهما من الطرح على الأرض وقيل يجوز أن يكون مشبها بغير الاداة والتقدير فجعلناها كالحصيد وقوله كان لم تغن بالامس مبالغة في التلف والهلاك حتى كأنها لم توجد قبل ولم تقم بالارض بهجة خضرة نضرة تسر أهلها وقرأ الحسن وقتادة كان لم يغن بالياء على التذكير فقيل عائد على المضاف المحذوف الذي هو الزرع حذف وقامت هاء التأنيث مقامه في قوله عليها وفي قوله إياها فجعلناها وقيل عائد على الزخرف والاولى عوده على الحصيد أي كان لم يغن الحصيد وكان مروان بن الحكم يقرأ على المنبر كان لم تتغن بتاءين مثل تتفعل وقال الاعشى * طويل الثواء طويل التغني * وهو من غني بكذا اذا أقام به قال (ش) والامس مثل الوقت كأنه قيل كان لم تغن آنفا انتهى وليس الامس عبارة عن مطلق الوقت ولا هو مرادف لقوله آنفا لان آنفا معناه الساعة والمعنى كان لم يكن لها وجود فيما مضى من الزمان ولو ان قائلا قال في غير القرآن كان لم يكن لها وجود الساعة لم يصح هذا المعنى لانه لا وجود لها الساعة فكيف تشبه وهي

هذه الاوصاف فيكون التقدير كحياة قوم بماء أنزلناه من السماء * قيل ويقوى هذا قوله وظن أهلها أنهم قادرون عليها والسماء إما أن يراد من السحاب وإما أن يراد من جهة السماء والظاهر أن النبات اختلط بالماء ومعنى الاختلاط تشبثه به وتلففه اياه وقبوله له لانه يجرى له مجرى الغذاء فتكون الباء للمصاحبة وكل مختلطين يصح فى كل منهما أن يقال اختلط بصاحبه فلذلك فسره بعضهم بقوله خالطه الماء وداخله فغذى كل جزء منه * وقال الكرمانى فاختلط به اختلاط مجاورة لان الاختلاط تداخل الاشياء بعضها فى بعض انتهى ولا يمتنع اختلاط النبات بالماء على سبيل التداخل فلا تقول انه اختلاط مجاورة * وقيل اختلط اختلف وتنوع بالماء وينبو لفظ اختلط عن هذا التفسير * وقيل معنى اختلط تركب * وقيل امتد وطال * وقال الزمخشرى فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا * وقال ابن عطية وصلت فرقة النبات بقوله فاختلط أى اختلط النبات بعضه ببعض بسبب الماء انتهى وعلى هذه الاقوال الباء فى بماء للسببية وأبعد من ذهب الى أن الفاعل فى قوله فاختلط هو ضمير يعود على الماء أى فاختلط الماء بالارض ويقف هذا الذاهب على قوله فاختلط ويستأنف به نبات على الابتداء والخبر المقدم * قال ابن عطية يحتمل على هذا أن يعود الضمير فى به على الماء وعلى الاختلاط الذى تضمنه الفعل انتهى والوقف على قوله فاختلط لا يجوز وخاصة فى القرآن لانه تفكيك للكلام المتصل الصحيح المعنى الفصيح اللفظ وذهاب الى اللغز والتعقيد والمعنى الضعيف ألا ترى أنه لو صرح باظهار الاسم الذى الضمير فى كناية عنه فقيل بالاختلاط نبات الارض أو بالماء نبات الارض لم يكد ينعقد كلاما من مبتدا وخبر لضعف هذا الاسناد وقربه من عدم الافادة ولولا أن ابن عطية ذكره وخرجه على ماذكرناه عنه لم نذكره فى كتابنا ولما كان النبات ينقسم الى مأكول وغيره بين أن المراد أحد القسمين بمن فقال مما يأكل الناس كالحبوب والثمار والبقول والانعام كالحشيش وسائر ما يرعى * قال الحوفى من متعلقة باختلط * وقال أبو البقاء مما يأكل حال من النبات فاقتضى قول أبى البقاء أن يكون العامل فى الحال محذوفا لان الجرور والظرف اذا وقعا حالين كان العامل محذوفا وقول أبى البقاء هو الظاهر وتقديره كائنا مما يأكل وحتى غاية فيحتاج أن يكون الفعل الذى قبلها متطاولا حتى تصح الغاية فاما أن يقدر قبلها محذوف أى فما زال ينمو حتى اذا أو يتجوز فى فاختلط ويكون معناه فدام اختلاط النبات بالماء حتى اذا وقوله أخذت الارض زخرفها وازينت جملة بديعة اللفظ جعلت الارض آخذة زخرفها متزينة وذلك على جهة التمثيل بالعروس اذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتست وتزينت بانواع الحلى فاستعير الاخذ وهو التناول باليد لاشتمال نبات الارض على بهجة ونضارة وأثواب مختلفة واستعير لتلك البهجة والنضارة والالوان المختلفة لفظة الزخرف وهو الذهب لما كان من الاشياء البهجة المنظر السارة للنفوس وازينت أى بنباتها وما أودع فيه من الحبوب والثمار والازهار ويحتمل أن يكون قوله وازينت تأكيدا لقوله أخذت الارض زخرفها واحتمل أن لا يكون تأكيدا اذ قد يكون أخذ الزخرف لا لقصد التزيين فقيل وازينت ليفيد أنها قصدت التزيين ونسبة الأخذ الى الارض والتزيين من بديع الاستعارة * وقرأ الجمهور وازينت وأصله وتزينت فادغمت التاء فى الزاى فاجتلبت همزة الوصل لضرورة تسكين الزاى عند الادغام * وقرأ أبى وعبد الله وزيد بن على والأعمش وتزينت على وزن تفعلت * وقرأ سعد بن أبى وقاص وأبو عبد الرحمن وابن يعمر والحسن والشعبى وأبو العالية وقتادة ونصر بن عاصم وابن هرمز وعيسى الثقفى وأزينت على وزن

(الدر)

لاوجود لها حقيقة بما لاوجود لها حقيقة انما تشبه ما انتفى وجوده الآن بما قدر انتفاء وجوده فى الزمان الماضى لسرعة انتقاله من حالة الوجود الى حالة العدم فكان حالة الوجود ذا ماسبقت له وقرأ أبو الدرداء لقوم يتذكرون بالذال بدل الفاء

أفعلت كأحصد الزرع أي حضر زينتها وحانت وصحت الياء فيه على جهة الندور كأعيلت المرأة والقياس وأزانت كقولك وأبانت * وقرأ أبو عثمان النهدي بهمزة مفتوحة بوزن افعألت قاله عنه صاحب اللوامح قال كأنه كانت في الوزن بوزن احارّت لكنهم كرهوا الجمع بين ساكنين فحركت الألف فانقلبت همزة مفتوحة ونسب ابن عطية هذه القراءة لفرقة فقال وقرأت فرقة وازيأنت وهي لغة منها قال الشاعر * اذا ما الهوادي بالعبيط احمأرّت * وقرأ أشياخ عوف ابن أبي جميلة وازيانت بنون مشددة وألف ساكنة قبلها * قال ابن عطية وهي قراءة أبي عثمان النهدي * وقرأت فرقة وازّاينت والاصل وتزاينت فادغم والظن هنا على بابه من ترجيح أحد الجائزين * وقيل بمعنى أيقنوا وليس بسديد ومعنى القدرة عليها التمكن من تحصيلها ومنفعتها ورفع غلتها وذلك لحسن نموها وسلامتها من العاهات والضمير في أهلها عائد على الارض وهو على حذف مضاف أي أهل نباتها * وقيل الضمير عائد على الغلة * وقيل على الزينة وهو ضعيف وجواب اذا قوله أتاها أمرنا كالريح والصر والسموم وغير ذلك من الآفات كالفار والجراد * وقيل أتاها أمرنا باهلاكها وأبهم في قوله ليلاً أو نهاراً وقد علم تعالى متى يأتيها أمره أو تكون أو للتنويع لان بعض الارض يأتيها أمره تعالى ليلا وبعضها نهاراً ولا يخرج كأن عن وقوعه فيهما والحصيد فعيل بمعنى مفعول أي المحصود ولم يؤنث كما لم تؤنث امرأة جريح * وقال أبو عبيدة الحصيد المستأصل انتهى وعبر بحصيد عن التألف استعارة جعل ما هلك من الزرع بالآفة قبل أوانه حصيداً العلاقة ما بينهما من الطرح على الارض * وقيل يجوز أن تكون تشبيهاً بغير الاداة والتقدير فجعلناها كالحصيد وقوله كأن لم تغن بالامس مبالغة في التلف والهلاك حتى كأنها لم توجد قبل ولم يقم بالارض بهجة خضرة نضرة تسر أهلها * وقرأ الحسن وقتادة كأن لم يغن بالياء على التذكير * فقيل عائد على المضاف المحذوف الذي هو الزرع حذف وقامت هاء التأنيث مقامه في قوله عليها وفي قوله أتاها فجعلناها * وقيل عائد على الزخرف والأولى عوده على الحصيد أي كأن لم يغن الحصيد وكان مروان بن الحكم يقرأ على المنبر كأن لم تتغن بتاءين مثل تتفعل * وقال الأعشى * طويل الثواء طويل التغني * وهو من غنى بكذا أقام به * قال الزمخشري والامس مثل في الوقت كأنه قيل كأن لم تغن آنفاً انتهى وليس الأمس عبارة عن مطلق الوقت ولا هو مرادف كقوله آنفاً لان آنفاً معناه الساعة والمعنى كأن لم يكن لها وجود فيما مضى من الزمان ولولا أن قائلا قال في غير القرآن كأن لم يكن لها وجود الساعة لم يصح هذا المعنى لانه لا وجود لها الساعة فكيف تشبه وهي لا وجود لها حقيقة بما لا وجود لها حقيقة انما يشبه ما انتفى وجوده الآن بما قدر انتفاء وجوده في الزمان الماضي لسرعة انتقاله من حالة الوجود الى حالة العدم فكان حالة الوجود ما سبقت له وفي مصحف أبي كأن لم تغن بالأمس وما كنا لنهلكها الا بذنوب أهلها وفي التحرير نفصل الآيات رواه عنه ابن عباس * وقيل في مصحفه وما كان الله ليهلكها الا بذنوب أهلها وفي التحرير وكان أبو سلمة بن عبد الرحمن يقرأ في قراءة أبي كأن لم تغن بالأمس وما أهلكناها الا بذنوب أهلها ولا يحسن أن يقرأ أحد بهذه القراءة لانها مخالفة لخط المصحف الذي أجمع عليه الصحابة والتابعون انتهى كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون أي مثل هذا التفصيل الذي فصلناه في الماضي نفصل في المستقبل * وقرأ أبو الدرداء لقوم يتذكرون بالذال بدل الفاء ﴿والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم﴾ لما ذكر مثل الحياة الدنيا وما يؤول اليه من الفناء والاضمحلال وما

﴿ والله يدعو الى دار السلام ﴾ لما ذكر تعالى مثل الحياة الدنيا وماتؤول اليه من الفناء والاضمحلال وما تضمنته من الآفات والعاهات ذكر أنه داع الى دار السلامة والصحة والأمن وهي الجنة واهلها سالمون من كل مكروه ولما كان الدعاء عاما لم يتقيد بالمشيئة ولما كانت الهداية خاصة تقيدت بالمشيئة فقال ﴿ ويهدي من يشاء ﴾ هدايته

تضمنه من الآفات والعاهات ذكر تعالى انه داع الى دار السلامة والصحة والامن وهى الجنة إذ أهلها سالمون من كل مكروه و يجوز أن يكون تعالى أضافها الى اسمه الشريف على سبيل التعظيم لها والتشريف كما قيل بيت الله وناقة الله و يجوز أن تكون مضافة الى السلامة بمعنى التسليم لفشو ذلك بينهم ولتسليم الملائكة عليهم كما قال لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما * قال الحسن ان السلام لا ينقطع عن أهل الجنة وهو تحيتهم كما قال تعالى تحيتهم فيها سلام وقد وردت فى دعوة الله عباده أحاديث * وقال قتادة ذكر لنا أن فى التوراة مكتوبا يا باغى الخير هلم و يا باغى الشر انته ولما كان الدعاء عاما لم تتقيد بالمشيئة ولما كانت الهداية خاصة تقيدت بالمشيئة فقال و يهدى من يشاء * وقال الزمخشرى و يهدى يوفق من يشاء وهم الذين علم ان اللطف يجدى عليهم لأن مشيئته تابعة لحكمته * للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * و يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون * فكفى بالله شهيدا بيننا و بينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين * هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون * قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت و يخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون * فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون * كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون * قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون * قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون * وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيأ ان الله عليم بما يفعلون * وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين * بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين * ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين * وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون * ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون * ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون * ان الله لا يظلم الناس شيأ ولكن الناس أنفسهم يظلمون * و يوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين * و إما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون * ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون * و يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين * قل لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون * قل أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون * أثم اذا ما وقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون * ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون * و يستنبؤنك أحق هو قل إى و ربى انه لحق وما أنتم بمعجزين * ولو أن لكل

نفس ظلمت ما فى الارض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لايظلمون * ألا ان لله ما فى السموات والارض ألا ان وعد الله حق ولكن أكثرهم لايعلمون * هو يحيى ويميت واليه ترجعون * ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين * قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون * قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون * وماظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لايشكرون * وماتكون فى شأن وماتتلوا منه من قرآن ولاتعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه ومايعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولافى السماء ولاأصغر من ذلك ولاأكبر الافى كتاب مبين ﴾ رهقه غشيه * وقيل لحقه ومنه ولاترهقنى من أمرى عسرا ورجل مرهق يغشاه الاضياف * وقال الازهرى الرهق اسم من الارهاق وهو أن يحمل الانسان على نفسه مالايطيق يقال أرهقته أن يصلى اذا أعجلته عن الصلاة * وقيل أصل الرهق المقاربة يقال غلام مراهق أى قارب الحلم وفى الحديث أرهقوا القبلة أى ادنوا منها ويقال رهقت الكلاب الصيد اذا لحقته وأرهقنا الصلاة أخرناها حتى تدنو من الأخرى * القتر والقترة الغبار الذى معه سواد * وقال ابن عرفة الغبار وقال الفرزدق

متوج برداء الملك يتبعه * موج ترى فوقه الرايات والقترا

أى غبار العسكر * وقال ابن بحر أصل القتر دخان النار ومنه قتار القدر انتهى ويقال القتر بسكون التاء الشأن والأمر وجمعه شؤون وأصله الهمز بمعنى القصد من شأنت شأنه اذا قصدت قصده * عزب يعزب ويعزب بكسر الزاى وضمها غاب حتى خفى ومنه الروض العازب وقال أبوتمام

وقلقل نأى من خراسان جأشها * فقلت اطمئنى أنضر الروض عازبه

* وقيل للغائب عن أهله عازب حتى قالوه لمن لازوجة له ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولاذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ أحسنوا قال ابن عباس ذكروا كلمة لااله الاالله * وقال الاصم أحسنوا فى كل ماتعبدوا به أى أتوا بالمأمور به كما ينبغى واجتنبوا المنهى * وقيل أحسنوا معاملة الناس وروى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنوا العمل فى الدنيا وفى الصحيح ما الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وعن عيسى عليه السلام ليس الاحسان أن تحسن الى من أحسن اليك ذلك مكافأة ولكن الاحسان ان تحسن الى من أساء اليك والحسنى قال الأكثرون هى الجنة وروى ذلك عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولو صح وجب المصير اليه * وقال الطبرى الحسنى عام فى كل حسن فهو يعم جميع ماقيل ووعد الله فى جميعها بالزيادة ويؤيد ذلك أيضا قوله أولئك أصحاب الجنة ولو كان معنى الحسنى الجنة لكان فى القول تكرير فى المعنى * وقال عبد الرحمن بن سابط هى النضرة * وقال ابن زيد الجزاء فى الآخرة * وقيل الأمنية ذكره ابن الانبارى * وقال الزمخشرى المثوبة الحسنى وزيادة ومايزيد على المثوبة وهو التفضل ويدل عليه قوله تعالى ويزيدهم من فضله وعن على الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة * وعن ابن عباس الحسنى الحسنة والزيادة عشرة أمثالها * وعن الحسن عشرة أمثالها الى سبعمائة ضعف * وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان * وعن زياد بن شجرة الزيادة ان تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ماتريدون ان أمطركم فلا يريدون شيأ الا أمطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة

﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ أى أحسنوا فى كل ماتعبدوا به أى أتوا بالمأمور كما ينبغى واجتنبوا المنهى عنه والحسنى هى الجنة وزيادة هى النظر الى الله تعالى فى الجنة ولايلحقها خزى والخزى يتغير به الوجه ويسود فكنى بالوجه عن الجملة لكونه أشرفها ولظهور أثر السرور والحزن فيه

﴿ والذين كسبوا السيئات ﴾ والذين مبتدأ و ﴿جزاء ﴾ مبتدأ ثان وخبره ﴿ بمثلها ﴾ وقيل الباء زائدة والضمير العائد على المبتدأ محذوف تقديره جزاء سيئة منهم بمثلها وقيل خبر والذين قوله ﴿ مالهم من الله من عاصم ﴾ والجملتان قبله اعتراض بين المبتدأ وخبره ﴿ كأنما أغشيت وجوههم ﴾ هذه مبالغة في سواد الوجوه وقد جاء مصرحا به في قوله وتسود وجوه وأغشيت كسيت ومنه الغشاء وكون وجوههم مسودة هو حقيقة لا مجاز فتكون ألوانهم مسودة وقرئ قطعا بسكون الطاء ومظلما صفته وقرئ بفتح الطاء فيكون مظلما حالا من الليل وقال الزمخشري * فان قلت اذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه * قلت لا يخلو اما أن يكون أغشيت من قبل أن من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة واما أن يكون معنى الفعل في من الليل انتهى أما الوجه الاول فهو بعيد لان الاصل أن يكون العامل في الحال هو العامل في ذي الحال والعامل في الليل هو مستقر الواصل اليه بمن واغشيت عامل في قوله قطعا الموصوف بقوله من الليل فاختلفا فلذلك كان الوجه الأخير أولى أي قطعا مستقرة وكائنة من الليل في حال اظلامه * قال ابن عطية واذا كان نعتا يعني مظلما لقطعا فكان حقه أن يكون قبل الجملة ولكن قد يجيء بعد هذا وتقدير الجملة قطعا استقر من الليل مظلما على نحو قوله وهذا كتاب أنزلناه مبارك انتهى لا تعين تقدير العامل في المجرور

ان الزيادة النظر الى وجه الله تعالى وجاءت بحديث موضوع اذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا يا أهل الجنة فيكشفون الحجاب فينظرون اليه فوالله ما أعطاهم الله تعالى شيأ هو أحب اليهم منه انتهى أما تفسيره أولا ونقله عمن ذكر تفسير الزيادة فهو نص الجبائي ونقله وأما قوله وجاءت بحديث موضوع فليس بموضوع بل خرجه مسلم في صحيحه عن صهيب والنسائي عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم وخرجه ابن المبارك في دقائقه موقوفا على أبي موسى وقال بأن الزيادة هي النظر الى الله تعالى أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب في رواية وحذيفة وعبادة بن الصامت وكعب بن عجرة وأبو موسى وصهيب وابن عباس في رواية وهو قول جماعة من التابعين ومسألة الرؤية يبحث فيها في أصول الدين * قال مجاهد أرادوا لا يلحقها خزي والخزي يتغير به الوجه ويسود * قال ابن ابن عباس والذلة الكآبة * وقال غيره الهوان * وقيل الخيبة نفي عن المحسنين ما أثبت للكفار من قوله وترهقهم ذلة وقوله عليها غبرة ترهقها قترة وكنى بالوجه عن الجملة لكونه أشرفها ولظهور أثر السرور والحزن فيه * وقرأ الحسن وأبو رجاء وعيسى بن عمر والاعمش قتر بسكون التاء وهي لغة كالقدر والقدر وجعلوا أصحاب الجنة لتصرفهم فيها كما يتصرف الملاك على حسب اختيارهم ﴿ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ لما ذكر ما أعد للذين أحسنوا وحالهم يوم القيامة وما لهم الى الجنة ذكر ما أعد لاضدادهم وحالهم وما لهم وجاءت صلة المؤمنين أحسنوا وصلة الكافرين كسبوا السيئات تنبيها على أن المؤمن لما خلق على الفطرة وصلها بالاحسان وعلى أن الكافر لما خلق على الفطرة انتقل عنها وكسب السيئات فجعل ذلك محسنا وهذا كاسبا للسيئات ليدل على أن المؤمن سلك ما ينبغي وهذا سلك ما لا ينبغي والظاهر أن والذين مبتدأ وجوزوا في الخبر وجوها أحدها أنه الجملة التي بعده وهي جزاء سيئة بمثلها وجزاء مبتدأ فقيل خبره مثبت وهو بمثلها واختلفوا في الباء فقيل زائدة قاله ابن كيسان أي جزاء سيئة مثلها كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها كما زيدت في الخبر في قوله

* فمنعكها بشيء يستطاع * أي شيء يستطاع * وقيل ليست بزائدة والتقدير مقدر بمثلها أو مستقر بمثلها * وقيل محذوف فقدره الحوفي لهم جزاء سيئة قال ودل على تقدير لهم قوله للذين أحسنوا الحسنى حتى تنشأ كل هذه بهذه وقدره أبو البقاء جزاء سيئة بمثلها واقع والباء في قولها متعلقة بقوله جزاء والعائد من هذه الجملة الواقعة خبرا عن الذين محذوف تقديره جزاء سيئة منهم كما حذف في قولهم السمن منوان بدرهم أي منوان منه بدرهم وعلى تقدير الحوفي لهم جزاء يكون الرابط لهم الثاني ان الخبر قوله مالهم من الله من عاصم ويكون قد فصل بين المبتدأ والخبر بجملتين على سبيل الاعتراض ولا يجوز ذلك عند أبي علي الفارسي والصحيح جوازه * الثالث أن يكون الخبر كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما * الرابع ان يكون الخبر أولئك وما بعده فيكون في هذا القول فصل بين المبتدأ والخبر بأربع جمل معترضة وفي القول الثالث بثلاث جمل والصحيح منع الاعتراض بثلاث الجمل وبأربع الجمل وأجاز ابن عطية أن يكون الذين في موضع جر عطفا على قوله

بالفعل فيكون جملة بل الظاهر أن يقدر باسم الفاعل فيكون من قبيل الوصف بالمفرد والتقدير قطعا كائنا من الليل مظلما

(الدر) (ح) وكون وجوههم مسودة هو حقيقة لا مجاز فتكون ألوانهم مسودة وقال أبو عبد الله الرازي واعلم أن حكماء الاسلام قالوا المراد من هذا السواد هاهنا سواد الجهل وظلمة الضلال فان الجهل طبعه طبع الظلمة وقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة المراد نور العلم وروحه وسره ونشارته ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة المراد منه ظلمة الجهل وكدورة الضلال انتهى وكثيرا ما ينقل هذا الرجل عن حكماء الاسلام في التفسير وينقل كلامهم تارة منسوبا اليهم وتارة مستبدا ويعني بحكماء الاسلام الفلاسفة الذين خلقوا في هذه الملة الاسلامية وهم أحق بان يسموا سفهاء جهلاء من أن يسموا حكماء اذهم أعداء الانبياء والمحرفون للشريعة الاسلامية وهم أضر على المسلمين من اليهود والنصارى واذا كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نهى عن قراءة التوراة مع كونها كتابا الهيا فلان ينهى عن قراءة كلام الفلاسفة أحق وقد غلب في هذا الزمان وقبله بقليل الاشتغال بجهالات الفلاسفة على أكثر الناس ويسمونها الحكمة ويستجهلون (١٤٨) من عري عنها ويعتقدون انهم الكملة من الناس ويعكفون على دراستها ولا تكاد تلقى أحدا منهم يحفظ قرآنا ولا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد غضضت يوما من ابن سينا ونسبته للجهل فقال لي بعضهم وأظهر التعجب من كون أحد يغض من ابن سينا كيف يكون أعلم الناس بالله ينسب للجهل ولما ظهر من قاضي الجماعة أبي الوليد محمد بن أبي القاسم أحمد بن أبي الوليد بن رشد الاعتناء بمقالات الفلاسفة والتعظيم لهم أغرى به علماء الاسلام بالاندلس المنصور منصور الموحدين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي ملك الغرب والاندلس حتى أوقع به ما هو مشهور من ضربه ولعنه واهانته واهانة جماعة منهم على رؤس الاشهاد وكان مما خوطب به المنصور في حقهم قول بعض العلماء الشعراء

خليفتنا جزاك الله خيرا * عن الاسلام والسعي الكريم
فحق جهاده جاهدت فيه * الى أن فزت بالفتح العظيم
وصيرت الانام بحسن هدى * على نهج الصراط المستقيم
فجاهد في أناس قد أضلوا * طريق الشرع بالعلم القديم
وحرق كتبهم شرقا وغربا * ففيها كامنا شر العلوم
يدب الى العقائد من أذاها * سموم والعقائد كالجسوم
وفي أمثالها اذ لا دواء * يكون السيف ترياق السموم

(وقال)

يا وحشة الاسلام من فرقة * شاغلة أنفسها بالسفه
قد نبذت دين الهدى خلفها * وادعت الحكمة والفلسفه

وقال قد ظهرت في عصرنا فرقة * ظهورها شؤم على العصر
لا تقتدي في الدين الا بما * سن ابن سينا وأبو نصر

ولما حللت بديار مصر ورأيت كثيرا من أهلها يشتغلون بجهالات الفلاسفة ظاهرا من غير أن ينكر ذلك عليهم أحد تعجبت من ذلك

للذين أحسنوا ويكون جزاء مبتدأ خبره قوله والذين على اسقاط حرف الجر أي وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها فيتعادل التقسيم كما تقول في الدار زيد والقصر عمرو أي وفي القصر عمرو وهذا التركيب مسموع من لسان العرب نخرجه الأخفش على انه من العطف على عاملين وخرجه الجمهور على انه مما حذف منه حرف الجر وجره بذلك الحرف المحذوف لا بالعطف على المجرور وهي مسألة خلاف وتفصيل يتكلم فيها في علم النحو والظاهر ان السيئات هنا هي سيئات الكفر ويدل عليه ذكر اوصافهم بعد * وقيل السيئات المعاصي فيندرج فيها الكفر وغيره ولهذا قال ابن عطية وتعم السيئات هاهنا الكفر والمعاصي فمثل سيئة الكفر التخليد في النار ومثل سيئات المعاصي مصروف الى مشيئة الله تعالى ومعنى بمثلها أي لا يزاد عليها * قال الزمخشري وفي هذا دليل على أن المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل باثبات الزيادة على المثوبة على فضله انتهى * وقيل معنى بمثلها أي بما يليق بها من العقوبات فالعقوبات تترتب على قدر السيئات ولهذا كانت جهنم دركات وكان المنافقون في الدرك الاسفل لقبح معصيتهم * وقرئ ويرهقهم بالياء لأن تأنيث الذلة مجاز وفي وصف المنافقين نفي القتر والذلة عن وجوههم وهنا غشيتهم الذلة وبولغ فيما يقابل القتر فقيل كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما وهذه مبالغة في سواد الوجوه وقد جاء مصرحا في قوله وتسود وجوه من الله أي من سخطه وعذابه أو من جهته تعالى ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين وأغشيت كسبت ومنه الغشاء وكون وجوههم مسودة هي حقيقة لا مجاز فتكون ألوانهم مسودة * قال أبو عبد الله الرازي واعلم ان حكماء الاسلام قالوا المراد من هذا السواد ههنا سواد الجهل وظلمة الضلال فان الجهل طبعه طبع الظلمة فقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة المراد نور العلم وروحه وبشره وبشارته ووجوه

(الدر) اذ كنا نشأنا فى جزيرة الأندلس على التبرؤ من ذلك والانكار له وأنه اذا بيع كتاب فى المنطق انما يباع خفية وأنه لا يتجاسر ان ينطق بلفظ المنطق انما يسمونه المفعل حتى أن صاحبنا وزير الملك ابن الاحمر أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الحكيم كتب الى كتابا من الأندلس سألنى أن (١٤٩) أشترى له أو أستنسخ كتابا لبعض شيوخنا فى المنطق فلم

يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة المراد منه ظلمة الجهل وكدورة الضلالة انتهى وكثيرا ما ينقل هذا الرجل عن حكماء الاسلام فى التفسير و ينقل كلامهم تارة منسوبا اليهم وتارة مستندا به ويعنى بحكماء الفلاسفة الذين خلقوا فى مدة الملة الاسلامية وهم أحق بأن يسموا سفهاء جهلاء من أن يسموا حكماء اذهم أعداء الأنبياء والمحرفون للشريعة الاسلامية وهم أضر على المسلمين من اليهود والنصارى واذا كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه نهى عن قراءة التوراة مع كونها كتابا الهيا فلان ينهى عن قراءة كلام الفلاسفة أحق وقد غلب فى هذا الزمان وقبله بقليل الاشتغال بجهالات الفلاسفة على أكثر الناس ويسمونها الحكمة ويستجهلون من عرى عنها ويعتقدون انهم الكملة من الناس و يعكفون على دراستها ولا تكاد تلقى أحدا منهم يحفظ قرآنا ولا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد غضضت مرة من ابن سينا ونسبته للجهل فقال لى بعضهم وأظهر التعجب من كون أحد يغض من ابن سينا كيف يكون أعلم الناس بالله ينسب للجهل ولما ظهر من قاضى الجماعة أبى الوليد محمد بن أبى القاسم أحمد بن أبى الوليد بن رشد الاعتناء بمقالات الفلاسفة والتعظيم لهم أغرى به علماء الاسلام بالاندلس المنصور منصور الموحدين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ابن على ملك المغرب والاندلس حتى أوقع به ما هو مشهور من ضربه ولعنه واهانته واهانة جماعة منهم على رؤس الاشهاد وكان مما خوطب به المنصور فى حقهم قول بعض العلماء الشعراء

خليفتنا جزاك الله خيرا * عن الاسلام والسعى الكريم
لحق جهاده جاهدت فيه * الى ان فزت بالفتح العظيم
وصيرت الأنام بحسن هدى * على نهج الصراط المستقيم
لجاهد فى أناس قد أضاوا * طريق الشرع بالعلم القديم
وحرق كتبهم شرقا وغربا * ففيها كامنا شر العلوم
يدب الى العقائد من أذاها * سموم والعقائد كالجسوم
وفى أمثالها اذ لادواء * يكون السيف ترياق السموم

وقال

ياوحشة الاسلام من فرقة * شاغلة أنفسها بالسفه
قد نبذت دين الهدى خلفها * وادعت الحكمة والفلسفه

وقال

قد ظهرت فى عصرنا فرقة * ظهورها شؤم على العصر
لاتقتدى فى الدين الا بما * سن ابن سينا أو أبو نصر

ولما حللت بديار مصر ورأيت كثيرا من أهلها يشتغلون بجهالات الفلاسفة ظاهرا من غير أن ينكر ذلك أحد تعجبت من ذلك اذ كنا نشأنا فى جزيرة الاندلس على التبرؤ من ذلك والانكار له وانه اذا

يتجاسر أن ينطق بالمنطق وهو وزير فسماه فى كتابه لى بالمفعل * قال جامعه الشعر المقول للمنصور فى حق ابن رشد ونظرائه لابى الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنانى الشاطبى صاحب الرحلة روى عن أبيه وأبى الوليد بن الدباغ وابن أبى العيش وغيرهم وكان عالما فاضلا ورعا زاهدا مولده ببلنسية عام أربعين وخمسمائة ومات بالاسكندرية فى شعبان عام أربعة عشر وستمائة ومات ابن رشد الحفيد بمراكش فى صفر عام خمس وتسعين وخمسمائة وحمل الى قرطبة فدفن بها (ش) فان قلت مظلما حال من الليل فما العامل فيه قلت لا يخلو اما أن يكون أغشيت من قبل ان من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة واما أن يكون معنى الفعل فى من الليل انتهى

(ح) أما الوجه الأول فهو بعيد لان الاصل أن يكون العامل فى الحال هو العامل فى ذى الحال والعامل فى الليل هو مستقر الواصل اليه بمن وأغشيت عامل فى قوله قطعا الموصوف بقوله من الليل فاختلفا فلذلك كان الوجه الآخر أولى أى قطعا مستقرة من الليل أو كائنة من أى فى حال إظلامه (ع) فان كان نعتا يعنى مظلما نعتا لقطعا فكان حقه أن يكون قبل الجملة ولكن قد يجىء بعد هذا وتقدير الجملة قطعا استقر من الليل مظلما على نحو قوله وهذا كتاب أنزلناه مبارك انتهى (ح) لا يتعين تقدير العامل فى المجرور بالفعل فيكون جملة بل الظاهر أن يقدر باسم الفاعل فيكون من قبيل الوصف بالمفرد والتقدير قطعا كائنا من الليل مظلما

﴿ ويوم نحشرهم الآية ﴾ الضمير فى نحشرهم عائد على من تقدم من الفريقين وانتصب يوم على فعل محذوف أى ذكرهم أو خوفهم ونحوه وجميعا حال والشركاء هم من عبد من دون الله كائنا من كان ومكانكم عده النحويون فى أسماء الأفعال وقدر باثبتوا كما قال وقولى كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى أى اثبتى ولكونها بمعنى اثبتى جزم تحمدى وتحملت ضميرا فأكد وعطف عليه فى قوله أنتم وشركاؤكم قال الزمخشرى وأنتم أكد به الضمير فى مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه انتهى يعنى عطفا على الضمير المستكن وتقديره الزموا وان مكانكم قام مقامه فتحمل الضمير الذى فى الزموا ليس بجيد اذ لو كان كذلك لكان مكانكم الذى هو اسم فعل يتعدى كما يتعدى الزموا ألا ترى ان اسم الفعل اذا كان الفعل لازما كان اسم الفعل لازما واذا كان متعديا كان متعديا مثال ذلك عليك زيدا لما ناب مناب الزم تعدى واليك لما ناب مناب تنح لم يتعد ولكون مكانك لا يتعدى قدره النحويون اثبتوا واثبتوا لا يتعدى * قال ابن عطية أنتم رفع بالابتداء والخبر مخزيون أو مهانون ونحوه فيكون مكانكم قد تم ثم أخبرانهم كذا وهذا ضعيف لفك الكلام الظاهر اتصال بعض أجزائه ببعض ولتقدير اضمار لا ضرورة تدعو اليه ولقوله فزيلنا بينهم اذ يدل على انهم ثبتوا هم وشركاؤهم فى مكان واحد حتى وقع التزييل بينهم وهو التفريق ولقراءة من قرأ أنتم وشركاءكم بالنصب على انه مفعول معه والعامل فيه اسم الفعل ولو كان أنتم مبتدأ وقد حذف خبره لما جاز أن يأتى بعده مفعول معه تقول كل رجل وضيعته بالرفع ولا يجوز فيه النصب قال ابن عطية ويجوز أن يكون أنتم تأكيدا للضمير الذى فى الفعل المقدر الذى هو قفوا أو نحوه وهذا ليس بجيد اذ لو كان تأكيدا لذلك الضمير المتصل بالفعل لجاز تقديمه على الظرف اذ الظرف لم يتحمل ضميرا على هذا القول فيلزم تأخيره عنه وهو غير جائز لا تقول أنت مكانك ولا يحفظ من كلامهم والأصح انه لا يجوز حذف المؤكد فى التأكيد المعنوى فكذلك هذا لان التأكيد ينافى الحذف وليس من كلامهم أنت زيدا لمن رأيته قد شهر سيفا وأنت تريد اضرب أنت زيدا انما كلام العرب زيدا تريد اضرب زيدا [illegible] وزعم ابن قتيبة وتبعه أبو البقاء ان قوله

بيع كتاب فى المنطق انما يباع خفية وانه لا يتجاسر أن ينطق بلفظ المنطق انما يسمونه المفعل حتى ان صاحبنا وزير الملك ابن الأحمر أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الحكيم كتب الينا كتابا من الاندلس يسألنى أن أشترى أو أستنسخ كتابا لبعض شيوخنا فى المنطق فلم يتجاسر أن ينطق بالمنطق وهو وزير فسماه فى كتابه لى بالمفعل ولما ألبست وجوههم السواد قال كأنما أغشيت وجوههم ولما كانت ظلمة الليل نهاية فى السواد شبه سواد وجوههم بقطع من الليل حال اشتداد ظلمته * وقرأ ابن كثير والكسائى قطعا بسكون الطاء وهو مفرد اسم للشئ المقطوع * وقال الأخفش فى قوله بقطع من الليل بسواد من الليل وأهل اللغة يقولون القطع ظلمة آخر الليل وقال بعضهم طائفة من الليل وعلى هذه القراءة يكون قوله مظلما صفة لقوله قطعا كما جاء ذلك فى قراءة أبى كأنما تغشى وجوههم قطع من الليل مظلم * وقرأ ابن أبى عبلة كذلك الا انه فتح الطاء * وقيل قطع جمع قطعة نحو سدر وسدرة فيجوز اذ ذاك أن يوصف بالمذكر نحو نخل منقعر وبالمؤنث نحو نخل خاوية ويجوز على هذا أن يكون مظلما حالا من الليل كما أعربوه فى قراءة باقى السبعة كأنما أغشيت وجوههم قطعا بتحريك الطاء بالفتح من الليل مظلما بالنصب * قال الزمخشرى (فان قلت) اذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه (قلت) لا يخلو اما أن يكون أغشيت من قبل ان من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة واما أن يكون معنى الفعل فى من الليل انتهى أما الوجه الأول فهو بعيد لان الأصل أن يكون العامل فى الحال هو العامل فى ذى الحال والعامل فى الليل هو مستقر الواصل اليه بمن وأغشيت عامل فى قوله قطعا الموصوف بقوله من الليل فاختلفا فلذلك كان الوجه الأخير أولى أى قطعا مستقرة من الليل أو كائنة من الليل فى حال اظلامه * وقيل مظلما حال من قوله قطعا أو صفة وذكر فى هذين التوجيهين لان قطعا فى معنى كثير فلوحظ فيه الافراد والتذكير وجوزوا أيضا فى قراءة من سكن الطاء أن يكون مظلما حالا من قطع وحالا من الضمير فى من * قال ابن عطية فاذا كان نعتا يعنى مظلما نعتا للقطع فكان حقه أن يكون قبل الجملة ولكن قد يجىء بعد هذا وتقدير الجملة قطعا استقر من الليل مظلما على نحو قوله وهذا كتاب أنزلناه مبارك انتهى ولا يتعين تقدير العامل فى المجرور بالفعل فيكون جملة بل الظاهر أن يقدر باسم الفاعل فيكون من قبيل الوصف بالمفرد والتقدير قطعا كائنا من الليل مظلما ﴿ ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال

زيلنا من مادة زال يزول فتكون عين الكلمة واوا وزيلنا وزنه عندهما فيعل اجتمعت ياء وواو وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء والصحيح انه من ذوات الياء وان وزنه فعل ولذلك قالوا في مصدره تزييلا على وزن تفعيل وقالوا في الاشتقاق منه زايلنا بالياء ونفي الشركاء عبادة المشركين هو رد لقولهم أيا كم كنا نعبد وايا كم مفعول بتعبدون وحسن تقديمه كون تعبدون فصلا ولما تنازعوا استشهد الشركاء بالله تعالى وانتصب شهيدا على التمييز لقبوله صحة من وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين ان النافية وبين ان التي للاثبات وتقدم الكلام على مثل ذلك في قوله وان كانت لكبيرة

(الدر) (ش) وأنتم أكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه انتهى (ح) يعني عطفا على الضمير المستكن وتقديره الزموا وان مكانكم قام مقامه فيحمل الضمير الذي في الزموا اليس بجيد إذ لو كان كذلك لكان مكانك الذي هو اسم فعل يتعدى كما يتعدى الزموا ألا ترى أن اسم الفعل اذا كان الفعل لازما كان اسم الفعل لازما واذا كان متعديا كان متعديا مثال ذلك عليك زيدا لما ناب مناب الزم تعدى واليك لما ناب مناب تنح لم يتعد ولكون مكانك لا يتعدى قدره النحويون اثبت واثبت لا يتعدى (ع) أنتم رفع بالابتداء والخبر مخزيون أو مهانون ونحوه (ح) فيكون مكانكم قد تم ثم أخبر أنهم كذا وهذا ضعيف لفك الكلام الظاهر اتصال أجزائه ببعض ولتقدير اضمار لا ضرورة تدعو اليه ولقوله فزيلنا بينهم إذ يدل على انهم ثبتوا هم وشركاؤهم في مكان واحد حتى وقع التزييل بينهم وهو التفريق ولقراءة من قرأ أنتم وشركاءكم بالنصب على أنه مفعول معه والعامل فيه اسم الفعل ولو كان أنتم مبتدأ وقد حذف خبره لما جاز أن يأتي بعده مفعول معه تقول كل رجل وضيعته بالرفع ولا يجوز فيه النصب قال جامعه أجازه أبو محمد عبد الله بن اسحق الصيمري النحوي صاحب كتاب التبصرة (ع) ويجوز أن يكون أنتم تأكيدا للضمير الذي في الفعل المقدر الذي هو قفوا أو نحوه (ح) هذا ليس بجيد إذ لو كان تأكيدا لذلك الضمير المتصل بالفعل لجاز تقديمه على الظرف اذ الظرف لم يتحمل ضميرا على هذا القول فيلزم تأخيره عنه وهو غير جائز لا تقول أنت مكانك ولا يحفظ من كلامهم والاصح انه لا يجوز حذف المؤكد في التأكيد المعنوي فكذلك هذا لان التأكيد ينافي الحذف وليس من كلامهم أنت زيدا لمن رأيته قد شهر سيفا وأنت تريد اضرب أنت زيدا انما كلام العرب زيدا تريد اضرب زيدا

شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين * الضمير في نحشرهم عائد على من تقدم ذكرهم من الذين أحسنوا والذين كسبوا السيئات * وقرأ الحسن وشيبة والقراء السبعة نحشرهم بالنون وقرأت فرقة بالياء * وقيل يعود الضمير على الذين كسبوا السيئات ومنهم عابد غير الله ومن لا يعبد شيأ وانتصب يوم على فعل محذوف أي ذكرهم أو خوفهم ونحوه وجميعا حال والشركاء الشياطين أو الملائكة أو الأصنام أو من عبد من دون الله كائنا من كان أربعة أقوال ومن قال الأصنام قال ينفخ فيها الروح فينطقها الله بذلك مكان الشفاعة التي علقوا بها اطماعهم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الكفار اذا رأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب قيل لهم اتبعوا ما كنتم تعبدون فيقولون والله لايا كم كنا نعبد فتقول الآلهة فكفى بالله شهيدا الآية * قال ابن عطية فظاهر هذه الآية أن محاورتهم انما هي مع الأصنام دون الملائكة وعيسى بن مريم بدليل القول لهم مكانكم أنتم وشركاؤكم ودون فرعون ومن عبد من الجن بدليل قولهم ان كنا عن عبادتكم لغافلين وهؤلاء لم يغفلوا قط عن عبادة من عبدهم ومكانكم عده النحويون في أسماء الافعال وقدر باثبتوا كما قال

وقولي كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تستريحي

أي اثبتي ولكونها بمعنى اثبتي جزم تحمدي وتحملت ضميرا فأكد وعطف عليه في قوله أنتم وشركاؤكم والحركة التي في مكانك ودونك أهي حركة اعراب أو حركة بناء تبتني على الخلاف الذي بين النحويين في أسماء الأفعال ألها موضع من الاعراب أم لا فمن قال هي في موضع نصب جعل الحركة اعرابا ومن قال لا موضع لها من الاعراب جعلها حركة بناء وعلى الأول عول الزمخشري فقال مكانكم الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم واختلفوا في أنتم فالظاهر ما ذكرناه من أنه تأكيد للضمير المستكن في مكانكم وشركاؤكم عطف على ذلك الضمير المستكن وهو قول الزمخشري قال وأنتم أكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه انتهى يعني عطفا على الضمير المستكن وتقديره الزموا وأن مكانكم قام مقامه فيحمل الضمير الذي

فى الزموا ليس بجيد اذلو كان كذلك لكان مكانك الذى هو اسم فعل يتعدى كما يتعدى الزموا ألا ترى أن اسم الفعل اذا كان الفعل لازما كان اسم الفعل لازما واذا كان متعديا كان متعديا مثال ذلك عليك زيدا لما ناب مناب الزم تعدى واليك لما ناب مناب تنح لم يتعد ولكون مكانك لا يتعدى قدره النحويون اثبت واثبت لا يتعدى * قال الحوفى مكانكم نصب باضمار فعل أى الزموا مكانكم أو اثبتوا * وقال أبو البقاء مكانكم ظرف مبنى لوقوعه موقع الأمر أى الزموا انتهى وقد بينا أن تقدير الزموا ليس بجيد اذ لم تقل العرب مكانك زيدا فتعديه كما تعدى الزم * وقال ابن عطية أنتم رفع بالابتداء والخبر مخزيون أو مهانون ونحوه انتهى فيكون مكانكم قد تم ثم أخبر أنهم كذا وهذا ضعيف لفك الكلام الظاهر اتصال بعض أجزائه ببعض ولتقدير اضمار لا ضرورة تدعو اليه ولقوله فزيلنا بينهم اذ يدل على أنهم ثبتوا هم وشركاؤكم فى مكان واحد حتى وقع التزييل بينهم وهو التفريق ولقراءة من قرأ أنتم وشركاءكم بالنصب على أنه مفعول معه والعامل فيه اسم الفعل ولو كان أنتم مبتدأ وقد حذف خبره لما جاز أن يأتى بعده مفعول معه تقول كل رجل وضيعته بالرفع ولا يجوز فيه النصب * وقال ابن عطية أيضا ويجوز أن يكون أنتم تأكيدا للضمير الذى فى الفعل المقدر الذى هو قفوا أو نحوه انتهى وهذا ليس بجيد اذ لو كان تأكيدا لذلك الضمير المتصل بالفعل لجاز تقديمه على الظرف اذ الظرف لم يتحمل ضميرا على هذا القول فيلزم تأخيره عنه وهو غير جائز لا تقول أنت مكانك ولا يحفظ من كلامهم والأصح أن لا يجوز حذف المؤكد فى التأكيد المعنوى فكذلك هذا لأن التأكيد ينافى الحذف وليس من كلامهم أنت زيدا لمن رأيته قد شهر سيفا وأنت تريد اضرب أنت زيدا انما كلام العرب زيدا تريد اضرب زيدا * يقال زلت الشئ عن مكانه أزيله * قال الفراء تقول العرب زلت الضأن من المعز فلم تزل * وقال الواحدى التزييل والتزيل والمزايلة التمييز والتفريق انتهى وزيل مضاعف للتكثير وهو لمفارقة الجبث (٣) من ذوات الياء بخلاف زال يزول فادتهما مختلفة وزعم ابن قتيبة ان زيلنا من مادة زال يزول وتبعه أبو البقاء * وقال أبو البقاء فزيلنا عين الكلمة واو لأنه من زال يزول وانما قلبت ياء لأن وزن الكلمة فيعل أى زيولنا مثل بيطر وبيقر فلما اجتمعت الواو والياء على الشرط المعروف قلبت ياء انتهى وليس بجيد لأن فعل أكثر من فيعل ولأن مصدره تزييل ولو كان فيعل لكان مصدره فيعلة فكان يكون زيلة كبيطرة لأن فيعل ملحق بفعلل ولقولهم فى قريب من معناه زايل ولم يقولوا زاول بمعنى فارق انما قالوه بمعنى حاول وخالط وشرح فزيلنا ففرقنا بينهم وقطعنا أقرانهم والوصل التى كانت بينهم فى الدنيا أو فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم فى الموقف وبين شركائهم كقوله تعالى أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا وقرأت فرقة فزايلنا حكاه الفراء * قال الزمخشرى كقولك صاعر خده وصعر وكالمته وكلمته انتهى يعنى أن فاعل بمعنى فعل وزايل فى لسان العرب بمعنى فارق قال

وقال العذارى انما أنت عمنا * وكان الشباب كالخليط يزايله

* وقال آخر *

لعمرى لموت لا عقوبة بعده * لذى البث أشفى من هوى لا يزايله

والظاهر أن التزييل أو المزايلة هو بمفارقة الاجسام وتباعده * وقيل فرقنا بينهم فى الحجة والمذهب قاله ابن عطية وفزيلنا وقال هنا ماضيان لفظا والمعنى فنزيل بينهم ونقول لانهما معطوفان على مستقبل ونفى الشركاء عبادة المشركين هو رد لقولهم لايا كم كنا نعبد والمعنى انكم كنتم تعبدون من

أمركم ان تتخذوا الله تعالى أندادا فأطعتموهم ولما تنازعوا استشهد الشركاء بالله تعالى وانتصب شهيدا * قيل على الحال والأصح على التمييز لقبوله من وتقدم الكلام في كفى وفي الباء وان هي الخفيفة من الثقيلة وعند الفراء هي النافية واللام بمعنى الا وقد تقدم الكلام في ذلك واكتفاؤهم بشهادة الله هو على انتفاء أنهم عبدوهم ثم استأنفوا جملة خبرية أنهم كانوا غافلين عن عبادتهم أي لا شعور لنا بذلك وهذا يرجح أن الشركاء هي الأصنام كما قال ابن عطية لانه لو كان الشركاء ممن يعقل من انسي أو جني أو ملك لكان له شعور بعبادتهم ولا شيء أعظم سببا للغفلة من الجمادية اذ لا تحس ولا تشعر بشيء البتة ﴿ هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ هنالك ظرف مكان أي في ذلك الموقف والمقام المقتضي للحيرة والدهش * وقيل هو اشارة الى الوقت استعير ظرف المكان للزمان أي في ذلك الوقت * وقرأ الاخوان وزيد بن علي تتلوا بتاءين أي تتبع وتطلب ما أسلفت من أعمالها قاله السدي ومنه قول الشاعر

ان المريب يتبع المريبا * كما رأيت الذيب يتلو الذيبا

* قيل ويصح أن يكون من التلاوة وهي القراءة أي تقرأ كتبها التي تدفع اليها * وقرأ باقي السبعة تبلوا بالتاء والباء أي تختبر ما أسلفت من العمل فتعرف كيف هو أقبيح أم حسن أنافع أم ضار أمقبول أم مردود كما يتعرف الرجل الشيء باختباره * وروى عن عاصم نبلوا بنون وباء أي نختبر وكل نفس بالنصب وما أسلفت بدل من كل نفس أو منصوب على اسقاط الخافض أي ما أسلفت أو يكون نبلوا من البلاء وهو العذاب أي نصيب كل نفس عاصية بالبلاء بسبب ما أسلفت من العمل المسيء * وعن الحسن تبلوا تتسلم * وعن الكلبي تعلم * وقيل تذوق * وقرأ يحيى بن وثاب وردوا بكسر الراء الساكن للادغام نقل حركة الدال الى حركة الراء بعد حذف حركتها ومعنى الى الله الى عقابه * وقيل الى موضع جزائه مولاهم الحق لا ما زعموه من أصنامهم اذ هو المتولي حسابهم فهو مولاهم في الملك والاحاطة لا في النصر والرحمة * وقرئ الحق بالنصب على المدح نحو الحمد لله أهل الحمد * وقال الزمخشري كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل على تأكيد قوله ردوا الى الله انتهى * وقال أبو عبد الله الرازي وردوا الى الله جعلوا ملجئين الى الاقرار بالالهية بعد أن كانوا في الدنيا يعبدون غير الله ولذلك قال مولاهم الحق وضل عنهم أي بطل وذهب ما كانوا يفترونه من الكذب أو من دعواهم ان أصنامهم شركاء لله شافعون لهم عنده ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴾ لما بين فضائح عبدة الأوثان أتبعها بذكر الدلائل على فساد مذهبهم بما يوبخهم ويحجهم بما لا يمكن الا الاعتراف به من حال رزقهم وحواسهم واظهار القدرة الباهرة في الموت والحياة فبدأ بما فيه قوام حياتهم وهو الرزق الذي لا بد منه فمن السماء بالمطر ومن الأرض بالنبات فمن لابتداء الغاية وهيء الرزق بالعالم العلوي والعالم السفلي معا لم يقتصر على جهة واحدة تعالى توسعة منه واحسانا ومن ذهب الى أن التقدير من أهل السماء والأرض فتكون من للتبعيض أو للبيان ثم ذكر ملكه لهاتين الحاستين الشريفتين السمع الذي هو سبب مدارك الأشياء والبصر

﴿ وردوا الى الله ﴾ أي الى جزائه ﴿ وضل عنهم ﴾ أي ذهب وبطل ﴿ ما كانوا يفترون ﴾ من الكذب ﴿ قل من يرزقكم ﴾ الآية لما بين فضائح عبدة الأوثان أتبعها بذكر الدلائل على فساد مذهبهم بما يوبخهم ويحجهم بما لا يمكن الا الاعتراف به من حال رزقهم وحواسهم واظهار القدرة الباهرة في الموت والحياة فبدأ بما فيه قوام حياتهم وهو الرزق الذي لا بد منه من السماء بالمطر ومن الارض بالنبات فمن الابتداء الغاية هيء الرزق بالعالم العلوي والعالم السفلي معا لم يقتصر على جهة واحدة توسعة منه واحسانا ثم ذكر ملكه لهاتين الحاستين الشريفتين السمع والبصر الذي هو سبب مدارك الأشياء والبصر الذي يرى ملكوت السموات والارض ومعنى ملكهما انه متصرف فيهما بما يشاء من ابقاء وحفظ وذهاب ﴿ ومن يخرج الحي من الميت ﴾ تقدم تفسيره ﴿ ومن يدبر الأمر ﴾ شامل لما تقدم من الأشياء الاربعة المذكورة ولغيرها والامور التي يدبرها تعالى لا نهاية لها فلذلك جاء بالأمر الكلي بعد تفصيل بعض الامور واعترافهم بأن الرازق والمالك والمخرج والمدبر هو الله تعالى أمر لا يمكنهم انكاره ولا المباهتة فيه

الذي يرى ملكوت السموات والأرض ومعنى ملكهما أنه متصرف فيهما بما يشاء تعالى من ابقاء وحفظ واذهاب * وقال الزمخشري من يملك السمع والأبصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة أو من يحميهما ويعصمهما من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما اللطيفان يؤذيهما أدنى شئ بكلاءته وحفظه انتهى ولا يظهر هذان الوجهان اللذان ذكرهما من لفظ أم من يملك السمع والأبصار * وعن علي كرم الله وجهه سبحان من بصر بشحم وأسمع بعظم وأنطق بلحم وأم هنا تقتضي تقدير بل دون همزة الاستفهام لقوله تعالى أم ماذا كنتم تعملون فلا تتقدر ببل فالهمزة لانها دخلت على اسم الاستفهام وليس اضراب ابطال بل هو لانتقال من شئ الى شئ ونبه تعالى بالسمع والبصر على الحواس لأنهما أشرفها ولما ذكر تعالى سبب ادامة الحياة وسبب انتفاع الحي بالحواس ذكر انشاءه تعالى واختراعه للحي من الميت والميت من الحي وذلك من باهر قدرته وهو اخراج الضد من ضده وتقدم تفسير ذلك ومن يدبر الأمر شامل لما تقدم من الأشياء الأربعة المذكورة ولغيرها والامور التي يدبرها تعالى لانهاية لها فلذلك جاء بالامر الكلي بعد تفصيل بعض الأمور واعترافهم بأن الرازق والمالك والمخرج والمدبر هو الله أي لا يمكنهم انكاره ولا المنافسة فيه ومعنى أفلا تتقون أفلا تخافون عقوبة الله في افترائكم وجعلكم الأصنام آلهة * وقيل أفلا تتعظون فتنتهون عن ما حذرت عنه تلك الموعظة ﴿ فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون ﴾ فذلكم اشارة الى من اختص بالأوصاف السابقة الحق الثابت الربوبية المستوجبة للعبادة واعتقاد اختصاصه بالالوهية لا أصنامكم المربوبة الباطلة وماذا استفهام معناه النفي ولذلك دخلت الا وصحبه التقرير والتوبيخ كأنه قيل ما بعد الحق الا الضلال فالحق والضلال لا واسطة بينهما اذهما نقيضان فمن يخطئ الحق وقع في الضلال وماذا مبتدأ تركبت ذا مع ما فصار مجموعهما استفهاما كأنه قيل أي شئ والخبر بعد الحق ويجوز أن يكون ذا موصولة ويكون خبر ما كأنه قيل ما الذي بعد الحق وبعد صلة كذا ولما ذكر تعالى تلك الصفات وأشار الى أن المتصف بها هو الله وأنه مالكهم وأنه هو الحق ثم وبخهم على اتباع الضلال بعد وضوح الحق قال تعالى فأنى تصرفون أي كيف يقع صرفكم بعد وضوح الحق وقيام حججه عن عبادة من يستحق العبادة وكيف تشركون معه غيره وهو لا يشاركه في شئ من تلك الأوصاف واستنباط كون الشطرنج ضلالا من قوله فماذا بعد الحق الا الضلال لا يكاد يظهر لأن الآية انما سياقها في الكفر والايمان وعبادة الأصنام وعبادة الله وليس مساقها في الأمور الفرعية التي تختلف فيها الشرائع وتختلف فيها أقوال علماء ملتنا وقد تعلق الجبائي بهذه الآية في الرد على المجبرة اذ يقولون انه تعالى يصرف الكفار عن الايمان قال لو كان كذلك ما قال أنى تصرفون كما لو أعمى بصر أحدهم لا يقول انى عميت كذلك الكاف للتشبيه في موضع نصب والاشارة بذلك قيل الى المصدر المفهوم من تصرفون مثل صرفهم عن الحق بعد الاقرار به في قوله فسيقولون الله حق العذاب عليهم أي جازاهم مثل أفعالهم * وقيل اشارة الى الحق * قال الزمخشري كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك أي كما حق وثبت ان الحق بعد الضلال أو كما حق أنهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك وقال ابن عطية كذلك أي كما كانت صفات الله كما وصف وعبادته واجبة كما تقرر وانصراف هؤلاء كما قدر عليهم واكتسبوا كذلك حقت ومعنى فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا الى الحد الأقصى فيه وانهم لا يؤمنون بدل من كلمة

﴿ فذلكم ﴾ اشارة الى من اختص بهذه الاوصاف السابقة ﴿ فماذا ﴾ استفهام معناه النفي ولذلك دخلت الا وصحبه التقرير والتوبيخ كأنه قيل ما بعد الحق الا الضلال وماذا مبتدأ ركبت ذا مع ما فصار مجموعهما استفهاما كأنه قيل أي شئ والخبر بعد الحق ﴿ فأنى تصرفون ﴾ أي كيف يقع صرفكم بعد وضوح الحق وقيام حججه عن عبادة من يستحق العبادة وكيف تشركون معه غيره وهو لا يشاركه في شئ من تلك الاوصاف ﴿ كذلك حقت ﴾ الكاف للتشبيه في موضع نصب والاشارة بذلك الى المصدر المفهوم من تصرفون أي مثل صرفهم عن الحق بعد الاقرار به في قوله فسيقولون الله حق العذاب عليهم أي جازاهم مثل أفعالهم

﴿قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق﴾ لما استفهم عن اشياء من صفات الله واعترفوا بها ثم أنكر عليهم صرفهم عن الحق وعبادة الله تعالى استفهم عن شئ هو سبب العبادة وهو ابداء الخلق وهم يسلمون ذلك لقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ثم أعاد الخلق وهم منكرون ذلك لكنه عطف على مايسلمونه ليعلم انهما سواء بالنسبة الى قدرته تعالى وان ذلك لوضوحه وقيام برهانه قرن بما يسلمونه اذ لا يدفعه الا مكابر اذ هو من الواضحات التى لا يختلف فى امكانها العقلاء وجاء الشرع بوجوبه فوجب اعتقاده ولما كانوا لمكابرتهم لا يقرون بذلك أمر تعالى نبيه عليه السلام أن يجيب فقال ﴿قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ وأبرز الجواب فى جملة مبتدأة مصرح بجزئيها فعاد الخبر فيها مطابقا لخبر اسم

الاستفهام وذلك تأكيد وتثبت ولما كان الاستفهام قبل هذا لا مندوحة لهم عن الاعتراف به جاءت الجملة محذوفا منها أحد جزأيها فى قوله فسيقولون الله ولم يحتج الى التأكيد بتصريح جزأيها ومعنى تؤفكون تصرفون وتقلبون عن اتباع الحق ﴿قل هل من شركائكم﴾ الآية لما بين تعالى عجز أصنامهم عن الابداء والاعادة اللذين هما من أقوى أسباب القدرة وأعظم دلائل الالوهية بين عجزهم عن هذا النوع من صفات الاله وهو الهداية الى الحق والى منهاج الصواب وقد أعقب الخلق بالهداية فى القرآن فى مواضع فقال تعالى حكاية عن الكليم قال ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى فاستدل بالخلق والهداية على وجود الصانع وهما حالان للجسد والروح وقرئ لا يهدى مخففا مضارع هدى ويهدى بفتح الهاء وتشديد الدال وأصله يهتدى نقلت حركة التاء الى الهاء وأدغمت التاء فى الدال وقرئ يهدى بكسر الهاء وتشديد الدال وقرئ بكسر الياء اتباعا لحركة الهاء وتشديد دال يهدى ﴿فما لكم﴾ استفهام ومعناه التعجب والانكار أى أى شئ لكم فى اتخاذ هؤلاء الشركاء اذا كانوا عاجزين عن هداية أنفسهم فكيف يمكن أن يهدوا غيرهم ﴿كيف تحكمون﴾ استفهام آخر أى كيف تحكمون بالباطل وتجعلون لله أندادا وشركاء وهاتان جملتان أنكر فى الأولى وتعجب من اتباعهم من لا يهدى ولا يهتدى وأنكر فى الثانية حكمهم بالباطل وتسوية الاصنام برب العالمين

ربك أى حق عليهم انتفاء الايمان ويجوز أن يراد بالكلمة عدة العذاب ويكون انهم لا يؤمنون تعليلا أى لأنهم لا يؤمنون ويوضح هذا الوجه قراءة ابن أبى عبلة انهم لا يؤمنون بالكسر وهذا إخبار منه تعالى ان فى الكفار من حتم الله بكفره وقضى بتخليده * وقرأ أبو جعفر وشيبة والصاحبان كلمات على الجمع هنا وفى آخر السورة * وقرأ باقى السبعة على الافراد ﴿قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون﴾ لما استفهم عن أشياء من صفات الله تعالى واعترفوا بها ثم أنكر عليهم صرفهم عن الحق وعبادة الله استفهم عن شئ هو سبب العبادة وهو إبداء الخلق وهم يسلمون ذلك ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ثم أعاد الخلق وهم منكرون ذلك لكنه عطفه على يسلمونه ليعلم أنهما سواء بالنسبة الى قدرة الله وان ذلك لوضوحه وقيام برهانه قرن بما يسلمونه اذ لا يدفعه الا مكابر اذ هو من الواضحات التى لا يختلف فى إمكانها العقلاء وجاء الشرع بوجوبه فوجب اعتقاده ولما كانوا لمكابرتهم لا يقرون بذلك أمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجيب فقال قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده وأبرز الجواب فى جملة مبتدأة مصرح بخبرها فعاد الخبر فيها مطابقا لخبر اسم الاستفهام وذلك تأكيد وتثبيت ولما كان الاستفهام قبل هذا لا مندوحة لهم عن الاعتراف به جاءت الجملة محذوفا منها أحد جزءيها فى قوله فسيقولون الله ولم يحتج الى التأكيد بتصريح خبرها ومعنى تؤفكون تصرفون وتقلبون عن اتباع الحق ﴿قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾ لما بين تعالى عجز أصنامهم عن الابداء والاعادة اللذين هما من أقوى أسباب القدرة وأعظم دلائل الألوهية بين عجزهم عن هذا النوع من صفات الاله وهو الهداية الى الحق والى مناهج الصواب وقد أعقب الخلق بالهداية فى القرآن فى مواضع قال تعالى حكاية عن الكليم قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى * وقال الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى فاستدل بالخلق والهداية على وجود الصانع وهما حالان للجسد والروح ولما كانت العقول يلحقها الاضطراب والغلط بين تعالى انه لا يهديهما الا هو بخلاف أصنامهم ومعبوداتهم فانه ما كان منها الا روح فيه جمادا لا تأثير له ومافيه روح فليس قادرا على الهداية بل الله تعالى هو الذى يهديه وهدى تتعدى بنفسها الى اثنين والى الثانى بالى وباللام ويهدى الى الحق

حذف مفعوله الأول ولا يصح أن يكون لازما بمعنى يهتدى لان مقابله انما هو متعد وهو قوله قل الله يهدى للحق أى يهدى من يشاء الى الحق وقد أنكر المبرد ماقاله الكسائى والفراء وتبعهما الزمخشرى من أن يكون هدى بمعنى اهتدى وقال لا نعرف هذا وأحق ليست أفعل تفضيل بل المعنى حقيق بأن يتبع ولما كانوا معتقدين أن شركاءهم تهدى الى الحق ولا يسلمون حصر الهداية لله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يبادر بالجواب فقال قل الله يهدى للحق ثم عادل فى السؤال بالهمزة وأم بين من هو حقيق بالاتباع ومن هو غير حقيق وجاء على الأفصح الأكثر من فصل أم مما عطفت عليه بالخبر كقوله أذلك خير أم جنة الخلد بخلاف قوله أقريب أم بعيد ماتوعدون وسيأتى القول فى ترجيح الوصل هنا فى موضعه ان شاء الله تعالى * وقرأ أهل المدينة الاورشا أمن لا يهدى بفتح الياء وسكون الهاء وتشديد الدال فجمعوا بين ساكنين * قال النحاس لا يقدر أحد أن ينطق به * وقال المبرد من رام هذا لابد أن يحرك حركة خفيفة وسيبويه يسمى هذا اختلاس الحركة * وقرأ أبو عمرو وقالون فى رواية كذلك الا انه اختلس الحركة * وقرأ ابن عامر وابن كثير وورش وابن محيصن كذلك الا انهم فتحوا الهاء وأصله يهتدى فقلب حركة التاء الى الهاء وأدغمت التاء فى الدال * وقرأ حفص ويعقوب والأعمش عن أبى بكر كذلك الا انهم كسروا الهاء لما اضطر الى الحركة حرك بالكسر * قال أبو حاتم هى لغة سفلى مضر * وقرأ أبو بكر فى رواية يحيى بن آدم كذلك الا انه كسر الياء ونقل عن سيبويه انه لا يجيز يهدى ويجيز تهدى ونهدى وأهدى قال لان الكسرة فى الياء تثقل * وقرأ حمزة والكسائى وخلف ويحيى بن وثاب والأعمش يهدى مضارع هدى * قال الزمخشرى هذه الهداية أحق بالاتباع أم الذى لا يهدى أى لا يهتدى بنفسه أو لا يهدى غيره الا أن يهديه الله * وقيل معناه أم من لا يهتدى من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا أن يهدى الا أن ينقل أو لا يهتدى ولا يصح منه الاهتداء الا بنقله الله تعالى من حاله الى أن يجعله حيوانا مطلقا فيهديه انتهى وتقدم انكار المبرد ماقاله الكسائى والفراء وتبعهما الزمخشرى من أن هدى بمعنى اهتدى * وقال أبو على الفارسى وصف الأصنام بأنها لا تهتدى الا أن تهدى ونحن نجدها لا تهتدى وان هديت فوجه ذلك انه عامل فى العبادة عنها معاملتهم فى وصفها بأوصاف من يعقل وذلك مجاز وموجود فى كثير من القرآن وقال ابن عطية والذى أقول ان قراءة حمزة والكسائى يحتمل أن يكون المعنى أم من لا يهدى أحدا الا أن يهدى ذلك الأحد بهداية من عند الله وأما على غيرها من القراآت التى مقتضاها أم من لا يهتدى الا أن يهدى فيتجه المعنى على ماتقدم لأبى على الفارسى وفيه تجوز كثير ويحتمل أن يكون ماذكر الله من تسبيح الجمادات هو اهتداؤها * وقيل تم الكلام عند قوله أم من لا يهدى أى لا يهدى غيره ثم قال الا أن يهدى استثناء منقطع أى لكنه يحتاج الى أن يهدى كما تقول فلان لا يسمع غيره الا أن يسمع أى لكنه يحتاج الى أن يسمع * وقيل أم من لا يهدى فى الرؤساء المضلين انتهى ويكون استثناء متصلا لانه اذ ذاك يكون فيهم قابلية الهداية بخلاف الاصنام فما لكم استفهام معناه التعجب والانكار أى أى شئ لكم فى اتخاذ هؤلاء الشركاء اذ كانوا عاجزين عن هداية أنفسهم فكيف يمكن أن يهدوا غيرهم كيف تحكمون استفهام آخر أى كيف تحكمون بالباطل وتجعلون لله أندادا وشركاء وهاتان جملتان أنكر فى الاولى وتعجب من اتباعهم من لا يهدى ولا يهتدى وأنكر فى الثانى حكمهم بالباطل وتسوية الاصنام برب العالمين ﴿ ومايتبع أكثرهم الاظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيأ ان الله عليم بما يفعلون ﴾ الظاهر أن أكثرهم على بابه لان منهم من تبصر فى الاصنام

﴿ وما يتبع أكثرهم الا ظنا ﴾ الظاهر ان أكثرهم على بابه لان منهم من تبصر فى الاصنام فرفضها كما قال بعضهم
* أرب يبول الثعلبان برأسه
لقد هان من بالت عليه الثعالب *
والمعنى مايتبع أكثرهم فى اعتقادهم فى الله وفى صفاته الاظنا ليسوا متبصرين ولا مستندين فيه الى برهان انما ذلك شئ تلقوه من آبائهم والظن فى معرفة الله لا يغنى من الحق شيئا أى من أدراك الحق ومعرفته على ماهو عليه لانه تجويز لاقطع

ورفضها كما قال

أربٌ يبول الثعلبان برأسه * لقد هان من بالت عليه الثعالب

*وقيل المراد بأكثرهم جميعهم والمعنى ما يتبع أكثرهم في اعتقادهم في الله وفي صفاته الاظنا ليسوا متبصرين ولا مستندين الى برهان انما ذلك شئ تلقفوه من آبائهم والظن في معرفة الله لا يغني من الحق شيأ أي من ادراك الحق ومعرفته على ما هو عليه لانه تجويز لاقطع * وقيل وما يتبع أكثرهم في جعلهم الأصنام آلهة واعتقادهم انها تشفع عند الله وتقرب اليه * وقرأ عبد الله تفعلون بالتاء على الخطاب التفاتا والجملة تضمنت التهديد والوعيد على اتباع الظن وتقليد الآباء * وقيل نزلت في رؤساء اليهود وقريش ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين﴾ لما تقدم قولهم ائت بقرآن غير هذا أو بدله وكان من قولهم انه افتراه قال تعالى وما كان هذا القرآن أن يفترى أي ما صح ولا استقام أن يكون هذا القرآن المعجز مفترى والاشارة بهذا فيها تفخيم المشار اليه وتعظيمه وكونه جامعا للاوصاف التي يستحيل وجودها فيه ان يكون مفترى والظاهر أن أن يفترى هو خبر كان أي افتراء أي ذا افتراء أو مفترى وزعم بعض النحويين ان أن هذه هي المضمرة بعد لام الجحود في قولك ما كان زيد ليفعل وانه لما حذفت اللام أظهرت ان وان اللام وأن يتعاقبان فحيث جيء باللام لم تأت ان بل تقدرها وحيث حذفت اللام ظهرت أن والصحيح انهما لايتعاقبان وأنه لا يجوز حذف اللام واظهار أن اذ لم يقم دليل على ذلك وعلى زعم هذا الزاعم لا يكون أن يفترى خبر الكان بل الخبر محذوف وأن يفترى معمول لذلك الخبر بعد اسقاط اللام ووقعت لكن هنا أحسن موقع اذ كانت بين نقيضين وهما الكذب والتصديق المتضمن الصدق والذي بين يديه الكتب الالهية المتقدمة قاله ابن عباس كما جاء مصدقا لما معكم وعن الزجاج الذي بين يديه أشراط الساعة ولا يقوم البرهان على قريش الا بتصديق القرآن ما في التوراة والانجيل مع أن الآتي به يقطعون أنه لم يطالع تلك الكتب ولا غيرها ولا هي في بلده ولا قومه لا بتصديق الاشراط لانهم لم يشاهدوا شيأ منها * وتفصيل الكتاب تبيين ما فرض وكتب فيه من الأحكام والشرائع * وقرأ الجمهور تصديق وتفصيل بالنصب نخرجه الكسائي والفراء ومحمد بن سعدان والزجاج على انه خبر كان مضمرة أي ولكن كان تصديق أي مصدقا ومفصلا * وقيل انتصب مفعولا من أجله والعامل محذوف والتقدير ولكن أنزل للتصديق * وقيل انتصب على المصدر والعامل فيه فعل محذوف * وقرأ عيسى بن عمر تفصيل وتصديق بالرفع وفي يوسف خبر مبتدأ محذوف أي ولكن هو تصديق كما قال الشاعر

ولست الشاعر السفساف فيهم * ولكن مده الحرب العوالي

أي ولكن أنا و زعم الفراء ومن تابعه ان العرب اذا قالت ولكن بالواو آثرت تشديد النون واذا لم تكن الواو آثرت التخفيف وقد جاء في السبعة مع الواو التشديد والتخفيف ولاريب فيه داخل في حيز الاستدراك كانه قيل ولكن تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين * قال الزمخشري و يجوز أن يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل و يكون لاريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لاشك فيه كريم انتهى فقوله فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل انما يعني من جهة المعنى وأما من جهة الاعراب فلا يكون الا متعلقا بأحدهما و يكون من باب الاعمال وانتفاء الريب عنه على ما بين

افتراه قال تعالى وما كان هذا القرآن أن يفترى أي ما صح ولا استقام أن يكون هذا القرآن المعجز مفترى والاشارة بهذا فيها تفخيم المشار اليه وتعظيمه وكونه جامعا للاوصاف التي يستحيل لوجودها فيه أن يكون مفترى والظاهر أن أن يفترى هو خبر كان أي افتراء أي ذا افتراء أو مفترى ووقعت لكن هنا أحسن موقع اذ كانت بين نقيضين وهما الكذب والتصديق المتضمن الصدق والذي بين يديه الكتب الالهية المقدمة وانتصب تصديق على أنه خبر كان مضمرة وهو على حذف مضاف أي ذا تصديق

(الدر)

(ش) و يجوز أن يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل و يكون لاريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لاشك فيه كريم (ح) قوله فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل انما يعني من جهة المعنى وأما من جهة الاعراب فلا يكون الا متعلقا بأحدهما و يكون من باب الاعمال

بل قدرته تعالى على التصرف فى هذا العالم ونقله أهله من عز الى ذل ومن ذل الى عز و بفناء الدنيا فيعتبر بذلك وان ذلك القصص بوحى من الله اذ أعلم بذلك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف مع كونه لم يتعلم ولم يتتلمذ * الثانى كلما سمعوا حروف التهجى ولم يفهموا منها شيأ أساء ظنهم وقد أجاب الله بقوله منه آيات بينات الآية * الثالث ظهور القرآن شيأ فشيأ فساء ظنهم وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة وقد أجاب تعالى وشرح فى مكانه * الرابع القرآن مملوء من الحشر وكانوا ألفوا المحسوسات فاستبعدوا حصول الحياة بعد الموت فبين الله صحة المعاد بالدلائل الكثيرة * الخامس أنه مملوء من الأمر بالعبادات وكانوا يقولون اله العالم غنى عن طاعتنا وهو أجل أن يأمرنا بما لا فائدة له فيه * وأجاب تعالى بقوله ان أحسنتم أحسنتم الآية وبالجملة فشبه الكفار كثيرة فلما رأوا القرآن مشتملا على أمور ما عرفوا حقيقتها ولا اطلعوا على وجه الحكمة فيها كذبوا بالقرآن فقوله بما لم يحيطوا بعلمه اشارة الى عدم علمهم بهذه الاشياء وقوله ولما يأتهم تأويله اشارة الى عدم جهدهم واجتهادهم فى طلب أسرار ما تضمنه القرآن انتهى ملخصا * وقال الزمخشرى (فان قلت) ما معنى التوقع فى قوله تعالى ولما يأتهم تأويله (قلت) معناه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن أنهم علموا بعد علو شأنه واعجازه لما كرر عليهم التحدى وراز واقواهم فى المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا انتهى و يحتاج كلامه هذا الى نظر وقال أيضا و يجوز أن يكون المعنى ولما يأتهم تأويله ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب أى عاقبته حتى يتبين لهم أ كذب هو أم صدق يعنى انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل أن ينظروا فى نظمه و بلوغه حد الاعجاز وقبل أن يخبروا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه انتهى و بقيت جملة الاحاطة بلم وجملة اتيان التأويل بلما و يحتاج فى ذلك الى فرق دقيق والكاف فى موضع نصب أى مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم يعنى قبل النظر فى معجزات الأنبياء وقبل تدبرها من غير انصاف من أنفسهم ولكن قلدوا الآباء اندوا * قال ابن عطية قال الزجاج كيف فى موضع نصب على خبر كان لا يجوز أن يعمل فيه انظر لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه هذا قانون النحويين لأنهم عاملوا كيف فى كل مكان معاملة الاستفهام المحض فى قولك كيف زيد ولكيف تصرفات غير هذا تحل محل المصدر الذى هو كيفية و ينخلع معنى الاستفهام و يحتمل هذا الموضع أن يكون منها ومن تصرفاتها قولهم كن كيف شئت وانظر قول البخارى كيف كان بدء الوحى فانه لم

(ع) فانظر كيف كان عاقبة الظالمين قال الزجاج كيف فى موضع نصب على خبر كان لا يجوز أن يعمل فيه انظر لان ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه هذا قانون النحويين لانهم عاملوا كيف فى كل مكان معاملة الاستفهام المحض فى قولك كيف زيد ولكيف تصرفات غير هذا تحل محل المصدر الذى هو كيفية وتنخلع من معنى الاستفهام و يحتمل هذا الموضع أن يكون منها ومن تصرفاتها قولهم كن كيف شئت وانظر قول البخارى كيف كان بدء الوحى فانه لم يستفهم انتهى (ح) قول الزجاج لا يجوز أن يعمل فيه انظر وتعليله يريد لا يجوز أن يعمل فيه انظر لفظا لكن الجملة فى موضع نصب لانظر لان انظر معلقة وهى من نظر القلب وقول (ع) هذا قانون النحويين الى آخر تعليله ليس كما ذكر بل لكيف معنيان أحدهما الاستفهام المحض وهو سؤال عن الهيئة الا أن يعلق عنها العامل فمعناها معنى الاسماء التى يستفهم بها اذا علق عنها العامل والشرط كقول العرب كيف تكون أكون وقوله ولكيف تصرفات الى آخره ليس كيف تحل محل المصدر ولا لفظ كيفية هو مصدر انما ذلك نسبة الى كيف وقوله و يحتمل أن يكون هذا الموضع منها ومن تصرفاتها قولهم كن كيف شئت لا يحتمل أن يكون منها لانه لم يثبت لها المعنى الذى ذكر من كون كيف بمعنى كيفية وادعاء مصدرية كيفية وأما كن كيف شئت فكيف ليست بمعنى كيفية وانما هى شرطية وهو المعنى الثانى الذى لها وجوابها محذوف التقدير كن كيف شئت تكن كما تقول قم متى شئت فمتى اسم شرط ظرف لا يعمل فيه قم والجواب محذوف تقديره متى شئت فقم وحذف الجواب لدلالة ما قبله عليه كقولهم اضرب زيدا ان أساء اليك التقدير ان أساء اليك فاضربه وحذف فاضربه لدلالة اضرب المتقدم عليه وأما قول البخارى كيف كان بدء الوحى فهو استفهام محض اما على سبيل الحكاية كان قائلا سأله كيف كان بدء الوحى واما أن يكون من قوله هو كأنه سأل نفسه كيف كان بدء الوحى فاجاب بالحديث الذى فيه كيفية ذلك

من سبقت له السعادة ومنهم من لا يؤمن به فيوافى على الكفر ﴿ وان كذبوك ﴾ أى وان تمادوا على تكذيبك فتبرأ منهم قد أعذرت و بلغت كقوله فان عصوك فقل انى برىء ومعنى ﴿ لى عملى ﴾ أى لى جزاء عملى ولكم جزاء عملكم ومعنى عملى أى الصالح المشتمل على الايمان والطاعة ﴿ ولكم عملكم ﴾ المشتمل على الشرك والعصيان والظاهر أنها آية منابذة لهم وموادعة وفى ضمنها الوعيد ﴿ ومنهم من يستمعون ﴾ الآية قال ابن عباس نزلت الآيتان فى النضر بن الحرث وغيره من المستهزئين وهذه الآية فيها تقسيم من لا يؤمن من الكفار الى قسمين بعد تقسيم المكذبين الى من يؤمن ومن لا يؤمن والضمير فى يستمعون عائد على من والعود على المعنى دون العود على اللفظ فى الكثرة وهو كقوله تعالى ومن الشياطين من يغوصون له والمعنى من يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ثم نفى جدوى ذلك الاستماع

بستقم انتهى وقول الزجاج لا يجوز أن يعمل فيه انظر وتعليله يريد لا يجوز أن تعمل فيه انظر لفظا لكن الجملة فى موضع نصب لانظر معلقة وهى من نظر القلب وقول ابن عطية هذا قانون النحويين الى آخر تعليله ليس كما ذكر بل لكيف معنيان أحدهما الاستفهام المحض وهو سؤال عن الهيئة الا أن تعلق عنها العامل فمعناها معنى الاسماء التى يستفهم بها اذا علق عنها العامل والثانى الشرط لقول العرب كيف تكون أكون وقوله ولكيف تصرفات الى آخره ليس كيف تحل محل المصدر ولا لفظ كيفية هو مصدر انما ذلك نسبة الى كيف وقوله و يحتمل أن يكون هذا الموضع منها ومن تصرفاتها قولهم كن كيف شئت لا يحتمل أن يكون منها لانه لم يثبت لها المعنى الذى ذكر من كون كيف بمعنى كيفية وادعاء مصدر كيفية وأما كن كيف شئت فكيف ليست بمعنى كيفية وانما هى شرطية وهو المعنى الثانى الذى لها وجوابها محذوف التقدير كيف شئت فكن كما تقول قم متى شئت فمتى اسم شرط ظرف لا يعمل فيه قم والجواب محذوف تقديره متى شئت فقم وحذف الجواب لدلالة ماقبله عليه كقولهم اضرب زيدا ان أساء اليك التقدير ان أساء اليك فاضربه وحذف فاضربه لدلالة اضرب المتقدم عليه وأما قول البخارى كيف كان بدء الوحى فهو استفهام محض إما على سبيل الحكاية كأن قائلا سأله فقال كيف كان بدء الوحى فأجاب بالحديث الذى فيه كيفية ذلك والظالمين الظاهر أنه أريد به الذين من قبلهم و يحتمل أن يراد به من عاد عليه ضمير بل كذبوا ﴿ ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين ﴾ الظاهر أنه اخبار بأن من كفار قريش من سيؤمن به وهو من سبقت له السعادة ومنهم من لا يؤمن به فيوافى على الكفر وقيل هو تقسيم فى الكفار الباقين على كفرهم فمنهم من يؤمن به باطنا و يعلم انه حق ولكنه كذب عنادا ومنهم من لا يؤمن به لا باطنا ولا ظاهرا اما لسرعة تكذيبه وكونه لم يتدبره واما لكونه نظر فيه فعارضته الشبهات وليس عنده من الفهم مايدفعها وفيه تفريق كلمة الكفار وانهم ليسوا مستوين فى اعتقاداتهم بل هم مضطربون وان شملهم التكذيب والكفر * وقيل الضمير فى ومنهم عائد على أهل الكتاب والظاهر عوده على من عاد عليه ضمير أم يقولون وتعلق العلم بالمفسدين وحدهم تهديد عظيم لهم ﴿ وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون ﴾ أى وان تمادوا على تكذيبك فتبرأ منهم قد أعذرت و بلغت كقوله فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون ومعنى لى عملى أى جزاء عملى ولكم جزاء عملكم ومعنى عملى الصالح المشتمل على الايمان والطاعة ولكم عملكم المشتمل على الشرك والعصيان والظاهر أنها آية منابذة لهم وموادعة وضمنها الوعيد كقوله قل يا أيها الكافرون السورة * وقيل المقصود بذلك استمالتهم وتأليف قلوبهم * وقال قوم منهم ابن زيد هى منسوخة بالقتال لانها مكية وهو قول مجاهد والكلبى ومقاتل * وقال المحققون ليست بمنسوخة ومدلولها اختصاص كل واحد بأفعاله وثمراتها من الثواب والعقاب ولم ترفع آية السيف شيأ من هذا و بدأ فى المأمور بقوله لى عملى لأنه آكد فى الانتفاء منهم وفى البراءة بقوله أنتم بريئون مما أعمل لان هذه الجملة جاءت كالتوكيد والتتميم لما قبلها فناسب أن تلى قوله ولكم عملكم ولمراعاة الفواصل اذ لو تقدم ذكر براءة كما تقدم ذكر لى عملى لم تقع الجملة فاصلة اذ كان يكون التركيب وأنتم بريئون مما أعمل ﴿ ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم

بقوله ﴿ أفأنت تسمع الصم ﴾ أى هم وان استمعوا اليك صم عن ادراك ماتلقيه اليهم ليس لهم وعى ولا قول ولا قبول ولا سيما وقد انضاف الى الصمم انتفاء العقل لمن جمع بين عدم السمع والعقل أن لا يكون له ادراك لشئ البتة بخلاف أن لو كان الاصم عاقلا فانه بعقله يهتدى

الى أشياء وأعاد فى قوله ﴿ومنهم من ينظر اليك﴾ الضمير مفردا مذكرا على لفظ من وهو الأكثر فى لسان العرب قال ابن عطية جاء ينظر على لفظ من واذا جاء الفعل على لفظها فجائز أن يعطف عليه آخر على المعنى واذا جاء أولا على معناها فلا يجوز أن يعطف بآخر على اللفظ لان الكلام يلبس حينئذ انتهى ليس كما قال بل يجوز أن يراعى المعنى أولا فيعيد الضمير على حسب ما يريد من المعنى من تأنيث وتثنية وجمع ثم يراعى اللفظ فيعيد الضمير مفردا مذكرا وفى ذلك تفصيل ذكر فى علم النحو

ولو كانوا لا يعقلون * ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون ﴾ قال ابن عباس نزلت الآيتان فى النضر بن الحرث وغيره من المستهزئين * وقال ابن الانبارى فى قوم من اليهود انتهى وهذه الآية فيها تقسيم من لا يؤمن من الكفار الى هذين القسمين بعد تقسيم المكذبين الى من يؤمن ومن لا يؤمن والضمير فى يستمعون عائد على معنى من والعود على المعنى دون العود على اللفظ فى الكثرة وهو كقوله ومن الشياطين من يغوصون له والمعنى من يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ثم نفى جدوى ذلك الاستماع بقوله أفأنت تسمع الصم أى هم وان استمعوا اليك صم عن ادراك ما تلقيه اليهم ليس لهم وعى ولا قبول ولا سيما قد انضاف الى الصمم انتفاء العقل لمن عدم السمع والعقل أن لا يكون له ادراك لشئ البتة بخلاف أن لو كان الأصم عاقلا فانه بعقله يهتدى الى أشياء وأعاد فى قوله ومنهم من ينظر اليك الضمير مفردا مذكرا على لفظ من وهو الأكثر فى لسان العرب والمعنى انهم عمى فلا تقدر على هدايتهم لان السبب الذى يهتدى به الى رؤية الدلائل قد فقدوه هذا وهم مع فقد البصر قد فقدوا البصيرة اذ من كان أعمى فانه يهديه نور بصيرته الى أشياء بالحدس وهذا قد جمع بين فقدان البصر والبصيرة وهذه مبالغة عظيمة فى انتفاء قبول ما يلقى الى هؤلاء اذ جمعوا بين الصمم وانتفاء العقل وبين العمى وفقد البصيرة وقوله أفأنت تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وأن لا يكترث بعدم قبولهم فان الهداية انما هى لله * قال ابن عطية جاء ينظر على لفظ من واذا جاء الفعل على لفظها فجائز أن يعطف عليه آخر على المعنى واذا جاء أولا على معناها فلا يجوز أن يعطف عليه بآخر على اللفظ لان الكلام يلبس حينئذ انتهى وليس كما قال بل يجوز أن يراعى المعنى أولا فتعيد الضمير على حسب ما تريد من المعنى من تأنيث وتثنية وجمع ثم تراعى اللفظ فتعيد الضمير مفردا مذكرا وفى ذلك تفصيل ذكر فى علم النحو والمقصود من الآيتين اعلامه عليه السلام بأن هؤلاء الكفار قد انتهوا فى النفرة والعداوة والبغض الشديد فى رتبة من لا ينفع فيه علاج البتة لأن من كان أصم أحمق وأعمى فاقد البصيرة لا يمكن ذلك أن يقف على محاسن الكلام وما انطوى عليه من الاعجاز ولا يمكن هذا أن يرى ما أجرى الله على يدى رسوله من الخوارق فقد أيس من هداية هؤلاء * وقال الشاعر

واذا خفيت على المعنى فعاذر * أن لا ترانى مقلة عمياء

ولما ذكر تعالى هؤلاء الأشقياء ذكر تعالى أنه لا يظلمهم شيأ اذ قد أزاح عللهم ببعثة الرسل وتحذيرهم من عقابه ولكن هم ظلموا أنفسهم بالكفر والتكذيب واحتمل هذا النفى للظلم أن يكون فى

والمعنى أنهم عمى فلا تقدر على هدايتهم لان السبب الذى يهتدى به الى رؤية الدلائل قد فقدوه هذا وهم مع فقد البصر قد فقدوا البصيرة إذ من كان اعمى فانه يهديه نور بصيرته الى اشياء بالحدس وهذا قد جمع بين فقدان البصر والبصيرة وهذه مبالغة عظيمة فى عدم قبول ما يلقى الى هؤلاء إذ جمعوا بين الصمم وانتفاء العقل وبين العمى وفقد البصيرة وفى قوله أفأنت تسلية له صلى الله عليه وسلم وأن لا يكترث بعدم قبولهم فان الهداية انما هى لله تعالى ولما ذكر هؤلاء الاشقياء ذكر انه تعالى لا يظلمهم شيئا اذ قد أزاح عللهم ببعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحذيرهم من عقابه ولكنهم ظلموا أنفسهم بالتكذيب والكفر واحتمل هذا النفى للظلم أن يكون فى الدنيا أى لا يظلمهم شيئا من مصالحهم واحتمل أن يكون فى الآخرة وان ما يلحقهم من العقاب هو عدل منه لانهم هم الذين تسببوا فيه باكتساب ذنوبهم كما قدر

(الدر) (ع) جاء ينظر على لفظ من واذا جاء الفعل على لفظها فجائز أن يعطف عليه آخر على المعنى واذا جاء أولا على معناها فلا يجوز أن يعطف بآخر على اللفظ لأن الكلام يلبس جدا (ح) ليس كما قال بل يجوز أن تراعى المعنى أولا فتعيد الضمير على حسب ما تريد من تأنيث وتثنية وجمع ثم تراعى اللفظ فتعيد الضمير مفردا مذكرا وفى ذلك تفصيل ذكر فى علم النحو

تعالى عليهم لا يسأل عما يفعل ﴿ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا﴾ الآية جملة تشبيهية فى موضع نصب من الضمير المنصوب فى نحشرهم التقدير مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة ويتعارفون حال ثانية ويجوز أن يكون استئناف اخبار وأجاز ابن عطية فى كأن لم يلبثوا صفة لمصدر محذوف تقديره حشرا كأن لم يلبثوا وأن تكون الجملة التشبيهية فى موضع صفة لقوله يوم انتهى أما قوله انه نعت لمصدر محذوف فيحتاج الى رابط فقدره كأن لم يلبثوا قبله ومثل هذا الربط لا يجوز حذفه وأما قوله ان الجملة فى موضع الصفة ليوم نحشرهم فلا يجوز لان الجملة التشبيهية هى نكرة ويوم نحشرهم معرفة إذ التقدير ويوم حشرهم ولا توصف المعرفة بالنكرة ﴿وما كانوا مهتدين﴾ أخبر عنهم بخبرين أحدهما خسرانهم معللا بالتكذيب بلقاء الله والثانى اخباره تعالى بانتفاء هدايتهم

الدنيا أى لا يظلمهم شيأ من مصالحهم واحتمل أن يكون فى الآخرة وأن ما يلحقهم من العقاب هو عدل منه لأنهم هم الذين تسببوا فيه باكتساب ذنوبهم كما قدّر تعالى عليهم لا يسأل عما يفعل وتقدم خلاف القراء فى ولكن الناس من تشديد النون ونصب الناس وتخفيفها والرفع ﴿ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين﴾ قرأ الأعمش وحفص يحشرهم بالياء راجعا الضمير غائبا عائدا على الله اذ تقدم ان الله لا يظلم الناس شيأ ولما ذكر أولئك الأشقياء أتبعه بالوعيد ووصف حالهم يوم القيامة والمعنى كأن لم يلبثوا فى الدنيا أو فى القبور يعنى فقليل لبثهم وذلك لهول ما يعاينون من شدائد القيامة أو لطول يوم القيامة ووقوفهم للحساب * قال ابن عباس رأوا ان طول أعمارهم فى مقابلة الخلود كساعة * قال ابن عطية ويوم ظرف ونصبه يصح بفعل مضمر تقديره واذكر ويصح أن ينتصب بالفعل الذى يتضمنه قوله كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار ويصح نصبه بيتعارفون والكاف من قوله كأن يصح أن تكون فى موضع الصفة لليوم ويصح أن تكون فى موضع نعت للمصدر كأنه قال ويوم نحشرهم حشرا كأن لم يلبثوا ويصح أن يكون قوله كأن لم يلبثوا فى موضع الحال من الضمير فى نحشرهم انتهى أما قوله ويصح أن ينتصب بالفعل الذى يتضمنه كأن لم يلبثوا فانه كلام مجمل لم يبين الفعل الذى يتضمنه كأن لم يلبثوا ولعله أراد ما قاله الحوفى من أن الكاف فى موضع نصب بما تضمنت من معنى الكلام وهو السرعة انتهى فيكون التقدير ويوم نحشرهم يسرعون كأن لم يلبثوا وأما قوله والكاف من قوله كأن يصح أن تكون فى موضع الصفة لليوم فلا يصح لان يوم نحشرهم معرفة والجمل نكرات ولا تنعت المعرفة بالنكرة لا يقال ان الجمل الذى يضاف اليها أسماء الزمان نكرة على الاطلاق لأنها ان كانت فى التقدير تنحل الى معرفة فان ما أضيف اليها يتعرف وان كانت تنحل الى نكرة كان ما أضيف اليها نكرة تقول مررت فى يوم قدم زيد الماضى فتصف يوم بالمعرفة وجئت ليلة قدم زيد المباركة علينا وأيضا فكأن لم يلبثوا لا يمكن أن يكون صفة لليوم من

(الدر) (ع) ويوم ظرف ونصبه يصح بفعل مضمر تقديره واذكر ويصح أن ينتصب بالفعل الذى يتضمنه قوله كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار ويصح نصبه بيتعارفون والكاف من قوله كأن يصح أن يكون فى موضع الصفة لليوم ويصح أن يكون فى موضع نعت للمصدر كأنه قيل ونحشرهم حشرا كأن لم يلبثوا ويصح أن يكون قوله كأن لم يلبثوا فى موضع الحال من الضمير فى نحشرهم انتهى (ح) أما قوله ويصح أن ينتصب بالفعل الذى يتضمنه قوله كأن لم يلبثوا فانه كلام لم يبين الفعل الذى يتضمنه كأن لم يلبثوا ولعله أراد ما أراده الحوفى من أن الكاف فى موضع نصب بما تضمنت من معنى الكلام وهو السرعة انتهى فيكون التقدير ويوم نحشرهم يسرعون كأن لم يلبثوا وأما قوله والكاف من قوله كأن يصح أن يكون فى موضع الصفة لليوم فلا يصح لان يوم نحشرهم معرفة والجمل نكرات ولا تنعت بالنكرة المعرفة لا يقال ان الجمل التى تضاف اليها أسماء الزمان نكرة على الاطلاق لانها ان كانت فى التقدير تنحل الى معرفة فان ما أضيف اليها يتعرف وان كانت تنحل الى نكرة كان ما أضيف اليها نكرة تقول مررت فى يوم قدم زيد الماضى فتصف يوم بالمعرفة وجئت ليلة قدوم زيد المباركة علينا وأيضا فكأن لم يلبثوا لا يمكن أن يكون صفة ليوم من جهة المعنى لان ذلك من وصف المحشورين لا من وصف يوم حشرهم وقد تكلف بعضهم تقدير محذوف بربط فقدره كأن لم يلبثوا قبله أى قبل اليوم وحذف مثل هذا الرابط لا يجوز فالظاهر انها جملة حالية من مفعول نحشرهم كما قال (ع) آخرا وكذا أعربه (ش) وأبو البقاء وأما قول (ع) ويصح أن يكون فى موضع نعت للمصدر كأنه قال ويوم نحشرهم حشرا كأن لم يلبثوا فقد حكاه أبو البقاء فقال وقيل هو نعت لمصدر محذوف أى حشرا أى كأن لم يلبثوا قبله انتهى وقد ذكرنا ان حذف مثل هذا الرابط لا يجوز

﴿ وإما نرينك ﴾ اماهي ان الشرطية زيد عليها ما قال ابن عطية ولا جلها جاز دخول النون الثقيلة وان كانت ان وحدها لم يجز انتهى يعني ان دخول النون للتأكيد انما يكون مع زيادة (١٦٣) ما بعد ان وهذا الذي ذكره مخالف لظاهر كلام سيبويه فان سيبويه أجاز أن تقول ان تقومن أقم بغير زيادة ما بعد ان ومعنى هذه الآية الوعيد بالرجوع الى الله تعالى أي أريناك عقوبتهم أو لم نركها فهم على كل حال راجعون الينا الى الحساب والعذاب قال الزمخشري فالينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كأنه قيل واما نرينك بعض الذي نعدهم فذاك نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريك في الآخرة انتهى جعل الزمخشري الكلام شرطين لهما جوابان ولا حاجة الى تقدير جواب محذوف لان قوله فالينا مرجعهم صالح أن يكون جوابا للشرط والمعطوف عليه وأيضا فقول الزمخشري فذاك هو اسم مفرد لا ينعقد منه جواب شرط فكان ينبغي أن يأتي بجملة يتضح بها جواب الشرط اذ لا يفهم من قوله فذاك الخبر الذي حذف المتحصل به فائدة الاسناد ثم مع ذلك الله شهيد من أول تكليفهم على جميع أعمالهم فثم هنا

(الدر)

جهة المعنى لأن ذلك من وصف المحشورين لا من وصف يوم حشرهم وقد تكلف بعضهم تقدير محذوف يربط فقدره كأن لم يلبثوا قبله فحذف قبله أي قبل اليوم وحذف مثل هذا الرابط لا يجوز فالظاهر أنها جملة حالية من مفعول نحشرهم كما قاله ابن عطية آخرا وكذا أعربه الزمخشري وأبو البقاء * قال الزمخشري (فان قلت) كأن لم يلبثوا و يتعارفون كيف موقعهما (قلت) أما الاولى فحال منهم أي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة وأما الثانية فاما ان تتعلق بالظرف يعني فتكون حالا وإما أن تكون مبينة لقوله كأن لم يلبثوا الا ساعة لأن التعارف يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا انتهى * وقال الحوفي يتعارفون فعل مستقبل في موضع الحال من الضمير في يلبثوا وهو العامل كأنه قال متعارفين المعنى اجتمعوا متعارفين ويجوز أن يكون حالا من الهاء والميم في نحشرهم وهو العامل انتهى وأما قول ابن عطية ويصح أن يكون في موضع نصب للمصدر كأنه قال ويوم نحشرهم حشرا كأن لم يلبثوا فقد حكاه أبو البقاء فقال وقيل هو نعت لمصدر محذوف أي حشرا كأن لم يلبثوا قبله انتهى وقد ذكرنا ان حذف مثل هذا الرابط لا يجوز وجوزوا في يتعارفون أن يكون حالا على ما تقدم ذكره من الخلاف في ذي الحال والعامل فيها وأن يكون جملة مستأنفة أخبر تعالى أنه يقع التعارف بينهم * وقال الكلبي يعرف بعضهم بعضا كمعرفتهم في الدنيا اذا خرجوا من قبورهم وهو تعارف توبيخ وافتضاح يقول بعضهم لبعض أنت أضللتني وأغويتني وليس تعارف شفقة وعطف ثم تنقطع المعرفة اذا عاينوا أهوال القيامة كما قال تعالى ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم * وقيل يعرف بعضهم بعضا ما كانوا عليه من الخطأ والكفر * وقال الضحاك تعارف تعاطف المؤمنين والكافرون لا انساب بينهم * وقيل القيامة مواطن ففي موطن يتعارفون وفي موطن لا يتعارفون والظاهر أن قوله قد خسر الذين الى آخره جملة مستأنفة أخبر تعالى بخسران المكذبين بلقائه * قال الزمخشري هو استئناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ما أخسرهم * وقال أيضا وابتدأ به قد خسر على ارادة القول أي يتعارفون بينهم قائلين ذلك * قال ابن عطية وقيل انه اخبار المحشورين على جهة التوبيخ لانفسهم انتهى وهذا يحتمل أن يكون كقول الزمخشري يتعارفون بينهم قائلين ذلك وأن يكون كقول غيره نحشرهم قائلين قد خسر فاحتمل هذا المقدر أن يكون معمولا ليتعارفون وأن يكون معمولا لنحشرهم ونبه على العلة الموجبة للخسران وهو التكذيب بلقاء الله وما كانوا مهتدين الظاهر أنه معطوف على قوله قد خسر فيكون من كلام المحشورين اذا قلنا ان قوله قد خسر من كلامهم أخبروا عن أنفسهم بخسرانهم في الآخرة و بانتفاء هدايتهم في الدنيا و يحتمل أن يكون معطوفا على صلة الذين أي كذبوا بلقاء الله وانتفت هدايتهم في الدنيا و يحتمل أن تكون الجملة كالتوكيد لجملة الصلة لأن من كذب بلقاء الله هو غير مهتد * وقيل وما كانوا مهتدين الى غاية مصالح التجارة * وقيل للايمان * وقيل في علم الله بل هم ممن حتم ضلالهم وقضى به ﴿ واما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون ﴾ إما هي ان الشرطية زيد عليها ما قال ابن عطية ولا جلها جاز دخول النون الثقيلة ولو كانت ان وحدها لم يجز انتهى يعني أن دخول النون للتأكيد انما يكون

(ع) ولا جلها جاز دخول النون الثقيلة ولو كانت ان وحدها لم يجز انتهى (ح) يعني ان دخول النون للتأكيد انما يكون مع زيادة ما بعد ان وهذا الذي ذكره مخالف لظاهر كلام (س) قال ابن خروف أجاز (س) الاتيان بما وان لا يؤتى بها والاتيان بالنون مع ما وان لا يؤتى بها

لترتيب الأخبار لا لترتيب القصص في أنفسها ﴿ ولكل أمة رسول ﴾ الآية لما بين حال الرسول صلى الله عليه وسلم في قومه بين حال الانبياء عليهم السلام مع أقوامهم تسلية له عليه

السلام وتطمينا لقلبه ﴿ ويقولون متى ﴾ الآية الضمير في ويقولون عائد على مشركي قريش ومن تابعهم من منكري الحشر استعجلوا بما وعدوا به من العذاب على سبيل الاستبعاد أو على سبيل الاستخفاف ولذلك قالوا ان كنتم صادقين فيما وعدتم به فلا يقع شيء منه ﴿ قل لا أملك لنفسي ﴾ الآية لما التمسوا تعجيل العذاب أو تعجيل الساعة أمره تعالى أن يقول لهم ليس ذلك الي بل الى الله تعالى واذا كنت لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا فكيف أملك لغيري وكيف أطلع على ما لم يطلعني عليه الله

مع زيادة ما بعد ان وهذا الذي ذكره مخالف لظاهر كلام سيبويه * قال ابن خروف أجاز سيبويه الاتيان بما وأن لا يؤتى بها والاتيان بالنون مع ما وان لا يؤتى بها والاراءة هنا بصرية ولذلك تعدى الفعل الى اثنين والكاف خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وبعض الذي نعدهم يعني من العذاب في الدنيا وقد أراه الله تعالى أنواعا من عذاب الكفار في الدنيا قتلا وأسرا ونهبا للاموال وسبيا للذراري وضرب جزية وتشتيت شمل بالجلاء الى غير بلادهم وما يحصل لهم في الآخرة أعظم لأنه العذاب الدائم الذي لا ينقطع والظاهر أن جواب الشرط هو قوله فالينا مرجعهم وكذا قاله الحوفي وابن عطية * قال ابن عطية ومعنى هذه الآية الوعيد بالرجوع الى الله تبارك وتعالى أي ان أريناك عقوبتهم أو لم نركها فهم على كل حال راجعون الينا الى الحساب والعذاب ثم مع ذلك الله شهيد من أول تكليفهم على جميع أعمالهم فثم هاهنا لترتيب الأخبار لا لترتيب القصص في أنفسها * وقال الزمخشري فالينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كأنه قيل واما نرينك بعض الذي نعدهم فذاك أو نتوفينك قبل أن نريكه فنحن نريك في الآخرة انتهى فجعل الزمخشري الكلام شرطين لهما جوابان ولا حاجة الى تقدير جواب محذوف لأن قوله فالينا مرجعهم صالح أن يكون جوابا للشرط والمعطوف عليه وأيضا فقول الزمخشري فذاك هو اسم مفرد لا ينعقد منه جواب شرط فكان ينبغي أن يأتي بجملة يتضح منها جواب الشرط اذ لا يفهم من قوله فذاك الجزء الذي حذف المتحصل به فائدة الاسناد * وقرأ ابن أبي عبلة ثم الله بفتح الثاء أي هنالك ومعنى شهادة الله على ما يفعلون مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كأنه قال ثم الله معاقبهم والا فهو تعالى شهيد على أفعالهم في الدنيا والآخرة ويجوز أن يكون المعنى أنه تعالى مؤد شهادته على أفعالهم يوم القيامة حتى تنطق جلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم شاهدة عليهم ﴿ ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ﴾ لما بين حال الرسول صلى الله عليه وسلم في قومه بين حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم تسلية له وتطمينا لقلبه ودلت الآية على أنه تعالى ما أهمل أمة بل بعث اليها رسولا كما قال تعالى وان من أمة الا خلا فيها نذير وقوله فاذا جاء رسولهم إما أن يكون اخبارا عن حالة ماضية فيكون ذلك في الدنيا ويكون المعنى أنه بعث الى كل أمة رسولا يدعوهم الى دين الله وينبئهم على توحيده فلما جاءهم بالبينات كذبوه فقضي بينهم أي بين الرسول وأمته فأنجى الرسول وعذب المكذبون واما أن يكون على حالة مستقبلة أي فاذا جاءهم رسولهم يوم القيامة للشهادة عليهم قضي بينهم أي بين الامة بالعدل فصار قوم الى الجنة وقوم الى النار فهذا هو القضاء بينهم قاله مجاهد وغيره ويكون كقوله تعالى وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ﴾ الضمير في ويقولون عائد على مشركي قريش ومن تابعهم من منكري الحشر استعجلوا بما وعدوا به من العذاب على سبيل الاستبعاد أو على سبيل الاستخفاف ولذلك قالوا ان كنتم صادقين أي لستم صادقين فيما وعدتم به فلا يقع شيء منه وقولهم هذا يشهد للقول الأول في الآية قبلها وانها حكاية حال ماضية وان معنى ذلك فاذا جاءهم الرسول وكذبوه قضي بينهم في الدنيا وان كل رسول وعد أمته بالعذاب في الدنيا ان هي كذبت ﴿ قل لا أملك لنفسي ضرا ولا

(الدر)

(ش) فالينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كأنه قيل واما نرينك بعض الذي نعدهم فذاك أو نتوفينك قبل أن نريك فنحن نريك الآخرة انتهى (ح) جعل (ش) الكلام شرطين لهما جوابان ولا حاجة الى تقدير جواب محذوف لأن قوله فالينا مرجعهم صالح أن يكون جوابا للشرط والمعطوف عليه وأيضا فقول (ش) فذاك هو اسم مفرد لا ينعقد منه جواب شرط فكان ينبغي أن يأتي بجملة يتضح بها جواب الشرط إذ لا فهم من قوله وذاك الجزء الذي حذف المتحصل به فائدة الاسناد

﴿ لكل أمة أجل ﴾ انفرد تعالى بعلمه وتقدم الكلام على كل أمة أجل فى الأعراف ﴿ قل أرأيتم ان أتاكم ﴾ الآية تقدم الكلام
عليها فى الانعام وقررنا هنالك أن العرب تضمن أرأيت معنى أخبرنى وانها تتعدى إذ ذاك الى مفعولين وان المفعول الثانى أكثر
ما يكون جملة استفهام ينعقد منها مع ماقبلها مبتدأ وخبر تقول العرب أرأيت زيدا ماصنع المعنى أخبرنى عن زيد ماصنع وقبل
دخول أرأيت كان الكلام زيد ماصنع واذا تقرر هذا فأرأيتم هنا المفعول الأول لها محذوف والمسألة من باب الاعمال تنازع أرأيت
وان أتاكم على قوله عذابه فاعمل الثانى اذ هو المختار على مذهب البصريين وهو الذى ورد به السماع أكثر من إعمال الاول
فلما أعمل الثانى حذف من الاول ولم يضمر لان اضماره مختص بالشعر أو قليل فى الكلام على اختلاف النحويين فى ذلك والمعنى
قل لهم يامحمد أخبرونى عن عذاب الله ان أتاكم أى شئ تستعجلون منه فليس شئ من العذاب يستعجله عاقل اذ العذاب كله مر
المذاق موجب لنفار الطبع منه فتكون جملة الاستفهام جاءت على سبيل التلطف بهم والتنبيه لهم ان العذاب لاينبغى أن يستعجل
ويجوز أن تكون الجملة جاءت على سبيل التعجب والتهويل للعذاب أى أى شئ شديد تستعجلونه منه أى ما أشد وأهول
ماتستعجلون من العذاب وتقدم الكلام فى قوله بياتا فى الاعراف مدلولا واعرابا وانتصابه وما بعده على الظرف والمعنى ان
أتاكم عذابه وأنتم ساهون غافلون إما بنوم وإما باشتغال بالمعاش والكسب وهو نظير قوله بغتة لان العذاب اذا فاجأ من غير شعور
به كان أشد وأصعب بخلاف أن يكون قد استعد له وتهيأ لحلوله ويجوز فى ماذا أن تكون ما مبتدأ وذا خبره وهو
بمعنى الذى ويستعجل صفته وحذف الضمير العائد على الموصول التقدير أى شئ الذى يستعجله من العذاب المجرمون ويجوز فى ماذا أن يكون كله مفعولا كأنه قيل أى شئ يستعجله من العذاب المجرمون قال
الزمخشرى فان قلت بم يتعلق الاستفهام وأين جواب الشرط قلت تعلق بأرأيتم لان المعنى اخبرونى ماذا يستعجل منه المجرمون
وجواب الشرط محذوف وهو يندموا على الاستعجال ويعرفوا الخطأ فيه انتهى وماقدره الزمخشرى غير سائغ لانه لايقدر
الجواب الا مما تقدمه لفظا أو تقديرا تقول أنت ظالم ان فعلت التقدير ان فعلت فأنت ظالم وكذلك وانا ان شاء الله لمهتدون التقدير
ان شاء الله نهتد فالذى يسوغ أن يقدر ان أتاكم عذابه فاخبرونى ماذا يستعجل قال الزمخشرى ويجوز أن يكون ماذا يستعجل
جوابا للشرط كقولك ان أتيتك ماذا تطعمنى ثم تتعلق الجملة بأرأيتم وان يكون أثم اذا ماوقع آمنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل
منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لاينفعكم الايمان انتهى أما تجويزه ان يكون ماذا جوابا
للشرط فلا يصح لان جواب الشرط اذا كان استفهاما فلابد فيه من الفاء تقول ان زارنا زيد فأى رجل هو وان زارنا فلان فأى
يد له بذلك ولايجوز حذفها إلا ان كان فى ضرورة والمثال الذى ذكره وهو ان أتيتك ماذا تطعمنى هو من قبله لامن كلام العرب
وأما قوله تتعلق الجملة بأرأيتم ان عنى بالجملة ماذا يستعجل فلايصح ذلك لانه قد جعلها جوابا للشرط وان عنى بالجملة جملة الشرط فقد
فسر هو أرأيتم بمعنى أخبرنى وأخبرنى يطلب متعلقا مفعولا ولاتقع جملة الشرط موقع مفعول أخبرنى وأما تجويزه ان يكون أثم اذا
ماوقع آمنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا فلايصح أيضا لما ذكرناه من أن جملة الاستفهام لاتقع جوابا
للشرط الا ومعها فاء الجواب وأيضا فثم هنا وهى حرف عطف تعطف الجملة التى بعدها على ماقبلها فالجملة الاستفهامية معطوفة واذا
كانت معطوفة لم يصح أن تقع جواب شرط وأيضا فأرأيتم بمعنى أخبرنى يحتاج الى مفعول ولاتقع جملة الشرط موقعه والظاهر عود
الضمير فى منه على العذاب وبه يحصل الربط بجملة الاستفهام بمفعول أرأيتم المحذوف الذى هو مبتدأ فى الاصل وقيل يعود على
الله تعالى والمجرمون هم المخاطبون فى قوله أرأيتم ان أتاكم ونبه على الوصف الموجب لترك الاستعجال وهو الاجرام لان من حق

نفعا الا ماشاء الله لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ لما التمسوا
تعجيل العذاب أو تعجيل الساعة أمره عليه السلام أن يقول لهم ليس ذلك الى بل ذلك الى الله
تعالى واذا كنت لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا فكيف أملكه لغيرى أو كيف أطلع على مالم
يطلعنى عليه الله ولكن لكل أمة أجل انفرد بعلمه تعالى وتقدم الكلام على نظير قوله لكل أمة
أجل الى آخر الآية فى الاعراف * وقرأ ابن سيرين آجالهم على الجمع والا ماشاء الله ظاهره انه استثناء
متصل الا ماشاء الله أن أملكه وأقدر عليه * وقال الزمخشرى هو استثناء منقطع أى ولكن ماشاء
الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضرر وجلب العذاب ولكل أمة أجل أى ان عذابكم له
أجل مضروب عند الله ﴿ قل أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون أثم

المجرم أن يخاف التعذيب على اجرامه و يهلك فزعا من مجيئه وان أبطأ فكيف يستعجله وثم حرف عطف وتقدمت همزة الاستفهام عليها كما تقدمت على الواو والفاء في أفلم يسيروا وفي أولم يسيروا وتقدم الكلام على ذلك قال الطبري في قوله أثم بضم الثاء أن معناه أهنالك قال وليست ثم هذه التي تأتي بمعنى العطف انتهى وماقاله من أن ثم ليست للعطف دعوى وأما قوله ان المعنى أهنالك فالذي ينبغي أن يكون ذلك تفسير معنى لا ان ثم المضمومة الثاء معناها معنى هنالك وفاعل وقع ضمير يعود على العذاب وقرئ آلآن على الاستفهام بالمد وقرئ بهمزة الاستفهام بغير مد وهو على اضمار القول أي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلان آمنتم به فالناصب لقوله الآن هو آمنتم وهو محذوف ﴿وقد كنتم﴾ (١٦٦) جملة حالية لأن استعجالهم بالعذاب تكذيب لوقوعه

اذا ماوقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون﴾ تقدم الكلام في أرأيتم في سورة الانعام وقررنا هنالك أن العرب تضمن أرأيت معنى أخبرني وأنها تتعدى إذ ذاك الى مفعولين وان المفعول الثاني أكثر ما يكون جملة استفهام ينعقد منها مع ماقبلها مبتدأ وخبر كقول العرب أرأيت زيدا ماصنع المعنى أخبرني عن زيد ماصنع * وقبل دخول أرأيت كان الكلام زيد ماصنع واذا تقرر هذا فأرأيتم هنا المفعول الأول لها محذوف والمسألة من باب الاعمال تنازع أرأيت وان أتاكم على قوله عذابه فأعمل الثاني إذ هو المختار على مذهب البصريين وهو الذي ورد به السماع أكثر من اعمال الأول فلما أعمل الثاني حذف من الأول ولم يضمر لأن اضماره مختص بالشعر أو قليل في الكلام على اختلاف النحويين في ذلك والمعنى قل لهم يامحمد أخبروني عن عذاب الله ان أتاكم أي شئ تستعجلون منه وليس شئ من العذاب يستعجله عاقل إذ العذاب كله مر المذاق موجب لنفار الطبع منه فتكون جملة الاستفهام جاءت على سبيل التلطف بهم والتنبيه لهم أن العذاب لاينبغي أن يستعجل ويجوز أن تكون الجملة جاءت على سبيل التعجب والتهويل للعذاب أي أي شئ شديد تستعجلون منه أي ما أشد وأهول ماتستعجلون من العذاب * وقال الحوفي الرؤية من رؤية القلب التي بمعنى العلم لأنها داخلة على الجملة من الاستفهام ومعناها التقرير وجواب الشرط محذوف وتقدير الكلام أرأيتم ماتستعجل من العذاب المجرمون ان أتاكم عذابه انتهى فظاهر كلام الحوفي ان أرأيتم باقية على موضوعها الأول لم تضمن معنى أخبروني وانها بمعنى أعلمتم وان جملة الاستفهام سدت مسد المفعولين وانه استفهام معناه التقرير ولم يبين الحوفي مايفيد جواب الشرط المحذوف * وقال الزمخشري (فان قلت) بم يتعلق الاستفهام وأين جواب الشرط (قلت) تعلق بأرأيتم لأن المعنى أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال وتعرفوا الخطأ فيه انتهى وماقدره الزمخشري غير سائغ لأنه لايقدر الجواب الا ماتقدمه لفظا أو تقديرا تقول أنت ظالم ان فعلت فالتقدير ان فعلت فأنت ظالم وكذلك وانا ان شاء الله لمهتدون

(الدر)

(ش) فان قلت بم يتعلق الاستفهام وأين جواب الشرط قلت يتعلق بأرأيتم لان المعنى أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال وتعرف الخطأ فيه (ح) وماقدره (ش) غير سائغ لانه لايقدر الجواب الاما تقدمه لفظا أو تقديرا تقول أنت ظالم ان فعلت فالتقدير ان فعلت فانت ظالم وكذلك وانا ان شاء الله لمهتدون التقدير ان شاء الله نهتدي فالذي يسوغ أن يقدر ان أتاكم عذابه فاخبروني ماذا يستعجل (ش) و يجوز أن يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط كقولك ان أتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بأرأيتم وأن يكون أثم اذا ماوقع آمنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان (ح) أما تجويزه أن يكون ماذا جواب الشرط فلا يصح لان جواب الشرط اذا كان استفهاما فلابد فيه من الفاء تقول ان زارنا زيد فأي رجل هو وان زارنا فلان فأي يد له بذلك ولا يجوز حذفها الا ان كان في ضرورة والمثال الذي ذكره (ش) وهو ان أتيتك ماذا تطعمني هو من تمثيله لا من كلام العرب وأما قوله ثم تتعلق الجملة بأرأيتم ان عنى بالجملة ماذا يستعجل فلا يصح ذلك لانه قد جعلها جوابا للشرط وان عنى بالجملة جملة الشرط فقد فسر هو أرأيتم بمعنى أخبرني وأخبرني يطلب متعلقا مفعولا ولا تقع جملة الشرط موقع مفعول أخبرني وأما تجويزه أن يكون أثم اذا ماوقع آمنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا فلا يصح أيضا لما ذكرمن ان جملة الاستفهام لاتقع جوابا الا ومعها فاء الجواب وأيضا فثم هنا وهي حرف عطف تعطف الجملة التي بعدها على ماقبلها فالجملة الاستفهامية معطوفة واذا كانت معطوفة لم يصح أن تقع جوابا للشرط وأيضا فأرأيتم بمعنى أخبرني يحتاج الى مفعول ولا تقع جملة الشرط موقعه

التقدير ان شاء الله نهتد فالذى يسوغ ان يقدر ان أتاكم عذابه فاخبرونى ماذا يستعجل * وقال الزمخشرى ويجوز أن يكون ماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان انتهى أما تجويزه أن يكون ماذا جوابا للشرط فلا يصح لأن جواب الشرط اذا كان استفهاما فلا بد فيه من الفاء تقول ان زارنا فلان فأى رجل هو وان زارنا فلان فأى يد له بذلك ولا يجوز حذفها الا ان كان فى ضرورة والمثال الذى ذكره وهو ان أتيتك ماذا تطعمنى هو من تمثيله لا من كلام العرب وأما قوله ثم تتعلق الجملة بأرأيتم ان عنى بالجملة ماذا يستعجل فلا يصح ذلك لأنه قد جعلها جوابا للشرط وان عنى بالجملة جملة الشرط فقد فسر هو أرأيتم بمعنى أخبرنى وأخبرنى تطلب متعلقا مفعولا ولا تقع جملة الشرط موقع مفعول أخبرنى وأما تجويزه أن يكون أثم اذا ما وقع آمنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا فلا يصح أيضا لما ذكرناه من أن جملة الاستفهام لا تقع جوابا للشرط الا ومعها فاء الجواب وأيضا فثم هنا وهى حرف عطف تعطف الجملة التى بعدها على ما قبلها فالجملة الاستفهامية معطوفة واذا كانت معطوفة لم يصح أن تقع جواب شرط وأيضا فأرأيتم بمعنى أخبرنى تحتاج الى مفعول ولا تقع جملة الشرط موقعه وتقدم الكلام فى قوله بياتا فى الاعراف مدلولا واعرابا والمعنى ان أتاكم عذابه وأنتم ساهون غافلون إما بنوم وإما باشتغال بالمعاش والكسب وهو نظير قوله بغتة لأن العذاب اذا فاجأ من غير شعور به كان أشد وأصعب بخلاف ان يكون قد استعدله وتهيء لحلوله وهذا كقوله تعالى بياتا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون ويجوز فى ماذا أن يكون ما مبتدأ وذا خبره وهو بمعنى الذى ويستعجل صلته وحذف الضمير العائد على الموصول التقدير أى شئ يستعجله من العذاب المجرمون ويجوز فى ماذا أن يكون كله مفعولا كأنه قيل أى شئ يستعجله من العذاب المجرمون وقد جوز بعضهم أن يكون ماذا كله مبتدأ وخبره الجملة بعده وضعفه أبو على لخلو الجملة من ضمير يعود على المبتدأ والظاهر عود الضمير فى منه على العذاب وبه يحصل الربط لجملة الاستفهام بمفعول أرأيتم المحذوف الذى هو مبتدأ فى الاصل * وقيل يعود على الله تعالى والمجرمون هم المخاطبون فى قوله أرأيتم ان أتاكم ونبه على الوصف الموجب لترك الاستعجال وهو الاجرام لأن من حق المجرم أن يخاف التعذيب على اجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وان أبطأ فكيف يستعجله وثم حرف عطف وتقدمت همزة الاستفهام عليها كما تقدمت على الواو والفاء فى أفلم يسيروا وفى أولم يسيروا وتقدم الكلام على ذلك وخلاف الزمخشرى الجماعة فى دعواه ان بين الهمزة وحرف العطف جملة محذوفة عطفت عليها الجملة التى بعد حرف العطف وقال الطبرى فى قوله أثم بضم الثاء أن معناه أهنالك فال وليست ثم هذه التى تأتى بمعنى العطف انتهى وما قاله الطبرى من أن ثم هنا ليست للعطف دعوى وأما قوله ان المعنى أهنالك فالذى ينبغى أن يكون ذلك تفسير معنى لأن ثم المضمومة الثاء معناها معنى هنالك * وقرأ طلحة بن مصرف أثم بفتح الثاء وهذا يناسبه تفسير الطبرى أهنالك * وقرأ الجمهور آلآن على الاستفهام بالمد وكذا آلآن وقد عصيت * وقرأ طلحة والاعرج بهمزة الاستفهام بغير مد وهو على اضمار القول أى قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به فالناصب لقوله الآن هو آمنتم به وهو محذوف * قيل تقول لهم ذلك الملائكة * وقيل الله والاستفهام على طريق التوبيخ وفى كتاب اللوامح عيسى البصرى وطلحة آمنتم به الآن بوصل الهمزة من غير استفهام بل على الخبر فيكون نصبه على الظرف من آمنتم به المذكور وأما فى العامة فنصبه

(الدر)

(ح) قال الطبرى فى قوله أثم بضم الثاء أن معناه أهنالك فال وليست ثم هذه التى تأتى بمعنى العطف انتهى وما قاله الطبرى من أن ثم هنا ليست للعطف دعوى وأما قوله ان المعنى أهنالك فالذى ينبغى أن يكون ذلك تفسير معنى لأن ثم المضمومة الثاء معناها معنى هنالك

﴿ ثم قيل للذين ظلموا ﴾ أي يقول لهم خزنة جهنم هذا الكلام والظلم ظلم الكفر ثم قيل هذا من عطف الجمل وهو استئناف اخبار عما يقال لهم يوم القيامة ﴿ ويستنبؤنك ﴾ أي يستخبرونك وأصلها أن تتعدى الى واحد بنفسها والى الآخر بحرف الجر تقول استنبأت زيدا عن عمرو أي طلبت منه أن يخبرني عن عمرو فاستفعل هنا للطلب والمفعول الاول كاف الخطاب والمفعول الثاني الجملة من قوله أحق هو على سبيل التعليق وحق يجوز أن يكون خبرا مقدما وهو مبتدأ ويجوز أن يكون مبتدأ وهو الخبر قال ابن عطية وقيل هي بمعنى يستعلمونك قال فهي (١٦٨) على هذا تحتاج الى مفاعيل ثلاثة أحدها الكاف والابتداء والخبر سد مسد المفعولين انتهى ليس كما ذكر لان استعلم لا يحفظ كونها متعدية الى مفاعيل ثلاثة لا يحفظ استعلمت زيدا عمرا قائما فيكون جملة الاستفهام سدت مسد المفعولين ولا يلزم من كونها بمعنى يستعلمونك أن تتعدى الى ثلاثة لأن استعلم لا يتعدى الى ثلاثة كما ذكرناه والضمير في هو عائد على العذاب ﴿ قل إي وربي ﴾ أمره تعالى أن يقول لهم مجيبا إي وربي وإي هي من حروف الجواب بمعنى نعم ولا تستعمل الا مع القسم وجواب القسم ﴿ انه لحق ﴾ قال الزمخشري وسمعتهم يقولون في التصديق إي ويصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده انتهى لا حجة فيما سمعه الزمخشري من ذلك لعدم الحجة في كلامه لفساد كلام العرب اذ ذاك وقبله بأزمان كثيرة ﴿ بمعجزين ﴾ أي فائتين

بفعل مضمر يدل عليه آمنتم به المذكور لان الاستفهام قد أخذ صدر الكلام فيمنع ما قبله أن يعمل فيما بعده انتهى وقد كنتم جملة حالية * قال الزمخشري وقد كنتم به تستعجلون يعني تكذبون لان استعجالكم كان على جهة التكذيب والانكار * وقال ابن عطية تستعجلون مكذبين به ﴿ ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ﴾ أي تقول لهم خزنة جهنم هذا الكلام والظلم ظلم الكفر لا ظلم المعصية لان من دخل النار من عصاة المؤمنين لا يخلد فيها وثم قيل عطف على المضمر قبل الآن ومن قرأ بوصل ألف الآن فهو استئناف اخبار عما يقال لهم يوم القيامة وهل تجزون توبيخ لهم وتوضيح أن الجزاء هو على كسب العبد ﴿ ويستنبئونك أحق هو قل اي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين ﴾ أي يستخبرونك وأحق هو الضمير عائد على العذاب * وقيل على الشرع والقرآن * وقيل على الوعيد * وقيل على أمر الساعة والجملة في موضع نصب فقال الزمخشري بيقولون أحق هو فجعل يستنبئونك تتعدى الى واحد * وقال ابن عطية معناه يستخبرونك وهي على هذا تتعدى الى مفعولين أحدهما الكاف والآخر في الابتداء والخبر فعلى ما قال يكون يستنبئونك معلقة وأصل استنبأ أن يتعدى الى مفعولين أحدهما بعن تقول استنبأت زيدا عن عمرو أي طلبت منه أن ينبئني عن عمرو والظاهر انها معلقة عن المفعول الثاني * قال ابن عطية وقيل هي بمعنى يستعلمونك قال فهي على هذا تحتاج الى مفاعيل ثلاثة أحدها الكاف والابتداء والخبر سد مسد المفعولين انتهى وليس كما ذكر لان استعلم لا يحفظ كونها متعدية الى مفاعيل ثلاثة لا يحفظ استعلمت زيدا عمرا قائما فتكون جملة الاستفهام سدت مسد المفعولين ولا يلزم من كونها بمعنى يستعلمونك أن تتعدى الى ثلاثة لان استعلم لا يتعدى الى ثلاثة كما ذكرنا وارتفع هو على أنه مبتدا وحق خبره وأجاز الحوفي وأبو البقاء أن يكون حق مبتدا وهو فاعل به سد مسد الخبر وحق ليس اسم فاعل ولا مفعول وانما هو مصدر في الأصل ولا يبعد أن يرفع لانه بمعنى ثابت وهذا الاستفهام منهم على جهة الاستهزاء والانكار * وقرأ الأعمش الحق * قال الزمخشري وهو أدخل في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بانه باطل وذلك أن اللام للجنس فكأنه قيل أهو الحق لا الباطل أو أهو الذي سميتموه الحق انتهى وأمر تعالى نبيه أن يقول مجيبا لهم قل إي وربي أي نعم وربي وإي تستعمل في القسم خاصة كما تستعمل هل بمعنى قد فيه خاصة قال معناه الزمخشري قال وسمعتهم يقولون في التصديق اي وفيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده انتهى ولا حجة فيما سمعه الزمخشري من ذلك لعدم الحجة في كلامه لفساد كلام

(الدر) (ع) وقيل هي بمعنى يستعلمونك قال فهي على هذا تحتاج الى مفاعيل ثلاثة أحدها الكاف والابتداء والخبر سد مسد المفعولين انتهى (ح) ليس كما ذكر لان استعلم لا يحفظ كونها متعدية الى مفاعيل ثلاثة لا يحفظ استعلمت زيدا عمرا قائما فتكون جملة الاستفهام سدت مسد المفعولين ولا يلزم من كونها بمعنى يستعلمونك أن تتعدى الى ثلاثة لان استعلم لا يتعدى الى ثلاثة كما ذكرنا (ش) وسمعتهم يقولون في التصديق إي وفيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده (ح) لا حجة فيما سمعه (ش) من ذلك لعدم الحجة في كلامه لفساد كلام العرب اذ ذاك وقبله بأزمان كثيرة

العرب اذا ذاك وقبله بأزمان كثيرة * وقال ابن عطية هي لفظة تتقدم القسم وهي بمعنى نعم و يجيء بعدها حرف القسم وقد لا يجيء تقول أي ربي اي وربي انتهى وقد كان يكتفى في الجواب بقوله اي وربي الا أنه أكد باظهار الجملة التي كانت تضمر بعد قوله اي وربي مسوقة مؤكدة بان واللام مبالغة في التوكيد في الجواب ولما تضمن قولهم أحق هو السؤال عن العذاب وكان سؤالا عن العذاب اللاحق بهم لاعن مطلق عذاب يقع بمن يقع قيل وما أنتم بمعجزين أي فائتين العذاب المسؤل عنه بل هو لاحق بكم واحتملت هذه الجملة أن تكون داخلة في جواب القسم فتكون معطوفة على الجواب قبلها واحتمل أن تكون أخبارا معطوفا على الجملة المقولة لا على جواب القسم وأعجز الهمزة فيه للتعدية كما قال ولن نعجزه هربا لكنه كثر فيه حذف المفعول حتى قالت العرب أعجز فلان اذا ذهب في الأرض فلم يقدر عليه * وقال الزجاج أي ما أنتم ممن يعجز من يعذبكم ﴿ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ ولما ذكر العذاب وأقسم على حقيقته وانهم لا يفلتون منه ذكر بعض أحوال الظالمين في الآخرة وظلمت صفة لنفس والظلم هنا الشرك والكفر وافتدى يأتي مطاوعا لفدى فلا يتعدى تقول فديته فافتدى و بمعنى فدى فيتعدى وهنا يحتمل الوجهين وما في الارض أي ما كان لها في الدنيا من الخزائن والاموال والمنافع وأسروا من الاضداد تأتي بمعنى أظهر قال الفرزدق

ولما رأى الحجاج جرد سيفه * أسر الحروري الذي كان أظهرا

﴿ وقال آخر ﴾

فأسررت الندامة يوم نادى * برد جمال غاضرة المنادى

وتأتي بمعنى أخفى وهو المشهور فيها كقوله يعلم ما يسرون وما يعلنون ويحتمل هنا الوجهين اما الاظهار فانه ليس بيوم تصبر ولا تجلد ولا يقدر فيه الكافر على كتمان ما ناله ولان حالة رؤية العذاب يتحسر الانسان على اقترافه ما أوجبه ويظهر الندامة على ما فاته من الفوز ومن الخلاص من العذاب وقد قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا واما اخفاء الندامة فقيل أخفى رؤساؤهم الندامة من سفلتهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وهذا فيه بعد لان من عاين العذاب هو مشغول بما يقاسيه منه فكيف له فكر في الحياء وفي التوبيخ الوارد من السفلة وأيضا وأسروا عائد على كل نفس ظلمت على المعنى وهو عام في الرؤساء والسفلة * وقيل اخفاء الندامة هو من كونهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولا خطر ببالهم ومعاينتهم ما أوهى قواهم فلم يطيقوا عنده ذلك بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة في القلوب كما يعرض لمن يقدم للصلب لا يكاد ينبس بكلمة و يبقى مبهوتا جامدا وأما من قال ان معنى قوله وأسروا الندامة أخلصوا لله في تلك الندامة أو بدت بالندامة أسرة وجوههم اي تكاسير جباههم ففيه بعد عن سياق الآية والظاهر أن قوله وقضى بينهم بالقسط جملة اخبار مستأنفة وليست معطوفة على ما في حيز لما وأن الضمير في بينهم عائد على كل نفس ظلمت * وقال الزمخشري بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم انتهى * وقيل يعود على المؤمن والكافر * وقيل على الرؤساء والأتباع ﴿ألا ان لله ما في السموات والارض ألا ان وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيي و يميت واليه ترجعون﴾ قيل تعلق هذه الآية بما قبلها من جهة انه فرض ان النفس الظالمة لو كان لها ما في الارض لافتدت به وهي لا شيء لها البتة لان جميع الأشياء انما هي بأسرها ملك لله تعالى وهو المتصرف فيها اذ له الملك والملك و يظهر أن مناسبتها

﴿ولو أن لكل نفس ظلمت﴾ الآية ذكر بعض أحوال الظالمين في الآخرة وظلمت صفة لنفس والظلم هنا الشرك والكفر وافتدى يأتي مطاوعا لفدى فلا يتعدى تقول فديته وفتدى و بمعنى فدى فيتعدى وهنا يحتمل الوجهين وما في الارض أي ما كان لها في الدنيا من الخزائن والاموال والمنافع وأسروا من الاضداد فتأتي بمعنى أظهروا وبمعنى أخفوا ﴿ألا ان لله﴾ الآية قيل تعلق هذه الآية بما قبلها من جهة انه فرض أن النفس الظالمة لو كان لها ما في الارض لافتدت به وهي لا شيء لها البتة لان جميع الأشياء انما هي بأسرها ملك لله تعالى

لما قبلها انه لما سألوا عما وعدوا به من العذاب أحق هو وأجيبوا بأنه حق لامحالة وكان ذلك جوابا كافيا لمن وفقه الله تعالى للايمان كما كان جوابا للاعرابي حين سأل الرسول صلى الله عليه وسلم آلله أرسلك قوله عليه السلام له اللهم نعم فقنع منه باخباره صلى الله عليه وسلم اذ علم انه لايقول الا الحق والصدق كما قال هرقل لم يكن ليدع الكذب ويكذب على الله انتقل من هذا الجواب الى ذكر البرهان القاطع على حجته وتقريره بأن القول بالنبوة والمعاد يتفرعان على اثبات الاله القادر الحكيم وان ماسواه فهو ملكه وملكه فعبر عن هذا بهذه الآية وكان قد استقصى الدلائل على ذلك في هذه السورة في قوله ان في اختلاف الليل والنهار الآية وقوله هو الذي جعل الشمس ضياء فاكتفى هنا عن ذكرها واذا كان جميع مافي العالم ملكه وملكه كان قادرا على كل الممكنات عالما بكل المعلومات غنيا عن جميع الحاجات منزها عن النقائص والآفات وبكونه قادرا على الممكنات كان قادرا على انزال العذاب على الكفار في الدنيا والآخرة وقادرا على تأييد رسوله بالدلائل واعلاء دينه فبطل الاستهزاء والتعجيز وبتنزيهه عن النقائص كان منزها عن الخلف والكذب فثبت أن قوله الا ان لله مافي السموات والارض مقدمة توجب الجزم بصحة قوله ألا ان وعد الله حق وألا كلمة تنبيه دخلت على الجملتين تنبيها للغافل اذ كانوا مشغولين بالنظر الى الأسباب الظاهرة من نسبة أشياء الى انها مملوكة لمن جعل له بعض تصرف فيها واستخلاف ولذلك قال تعالى ولكن أكثرهم لايعلمون يعني لغفلتهم عن هذه الدلائل ثم أتبع ذلك بذكر قدرته على الاحياء والاماتة فيجب أن يكون قادرا على إحيائه مرة ثانية ولذلك قال واليه ترجعون فترون ماوعد به *وقرأ الحسن بخلاف عنه وعيسى ابن عمر يرجعون بالياء على الغيبة* وقرأ الجمهور بالتاء على الخطاب ﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ قيل نزلت في قريش الذين سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم أحق هو فالناس هم كفار قريش * وقال ابن عطية هو خطاب لجميع العالم *ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر الادلة على الألوهية والوحدانية والقدرة ذكر الدلائل الدالة على صحة النبوة والطريق المؤدي اليها وهو القرآن والمتصف بهذه الأوصاف الشريفة هو القرآن *قال الزمخشري أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد هو شفاء اي دواء لما في صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء الى الحق ورحمة لمن آمن به منكم انتهى ومن ربكم يحتمل أن يتعلق بجاءتكم فمن لابتداء الغاية ويحتمل أن يكون في موضع الصفة أي من مواعظ ربكم فتتعلق بمحذوف فمن للتبعيض وفي قوله من ربكم تنبيه على انه من عند الله ليس من عند أحد قال ابن عطية وجعله موعظة بحسب الناس أجمع وجعله هدى ورحمة بحسب المؤمنين وهذا تقسيم صحيح المعنى اذا تؤوّل بان وجهه انتهى * وذكر أبو عبد الله الرازي هنا كلاما كثيرا ممزوجا بما يسمونه حكمة نعلم قطعا أن العرب لاتفهم ذلك الذي قرره من ألفاظ القرآن وطول في ذلك وضرب أمثلة حسية يوقف عليها من تفسيره ثم قال آخر كلامه فالحاصل ان الموعظة اشارة الى تطهير ظواهر الخلق عما لاينبغي وهو الشريعة والشفاء اشارة الى تطهير الأرواح عن العقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة وهو الطريقة والهدى اشارة الى ظهور نور الحق في قلوب الصديقين وهو الحقيقة والرحمة اشارة الى كونها بالغة في الكمال والاشراق الى حيث تصير تكمل الناقصين وهي النبوة فهذه درجات عقلية ومراتب برهانية مدلول عليها بهذه الالفاظ القرآنية لايمكن تأخير ماتقدم ذكره ولا تقدم ماتأخر ذكره ﴿ قل بفضل الله وبرحمته

﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم ﴾ الآية الخطاب بيا أيها الناس عام * ومناسبتها لما قبلها انه تعالى لما ذكر الأدلة على الالوهية والوحدانية والقدرة ذكر الدلائل الدالة على صحة النبوة والطريق المؤدي اليها وهو القرآن والمتصف بهذه الاوصاف الشريفة هو القرآن ﴿ قل بفضل الله وبرحمته ﴾ فضل الله الاسلام والرحمة القرآن قال ابن عباس وقيل غير ذلك والظاهر أن قوله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا جملتان وحذف مايتعلق به الباء والتقدير قل بفضل الله وبرحمته ليفرحوا ثم عطفت الجملة الثانية على الأولى على سبيل التوكيد قال الزمخشري والتكرير للتأكيد وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ماعداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا لشئ فليخصوهما بالفرح فانه لامفروح به أحق منهما ويجوز أن يراد بفضل

فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون * قال الزمخشري عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام فضله الاسلام ورحمته ماوعد عليه انتهى ولو صح هذا الحديث لم يمكن خلافه * قال ابن عباس والحسن وقتادة وهلال بن يساف فضل الله الاسلام ورحمته القرآن * وقال الضحاك وزيد بن أسلم عكس هذا * وقال أبو سعيد الخدري الفضل القرآن والرحمة ان جعلهم من أهله * وقال ابن عباس فيما روى الضحاك عنه الفضل العلم والرحمة محمد صلى الله عليه وسلم * وقال ابن عمر الفضل الاسلام والرحمة تزيينه في القلوب * وقال مجاهد الفضل والرحمة القرآن واختاره الزجاج * وقال خالد بن معدان الفضل القرآن والرحمة السنة وعنه أيضا ان الفضل الاسلام والرحمة الستر * وقال عمرو بن عثمان فضل الله كشف الغطاء ورحمته الرؤية واللقاء * وقال الحسين بن فضل الفضل الايمان والرحمة الجنة * وقيل الفضل التوفيق والرحمة العصمة * وقيل الفضل نعمه الظاهرة والرحمة نعمه الباطنة * وقال الصادق الفضل المغفرة والرحمة التوفيق * وقال ذو النون الفضل الجنان ورحمته النجاة من النيران وهذه تخصيصات تحتاج الى دلائل وينبغي أن يعتقد أنها تمثيلات لأن الفضل والرحمة أريد بهما تعيين ماذكر وحصرهما فيه * وقال ابن عطية وانما الذي يقتضيه اللفظ ويلزم منه ان الفضل هو هداية الله الى دينه والتوفيق الى اتباع الشرع والرحمة هي عفوه وسكنى جنته التي جعلها جزاء على اتباع الاسلام والايمان ومعنى الآية قل يا محمد لجميع الناس بفضل الله وبرحمته فليقع الفرح منكم لا بأمور الدنيا ومايجمع من حطامها فالمؤمنون يقال لهم فليفرحوا وهم ملتبسون بعلة الفرح وسببه ومخلصون لفضل الله منتظرون رحمته والكافرون يقال لهم بفضل الله وبرحمته فليفرحوا على معنى أن لو اتفق لكم أو لو سعدتم بالهداية الى تحصيل ذلك انتهى والظاهر أن قوله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا جملتان وحذف ماتتعلق به الباء والتقدير قل بفضل الله وبرحمته ليفرحوا ثم عطفت الجملة الثانية على الأولى على سبيل التوكيد * قال الزمخشري والتكرير للتقرير والتأكيد وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ماعداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشئ فليخصوهما بالفرح فانه لامفروح به أحق منهما ويجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا بذلك فليفرحوا ويجوز أن يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك أي فبمجيئهما فليفرحوا انتهى أما اضمار فليعتنوا فلا دليل عليه وأما تعليقه بقوله قد جاءتكم فينبغي أن يقدر ذلك محذوفا بعد قل ولا يكون متعلقا بجاءتكم الأولى للفصل بينهما بقل * وقال الحوفي الباء متعلقة بما دل على المعنى أي قد جاءتكم الموعظة بفضل الله * وقيل الفاء الأولى زائدة ويكون بذلك بدلا مما قبله وأشير به الى الاثنين الفضل والرحمة * وقيل تكرر الفاء الثانية للتوكيد فعلى هذا لا تكون الأولى زائدة ويكون أصل التركيب فبذلك ليفرحوا وفي القول قبله يكون أصل التركيب بذلك فليفرحوا ولا تنافي بين الامر بالفرح هنا وبين النهي عنه في قوله لاتفرح ان الله لايحب الفرحين لاختلاف المتعلق فالمأمور به هنا الفرح بفضل الله وبرحمته والمنهي هناك الفرح بجمع الاموال لرئاسة الدنيا وارادة العلو بها والفساد والاشر ولذلك جاء بعده وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وقبله ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وقوله لفرح فخور جاء ذلك على سبيل الذم لفرحه باذاقة النعماء بعد الضراء ويأسه وكفرانه للنعماء اذا نزعت منه وهذه صفة مذمومة وليس ذلك من أفعال الآخرة وقول من قال انه اذا أطلق

الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز أن يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك أي فبمجيئهما فليفرحوا انتهى أما اضمار فليعتنوا فلا دليل عليه وأما تعليقه بقوله قد جاءتكم فينبغي أن يقدر ذلك محذوفا بعد قل ولا يكون متعلقا بجاءتكم الأولى للفصل بينهما بقل

(الدر)

(ش) والتكرير للتقرير والتأكيد وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ماعداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشئ فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به أحق منهما ويجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز أن يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك أي فبمجيئهما فليفرحوا انتهى (ح) أما اضمار فليعتنوا فلا دليل عليه وأما تعليقه بقوله قد جاءتكم موعظة فينبغي أن يقدر ذلك محذوفا بعد قل ولا يكون متعلقا بجاءتكم الأولى للفصل بينهما بقل

الفرح كان مذموما واذا قيد لم يكن مذموما كما قال فرحين بما آتاهم الله من فضله ليس بمطرد اذ جاء مقيدا في الذم في قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وانما يمدح الفرح و يذم بحسب متعلقه فاذا كان بنيل ثواب الآخرة واعمال البر كان محمودا واذا كان بنيل لذات الدنيا وحطامها كان مذموما * وقرأ عثمان بن عفان وأبي وأنس والحسن وأبو رجاء وابن هرمز وابن سيرين وأبو جعفر المدني والسلمي وقتادة والجحدري وهلال بن يساف والاعمش وعمرو بن قائد والعباس ابن الفضل الانصاري فلتفرحوا بالتاء على الخطاب ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم * قال صاحب اللوامح وقال وقد جاء عن يعقوب كذلك انتهى * وقال ابن عطية وقرأ أبي وابن القعقاع وابن عامر والحسن على مازعم هارون ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلتفرحوا وتجمعون بالتاء فيهما على المخاطبة وهي قراءة جماعة من السلف كثيرة وعن أكثرهم خلاف انتهى والجمهور بالياء على أمر الغائب ومانقله ابن عطية أن ابن عامر قرأ فلتفرحوا بالتاء ليس هو المشهور عنه انما قراءته في مشهور السبعة بالياء أمر للغائب لكنه قرأ تجمعون بالتاء على الخطاب وباقي السبعة بالتاء على الخطاب وفي مصحف أبي فبذلك فافرحوا وهذه هي اللغة الكثيرة الشهيرة في أمر المخاطب وأما فليفرحوا بالياء فهي لغة قليلة وفي الحديث لتأخذوا مصافكم * وقرأ أبو التياح والحسن فليفرحوا بكسر اللام و يدل على أن ذلك أشير به الى واحد عود الضمير عليه موحدا في قوله هو خير مما يجمعون فالذي ينبغي أن قوله تعالى بفضل الله و برحمته على انهما شيء واحد عبر عنه باسمين على سبيل التأكيد ولذلك أشير اليه بذلك وعاد الضمير عليه مفردا وقوله مما يجمعون يعني من حطام الدنيا ومتاعها ﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها هي أنه لما ذكر تعالى ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وكان المراد بذلك كتاب الله المشتمل على التحليل والتحريم بين فساد شرائعهم وأحكامهم من الحلال والحرام من غير مستند في ذلك الى وحي وأرأيتم هنا بمعنى أخبروني وجوزوا في ما أنزل أن تكون موصولة مفعولا أول لأرأيتم والعائد عليها محذوف والمفعول الثاني قوله آلله أذن لكم والعائد على المبتدأ من الخبر محذوف تقديره آلله أذن لكم فيه وكرر قل قبل الخبر على سبيل التوكيد وأن تكون ما استفهامية منصوبة بأنزل قاله الحوفي والزمخشري * وقيل ما استفهامية مبتدأ والضمير من الخبر محذوف تقديره آلله أذن لكم فيه أو به وهذا ضعيف لحذف هذا العائد وجعل ماموصولة هو الوجه لأن فيه ابقاء أرأيت على بابها من كونها تتعدى الى الأول فتؤثر فيه بخلاف جعلها استفهامية فان أرأيت اذ ذاك تكون معلقة ويكون ماقد سد مسد المفعولين والظاهر أن أم متصلة والمعنى أخبروني آلله اذن لكم في التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك باذنه أم تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه فنبه بتوقيفهم على أحد القسمين وهم لا يمكنهم ادعاء اذن الله في ذلك فثبت افتراؤهم * وقال الزمخشري و يجوز أن تكون الهمزة للانكار وأم منقطعة بمعنى بل أتفترون على الله تقريرا للافتراء انتهى وأنزل هنا قيل معناه خلق كقوله وأنزلنا الحديد وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج * وقيل أنزل على بابها وهو على حذف مضاف أي من سبب رزق وهو المطر * وقال ابن عطية أنزل لفظة فيها تجوز وانزال الرزق إما أن يكون في ضمن انزال المطر بالمآل و نزول الامر به الذي هو ظهور الاثر في المخلوق منه المخترع والمجعول حراما وحلالا * قال مجاهد هو ما حكموا به من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام * وقال الضحاك هو اشارة الى قوله

﴿ قل أرأيتم ﴾ الآية مناسبتها لما قبلها انه لما ذكر تعالى قل ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة وكان المراد بذلك كتاب الله المشتمل على التحليل والتحريم بين فساد شرائعهم وأحكامهم من الحلال والحرام من غير مستند في ذلك الى الوحي وأرأيتم هنا بمعنى أخبروني وتقدم انها تتعدى لمفعولين فالاول هنا ما من قوله ما أنزل وهي موصولة وصلتها أنزل والضمير محذوف تقديره أنزله ومن رزق تبيين لما انبهم من لفظ ما وجعلتم معطوف على أنزل والمفعول الثاني محذوف تقديره آلله أذن لكم وهي جملة استفهام دل على حذفها قوله بعد أمر الله تعالى له بقل آلله أذن لكم وأم الظاهر انها متصلة والمعنى اخبروني الله أذن لكم في التحليل والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه أم تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه فنبه بتوقيفهم على أحد القسمين وهم لا يمكنهم ادعاء إذن الله في ذلك فثبت افتراؤهم

﴿وماظن الذين يفترون﴾ الآية ما استفهامية مبتدأة خبرها ظن والمعنى أى شئ ظن المفترين يوم القيامة أبهم الأمر على سبيل التهديد والايعاد يوم يكون الجزاء بالاحسان والاساءة ويوم منصوب بظن ومعمول الظن قيل تقديره ماظنهم ان الله فاعل بهم أينجيهم أم يعذبهم ﴿وماتكون فى شأن﴾ الآية مناسبتها لماقبلها انه تعالى لما ذكر جملة من أحوال الكفار ومذاهبهم والرد عليهم ومحاولة الرسول لهم ذكر فضله تعالى على الناس وان أكثرهم لايشكره على فضله وذكر اطلاعه تعالى على أحوالهم وحال الرسول معهم فى مجاهدته لهم وتلاوة القرآن عليهم وانه تعالى عالم بجميع أعمالهم واستطرد من ذلك الى ذكر أولياء الله ليظهر التفاوت بين الفريقين فريق الشيطان وفريق الرحمن والخطاب فى قوله وماتكون فى شأن وماتتلوا للرسول وهو عام لجميع شؤونه صلى الله عليه وسلم ﴿وماتتلوا﴾ مندرج تحت عموم شأن واندرج من حيث المعنى فى الخطاب كل ذى شأن ومافى الجملتين نافية والضمير فى منه عائد على شأن و ﴿من قرآن﴾ تفسير للضمير وخص من العموم لان القرآن هو أعظم شؤونه صلى الله عليه وسلم والخطاب فى قوله ﴿ولاتعملون﴾ عام وكذا ﴿الا كنا عليكم (١٧٣) شهودا﴾ وولى الاهنا الفعل غير مصحوب بقد لانه قد تقدم إلا فعل والجملة بعد الا حال وشهودا رقباء نحصى عليكم واذ معموله لقوله شهودا ولما كانت الأفعال السابقة المراد بها الحالة الدائمة وينسحب على الافعال الماضية كان الظرف ماضيا وكان المعنى وما كنت فى شأن وماتلوت من قرآن ولاعملتم من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ أفضتم فيه واذ تخلص المضارع لمعنى الماضى ثم واجهه تعالى بالخطاب وحده فى قوله ﴿وما يعزب عن ربك﴾ تشريفا له وتعظيما ولما ذكر الله تعالى شهادته على أعمال الخلق ناسب تقديم الأرض التى هى محل المخاطبين على السماء بخلاف مافى سورة سبأ فان كان الا كثر تقديمها على الأرض وقرئ يعزب بكسر الزاى وكذا فى سبأ والمثقال اسم لاصفة ومعناه هنا وزن ذرة والذر صغار النمل ولما كانت الذرة أصغر الحيوان المتناسل المشهور النوع عندنا جعلها الله مثلا لاقل الاشياء وأحقرها إذ هى أحقر مايشاهد ثم قال ﴿ولاأصغر من ذلك﴾ أى من مثقال ذرة ولماذكر انه لايعزب عن علمه أدق الأشياء التى نشاهدها ناسب تقديم ولاأصغر من ذلك ثم أتى بقوله ولاأكبر على سبيل احاطة علمه بجميع الاشياء ومعلوم ان من علم أدق الأشياء وأخفاها كان علمه متعلقا باكبر الاشياء وأظهرها وقرئ ولاأصغر من ذلك ولاأكبر بفتح الراء فيهما ووجهه على أنه عطف على موضع ذرة أو على مثقال على اللفظ وقرئ برفع الراء فيهما ووجه على انه عطف على موضع مثقال لان من زائدة فهو مرفوع بيعزب وقال الزمخشرى تابعا لاختيار الزجاج والوجه النصب على نفى الجنس والرفع على الابتداء يكون كلاما مبتدأ وفى العطف على محل مثقال ذرة أولفظه فتحا فى موضع الجر اشكال لان قوله لايعزب عنه شئ الا فى كتاب مشكل انتهى وانما أشكل عنده لان التقدير يصير الافى كتاب فيعزب وهذا كلام لايصح وخرجه أبو البقاء على انه استثناء منقطع تقديره لكن هو فى كتاب مبين ويزول بهذا التقدير الاشكال

وجعلوا لله مماذرأ من الحرث والانعام نصيبا ﴿وماظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لايشكرون﴾ ما استفهامية مبتدأة خبرها ظن والمعنى أى شئ ظن المفترين يوم القيامة أبهم الأمر على سبيل التهديد والايعاد يوم يكون الجزاء بالاحسان والاساءة ويوم منصوب بظن ومعمول الظن قيل تقديره ماظنهم ان الله فاعل بهم أينجيهم أم يعذبهم * وقرأ عيسى بن عمر وماظن جعله فعلا ماضيا أى أى ظن ظن الذين يفترون فما فى موضع نصب على المصدر وما الاستفهامية قد تنوب عن المصدر تقول ماتضرب زيدا تريد أى ضرب تضرب زيدا * وقال الشاعر * ماذا يغير ابنتى ربيع عويلهما * لايرقدان ولابؤسى لمن رقدا وجىء بلفظ ظن ماضيا لأنه كائن لامحالة فكأن قد كان والاولى أن يكون ظن فى معنى يظن لكونه عاملا فى يوم القيامة وهو ظرف مستقبل وفضله تعالى على الناس حيث أنعم عليهم ورحمهم فأرسل اليهم الرسل وفصل لهم الحلال والحرام وأكثرهم لايشكر هذه النعمة ﴿وماتكون فى شأن وماتتلوا منه من قرآن ولاتعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه ومايعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولافى السماء ولاأصغر من ذلك ولاأكبر الافى كتاب مبين﴾ مناسبة هذه الآية لماقبلها أنه تعالى لماذكر جملة من أحوال الكفار ومذاهبهم والرد عليهم ومحاورة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم وذكر فضله تعالى على الناس وان أكثرهم لايشكره على فضله ذكر تعالى اطلاعه على أحوالهم وحال الرسول معهم فى مجاهدته لهم وتلاوة القرآن عليهم وأنه تعالى عالم بجميع أعمالهم واستطرد من ذلك الى ذكر أولياء الله تعالى ليظهر التفاوت بين الفريقين

فريق الشيطان وفريق الرحمن والخطاب فى قوله تعالى وماتكون فى شأن وماتتلوا للرسول صلى الله عليه وسلم وهوعام بجميع شؤونه عليه السلام وماتتلوا مندرج تحت عموم شأن واندرج من حيث المعنى فى الخطاب كل ذى شأن ومافى الجملتين نافية والضمير فى منه عائد على شأن ومن قرآن تفسير للضمير وخص من العموم لان القرآن هو أعظم شؤونه عليه السلام * وقيل يعود على التنزيل وفسر بالقرآن لأن كل جزء منه قرآن وأضمر قبل الذكر على سبيل التفخيم له * وقيل يعود على الله تعالى أى وماتتلوا من عند الله من قرآن والخطاب فى قوله ولاتعملون عام وكذا الا كنا عليكم شهودا وولى الاهنا الفعل غير مصحوب بقد لانه قد تقدم الافعل والجملة بعد الاحال وشهودا رقباء تحصى عليكم واذ معمولة لقوله شهودا ولما كانت الأفعال السابقة المراد بها الحالة الدائمة وتنسحب على الأفعال الماضية كان الظرف ماضيا وكان المعنى وما كنت فى شأن وماتلوت من قرآن ولاعملتم من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ أفضتم فيه واذ تخلص المضارع لمعنى الماضى ولما كان قوله الا كنا عليكم شهودا فيه تحذير وتنبيه عدل عن خطابه صلى الله عليه وسلم الى خطاب أمته بقوله ولاتعملون من عمل وان كان الله شهيدا على أعمال الخلق كلهم وتفيضون تخوضون أو تنشرون أو تدفعون أو تنهضون أو تأخذون أو تنقلون أو تتكلمون أو تسعون أقوال متقاربة ثم واجهه تعالى بالخطاب وحده فى قوله ومايعزب عن ربك تشريفا له وتعظيما ولما ذكر شهادته تعالى على أعمال الخلق ناسب تقديم الأرض الذى هى محل المخاطبين على السماء بخلاف مافى سورة سبأ وان كان الاكثر تقديمها على الأرض * وقرأ ابن وثاب والأعمش وابن مصرف والكسائى يعزب بكسر الزاى وكذا فى سبأ والمثقال اسم لاصفة ومعناه هنا وزن ذرة والذر صغار النمل ولما كانت الذرة أصغر الحيوان المتناسل المشهور النوع عند ناجعلها الله مثالا لأقل الأشياء وأحقرها اذهى أحقر مانشاهد ثم قال ولا أصغر من ذلك أى من مثقال ذرة ولما ذكر تعالى أنه لايغيب عن علمه أدق الأشياء التى نشاهدها ناسب تقديم ولا أصغر من ذلك ثم أتى بقوله ولا أكبر على سبيل احاطة علمه بجميع الأشياء ومعلوم أن من علم أدق الأشياء وأخفاها كان علمه متعلقا بأكبر الأشياء وأظهرها * وقرأ الجمهور ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بفتح الراء فيهما ووجه على أنه عطف على ذرة أو على مثقال على اللفظ * وقرأ حمزة وحده برفع الراء فيهما ووجه على أنه عطف على موضع مثقال لأن من زائدة فهو مرفوع بيعزب هكذا وجهه الحوفى وابن عطية وأبو البقاء * وقال الزمخشرى تابعا لاختيار الزجاج والوجه النصب على نفى الجنس والرفع على الابتداء يكون كلاما مبتدأ وفى العطف على محل مثقال ذرة أولفظه فتحا فى موضع الجر اشكال لأن قولك لايعزب عنه شئ الا فى كتاب مشكل انتهى وانما أشكل عنده لأن التقدير يصير الا فى كتاب فيعزب وهذا كلام لايصح وخرجه أبو البقاء على أنه استثناء منقطع تقديره لكن هو فى كتاب مبين ويزول بهذا التقدير الاشكال * وقال أبو عبد الله الرازى أجاب بعض المحققين من وجهين أحدهما أن الاستثناء منقطع والآخر أن العزوب عبارة عن مطلق البعد والمخلوقات قسم أوجده الله ابتداء من غير واسطة كالملائكة والسموات والأرض وقسم أوجد بواسطة القسم الأول مثل الحوادث الحادثة فى عالم الكون والفساد وهذا قد يتباعد فى سلسلة العلية والمعلولية عن مرتبة وجود واجب الوجود فالمعنى لايبعد عن مرتبة وجوده مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء الا وهو فى كتاب مبين كتبه الله وأثبت صور تلك المعلومات فيها انتهى وفيه بعض تلخيص * وقال الجرجانى صاحب النظم

(الدر)

(ش) والوجه النصب على نفى الجنس والرفع على الابتداء يكون كلاما مبتدأ وفى العطف على محل مثقال ذرة أولفظه فتحا فى موضع الخبر اشكال لان قولك لايعزب عنه شئ الا فى كتاب مشكل انتهى (ح) وانما أشكل عنده لان التقدير يصير الا فى كتاب فيعزب وهذا كلام لايصح وخرجه أبو البقاء على انه استثناء منقطع تقديره لكن هو فى كتاب ويزول بهذا التقدير الاشكال

الا بمعنى الواو أى وهو فى كتاب بين والعرب تضع الا موضع واو النسق كقوله الا من ظلم الا الذين ظلموا منهم انتهى وهذا قول ضعيف لم يثبت من لسان العرب وضع الا موضع الواو وتقدم الكلام على قوله الا الذين ظلموا منهم وسيأتى على قوله الا من ظلم ان شاء الله تعالى ﴿الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾ أولياء الله هم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك فى قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون * وعن سعيد بن جبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أولياء الله فقال هم الذين يذكرون الله برؤيتهم يعنى السمت والهيئة * وعن ابن عباس الاخبات والسكينة. وقيل هم المتحابون فى الله * قال ابن عطية وهذه الآية يعطى ظاهرها أن من آمن واتقى فهو داخل فى أولياء الله وهذا هو الذى تقتضيه الشريعة فى الولى وانما نبهنا هذا التنبيه حذرا من مذهب الصوفية وبعض الملحدين فى الولى انتهى وانما قال حذرا من مذهب الصوفية لان بعضهم نقل عنه ان الولى أفضل من النبى وهذا لا يكاد يخطر فى قلب مسلم ولابن العربى الطائى كلام فى الولى وفى غيره نعوذ بالله منه * وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من عباد الله عبادا ماهم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله ومن هم قال قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لتنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ ألا ان أولياء الله الآية وتقدم تفسير لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين يحتمل أن يكون منصوبا على الصفة قاله الزمخشرى أو على البدل قاله ابن عطية أو باضمار أمدح ومرفوعا على اضمارهم أو على الابتداء والخبر لهم البشرى وأجاز الكوفيون رفعه على موضع أولياء نعتا أو بدلا وأجيز فيه الخبر بدلا من ضمير عليهم وفى قوله وكانوا يتقون اشعار بمصاحبتهم للتقوى مدة حياتهم فحالهم فى المستقبل كحالهم فى الماضى وبشراهم فى الحياة الدنيا تظاهرت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له فسرها بذلك وقد سئل * وعنه فى صحيح مسلم لم يبق من المبشرات الا الرؤيا الصالحة * وقال قتادة والضحاك هى ما يبشر به المؤمن عند موته وهو حى عند المعاينة * وقيل هى محبة الناس له والذكر الحسن * وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن * وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال تعالى تتنزل عليهم الملائكة الآية قال ابن عطية ويصح أن تكون بشرى الدنيا فى القرآن من الآيات المبشرات ويقوى ذلك قوله فى هذه الآية لا تبديل لكلمات الله وان كان ذلك كله يعارضه قول النبى صلى الله عليه وسلم هى الرؤيا الا ان قلنا ان النبى صلى الله عليه وسلم أعطى مثالا من البشرى وهى تعم جميع البشر وبشراهم فى الآخرة تلقى الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالنور والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحف بأيمانهم وما يقرؤن منها وغير ذلك من البشارات لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لأقواله ولا خلف فى مواعيده كقوله ما يبدل القول لدى والظاهر ان ذلك اشارة الى التبشير والبشرى فى معناه * قال الزمخشرى وذلك اشارة الى كونهم مبشرين فى الدارين * وقال ابن عطية اشارة الى النعيم الذى

رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أولياء الله فقال هم الذين يذكرون الله برؤيتهم يعنى السمت والهيئة وهذه الآية يدل ظاهرها على ان من آمن واتقى فهو داخل فى أولياء الله هذا هو الذى تقتضيه الشريعة فى الولى وانما نبهنا هذا التنبيه حذرا من مذهب الصوفية وبعض الملحدين فى الولى وبشراهم فى الحياة الدنيا تظاهرت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له وبشراهم فى الآخرة تلقى الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحف بايمانهم وما يقرؤن منها وغير ذلك من البشارات ﴿لا تبديل لكلمات الله﴾ أى لا تغيير لاقواله ولا خلف فى مواعيده كقوله تعالى ما يبدل القول لدى

(الدر)

(ع) وهذه الآية يعطى ظاهرها أن من آمن واتقى فهو داخل فى أولياء الله وهذا هو الذى تقتضيه الشريعة وانما نبهنا هذا التنبيه حذرا من مذهب الصوفية وبعض الملحدين فى الولى (ح) وانما قال حذرا من مذهب الصوفية لان بعضهم نقل عنه ان الولى

أي قولهم الدال على تكذيبك ومعاندتك ثم استأنف بقوله ﴿ ان العزة لله جميعا ﴾ أي لاعزة لهم ولا منعة فهم لا يقدرون لك على شئ ولا يؤذونك إن الغلبة والقهر لله تعالى وهو القادر على الانتقام منهم فلا يعازه شئ ولا يغالبه ﴿ ألا ان لله من في السموات ومن في الارض ﴾ الآية المناسبة ظاهرة في هذه الآية لما ذكر ان العزة له تعالى وهو القهر والغلبة ذكر ما يناسب القهر وهو كون المخلوقات له تعالى ومن الأصل فيها ان تكون للعقلاء وهي هنا شاملة لهم ولغيرهم على حكم التغليب وحيث جيء بما كان تغليبا للكثرة اذ أكثر المخلوقات لا يعقل الظاهر أن ما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لفهم المعنى تقديره آلهة أو شركاء أي أن الذين جعلوهم آلهة وأشركوهم مع الله في الربوبية ليسوا شركاء حقيقة اذ الشركة في الالوهية مستحيلة وان كانوا قد أطلقوا اسم الشركاء وجوزوا أن تكون ما استفهامية في موضع نصب بيتبع وشركاء منصوب بيدعون أي وأي شئ يتبع على تحقير المتبع كأنه قيل من يدعو شريكا لله لا يتبع شيأ ومعنى يخرصون أي يحزرون ويقدرون

وقعت به البشرى ﴿ ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم * ألا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ﴾ اما أن يكون قولهم أريد به بعض أفراده وهو التكذيب والتهديد وما يتشاورون به في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون من اطلاق العام وأريد به الخاص واما أن يكون مما حذفت منه الصفة المخصصة أي قولهم الدال على تكذيبك ومعاندتك ثم استأنف بقوله ان العزة لله جميعا أي لاعزة لهم ولا منعة فهم لا يقدرون لك على شئ ولا يؤذونك ان الغلبة والقهر لله وهو القادر على الانتقام منهم فلا يعازه شئ ولا يغالبه وكان قائلا قال لم لا يحزنه قولهم وهو مما يحزن فقيل ان العزة لله جميعا ليس لهم منها شئ * وقرأ أبو حيوة ان العزة بفتح الهمزة وليس معمولا لقولهم لأن ذلك لا يحزن الرسول صلى الله عليه وسلم إذ هو قول حق وخرجت هذه القراءة على التعليل أي لا يقع منك حزن لما يقولون لأجل أن العزة لله جميعا ووجهت أيضا على أن يكون ان العزة بدل من قولهم ولا يظهر هذا التوجيه * قال الزمخشري ومن جعله بدلا من قولهم ثم أنكره فالمنكر هو تخريجه لا ما أنكر من القرآن * وقال القاضي فتحها شاذ يقارب الكفر واذا كسرت كان استئنافا وهذا يدل على فضيلة علم الاعراب * وقال ابن قتيبة لا يجوز فتح ان في هذا الموضع وهو كفر وغلو وانما قال القاضي وابن قتيبة ذلك بناء منهما على أن معمولة لقولهم وقد ذكرنا توجيه ذلك على التعليل وهو توجيه صحيح هو السميع لما يقولون العليم لما يدبرون وفي هذه الآية تأمين للرسول صلى الله عليه وسلم من اضرار الكفار وان الله تعالى يديله عليهم وينصره كتب الله لأغلبن أنا ورسلي انا لننصر رسلنا * وقال الأصم كانوا يتعززون بكثرة خدمهم وأموالهم فأخبر انه قادر على أن يسلب منهم ملك الأشياء وأن ينصرك وينقل اليك أموالهم وديارهم انتهى ولا تضاد بين قوله ان العزة لله جميعا وقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين لأن عزتهم انما هي بالله فهي كلها لله ألا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون المناسبة ظاهرة في هذه الآية لما ذكر ان العزة له تعالى وهي القهر والغلبة ذكر ما يناسب القهر وهو كون المخلوقات ملكا له تعالى ومن الأصل فيها أن تكون للعقلاء وهنا هي شاملة لهم ولغيرهم على حكم التغليب وحيث جيء بما كان تغليبا للكثرة اذ أكثر المخلوقات لا تعقل * وقال الزمخشري يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له في ملكه فهم عبيد كلهم لا يصلح أحد منهم للربوبية ولا أن يكون شريكا له فيها فادونهم مما لا يعقل أحق أن لا يكون ندا وشريكا ويدل على ان من اتخذ غيره ربا من ملك أو انسي فضلا عن صنم أو غير ذلك فهو مبطل تابع لما أدى اليه التقليد وترك النظر والظاهر أن ما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لفهم المعنى تقديره آلهة أو شركاء أي أن الذين جعلوهم آلهة وأشركوهم مع الله في الربوبية ليسوا شركاء حقيقة اذ الشركة في الألوهية مستحيلة وان كانوا قد أطلقوا عليهم اسم الشركاء وجوزوا أن تكون ما استفهامية في موضع نصب بيتبع وشركاء منصوب بيدعون أي وأي شئ يتبع على تحقير المتبع كأنه قيل من يدعو شريكا لله لا يتبع شيأ * وأجاز الزمخشري أن تكون

ما موصولة عطفا على من والعائد محذوف أي والذي يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي وله شركاؤهم وأجاز غيره أن تكون ما موصولة في موضع رفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والذي يتبعه المشركون باطل * وقرأ السلمي تدعون بالتاء على الخطاب * قال ابن عطية وهي قراءة غير متجهة * وقال الزمخشري وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه تدعون بالتاء ووجهه أن يحمل وما يتبع على الاستفهام أي وأي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين يعني انهم يتبعون الله تعالى و يطيعونه فالكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة انتهى وان نافية أي ما يتبعون الا ظنهم انهم شركاء و يحرصون يقدرون ومن قرأ تدعون بالتاء كان قوله ان يتبعون التفاتا اذ هو خروج من خطاب الى غيبة ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ هذا تنبيه منه تعالى على عظيم قدرته وشمول نعمته لعباده فهو المستحق لان يفرد بالعبادة لتسكنوا فيه مما تقاسون من الحركة والتردد في طلب المعاش وغيره بالنهار وأضاف الابصار الى النهار مجازا لان الأبصار تقع فيه كما قال * ونمت وما ليل المطي بنائم * أي يبصرون فيه مطالب معايشهم * وقال قطرب يقال أظلم الليل صار ذا ظلمة وأضاء النهار وأبصر أي صار ذا ضياء و بصر انتهى وذكر علة خلق الليل وهي قوله لتسكنوا فيه وحذفها من النهار وذكر وصف النهار وحذفه من الليل وكل من المحذوف يدل على مقابله والتقدير جعل الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتحركوا فيه في مكاسبكم وما تحتاجون اليه بالحركة ومعنى تسمعون سماع معتبر ﴿قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون * قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون﴾ الضمير في قالوا عائد على من نسب الى الله الولد ممن قال الملائكة بنات الله أو عزير ابن الله أو المسيح ابن الله وسبحانه تنزيه من اتخاذ الولد وتعجب ممن يقول ذلك هو الغني علة لنفي الولد لان اتخاذ الولد انما يكون للحاجة اليه والله تعالى غير محتاج الى شيء فالولد منتف عنه وكل ما في السموات والارض ملكه فهو غني عن اتخاذ الولد وان نافية والسلطان الحجة أي ما عندكم من حجة بهذا القول * قال الحوفي و بهذا متعلق بمعنى الاستقرار يعني الذي تعلق به الظرف وتبعه الزمخشري فقال الباء حقها أن تتعلق بقوله ان عندكم على أن يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بأرضكم نور كأنه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان * وقال أبو البقاء و بهذا متعلق بسلطان أو نعت له وأتقولون استفهام انكار وتوبيخ لمن اتبع ما لا يعلم ويحتج بذلك في ابطال التقليد في أصول الدين واستدل بها نفاة القياس واخبار الآحاد ولما نفى البرهان عنهم جعلهم غير عالمين فدل على ان كل قول لا برهان عليه لقائله فذلك جهل وليس بعلم والذين يفترون على الله الكذب عام يشمل من نسب الى الله الولد ومن قال في الله وفي صفاته قولا بغير علم وهو داخل في الوعيد بانتفاء الافلاح ولما نفى عنهم الفلاح وكان لهم حظ من افلاحهم في الدنيا الحظوظ فيها من مال وجاه وغير ذلك قيل متاع قليل جواب على تقدير سؤال كان قائلا قال كيف لا يفلحون وهم في الدنيا مفلحون بأنواع مما يتلذذون به فقيل ذلك متاع في الدنيا أولهم متاع في الدنيا زائل لا بقاء له ثم يلقون

المستحق بأن يفرد بالعبادة ﴿لتسكنوا فيه﴾ أي مما تقاسون من الحركة والتردد في طلب المعاش وغيره بالنهار وأضاف الابصار الى النهار مجازا لان الابصار يقع فيه كما قال * ونمت وما ليل المطي بنائم * أي يبصرون فيه مطالب معايشهم وقال قطرب يقال أظلم الليل صار ذا ظلمة وأضاء النهار وأبصر أي صار ذا ضياء و بصر انتهى وذكر علة خلق الليل وهي لتسكنوا فيه وحذفها من النهار وذكر وصف النهار وحذفه من الليل وكل من المحذوف يدل على مقابله والتقدير جعل الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتحركوا فيه في مكاسبكم وما تحتاجون اليه بالحركة ومعنى يسمعون سماع معتبر ﴿قالوا اتخذ الله ولدا﴾ الضمير من قالوا عائد على من نسب الى الله تعالى الولد ممن قال الملائكة بنات الله وغير ذلك وسبحانه تنزيه عن اتخاذ الولد وتعجيب ممن يقول ذلك ﴿هو الغني﴾

 علة لنفي الولد لان اتخاذ الولد انما يكون للحاجة اليه والله تعالى غير محتاج الى شيء فالولد منتف عنه وكل ما في السموات والارض ملكه تعالى فهو غني عن اتخاذ الولد وان نافية والسلطان الحجة أي ما عندكم

الشقاء المؤبد في الآخرة ﴿ واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه ياقوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون * فان توليتم فما سألتكم من أجر ان أجري الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين * فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين * ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين * فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لساحر مبين * قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون * قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض وما نحن لكما بمؤمنين ﴾ *لفت عنقه لواها وصرفها* وقال الازهري لفت الشئ وفتله لواه وهذا من المقلوب انتهى ومطاوع لفت التفت * وقيل انفتل ﴿ واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه ياقوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون ﴾ لما ذكر تعالى الدلائل على وحدانيته وذكر ماجرى بين الرسول وبين الكفار ذكر قصصا من قصص الأنبياء وماجرى لهم مع قومهم من الخلاف وذلك تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وليتأسى بمن قبله من الانبياء فيخف عليه مايلقى منهم من التكذيب وقلة الاتباع وليعلم المتلو عليهم هذا القصص عاقبة من كذب الانبياء ومامنح الله نبيه من العلم بهذا القصص وهو لم يطالع كتابا ولا صحب عالما وانه طابق ما أخبر به فدل ذلك على ان الله أوحاه اليه وأعلمه به وانه نبي لاشك فيه والضمير في عليهم عائد على أهل مكة الذين تقدم ذكرهم وكبر معناه عظم مقامي أي طول مقامي فيكم أو قيامي للوعظ كما يحكى عن عيسى عليه السلام أنه كان يعظ الحواريين قائما اليروه وهم قعود وكقيام الخطيب ليسمع الناس وليروه أونسب ذلك الى مقامه والمراد نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل تريد لاجل فلان وفلان ثقيل *قال ابن عطية ولم يقرأ هنا بضم الميم انتهى وليس كما ذكر بل قرأ مقامي بضم الميم أبو مجلز وأبو رجاء وأبو الجوزاء والمقام الاقامة بالمكان والمقام مكان القيام والتذكير وعظه اياهم وزجرهم عن المعاصي وجواب الشرط محذوف تقديره فافعلوا ما شئتم *وقيل الجواب فعلى الله توكلت وفأجمعوا معطوف على الجواب وهو لا يظهر لأنه متوكل على الله دائما * وقال الاكثرون الجواب فأجمعوا وفعلى الله توكلت جملة اعتراض بين الشرط وجزائه كقوله

أما تريني قد نحلت ومن يكن * غرضا لاطراف الاسنة ينحل
فلرب أبلج مثل ثقلك بادن * ضخم على ظهر الجواد مهبل

* وقرأ الجمهور فأجمعوا من أجمع الرجل الشئ عزم عليه ونواه قال الشاعر

أجمعوا أمرهم بليل فلما * أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

﴿ وقال آخر ﴾

بمن قبله من الأنبياء عليهم السلام والضمير في عليهم عائد على أهل مكة الذين تقدم ذكرهم وكبر معناه عظم مقامي أي طول مقامي فيكم أوقيامي للوعظ قال ابن عطية ولم يقرأها بضم الميم انتهى وليس كما قال بل قرأ بضم الميم أبو مجلز وأبو رجاء وأبو الجوزاء والمقام الاقامة بالمكان والمقام مكان القيام وجواب الشرط ﴿ فعلى الله توكلت ﴾ فلا أبالي منكم وقرئ فاجمعوا من أجمع الرجل الشئ عزم عليه ونواه قال الشاعر أجمعوا أمرهم بليل فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء وقرئ فاجمعوا أمر من جمع وشركاؤكم معطوف على أمركم وهو على حذف مضاف تقديره وأمر شركائكم ومعنى اقضوا الى أنفذوا قضاءكم نحوي ومفعول اقضوا محذوف أي اقضوا الى ذلك الامر واقضوا مافي أنفسكم واقطعوا مابيني وبينكم ﴿ ولا تنظرون ﴾ أي لا تؤخرون والنظرة التأخير

(الدر)

أفضل من النبي وهذا لا يكاد يخطر في قلب مؤمن مسلم ولا بن عربي الطائي كلام في الولي وفي غيره نعوذ بالله منه (ع) مقامي وتذكيري ويقرأ هنا بضم الميم (ح) ليس كما ذكر بل قرأ مقامي بضم الميم أبو مجلز وأبو رجاء وأبو الجوزاء والمقام الاقامة بالمكان والمقام مكان القيا

يا ليت شعري والمنى لا تنفع * هل أغدون يوما وأمري مجمع

* وقال أبو فيد السدوسي أجمعت الأمر أفصح من أجمعت عليه * وقال أبو الهيثم أجمع أمره جعله مجموعا بعدما كان متفرقا * قال وتفرقته أنه يقول مرة أفعل كذا ومرة أفعل كذا فاذا عزم على أمر واحد فقد جعله أي جعله جميعا فهذا هو الأصل في الاجماع ثم صار بمعنى العزم حتى وصل بعلى * فقيل أجمعت على الأمر أي عزمت عليه والأصل أجمعت الأمر انتهى وعلى هذه القراءة يكون وشركاءكم عطفا على أمركم على حذف مضاف أي وأمر شركائكم أو على أمركم من غير مراعاة محذوف لأنه يقال أيضا أجمعت شركائي أو منصوب باضمار فعل أي وادعوا شركاءكم وذلك بناء على أنه لا يقال أجمعت شركائي يعني في الأكثر فيكون نظير قوله

فعلفتها تبنا وماء باردا * حتى شتت همالة عيناها

في أحد المذهبين أي وسقيتها ماء باردا وكذا هي في مصحف أبي وادعوا شركاءكم * وقال أبو علي وقد تنصب الشركاء بواو مع كما قالوا جاء البرد والطيالسة ولم يذكر الزمخشري في نصب وشركاءكم غير قول أبي علي أنه منصوب بواو مع وينبغي أن يكون هذا التخريج على أنه مفعول معه من الفاعل وهو الضمير في فأجمعوا لا من المفعول الذي هو أمركم وذلك على أشهر الاستعمالين لأنه يقال أجمع الشركاء ولا يقال جمع الشركاء أمرهم الا قليلا ولا أجمعت الشركاء الا قليلا وفي اشتراط صحة جواز العطف فيما يكون مفعولا معه خلاف فاذا جعلناه من الفاعل كان أولى * وقرأ الزهري والأعمش والجحدري وأبو رجاء والأعرج والأصمعي عن نافع ويعقوب بخلاف عنه فاجمعوا بوصل الألف وفتح الميم من جمع وشركاءكم عطف على أمركم لأنه يقال جمعت شركائي أو على أنه مفعول معه أو على حذف مضاف أي ذوي الامر منكم فجرى على المضاف اليه ما جرى على المضاف لو ثبت قاله أبو علي وفي كتاب اللوامح أجمعت الامر أي جعلته جميعا وجمعت الاموال جميعا فكان الاجماع في الاحداث والجمع في الاعيان وقد يستعمل كل واحد مكان الآخر وفي التنزيل فجمع كيده انتهى وقرأ أبو عبد الرحمن والحسن وابن أبي اسحاق وعيسى بن عمر وسلام ويعقوب فيما روى عنه وشركاؤكم بالرفع ووجه بأنه عطف على الضمير في فأجمعوا وقد وقع الفصل بالمفعول فحسن وعلى أنه مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه أي وشركاؤكم فليجمعوا أمرهم وقرأت فرقة وشركائكم بالخفض عطفا على الضمير في أمركم أي وأمر شركائكم فحذف كقول الآخر

أكل امرئ تحسبين أمرا * ونار توقد بالليل نارا

أي وكل نار فحذف كل لدلالة ما قبله عليه والمراد بالشركاء الانداد من دون الله أضافهم اليهم اذهم يجعلونهم شركاء بزعمهم وأسند الاجماع الى الشركاء على وجه التهكم كقوله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون أو يراد بالشركاء من كان على دينهم وطريقتهم * قال ابن الانباري المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير لا تتركوا من أمركم شيأ الا أحضرتموه انتهى وأمره اياهم باجماع أمرهم دليل على عدم مبالاته بهم ثقة بما وعده ربه من كلاءته وعصمته ثم لا يكن أمركم عليكم غمة أي حالكم معي وصحبتكم لي غما وهما أي ثم أهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة والغم والغمة كالكرب والكربة قال أبو الهيثم هو من قولهم غم علينا الهلال فهو مغموم اذا التمس فلم ير * وقال طرفة

لعمرك ما أمري علي بغمة * نهاري ولا ليلي علي بسرمد

﴿فان توليتم﴾ أي فان دام توليكم عما جئت به اليكم من توحيد الله و رفض آلهتكم فلست أبالي بكم اذ ما دعوتكم اليه وذكرتكم به ووعظتكم لم أسألكم عليه أجرا انما يثيبني عليه الله تعالى ﴿ فكذبوه ﴾ أي فتموا على تكذيبه وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان و ﴿في الفلك﴾ متعلق بالاستقرار الذي تعلق به معه أو بنجيناه ﴿وجعلناهم﴾ جمع ضمير المفعول على معنى من و ﴿خلائف﴾ يخلفون الغارقين المهلكين ثم أمر بالنظر في عاقبة المنذرين بالعذاب والى ما صار اليه حالهم وفي هذا الاخبار توعد الكفار بمحمد صلى الله عليه وسلم وضرب مثال لهم في أنهم بحال هؤلاء من التكذيب فستكون حالكم كحالهم في التعذيب ﴿ ثم بعثنا من بعده رسلا ﴾ أي من بعد نوح ﴿الى قومهم﴾ يعني هودا وصالحا ولوطا وابراهيم وشعيبا والبينات المعجزات والبراهين الواضحة المثبتة لما جاؤا به وجاء النفي مصحوبا بلام الجحود ليدل على ان ايمانهم في حيز الاستحالة والامتناع قال ابن عطية ويحتمل اللفظ عندي معنى آخر وهو أن تكون ما مصدرية والمعنى فكذبوا رسلهم فكان عقابهم من الله تعالى ان لم يكونوا ليؤمنوا بتكذيبهم من قبل أي من قبل سببه ومن جرائه ويؤيد هذا التأويل قوله كذلك نطبع انتهى الظاهر ان ما موصولة ولذلك عاد الضمير عليها في قوله بما كذبوا به ولو كانت مصدرية بقي الضمير غير عائد على مذكور فيحتاج أن يتكلف ما يعود عليه الضمير والضمير في كذبوا عائد على من عاد عليه ضمير كانوا وهم قوم الرسل والمعنى انهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية وتكذيب للحق فتساوت حالتهم قبل البعثة وبعدها كأن لم يبعث اليهم أحد ومن قبل متعلق بكذبوا أي من قبل بعثة الرسل

* وقال الليث يقال انه لفي غمة من أمره اذا لم يتبين له * وقال الزجاج أمركم ظاهرا مكشوفا وحسنه الزمخشري فقال وقد ذكر القول الاول الذي يراد بالامر فقال والثاني أن يراد به ما أريد بالامر الاول والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله تعالى أي لا تستر ولكن يجاهر بها يعني ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم بل مكشوفا مشهورا تجاهرون به انتهى ومعنى اقضوا الى أنفذوا اقضاءكم نحوي ومفعول اقضوا محذوف أي اقضوا الي ذلك الامر وامضوا ما في أنفسكم واقطعوا ما بيني و بينكم * وقرأ السري بن ينعم ثم أفضوا بالفاء وقطع الألف أي انتهوا الي بشركم من أفضى بكذا انتهى اليه * وقيل معناه أسرعوا * وقيل من أفضى اذا خرج الى الفضاء أي فاصحروا به الي وأبرزوه ومنه قول الشاعر

أبى الضيم والنعمان تحرق نابه * عليه فأفضى والسيوف معاقله

ولا تنظرون أي لا تؤخرون والنظرة التأخير ﴿ فان توليتم فما سألتكم من أجر ان أجري الا على الله وأمرت ان أكون من المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ﴾ أي فان دام توليكم عما جئت به اليكم من توحيد الله و رفض آلهتكم فلست أبالي بكم لان توليكم لا يضرني في خاصتي ولا قطع عني صلة منكم اذ ما دعوتكم اليه وذكرتكم به ووعظتكم لم أسألكم عليه أجرا انما يثيبني عليه الله تعالى أي ما نصحتكم الا لوجه الله تعالى لا لغرض من أغراض الدنيا ثم أخبر أنه أمره أن يكون من المسلمين من المنقادين لامر الله الطائعين له فكذبوه فتموا على تكذيبه وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان وفي الفلك متعلق بالاستقرار الذي تعلق به معه أو بفنجيناه وجعلناهم جمع ضمير المفعول على معنى من وخلائف يخلفون الفارقين المهلكين ثم أمر بالنظر في عاقبة المنذرين بالعذاب والى ما صار اليه حالهم وفي هذا الاخبار توعد الكفار بمحمد صلى الله عليه وسلم وضرب مثال لهم في أنهم بحال هؤلاء من التكذيب فسيكون حالهم كحالهم في التعذيب والخطاب في فانظر للسامع لهذه القصة وفي ذلك تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم الرسول وتسلية له صلى الله عليه وسلم ﴿ ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ﴾ من بعده أي من بعد نوح رسلا الى قومهم يعني هودا وصالحا ولوطا وابراهيم وشعيبا والبينات المعجزات والبراهين الواضحة المثبتة لما جاؤا به وجاء النفي مصحوبا بلام الجحود ليدل على أن ايمانهم في حيز الاستحالة والامتناع والضمير في كذبوا عائد على من عاد عليه ضمير كانوا وهم قوم الرسل والمعنى انهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية وتكذيب للحق فتساوت حالتهم قبل البعثة و بعدها كأن لم يبعث اليهم أحد ومن قبل متعلق بكذبوا أي من قبل بعثة الرسل * وقيل المعنى انهم بادروا رسلهم بالتكذيب كلما جاء رسول ثم لجوا في الكفر و تمادوا فلم يكونوا ليؤمنوا بما سبق به تكذيبهم من قبل لجهم في الكفر وتماديهم * وقال يحيى بن سلام من

قبل معناه من قبل العذاب وهذا القول فيه بعد * وقيل الضمير في كذبوا عائد على قوم نوح أي فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح يعني ان شنشنتهم واحدة في التكذيب * قال ابن عطية ويحتمل اللفظ عندي معنى آخر وهو ان تكون ما مصدرية والمعنى فكذبوا رسلهم فكان عقابهم من الله ان لم يكونوا ليؤمنوا بتكذيبهم من قبل أي من سببه ومن جرائه ويؤيده هذا التأويل كذلك نطبع انتهى والظاهر أن ما موصولة ولذلك عاد الضمير عليها في قوله بما كذبوا به ولو كانت مصدرية بقي الضمير غير عائد على مذكور فتحتاج أن يتكلف ما يعود عليه الضمير * وقرأ الجمهور نطبع بالنون والعباس بن الفضل بالياء والكاف للتشبيه أي مثل ذلك الطبع المحكم الذي يمتنع زواله نطبع على قلوب المعتدين المجاوزين طورهم والمبالغين في الكفر ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملائه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين * فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون﴾ أي من بعد أولئك الرسل بآياتنا وهي المعجزات التي ظهرت على يديه ولا يخص قوله وملائه بالاشراف بل هي عامة لقوم فرعون شريفهم ومشروفهم فاستكبروا وتعاظموا عن قبولها وأعظم الكبر أن يتعاظم العبيد عن قبول رسالة ربهم بعد تبينها واستيضاحها وباجترامهم الآثام العظيمة استكبروا واجترؤا على ردها والحق هو العصا واليد قالوا لحبهم الشهوات ان هذا لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق أبعد شيء من السحر الذي ليس الا تمويها وباطلا ولم يقولوا ان هذا لسحر مبين الا عند معاينة العصا وانقلابها واليد وخروجها بيضاء ولم يتعاطوا الا مقاومة العصا وهي معجزة موسى الذي وقع فيها عجز المعارض * وقرأ مجاهد وابن جبير والأعمش لساحر مبين جعل خبر ان اسم فاعل لا مصدرا كقراءة الجماعة ولما كابروا موسى فيما جاء به من الحق أخبروا على جهة الجزم بأن ما جاء به سحر مبين فقال لهم موسى أتقولون مستفهما على جهة الانكار والتوبيخ حيث جعلوا الحق سحرا أسحر هذا أي مثل هذا الحق لا يدعى انه سحر وأخبر انه لا يفلح من كان ساحرا لقوله تعالى ولا يفلح الساحر حيث أتى والظاهر أن معمول أتقولون محذوف تقديره ما تقدم ذكره وهو ان هذا السحر ويجوز أن يحذف معمول القول للدلالة عليه نحو قول الشاعر

لنحن الألى قلتم فأنى ملئتم * برؤيتنا قبل اهتمام بكم رعبا

ومسألة الكتاب متى رأيت أو قلت زيدا منطلقا * وقيل معمول أتقولون هو أسحر هذا الى آخره كأنهم قالوا أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر ان الله سيبطله والذين قالوا بأن الجملة وان الاستفهام هي محكية لقول اختلفوا فقال بعضهم قالوا ذلك على سبيل التعظيم للسحر الذي رأوه بزعمهم كما تقول لفرس تراه يجيد الجرى أفرس هذا على سبيل التعجيب والاستغراب وأنت قد علمت أنه فرس فهو استفهام معناه التعجيب والتعظيم * وقال بعضهم قال ذلك منهم كل جاهل بالأمر فهو يسأل أهو سحر لقول بعضهم ان هذا لسحر * وأجاز الزمخشري أن يكون معنى قوله أتقولون للحق أتعيبونه وتطعنون فيه فكان عليكم أن تذعنوا له وتعظموه قال من قولهم فلان يخاف القالة و بين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوء ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال أسحر هذا فأنكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه ﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض

﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى﴾ الآية لا يخص قوله وملائه بالأشراف بل هي عامة لقوم فرعون شريفهم ومشروفهم ﴿فاستكبروا﴾ تعاظموا عن قبولها والحق هو العصا واليد ﴿أتقولون للحق﴾ استفهام انكار ومعمول القول محذوف تقديره هذا سحر ثم أنكر عليهم أيضا باستفهام ثان وهو قوله أسحر هذا أي أسحر هذا الذي جئت به من معجز العصا واليد ثم أخبر عليه السلام بقوله ﴿ولا يفلح الساحرون قالوا أجئتنا﴾ خطاب لموسى وحده لانه هو الذي ظهرت على يديه المعجزات وهو العصا واليد ﴿لتلفتنا﴾ لتصرفنا وتلوينا ﴿عما وجدنا عليه آباءنا﴾ من عبادة غير الله واتخاذ آلهة دونه والكبرياء مصدر ولما ادعوا أن ما جاء به موسى عليه السلام هو سحر أخذوا في معارضته

(الدر)

(ع) ويحتمل اللفظ عندي معنى آخر وهو أن يكون ما مصدرية والمعنى فكذبوا رسلهم فكان عقابهم من الله ان لم يكونوا ليؤمنوا بتكذيبهم من قبل أي من سببه ومن جرائه ويؤيد هذا التأويل كذلك نطبع انتهى (ح) الظاهر ان ما موصولة ولذلك عاد الضمير عليها في قوله بما كذبوا به ولو كانت مصدرية بقي الضمير غير عائد على المذكور فيحتاج أن يتكلف ما يعود عليه الضمير

بأنواع من السحر ليظهر والسائر الناس ان ماجاء به موسى هو من باب السحر والخاطب بقوله ائتونى خدمة فرعون والمتصرفون بين يديه وقرىء بكل سحار على المبالغة وقرىء بكل ساحر على الافراد وفى قوله ألقوا ما أنتم ملقون استطالة عليهم وعدم مبالاة بهم وفى ابهام ما أنتم ملقون تخسيس له وتقليل واعلام انه لاشئ يلتفت اليه وقرىء السحر بغير اداة استفهام فمامبتدأة موصولة بمعنى الذى وصلتها جئتم به وخبر المبتدأ السحر وقرىء آلسحر (١٨٢) بالاستفهام فما استفهامية مبتدأة تقديره أى شئ

وما نحن لكما بمؤمنين * وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم * فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون * فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين * ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ﴾ أجئتنا خطاب لموسى وحده لأنه هو الذى ظهرت على يديه معجزة العصا واليد لتصرفنا وتلوينا عن ماوجدنا عليه آباءنا من عبادة غير الله واتخاذ اله دونه والكبرياء مصدر قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وأكثر المتأولين المراد به هنا الملك إذ الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصد والشرس * وقال ابن الرقيات فى مصعب بن الزبير

ملكه ملك رأفة ليس فيه * جبروت منه ولا كبرياء

يعنى ماعليه الملوك من ذلك * وقال ابن الرقاع

سؤدد غير فاحش لا يدانيه * ـه تجبارة ولا كبرياء

* وقال الاعمش الكبرياء العظمة * وقال ابن زيد العلو * وقال الضحاك أيضا الطاعة والارض هنا أرض مصر * وقرأ ابن مسعود واسماعيل والحسن فيما زعم خارجة وأبو عمرو وعاصم بخلاف عنهما وتكون بالتاء لمجاز تأنيث الكبرياء والجمهور بالياء لمراعاة اللفظ والمعنى انهم قالوا مقصودك فى مجيئك الينا بما جئت هو ان ننتقل من دين آبائنا الى ما تأمر به ونطيعك ويكون لكما العلو والملك علينا بطاعتنا لك فنصير اتباعا لك تاركين دين آبائنا وهذا مقصود لانراه فلا نصدقك فيما جئت به إذ غرضك انما هو موافقتك على ما أنت عليه واستعلاؤك علينا فالسبب الأول هو التقليد والثانى الجد فى الرئاسة حتى لا تكونوا اتباعا واقتضى هذان السببان اللذان توهموهما مقصودا التصريح بانتفاء الايمان الذى هو سبب لحصول السببين ويجوز أن يقصدوا الذم بأنهما ان ملكا أرض مصر تكبرا وتجبرا كما قال القبطى ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض ولما ادعوا أن ماجاء به موسى هو سحر أخذوا فى معارضته بأنواع من السحر ليظهر لسائر الناس ان ما أتى به موسى من باب السحر والخاطب بقوله ائتونى خدمة فرعون والمتصرفون بين يديه * وقرأ ابن مصرف وابن وثاب وعيسى وحمزة والكسائى بكل سحار على المبالغة وفى قوله ألقوا ما أنتم ملقون استطالة عليهم وعدم مبالاة بهم وفى ابهام ما أنتم ملقون تخسيس له وتقليل واعلام انه لاشئ يلتفت اليه * قال أبو عبد الله الرازى كيف أمرهم بالكفر والسحر والامر بالكفر كفر قلنا انه عليه الصلاة والسلام أمرهم بالقاء الحبال والعصى ليظهر للخلق ان ما ألقوا عمل فاسد وسعى باطل لا على طريق انه عليه السلام أمرهم بالسحر انتهى * وقرأ أبو عمرو ومجاهد وأصحابه وابن القعقاع بهمزة الاستفهام فى قوله

وجئتم به الخبر والسحر بدل من ما ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف ويكون استفهاما ثانيا تقديره هو السحر قال ابن عطية والتعريف هنا فى السحر ارتب لانه قد تقدم منكرا فى قوله ان هذا لسحر فجاء هنا بلام العهد كما يقال ان أول الرسالة سلام عليك وفى آخرها والسلام عليك انتهى أخذ هذا من الفراء قال الفراء وانما قال السحر بالالف واللام لان النكرة اذا أعيدت أعيدت بالالف واللام ولو قال له من رجل لم يقع له فى وهمه انه يسأله عن الرجل الذى ذكره له انتهى وماذكراه هنا فى السحر ليس هو من باب تقدم النكرة ثم أخبر عنها بعد ذلك لان شرط هذا أن يكون المعرف بالالف واللام هو النكرة المتقدم ولا يكون غيره كما قال تعالى كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول وتقول زارنى رجل فاكرمت الرجل ولما كان اياها جاز أن يأتى بالضمير بدله فتقول فاكرمته والسحر هنا ليس هو السحر الذى فى قولهم ان هذا لسحر أى ان الذى أخبر عنه بانه سحر هو ما ظهر على يدى موسى من معجزة العصا والسحر الذى فى قول موسى انما هو سحرهم الذى جاؤا به فقد اختلف المدلولان اذ قالوا هم عن معجزة موسى وقال موسى عما جاؤا به ولذلك لا يجوز أن يؤتى هنا بالضمير بدل السحر فيكون عائدا على قولهم لسحر وسيبطله يمحقه بحيث يذهب و يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذه

﴿ فما آمن لموسى ﴾ الآية الظاهر في الفاء من حيث ان مدلولها التعقيب أن هذا الايمان الصادر من الذرية لم يتأخر عن قصة الالقاء والظاهر أن الضمير في قومه عائد على موسى وانه لا يعود على فرعون لان موسى عليه السلام هو المحدث عنه في هذه الآية وهو أقرب مذكور ولانه لو كان عائدا على فرعون لم يظهر لفظ فرعون وكان التركيب على خوف منه ومن ملامهم أن يفتنهم وهذا الايمان من الذرية كان أول مبعثه اذ قد آمن به بنو اسرائيل قومه كلهم كان أولادعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف من فرعون ﴿ ربنا لا تجعلنا فتنة ﴾ الظاهر انهم سألوا الله أن لا يفتنوا عن دينهم وان يخلصوا من الكفار فقدموا ما كان عندهم أهم وهو سلامة دينهم لهم وأخروا سلامة أنفسهم اذ الاهتمام بمصالح الدين آكد من الاهتمام بمصالح الابدان

آلسحر ممدودة وباقي السبعة والجمهور بهمزة الوصل فعلى الاستفهام قالوا يجوز أن تكون ما استفهامية مبتدأ والسحر بدل منها وان تكون منصوبة بمضمر تفسيره جئتم به والسحر خبر مبتدأ محذوف ويجوز عندي في هذا الوجه أن تكون ما موصولة مبتدأ وجملة الاستفهام خبر إذ التقدير أهو السحر أو آلسحر هو فهو الرابط كما تقول الذي جاءك أزيد هو وعلى همزة الوصل جاز أن تكون ما موصولة مبتدأ والخبر السحر ويدل عليه قراءة عبد الله والأعمش سحر وقراءة أبي ما أتيتم به سحر ويجوز عندي أن تكون في هذا الوجه استفهامية في موضع رفع بالابتداء أو في موضع نصب على الاشتغال وهو استفهام على سبيل التحقير والتعليل لما جاؤا به والسحر خبر مبتدأ محذوف أي هو السحر * قال ابن عطية والتعريف هنا في السحر أرتب لانه قد تقدم منكرا في قولهم ان هذا لسحر فجاء هنا بلام العهد كما يقال أول الرسالة سلام عليك وفي آخرها والسلام عليك انتهى وهذا أخذه من الفراء * قال الفراء وانما قال السحر بالألف واللام لان النكرة اذا أعيدت أعيدت بالألف واللام ولو قال له من رجل لم يقع في وهمه انه يسأله عن الرجل الذي ذكره له انتهى وما ذكراه هنا في السحر ليس هو من باب تقدم النكرة ثم أخبر عنها بعد ذلك لان شرط هذا أن يكون المعرف بالألف واللام هو النكرة المتقدم ولا يكون غيره كما قال تعالى كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول وتقول زارني رجل فأكرمت الرجل ولما كان اياه جاز أن يأتي بالضمير بدله فتقول فأكرمته والسحر هنا ليس هو السحر الذي هو في قولهم ان هذا لسحر لان الذي أخبروا عنه بأنه سحر هو ما ظهر على يدي موسى عليه السلام من معجزة العصا والسحر الذي في قول موسى انما هو سحرهم الذي جاؤا به فقد اختلف المدلولان وقالوا هم عن معجزة موسى وقال موسى عما جاؤا به ولذلك لا يجوز أن يأتي هنا بالضمير بدل السحر فيكون عائدا على قولهم لسحر والظاهر ان الجمل بعده من كلام موسى عليه السلام وسيبطله بمحقه بحيث يذهب أو يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة * وقيل هذه الجمل من كلام الله تعالى ومعنى بكلماته بقضاياه السابقة في وعده * وقال ابن سلام بكلماته بقوله لا تخف انك أنت الأعلى * وقيل بكلماته بحججه وبراهينه وقرئ بكلمته على التوحيد أي بأمره ومشيئته ﴿ فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملاهم أن يفتنهم وان فرعون لعال في الأرض وانه لمن المسرفين * وقال موسى ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين * فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين * ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴾ الظاهر في الفاء من حيث ان مدلولها التعقيب ان هذا الايمان الصادر من الذرية لم يتأخر عن قصة الالقاء والظاهر أن الضمير

(الدر)

(ع) والتعريف هنا في السحر أرتب لانه قد تقدم منكرا في قولهم ان هذا لسحر فجاء هنا بلام العهد كما يقال أول الرسالة سلام عليك وفي آخرها والسلام عليك انتهى (ح) أخذ هذا من الفراء قال الفراء وانما قال السحر بالالف واللام لان النكرة اذا أعيدت أعيدت بالالف واللام ولو قال له من رجل لم يقع في وهمه انه يسئله عن الرجل الذي ذكره له انتهى (ح) وما ذكراه هنا في السحر ليس هو من باب تقدم النكرة ثم أخبر عنها بعد ذلك لان شرط هذا أن يكون المعرف بالألف واللام هو النكرة المتقدم ولا يكون غيره كما قال تعالى كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول وتقول زارني رجل فأكرمت الرجل ولما كان اياه جاز أن يأتي بالضمير بدله فتقول فأكرمته والسحر هنا ليس هو السحر الذي في قولهم ان هذا لسحر لان الذي أخبروا عنه بأنه سحر هو ما ظهر على يدي موسى من معجزة العصا والسحر الذي في قوله موسى انما هو سحرهم الذي جاءوا به فقد اختلف المدلولان اذ قالوا هم عن معجزة موسى وقال موسى عن ما جاؤا به ولذلك لا يجوز أن يؤتى هنا بالضمير بدل السحر فيكون عائدا على قولهم لسحر

فى قومه عائد على موسى وانه لايعود على فرعون لان موسى هو المحدث عنه فى هذه الآية وهو أقرب مذكور ولانه لو كان عائدا على فرعون لم يظهر لفظ فرعون وكان التركيب على خوف منه ومن ملائهم أن يفتنهم وهذا الايمان من الذرية كان أول مبعثه اذ قد آمن به بنو اسرائيل قومه كلهم كان أولادعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف * وقال مجاهد والأعمش معنى الآية ان قوما أدركهم موسى ولم يؤمنوا وانما آمن ذراريهم بعد هلاكهم لطول الزمن * قال ابن عطية وهذا قول غير صحيح اذا آمن قوم بعد موت آبائهم فلا معنى لتخصيصهم باسم الذرية وأيضا فاروى من أخبار بنى اسرائيل لايعطى هذا وينفيه قوله فما آمن لانه يعطى تقليل المؤمنين به لانه نفى الايمان ثم أوجبه لبعضهم ولو كان الأكثر مؤمنا لاوجب الايمان أولا ثم نفاه عن الأقل وعلى هذا الوجه يتخرج قول ابن عباس فى الذرية انه القليل لا انه أراد ان لفظ الذرية بمعنى القليل كما ظن مكى وغيره * وقالت فرقة انما سماهم ذرية لان أمهاتهم كانت من بنى اسرائيل وآباؤهم من القبط رواه عكرمة عن ابن عباس فكان يقال لهم الذرية كما قيل لفرس اليمن الابناء وهم الفرس المنتقلون مع وهو زبسعاية سيف بن ذى يزن وممن ذهب الى ان الضمير فى قومه على موسى ابن عباس قال وكانوا ستمائة ألف وذلك ان يعقوب عليه السلام دخل مصر فى اثنين وسبعين نفسا فتوالدوا بمصر حتى صاروا ستمائة ألف * وقيل الضمير فى قومه يعود على فرعون روى انه آمنت زوجة فرعون وخازنه وامرأة خازنه وشباب من قومه * قال ابن عباس أيضا والسحرة أيضا فانهم معدودون فى قوم فرعون * وقال السدى كانوا سبعين أهل بيت من قوم فرعون * قال ابن عطية ومما يضعف عود الضمير على موسى عليه السلام ان المعروف من أخبار بنى اسرائيل انهم كانوا قوما قد فشت فيهم السوآت وكانوا فى مدة فرعون قد نالهم ذل مفرط وقد رجوا كشفه على يد مولود يخرج فيهم يكون نبيا فلما جاءهم موسى عليه السلام أصفقوا عليه وبايعوه ولم يحفظ قط ان طائفة من بنى اسرائيل كفرت به فكيف تعطى هذه الآية ان الأقل منهم كان الذى آمن فالذى يترجح بحسب هذا ان الضمير عائد على فرعون ويؤيد ذلك أيضا ما تقدم من محاورة موسى ورده عليهم وتوبيخهم على قولهم هذا سحر فذكر الله ذلك عنهم ثم قال فما آمن لموسى الاذرية من قوم فرعون الذى هذه أقوالهم وتكون القصة على هذا التأويل بعد ظهور الآية والتعجيز بالعصا وتكون الفاء مرتبة للمعانى التى عطفت انتهى ويمكن أن يكون معنى فما آمن أى ما أظهر ايمانه وأعلن به الاذرية من قوم موسى فلا يدل ذلك على ان طائفة من بنى اسرائيل كفرت به والظاهر عود الضمير فى قوله وملاهم على الذرية وقاله الأخفش واختاره الطبرى أى أخوف بنى اسرائيل الذرية وهم أشراف بنى اسرائيل ان كان الضمير فى قومه عائدا على موسى لانهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفا من فرعون على أنفسهم ويدل عليه قوله تعالى أن يفتنهم أى يعذبهم * وقال ابن عباس ان يقتلهم * وقيل يعود على قومه أى وملا قوم موسى أو قوم فرعون * وقيل يعود على المضاف المحذوف تقديره على خوف من آل فرعون قاله الفراء كما حذف فى واسأل القرية ورد عليه بان الخوف يمكن من فرعون ولا يمكن سؤال القرية فلا يحذف الا ما دل عليه الدليل وقد يقال ويدل على هذا المحذوف جمع الضمير فى وملاهم * وقيل ثم معطوف محذوف يدل عليه كون الملك لا يكون وحده بل له حاشية وأجناد وكانه قيل على خوف من فرعون وقومه وملاهم أى ملا فرعون وقومه وقاله الفراء أيضا * وقيل لما كان ملكا جبارا أخبر عنه بفعل الجميع * وقيل سميت

(ع) ومما يضعف عود الضمير على موسى عليه السلام ان المعروف من أخبار بنى اسرائيل انهم كانوا قوما قد فشت فيهم السوآت وكانوا فى مدة فرعون قد نالهم ذل مفرط وقد رجوا كشفه على يد مولود يخرج فيهم يكون نبيا فلما جاءهم موسى عليه السلام أصفقوا أى اتفقوا عليه وبايعوه ولم يحفظ قط ان طائفة من بنى اسرائيل كفرت به فكيف تعطى هذه الآية ان الاقل منهم كان الذى آمن فالذى يترجح بحسب هذا أن الضمير عائد على فرعون ويؤيد ذلك أيضا ما تقدم من محاورة موسى ورده عليهم وتوبيخهم على قولهم هذا سحر فذكر الله ذلك عنهم ثم قال فما آمن لموسى الاذرية من قوم فرعون الذين هذه أقوالهم وتكون القصة على هذا التأويل بعد ظهور الآية والتعجيز بالعصا وتكون الفاء مرتبة المعانى التى عطفت انتهى (ح) يمكن أن يكون معنى فما آمن أى ما أظهر ايمانه وأعلن به الاذرية من قوم موسى فلا يدل ذلك على ان طائفة من بنى اسرائيل كفرت

الجماعة بفرعون مثل هود وأن يفتنهم بدل من فرعون بدل اشتمال أي فتنته فيكون في موضع جر ويجوز أن يكون في موضع نصب بخوف اما على التعليل واما على انه في موضع المفعول به أي على خوف لأجل فتنته أو على خوف فتنته * وقرأ الحسن وجراح ونبيح يفتنهم بضم الياء من أفتن ولعال متجبر أو باغ ظالم أو متعال أو قاهر كما قال

فاعمد لما تعلو فمالك بالذى * لا تستطيع من الأمور يدان

أي لما تقهر أقوال متقاربة واسرافه كونه كثير القتل والتعذيب * وقيل كونه من أخس العبيد فادعى الالهية وهذا الاخبار مبين سبب خوف أولئك المؤمنين منه وفي الآية مسلاة للرسول صلى الله عليه وسلم بقلة من آمن لموسى ومن استجاب له مع ظهور ذلك المعجز الباهر ولم يؤمن له الا ذرية من قومه وخطاب موسى عليه السلام لمن آمن بقوله ياقوم دليل على ان المؤمنين الذرية كانوا من قومه وخاطبهم بذلك حين اشتد خوفهم مما توعدهم به فرعون من قتل الآباء وذبح الذرية * وقيل قال لهم ذلك حين قالوا انا لمدركون * وقيل حين قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قيل والاول هو الصواب لان جواب كل من القولين مذكور بعده وهو كلا ان معي ربي سيهدين وقوله عسى ربكم أن يهلك عدوكم الآية وعلق توكلهم على شرطين متقدم ومتأخر ومتى كان الشرطان لا يترتبان في الوجود فالشرط الثاني شرط في الاول فمن حيث هو شرط فيه يجب أن يكون متقدما عليه فالاسلام هو الانقياد للتكاليف الصادرة من الله واظهار الخضوع وترك التمرد والايمان عرفان القلب بالله تعالى ووحدانيته وسائر صفاته وان ماسواه محدث تحت قهره وتدبيره واذا حصل هذان الشرطان فوض العبد جميع أموره الى الله تعالى واعتمد عليه في كل الاحوال وأدخل أن على فعلى الشرط وان كانت في الاغلب انما تدخل على غير المحقق مع علمه بايمانهم على وجه اقامة الحجة وتنبيه الانفس واثارة الأنفة كما تقول ان كنت رجلا فقاتل تخاطب بذلك رجلا تريد اقامة البينة وطول ابن عطية هنا في مسألة التوكل بما يوقف عليه في كتابه وأجابوا موسى عليه السلام بما أمرهم به من التوكل على الله لانهم كانوا مخلصين في ايمانهم واسلامهم ثم سألوا الله تعالى شيئين أحدهما أن لا يجعلهم فتنة للقوم الظالمين * قال الزمخشري أي موضع فتنة لهم أي عذاب تعذبوننا أو تفتنوننا عن ديننا أو فتنة لهم يفتنون بها ويقولون لو كان هؤلاء على الحق ما أصيبوا * وقال مجاهد وأبو مجاز وأبو الضحى وغيرهم معنى القول الآخر قال المعنى لا ينزل بنا ملأ نا بايديهم أو بغير ذلك مدة محاربتنا لهم فيفتنون ويعتقدون أن هلاكنا انما هو بقصد منك لسوء ديننا وصلاح دينهم وأنهم أهل الحق * وقالت فرقة المعنى لا تفتنهم وتبتليهم بقتلنا واذايتنا فتعذبهم على ذلك في الآخرة * قال ابن عطية وفي هذا التأويل قلق * وقال ابن الكلبي لا تجعلنا فتنة بتقتير الرزق علينا وبسطه لهم والآخر نجهم من الكافرين أي من تسخيرهم واستعبادهم والذي يظهر أنهم سألوا الله تعالى أن لا يفتنوا عن دينهم وأن يخلصوا من الكفار فقدموا ما كان عندهم أهم وهو سلامة دينهم لهم وأخروا سلامة أنفسهم اذ الاهتمام بمصالح الدين آكد من الاهتمام بمصالح الابدان ﴿ وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين ﴾ لم يصرح باسم أخيه لانه قد تقدم أولا في قوله ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون وتبوآ اتخذا مباءة أي مرجعا للعبادة والصلاة كما تقول توطن اتخذ موطنا والظاهر اتخاذ البيوت بمصر * قال الضحاك وهي مصر المحروسة ومصر من البحر الى أسوان والاسكندرية من أرض مصر * وقال مجاهد هي

﴿ وأوحينا الى موسى ﴾ الآية أن يجوز أن تكون تفسيرية بمعنى أي وان تكون مصدرية ﴿ وتبوآ ﴾ فعل أمر أي اتخذا مباءة وهو المكان الذي يرجع الانسان اليه والظاهر اتخاذ البيوت بمصر وهي مصر المعروفة وهي من البحر الى أسوان والاسكندرية من أرض مصر ﴿ واجعلوا بيوتكم قبلة ﴾ أي قبل القبلة ثم سبق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها ثم خص موسى عليه السلام بالتبشير الذي هو الغرض تعظيما له وللمبشر به

الاسكندرية وكان فرعون قد استولى على بنى اسرائيل خرب مساجدهم ومواضع عباداتهم ومنعهم من الصلوات وكلفهم الاعمال الشاقة وكانوا فى أول أمرهم مأمورين بأن يصلوا فى بيوتهم فى خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيردوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك فى أول الاسلام * وقرأ حفص فى رواية هبيرة تبويا بالياء وهذا تسهيل غير قياسى ولو جرى على القياس لكان بين الهمزة والألف والظاهر أن المأمور بأن يجعل قبلة هى المأمور بتبوئها ومعنى قبلة مساجد أمروا بأن يتخذوا بيوتهم مساجد قاله النخعى وابن زيد * وروى عن ابن عباس وعن ابن عباس أيضا اجعلوا بيوتكم قبل القبلة وعنه أيضا قبل مكة * وقال مجاهد وقتادة ومقاتل والفراء أمروا بأن يجعلوها مستقبلة الكعبة * وعن ابن عباس أيضا وابن جبير قبلة يقابل بعضها بعضا وأقيموا الصلاة وهذا قبل نزول التوراة لانها لم تنزل الا بعد اجازة البحر وبشر المؤمنين يعنى بالنصر فى الدنيا وبالجنة فى الآخرة وهو أمر لموسى عليه السلام أن يتبوآ لقومهما ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم نسق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه السلام بالتبشير الذى هو الغرض تعظيما له وللمبشر به ﴿وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾ لما بالغ موسى عليه السلام فى اظهار المعجزات وهم مصرون على العناد واشتد أذاهم عليه وعلى من آمن معه وهم لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعلم بالتجربة وطول الصحبة أنه لا يجىء منهم الا الغى والضلال أو علم ذلك بوحى من الله تعالى دعا الله تعالى عليهم بما علم أنه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس وأخزى الكفرة كما دعا نوح على قومه حين أوحى اليه أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وقدم بين يدى الدعاء ما آتاهم الله من النعمة فى الدنيا وكان ذلك سببا للايمان به ولشكر نعمه فجعلوا ذلك سببا لجحوده ولكفر نعمه والزينة عبارة عما يتزين به ويحسن من الملبوس والمركوب والأثاث والمال ما يزيد على ذلك من الصامت والناطق * قال المؤرخون والمفسرون كان لهم فسطاط مصر الى أرض الحبشة جبال فيها معادن الذهب والفضة والزبرجد والياقوت وفى تكرار ربنا توكيد للدعاء والاستغاثة واللام فى ليضلوا الظاهر أنها لام كى على معنى آتيتهم ما آتيتهم على سبيل الاستدراج فكان الاتيان لكى يضلوا ويحتمل أن تكون لام الصيرورة والعاقبة كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وكما قال الشاعر

وللمنايا تربى كل مرضعة * وللخراب يجد الناس عمرانا

* وقال الحسن هو دعاء عليهم وبهذا بدأ الزمخشرى قال كأنه قال ليثبتوا على ماهم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا ويبعد أن يكون دعاء قراءة من قرأ ليضلوا بضم الياء اذ يبعد أن يدعو بأن يكونوا مضلين غيرهم وهى قراءة الكوفيين وقتادة والأعمش وعيسى والحسن والاعرج بخلاف عنهما * وقرأ الحرميان والعربيان ومجاهد وأبو رجاء والاعرج وشيبة وأبو جعفر وأهل مكة بفتحها * وقرأ الشعبى بكسرها والى بين الكسرات

المركوب والاثاث والمال ما يزيد على ذلك من الصامت والناطق وفى تكرار ربنا توكيد للدعاء والاستغاثة واللام فى ليضلوا الظاهر أنها لام كى على معنى آتيتهم ما آتيتهم على سبيل الاستدراج فكان الاتيان لكى يضلوا ويحتمل أن تكون لام الصيرورة والعاقبة كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وكما قال الشاعر * وللمنايا تربى كل مرضعة وللخراب يجد الناس عمرانا * ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ قال ابن عباس صارت دراهمهم حجارة منقوشة صحاحا وأثلاثا وأنصافا ولم يبق لهم معدن الا طمس الله عليه فلم ينتفع به أحد بعد ﴿واشدد على قلوبهم﴾ قال ابن عباس اطبع عليها وامنعها من الايمان ﴿فلا يؤمنوا﴾ منصوب على انه جواب اشدد والامر وجوابه ينعقد منهما شرط وجزاء وتقدير ذلك هنا ان تشدد لا يؤمنوا ﴿قال قد أجيبت دعوتكما﴾ الآية قال محمد ابن كعب كان موسى عليه السلام يدعو وهارون يؤمن فنسبت الدعوة اليهما ويمكن أن يكونا دعوا معا ثم أمرا بالاستقامة والمعنى الديمومة عليها وعلى ما أمر تما به من الدعوة الى الله والزام حجته والذين لا يعلمون فرعون وقومه قاله ابن عباس

الثلاث * وقيل لامحذوفة التقدير لئلا يضلوا عن سبيلك قاله أبو علي الجبائي * وقرأ أبو الفضل الرقاشي أإنك آتيت على الاستفهام ولما تقدم ذكر الاموال وهي أعز ما ادخر دعا بالطموس عليها وهي التعفية والتغيير أو الاهلاك * قال ابن عباس ومحمد بن كعب صارت دراهمهم حجارة منقوشة صحاحا وأثلاثا وأنصافا ولم يبق لهم معدن الا طمس الله عليه فلم ينتفع بها أحد بعد * وقال قتادة بلغنا أن أموالهم وزروعهم صارت حجارة * وقال مجاهد وعطية أهلكها حتى لاترى * وقال ابن زيد صارت دنانيرهم ودراهمهم وفرشهم وكل شئ لهم حجارة * قال محمد بن كعب سألني عمر بن عبد العزيز فذكرت ذلك له فدعا بخريطة أصيبت بمصر فأخرج منها الفواكه والدراهم والدنانير وأنها الحجارة * وقال قتادة والضحاك وأبو صالح والقرطبي جعل سكرهم حجارة * وقال السدي مسخ الله الثمار والنخل والاطعمة حجارة * وقال شيخنا أبو عبد الله محمد بن سليمان المقدسي عرف بابن النقيب وهو جامع كتاب التحرير والتحبير في هذا الكتاب أخبرني جماعة من الصالحين كان شغلهم السياحة أنهم عاينوا بجبال مصر وبراريها حجارة على هيئة الدنانير والدراهم وفيها آثار النقش وعلى هيئة الفلوس وعلى هيئة البطيخ العبدلاوي وهيئة البطيخ الأخضر وعلى هيئة الخيار وعلى هيئة القثاء وحجارة مطولة رقيقة معوجة على هيئة النقوش وربما رأوا على صورة الشجر * واشدد على قلوبهم وقال ابن عباس ومقاتل والفراء والزجاج اطبع عليها وامنعها من الايمان * وقال ابن عباس أيضا والضحاك أهلكهم كفارا * وقال مجاهد اشدد عليها بالضلالة * وقال ابن قتيبة قس قلوبهم * وقال ابن بحر اشدد عليها بالموت * وقال الكرماني أي لاتجدوا سلوا عن أموالهم ولا صبرا على دهابها * وقرأ الشعبي وفرقة اطمس بضم الميم وهي لغة مشهورة فلا يؤمنوا مجزوم على أنه دعاء عند الكسائي والفراء كما قال الأعشى

فلا تنبسط من بين عينيك ما انزوى * ولا تلفتن الا وأنفك راغم

ومنصوب على أنه جواب اشدد بدأ به الزمخشري ومعطوف على ليضلوا على أنه منصوب قاله الاخفش وغيره ومابينهما اعتراض أو على أنه مجزوم على قول من قال ان لام ليضلوا لام الدعاء وكان رؤية العذاب غاية ونهاية لان الايمان اذ ذاك لاينفع ولا تخرج من الكفر وكان العذاب الاليم غرقهم * وقال ابن عباس قال محمد بن كعب كان موسى يدعو وهارون يؤمن فنسبت الدعوة اليهما ويمكن أن يكونا دعوا ويبعد قول من قال كنى عن الواحد بلفظ التثنية لان الآية تضمنت بعد مخاطبتهما في غير شئ * وروى عن ابن جريج ومحمد بن علي والضحاك أن الدعوة لم تظهر اجابتها الابعد أربعين سنة وأعلما أن دعاءهما صادف مقدورا وهذا معنى اجابة الدعاء وقيل لهما لاتتبعان سبيل الذين لايعلمون أي في أن تستعجلا قضائي فان وعدي لاخلف له * وقرأ السلمي والضحاك دعواتكما على الجمع * وقرأ ابن السميقع قد أجبت دعوتكما خبرا عن الله تعالى ونصب دعوة والربيع دعوتيكما وهذا يؤكد قول من قال ان هارون دعا مع موسى وقراءة دعوتيكما تدل على أنه قرأ قد أجبت على أنه فعل وفاعل وتم أمرا بالاستقامة والمعنى الديمومة عليها وعلى ما أمرتما به من الدعوة الى الله تعالى والزام حجة الله * وقرأ الجمهور تتبعان بتشديد التاء والنون وابن عباس وابن ذكوان بتخفيف التاء وشد النون وابن ذكوان أيضا بتشديد التاء وتخفيف النون وفرقة بتخفيف التاء وسكون النون وروى ذلك الاخفش الدمشقي عن أصحابه عن ابن عامر فأما شد النون فعلى أنها نون التوكيد الشديدة لحقت فعل النهي المتصل به ضمير الاثنين وأما تخفيفها

﴿ وجاوزنا ببني اسرائيل البحر ﴾ تقدم الكلام على الباء من قوله ببني اسرائيل وكم كان الذين جاوز وامع موسى عليه السلام في الاعراف ﴿ فاتبعهم فرعون ﴾ واتباع فرعون هو في مجاوزة البحر روى أن فرعون لما انتهى الى البحر و وجده قد انفرق ومضى فيه بنو اسرائيل قال لقومه انما انفرق بأمري وكان فرعون على فرس ذكر فبعث الله اليه جبريل على فرس أنثى فدنوا فدخل بها البحر و ولج فرس فرعون وراءه وجنب الجيوش خلفه فلما رأى ان الانفراق قد ثبت واستمر له وبعث الله ميكائيل عليه السلام يسوق الناس حتى حصل جميعهم في البحر فانطبق عليهم ولما لحقه من الدهش ما لحقه كرر المعنى بثلاث عبارات اما على سبيل التلعثم اذ ذاك مقام تحار فيه القلوب أو حرصا على القبول ولم يقبل الله تعالى منه اذ فاته وقت القبول وهو حالة الاختيار و بقاء التكليف والتوبة بعد المعاينة لا تنفع ألا ترى الى قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وتقدم الخلاف في قراءة آلآن في قوله تعالى آلآن وقد كنتم به تستعجلون في هذه السورة والمعنى أتؤمن الساعة في حال الاضطرار حين أدركك الغرق وأيست من نفسك قيل قال ذلك حين ألجمه الغرق ﴿ فاليوم ننجيك ببدنك ﴾ أي نلقيك نجوة من الارض وهي المكان المرتفع و ببدنك بدرعك وكان من لؤلؤ منظوم لا مثال له قاله ابن عباس والبدن بدن الانسان والبدن الدرع القصيرة قال ترى الابدان فيها مسبغات * على الأبطال والكاب الحصينا يعني الدروع وقيل نلقيك بعد ذلك عريانا لم يبس عليك ثياب ولا سلاح وذلك أبلغ في اهانته

مكسورة فقيل هي نون التوكيد الخفيفة وكسرت كما كسرت الشديدة وقد حكى النحويون كسر النون الخفيفة في مثل هذا عن العرب ومذهب سيبويه والكسائي أنها لا تدخل هنا الخفيفة ويونس والفراء يريان ذلك * وقيل النون المكسورة الخفيفة هي علامة الرفع والفعل منفي والمراد منه النهي أو هو خبر في موضع الحال أي غير متبعين قاله الفارسي والذين لا يعلمون فرعون وقومه قاله ابن عباس أو الذين يستعجلون القضاء قبل مجيئه ذكره أبو سليمان ﴿ وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ﴾ قرأ الحسن وجوزنا بتشديد الواو وتقدم الكلام في الباء في ببني اسرائيل وكم كان الذين جازوا مع موسى عليه السلام في سورة الاعراف * وقرأ الحسن وقتادة فاتبعهم بتشديد التاء * وقرأ الجمهور وجاوزنا فاتبعهم رباعيا * قال الزمخشري وليس من جوز الذي في بيت الاعشى
* واذا تجوزها حبال قبيلة * لانه لو كان منه لكان حقه ان يقال وجوزنا بني اسرائيل في البحر كما قال * كما جور السبكي في الباب فينق * انتهى * وقال الحوفي تبع واتبع بمعنى واحد * وقال الزمخشري فاتبعهم لحقهم يقال تبعه حتى اتبعه وفي اللوامح تبعه اذا مشى خلفه واتبعه كذلك الا أنه حاذاه في المشي واتبعه لحقه ومنه العامة يعني ومنه قراءة العامة فاتبعهم وجنود فرعون قيل ألف ألف وستمائة ألف * وقيل غير ذلك * وقرأ الحسن وعدوا على وزن علو وتقدمت في الانعام وعدوا وعدوا من العدوان واتباع فرعون هو في مجاوزة البحر * روى أن فرعون لما انتهى الى البحر فوجده قد انفرق ومضى فيه بنو اسرائيل قال لقومه انما انفلق بامري وكان على فرس ذكر فبعث الله اليه جبريل عليه السلام على فرس أنثى ودنوا فدخل بها البحر و ولج فرس فرعون ورآه وجنب الجيوش خلفه فلما رأى أن الانفراق ثبت له استمر و بعث الله ميكائيل عليه السلام يسوق الناس حتى حصل جميعهم في البحر فانطبق عليهم * وقرأ الجمهور أنه بفتح الهمزة على حذف الباء * وقرأ الكسائي وحمزة بكسرها على الاستئناف ابتداء كلام أو بدلا من آمنت أو على اضمار القول أي قائلا انه ولما لحقه من الدهش ما لحقه كرر المعنى بثلاث عبارات إما على سبيل التلعثم اذ ذلك مقام تحار فيه القلوب أو حرصا على القبول ولم يقبل الله منه اذ فاته وقت القبول وهو حالة الاختيار وبقاء التكليف والتوبة بعد المعاينة تنفع ألا ترى الى قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وتقدم الخلاف في قراءة آلآن في قوله آلآن وقد كنتم والمعنى أتؤمن الساعة في حال الاضطرار حين أدركك الغرق وأيست من نفسك * قيل قال ذلك حين ألجمه الغرق * وقيل بعد ان غرق في نفسه * قال الزمخشري والذي يحكى أنه حين قال آمنت أخذ جبريل من حال البحر فدسه في فيه فللغضب في الله تعالى على حال الكافر في وقت قد علم

ان ايمانه لاينفعه وأما مايضم اليه من قولهم خشيت أن تدركه رحمة الله تعالى فمن زيادات الباهتين لله تعالى وملائكته وفيه جهالتان احداهما ان الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لايمنعه والآخر ان من كره الايمان للكافر وأحب بقاءه على الكفر فهو كافر لان الرضا بالكفر كفر والظاهر ان قوله آلآن الى آخره من كلام الله له على لسان ملك * فقيل هو جبريل * وقيل ميكائيل * وقيل غيرهما لخطابه فاليوم ننجيك * وقيل من قول فرعون في نفسه وافساده واضلاله الناس ودعواه الربوبية ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فاليوم ننجيك الظاهر انه خبر * وقيل هو استفهام فيه تهديد أي أفاليوم ننجيك فهلا كان الايمان قبل الاشراف على الهلاك وهذا بعيد لحذف همزة الاستفهام ولقوله لتكون لمن خلفك آية لان التعليل لايناسب هنا الاستفهام * قال ابن عباس ننجيك نلقيك بنجوة من الارض وهي المكان المرتفع وببدنك بدرعك وكان من لؤلؤ منظوم لامثال له * وقيل من ذهب * وقيل من حديد وفيها سلاسل من ذهب والبدن بدن الانسان والبدن الدرع القصيرة قال

ترى الأبدان فيها مسبغات * على الأبطال والكلب الحصينا

يعني الدروع * وقال عمرو بن معدي كرب

أعاذل شكتي بدني وسيفي * وكل مقلص سلس القياد

وكانت له درع من ذهب يعرف بها * وقيل نلقيك ببدنك عريانا ليس عليك ثياب ولا سلاح وذلك أبلغ في اهانته * وقيل نخرجك صحيحا سالما أي كلك شيء من الدواب * وقيل بدنا بلا روح قاله مجاهد * وقيل نخرجك من ملكك وحيدا فريدا * وقيل نلقيك في البحر من النجاء وهو ماسلخته عن الشاة أو ألقيته عن نفسك من ثياب أو سلاح * وقيل نتركك حتى تغرق والنجاء الترك * وقيل نجعلك علامة والنجاء العلامة * وقيل نغرقك من قولهم نجى البحر أقواما اذا أغرقهم * وقال الكرماني يحتمل أن يكون من النجاة وهو الاسراع أي نسرع بهلاكك * وقيل معنى ببدنك بصورتك التي تعرف بها وكان قصيرا أشقر أزرق قريب اللحية من القامة ولم يكن في بني اسرائيل شبيه له يعرفونه بصورته وببدنك اذا عني به الجثة تأكيد كما تقول قال فلان بلسانه وجاء بنفسه * وقرأ يعقوب ننجيك مخففا مضارع أنجى * وقرأ أبي وابن السميقع ويزيد البربري ننحيك بالحاء المهملة من التنحية ورويت عن ابن مسعود أي نلقيك بناحية مما يلي البحر * قال كعب رماه البحر الى الساحل كأنه ثور * وقرأ أبو حنيفة بأبدانك أي بدروعك أو جعل كل جزء من البدن بدنا كقولهم شابت مفارقه * وقرأ ابن مسعود وابن السميقع بندائك مكان ببدنك أي بدعائك أي بقولك آمنت الى آخره لنجعلك آية مع ندائك الذي لاينفع أو بما ناديت به في قومك ونادى فرعون في قومه فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى ويا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري ولما كذبت بنو اسرائيل بغرق فرعون رمى به البحر على ساحله حتى رأوه قصيرا أحمر كأنه ثور لمن خلفك لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل وكان في أنفسهم ان فرعون أعظم شأنا من أن يغرق وكان مطرحه على ممر بني اسرائيل حتى قيل لمن خلفك آية * وقيل لمن يأتي بعدك من القرون * وقيل لمن بقي من قبط مصر وغيرهم * وقرئ لمن خلفك بفتح اللام أي من الجبابرة والفراعنة ليتعظوا بذلك ويحذروا أن يصيبهم ما أصابك اذا فعلوا فعلك ومعنى كونه آية أن يظهر للناس عبوديته ومهانته أو ليكون عبرة يعتبر بها الأمم * وقرأت فرقة لمن خلقك من الخلق وهو الله تعالى أي ليجعلك الله آية له

فى عباده * وقيل المعنى ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس أمرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة ان مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله التى لا يقدر عليها غيره وان كثيرا من الناس ظاهره الناس كافة قاله الحسن * وقال مقاتل من أهل مكة عن آياتنا أى العلامات الدالة على الوحدانية وغيرها من صفات العلى لغافلون لا يتدبرون وهذا خبر فى ضمنه توعد ﴿ ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ لما ذكر تعالى ما جرى لفرعون وأتباعه من الهلاك ذكر ما أحسن به لبنى اسرائيل وما امتن به عليهم اذ كان بنو اسرائيل قد أخرجوا من مساكنهم خائفين من فرعون فذكر تعالى أنه اختار لهم من الأماكن أحسنها والظاهر ان بنى اسرائيل هم الذين كانوا آمنوا بموسى ونجوا من الغرق وسياق الآيات يشهد لهم * وقيل هم الذين كانوا بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم من بنى اسرائيل قريظة والنضير وبنى قينقاع وانتصب مبوأ صدق على انه مفعول ثان لبوأنا كقوله لنبوئنهم من الجنة غرفا * وقيل يجوز أن يكون مصدرا ومعنى صدق أى فضل وكرامة ومنه فى مقعد صدق * وقيل مكان صدق الوعد وكان وعدهم فصدقهم وعده * وقيل صدق تصدق به عليهم لان الصدقة والبر من الصدق * وقيل صدق فيه ظن قاصده وساكنه * وقيل منزلا صالحا مرضيا وعن ابن عباس هو الاردن وفلسطين * وقال الضحاك وابن زيد وقتادة الشام وبيت المقدس * وقال مقاتل بيت المقدس * وعن الضحاك أيضا مصر وعنه أيضا مصر والشام * قال ابن عطية والاصح انه الشام وبيت المقدس بحسب ما حفظ من أنهم لم يعودوا الى مصر على انه فى القرآن كذلك وأورثناها بنى اسرائيل يعنى ما ترك القبط من جنات وعيون وغير ذلك وقد يحتمل أن يكون وأورثناها معناها الحالة من النعمة وان لم تكن فى قطر واحد انتهى * وقيل ما بين المدينة والشام من أرض يثرب ذكره على بن احمد النيسابورى وهذا على قول من قال ان بنى اسرائيل هم الذين بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم ولما ذكر أنه بوأهم مبوأ صدق ذكر امتنانه عليهم بما رزقهم من الطيبات وهى المآكل المستلذات أو الحلال فما اختلفوا أى كانوا على ملة واحدة وطريقة واحدة مع موسى عليه السلام فى أول حاله حتى جاءهم العلم أى علم التوراة فاختلفوا وهذا ذم لهم أى أن سبب الايقاف هو العلم فصار عندهم سبب الاختلاف فتشعبوا شعبا بعد ما قرؤا التوراة * وقيل العلم بمعنى المعلوم وهو محمد صلى الله عليه وسلم لأن رسالته كانت معلومة عندهم مكتوبة فى التوراة وكانوا يستفتحون به أى يستنصرون وكانوا قبل مجيئه الى المدينة مجمعين على نبوته يستنصرون به فى الحروب يقولون اللهم بحرمة النبى المبعوث فى آخر الزمان انصرنا فينصرون فلما جاء قالوا النبى الموعود به من ولد يعقوب وهذا من ولد اسماعيل فليس هو ذاك فآمن به بعضهم كعبد الله بن سلام وأصحابه * وقيل العلم القرآن واختلافهم قول بعضهم هو من كلام محمد وقول بعضهم من كلام الله وليس لنا انما هو للعرب وصدق به قوم فآمنوا وهذا الاختلاف لا يمكن زواله فى الدنيا وانه تعالى يقضى فيه فى الآخرة فيميز المحق من المبطل ﴿ فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين

وسياق الآيات يشهد لهم وانتصب مبوأ صدق على أنه مفعول ثان لبوأنا كقوله لنبوئنهم من الجنة غرفا أو على المصدر ومعنى صدق أى فضل وكرامة ولما ذكر أنه بوأهم مبوأ صدق ذكر امتنانه عليهم بما رزقهم من الطيبات وهى المآكل المستلذات أو الحلال ﴿فما اختلفوا﴾ أى كانوا على ملة واحدة وطريقة مع موسى عليه السلام فى أول حاله ﴿حتى جاءهم العلم﴾ أى علم التوراة فاختلفوا وهذا ذم لهم أى أن سبب الايقاف هو العلم فصار عندهم سبب الاختلاف فتشعبوا شعبا بعد ما قرأوا التوراة ﴿فان كنت فى شك﴾ الظاهر أن إن شرطية تقتضى تعليق شئ على شئ ولا تستلزم تحتم وقوعه ولا امكانه بل قد يكون فى المستحيل عقلا كقوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ويستحيل أن يكون له ولد فكذلك هذا يستحيل أن يكون عليه السلام فى شك وهذه الآية من ذلك وقيل ان نافية وقيل الخطاب لغير الرسول عليه السلام وقيل معنى فى شك فى ضيق ولا يراد به حقيقة الشك وهو يساوى الجائز ين وروى عنه عليه السلام أنه قال لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق وقيل تكون ... وهو جواب النهى مثله

كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ﴾ الظاهر أن إن شرطية * وروى عن الحسن والحسين بن الفضل أن إن نافية * قال الزمخشري أي مما كنت في شك فسئل يعني لا نأمرك بالسؤال لأنك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم عليه السلام بمعاينة احياء الموتى انتهى واذا كانت ان شرطية فذكروا انها تدخل على الممكن وجوده أو المحقق وجوده المنبهم زمان وقوعه كقوله تعالى أفان مت فهم الخالدون والذي أقوله ان الشرطية تقتضي تعليق شئ على شئ ولا تستلزم تحتم وقوعه ولا امكانه بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلا كقوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ومستحيل أن يكون له ولد فكذلك هذا مستحيل أن يكون في شك وفي المستحيل عادة كقوله تعالى فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية أي فافعل لكن وقوع ان للتعليق على المستحيل قليل وهذه الآية من ذلك ولما خفي هذا الوجه على أكثر الناس اختلفوا في تخريج هذه الآية * فقال ابن عطية الصواب انها مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد بها سواه من كل من يمكن أن يشك أو يعارض انتهى ولذلك جاء قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني * وقال قوم الكلام بمنزلة قولك ان كنت ابني فبرني وليس هذا المثال بجيد وانما مثال هذه قوله تعالى لعيسى عليه السلام أأنت قلت للناس انتهى وهذا القول مروي عن الفراء * قال الكرماني واختاره جماعة وضعف بأنه يصير تقدير الآية أأنت في شك إذ ليس في الآية ما يدل على نفي الشك * وقيل كني هنا بالشك عن الضيق أي فان كنت في ضيق من اختلافهم فيما أنزل اليك وتعنتهم عليك * وقيل كني بالشك عن العجب أي فان كنت في تعجب من عناد فرعون ومناسبة المجاز أن التعجب فيه تردد كما ان الشك تردد بين أمرين * وقال الكسائي معناه ان كنت في شك ان هذا عادتهم مع الانبياء فسلهم كيف كان صبر موسى عليه السلام حين اختلفوا عليه * وقال الزمخشري فان كنت في شك بمعنى العرض والتمثيل كأنه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا فسئل الذين يقرؤن الكتاب والمعنى ان الله تعالى قدم ذكر بني اسرائيل وهم قرأة الكتاب ووصفهم بأن العلم قد جاءهم لأن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فأراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويبالغ في ذلك فقال تعالى فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة في الدين ان يسارع الى حلها واماطتها اما بالرجوع الى قوانين الدين وأدلته وإما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق انتهى * وقيل أقوال غير هذه * وقرأ يحيى وابراهيم يقرؤن الكتب على الجمع والحق هنا الاسلام أو القرآن أو النبوة أو الآيات والبراهين القاطعة أقوال فاثبت ودم على ما أنت فيه من انتفاء المرية والتكذيب والخطاب للسامع غير الرسول وكثيرا ما يأتي الخطاب في ظاهره لشخص والمراد غيره * وروى انه عليه السلام قال لا أشك ولا أسأل بل أشهد انه الحق وعن ابن عباس والله ما شك طرفة عين ولا سأل أحدا منهم والامتراء التوقف في الشئ والشك فيه وأمره أسهل من أمر المكذب فبدئ به أولا فنهي عنه واتبع بذكر المكذب ونهى أن يكون منهم ﴿ ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ﴾ ذكر تعالى عبادا قضى عليهم بالشقاوة فلا تتغير والكلمة التي حقت عليهم قال قتادة هي اللعنة والغضب * وقيل وعيده انهم يصيرون الى العذاب * وقال الزمخشري قول الله تعالى الذي كتب في اللوح وأخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر

﴿ ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ﴾ لما ذكر تعالى عبادا قضى عليهم بالشقاوة فلا تتغير والكلمة التي حقت عليهم هي اللعنة والغضب ﴿ حتى يروا العذاب الأليم ﴾ هو في الوقت الذي لا ينفعهم فيه إيمانهم

﴿فلولا كانت قرية آمنت﴾ الآية لولا هنا هي التحضيضية التي صحبها التوبيخ وكثيرا ما جاءت في القرآن للتحضيض فهي بمعنى هلا والتحضيض أن يريد الانسان فعل الشئ الذي يحض

عليه وان كانت للتوبيخ فلا يريد المتكلم الحض على ذلك الشئ وهنا وبخهم على ترك الايمان النافع والمعنى فهلا آمن أهل قرية وهم على مهل لم يلتبس العذاب بهم فيكون الايمان نافعا لهم في هذه الحال و ﴿الا قوم يونس﴾ استثناء منقطع اذ لم يندرج قوم يونس في قوله قرية والى الانقطاع فيه ذهب سيبويه والكسائي والفراء والأخفش وقيل هو استثناء متصل لان التحضيض انما يكون على شئ لم يقع فيضمن معنى النفي والمعنى لم تكن قرية يعني اهلها آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس وقوم يونس هم أهل نينوى من بلاد الموصل كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم يونس عليه السلام فأقاموا على تكذيبه سبع سنين وتوعدهم بالعذاب بعد ثلاثة أيام فلم يرجعوا حتى وفى الموعد فقامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه صلى الله عليه وسلم فأيقنوا صدقه فلبسوا المسوح و برزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة و ولدها لجيء بعضهم الى بعض وعلت الاصوات والعجيج وأخلصوا التوبة وأظهروا الايمان وتفرغوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة انتهى بيضاوي وقيل بعد أربعين يوما ﴿الى حين﴾ أي الى وقت انقضاء آجالهم ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الارض﴾ قيل أنزلت

ومراد الله تعالى الله عن ذلك انتهى وكلامه أخيرا على طريقة الاعتزال * وقال أبو عبد الله الرازي المراد من هذه الكلمة علم الله بذلك واخباره عنه وخلقه في العبد مجموع القدرة والداعية وهو موجب لحصول ذلك الأمر * وقال ابن عطية المعنى ان الله أوجب لهم سخطه من الازل وخلقهم لعذابه فلا يؤمنون ولو جاءهم كل بيان وكل وضوح الا في الوقت الذي لا ينفعهم فيه الايمان كما صنع فرعون وأشباهه وذلك وقت المعاينة وفي ضمن الالفاظ التحذير من هذه الحال وبعث كل على المبادرة الى الايمان والفرار من سخط الله ويجوز أن يكون العذاب الأليم عند تقطع أسبابهم يوم القيامة وتقدم الخلاف في قراءة كلمة بالافراد والجمع ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين﴾ لولا هنا هي التحضيضية التي صحبها التوبيخ وكثيرا ما جاءت في القرآن للتحضيض فهي بمعنى هلا * وقرأ أبي وعبد الله فهلا وكذا هو في مصحفهما والتحضيض أن يريد الانسان فعل الشئ الذي يحض عليه واذا كانت للتوبيخ فلا يريد المتكلم الحض على ذلك الشئ كقول الشاعر

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم * بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا

لم يقصد حضهم على عقر الكمي المقنع وهنا وبخهم على ترك الايمان النافع والمعنى فهلا آمن أهل القرية وهم على مهل لم يلتبس العذاب بهم فيكون الايمان نافعا لهم في هذه الحال وقوم منصوب على الاستثناء المنقطع وهو قول سيبويه والكسائي والفراء والأخفش اذ ليسوا مندرجين تحت لفظ قرية * وقال الزمخشري ويجوز أن يكون متصلا والجملة في معنى النفي كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس * وقال ابن عطية هو بحسب اللفظ استثناء منقطع وكذلك رسمه النحويون وهو بحسب المعنى متصل لان تقديره ما آمن أهل قرية الا قوم يونس والنصب هو الوجه ولذلك أدخله سيبويه في باب ما لا يكون فيه الا النصب وذلك مع انقطاع الاستثناء وقالت فرقة يجوز فيه الرفع وهذا مع اتصال الاستثناء * وقال المهدوي والرفع على البدل من قرية * وقال الزمخشري وقرئ بالرفع على البدل عن الجرمي والكسائي وتقدم الخلاف في قراءة يونس بضم النون وكسرها وذكر جواز فتحها وقوم يونس هم أهل نينوى من بلاد الموصل كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله اليهم يونس فأقاموا على تكذيبه سبع سنين وتوعدهم العذاب بعد ثلاثة أيام * وقيل بعد أربعين يوما * وذكر المفسرون قصة قوم يونس وتفاصيل فيها وفي كيفية عذابهم الله أعلم بصحة ذلك و يوقف على ذلك في كتبهم * وقال الطبري وذكره عن جماعة ان قوم يونس خصوا من بين الأمم بأن تيب عليهم بعد معاينة العذاب * وقال الزجاج هؤلاء دنا منهم العذاب ولم يباشرهم كما باشر فرعون فكانوا كالمريض الذي يخاف الموت ويرجو العافية فأما الذي يباشره العذاب فلا توبة له * وقال ابن الانباري علم منهم صدق النيات بخلاف من تقدمهم من الهالكين * قال السدي الى حين الى وقت انقضاء آجالهم * وقيل الى يوم القيامة وروي عن ابن عباس ولعله لا يصح فعلى هذا يكونون باقين أحياء وسترهم الله عن الناس ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض﴾

في أبي طالب لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسف لموته على ملة عبد المطلب وكان حريصا على ايمانه وكان أحرص الناس على هداية من في الارض ﴿ أفأنت تكره الناس ﴾ تقدم الاسم في الاستفهام على الفعل يدل على امكان حصول الفعل لكن من غير ذلك الاسم فالله أن يكره الناس على الايمان لو شاء وليس ذلك لغيره وقرئ ﴿ ونجعل ﴾ بنون المتكلم ويجعل بياء الغيبة ﴿ قل انظروا ماذا في السموات والارض ﴾ اذ السبيل الى معرفته تعالى هو بالتفكر في مصنوعاته وفي العالم العلوي في حركات الافلاك ومقاديرها وأوضاعها والكواكب ومايختص بذلك من المنافع والفوائد وفي العالم السفلي في أحوال العناصر والمعادن والنبات والحيوان وخصوصا حال الانسان وكثيرا ماذكر الله في كتابه الحض على التفكر في مخلوقاته تعالى وقال ماذا في السموات والارض تنبيها على القاعدة الكلية والعاقل يتنبه لتفاصيلها وأقسامها ثم لما أمر الله تعالى بالنظر أخبر انه من لايؤمن لاتغنيه الآيات والنذر جمع نذير إما مصدر فمعناه الانذارات واما بمعنى منذر فمعناه المنذرون والرسل وما الظاهر انها للنفي ويجوز أن تكون استفهاما أي وأي شئ تغني الآيات وهي الدلائل وهو استفهام على جهة التقرير وقال ابن عطية ويحتمل أن تكون ما في قوله وماتغني مفعولة لقوله انظروا معطوفة على قوله ماذا أي تأملوا قدر غنى الآيات والنذر عن الكفار اذا قبلوا ذلك كفعل قوم يونس فانه يرفع العذاب في الدنيا والآخرة وينجي من المهلكات فالآية على هذا تحريض على الايمان وتجوز اللفظ على هذا التأويل انما هو في قوله لايؤمنون انتهى هذا احتمال فيه ضعف وفي قوله مفعولة معطوفة على ماذا تجوز يعني ان الجملة الاستفهامية التي هي ماذا في السموات في موضع المفعول لان ماذا وحده منصوب بانظروا فتكون

كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين * وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لايعقلون ﴾ قيل نزلت في أبي طالب لانه صلى الله عليه وسلم أسف بموته على ملة عبد المطلب وكان حريصا على ايمانه ولما كان أحرص الناس على هدايتهم وأسعى في وصول الخير اليهم والفوز بالايمان منهم وأكثر اجتهادا في نجاة العالمين من العذاب أخبره تعالى انه خلق أهلا للسعادة وأهلا للشقاوة وانه لو أراد ايمانهم كلهم لفعل وانه لاقدرة لأحد على التصرف في أحد والمقصود بيان ان القدرة القاهرة والمشيئة النافذة ليست الا له تعالى وتقديم الاسم في الاستفهام على الفعل يدل على امكان حصول الفعل لكن من غير ذلك الاسم فالله تعالى أن يكره الناس على الايمان لو شاء وليس ذلك لغيره * وقال الزمخشري ولو شاء ربك مشيئة القسر والالجاء لآمن من في الأرض كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لايختلفون فيه ألا ترى الى قوله تعالى أفأنت تكره الناس يعني انما يقدر على اكراههم واضطرارهم على الايمان هو لا أنت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بأن الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشان في المكره من هو وما هو الا هو وحده ولايشارك فيه لانه تعالى هو القادر على أن يفعل في قلوبهم مايضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر انتهى وقوله مشيئة القسر والالجاء هو مذهب المعتزلة * وقال ابن عطية المعنى ان هذا الذي تقدم ذكره انما كان جميعه بقضاء الله عليهم ومشيئته فيهم ولو شاء الله لكان الجميع مؤمنا فلا تأسف أنت يا محمد على كفر من لم يؤمن بك وادع ولا عليك فالأمر محتوم أتريد أنت أن تكره الناس بادخال الايمان في قلوبهم وتضطرهم الى ذلك والله عز وجل قد شاء غيره فهذا التأويل الآية عليه محكمة أي ادع وقاتل من خالفك وايمان من آمن مصروف الى المشيئة * وقالت فرقة المعنى أفأنت تكره الناس بالقتال حتى يدخلوا في الايمان وزعمت أن هذه الآية في صدر الاسلام وانها منسوخة بآية السيف والآية على كلا التأويلين رادة على المعتزلة انتهى ولذلك ذهب الزمخشري الى تفسير المشيئة بمشيئة القسر والالجاء وهو تفسير الجبائي والقاضي ومعنى الا باذن الله أي بارادته وتقديره لذلك والتمكن منه * وقال الزمخشري بتسهيله وهو منح الالطاف ويجعل الرجس وهو الخذلان على الذين لايعقلون وهم المصرون على الكفر وسمي الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه انتهى وهو على طريق الاعتزال * وقال ابن عباس الرجس السخط وعنه الاثم والعدوان * وقال مجاهد ما لاخير فيه * وقال الحسن وأبو عبيدة والزجاج العذاب * وقال الفراء العذاب والغضب * وقال الحسن أيضا الكفر * وقال قتادة الشيطان وقد تقدم تفسيره ولكن نقلنا ماقاله العلماء هنا * وقرأ أبو بكر وزيد بن علي ونجعل بالنون * وقرأ الأعمش ويجعل الله الرجز بالزاي ﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض وماتغني

ماذا موصولة وانظر وابصرية لما تقدم وفى الآية توبيخ لحاضرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين ﴿ ثم ننجى رسلنا ﴾ لما تقدم قوله فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم (١٩٤) وكان ذلك مشعرا بما حل بالامم الماضية المكذبة ومصرحا بهلاكهم فى غير ما آية أخبر تعالى عن حكاية حالهم الماضية فقال ثم ننجى رسلنا والمعنى أن الذين خلوا أهلكناهم لما كذبوا الرسل ثم نجينا الرسل والمؤمنين والظاهر ان كذلك فى موضع نصب تقديره مثل ذلك الانجاء الذى نجينا الرسل ومؤمنيهم ننجى من آمن بك يا محمد ويكون حقا على تقدير حق ذلك حقا

(الدر)

(ع) ويحتمل أن يكون ما فى قوله وما تغنى مفعولة لقوله انظروا معطوفة على قوله ماذا أى تأملوا قدر اغناء الآيات والنذر عن الكفار اذا قبلوا ذلك كفعل قوم يونس فانه يرفع العذاب فى الدنيا والآخرة وينجى من المهلكات فالآية على هذا تحريض على الايمان ويجوز اللفظ على هذا التأويل انما هو فى قوله لا يؤمنون انتهى (ح) هذا احتمال فيه ضعف وفى قوله مفعولة معطوفة على قوله ماذا تجوز يعنى ان الجملة الاستفهامية التى هى ماذا فى السموات والأرض فى موضع المفعول

الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون * فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين ﴾ أمر تعالى بالفكر فيما أودعه تعالى فى السموات والأرض اذ السبيل الى معرفته تعالى هو بالتفكر فى مصنوعاته ففى العالم العلوى فى حركات الأفلاك ومقاديرها وأوضاعها والكواكب وما يختص بذلك من المنافع والفوائد وفى العالم السفلى فى أحوال العناصر والمعادن والنبات والحيوان وخصوصا حال الانسان وكثيرا ما ذكر الله تعالى فى كتابه الحض على الفكر فى مخلوقاته تعالى وقال ماذا فى السموات والأرض تنبيها على القاعدة الكلية والعاقل يتنبه لتفاصيلها وأقسامها ثم لما أمر بالنظر أخبر أنه من لا يؤمن لا تغنيه الآيات والنذر جمع نذير اما مصدر فمعناه الانذارات واما بمعنى منذر فمعناه المنذرون والرسل وما الظاهر أنها للنفى ويجوز أن تكون استفهاما أى وأى شئ تغنى الآيات وهى الدلائل وهو استفهام على جهة التقرير وفى الآية توبيخ لحاضرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين * وقرأ الحرميان والعربيان والكسائى قل انظروا بضم اللام وقرئ وما تغنى بالتاء وهى قراءة الجمهور وبالياء وماذا يحتمل أن يكون استفهاما فى موضع رفع بالابتداء والخبر فى السموات ويحتمل أن يكون الخبر ذا بمعنى الذى وصلته فى السموات وانظروا معلقة فالجملة الابتدائية فى موضع نصب ويبعد أن تكون ماذا كله موصولا بمعنى الذى ويكون مفعولا لقوله انظروا لانه ان كانت بصرية تعدت بالى وان كانت قلبية تعدت بفى * وقال ابن عطية ويحتمل أن تكون ما فى قوله وما تغنى مفعولة لقوله انظروا معطوفة على قوله ماذا أى تأملوا قدر غنى الآيات والنذر عن الكفار اذا قبلوا ذلك كفعل قوم يونس فانه يرفع العذاب فى الدنيا والآخرة وينجى من الهلكات والآية على هذا تحريض على الايمان وتجوز اللفظ على هذا التأويل انما هو فى قوله لا يؤمنون انتهى وهذا احتمال فيه ضعف وفى قوله مفعولة معطوفة على قوله ماذا تجوز يعنى ان الجملة الاستفهامية التى هى ماذا فى السموات والارض فى موضع المفعول لان ماذا منصوب وحده بانظروا فيكون ماذا موصولة وانظروا بصرية لما تقدم والايام هنا وقائع الله فيهم كما يقال أيام العرب لوقائعها وفى الاستفهام تقرير وتوعد وحض على الايمان والمعنى اذا لجوا فى الكفر حل بهم العذاب واذا آمنوا نجوا هذه سنة الله فى الأمم الخالية قل فانتظروا أمر تهديد أى انتظروا ما يحل بكم كما حل بمن قبلكم من مكذبى الرسل ﴿ ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين ﴾ لما تقدم قوله فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم وكان ذلك مشعرا بما حل بالامم الماضية المكذبة ومصرحا بهلاكهم فى غير ما آية أخبر تعالى عن حكاية حالهم الماضية فقال ثم ننجى رسلنا والمعنى ان الذين خلوا أهلكناهم لما كذبوا الرسل ثم نجينا الرسل والمؤمنين ولذلك قال الزمخشرى ثم ننجى معطوف على كلام محذوف يدل عليه الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم كأنه قيل نهلك الامم ثم ننجى رسلنا على مثل الحكايات الماضية والظاهر أن كذلك فى موضع نصب تقديره مثل ذلك الانجاء الذى نجينا الرسل ومؤمنيهم ننجى من آمن بك يا محمد ويكون حقا على تقدير حق ذلك حقا * وقال أبو البقاء يجوز أن يكون حقا بدلا من المحذوف النائب عنه الكاف تقديره انجاء مثل ذلك حقا وأجاز أن يكون كذلك وحقا منصوبين

لان ماذا منصوب وحده بانظروا فتكون ماذا موصولة وانظروا بصرية لما تقدم * قال جامعه كان قد تقدم انه يبعد ان تكون ماذا كله موصولا بمعنى الذى ويكون مفعولا لقوله انظروا وقال لأنه ان كانت بصرية تعدت بالى وان كانت قلبية تعدت بفى

﴿قل يا أيها الناس﴾ خطاب لاهل مكة يقول إن كنتم لاتعرفون ماأنا عليه فانا أبينه لكم فبدأ أولا بالانتفاء من عبادة مايعبدون من الاصنام تسفيها لآرائهم وأثبت ثانيا من الذي يعبده وهو الله الذي يتوفاكم وفي ذكر هذا الوصف الوسط الدال على التوفي دلالة على البدء وهو الخلق وعلى الاعادة فكأنه أشار الى انه يعبد الله الذي خلقكم ويتوفاكم ويعيدكم وكثيرا ماصرح بهذه الأطوار الثلاثة وكان التصريح بهذا الوصف لما فيه من التذكير بالموت وارهاب النفوس به وصيرورتهم الى الله تعالى بعده فهو الجدير بان يخاف ويتقى ويعبد لا الحجارة التي تعبدونها ﴿وأمرت أن أكون من المؤمنين﴾ لما ذكر انه يعبد الله وكانت العبادة أغلب ماعليها عمل الجوارح أخبر انه أمر بان يكون من المصدقين بالله الموحدين له المفرد له بالعبادة فانتقل من عمل الجوارح الى نور المعرفة وطابق الباطن الظاهر ﴿وأن أقم﴾ يحتمل أن تكون معمولة لقوله وأمرت مراعى فيها المعنى لان معنى قوله أن أكون كن من المؤمنين فتكون ان مصدرية صلتها الامر والوجه هنا المنحى والمقصد أي استقم للدين ولا تحد عنه وحنيفا حال من الضمير في أقم أو من المفعول ﴿فان فعلت﴾ كنى بالفعل عن الدعاء مجازا أي فان دعوت مالا ينفعك ولايضرك وجواب الشرط فانك وخبرها وتوسطت اذن بين اسم ان والخبر ورتبتها بعد الخبر لكن روعي في ذلك الفاصلة ﴿وان يمسسك الله بضر﴾ الآية أتى في الضر بلفظ المس وفي الخير بلفظ الارادة وطابق بين الضر والخير مطابقة معنوية لا لفظية لان مقابل الضر النفع ومقابل الخير الشر فجاءت لفظة الضر ألطف وأخص من لفظة الشر وجاءت لفظة الخير أتم من لفظة النفع ولفظة المس أوجز من لفظة الارادة ونص على الاصابة وأنسب لقوله فلا كاشف له الا هو ولفظ الارادة أدل على الحصول في وقت الخطاب وفي غيره وأنسب للفظ الخير وان المس والارادة معناهما الاصابة وجاء جواب وان يمسسك بنفي عام وايجاب وجاء جواب وان يردك بنفي عام لان ماأراده لايرده راد لا هو ولا غيره

بننجي التي بعدهما وأن يكون كذلك منصوبا بننجي الأولى وحقا بننجي الثانية وأجاز هو تابعا لابن عطية أن تكون الكاف في موضع رفع وقدره الامر كذلك وحقا منصوب بمابعدها * وقال الزمخشري مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا * قال القاضي حقا علينا المراد به الوجوب لأن تخليص الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من العذاب الى الثواب واجب ولولاه ماحسن من الله أن يلزمهم الافعال الشاقة واذا ثبت لهذا السبب جرى مجرى قضاء الدين للسبب المتقدم وأجيب بأنه حق بحسب الوعد والحكم لا بحسب الاستحقاق لما ثبت أن العبد لايستحق على خالقه شيأ * وقرأ الكسائي وحفص ننجي المؤمنين بالتخفيف مضارع أنجى وخط المصحف نج بغير ياء ﴿قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين * وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين * ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين * وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾ خطاب لأهل مكة يقول ان كنتم لاتعرفون ماأنا عليه فأنا أبينه لكم فبدأ أولا بالانتفاء من عبادة مايعبدون من الاصنام تسفيها لآرائهم وأثبت ثانيا من الذي يعبده وهو الله الذي يتوفاكم وفي ذكر هذا الوصف الوسط الدال على التوفي دلالة على البدء وهو الخلق وعلى الاعادة فكأنه أشار الى أنه يعبد الله الذي خلقكم ويتوفاكم ويعيدكم وكثيرا ماصرح في القرآن بهذه الاطوار الثلاثة وكان التصريح بهذا الوصف لما فيه من التذكير بالموت وارهاب النفوس به وصيرورتهم الى الله بعده فهو الجدير بأن يخاف ويتقى ويعبد لا الحجارة التي تعبدونها وأمرت أن أكون من المؤمنين لما ذكر انه يعبد الله وكانت العبادة أغلب ماعليها عمل الجوارح أخبر أنه أمر بأن يكون من المصدقين بالله الموحدين له المفرد له بالعبادة وانتقل من عمل الجوارح الى نور المعرفة وطابق الباطن الظاهر * قال الزمخشري يعني أن الله تعالى أمرني بما ركب في من العقل وبما أوحى الي في كتابه * وقيل معناه ان كنتم في شك من ديني ومما أنا عليه أأثبت أم أتركه وأوافقكم فلا تحدثوا أنفسكم بالمحال ولا تشكوا في أمري واقطعوا عني أطماعكم واعلموا اني لاأعبد الذين تعبدون من دون الله ولا أختار الضلالة على الهدى كقوله قل يا أيها الكافرون لاأعبد ماتعبدون وأمرت أن أكون أصله بأن أكون فحذف الجار وهذا الحذف

(الدر) (ش) وأمرت أن أكون أصله بأن أكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل أن يكون من الحذف المطرد الذي

يحتمل أن يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع أن وان وأن يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله أمرتك الخير فاصدع بما تؤمر انتهى يعني بالحذف غير المطرد وهو قوله أمرتك الخير انه لا يحذف حرف الجر من المفعول الثاني الا في أفعال محصورة سماعا لا قياسا وهي اختار واستغفر وأمر وسمي ولبى ودعا بمعنى سمي وزوج وصدق خلافا لمن قاس الحذف بحرف الجر من المفعول الثاني حيث يعني الحرف وموضع الحذف نحو بريت القلم بالسكين فيجيز السكين بالنصب وجواب ان كنتم في شك قوله فلا أعبد والتقدير فأنا لا أعبد لأن الفعل المنفي بلا اذا وقع جوابا انجزم فاذا دخلت عليه الفاء علم أنه على اضمار المبتدأ وكذلك لو ارتفع دون لا كقوله ومن عاد فينتقم الله منه أي فهو ينتقم الله منه وتضمن قوله فلا أعبد معنى فأنا مخالفكم وأن أقم يحتمل أن تكون معمولة لقوله وأمرت مراعى فيها المعنى لأن معنى قوله أن أكون كن من المؤمنين فتكون أن مصدرية صلتها الامر وقد أجاز ذلك النحويون فلم يلتزموا في صلتها ما التزم في صلات الاسماء الموصولة من كونها لا تكون الا خبرية بشروطها المذكورة في النحو ويحتمل أن تكون على اضمار فعل أي وأوحي الي أن أقم فاحتمل أن تكون مصدرية واحتمل أن تكون حرف تفسير لأن الجملة المقدرة فيها معنى القول واضمار الفعل أولى ليزول قلق العطف لوجود الكاف إذ لو كان وأن أقم عطفا على أن أكون لكان التركيب وجهي بياء المتكلم ومراعاة المعنى فيه ضعف واضمار الفعل أكثر من مراعاة العطف على المعنى والوجه هنا المنحى والمقصد أي استقم للدين ولا تحد عنه وكنى بذلك عن صرف العقل بالكلية الى طلب الدين وحنيفا حال من الضمير في أقم أو من المفعول * وأجاز الزمخشري أن تكون حالا من الدين ولا تدع يحتمل أن يكون استئناف نهي ويحتمل أن يكون معطوفا على أقم فيكون في حيز أن على قسميها من كونها مصدرية وكونها حرف تفسير واذا كان دعاء الاصنام منهيا عنه فأحرى أن ينهى عن عبادتها فان فعلت كنى بالفعل عن الدعاء ايجازا أي فان دعوت ما لا ينفعك ولا يضرك وجواب الشرط فانك وخبرها وتوسطت اذا بين اسم ان والخبر ورتبتها بعد الخبر لكن روعي في ذلك الفاصلة * قال الحوفي الفاء جواب الشرط واذا متوسطة لا عمل لها يراد بها في هذا اذا كان ذلك هذا تفسير المعنى لا يجيء على معنى الجواب انتهى *وقال الزمخشري اذا جواب الشرط وجواب لجواب مقدر كان سائلا سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم أعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم انتهى وكلامه في اذا يحتاج الى تأمل وقد تقدم لنا الكلام فيها مشبعا في سورة البقرة ولما وقع النهي عن دعاء الاصنام وهي لا تضر ولا تنفع ذكر ان الحول والقوة والنفع والضر ليس ذلك الا لله وانه تعالى هو المنفرد بذلك وأتى في الضر بلفظ المس وفي الخير بلفظ الارادة وطابق بين الضر والخير مطابقة معنوية لا لفظية لان مقابل الضر النفع ومقابل الخير الشر فجاءت لفظة الضر ألطف وأخص من لفظة الشر وجاءت لفظة الخير أتم من لفظة النفع ولفظة المس أوجز من لفظ الارادة وأنص على الاصابة وأنسب لقوله فلا كاشف له الا هو ولفظ الارادة أدل على الحصول في وقت الخطاب وفي غيره وأنسب للفظ الخير وان كان المس والارادة معناهما الاصابة وجاء جواب وان يمسسك بنفي عام وايجاب وجاء جواب وان يردك بنفي عام لان ما أراده لا يرده راد لا هو ولا غيره لان ارادته قديمة لا تتغير فلذلك لم يجيء التركيب فلا راد له الا هو والمس من حيث هو فعل هو صفة فعل يوقعه ويرفعه بخلاف الارادة فهي صفة ذات وجاء فلا راد لفضله سمى الخير فضلا اشعارا بأن الخيور

(الدر)

هو حذف الحروف الجارة مع ان وأن وان يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله أمرتك الخير فاصدع بما تؤمر انتهى يعني بالحذف غير المطرد وهو قوله أمرتك الخير انه لا يحذف حرف الجر من المفعول الثاني الا في أفعال محصورة سماعا لا قياسا وهي اختار واستغفر وأمر وسمى وكنى ودعا بمعنى سمى وزوج وصدق خلافا لمن قاس الحذف بحرف الجر من المفعول الثاني حيث تعين الحرف وموضع الحذف نحو بريت القلم بالسكين فيجيز السكين بالنصب

من الله تعالى هي صادرة على سبيل الفضل والاحسان والتفضل ثم اتسع في الاخبار عن الفضل والخير فقال يصيب به من يشاء من عباده ثم أخبر بالصفتين الدالتين على عدم المؤاخذة وهما الغفور الذي يستر و يصفح عن الذنوب والرحيم الذي رحمته سبقت غضبه ولما تقدم قوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فأخر الضر ناسب أن تكون البداءة بجملة الشرط المتعلقة بالضر وأيضا فانه لما كان الكفار يتوقع منهم الضر للمؤمنين والنفع لا يرجى منهم كان تقديم جملة الضر آكد في الاخبار فبدئ بها * وقال الزمخشري (فان قلت) لم ذكر المس في أحدهما والارادة في الثاني (قلت) كأنه أراد أن يذكر الأمرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه لاراد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فأوجز الكلام بأن ذكر المس وهو الاصابة في أحدهما والارادة في الانجاز ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة في الخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده والمراد بالمشيئة المصلحة ﴿ قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل * واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ﴾ الحق القرآن أو الرسول أو دين الاسلام ثلاثة أقوال والمعنى فانما ثواب هدايته حاصل له ووبال ضلاله عليه والهداية والضلال واقعان بارادة الله تعالى من العبد هذا مذهب أهل السنة وان من حكم له في الأزل بالاهتداء فسيقع ذلك وان من حكم له بالضلال فكذلك ولا حيلة في ذلك * وقال القاضي انه تعالى بين انه أكمل الشريعة وأزاح العلة وقطع المعذرة فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل فلا يجب علي من السعي في إيصالكم الى الثواب العظيم وفي تخليصكم من العذاب الاليم أزيد مما فعلت * وقال الزمخشري لم يبق لكم عذر ولا على الله تعالى حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فانفع باختياره الا نفسه ومن آثر الضلال فاضر الا نفسه واللام وعلى على معنى النفع والضر وكل اليهم الأمر بعد ازاحة العلل وابانة الحق وفيه حث على اتيان الهدى واطراح الضلال مع ذلك وما أنا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى أمركم وحملكم على ما أريد انما أنا بشير ونذير انتهى وكلامه تذييل كلام القاضي وهو جار على مذهب المعتزلة وأمره تعالى نبيه باتباع ما يوحى اليه أمر بالديمومة وبالصبر على ما ينالك في الله من أذى الكفار واعراضهم وغيا الأمر بالصبر بقوله حتى يحكم الله وهو وعد منه تعالى باعلاء كلمته ونصره على أعدائه كما وقع وذهب ابن عباس وجماعة الى ان قوله وما أنا عليكم بوكيل واصبر منسوخ بآية السيف وذهب جماعة الى انه محكم وحملوا وما أنا عليكم بوكيل على أنه ليس بحفيظ على أعمالهم ليجازيهم عليها بل ذلك لله وقوله واصبر على الصبر على طاعة الله وحمل أثقال النبوة وأداء الرسالة وعلى هذا لا تعارض بين هاتين الآيتين وبين آية السيف والى هذا مال المحققون * وروى انه لما نزلت واصبر جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار فقال انكم ستجدون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني * قال الزمخشري يعني اني أمرت في هذه الآية بالصبر على ما سامتني الكفرة فصبرت واصبروا أنتم على ما يسومكم الأمراء الجورة * قال أنس فلم نصبر ثم ذكر حكاية جرت بين أبي قتادة ومعاوية رضي الله عنهما يوقف عليها من كتابه

﴿قل يا أيها الناس﴾ الآية الحق القرآن والرسول ودين الاسلام والمعنى فانما ثواب هدايته حاصل له ووبال ضلاله عليه والهداية والضلال واقعان بارادة الله تعالى روى انه لما نزلت واصبر جمع صلى الله عليه وسلم الأنصار فقال انكم ستجدون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني

﴿ سورة هود مائة وثلاث وعشرون آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سورة هود عليه السلام)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير
وبشير * وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ويوت كل ذي فضل
فضله وان تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير * ألا انهم
يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم مايسرون ومايعلنون انه عليم بذات
الصدور * ومامن دابة في الأرض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب
مبين * وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن
عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين * ولئن أخرنا
عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن مايحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به
يستهزئون * ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور * ولئن أذقناه نعماء بعد
ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور * الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك
لهم مغفرة وأجر كبير * فلعلك تارك بعض مايوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه
كنز أو جاء معه ملك انما أنت نذير والله على كل شئ وكيل * أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر
سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين * فان لم يستجيبوا لكم
فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون * من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها
نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط
ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون * أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن
قبله كتاب موسى اماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده
فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون * ومن أظلم ممن
افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة
الله على الظالمين * الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون * أولئك
لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا
يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون * أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا
يفترون * لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون * ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا
الى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون * مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع
هل يستويان مثلا أفلا تذكرون * ولقد أرسلنا نوحا الى قومه إني لكم نذير مبين * أن لا تعبدوا الا الله
انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم * فقال الملأ الذين كفروا من قومه مانراك الا بشرا مثلنا ومانراك
اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي ومانرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين * قال
ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها
كارهون * وياقوم لا أسألكم عليه مالا ان أجري الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا
ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون * وياقوم من ينصرني من الله ان طردتهم أفلا تذكرون
* ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول اني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم

الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ قال ابن عباس هذه السورة مكية كلها وعنه أيضا انها مكية الا قوله فلعلك تارك الآية وكتاب خبر مبتدا محذوف يدل عليه ظهوره بعد هذه الحروف المقطعة كقوله الم ذلك الكتاب وأحكمت صفة له ومعنى الاحكام نظمه نظما رصيفا لا نقص فيه ولا خلل والهمزة فى أحكمت للنقل وأصله حكم فهو حكيم ثم أدخلت عليه همزة النقل فصار يتعدى لواحد ثم فصلت كما تفصل القلائد بالدلائل من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والبعث بعد الموت والقصص أو جعلت فصولا سورة سورة وآية آية أو فرقت فى التنزيل ولم تنزل جملة واحدة أو فصل بها ما يحتاج اليه العباد أى بين ولخص من لدن تقدم الكلام عليه فى آل عمران حكيم بمعنى محكم وهى صفة راجعة لقوله أحكمت خبير عالم بخفايا الأشياء راجع لقوله ثم فصلت وكان العطف بثم لتراخى أوامر التفصيل ونواهيه عن المنزل بالاحكام ومن لدن يتعلق باحد الفعلين من باب الاعمال ومن حيث المعنى يتعلق بهما و﴿ ألا تعبدوا ﴾ يحتمل أن تكون ان حرف تفسير لان فى تفصيل الآيات معنى القول وهذا أظهر ويجوز أن تكون أن الناصبة للمضارع ولا نفى وعلامة النصب حذف النون ويجوز أن تكون أن مصدرية وصلت بفعل النهى وعلامة الجزم فيه حذف النون والظاهر عود الضمير فى منه الى الله تعالى أى اننى لكم نذير من جهته وبشير فيكون فى موضع الصفة فتعلق بمحذوف أى كائن من جهته أو يعلق بنذير أى أنذركم من عذابه ان كفرتم وأبشركم بثوابه ان آمنتم ﴿ وأن استغفروا ﴾ هذا أمر بالاستغفار يرجح أن يكون أن لا تعبدوا نهيا نهى ثم أمر كقوله

وقوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجمل

والاستغفار طلب المغفرة وهى الستر والتوبة والانسلاخ من المعاصى والندم على ما سلف منها والعزم على عدم العود اليها وتقدم أمران بينهما تراخ وترتب عليهما جوابان بينهما تراخ ترتب على الاستغفار التمتيع المتاع الحسن فى الدنيا وترتب على التوبة ايتاء الفضل فى الآخرة وناسب كل جواب لما وقع جوابا له لان الاستغفار من الذنب أول حالة الراجع الى الله تعالى فناسب أن يرتب عليه حال الدنيا والتوبة هى المنجية من النار والتى تدخل الجنة فناسب أن يرتب عليها حال الآخرة والضمير فى فضله يحتمل أن يعود على الله أى يعطى فى الآخرة كل من كان له فضل فى عمل الخير وزيادة ما تفضل به

لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما فى أنفسهم انى اذا لمن الظالمين * قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين * قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين * ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون * أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامى وأنا برىء مما تجرمون * وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون * واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون * ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون * من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم * حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل ﴾ ثنى الشئ ثنيا طواه يقال ثنى عطفه وثنى صدره وطوى كشحه * الحزب جماعة من الناس يجتمعون على أمر يتعصبون فيه * رذل الرجل رذالة فهو رذل اذا كان سفلة لا خلاق له ولا يبالى بما يقول وما يفعل * الاخبات التواضع والتذلل مأخوذ من الخبت وهو المطمئن من الارض * وقيل البراح القفر المستوى ويقال أخبت دخل فى الخبت كأنجد دخل نجدا وأتهم دخل تهامة ثم توسع فيه فقيل خبت ذكره خمد ويتعدى أخبت بالى وباللام ويقال للشئ الدنىء الخبيث * قال الشاعر

ينفع الطيب الخبيث من الرز * ق ولا ينفع الكثير الخبيث

* لزم الشئ واظب عليه لا يفارقه ومنه اللزام * زرى يزرى حقر وأزرى عليه عابه وازدرى افتعل من زرى أى احتقر * التنور مستوقد النار ووزنه فعول عند أبى على وهو أعجمى وليس بمشتق * وقال ثعلب وزنه تفعول من النور وأصله تنوور فهمزت الواو ثم خففت وشدد الحرف الذى قبله كما قال

رأيت عرابة اللوسى يسمو * الى الغايات منقطع القرين

يريد عرابة الأوسى وللمفسرين أقوال فى التنور ستأتى ان شاء الله تعالى

﴿ الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير أن لا تعبدوا الا الله اننى لكم منه نذير وبشير وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله

وان تولوا فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير * قال ابن عباس والحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وجابر بن زيد هذه السورة مكية كلها وعن ابن عباس مكية كلها الا قوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك الآية * وقال مقاتل مكيه الا قوله فلعلك تارك الآية وقوله أولئك يؤمنون به نزلت فى ابن سلام وأصحابه وقوله ان الحسنات يذهبن السيئات نزلت فى نبهان التمار وكتاب خبر مبتدا محذوف يدل عليه ظهوره بعد هذه الحروف المقطعة كقوله الم ذلك الكتاب وأحكمت صفة له ومعنى الاحكام نظمه نظاما رضيا لا نقص فيه ولا خلل كالبناء المحكم وهو الموثق فى الترصيف وعلى هذا فالهمزة فى أحكمت ليست للنقل ويجوز أن تكون للنقل من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما فالمعنى جعلت حكيمة كقولك تلك آيات الكتاب الحكيم على أحد التأويلين فى قوله الكتاب الحكيم * وقيل من أحكمت الدابة اذا منعتها من الجماح بوضع الحكمة عليها فالمعنى منعت من النساء كما قال جرير

أبنى حنيفة أحكموا سفهاءكم * انى أخاف عليكم أن أغضبا

وعن قتادة أحكمت من الباطل * قال ابن قتيبة أحكمت أتقنت شبه ما يحكم من الأمور المتقنة الكاملة وبهذه الصفة كان القرآن فى الأول ثم فصل بتقطيعه وتبيين أحكامه وأوامره على محمد صلى الله عليه وسلم فثم على بابها وهذه طريقة الاحكام والتفصيل اذ الاحكام صفة ذاتية والتفصيل انما هو بحسب من يفصل له والكتاب أجمعه محكم مفصل والاحكام الذى هو ضد النسخ والتفصيل الذى هو خلاف الاجمال انما يقالان مع ما ذكرناه باشتراك * وحكى الطبرى عن بعض المتأولين أحكمت بالامر والنهى وفصلت بالثواب والعقاب وعن بعضهم أحكمت من الباطل وفصلت بالحلال والحرام ونحو هذا من التخصيص الذى هو صحيح المعنى ولكن لا يقتضيه اللفظ * وقيل فصلت معناه فسرت * وقال الزمخشرى ثم فصلت كما تفصل القلائد بالدلائل من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص أو جعلت فصولا سورة سورة وآية آية أو فرقت فى التنزيل ولم تنزل جملة واحدة أو فصل بها ما يحتاج اليه العباد أى بين ولخص * وقرأ عكرمة والضحاك والجحدرى وزيد بن على وابن كثير فى رواية ثم فصلت بفتحتين خفيفة على لزوم الفعل للآيات * قال صاحب اللوامح يعنى انفصلت وصدرت * وقال ابن عطية فصلت بين المحق والمبطل من الناس أو نزلت الى الناس كما تقول فصل فلان بسفره * قال الزمخشرى وقرئ أحكمت آياته ثم فصلت أى أحكمتها انا ثم فصلتها (فان قلت) ما معنى ثم (قلت) ليس معناها التراخى فى الوقت ولكن فى الحال كما تقول هى محكمة أحسن الاحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل انتهى يعنى أن ثم جاءت لترتيب الاخبار لا لترتيب الوقوع فى الزمان واحتمل من لدن أن يكون فى موضع الصفة ومن أجاز تعداد الأخبار اذا لم تكن فى معنى خبر واحد أجاز أن يكون خبرا بعد خبر * قال الزمخشرى أن يكون صلة أحكمت وفصلت أى من عنده احكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لان المعنى أحكمها حكيم وفصلها أى بينها وشرحها خبير بكيفيات الأمور انتهى ولا يريد أن من لدن متعلق بالفعلين معا من حيث صناعة الاعراب بل يريد ان ذلك من باب الاعمال فهى متعلقة بهما من حيث المعنى وأن لا تعبدوا يحتمل أن يكون أن حرف تفسير لان فى تفصيل الآيات معنى القول وهذا أظهر لانه لا يحتاج الى اضمار * وقيل التقدير لان لا تعبدوا أو بان لا تعبدوا فيكون مفعولا من أجله ووصلت ان بالنهى * وقيل ان نصبت لا تعبدوا فالفعل خبر منفى * وقيل ان هى المخففة من الثقيلة وجملة النهى

عليه تعالى وزيادة ويحتمل أن يعود على كل أى جزاء ذلك الفضل الذى عمله فى الدنيا لا يبخس منه شئ والظاهر أن تولوا مضارع حذف منه التاء أى وان تتولوا وقيل هو ماض للغائبين والتقدير فقل لهم انى أخاف عليكم ووصف يوم بكبير وهو يوم القيامة لما يقع فيه من الأهوال * (الى الله) * أى الى جزائه * (مرجعكم) * أى يوم القيامة

فى موضع الخبر وفى هذه الأقوال العامل فصلت وأما من أعربه نه بدل من لفظ آيات أو من موضعها أو التقدير من النظر أن لا تعبدوا الا الله أو فى الكتاب ألا تعبدوا أو هى أن لا تعبدوا أو وصى أن لا تعبدوا أو تفصله أن لا تعبدوا فهو بمعزل عن علم الاعراب والظاهر عود الضمير فى منه الى الله أى انى لكم نذير من جهته وبشير فيكون فى موضع الصفة فتعلق بمحذوف أى كائن من جهته أو تعلق بنذير أى أنذركم من عذابه ان كفرتم وأبشركم بثوابه ان آمنتم * وقيل يعود على الكتاب أى نذير لكم من مخالفته وبشير منه لمن آمن وعمل به وقدم النذير لان التخويف هو الاهم وأن استغفروا معطوف على أن لا تعبدوا نهى أو نفى أى لا يعبد الا الله وأمر بالاستغفار من الذنوب ثم بالتوبة وهما معنيان متباينان لان الاستغفار طلب المغفرة وهى الستر والمعنى انه لا يبقى لها تبعة والتوبة الانسلاخ من المعاصى والندم على ما سلف منها والعزم على عدم العود اليها ومن قال الاستغفار توبة جعل قوله ثم توبوا بمعنى أخلصوا التوبة واستقيموا عليها * قال ابن عطية وثم مرتبة لان الكافر أول ما ينيب فانه فى طلب مغفرة ربه فاذا تاب وتجرد من الكفر تم ايمانه * وقال الزمخشرى (فان قلت) ما معنى ثم فى قوله ثم توبوا اليه (قلت) معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة * وقرأ الحسن وابن هرمز وزيد بن على وابن محيصن يمتعكم بالتخفيف من أمتع وانتصب متاعا على انه مصدر جار على غير الفعل أو على انه مفعول به لانك تقول متعت زيدا ثوبا والمتاع الحسن الرضا بالميسور والصبر على المقدور أو حسن العمل وقطع الأمل أو النعمة الكافية مع الصحة والعافية أو الحلال الذى لا طلب فيه ولا تعب أو لزوم القناعة وتوفيق الطاعة أقوال * وقال الزمخشرى يطول نفعكم فى الدنيا بمنافع حسنة مرضية وعيشة واسعة ونعمة متتابعة * قال ابن عطية وقيل هو فوائد الدنيا وزينتها وهذا ضعيف لان الكفار يشاركون فى ذلك أعظم مشاركة وربما زادوا على المسلمين فى ذلك * قال ووصف المتاع بالحسن انما هو لطيب عيش المؤمن برجائه فى الله عز وجل وفى ثوابه وفرحه بالتقرب اليه بمفروضاته والسرور بمواعيده والكافر ليس فى شئ من هذا والأجل المسمى هو أجل الموت قاله ابن عباس والحسن * وقال ابن جبير يوم القيامة والضمير فى فضله يحتمل أن يعود على الله تعالى أى يعطى فى الآخرة كل من كان له فضل فى عمل الخير وزيادة ما تفضل به تعالى وزاده ويحتمل أن يعود على كل أى جزاء ذلك الفضل الذى عمله فى الدنيا لا يبخس منه شئ كما قال نوف اليهم أعمالهم فيها أى جزاءها والدرجات تتفاضل فى الجنة بتفاضل الطاعات وتقدم أمران بينهما تراخ ورتب عليهما جوابان بينهما تراخ ترتب على الاستغفار التمتيع المتاع الحسن فى الدنيا كما قال فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الآية وترتب على التوبة ايتاء الفضل فى الآخرة وناسب كل جواب لما وقع جوابا له لان الاستغفار من الذنب أول حال الراجع الى الله فناسب أن يرتب عليه حال الدنيا والتوبة هى المنجية من النار والتى تدخل الجنة فناسب أن يرتب عليها حال الآخرة والظاهر ان تولوا مضارع حذف منه التاء أى وان تتولوا * وقيل هو ماض للغائبين والتقدير قيل لهم انى أخاف عليكم * وقرأ اليمانى وعيسى بن عمر وان تولوا بضم التاء واللام وفتح الواو مضارع ولى والاولى مضارع تولى وفى كتاب اللوامح اليمانى وعيسى البصرة وان تولوا بثلاث ضمات مرتبا للمفعول به وهو ضد التبرى * وقرأ الاعرج تولوا بضم التاء واللام وسكون الواو مضارع أولى ووصف يوم بكبير وهو يوم القيامة لما يقع فيه من الأهوال * وقيل هو يوم بدر وغيره من الأيام التى رموا فيها بالخذلان والقتل والسبى والنهب

الله عليه وسلم ويحلف أنه ليحبه ويضمر خلاف مايظهر وقيل غير ذلك ﴿ليستخفوا﴾ أي من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم والضمير في منه عائد على الله تعالى والذي يظهر من أسباب النزول أنه عائد على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قيل ان هذه الآية نزلت في الكفار الذين كانوا اذا لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تطامنوا وثنوا صدورهم كالمتستر وردوا اليه ظهورهم وغشوا وجوههم بثيابهم تباعدا منه وكراهة للقائه وهم يظنون أن ذلك يخفى عليه أو عن الله تعالى فنزلت الآية فعلى هذا يكون ليستخفوا متعلقا بقوله يثنون صدورهم ومعنى يستغشون ثيابهم يجعلونها أغشية ومنه قول الخنساء
أرعى النجوم وما كلفت رعيتها *
وتارة أتغشى فضل أطماري
وانتصب حين بقوله يعلم وقال الزمخشري يريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم وقال أبو البقاء ألا حين العامل في الظرف محذوف أي ألا حين يستغشون ثيابهم يستخفون وتقدير الزمخشري وأبي البقاء اضمار لا يحتاج اليه

وأبعد من ذهب الى أن كبير صفة لعذاب وخفض على الجوار وباقي الآية تضمنت تهديدا عظيما وصرحت بالبعث وذكران قدرته عامة لجميع مايشاء ومن ذلك البعث فهو لا يعجزه ماشاء من عذابهم ﴿ ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم مايسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور ﴾ نزلت في الأخنس بن شريق كان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحلف أنه ليحبه ويضمر خلاف مايظهر قاله ابن عباس * وعنه أيضا في ناس كانوا يستحيون أن يفضوا الى السماء في الخلاء ومجامعة النساء * وقيل في بعض المنافقين كان اذا مر بالرسول صلى الله عليه وسلم ثني صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كي لا يرى الرسول قاله عبد الله بن شداد * وقيل في طائفة قالوا اذا أغلقنا أبوابنا وأرخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوته كيف يعلم بنا ذكره الزجاج * وقيل فعلوا ذلك ليبعد عليهم صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يدخل أسماعهم القرآن ذكره ابن الانباري ويثنون مضارع ثني قراءة الجمهور وقرأ سعيد بن جبير يثنون بضم الياء مضارع أثني صدورهم بالنصب * قال صاحب اللوامح ولا يعرف الاثناء في هذا الباب الا أن يراد به وجدتها مثنية مثل أحدته وأمجدته ولعله فتح النون وهذا مما فعل بهم فيكون نصب صدورهم بنزع الجار ويجوز على ذلك أن يكون صدورهم رفعا على البدل بدل البعض من الكل * وقال أبو البقاء ماضيه أثني ولا يعرف في اللغة الا أن يقال معناه عرضوها للاثناء كما يقال أبعت الفرس اذا عرضته للبيع * وقرأ ابن عباس وعلي بن الحسين وابناه زيد ومحمد وابنه جعفر ومجاهد وابن يعمر ونصر بن عاصم وعبد الرحمن بن ابزي والجحدري وابن أبي اسحاق وأبو الأسود الدؤلي وأبو رزين والضحاك تثنوني بالتاء مضارع اثنوني على وزن افعوعل نحو اعشوشب المكان صدورهم بالرفع بمعنى تنطوي صدورهم * وقرأ أيضا ابن عباس ومجاهد وابن يعمر وابن أبي اسحاق يثنوني بالياء صدورهم بالرفع ذكر على معنى الجمع دون الجماعة * وقرأ ابن عباس أيضا ليثنون بلام التأكيد في خبر ان وحذف الياء تخفيفا وصدورهم رفع * وقرأ ابن عباس أيضا وعروة وابن أبي ابزى والأعشى يثنون ووزنه يفعوعل من الثن بني منه افعوعل وهو ماهش وضعف من الكلأ وأصله يثنونن يريد مطاوعة نفوسهم للشيء كما ينثني الهش من النبات أو أراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وصدورهم بالرفع * وقرأ عروة ومجاهد أيضا كذلك الا أنه همز فقرأ يثنئن مثل يطمئن وصدورهم رفع وهذه مما استثقل فيه الكسر على الواو كما قيل اشاح * وقد قيل أن يثنئن يفعئل من الثن المتقدم مثل تحمار وتصفار فحركت الألف لالتقائهما بالكسر فانقلبت همزة * وقرأ الأعشى يثنؤون مثل يفعلون مهموز اللام صدورهم بالنصب * قال صاحب اللوامح ولا أعرف وجهه لأنه يقال ثنيت ولم أسمع ثنأت ويجوز أنه قلب الياء ألفا على لغة من يقول أعطأت في أعطيت ثم همز على لغة من يقول ولا الضألين * وقرأ ابن عباس يثنوى بتقديم الثاء على النون وبغير نون بعد الواو على وزن ترعوى * قال أبو حاتم وهذه القراءة غلط لا تتجه انتهى وانما قال ذلك لأنه لاحظ الواو في هذا الفعل لا يقال ثنوته فانثوى كما يقال رعوته أي كففته فارعوى فانكف ووزنه أفعل * وقرأ نصير بن عاصم وابن يعمر وابن أبي اسحاق ينثون بتقديم النون على الثاء فهذه عشر قراآت في هذه الكلمة والضمير في أنهم عائد على بعض من بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم من الكفار أي يطوون صدورهم على عداوته * قال الزمخشري

يثنون صدورهم يزورّون عن الحق وينحرفون عنه لأن من أقبل على الشئ استقبله بصدره ومن ازورّ عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم ونظير اضمار يريدون لعود المعنى الى اضماره الاضمار في قوله تعالى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق ومعنى ألا حين يستغشون ثيابهم ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم أيضا كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم انتهى فالضمير في منه على قوله عائد على الله * قال ابن عطية وهذا هو الأفصح الأجزل في المعنى انتهى ويظهر من بعض أسباب النزول انه عائد على الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال ابن عطية * قال قيل ان هذه الآية نزلت في الكفار الذين كانوا اذا لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تطامنوا وثنوا صدورهم كالمتستر وردّوا اليه ظهورهم وغشوا وجوههم بثيابهم تباعدا منهم وكراهية للقائه وهم يظنون أن ذلك يخفى عليه أو عن الله تعالى فنزلت الآية انتهى فعلى هذا يكون ليستخفوا متعلقا بقوله يثنون وكذا قال الحوفي * وقيل هي استعارة للغل والحقد الذي كانوا ينطون عليه كما تقول فلان يطوى كشحه على عداوته ويثني صدره عليها فمعنى الآية الا انهم يسرون العداوة ويتكتمون لها ليخفى في ظنهم عن الله عز وجل وهو تعالى حين تغشيهم بثيابهم وابلاغهم في التستر يعلم ما يسرون انتهى فعلى هذا يكون حين معمولا لقوله يعلم وكذا قاله الحوفي لا للمضمر الذي قدره الزمخشري وهو قوله ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم * وقال أبو البقاء ألا حين العامل في الظرف محذوف أي ألا حين يستغشون ثيابهم يستخفون ويجوز أن يكون ظرفا ليعلم * وقيل كان بعضهم ينحني على بعض ليساره في الطعن على المسلمين وبلغ من جهلهم ان ذلك يخفى على الله تعالى * قال قتادة أخفى ما يكون اذا حنى ظهره واستغشى ثوبه وأضمر في نفسه همته * وقال مجاهد يطوونها على الكفر * وقال ابن عباس يخفون ما في صدورهم من الشحناء * وقال قتادة يخفون ليسمعوا كلام الله * وقال ابن زيد يكتمونها اذا ناجى بعضهم بعضا في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم * وقيل يثنونها حياء من الله تعالى ومعنى يستغشون يجعلونها أغشية * ومنه قول الخنساء

أرعى النجوم وما كلفت رعيتها * وتارة أتغشى فضل أطماري

* وقيل المراد بالثياب الليل واستعير له لما بينهما من العلاقة بالستر لأن الليل يستر كما تستر الثياب ومنه قولهم الليل أخفى للويل * وقرأ ابن عباس على حين يستغشون * قال ابن عطية ومن هذا الاستعمال قول النابغة

على حين عاتبت المشيب على الصبا * وقلت ألما أصح والشيب وازع

انتهى * وقال ابن عباس ما يسرون بقلوبهم وما يعلنون بأفواههم * وقيل ما يسرون بالليل وما يعلنون بالنهار * وقال ابن الانباري معناه أنه يعلم سرائرهم كما يعلم مظهراتهم * وقال الزمخشري يعني انه لا تفاوت في علمه بين إسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم بثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده * وقال صاحب التحرير الذي يقتضيه سياق الآية أنه أراد بما يسرون ما انطوت عليه صدورهم من الشرك والنفاق والغل والحسد والبغض للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لأن ذلك كله من أعمال القلوب وأعمال القلوب خفية جدا وأراد بما يعلنون ما يظهرونه من استدبارهم النبي صلى الله عليه وسلم وتغشيه ثيابهم وسد

﴿ومامن دابة في الأرض﴾ الآية الدابة هنا عام في كل حيوان يحتاج الى رزق وعلى الله ظاهر في الوجوب وانما هو تفضل ولكنه لما ضمن تعالى ان يتفضل عليهم أبرزه في حيز الوجوب قال ابن عباس مستقرها حيث تأوي اليه من الأرض ومستودعها الموضع الذي تموت فيه فتدفن ومن دابة في موضع مبتدأ ومن زائدة لاستغراق الجنس ورزقها مبتدأ وعلى الله خبره والجملة خبر المبتدأ والتقدير ومامن دابة الارزقها كائن على الله تعالى ﴿وهو الذي خلق السموات﴾ الآية لما ذكر تعالى مايدل على كونه عالما ذكر مايدل على كونه قادرا وتقدم تفسير الجملة الأولى في سورة يونس والظاهران قوله وكان عرشه على الماء تقديره قبل خلق السموات والارض وفي هذا دليل على ان الماء

والعرش كانا مخلوقين قبل والظاهر تعلق ليبلوكم

آذانهم وهذه كلها أعمال ظاهرة لاتخفى ﴿ومامن دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾ الدابة هنا عام في كل حيوان يحتاج الى رزق وعلى الله ظاهر في الوجوب وانما هو تفضل ولكنه لما ضمن تعالى أن يتفضل به عليهم أبرزه في حيز الوجوب * قال ابن عباس مستقرها حيث تأوي اليه من الأرض ومستودعها الموضع الذي تموت فيه فتدفن * وعنه أيضا مستقرها في الرحم ومستودعها في الصلب * وقال الربيع بن أنس مستقرها في أيام حياتها ومستودعها حين تموت وحين تبعث * وقيل مستقرها في الجنة أو في النار ومستودعها في القبر ويدل عليه حسنت مستقرا وساءت مستقرا * وقيل مايستقر عليه عملها ومستودعها ماتصير اليه * وقيل المستقر ماحصل موجودا من الحيوان والمستودع ماسيوجد بعد المستقر * وقال الزمخشري المستقر مكانه من الأرض ومسكنه والمستودع حيث كان موجودا قبل الاستقرار من صلب أو رحم أوبيضة انتهى ومستقر ومستودع يحتمل أن يكونا مصدرين ويحتمل أن يكونا اسمي مكان ويحتمل مستودع أن يكون اسم مفعول لتعدي الفعل منه ولا يحتمله مستقر للزوم فعله كل أي كل من الرزق والمستقر والمستودع في اللوح يعني وذكرها مكتوب فيه مبين * وقيل الكتاب هنا مجاز وهو اشارة الى علم الله وحمله على الظاهر أولى ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا إلا سحر مبين ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن مايحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ لما ذكر تعالى مايدل على كونه تعالى عالما ذكر مايدل على كونه قادرا وتقدم تفسير الجملة الأولى في سورة يونس والظاهر أن قوله وكان عرشه على الماء تقديره قبل خلق السموات والأرض وفي هذا دليل على أن الماء والعرش كانا مخلوقين قبل قال كعب خلق الله ياقوتة خضراء فنظر اليها بالهيبة فصارت ماء ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء * وروى عن ابن عباس انه وقد قيل له على أي شئ كان الماء قال كان على متن الريح والظاهر تعلق ليبلوكم بخلق * قال الزمخشري أي خلقهن لحكمة بالغة وهي أن يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم فعل الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر وأطاع أثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما أشبه

بخلق أي خلقهن بحكمة بالغة وهي ان يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم فعل الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر وأطاع أثابه ومن كفر وعصى عاقبه ومعنى ليبلوكم أي ليختبركم وأيكم أحسن مبتدأ وخبر في موضع نصب بقوله ليبلوكم وهو معلق لان الاختبار فيه معنى التميز والعلم وذكر الزمخشري ان استمع تعلق ومثله بقوله استمع أيهم أحسن صوتا انتهى ولاأعلم أحدا ذكر ان استمع تعلق وانما ذكروا من غير أفعال القلوب سل وانظر وفي جواز تعليق رأى البصرية خلاف ولذلك علق عن جملة الاستفهام والظاهر الاشارة بهذا الى القول أي ان قولك انكم مبعوثون

الاسحر أي بطلان هذا القول كبطلان السحر والظاهر أن العذاب هو العذاب الموعود به والامة هنا المدة من الزمان ﴿مايحبسه﴾ استفهام قالوه على سبيل التكذيب والاستهزاء والظاهر ان يوم منصوب بقوله مصروفا فهو معمول لخبر ليس وقد استدل به على جواز تقديم خبر ليس عليها قالوا لان تقدم المعمول يؤذن بتقدم العامل ونسب هذا المذهب لسيبويه وعليه أكثر البصريين وذهب الكوفيون والمبرد الى أنه لايجوز ذلك وقالوا لايدل جواز تقدم المعمول على جواز تقدم العامل وأيضا فان الظرف والمجرور يتسع فيهما مالايتسع في غيرهما ويقعان حيث لايقع العامل فيه نحو ان اليوم زيدا مسافر وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم أظفر بتقدم خبر ليس عليها ولا بمعموله الامادل عليه ظاهر هذه الآية وقول الشاعر

ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلى لأحوالكم كيف تعملون (فان قلت) كيف جاز تعليق فعل البلوى (قلت) لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق الله فهو ملابس له كما تقول انظر أيهم أحسن وجها واستمع أيهم أحسن صوتا لان النظر والاستماع من طرق العلم انتهى وفي قوله ومن كفر وعصى عاقبه دسيسة الاعتزال وأما قوله واستمع أيهم أحسن صوتا فلا أعلم أحدا ذكر أن استمع تعلق وانما ذكروا من غير أفعال القلوب سل وانظر وفي جواز تعليق رأى البصرية خلاف * وقيل ليبلوكم متعلق بفعل محذوف تقديره أعلم بذلك ليبلوكم ومقصد هذا التأويل أن هذه المخلوقات لم تكن بسبب البشر * وقيل تقديره الفعل وخلقكم ليبلوكم * وقيل في الكلام جمل محذوفة التقدير وكان خلقه لهما لمنافع يعود عليكم نفعها في الدنيا دون الأخرى وفعل ذلك ليبلوكم ومعنى أيكم أحسن عملا أهذا أحسن أم هذا * قال ابن بحر روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله ولو صح هذا التفسير عن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعدل عنه * وقال الحسن أزهد في الله * وقال مقاتل أتقى لله * وقال الضحاك أكثركم شكرا * قال الزمخشري (فان قلت) فكيف قيل أيكم أحسن عملا وأعمال المؤمنين هي التي تتفاوت الى حسن وأحسن فأما أعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتهما الى حسن وقبيح (قلت) الذين هم أحسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك تيقظا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم انتهى ولئن قلت خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم * وقرأ عيسى الثقفي ولئن قلت بضم التاء اخبارا عنه تعالى والمعنى ولئن قلت مستدلا على البعث من بعد الموت إذ في قوله تعالى وهو الذي خلق دلالة على القدرة العظيمة فمن أخبر بوقوع ممكن وقع لا محالة وقد أخبر بالبعث فوجب قبوله وتيقن وقوعه * وقرئ أنكم بفتح الهمزة * قال الزمخشري ووجهه أن يكون من قولهم ائت السوق أنك تشترى لحما بمعنى علك أي ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه لأثبتوا القول بانكاره لقالوا ويجوز أن يضمن قلت معنى ذكرت انتهى يعني فبفتح الهمزة لانها في موضع مفعول ذكرت والظاهر الاشارة بهذا الى القول أي ان قولك انكم مبعوثون الا سحر أي بطلان هذا القول كبطلان السحر ويحتمل أن يكون اشارة الى ما دلت عليه الجملة من البعث أي ان البعث * وقيل أشاروا بهذا الى القرآن وهو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره * قال ابن عطية كذبوا وقالوا هذا سحر فهذا تناقض منهم ان كان مفطورا بقربان الله فاطر السموات والأرض فهو من جملة المقر بهذا وهم مع ذلك ينكرون ما هو أيسر منه بكثير وهو البعث من القبور إذ البداءة أعسر من الاعادة وإذ خلق السموات والارض أكبر من خلق الناس انتهى * وقرأ الحسن والأعرج وأبو جعفر وشيبة وفرقة من السبعة سحر * وقرأت فرقة ساحر يريدون والساحر كاذب مبطل ولئن أخرنا حكى تعالى نوعا آخر من أباطيلهم واستهزائهم والعذاب هنا عذاب القيامة * وقيل عذاب يوم بدر * وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين والظاهر لعذاب الموعود به والأمة هنا المدة من الزمان قاله ابن عباس وقتادة ومجاهد والجمهور ومعناه الى حين ووقت معلوم ما يحبسه استفهام قالوه وهو على سبيل التكذيب والاستهزاء * قال الطبري سميت المدة أمة لانها يفضى فيها أمة من الناس وتحدث أخرى فهي على هذا المدة الطويلة ثم استفتح الاخبار بانه يوم لا يرده شيء

*فيأبى فما يزداد الا لجاجة
وكنت أبيا في الخنا لست أقدم*
وتقدم تفسير جملة وحاق بهم

(الدر)

(ش) فان قلت كيف جاز تعليق فعل البلوى قلت لما في الاختبار من معنى العلم لأنه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر أيهم أحسن وجها واستمع أيهم أحسن صوتا لان النظر والاستماع من طريق العلم انتهى (ح) لا أعلم ان أحدا ذكر ان استمع تعلق وانما ذكروا من غير أفعال القلوب سل وانظر وفي جواز تعليق رأى البصرية خلاف

ولا يصرفه والظاهر أن يوم منصوب بقوله مصروفا فهو معمول لخبر ليس وقد استدل به على جواز تقديم خبر ليس عليها قالوا لان تقدم المعمول يؤذن بتقدم العامل ونسب هذا المذهب لسيبويه وعليه أكثر البصريين وذهب الكوفيون والمبرد الى أنه لا يجوز ذلك وقالوا لا يدل جواز تقدم المعمول على جواز تقدم العامل وأيضا فان الظرف والمجرور يتسع فيهما مالا يتسع فى غيرهما ويقعان حيث لا يقع العامل فيه ما نحو ان اليوم زيدا مسافر وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم أظفر بتقدم خبر ليس عليها ولا بمعموله الا ما دل عليه ظاهر هذه الآية وقول الشاعر

فيأبى فما يزداد إلا لجاجة * وكنت أبيا فى الخنا لست أقدم

وتقدم تفسير جملة وحاق بهم ﴿ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى انه لفرح فخور إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾ لما ذكر تعالى عذاب الكفار وان تأخر لا بد أن يحيق بهم ذكر ما يدل على كفرهم وكونهم مستحقين العذاب لما جبلوا عليه من كفر نعماء الله وما يترتب على إحسانه تعالى اليهم مما لا يليق بهم من فخرهم على عباد الله والظاهر ان الانسان هنا هو جنس والمعنى ان هذا الخلق فى سجايا الناس ثم استثنى منهم الذين ردتهم الشرائع والايمان الى الصبر والعمل الصالح ولذلك جاء الاستثناء منه فى قوله الا الذين صبروا واستثناء متصلا * وقيل المراد هنا بالانسان الكافر * وقيل المراد به انسان معين * فقال ابن عباس هو الوليد بن المغيرة وفيه نزلت * وقيل عبد الله ابن أمية المخزومى وذكره الواحدى وعلى هذين القولين يكون استثناء منقطعا ومعنى رحمة نعمة من صحة وأمن وجدة ثم نزعناها أى سلبناها منه ويؤوس كفور صفتا مبالغة والمعنى انه شديد اليأس كثيره ييأس ان يعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة ويقطع رجاءه من فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه كفور كثير الكفران لما سلف لله عليه من نعمه ذكر حالة الانسان إذ بدىء بالنعمة ولم يسبقه الضر ثم ذكر حاله اذا جاءته النعمة بعد الضر ومعنى ذهب السيئات أى المصائب التى تسوءنى وقوله هذا يقتضى نظرا وجهلا لأن ذلك بانعام من الله وهو يعتقد أن ذلك اتفاق أو بسعد وهو اعتقاد فاسد انه لفرح أشر بطر وهذا الفرح مطلق فلذلك ذم المتصف به ولم يأت فى القرآن للمدح الا مقيدا بما فيه خير كقوله فرحين بما آتاهم الله من فضله * وقرأ الجمهور لفرح بكسر الراء وهى قياس اسم الفاعل من فعل اللازم * وقرأت فرقة لفرح بضم الراء وهى كما تقول ندس ونطس ونخره هو تعاظمه على الناس بما أصابه من النعماء واستثنى تعالى الصابرين يعنى على الضراء وعاملى الصالحات ومنها الشكر على النعماء أولئك لهم مغفرة لذنوبهم يقتضى زوال العقاب والخلاص منه وأجر كبير هو الجنة فيقتضى الفوز بالثواب ووصف الأجر بقوله كبير لما احتوى عليه من النعيم السرمدى ورفع التكاليف والامن من العذاب ورضا الله عنهم والنظر الى وجهه الكريم ﴿ فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك انما أنت نذير والله على كل شئ وكيل ﴾ قال الزمخشرى كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية فى رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول صلى الله عليه وسلم أن يلقى اليهم مالا يقبلونه ويضحكون منه فحرك الله منه وهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك أى

منهم الذين ردتهم الشرائع والايمان الى الصبر والعمل الصالح ولذلك جاء الاستثناء منه فى قوله الا الذين صبروا متصلا ﴿ فلعلك تارك ﴾ الآية كانوا يقترحون عليه الآيات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية لارشادهم وضائق اسم فاعل من ضاق وعبر بضائق دون ضيق للمناسبة فى اللفظ مع تارك وان كان ضيق أكثر استعمالا لانه وصف لازم وضائق وصف عارض ولان اسم الفاعل من الثلاثى اذا لم يأت على اسم فاعل نحو فرح وثقل وأريد الحدوث به بنى على فاعل كثقل فهو ثاقل وفرح فهو فارح ولذلك جاء اسم الفاعل من ضاق على فاعل لحدوثه اذ ليس وصفا لازما فيجيء على ضيق ﴿ انما أنت نذير ﴾ أى ليس عليك الا أن تنذرهم بما أوحى اليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه وما عليك ردوا أو تهاونوا أو اقترحوا ﴿ والله على كل شئ وكيل ﴾ يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل فتوكل عليه وكل أمرك اليه

لعلك تترك أن تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم وتهاونهم به وضائق به صدرك بأن تتلوه عليهم ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا أنزل عليه كنز هلا أنزل عليه ماقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم ينزل عليه مالا نريده ولا نقترحه ثم قال انما أنت نذير أى ليس عليك الا أن تنذرهم بما أوحى اليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه ولا عليك ردّوا أو تهاونوا أو اقترحوا والله على كل شئ وكيل يحفظ مايقولون وهو فاعل بهم مايجب أن يفعل فتوكل عليه وكل أمرك اليه * وقال ابن عطية سبب نزول هذه الآية ان كفار قريش قالوا يا محمد لو تركت سب آلهتنا وتسفيه آبائنا لجالسناك واتبعناك وقالوا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ونحو هذا من الاقوال فخاطب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على هذه الصورة من المخاطبة وقفه بها توقيفا رادّا على أقوالهم ومبطلا لها وليس المعنى انه عليه السلام هم بشئ من ذلك ثم خرج عنه فانه لم يرد قط ترك شئ مما أوحى اليه ولا ضاق صدره به وانما كان يضيق صدره بأقوالهم وأفعالهم وبعدهم عن الايمان ولعلك ههنا بمعنى التوقيف والتقرير ومايوحى اليه هو القرآن والشريعة والدعاء الى الله كان فى ذلك سب آلهتهم وتسفيه آبائهم أو غيره ويحتمل أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم قد عظم عليه مايلقى من الشدة فمال الى أن يكون من الله اذن فى مساهلة الكفار بعض المساهلة ونحو هذا من الاعتقادات التى تليق به صلى الله عليه وسلم كما جاءت آيات الموادعة وعبر بضائق دون ضيق للمناسبة فى اللفظ مع تارك وان كان ضيق أكثر استعمالا لأنه وصف لازم وضائق وصف عارض * وقال الزمخشرى (فان قلت) لم عدل عن ضيق الى ضائق (قلت) ليدل على أن ضيق عارض غير ثابت لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفسح الناس صدرا ومثله قولك سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فاذا أردت الحدوث قلت سائد وجائد انتهى وليس هذا الحكم مختصا بهذه الالفاظ بل كل مايبنى من الثلاثى للثبوت والاستقرار على غير وزن فاعل رد اليه اذا أريد معنى الحدوث فنقول حاسن من حسن وثاقل من ثقل وفارح من فرح وسامن من سمن * وقال بعض اللصوص يصف السجن ومن سجن فيه

بمنزلة أما اللئيم فسامن بها * وكرام الناس بادن شحوبها

والظاهر عود الضمير فى به على بعض * وقيل على ما * وقيل على التبليغ * وقيل على التكذيب * قيل ولعل هنا للاستفهام بمعنى هل والمعنى هل أنت تارك مافيه تسفيه أحلامهم وسب آلهتهم كما سألوك وقدروا كراهته ان يقولوا أو لئلا يقولوا أو بأن يقولوا ثلاثة أقوال والكنز المال الكثير وقالوا أنزل ولم يقولوا أعطى لأن مرادهم التعجيز وانهم التمسوا أن ينزل عليه من السماء كنز على خلاف العادة فان الكنوز انما تكون فى الارض وطلبهم آية تضطر الى الايمان والله عز وجل لم يبعث الأنبياء بآيات اضطرار انما بعثهم بآيات النظر والاستدلال ولم يجعل آية الاضطرار الا للامة التى أراد تعذيبها لكفرها بعد آية الاستدلال كالناقة لثمود وآنسه تعالى بقوله انما أنت نذير أى الذى فوض اليك هو النذارة لاتحصيل هدايتهم فان ذلك انما هو لله تعالى * وقال مقاتل وقيل كافل بالمصالح قادر عليها * وقال ابن عطية المحصى لايمان من شاء وكفر من شاء * قيل وهذه الآية منسوخة * وقيل محكمة ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين * فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو فهل أنتم

﴿أم يقولون افتراه﴾ الآية الظاهر ان أم منقطعة فتقدر ببل والهمزة أى بل أم يقولون افتراه والضمير فى افتراه عائد على قوله يوحى اليك وهو القرآن * ومناسبة هذه الآية لما قبلها انه لاتتعلق اطماعهم بان يترك بعض ماأوحى اليه الا لادعواهم انه ليس من عند الله وانه هو الذى افتراه وانما تحداهم أولا بعشر سور مفتريات قبل تحديهم بسورة اذ كانت هذه السورة مكية والبقرة مدنية وسورة يونس أيضا مكية ومقتضى التحدى بعشر سور أن يكون قبل طلب المعارضة بسورة فلما نسبوه الى الافتراء طلب منهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات ارخاء لعنانهم فكأنه يقول هبوا انى اختلقته ولم يوح الى فأتوا أنتم بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلى لاتعجزون عن مثل ماأقدر عليه من الكلام وانما عنى بقوله مثله فى حسن النظم والبيان وان كان مفترى وشأن من يريد تعجيز شخص أن يطالبه أولا بان يفعل أمثالا مما يفعل هو ثم اذا تبين له عجزه قال له افعل مثالا واحدا ﴿فان لم يستجيبوا لكم﴾ الذى يظهر ان الضمير فى فان لم يستجيبوا عائد على من استطعتم وفى لكم عائد على الكفار لعود الضمير على أقرب مذكور ولكون الخطاب يكون لواحد ولترتب الجواب على الشرط ترتبا حقيقيا من الأمر بالعلم ولا يجوز بأنه أريد به فدوموا على العلم بأن لا اله الا هو ولأن

مسلمون * الظاهر ان أم منقطعة تتقدر ببل والهمزة أى أيقولون افتراه * وقال ابن القشيرى أم استفهام توسط الكلام على معنى أيكتفون بما أوحيت اليك من القرآن أم يقولون انه ليس من عند الله فان قالوا انه ليس من عند الله فليأتوا بمثله انتهى فجعل أم متصلة والظاهر الانقطاع كما قلنا والضمير فى افتراه عائد على قوله ما يوحى اليك وهو القرآن * ومناسبة هذه الآية لما قبلها انها لا تتعلق اطماعهم بأن يترك بعض ما يوحى اليه الا لدعواهم انه ليس من عند الله وانه هو الذى افتراه وانما تحداهم أولا بعشر سور مفتريات قبل تحديهم بسورة إذ كانت هذه السورة مكية والبقرة مدنية وسورة يونس أيضا مكية ومقتضى التحدى بعشر ان يكون قبل طلب المعارضة بسورة فلما نسبوه الى الافتراء طلب منهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات ارخاء لعنانهم وكانه يقول هبوا انى اختلقته ولم يوح الى فأتوا أنتم بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلى لا تعجزون عن مثل ما أقدر عليه من الكلام وانما عين بقوله مثله فى حسن النظم والبيان وان كان مفترى وشأن من يريد تعجيز شخص أن يطالبه أولا بأن يفعل أمثالا مما يفعل هو ثم اذا تبين عجزه قال له افعل مثلا واحدا ومثل يوصف به المفرد والمثنى والمجموع كما قال تعالى أنؤمن لبشرين مثلنا وتجوز المطابقة فى التثنية والجمع كقوله ثم لا يكونوا أمثالكم وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون واذا أفرد وهو تابع لمثنى أو مجموع فهو بتقدير المثنى والمجموع أى مثلين وأمثال والمعنى هنا بعشر سور أمثاله ذهابا الى مماثلة كل سورة منها له * وقال ابن عطية وقع التحدى فى هذه الآية بعشر لانه قيدها بالافتراء فوسع عليهم فى القدر لتقوم الحجة غاية القيام اذ قد عجزهم فى غير هذه الآية بسورة مثله دون تقييد فهى مماثلة تامة فى عيوب القرآن ونظمه ووعده ووعيده وعجزوا فى هذه الآية بأن قيل لهم عارضوا القدر منه بعشر أمثاله فى التقدير والغرض واحد واجعلوه مفترى لا يبقى لكم الا نظمه فهذه غاية التوسعة وليس المعنى عارضوا عشر سور بعشر لان هذه انما كانت تجىء معارضة سورة بسورة مفتراة ولا يبالى عن تقديم نزول هذه على هذه ويؤيد هذا النظر أن التكليف فى آية البقرة انما هو بسبب الريب ولا يزيل الريب الا العلم بأنهم لا يقدرون على المماثلة التامة وفى هذه الآية انما التكليف بسبب قولهم افتراه وكلفوا نحو ما قالوا ولا يطرد هذا فى آية يونس * وقال بعض الناس هذه مقدمة فى النزول على تلك ولا يصح أن تكون السورة الواحدة الا مفتراة وآية سورة يونس فى تكليف سورة مرتبة على قولهم افتراه وكذلك آية البقرة انما رمتهم بأن القرآن مفترى وقائل هذا القول لم يلحظ الفرق بين التكليفين فى كمال المماثلة مرة ووقوفها على النظم مرة انتهى والظاهر أن قوله مثله لا يراد به المثلية فى كون المعارض عشر سور بل مثله يدل على مماثلة فى مقدار ما من القرآن * وروى عن ابن عباس ان السور التى وقع بها طلب المعارضة لها هى معينة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة ويونس وهود فقوله مثله أى مثل هذه عشر السور وهذه السور أكثرها مدنى فكيف تصح الحوالة بمكة على مالم ينزل بعد ولعل هذا لا يصح عن ابن عباس والضمير فى فان لم يستجيبوا لكم عائد على من طلب منهم المعارضة ولكم الضمير جمع يشمل الرسول والمؤمنين وجوز أن يكون خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل التعظيم كما جاء فان لم يستجيبوا لك قاله مجاهد * وقيل ضمير يستجيبوا عائد على المدعوين ولكم خطاب للمأمورين بدعاء من استطاعوا قاله الضحاك أى فان لم يستجب من تدعونه الى المعارضة فأذعنوا حينئذ واعلموا انه من عند الله وانه أنزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه

يكون قوله فهل أنتم مسلمون تحريضا على تحصيل الاسلام لانه يراد به الاخلاص ولما طولبوا بالمعارضة وأمروا بأن يدعوا من يساعدهم فلم تمكن المعارضة ولا استجاب أصنامهم وآلهتهم لهم أمروا بأن يعلموا انه من عند الله وليس مفترى فتمكن معارضته وانه تعالى هو المختص بالالوهية لا يشركه فى شئ منها آلهتهم وأصنامهم فلا يمكن أن يجيبوا الظهور عجزهم وانها لا تنفع ولا تضر فى شئ من المطالب

واعلموا عند ذلك انه لا اله الا هو وان توحيده واجب فهل أنتم مسلمون أي تابعون للاسلام بعد ظهور هذه الحجة القاطعة وعلى أن الخطاب للمؤمنين معنى فاعلموا أي دوموا على العلم وازدادوا يقينا وثبات قدم انه من عند الله ومعنى فهل أنتم مسلمون أي مخلصو الاسلام * وقال مقاتل بعلم الله باذن الله * وقال الكلبي بأمره * وقال القتبي من عند الله والذي يظهر أن الضمير في فان لم يستجيبوا عائد على من استطعتم وفي لكم عائد على الكفار لعود الضمير على أقرب مذكور ولكون الخطاب يكون لواحد ولترتب الجواب على الشرط ترتبا حقيقيا من الأمر بالعلم ولا يتحرر بأنه أراد به فدوموا على العلم ودوموا على العلم بأنه لا اله الا هو ولان يكون قوله فهل أنتم مسلمون تحريضا على تحصيل الاسلام لا انه يراد به الاخلاص ولما طولبوا بالمعارضة وأمروا بأن يدعوا من يساعدهم على تمكن المعارضة ولا استجاب أصنامهم ولا آلهتهم لهم أمروا بأن يعلموا انه من عند الله وليس مفترى فتمكن معارضته وانه تعالى هو المختص بالألوهية لا يشركه في شيء منها آلهتهم وأصنامهم فلا يمكن أن يجيبوا لظهور عجزهم وانها لا تنفع ولا تضر في شيء من المطالب * وقرأ زيد بن علي انما نزل بفتح النون والزاي وتشديدها واحتمل أن تكون ما مصدرية أي ان التنزيل واحتمل أن تكون بمعنى الذي أي ان الذي نزله وحذف الضمير المنصوب لوجود جواز الحذف ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر شيأ من أحوال الكفار الناقضين في القرآن ذكر شيأ من أحوالهم الدنيوية وما يؤولون اليه في الآخرة وظاهر من العموم في كل من يريد زينة الحياة الدنيا والجزاء مقرون بمشيئته تعالى كما بين ذلك في قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء الآية * وقال مجاهد هي في الكفرة وفي أهل الرياء من المؤمنين والى هذا ذهب معونة حين حدث بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرائين فتلا هذه الآية * وقال أنس هي في اليهود والنصارى * قال ابن عطية ومعنى هذا انهم يدخلون في هذه الآية لا انها ليست لغيرهم * وقيل في المنافقين الذين جاهدوا مع الرسول فاسهم لهم ومعنى يريد الحياة الدنيا أي يقصد بأعماله التي يظهر انها صالحة الدنيا فقط ولا يعتقد آخرة وان الله يجازيه على حسن أعماله كما جاء وأما الكافر فيطعمه في الدنيا بحسناته وان اندرج في العموم المراؤون من أهل القبلة كما ترى أحدهم اذا صلى اماما يتنغم بألفاظ القرآن ويرتله أحسن ترتيل ويطيل ركوعه وسجوده ويتباكى في قراءته واذا صلى وحده اختلسها اختلاسا واذا تصدق أظهر صدقته أمام من يثني عليه ودفعها لمن لا يستحقها حتى يثني عليه الناس وأهل الرباط المتصدق عليهم وأين هذا من رجل يتصدق خفية وعلى من لا يعرفه كما جاء في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه وهذه مبالغة في اخفاء الصدقة جدا واذا تعلم علما راأى به وتبجح وطلب بمعظمه يسير حطام من عرض الدنيا وقد فشا الرياء في هذه الامة فشوا كثيرا حتى لا تكاد ترى مخلصا لله لا في قول ولا في فعل فهؤلاء من أول من تسعر بهم النار يوم القيامة * وقرأ الجمهور نوف بنون العظمة وطلحة بن ميمون يوف بالياء على الغيبة * وقرأ زيد بن علي يوف بالياء مخففا مضارع أوفى * وقرئ توف بالتاء مبنيا للمفعول وأعمالهم بالرفع وهو على هذه القراآت مجزوم جواب الشرط كما انجزم في قوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه * وحكى عن الفراء ان

﴿من كان يريد الحياة الدنيا﴾ الآية مناسبتها لما قبلها انه تعالى لما ذكر أشياء من أحوال الكفار المنافقين ذكر شيئا من أحوالهم الدنيوية وما يؤولون اليه في الآخرة وظاهر من العموم في كل من يريد زينة الحياة الدنيا والجزاء مقرون بمشيئة الله تعالى وجاء فعل الشرط ماضيا في قوله من كان وفعل الجزاء مضارعا مجزوما وهو نوف والجزم أفصح من الرفع اذ لو جاء نوفي مرفوعا لكان جائزا كما قال الشاعر

وان أتاه خليل يوم مسألة
يقول لا غائب مالي ولا حرم

فرفع يقول ولو جزمه لكان أفصح كالآية وأفرد الضمير في كان يريد على لفظ من وجمعه في قوله اليهم مراعاة للمعنى والضمير في قوله ما صنعوا فيها الظاهر انه عائد على الآخرة والمجرور متعلق بحبط المعنى وظهر حبوط ما صنعوا في الآخرة ويجوز أن يتعلق بقوله صنعوا فيكون عائدا على الحياة الدنيا كما عاد عليها في فيها قبل وما في ما صنعوا بمعنى الذي أو مصدرية وباطل وما بعده توكيد لقوله وحبط ما صنعوا وباطل خبر مقدم ان كان من عطف الجمل وما كانوا هو المبتدأ وان كان خبرا بعد خبر ارتفع

كان زائدة ولهذا جزم الجواب ولعله لا يصح اذ لو كانت زائدة لكان فعل الشرط يريد وكان يكون مجزوما وهذا التركيب من مجيء فعل الشرط ماضيا والجواب مضارعا ليس مخصوصا بكان بل هو جائز في غيرها كما روي في بيت زهير

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه * ولو رام أن يرقى السماء بسلم

* وقرأ الحسن نوفي بالتخفيف واثبات الياء فاحتمل أن يكون مجزوما بحذف الحركة المقدرة على لغة من قال ألم يأتيك وهي لغة لبعض العرب واحتمل أن يكون مرفوعا كما ارتفع في قول الشاعر

وان شل ريعان الجميع مخافة * يقول جهارا ويلكم لا تنفروا

والحصر في كينونة النار لهم ظاهر في ان الآية في الكفار فان اندرج أهل الرياء فيها فيكون المعنى في حقهم ليس يجب لهم أو لا يحق لهم الا النار كقوله فجزاؤه جهنم وجائز أن يتغمدهم الله برحمته وهو ظاهر قول ابن عباس وابن جبير والضمير في قوله ماصنعوا فيها الظاهر انه عائد على الآخرة والمجرور متعلق بحبط والمعنى وظهر حبوط ماصنعوا في الآخرة ويجوز أن تتعلق بقوله صنعوا فيكون عائدا على الحياة الدنيا كما عاد عليها في فيها قبل وما في ماصنعوا بمعنى الذي أو مصدرية وباطل وما بعده توكيد لقوله وحبط ماصنعوا او باطل خبر مقدم ان كان من عطف الجمل وما كانوا هو المبتدأ وان كان خبرا بعد خبر ارتفع ما بباطل على الفاعلية * وقرأ زيد بن علي وبطل جعله فعلا ماضيا * وقرأ أبي وابن مسعود وباطلا بالنصب وخرجه صاحب اللوامح على انه مفعول ليعملون فهو معمول خبر كان متقدما وما زائدة أي وكانوا يعملون باطلا وفي جواز هذا التركيب خلاف بين النحويين وهو أن يتقدم معمول الخبر على الجملة بأسرها من كان اسمها وخبرها ويشهد للجواز قوله تعالى أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ومن منع تأول * وأجاز الزمخشري أن ينتصب باطلا على معنى المصدر على بطل بطلانا كما كانوا يعملون فتكون ما فاعلة وتكون من إعمال المصدر الذي هو بدل من الفعل في غير الاستفهام والامر وحق أن يبطل أعمالهم لانها لم تعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له * أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون * لما ذكر حال من يريد الحياة الدنيا ذكر حال من يريد وجه الله تعالى بأعماله الصالحة وحذف المعادل الذي دخلت عليه الهمزة والتقدير كمن يريد الحياة الدنيا وكثيرا ما حذف في القرآن كقوله أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقوله أمن هو قانت آناء الليل وهذا استفهام معناه التقرير * قال الزمخشري أي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا وأراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه أي على برهان من الله تعالى وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد منه أي شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله أو شاهد من القرآن ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة أي ويتلو ذلك أيضا من قبل القرآن كتاب موسى * وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على ان القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد منه شاهد ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلوه ومن قبل التوراة اماما كتابا مؤتما في الدين قدوة فيه انتهى * وقيل في أفمن كان المؤمنون بالرسول

ما بباطل على الفاعلية * أفمن كان على بينة من ربه * لما ذكر حال من يريد الحياة الدنيا ذكر حال من يريد وجه الله بأعماله الصالحة وحذف المعادل الذي دخلت عليه الهمزة والتقدير كمن يريد الحياة الدنيا وكثيرا ما حذف في القرآن كقوله أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وأراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة أي على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل * ويتلوه * ويتبع ذلك البرهان * شاهد منه * أي شاهد بصحته وهو القرآن منه أي من الله تعالى أو شاهد من القرآن * ومن قبله * أي ومن قبل القرآن * كتاب موسى * وهو التوراة أي ويتلو ذلك أيضا من قبل القرآن كتاب موسى والاشارة بأولئك الى من كان على بينة راعى معنى من فجمع * فالنار موعده * أي مكان وعده الذي يصير اليه وقال حسان

أوردتموها حياض الموت ضاحية
فالنار موعدها والموت لاقيها

*وقيل محمد صلى الله عليه وسلم خاصة * وقال علي بن أبي طالب وابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك محمد والمؤمنون جميعا والبينة القرآن أو الرسول والهاء للمبالغة والشاهد * قال ابن عباس والنخعي ومجاهد والضحاك وأبو صالح وعكرمة هو جبريل * وقال الحسن بن علي هو الرسول * وقال أيضا مجاهد هو ملك وكله الله يحفظ القرآن * قال ابن عطية ويحتمل أن يريد بهذه الالفاظ جبريل * وقيل هو علي بن أبي طالب * وروى المنهال عن عبادة بن عبد الله قال علي كرم الله وجهه ما في قريش أحد الا وقد نزلت فيه آية قيل فما نزل فيك قال ويتلوه شاهد منه وبه قال محمد بن علي وزيد ابن علي * وقيل هو الانجيل قاله الفراء * وقيل هو القرآن وقيل هو اعجاز القرآن قاله الحسين بن الفضل * وقيل صورة الرسول صلى الله عليه وسلم ووجهه ومخايله لان كل عاقل نظر اليه علم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقيل هو أبو بكر رضي الله تعالى عنه والضمير في منه يعود الى الذين أو الى الرسول أو الى القرآن ويتلوه بمعنى يتبعه أو يقرؤه والضمير المرفوع في يتلوه والمنصوب والمجرور في منه يترتب على ما يناسبه كل قول من هذه * وقرأ محمد بن السائب الكلبي وغيره كتاب موسى بالنصب عطفا على مفعول يتلوه أو باضمار فعل واذا اريد بالشاهد الانجيل فانما خص التوراة بالذكر لان الملتين مجتمعتان على انها من عند الله والانجيل يخالف فيه اليهود فكان الاستشهاد بما تقوم به الحجة على الفريقين أولى وهذا يجري مع قول الجن انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى ومع قول النجاشي ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة وانتصب اماما على الحال والذي يظهر في تفسير هذه الآية أنه تعالى لما ذكر الكفار وانهم ليس لهم الا النار أعقب بضدهم وهم المؤمنون وهم الذين على بينة من ربهم والشاهد القرآن ومنه عائد على ربه ويدل على ان الشاهد القرآن ذكر قوله ومن قبله أي ومن قبل القرآن كتاب موسى فمعناه انه تظافر على هدايته شيئان كونه على أمر واضح من برهان العقل وكونه يوافق ذلك البرهان هذين الكتابين الالهيين القرآن والتوراة فاجتمع له العقل والنقل والاشارة باولئك الى من كان على بينة راعى معنى من فجمع والضمير في به يعود الى التوراة أو الى القرآن أو الى الرسول ثلاثة أقوال والأحزاب جميع الملل قاله ابن جبير أو اليهود والنصارى قاله قتادة أو قريش قاله السدي أو بنو أمية وبنو المغيرة بن عبد الله المخزومي وآل أبي طلحة بن عبيد الله قاله مقاتل * وقال الزمخشري يعني أهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى فالنار موعده أي مكان وعده الذي يصيرون اليه وقال حسان

أوردتمونا حياض الموت ضاحية * فالنار موعدها والموت لاقيها

والضمير في منه عائد على القرآن * وقيل على الخبر بأن الكفار موعدهم النار * وقرأ الجمهور في مرية بكسر الميم وهي لغة الحجاز * وقرأ السلمي وأبو رجاء وأبو الخطاب السدوسي والحسن بضمها وهي لغة أسد وتميم والناس أهل مكة قاله ابن عباس أو جميع الكفار من شاك وجاهل ومعاند قاله صاحب الغنيان ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين * الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون * أولئك الذين خسروا

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ تقدم تفسير نظير هذه الجملة والاشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب أو جمع شهيد كشريف وأشراف والاشهاد الملائكة الذين يحفظون عليهم أعمالهم في الدنيا وفي قوله هؤلاء اشارة الى تحقيرهم واصغارهم بسوء مرتكبهم وفي قوله على ربهم أي على من يحسن اليهم ويملك نواصيهم وكانوا جديرين بأن لا يكذبوا عليه ﴿من أولياء﴾ اسم لكان ومن زائدة والضمير في ما كانوا عائد على أولياء ومعنى انه من لا يستطيع أن يسمع ولا يبصر فكيف يصلح للولاية ويكون يضاعف لهم العذاب اعتراضا وقيل ما مصدرية أي يضاعف لهم العذاب مدة استطاعتهم وابصارهم والمعنى ان العذاب وتضعيفه دائم لهم متمادو ﴿خسروا

أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون* لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ لما سبق قولهم أم يقولون افتراه ذكر انه لا أحد اظلم ممن افترى على الله كذبا وهم المفترون الذين نسبوا الى الله الولد واتخذوا معه آلهة وحرموا وحللوا من غير شرع الله وعرضهم على الله بمعنى التشهير لخزيهم والاشارة بكذبهم والا فالطائع والعاصي يعرضون على الله وعرضوا على ربك صفا والاشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب أو جمع شهيد كشريف وأشراف والأشهاد الملائكة الذين يحفظون عليهم أعمالهم في الدنيا أو الأنبياء أو هما والمؤمنون أو ما يشهد عليهم من أعضائهم أقوال وفي قوله هؤلاء اشارة الى تحقيرهم واصغارهم بسوء مرتكبهم وفي قوله على ربهم أي على من يحسن اليهم ويملك نواصيهم وكانوا اجدرين أن لا يكذبوا عليه وهذا كما تقول اذا رأيت مجرما هذا الذي فعل كذا وكذا وتقدم تفسير الجملة بعد هذا وهم تأكيد لقوله وهم وقوله معجزين أي كانوا لا يعجزون الله في الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم وما كان لهم من ينصرهم ويمنعهم من العقاب ولكنه أراد انظارهم وتأخير عقابهم الى هذا اليوم* قال الزمخشري وهو كلام الاشهاد يعني ان كلامهم من قولهم هؤلاء الى آخر هذه الجملة التي هي وما كان لهم من دون الله من أولياء وقد يظهر أن قوله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين من كلام الله تعالى لا على سبيل الحكاية ويدل لقول الزمخشري قوله فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الآية فكأنه من كلام المخلوقين في تلك الآية فكذلك هنا يضاعف لهم العذاب يشدد ويكثر وهذا استئناف اخبار عن حالهم في الآخرة لأنهم جمعوا الى الكفر بالبعث الكذب على الله وصد عباده عن سبيل الله وبغي العوج لها وهي الطريقة المستقيمة ما كانوا يستطيعون السمع اخبار عن حالهم في الدنيا على سبيل المبالغة يعني السمع للقرآن ولما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وما كانوا يبصرون أي ينظرون اليه لبغضهم فيه ألا ترى الى حشو الطفيل بن عمرو أذنيه من الكرسف واباية قريش أن يسمعوا ما نقل اليهم من كلام الرسول حتى تردهم عن ذلك مشيختهم أو اخبار عن حالهم اذ اضعف لهم العذاب أي انه تعالى حتم عليهم بذلك فهم لا يسمعون لذلك سماعا ينتفعون به ولا يبصرون لذلك* وقيل الضمير في كانوا عائد على أوليائهم آلهتهم أي فما كان لهم في الحقيقة من أولياء وان كانوا يعتقدون انهم أولياء ويعني انه من لا يستطيع أن يسمع ولا يبصر فكيف يصلح للولاية ويكون يضاعف لهم العذاب اعتراضا وما على هذه الأقوال نفي * وقيل مامصدرية أي يضاعف لهم العذاب مدة استطاعتهم السمع وأبصارهم والمعنى ان العذاب وتضعيفه دائم لهم متماد وأجاز الفراء أن تكون مامصدرية وحذف حرف الجر منها كما يحذف مع ان وان أختيها وهذا فيه بعد في اللفظ وفي المعنى* وقال الزمخشري أراد انهم لفرط تصامهم عن اتباع الحق وكراهتهم له كأنهم لا يستطيعون السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه فيوعوع به على أهل العدل كأنه لم يسمع الناس يقولون في كل لسان هذا الكلام لا أستطيع أسمعه وهذا مما يمجه سمعي انتهى يعني أنه يمكن أن يستدل به على أن العبد لا قدرة له لأن الله تعالى قد نفى عنه استطاعة السمع واذا انتفت الاستطاعة منه انتفت قدرته والزمخشري على عادته في السفه على أهل السنة وخسرانهم أنفسهم كونهم اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى نخسروا في تجارتهم خسرانا لا خسران أعظم منه وهو على حذف مضاف أي راحة أوسعادة أنفسهم والا فأنفسهم باقية معذبة وبطل عنهم ما افتروه من عبادة الآلهة وكونهم يعتقدون شفاعتها اذ رأوا انها لا تشفع ولا تنفع لا جرم مذهب الخليل وسيبويه انهما ركبا من لا وجرم وبنيا والمعنى حق وما بعده رفع به على الفاعلية

مبنية مع لا على الفتح نحو قولك لا رجل ومعناها لا بد ولا محالة وقال الكسائي معناها لا صد ولا منع فتكون اسم لا وهي مبنية على الفتح

لأعظم منه وهو على حذف مضاف أي راحة وسعادة أنفسهم﴿لا جرم﴾ مذهب الخليل وسيبويه انهما ركبا من لا وجرم وبنيا والمعنى حق وما بعده رفع به على الفاعلية وقال الكسائي معناها لا صد ولا منع فيكون اسم لا وهي مبنية على الفتح وقال قوم ان جرم مبنية مع لا على الفتح نحو قولك لا رجل ومعناها لا بد ولا محالة وهو شبيه بقول الكسائي فيكون انهم على اسقاط حرف الجر اذ صار التقدير لا بد من أن لهم النار أي من كينونة النار لهم ولما كان خسران النفس أعظم الخسران حكم عليهم بانهم هم الزائدون في الخسران على كل خاسر من سواهم

(الدر)

(ح) لا جرم انهم في الآخرة هم الأخسرون مذهب الخليل وسيبويه في لا جرم انهما ركبا من لا وجرم وبنيا والمعنى حق وما بعده رفع به على الفاعلية وقال الحوفي جرم تنتي بلا بمعنى حق وهو مبني مع لا في موضع رفع على الابتداء وانهم في موضع رفع على خبر جرم وقال قوم ان جرم

هذه المقابلة فى قوله فى طه ان لك أن لاتجوع فيها ولا تعرى وأنك لاتظمأ فيها ولا تضحى واحتمل أن تكون الكاف نفسها هى خبر المبتدأ فيكون معناها معنى المثل فكأنه قيل مثل الفريقين مثل الاعمى واحتمل أن يراد بالمثل الصفة و بالكاف مثل فيكون على حذف مضاف أى كمثل الاعمى وهذا التشبيه تشبيه معقول بمحسوس فأعمى البصيرة أصمها شبه بأعمى البصر أصم السمع ذلك فى ظلمات الضلالات متردد تائه وهذا فى الطرقات محير لايهتدى اليها وجاء أفلا تذكرون لينبه على أنه يمكن زوال هذا العمى وهذا الصمم المعقول فيجب على العاقل أن يتذكر ماهو فيه و يسعى فى هداية نفسه وانتصب مثلا على التمييز * قال ابن عطية و يجوز أن يكون حالا انتهى وفيه بعد والظاهر التمييز وأنه منقول من الفاعل أصله هل يستوى مثلاهما ﴿ولقد أرسلنا نوحا الى قومه إنى لكم نذير مبين * أن لاتعبدوا الا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم * فقال الملأ الذين كفروا من قومه مانراك الا بشرا مثلنا ومانراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى ومانرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين﴾ هذه السورة فى قصصها شبيهة بسورة الأعراف بدئ فيها بنوح ثم بهود ثم بصالح ثم بلوط مقدما عليه ابراهيم بسبب قوم لوط ثم بشعيب ثم بموسى وهارون صلى الله على نبينا وعليهم أجمعين وذكروا وجوه حكم وفوائد لتكرار هذه القصص فى القرآن * وقرأ النحويان وابن كثير انى بفتح الهمزة أى بأنى و باقى السبعة بكسرها على اضمار القول * وقال أبو على فى قراءة الفتح خروج من الغيبة الى المخاطبة قال ابن عطية وفى هذا نظر وانما هى حكاية مخاطبة لقومه وليس هذا حقيقة الخروج من غيبة الى مخاطبة ولو كان الكلام ان أنذرهم أو نحوه لصح ذلك انتهى وان لا تعبدوا الا الله ظاهر فى أنهم كانوا يعبدون الاوثان كما جاء مصرحا فى غير هذه السورة وأن بدل من أنى لكم فى قراءة من فتح و يحتمل أن تكون ان المفسرة وأما فى قراءة من كسر فيحتمل أن تكون المفسرة والمراعى قبلها اما أرسلنا واما نذير مبين و يحتمل أن تكون معمولة لأرسلنا أى بأن لا تعبدوا الا الله و إسناد الالم الى اليوم مجاز لوقوع الالم فيه لابه * قال الزمخشرى (فان قلت) فاذا وصف به العذاب (قلت) مجازى مثله لأن الأليم فى الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهاره صائم انتهى وهذا على أن يكون أليم صفة مبالغة من آلم وهو من كثر ألمه فان كان أليم بمعنى مؤلم فنسبته لليوم مجاز وللعذاب حقيقة لما أنذرهم من عذاب الله وأمرهم بافراده بالعبادة وأخبرانه رسول من عند الله ذكروا أنه مماثلهم فى البشرية واستبعدوا أن يبعث الله رسولا من البشر وكأنهم ذهبوا الى مذهب البراهمة الذين ينكرون نبوة البشر على الاطلاق ثم عيروه بأنه لم يتبعه الا الاراذل أى فنحن لانساويهم ثم نفوا أن يكون له عليهم فضل أى أنت مساو ينا فى البشرية ولا فضل لك علينا فكيف امتزت بأنك رسول الله وفى قوله الا الذين هم أراذلنا مبالغة فى الاخبار وكأنه مؤذن بتأكيد حصر من اتبعه وانهم هم الاراذل لم يتشركهم شريف فى ذلك وفى الحديث انهم كانوا حاكة وحجامين * وقال النحاس هم الفقراء والذين لاحسب لهم والخسيسو الصناعات وفى حديث هرقل أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فقال بل ضعفاؤهم فقال هم اتباع الرسل قبل وانما كان كذلك لاستيلاء الرئاسة على الاشراف وصعوبة الانفكاك عنها والأنفة من الانقياد لغيرهم والفقير خلى عن تلك الموانع فهو سريع الى الاجابة والانقياد ونراك يحتمل أن تكون بصرية وأن تكون علمية هالوا وأراذل جمع الجمع فقيل جمع أرذل ككلب وأكلب وأكالب * وقيل جمع ارذال وقياسه أراذيل والظاهر انه جمع أرذل التى هى أفعل التفضيل وجاء جمعا كما جاء أكابر

﴿ولقد أرسلنا نوحا﴾ الآية

﴿أن لاتعبدوا الا الله﴾ ظاهر فى أنهم كانوا يعبدون الاوثان كما جاء مصرحا به فى غير هذه السورة وان بدل من انى لكم فى قراءة من فتح و يحتمل أن تكون أن المفسرة وأما فى قراءة من كسر فيحتمل أن تكون المفسرة والمراعى قبلها اما أرسلنا و إما نذير مبين و يحتمل أن تكون معمولة لأرسلنا أى بان لاتعبدوا الا الله وذكروا فى بادى الرأى أنه منصوب على الظرف والظاهر أن العامل فيه اتبعك وان كان الظرف جائيا بعد الا والمعنى اتبعك فى بادئ رأيهم أراذلنا وقرئ بادئ الرأى من بدأ يبدأ ومعناه أول الرأى وقرئ بادى بالياء من بدا يبدو ومعناه ظاهر الرأى

مجرميها وأحاسنكم اخلاقا * وقال الزمخشري ماتراك الابشرا مثلنا تعريض بأنهم أحق منه بالنبوة
وان الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب أنك واحد من الملأ وموازيهم في
المنزلة فما جعلك أحق منهم ألا ترى الى قولهم ومانرى لكم علينا من فضل أو أرادوا أنه كان ينبغي أن
يكون ملكا لابشرا ولا يظهر ماقاله الزمخشري من الآية وقرأ أبو عمرو وعيسى الثقفي بادئ الرأي
من بدأ يبدأ ومعناه أول الرأي * وقرأ باقي السبعة بادي بالياء من بدا يبدو ومعناه ظاهر الرأي * وقيل
بادي بالياء معناه بادئ بالهمز فسهلت الهمزة بابدالها ياء لكسر ماقبلها وذكروا انه منصوب على
الظرف والعامل فيه نراك أو اتبعك أو أراذلنا أي ومانراك فيما يظهر لنا من الرأي أو في أول رأينا أو
ومانراك اتبعك أول رأيهم أو ظاهر رأيهم واحتمل هذا الوجه معنيين أحدهما أن يريد اتبعك في
ظاهر أمرهم وعسى أن تكون بواطنهم ليست معك والمعنى الثاني ان يريد اتبعوك بأول نظر
وبالرأي البادئ دون تعقب ولو تثبتوا لم يتبعوك وفي هذا الوجه ذم الرأي غير المروي * وقال
الزمخشري اتبعوك أول الرأي أو ظاهر الرأي وانتصابه على الظرف أصله وقت حدوث أول أمرهم
أو وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف ذلك وأقيم المضاف اليه مقامه أرادوا أن اتباعهم لك انما هو شيء
عن لهم بديهة من غير روية ونظر انتهى وكونه منصوبا على الظرف هو قول أبي علي في الحجة وانما
حمله على الظرف وليس بزمان ولا مكان لأن في مقدرة فيه أي في ظاهر الأمر أو في أول الأمر وعلى
هذين التقديرين أعني أن يكون العامل فيه نراك أو اتبعك يقتضي أن لا يجوز ذلك لأن مابعد الا
لا يكون معمولا لما قبلها الا ان كان مستثنى منه نحو قام الا زيدا القوم أو مستثنى نحو جاء القوم الا
زيدا أو تابعا للمستثنى منه نحو ماجاءني أحد الا زيدا أخبرني عمرو وبادئ الرأي ليس واحدا من هذه
الثلاثة * وأجيب بأنه ظرف أو كالظرف مثل جهد رأي انك ذاهب أي انك ذاهب في جهد رأي
والظروف يتسع فيها واذا كان العامل أراذلنا فمعناه الذين هم أراذلنا بأدل نظر فيهم وببادئ الرأي
يعلم ذلك منهم * وقيل بادي الرأي نعت لقوله بشرا * وقيل انتصب حالا من ضمير نوح في اتبعك
أي وأنت مكشوف الرأي لاحصافة لك * وقيل انتصب على النداء لنوح أي يابادي الرأي أي مافي
نفسك من الرأي ظاهر لكل أحد قالوا ذلك تعجيزا له * وقيل انتصب على المصدر وجاء الظرف
والمصدر على فاعل وليس بالقياس فالرأي هنا اما من رؤية العين واما من الفكر * قال الزمخشري
وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم في الاسباب الدنيوية لأنهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون
الا ظاهرا من الحياة الدنيا فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال انتهى وظاهر الخطاب في لكم
شامل لنوح ومن اتبعه والمعنى ليس لكم علينا زيادة في مال ولا نسب ولا دين * وقال ابن عباس
في الخلق والخلق * وقيل بكثرة الملك والملك * وقيل بمتابعتكم نوحا ومخالفتكم لنا * وقيل من
شرف يؤهلكم للنبوة * وقال الكلبي نظنكم نتيقنكم * وقال مقاتل نحسبكم أي في دعوى
نوح وتصديقكم * وقال صاحب العتيان بل نظنكم كاذبين توسلا الى الرئاسة والشهرة ﴿قال
ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها
كارهون﴾ لما حكى شبههم في انكار نبوة نوح عليه السلام وهي قولهم ماتراك الا بشرا مثلنا
ذكر أن المساواة في البشرية لاتمنع من حصول المفارقة في صفة النبوة والرسالة ثم ذكر الطريق
الدال على امكانه على جهة التعليق والامكان وهو متيقن انه على بينة من معرفة الله وتوحيده وما
يجب له ومايمتنع ولكنه أبرزه على سبيل العرض لهم والاستدراج للاقرار بالحق وقيام الحجة على

﴿قال ياقوم﴾ لما حكى شبههم في انكار نبوته عليه السلام وهي قولهم ماتراك الا بشرا ذكر أن المساواة في البشرية لاتمنع من حصول المفارقة في صفة النبوة والرسالة ثم ذكر الطريق الدال على امكانه على جهة التعليق والامكان وهو متيقن أنه على بينة من ربه ومن معرفته وتوحيده ومايجب له وما يمتنع لكنه أبرزه في طريق الشرط والجزاء على سبيل الفرض لهم والاستدراج للاقرار بالحق وقيام الحجة على الخصم والبينة البرهان والشاهد بصحة دعواه ﴿ورحمة﴾ قال ابن عباس الرحمة النبوة ﴿فعميت﴾ قرئ مبنيا للفاعل وقرئ فعميت مبنيا للمفعول مع شد الميم والظاهر أن الضمير عائد على البينة وبذلك يحصل الذم لهم من أنه أتى بالمعجزة الجليلة الواضحة وانها على وضوحها واستنارتها خفيت عليهم ﴿أنلزمكموها﴾ تعدى لمفعولين أحدهما ضمير الخطاب والثاني ضمير الغيبة واتصاله أفصح ويجوز في الكلام انفصاله فتقول أنلزمكم اياها

الخصم ولو قال علي اني على حق من ربي لقالوا له كذبت كقوله أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله الآية فقال فيها وان يك كاذبا فعليه كذبه والبينة البرهان والشاهد بصحة دعواه ابن عباس الرحمة والنبوة مقاتل الهداية غيرهما التوفيق والنبوة والحكمة والظاهر ان البينة غير الرحمة فيجوز أن يراد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة ويجوز ان تكون البينة هي الرحمة ومن عنده تأكيد وفائدته رفع الاشتراك ولو بالاستعارة فعميت عليكم الظاهر ان الضمير عائد على البينة وبذلك يحصل الذم لهم من أنه أتى بالمعجزة الجلية الواضحة وانها على وضوحها استتارتها خفيت عليهم وذلك بأنه تعالى سلبهم علمها ومنعهم معرفتها فان كانت الرحمة هي البينة فعود الضمير مفردا ظاهر وان كانت غيرها كما اخترناه فقوله وآتاني رحمة من عنده اعتراض بين المتعاطفين * قال الزمخشري حقه ان يقال فعميتا (قلت)الوجه أن يقدر فعميت بعد البينة وان يكون حذفه للاقتصار على ذكره فتلخص ان الضمير يعود اما على البينة واما على الرحمة واما عليهما باعتبار انهما واحد ويقول للسحاب العماء لانه يخفي مافيه كما يقال له الغمام لانه يغمه * وقيل هذا من المقلوب فعميتم أنتم عنها كما تقول العرب أدخلت القلنسوة في رأسي ومنه قول الشاعر

* ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه * قال أبو علي وهذا مما يقلب اذ ليس فيه اشكال وفي القرآن فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله انتهى والقلب عند أصحابنا مطلقا لا يجوز الا في الضرورة وأما قول الشاعر فليس من باب القلب بل من باب الاتساع في الظرف وأما الآية فأخلف يتعدى الى مفعولين ولكان يضيف الى أيهما شئت فليس من باب القلب ولو كان فعميت عليكم من باب القلب لكان التعدي بعن دون على ألا ترى أنك تقول عميت عن كذا ولا تقول عميت على كذا * وقرأ الاخوان وحفص فعميت بضم العين وتشديد الميم مبنيا للمفعول أي أبهمت عليكم وأخفيت وباقي السبعة فعميت بفتح العين وتخفيف الميم مبنيا للفاعل * وقرأ أبي وعلي والسلمي والحسن والأعمش فعماها عليكم * وروى الأعمش عن أبي وثاب وعميت بالواو خفيفة * قال الزمخشري (فان قلت) فما حقيقته (قلت) حقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لأن الأعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد (فان قلت) فما معنى قراءة أبي (قلت) المعنى انهم صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه أنلزمكموها وأنتم لها كارهون يعني أنكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وأنتم تكرهونها ولا تختارونها ولا كراه في الدين انتهى وتوجيه قراءة أبي هو على طريقة المعتزلة وتقدم في سورة الأنعام الكلام على أرأيتم مشبعا وذكرنا ان العرب تعديها الى مفعولين أحدهما منصوب والثاني أغلب ما يكون جملة استفهامية تقول أرأيتك زيدا ما صنع وليس استفهاما حقيقيا عن الجملة وان العرب ضمنت هذه الجملة معنى أخبرني وقررنا هنالك ان قوله أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله انه من باب الاعمال تنازع على عذاب الله أرأيتكم يطلبه منصوبا وفعل الشرط يطلبه مرفوعا فأعمل الثاني وهذا البحث يتقرر هنا أيضا فمفعول أرأيتكم محذوف والتقدير أرأيتكم البينة من ربي ان كنت عليها أنلزمكموها فهذه الجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثاني لقوله أرأيتم وجواب الشرط محذوف يدل عليه أرأيتم وجيء بالضميرين متصلين في أنلزمكموها لتقدم ضمير الخطاب على ضمير الغيبة ولو انعكس لانفصل ضمير الخطاب خلافا لمن أجاز الاتصال * قال الزمخشري ويجوز أن يكون الثاني منفصلا

ولو انعكس لانفصل ضمير الخطاب خلافا لمن أجاز الاتصال (ش) ويجوز أن يكون الثاني منفصلا كقولك أنلزمكم اياها نحو فسيكفيكهم الله ويجوز فسيكفيك اياهم (ح) وهذا الذي قاله (ش) من جواز اتصال الضمير في أنلزمكموها هو نحو قول ابن مالك رحمه الله في التسهيل قال ونختار اتصال نحو هاء أعطيتكه وقال ابن أبي الربيع اذا قدمت ماله الرتبة اتصل لا غير تقول أعطيتكه قال تعالى أنلزمكموها وفي كتاب سيبويه ما يشهد له قال سيبويه فاذا كان المفعولان اللذان تعدى اليهما فعل الفاعل مخاطبا وغائبا فبدأت بالمخاطب قبل الغائب فان علامة الغائب العلامة التي لا تقع موقعها اياه وذلك قولك أعطيتكه وأعطاكه قال تعالى أنلزمكموها وأنتم لها كارهون فهذا هكذا اذا بدأت بالمخاطب قبل الغائب انتهى فهذا نص من سيبويه على ماقال ابن أبي الربيع خلافا للزمخشري وابن مالك ومن يسبقهما الى القول بذلك

﴿ وياقوم لاأسئلكم عليه مالا ﴾ الآية تلطف نوح عليه السلام بندائه اياهم بقوله وياقوم وياقوم استدراجالهم فى قبول كلامه كما تلطف مؤمن آل فرعون بقوله ياقوم ياقوم والضمير فى عليه عائد على الانذار وافراد الله تعالى بالعبادة المفهوم من قوله انى لكم نذير مبين أن لاتعبدوا الا الله وتقدم تفسير الجل الثلاثة فى الانعام وتزدرى تفتعل والدال بدل من التاء قال الشاعر

ترى الرجل النحيف فتزدريه * وفى أثوابه أسد هصور والعائد على الموصول محذوف أى تزدريهم أى تستحقرهم أعينكم و﴿ لن يؤتيهم ﴾ معمول لقوله ولاأقول وللذين معناه لاجل الذين ﴿ قد جادلتنا ﴾ الظاهر المبالغة فى الخصومة والمناظرة ﴿ فأتنا بما تعدنا ﴾ اشارة الى قوله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم وبما يجوز أن تكون موصولة بمعنى الذى وحذف العائد تقديره بما تعدنا به ويجوز أن تكون مصدرية أى بوعدك ايانا ﴿ قال انما يأتيكم به الله ان شاء ﴾ الآية أى ليس ذلك الى انما هو لله الذى يعاقبكم على عصيانكم ان شاء فعل ولما قالوا قد جادلتنا وطلبوا تعجيل العذاب وكان مجادلته لهم انما هو على سبيل النصح والانقاذ من عذاب الله تعالى قال ﴿ ولا ينفعكم نصحى ﴾ وهذان الشرطان اعتقب الاول منهما قوله

ولا ينفعكم نصحى وهو دليل على جواب الشرط تقديره ان أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحى والشرط الثانى اعتقب الاول وجوابه أيضا مادل عليه قوله ولا ينفعكم نصحى تقديره ان كان الله يريد أن يغويكم فلا ينفعكم نصحى وصار الشرط الثانى شرطا فى الاول وصار المتقدم متأخرا والمتأخر متقدما وكان التركيب ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم فلا ينفعكم نصحى وهو من حيث المعنى

كقولك أنلزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم الله ويجوز فسيكفيك اياهم وهذا الذى قاله الزمخشرى من جواز انفصال الضمير فى نحو أنلزمكموها هو نحو قول ابن مالك فى التسهيل * قال وتختار اتصال نحو هاء أعطيتكه * وقال ابن أبى الربيع اذا قدمت ماله الرتبة اتصل لاغير تقول أعطيتكه قال تعالى أنلزمكموها وفى كتاب سيبويه مايشهد له * قال سيبويه فاذا كان المفعولان اللذان تعدى اليهما فعل الفاعل مخاطبا وغائبا فبدأت بالمخاطب قبل الغائب فان علامة الغائب العلامة التى لايقع موقعها اياه وذلك قولك أعطيتكه وقد أعطاكه قال الله تعالى أنلزمكموها وأنتم لها كارهون فهذا كهذا اذا بدأت بالمخاطب قبل الغائب انتهى فهذا نص من سيبويه على ماقاله ابن أبى الربيع خلافا للزمخشرى وابن مالك ومن سبقهما الى القول بذلك * وقال الزمخشرى وحكى عن أبى عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوى سكونا والاسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لأن الحركة الاعرابية لايسوغ طرحها الا فى ضرورة الشعر انتهى وأخذه الزمخشرى من الزجاج * قال الزجاج أجمع النحويون البصريون على أنه لايجوز اسكان حركة الاعراب الا فى ضرورة الشعر فأما ماروى عن أبى عمرو فلم يضبطه عنه القراء وروى عنه سيبويه انه كان يخف الحركة ويختلسها وهذا هو الحق وانما يجوز الاسكان فى الشعر نحو قول امرىء القيس * فاليوم أشرب غير مستحقب * والزمخشرى على عادته فى تجهيل القراء وهم أجل من أن يلتبس عليهم الاختلاس بالسكون وقد حكى الكسائى والفراء أنلزمكموها باسكان الميم الأولى تخفيفا * قال النحاس ويجوز على قول يونس أنلزمكمها كما تقول أنلزمكم ذلك ويريد الزام جبر بالقتل ونحوه وأما الزام الايجاب فهو حاصل * وقال النحاس أنوجبها عليكم وقوله فى ذلك خطأ * قال ابن عطية وفى قراءة أبى بن كعب أنلزمكموها من شطر أنفسنا ومعناه من تلقاء أنفسنا * وروى عن ابن عباس أنه قرأ ذلك من شطر قلوبنا انتهى ومعنى شطر نحو وهذا على جهة التفسير لاعلى انه قرآن لمخالفته سواد المصحف ﴿ وياقوم لاأسألكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلون * وياقوم من ينصرنى من الله إن طردتهم أفلا تذكرون * ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما فى أنفسهم إنى إذا لمن الظالمين قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين * قال إنما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين * ولا ينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون ﴾ تلطف نوح عليه السلام بندائه بقوله وياقوم وياقوم استدراجا لهم فى قبول كلامه كما تلطف ابراهيم عليه السلام بقوله ياأبت ياأبت وكما تلطف مؤمن آل فرعون بقوله ياقوم ياقوم والضمير فى عليه عائد الى الانذار وافراد الله بالعبادة المفهوم من قوله لهم انى لكم نذير مبين

ألاتعبدوا الاالله * وقيل على الدين * وقيل على الدعاء الى التوحيد * وقيل على تبليغ الرسالة وكلها أقوال متقاربة والمعنى انكم وهؤلاء الذين اتبعونا سواء فى أن أدعوكم الى الله وانى لأبتغى عما ألقيه اليكم من شرائع الله مالا فلا يتفاوت حالكم وحالهم وأيضا فلعلهم ظنوا أنه يريد الاسترفاد منهم فنفاه بقوله لا أسألكم عليه مالا ان أجرى الا على الله فلا تحرموا أنفسكم السعادة الابدية بتوهم فاسد ثم ذكر انه قام بهؤلاء وصف يجب العكوف عليهم به والانضواء معهم وهو الايمان فلا يمكن طردهم وكانوا اسألوا منه طرد هؤلاء المؤمنين رفعا لانفسهم من مساواة أولئك الفقراء ونظير هذا ما اقترحت قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرد أتباعه الذين لم يكونوا من قريش * وقرئ بطارد بالتنوين قال الزمخشرى على الاصل يعنى ان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال أصله أن يعمل ولا يضاف وهذا ظاهر كلام سيبويه ويمكن أن يقال ان الاصل الاضافة لا العمل لانه قد اعتوره شبهان أحدهما شبه بالمضارع وهو شبهه بغير جنسه والآخر شبه بالاسماء اذا كانت فيها الاضافة فكان الحاقه بجنسه أولى من الحاقه بغير جنسه انهم ملاقوا ربهم ظاهره التعليل لانتفاء طردهم أى انهم يلاقون الله أى جزاءه فيوصلهم الى حقهم عندى ان ظلمتهم بالطرد * وقال الزمخشرى معناه انهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم أو يلاقونه فيجازيهم على ما فى قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لى منهم وما أعرف غيره منهم أو على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادى الرأى من غير نظر ولا تفكر وما على أن أشق على قلوبهم وأتعرف ذلك منهم حتى أطردهم ونحوه ولا تطرد الذين يدعون الآية أوهم مصدّقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة انتهى ووصفهم بالجهل لكونهم بنوا أمرهم على الجهل بالعواقب والاغترار بالظواهر أو لانهم يتسافلون على المؤمنين ويدعونهم أراذل من قوله * ألا لا يجهلن أحد علينا * أو تجهلون لقاء ربكم أو تجهلون انهم خير منكم أو وصفهم بالجهل فى هذا الاقتراح وهو طرد المؤمنين ونحوه من ينصرنى استفهام معناه لا ناصر لى من عقاب الله ان طردتهم عن الخير الذى قد قبلوه أو لاجل ايمانهم قاله الفراء وكانوا يسألونه أن يطردهم ليؤمنوا به أنفة منهم أن يكونوا معهم على سواء ثم وقفهم بقوله أفلا تذكرون على النظر المؤدّى الى صحة هذا الاحتجاج وتقدم تفسير الجمل الثلاث فى الأنعام وتزدرى تفتعل والدال بدل من التاء قال

ترى الرجل النحيف فتزدريه * وفى أثوابه أسد هصور

* وأنشد الفراء *

يباعده الصديق وتزدريه * حليلته وينهره الصغير

والعائد على الموصول محذوف أى تزدرونهم أى تستحقرهم أعينكم ولن يؤتيهم معمول لقوله ولا أقول وللذين معناه لأجل الذين ولو كانت اللام للتبليغ لكان القياس لن يؤتيكم بكاف الخطاب أى ليس احتقاركم اياهم ينقص ثوابهم عند الله ولا يبطل أجورهم الله أعلم بما فى أنفسهم تسليم لله أى لست أحكم عليهم بشئ من هذا وانما الحكم بذلك لله تعالى الذى يعلم ما فى أنفسهم فيجازيهم عليه * وقيل هو رد على قولهم اتبعك أراذلنا أى لست أحكم عليهم بأن لا يكون لهم خير لظنكم بهم ان بواطنهم ليست كظواهرهم الله عز وجل أعلم بما فى نفوسهم انى لو فعلت ذلك لمن الظالمين وهم الذين يضعون الشئ فى غير مواضعه قد جادلتنا الظاهر المبالغة فى الخصومة والمناظرة * وقال الكلبى دعوتنا * وقيل وعظتنا * وقيل أتيت بأنواع الجدال وفنونه فاصح دعواك * وقرأ ابن عباس فأكثرت

(الدر)

(ش) وقرئ بطارد بالتنوين على الاصل (ح) يعنى ان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال أصله أن يعمل ولا يضاف وهذا ظاهر كلام سيبويه ويمكن أن يقال ان الأصل الاضافة لا العمل لأنه قد اعتوره شبهان أحدهما شبه بالمضارع وهو شبه بغير جنسه والآخر شبه بالاسماء اذا كانت فيها الاضافة فكان الحاقه بجنسه أولى من الحاقه بغير جنسه

جدلنا كقوله وكان الانسان أكثر شيء جدلا فأتنا بما تعدنا من العذاب المعجل وما بمعنى الذى والعائد محذوف أى بما تعدناه أو مصدرية وانما كثرت مجادلته لهم لأنه أقام فيهم ما أخبر الله به ألف سنة الا خمسين عاما وهو كل وقت يدعوهم الى الله وهم يجيبونه بعبادتهم أصنامهم قال انما يأتيكم به الله أى ليس ذلك الىّ انما هو للاله الذى يعاقبكم على عصيانكم ان شاء أى ان اقتضت حكمته أن يعجل عذابكم وأنتم فى قبضته لا يمكن أن تفلتوا منه ولا أن تمتنعوا ولما قالوا قد جادلتنا وطلبوا تعجيل العذاب وكان مجادلته لهم انما هو على سبيل النصح والانقاذ من عذاب الله قال ولا ينفعكم نصحى * وقرأ عيسى بن عمر الثقفى نصحى بفتح النون وهو مصدر * وقراءة الجماعة بضمها فاحتمل أن يكون مصدرا كالشكر واحتمل أن يكون اسما وهذان الشرطان اعتقب الأول منهما قوله ولا ينفعكم نصحى وهو دليل على جواب الشرط تقديره ان أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحى والشرط الثانى اعتقب الشرط الأول وجوابه أيضا ما دل عليه قوله ولا ينفعكم نصحى تقديره ان كان الله يريد أن يغويكم فلا ينفعكم نصحى وصار الشرط الثانى شرطا فى الأول وصار المتقدم متأخرا والمتأخر متقدما وكأن التركيب ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم فلا ينفعكم نصحى وهو من حيث المعنى كالشرط اذا كان بالفاء نحو ان كان الله يريد أن يغويكم فان أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحى ونظيره وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان أراد النبى أن يستنكحها * وقال الزمخشرى قوله ان كان الله يريد أن يغويكم جزاؤه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحى وهذا الدليل فى حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط فى قوله ان أحسنت الىّ أحسنت اليك ان أمكننى * وقال ابن عطية وليس نصحى لكم بنافع ولا ارادتى الخير لكم مغنية اذا كان الله تعالى قد أراد بكم الاغواء والاضلال والاهلاك والشرط الثانى اعتراض بين الكلام وفيه بلاغة من اقتران الارادتين وان ارادة البشر غير مغنية وتعلق هذا الشرط هو بنصحى وتعلق الآخر هو بلا ينفع انتهى وكذا قال أبو الفرج بن الجوزى قال جواب الأول النصح وجواب الثانى النفع والظاهر ان معنى يغويكم يضلكم من قوله غوى الرجل يغوى وهو الضلال وفيه اسناد الاغواء الى الله فهو حجة على المعتزلة اذ يقولون ان الضلال هو من العبد * وقال الزمخشرى اذا عرف الله من الكافر الاصرار فخلاه وشأنه ولم يلجئه سمى ذلك اغواء واملاء كما انه اذا عرف منه ان يتوب ويرعوى فلطف به سمى ارشادا وهداية انتهى وهو على طريقة الاعتزال ونصوا على انه لا يوصف الله بأنه عارف فلا ينبغى أن يقال اذا عرف الله كما قال الزمخشرى وللمعتزلى أن يقول لا يتعين أن تكون ان شرطية بل هى نافية والمعنى ما كان الله يريد أن يغويكم ففى ذلك دليل على نفى الاضلال عن الله تعالى ويكون قوله ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح اخبار منه لهم وتعزية لنفسه عنهم لما رأى من اصرارهم وتماديهم على الكفر * وقيل معنى يغويكم يهلككم والغوى المرض والهلاك وفى لغة طيء أصبح فلان غاويا أى مريضا والغوى بشم الفصيل وقاله يعقوب فى الاصلاح * وقيل فقده اللبن حتى يموت جوعا قاله الفراء وحكاه الطبرى يقال منه غوى يغوى وحكى الزهراوى انه الذى قطع عنه اللبن حتى كاد يهلك أو لما يهلك بعد * قال ابن الانبارى وكون معنى يغويكم يهلككم قول مرغوب عنه وأنكر مكى أن يكون الغوى بمعنى الهلاك موجودا فى لسان العرب وهو محجوج بنقل الفراء وغيره واذا كان معنى يغويكم يهلككم فلا حجة فيه لا لمعتزلى ولا لسنى بل الحجة من غير هذا ومعناه انكم اذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التى لا تنفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر ألطافه كيف ينفعكم نصحى

وفي قوله هو ربكم تنبيه على المعرفة بالخالق وانه الناظر في مصالحكم ان شاء أن يغويكم وان شاء أن يهديكم وفي قوله واليه ترجعون وعيد وتخويف ﴿ أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وأنا بريء مما تجرمون ﴾ قيل هذه الآية اعترضت في قصة نوح والاخبار فيها عن قريش يقولون ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي افترى القرآن وافترى هذا الحديث عن نوح وقومه ولو صح ذلك بسند صحيح لوقف عنده ولكن الظاهر ان الضمير في يقولون عائد على قوم نوح أي بل أيقولون افترى ما أخبرهم به من دين الله وعقاب من أعرض عنه فقال عليه السلام قل ان افتريته فعلي اثم اجرامي والاجرام مصدر أجرم ويقال أجرم وهو الكثير وجرم بمعنى ومنه قول الشاعر

طريد عشيرة ورهين ذنب * بما جرمت يدي وجنى لساني

* وقرئ أجرامي بفتح الهمزة جمع جرم ذكره النحاس وفسر بآثامي ومعنى مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي وقيل مما تجرمون من الكفر والتكذيب ﴿ وأوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ﴾ قرأ الجمهور وأوحي مبنيا للمفعول أنه بفتح الهمزة * وقرأ أبو البرهسم وأوحى مبنيا للفاعل انه بكسر الهمزة على اضمار القول على مذهب البصريين وعلى اجراء أوحى مجرى قال على مذهب الكوفيين أيأسه الله من ايمانهم وانه صار كالمستحيل عقلا باخباره تعالى عنهم ومعنى الا من قد آمن أي من وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه ونهاه تعالى عن ابتئاسه بما كانوا يفعلون وهو حزنه عليهم في استكانة وابتأس افتعل من البؤس ويقال ابتأس الرجل اذا بلغه شيء يكرهه وقال الشاعر

وكم من خليل أو حميم رزئته * فلم نبتئس والرزء فيه جليل

﴿ وقال آخر ﴾

ما يقسم الله أقبل غير مبتئس * منه واقعد كريما ناعم البال

﴿ وقال آخر ﴾

فارس الخيل اذا ما ولولت * ربة الخدر بصوت مبتئس

﴿ وقال آخر ﴾

في مأتم كنعاج صا * رة يبتئسن بما لقينا

صارة موضع بما كانوا يفعلون من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام منهم واصنع عطف على فلا تبتئس بأعيننا بمرأى منا وكلاءة وحفظ فلا تزيغ صنعته عن الصواب فيها ولا يحول بين العمل و بينه أحد والجمع هنا كالمفرد في قوله ولتصنع على عيني وجمعت هنا لتكثير الكلاءة والحفظ وديمومتها * وقرأ طلحة بن مصرف بأعينا مدغمة ووحينا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع * وعن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر * قيل ويحتمل قوله بأعيننا أي بملائكتنا الذين جعلناهم عيونا على مواضع حفظك ومعونتك فيكون اللفظ هنا للجمع حقيقة وقول من قال معنى ووحينا بأمرنا لك أو بعلمنا ضعيف لان قوله واصنع الفلك مغن عن ذلك وفي الحديث كان زان سفينة نوح جبريل والزان القيم بعمل السفينة والذين ظلموا قوم نوح تقدم الى نوح أن لا يشفع فيهم فيطلب إمهالهم وعلل منع مخاطبته بأنه حكم عليهم بالغرق ونهاه عن سؤال الايجاب اليه كقوله يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك

كالشرط اذا كان بالفاء نحو ان كان الله يريد أن يغويكم فان أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي ﴿أم يقولون افتراه﴾ الآية الظاهر أن الضمير في يقولون عائد على قوم نوح أي بل أيقولون افتراه فيما أخبرهم به من دين الله وعقاب من أعرض عنه فقال عليه الصلاة والسلام ان افتريته فعلي اجرامي أي اثم اجرامي والاجرام مصدر أجرم ﴿ وأوحي الى نوح ﴾ الآية ﴿ فلا تبتئس ﴾ نهاه تعالى عن ابتئاسه وهو حزنه عليهم في استكانة وابتأس افتعل من البؤس ويقال ابتأس الرجل اذا بلغه شيء يكرهه قال الشاعر

وكم من خليل أو حميم رزئته *
فلم نبتئس والرزء فيه جليل

﴿واصنع﴾ عطف على فلا تبتئس ﴿ بأعيننا ﴾ بمرأى منا وكلاءة وحفظ ﴿ ووحينا ﴾ نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع وعن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله تعالى أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر

﴿ ويصنع الفلك ﴾ الآية هي حكاية حال ماضية والفلك السفينة قال ابن عباس الخشب من خشب الشمشار وهو البقص قطعه من جبل لبنان وسخريتهم منه لكونهم رأوه يبني السفينة ولم يشاهدوا قبلها سفينة بنيت قالوا يا نوح ما تصنع قال أبني بيتا يمشي على الماء فتعجبوا من قوله وسخروا منه وقالوا هذا الذي يزعم أنه نبي صار نجارا وكلما ظرف وما مصدرية ظرفية تقديره وكل وقت مرور سخروا منه والناصب لكل سخروا ﴿ فسوف تعلمون ﴾ تهديد بالغ والعذاب المخزي الغرق والعذاب المقيم عذاب الآخرة لانه دائم عليهم سرمد و ﴿من يأتيه﴾ مفعول بتعلمون ومن موصولة وتعدى تعلمون الى واحد استعمالا لها استعمال عرف في التعدية الى واحد قال ابن عطية وجائز أن تكون التعدية الى مفعولين واقتصر على الواحد انتهى ولا يجوز حذف الثاني اقتصارا لان أصله خبر مبتدأ ولا اختصارا هنا لأنه لا دليل على حذفه وحتى هنا غاية لقوله ويصنع الفلك ويصنع كما قلنا حكاية حال ماضية أى وكان يصنع الفلك الى أن جاء الوعد الموعود به والجملة من قوله وكلما مر عليه حال كانه قيل ويصنعها والحال انه كلما مروا وأمرنا واحد الامور أو مصدر أى أمرنا بالفوران أو للسحاب بالارسال والملائكة بالتصرف في ذلك وفار معناه انبعث بقوة والتنور وجه الارض والعرب تسميه تنورا قاله ابن عباس والتنور مستوقد النار ووزنه فعول عند أبي علي وهو أعجمي وليس بمشتق وقال ثعلب ووزنه تفعول من النور وأصله تنوور فهمزت الواو ثم خففت وشدد الحرف الذي قبله وقرئ من كل بالتنوين فيكون زوجين مفعولا بقوله احمل وقرئ بغير تنوين على الاضافة فيكون اثنين مفعول احمل وأهلك ومن معطوفان على المفعول قبله ولما كان المطر ينزل كأفواه القرب جعلت الوحوش تطلب وسط الارض هربا من الماء حتى اجتمعت عند السفينة فأمر الله أن يجعل فيها من الزوجين اثنين يعني ذكرا وأنثى ليبقى أصل النسل بعد الطوفان فروى انه كان يأتيه أنواع الحيوان فيضع يمينه على الذكر ويساره على الانثى وكانت السفينة ثلاث طبقات السفلى للوحوش والوسطى للطعام والشراب والعليا له ولمن آمن معه ﴿وما آمن معه الاقليل﴾ قال ابن عباس ثمانون رجلا وعنه ثمانون انسانا ثلاثة من بنيه سام وحام ويافث وثلاثة كنائن له ولما خرجوا من

وانهم آتيهم عذاب غير مردود * وقيل الذين ظلموا واعلة زوجته وكنعان ابنه ﴿و يصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه و يحل عليه عذاب مقيم * حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الاقليل ﴾ و يصنع الفلك حكاية حال ماضية والفلك السفينة ولما أمره تعالى بأن يصنع الفلك قال يارب ما أنا بنجار قال بلى ذلك بعيني فأخذ القدوم وجعلت يده لا تخطئ فكانوا يمرون به و يقولون هذا الذي يزعم انه نبي صار نجارا * وقيل كانت الملائكة تعلمه واستأجر أجراء كانوا ينحتون معه وأوحى الله اليه ان عجل عمل السفينة فقد اشتد غضبي على من عصاني وكان سام وحام و يافث ينحتون معه والخشب من الساج قاله قتادة وعكرمة والكلبي * قيل وغرسه عشرين سنة * وقيل ثلاثمائة سنة يغرس و يقطع و ييبس * وقال عمرو بن الحرث لم يغرسها بل قطعها من جبل لبنان * وقال ابن عباس من خشب الشمشار وهو البقص قطعة من جبل لبنان * واختلفوا في هيئتها من التربيع والطول وفي مقدار مدة عملها وفي المكان الذي عملت فيه ومقدار طولها وعرضها على أقوال متعارضة لم يصح منها شئ وسخريتهم منه لكونهم رأوه يبني السفينة ولم يشاهدوا قبلها سفينة بنيت قالوا يا نوح ما تصنع قال ابني بيتا يمشي على الماء فعجبوا من قوله وسخروا منه قاله مقاتل * وقيل لكونه يبني في قرية لا قرب لها من البحر فكانوا يتضاحكون و يقولون يا نوح صرت نجارا بعدما كنت نبيا وكلما ظرف العامل فيه سخروا منه وقال مستأنف على تقدير سؤال سائل وجوزوا أن يكون العامل قال وسخروا صفة لملا أو بدل من مر و يبعد البدل لان سخر ليس في معنى مر لا يرادفه ولا نوعا منه * قال ابن عطية وسخروا منه استجهلوه فان كان الأمر كما روى انهم لم يكونوا رأوا سفينة قط ولا كانت فوجه الاستجهال واضح و بذلك تظاهرت التفاسير وان كانت السفائن حينئذ معروفة فاستجهلوه في ان صنعها في قرية لا قرب لها من البحر انتهى فانا نسخر منكم في المستقبل كما تسخرون منا الآن أى مثل سخريتكم اذا أغرقتم في الدنيا وأحرقتم في الآخرة أو ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم فيما أنتم عليه من الكفر والتعريض لسخط الله وعذابه فأنتم أولى بالاستجهال منا قال قريبا من معناه الزجاج أو ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن

جهل بحقيقة الأمر و بناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق * وقال ابن جريج ان تسخروا منا في الدنيا فانا نسخر منكم في الآخرة والسخرية استجهال مع استهزاء وفي قوله فسوف تعلمون تهديد بالغ والعذاب المخزي الغرق والعذاب المقيم عذاب الآخرة لانه دائم عليهم سرمد ومن يأتيه مفعول بتعلمون وما موصولة وتعدى تعلمون الى واحد استعمالها استعمال عرف في التعدية الى واحد * وقال ابن عطية وجائز أن تكون التعدية الى مفعولين واقتصر على الواحد انتهى ولا يجوز حذف الثاني اقتصارا لان أصله خبر مبتدأ ولا اختصارا هنا لانه لا دليل على حذفه وتعنتهم بقوله من يأتيه * وقيل من استفهام في موضع رفع على الابتداء ويأتيه الخبر والجملة في موضع نصب وتعلمون معلق سدت الجملة مسد المفعولين * وحكى الزهراوي انه يقرأ ويحل بضم الحاء ويحل بكسرها بمعنى ويجب * قال الزمخشري حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه ومعنى يخزيه يفضحه أو يهلكه أو يذله وهو الغرق أقوال متقاربة حتى اذا جاء أمرنا تقدم الكلام على دخول حتى على اذا في أوائل سورة الأنعام وهي هنا غاية لقوله ويصنع الفلك ويصنع كما قلنا حكاية حال أي وكان يصنع الفلك الى أن جاء وقت الوعد الموعود والجملة من قوله وكلما مر عليه حال كأنه قيل ويصنعها والحال انه كلما مر وأمرنا واحد الأمور أو مصدر أي أمرنا بالفوران أو للسحاب بالارسال وللملائكة بالتصرف في ذلك ونحو هذا مما يقدر في النازلة وفار معناه انبعث بقوة والتنور وجه الأرض والعرب تسميه تنورا قاله ابن عباس وعكرمة والزهري وابن عيينة أو التنور الذي يخبز فيه وكان من حجارة وكان لحواء حتى صار لنوح قاله الحسن ومجاهد وروى أيضا عن ابن عباس * وقيل كان لآدم * وقيل كان تنور نوح أو أعلى الأرض والمواضع المرتفعة قاله قتادة أو العين التي بالجزيرة عين الوردة رواه عكرمة أو من أقصى دار نوح قاله مقاتل أو موضع اجتماع الماء في السفينة روى عن الحسن أو طلوع الشمس وروى عن علي أو نور الصبح من قولهم نور الفجر تنويرا قاله علي ومجاهد أو هو مجاز والمراد غلبة الماء وظهور العذاب كما قال صلى الله عليه وسلم لشدة الحرب حمي الوطيس والوطيس أيضا مستوقد النار فلا فرق بين حمي وفار اذ يستعملان في النار قال الله تعالى سمعوا لها شهيقا وهي تفور ولا فرق بين الوطيس والتنور والظاهر من هذه الأقوال حمله على التنور الذي هو مستوقد النار ويحتمل أن تكون أل فيه للعهد لتنور مخصوص ويحتمل أن تكون للجنس ففار الماء من التنانير وكان ذلك من أعجب الأشياء أن يفور الماء من مستوقد النيران ولا تنافي بين هذا وبين قوله وفجرنا الأرض عيونا اذ يمكن أن يراد بالأرض أماكن التنانير والتفجير غير الفوران فحصل الفوران للتنور والتفجير للارض والضمير في فيها عائد على الفلك وهو مذكر أنث على معنى السفينة وكذلك قوله وقال اركبوا فيها * وقرأ حفص من كل زوجين بتنوين كل أي من كل حيوان وزوجين مفعول واثنين نعت توكيد وباقي السبعة بالاضافة واثنين مفعول احمل وزوجين بمعنى العموم أي من كل ماله ازدواج هذا معنى من كل زوجين قاله أبو علي وغيره * قال ابن عطية ولو كان المعنى احمل فيها من كل زوجين حاصلين اثنين لوجب أن يحمل من كل نوع أربعة والزوج في مشهور كلام العرب للواحد مما له ازدواج فيقال هذا زوج هذا وهما زوجان وهذا هو المهيع في القرآن في قوله تعالى ثمانية أزواج ثم فسرها وفي قوله وانه خلق الزوجين الذكر والانثى * وقال الاخفش وقد يقال في كلام العرب للاثنين زوج هكذا تأخذه العدديون والزوج أيضا في كلام العرب النوع كقوله تعالى وأنبتنا فيها

السفينة بنواقرية تدعى اليوم قرية الثمانين بناحية الموصل

(الدر)

فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه (ح) من يأتيه مفعول بتعلمون ومن موصولة وتعدى تعلمون الى واحد استعمالها استعمال عرف في التعدية الى واحد (ع) وجائز أن تكون التعدية الى مفعولين واقتصر على الواحد انتهى (ح) ولا يجوز حذف الثاني اقتصارا لان أصله خبر مبتدأ ولا اختصارا هنا لانه لا دليل على حذفه

من كل زوج بهيج * وقال تعالى سبحان الذي خلق الازواج كلها انتهى ولما جعل المطر ينزل كأفواه القرب جعلت الوحوش تطلب وسط الأرض هربا من الماء حتى اجتمعن عند السفينة فأمره الله أن يحمل من الزوجين اثنين يعني ذكرا وأنثى ليبقى أصل النسل بعد الطوفان فروى أنه كان يأتيه أنواع الحيوان فيضع يمينه على الذكر ويساره على الأنثى وكانت السفينة ثلاث طبقات السفلى للوحوش والوسطى للطعام والشراب والعليا له ولمن آمن وأهلك معطوف على زوجين ان نون كل وعلى اثنين ان أضيف واستثنى من أهله من سبق عليه القول بالهلاك وأنه من أهل النار * قال الزمخشري سبق عليه القول أنه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته تعالى غير ذلك انتهى وهو على طريقة الاعتزال والذي سبق عليه القول امرأته واعلة بالعين المهملة وابنه كنعان ومن آمن عطف على وأهلك * قيل كانوا ثمانين رجلا وثمانين امرأة * وقيل كانوا ثلاثة وثمانين * وقال ابن عباس آمن معه ثمانون رجلا وعنه ثمانون انسانا ثلاثة من بنيه سام وحام ويافث وثلاث كنائن له ولما خرجوا من السفينة بنوا قرية تدعى اليوم قرية الثمانين بناحية الموصل * وقيل كانوا ثمانية وسبعين نصفهم رجال ونصفهم نساء * وقال ابن اسحاق كانوا عشرة سوى نسائهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة ناس من كان آمن به وأزواجهم جميعا وعن ابن اسحاق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة * وقيل كانوا تسعة نوح وثمانية أبناء له وزوجته * وقيل كانوا ثمانية نوح وزوجته غير التي عوقبت وبنوه الثلاثة وزوجاتهم وهو قول قتادة والحكم ابن عيينة وابن جريج ومحمد بن كعب * وقال الأعمش كانوا سبعة نوح وثلاث كنائن وثلاث بنين وهذه أقوال متعارضة والذي أخبر الله تعالى به أنه ما آمن معه الا قليل ولا يمكن التنصيص على عدد هذا النفر القليل الذي أبهم الله عدده الا بنص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم * وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين * قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين * وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين * ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين * قال يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني أعظك أن تكون من الجاهلين * قال رب اني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين * قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم * تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين * والى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ان أنتم الا مفترون * ياقوم لا أسألكم عليه أجرا ان أجري الا على الذي فطرني أفلا تعقلون * وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين * قالوا ياهود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين * ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال اني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون * اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم * فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا

﴿وقال اركبوا فيها﴾ الآية الضمير في وقال عائد على نوح عليه السلام أي وقال نوح حين أمر بالحمل في السفينة لمن آمن معه ومن آمن بحمله اركبوا فيها والظاهر انه خطاب لمن يعقل خاصة لأنه لا يليق بمن لا يعقل وعدى اركبوا بفي لتضمنه معنى صيروا فيها أو ادخلوا فيها والتقدير اركبوا الماء فيها والباء في بسم الله في موضع الحال أي متبركين باسم الله ومجراها ومرساها منصوبان إما على انهما ظرفا زمان أو مكان لانهما يجيئان لذلك أو ظرفا زمان على جهة الحذف كما حذف من جئتك مقدم الحاج أي وقت قدوم الحاج ويجوز أن يكون مجراها ومرساها مرفوعين على الابتداء وبسم الله الخبر ﴿وهي تجري بهم﴾ اخبار من الله بما جرى للسفينة وبهم حال أي ملتبسة بهم والمعنى تجري وهم فيها ﴿في موج كالجبال﴾ أي في موج الطوفان شبه كل موجة منه بجبل في تراكمها وارتفاعها وقوله في موج يدل على أن الموج كان ظرفا لهم وهم مظروفون فيه وكانت السفينة تسبح بهم في الماء كالسمكة ﴿ونادى نوح ابنه﴾ الواو لا ترتب وهذا النداء كان قبل جري السفينة في قوله وهي تجري بهم وفي إضافته اليه هنا وفي قوله ان ابني من أهلي ونداؤه دليل على أنه ابنه لصلبه قاله ابن عباس والضمير في كان عائد على ابنه وأدغم بعض القراء الباء في الميم في اركب معنا لاشتراكهما في أنهما من حروف الشفة ولذلك أبدلت في قول بعضهم باسمك يريدون ما اسمك وناداه بالتصغير خطاب تحنن ورأفة والمعنى اركب معنا في السفينة فتنجو ﴿ولا تكن مع الكافرين﴾ فتهلك وظن ابن نوح أن ذلك المطر والتفجر على العادة ولذلك ﴿قال سآوي الى جبل يعصمني﴾ أي من وصول الماء الي فلا أغرق وهذا يدل على تماديه في الكفر وعدم وثوقه بأبيه فيما أخبر قيل والجبل الذي عناه طور زيتا فلم يمنعه والظاهر ابقاء عاصم على حقيقته وانه نفى كل عاصم من أمر الله في ذلك الوقت وان من رحم يقع فيه من على المعصوم والضمير الفاعل يعود على الله تعالى وضمير الموصول محذوف ويكون الاستثناء منقطعا أي لكن من رحمه الله معصوم ﴿وحال بينهما الموج﴾ أي بينه وبين نوح صلى الله عليه وسلم قيل كانا يتراجعان الكلام فما استتمت المراجعة حتى جاءت موجة عظيمة وكان راكبا على فرس قد بطر وأعجب بنفسه فالتقمته وفرسه وحيل بينه وبين نوح فغرق

تنصرونه شيأ ان ربي على كل شئ حفيظ * ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ * وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد * وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة الا ان عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود * رسا الشئ يرسو ثبت واستقر * قال

فصبرت نفسا عند ذلك حرة * ترسو اذا نفس الجبان تطلع

البلع معروف والفعل منه بلع بكسر اللام وبفتحها لغتان حكاهما الكسائي والفراء يبلع بلعا والبالوعة الموضع الذي يشرب الماء * الاقلاع الامساك يقال أقلع المطر وأقلعت الحمى أي أمسكت عن المحموم * وقيل أقلع عن الشئ تركه وهو قريب من الامساك * غاض الماء نقص في نفسه وغضته نقصته جاء لازما ومتعديا * الجودي علم لجبل بالموصل ومن قال بالجزيرة أو بآمد فلأنهما قريبان من الموصل * وقيل الجودي اسم لكل جبل ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل

سبحانه ثم سبحانا يعود له * وقبلنا سبح الجودي والجمد

اعتراه بكذا أصابه به * وقيل افتعل من عراه يعروه * الناصية منبت الشعر في مقدم الرأس ويسمى الشعر النابت هناك ناصية باسم منبته ونصوت الرجل انصوه نصوا مددت ناصيته * الجبار المتكبر * العنيد الطاغي الذي لا يقبل الحق ولا يصغي اليه من عند يعند حاد عن الحق الى جانب * قيل ومنه عندي كذا أي في جانبي * وقال أبو عبيدة العنيد والعنود والمعاند والعاند المعارض بالخلاف ومنه قيل للعرق الذي ينفجر بالدم عاند ﴿وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾ الضمير في وقال عائد على نوح أي وقال نوح حين أمر بالحمل في السفينة لمن آمن معه ومن أمر بحمله اركبوا فيها * وقيل الضمير عائد على الله والتقدير وقال الله لنوح ومن معه ويبعد ذلك قوله ان ربي لغفور رحيم * قيل وغلب من يعقل في قوله اركبوا وان كانوا قليلا بالنسبة لما لا يعقل ممن حمل فيها والظاهر أنه خطاب لمن يعقل خاصة لانه لا يليق بما لا يعقل وعدى اركبوا بفي لتضمينه معنى صيروا فيها أو معنى ادخلوا فيها * وقيل التقدير اركبوا الماء فيها * وقيل في زائدة للتوكيد أي اركبوها والباء في بسم الله في موضع الحال أو

متبركين بسم الله ومجراها ومرساها منصوبان إما على أنهما ظرفا زمان أو مكان لأنهما يجيئان لذلك أو ظرفا زمان على جهة الحذف كما حذف من جئتك مقدم الحاج أى وقت قدوم الحاج فيكون مجراها ومرساها مصدران فى الأصل حذف منهما المضاف وانتصبا بما فى بسم الله من معنى الفعل ويجوز أن يكون باسم الله حالا من ضمير فيها ومجراها ومرساها مصدران مرفوعان على الفاعلية أى اركبوا فيها ملتبسا باسم الله اجراؤها وارساؤها أى ببركة اسم الله أو يكون مجراها ومرساها مرفوعين على الابتداء و باسم الله الخبر والجملة حال من الضمير فى فيها وعلى هذه التوجيهات الثلاثة فالكلام جملة واحدة والحال مقدرة ولا يجوز مع رفع مجراها ومرساها على الفاعلية أو الابتداء أن يكون حالا من ضمير اركبوا لأنه لا عائد عليه فيما وقع حالا ويجوز أن يكون باسم الله مجراها ومرساها جملة ثانية من مبتدإ وخبر لا تعلق لها بالجملة الأولى من حيث الاعراب أمرهم أولا بالركوب ثم أخبر أن مجراها ومرساها بذكر الله أو بأمره وقدرته فالجملتان كلامان محكيان بقال كما ان الجملة الثانية محكية أيضا بقال * وقال الضحاك اذا أراد جرى السفينة قال بسم الله مجراها فتجرى واذا أراد وقوفها قال بسم الله مرساها فتقف * وقرأ مجاهد والحسن وأبو رجاء والأعرج وشيبة والجمهور من السبعة الحرميان والعربيان وأبو بكر مجراها بضم الميم * وقرأ الاخوان وحفص بفتحها وكلهم ضم ميم مرساها * وقرأ ابن مسعود وعيسى الثقفى وزيد بن على والأعمش مجراها ومرساها بفتح الميمين ظرفى زمان أو مكان أو مصدرين على التقارير السابقة * وقرأ الضحاك والنخعى وابن وثاب وأبو رجاء ومجاهد وابن جندب والكلبى والجحدرى مجريها ومرسيها اسمى فاعل من أجرى وأرسى على البدل من اسم الله فهما فى موضع خبر ولا يكونان صفتين لكونهما نكرتين * وقال ابن عطية وهما على هذه القراءة صفتان عائدتان على ذكره فى قولهم بسم الله انتهى ولا يكونان صفتين الا على تقدير أن يكونا معرفتين وقد ذهب الخليل الى أن ما كانت اضافته غير محضة قد يصح أن تجعل محضة فتعرف الا ما كان من الصفة المشبهة فلا تتمحض اضافتها فلا تعرف ان ربى لغفور ستور عليكم ذنوبكم بتوبتكم وايمانكم رحيم لكم اذ أنجاكم من الغرق وروى فى الحديث أن نوحا ركب فى السفينة أول يوم من رجب وصام الشهر أجمع وعن عكرمة لعشر خلون من رجب وهى تجرى بهم اخبار من الله تعالى بما جرى للسفينة وبهم حال أى ملتبسة بهم والمعنى تجرى وهم فيها فى موج كالجبال أى فى موج الطوفان شبه كل موجة منه بجبل فى تراكمها وارتفاعها روى ان السماء أمطرت جميعها حتى لم يكن فى الهواء جانب الا أمطر وتفجرت الأرض كلها بالنبع وهذا معنى التقاء الماء *وروى ان الماء علا على الجبال وأعالى الأرض أربعين ذراعا* وقيل خمسة عشر وكون السفينة تجرى فى موج دليل على أنه كان فى الماء موج وانه لم يطبق الماء ما بين السماء والأرض وأن السفينة لم تكن تجرى فى جوف الماء والماء أعلاها وأسفلها فكانت تسبح فى الماء كما تسبح السمكة كما أشار اليه الزجاج والزمخشرى وغيرهما وقد استبعد ابن عطية هذا قال وأين كان الموج كالجبال على هذا ثم كيف استقامت حياة من فى السفينة * وأجاب الزمخشرى بأن الجريان فى الموج كان قبل التطبيق وقبل أن يعم الماء الجبال ألا ترى الى قول ابنه سآوى الى جبل يعصمنى من الماء ونادى نوح ابنه الواو لا ترتب وهذا النداء كان قبل جرى السفينة فى قوله وهى تجرى بهم فى موج وفى اضافته اليه هنا وفى قوله ان ابنى من أهلى ونداؤه دليل على أنه ابنه لصلبه وهو قول ابن مسعود وابن عباس وعكرمة والضحاك وابن جبير وميمون بن

(الدر)

(ح) وقرأ الضحاك والنخعى وابن وثاب وأبو رجاء ومجاهد وابن جندب والكلبى والجحدرى مجريها ومرسيها اسمى فاعل من أجرى وأرسى على البدل من اسم الله فهما فى موضع جر ولا يكونان صفتين لكونهما نكرتين (ع) وهما على هذه القراءة صفتان عائدتان على ذكره فى قولهم باسم الله انتهى (ح) ولا يكونان صفتين الا على تقدير ان يكونا معرفتين وقد ذهب الخليل الى ان ما كانت اضافته غير محضة قد يصح أن تجعل محضة فيعرف الا ما كان من الصفة المشبهة فلا تتمحض اضافتها فلا تعرف

مهران والجمهور واسمه كنعان * وقيل يام * وقيل كان ابن قريب له ودعاه بالبنوّة حنانا منه وتلطفا * وقرأ الجمهور بكسر تنوين نوح * وقرأ وكيع بن الجراح بضمه أتبع حركته حركة الاعراب في الحاء * قال أبو حاتم هي لغة سوء لا تعرف * وقرأ الجمهور بوصل هاء الكناية بواو * وقرأ ابن عباس انه بسكون الهاء * قال ابن عطية وأبو الفضل الرازي وهذا على لغة الازد الشراة يسكنون هاء الكناية من المذكر ومنه قول الشاعر * ونضواى مشتاقان له أرقان * وذكر غيره أنها لغة لبني كلاب وعقيل ومن النحويين من يخص هذا السكون بالضرورة وينشدون

وأسرب الماء مابي نحوه عطش * الالأن عيونه سيل واديها

* وقرأ السدّي ابناه بألف وهاء السكت * قال أبو الفتح ذلك على النداء وذهبت فرقة الى أنه على الندبة والرثاء * وقرأ عليّ وعروة وعليّ بن الحسين وابنه أبو جعفر وابنه جعفر ابنه بفتح الهاء من غير ألف أي ابنها مضافا لضمير امرأته فاكتفى بالفتحة عن الألف * قال ابن عطية وهي لغة ومنه قول الشاعر

إما تقود بها شاة فتأكلها * أوأن تبيعه في بعض الاراكيب

وأنشد ابن الاعرابي على هذا

فلست بمدرك ما فات مني * بلهف ولا بليت ولا لواني

انتهى يريد تبيعها وتلهفا وخطأ النحاس أباحاتم في حذف هذه الألف * قال ابن عطية وليس كما قال انتهى وهذا أعني مثل تلهف بحذف الألف عند أصحابنا ضرورة ولذلك لا يجيزون ياغلام بحذف الألف والاجتزاء بالفتحة عنها كما اجتزؤا بالكسرة في ياغلام عن الياء وأجاز ذلك الأخفش * وقرأ أيضا عليّ وعروة ابنها بفتح الهاء وألف أي ابن امرأته وكونه ليس ابنه لصلبه وانما كان ابن امرأته قول علي والحسن وابن سيرين وعبيد بن عمير وكان الحسن يحلف أنه ليس ابنه لصلبه قال قتادة فقلت له ان الله حكى عنه ان ابني من أهلي وأنت تقول لم يكن ابنه وأهل الكتاب لا يختلفون في أنه كان ابنه فقال ومن يأخذ دينه من أهل الكتاب واستدل بقوله من أهلي ولم يقل مني فعلى هذا يكون ربيبا وكان عكرمة والضحاك يحلفان على أنه ابنه ولا يتوهم أنه كان لغير رشدة لأن ذلك غضاضة عصمت منه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وروى ذلك عن الحسن وابن جريج ولعله لا يصح عنها * وقال ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط والذي يدل عليه ظاهر الآية انه ابنه وأما قراءة من قرأ ابنه أوابنها فشاذة ويمكن ان نسب الى أمه وأضيف اليها ولم يضف الى أبيه لأنه كان كافرا مثلها يلحظ فيه هذا المعنى ولم يضف اليه استبعادا له ورعيا أن لا يضاف اليه كافر وانما ناداه ظنا منه انه مؤمن ولولا ذلك ما أحب نجاته أوظنا منه أنه يؤمن ان كان كافرا لما شاهد من الأهوال العظيمة وأنه يقبل الايمان ويكون قوله اركب معنا كالدلالة على أنه طلب منه الايمان وتأكد بقوله ولا تكن مع الكافرين أي اركب مع المؤمنين اذ لا يركب معهم الامؤمن لقوله ومن آمن وفي معزل أي في مكان عزل فيه نفسه عن أبيه وعن مركب المؤمنين * وقيل في معزل عن دين أبيه وندائه بالتصغير خطاب تحنن ورأفة والمعنى اركب معنا في السفينة فتنجو ولا تكن مع الكافرين فتهلك * وقرأ عاصم يابني بفتح الياء ووجه على أنه اجتزأ بالفتحة عن الألف وأصله يابنيا كقولك ياغلاما كما اجتزأ باقي السبعة بالكسرة عن الياء في قراءتهم يابني بكسر الياء أوان الألف انحذفت لالتقائها مع راء اركب وظن ابن نوح ان ذلك المطر والتفجير على العادة فلذلك قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء أي من

وصول الماء الى فلا أغرق وهذا يدل على عادته في الكفر وعدم وثوقه بأبيه فيما أخبر به * قيل والجبل الذي عناه طور زيتا فلم يمنعه والظاهر ابقاء عاصم على حقيقته وانه نفى كل عاصم من أمر الله في ذلك الوقت وان من رحم يقع فيه من على المعصوم والضمير الفاعل يعود على الله تعالى وضمير الموصول محذوف ويكون الاستثناء منقطعا أي لكن من رحمه الله معصوم وجوزوا أن يكون من الله تعالى أي لا عاصم الا الراحم وأن يكون عاصم بمعنى ذي عصمة كما قالوا لابن أي ذو لبن وذو عصمة مطلق على عاصم وعلى معصوم والمراد به هنا المعصوم أو فاعل بمعنى مفعول فيكون عاصم بمعنى معصوم كماء دافق بمعنى مدفوق وقال الشاعر

بطيء القيام رخيم الكلام * أمسى فؤادي به فاتنا

أي مفتونا ومن للمعصوم أي لا ذا عصمة أو لا معصوم الا المرحوم وعلى هذين التجويزين يكون استثناء متصلا وجعله الزمخشري متصلا بطريق أخرى وهو حذف مضاف وقدره لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني في السفينة انتهى والظاهر ان خبر لا عاصم محذوف لانه اذا علم كهذا الموضع التزم حذفه بنو تميم وكثر حذفه عند أهل الحجاز لأنه لما قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال له نوح لا عاصم أي لا عاصم موجود ويكون اليوم منصوبا على اضمار فعل يدل عليه عاصم أي لا عاصم يعصم اليوم من أمر الله ومن أمر متعلق بذلك الفعل المحذوف ولا يجوز أن يكون اليوم منصوبا بقوله لا عاصم ولا أن يكون من أمر الله متعلقا به لأن اسم لا إذ ذاك كان يكون مطولا واذا كان مطولا لزم تنوينه واعرابه ولا يبنى وهو مبني فبطل ذلك وأجاز الحوفي وابن عطية أن يكون اليوم خبرا لقوله لا عاصم * قال الحوفي ويجوز أن يكون اليوم خبرا ويتعلق بمعنى الاستقرار وتكون من متعلقة بما تعلق به اليوم * وقال ابن عطية واليوم ظرف وهو متعلق بقوله من أمر الله أو بالخبر الذي تقديره كائن اليوم انتهى ورد ذلك أبو البقاء فقال فأما خبر لا فلا يجوز أن يكون اليوم لأن ظرف الزمان لا يكون خبرا عن الجثة بل الخبر من أمر الله واليوم معمول من أمر الله * وقال الحوفي ويجوز أن يكون اليوم نعتا لعاصم ومن الخبر انتهى ويرد بما رد به أبو البقاء من أن ظرف الزمان لا يكون نعتا للجثث كما لا يكون خبرا * وقرئ الا من رحم بضم الراء مبنيا للمفعول وهذا يدل على أن المراد بمن في قراءة الجمهور الذين فتحوا الراء هو المرحوم لا الراحم وحال بينهما أي بين نوح وابنه * قيل كانا يتراجعان الكلام فما استتمت المراجعة حتى جاءت موجة عظيمة وكان راكبا على فرس قد بطر وأعجب بنفسه فالتقمته وفرسه وحيل بينه وبين نوح فغرق * وقال الفراء بينهما أي بين ابن نوح والجبل الذي ظن انه يعصمه ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل

﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك﴾ الآية في هذه الآية احد وعشرون نوعا من البديع المناسبة في قوله أقلعي وابلعي والمطابقة بذكر الارض والسماء والمجاز في قوله يا سماء المراد مطر السماء والاستعارة في قوله أقلعي والاشارة في قوله وغيض الماء فانها إشارة الى معان كثيرة والتمثيل في قوله وقضي الأمر عبر باهلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظه فيها بعد عن لفظة الموضوع له والارداف في قوله واستوت على الجودي فقوله واستوت كلام تام على الجودي مردف قصدا للمبالغة في التمكن بهذا المكان والتعليل في قوله وغيض الماء فان ذلك علة الاستواء وصحة التقسيم باستيعاب أقسام الماء في حالة نقصه اذ ليس الا احتباس ماء السماء واحتقان ماء الارض وغيض الماء حاصل على ظهرها والاحتراس في قوله وقيل بعدا للقوم الظالمين وهو أيضا ذم لهم ودعاء عليهم والايضاح بقوله الظالمين بين أنهم هم القوم الذين سبق ذكرهم في قوله وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه فالالف واللام في القوم للعهد لو سقط لفظة القوم هنا لحصل لبس في المعنى والمساواة فلفظها مساو لمعناها وحسن النسق لعطف قضايا بعضها على بعض والايجاز لذكر القصة باللفظ القصير مستوعبا للمعاني الجمة والتسهيم لان أول الآية يا أرض ابلعي فاقتضى آخرها ويا سماء أقلعي والتهذيب لان مفردات الألفاظ موصوفة بكمال الحسن كل لفظة سهلة مخارج الحروف عليها رونق الفصاحة وحسن البيان والتمكين لأن الفاصلة مستقرة في قرارها والتجنيس في قوله أقلعي وابلعي والمقابلة في قوله يا أرض ابلعي ويا سماء أقلعي والذم في قوله بعدا للقوم الظالمين والوصف قص القصة و وصفها باحسن وصف بحيث استعمل نعوت ألفاظها وصفات معانيها ما أعظم اعجازها من آية عدة ألفاظها تسع عشرة لفظة فيها احد وعشرون نوعا من البديع والجودي اسم جبل وهذا النداء والخطاب بالامر هو استعارة مجازية وعلى هذا جمهور الحذاق وقيل

إن الله تعالى أحدث فيهما إدراكا وفهما لمعانى الخطاب وروى أن أعرابيا سمع هذه الآية فقال هذا كلام القادرين ومعنى ﴿ونادى نوح ربه﴾ الآية أراد أن يناديه ولذلك أدخل الفاء اذ لو أراد حقيقة النداء والاخبار عن وقوعه منه لم تدخل الفاء فى فقال ولسقطت والواو فى هذه الجملة لا ترتب أيضا وذلك أن هذه القصة كانت أول ما ركب نوح السفينة ومعنى من أهلى أى الذى أمرت أن أحملهم فى السفينة بقوله تعالى احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك ولم يظن أنه داخل فيمن استثناه الله تعالى بقوله الا من سبق عليه القول لظنه أنه مؤمن وعموم قوله ومن آمن يشمل المؤمن من أهله ومن غيرهم وحسن الخطاب بقوله وإن وعدك الحق ومعنى ليس من أهلك على قول من قال انه ابنه لصلبه أى الناجين أو الذين عمهم الوعد ومن زعم أنه ربيبه فهو ليس من أهله حقيقة اذ لا نسبة بينه و بين أولاده فعلى هذا نفى ما قدر أنه داخل فى قوله وأهلك ثم علل انتفاء كونه ليس من أهله بـ ﴿أنه عمل غير صالح﴾ والضمير فى انه عائد على ابن نوح وقرئ عمل غير صالح منونا غير رفعا صفة له فاحتمل قوله إنه أن يكون على حذف مضاف تقديره أى ان عمله عمل غير صالح أو يكون الحذف فى عمل تقديره إنه ذو عمل غير صالح أو جعله نفس العمل مبالغة فى ذمه وقرئ عمل فعلا ماضيا وغير منصوب به ومعنى قوله ﴿فلا تسألن ما ليس لك به علم﴾ أى إذ وعدتك فاعلم يقينا أنه لا خلف فى الوعد فاذا رأيت ولدك لم يحمل فكان عليك أن تقف وتعلم أن ذلك بحق واجب عند الله تعالى ولكن نوحا صلى الله عليه وسلم حملته شفقة النبوة وسجية البشر على التعرض لنفحات الرحمة والتذكير وعلى هذا القدر وقع عتابه ولذلك جاء بترفق وتلطف فى قوله ﴿انى أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ أى أن تسألنى فى المستقبل ما لا علم لك بصحته تأدبا بأدبك واتعاظا بموعظتى

بعد اللقوم الظالمين ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين * قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم انى أعظك أن تكون من الجاهلين * قال رب انى أعوذ بك ان أسألك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين﴾ قال الزمخشرى نادى الارض والسماء بما ينادى به الانسان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله يا أرض و يا سماء ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التميز والعقل من قوله ابلعى ماءك وأقلعى من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كانها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلاله وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه و يفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول عن مشيئته على الفور من غير ريب فكما يرد عليهم أمره كان المأمور به مفعولا لا حبس ولا ابطاء و بسط الزمخشرى وذيل فى هذا الكلام الحسن قال الحسن يدل على عظمة هذه الاجسام والحق تعالى مستول عليها متصرف فيها كيف يشاء وأراد فصار ذلك سببا لوقوف القوة العقلية على كمال جلال الله تعالى وعلو قدرته وهيبته انتهى و بناء الفعل فى وقيل وما بعدها للمفعول أبلغ فى التعظيم والجبروت وأخصر * قال الزمخشرى ومجىء اخباره على الفعل المبنى للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وان تلك الأمور العظام لا يكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعل هذه الافعال فاعل واحد لا يشارك فى أفعاله فلا يذهب الوهم الى أن يقول غيره يا أرض ابلعى ماءك و يا سماء أقلعى ولا ان يقضى ذلك الامر الهائل غيره ولا ان تستوى السفينة على الجودى وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعانى والنكت واستفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعى واقلعى وذلك وان كان الكلام لا يخلو من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التى هى اللب وما عداها قشور انتهى وأكثره خطابة وهذا النداء والخطاب بالأمر هو استعارة مجازية وعلى هذا جمهور الحذاق * وقيل ان الله تعالى أحدث فيهما ادراكا وفهما لمعانى الخطاب * وروى ان اعرابيا سمع هذه الآية فقال هذا كلام القادرين وعارض ابن المقفع القرآن فلما وصل الى هذه الآية أمسك عن المعارضة وقال هذا كلام لا يستطيع أحد من البشر أن يأتى بمثله * وقال ابن عباس فى قوله وقضى الامر غرق من غرق ونجا من نجا * وقال مجاهد قضى الأمر بهلاكهم * وقال ابن قتيبة قضى الأمر فرغ منه * وقال ابن الانبارى أحكمت هلكة قوم نوح * وقال الزمخشرى أنجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه واستوت أى استقرت السفينة على الجودى واستقرارها يوم عاشوراء من المحرم قاله ابن عباس والضحاك * وقيل يوم

الجمعة * وقيل في ذي الحجة وأقامت على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وذكروا أن الجبال تطاولت وتخاشع الجودي وحديث بعث نوح عليه السلام الغراب والحمامة ليأتياه بخبر كمال الغرق الله أعلم بما كان من ذلك * وقرأ الاعمش وابن أبي عبلة على الجودي بسكون الياء مخففة * قال ابن عطية وهما لغتان * وقال صاحب اللوامح هو تخفيف ياءي النسب وهذا التخفيف بابه الشعر لشذوذه والظاهر ان قوله وقيل بعدا من قول الله تعالى كالافعال السابقة وبنى الجميع للمفعول للعلم بالفاعل * وقيل من قول نوح والمؤمنين * قيل ويحتمل أن يكون من قول الملائكة * قيل ويحتمل أن يكون ذلك عبارة عن بلوغ الأمر ذلك المبلغ وان لم يكن ثم قول محسوس ومعنى بعدا هلاكا كما يقال بعد يبعد بعدا وبعدا اذا هلك واللام في للقوم من صلة المصدر * وقيل تتعلق بقوله وقيل والتقدير وقيل لأجل الظالمين إذلا يمكن أن يخاطب الهالك الاعلى سبيل المجاز ومعنى ونادى نوح ربه أي أراد أن يناديه ولذلك أدخل الفاء إذلو كان أراد حقيقة النداء والاخبار عن وقوعه منه لم تدخل الفاء في فقال ولسقطت كما لم تدخل في قوله إذ نادى ربه نداء خفيا قال رب والواو في هذه الجملة لا ترتب أيضا وذلك ان هذه القصة كانت أول ماركب نوح السفينة ويظهر من كلام الطبري ان ذلك من بعد غرق الابن وفي قوله ان ابني من أهلي ظهور أنه ولده لصلبه ومعنى من أهلي أي الذي أمرت أن أحملهم في السفينة لقوله احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك ولم يظن أنه داخل فيمن استثناه الله بقوله الا من سبق عليه القول منهم لظنه انه مؤمن وعموم قوله ومن آمن يشمل من آمن من أهله ومن غير أهله وحسن الخطاب بقوله وان وعدك الحق أي الوعد الثابت الذي لاشك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني أن تنجي أهلي وأنت أعلم الحكام وأعدلهم * قال الزمخشري ويجوز ان تكون من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما يقال دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل انتهى ومعنى ليس من أهلك على قول من قال انه ابنه لصلبه أي الناجين أو الذين عمهم الوعد ومن زعم انه ربيبه فهو ليس من أهله حقيقة إذلا نسبة بينه وبينه بولادة فعلى هذا نفى ماقدر أنه داخل في قوله وأهلك ثم علل انتفاء كونه ليس من أهله بأنه عمل غير صالح والظاهر أن الضمير في أنه عائد على ابن نوح لا على النداء المفهوم من قوله ونادى المتضمن سؤال ربه وجعله نفس العمل مبالغة في ذمه كما قال * فانما هي اقبال وادبار * هذا على قراءة جمهور السبعة * وقرأ الكسائي عمل غير صالح جعله فعلا ناصبا غير صالح وهي قراءة علي وأنس وابن عباس وعائشة وروتها عائشة وأم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يرجح ان الضمير يعود على ابن نوح * قيل ويرجح كون الضمير في انه عائد على نداء نوح المتضمن السؤال ان في مصحف ابن مسعود انه عمل غير صالح ان تسألني ماليس لك به علم * وقيل يعود الضمير في هذه القراءة على ركوب ولد نوح معهم الذي تضمنه سؤال نوح المعنى ان كونه مع الكافرين وتركه الركوب مع المؤمنين عمل غير صالح وكون الضمير في انه عائدا على غير ابن نوح عليه السلام تكلف وتعسف لا يليق بالقرآن * قال الزمخشري (فان قلت) فهلا قيل انه عمل فاسد (قلت) لما نفاه من أهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى معها لفظ المنفي وأذن بذلك انه انما أنجى من أنجى من أهله بصلاحهم لا لأنهم أهلك وأقاربك وان هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوتك * وقرأ الصاحبان تسألنّ بتشديد النون مكسورة * وقرأ أبو جعفر وشيبة وزيد بن علي كذلك الا أنهم أثبتوا الياء بعد النون وابن كثير بتشديدها مفتوحة وهي قراءة ابن عباس * وقرأ الحسن وابن أبي مليكة تسالني من غير همز من سال يسال وهما يتساولان وهي

لغةسائرة * وقرأ باقي السبعة بالهمز واسكان اللام وكسر النون وتخفيفها وأثبت الياء في الوصل ورش وأبو عمرو وحذفها الباقون * قال الزمخشري فلاتلتمس ملتمسا أو التماسا لاتعلم أصواب هو أم غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسألة دليل على ان النداء كان قبل أن يغرق حين خاف عليه (فان قلت) لم سمى نداءه سؤالا ولاسؤال فيه (قلت) قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لأنه اذا ذكر الموعد بنجاة أهله في وقت مشارفة الغرق فقد استنجز وجعل سؤال مالا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه أن لايعود اليه والى أمثاله من أفعال الجاهلين (فان قلت) قد وعد الله أن ينجي أهله وما كان عنده ان ابنه ليس منهم دينا فلما أشفى على الغرق تشابه عليه الأمر لأن العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لايجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة الشبهة واجب فلم زجر وجعل سؤاله جهلا (قلت) ان الله عز وجل قدم له الوعد بانجاء أهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه أن يعتقد ان في جملة أهله من هو مستوجب العذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بناجين وأن لاتخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في انه من المستثنين لامن المستثنى منهم فعوتب على أن اشتبه عليه مايجب بما يجب أن لايشتبه * وقال ابن عطية معنى قوله فلاتسألن ماليس لك به علم أي اذ وعدتك فاعلم يقينا انه لاخلف في الوعد فاذا رأيت ولدك لم يحمل فكان الواجب عليك أن تقف وتعلم ان ذلك لحق واجب عند الله ولكن نوحا عليه السلام حملته شفقة البنوة وسجية البشر على التعرض لنفحات الرحمة والتذكير وعلى هذا القدر وقع عقابه ولذلك جاء بتلطف وترج في قوله اني أعظك أن تكون من الجاهلين ويحتمل قوله فلاتسألن ماليس لك به علم أي لاتطلب مني أمرا لاتعلم المصلحة فيه علم يقين ونحا الى هذا أبو علي الفارسي وقال ان به يجوز أن يتعلق بلفظ عام كما قال الشاعر

* كأن جزائي بالعصا أن أجلدا *

ويجوز أن يكون به بمنزلة فيه فتتعلق الباء بالمستقر واختلاف هذين الوجهين انما هو لفظي والمعنى في الآية واحد * وذكر الطبري عن ابن زيد تأويلا في قوله اني أعظك أن تكون من الجاهلين لايناسب النبوة تركناه ويوقف عليه في تفسير ابن عطية * وقيل يسأل نوح ربه حين صار عنه ابنه بمعزل * وقيل قبل أن عرف هلاكه وقيل بعد أن عرف هلاكه سأل الله له المغفرة أن أسألك من أن أطلب في المستقبل مالا علم لي بصحته تأديبا بأدبك واتعاظا بموعظتك وهذه انابة من نوح عليه السلام وتسليم لأمر الله * قال ابن عطية والسؤال الذي وقع النهي عنه والاستعاذة والاستغفار منه هو سؤال العزم الذي معه محاجة وطلبه ملحة فيما قد حجب وجه الحكمة فيه وأما السؤال في الأمور على جهة التعلم والاسترشاد فغير داخل في هذا وظاهر قوله فلاتسألن ماليس لك به علم يعم النحوين من السؤال ولذلك نبهت على أن المراد أحدهما دون الآخر والخاسرون هم المغبونون حظوظهم من الخير انتهى ونسب نوح النقص والذنب الى نفسه تأدبا مع ربه فقال والاتغفر لي أي ما فرط من سوء الي وترحمني بفضلك وهذا كما قال آدم عليه السلام ﴿ قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم * تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين ﴾ بني الفعل للمفعول * فقيل القائل هو الله تعالى * وقيل الملائكة

﴿ قيل يانوح اهبط بسلام ﴾ القائل هو الله تعالى لقوله منا وسنمتعهم أمم عند نزوله بالهبوط من السفينة أو من الجبل مع أصحابه للانتشار في الارض والباء للحال أي مصحوبا بسلامة وامن ﴿ وبركات ﴾ وهي الخيرات النامية في كل الجهات والظاهر أن من لابتداء الغاية أي ناشئة من الذين معك وهم الامم المؤمنون الى آخر الدهر ويجوز أن يكون أمم مبتدأ محذوف الصفة وهي المسوغة لجواز الابتداء بالنكرة والتقدير وأمم منهم أي ممن معك أي ناشئة معك ويجوز أن يكون مبتدأ ولاتقدر صفة والخبر سنمتعهم في التقديرين ومسوغ الابتداء كون المكان مكان تفصيل ويدل على أن المتعين يقع منهم معاص فلذلك قال ثم يمسهم منا عذاب أليم ﴿ تلك من أنباء الغيب ﴾ تلك إشارة الى قصة نوح وتلك إشارة للبعيد لأن بين هذه القصة والرسول مددا لاتحصى ومن أنباء الغيب من للتبعيض وهو الذي تقادم عهده ولم يبق علمه الا عند الله تعالى و ﴿ نوحيها اليك ﴾ لتكون لك هداية واسوة فيما لقيه غيرك من الانبياء ولم تكن علمها عندك ولا عند قومك وأعلمناهم بها ليكون لهم مثالا وتحذيرا أن يجيئهم ويصيبهم اذا كذبوك ما أصاب أولئك وللحظ هذا المعنى ظهرت فصاحته وله فاصبر أي فاصبر على أذاهم مجتهدا في التبليغ عن الله تعالى فالعاقبة لك كما كانت لنوح صلى

تبليغا عن الله تعالى والظاهر الأول لقوله منا وسنمتعهم أمم عند نزوله بالهبوط من السفينة ومن الجبل مع أصحابه للانتشار في الأرض والباء للحال أي مصحوبا بسلامة وأمن وبركات وهي الخيرات النامية في كل الجهات ويجوز أن تكون اللام بمعنى التسليم أي اهبط مسلما عليك مكرما * وقرئ اهبط بضم الباء * وحكى عبد العزيز بن يحيى وبركة على التوحيد عن الكسائي وبشر بالسلامة ايذانا له بمغفرة ربه له ورحمته اياه وباقامته في الأرض آمنا من الآفات الدنيوية اذ كانت الأرض قد خلت مما ينتفع به من النبات والحيوان فكان ذلك تبشيرا له بعود الأرض الى أحسن حالها ولذلك قال وبركات عليك أي دائمة باقية عليك والظاهر ان من لابتداء الغاية أي ناشئة من الذين معك وهم الأمم المؤمنون الى آخر الدهر * قال الزمخشري ويحتمل أن تكون من للبيان فتراد الأمم الذين كانوا معه في السفينة لأنهم كانوا جماعات * وقيل لهم أمم لأن الأمم تشعبت منهم انتهى وهذا فيه بعد تكلف اذ يصير التقدير وعلى أمم هم من معك ولو أريد هذا المعنى لاغنى عنه وعلى أمم معك أو على من معك فكان يكون أخصر وأقرب الى الفهم وأبعد عن اللبس وارتفع أمم على الابتداء * قال الزمخشري وسنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك أمم سنمتعهم وانما حذف لأن قوله ممن معك يدل عليه والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشؤن ممن معك وأمم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار انتهى ويجوز أن يكون أمم مبتدأ ومحذوف الصفة وهي المسوغة لجواز الابتداء بالنكرة والتقدير وأمم منهم أي ممن معك أي ناشئة ممن معك وسنمتعهم هو الخبر كما قالوا السمن منوان بدرهم أي منوان منه فحذف منه وهو صفة لمنوان ولذلك جاز الابتداء بمنوان وهو نكرة ويجوز أن يقدر مبتدا ولا يقدر صفة الخبر سنمتعهم ومسوغ الابتداء كون المكان مكان تفصيل فكان مثل قول الشاعر

اذا ما بكى من خلفها انحرفت له * بشق وشق عندنا لم يحول

* وقال القرطبي ارتفعت وأمم على معنى ويكون أمم انتهى فان كان أراد تفسير معنى فحسن وان أراد الاعراب ليس بجيد لان هذا ليس من مواضع اضمار يكون * وقال الأخفش هذا كما تقول كلمت زيدا وعمرو وجالس انتهى فاحتمل أن يكون من باب عطف الجمل واحتمل أن تكون الواو للحال وتكون حالا مقدرة لانه وقت الأمر بالهبوط لم تكن تلك الأمم موجودة * وقال أبو البقاء وأمم معطوف على الضمير في اهبط تقديره اهبط أنت وأمم وكان الفصل بينهما مغنيا عن التأكيد وسنمتعهم نعت لامم انتهى وهذا التقدير والمعنى لا يصلحان لان الذين كانوا مع نوح في السفينة انما كانوا مؤمنين لقوله ومن آمن ولم يكونوا قسمين كفارا ومؤمنين فتكون الكفار مأمورين بالهبوط مع نوح الا ان قدر ان من أولئك المؤمنين من يكفر بعد الهبوط وأخبر عنهم بالحالة التي يؤولون اليها فيمكن على بعد والذي ينبغي أن يفهم من الآية ان من معه ينشأ منهم مؤمنون وكافرون ونبه على الايمان بأن المتصفين به من الله عليهم سلام وبركة وعلى الكفر بان المتصفين به يمتعون في الدنيا ثم يعذبون في الآخرة وذلك من باب الكناية كقولهم فلان طويل النجاد كثير الرماد وظاهر قوله ممن معك يدل على ان المؤمنين والكافرين نشأوا ممن معه والذين كانوا معه في السفينة ان كانوا أولاده الثلاثة فقط أو ومعهم نساؤهم انتظم قول المفسرين ان نوحا عليه السلام هو أبو الخلق كلهم وسمي آدم الاصغر لذلك وان كانوا أولاده وغيرهم على الاختلاف في العدد فان كان غير أولاده مات ولم ينسل صح انه أبو البشر بعد آدم ولم يصح انه نشأ ممن معه مؤمن وكافر الا ان أريد

الله عليه وسلم في هذه القصة ومعنى ما كنت تعلمها أي مفصلة كما سردناها عليك وعلم الطوفان كان معلوما عند العالم على سبيل الاجمال والجملة من قوله ما كنت في موضع الحال من مفعول نوحيها أو من مجرور إليك

بالذين معه أولاده فيكون من اطلاق العام ويراد به الخاص وان كانوا نسلوا كما عليه أكثر المفسرين فلا ينتظم انه أبو البشر بعد آدم بل الخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه فى السفينة والامم الممتعة ليسوا معينين بل هم عبارة عن الكفار * وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام تلك اشارة الى قصة نوح وتقدمت أعاريب فى مثل هذا التركيب فى قوله ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك فى آل عمران وتلك اشارة للبعيد لان بين هذه القصة والرسول مددا لا تحصى * وقيل الاشارة بتلك الى آيات القرآن ومن أنباء الغيب وهو الذى تقادم عهده ولم يبق علمه الا عند الله ونوحيها اليك ليكون لك هداية وأسوة فيما لقيه غيرك من الانبياء ولم يكن علمها عندك ولا عند قومك وأعلمناهم بها ليكون مثالا لهم وتحذيرا أن يصيبهم اذا كذبوك ما أصاب أولئك ولملحظ هذا المعنى ظهرت فصاحة قوله فاصبر على أذاهم مجتهدا فى التبليغ عن الله فالعاقبة لك كما كانت لنوح فى هذه القصة ومعنى ما كنت تعلمها أى مفصلة كما سردناها عليك وعلم الطوفان كان معلوما عند العالم على سبيل الاجمال والمجوس الآن ينكرونه والجملة من قوله ما كنت فى موضع الحال من مفعول نوحيها أو من مجرور اليك وقدرها الزمخشرى تقدير معنى فقال أى مجهولة عندك وعند قومك ويحتمل أن يكون خبرا بعد خبر والاشارة بقوله من قبل هذا الى الوقت أو الى الايحاء أو الى العلم الذى اكتسبه بالوحى احتمالات وفى مصحف ابن مسعود من قبل هذا القرآن * وقال الزمخشرى ولا قومك معناه أن قومك الذين أنت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شأنهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا أهل بلده ﴿ والى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ان أنتم الا مفترون ياقوم لا أسألكم عليه أجرا ان أجرى الا على الذى فطرنى أفلا تعقلون وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ﴾ والى عاد أخاهم معطوف على قوله أرسلنا نوحا الى قومه عطف الواو المجرور على المجرور والمنصوب على المنصوب كما يعطف المرفوع والمنصوب على المرفوع والمنصوب نحو ضرب زيد عمرا وبكر خالدا وليس من باب الفصل بالجار والمجرور بين حرف العطف والمعطوف نحو ضربت زيدا وفى البيت عمرا فيجىء منه الخلاف الذى بين النحويين هل يجوز فى الكلام أو يختص بالشعر وتقدير الكلام فى هود وعاد واخوته منهم فى الاعراف وقراءة الكسائى غيره بالخفض * وقيل ثم فعل محذوف أى وأرسلنا الى عاد أخاهم فيكون اذ ذاك من عطف الجمل والأول من عطف المفردات وهذا أقرب لطول الفصل بالجمل الكثيرة بين المتعاطفين وهودا بدل أو عطف بيان * وقرأ محيصن ياقوم بضم الميم كقراءة حفص قل رب احكم بالحق بالضم وهى لغة فى المنادى المضاف حكاها سيبويه وغيره وافتراؤهم قال الحسن فى جعلهم الالوهية لغير الله تعالى * وقال الزمخشرى باتخاذكم الأوثان له شركاء والضمير فى عليه عائد على الدعاء الى الله ونبه بقوله الذى فطرنى على الرد عليهم فى عبادتهم الأصنام واعتقادهم أنها تفعل وكونه تعالى هو الفاطر للموجودات يستحق افراده بالعبادة وأفلا تعقلون توقيف على استحالة الالوهية لغير الفاطر ويحتمل أن يكون أفلا تعقلون راجعا الى أنه اذا لم أطلب عرضا منكم وانما أريد نفعكم فيجب انقيادكم لما فيه نجاتكم كأنه قيل أفلا تعقلون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله تعالى وهو ثواب الآخرة ولا شئ أنفى للتهمة من ذلك وتقدم الكلام فى استغفروا ربكم ثم توبوا اليه أول هذه السورة قصد هود استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة

﴿والى عاد أخاهم هودا﴾ الآية والى عاد معطوف على قوله أرسلنا نوحا عطفت الواو المجرور على المجرور والمنصوب على المنصوب ﴿ان أنتم الامفترون﴾ قال الحسن فى جعلهم آلهة لغير الله

﴿ قالوا ياهود ماجئتنا ببينة ﴾ أى بحجة واضحة تدل على صدقك وقد كذبوا فى ذلك و بهتوه وعن فى عن قولك حال من الضمير فى تاركى آلهتنا كأنه قيل صادرين عن قولك ﴿ ان نقول الا اعتراك ﴾ نسبوا ماصدر منه من دعائهم إلى الله تعالى وافراده بالألوهية الى الخبل والجنون وأن ذلك مما اعتراه به بعض آلهتهم لكونه سبها وحرض على تركها ودعا الى ترك عبادتها واعتراك جملة محكية بنقول فهى فى موضع المفعول ودلت على بله حيث اعتقدوا فى حجارة أنها تنصر وتنتصر وتنتقم ﴿ مامن دابة ﴾ وصف قدرة الله وعظم ملكه من كون كل دابة فى قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه فانتم من جملة أولئك المقهورين وقوله آخذ بناصيتها تمثيل اذ كان القادر المالك يقود المقدور عليه بناصيته كما يقاد الأسير والفرس بناصيته حتى صار الاخذ بالناصية عرفا فى القدرة على الحيوان وكانت العرب تجز ناصية الاسير الممنون عليه علامة أنه قد قدر عليه وقبض ناصيته والظاهر ان الضمير فى قوله تولوا عائد على قوم هود وخطابه لهم من تمام الجمل المقولة قبل وتولوا صلة تتولوا حذفت التاء الثانية فصار تولوا وجواب الشرط هو قوله ﴿ فقد أبلغتكم ﴾ وصح أن يكون جوابا لان ابلاغه اليهم رسالته تضمن مايحل بهم من العذاب المستأصل فكأنه قيل فان تتولوا استؤصلتم بالعذاب ويدل على ذلك الجملة الخبرية وهى قوله ﴿ و يستخلف ربى قوما غيركم ﴾

المطر و زيادة القوة لانهم كانوا أصحاب زروع و بساتين وعمارات حراصا عليها أشد الحرص فكانوا أحوج شئ الى الماء وكانوا مدلين بما أوتوا من هذه القوة والبطش والبأس مهيبين فى كل ناحية * وقيل أراد القوة فى المال * وقيل فى النكاح * قيل وحبس عنهم المطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم * وقد انتزع الحسن بن على رضى الله عنه من هذا ومن قوله و يمددكم بأموال و بنين أن كثرة الاستغفار قد يجعله الله سببا لكثرة الولد * وأجاب من سأله وأخبره أنه ذو مال ولا يولد له بالاستغفار فأكثر من ذلك فولد له عشر بنين * و روى أبو صالح عن ابن عباس فى قوله و يزدكم قوة الى قوتكم أنه الولد وولد الولد * وقال مجاهد وابن زيد فى الجسم والبأس * وقال الضحاك خصبا الى خصبكم * وقيل نعمة الى نعمته الأولى عليكم * وقيل قوة فى ايمانكم الى قوة فى أبدانكم ﴿ قالوا ياهود ماجئتنا ببينة ومانحن بتاركى آلهتنا عن قولك ومانحن لك بمؤمنين ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال انى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لاتنظرون انى توكلت على الله ربى و ربكم مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم فان تولوا فقد أبلغتكم ماأرسلت به اليكم ويستخلف ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيأ ان ربى على كل شئ حفيظ ﴾ بينة أو بحجة واضحة تدل على صدقك وقد كذبوا فى ذلك و بهتوه كما كذبت قريش فى قولهم لولا أنزل عليه آية من ربه وقد جاءهم بآيات كثيرة أو لعماهم عن الحق وعدم نظرهم فى الآيات اعتقدوا ماهو آية ليس بآية فقالوا ماجئتنا ببينة تلجئنا الى الايمان والا فهود وغيره من الأنبياء لهم معجزات وان لم يعين لنا بعضها ألا ترى الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن نبى الا وقد أوتى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وعن فى عن قولك حال من الضمير فى تاركى آلهتنا كأنه قيل صادرين عن قولك قاله الزمخشرى * وقيل عن للتعليل كقوله تعالى الا عن موعدة وعدها اياه فتتعلق بتاركى كأنه قيل لقولك وقد أشار الى التعليل والسبب فيها ابن عطية * فقال أى لا يكون قولك سببا لتركنا اذ هو مجرد عن آية والجملة بعدها تأكيد وتقنيط له من دخولهم فى دينه ثم نسبوا ماصدر منه من دعائهم الى الله وافراده بالالوهية الى الخبل والجنون وان ذلك مما اعتراه به بعض آلهتهم لكونه سبها وحرض على تركها ودعا الى ترك عبادتها فجعلته يتكلم مكافأة بما يتكلم به المجانين كما قالت قريش معلم مجنون أم يقولون به جنة واعتراك جملة محكية بنقول فهى فى موضع المفعول ودلت على بله شديد وجهل مفرط حيث اعتقدوا فى حجارة أنها تنتصر وتنتقم وقول هود لهم فى جواب ذلك انى أشهد الله الى آخره حيث تبرأ من آلهتهم وحرضهم كلهم مع انفراده وحده على كيده بما يشاءون وعدم تأخره من أعظم الآيات على صدقه وثقته بموعود ربه من النصر له والتأييد والعصمة من أن ينالوه بمكروه وهذا وهم حريصون على قتله يرمونه عن قوس واحدة ومثله قول نوح لقومه ثم اقضوا الى ولا تنظرون وأكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت عليه عادة الناس من توثيقهم الأمر بشهادة الله وشهادة العباد * قال الزمخشرى (فان قلت) هلا قيل انى أشهد الله وأشهدكم (قلت) لان اشهاد الله على البراءة من الشرك اشهاد صحيح ثابت فى معنى تثبيت التوحيد وأما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به

عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الامر بالشهادة انتهى وانى برىء تنازع فيه أشهد واشهدوا وقد يتنازع المختلفان فى التعدى الاسم الذى يكون صالحا لان يعملا فيه تقول أعطيت زيدا ووهبت لعمرو دينارا كما يتنازع اللازم والمتعدى نحو قام وضربت زيدا وما فى مما تشركون موصولة إما مصدرية و إما بمعنى الذى أى برىء من اشرا ككم آلهة من دونه أو من الذين تشركون وجميعا حال من ضمير كيدونى الفاعل والخطاب انما هو لقومه * وقال الزمخشرى أنتم وآلهتكم انتهى * قيل وبجاهرة هود عليه السلام لهم بالبراءة من أديانهم وحضه اياهم على كيده هم وأصنامهم معجزة لهود أو حرض جماعتهم عليه مع انفراده وقوتهم وكثرتهم فلم يقدروا على نيله بسوء ثم ذكر توكله على الله معلما أنه ربه وربهم ومنبها على أنه من حيث هو ربكم يجب عليكم أن لا تعبدوا الا اياه ومفوضا أمره اليه تعالى ثقة بحفظه وانجاز موعوده ثم وصف قدرة الله تعالى وعظيم ملكه من كون كل دابة فى قبضته وملكه وتحت قهره وسلطانه فأنتم من جملة أولئك المقهورين وقوله آخذ بناصيتها تمثيل اذ كان القادر المالك يقود المقدور عليه بناصيته كما يقاد الاسير والفرس بناصيته حتى صار الأخذ بالناصية عرفا فى القدرة على الحيوان وكانت العرب تجز ناصية الاسير الممنون عليه علامة أنه قد قدر عليه وقبض على ناصيته * قال ابن جريج وخص الناصية لان العرب اذا وصفت انسانا بالذلة والخضوع قالت ما ناصية فلان الا بيد فلان أى أنه مطيع له يصرفه كيف يشاء ثم أخبر أن أفعاله تعالى فى غاية الاحكام وعلى طريق الحق والعدل فى ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده من توكل عليه قوله الصدق ووعده الحق * وقرأ الجمهور فان تولوا أى تتولوا مضارع تولى * وقرأ الاعرج وعيسى الثقفى تولوا بضم التاء واللام مضارع ولى * وقيل تولوا ماض. ويحتاج فى الجواب الى اضمار قول أى فقل لهم قد أبلغتكم ولا حاجة تدعو الى جعله ماضيا واضمار القول * وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون تولوا فعلا ماضيا ويكون فى الكلام رجوع من غيبة الى خطاب أى فقد أبلغتكم انتهى فلا يحتاج الى اضمار والظاهر ان الضمير فى تولوا عائد على قوم هود وخطاب لهم من تمام الجمل المقولة قبل * وقال التبريزى هو عائد على كفار قريش وهو من تلوين الخطاب انتقل من خطاب قوم هود الى الاخبار عمن بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم وكأنه قيل أخبرهم عن قصة قوم هود وادعهم الى الايمان بالله لئلا يصيبهم كما أصاب قوم هود فان تولوا فقل لهم قد أبلغتكم وجواب الشرط هو قوله فقد أبلغتكم وصح أن يكون جوابا لأن فى ابلاغه اليهم رسالته تضمن ما يحل بهم من العذاب المستأصل فكأنه قيل فان تتولوا استؤصلتم بالعذاب ويدل على ذلك الجملة الخبرية وهى قوله ويستخلف ربى قوما غيركم * وقال الزمخشرى (فان قلت) الابلاغ كان قبل التولى فكيف وقع جزاء للشرط (قلت) معناه فان تولوا لم أعاقب على تفريط فى الابلاغ فان ما أرسلت به اليكم قد بلغكم فأبيتم الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول * وقال ابن عطية المعنى انه ما على كبيرهم منكم ان توليتم فقد برئت ساحتى بالتبليغ وأنتم أصحاب الذنب فى الاعراض عن الايمان * وقرأ الجمهور ويستخلف بضم الفاء على معنى الخبر المستأنف أى يهلككم ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم فى دياركم وأموالكم * وقرأ حفص فى رواية هبيرة بجزمها عطفا على موضع الجزاء * وقرأ عبد الله كذلك وبجزم ولا تضروه * وقرأ الجمهور ولا تضرونه أى شيأ من الضرر بتوليتكم لأنه تعالى لا تجوز عليه المضار والمنافع * قال ابن عطية يحتمل من المعنى وجهين أحدهما ولا تضرونه بذهابكم وهلاككم شيأ أى لا ينقص ملكه ولا يختل أمره وعلى هذا

﴿ولما جاء أمرنا نجينا هودا﴾ قيل كانوا أربعة آلاف وقيل ثلاثة آلاف والظاهر تعلق ﴿برحمتنا﴾ بقوله نجينا أي نجيناهم بمجرد رحمة من الله لحقتهم لا بأعمالهم الصالحة وقال الزمخشري فان قلت ما معنى تكرير التنجية قلت ذكر أولا أنه حين أهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت التنجية من عذاب غليظ قال وذلك ان الله تعالى بعث عليهم السموم فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدبارهم وتقطعهم عضوا عضوا ﴿وتلك عاد﴾ إشارة الى قبورهم وآثارهم كأنه قيل سيحوا في الارض فانظروا إليها واعتبروا ثم استأنف الاخبار عنهم فقال جحدوا بها أي بآيات ربهم أي أنكروها واضاف الآيات الى ربهم تنبيها على انه مالكهم ومربيهم فأنكروا آياته والواجب إقرارهم بها وأصل جحد أن يتعدى بنفسه لكنه أجرى مجرى كفر فعدى بالباء كما عدى كفر بنفسه ﴿وعصوا رسله﴾ قيل عصوا هودا والرسل الذين كانوا من قبله وقيل ينزل تكذيب الرسول الواحد منزلة تكذيب الرسل لانهم كلهم مجمعون على الايمان بالله والاقرار بربوبيته لقوله لانفرق بين أحد من رسله ﴿واتبعوا﴾ أي اتبع سقاطهم أمر رؤسائهم وكبرائهم والمعنى انهم أطاعوهم فيما أمروهم به ﴿وأتبعناهم﴾ عام في المتبعين والمتبوعين وانتصب بعدا على أنه مصدر بمعنى الدعاء كأنه قيل أبعدهم الله بعدا ومعناه الدعاء بالهلاك وقوم هود بدل من عاد وانما خصهم بالذكر لان ثم عادا أخرى وهم المشار اليهم بقوله تعالى وأنه أهلك عادا الاولى وهم عاد آدم

المعنى قرأ عبدالله بن مسعود ولا تنقصونه شيأ والمعنى الآخر ولا تضرونه أي ولا تقدرون اذا أهلككم على اضراره بشئ ولا على انتصار منه ولا تقابلون فعله بشئ يضره انتهى وهذا فعل منفي ومدلوله نكرة فينتفي جميع وجوه الضرر ولا يتعين واحد منها ومعنى حفيظ رقيب محيط بالاشياء علما لا يخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم وهو يحفظني مما تكيدونني به ﴿ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ * وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة الا ان عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود﴾ الأمر واحد الأمور فيكون كناية عن العذاب أو عن القضاء بهلاكهم أو مصدر أمر أي أمرنا للريح أو لخزنتها والذين آمنوا معه قيل كانوا أربعة آلاف * وقيل ثلاثة آلاف والظاهر تعلق برحمة منا بقوله نجينا أي نجيناهم بمجرد رحمة من الله لحقتهم لا بأعمالهم الصالحة أو كنى بالرحمة عن أعمالهم الصالحة إذ توفيقهم لها انما هو بسبب رحمته تعالى إياهم ويحتمل أن يكون متعلقا بآمنوا أي ان ايمانهم بالله وبتصديق رسوله انما هو برحمة الله تعالى إياهم إذ وفقهم لذلك وتكررت التنجية على سبيل التوكيد ولقلق من لو لاصقت منا فأعيدت التنجية وهي الأولى أو تكون هذه التنجية هي من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه فأعيدت لأجل اختلاف متعلقها * وقال الزمخشري (فان قلت) فما معنى تكرير التنجية (قلت) ذكر أولا انه حين أهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت التنجية من عذاب غليظ قال وذلك ان الله عز وعلا بعث عليهم السموم فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدبارهم وتقطعهم عضوا عضوا انتهى وهذا قاله الزجاج * وقال ابن عطية ويحتمل أن يريد وكانت النجاة المتقدمة من عذاب غليظ يريد الريح فيكون المقصود على هذا تعديد النعمة والمشهور في عذابهم بالريح انها كانت تحملهم وتهدم مساكنهم وتنسفها وتحمل الظعينة كما هي ونحو هذا وتلك عاد اشارة الى قبورهم وآثارهم كأنه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استأنف الاخبار عنهم فقال جحدوا بآيات ربهم أي أنكروها وأضاف الآيات الى ربهم تنبيها على انه مالكهم ومربيهم فأنكروا آياته والواجب اقرارهم بها وأصل جحد أن يتعدى بنفسه لكنه أجري مجرى كفر فعدي بالباء كما عدي كفر بنفسه في قوله الا ان عادا كفروا ربهم اجراء له مجرى جحد * وقيل كفر كشكر يتعدى تارة بنفسه وتارة بحرف جر وعصوا رسله * قيل عصوا هودا والرسل الذين كانوا من قبله * وقيل ينزل تكذيب الرسول الواحد منزلة تكذيب الرسل لأنهم كلهم مجمعون على الايمان بالله والاقرار بربوبيته كقوله لا نفرق بين أحد من رسله وأتبعوا أي اتبع سقاطهم أمر رؤسائهم وكبرائهم والمعنى انهم أطاعوهم فيما أمروهم به * قال الكلبي الجبار هو الذي يقتل على الغضب ويعاقب على المعصية * وقال الزجاج هو الذي يجبر الناس على ما يريد وذكر ابن الانباري انه العظيم في نفسه المتكبر على العباد والظاهر ان قوله واتبعوا عام في جميع عاد * وقال الزمخشري لما كانوا تابعين له دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله انتهى

فظاهر كلامه يدل على أن اللعنة مختصة بالتابعين للرؤساء ونبه على علة اتباع اللعنة لهم فى الدارين بأنهم كفروا ربهم فالكفر هو الموجب للعنة ثم كرر التنبيه بقوله ألا فى الدعاء عليهم تهويلا لأمرهم وتفظيعا له وبعثا على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم وفائدة قوله قوم هود مزيد التأكيد للمبالغة فى التنصيص أو تعيين عاد هذه من عاد ارم لأن عادا اثنان ولذلك قال تعالى وأنه أهلك عادا الأولى فتحقق أن الدعاء على عاد هذه ولم تلتبس بغيرها ﴿ والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب مجيب * قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد مايعبد آباؤنا واننا لفى شك مما تدعونا اليه مريب * قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله ان عصيته فما تزيدوننى غير تخسير * وياقوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب * فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب * فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ ان ربك هو القوى العزيز * وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين * كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمودا كفروا ربهم ألا بعدا لثمود * ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ * فلما رآ أيديهم لاتصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف انا أرسلنا الى قوم لوط * وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب * قالت ياويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا لشئ عجيب * قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد * فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط ان ابراهيم لحليم أواه منيب * ياابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود * ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب * وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال ياقوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد * قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق وانك لتعلم مانريد * قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد * قالوا يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك انه مصيبها ما أصابهم ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب * فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وماهى من الظالمين ببعيد ﴾ الصيحة فعلة للمرة الواحدة من الصياح يقال صاح يصيح اذا صوت بقوة * حنذت الشاة أحنذها حنذا شويتها وجعلت فوقها حجارة لتنضجها فهى حنيذ وحنذت الفرس أحضرته شوطا أو شوطين ثم ظاهرت عليه الجلال فى الشمس ليعرق * أوجس الرجل قال الأخفش خامر قلبه * وقال الفراء استشعر * وقيل أحس والوجيس مايعترى النفس عند أوائل الفزع ووجس فى نفسه كذا خطر بها يجس وجسا ووجوسا وتوجس تسمع وتحسس قال

وصادقتا سمع التوجس للسرى * لهجس خفى أو لصوت مندد

الضحك معروف وكان ينبغى أن يذكر فى سورة التوبة فى قوله فليضحكوا قليلا ويقال ضحك بفتح الحاء والضحكة الكثير الضحك والضحكة المضحوك منه ويقال ضحكت الأرنب أى حاضت وأنكر أبو عبيدة والفراء وأبو عبيد ضحك بمعنى حاض وعرف ذلك غيرهم وقال الشاعر أنشده اللغويون

وضحك الأرانب فوق الصفا * كمثل دم الجوف يوم اللقا

﴿ وقال آخر ﴾

وعهدى بسلمى ضاحكافى لبانة * ولم يعـد حقا ثديها أن يحلما

أى حائضافى لبانة واللبانة والعلاقة والشوذر واحد ومنه ضحكت الكافورة اذا انشقت وضحكت الشجرة سال منها صمغها وهو شبه الدم وضحك الحوض امتلأ وفاض * الشيخ معروف والفعل شاخ يشيخ وقد يقال للانثى شيخة قال

* وتضحك منى شيخة عبشمية * ويجمع على أشياخ وشيوخ وشيخان ومن أسماء الجموع مشيخة ومشيوخاء * المجيد قال ابن الاعرابى الرفيع يقال مجد يمجد مجدا ومجادة ومجد لغتان أى كرم وشرف وأصله من قولهم مجدت الابل تمجد مجدا شبعت * وقال أمجدت الدابة أكثرت علفها * وقال أبو حية النميرى

نزيد على صواحبها وليست * بماجدة الطعام ولا الشراب

أى ليست بكثيرة الطعام ولا الشراب * وقال الليث أمجد فلان عطاءه ومجده اذا كثره ومن أمثالهم فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار أى استكثر من النار * وقال ابن عطية مجد الشىء اذا حسنت أوصافه * الروع الفزع قال الشاعر

اذا أخذتها هزة الروع أمسكت * بمنكب مقدام على الهول أروعا

والفعل راع يروع قال

ما راعنى الا حمولة أهلها * وسط الديار تسف حب الخمخم

وقال النابغة

فارتاع من صوت كلاب فبات له * طوع الشوامت من خوف ومن صرد

والروع بضم الراء النفس لانها موضع الروع * الذرع مصدر ذرع البعير بيديه فى سيره اذا سار على قدر خطوه مأخوذ من الذراع ثم وضع موضع الطاقة فقيل ضاق به ذرعا وقد يجعلون الذراع موضع الذرع قال * اليك اليك ضاق بها ذرعا * وقيل كنى بذلك عن ضيق الصدر * العصيب والعصبصب والعصوصب الشديد اللازم الشر الملتف بعضه ببعض قال

وكنت لزاز خصمك لم أعدد * وقد سلكوك فى يوم عصيب

* قال أبو عبيدة سمى عصيبا لانه يعصب الناس بالشر والعصبة والعصابة الجماعة المجتمعة كلهم أو المجتمعون فى النسب وتعصبت لفلان وفلان معصوب أى مجتمع الخلق * الاهراع قال شمر مشى بين الهرولة والجمز * وقال الهروى هرع الرجل وأهرع استحث * الضيف مصدر واذا أخبر به أو وصف لم يطابق فى تثنية ولا جمع هذا المشهور * وسمع فيه ضيوف وأضياف وضيفان * الركن معروف وهو الناحية من البيت أو الجبل ويقال ركن بضم الكاف ويجمع على أركان وأركن وركنت الى فلان انضويت اليه * سرى وأسرى بمعنى واحد قاله أبو عبيدة والأزهرى وعن الليث أسرى سار أول الليل وسرى سار آخره ولا يقال فى النهار الاسار * السجيل والسجين الشديد من الحجر قاله أبو عبيدة * وقال الفراء طين طبخ حتى صار بمنزلة الآجر * وقيل هو فارسى وسنك الحجر وكل الطين يعرب فقيل سجين * المنضود المجعول بعضه فوق بعض ﴿ والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب مجيب * قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد

﴿والى ثمود أخاهم صالحا﴾ الآية ﴿ هو أنشأكم ﴾ اخترعكم ﴿من الأرض﴾ أى باختراع آدم صلى الله عليه وسلم أصلهم فكان انشاء الاصل انشاء للفرع ﴿ واستعمركم﴾ جعلكم عمارا وقيل استعمركم من العمر أى استبقاكم فيها ﴿ ان ربى قريب ﴾ أى دانى الرحمة ﴿مجيب﴾ لمن دعاه ﴿ قد كنت فينا مرجوا﴾ قال كعب كانوا يرجونه للملكة بعد ملكهم لانه كان ذا حسب وثروة وعن ابن عباس كان فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا والاشارة بهذا الى الامر بعبادة الله تعالى وافراده بها

مايعبد آباؤنا وانناالفى شك مماتدعونا اليه مريب ﴾ قرأ ابن وثاب والأعمش والى ثمود بالصرف على ارادة الحى * والجمهور على منع الصرف ذهابا الى القبيلة أنشأ كم اخترعكم وأوجدكم وذلك باختراع آدم أصلهم فكان انشاء الأصل انشاء للفرع * وقيل من الأرض باعتبار الأصل المتولد منه النبات المتولد منه الغذاء المتولد منه المنى ودم الطمث المتولد منهما الانسان * وقيل من بمعنى فى واستعمركم جعلكم عمارا * وقيل استعمركم من العمر أى استبقاكم فيها قاله الضحاك أى أطال أعماركم * وقيل من العمرى قاله مجاهد فيكون استعمر فى معنى أعمر كاستهلكه فى معنى أهلكه والمعنى أعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم أو بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان من ورث داره من بعده فانه أعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره * وقال زيد بن أسلم استعمركم أمركم بعمارة ماتحتاجون اليه من بناء مساكن وغرس أشجار * وقيل ألهمكم عمارتها من الحرث والغرس وحفر الأنهار وغيرها ان ربى قريب أى دانى الرحمة مجيب لمن دعاه * قد كنت فينا مرجوا * قال كعب كانوا يرجونه للمملكة بعد ملكهم لانه كان ذا حسب وثروة * وعن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا * وقال مقاتل كانوا يرجون رجوعه الى دينهم اذ كان يبغض أصنامهم ويعدل عن دينهم فلما أظهر انذارهم انقطع رجاؤهم منه وذكر الماوردى يرجون خيره فلما أنذرهم انقطع رجاؤه خيره * وبسط الزمخشرى هذا القول فقال فينا فيما بيننا مرجوا كانت تلوح فيك مخايل الخير وأمارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاورا فى الأمور مسترشدا فى التدابير فلما انطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا أن لاخير فيك انتهى * وقيل لما كان قوى الخاطر وكان من قبيلتهم قوى رجاؤهم فى أن ينصر دينهم ويقوى مذهبهم * وقال ابن عطية والظاهر الذى حكاه الجمهور أن قوله مرجوا مشورا نؤمل فيك ان تكون سيدا سادا مسد الأكابر ثم قرروه على التوبيخ فى زعمهم بقولهم أتنهانا * وحكى النقاش عن بعضهم انه قال معناه حقيرا فاما ان يكون لفظ مرجو بمعنى حقير فليس ذلك فى كلام العرب وانما يتجه ذلك على جهة التفسير للمعنى وذلك ان القصد بقولهم مرجوا بقول لقد كنت فينا سهلا مراماً قريبا رد أمرك ممن لا يظن أن يستعجل من أمره مثل هذا فمعنى مرجوا أى مؤخرا اطراحه وغلبته ونحو هذا فيكون ذلك على جهة الاحتقار ولذلك فسر بحقير ثم يجىء قولهم أتنهانا على جهة التوعد والاستبشاع لهذه المقالة منه انتهى ومايعبد آباؤنا حكاية حال ماضية وانا واننا لغتان لقريش * قال الفراء من قال اننا أخرج الحرف على أصله لأن كناية المتكلمين نا فاجتمعت ثلاث نونات ومن قال انا استثقل اجتماعها فأسقط الثالثة وأبقى الأولتين انتهى والذى أختاره أن نا ضمير المتكلمين لاتكون المحذوفة لان فى حذفها حذف بعض اسم وبقى منه حرف ساكن وانما المحذوفة النون الثانية من ان فحذفت لاجتماع الامثال وبقى من الحرف الهمزة والنون الساكنة وهذا أولى من حذف مابقى منه حرف وأيضا فقد عهد حذف هذه النون مع غير ضمير المتكلمين ولم يعهد حذف نون نا فكان حذفها من ان أولى ومريب اسم فاعل من متعد أرابه أوقعه فى الريبة وهى قلق النفس وانتفاء الطمأنينة أو من لازم أراب الرجل اذا كان ذا ريبة وأسند ذلك الى الشك اسنادا مجازيا ووجود مثل هذا الشك كوجود التصميم على الكفر ﴿ قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله ان عصيته فما تزيدوننى غير تخسير ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله

على أصله لانه كناية المتكلمين فاجتمعت ثلاث نونات ومن قال انا استثقل اجتماعها فأسقط الثالثة وأبقى الأولتين والذى اختاره ان نا ضمير المتكلمين لاتكون المحذوفة لان فى حذفها حذف بعض اسم وهى منه حرف ساكن وانما المحذوفة النون الثانية من ان فحذفت لاجتماع الامثال وبقى من الحرف الهمزة والنون الساكنة بعد هذا أولى من حذف مابقى منه حرف وأيضا فقد عهد حذف هذه النون مع غير ضمير المتكلمين ولم يعهد حذف نون نا فكان حذفها من أن أولى ومريب اسم فاعل من متعد أرابه أوقعه فى الريبة وهى قلق النفس وانتفاء الطمأنينة أو من لازم أراب الرجل اذا كان ذا ريبة وأسند ذلك الى الشك اسنادا مجازيا ووجود مثل هذا الشك كوجود التصميم على الكفر ﴿ قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة ﴾ الآية تقدم الكلام على أرأيتم فى قصة نوح صلى الله عليه وسلم ﴿ غير تخسير ﴾ غير أن أخسركم أى أنسبكم الى الخسران وأقول انكم خاسرون ففعل هذا للنسبة كفسقته وفجرته أى نسبته الى الفسق والفجور قال الزمخشرى فان قلت فما ملق لكم قلت ما به

ولاتمسوهابسوء فيأخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ﴾ تقدم الكلام فى أرأيتم فى قصة نوح والمفعول الثانى هنا لارأيتم محذوف يدل عليه قوله فمن ينصرنى من الله ان عصيته والتقدير أعصيه فى ترك ماأناعليه من البينة * وقال ابن عطية أرأيتم هو من رؤية القلب والشرط الذى بعده وجوابه يسد مسد مفعولى علمت وأخواتها وادخال أداة الشرط التى هى ان على جملة محققة وهى كان على بينة من ربه لكنه خاطب الجاحدين للبينة فكأنه قال قدروا أنى على بينة من ربى وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربى فى أوامره فمن يمنعنى من عذابه * قال ابن عطية وفى الكلام محذوف تقديره أيضرنى شككم أو أيمكننى طاعتكم ونحو هذا مما يليق بمعنى الآية انتهى وهذا التقدير الذى قدره استشعار منه بالمفعول الثانى الذى يقتضيه أرأيتم وأن الشرط وجوابه لايقعان ولايسدان مسد مفعولى أرأيتم والذى قدرناه نحن هو الظاهر لدلالة قوله فمن ينصرنى من الله ان عصيته فما تزيدوننى غير تخسير * قال الزمخشرى غير أن أخسركم أى أنسبكم الى الخسران وأقول انكم خاسرون انتهى يفعل هذا للنسبة كفسقته وفجرته أى نسبته الى الفسق والفجور * قال ابن عباس معناه ماتزيدوننى بعبادتكم الابصارة فى خسرانكم انتهى فهو على حذف مضاف أى غير بصاوة تخسيركم * وقال مجاهد ماتزدادون أنتم باحتجاجكم بعبادة آبائكم الاخسارا وأضاف الزيادة الى نفسه لانهم أعطوه ذلك وكان سألهم الايمان * وقال ابن عطية فما تعطوننى فيما اقتضيته منكم من الايمان غير تخسير لانفسكم وهو من الخسارة وليس التخسير الاالهم وفى حيزهم وأضاف الزيادة اليه من حيث هو مقتض لاقوالهم موكل بايمانهم كما تقول لمن توصيه أنا أريدك خيرا وأنت تريدنى سوأ وكان الوجه البين أن يقول وأنت تريد شرا لكن من حيث كنت مريد خير ومقتضى ذلك حسن أن يضيف الزيادة الى نفسك انتهى * وقيل التقدير فما تحملوننى عليه غير أنى أخسركم أى أرى منكم الخسران * وقيل التقدير تخسروننى أعمالكم وتبطلونها * قيل وهذا أقرب لأن قوله فمن ينصرنى من الله ان عصيته كالدلالة على أنه أراد ان اتبعتكم فيما أنتم عليه ودعوتمونى اليه لم أزدد الاخسرانا فى الدين فأصير من الهالكين الخاسرين وانتصب آية على الحال والخلاف فى الناصب فى نحو هذا زيد منطلقا أهو حرف التنبيه أو اسم الاشارة أو فعل محذوف جار فى نصب آية ولكم فى موضع الحال لأنه لو تأخر لكان نعتا لآية فلما تقدم على النكرة كان حالا والعامل فيها محذوف * وقال الزمخشرى (فان قلت) فبم يتعلق لكم (قلت) بآية حالا منها متقدمة لانها لو تأخرت لكان صفة لها فلما تقدمت انتصب على الحال انتهى وهذا متناقض لأنه من حيث تعلق لكم بآية كان لكم معمولا لآية واذا كان معمولا لها امتنع أن يكون حالا منها لان الحال تتعلق بمحذوف فتناقض هذا الكلام لانه من حيث كونه معمولا لها كانت هى العاملة ومن حيث كونه حالا منها كان العامل غيرها وتقدم الكلام على الجمل التى بعد آية * وقرأت فرقة تأكل بالرفع على الاستئناف أو على الحال وقريب عاجل لايستأخر عن مسكموها بسوء الايسيرا وذلك ثلاثة أيام ثم يقع عليكم وهذا الاخبار بوحى من الله تعالى فعقروها نسب الى جميعهم وان كان العاقر واحدا لانه كان برضا منهم وتمالؤ ومعنى تمتعوا استمتعوا بالعيش فى داركم فى بلدكم وتسمى البلاد الديار لانها يدار فيها أى يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم قاله الزمخشرى * وقال ابن عطية فى داركم جمع دارة كساحة وساح وسوح ومنه قول أمية بن أبى الصلت

حالامنها متقدمة لانها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال انتهى هـذا متناقض لانه من حيث تعلق لكم بآية كان لكم معمولا لآية واذا كان معمولا لها امتنع أن يكون حالا منها لان الحال يتعلق بمحذوف فيتناقض هـذا الكلام لانه من حيث كونه معمولا لها كانت هى العاملة ومن حيث كونه حالا منها كان العامل غيرها ومعنى ﴿تمتعوا﴾ استمتعوا بالعيش ﴿فى داركم﴾ فى بلدكم وتسمى البلاد الديار ﴿ذلك﴾ أى الوعد بالعذاب ﴿غير مكذوب﴾ أى صدق حق والاصل غير مكذوب فيه فاتسع فيه بحرف الجر

(الدر)

(ح) وانتصابه على الحال والخلاف فى الناصب فى نحو هـذا زيد منطلقا أهو حرف التنبيه أو اسم الاشارة أو فعل محذوف جار فى نصب آية ولكم فى موضع الحال لأنه لو تأخر لكان نعتا لآية فلما تقدم على النكرة كان حالا والعامل فيها محذوف (ش) فان قلت فبم يتعلق لكم قلت بآية حالا منها مقدمة لأنها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال (ح) هذا متناقض لأنه من حيث تعلق لكم بآية كان لكم معمولا لآية واذا كان معمولا لها امتنع أن يكون حالا منها لان الحال تتعلق

بمحذوف فتناقض هذا الكلام لانه من حيث كونه معمولا لها كانت هي العاملة ومن حيث كونه حالا منها كان العامل غيرها وأجرى الضمير مجرى المفعول به ﴿فلما جاء أمرنا نجينا صالحا﴾ والكلام في جاء أمرنا كالكلام السابق في قصة هود ومن يتعلق بمحذوف أي ونجيناهم من خزي أي وكانت التنجية من خزي يومئذ وقرئ ومن خزي بالتنوين ونصب يومئذ على الظرف معمولا لخزي وقرئ بالاضافة وفتح الميم والتنوين في اذ تنوين عوض من الجملة المحذوفة المتقدمة الذكر أي ومن فضيحة يوم اذ جاء الامر وحل بهم وقال الزمخشري ويجوز أن يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة انتهى وهذا ليس بجيد لأن التنوين في إذ تنوين عوض ولم تتقدم الا قوله فلما جاء أمرنا ولم يتقدم جملة فيها ذكر يوم القيامة ولا ما يكون فيها فيكون هذا التنوين عوضا من الجملة التي تكون في يوم القيامة وناسب مجيء الامر وصفه تعالى بالقوي العزيز فانهما من صفات الغلبة والقهر والانتقام والجملة التي (٢٤٠) بعد هذا تقدم الكلام عليها في الاعراف ﴿ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى﴾ الآيات أدرج شيئا من أخبار ابراهيم صلى الله عليه وسلم بين قصة صالح ولوط لان له مدخلا في قصة لوط وكان ابراهيم ابن خالة لوط عليهما السلام والرسل هنا الملائكة بشرت ابراهيم صلى الله عليه وسلم بثلاث بشائر بالولد وبالخلة وبانجاء لوط ومن آمن معه قيل كانوا اثنى عشر ملكا قاله ابن عباس وانتصب سلاما على اضمار الفعل أي سلمنا عليك سلاما فسلاما قطعه معمولا للفعل المضمر المحكي فقالوا وسلام خبر مبتدأ محذوف أي أمري وأمركم سلام أو مبتدأ محذوف الخبر أي عليكم سلام والجملة محكية وان كان حذف منها أحد جزءيها ﴿فما لبث﴾ ما نافية ولبث معناه تأخر وأبطأ وأن جاء فاعل بلبث التقدير فما تأخر مجيئه ان جاء ويجوز أن يكون في لبث ضمير ابراهيم فهو فاعل وأن جاء على اسقاط الحرف فقدر بأن وبعن وبفي وهذا من أدب الضيافة وهو تعجيل القرى وكان مال ابراهيم البقر فقدم أحسن ما فيه وهو العجل ومعنى ﴿حنيذ﴾ أي مشوي ﴿لا تصل اليه﴾ أي الى أكله ﴿نكرهم﴾ أي أنكرهم قال الشاعر

وأنكرتني وما كان الذي نكرت * من الحوادث الا الشيب والصلعا

﴿فأوجس منهم خيفة﴾ قال الحسن حدث به نفسه والظاهر انه لم يعرف أنهم ملائكة لمجيئهم في صورة البشر وكان مشغوفا

له داع بمكة مشمعل * وآخر فوق دارته ينادي

ويمكن أن يسمى جميع مسكن الحي دارا انتهى ذلك أي الوعد بالعذاب غير مكذوب أي صدق حق والأصل غير مكذوب فيه فاتسع فحذف الحرف وأجرى الضمير مجرى المفعول به أو جعل غير مكذوب لانه وفى به فقد صدق أو على أن المكذوب هنا مصدر عند من يثبت أن المصدر يجيء على زنة مفعول ﴿فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعدا لثمود﴾ والكلام في جاء أمرنا كالكلام السابق في قصة قوم هود * قيل الواو زائدة في ومن أي من خزي يومئذ فيتعلق من بنجينا وهذا لا يجوز عند البصريين لان الواو لا تزاد عندهم بل تتعلق من بمحذوف أي ونجيناهم من خزي أي وكانت التنجية من خزي يومئذ * وقرأ طلحة وابان بن تغلب ومن خزي بالتنوين ونصب يومئذ على الظرف معمولا لخزي * وقرأ الجمهور بالاضافة وفتح الميم نافع والكسائي وهي فتحة بناء لاضافته الى اذ وهو غير متمكن * وقرأ باقي السبعة بكسر الميم وهي حركة اعراب والتنوين في اذ تنوين عوض من الجملة المحذوفة المتقدمة الذكر أي ومن فضيحة يوم اذ جاء الامر وحل بهم * وقال الزمخشري ويجوز أن يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة انتهى وهذا ليس بجيد لان التنوين في اذ تنوين العوض ولم يتقدم الا قوله فلما جاء أمرنا ولم تتقدم جملة فيها ذكر يوم القيامة ولا ما يكون فيها فيكون هذا التنوين عوضا من الجملة التي تكون في يوم القيامة وناسب مجيء الامر وصفه تعالى بالقوي العزيز فانهما من صفات الغلبة والقهر والانتقام والجملة التي بعد هذا تقدم الكلام عليها في الاعراف ألا ان ثمود منع حمزة وحفص صرفه وصرفه الباقون لثمود صرفه الكسائي ومنعه باقي السبعة ﴿ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته

(الدر) (ح) التنوين في اذ تنوين عوض من الجملة المحذوفة المتقدمة الذكر أي ومن فضيحة يوم اذ جاء الأمر وحل بهم (ش) ويجوز أن يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة انتهى (ح) هذا ليس بجيد لان التنوين في اذ تنوين العوض ولم يتقدم الا قوله فلما جاء أمرنا ولم تتقدم جملة فيها ذكر يوم القيامة ولا ما يكون فيها فيكون هذا التنوين

با كرام الاضياف فلذلك جاؤا فى صورهم وانما عرف أنهم ملائكة بقولهم لاتخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة وهى سارة بنت هاران بن ناخور وهى ابنة عمه قائمة أى لخدمة الاضياف وكان نساؤهم لاتحتجب كعادة العرب ونازلة البوادى والصحراء ولم يكن التبرج مكروها عندهم وكانت عجوزا وخدمة الضيفان مما تعد من مكارم الاخلاق ﴿فضحكت﴾ قال مجاهد حاضت وقال الجمهور هو الضحك المعروف فقيل هو مجاز معبر به عن طلاقة الوجه وسروره بنجاة أخيها وهلاك قومه ﴿فبشرناها﴾ هذا موافق لقوله تعالى ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى والمعنى فبشرناها على لسان رسلنا بشرتها الملائكة باسحق وبأن اسحق سيلد يعقوب ﴿ياويلتا﴾ الالف فى ياويلتا بدل من ياء الاضافة وياويلتا كلمة تخف على أفواه النساء اذا طرأ عليهن ما يتعجبن منه واستفهمت بقولها أألد استفهام انكار وتعجب ﴿وأنا عجوز﴾ ومابعده جملتا حال وانتصب ﴿شيخا﴾ على الحال والاشارة بهذا الى بعلى تعجبت من حدوث ولد بين شيخين هرمين واستغربت ذلك من حيث العادة لا انكارا لقدرة الله تعالى ﴿قالوا﴾ أى الملائكة ﴿أتعجبين﴾ استفهام انكار لعجبها ﴿فلما ذهب عن ابراهيم الروع﴾ الآية الروع الخيفة التى كان أوجسها فى نفسه حين نكر أضيافه والمعنى اطمأن قلبه بعلمه أنهم ملائكة والبشرى تبشيره بالولد أو بأن المراد بمجيئهم غيره وجواب لما محذوف تقديره اجترأ على الخطاب ودل على ذلك الجملة

قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب قالت ياويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا لشئ عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد﴾ تقدم أن ترتيب قصص هذه السورة كترتيب قصص الاعراف وانما أدرج شيأ من أخبار ابراهيم عليه السلام بين قصة صالح ولوط لان له مدخلا فى قصة لوط وكان ابراهيم ابن خالة لوط والرسل هنا الملائكة بشرت ابراهيم بثلاث بشائر بالولد وبالخلة وبانجاء لوط ومن آمن معه * قيل كانوا اثنى عشر ملكا روى ذلك عن ابن عباس * وقال السدى أحد عشر وحكى صاحب الغنيان عشرة منهم جبريل * وقال الضحاك تسعة * وقال محمد بن كعب ثمانية * وحكى الماوردى أربعة * وقال ابن عباس وابن جبير ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل * وقال مقاتل جبريل وميكائيل وملك الموت * وروى ان جبريل عليه السلام كان مختصا باهلاك قوم لوط وميكائيل ببشرى ابراهيم باسحاق عليهما السلام واسرافيل بانجاء لوط ومن آمن معه * قيل وكانت الملائكة جردا مردا على غاية من الحسن والجمال والبهجة ولهذا يضرب بهم المثل فى الحسن كما قال تعالى حكاية عما قيل فى يوسف ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم * وقال الغزى

قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة * حسنا وان قوتلوا كانوا عفاريتا

وانتصب سلاما على اضمار الفعل أى سلمنا عليك سلاما فسلاما قطعه معمولا للفعل المضمر المحكى بقالوا قال ابن عطية ويصح أن يكون سلاما حكاية لمعنى ماقالوا لا حكاية للفظهم قاله مجاهد والسدى ولذلك عمل فيه القول كما تقول لرجل قال لا اله الا الله قلت حقا واخلاصا ولو حكيت لفظهم لم يصح أن يعمل فيه القول انتهى ويعنى لم يصح أن يعمل فى لفظهم القول يعنى فى اللفظ وان كان مالفظوا به فى موضع المفعول للقول وسلام خبر مبتدا محذوف أى أمرى أو أمركم سلام أو مبتدا محذوف الخبر أى عليكم سلام والجملة محكية وان كان حذف منها أحد جزءيها كما قال

* اذا ذقت فاها قلت طعم مدامة * أى طعمه طعم مدامة * وقرأ الاخوان قال سلم والسلم السلام كحرم وحرام ومنه قول الشاعر

مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت * كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح

اكتل اتخذ اكليلا * قال ابن عطية ويحتمل أن يريد بالسلم ضد الحرب تقول نحن سلم لكم انتهى ونصب سلاما يدل على التجدد ورفع سلام يدل على الثبوت والاستقرار والاقرب فى اعراب فما لبث أن تكون ما نافية ولبث معناه تأخر وابطأ وأن جاء فاعل بلبث التقدير فما تأخر مجيئه قاله الفراء وجوزوا ان يكون فى لبث ضميرا براهيم فهو فاعل وأن جاء على اسقاط الحرف فقدر بان وبعن وبفى وجعل بعضهم أن بمعنى حتى حكاه ابن العربى وأن تكون ما مصدرية وذلك المصدر فى موضع رفع بالابتداء وأن تكون بمعنى الذى أى فلبثه أو الذى لبثه والخبر ان جاء على حذف أى قدر مجيئه وهذا من أدب الضيافة وهو تعجيل القرى وكان مال ابراهيم البقر فقدم أحسن ما فيه وهو

(الدر) عوضا من الجملة التى تكون فى يوم القيامة

العجل * قال مجاهد حنيذ مطبوخ * وقال الحسن نضيج مشوى سمين يقطر ودكا * وقال السدى سمين * وقيل سميط لايصل اليه أى الى العجل والمعنى لايمدون أيديهم الى أكله فلم ينف الوصول الناشئ عن المدبل جعل عدم الوصول استعارة عن امتناعهم من الاكل نكرهم أى أنكرهم قال الشاعر

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت * من الحوادث الا الشيب والصلعا

* وقيل نكر فيما يرى وأنكر فيما لا يرى من المعانى فكان الشاعر قال وأنكرت مودتى ثم جاءت بنكر الشيب والصلع مما يرى بالبصر ومنه قول أبى ذؤيب

فنكرنه فنفرن وامترست به * هوجاء هادية وهاد جرشع

وروى انهم كانوا ينكتون بقداح كانت بأيديهم فى اللحم ولا تصل أيديهم اليه وينبغى ان ينظر من الضيف هل يأكل أولا ويكون بتلفت ومسارعة لابتحديد النظر لان ذلك مما يجعل الضيف مقصرا فى الاكل قيل كان ابراهيم عليه السلام ينزل فى طرف من الارض مخافة أن يريدوا به مكروها * وقيل كانت عادتهم اذا مس من يطرقهم طعامهم أمنوا والا خافوه قال الزمخشرى ويظهر أنه أحس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف ان يكون نزولهم لامر أنكره الله عليه أو لتعذيب قومه ألا ترى الى قولهم لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيما أرسلوا * قال مقاتل فاوجس وقع فى قلبه * وقال الحسن حدث به نفسه قيل وأصل الوجوس الدخول فكان الخوف دخل عليه والظاهر انه لم يعرف انهم ملائكة لمجيئهم فى صورة البشر وكان مشغوفا باكرام الاضياف فلذلك جاؤا فى صورهم ولمسارعته الى احضار الطعام اليهم ولان امتناع الملائكة من الاكل لايدل على حصول الشر وانما عرف انهم ملائكة بقولهم لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط فنهوه عن شئ وقع فى نفسه وعرفوا خيفته بكون الله جعل لهم من الاطلاع ما لم يجعل لغيرهم كقوله تعالى يعلمون ماتفعلون وفى الحديث الصحيح قالت الملائكة ربى عبدك هذا يريد أن يعمل سيئة الحديث أو بما يلوح فى صفحات وجه الخائف وامرأته قائمة جملة من ابتداء وخبر قال الحوفى وأبو البقاء فى موضع الحال قال أبو البقاء من ضمير الفاعل فى أرسلنا يعنى المفعول الذى لم يسم فاعله والزمخشرى يسميه فاعلا لقيامه مقام الفاعل وقال الحوفى والتقدير أرسلنا الى قوم لوط فى حال قيام امرأته يعنى امرأة ابراهيم والظاهر أنه حال من ضمير قالوا أى قالوا الا ابراهيم لا تخف فى حال قيام امرأته وهى سارة بنت هاران بن ناخور وهى ابنة عمه قائمة أى لخدمة الاضياف وكانت نساؤهم لاتحتجب كعادة الاعراب ونازلة البوادى والصحراء ولم يكن التبرج مكروها وكانت عجوزا وخدمة الضيفان مما يعد من مكارم الاخلاق قاله مجاهد وجاء فى شرعنا مثل هذا من حديث أبى أسيد الساعدى وكانت امرأته عروسا فكانت خادمة الرسول ومن حضر معه من أصحابه * وقال وهب كانت قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم * وقال ابن اسحاق قائمة تصلى * وقال المبرد قائمة عن الولد * قال الزمخشرى وفى مصحف عبد الله وامرأته قائمة وهو قاعد * وقال ابن عطية وفى قراءة ابن مسعود وهى قائمة وهو جالس ولم يتقدم ذكر امرأة ابراهيم فيضمر لكنه يفسره سياق الكلام * قال مجاهد وعكرمة فضحكت حاضت * قال الجمهور هو الضحك المعروف * فقيل هو مجاز معبر به عن طلاقة الوجه وسروره بنجاة أخيها وهلاك قومه يقال أتيت على روضة تضحك أى مشرقة * وقيل هو حقيقة * فقال مقاتل وروى عن ابن عباس ضحكت من شدة خوف ابراهيم

وهو في أهله وغلمانه والذين جاؤه ثلاثة وهي تعهده بغلب الاربعين * وقيل المائة * وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم * وقال السدي ضحكت من امساك الاضياف عن الأكل وقالت عجبا لاضيافنا نخدمهم بأنفسنا وهم لا يأكلون طعامنا * وقال وهب بن منبه وروى عن ابن عباس ضحكت من البشارة باسحاق وقال هذا مقدم بمعنى التأخير وذكر ابن الانباري أن ضحكها كان سرورا بصدق ظنها لأنها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك ابن أخيك لوطا وكان أخاها فانه سينزل العذاب بقومه * وقيل ضحكت لما رأت من المعجز وهو ان الملائكة مسحت العجل الحنيذ فقام حيا يطفر والذي يظهر والله أعلم انهم لما لم يأكلوا وأوجس في نفسه خيفة بعد ما نكر حالهم لحق المرأة من ذلك أعظم ما لحق الرجل فلما قالوا لا تخف وذكروا سبب مجيئهم زال عنه الخوف وسر فلحقها هي من السرور ان ضحكت إذ النساء في باب الفرح والسرور أطرب من الرجال وغالب عليهن ذلك وقد أشار الزمخشري الى طرف من هذا فقال فضحكت سرورا بزوال الخيفة وذكر محمد بن قيس سببا للضحك تركناه ذكره لفظاعته يوقف عليه في تفسير ابن عطية وقرأ محمد بن زياد الاعرابي رجل من قراء مكة فضحكت بفتح الحاء * قال المهدوي وفتح الحاء غير معروف فبشرناها هذا موافق لقوله تعالى ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى والمعنى فبشرناها على لسان رسلنا بشرتها الملائكة باسحاق وبأن اسحاق سيلد يعقوب * قال ابن عطية أضاف فعل الملائكة الى ضمير اسم الله تعالى إذ كان ذلك بأمره ووحيه * وقال غيره لما ولد لابراهيم اسماعيل عليهما السلام من هاجر تمنت سارة أن يكون لها ابن وأيست لكبر سنها فبشرت بولد يكون نبيا ويلد نبيا فكان هذا بشارة لها بأن ترى ولد ولدها وانما بشر وها دونه لأن المرأة أعجل فرحا بالولد ولأن ابراهيم قد بشروه وأمنوه من خوفه فأتبعوا بشارته ببشارتها * وقيل خصت بالبشارة حيث لم يكن لها ولد وكان لابراهيم عليه السلام ولده اسماعيل والظاهر أن وراء هنا ظرف استعمل اسما غير ظرف بدخول من عليه كأنه قيل ومن بعد اسحاق أو من خلف اسحاق وبمعنى بعد * روي عن ابن عباس واختاره مقاتل وابن قتيبة وعن ابن عباس أيضا أن الوراء ولد الولد وبه قال الشعبي واختاره أبو عبيدة وتسميته وراء هي قريبة من معنى وراء الظرف إذ هو ما يكون خلف الشئ وبعده * فان قيل كيف يكون يعقوب وراء لاسحاق وهو ولده لصلبه وانما الوراء ولد الولد فقد أجاب عنه ابن الانباري فقال المعنى ومن الوراء المنسوب الى اسحاق يعقوب لأنه قد كان الوراء لابراهيم من جهة اسحاق فلو قال ومن الوراء يعقوب لم يعلم أهذا الوراء منسوب الى اسحاق أم الى اسماعيل فأضيف الى اسحاق لينكشف المعنى ويزول اللبس انتهى وبشرت من بين أولاد اسحاق بيعقوب لأنها رأته ولم ترغيره وهذه البشارة لسارة كانت وهي بنت تسع وتسعين سنة وابراهيم ابن مائة سنة * وقيل كان بينهما غير ذلك وهي أقوال متناقضة وهذه الآية تدل على أن اسماعيل هو الذبيح لأن سارة حين أخدمها الملك الجبار هاجر أم اسماعيل كانت شابة جميلة فاتخذ ابراهيم هاجر سرية فغارت منها سارة فخرج بها وبابنها اسماعيل من الشام على البراق وجاء من يومه مكة وانصرف الى الشام من يومه ثم كانت البشارة باسحاق وسارة عجوز محالة وسيأتي الدليل على ذلك أيضا من سورة والصافات ويجوز أن يكون الله سماها حالة البشارة بهذين الاسمين ويجوز أن يكون الاسمان حدثا لها وقت الولادة وتكون البشارة بولد ذكر بعده ولد ذكر وحالة الاخبار عن البشارة ذكرا باسمهما كما يقول المخبر اذا بشر في النوم بولد ذكر فولد له ولد ذكر فسماه مثلا عبد الله بشرت بعبد

الله * وقرأ الحرميان والنحويان وأبو بكر يعقوب بالرفع على الابتداء ومن وراء الخبر كأنه قيل ومن وراء اسحاق يعقوب كائن وقدره الزمخشري مولود أو موجود * قال النحاس والجملة حال داخلة في البشارة أي فبشرناها باسحاق متصلا به يعقوب وأجاز أبو علي أن يرتفع بالجار والمجرور كما أجازه الاخفش أي واستقر لها من وراء اسحاق يعقوب وقالت فرقة رفعه على القطع بمعنى ومن وراء اسحاق يحدث يعقوب * وقال النحاس ويجوز أن يكون فاعلا باضمار فعل تقديره ويحدث من وراء اسحاق يعقوب * قال ابن عطية وعلى هذا لا تدخل البشارة انتهى ولا حاجة الى تكلف القطع والعدول عن الظاهر المقتضى للدخول في البشارة * وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص وزيد بن علي يعقوب بالنصب * قال الزمخشري كأنه قيل ووهبنا له اسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب على طريقة قوله * ليسوا مصلحين عشيرة * ولا ناعب * انتهى يعني انه عطف على التوهم والعطف على التوهم لا ينقاس والاظهر أن ينتصب يعقوب باضمار فعل تقديره ومن وراء اسحاق وهبنا يعقوب ودل عليه قوله فبشرناها لأن البشارة في معنى الهبة ورجح هذا الوجه أبو علي ومن ذهب الى أنه مجرور معطوف على لفظ باسحاق أو على موضعه فقوله ضعيف لأنه لا يجوز الفصل بالظرف أو المجرور بين حرف العطف ومعطوفه المجرور لا يجوز مررت بزيد اليوم وأمس عمرو فان جاء ففي شعر فان كان المعطوف منصوبا أو مرفوعا ففي جواز ذلك خلاف نحو قام زيد واليوم عمرو وضربت زيدا واليوم عمرا والظاهر ان الالف في ياويلتا بدل من ياء الاضافة نحو يالهفا وياعجبا وأمال الألف من ياويلتا عاصم وأبو عمرو والاعشى إذ هي بدل من الياء * وقرأ الحسن ياويلتي بالياء على الاصل * وقيل الالف ألف الندبة ويوقف عليها بالهاء وأصل الدعاء بالويل ونحوه في التفجع لشدة مكروه يدهم النفس ثم استعمل بعد في عجب يدهم النفس وياويلتا كلمة تخف على أفواه النساء اذا طرأ عليهن مايعجبن منه واستفهمت بقولها أألد استفهام انكار وتعجب وأنا عجوز ومابعده جملتا حال وانتصب شيخا على الحال عند البصريين وخبر التقريب عند الكوفيين ولا يستغنى عن هذه الحال اذا كان الخبر معروفا عند المخاطب لأن الفائدة انما تقع بهذه الحال اما اذا كان مجهولا عنده فأردت أن تفيد المخاطب ما كان يجهله فتجيء الحال على بابها مستغنى عنها * وقرأ ابن مسعود وهو في مصحفه والاعمش شيخ بالرفع وجوزوا فيه وفي بعلي أن يكونا خبرين كقولهم هذا حلو حامض وأن يكون بعلي الخبر وشيخ خبر مبتدأ محذوف أو بدل من بعلي وأن يكون بعلي بدلا أو عطف بيان وشيخ الخبر والاشارة بهذا الى الولادة أو البشارة بها تعجبت من حدوث ولد بين شيخين هرمين واستغربت ذلك من حيث العادة لا انكار القدرة الله تعالى قالوا أي الملائكة أتعجبين استفهام انكار لعجبها * قال الزمخشري لأنها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادة فكان عليها أن تتوفر ولا يزدهيها مايزدهي سائر النساء في غير بيت النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك أشارت الملائكة في قولهم رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت أرادوا أن هذه وأمثالها مما يكرمكم رب العزة ويخصكم بالانعام به ياأهل بيت النبوة فليست بمكان عجيب وأمر الله قدرته وحكمته وقوله رحمة الله وبركاته عليكم كلام مستأنف علل به انكار التعجب كأنه قيل اياك والتعجب فان أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم * وقيل الرحمة النبوة والبركات الأسباط من بني اسرائيل لان الأنبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم انتهى * وقيل رحمته تحيته وبركاته فواصل خيره بالخلة والامامة * وروى

المستأنفة وهي يجادلنا ﴿ يا ابراهيم أعرض عن هذا ﴾ أي قالت الملائكة والاشارة بهذا الى الجدال والمحاولة في شئ مفروغ منه والأمر ماقضاه وحكم به من عذابه الواقع بهم لامحالة ﴿ ولما جاءت رسلنا لوطا ﴾ الآية خرجت الملائكة من قرية ابراهيم صلى الله عليه وسلم الى قرية لوط و بينهما ثمانية أميال وقيل أربعة فراسخ فأتوها عشاء وقيل (٢٤٥) نصف النهار وجدوا لوطا صلى الله عليه وسلم في حرث له وقيل وجدوا ابنته تسقي ماء في نهر سدوم وهي أكبر حواضر قومه فسألوها الدلالة على من يضيفهم و رأت هيئتهم فخافت عليهم من قوم لوط وقالت لهم مكانكم وذهبت الى أبيها فأخبرته فخرج اليهم فقالوا انا نريد أن تضيفنا الليلة فقال لهم أو ماسمعتم بعمل هؤلاء القوم فقالوا وما عملهم فقال أشهد بالله انهم شر قوم في الارض وقد كان الله تعالى قال للملائكة لاتعذبوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما قال هذه قال جبريل صلى الله عليه وسلم هذه واحدة وتردد القول منهم حتى كرر لوط الشهادة أربع مرات ثم دخل لوط المدينة فحينئذ سيء بهم أي لحقه سوء بسببهم وضاق ذرعه بهم

ان سارة قالت لجبريل عليه السلام ما آية ذلك فأخذ عودا يابسا فلواه بين أصابعه فاهتز أخضر فسكن روعها وزال عجبها وهذه الجملة المستأنفة يحتمل أن تكون خبرا وهو الاظهر لانه يقتضي حصول الرحمة والبركة لهم و يحتمل أن يكون دعاء وهو مرجوح لان الدعاء انما يقتضي انه أمر يترجى ولم يتحصل بعد وأهل منصوب على النداء أو على الاختصاص و بين النصب على المدح والنصب على الاختصاص فرق ولذلك جعلهما سيبويه في بابين وهو ان المنصوب على المدح لفظ يتضمن بوضعه المدح كما ان المنصوب على الذم يتضمن بوضعه الذم والمنصوب على الاختصاص لا يكون الالمدح أوذم لكن لفظه لا يتضمن بوضعه المدح ولا الذم كقوله * بنا تميما يكشف الضباب * وقوله * ولا الحجاج عيني بنت ماء * وخطاب الملائكة اياها بقولهم أهل البيت دليل على اندراج الزوجة في أهل البيت وقد دل على ذلك أيضا في سورة الاحزاب خلافا للشيعة اذلا يعدون الزوجة من أهل بيت زوجها والبيت يراد به بيت السكنى * انه حميد وقال أبو الهيثم تحمد أفعاله وهو بمعنى المحمود * وقال الزمخشري فاعل مايستوجب من عباده مجيد كريم كثير الاحسان اليهم ﴿ فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ان ابراهيم لحليم أواه منيب * يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود ﴾ الروع الخيفة التي كان أوجسها في نفسه حين نكر أضيافه والمعنى اطمأن قلبه بعلمه انهم ملائكة والبشرى تبشيره بالولد أو بان المراد بمجيئهم غيره وجواب لما محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وتقديره اجترأ على الخطاب اذ فطن للمجادلة أو قال كيت وكيت ودل على ذلك الجملة المستأنفة وهي يجادلنا قال معناه الزمخشري * وقيل الجواب يجادلنا وضع المضارع موضع الماضي أي جادلنا وجاز ذلك لوضوح المعنى وهذا أقرب الأقوال * وقيل يجادلنا حال من ابراهيم وجاءته حال أيضا أو من ضمير في جاءته وجواب لما محذوف تقديره قلنا يا ابراهيم أعرض عن هذا واختار هذا التوجيه أبو على * وقيل الجواب محذوف تقديره ظل أو أخذ يجادلنا فحذف اختصار الدلالة ظاهر الكلام عليه والمجادلة قيل هي سؤاله العذاب واقع بهم لامحالة أم على سبيل الاخافة ليرجعوا الى الطاعة * وقيل تكلما على سبيل الشفاعة والمعنى تجادل رسلنا وعن حذيفة انهم لما قالوا له انا مهلكوا أهل هذه القرية قال أرأيتم ان كان فيها خمسون من المسلمين أتهلكونها قالوا لا قال فأربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا قال فعشرون قالوا لا قال فان كان فيهم عشرة أوخمسة شك الراوي قالوا لا قال أرأيتم ان كان فيها رجل واحد من المسلمين أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله وكان ذلك من ابراهيم حرصا على ايمان قوم لوط ونجاتهم وكان في القرية أربعة آلاف ألف انسان وتقدم تفسير حليم وأواه ومنيب يا ابراهيم أي قالت الملائكة والاشارة بهذا الى الجدال والمحاورة في شئ مفروغ منه والأمر ماقضاه وحكم به من عذابه الواقع بهم لامحالة ولا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك * وقرأ عمرو بن هرم وانهم أتاهم بلفظ الماضي وعذاب فاعل به عبر بالماضي عن المضارع لتحقق وقوعه كقوله أتى أمر الله ﴿ ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم

(الدر)

(ح) بين النصب على المدح والنصب على الاختصاص فرق ولذلك جعلهما سيبويه في بابين وهو ان المنصوب على المدح لفظ يتضمن بوضعه المدح كما ان المنصوب على الذم يتضمن بوضعه الذم والمنصوب على الاختصاص لا يكون الا لمدح أو ذم لكن لفظه لا يتضمن بوضعه المدح ولا الذم كقوله * بنا تميما يكشف الضباب * وقوله * ولا الحجاج عيني بنت ماء *

*﴿وقال هذا يوم عصيب﴾ أي شديد لما كان يتخوفه من تعدي قومه على أضيافه *﴿وجاءه قومه يهرعون اليه﴾ لما جاء لوط بضيفه
لم يعلم بذلك أحد الا أهل بيته فخرجت امرأته حتى أتت مجالس (٢٤٦) قومها فقالت ان لوطا أضاف الليلة قوما ماروئ مثلهم

وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيآت قال ياقوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد * قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق وانك لتعلم مانريد * قال لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد * خرجت الملائكة من قرية ابراهيم الى قرية لوط و بينهما قيل ثمانية أميال * وقيل أربعة فراسخ فأتوها عشاء *وقيل نصف النهار ووجدوا لوطا في حرث له *وقيل وجدوا ابنته تستقي ماء في نهر سدوم وهي أكبر حواضر قوم لوط فسألوها الدلالة على من يضيفهم ورأت هيئتهم فخافت عليهم من قوم لوط وقالت لهم مكانكم وذهبت الى أبيها فأخبرته فخرج اليهم فقالوا انا نريد أن تضيفنا الليلة فقال لهم أوماسمعتم بعمل هؤلاء القوم فقالوا وما عملهم فقال أشهد بالله انهم شر قوم في الأرض وقد كان الله قال للملائكة لاتعذبوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما قال هذه قال جبريل هذه واحدة وتردد القول منهم حتى كرر لوط الشهادة أربع مرات ثم دخل لوط المدينة فحينئذ سيء بهم أي لحقه سوء بسببهم وضاق ذرعه بهم وقال هذا يوم عصيب أي شديد لما كان يتخوفه من تعدي قومه على أضيافه وجاءه قومه يهرعون اليه لما جاء لوط بضيفه لم يعلم بذلك أحد الا أهل بيته فخرجت امرأته حتى أتت مجالس قومها فقالت ان لوطا قد أضاف الليلة فتية ماروئ مثلهم جمالا وكذا وكذا فحينئذ جاؤا يهرعون أي يسرعون كأنما يدفعون دفعا فعل الطامع الخائف فوت مايطلبه * وقرأ الجمهور يهرعون مبنيا للمفعول من أهرع أي يهرعهم الطمع * وقرأت فرقة يهرعون بفتح الياء من هرع * وقال مهلهل

فجاؤا يهرعون وهم أسارى * يقودهم على رغم الانوف

ومن قبل كانوا يعملون السيآت أي كان ذلك ديدنهم وعادتهم أصروا على ذلك ومرنوا عليه فليس ذلك بأول انشاء هذه المعصية جاؤا يهرعون لا يكفهم حياء لضراوتهم عليها والتقدير في ومن قبل أي من قبل مجيئهم الى هؤلاء الاضياف وطلبهم اياهم * وقيل ومن قبل بعث لوط رسولا اليهم وجمعت السيآت وان كان المراد بها معصية اتيان الذكور اما باعتبار فاعليها أو باعتبار تكررها * وقيل كانت سيآت كثيرة باختلاف أنواعها منها اتيان الذكور واتيان النساء في غير المأتى وحذف الحصا والحبق في المجالس والاسواق والمكاء والصفير واللعب بالحمام والقمار والاستهزاء بالناس في الطرقات ووضع درهم على الارض وهم بعيدون منه فمن أخذه صاحوا عليه وخجلوه وان أخذه صبي تابعوه وراودوه وهؤلاء بناتي الاحسن أن تكون الاضافة مجازية أي بنات قومي أي البنات أطهر لكم اذ النبي يتنزل منزلة الاب لقومه وفي قراءة ابن مسعود النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم و يدل عليه أنه فيما قيل لم يكن له الا ابنتان وهذا بلفظ الجمع وأيضا فلا يمكن أن يزوج ابنتيه من جميع قومه * وقيل أشار الى بنات نفسه وندبهم الى النكاح اذ كان من سنتهم تزويج المؤمنة بالكافر أو على أن في ضمن كلامه أن يؤمنوا *وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد أن يزوجهما ابنتيه زغورا وزيتا * وقيل كن ثلاثا ومعنى أطهر أنظف فعلا * وقيل أحل وأطهر بيتا ليس أفعل التفضيل اذ لا طهارة في اتيان الذكور * وقرأ الجمهور أطهر بالرفع

جمالا وكذا وكذا فحينئذ جاؤا يهرعون أي يسرعون كأنما يدفعون دفعا فعل الطامع الخائف فوت مايطلبه *﴿ومن قبل كانوا يعملون السيئات﴾ أي كان ذلك ديدنهم وعادتهم أصروا على ذلك ومرنوا عليه فليس ذلك بأول انشاء هذه المعصية جاؤا يهرعون اليه لا يكفهم حياء لضراوتهم عنها والتقدير في ومن قبل أي من قبل مجيئهم الى هؤلاء الأضياف وطلبهم اياهم *﴿هؤلاء بناتي﴾ الأحسن أن تكون الاضافة مجازية أي بنات قومي أي البنات *﴿أطهر لكم﴾ اذ النبي ينزل منزلة الأب لقومه وقرئ أطهر على الحال فقيل هؤلاء مبتدأ و بناتي هن مبتدأ وخبر وقيل هؤلاء بناتي مبتدأ وخبر وهن مبتدأ ولكم خبره قيل والعامل المضمر وقيل لكم بما فيه من معنى الاستقرار وقيل هؤلاء بناتي مبتدأ وخبر وهن فصل وأطهر حال ورد بأن الفصل لا يقع الا بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد أجاز ذلك بعضهم وادعى السماع فيه عن العرب لكنه قليل *﴿قال لو أن لي بكم قوة﴾ قال ذلك على سبيل التفجع وجواب لو محذوف تقديره لفعلت بكم وصنعت والظاهر أن أو عطف جملة فعلية على جملة فعلية

والاحسن في الاعراب أن يكون جملتان كل منهما مبتدأ وخبر وجوز في بناتي أن يكون بدلا أو عطف بيان وهن فصل وأطهر الخبر * وقرأ الحسن وزيد بن علي وعيسى بن عمر وسعيد بن جبير ومحمد بن مروان السدي أطهر بالنصب * وقال سيبويه هو لحن * وقال أبو عمرو بن العلاء احتبى فيها ابن مروان في لحنه يعني تربع ورويت هذه القراءة عن مروان بن الحكم وخرجت هذه القراءة على أن نصب أطهر على الحال * فقيل هؤلاء مبتدأ وبناتي هن مبتدأ وخبر في موضع خبر هؤلاء وروي هذا عن المبرد * وقيل هؤلاء بناتي مبتدأ وخبر وهن مبتدأ ولكم خبره والعامل قبل المضمر * وقيل لكم بما فيه من معنى الاستقرار * وقيل هؤلاء بناتي مبتدأ وخبر وهن فصل وأطهر حال ورد بان الفصل لا يقع الا بين جزءي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد أجاز ذلك بعضهم وادعى السماع فيه عن العرب لكنه قليل ثم أمرهم بتقوى الله في أن يؤثروا البنات على الاضياف ولا تخزون يحتمل أن يكون من الخزي وهو الفضيحة أو من الخزاية وهو الاستحياء لانه اذا اخزي ضيف الرجل أو جاره فقد خزي هو وذلك من عراقة الكرم وأصل المروءة أليس منكم رجل يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وفي ذلك توبيخ عظيم لهم حيث لم يكن منهم رشيد البتة * قال ابن عباس رشيد مؤمن * وقال أبو مالك ناه عن المنكر ورشيد ذو رشد أو مرشد كالحكيم بمعنى المحكم والظاهر أن معنى من حق من نصيب ولا من غرض ولا من شهوة قالوا له ذلك على وجه الخلاعة * وقيل من حق لانك لا ترى مناكحتنا لانهم كانوا خطبوا بناته فردهم وكانت سنتهم ان من رد في خطبة امرأة لم تحل له أبدا * وقيل لما اتخذوا اتيان الذكران مذهبا كان عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل وقيل لان عادتهم كانت أن لا يتزوج الرجل منهم الا واحدة وكانوا كلهم متزوجين وانك لتعلم ما نريد يعني من اتيان الذكور ومالهم فيه من الشهوة قال لو أن لي بكم قوة قال ذلك على سبيل التفجع وجواب لو محذوف كما حذف في ولو أن قرآنا سيرت به الجبال وتقديره لفعلت بكم وصنعت والمعنى في الى ركن شديد من يستند اليه ويمتنع به من عشيرته شبه الذي يمتنع به بالركن من الجبل في شدته ومنعته وكأنه امتنع عليه أن ينتصر ويمتنع بنفسه أو بغيره مما يمكن أن يستند اليه * وقال الحوفي وأبو البقاء أو آوي عطف على المعنى تقديره أو أني آوي والظاهر أن أو عطف جملة فعلية على جملة فعلية ان قدرت أني في موضع رفع على الفاعلية على ما ذهب اليه المبرد أي لو ثبت أن لي بكم قوة أو آوي ويكون المضارع المقدر وآوي هذا وقعا موقع الماضي ولو التي هي حرف لما كان سيقع لوقوع غيره نقلت المضارع الى الماضي وان قدرت أن وما بعدها جملة اسمية على مذهب سيبويه فهي عطف عليها من حيث ان لو تأتي بعدها الجملة المقدرة اسمية اذا كان الذي ينسبك اليها أن ومعمولاها * وقال أبو البقاء ويجوز أن يكون أو آوي مستأنفا انتهى ويجوز على رأي الكوفيين أن تكون أو بمعنى بل ويكون قد أضرب عن الجملة السابقة وقال بل آوي في حالي معكم الى ركن شديد وكنى به عن جناب الله تعالى * وقرأ شيبة وأبو جعفر أو آوي بنصب الياء باضمار أن بعد أو فتتقدر بالمصدر عطفا على قوله قوة ونظيره من النصب باضمار أن بعد أو قول الشاعر

ولولا رجال من رزام أعزة * وآل سبيع أو يسوءك علقما

أي أو مساءتك علقما ﴿قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك انه مصيبها ما أصابهم ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فلما جاء

﴿قالوا يا لوط انا رسل ربك﴾ روى أن لوطا صلى الله عليه وسلم غلبوه (٢٤٧) وهموا بكسر الباب وهو يمسكه قال له الرسل تنح عن الباب فتنحى فانفتح الباب فضربهم جبريل بجناحه فطمس أعينهم فعموا وانصرفوا على أعقابهم يقولون النجاة النجاة فعند لوط قوم سحرة وتوعدوا لوطا فحينئذ قالوا له انا رسل ربك الآية والجملة من قوله ﴿لن يصلوا اليك﴾ موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره ثم أمره بأن يسري بأهله وقرئ فاسر بالوصل وبالهمز ﴿بقطع من الليل﴾ قال ابن عباس بطائفة من الليل وقرئ ﴿الا امرأتك﴾ بالنصب وهو استثناء من فاسر بأهلك وبالرفع بدل من قوله أحد قال الزمخشري وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه أخرجها معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد إلا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت واقوماه فادركها حجر فقتلها وروي أنه أمر بان يخلفها مع قومها وأن هواها إليهم ولم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين انتهى وهذا وهم فاحش اذ بنى القراءتين على اختلاف الروايتين من أنه سرى بها أو أنه لم يسر بها وهذا تكاذب في الاخبار يستحيل أن تكون القراءتان وهما من كلام الله تترتبان على التكاذب والضمير في ﴿انه﴾ ضمير الشأن و﴿مصيبها﴾ مبتدأ و﴿ما أصابهم﴾ الخبر ﴿إن موعدهم الصبح﴾ أي موعد هلاكهم الصبح وجعل

أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد ﴾ روى أن لوطا عليه السلام غلبوه وهموا بكسر الباب وهو يمسكه قال له الرسل تنح عن الباب فتنحى وانفتح الباب فضربهم جبريل عليه السلام بجناحه فطمس أعينهم وعموا وانصرفوا على أعقابهم يقولون النجاة النجاة فعند لوط قوم سحرة وتوعدوا لوطا فحينئذ قالوا له انا رسل ربك * وروى أن جبريل نقب من خصاص الباب ورمى في أعينهم فعموا * وقيل أخذ قبضة من تراب وأذراها في وجوههم فأوصل الى عين من بعد ومن قرب من ذلك التراب فطمست أعينهم فلم يعرفوا طريقا ولم يهتدوا الى بيوتهم * وقيل كسروا بابه وتهجموا عليه ففعل بهم جبريل ما فعل والجملة من قوله لن يصلوا اليك موضحة للذى قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لن يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره ثم أمروه بان يسرى باهله * وقرأ الحرميان فاسر وان اسر بوصل الألف من سرى وباقي السبعة بقطعها وأهله ابنتاه وطائفة يسيرة من المؤمنين بقطع من الليل * قال ابن عباس بطائفة من الليل * وقال الضحاك ببقية من آخره * وقال قتادة بعد مضى صدر منه * وقال ابن الاعرابي أي ساعة من الليل * وقيل بظلمة * وقيل انه نصف * وقيل انه نصف الليل مأخوذ من قطعه نصفين وقال الشاعر

ونائحة تنوح بقطع ليل * على رجل بقارعة الصعيد

* وقال محمد بن زياد السحر لقوله نجيناهم بسحر * قال ابن عطية ويحتمل انه أسرى باهله من أول الليل حتى جاوز البلد المقتلع ووقعت نجاته بسحر فتجتمع هذه الآية مع قوله الا آل لوط نجيناهم بسحر انتهى * وقال ابن الانبارى القطع بمعنى القطعة مختص بالليل ولا يقال عندى قطع من الثوب * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو الا امرأتك بالرفع وباقى السبعة بالنصب فوجه النصب على انه استثناء من قوله باهلك اذ قبله أمر والامر عندهم كالواجب ويتعين النصب على الاستثناء من أهلك في قراءة عبد الله اذ سقط في قراءته وفي مصحفه ولا يلتفت منكم أحد وجوزوا أن يكون منصوبا على الاستثناء من أحد وان كان قبله نهى والنهى كالنفى على أصل الاستثناء كقراءة ابن عامر ما فعلوه الا قليلا منهم بالنصب وان كان قبله نفى ووجه الرفع على انه بدل من أحد وهو استثناء متصل * وقال أبو عبيد لو كان الكلام ولا يلتفت برفع الفعل ولكنه نهى فاذا استثنيت المرأة من أحد وجب أن تكون المرأة أبيح لها الالتفات فيفسد معنى الآية يعنى ان التقدير يصير الا امرأتك فانها لم تنه عن الالتفات * قال ابن عطية وهذا الاعتراض حسن يلزم ان الاستثناء من أحد رفعت التاء أو نصبت والانفصال عنه يترتب بكلام محكى عن المبرد وهو ان النهى انما قصد به لوط وحده والالتفات منفى عنهم فالمعنى ان لا تدع أحدا منهم يلتفت وهذا كما تقول لرجل لا يقم من هؤلاء أحد وأولئك لم يسمعوك فالمعنى لا تدع من هؤلاء يقوم والقيام في المعنى منفى عن المشار اليهم * وقال الزمخشرى وفي اخراجها مع أهله روايتان روى انه أخرجها معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد الا هى فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت واقوماه فادركها حجر فقتلها * وروى انه أمر بان يخلفها مع قومها وان هواها اليهم ولم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين انتهى وهذا وهم فاحش اذ بنى القراءتين على اختلاف الروايتين من انه سرى بها أو انه لم يسر بها وهذا تكاذب في الاخبار يستحيل ان تكون القراءتان وهما من كلام الله تترتبان على التكاذب * وقيل في الاستثناء من

الصبح ميقاتا لهلاكهم لان النفوس فيه أودع والراحة أجمع وروى (٢٤٨) أن لوطا صلى الله عليه وسلم خرج بابنتيه ليس معه غيرهما عند طلوع الفجر وطوى الله تعالى له الارض في وقته حتى نجا ووصل الى ابرهيم صلى الله عليه وسلم والضمير في ﴿عاليها﴾ عائد على مدائن قوم لوط جعل جبريل صلى الله عليه وسلم جناحه في أسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم وهي المؤتفكات سبع مدائن وقيل خمس عدها المفسرون وفي ضبطها إشكال ﴿وأمطرنا عليها﴾ أي على أهلها وروى أن الحجارة أصابت منهم من كان خارج مدنهم حتى

(الدر)

(ش) وفي اخراجها مع أهله روايتان روى انه أخرجها معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد الا هى فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت واقوماه فأدركها حجر فقتلها وروى انه أمر بأن يخلفها مع قومها وان هواها اليهم ولم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين انتهى (ح) هذا وهم فاحش اذ بنى القراءتين على اختلاف الروايتين من انه سرى بها أو انه لم يسر بها وهذا تكاذب في الاخبار ويستحيل أن تكون القراءتان وهما من كلام الله تترتبان على التكاذب

الاهل اشكال من جهة المعنى اذ يلزم ان لا يكون سرى بها ولما التفتت كانت قد سرت معهم قطعا وزال هذا الاشكال أن يكون لم يسر بها ولكنها لما تبعتهم التفتت * وقيل الذى يظهر ان الاستثناء على كلتا القراءتين منقطع لم يقصد به اخراجها من المأمور بالاسراء بهم ولا من المنهيين عن الالتفات ولكن استؤنف الاخبار عنها فالمعنى لكن امرأتك يجرى لها كذا وكذا ويؤيد هذا المعنى ان مثل هذه الآية جاءت فى سورة الحجر وليس فيها استثناء ألبتة قال تعالى فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون فلم تقع العناية فى ذلك الا بذكر من أنجاهم الله تعالى فجاء شرح حال امرأته فى سورة هود تبعا لا مقصودا بالاخراج مما تقدم واذا اتضح هذا المعنى علم أن القراءتين وردتا على ما تقتضيه العربية فى الاستثناء المنقطع ففيه النصب والرفع فالنصب لغة أهل الحجاز وعليه الاكثر والرفع لبنى تميم وعليه اثنان من القراء انتهى وهذا الذى طول به لا تحقيق فيه فانه اذا لم يقصد اخراجها من المأمور بالاسراء بهم ولا من المنهيين عن الالتفات وجعل استثناء منقطعا كان الاستثناء المنقطع الذى لم يتوجه عليه العامل بحال وهذا النوع من الاستثناء المنقطع يجب فيه النصب باجماع من العرب وليس فيه النصب والرفع باعتبار اللغتين وانما هذا فى الاستثناء المنقطع وهو الذى يمكن توجه العامل عليه وفى كلا النوعين يكون مابعد الا من غير الجنس المستثنى منه فكونه جاز فيه اللغتان دليل على انه مما يمكن ان يتوجه عليه العامل وهو قد فرض انه لم يقصد بالاستثناء اخراجها عن المأمور بالاسراء بهم ولا من المنهيين عن الالتفات فكان يجب فيه اذ ذاك النصب قولا واحدا والظاهر ان قوله ولا يلتفت من التفات البصر * وقالت فرقة من لفت الشئ يلفته اذا ثناه ولواه فمعناه ولا يتثبط وفى كتاب الزهراوى ان المعنى ولا يلتفت أحد الى ما خلف بل يخرج مسرعا والضمير فى انه ضمير الشان ومصيبها مبتدأ وما أصابهم الخبر ويجوز على مذهب الكوفيين أن يكون مصيبها خبر ان وما أصابهم فاعل به لانهم يجيزون انه قائم أخواك ومذهب البصريين ان ضمير الشان لا يكون خبره الاجملة مصرحا بجزءيها فلا يجوز هذا الاعراب عندهم * وقرأ عيسى بن عمر الصبح بضم الباء * قيل وهى لغة فلا يكون ذلك اتباعا وهو على حذف مضاف أى ان موعد هلاكهم الصبح * ويروى أن لوطا عليه السلام قال أريد أسرع من ذلك فقالت له الملائكة أليس الصبح بقريب وجعل الصبح ميقاتا لهلاكهم لان النفوس فيه أودع والراحة فيه أجمع * ويروى ان لوطا خرج بابنتيه ليس معه غيرهما عند طلوع الفجر وطوى الله له الارض فى وقته حتى نجا ووصل الى ابراهيم عليهما السلام والضمير فى عاليها عائد على مدائن قوم لوط جعل جبريل جناحه فى أسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وأتبعوا الحجارة من فوقهم وهى المؤتفكات سبع مدائن * وقيل خمس عدها المفسرون وفى ضبطها اشكال فاهملت ذكرها وسدوم هى القرية العظمى وأمطرنا عليها أى على أهلها * وروى ان الحجارة أصابت منهم من كان خارج مدنهم حتى قتلتهم أجمعين وان رجلا كان فى الحرم فبقى الحجر معلقا فى الهواء حتى خرج من الحرم فقتله الحجر * قال أبو العالية وابن زيد السجيل اسم لسماء الدنيا وهذا ضعيف لوصفه بمنضود وتقدم شرحه فى المفردات * وقيل من أسجله اذا أرسله * وقيل مما كتب الله ان يعذب به من السجل وسجل لفلان ومعنى هذه اللفظة ماء وطين هذا قول ابن عباس ومجاهد وابن جبير وعكرمة والسدى وغيرهم وذهبوا الى أن الحجارة التى رموا بها كانت كالآجر المطبوخ * وقيل حجر مخلوط

قتلهم أجمعين وأن رجلا كان فى الحرم فبقى الحجر معلقا فى الهواء حتى خرج من الحرم فقتله الحجر

بطين أى حجر وطين و يمكن أن يعود هذا الى الآجر * وقال أبو عبيدة الشديد من الحجارة الصلب مسومة عليها سيما يعلم بها أنها ليست من حجارة الارض قاله ابن جريج * وقال عكرمة وقتادة انه كان فيها بياض * وقيل مكتوب على كل حجر اسم من رمى به قاله الربيع * وعن ابن عباس والحسن بياض فى حمرة وعن ابن عباس أيضا الحجر أبيض فيه نقطة سوداء وأسود فيه نقطة بيضاء وعن عكرمة وقتادة أيضا فيها خطوط حمر على هيئة الجزع * وقيل وكانت مثل رؤس الابل ومثل مبارك الابل * وقيل قبضة الرجل * قال ابن عباس ومقاتل معنى من عند ربك جاءت من عند ربك وقيل معدة عند ربك قاله أبو بكر الهذلى * وقال ابن الانبارى المعنى لزم هذا التسويم الحجارة عند الله ايذانا بنفاذ قدرته وشدة عذابه والظاهر أن ضمير هى عائد على القرى التى جعل الله أعاليها أسافلها والمعنى ان ذوات هذه المدن كانت بين المدينة والشام يمر عليها قريش فى مسيرهم فالنظر اليها وفيها فيه اعتبار واتعاظ * وقيل هى عائدة على الحجارة وهى أقرب مذكور * وقال ابن عباس وماعقوبتهم ممن يعمل عملهم ببعيد والظاهر عموم الظالمين * وقيل عنى به قريش وفى الحديث انه سيكون فى أمتى خسف ومسخ وقذف بالحجارة * وقيل مشركو العرب * وقيل قوم لوط أى لم تكن الحجارة تخطئهم وفى الحديث سيكون فى أواخر أمتى قوم يكتفى رجالهم بالرجال والنساء بالنساء فاذا كان كذلك فارتقبوا عذاب قوم لوط ان يرسل الله عليهم حجارة من سجيل ثم تلا وماهى من الظالمين ببعيد واذا كان الضمير فى قوله وماهى عائدا على الحجارة فيحتمل ان يراد بشئ بعيد ويحتمل ان يراد بمكان بعيد لانها وان كانت فى السماء وهى مكان بعيد الا انها اذا هويت منها فهى أسرع شئ لحوقا بالمرمى فكأنها بمكان قريب منه * والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انى أراكم بخير وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط * و ياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين * بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين * وما أنا عليكم بحفيظ * قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا مانشاء انك لأنت الحليم الرشيد * قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح مااستطعت وماتوفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب * و ياقوم لايجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وماقوم لوط منكم ببعيد * واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم ودود * قالوا ياشعيب مانفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز * قال ياقوم أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربى بما تعملون محيط * و ياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون * من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا انى معكم رقيب * ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين * كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود * ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين * الى فرعون وملائه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد * يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار و بئس الورد المورود * وأتبعوا فى هذه لعنة و يوم القيامة بئس الرفد المرفود * ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد * وماظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك ومازادوهم غير تتبيب

وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد * ان فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود * وما نؤخره الا لأجل معدود * يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد * فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق * خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد * وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ * الرهط قال ابن عطية جماعة الرجل * وقيل الرهط والراهط اسم لما دون العشرة من الرجال ولا يقع الرهط والعصبة والنفر الا على الرجال * وقال الزمخشرى من الثلاثة الى العشرة * وقيل الى التسعة ويجمع على أرهط ويجمع أرهط على أراهط فهو جمع جمع * قال الرمانى وأصل الرهط الشد ومنه الرهيط شدة الأكل والراهط اسم لجحر اليربوع لأنه يتوثق به ويخبأ فيه ولده * الورد قال ابن السكيت هو ورود القوم الماء والورد الابل الواردة انتهى فيكون مصدرا بمعنى الورود واسم مفعول فى المعنى كالطحن بمعنى المطحون * رفد الرجل يرفده رفدا ورفدا أعطاه وأعانه من رفد الحائط دعمه وعن الاصمعى الرفد بالفتح القدح والرفد بالكسر ما فى القدح من الشراب * وقال الليث أصل الرفد العطاء والمعونة ومنه رفادة قريش يقال رفده يرفده رفدا ورفدا بكسر الراء وفتحها ويقال بالكسر الاسم وبالفتح المصدر * التتبيب التخسير تب خسر وتبه خسره وقال لبيد

ولقد بليت وكل صاحب جدة * يبلى بعود وذاكم التتبيب

الزفير والشهيق زعم أهل اللغة من الكوفيين والبصريين ان الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار والشهيق بمنزلة آخر نهيقه وقال رؤبة

حشرج فى الصدر صهيلا وشهق * حتى يقال ناهق وما نهق

* وقال ابن فارس الشهيق ضد الزفير لأن الشهيق رد النفس والزفير اخراج النفس من شدة الجرى مأخوذ من الزفر وهو الحمل على الظهر لشدته وقال الشماخ

بعيد مدى التطريب أول صوته * زفير ويتلوه شهيق محشرج

والشهيق النفس الطويل الممتد مأخوذ من قولهم جبل شاهق أى طويل * وقال الليث الزفير أن يملأ الرجل صدره حال كونه فى الغم الشديد من النفس ويخرجه والشهيق ان يخرج ذلك النفس بشدة يقال انه عظيم الزفرة * الشقاء نكد العيش وسوؤه يقال منه شقى يشقى شقاء وشقوة وشقاوة والسعادة ضده يقال منه سعد يسعد ويعديان بالهمزة فيقال أشقاه الله وأسعده الله وقد قرىء شقوا وسعدوا بضم الشين والسين فدل على أنهما قد يتعديان ومنه قولهم مسعود وذكر أن الفراء حكى أن هذيلا تقول سعده الله بمعنى أسعده * وقال الجوهرى سعد بالكسر فهو سعيد مثل سلم فهو سليم وسعد فهو مسعود * وقال أبو نصر عبد الرحيم القشيرى ورد سعده الله فهو مسعود وأسعده الله فهو مسعد * الجذ القطع بالمعجمة والمهملة * قال ابن قتيبة جذذت وجددت وهو بالذال أكثر قال النابغة

تجذ السلوقى المضاعف نسجه * وتوقد بالصفاح نار الحباحب

* والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انى أراكم بخير وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط * وياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين * بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما أنا

* والى مدين أخاهم شعيبا * الآية كان قوم شعيب عبدة أوثان فدعاهم الى عبادة الله تعالى وحده وبالكفر استوجبوا العذاب ولم يعذب الله أمة عذاب استئصال الا بالكفر وان انضافت الى ذلك معصية كانت تابعة قال ابن عباس بخير أى فى رخص الاسعار يوم محيط أى مهلك من قوله وأحيط بثمره وأصله من إحاطة العدو وهو العذاب الذى حل بهم فى آخر ووصف اليوم بالاحاطة أبلغ من وصف العذاب به لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما إذا أحاط بنعيمه

عليكم بحفيظ ﴾ كان قوم شعيب عبدة أوثان فدعاهم الى عبادة الله وحده وبالكفر استوجبوا العذاب ولم يعذب الله أمة عذاب استئصال الا بالكفر وان انضافت الى ذلك معصية كانت تابعة * قال ابن عباس بخير أي في رخص الاسعار وعذاب اليوم المحيط هو حلول الغلاء المهلك وينظر هذا التأويل الى قول النبي صلى الله عليه وسلم ما نقص قوم المكيال والميزان الا ارتفع عنهم الرزق ونبه بقوله بخير على العلة المقتضية للوفاء لا للنقص وقال غيره بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف أو بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون أو أراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما أنتم عليه * يوم محيط أي مهلك من قوله وأحيط بثمره وأصله من احاطة العدو وهو العذاب الذي حل بهم في آخره ووصف اليوم بالاحاطة أبلغ من وصف العذاب به لأن اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا أحاط بنعيمه ونهوا أولا عن القبيح الذي كانوا يتعاطونه وهو نقص المكيال والميزان وفي التصريح بالنهي نعي على المنهي وتعيير له وأمروا ثانيا بايفائهما مصرحا بلفظهما ترغيبا في الايفاء وبعثا عليه وجيء بالقسط ليكون الايفاء على جهة العدل والتسوية وهو الواجب لأن ما جاوز العدل فضل وأمر مندوب اليه ونهوا ثالثا عن نقص الناس أشياءهم وهو عام في الناس وفيما بأيديهم من الاشياء كانت مما تكال وتوزن أو غير ذلك ونهوا رابعا عن الفساد في الأرض وهو أعم من أن يكون نقصا أو غيره فبدأهم أولا بالمعصية الشنيعة التي كانوا عليها بعد الأمر بعبادة الله ثم ارتقى الى عام ثم الى أعم منه وذلك مبالغة في النصح لهم ولطف في استدراجهم الى طاعة الله وتفسير معاني هذه الجمل سبق في الاعراف * بقية الله قال ابن عباس ما أبقى الله لكم من الحلال بعد الايفاء خير من البخس وعنه رزق الله * وقال مجاهد والزجاج طاعة الله * وقال قتادة حظكم من الله * وقال ابن زيد رحمة الله * وقال قتادة ذخيرة الله * وقال الربيع وصية الله * وقال مقاتل ثواب الله في الآخرة وذكر الفراء مراقبة الله * وقال الحسن فرائض الله * وقيل ما أبقاه الله حلالا لكم ولم يحرمه عليكم * قال ابن عطية وهذا كله لا يعطيه لفظ الآية وانما المعنى عندي ابقاء الله عليكم ان أطعتم وقوله ان كنتم مؤمنين شرط في أن يكون البقية خيرا لهم وأما مع الكفر فلا خير لهم في شئ من الاعمال وجواب هذا الشرط متقدم والحفيظ المراقب الذي يحفظ أحوال من يرقب والمعنى انما أنا مبلغ والحفيظ المحاسب هو الذي يجازيكم بالاعمال انتهى وليس جواب الشرط متقدما كما ذكر وانما الجواب محذوف لدلالة ما تقدم عليه على مذهب جمهور البصريين * وقال الزمخشري وانما خوطبوا بترك التطفيف والبخس والفساد في الارض وهم كفرة بشرط الايمان ويجوز أن يريد ما يبقى لهم عند الله من الطاعات كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا واضافة البقية الى الله من حيث انها رزقه الذي يجوز أن يضاف اليه وأما الحرام فلا يجوز أن يضاف الى الله ولا يسمى رزقا انتهى على طريق المعتزلة في الرزق * وقرأ اسماعيل بن جعفر عن أهل المدينة بقية بتخفيف الياء * قال ابن عطية هي لغة انتهى وذلك أن قياس فعل اللازم أن يكون على وزن فعل نحو سجيت المرأة فهي سجية فاذا شددت الياء كان على وزن فعيل للمبالغة * وقرأ الحسن تقية بالتاء وهي تقواه ومراقبته الصارفة عن المعاصي ﴿ قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء انك لأنت الحليم الرشيد ﴾ * قال ياقوم أرأيتم

والميزان ردوا عليه على سبيل الاستهزاء والهزؤ بقولهم أصلاتك وكان كثير الصلاة وكان اذا صلى تغامزوا وتضاحكوا ﴿أن نترك ما يعبد آباؤنا﴾ مقابل لقوله اعبدوا الله مالكم من إله غيره ﴿أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾ مقابل لقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان وكون الصلاة آمرة هو على وجه المجاز كما كانت ناهية في قوله إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويقال انها تأمر بالجميل والمعروف أي تدعو إليه وتبعث عليهم الا أنهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته والمعنى تأمرك بتكليفنا أن نترك فحذف المضاف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره والظاهر أنه أريد بالصلاة الصلاة المعهودة في تلك الشريعة ﴿انك لأنت الحكيم الرشيد﴾ ظاهره أنه اخبار منهم على سبيل الاستهزاء والتهكم ﴿قال ياقوم أرأيتم﴾ هذه مراجعة لطيفة واستنزال حسن واستدعاء رفيق ولذلك قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك خطيب الانبياء وهذا النوع يسمى استدراج المخاطب عند أرباب علم البيان وهو نوع لطيف غريب المغزى يتوصل به الى بلوغ المغزى قال الزمخشري * فان قلت أين جواب أرأيتم وماله لم يثبت كما ثبت في قصة نوح وصالح * قلت جوابه محذوف

والعالم يثبت لان اثباته في الصفتين دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه والمعنى أخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة أنصح أن لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك انتهى وتسمية هذا جوابا لارأيتم ليس بالمصطلح بل هذه الجملة التي قدرها هي في موضع المفعول الثاني لأرأيتم لان أرأيتم إذا ضمن

ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب * وياقوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد * واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود ﴾ لما أمرهم شعيب بعبادة الله وترك عبادة أوثانهم وبايفاء المكيال والميزان ردوا عليه على سبيل الاستهزاء والهزء بقولهم أصلاتك وكان كثير الصلاة وكان اذا صلى تغامزوا وتضاحكوا ان نترك ما يعبد آباؤنا مقابل لقوله اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أو ان نفعل في أموالنا ما نشاء مقابل لقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان وكون الصلاة آمرة هو على وجه المجاز كما كانت ناهية في قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر أو يقال انها تأمر بالجميل والمعروف أي تدعو اليه وتبعث عليه الا أنهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته والمعنى فأمرك بتكليفنا أن نترك فحذف المضاف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره والظاهر انه أريد بالصلاة الصلاة المعهودة في تلك الشريعة * وقال الحسن لم يبعث الله نبيا الا فرض عليه الصلاة والزكاة * وقيل أريد قراءتك * وقيل مساجدك * وقيل دعواتك * وقرأ ابن وثاب والاخوان وحفص أصلاتك على التوحيد * وقرأ الجمهور أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء بالنون فيهما * وقرأ الضحاك بن قيس وابن أبي عبلة وزيد بن علي بالتاء فيهما على الخطاب وروي عن أبي عبد الرحمن * وقرأ أبو عبد الرحمن وطلحة نفعل بالنون ما تشاء بالتاء على الخطاب * وروي عن ابن عباس فمن قرأ بالنون فيهما فقوله أو أن نفعل معطوف على قوله ما يعبد أي ان نترك ما يعبد آباؤنا وفعلنا في أموالنا ما نشاء ومن قرأ بالتاء فيهما أو بالنون فيهما فمعطوف على أن نترك أي تأمرك بترك ما يعبد آباؤنا وفعلك في أموالنا ما تشاء أو وفعلنا في أموالنا ما تشاء وأو للتنويع أي تأمرك مرة بهذا ومرة بهذا * وقيل بمعنى الواو والظاهر ان الذي كانوا يفعلونه في أموالهم هو بخس الكيل والوزن المقدم ذكره * وقال محمد بن كعب قرضهم الدينار والدرهم واجراء ذلك مع الصحيح على جهة التدليس وعن ابن المسيب قطع الدنانير والدراهم من الفساد في الارض * وقيل تبديل السكك التي يقصد بها أكل أموال الناس ومن قرأ بالتاء فيهما أو في نشاء والظاهر انه ايفاء المكيال والميزان * وقال سفيان الثوري كان يأمرهم بالزكاة وقوله انك لانت الحليم الرشيد ظاهره أنه إخبار منهم عنه بهذين الوصفين الجميلين فيحتمل أن يريدوا بذلك الحقيقة أي انك للمتصف بهذين الوصفين فكيف وقعت في هذا الامر من مخالفتك دين آبائنا وما كانوا عليه ومثلك من يمنعه حلمه ورشده عن ذلك أو يحتمل أن يريدوا بذلك انك لانت الحليم الرشيد بزعمك اذ تأمرنا بما تأمر به أو يحتمل أن قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والتهكم قاله قتادة والمراد نسبته الى الطيش والغي كما تقول للشحيح لو رآك حاتم لسجد لك وقالوا للحبشي أبو البيضاء قال ياقوم أرأيتم ان كنت

معنى أخبرني تعدت لمفعولين والغالب في الثاني أن تكون جملة استفهامية ينعقد منها ومن المفعول الأول في الاصل جملة ابتدائية كقول العرب أرأيتك زيدا ما صنع قال ابن عطية وجواب الشرط الذي في قوله ﴿إن كنت على بينة﴾ محذوف تقديره أضل كما ضللتم أو أترك تبليغ الرسالة ونحو هذا مما يليق بهذه المحاجة انتهى وليس قوله أضل جوابا للشرط لانه ان كان مثبتا فلا يمكن أن يكون جوابا لانه لا يترتب على الشرط وان كان استفهاما حذف منه الهمزة فهو في موضع المفعول الثاني لأرأيتم وجواب الشرط محذوف يدل عليه الجملة السابقة مع متعلقها قال الزمخشري ما استطعت يجوز فيه وجوه أحدها أن يكون بدلا من الاصلاح أي المقدار الذي استطعته أو على حذف مضاف تقديره الا الاصلاح ما استطعت فهذان وجهان في البدل والثالث أن يكون مفعولا كقوله ﴿ضعيف النكاية أعداءه﴾ أي ما أريد الا أن أصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم انتهى هذا الثالث ضعيف لان المصدر المعرف بأل لا يجوز اعماله في المفعول به عند الكوفيين وأما البصريون فاعماله عندهم فيه قليل ومعنى ﴿لا يجرمنكم﴾ ينسبنكم ﴿شقاقي﴾ أي خلافي وعداوتي وشقاقي فاعل يجرمنكم وأن يصيبكم مفعول ثان ليجرمنكم ومثل مرفوع به ﴿وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ اما في الزمان لقرب عهد هلاكهم من عهدكم اذ هم أقرب الهالكين

هذه مراجعة لطيفة واستنزال حسن واستدعاء رفيق ولذلك قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك خطيب الانبياء وهذا النوع يسمى استدراج المخاطب عند أرباب علم البيان وهو نوع لطيف غريب المغزى يتوصل به الى بلوغ الغرض وقد ورد منه في قصة ابراهيم عليه السلام مع أبيه وفي قصة نوح وهود وصالح وفي قصة مؤمن آل فرعون مع قومه * قال الزمخشري (فان قلت) أين جواب أرأيتم وماله لم يثبت كما ثبت في قصة نوح وصالح (قلت) جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته في الصفتين دل على مكانه ومعنى الكلام يناوي عليه والمعنى أخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة أيصح لي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك انتهى وتسمية هذا جوابا لارأيتم ليس بالمصطلح بل هذه الجملة التي قدرها هي في موضع المفعول الثاني لارأيتم لان أرأيتم اذا ضمنت معنى أخبرني تعدت الى مفعولين والغالب في الثاني أن يكون جملة استفهامية تنعقد منها ومن المفعول الاول في الاصل جملة ابتدائية كقول العرب أرأيتك زيدا ما صنع * وقال الحوفي وجواب الشرط محذوف لدلالة الكلام عليه والتقدير فاعدل عن ما أنا عليه من عبادته على هذه الحال * وقال ابن عطية وجواب الشرط الذي في قوله ان كنت على بينة من ربي محذوف تقديره أضل كما ضللتم أو أترك تبليغ الرسالة ونحو هذا مما يليق بهذه المحاجة انتهى وليس قوله أضل جوابا للشرط لانه ان كان مثبتا فلا يمكن أن يكون جوابا لانه لا يترتب على الشرط وان كان استفهاما حذف منه الهمزة فهو في موضع المفعول الثاني لارأيتم وجواب الشرط محذوف تدل عليه الجملة السابقة مع متعلقها والظاهر في قوله رزقا حسنا انه الحلال الطيب من غير بخس ولا تطفيف أدخلتموه أموالكم * قال ابن عباس الحلال وكان شعيب عليه السلام كثير المال * وقيل النبوة * وقيل العلم وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه المعنى لست أريد أن أفعل الشيء الذي نهيتكم عنه من نقص الكيل والوزن وأستأثر بالمال قاله ابن عطية * وقال قتادة لم أكن لأنهاكم عن أمر ثم أرتكبه * وقال صاحب الغنيان ما أريد أن أخالفكم في السر الى ما أنهاكم عنه في العلانية * ويقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وأنت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وأنت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فتقول خالفني الى الماء تريد أنه قد ذهب اليه واردا وأنا ذاهب عنه صادرا والمعنى ان أسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم فعلى هذا الظاهر ان قوله أن أخالفكم في موضع المفعول لاريد أي وما أريد مخالفتكم ويكون خالف بمعنى خلف نحو جاوز وجاز أي وما أريد أن أخلفكم أي أكون خلفا منكم وتتعلق الى بأخالفكم أو بمحذوف أي مائلا الى ما أنهاكم عنه ولذلك قال بعضهم فيه حذف يقتضيه الى تقديره وأميل الى أو يبقى أن أخالفكم على ظاهر ما يفهم من المخالفة ويكون في موضع المفعول به بأريد وتقدر مائلا الى أو يكون أن أخالفكم مفعولا من أجله وتتعلق الى بقوله وما أريد بمعنى وما أقصد أي وما أقصد لاجل مخالفتكم الى ما أنهاكم عنه ولذلك قال الزجاج وما أقصد بخلافكم الى ارتكاب ما أنهاكم عنه والظاهر أن ما مصدرية ظرفية أي مدة استطاعتي للاصلاح ومادمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا وأجاز الزمخشري في ما وجوها أحدها أن

(الدر) (ش) فان قلت أين جواب أرأيتم وماله لم يثبت كما ثبت في قصة نوح وصالح قلت جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته في الصفتين دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه والمعنى (٢٥٤) أخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة أيصح لي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك انتهى (ح) تسمية هذا جوابا لارأيتم ليس بالمصطلح بل هذه الجملة التي قدرها هي في موضع المفعول الثاني لارأيتم لان أرأيتم اذا ضمنت معنى أخبرني تعدت الى مفعولين والغالب في الثاني أن يكون جملة استفهامية ينعقد منها ومن المفعول الاول في الاصل جملة ابتدائية كقولك أرأيت زيدا ما صنع (ع) وجواب الشرط الذي في قوله ان كنت على بينة من ربي محذوف تقديره أضل كما ضللتم أو أترك تبليغ الرسالة ونحو هذا مما يليق بهذه المحاجة انتهى (ح) ليس قوله أضل جوابا للشرط لأنه ان كان مثبتا فلا يمكن أن يكون جوابا لأنه أمر لا يترتب على الشرط وان كان استفهاما حذف منه الهمزة فهو في موضع المفعول الثاني لارأيتم وجواب الشرط محذوف تدل عليه الجملة السابقة مع متعلقها (ش) ما استطعت يجوز في ما وجوه أحدها أن تكون بدلا من الأصل أي المقدار الذي استطعته وعلى حذف مضاف تقديره الا الاصلاح ما استطعت فهذان وجهان في البدل والثالث أن تكون مفعولا كقوله * ضعيف النكاية أعداءه * أي ما أريد الا أن أصلح ما استطعت

﴿قالوا ياشعيب﴾ كانوا لا يلقون اليه أذهانهم رغبة عنه وكراهة له أو قالوا ذلك على وجه الاستهانة به ﴿ولولا رهطك﴾ احترموه لرهطه اذ كانوا كفارا مثلهم أو كان في عزة وسعة منهم ﴿لرجمناك﴾ ظاهره القتل بالحجارة وهي شر القتلات ﴿وما أنت علينا بعزيز﴾ أي بذي منعة علينا والظاهر في قوله واتخذتموه أن الضمير عائد على الله تعالى أي ونسيتموه وجعلتموه

يكون بدلا من الاصلاح أي المقدار الذي استطعته أو على حذف مضاف تقديره الا الاصلاح اصلاح ما استطعت فهذان وجهان في البدل * والثالث أن يكون مفعولا كقوله
* ضعيف النكاية أعداءه * أي ما أريد الا أن أصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم وهذا الثالث ضعيف لان المصدر المعرّف بال لا يجوز اعماله في المفعول به عند الكوفيين وأما البصريون فاعماله عندهم فيه قليل وما توفيقي أي لدعائكم الى عبادة الله وحده وترك ما نهاكم عنه الا بمعونة الله أو وما توفيقي لان تكون أفعالي مسددة موافقة لرضا الله الا بمعونته عليه توكلت لا على غيره واليه أنيب أرجع في جميع أقوالي وأفعالي وفي هذا طلب التأييد من الله تعالى وتهديد للكفار وحسم لاطماعهم أن ينالوه بشر ومعنى لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي أي خلافي وعداوتي * قال السدي كأنه في شق وهم في شق * وقال الحسن ضراري جعله من المشقة * وقيل فراقي * وقرأ ابن وثاب والاعمش بضم الياء من أجرم ونسبها الزمخشري الى ابن كثير وجرم في التعدية مثل كسب يتعدى الى واحد جرم فلان الذنب وكسب زيد المال و يتعدى الى اثنين جرمت زيدا الذنب وكسبت زيدا المال و بالألف يتعدى الى اثنين أيضا أجرم زيد عمرا الذنب وأكسبت زيدا المال وتقدم الكلام في جرم في العقود * وقرأ مجاهد والجحدري وابن أبي اسحق ورويت عن نافع مثل بفتح اللام وخرج على وجهين أحدهما أن تكون الفتحة فتحة بناء وهو فاعل كحاله حين كان مرفوعا ولما أضيف الى غير متمكن جاز فيه البناء كقراءة من قرأ انه لحق مثل ما أنكم تنطقون والثاني أن تكون الفتحة فتحة اعراب وانتصب على انه نعت لمصدر محذوف أي أصابة مثل اصابة قوم نوح والفاعل مضمر يفسره سياق الكلام أي ان يصيبكم هو أي العذاب وما قوم لوط منكم ببعيد إما في الزمان لقرب عهد هلاكهم من عهدكم اذ هم أقرب الهالكين و إما في الكفر والمعاصي وما يستحق به الهلاك وأجرى بعيدا على قوم اما باعتبار الزمان أو المكان أي بزمان بعيد أو بمكان بعيد أو باعتبار موصوف غيرهما أي بشئ بعيد أو باعتبار مضاف الى قوم أي وما اهلاك قوم لوط و يجوز أن يسوى في قريب و بعيد وكثير وقليل بين المفرد والجمع و بين المذكر والمؤنث كما قالوا هو صديق وهم صديق وهي صديق وهن صديق و ودود بناء مبالغة من ودّ الشئ أحبه وآثره وهو على فعل وسمع الكسائي وددت بفتح العين والمصدر ود و وداد وودادة * وقال بعض أهل اللغة يجوز أن يكون ودود فعول بمعنى مفعول * وقال المفسرون ودود متحبب الى عباده بالاحسان اليهم * وقيل محبوب المؤمنين ورحمته لعباده ومحبته لهم سبب في استغفارهم وتوبتهم ولولا ذلك ما وفقهم الى استغفاره والرجوع اليه فهو يفعل بهم فعل الوادّ بمن يودّه من الاحسان اليه ﴿قالوا ياشعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيط و يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا

كالشئ المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري بكسر الظاء منسوب الى الظهر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسب الى أمس أمسي بكسر الهمزة ﴿ويا قوم اعملوا﴾ تقدم تفسير نظيره قال الزمخشري فان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم أتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس أن تقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي المبعوث اليهم قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم انتهى وفي ألفاظ هذا الرجل سوء أدب والذي قاله ليس بقياس لان التهديد الذي وقع ليس بالنسبة اليه ولا هو داخل في التهديد المراد بقوله سوف تعلمون اذ لم يأت التركيب اعملوا على مكانتكم وأعمل على مكانتي ولا سوف تعلمون وأعلم وانما التهديد مختص بهم واستسلف الزمخشري قوله قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته فبنى على ذلك سؤالا فاسدا لان المترتب على ما ليس مذكورا لا يصح البتة وجميع الآية والتي قبلها انما هي بالنسبة اليهم على سبيل التهديد ونظيره في سورة تنزيل فسوف يعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم فهذا جاء بالنسبة للمخاطبين في قوله قل يا قوم اعملوا على مكانتكم كما جاء هنا ﴿من يأتيه﴾

انى معكم رقيب ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود * كانوا لا يلقون اليه أذهانهم ولا يصغون لكلامه رغبة عنه وكراهة له كقوله تعالى وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه أو كانوا يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لم يفقهوه أو قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما أدرى ما تقول أو جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفهم كثير منه وكيف لا ينفهم كلامه وهو خطيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثم الذى حاورهم به من الكلام وخاطبهم به هو من أفصح الكلام وأجله وأدله على معانيه بحيث يفقهه من كان بعيدا لفهم فضلا عن الاذكياء العقلاء ولكن الله تعالى أراد خذلانهم ومعنى ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان أردنا بك بمكروه وعن الحسن ضعيفا مهينا * وقيل كان ناحل البدن زمنه لا يقع فى القلب منه هيبة ولا فى العين منه امتلاء والعرب تعظم بكبر الاجسام وتذم بدمامتها * وقال الباقر مهجور الا تجالس ولا تعاشر * وقال مقاتل ضعيفا أى لم يؤمن بك رهطك * وقال السدى وحيدا فى مذهبك واعتقادك * وقال ابن جبير وشريك القاضى ضعيفا ضرير البصر أعمى * وحكى الزهراوى والزمخشرى أن حمير تسمى الاعمى ضعيفا ويبعده تفسيره هنا بأعمى أو بناحل البدن أو بضعيف البصر كما قاله الثورى وزعم أبو روق ان الله لم يبعث نبيا أعمى ولا نبيا به زمانة بل الظاهر انه ضعيف الانتصار والقدرة ولولا رهطك احترموه لرهطه اذ كانوا كفارا مثلهم أو كان فى عزة ومنعة منهم لرجناك ظاهره القتل بالحجارة وهى من شر القتلات وبه قال ابن زيد * وقال الطبرى رجناك بالسب وهذا أيضا تستعمله العرب ومنه لأرجمنك واهجرنى مليا * وقيل لأبعدناك وأخرجناك من أرضنا وما أنت علينا بعزيز أى لا تعز ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا * وقيل بعزيز بذى منعة وعزة منزلة فى نفوسنا * وقيل بذى غلبة * وقيل بملك وكانوا يسمون الملك عزيزا * قال الزمخشرى وقد دل ايلاء ضميره حرف النفى على أن الكلام واقع فى الفاعل لا فى الفعل كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال فى جوابهم أرهطى أعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب (فان قلت) فالكلام واقع فيه وفى رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف صح قوله أرهطى أعز عليكم من الله (قلت) تهاونهم به وهو نبى الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله ألا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله انتهى والظاهر فى قوله واتخذتموه أن الضمير عائد على الله تعالى أى ونسيتموه وجعلتموه كالشئ المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهرى بكسر الظاء منسوب الى الظهر من تغييرات النسب ونظيره قولهم فى النسب الى الامس أمسى بكسر الهمزة ولما خاطبوه خطاب الاهانة والجفاء جريا على عادة الكفار مع أنبيائهم خاطبهم خطاب الاستعطاف والتلطف جريا على عادته فى إلانة القول لهم والمعنى أعز عليكم من الله حتى جعلتم مراعاتى من أجلهم ولم تسندوها الى الله وانا أولى وأحق أن أراعى من أجله فالمراعاة لاجل الخالق أعظم من المراعاة لاجل المخلوق والظهرى المنسى المتروك الذى جعل كأنه خلف الظهر * وقيل الضمير فى واتخذتموه به عائد على الشرع الذى جاء شعيب عليه السلام * وقيل الظهرى العون وما يتقوى به * قال المبرد فالمعنى واتخذتم العصيان عنده لدفعى انتهى فيكون على حذف مضاف أى واتخذتموه أى عصيانه * قال ابن عطية وقالت فرقة واتخذتموه أى

من يجوز أن يكون موصولة مفعولة بقوله تعلمون أى تعلمون الشقى الذى يأتيه عذاب يخزيه والذى هو كاذب ويجوز أن يكون استفهامية فى موضع رفع على الابتداء ويعلمون معلق كأنه قيل أينا يأتيه عذاب يخزيه وأينا هو كاذب

(الدر)

اصلاحه من فاسد كم (ح) هذا الثالث ضعيف لأن المصدر المعرف بال لا يجوز اعماله فى المفعول به عند الكوفيين وأما البصريون فاعماله عندهم فيه قليل

وأنتم متخذون الله سبحانه ظهوركم وعماد آمالكم * فقول الجمهور على أن كفر قوم شعيب كان جحدا بالله وجهلا به وهذا القول الثاني على أنهم كانوا يقرون بالخالق الرازق ويعتقدون الاصنام وسائط ووسائل ومن اللفظة الاستظهار بالبينة * وقال ابن زيد الظهري الفضل مثل الجمال يخرج معه بابل ظهارية يعدها ان احتاج اليها والا فهي فضلة محيط أحاط باعمالكم فلا يخفى عليه شئ منها وفي ضمنه توعد وتهديد وتقدم تفسير نظير قوله ويا قوم اعملوا على مكانتكم وخلاف القراء في مكانتكم وجوز الفراء والزمخشري في من يأتيه أن تكون موصولة مفعولة بقوله تعلمون أي تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب واستفهامية في موضع رفع على الابتداء وتعلمون معلق كأنه قيل أينا يأتيه عذاب يخزيه وأينا هو كاذب * قال ابن عطية والاول أحسن يعني كونها مفعوله قال لانها موصولة ولا يوصل في الاستفهام ويقضي بصلتها ان المعطوفة عليها موصولة لا محالة انتهى وقوله ويقضي بصلتها الخ لا يقضي بصلتها اذ لا يتعين أن تكون موصولة لا محالة كما قال بل تكون استفهامية اذا قدرتها معطوفة على من الاستفهامية كما قدرناه وأينا هو كاذب * قال الزمخشري (فان قلت) أي فرق بين ادخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون (قلت) ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون يوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف كما هو عادة البلغاء من العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه * قال الزمخشري (فان قلت) قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم أتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس أن يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي المبعوث اليهم (قلت) القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يعدونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم انتهى وفي ألفاظ هذا الرجل سوء أدب والذي قاله ليس بقياس لان التهديد الذي وقع ليس بالنسبة اليه ولا هو داخل في التهديد المراد بقوله سوف تعلمون اذ لم يأت التركيب اعملوا على مكانتكم وأعمل على مكانتي ولاسوف تعلمون واعلم ان التهديد مختص بهم واستسلف الزمخشري قوله قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته فبنى على ذلك سؤالا فاسدا لان المترتب على ماليس مذكورا لا يصح البتة وجميع الآية والتي قبلها انما هي بالنسبة اليهم على سبيل التهديد ونظيره في سورة تنزيل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم فهذا جاء بالنسبة للمخاطبين في قوله قل يا قوم اعملوا على مكانتكم كما جاء هنا وارتقبوا انتظروا العاقبة وما أقول لكم والرقيب بمعنى الراقب فعيل للمبالغة أو بمعنى المراقب كالعشير والجليس أو بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع ويحسن هذا مقابلة فارتقبوا * وقال الزمخشري (فان قلت) ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء (قلت) قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء التي للتسبب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت وأما الاخريان فلم يقعا بتلك المنزلة وانما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما أن يعطفا بحرف الجمع على ماقبلهما كما تعطف قصة على قصة انتهى وتقدم تفسير مثل ولما جاء أمرنا الى قوله كان لم يغنوا فيها * وقرأ السلمي وأبو حيوة كما بعدت بضم العين من البعد الذي هو ضد القرب والجمهور

فكان القياس أن يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي المبعوث اليهم قلت القياس ماذكرت ولكنهم لما كانوا يعدونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم انتهى (ح) وفي ألفاظ هذا الرجل سوء أدب والذي قاله ليس بقياس لان التهديد الذي وقع ليس بالنسبة اليه ولا هو داخل في التهديد المراد بقوله سوف تعلمون اذ لم يأت التركيب اعملوا على مكانتكم وأعمل على مكانتي ولسوف تعلمون وأعلم وانما التهديد مختص بهم واستسلف الزمخشري قوله قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته فبنى على ذلك سؤالا فاسدا لان المترتب على ماليس مذكورا لا يصح البتة وجميع الآية والتي قبلها انما هي بالنسبة اليهم على سبيل التهديد ونظيره في سورة تنزيل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم فهذا جاء بالنسبة للمخاطبين في قوله قل يا قوم اعملوا على مكانتكم كما جاء هنا

﴿ولقد أرسلنا موسى﴾ الآية الآيات المعجزات التسع وهى العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص من الأموال والانفس والثمرات ومنهم من أبدل النقص باظلال الجبل وقيل الآيات التوراة وهذا ليس بسديد لانه قال الى فرعون وملائه والتوراة انما أنزلت بعد هلاك فرعون وملائه والسلطان المبين هو الحجة الواضحة ﴿يقدم قومه يوم القيامة﴾ أى يقال قدم زيد القوم يقدم قدما وقدوما يقدمهم والمعنى انه يقدم قومه المغرقين الى النار كما كان قدوة فى الضلال متبعا

كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه وعدل عن فيوردهم الى فأوردهم لتحقق وقوعه لا محالة وكأنه قد وقع ولما فى ذلك من الارهاب والتخويف والهمزة فى فأوردهم للتعدية ورد يتعدى الى واحد فلما أدخلت الهمزة تعدى الى اثنين فتضمن وارداً ومورودا ويطلق الورد على الوارد فالورد لا يكون المورود فاحتيج الى حذف ليطابق فاعل بئس المخصوص بالذم فالتقدير وبئس مكان الورد المورود ومعنى به النار فالورد فاعل بئس والمخصوص بالذم المورود وهى النار قال ابن عطية والمورود صفة للورد أى بئس مكان الورد المورود النار ويكون المخصوص محذوفا لفهم المعنى كما حذف فى قوله وبئس المهاد انتهى هذا التخريج ينبنى على جواز وصف فاعل نعم وبئس وفيه خلاف ذهب

بكسرها أرادت العرب التفرقة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء وقراءة السلمى جاءت على الاصل اعتبار المعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى فى معنى القرب * وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها * وقال ابن قتيبة بعد يبعد اذا كان بعده هلكة وبعد يبعد اذا نأى * وقال النحاس المعروف فى اللغة بعد يبعد بعدا وبعدا اذا هلك * وقال المهدوى بعد يستعمل فى الخير والشر وبعد فى الشر خاصة * وقال ابن الانبارى من العرب من يسوى بين الهلاك والبعد الذى هو ضد القرب فيقول فيهما بعد يبعد وبعد يبعد * وقال مالك ابن الريب فى بعد بمعنى هلك

يقولون لا تبعدوهم يدفنوننى * وأين مكان البعد الا مكانيا

وبعدا لفلان دعاء عليه ولا يدعى به الا على مبغض كقولك سحقا للكافرين * وقال أهل علم البيان لم يرد فى القرآن استطراد الا هذا الموضع والاستطراد قالوا هو أن تمدح شيأ أو تذمه ثم تأتى فى آخر الكلام بشئ هو غرضك فى أوله * قال حسان

ان كنت كاذبة الذى حدثتنى * فنجوت منجى الحرث بن هشام
ترك الاحبة أن تقاتل دونهم * ونجا برأس طمرة ولجام

﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين * الى فرعون وملائه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد * يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود * وأتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود﴾ الآيات المعجزات التسع العصا * واليد * والطوفان والجراد * والقمل * والضفادع * والدم * ونقص من الاموال والانفس والثمرات ومنهم من أبدل النقص باظلال الجبل * وقيل الآيات التوراة وهذا ليس بسديد لأنه قال الى فرعون وملائه والتوراة انما نزلت بعد هلاك فرعون وملائه والسلطان المبين هو الحجج الواضحة ويحتمل أن يريد بقوله وسلطان مبين فيها أى فى الآيات وهى دالة على صدق موسى عليه السلام ويحتمل أن يريد بها العصا لأنها أبهر تلك الآيات فنص عليها كما نص على جبريل وميكائيل بعد ذكر الملائكة على سبيل التشريف بالذكر والظاهر أن يراد بقوله أمر فرعون أمره إياهم بالكفر وجحد معجزات موسى ويحتمل أن يريد الطريق والشان وما أمر فرعون برشيد نفى عنه الرشد وذلك تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على أمره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه أدنى مسكة من العقل وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم عاينوا الآيات والسلطان المبين فى أمر موسى عليه السلام وعلموا أن معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس فى اتباعه رشد ويحتمل أن يكون رشيد بمعنى راشد ويكون رشيد بمعنى مرشد أى بمرشد الى خير وكان فرعون دهريا نافيا للصانع والمعاد وكان

ابن السراج والفارسى الى أن ذلك لا يجوز وقال الزمخشرى بئس الرفد المرفود رفدهم أى بئس العون المعان وذلك أن اللعنة فى الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة فى الآخرة وقيل بئس العطاء المعطى انتهى ويظهر من كلامه أن المرفود صفة للرفد وان المخصوص بالذم محذوف تقديره رفدهم وما ذكر من تفسيره أن بئس العون المعان هو قول أبى عبيدة وسمى العذاب رفدا على نحو قولهم * تحية بينهم ضرب وجيع * وقال الكلبى الرفد الرفادة أى بئس ما يرفدون به بعد الغرق النار

يقول لا اله العالم وانما يجب على أهل كل بلد أن يشتغلوا بطاعة سلطانهم فلذلك كان أمره خاليا عن الرشد بالكلية والرشد يستعمل في كل ما يحمد و يرتضى والغي ضده و يقال قدم زيد القوم يقدم قدما وقد وما تقدمهم والمعنى انه يقدم قومه المغرقين الى النار وكما كان قدوة في الضلال متبعا كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه و يحتمل أن يكون قوله برشيد بحميد العاقبة و يكون قوله يقدم قومه تفسير الذلك وايضاحا أي كيف يرشد أمر من هذه عاقبته وعدل عن فيوردهم الى فأوردهم لتحقق وقوعه لا محالة فكأنه قد وقع ولما في ذلك من الارهاب والتخويف أو هو ماض حقيقة أي فأوردهم في الدنيا النار أي موجبه وهو الكفر و يبعد هذا التأويل الفاء والورود في هذه الآية ورود الخلود وليس بورود الاشراف على الشيء والاشفاء كقوله ولما ورد ماء مدين و يحتمل أن تكون النار نصبه على اعمال الثاني لأنه تنازعه يقدم أي الى النار وفأوردهم فأعمل الثاني وحذف معمول الأول والهمزة في فأوردهم للتعدية وورد يتعدى الى واحد فلما أدخلت الهمزة تعدى الى اثنين فتضمن واردا وموردا و يطلق الورد على الوارد فالورد لا يكون المورود فاحتيج الى حذف ليطابق فاعل بئس المخصوص بالذم فالتقدير و بئس مكان الورد المورود و يعني به النار فالورد فاعل ببئس والمخصوص بالذم المورود وهي النار و يجوز في اعراب المورود ما يجوز في زيد من قولك بئس الرجل زيد وجوز ابن عطية وأبو البقاء أن يكون المورود صفة للورد أي بئس مكان الورد المورود النار ويكون المخصوص محذوفا لفهم المعنى كما حذف في قوله فبئس المهاد وهذا التخريج ينبني على جواز وصف فاعل نعم و بئس وفيه خلاف ذهب ابن السراج والفارسي الى أن ذلك لا يجوز * وقال الزمخشري والورد المورود الذي وردوه شبهه بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذي يردونه النار لأن الورد انما يورد لتسكين العطش وتبريد الأكباد والنار ضده انتهى وقوله والورد المورود اطلاق الورد على المورود مجاز إذ نقلوا انه يكون صدرا بمعنى الورود أو بمعنى الواردة من الابل وتقديره بئس الورد الذي يردونه النار يدل على أن المورود صفة للورد وأن المخصوص بالذم محذوف ولذلك قدّره النار وقد ذكرنا أن ذلك ينبني على جواز وصف فاعل بئس ونعم * وقيل التقدير بأس القوم المورود بهم هم فيكون الورد عني به الجمع الوارد والمورود صفة لهم والمخصوص بالذم الضمير المحذوف وهو هم فيكون ذلك ذما للواردين لا ذما للموضع الورود والاشارة بقوله في هذه الى الدنيا وقد جاء مصرحا بها في قصة هود ودل عليها قوله و يوم القيامة لأنه الآخرة فيوم معطوف على موضع في هذه والمعنى انهم ألحقوا لعنة في الدنيا وفي الآخرة * قال الكلبي في هذه لعنة من المؤمنين أو بالغرق و يوم القيامة من الملائكة أو بالنار * وقال مجاهد فلهم لعنتان وذهب قوم الى أن التقسيم هو أن لهم في الدنيا لعنة و يوم القيامة يرفدون به فهي لعنة واحدة أولا وقبح ارفادا آخر انتهى وهذا لا يصح لأن هذا التأويل يدل على ان يوم القيامة معمول لبئس و بأس لا يتصرف فلا يتقدم معمولها عليها فلو تأخر يوم القيامة صح كما قال الشاعر

ولنعم حشو الدرع أنت اذا * دعيت نزال ولج في الذعر

* وقال الزمخشري بئس الرفد المرفود رفدهم أي بئس العون المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الآخرة * وقيل بئس العطاء المعطى انتهى و يظهر من كلامه أن المرفود صفة للرفد وان المخصوص بالذم محذوف تقديره رفدهم وما ذكر من تفسيره أي بئس

(الدر)

(ع) والمورود صفة للورد أي بئس مكان الورد المورود النار ويكون المخصوص محذوفا لفهم المعنى كما حذف في قوله فبئس المهاد (ح) هذا التخريج ينبني على جواز وصف فاعل نعم وبئس وفيه خلاف ذهب ابن السراج والفارسي الى أن ذلك لا يجوز

﴿ذلك من أنباء القرى﴾ الآية الاشارة بذلك الى ماتقدم من ذكر الأنبياء وقومهم وماحل بهم من العقوبات أي ذلك بعض أنباء القرى والضمير في منها عائد على القرى قال ابن عباس قائم عامر وحصيد داثر قال الزمخشري فان قلت ماحل هذه الجملة قلت هي مستأنفة لامحل لها انتهى وقال أبو البقاء منها قائم مبتدأ وخبر في موضع الحال من الهاء في نقصه وحصيد مبتدأ خبره محذوف أي ومنها حصيد انتهى وماذكره أبو البقاء تجوز أي نقصه عليك وحال القرى ذلك فالحال أبلغ في التخويف وضرب المثل للحاضرين أي نقص عليك نقص أنباء القرى وهي على هذه الحال يشاهدون فعل الله تعالى ﴿فما أغنت﴾ مانافية أو استفهامية بمعنى أي شئ ﴿التي يدعون﴾ وغير تتبيب أي غير تخسير

العون المعان هو قول أبي عبيدة وسمي العذاب رفدا على نحو قولهم * تحية بينهم ضرب وجيع * وقال الكلبي الرفد الرفادة أي بئس ما يرفدون به بعد الغرق النار ﴿ ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد * وماظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك ومازادوهم غير تتبيب ﴾ الاشارة بذلك الى ماتقدم من ذكر الانبياء وقومهم وماحل بهم من العقوبات أي ذلك النبأ بعض أنباء القرى و يحتمل أن يعني بالقرى قرى أولئك المهلكين المتقدم ذكرهم وأن يعني القرى عموما أي هذا النبأ المقصوص عليك هو ديدن المدن اذا كفرت فدخل المدن المعاصرة والضمير في منها عائد على القرى قال ابن عباس قائم وحصيد عامر كزرع وداثر وهذا على تأويل عموم القرى * وقال قتادة وابن جريج قائم الجدران ومنهدم وهذا على تأويل خصوص القرى وانها قرى أولئك الامم المهلكين * وقال الزمخشري بعضها باق و بعضها عافي الأثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد انتهى وهذا معنى قول قتادة * قال قتادة قائم الاثر ودارسه جعل حصد الزرع كناية عن الفناء قال الشاعر

والناس في قسم المنية بينهم * كالزرع منه قائم وحصيد

* وقال الضحاك قائم لم يخسف وحصيد قد خسف * وقال ابن اسحق قائم لم يهلك بعد وحصيد قد أهلك * وقيل قائم أي باق نسله وحصيد أي منقطع نسله وهذا يتمشى على أن يكون التقدير ذلك من أنباء أهل القرى وقد قيل هو على حذف مضاف أي من أنباء أهل القرى و يؤيده قوله وماظلمناهم فعاد الضمير على ذلك المحذوف * وقال الاخفش حصيد أي محصود وجمعه حصدى وحصاد مثل مرضى ومراض و باب فعلى جمعا لفعيل بمعنى مفعول أن يكون فيمن يعقل نحو قتيل وقتلى * وقال الزمخشري (فان قلت) ماحل هذه الجملة * قلت هي مستأنفة لامحل لها انتهى * وقال أبو البقاء منها قائم ابتداء وخبر في موضع الحال من الهاء في نقصه وحصيد مبتدأ خبره محذوف أي ومنها حصيد انتهى وماذكره تجوز أي نقصه عليك وحال القرى ذلك والحال أبلغ في التخويف وضرب المثل للحاضرين أي نقص عليك بعض أنباء القرى وهي على هذه الحال يشاهدون فعل الله بها وما ظلمناهم أي باهلاكنا اياهم بل وضعنا عليهم من العذاب مايستحقونه ولكن ظلموا أنفسهم بوضع الكفر موضع الايمان وارتكاب مابه أهلكوا والظاهر أن قوله فما أغنت نفي أي لم تردعنهم من بأس الله شيأ ولا أجدت يدعون حكاية حال أي التي كانوا يدعون أي يعبدون أو يدعونها اللات والعزى وهبل * قال الزمخشري ولما منصوب بما أغنت انتهى وهذا بناء على أن لما ظرف وهو خلاف مذهب سيبويه لان مذهبه انها حرف وجوب لوجوب وأمر ربك هو عذابه ونقمته ومازادوهم عومل معاملة العقلاء في الاسناد الى واو الضمير الذي هو لمن يعقل لانهم نزلوهم منزلة العقلاء في اعتقادهم انها تنفع وعبادتهم اياهم والتتبيب التخسير * قال ابن زيد الشر * وقال قتادة الخسران والهلاك * وقال مجاهد التخسير * وقيل التدمير وهذه كلها أقوال متقاربة * قال ابن عطية وصورة زيادة الاصنام التتبيب انما هو بتصور بان تأميلها والثقة بها والتعب في عبادتها شغلت نفوسهم عن النظر في الشرع وعاقبته فلحق من ذلك عقاب وخسران واما بان عذابهم على

(الدر)

منها قائم وحصيد (ش) فان قلت ماحل هذه الجملة * قلت هي مستأنفة لامحل لها انتهى (ح) وقال أبو البقاء منها قائم ابتداء وخبر في موضع الحال من الهاء في نقصه وحصيد مبتدأ وخبره محذوف أي ومنها حصيد انتهى وماذكره أبو البقاء يجوز أي نقصه عليك وحال القرى ذلك والحال أبلغ في التخويف وضرب المثل للحاضرين أي نقص عليك بعض أنباء القرى وهي على هذه الحال يشاهدون فعل الله بها انتهى (ش) ولما منصوب بما أغنت انتهى (ح) هذا بناء على ان لما ظرف وهو خلاف مذهب سيبويه لأن مذهبه انها حرف وجوب لوجوب

الكفر يزاد به عذاب على مجرد عبادة الاوثان ﴿ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد * ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لأجل معدود * يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد ﴾ أي ومثل ذلك الاخذ أخذ الله الامم السابقة أخذ ربك والقرى عام في القرى الظالمة والظلم يشمل ظلم الكفر وغيره وقد يمهل الله تعالى بعض الكفرة وأما الظلمة في الغالب فعاجلون وفي الحديث ان الله يملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك اذا * وقرأ أبو رجاء والجحدري وكذلك أخذ ربك اذ أخذ على أن أخذ ربك فعل وفاعل واذ ظرف لما مضى وهو اخبار عما جرت به عادة الله في اهلاك من تقدم من الامم * وقرأ طلحة بن مصرف وكذلك أخذ ربك اذا أخذ * قال ابن عطية وهي قراءة متمكنة المعنى ولكن قراءة الجماعة تعطي الوعيد واستمراره في الزمان وهو الباب في وضع المستقبل موضع الماضي والقرى مفعول باخذ على الاعمال اذ تنازعه المصدر وهو أخذ ربك وأخذ فاعمل الثاني وهي ظالمة جملة حالية ان أخذه أليم موجع صعب على المأخوذ والاخذ هنا أخذ الاهلاك ان في ذلك أي فيما قص الله من اخبار الامم الماضية واهلاكهم لآية لعلامة لمن خاف عذاب الآخرة أي انهم اذا عذبوا في الدنيا لاجل تكذيبهم الانبياء واشراكهم بالله وهي دار العمل فلأن يعذبوا على ذلك في الآخرة التي هي دار الجزاء أولى وذلك أن الانبياء أخبروا باستئصال من كذبهم وأشركوا بالله ووقع ما أخبروا به ووفق إخبارهم فدل على أن ما أخبروا به من البعث والجزاء صدق لا شك فيه * قال الزمخشري لآية لمن خاف لعبرة له لانه ينظر الى ما أحل الله بالمجرمين في الدنيا وما هو الأنموذج مما أعد لهم في الآخرة فاذا رأى عظمته وشدته اعتبر به من عظيم العذاب الموعود فيكون له عظة وعبرة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله ونحوه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ذلك اشارة الى يوم القيامة الدال عليه قوله عذاب الآخرة والناس مفعول لم يسم فاعله رافعه مجموع وأجاز ابن عطية أن يكون الناس مبتدأ ومجموع خبر مقدم وهو بعيد لافراد الضمير في مجموع وقياسه على اعرابه مجموعون ومجموع له الناس عبارة عن الحشر ومشهود عام يشهده الأولون والآخرون من الانس والجن والملائكة والحيوان في قول الجمهور * وقال الزمخشري (فان قلت) أي فائدة في أن أوثر اسم المفعول على فعله (قلت) لما في اسم المفعول من دلالته على ثبات معنى الجمع لليوم وانه لابد أن يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وانه هو الموصوف بذلك صفة لازمة وهو أثبت أيضا لاسناد الجمع الى الناس وأنهم لا ينفكون منه وفيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل ومعنى مشهود مشهود فيه فاتسع في الجار والمجرور ووصل الفعل الى الضمير اجراء له مجرى المفعول به على السعة لقوله * ويوما شهدناه سليما وعامرا * والمعنى يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور وانما لم يجعل اليوم مشهودا في نفسه كما قال فمن شهد منكم الشهر لأن الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وغيره من بين الايام وكونه مشهودا في نفسه لا يميزه اذ هو موافق لسائر الايام في كونها مشهودة وما نؤخره أي ذلك اليوم * وقيل يعود على الجزاء قاله الحوفي الا لأجل معدود أي لقضاء سابق قد نفذ فيه باجل محدود لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه * وقرأ الأعمش وما يؤخره بالياء * وقرأ النحويان ونافع يأتي باثبات الياء وصلا وحذفها وقفا وابن كثير باثباتها وصلا ووقفا وهي ثابتة في مصحف أبي * وقرأ باقي السبعة بحذفها وصلا ووقفا وسقطت في مصحف الامام عثمان *

﴿ وكذلك أخذ ربك ﴾ الآية أي ومثل ذلك الأخذ أخذ الله الامم السابقة أخذ ربك والقرى عام في القرى الظالمة والظلم يشمل ظلم الكفر وغير ذلك إشارة الى يوم القيامة الدال عليه قوله عذاب الآخرة والناس مفعول لم يسم فاعله رافعه مجموع وأجاز ابن عطية أن يكون الناس مبتدأ أو مجموع خبر مقدم وهو بعيد لافراد الضمير في مجموع وقياسه على اعرابه مجموعون ومجموع له الناس عبارة عن الحشر ومشهود عام يشهده الأولون والآخرون من الانس والجن والملائكة والحيوان ﴿ وما نؤخره ﴾ أي ذلك اليوم وقيل يعود على الجزاء ﴿ الا لأجل معدود ﴾ أي لقضاء سابق قد نفذ فيه باجل محدود لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه والظاهر أن الفاعل بيأتي ضمير يعود على ما عاد عليه الضمير في نؤخره وهو قوله ذلك يوم والناصب له لا تكلم والمعنى لا تكلم نفس يوم يأتي ذلك اليوم الا باذنه تعالى وذلك من عظم المهابة والهول في ذلك اليوم

وقرأ الأعمش يأتون وكذا في مصحف عبد الله واثباتها وصلا ووقفا هو الوجه ووجه حذفها في الوقف التشبيه بالفواصل وقفا ووصلا التخفيف كما قالوا الأدر ولا أبال * وذكر الزمخشري ان الاجتزاء بالكسرة عن الياء كثير في لغة هذيل وأنشد الطبري

كفاك كف مايليق درهما * جودا وأخرى تعط بالسيف الدما

والظاهر أن الفاعل بيأتي ضمير يعود على ماعاد عليه الضمير في نؤخره وهو قوله ذلك يوم والناصب له لاتكلم والمعنى لاتكلم نفس يوم يأتي ذلك اليوم الا باذن الله وذلك من عظم المهابة والهول في ذلك اليوم وهو نظير لايتكلمون الا من أذن له الرحمن هو ناصب كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا والمراد باتيان اليوم اتيان أهواله وشدائده اذ اليوم لايكون وقتا لاتيان اليوم وأجاز الزمخشري أن يكون فاعل يأتي ضميرا عائدا على الله قال كقوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله أو يأتي ربك وجاء ربك ويعضده قراءة ومايؤخره بالياء وقوله باذنه وأجاز أيضا أن ينتصب يوم يأتي باذكر أو بالانتهاء المحذوف في قوله الا لأجل معدود أي ينتهي الأجل يوم يأتي وأجاز الحوفي أن يكون لاتكلم حالا من ضمير اليوم المتقدم في مشهود أو نعتا له لانه نكرة والتقدير لا تكلم نفس فيه يوم يأتي الا باذنه * وقال ابن عطية لاتكلم نفس يصح أن يكون جملة في موضع الحال من الضمير الذي في يأتي وهو العائد على قوله ذلك يوم ويكون على هذا عائد محذوف تقديره لاتكلم نفس فيه الا باذنه ويصح ان يكون قوله لاتكلم نفس صفة لقوله يوم يأتي أو يوم يأتي يراد به الحين والوقت لا النهار بعينه وما ورد في القرآن من ذكر كلام أهل الموقف في التلازم والتساؤل والتجادل فاما أن يكون باذن الله واما أن يكون هذه مختصة هنا في تكلم شفاعة أو اقامة حجة انتهى وكلامه في اعراب لاتكلم كأنه منقول من كلام الحوفي * وقيل يوم القيامة يوم طويل له مواقف ففي بعضها يجادلون عن أنفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم والضمير في منهم عائد على الناس في قوله مجموع له الناس * وقال الزمخشري الضمير لاهل الموقف ولم يذكروا الا أن ذلك معلوم ولان قوله لاتكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس * وقال ابن عطية فنهم عائد على الجميع الذي تضمنه قوله نفس اذ هو اسم جنس يراد به الجميع انتهى * قال ابن عباس الشقي من كتبت عليه الشقاوة والسعيد الذي كتبت له السعادة * وقيل معذب ومنعم * وقيل محروم ومرزوق * وقيل الضمير في منهم عائد على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ذكره ابن الانباري ﴿ فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ ﴾ قال الضحاك ومقاتل والفراء الزفير أول نهيق الحمار والشهيق آخره * وروى عن ابن عباس وقال أبو العالية والربيع بن أنس الزفير في الحلق والشهيق

﴿ فاما الذين شقوا ففي النار ﴾ الآية الزفير أول نهيق الحمار والشهيق آخره وانتصاب خالدين على أنها حال مقدرة وما مصدرية ظرفية أي مدة دوام السموات والارض والمراد بهذا التوقيت التأبيد لقول العرب ما أقام ثبير ومالاح كوكب وضعت العرب ذلك للتأبيد من غير نظر لفناء ثبير أو الكوكب أو لعدم فنائهما ﴿ الا ماشاء ربك ﴾ قال الزمخشري فان قلت مامعنى الاستثناء في قوله الا ماشاء ربك وقد ثبت خلود أهل الجنة والنار في الآية من غير استثناء قلت هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك ان أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبأنواع من العذاب يساوي عذاب أهل النار وبما هو أغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم واهانته اياهم وهكذا أهل الجنة لهم مع تبوء الجنة ماهو أكبر منها وأجل موقعا منهم وهو رضوان الله تعالى كما قال تعالى وعد الله الى قوله ورضوان من الله أكبر ولهم مايتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مالا يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته ان ربك فعال لما يريد أنه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي أهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتأمله فان القرآن يفسر بعضه بعضا وقال الفراء فيما حكى ابن عطية عنه الا في هذه الآية بمعنى سوى والاستثناء منقطع كما تقول لك عندي ألفا درهم الا الألف التي كنت أسلفتك بمعنى سوى تلك الألف ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى بعد هذا عطاء غير مجذوذ وانتصب عطاء على المصدر أي أعطوا اعطاء بمعنى اعطاء كقوله تعالى والله أنبتكم من الأرض نباتا أي انباتا ومعنى غير مجذوذ أي غير مقطوع بل

فى الصدر ور وى عن ابن عباس أيضا *وقال ابن السائب الزفير زفير الحمار والشهيق شهيق البغال وانتصاب خالدين على أنها حال مقدرة ومامصدرية ظرفية أى مدة دوام السموات والارض والمراد بهذا التوقيت التأبيد كقول العرب ماأقام ثبير ومالاح كوكب وضعت العرب ذلك للتأبيد من غير نظر لفناء ثبير أو الكوكب أو عدم فنائهما * وقيل سموات الآخرة وأرضها وهى دائمة لابد يدل على ذلك يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولأنه لابد لأهل الآخرة ممايقلهم ويظلهم اماسماء يخلقها الله أو يظلهم العرش وكلما أظلك فهو سماء * وعن ابن عباس ان السموات والارض فى الآخرة يردان الى النور الذى أخذتامنه فهمادائمتان أبدا فى نور العرش والظاهر ان قوله الاماشاء ربك استثناء من الزمان الدال عليه قوله خالدين فيهامادامت السموات والارض والمعنى الاالزمان الذى شاءه الله تعالى فلا يكون فى النار ولافى الجنة ويمكن أن يكون هذا الزمان المستثنى هو الزمان الذى يفصل الله بين الخلق يوم القيامة اذا كان الاستثناء من الكون فى النار والجنة لانه زمان يخلو فيه الشقى والسعيد من دخول النار أو الجنة وأماان كان الاستثناء من الخلود فيمكن ذلك بالنسبة الى أهل النار ويكون الزمان المستثنى هو الزمان الذى فات أهل النار العصاة من المؤمنين الذين يخرجون من النار ويدخلون الجنة فليسوا خالدين فى النار اذقد أخرجوا منها وصاروا فى الجنة وهذا روى معناه عن قتادة والضحاك وغيرهما ويكون الذين شقوا شاملا للكفار وعصاة المسلمين وأمابالنسبة الى أهل الجنة فلايتأتى منهم ماتأتى فى أهل النار اذليس منهم من يدخل الجنة ثم لايخلد فيها لكن يمكن ذلك باعتبار أن يكون أريد الزمان الذى فات أهل النار العصاة من المؤمنين أو الذى فات أصحاب الاعراف فانهم بفوات تلك المدة التى دخل المؤمنون فيها الجنة وخلدوا فيها صدق على العصاة المؤمنين وأصحاب الاعراف انهم ماخلدوا فى الجنة تخليد من دخلها اول وهلة ويجوز أن يكون استثناء من الضمير المستكن فى الجار والمجرور أو فى خالدين وتكون ماواقعة على نوع من يعقل كماوقعت فى قوله فانكحوا ماطاب لكم من النساء أو تكون واقعة على من يعقل على مذهب من يرى وقوعها على من يعقل مطلقا ويكون المستثنى فى قصة النار عصاة المؤمنين وفى قصة الجنة هم أو أصحاب الاعراف لانهم لم يدخلوا الجنة لاول وهلة ولاخلدوا فيها خلود من دخلها أول وهلة * وقال الزمخشرى (فان قلت) مامعنى الاستثناء فى قوله الاماشاء ربك وقد ثبت خلود أهل الجنة والنار فى الآية من غير استثناء (قلت) هو استثناء من الخلود فى عذاب النار ومن الخلود فى نعيم أهل الجنة وذلك ان أهل النار لايخلدون فى عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع من العذاب يساوى عذاب النار وبماهو أغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم واهانته اياهم وهكذا أهل الجنة لهم مع تبوء الجنة ماهو أكبر منها وأجل موقعا منهم وهو رضوان الله تعالى كماقال وعد الله الآية الى قوله ورضوان من الله أكبر ولهم مايتفضل به عليهم سوى ثواب الجنة مالايعرف كنهه الاهو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله فى مقابلته ان ربك فعال لمايريد أنه يفعل باهل النار مايريد من العذاب كمايعطى أهل الجنة عطاءه الذى لاانقطاع له فتأمله فان القرآن يفسر بعضه بعضا ولايخدعنك عنه قول المجبرة المراد بالاستثناء خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة فان الاستثناء الثانى ينادى على تكذيبهم ويسجل بافترائهم وماظنك بقوم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم لماروى لهم بعض الثوابت عن عبدالله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق

فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك عندما يلبثون فيها أحقابا وقد بلغني أن من الضلال من اعتبر هذا الحديث فاعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها عن أن نغفل عنه ولئن صح هذا عن أبي العاصي فمعناه يخرجون من النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق أبوابها انتهى وهو على طريق الاعتزال في تخليد أهل الكبائر غير التائبين من المؤمنين في النار وأما ماذكره من الاستثناء في أهل النار من كونهم لا يخلدون في عذاب النار اذ ينتقلون الى الزمهرير فلا يصدق عليهم انهم خالدون في عذاب النار فقد يتمشى وأما ماذكره من الاستثناء في أهل الجنة من قوله خالدين فلا يتمشى لانهم مع ما أعطاهم الله من رضوانه وماتفضل عليهم به من سوى ثواب الجنة لا يخرجهم ذلك عن كونهم خالدين في الجنة فلا يصح الاستثناء على هذا بخلاف أهل النار فانه لخروجهم من عذابها الى الزمهرير يصح الاستثناء * وقال ابن عطية وأما قوله الا ماشاء ربك فقيل فيه ان ذلك على طريق الاستثناء الذي ندب الشرع الى استعماله في كل كلام فهو على نحو قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين استثناء في واجب وهذا الاستثناء هو في حكم الشرط كأنه قال ان شاء الله فليس يحتاج أن يوصف بمتصل ولا منقطع * وقيل هو استثناء من طول المدة وذلك على ماروى أن جهنم تخرب و يعدم أهلها وتخفق أبوابها فهم على هذا يخلدون حتى يصير أمرهم الى هذا وهذا قول محيل والذي روى ونقل عن ابن مسعود وغيره أنها تخلو من النار انما هو الدرك الاعلى المختص بعصاة المؤمنين وهو الذي يسمى جهنم وسمى الكل به تجوزا * وقيل الا بمعنى الواو فمعنى الآية وماشاء الله زائدا على ذلك * وقيل الا في هذه الآية بمعنى سوى والاستثناء منقطع كما تقول لي عندك ألف درهم الا الألف التي كنت أسلفتك بمعنى سوى تلك الألف فكأنه قال خالدين فيها مادامت السموات والارض سوى ماشاء الله زائدا على ذلك ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى بعد هذا عطاء غير مجذوذ وهذا قول الفراء * وقيل سوى ماأعد لهم من أنواع العذاب مما لا يعرف كالزمهرير * وقيل استثناء من مدة السموات والارض التي فرطت لهم في الحياة الدنيا * وقيل في البرزخ بين الدنيا والآخرة * وقيل في المسافات التي بينهم في دخول النار اذ دخولهم انما هو زمرا بعد زمر * وقيل الاستثناء من قوله ففي النار كأنه قال الا ماشاء ربك من تأخير قوم عن ذلك وهذا قول رواه أبو نضرة عن جابر أو عن أبي سعيد الخدري ثم أخبر منبها على قدرة الله تعالى فقال ان ربك فعال لما يريد انتهى * وقال أبو مجلز الا ماشاء ربك أن يتجاوز عنه بعذاب يكون جزاؤه الخلود في النار فلا يدخله النار * وقيل معنى الا ماشاء ربك كما شاء ربك قيل كقوله ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء الا ماقد سلف أي كما قد سلف * وقرأ الحسن شقوا بضم الشين والجمهور بفتحها * وقرأ ابن مسعود وطلحة بن مصرف وابن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي وحفص سعدوا بضم السين وباقي السبعة والجمهور بفتحها وكان علي بن سليمان يتعجب من قراءة الكسائي سعدوا مع علمه بالعربية ولا يتعجب من ذلك اذ هي قراءة منقولة عن ابن مسعود ومن ذكرنا معه وقد احتج الكسائي بقولهم مسعود قيل ولا حجة فيه لانه يقال مكان مسعود فيه ثم حذف فيه وسمى به * وقال المهدوي من قرأ سعدوا فهو محمول على مسعود وهو شاذ قليل لانه لا يقال سعده الله انما يقال أسعده الله * وقال الثعلبي سعد وأسعد بمعنى واحد وانتصب عطاء على المصدر أي أعطوا عطاء بمعنى اعطاء كقوله والله أنبتكم من الارض نباتا أي انباتا ومعنى غير مجذوذ غير مقطوع بل هو ممتد الى غير نهاية * فلا تك في مرية

هو ممتد الى غير نهاية ﴿ فلا تك فى مرية ﴾ الآية لما ذكر تعالى قصص عبدة الأوثان من الأمم السالفة وأتبع ذلك بذكر أحوال الاشقياء والسعداء شرح لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحوال الكفار من قومه وانهم متبعو آبائهم كحال من تقدم من الامم السالفة فى اتباع آبائهم فى الضلال وهؤلاء اشارة الى مشركى العرب باتفاق وان دبدنهم كديدن الامم الماضية فى التقليد والعمى عن النظر فى الدلائل والحجج وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعده بالانتقام منهم اذ حالهم فى ذلك حال الامم السالفة قد قصصنا عليك ما جرى لهم من سوء العاقبة والتشبيه فى قوله كما يعبد معناه أن حالهم فى الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت وقد بلغك ما نزل باسلافهم فسينزل بهم مثله وما يعبدون استئناف جرى مجرى التعليل للنهى قال ابن عباس ما قدر لهم من خير وشر وقال الزمخشرى فان قلت كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب الموفى قلت يجوز أن يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل ألا ترى تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا انتهى وهذه مغلطة اذا قال وفيته شطر حقه فالتوفية وقعت فى الشطر وكذا ثلث حقه والمعنى أعطيته الشطر أو الثلث كاملا لم أنقصه عنه شيئا وأما قوله وحقه كاملا وناقصا أما كاملا فصحيح وهى حال مؤكدة لان التوفية تقتضى الا كمال وأما وناقصا فلا يقال لمنافاته التوفية والخطاب فى فلا تك متوجه الى من داخله الشك لا الى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى والله أعلم قل يا محمد لمن شك لا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء

مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص * ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب * وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم انه بما يعملون خبير * فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير * ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون * وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين * واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين * فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ﴾ الزلفة قال الليث طائفة من أول الليل والجمع الزلف * وقال ثعلب الزلف أول ساعات الليل واحدها زلفة وقال أبو عبيدة والأخفش وابن قتيبة الزلف ساعات الليل وآناؤه وكل ساعة زلفة * وقال العجاج

ناج طواه الاين مما وجفا * طى الليالى زلفا فزلفا
* سماوة الهلال حتى احقوقفا *

وأصل الكلمة من الزلفى وهى القربة ويقال أزلفه فازدلف أى قربه فاقترب وأزلفنى أدنانى * الترف النعمة صبى مترف منعم البدن ومترف أبطرته النعمة وسعة العيش * وقال الفراء أترف عود الترفة وهى النعمة ﴿ فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ﴾ لما ذكر تعالى قصص عبدة الاوثان من الامم السالفة واتبع ذلك بذكر أحوال الاشقياء والسعداء شرح للرسول صلى الله عليه وسلم أحوال الكفار من قومه وانهم متبعو آبائهم كحال من تقدم من الامم فى اتباع آبائهم فى الضلال وهؤلاء اشارة الى مشركى العرب باتفاق وان ديدنهم كديدن الامم الماضية فى التقليد والعمى عن النظر فى الدلائل والحجج وهذه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وعده بالانتقام منهم اذ حالهم فى ذلك حال الامم السالفة والامم السالفة قد قصصنا عليك ما جرى لهم من سوء العاقبة والتشبيه فى قوله كما يعبد معناه أن حالهم فى الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت وقد بلغك ما نزل باسلافهم فسينزل بهم مثله وما يعبد استئناف جرى مجرى التعليل للنهى عن المرية وما فى مما وفى كما يحتمل أن تكون مصدرية وبمعنى الذى * وقرأ الجمهور لموفوهم مشددا من وفى وابن محيصن مخففا من أوفى والنصيب هنا قال ابن عباس ما قدر لهم من خير ومن شر * وقال أبو العالية من الرزق * وقال ابن زيد من العذاب وكذا قال الزمخشرى قال كما وفينا آباءهم أنصباءهم وغير منقوص حال من نصيبهم وهو عندى حال مؤكدة لأن التوفية تقتضى التكميل * وقال الزمخشرى (فان قلت) كيف نصب غير منقوص حالا

(الدر) (ش) فان قلت كيف نصب غير منقوص حالا من النصيب الموفى * قلت يجوز أن يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل ألا ترى تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا انتهى (ح) هذه مغلطة اذا قال وفيته شطر حقه فالتوفية وقعت فى الشطر وكذا ثلث حقه والمعنى أعطيته الشطر والثلث كاملا لم أنقصه منه شيأ وأما قوله وحقه كاملا وناقصا أما كاملا فصحيح وهى حال مؤكدة لان التوفية تقتضى الا كمال وأما وناقصا فلا يقال لمنافاته التوفية

الكتاب﴾ الآية والكتاب التوراة فاختلفوا فيه فقبله بعض وأنكره بعض والظاهر عود الضمير فى فيه على الكتاب لقربه ويجوز أن يعود على موسى صلى الله عليه وسلم ويلزم من الاختلاف فى أحدهما الاختلاف فى الآخر ﴿وان كلا لما ليوفينهم﴾ الآية الظاهر عموم كل وشموله للمؤمن والكافر وقرئ وان كلا بالتشديد وكلا اسمها وقرئ وان بالتخفيف وكلا اسمها واعمالها مخففة ثابت فى لسان العرب فى كتاب سيبويه ان زيدا لمنطلق بتخفيف ان وقرئ لما بتخفيف الميم فاللام هى الداخلة فى خبر ان المخففة والمشددة وما زائدة واللام فى ليوفينهم جواب قسم محذوف وذلك القسم فى موضع خبر ان وليوفينهم جواب القسم المحذوف فالتقدير وان كلا لاقسم ليوفينهم وقرئ لما بالتشديد وهى لما الجازمة حذف الفعل المجزوم لدلالة المعنى عليه وتقديره وان كلا لما ينقص من جزاء عمله ويدل عليه قوله تعالى ليوفينهم ربك أعمالهم لما أخبر بانتقاص جزاء أعمالهم أكد بالقسم قالت العرب قاربت المدينة ولما يريدون ولما أدخلها لدلالة المعنى عليه

من النصيب الموفى (قلت) يجوز أن يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل ألا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا انتهى وهذه مغلطة اذا قال وفيته شطر حقه فالتوفية وقعت فى الشطر وكذا ثلث حقه والمعنى أعطيته الشطر أو الثلث كاملا لم أنقصه منه شيأ وأما قوله وحقه كاملا وناقصا أما كاملا فصحيح وهى حال مؤكدة لأن التوفية تقتضى الاكمال وأما وناقصا فلا يقال لمنافاته التوفية والخطاب فى فلا تك متوجه الى من داخله الشك لا الى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى والله أعلم قل يا محمد لكل من شك لا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء فان الله لم يأمرهم بذلك وانما اتبعوا فى ذلك آباءهم تقليدا لهم واعراضا عن حجج العقول ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب ﴾ لما بين تعالى اصرار كفار مكة على انكار التوحيد ونبوة الرسول والقرآن الذى أتى به بين أن الكفار من الامم السابقة كانوا على هذه السيرة الفاجرة مع أنبيائهم فليس ذلك ببدع ممن عاصر الرسول صلى الله عليه وسلم وضرب لذلك مثلا وهو انزال التوراة على موسى فاختلفوا فيها والكتاب هنا التوراة فقبله بعض وأنكره بعض كما اختلف هؤلاء فى القرآن والظاهر عود الضمير فيه على الكتاب لقربه ويجوز أن يعود على موسى عليه السلام ويلزم من الاختلاف فى أحدهما الاختلاف فى الآخر وجوز أن تكون فى بمعنى على أى فاختلف عليه وكان بنو اسرائيل أشد تعنتا على موسى وأكثر اختلافا عليه وقد تقدم شرح ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم والظاهر عود الضمير فى بينهم على قوم موسى عليه السلام اذهم المختلفون فيه أو فى الكتاب * وقيل يعود على المختلفين فى الرسول من معاصريه * قال ابن عطية وأن يعمهم اللفظ أحسن عندى وهذه الجملة من جملة تسليته أيضا ﴿وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم انه بما يعملون خبير﴾ الظاهر عموم كل وشموله للمؤمن والكافر * وقال الزمخشرى التنوين عوض من المضاف اليه يعنى وان كلهم وان جميع المختلفين فيه * وقال مقاتل يعنى به كفار هذه الأمة * وقرأ الحرميان وأبو بكر وان كلا بتخفيف النون ساكنة * وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد هنا وفى يس والطارق وأجمعت السبعة على نصب كلا فتصور فى قراءتهم أربع قراآت احداها تخفيف ان ولما وهى قراءة الحرميين والثانية تشديدهما وهى قراءة ابن عامر وحمزة وحفص والثالثة تخفيف ان وتشديد لما وهى قراءة أبى بكر والرابعة تشديد ان وتخفيف لما وهى قراءة الكسائى وأبى عمرو * وقرأ أبى والحسن بخلاف عنه وابان بن ثعلب وان بالتخفيف كل بالرفع لما مشددا * وقرأ الزهرى وسليمان بن أرقم وان كلا لما بتشديد الميم وتنوينها ولم يتعرضوا لتخفيف ان ولا تشديدها * وقال أبو حاتم الذى فى مصحف أبى وان من كل الا ليوفينهم * وقرأ الاعمش وان كل الا وهو حرف ابن مسعود فهذه أربعة وجوه فى الشاذ فاما القراءة الاولى فاعمال ان مخففة كاعمالها مشددة وهذه المسألة فيها خلاف ذهب الكوفيون الى أن تخفيف ان يبطل عملها ولا يجوز أن تعمل وذهب البصريون الى ان اعمالها جائز لكنه قليل الامع المضمر فلا يجوز الا ان ورد فى شعر وهذا هو الصحيح لثبوت ذلك فى لسان العرب * حكى سيبويه أن الثقة أخبره أنه سمع بعض العرب أن عمرا لمنطلق ولثبوت هذه القراءة المتواترة وقد تأولها الكوفيون وأما ما فقال الفراء فاللام فيها هى اللام الداخلة على خبر ان وما موصولة بمعنى الذى كما جاء فانكحوا ما طاب لكم والجملة من القسم المحذوف وجوابه

الذي هو ليوفينهم صلة لما نحو قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن وهذا وجه حسن ومن ايقاع ما على من يعقل قولهم لاسيما زيد بالرفع أي لاسي الذي هو زيد * وقيل ما نكرة موصوفة وهي لمن يعقل والجملة القسمية وجوابها قامت مقام الصفة لان المعنى وان كلا لخلق موفي عمله ورجح الطبري هذا القول واختاره * وقال أبو علي العرف أن تدخل لام الابتداء على الخبر والخبر هنا هو القسم وفيه لام تدخل على جوابه فلما اجتمع اللامان والقسم محذوف واتفقا في اللفظ وفي تلقي القسم فصل بينهما بما كما فصلوا بين أن واللام انتهى ويظهر من كلامه أن اللام في لما هي اللام التي تدخل في الخبر ونص الحوفي على أنها لام ان الا أن المنقول عن أبي علي أن الخبر هو ليوفينهم وتحريره ماذكرناه وهو القسم وجوابه * وقيل اللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة والخبر الجملة القسمية وجوابها والى هذا القول في التحقيق يؤول قول أبي علي * وأما القراءة الثانية فتشديدان واعمالها في كل واضح وأما تشديد لما فقال المبرد هذا لحن لا تقول العرب ان زيدا لما خارج وهذه جسارة من المبرد على عادته وكيف تكون قراءة متواترة لحنا وليس تركيب الآية كتركيب المثال الذي قال وهو ان زيدا لما خارج هذا المثال لحن وأما في الآية فليس لحنا ولو سكت وقال كما قال الكسائي ما أدري ماوجه هذه القراءة لكان قد وفق وأما غير هذين من النحويين فاختلفوا في تخريجها * فقال أبو عبيد أصله لما منونا وقد قرئ كذلك ثم بني منه فعلى فصار كتترى نون اذ جعلت ألفه للالحاق كارطى ومنع الصرف اذ جعلت ألف تأنيث وهو مأخوذ من لممته أي جمعته والتقدير وان كلا جميعا ليوفينهم ويكون جميعا فيه معنى التوكيد ككل ولا يقال لما هذه هي لما المنونة وقف عليها بالألف لأنها بدل من التنوين وأجرى الاصل مجرى الوقف لأن ذلك انما يكون في الشعر وما قاله أبو عبيد بعيد إذ لا يعرف بناء فعلى من اللم ولما يلزم لمن أمال فعلى ان يميلها ولم يملها أحد بالاجماع ومن كتابتها بالياء ولم تكتب بها * وقيل لما المشددة هي لما المخففة وشددها في الوقف كقولك رأيت فرحا يريد فرحا وأجرى الوصل مجرى الوقف وهذا بعيد جدا * وروى عن المازني * وقال ابن جني وغيره تقع الا زائدة فلا يبعد أن تقع لما بمعناها زائدة انتهى وهذا وجه ضعيف مبني على وجه ضعيف في الا * وقال المازني ان هي المخففة ثقلت وهي نافية بمعنى ما كما خففت ان ومعناها المثقلة ولما بمعنى الا وهذا باطل لأنه لم يعهد تثقيل ان النافية ولنصب كل وان النافية لا تنصب * وقيل لما بمعنى الا كقولك نشدتك بالله لما فعلت تريد الا فعلت وقاله الحوفي وضعفه أبو علي قال لأن لما هذه لا تفارق القسم انتهى وليس كما ذكر قد تفارق القسم وانما يبطل هذا الوجه لأنه ليس موضع دخول الا لو قلت ان زيدا الا ضربت لم يكن تركيبا عربيا * وقيل لما أصلها لمن ما ومن هي الموصولة وما بعدها زائدة واللام في لما هي داخلة في خبر ان والصلة الجملة القسمية فلما أدغمت ميم من في ما الزائدة اجتمعت ثلاث ميمات فحذفت الوسطى منهن وهي المبدلة من النون فاجتمع المثلان فأدغمت ميم من في ميم ما فصار لما وقاله المهدوي * وقال الفراء وتبعه جماعة منهم نصر الشيرازي أصل لما لمن ما دخلت من الجارة على ما كما في قول الشاعر

وإنا لمن ما يضرب الكبش ضربة * على رأسه تلقي اللسان من الفم

فعمل بها ما عمل في الوجه الذي قبله وهذان الوجهان ضعيفان جدا لم يعهد حذف نون من ولا حذف نون من الا في الشعر اذا لقيت لام التعريف أو شبهها غير المدغمة نحو قولهم ملمال يريدون من المال وهذه كلها تخريجات ضعيفة جدا ينزه القرآن عنها وكنت قد ظهر لي فيها وجه جار على قواعد العربية وهو ان لما هذه هي لما الجازمة حذف فعلها المجزوم لدلالة المعنى عليه كما حذفوه في قولهم

قاربت المدينة ولما يريدون ولما أدخلها وكذلك هنا التقدير وان كلا لما ينقص من جزاء عمله ويدل عليه قوله تعالى ليوفينهم ربك أعمالهم لما أخبر بانتفاء نقص جزاء أعمالهم أكده بالقسم فقال ليوفينهم ربك أعمالهم وكنت اعتقدت انى سبقت الى هذا التخريج السائغ العارى من التكلف وذكرت ذلك لبعض من يقرأ على فقال قد ذكر ذلك أبو عمرو بن الحاجب ولتركى النظر فى كلام هذا الرجل لم أقف عليه ثم رأيت فى كتاب التحرير نقل هذا التخريج عن ابن الحاجب قال لما هذه هى الجازمة حذف فعلها للدلالة عليه لما ثبت من جواز حذف فعلها فى قولهم خرجت ولما سافرت ولما ونحوه وهو سائغ فصيح فيكون التقدير لما يتركوا لما تقدم من الدلالة عليه من تفصيل المجموعين فى قوله فمنهم شقى وسعيد ثم ذكر الاشقياء والسعداء ومجازاتهم ثم بين ذلك بقوله ليوفينهم ربك أعمالهم قال وما أعرف وجها أشبه من هذا وان كان النفوس تستبعده من جهة ان مثله لم يقع فى القرآن وأما القراءة الثالثة والرابعة فتخريجهما مفهوم من تخريج القراءتين قبلهما وأما قراءة أبى ومن ذكر معه فان نافية ولما بمعنى الا والتقدير ما كل الا والله ليوفينهم وكل مبتدأ الخبر الجملة القسمية وجوابها التى بعد لما كقراءة من قرأ وان كل لما جميع ان كل نفس لما عليها حافظ ولا التفات الى قول أبى عبيد والفراء من انكارهما ان لما تكون بمعنى الا * قال أبو عبيد لم نجد هذا فى كلام العرب ومن قال هذا لزمه ان يقول رأيت القوم لما أخاك يريد الا أخاك وهذا غير موجود * وقال الفراء اما من جعل لما بمعنى الا فانه وجه لا نعرفه وقد قالت العرب مع اليمين بالله لما قمت عنا والا قمت عنا فاما فى الاستثناء فلم نقله فى شعر ألا ترى ان ذلك لو جاز لسمع فى الكلام ذهب الناس لما زيدا والقراءة المتواترة فى قوله وان كل لما وان كل نفس لما حجة عليهما وكون لما بمعنى الا نقله الخليل وسيبويه والكسائى وكون العرب خصصت مجيئها ببعض التراكيب لا يقدح ولا يلزم اطرادها فى باب الاستثناء فكم من شئ خص بتركيب دون ما أشبهه وأما قراءة الزهرى وابن أرقم لما بالتنوين والتشديد فلما مصدر من قولهم لممت الشئ جمعته وخرج نصبه على وجهين أحدهما أن يكون صفة لكلا وصف بالمصدر وقدر كل مضافا الى نكرة حتى يصح الوصف بالنكرة كما وصف به فى قوله أكلا لما وهذا تخريج أبى على والوجه الثانى أن يكون منصوبا بقوله ليوفينهم على حد قولهم قياما لاقومن وقعودا لا قعدن فالتقدير توفية جامعة لأعمالهم ليوفينهم وهذا تخريج ابن جنى وخبر ان على هذين الوجهين هو جملة القسم وجوابه وأما ما فى مصحف أبى فان نافية ومن زائدة وأما قراءة الاعمش فواضحة والمعنى جميع مالهم * قيل وهذه الجملة تضمنت توكيدات بان وبكل وباللام فى الخبر وبالقسم وبما اذا كانت زائدة وبنون التوكيد وباللام قبلها وذلك مبالغة فى وعد الطائع ووعيد العاصى وأردف ذلك بالجملة المؤكدة وهى انه بما يعملون خبير وهذا الوصف يقتضى علم ماخفى * وقرأ ابن هرمز بما تعملون على الخطاب ﴿ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ﴾ قال ابن عيينة وجماعة معناه استقم على القرآن * وقال الضحاك استقم بالجهاد * وقال مقاتل امض على التوحيد * وقال جماعة استقم على أمر ربك بالدعاء اليه * وقال جعفر الصادق استقم فى الاخبار عن الله بصحة العزم * وقال الزمخشرى فاستقم استقامة مثل الاستقامة التى أمرت بها على جادة الحق غير عادل عنها * وقال ابن عطية أمر بالاستقامة وهو عليها وهو أمر بالدوام والثبوت والخطاب للرسول وأصحابه الذين تابوا من الكفر ولسائر الامة فالمعنى وأمرت مخاطبة تعظيم انتهى * وقيل استفعل هنا للطلب أى اطلب الاقامة على الدين كما تقول استغفر أى

﴿ فاستقم كما أمرت ﴾ الآية أمر بالاستقامة وهو عليها وهو أمر بالدوام والثبوت والخطاب لرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين تابوا من الكفر ولسائر الامة بالمعنى وأمرت مخاطبة تعظيم واستفعل هنا للطلب أى اطلب الاقامة على الدين كما تقول استغفر أى اطلب الغفران ومن تاب معك معطوف على الضمير المستكن فى فاستقم وأغنى الفاصل عن التوكيد ﴿ ولا تطغوا ﴾ قال ابن عباس فى القرآن فتحلوا وتحرموا مالم آمركم به

اطلب الغفران ومن تاب معطوف على الضمير المستكن فى فاستقم وأغنى الفاصل عن التوكيد ﴿ولا تطغوا﴾ قال ابن عباس فى القرآن فتحلوا وتحرموا مالم آمركم به ﴿ وقال ابن زيد لا تعصوا ربكم ﴿ وقال مقاتل لا تخلطوا التوحيد بالشك ﴿ وقال الزمخشرى لا تخرجوا عن حدود الله ﴿ وقرأ الحسن والاعمش بما يعملون بالياء على الغيبة وروبت عن عيسى الثقفى بصير مطلع على أعمالهم براها ويجازى عليها ﴿ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾ قال ابن عباس معنى الركون الميل ﴿ وقال السدى وابن زيد لا تداهنوا الظلمة ﴿ وقال قتادة لا تلحقوا بهم ﴿ وقال سفيان لا تدنوا الى الذين ظلموا ﴿ وقال أبو العالية لا ترضوا أعمالهم ﴿ وقيل لا تجالسوهم ﴿ وقال جعفر الصادق الى الذين ظلموا الى أنفسكم فانها ظالمة وهذا شبيه بتفسير الباطنية ﴿ وقيل لا تتشبهوا بهم ﴿ وقرأ الجمهور تركنوا بفتح الكاف والماضى ركن بكسرها وهى لغة قريش ﴿ وقال الازهرى هى اللغة الفصحى وعن أبى عمرو بكسر التاء على لغة تميم فى مضارع علم غير الياء ﴿ وقرأ قتادة وطلحة والاشهب ورويت عن أبى عمرو تركنوا بضم الكاف ماضى ركن بفتحها وهى لغة قيس وتميم ﴿ وقال الكسائى وأهل نجد وشذ يركن بفتح الكاف مضارع ركن بفتحها ﴿ وقرأ ابن أبى عبلة ولا تركنوا مبنيا للمفعول من أركنه اذا أماله والنهى متناول لانحطاط فى هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتزيى بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله الى الذين ظلموا أى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الظالمين قاله الزمخشرى ﴿ وقال ابن عطية ومعناه السكون الى الشئ والرضا به ﴿ قال أبو العالية الركون الرضا ﴿ وقال ابن زيد الركون الادهان والركون يقع فى قليل هذا وكثيره والنهى هنا يترتب من معنى الركون عن الميل اليهم بالشرك معهم الى أقل الرتب من ترك التعيير عليهم مع القدرة والذين ظلموا هنا هم الكفرة وهو النص للمتأولين ويدخل بالمعنى أهل المعاصى انتهى ﴿ وقال سفيان الثورى فى جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون الملوك ﴿ وسئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك فى برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وفى الحديث من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه وكتب الى الزهرى حين خالط السلاطين أخ له فى الدين كتابا طويلا قرعه فيه أشد التقريع يوقف عليه فى تفسير الزمخشرى ﴿ وقرأ ابن وثاب وعلقمة والأعمش وابن مصرف وحمزة فيما روى عنه فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم والمس كناية عن الاصابة وانتصب الفعل فى جواب النهى والجملة بعدها حال ومعنى من أولياء من أنصار يقدرون على منعكم من عذابه ﴿ ثم لا تنصرون قال الزمخشرى ثم لا ينصركم هو لانه وجب فى حكمته تعذيبكم وترك الابقاء عليكم (فان قلت) ما معنى ثم قلت معناها الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب وقضاء حكمته له انتهى وهى ألفاظ المعتزلة ﴿ وقرأ زيد بن على ثم لا تنصروا بحذف النون والفعل منصوب عطفا على قوله فتمسكم والجملة حال أو اعتراض بين المتعاطفين ﴿وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين ﴿ واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ سبب نزولها ما فى صحيح مسلم من حديث الرجل الذى عالج امرأة أجنبية منه فأصاب منها ما سوى اتيانها فنزلت ﴿ وقيل نزلت قبل ذلك واستعملها الرسول صلى الله عليه وسلم فى قصة هذا

﴿فتمسكم﴾ جواب للنهى منصوب باضمار أن بعد الفاء كقوله ولا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب انتهى ﴿وأقم الصلاة طرفى النهار﴾ الآية سبب نزولها ما فى صحيح مسلم من حديث الرجل الذى عالج امرأة أجنبية منه فأصاب منها ما سوى اتيانها فنزلت وانظر الى الأمر والنهى فى هذه الآيات حيث جاء الخطاب فى الأمر ولا تطغوا ولا تركنوا موجها إلى غير الرسول صلى الله عليه وسلم مخاطبا به أمته فحيث كان الأمر بأفعال الخير توجه الخطاب اليه وحيث كان النهى عن المحظورات عدل عن الخطاب عنه الى غيره من أمته وهذا من جليل علم الفصاحة ولا خلاف أن المأمور باقامتها هى الصلاة المكتوبة واقامتها دوامها وانتصب طرفى النهار على الظرف وطرف الشئ يقتضى أن يكون من الشئ فالذى يظهر أنهما الصبح والعصر لأنهما طرفا النهار والزلف قبل المغرب والعشاء والظاهر أن الاشارة بقوله ذلك الى أقرب مذكور وهو قوله أقم الصلاة أى اقامتها فى هذه الأوقات ذكرى أى سبب عظة وتذكرة للذاكرين أى المتعظين

الرجل فقال رجل أله خاصة قال لابل للناس عامة وانظر الى الأمر والنهى فى هذه الآيات حيث جاء الخطاب فى الأمر فاستقم كما أمرت وأقم الصلاة موحدا فى الظاهر وان كان المأمور به من حيث المعنى عاما وجاء الخطاب فى النهى ولا تركنوا موجها الى غير الرسول صلى الله عليه وسلم مخاطبا به أمته فحيث كان بأفعال الخير توجه الخطاب اليه وحيث كان النهى عن المحظورات عدل عن الخطاب عنه الى غيره من أمته وهذا من جليل الفصاحة ولا خلاف ان المأمور باقامتها هى الصلوات المكتوبة واقامتها دوامها * وقيل أداؤها على تمامها * وقيل فعلها فى أفضل أوقاتها وهى ثلاثة الأقوال التى فى قوله تعالى وأقيموا الصلاة وانتصب طرفى النهار على الظرف وطرف الشئ يقتضى أن يكون من الشئ فالذى يظهر انهما الصبح والعصر لانهما طرفا النهار ولذلك وقع الاجماع الا من شذ على ان من أكل أو جامع بعد طلوع الفجر متعمدا ان يومه يوم فطر وعليه القضاء والكفارة وما بعد طلوع الفجر من النهار وقد ادعى الطبرى والماوردى الاجماع على ان أحد الطرفين الصبح والخلاف فى ذلك على ما نذكره وممن قال هما الصبح والعصر الحسن وقتادة والضحاك * وقال الزلف المغرب والعشاء وليست الظهر فى هذه الآية على هذا القول بل هى فى غيرها * وقال مجاهد ومحمد بن كعب الطرف الأول الصبح والثانى الظهر والعصر والزلف المغرب والعشاء وليست الصبح فى هذه الآية * وقال ابن عباس والحسن أيضا هما الصبح والمغرب والزلف العشاء وليست الظهر والعصر فى الآية * وقيل هما الظهر والعصر والزلف المغرب والعشاء والصبح وكان هذا القائل راعى الجهر بالقراءة والاخفاء واختار ابن عطية قول مجاهد وجعل الظهر من الطرف الثانى ليس بواضح انما الظهر نصف النهار والنصف لا يسمى طرفا الا بمجاز بعيد ورجح الطبرى قول ابن عباس وهو ان الطرفين هما الصبح والمغرب ولا نجعل المغرب طرفا للنهار الا بمجاز انما هو طرف الليل * وقال الزمخشرى غدوة وعشية قال وصلاة الغدوة الصبح وصلاة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشى وصلاة الزلف المغرب والعشاء انتهى ولا يلزم من اطلاق العشى على ما بعد الزوال أن يكون الظهر طرفا للنهار لان الأمر انما جاء بالاقامة للصلاة فى طرفى النهار لا فى الغداة والعشى * وقرأ الجمهور وزلفا بفتح اللام وطلحة وعيسى البصرة وابن أبى اسحق وأبو جعفر بضمها كانه اسم مفرد * وقرأ ابن محيصن ومجاهد باسكانها وروى عنهما وزلفى على وزن فعلى على صفة الواحد من المؤنث لما كانت بمعنى المنزلة وأما القرا آت الأخر من الجموع فمنزلة بعد منزلة فزلف جمع كظلم وزلف كبسر فى بسر وزلف كبسر فى بسرة فهما اسما جنس وزلفى بمنزلة الزلفة والظاهر عطف وزلفا من الليل على طرفى النهار عطف طرفا على طرف * وقال الزمخشرى وقد ذكر هذه القرا آت وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل * وقيل زلفا من الليل وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير ان تعطف على الصلاة أى أقم الصلاة فى النهار وأقم زلفى من الليل على معنى صلوات تتقرب بها الى الله عز وجل فى بعض الليل والظاهر عموم الحسنات من الصلوات المفروضة وصيام رمضان وما أشبههما من فرائض الاسلام وخصوص السيئات وهى الصغائر ويدل عليه الحديث الصحيح ما اجتنبت الكبائر وذهب جمهور المتأولين من الصحابة والتابعين الى ان الحسنات يراد بها الصلوات الخمس واليه ذهب عثمان عند وضوءه على المقاعد وهو تأويل مالك * وقال مجاهد الحسنات قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وينبغى أن يحمل هذا كله على جهة المثال فى الحسنات ومن أجل ان الصلوات الخمس هى أعظم الأعمال والصغائر التى يذهب هى

(الدر)

(ش) غدوة وعشية وصلاة الغدوة الصبح وصلاة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشى وصلاة الزلف المغرب والعشاء انتهى (ح) لا يلزم من اطلاق العشى على ما بعد الزوال أن يكون الظهر طرفا للنهار لأن الأمر انما جاء بالاقامة فى طرفى النهار لا فى الغداة والعشى

بشرط التوبة منها وعدم الاصرار عليها وهذا نص حذاق الأصوليين ومعنى اذهابها تكفير الصغائر والصغائر قد وجدت وأذهبت الحسنات ما كان يترتب عليها الا انها تذهب حقائقها اذ هى قد وجدت * وقيل المعنى ان فعل الحسنات يكون لطفا فى ترك السيآت لا انها واقعة كقوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والظاهر ان الاشارة بقوله ذلك الى أقرب مذكور وهو قوله أقم الصلاة أى اقامتها فى هذه الأوقات ذكرى أى سبب عظة وتذكرة للذاكرين أى المتعظين * وقيل اشارة الى الاخبار بأن الحسنات يذهبن السيآت فيكون فى هذه الذكرى حضا على فعل الحسنات * وقيل اشارة الى ما تقدم من الوصية بالاستقامة واقامة الصلاة والنهى عن الطغيان والركون الى الظالمين وهو قول الزمخشرى * وقال الطبرى اشارة الى الأوامر والنواهى فى هذه السورة * وقيل اشارة الى القرآن * وقيل ذكرى معناها توبة ثم أمر تعالى بالصبر على التبليغ والمكاره فى ذات الله بعد ما تقدم من الاوامر والنواهى ومنبها على محل الصبر اذ لا يتم شئ مما وقع الامر به والنهى عنه الا به وأتى بعام وهو قوله أجر المحسنين ليندرج فيه كل من أحسن بسائر خصال الاحسان مما يحتاج الى الصبر فيه وما قد لا يحتاج كطبع من خلق كريما فلا يتكلف الاحسان اذ هو مركوز فى طبعه * وقال ابن عباس المحسنون هم المصلون كأنه نظر الى سياق الكلام * وقال مقاتل هم المخلصون * وقال أبو سليمان المحسنون فى أعمالهم ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين﴾ لولا هنا للتحضيض صحبها معنى التفجع والتأسف الذى ينبغى أن يقع من البشر على هذه الأمم التى لم تهتد وهذا نحو قوله ياحسرة على العباد والقرون قوم نوح وعاد وثمود ومن تقدم ذكره والبقية هنا يراد بها الخير والنظر والجزم فى الدين وسمى الفضل والجود بقية لان الرجل يستبقى مما يخرجه أجوده وأفضله فصار مثلا فى الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم أى من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة * ان تذنبوا ثم يأتينى بقيتكم * ومنه قولهم فى الزوايا خبايا وفى الرجال بقايا وانما قيل بقية لان الشرائع والدول ونحوها قوتها فى أولها ثم لا تزال تضعف فمن ثبت فى وقت الضعف فهو بقية الصدر الأول وبقية فعيلة اسم فاعل للمبالغة * وقال الزمخشرى ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى أى فلا كان منهم ذوو بقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه * وقرأت فرقة بقية بتخفيف الياء اسم فاعل من بقى نحو شجيت فهى شجية * وقرأ أبو جعفر وشيبة بقية بضم الباء وسكون القاف وزن فعلة * وقرئ بقية على وزن فعلة للمرة من بقاه يبقيه اذا رقبه وانتظره والمعنى فلولا كان منهم أولو مراقبة وخشية من انتقام الله كأنهم ينتظرون ايقاعه بهم لاشفاقهم والفساد هنا الكفر وما اقترن به من المعاصى وفى ذلك تنبيه لهذه الأمة وحض لها على تغيير المنكر الا قليلا استثناء منقطع أى لكن قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد وهم قليل بالاضافة الى جماعاتهم ولا يصح أن يكون استثناء متصلا مع بقاء التحضيض على ظاهره لفساد المعنى وصيرورته الى أن الناجين لم يحرضوا على النهى عن الفساد والكلام عند سيبويه بالتحضيض واجب وغيره يراه منفيا من حيث معناه انه لم يكن فيهم أولو بقية ولهذا قال الزمخشرى بعد أن منع أن يكون متصلا (فان قلت) فى تحضيضهم على النهى عن الفساد معنى نفيه عنهم فكأنه قيل ما كان من

الامم التى لم تهتد والقرون قوم نوح وعاد وثمود ومن تقدم ذكره والبقية يراد بها الخير والنظر الا قليلا استثناء منقطع أى لكن قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد وهم قليل بالاضافة الى جماعاتهم والظاهر أن الذين ظلموا هم تاركو النهى عن الفساد وما أترفوا فيه أى ما نعموا فيه من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهنى ورفضوا ما فيه صلاح دينهم ﴿وكانوا مجرمين﴾ أى ذوى جرائم غير ذلك قال الزمخشرى ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد فى الارض واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزاء الاتراف فالواو للحال كانه قيل أنجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم وكانوا مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام انتهى جعل ما فى قوله ما أترفوا فيه مصدرية ولهذا قدره اتبعوا الاتراف والظاهر أنها بمعنى الذى لعود الضمير فى فيه عليها وأجاز أيضا أن يكون معطوفا على اتبعوا أى اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك وأجاز أيضا أن يكون اعتراضا وحكما عليهم بأنهم قوم مجرمون انتهى ولا يسمى هذا اعتراضا فى اصطلاح النحويين

القرون أولوا بقية الاقليلا كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على أصل الاستثناء وان كان الأفصح أن يرجع على البدل انتهى * وقرأ زيد بن علي الاقليل بالرفع لحظ أن التحضيض تضمن النفي فابدل كما يبدل في صريح النفي * وقال الفراء المعنى فلم يكن لان في الاستفهام ضربا من الجحد وأبي الأخفش كون الاستثناء منقطعا والظاهر ان الذين ظلموا اهم تاركوا النهي عن الفساد وما أترفوا فيه أي ما نعموا فيه من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهني ورفضوا ما فيه صلاح دينهم واتبع استئناف اخبار عن حال هؤلاء الذين ظلموا واخبار عنهم أنهم مع كونهم تاركي النهي عن الفساد كانوا مجرمين أي ذوي جرائم غير ذلك * وقال الزمخشري ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الاقليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد في الأرض واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا اجزاء الاتراف فالواو للحال كأنه قيل أنجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا اجزاءهم وقال وكانوا مجرمين عطف على أترفوا أي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام انتهى فجعل ما في قوله ما أترفوا فيه مصدرية ولهذا قدره اتبعوا الاتراف والظاهر أنها بمعنى الذي لعود الضمير في فيه عليها وأجاز أيضا أن يكون معطوفا على اتبعوا أي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك قال ويجوز أن يكون اعتراضا وحكما عليهم بأنهم قوم مجرمون انتهى ولا يسمى هذا اعتراضا في اصطلاح النحو لانه آخر آية فليس بين شيئين يحتاج أحدهما الى الآخر * وقرأ جعفر بن محمد والعلاء بن سيابة كذا في كتاب اللوامح وأبو عمرو في رواية الجعفي واتبعوا ساكنة التاء مبنية للمفعول على حذف مضاف لانه مما يتعدى الى مفعولين أي جزاء ما أترفوا فيه * وقال الزمخشري ويجوز أن يكون المعنى في القراءة المشهورة أنهم اتبعوا اجزاء اترافهم وهذا معنى قوي لتقدم الانجاء كأنه قيل الاقليلا ممن أنجينا منهم وهلك السائر ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾ تقدم تفسير شبيه هذه الآية في الانعام الا أن هنا ليهلك وهي آكد في النفي لانه على مذهب الكوفيين زيدت اللام في خبر كان على سبيل التوكيد وعلى مذهب البصريين توجه النفي الى الخبر المحذوف المتعلق به اللام وهنا وأهلها مصلحون * قال الطبري بشرك منهم وهم مصلحون أي مصلحون في أعمالهم وسيرهم وعدل بعضهم في بعض أي أنه لابد من معصية تقترن بكفرهم قاله الطبري ناقلا * قال ابن عطية وهذا ضعيف وانما ذهب قائله الى نحو ما قال ان الله يمهل الدول على الكفر ولا يمهلها على الظلم والجور ولو عكس لكان ذلك متجها أي ما كان الله ليعذب أمة بظلمهم في معاصيهم وهم مصلحون في الايمان والذي رجح ابن عطية أن يكون التأويل بظلم منه تعالى عن ذلك * وقال الزمخشري وأهلها مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين من الظلم انتهى وهو مصادم للحديث أنهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث وللآية واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة

ولا يسمى هذا اعتراضا في اصطلاح النحو لانه آخر آية فليس بين شيئين يحتاج أحدهما الى الآخر ﴿وما كان ربك ليهلك القرى﴾ الآية تقدم تفسير شبه هذه الآية في الانعام الأن هنا ليهلك وهي آكد في النفي لانه على مذهب الكوفيين زيدت اللام في خبر كان على سبيل التوكيد وعلى مذهب البصريين توجه النفي الى الخبر المحذوف المتعلق به اللام تقديره يريد (٢٧٢) الاهلاك للقرى قال ابن عطية المعنى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم منه تعالى الله عن ذلك وأهلها مصلحون بالايمان به تعالى وقال الزمخشري وأهلها مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بأن اهلاك المصلحين من الظلم انتهى وهو مصادم للحديث أنهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث وللآية واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة

(الدر)

(ش) ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الاقليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد في الارض واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وأن كان معناه واتبعوا جزاء الاتراف فالواو للحال كانه قيل أنجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم وكانوا مجرمين عطف على أترفوا أي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام انتهى (ح) جعل ما في قوله ما أترفوا فيه مصدرية ولهذا قدره الاتراف الظاهر انها بمعنى الذي يعود الضمير في فيه عليها وأجاز أيضا أن يكون معطوفا على اتبعوا أي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك وأجاز أيضا أن يكون اعتراضا وحكما عليهم بأنهم قوم مجرمون انتهى ولا يسمى هذا اعتراضا في اصطلاح النحو لأنه آخر آية فليس بين شيئين يحتاج أحدهما الى الآخر

﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ قال الزمخشري يعني لاضطرارهم الى أن يكونوا أهل ملة واحدة وهي ملة الاسلام كقوله وان هذه أمتكم أمة واحدة وهذا كلام يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يقهرهم على الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو أساس التكليف فاختار بعضهم الحق و بعضهم الباطل فاختلفوا ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه انتهى وهو على طريقة الاعتزال * وقال ابن عباس وقتادة أمة واحدة مؤمنة حتى لا يقع منهم كفر لكنه تعالى لم يشأ ذلك * وقال الضحاك لو شاء لجعلهم على هدى أو ضلالة والظاهر أن قوله ولا يزالون مختلفين هو من الاختلاف الذي هو ضد الاتفاق وان المعنى في الحق والباطل قاله ابن عباس وقال مجاهد في الاديان * وقال الحسن في الارزاق والاحوال من تسخير بعضهم لبعض * وقال عكرمة في الأهواء * وقال ابن بحر المراد أن بعضهم يخلف بعضا فيكون الآتي خلفا للماضي قال ومنه قولهم ما اختلف الجديدان أي خلف أحدهما صاحبه والا من رحم استثناء متصل من قوله ولا يزالون مختلفين ولا ضرورة تدعو الى انه بمعنى لكن فيكون استثناء منقطعا كما ذهب اليه الحوفي والاشارة بقوله ولذلك خلقهم الى المصدر المفهوم من قوله مختلفين كما قال * اذا نهى السفيه جرى اليه * فعاد الضمير الى المصدر المفهوم من اسم الفاعل كانه قيل وللاختلاف خلقهم ويكون على حذف مضاف أي لثمرة الاختلاف من الشقاوة والسعادة خلقهم ودل على هذا المحذوف أنه قد تقرر من قاعدة الشريعة ان الله تعالى خلق خلقا للسعادة وخلقا للشقاوة ثم يسر كلا لما خلق له وهذا نص في الحديث الصحيح وهذه اللام في التحقيق هي لام الصيرورة في ذلك المحذوف أو تكون لام الصيرورة بغير ذلك المحذوف أي خلقهم ليصير أمرهم الى الاختلاف ولا يتعارض هذا مع قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لأن معنى هذا الأمر بالعبادة * وقال مجاهد وقتادة ذلك اشارة الى الرحمة التي تضمنها قوله الا من رحم ربك والضمير في خلقهم عائد على المرحومين * وقال ابن عباس واختاره الطبري الاشارة بذلك الى الاختلاف والرحمة معا فيكون على هذا أشير بالمفرد الى اثنين كقوله عوان بين ذلك أي بين الفارض والبكر والضمير في خلقهم عائد على الصنفين المستثنى والمستثنى منه وليس في هذه الجملة ما يمكن أن يعود عليه الضمير الا الاختلاف كما قال الحسن وعطاء أو الرحمة كما قال مجاهد وقتادة أو كلاهما كما قال ابن عباس وقد أبعد المتأولون في تقدير غير هذه الثلاث فروي انه اشارة الى ما بعده وفيه تقديم وتأخير أي وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ولذلك خلقهم أي لملء جهنم منهم وهذا بعيد جدا من تراكيب كلام العرب * وقيل اشارة الى شهود ذلك اليوم المشهود * وقيل الى قوله فمنهم شقي وسعيد * وقيل اشارة الى أن يكون فريق في الجنة وفريق في السعير * وقيل اشارة الى قوله ينهون عن الفساد في الأرض * وقيل اشارة الى العبادة * وقيل

﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ قال الزمخشري على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو أساس التكليف فاختار بعضهم الحق و بعضهم الباطل فاختلفوا ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك الا ماشاء هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه انتهى وهو طريقة الاعتزال وقال ابن عباس وقتادة أمة واحدة مؤمنة حتى لا يقع منهم كفر لكنه تعالى لم يشأ ذلك ﴿ الا من رحم ربك﴾ استثناء من قوله ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك فلا يقع منهم اختلاف والاشارة بقوله ﴿ ولذلك خلقهم ﴾ الى المصدر المفهوم من قوله مختلفين كما قال *اذا نهى السفيه جرى اليه* فعاد الضمير على المصدر المفهوم من اسم الفاعل كأنه قيل وللاختلاف خلقهم و يكون على حذف مضاف أي لثمرة الاختلاف من الشقاوة والسعادة خلقهم وقال الزمخشري ولذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام أولا من التمكن والاختيار الذي عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره و يعاقب مختار الباطل بسوء اختياره انتهى وهذا على طريقة الاعتزال ﴿ وتمت كلمة ربك﴾ أي نفذ قضاؤه وحق أمره واللام في لأملأن هي التي يتلقى بها القسم إذ الجملة قبلها ضمنت معنى القسم كقوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين ثم قال لتؤمنن به والجنة والجن بمعنى واحد قال ابن عطية والهاء فيه للمبالغة وان كان الجن يقع على الواحد فالجنة جمعه انتهى فيكون مما يكون فيه الواحد بغير هاء وجمعه بالهاء كقول بعض العرب كم للواحد وكمأة للجمع

الى الجنة والنار *وقيل للسعادة والشقاوة *وقال الزمخشرى ولذلك اشارة الى مادل عليه الكلام أولا من التمكين والاختيار الذى عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره و يعاقب مختار الباطل بسوء اختياره انتهى وهو على طريقة الاعتزال ولولا ان هذه الأقوال سطرت فى كتب التفسير لضربت عن ذكرها صفحا وتمت كلمة ربك أى نفذ قضاؤه وحق أمره واللام فى لأملأن هى التى يتلقى بها القسم أو الجملة قبلها ضمنت معنى القسم كقوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين ثم قال لتؤمنن به والجنة والجن بمعنى واحد * قال ابن عطية والهاء فيه للمبالغة وان كان الجن يقع على الواحد فالجنة جمعه انتهى فيكون مما يكون فيه الواحد بغير هاء و جمعه بالهاء لقول بعض العرب كمء للواحد وكمأة للجمع ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ماتثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾ الظاهر ان كلا مفعول به والعامل فيه نقص والتنوين عوض من المحذوف والتقدير وكل نبأ نقص عليك ومن أنباء الرسل فى موضع الصفة لقوله وكلا اذ هى مضافة فى التقدير الى نكرة وماصلة كما هى فى قوله قليلا ماتذكرون وقيل أو بدل أوخبر مبتدأ محذوف أى هو ماتثبت فتكون ما بمعنى الذى أو مصدرية وأجازوا ان ينتصب كلا على المصدر وماتثبت مفعول به بقولك نقص كانه قيل ونقص عليك الشئ الذى نثبت به فؤادك كل قص وأجازوا أن يكون كلا نكرة بمعنى جميعا و ينتصب على الحال من المفعول الذى هو ما أو من المجرور الذى هو الضمير فى به على مذهب من يجوز تقديم حال المجرور بالحرف عليه التقدير ونقص عليك من أنباء الرسل الأشياء التى نثبت بها فؤادك جميعا أى المثبتة فؤادك جميعا * قال ابن عباس نثبت نسكن * وقال الضحاك نشد * وقال ابن جريج نقوى وتثبيت الفؤاد هو بما جرى للانبياء عليهم الصلاة والسلام ولاتباعهم المؤمنين وما لقوا من مكذبيهم من الأذى ففى هذا كله اسوة بهم اذ المشاركه فى الأمور الصعبة تهون مايلقى الانسان من الاذى ثم الاعلام بما جرى على مكذبيهم من العقوبات المستأصلة بانواع من العذاب من غرق و ريح و رجفة وخسف وغير ذلك فيه طمأنينة للنفس وتأنيس بان يصيب الله من كذب الرسول صلى الله عليه وسلم بالعذاب كما جرى لمكذبى الرسل وانباء له عليه الصلاة والسلام بحسن العاقبة له ولاتباعه كما اتفق للرسل واتباعهم والاشارة بقوله فى هذه الى أنباء الرسل التى قصها الله تعالى عليه أى النبأ الصدق الحق الذى هو مطابق بما جرى ليس فيه تغيير ولاتحريف كما ينقل شيأ من ذلك المؤرخون وموعظة أى اتعاظ وازدجار لسامعه وذكرى لمن آمن إذ الموعظة والذكرى لاينتفع بهما الا المؤمن كقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقوله سيذكر من يخشى و يتجنبها الاشقى *وقال ابن عباس الاشارة الى السورة والآيات التى فيها تذكر قصص الأمم وهذا قول الجمهور ووجه تخصيص هذه السورة بوصفها بالحق والقرآن كله حق ان ذلك يتضمن معنى الوعيد للكفرة والتنبيه للناظر أى جاءك فى هذه السورة الحق الذى أصاب الأمم الظالمة وهذا كما يقال عند الشدائد جاء الحق وان كان الحق يأتى فى غير شديدة وغير ماوجه ولا يستعمل فى ذلك جاء الحق * وقال الحسن وقتادة الاشارة الى دار الدنيا *قال قتادة والحق النبوة * وقيل اشارة الى السورة مع نظائرها ﴿وقل للذين لايؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون * وانتظروا انا منتظرون﴾ اعملوا صيغة أمر ومعناه التهديد والوعيد والخطاب لأهل مكة وغيرها على مكانتكم أى جهتكم وحالكم التى أنتم عليها * وقيل اعملوا فى هلاكى على امكانكم

﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل﴾ فى موضع الصفة لقوله وكلا إذ هى مضافة فى التقدير الى نكرة وما زائدة كما هى فى قوله قليلا ما تذكرون ﴿ ماتثبت به فؤادك﴾ قال ابن عباس ماتسكن به فؤادك وتثبيت الفؤاد هو بما جرى للانبياء عليهم السلام ولاتباعهم المؤمنين وما لقوا من تكذيبهم من الأذى ففى هذا كله أسوة بهم اذ المشاركة فى الأمور الصعبة تهون مايلقى الانسان من الاذى ثم الاعلام بما جرى على مكذبيهم من العقوبات المستأصلة بانواع العذاب من الغرق والريح والرجفة والخسف وغير ذلك فيه طمأنينة النفس وتأنيس والاشارة بقوله فى هذه الى أنباء الرسل التى قصها الله عليه أى النبأ الصدق الحق الذى هو مطابق لما جرى ليس فيه تغيير ولاتحريف كما يفعل شيئا من ذلك المؤرخون ﴿وموعظة﴾ أى اتعاظ وازدجار لسامعه ﴿وذكرى﴾ لمن آمن إذ الموعظة والذكرى لاينتفع بهما الا المؤمن لقوله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ﴿وقل للذين لايؤمنون﴾ الآية اعملوا صيغة أمر ومعناه التهديد والوعيد والخطاب لاهل مكة وغيرها ﴿على مكانتكم﴾ أى جهتكم وحالكم التى أنتم عليها ﴿وانتظروا﴾ بنا الدوائر ﴿انا منتظرون﴾ أن ينزل بكم نحو ما اقتص الله

وانتظروا بناء الدوائر انا منتظرون أن ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة باشباهكم ويشبه أن يكون ايتاء موادعة فلذلك قيل انهما منسوختان * وقيل محكمتان وهما للتهديد والوعيد والحرب قائمة ﴿ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون﴾ لايخفى عليه شئ من أعمالكم ولاحظ لمخلوق في علم الغيب * وقرأ نافع وحفص يرجع مبنيا للمفعول الأمر كله أمرهم وأمرك فينتقم لك منهم * وقال أبو علي الفارسي علم ماغاب في السموات والارض أضاف الغيب اليهما توسعا انتهى والجملة الأولى دلت على أن علمه محيط بجميع الكائنات كليها وجزئيها حاضرها وغائبها لأنه اذا أحاط علمه بما غاب فهو بما حضر محيط إذ علمه تعالى لايتفاوت والجملة الثانية دلت على القدرة النافذة والمشيئة والجملة الثالثة دلت على الأمر بافراد من هذه صفاته بالعبادة الجسدية والقلبية والعبادة أولى الرتب التي يتحلى بها العبد والجملة الرابعة دلت على الأمر بالتوكل وهي آخرة الرتب لأنه بنور العبادة أبصر أن جميع الكائنات معذوقة بالله تعالى وانه هو المتصرف وحده في جميعها لايشركه في شئ منها أحد من خلقه فوكل نفسه اليه تعالى ورفض سائر مايتوهم انه سبب في شئ منها والجملة الخامسة تضمنت التنبيه على المجازاة فلايضيع طاعة مطيع ولا يهمل حال متمرد * وقرأ الصاحبان وحفص وقتادة والاعرج وشيبة وأبو جعفر والجحدري تعملون بتاء الخطاب لأن قبله اعملوا على مكانتكم * وقرأ باقي السبعة بالياء على الغيبة واختلف عن الحسن وعيسى بن عمر

﴿سورة يوسف مائة واحدى عشرة آية مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الر تلك آيات الكتاب المبين * انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون * نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين * إذ قال يوسف لأبيه ياأبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين * قال يابني لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين * وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحاق ان ربك عليم حكيم * لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين * إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفي ضلال مبين * اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين * قال قائل منهم لاتقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين * قالوا ياأبانا مالك لاتأمنا على يوسف وانا له لناصحون * أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون * قال انى ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون * قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون * فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لايشعرون * وجاؤا أباهم عشاء يبكون قالوا ياأبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين * وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون * وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يابشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون * وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين * وقال الذي

توسعا لايخفى عليه شئ من أعمالكم ولاحظ لمخلوق في علم الغيب فالجملة الاولى دلت على أن علمه محيط بجميع الكائنات كليها وجزئيها حاضرها وغائبها لانه اذا أحاط علمه بما غاب فهو بما حضر محيط إذ علمه تعالى لايتفاوت والجملة الثانية دلت على القدرة النافذة والمشيئة * والجملة الثالثة دلت على الامر بافراد من هذه صفاته بالعبادة الجسدية والقلبية والعبادة أولى الرتب الذى يتحلى بها العبد * والجملة الرابعة دلت على الامر بالتوكل وهى أخيرة الرتب لانه بنور العبادة أبصر أن جميع الكائنات معذوقة بالله تعالى وأنه هو المتصرف وحده في جميعها لايشركه في شئ منها أحد من خلقه فوكل نفسه اليه تعالى ورفض سائر مايتوهم أنه سبب في شئ منها * والجملة الخامسة تضمنت التنبيه على المجازاة فلايضيع طاعة مطيع ولايهمل حال متمرد

﴿سورة يوسف عليه السلام﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الر تلك آيات الكتاب المبين انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾ هذه السورة مكية كلها وقال ابن عباس وقتادة الا ثلاث آيات من أولها وسبب نزولها ان كفار مكة أمرتهم اليهود أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السبب الذي أحل بني اسرائيل بمصر ووجه مناسبتها لما قبلها وارتباطها أن في آخر السورة التي قبلها وكلا نقص عليك الآية وكان في تلك الانباء المقصوصة فيها مالاقى الانبياء عليهم السلام من قومهم فاتبع ذلك بقصة يوسف صلى الله عليه وسلم وما لاقاه من اخوته وما آلت اليه حاله من حسن العاقبة ليحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم التسلية الجامعة لما يلاقيه من أذى البعيد والقريب وجاءت هذه القصة مطولة مستوفاة فلذلك لم يتكرر في القرآن الا ما أخبر به مؤمن آل فرعون في سورة غافر والاشارة بتلك آيات الى الرؤساء وحروف المعجم التي تركبت منها آيات القرآن والظاهر أن المراد بالكتاب القرآن والمبين اما المبين في نفسه الظاهر أمره في اعجاز العرب وتبكيتهم واما المبين الحلال والحرام والحدود والاحكام وما يحتاج اليه من أمر الدين قاله ابن عباس والضمير في أنزلناه عائد على الكتاب الذي فيه قصة يوسف صلى الله عليه وسلم وانتصب قرآنا على البدل من الضمير وعربيا صفة له وهو منسوب إلى العرب والعرب

اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون * ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين * وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون * ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين * واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدا الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوأ الا أن يسجن أو عذاب أليم ﴾ الطرح للشئ رميه والقاؤه وطرح عليه الثوب ألقاه وطرحت الشئ أبعدته ومنه قول عروة بن الورد

ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا * من المال يطرح نفسه كل مطرح

والنوى الطروح البعيدة * الجب الركية التي لم تطو فاذا طويت فهي بئر قال الاعشى

لئن كنت في جب ثمانين قامة * ورقيت أسباب السماء بسلم

ويجمع على جبب وجباب وأجباب وسمي جبا لأنه قطع في الارض من جببت أي قطعت * الالتقاط تناول الشئ من الطريق يقال لقطه والتقطه وقال * ومنهل لقطته التقاطا * ومنه اللقطة واللقيط * ارتعى افتعل من الرعي بمعنى المراعاة وهي الحفظ للشئ أو من الرعي وهو أكل الحشيش والنبات يقال رعت الماشية الكلأ ترعاه رعيا أكلته والرعي بالكسر الكلا ومثله ارتعى قال الاعشى

ترتعى السفح فالكثيب فذاقا * ر فروض القطا فذات الرمال

رتع أقام في خصب وتنعم ومنه قول الغضبان بن القبعثري القيد والرتعة وقلة الرتعة وقول الشاعر

أكفرا بعد رد الموت عني * وبعد عطائك المائة الرتاعا

الذئب سبع معروف وليس في صقعنا الاندلسي ويجمع على أذؤب وذئاب وذؤبان قال

وأزور يمطو في بلاد بعيدة * تعاوى به ذؤبانه وثعالبه

وأرض مذأبة كثيرة الذئاب وتذاءبت الريح جاءت من هنا ومن هنا فعل الذئب ومنه الذؤابة من الشعر لكونها تنوس الى هنا والى هنا * الكذب بالدال المهملة الكدر * وقيل الطري * سول من السول ومعناه سهل * وقيل زين * أدلى الدلو أرسلها ليملأها ودلاها يدلوها جذبها وأخرجها من البئر * قال * لا تعقلواها وادلواها دلوا * والدهر معروف وهي مؤنثة فتصغر على دلية وتجمع على أدل ودلاء ودلي * البضاعة القطعة من المال تجعل للتجارة من بضعته اذا قطعته ومنه المبضع * المراودة الطلب برفق ولين القول والرود التأني يقال أرودني أمهلني والريادة طلب النكاح ومشى رويدا أي برفق أغلق الباب وأصفده وأقفله بمعنى وقال الفرزدق

ما زلت أغلق أبوابا وأفتحها * حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

هيت اسم فعل بمعنى أسرع * قد الثوب شقه * السيد فيعل من ساد يسود يطلق على المالك وعلى رئيس القوم وفيعل بناء مختص بالمعتل وشذ بيئس وصيقل اسم امرأة * السجن الحبس ﴿ الر تلك آيات الكتاب المبين انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾ هذه السورة مكية كلها * وقال ابن

عباس وقتادة الاثلاث آيات من أولها * وسبب نزولها أن كفار مكة أمرتهم اليهود أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السبب الذي أحل بني اسرائيل بمصر فنزلت * وقيل سببه تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم عما كان يفعل به قومه بما فعل اخوة يوسف به * وقيل سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحدثهم أمر يعقوب وولده وشأن يوسف * وقال سعد بن أبي وقاص أنزل القرآن فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فنزلت * ووجه مناسبتها لما قبلها وارتباطها أن في آخر السورة التي قبلها وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وكان في تلك الانباء المقصوصة فيها مالاقى الانبياء من قومهم فاتبع ذلك بقصة يوسف وما لاقاه من اخوته وما آلت اليه حاله من حسن العاقبة ليحصل للرسول صلى الله عليه وسلم التسلية الجامعة لما يلاقيه من أذى البعيد والقريب وجاءت هذه القصة مطولة مستوفاة فلذلك لم يتكرر في القرآن الا ما أخبر به مؤمن آل فرعون في سورة غافر والاشارة بتلك آيات الى الر وسائر حروف المعجم التي تركبت منها آيات القرآن أو الى التوراة والانجيل أو الآيات التي ذكرت في سورة هود أو الى آيات السورة والكتاب المبين السورة أي تلك الآيات التي أنزلت اليك في هذه السورة أقوال والظاهر ان المراد بالكتاب القرآن والمبين اما البين في نفسه الظاهر أمره في اعجاز العرب وتبكيتهم واما المبين الحلال والحرام والحدود والاحكام وما يحتاج اليه من أمر الدين قاله ابن عباس ومجاهد أو المبين الهدى والرشد والبركة قاله قتادة أو المبين ما سألت عنه اليهود أو ما أمروا أن يسأل من حال انتقال يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف أو المبين من جهة بيان اللسان العربي وجودته اذ فيه ستة أحرف لم تجمع في لسان روى هذا عن معاذ بن جبل * قال المفسرون وهي الطاء والظاء والضاد والصاد والعين والخاء انتهى والضمير في انا أنزلناه عائد على الكتاب الذي فيه قصة يوسف * وقيل على القرآن * وقيل على نبأ يوسف قاله الزجاج وابن الانباري * وقيل هو ضمير الانزال وقرآنا هو المعطوف به وهذان ضعيفان وانتصب قرآنا * قيل على البدل من الضمير * وقيل على الحال الموطئة وسمى القرآن قرآنا لانه اسم جنس يقع على القليل والكثير وعربيا منسوب الى العرب والعرب جمع عربي كروم ورومي وعربة ناحية دار اسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام قال الشاعر

وعربة أرض ما يحل حرامها * من الناس الا اللوذعي الحلاحل

ويعني النبي صلى الله عليه وسلم أحلت له مكة وسكن راء عربة الشاعر ضرورة * قيل وان شئت نسبت القرآن اليها ابتداء أي على لغة أهل هذه الناحية لعلكم تعقلون ما تضمن من المعاني واحتوى عليه من البلاغة والاعجاز فتؤمنون اذ لو كان بغير العربية لقيل لولا فصلت آياته ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين اذ قال يوسف لأبيه يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قال يا بني لا تقصص

جمع عربي كروم ورومي لعلكم تعقلون ما تضمن من المعاني واحتوى عليه من البلاغة والاعجاز فيؤمنون ولعل ترج فيه معنى التعليل لقوله أنزلنا ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ القصص مصدر قص والمراد بكونه أحسن أنه اقتص على أبدع طريقة وأحسن أسلوب ألا ترى أن هذا الحديث مقتص في كتب الاولين وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقاربا لاقتصاصه في القرآن وانتصب أحسن على المصدرية لاضافته الى المصدر ﴿بما أوحينا﴾ الباء للسبب وما مصدرية وهذا القرآن تنازعه عاملان أحدهما نقص والثاني أوحينا وأعمل الثاني جريا على الافصح في باب التنازع والضمير في من قبله يعود على الايحاء ومعنى من الغافلين لم يكن لك شعور بهذه القصة ولا سبق لك فيها علم العامل في اذ قال يا بني كما تقول اذ قام زيد قام عمرو وتبقى اذ على وضعها الاصلي من كونها ظرفا لما مضى وللزمخشري وابن عطية أقوال في اذ رددت في البحر لضعفها ويوسف اسم عبراني وامتنع الصرف للعلمية والعجمة وتقدمت فيه لغات وقرئ ﴿يا أبت﴾ بفتح التاء وجمهور القراء على كسرها وهي عوض من ياء الاضافة فلا يجتمعان لا يقال يا أبتي ﴿اني رأيت﴾ معمول للقول فهو في موضع نصب ورأيت هي حلمية لدلالة متعلقها على أنه منام والظاهر أنه رأى في منامه كواكب والشمس والقمر ومن حديث جابر بن عبد الله أن يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أخبرني عن اسماء الكواكب التي رآها يوسف فسكت عنه ونزل جبريل فأخبره بأسمائها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهودي فقال هل أنت مؤمن ان أخبرتك قال نعم فقال جريان والطارق

والذيال وذو الكتفين وقابس و وثاب وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ والضياء والنور فقال اليهودى اى والله انها لأسماؤها قال الزمخشرى * فان قلت لم أخر الشمس والقمر * قلت أخرهما لعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزيه على غيرهما من الطوالع كما أخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز أن يكون الواو بمعنى مع أى رأيت الكواكب مع الشمس والقمر انتهى الذى يظهر أن التأخر انما هو من باب الترقى من الأدنى الى الاعلى ولم يقع الترقى فى الشمس والقمر جريا على ما استقر فى القرآن من أنه اذا اجتمعا قدمت عليه ولا امتناع أن يمتنع الشمس والقمر فى أحد عشر كوكبا لأنهم اخوته فليس المكنى بالشمس والقمر داخلا فيهم والظاهر أن رأيتهم كرر على سبيل التوكيد للطول بالمفاعيل وجاء الضمير ضمير من يعقل لانه صدر منهم السجود لانه من صفات من يعقل ولى متعلق بساجدين وساجدين منصوب على الحال ولما خاطب يوسف صلى الله عليه وسلم أباه بقوله يا أبت وفيه اظهار الطواعية والبر والتنبيه على محل الشفقة بطبع الابوة خاطبه أبوه يابنى تصغير التحبيب والتقريب والشفقة ﴿فيكيدوا لك﴾ منصوب باضمار أن على جواب النهى وعدى فيكيدوا باللام وفى فكيدون بنفسه فاحتمل أن يكون من باب التضمين ضمن فيكيدوا معنى ما يتعدى باللام فكأنه قال فيحتالوا لك بالكيد والتضمين أبلغ لدلالته على معنى الفعلين وللمبالغة أكد بالمصدر ونبه يعقوب صلى الله عليه وسلم على سبب الكيد وهو ما يزينه الشيطان للانسان ويسوله وذلك للعداوة التى بينهما فهو يجتهد دائما أن يوقعه فى المعاصى ويدخله فيها ويحضه عليها وكان يعقوب دلته رؤيا يوسف عليه السلام على أن الله تعالى يبلغه مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه فخاف عليه من حسد اخوته فنهاه عن أن يقص رؤياه لهم وفى خطاب يعقوب ليوسف تنبيه عن أن يقص مالا يليق ولا يكون ذلك داخلا فى باب الغيبة ﴿وكذلك يجتبيك﴾ أى مثل ذلك الاجتباء وهو ما أراه من تلك الرؤية التى دلت على جليل قدره وشريف منصبه وما له الى النبوة والرساله والملك ويجتبيك يختارك ربك للنبوة والملك وما أحسن لفظة ربك هنا لانه المالك لامره الناظر فى مصلحته ويعلمك كلام مستأنف ليس داخلا فى النسبة كأنه قال وهو يعلمك و ﴿تأويل الاحاديث﴾ عبارة عن مآل الرؤيا وعاقبة أمرها وهى اسم جمع للحديث وليس بجمع أحدوثة ﴿ويتم نعمته عليك﴾ واتمامها بأنه تعالى وصل لهم نعمة الدنيا بأن جعلهم أنبياء وملوكا وبنعمة الآخرة بأن نقلهم الى أعلى الدرجات فى الجنة وآل يعقوب هم أولاده ونسلهم اذ جعل النبوة فيهم واتمام النعمة على ابراهيم صلى الله عليه وسلم بالخلة والانجاء من النار واهلاك عدوه نمروذ وعلى اسحق إخراج يعقوب والاسباط من صلبه وسمى الجد وأبا الجد أبوين لانهما فى عمود النسب كما قال وإله آبائك ولهذا يقولون ابن فلان وكان بينهما عدة فى عمود النسب ﴿إن ربك عليم﴾ بمن يستحق الاجتباء ﴿حكيم﴾ يضع الاشياء فى مواضعها وهذان الوصفان مناسبان لهذا الوعد الذى وعده يعقوب يوسف فى قوله وكذلك يجتبيك ربك

رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين * وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم حكيم ﴾ القصص مصدر قص واسم مفعول اما لتسميته بالمصدر واما لكون الفعل يكون للمفعول كالقبض والنقص والقصص هنا يحتمل الاوجه الثلاثة فان كان المصدر فالمراد بكونه أحسن انه اقتص على أبدع طريقة وأحسن أسلوب ألا ترى ان هذا الحديث مقتص فى كتب الأولين وفى كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه فى كتاب منها مقاربا لاقتصاصه فى القرآن وان كان المفعول فكان أحسنه لما يتضمن من العبر والحكم والنكت والعجائب التى ليست فى غيره والظاهر أنه أحسن ما يقص فى بابه كما يقال للرجل هو أعلم الناس وأفضلهم يراد فى فنه * وقيل كانت هذه السورة أحسن القصص لانفرادها عن سائرها بما فيها من ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين والجن والانس والانعام والطير وسير الملوك والممالك والتجار والعلماء والرجال والنساء وكيدهن ومكرهن مع ما فيها من ذكر التوحيد والفقه والسير والسياسة وحسن الملكة والعفو عند المقدرة وحسن المعاشرة والحيل وتدبير المعاش والمعاد وحسن العاقبة فى العفة والجهاد والخلاص من المرهوب الى المرغوب وذكر الحبيب والمحبوب ومرأى السنين وتعبير الرؤيا والعجائب التى تصلح للدين والدنيا * وقيل كانت أحسن القصص لأن كل من ذكر

فيها كان مآله الى السعادة انظر الى يوسف وأبيه واخوته وامرأة العزيز والملك أسلم بيوسف وحسن اسلامه ومعبر الرؤيا الساقى والشاهد فيما يقال * وقيل أحسن هنا ليست أفعل التفضيل بل هى بمعنى حسن كانه قيل حسن القصص من باب اضافة الصفة الى الموصوف أى القصص الحسن ومافى بما أوحينا مصدرية أى بايحائنا واذا كان القصص مصدرا فمفعول نقص من حيث المعنى هو هذا القرآن الا انه من باب الاعمال اذ تنازعه نقص وأوحينا فأعمل الثانى على الاكثر والضمير فى من قبله يعود على الايحاء وتقدمت مذاهب النحاة فى ان المخففة ومجىء اللام فى ثانى الجزءين ومعنى من الغافلين لم يكن لك شعور بهذه القصة ولا سبق لك علم فيها ولا طرق سمعك طرف منها والعامل فى اذ قال الزمخشرى وابن عطية اذكر وأجاز الزمخشرى أن تكون بدلا من أحسن القصص قال وهو بدل اشتمال لأن الوقت يشتمل على القصص وهو المقصوص فاذا قص وقته فقد قص * وقال ابن عطية ويجوز أن يعمل فيه نقص كان المعنى نقص عليك الحال اذ وهذه التقديرات لا تتجه حتى تخلع اذ من دلالتها على الوقت الماضى وتجرد للوقت المطلق الصالح للازمان كلها على جهة البدلية * وحكى مكى أن العامل فى اذ الغافلين والذى يظهر أن العامل فيه قال يابنى كما تقول اذ قام زيد قام عمرو وتبقى اذ على وضعها الاصلى من كونها ظرفا لما مضى ويوسف اسم عبرانى وتقدمت ست لغات فيه ومنعه الصرف دليل على بطلان قول من ذهب الى انه عربى مشتق من الاسف وان كان فى بعض لغاته يكون فيه الوزن الغالب لامتناع أن يكون أعجميا غير أعجمى * وقرأ طلحة بن مصرف بالهمز وفتح السين * وقرأ ابن عامر وأبو جعفر والاعرج ياأبت بفتح التاء وباقى السبعة والجمهور بكسرها ووقف الابنان عليها بالهاء وهذه التاء عوض من ياء الاضافة فلا يجتمعان وتجامع الألف التى هى بدل من التاء قال * ياأبتا علك أو عساكا * ووجه الاقتصار على التاء مفتوحة انه اجتزأ بالفتحة عن الألف أو رخم بحذف التاء ثم أقحمت قاله أبو على أو الالف فى أبتا للندبة فحذفها قاله الفراء وأبو عبيد وأبو حاتم وقطرب ورد بانه ليس موضع ندبة أو الأصل ياأبة بالتنوين فحذف والنداء باد حذف (٣) قاله قطرب ورد بان التنوين لا يحذف من المنادى المنصوب نحو ياضاربا رجلا وفتح أبو جعفر ياءانى * وقرأ الحسن وأبو جعفر وطلحة بن سليمان أحد عشر بسكون العين لتوالى الحركات وليظهر جعل الاسمين اسما واحدا ورأيت هى حلمية لدلالة متعلقها على أنه منام والظاهر انه رأى فى منامه كواكب الشمس والقمر * وقيل رأى اخوته وأبويه فعبر عنهم بذلك وعبر عن الشمس عن أمه * وقيل عن خالته راحيل لان أمه كانت ماتت ومن حديث جابر بن عبد الله أن يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد أخبرنى عن أسماء الكواكب التى رآها يوسف فسكت عنه ونزل جبريل فأخبره بأسمائها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهودى فقال هل أنت مؤمن ان أخبرتك بذلك فقال نعم قال جريان والطارق والذيال وذو الكتفين وقابس ووثاب وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ والضياء والنور فقال اليهودى إى والله انها لاسماؤها وذكر السهيلى مسندا الى الحرث بن أبى أسامة فذكر الحديث وفيه بعض اختلاف وذكر النطح عوضا عن المصبح وعن وهب ان يوسف رأى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة فى الأرض كهيئة الدارة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لأبيه فقال اياك أن تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتى عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب سجودا له فقصها على أبيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا

لك الغوائل وكان بين رؤيا يوسف ومسير اخوته اليه أربعون سنة * وقيل ثمانون * وروى ان رؤيا يوسف كانت ليلة القدر ليلة جمعة والظاهر ان الشمس والقمر ليسا مندرجين فى الأحد عشر كوكبا ولذلك حين عدهما الرسول لليهودى ذكر أحد عشر كوكبا غير الشمس والقمر ويظهر من كلام الزمخشرى انهما مندرجان فى الأحد عشر * قال الزمخشرى (فان قلت) لم أخر الشمس والقمر (قلت) أخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص اثباتا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما أخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليهما لذلك ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع أى رأيت الكواكب مع الشمس والقمر انتهى والذى يظهر أن التأخير انما هو من باب الترقى من الأدنى الى الأعلى ولم يقع الترقى فى الشمس والقمر جريا على مااستقر فى القرآن من انه اذا اجتمعا قدمت عليه * قال تعالى الشمس والقمر بحسبان * وقال وجمع الشمس والقمر هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدمت عليه لسطوع نورها وكبر جرمها وغرابة سيرها واستمداده منها وعلو مكانها والظاهر ان رأيتهم كرر على سبيل التوكيد للطول بالمفاعيل كما كرر انكم فى قوله انكم مخرجون لطول الفصل بالظرف وما تعلق به * وقال الزمخشرى (فان قلت) مامعنى تكرار رأيتهم (قلت) ليس بتكرار انما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابا له كان يعقوب عليه السلام قال له عند قوله انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر كيف رأيتها سائلا عن حال رؤيتها فقال رأيتهم لى ساجدين انتهى وجمعهم جمع من يعقل لصدور السجود له وهو صفة من يعقل وهذا سائغ فى كلام العرب وهو أن يعطى الشئ حكم الشئ للاشتراك فى وصف ما وان كان ذلك الوصف أصله أن يخص أحدهما والسجود سجود كرامة كما سجدت الملائكة لآدم * وقيل كان فى ذلك الوقت السجود تحية بعضهم لبعض والمخاطب يوسف أباه بقوله ياأبت وفيه اظهار الطواعية والبر والتنبيه على محل الشفقة بطبع الابوة خاطبه أبوه بقوله يابنى تصغير التحبيب والتقريب والشفقة * وقرأ حفص هنا وفى لقمان والصافات يابنى بفتح الياء وابن كثير فى لقمان يابنى لاتشرك وقنبل يابنى أقم باسكانها وباقى السبعة بالكسر * وقرأ زيد بن على لاتقص مدغما وهى لغة تميم والجمهور بالفك وهى لغة الحجاز والرؤيا مصدر كالبقيا * وقال الزمخشرى الرؤيا بمعنى الرؤية الاانها مختصة بما كان فى النوم دون اليقظة فرق بينهما بحرفى التأنيث كما قيل القربة والقربى انتهى * وقرأ الجمهور رؤياك والرؤيا حيث وقعت بالهمز من غير امالة * وقرأ الكسائى بالامالة وبغير الهمز وهى لغة أهل الحجاز واخوة يوسف هم كاذ * وبنيامين * ويهوذا * ونفتالى * وزبولون * وشمعون * وروبين * ويقال باللام كجبريل * وجبرين * ويساخا * ولاوى * وذان * وياشير * فيكيدوا لك منصوب باضمار أن على جواب النهى وعدى فيكيدوا باللام وفى فكيدون بنفسه فاحتمل أن يكون من باب شكرت زيدا وشكرت لزيد واحتمل أن يكون من باب التضمين ضمن فيكيدوا معنى مايتعدى باللام فكانه قال فيحتالوا لك بالكيد والتضمين أبلغ لدلالته على معنى الفعلين وللمبالغة أكد بالمصدر ونبه يعقوب على سبب الكيد وهو مايزينه الشيطان للانسان ويسوله له وذلك للعداوة التى بينهما فهو يجتهد دائما أن يوقعه فى المعاصى ويدخله فيها ويحضه عليها وكان يعقوب دلته رؤيا يوسف عليهما السلام على ان الله تعالى يبلغه مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه نخاف عليه من حسد اخوته فنهاه من أن يقص رؤياه لهم وفى خطاب يعقوب ليوسف تنبيه عن أن

(الدر)

﴿ سورة يوسف عليه السلام ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ش) فان قلت لم أخر الشمس والقمر قلت أخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما أخر جبريل وميكائيل ثم عطفهما عليهما لذلك ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع أى رأيت الكواكب مع الشمس والقمر انتهى (ح) الذى يظهر أن التأخير انما هو من باب الترقى من الادنى الى الاعلى ولم يقع الترقى فى الشمس والقمر جريا على مااستقر فى القرآن من انه اذا اجتمعا قدمت عليه

يقص على اخوته مخافة كيدهم دلالة على تحذير المسلم أخاه المسلم ممن يخافه عليه والتنبيه على بعض مالايليق ولا يكون ذلك داخلا في باب الغيبة وكذلك يجتبيك ربك أي مثل ذلك الاجتباء وهو ماأراه من تلك الرؤيا التي دلت على جليل قدره وشريف منصبه ومآله الى النبوة والرسالة والملك و يجتبيك يختارك ربك للنبوة والملك * قال الحسن للنبوة * وقال مقاتل للسجود لك * وقال الزمخشري لامور عظام و يعلمك من تأويل الاحاديث كلام مستأنف ليس داخلا في التشبيه كانه قال وهو يعلمك * قال مجاهد والسدي تأويل الأحاديث عبارة الرؤيا * وقال الحسن عواقب الأمور * وقيل عامة لذلك ولغيره من المغيبات * وقال مقاتل غرائب الرؤيا * وقال ابن زيد العلم والحكمة * وقال الزمخشري الاحاديث الرؤى لان الرؤى اما حديث نفس أو ملك أو شيطان وتأويلها عبارتها وتفسيرها فكان يوسف عليه السلام أعبر الناس للرؤيا وأصحهم عبارة و يجوز أن يراد بتأويل الاحاديث معاني كتب الله وسير الأنبياء وماغمض واشتبه على الناس في أغراضها ومقاصدها يفسرها لهم و يشرحها و يدلهم على مودعات حكمها وسميت أحاديث لانها تحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا وكذا ألاترى الى قوله فبأي حديث بعده يؤمنون الله نزل أحسن الحديث كتابا وهي اسم جمع للحديث وليس بجمع أحدوثة انتهى وليس باسم جمع كاذكر بل هو جمع تكسير لحديث على غير قياس كما قالوا أباطل وأباطيل ولم يأت اسم جمع على هذا الوزن واذا كانوا يقولون في عباديد و يناذير انهما جمعا تكسير ولم يلفظ لهما بمفرد فكيف لا يكون أحاديث وأباطيل جمعي تكسير و يتم نعمته عليك واتمامها بأنه تعالى وصل لهم نعمة الدنيا بأن جعلهم أنبياء وملوكا بنعمة الآخرة بان نقلهم الى أعلى الدرجات في الجنة * وقال مقاتل باعلاء كلمتك وتحقيق رؤياك * وقال الحسن هذا شيء أعلمه الله يعقوب من أنه سيعطي يوسف النبوة * وقيل بأن يحوج اخوتك اليك فتقابل الذنب بالغفران والاساءة بالاحسان * وقيل بانجائك من كل مكروه وآل يعقوب الظاهر انهم أولاده ونسلهم أي نجعل النبوة فيهم * وقال الزمخشري هم نسلهم وغيرهم * وقيل أهل دينه وأتباعهم كما جاء في الحديث من آلك فقال كل تقي * وقيل امرأته وأولاده الاحدعشر * وقيل المراد يعقوب نفسه خاصة واتمام النعمة على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار واهلاك عدوه نمروذ وعلى اسحق باخراج يعقوب والأسباط من صلبه وسمي الجد وأبا الجد أبوين لانهما في عمود النسب كما قال واله آبائك ولهذا يقولون ابن فلان وان كان بينهما عدة في عمود النسب ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم يضع الاشياء مواضعها وهذان الوصفان مناسبان لهذا الوعد الذي وعده يعقوب ويوسف عليهما الصلاة والسلام في قوله وكذلك يجتبيك ربك قيل وعلم يعقوب عليه السلام ذلك من دعوة اسحق عليه السلام حين تشبه له بعيصو ﴿لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين﴾

﴿لقد كان في يوسف﴾ الآية آيات على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب والذي يظهر ان الآيات الدلالات على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ماأظهره الله في قصة يوسف من البغي عليه وصدق رؤياه وصحة تأويله وضبط نفسه وقهرها حتى قام بحق الامانة وحدوث السرور بعد اليأس والضمير في قالوا عائد على اخوة يوسف وأخوه هذا بنيامين (٢٨١) ولما كانا شقيقين أضافوه ليوسف واللام في ليوسف لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أي كثرة حبه لهما ثابت لاشبهة فيه وأحب أفعل تفضيل وهو مبني من المفعول شذوذا ولذلك عدي بالى لأنه اذا كان مايعلق به فاعلا من حيث المعنى عدي اليه بالى واذا كان مفعولا عدي إليه بفي تقول زيد أحب الى عمرو من خالد فالضمير في أحب مفعول من حيث المعنى وعمرو هو المحب واذا قلت زيد أحب في عمرو من خالد كان الضمير فاعلا وعمرو هو المحبوب ومن خالد في المثال الأول محبوب وفي الثاني فاعل ولم يبن أحب لتعديه بمن وكان بنيامين أصغر من يوسف فكان يعقوب يحبهما بسبب صغرهما وموت أمهما وحب الصغير والشفقة عليه مركوز في فطرة البشر وقد نظم الشعراء في محبة الولد الصغير قديما وحديثا ومن ذلك

ماقاله الوزير أبو مروان عبد الملك بن ادريس الحريري في قصيدته التي بعث بها الى أولاده وهو في السجن يقول

وصغيركم عبد العزيز فانني * أطوي لفرقته جوى لم يصغر
ذاك المقدم في الفؤاد وان عدا * كفؤا لكم في المبتنى والعنصر
ان البنان الخمس أكفاء معا * والحلي دون جميعها للخنصر
واذا الفتى فقد الشباب سما له * حب البنين ولا كحب الأصغر

﴿ونحن عصبة﴾ جملة حالية أي يفضلهما علينا في المحبة وهما لا كفاية فيهما ونحن جماعة نقوم بمرافقه فنحن أحق بزيادة المحبة منهما وعن ابن عباس العصبة ما زاد على العشرة وعنه أيضا ما بين العشرة الى الأربعين والضلال هنا هو الهوى قاله ابن عباس والظاهر أن ﴿اقتلوا يوسف﴾ من جملة قولهم والظاهر أن ﴿أو اطرحوه﴾ هو من قولهم أن يفعلوا به أحد الأمرين وانتصب ﴿أرضا﴾ على اسقاط حرف الجر أي في أرض بعيدة من الأرض التي هو فيها قريب من أرض يعقوب * قال الزمخشري أرضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها من الناس ولابهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة * قال ابن عطية وذلك خطأ يعني كونها منصوبة على الظرف قال لان الظرف ينبغي أن يكون مبهما وهذه ليست كذلك بل هي أرض مقيدة بانها بعيدة أو قاصية ونحو ذلك فزال بذلك ابهامها ومعلوم أن يوسف لم يخل من الكون في أرض فتبين أنهم أرادوا أرضا بعيدة غير التي هو فيها قريب من أبيه انتهى هذا الرد صحيح لو قلت جلست دارا بعيدة أو قعدت مكانا بعيدا لم يصح الا بواسطة في ولا يجوز حذفها الا في ضرورة الشعر أو مع دخلت على الخلاف في دخلت أهي لازمة أم متعدية والضمير في بعده عائد على يوسف أو قتله أو طرحه وصلاحهم هو بالتوبة والتنصل من هذا الفعل والقائل لا تقتلوا يوسف هو يهوذا وكان أحلمهم وأحسنهم فيه رأيا وهو الذي قال فلن أبرح الارض حتى يأذن لي أبي وقال لهم القتل عظيم وهذا اعطف منهم على أخيهم لما أراد الله من انفاذ قضائه

اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين﴾ آيات أي علامات ودلائل على قدرة الله تعالى وحكمته في كل شئ للسائلين لمن سأل عنهم وعرف قصتهم * وقيل آيات على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم بالصحة من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب والذي يظهر أن الآيات الدلالات على صدق الرسول وعلى ما أظهر الله في قصة يوسف من عواقب البغي عليه وصدق رؤياه وصحة تأويله وضبط نفسه وقهرها حتى قام بحق الامانة وحدوث السرور بعد اليأس * وقيل المعنى لمن سأل ولمن لم يسأل لقوله سواء للسائلين أي سواء لمن سأل ولمن لم يسأل وحسن الحذف لدلالة قوة الكلام عليه لقوله سرابيل تقيكم الحر أي والبرد * وقال ابن عطية وقوله للسائلين يقتضي تحضيضا للناس على تعلم هذه الانباء لانه انما المراد آيات للناس فوصفهم بالسؤال اذ كل أحد ينبغي أن يسأل عن مثل هذه القصص اذ هي مقر العبر والاتعاظ وتقدم لنا ذكر أسماء اخوة يوسف منقولة من خط الحسين بن أحمد بن القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني ونقلها من خط الشريف النقيب النسابة أبي البركات محمد بن أسعد الحسيني الجواني محررة بالنقط وتوجد في كتب التفسير محرفة مختلفة وكان روبيل أكبرهم وهو ويهوذا وشمعون ولاوي وزبولون ويساخا شقائق أمهم ليا بنت ليان بن ناهر بن آزر وهي بنت خال يعقوب ودان ونفتالي وكاذو باشير أربعة من سريتين كانتا لليا وأختها راحيل فوهبتاهما ليعقوب فجمع بينهما ولم يحل الجمع بين الاختين لأحد بعده وأسماء السريتين فيما قيل ليا وتلتا وتوفيت أم السبعة فتزوج بعدها يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وماتت من نفاسه * وقرأ مجاهد وشبل وأهل مكة وابن كثير آية على الافراد * والجمهور آيات وفي مصحف أبي عبرة للسائلين مكان آية والضمير في قالوا عائد على اخوة يوسف وأخوه هو بنيامين ولما كانا شقيقين أضافوه الى يوسف واللام في ليوسف لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أي كثرة حبه لهما ثابت لا شبهة فيه وأحب أفعل تفضيل وهي مبني من المفعول شذوذا ولذلك عدي بالى لانه اذا كان ما تعلق به فاعلا من حيث المعنى عدي اليه بالى واذا كان مفعولا عدي اليه بفي تقول زيد أحب الى عمرو من خالد فالضمير في أحب مفعول من حيث المعنى وعمرو هو المحب واذا قلت زيد أحب الى عمرو من خالد كان الضمير فاعلا وعمرو هو المحبوب ومن خالد في المثال الأول محبوب وفي الثاني فاعل ولم يبن أحب لتعديه بمن وكان بنيامين أصغر من يوسف فكان يعقوب يحبهما بسبب صغرهما وموت أمهما وحب الصغير والشفقة عليه مركوز في فطرة البشر * وقيل لابنة الحسن أي بنيك أحب

(الدر) (ح) اذا كان متعلقا به أفعل التفضيل فاعلا من حيث المعنى عدي اليه بالى واذا كان مفعولا عدي اليه بفي تقول زيد أحب الى عمرو ومن خالد فالضمير في أحب مفعول من حيث المعنى وعمرو هو المحب واذا قلت زيد أحب في عمرو من خالد كان الضمير في أحب فاعلا وعمرو هو المحبوب ومن خالد في المثال الأول محبوب وفي الثاني فاعل

اليك قالت الصغير حتى يكبر والغائب حتى يقدم والمريض حتى يفيق وقد نظم الشعراء فى محبة الولد الصغير قديما وحديثا ومن ذلك ماقاله الوزير أبو مروان عبد الملك بن ادريس الجزيرى فى قصيدته التى بعث بها الى أولاده وهو فى السجن

وصغيركم عبد العزيز فاننى * أطوى لفرقته جوى لم يصغر
ذاك المقدم فى الفؤاد وان غدا * كفؤا لكم فى المنتمى والعنصر
ان البنان الخمس أكفاء معا * والحلى دون جميعها للخنصر
واذا الفتى بعد الشباب سما له * حب البنين ولا كحب الاصغر

ونحن عصبة جملة حالية أى تفضلهما علينا فى المحبة وهما ابنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقة فنحن أحق بزيادة المحبة منهما وروى النزال بن سبرة عن على ابن أبى طالب رضى الله عنه ونحن عصبة * وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة فيكون الخبر محذوفا وهو عامل فى عصبة وانتصب عصبة على الحال وهذا كقول العرب حكمك مسمطا حذف الخبر * قال المبرد قال الفرزدق * ياهذم حكمك مسمطا * أراد لك حكمك مسمطا واستعمل هذا فكثر حتى حذف استخفافا لعلم السامع مايريد القائل كقولك الهلال والله أى هذا الهلال والمسمط المرسل غير المردود * وقال ابن الانبارى هذا كما تقول العرب انما العامرى عمته أى يتعمم عمته انتهى وليس مثله لان عصبة ليس مصدرا ولا هيئة فالأجود أن يكون من باب حكمك مسمطا وقدره بعضهم حكمك ثبت مسمطا * وعن ابن عباس العصبة مازاد على العشرة وعنه مابين العشرة الى الاربعين * وعن قتادة مافوق العشرة الى الاربعين * وعن مجاهد من عشرة الى خمسة عشر * وعن مقاتل عشرة * وعن ابن جبير ستة أو سبعة * وقيل مابين الواحد الى العشرة * وقيل الى خمسة عشر * وعن الفراء عشرة فازاد * وعن ابن زيد والزجاج وابن قتيبة العصبة ثلاثة نفر فاذا زادوا فهم رهط الى التسعة فاذا زادوا فهم عصبة ولا يقال لأقل من عشرة عصبة والضلال هنا هو الهوى قاله ابن عباس أو الخطأ من الرأى قاله ابن زيد أو الجور فى الفعل قاله ابن كامل أو الغلط فى أمر الدنيا روى أنه بعد اخباره لابيه بالرؤيا كان يضمه كل ساعة الى صدره وكأن قلبه أيقن بالفراق فلا يكاد يصبر عنه والظاهر أن اقتلوا يوسف من جملة قولهم * وقيل هو من قول قوم استشارهم اخوة يوسف فيما يفعل به فقالوا ذلك والظاهر أن أواطرحوه هو من قولهم أن يفعلوا به أحد الأمرين ويجوز أن تكون أو للتنويع أى قال بعض اقتلوا يوسف وبعض اطرحوه وانتصب أرضا على اسقاط حرف الجر قاله الحوفى وابن عطية أى فى أرض بعيدة من الارض التى هو فيها قريب من أرض يعقوب * وقيل مفعول ثان على تضمين اطرحوه معنى أنزلوه كما تقول أنزلت زيدا الدار * وقالت فرقة ظرف واختاره الزمخشرى وتبعه أبو البقاء * قال الزمخشرى أرضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها من الناس ولابهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة * وقال ابن عطية وذلك خطأ بمعنى كونها منصوبة على الظرف قال لأن الظرف ينبغى أن يكون مبهما وهذه ليست كذلك بل هى أرض مقيدة بأنها بعيدة أو قاصية ونحو ذلك فزال بذلك ابهامها ومعلوم أن يوسف لم يخل من الكون فى أرض فتبين أنهم أرادوا أرضا بعيدة غير التى هو فيها قريب من أبيه انتهى وهذا الرد صحيح لو قلت جلست دارا بعيدة أو قعدت

الهروى الغيابة فى الجب شبه لحف أو طاق فى البئر فويق الماء يغيب مافيه عن العيون والسيارة جمع سيار وهو الكثير السير فى الارض ومفعول فاعلين محذوف أى فاعلين مايحصل به غرضكم من التفريق بينه و بين أبيه

(الدر)

(ش) أرضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها من الناس ولابهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة (ع) وذلك خطأ يعنى كونها منصوبة على الظرف قال لأن الظرف ينبغى أن يكون مبهما وهذه ليست كذلك بل هى أرض مقيدة بكونها بعيدة أو قاصية ونحو ذلك فزال بذلك ابهامها ومعلوم أن يوسف لم يخل من الكون فى أرض فتبين انهم أرادوا أرضا بعيدة عن التى هو فيها قريب من أبيه انتهى (ح) هذا الرد صحيح لو قلت جلست دارا بعيدة أو قعدت مكانا بعيدا لم يصح الا بواسطة فى ولا يجوز حذفها الا فى ضرورة شعر أو مع دخلت على الخلاف فى دخلت أهى لازمة أم متعدية

مكانا بعيدا لم يصح الا بوساطة في ولا يجوز حذفها الا في ضرورة شعر أو مع دخلت على الخلاف في دخلت أهي لازمة أو متعدية والوجه هنا قيل الذات أي يخل لكم أبوكم * وقيل هو استعارة عن شغله بهم وصرف مودته اليهم لأن من أقبل عليك صرف وجهه اليك وهذا كقول نعامة حين أحبته أمه لما قتل اخوته وكانت قبل لا تحبه * قال الشكل أرامها أي عطفها والضمير في بعده عائد على يوسف أو قتله أو طرحه وصلاحهم اما صلاح حالهم عند أبيهم وهو قول مقاتل أو صلاحهم بالتوبة والتنصل من هذا الفعل وهذا أظهر وهو قول الجمهور منهم الكلبي واحتمل تكونوا أن يكون مجزوما عطفا على مجزوم أو منصوبا على اضمار أن والقائل لا تقتلوا يوسف روبيل قاله قتادة وابن اسحاق أو شمعون قاله مجاهد أو يهوذا وكان أحلمهم وأحسنهم فيه رأيا وهو الذي قال فلن أبرح الارض قال لهم القتل عظيم قاله السدي أو دان أربعة أقوال وهذا عطف منهم على أخيهم لما أراد الله من انفاذ قضائه وابقاء على نفسه وسبب لنجاتهم من الوقوع في هذه الكبيرة وهو اتلاف النفس بالقتل * قال الهروي الغيابة في الجب شبه لحف أو طاق في البئر فويق الماء يغيب ما فيه عن العيون * وقال الكلبي الغيابة تكون في قعر الجب لأن أسفله واسع ورأسه ضيق فلا يكاد الناظر يرى ما في جوانبه * وقال الزمخشري غوره وهو ما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله انتهى منه قيل للقبر غيابة قال المتحل السعدي

فان أنا يوما غيبتني غيابتي * فسير وا بسيري في العشيرة والاهل

* وقرأ الجمهور غيابة على الافراد ونافع غيابات على الجمع جعل كل جزء مما يغيب فيه غيابة * وقرأ ابن هرمز غيابات بالتشديد والجمع والذي يظهر انه سمي باسم الفاعل الذي للمبالغة فهو وصف في الاصل وألحقه أبو علي بالاسم الجائي على فعال نحو ماذكر سيبويه من الغياد * قال أبو الفتح ووجدت من ذلك المبار المبرح (٣،) والفخار الخزف * وقال صاحب اللوامح يجوز أن يكون على فعالات كحمامات ويجوز أن يكون على فيعالات كشيطانات في جمع شيطانة وكل للمبالغة * وقرأ الحسن في غيبة فاحتمل أن يكون في الاصل مصدرا كالغلبة واحتمل أن يكون جمع غائب كصانع وصنعة وفي حرف أبي في غيبة بسكون الياء وهي ظلمة الركية * وقال قتادة في جماعة الجب بئر بيت المقدس * وقال وهب بأرض الاردن * وقال مقاتل على ثلاث فراسخ من منزل يعقوب * وقيل بين مدين ومصر * وقرأ الحسن ومجاهد وقتادة وأبو رجاء تلتقطه بتاء التأنيث أنث على المعنى كما قال

اذا بعض السنين تعرقتنا * كفى الايتام فقد أبي اليتيم

والسيارة جمع سيار وهو الكثير السير في الأرض والظاهر ان الجب كان فيه ماء ولذلك قالوا يلتقطه بعض السيارة * وقيل كان فيه ماء كثير يغرق يوسف فنشز حجر من أسفل الجب حتى ثبت يوسف عليه * وقيل لم يكن ماء فأخرجه الله فيه حتى قصده الناس وروي انهم رموه بحبل في الجب فتماسك بيديه حتى ربطوا يديه ونزعوا قميصه ورموه حينئذ وهموا بعد برضخه بالحجارة فمنعهم أخوهم المشير بطرحه من ذلك ومفعول فاعلين محذوف أي فاعلين ما يحصل به غرضكم من التفريق بينه وبين أبيه ﴿قالوا ياأبانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون * أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون * قال اني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون﴾ لما تقرر في أذهانهم التفريق بين يوسف

وذكروا نصحهم له وما في ارساله معهم من انشراح صدره بالارتعاء واللعب اذ هو مما يشرح الصبيان وذكروا حفظهم له مما يسوؤه وفي قولهم مالك لا تأمنا دليل على أنهم تقدم منهم سؤال في أن يخرج معهم وذكروا سبب الامن وهو النصح أي لم تأمنا عليه وحالتنا هذه والنصح دليل على الامانة ولهذا قرنا في قوله ناصح أمين وكان قد أحس منهم قبل ما أوجب الاباء منهم عليه ولا تأمنا جملة حالية وهذا الاستفهام صحبه معنى التعجب وقرئ لا تأمنا باختلاس الحركة والادغام في لفظة أرسله دليل على أنه كان يمسكه ويصحبه دائما وانتصب غدا على الظرف وهو ظرف مستقبل يطلق على اليوم الذي يلي يومك وعلى الزمن المستقبل من غير تقييد باليوم الذي يلي يومك وأصله غدو فحذفت لامه وقد جاء تاما وقرئ ﴿يرتع ويلعب﴾ بالياء وقرئ بالنون واللعب هنا هو الاستباق والانتضال يمرنون بذلك لقتال العدو سموه لعبا لأنه بصورة اللعب ولم يكن ذلك للهو بدليل قولهم انا ذهبنا

وأبيه أعملوا الحيلة على يعقوب وتلطفوا فى اخراجه معهم وذكروا نصحهم له وما فى ارساله معهم من انشراح صدره بالارتعاء واللعب اذ هو مما يشرح الصبيان وذكروا حفظهم له مما يسوؤه وفى قولهم مالك لا تأمنا دليل على انهم تقدم منهم سؤال فى أن يخرج معهم وذكروا سبب الأمن وهو النصح أى لم لا تأمنا عليه وحالتنا هذه والنصح دليل على الأمانة ولهذا قرنا فى قوله ناصح أمين وكان قد أحس منهم قبل ما أوجب أن لا يأمنهم عليه ولا تأمنا جملة حالية وهذا الاستفهام صحبه التعجب * وقرأ زيد بن على وأبو جعفر والزهرى وعمرو بن عبيد بادغام نون تأمن فى نون الضمير من غير اشمام ومجيئه بعد مالك والمعنى يرشد الى انه نفى لا نهى وليس كقولهم ما أحسننا فى التعجب لانه لو أدغم لالتبس بالنفى * وقرأ الجمهور بالادغام والاشمام للضم وعنهم اخفاء الحركة فلا يكون ادغاما محضا * وقرأ ابن هرمز بضم الميم فتكون الضمة منقولة الى الميم من النون الأولى بعد سلب الميم حركتها وادغام النون فى النون * وقرأ أبى والحسن وطلحة بن مصرف والأعمش لا تأمننا بالاظهار وضم النون على الأصل وخط المصحف بنون واحدة * وقرأ ابن وثاب وأبو رزين لا تيمنا على لغة تميم وسهل الهمزة بعد الكسرة ابن وثاب وفى لفظة أرسله دليل على انه كان يمسكه ويصحبه دائما وانتصب غدا على الظرف وهو ظرف مستقبل يطلق على اليوم الذى يلى يومك وعلى الزمن المستقبل من غير تقييد باليوم الذى يلى يومك وأصله غدو فحذفت لامه وقد جاء تاما * وقرأ الجمهور يرتع ويلعب بالياء والجزم والابنان وأبو عمرو بالنون والجزم وكسر العين الحرميان واختلف عن قنبل فى اثبات الياء وحذفها * وروى عن ابن كثير ويلعب بالياء وهى قراءة جعفر بن محمد * وقرأ العلاء بن سيابة يرتع بالياء وكسر العين مجزوما محذوف اللام ويلعب بالياء وضم الباء خبر مبتدا محذوف أى وهو يلعب * وقرأ مجاهد وقتادة وابن محيصن بنون مضمومة من ارتعنا ونلعب بالنون وكذلك أبو رجاء الا انه بالياء فيهما يرتع ويلعب والقراءتان على حذف المفعول أى يرتع المواشى أو غيرها * وقرأ النخعى نرتع بنون ويلعب بياء باسناد اللعب الى يوسف وحده لصباه وجاء كذلك عن أبى اسحق ويعقوب وكل هذه القراآت الفعلان فيها مبنيان للفاعل * وقرأ زيد بن على يرتع ويلعب بضم الياءين مبنيا للمفعول ويخرجها على انه أضمر المفعول الذى لم يسم فاعله وهو ضمير غد وكان أصله يرتع فيه ويلعب فيه ثم حذف واتسع فعدى الفعل للضمير فكان التقدير يرتعه ويلعبه ثم بناه للمفعول فاستكن الضمير الذى كان منصوبا لكونه ناب عن الفاعل واللعب هنا هو الاستباق والانتضال فيدربون بذلك لقتال العدو وسموه لعبا لانه بصورة اللعب ولم يكن ذلك للهو بدليل قولهم انا ذهبنا نستبق ولو كان لعب لهو ما أقرهم عليه يعقوب ومن كسر العين من يرتع فهو يفتعل *قال مجاهد هى من المراعاة أى يراعى بعضنا بعضا ويحرسه *وقال ابن زيد من رعى الابل أى يتدرب فى الرعى وحفظ المال أو من رعى النبات والكلا أى يرتع على حذف مضاف أى مواشينا ومن أثبت الياء *فقال ابن عطية هى قراءة ضعيفة لا تجوز الا فى الشعر كقول الشاعر

ألم يأتيك والانباء تنمى * بما لاقت لبون بنى زياد

انتهى * وقيل تقدير حذف الحركة فى الياء لغة فعلى هذا لا يكون ضرورة ومن قرأ بسكون العين فالمعنى نقم فى خصب وسعة ويعنون من الأكل والشرب وانا له لحافظون جملة حالية والعامل فيه الامر أو الجواب ولا يكون ذلك من باب الاعمال لان الحال لا تضمر وبان الاعمال لا بد فيه من الاضمار اذا أعمل الأول ثم اعتذر لهم يعقوب بشيئين أحدهما عاجل فى الحال وهو ما يلحقه من الحزن

نستبق ولو كان لعب لهو ما أقرهم عليه يعقوب ومن كسر العين من يرتع فهو يفتعل قال مجاهد من المراعاة أى يراعى بعضنا بعضا ويحرسه ثم اعتذر لهم يعقوب لشيئين أحدهما عاجل فى الحال وهو ما يلحقه من الحزن لمفارقته وكان لا يصبر عنه والثانى خوفه عليه من الذئب ان غفلوا عنه برعيهم ولعبهم وعدل اخوة يوسف عن أحد الشيئين وهو حزنه على ذهابهم به لقصر مدة الحزن وايهامهم أنهم يرجعون به اليه عن قريب وعدلوا الى قصة الذئب وهو السبب الأقوى فى منعه أن يذهبوا به فحلفوا له لئن كان ما خافه من خطفة الذئب أخاهم من بينهم وحالهم أنهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الأمور وتكفى الخطوب انهم اذا لقوم خاسرون أى هالكون ضعفا وخورا وعجزا

﴿فلما ذهبوا به﴾ الآية بين هذه الجملة والجمل التي قبلها محذوف يدل عليه المعنى تقديره فأجابهم الى ما سألوه وأرسل معهم يوسف فلما ذهبوا به وأجمعوا أي عزموا واتفقوا على إلقائه في الجب وأن يجعلوه مفعول أجمعوا يقال أجمع الأمر وأزمعه بمعنى العزم عليه واحتمل أن يكون الجعل هنا بمعنى الالقاء و بمعنى التصيير وجواب لما هو قولهم قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق أي لما كان كيت وكيت قالوا والظاهر أن الضمير في وأوحينا اليه عائد على يوسف وهو وحي الهام قال ابن عباس هو وحي منام ويدل على ان الضمير عائد على يوسف قوله لهم قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون وتقدم أن جواب لما هو قولهم قالوا ونختار أن يكون الجواب محذوفا لدلالة المعنى عليه تقديره لسروا بذلك أي بذهابهم به واجماعهم على ما يريدون أن يفعلوا به ويكون قوله وأوحينا اليه ليس داخلا تحت جواب لما بل هو استئناف اخبار بايحاء الله الى يوسف وانتصب عشاء على الظرف ويكون حال أي باكين قيل وانما جاؤا عشاء ليكونوا أقدر على الاعتذار في الظلمة ولذلك قيل لا تطلب الحاجة بالليل فان الحياء في العينين ولا تعتذر بالنهار من ذنب فتتلجلج في الاعتذار وفي الكلام حذف تقديره وجاؤا أباهم دون يوسف عشاء يبكون فقالوا أين يوسف فقالوا انا ذهبنا نستبق ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ أي بمصدق الآن ﴿ولو كنا صادقين﴾ فما أنت بمؤمن لنا على كل حالة ولو في حالة الصدق روي أنهم أخذوا جديا أو سخلة فذبحوه ولطخوا قميص يوسف بدمه وقالوا ليعقوب هذا قميص يوسف فأخذه ولطخ به وجهه وبكى ثم تأمله فلم ير خرقا ولا ارتيابا فاستدل بذلك على خلاف ما زعموا وقال لهم متى كان الذئب حليما يأكل يوسف ولا يخرق قميصه قيل كان في قميص يوسف صلى الله عليه وسلم ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على أن يوسف لم يأكله الذئب وألقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر قال الزمخشري وسبقه اليه الحوفي * فان

لمفارقته وكان لا يصبر عنه والثاني خوفه عليه من الذئب ان غفلوا عنه برعيهم ولعبهم أو بقلة اهتمامهم بحفظه وعنايتهم فيأكله ويحزن عليه الحزن المؤبد وخص الذئب لانه كان السبع الغالب على قطره أو لصغر يوسف فخاف عليه هذا السبع الحقير وكان تنبيها على خوفه عليه ماهو أعظم افتراسا ولحقارة الذئب خصه الربيع بن ضبع الفزاري في كونه يخشاه لما بلغ من السن في قوله

والذئب أخشاه ان مررت به * وحدي وأخشى الرياح والمطرا

وكان يعقوب بقوله وأخاف أن يأكله الذئب لقنهم ما يقولون من العذر اذا جاؤا وليس معهم يوسف فلقنوا ذلك وجعلوه عدة للجواب وتقدم خلاف القراء في يحزن * وقرأ زيد بن علي وابن هرمز وابن محيصن ليحزني بتشديد النون والجمهور بالفك وليحزنني مضارع مستقبل لا حال لان المضارع اذا أسند الى متوقع تخلص للاستقبال لان ذلك المتوقع مستقبل وهو المسبب لأثره فمحال أن يتقدم الأثر عليه فالذهاب لم يقع فالحزن لم يقع كما قال

يهولك أن تموت وأنت ملغ * لما فيه النجاة من العذاب

* وقرأ زيد بن علي تذهبوا به من أذهب رباعيا ويخرج على زيادة الباء في به كما خرج بعضهم تنبت بالدهن في قراءة من ضم التاء وكسر الباء أي تنبت الدهن وتذهبوه * وقرأ الجمهور والذئب بالهمز وهي لغة الحجاز * وقرأ الكسائي وورش وحمزة اذا وقف بغير همز * وقال نصر سمعت أبا عمرو لا يهمز وعدل اخوة يوسف عن أحد الشيئين وهو حزنه على ذهابهم به لقصر مدة الحزن وإيهامهم انهم يرجعون به اليه عن قريب وعدلوا الى قضية الذئب وهو السبب الأقوى في منعه أن تذهبوا به فحلفوا له لئن كان ما خافه من خطفة الذئب أخاهم من بينهم وحالهم انهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الأمور وتكفى الخطوب انهم اذا لقوم خاسرون أي هالكون ضعفا وخورا وعجزا أو مستحقون أن يهلكوا لانهم لا غنى عندهم ولا جدوى في حياتهم أو مستحقون بان يدعى عليهم بالخسار والدمار وأن يقال خسرهم الله ودمرهم حين أكل الذئب بعضهم وهم حاضرون * وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرنا * وروي أن يعقوب رأى في منامه كأنه على ذروة جبل وكان يوسف في بطن الوادي فاذا عشرة من الذئاب قد احتوشته يردن أكله فدرأ عنه واحد ثم انشقت الارض فتوارى يوسف فيها ثلاثة أيام ﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون * وجاؤا أباهم عشاء يبكون * قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين * وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله

قلت على قميصه ما محله * قلت محله النصب على الظرف كأنه قيل وجاؤا فوق قميصه بدم كما يقول جاء على جماله بأحمال * فإن قلت هل يجوز أن يكون حالا متقدمة * قلت لا لان حال المجرور لا يتقدم عليه انتهى ولا يساعد المعنى على نصب على على الظرف بمعنى فوق لأن العامل فيه اذ ذاك جاؤا وليس الفوق ظرفا لهم بل يستحيل أن يكون ظرفا لهم وقال أبو البقاء على قميصه في موضع نصب حالا من الدم لأن التقدير وجاؤا بدم كذب على قميصه انتهى وتقديم الحال على المجرور بالحرف غير الزائد في جوازه خلاف ومن أجاز استدل على ذلك بأنه موجود في لسان العرب وأنشد على ذلك شواهد هي مذكورة في علم النحو والمعنى يرشد الى ما قاله أبو البقاء قال بل سولت هنا محذوف تقديره لم يأكله الذئب بل (٢٨٧) سولت وقال قتادة معنى سولت زينت ﴿فصبر جميل﴾ أي فأمري صبر جميل أو فصبر جميل أمثل ﴿والله المستعان﴾ أي المطلوب منه العون على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف فالصبر على الرزية ﴿وجاءت سيارة﴾ قيل كانوا من مدين قاصدين الى مصر ﴿فأرسلوا واردهم﴾ وهو مالك بن دعر الخزاعي فأرسلوه ليطلب لهم الماء والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم واضافة الوارد للضمير ليست اضافة الى المفعول بل المعنى الذي يردهم الماء ﴿فأدلى دلوه﴾ أي أرسلها ليستقي الماء ﴿قال يابشراي﴾ في الكلام حذف تقديره فتعلق يوسف بحبل الدلو فلما بصر به المدلي قال يا بشراي وتعلقه بالحبل يدل على صغره اذ لو كان ابن ثمانية عشر أو سبعة عشر لم يحمله الحبل غالبا ولفظة غلام ترجح ذلك اذ يطلق عليه ما بين الحولين الى البلوغ حقيقة وقد يطلق على الرجل الكامل وقوله يابشراي هو على سبيل السرور والفرح بيوسف صلى الله عليه وسلم اذ رأى أحسن ما خلق وأضاف البشرى الى نفسه وقرئ يابشراي بياء الاضافة ويابشرى قيل ذهب به الوارد الى أصحابه فبشرهم به ﴿وأسروه﴾ أي أخفوه وكتموا أمره من وجدانهم له في الجب وقالوا دفعه الينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقال ابن عباس الضمير في وأسروه وشروه لاخوة يوسف صلى الله عليه وسلم وأنهم قالوا للرفقة هذا غلام قد أبق لنا فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه وانتصب ﴿بضاعة﴾ على الحال أي متجرا لهم ومكسبا ﴿والله عليم بما يعملون﴾ أي لم يخف عليه أسرارهم أو هو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم

المستعان على ما تصفون * وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يابشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون * حكى أنهم قالوا ليوسف اطلب من أبيك أن يبعثك معنا فأقبل على يوسف فقال أتحب ذلك قال نعم قال يعقوب اذا كان غدا أذنت لك فلما أصبح يوسف لبس ثيابه وشد عليه منطقته وخرج مع اخوته فشيعهم يعقوب وقال يا بني أوصيكم بتقوى الله وبحبيبي يوسف ثم أقبل على يوسف وضمه الى صدره وقبل بين عينيه ثم قال استودعتك الله رب العالمين وانصرف فحملوا يوسف على أكتافهم ما دام يعقوب يراهم ثم لما غابوا عن عينه طرحوه ليعدو معهم اضرارا به وذكر المفسرون أشياء كثيرة تتضمن كيفية القائه في غيابة الجب ومحاورته لهم بما يلين الصخر وهم لا يزدادون الا قساوة ولم يتعرض القرآن ولا الحديث الصحيح لشئ منها فيوقف عليها في كتب التفسير و بين هذه الجملة والجمل التي قبلها محذوف يدل عليه المعنى تقديره فأجابهم الى ما سألوه وأرسل معهم يوسف فلما ذهبوا به وأجمعوا أي عزموا واتفقوا على القائه في الجب وأن يجعلوه مفعول أجمعوا يقال أجمع الامر وأزمعه بمعنى العزم عليه واحتمل أن يكون الجعل هنا بمعنى الالقاء وبمعنى التصيير واختلفوا في جواب لما أهو مثبت أم محذوف فمن قال مثبت قال هو قولهم قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق أي لما كان كيت وكيت قالوا وهو تخريج حسن * وقيل هو أوحينا والواو زائدة وعلى هذا مذهب الكوفيين يزاد عندهم بعد لما وحتى اذا وعلى ذلك خرجوا قوله فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أي ناديناه وقوله حتى اذا جاؤها وفتحت أي فتحت وقول امرئ القيس * فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى * أي انتحى ومن قال هو محذوف وهو رأي البصريين فقدره الزمخشري فعلوا به ما فعلوا من الاذى وحكى الحكاية الطويلة فيما فعلوا به وما حاوروه وحاورهم به وقدره بعضهم فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب عظمت فتنتهم وقدره بعضهم جعلوه فيها وهذا أولى اذ يدل عليه قوله وأجمعوا أن يجعلوه والظاهر أن الضمير في وأوحينا اليه عائد على يوسف وهو وحي الهام قاله مجاهد * وروى عن ابن عباس أو منام * وقال الضحاك وقتادة نزل عليه جبريل في البئر * وقال الحسن أعطاه الله النبوة في الجب وكان صغيرا كما أوحى الى يحيى وعيسى عليهما السلام وهو ظاهر أوحينا ويدل على أن الضمير عائد على يوسف قوله لهم قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون * وقيل الضمير في اليه عائد على يعقوب وانما أوحى اليه

ليأنس في الظلمة من الوحدة وليبشر بما يؤول اليه أمره ومعناه لتتخلص مما أنت فيه ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لايشعرون جملة حالية من قوله لتنبئنهم بهذا أي غير عالمين انك يوسف وقت التنبئة قاله ابن جريج وذلك لعلو شأنك وعظمة سلطانك و بعد حالك عن أذهانهم ولطول العمر المبدل للهيئات والاشكال وذكر أنهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وأنكم انطلقتم به وألقيتموه في غيابة الجب وقلتم لأبيكم أكله الذئب و بيع بثمن بخس و يجوز أن يكون وهم لايشعرون حالا من قوله وأوحينا أي وهم لايشعرون قاله قتادة أي بايحائنا اليك وما أخبرناك به من نجاتك وطول عمرك الى أن تنبئهم بما فعلوا بك * وقرأ الجمهور لتنبئنهم بتاء الخطاب وابن عمر بياء الغيبة وكذا في بعض مصاحف البصرة * وقرأ سلام بالنون والذي يظهر من سياق الاخبار والقصص أن يوسف كان صغيرا * فقيل كان عمره اذ ذاك سبع سنين * وقيل ست قاله الضحاك وأبعد من ذهب الى أنه اثنتا عشرة سنة وثمان عشرة سنة وكلاهما عن الحسن أوسبع عشرة سنة قاله ابن السائب ويدل على أنه كان صغيرا بحيث لايدفع نفسه قوله وأخاف أن يأكله الذئب و يرتع و يلعب وانا له لحافظون وأخذ السيارة له وقول الوارد هذا غلام وقول العزيز عسى أن ينفعنا أونتخذه ولدا وما حكى من حملهم اياه واحدا بعد واحد اومن كلامه لأخيه يهوذا ارحم ضعفي وعجزي وحداثة سني وارحم قلب أبيك يعقوب ومن هو ابن ثمان عشرة سنة لايخاف عليه من الذئب ولاسيما ان كان في رفقة ولايقال فيه وانا له لحافظون لأنه إذ ذاك قادر على التحيل في نجاة نفسه ولايسمى غلاما الا بمجاز ولايقال فيه أونتخذه ولدا وعشاء نصب على الظرف أو من العشوة والعشوة الظلام فجمع على فعال مثل راع ورعاء و يكون انتصابه على الحال كقراءة الحسن عشا على وزن دجى جمع عاش حذف منه الهاء كما حذفت في مالك وأصله مالكة وعن الحسن عشيا على التصغير * قيل وانما جاؤا عشاء ليكونوا أقدر على الاعتذار في الظلمة ولذا قيل لاتطلب الحاجة بالليل فان الحياء في العينين ولاتعتذر في النهار من ذنب فتتلجلج في الاعتذار وفي الكلام حذف تقديره وجاؤا أباهم دون يوسف عشاء يبكون * فقال أين يوسف قالوا اناذهبنا * وروى ان يعقوب لما سمع بكاءهم قال مالكم أجرى في الغنم شئ قالوا لا قال فأين يوسف قالوا اناذهبنا نستبق فأكله الذئب فبكى وصاح وخر مغشيا عليه فأفاضوا عليه الماء فلم يتحرك ونادوه فلم يجب ووضع يهوذا يده على مخارج نفسه فلم يحس بنفسه ولاتحرك له عرق فقال و يل لنا من ديان يوم الدين الذي ضيعنا أخانا وقتلنا أبانا فلم يفق الا ببرد السحر * قال الاعمش لايصدق بالك بعد اخوة يوسف ونستبق أي نترامى بالسهام أونتجارى على الاقدام أينا أشد عدوا أونستبق في أعمال نتوزعها من سقي ورعي واحتطاب أونتصيد أربعة أقوال عند متاعنا أي عند ثيابنا وما تجردنا له حالة الاستباق وهذا أيضا يدل على صغر يوسف إذ لو كان ابن ثمان عشرة سنة أوسبع عشرة لكان يستبق معهم فأكله الذئب قد ذكرنا أنهم تلقنوا هذا الجواب من قول أبيهم وأخاف أن يأكله الذئب لأن أكل الذئب إياه كان أغلب ما كان خاف عليه وما أنت بمؤمن لنا أي بمصدق لنا الآن ولو كنا صادقين أولست مصدقا لنا على كل حال حتى في حالة الصدق لما غلب عليك من تهمتنا وكراهتنا في يوسف وانا نرتاد له الغوائل ونكيد له المكائد وأوهموا بقولهم ولو كنا صادقين أنهم صادقون في أكل الذئب يوسف فيكون صدقهم مقيدا بهذه النازلة أومن أهل الصدق والثقة عند يعقوب قبل هذه النازلة لشدة

محبتك ليوسف فكيف وأنت سيء الظن بنا في هذه النازلة غير واثق بقولنا فيه * روى انهم أخذوا سخلة أوجديا فذبحوه ولطخوا قميص يوسف بدمه وقالوا ليعقوب هذا قميص يوسف فأخذه ولطخ به وجهه وبكى ثم تأمله فلم ير خرقا ولا ارتاب فاستدل بذلك على خلاف مازعموا وقال لهم متى كان الذئب حليما أيأكل يوسف ولا يخرق قميصه * قيل كان في قميص يوسف ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على أن يوسف لم يأكله الذئب وألقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قدّ من دبر * قال الزمخشري (فان قلت) على قميصه ما محله (قلت) محله النصب على الظرف كأنه قيل وجاؤا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله بأحمال (فان قلت) هل يجوز أن يكون حالا مقدمة (قلت) لا لأن حال المجرور لا يتقدم عليه انتهى ولا يساعد المعنى على نصب على على الظرف بمعنى فوق لأن العامل فيه إذ ذاك جاؤا وليس الفوق ظرفا لهم بل يستحيل أن يكون ظرفا لهم * وقال الحوفي على متعلق بجاؤا ولا يصح أيضا وأما المثال الذي ذكره الزمخشري وهو جاء على جماله بأحمال فيمكن ان يكون ظرفا للجائي لانه تمكن الظرفية فيه باعتبار تبدله من جمل على جمل ويكون بأحمال في موضع الحال أي مصحوبا بأحمال * وقال أبو البقاء على قميصه في موضع نصب حالا من الدم لان التقدير جاؤا بدم كذب على قميصه انتهى وتقديم الحال على المجرور بالحرف غير الزائد في جوازه خلاف ومن أجاز استدل على ذلك بأنه موجود في لسان العرب وأنشد على ذلك شواهد هي مذكورة في علم النحو والمعنى يرشد الى ماقاله أبو البقاء * وقرأ الجمهور كذب وصف لدم على سبيل المبالغة أو على حذف مضاف أي ذي كذب لما كان دالا على الكذب وصف به وان كان الكذب صادرا من غيره * وقرأ زيد بن علي كذبا بالنصب فاحتمل أن يكون مصدرا في موضع الحال وأن يكون مفعولا من أجله * وقرأت عائشة والحسن كدب بالدال غير معجمة وفسر بالكدر * وقيل الطري * وقيل اليابس * وقال صاحب اللوامح ومعناه ذي كدب أي أثر لان الكدب هو بياض يخرج في أظافير الشبان ويؤثر فيها فهو كالنقش ويسمى ذلك البياض الفوف فيكون هذا استعارة لتأثيره في القميص كتأثير ذلك في الاظافير قال بل سولت هنا محذوف تقديره لم يأكله الذئب بل سولت * قال ابن عباس أمرتكم أمرا * وقال قتادة زينت * وقيل رضيت أمرا أي صنيعا قبيحا * وقيل سهلت * فصبر جميل أي فأمري صبر جميل أو فصبر جميل أمثل * وقرأ أبي والاشهب وعيسى بن عمر فصبرا جميلا بنصبهما وكذا هي في مصحف أبي ومصحف أنس بن مالك * وروى كذلك عن الكسائي ونصبه على المصدر الخبري أي فاصبر صبرا جميلا * قيل وهي قراءة ضعيفة عند سيبويه ولا يصلح النصب في مثل هذا الامع الأمر وكذلك يحسن النصب في قوله

شكا الى جملي طول السرى * صبرا جميلا فكلانا مبتلى

ويروى صبر جميل في البيت وانما تصح قراءة النصب على أن يقدر أن يعقوب رجع الى مخاطبة نفسه فكأنه قال فاصبري يانفس صبرا جميلا * وفي الحديث ان الصبر الجميل انه الذي لا شكوى فيه أي الى الخلق ألا ترى الى قوله انما أشكو بثي وحزني الى الله * وقيل أتجمل لكم في صبري فلا أعاشركم على كآبة الوجه وعبوس الجبين بل على ما كنت عليه معكم * وقال الثوري من الصبر أن لا تحدث بما يوجعك ولا بمصيبتك ولا تبكي نفسك * والله المستعان أي المطلوب منه العون على احتمال ماتصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزية * وجاءت سيارة قيل كانوا من مدين قاصدين الى مصر * وقيل في الكلام حذف تقديره وأقام يوسف في الجب ثلاثة أيام وكان أخوه

(الدر)

(ش) فان قلت على قميصه ما محله قلت محله نصب على الظرف كانه قيل وجاؤا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله بأحمال * فان قلت هل يجوز أن يكون حالا متقدمة * قلت لا لأن حال المجرور لا يتقدم عليه انتهى (ح) لا يساعد المعنى على نصب على قميصه على الظرف بمعنى فوق لان العامل فيه اذ ذاك جاؤا وليس الفوق ظرفا لهم بل يستحيل أن يكون ظرفا لهم وأما المثال الذي ذكره (ش) وهو جاء على جماله بأحمال فيمكن أن يكون ظرفا للجائي لأنه تمكن الظرفية فيه بمعنى تبدله من جمل على جمل ويكون بأحمال في موضع الحال أي مصحوبا بأحمال وقال أبو البقاء على قميصه في موضع نصب حالا من الدم لان التقدير جاؤا بدم كذب على قميصه انتهى وتقديم الحال على المجرور بالحرف غير الزائد في جوازه خلاف ومن أجاز استدل على ذلك بأنه موجود في لسان العرب وأنشد على ذلك شواهد هي مذكورة في علم النحو والمعنى يرشد الى ماقاله أبو البقاء

﴿وشروه بثمن بخس﴾ الآية وشروه أي باعوه والظاهر أن الضمير في وشروه عائد على السيارة أي وباعوا يوسف ومن قال ان الضمير في وأسروه عائد على اخوة يوسف جعله هنا عائدا عليهم أي وباعوا أخاهم يوسف بثمن بخس وبخس مصدر وصف به بمعنى مبخوس أي زيف ناقص العيار ودراهم بدل من ثمن فلم يبيعوه بدنانير ومعدودة اشارة الى القلة وكانت عادتهم أنهم لا يزنون الا ما بلغ أوقية وهي أربعون درهما لان الكثيرة يعسر فيها العدد بخلاف القليلة قال ابن عباس أربعون درهما ﴿وكانوا فيه﴾ الضمير عائد على يوسف وفيه الأجود أن يكون متعلقا بالزاهدين وان كان في صلة الألف واللام لان الظرف والمجرور يتسع فيهما ما لا يتسع في غيرهما بخلاف المفعول به وتقدم الخلاف في ذلك في قوله اني لكما لمن الناصحين ﴿وقال الذي اشتراه﴾ لم تتعرض الآية لاسم من اشتراه وذكر المفسرون فيه اختلافا كثيرا ومثواه مكان اقامته وهو كناية عن الاحسان اليه في مأكل ومشرب وملبس ولام لامرأته يتعلق بقال فهي للتبليغ نحو قلت لك لا باشتراه ﴿عسى أن ينفعنا﴾ لعله اذا تدرب وراض الامور وعرف مجاريها نستعين به على بعض ما نحن بصدده فينفعنا بكفايته أو نتبناه ونقيمه مقام الولد وقيل كان عقيما لا يولد له فتفرس فيه الرشد فقال ذلك ﴿وكذلك﴾ أي مثل ذلك التمكين من قلب العزيز حتى عطف عليه وأمر امرأته باكرام مثواه

يهوذا يأتيه بالطعام خفية من اخوته * وقيل جاءت السيارة في اليوم الثاني من طرحه في الجب * وقيل كان التسبيح غذاءه في الجب * قيل وكانت السيارة تائهة تسير من أرض الى أرض وقيل سيارة في الطريق أخطؤه فنزلوا قريبا من الجب وكان في قفرة بعيدة من العمران لم تكن الا للرعاة وفيهم مالك بن دعر الخزاعي فارسلوه ليطلب لهم الماء والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم واضافة الوارد للضمير كاضافته في قوله * ألقيت كاسبهم * ليست اضافة الى المفعول بل المعنى الذي يرد عليهم والذي يكسب لهم والظاهر ان الوارد واحد * وقال ابن عطية والوارد هنا يمكن أن يقع على الواحد وعلى جماعة انتهى وحمل على معنى السيارة في قوله فارسلوا ولو حمل على اللفظ لكان الترتيب فارسلت واردها فادلى دلوه أي أرسلها ليستقي الماء قال يابشراي في الكلام حذف تقديره فتعلق يوسف بحبل الدلو فلما بصر به المدلي قال يابشراي وتعلقه بالحبل يدل على صغره اذ لو كان ابن ثمانية عشر أو سبعة عشر لم يحمله الحبل غالبا ولفظة غلام ترجح ذلك اذ يطلق عليه ما بين الحولين الى البلوغ حقيقة وقد يطلق على الرجل الكامل لقول ليلى الأخيلية في الحجاج ابن يوسف * غلام اذا هز القناة سقاها * وقوله يابشراي هو على سبيل السرور والفرح بيوسف اذ رأى أحسن ما خلق وأبعد السدي في زعمه ان بشرى اسم رجل وأضاف البشرى الى نفسه فكأنه قال تعالى فهذا من آونتك * وقرأ يابشرى بغير اضافة الكوفيون * وروى ورش عن نافع يابشراي بسكون ياء الاضافة وهو جمع بين ساكنين على غير حده وتقدم تقرير مثله في ومحياي * وقرأ أبو الطفيل والحسن وابن أبي اسحق والجحدري يابشري بقلب الألف ياء وادغامها في ياء الاضافة وهي لغة لهذيل ولناس غيرهم تقدم الكلام عليها في البقرة في فمن تبع هداي * قيل ذهب به الوارد فلما دنا من أصحابه صاح بذلك فبشرهم به وأسروه الظاهر ان الضمير للسيارة التي الوارد منهم أي أخفوه من الرفقة أو كتموا أمره من وجدانهم له في الجب وقالوا دفعه الينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر * وقال ابن عباس الضمير في وأسروه وشروه لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام قد أبق لنا فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه وذلك انه روي ان بعضهم رجع الى الجب ليتحققوا أمر يوسف ويقفوا على الحقيقة من فقده فلما علموا ان الوارد قد أخذوه جاؤهم وقالوا تلك المقالة وانتصب بضاعة على الحال أي متجرا لهم ومكسبا * والله عليم بما يعملون أي لم تخف عليه أسرارهم وهو وعيد لهم حين استبضعوا ما ليس لهم أو والله عليم بعمل اخوة يوسف بأبيهم وأخيهم من سوء الصنع وفي ذلك أعظم تذكار بما فعلوا بيوسف * قيل أوحى الله اليه في الجب أن لا يطلع أباه ولا غيره على حاله لحكمة أراد امضاءها وظهر بعد ذلك ما جرى له من جعله على خزائن الأرض واحواج اخوته اليه ورفع أبويه على العرش وما جرى مجرى ذلك مما كان مكنونا في القدر ﴿وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين * وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك

مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الاحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون * ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ﴿شرى بمعنى باع وبمعنى اشترى قال يزيد بن مفرغ الحميري

وشريت بردا ليتني * من بعد برد كنت هامه

أي بعت بردا وبرد غلامه وقال الآخر

ولو أن هذا الموت يقبل فدية * شريت أبا زيد بما ملكت يدي

أي اشتريت أبا زيد والظاهر أن الضمير في وشروه عائد على السيارة أي وباعوا يوسف ومن قال ان الضمير في وأسروه عائد على اخوة يوسف جعله عائدا عليهم أي باعوا أخاهم يوسف بثمن بخس وبخس مصدر وصف به بمعنى مبخوس * وقال مقاتل زيف ناقص العيار * وقال عكرمة والشعبي قليل وهو معنى الزمخشري ناقص عن القيمة نقصا ظاهرا * وقال ابن قتيبة البخس الخسيس الذي يخس به البائع * وقال قتادة بخس ظلم لانهم ظلموه في بيعه * وقال ابن عباس وقتادة أيضا في آخرين بخس حرام * وقال ابن عطاء انما جعله بخسا لانه عوض نفس شريفة لا تقابل بعوض وان جل انتهى وذلك ان الذين باعوه ان كانوا الواردة فانهم لم يعطوا به ثمنا فما أخذوا فيه ربح كله وان كانوا اخوته فالمقصود خلو وجه أبيهم منه لا ثمنه ودراهم بدل من ثمن فلم يبيعوه بدنانير ومعدودة اشارة الى القلة وكانت عادتهم أنهم لا يزنون الا ما بلغ أوقية وهي أربعون درهما لان الكثيرة يعسر فيها العد بخلاف القليلة * قال عكرمة في رواية عن ابن عباس وابن اسحق أربعون درهما * وقيل ثلاثون درهما ونعلان وحلة * وقال السدي كانت اثنين وعشرين درهما كذا نقله الزمخشري عنه ونقله ابن عطية عن مجاهد أخذها اخوته درهمين درهمين وصاحب التحرير عنه وعن ابن عباس * وقال ابن مسعود وابن عباس في رواية وعكرمة في رواية ونوف الشامي ووهب والشعبي وعطية والسدي ومقاتل في آخرين عشرون درهما وعن ابن عباس أيضا عشرون وحلة ونعلان * وقيل ثمانية عشر درهما اشتروا بها اخفافا ونعالا * وقيل عشرة دراهم والظاهر عود الضمير في فيه الى يوسف أي لم يعلموا مكانه من الله تعالى قاله الضحاك وابن جريج * وقيل يعود على الثمن وزهدهم فيه لرداءة الثمن أو لقصد ابعاد يوسف لا الثمن وهذا اذا كان الضمير في وشروه وكانوا عائدا على اخوة يوسف فاما اذا كان عائدا على السيارة فزهدهم فيه لكونهم ارتابوا فيه أو لوصف اخوته له بالخيانة والاباق أو لعلمهم انه حر * وقال الزمخشري من الزاهدين ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به لا يبالي بما باعه ولانه يخاف أن يعرض له مستحق فينزعه من يده فيبيعه من أول مساوم بأوكس الثمن ويجوز أن يكون معنى وشروه اشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا فيه أنه آبق فخافوا أن يخاطروا بما لهم فيه ويروى أن اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يابق انتهى وفيه تقدم نظيره في اني لكما لمن الناصحين وأنه خرج تعلق الجار اما بأعني مضمرة أو بمحذوف يدل عليه من الزاهدين أي وكانوا زاهدين فيه من الزاهدين أو بالزاهدين لانه يتسامح في الجار والظرف فجوز فيهما ما لا يجوز في غيرهما وقال الذي اشتراه من مصر ذكروا أقوالا متعارضة فيمن اشتراه وفي الثمن الذي اشتراه به ولا يتوقف تفسير كتاب الله على تلك الاقوال المتعارضة * فقيل اشتراه رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حياة يوسف * قيل وهو اذ ذاك الملك بمصر واسمه الريان بن الوليد

﴿مكنا ليوسف في الأرض﴾ أي أرض مصر يتصرف فيها بأمره ونهيه أي حكمناه فيها واللام لنعلمه متعلقة بمحذوف اما قبله أي لنملكه واما بعده أي ولنعلمه ﴿من تأويل الاحاديث﴾ كان ذلك لايحاء والتمكين والاحاديث الرؤيا والضمير في على أمره عائد على يوسف أي ندبره ولا نكله الى غيره والاشد عند سيبويه جمع واحده شدة وأشد كنعمة وأنعم وقال الكسائي شد وأشد نحو صك وأصك والاشد بلوغ الحلم والحكم الحكمة والعلم النبوة وقيل الحكم بين الناس والعلم الفقه في الدين وهذا أشبه لمجيء قصة المراودة ﴿وكذلك﴾ أي مثل ذلك الجزاء لمن صبر ورضي بالمقادير ﴿نجزي المحسنين﴾ وفيه تنبيه على أن يوسف كان محسنا في عنفوان شبابه وآتاه الله الحكم والعلم على جزاء احسانه

ابن بروان بن أراشه بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح فملك بعده قابوس بن مصعب بن تمر بن السلواس بن فاران بن عمرو المذكور فى نسب الريان فدعاه يوسف الى الايمان فابى فاشتراه العزيز وهوابن سبع عشرة سنة وأقام فى منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان ابن الوليد وهوابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهوابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفى وهوابن مائة وعشرين سنة * وقيل كان الملك فى أيامه فرعون موسى عاش أربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات * وقيل فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف * وقيل عرض فى السوق وكان أجل الناس فوقعت فيه مزايدة حتى بلغ ثمنا عظيما * فقيل وزنه من ذهب ومن فضة ومن حرير فاشتراه العزيز وهو كان صاحب الملك وخازنه واسم الملك الريان بن الوليد * وقيل مصعب بن الريان وهو أحد الفراعنة واسم العزيز قطفير قاله ابن عباس * وقيل اطفير * وقيل قنطور واسم امرأته راعيل * وقيل زليخا * قال ابن عطية وظاهر أمر العزيز أنه كان كافرا ويدل على ذلك كون الصنم فى بيته حسبما يذكر * وقال مجاهد كان مسلما واسم امرأة العزيز راعيل بنت رعاييل * وقال السدى العزيز هو الملك واسم امرأته زليخا بنت تمليخا ومثواه مكان اقامته وهو كناية عن الاحسان اليه فى مأكل ومشرب وملبس ولام لامرأته تتعلق بقال فهى للتبليغ نحو قلت لك لا باشتراه عسى أن ينفعنا لعله اذا تدرب وراض الامور وعرف مجاريها نستعين به على بعض ما نحن بصدده فينفعنا بكفايته أو نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له فتفرس فيه الرشد فقال ذلك وكذلك أى مثل ذلك التمكين من قلب العزيز حتى عطف عليه وأمر امرأته باكرام مثواه مكنا ليوسف فى الارض أى أرض مصر يتصرف فيها بأمره ونهيه أى حكمناه فيها ولام ولنعلمه متعلقة بمحذوف اما قبله لنملكه ولنعلمه وإما بعده أى ولنعلمه من تأويل الاحاديث كان ذلك الانجاء والتمكين أو الواو مقحمة أى مكنا ليوسف فى الارض لنعلمه وكل مقول والاحاديث الرؤيا قاله مجاهد * وقيل أحاديث الانبياء والامم والضمير فى على أمره الظاهر عوده على الله قاله ابن جبير لا يمنع عما يشاء ولا ينازع فيما يريد ويقضى أو على يوسف قاله الطبرى أى يدبره ولا يكله الى غيره فقد أراد اخوته به ما أرادوا ولم يكن الا ما أراد الله ودبره وأكثر الناس المنفى عنهم العلم هم الكفار قاله ابن عطية * وقال الزمخشرى لا يعلمون ان الامر بيد الله * وقيل المراد بالاكثر الجميع أى لا يطلعون على غيبه * وقيل المراد بأكثر الناس أهل مصر * وقيل أهل مكة والاشد عند سيبويه جمع واحده شدة وأشد كنعمة وأنعم * وقال الكسائى شد وأشد نحو صك وأصك وقال الشاعر

عهدى به شد النهار كأنما * خضب البنان ورأسه بالعظلم

وزعم أبو عبيدة انه لا واحد له من لفظه عند العرب والاشد بلوغ الحلم قاله الشعبى وربيعة وزيد بن أسلم أو سبعة عشر عاما الى نحو الاربعين قاله الزجاج أو ثمانية عشر الى ستين أو ثمانية عشر قاله عكرمة ورواه أبو صالح عن ابن عباس أو عشرون قاله الضحاك أو احدى وعشرون سنة أو ثلاثون أو ثلاثة وثلاثون قاله مجاهد وقتادة ورواه ابن جبير عن ابن عباس أو ثمان وثلاثون حكاه ابن قتيبة أو أربعون قاله الحسن * وسئل الفاضل النحوى مهذب الدين محمد بن على بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه الخيمى عن الاشد فقال هو خمس وثلاثون وتمامه أربعون * وقيل أقصاه اثنان وستون والحلم الحكم والعلم النبوة * وقيل الحكم بين الناس والعلم الفقه فى الدين وهذا أشبه لمجىء

﴿وراودته التى هو فى بيتها﴾ الآية المراودة المطالبة برفق من راد يرود اذا ذهب وجاء وهى مفاعلة من واحد نحو داويت المريض وكنى به عن طلب النكاح والمخادعة لاجله كان المعنى وخادعته عن نفسه ولذلك عداه بعن وقال التى هو فى بيتها ولم يصرح باسمها ولا بامرأة العزيز سترا على الحرم والعرب تضيف البيوت الى النساء فتقول ربة البيت وصاحبة البيت قال الشاعر

* ياربة البيت قومى غير صاغرة *

﴿وغلقت الابواب﴾ هو تضعيف تكثير بالنسبة الى وقوع الفعل بكل باب باب قيل وكانت سبعة أبواب ﴿هيت﴾ اسم فعل بمعنى أسرع ولك للتبيين أى لك أقول أمرته بأن يسرع اليها وزعم الكسائى والفراء أنها لغة حورانية وقعت لأهل الحجاز فتكلموا بها ومعناها تعال وانتصب ﴿معاذ الله﴾ على المصدر أى عياذا بالله من فعل السوء والضمير فى انه الأصح أنه يعود على الله تعالى أى ان الله ربى أحسن مثواى أى نجانى من الجب وأقامنى فى أحسن مقام ﴿انه لا يفلح الظالمون﴾ أى المجازون الاحسان بالسوء وما أحسن هذا التنصل من الوقوع فى السوء استعاذ أولا بالله تعالى الذى بيده العصمة وملكوت كل شئ ثم نبه على أن احسان الله اليه لا يناسب أن

يجازى بالسوء ثم نفى الفلاح عن الظالمين وهو الظفر والفوز بالبغية فلا يناسب أن أكون ظالما أضع الشئ غير موضعه ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ الذى نقوله ان يوسف صلى الله عليه وسلم لم يقع منه هم بها البتة بل هو منفى لوجود رؤية البرهان كما تقول لقد قارفت لولا أن عصمك الله * قال ابن عطية قول من قال ان الكلام قد تم فى قوله ولقد همت به وأن جواب لولا فى قوله وهم بها وأن المعنى لولا أن رأى البرهان لهم بها فلم يهم يوسف صلى الله عليه وسلم يرده لسان العرب فليس كما ذكر وقد استدل من ذهب الى جواز ذلك بوجوده فى لسان العرب قال الله تعالى ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين فقوله ان كادت لتبدى به اما أن يتخرج على أنه الجواب على ما ذهب اليه ذلك القائل وإما أن يتخرج على ما ذهبنا إليه من أنه دليل الجواب والتقدير لولا أن ربطنا على قلبها لكادت تبدى به وأما أقوال السلف فنعتقد أنه لا يصح عن أحد منهم شئ من ذلك لانها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضا مع كونها قادحة فى بعض المسلمين فضلا عن المقطوع لهم بالعصمة والذى روى عن السلف لا يساعد عليه كلام العرب لأنهم قدروا جواب لولا محذوفا ولا يدل عليه دليل لأنهم لم يقدروا لهم بها ولا يدل كلام العرب الا أن يكون المحذوف من معنى ما قبل الشرط لان ما قبل الشرط دليل عليه ولا يحذف الشئ لغير دليل والبرهان الذى رآه هو ما آتاه الله من العلم الدال على تحريم ما حرمه الله تعالى ولا يمكن الهم به فضلا عن الوقوع به ﴿كذلك لنصرف﴾ التقدير مثل ذلك الرؤية نرى براهيننا لنصرف عنه فتجعل الاشارة الى الرؤية والناصب للكاف مما دل عليه قوله لولا أن رأى برهان ربه ولنصرف متعلق بذلك الفعل الناصب للكاف

قصة المراودة بعد هذه القصة وكذلك أى مثل ذلك الجزاء لمن صبر ورضى بالمقادير نجزى المحسنين وفيه تنبيه على أن يوسف كان محسنا فى عنفوان شبابه فآتاه الله الحكم والعلم جزاء على احسانه * وعن الحسن من أحسن عبادة الله فى شبيبته آتاه الله الحكمة فى اكتهاله * وقال ابن عباس المحسنين المهتدين * وقال الضحاك الصابرين على النوائب ﴿وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربى أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون * ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين﴾ المراودة المطالبة برفق من راد يرود اذا ذهب وجاء وهى مفاعلة من واحد نحو داويت المريض وكنى به عن طلب النكاح والمخادعة لأجله كان المعنى وخادعته عن نفسه ولذلك عداه بعن وقال التى هو فى بيتها ولم يصرح باسمها ولا بامرأة العزيز سترا على الحرم والعرب تضيف البيوت الى النساء فتقول ربة البيت وصاحبة البيت قال الشاعر * ياربة البيت قومى غير صاغرة * وغلقت الابواب هو تضعيف تكثير بالنسبة الى وقوع الفعل بكل باب باب * قيل وكانت سبعة أبواب هيت اسم فعل بمعنى أسرع ولك للتبيين أى لك أقول أمرته بأن يسرع اليها وزعم الكسائى والفراء انها لغة حورانية وقعت الى أهل الحجاز فتكلموا بها ومعناها تعال وقاله عكرمة وقال أبو زيد هى عبرانية هيتلخ أى تعاله فأعرب به القرآن * وقال ابن عباس والحسن بالسريانية * وقال السدى بالقبطية هلم لك * وقال مجاهد وغيره عربية تدعوه بها الى نفسها وهى كلمة حث واقبال انتهى ولا يبعد اتفاق اللغات فى لفظ فقد وجد ذلك فى كلام العرب مع لغات غيرهم * وقال الجوهرى

(الدر) ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه (ح) طول المفسرون في تفسير هذين البيتين ونسب بعضهم ليوسف عليه السلام ما لا يجوز نسبته لآحاد الفساق والذي أختاره ان يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها البتة بل هو منفي لوجود رؤية البرهان كما تقول لقد قارفت لولا أن عصمك الله ولا نقول ان جواب لولا متقدم عليها وان كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك بل صريح أدوات الشرط العاملة مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها وقد ذهب الى ذلك الكوفيون ومن اعلام البصرة وأبو زيد الانصاري وأبو العباس المبرد بل نقول ان جواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه كما يقول جمهور البصريين في قول العرب أنت ظالم ان فعلت فيقدرونه ان فعلت فأنت

ظالم ولا يدل قوله أنت ظالم على ثبوت الظلم بل هو مثبت على تقدير وجود الفعل فكذلك التقدير لولا أن رأى برهان ربه لهم بها فكان يوجد الهم على تقدير انتفاء رؤية البرهان لكنه وجد رؤية البرهان فانتفى الهم ولا التفات الى قول الزجاج ولو كان الكلام ولهم بها كان بعيدا فكيف مع سقوط اللام لانه يوهم ان قوله وهم بها هو جواب لولا ونحن لا نقول بذلك وانما هو دليل الجواب وعلى تقدير أن يكون نفس الجواب فاللام ليست بلازمة يجوز أن يأتي جواب لولا اذا كان بصيغة الماضي باللام وبغير اللام تقول لولا زيد لأكرمتك ولولا زيد أكرمتك فمن ذهب الى أن قوله وهم بها هو نفس الجواب لم يبعد ولا التفات لقول (ع) ان قول من قال ان الكلام قد تم في قوله ولقد همت به وان جواب لولا في قوله وهم بها وان المعنى لولا أن رأى برهان ربه لهم بها فلم يهم يوسف عليه السلام قال وهذا قول يرده لسان العرب وأقوال السلف انتهى أما قوله يرده لسان العرب فليس كما ذكر وقد استدل من ذهب الى جواز ذلك بوجوده في لسان العرب قال الله تعالى ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها فقوله ان كادت لتبدي به إما أن يتخرج على أنه الجواب كما ذهب اليه ذلك القائل وإما أن يتخرج على ما ذهبنا اليه من أنه دليل الجواب والتقدير لولا أن ربطنا على قلبها لكادت تبدي به وأما أقوال السلف فنعتقد انه لا يصح عن أحد منهم شيء من ذلك لانها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضا مع كونها قادحة في بعض فساق الملل فضلا عن المقطوع لهم بالعصمة والذي رواه عن السلف لا يساعد عليه كلام العرب

هوت وهيت به صاح به فدعاه ولا يبعد أن يكون مشتقا من اسم الفعل كما اشتقوا من الجمل نحو سبح وحمدل ولما كان اسم فعل لم يبرز فيه الضمير بل يدل على رتبة الضمير بما يتصل باللام من الخطاب نحو هيت لك وهيت لك وهيت لكما وهيت لكم وهيت لكن * وقرأ نافع وابن ذكوان والاعرج وشيبة وأبو جعفر هيت بكسر الهاء بعدها ياء ساكنة وفتح التاء والحلواني عن هشام كذلك الا أنه همز وعلي وأبو وائل وأبو رجاء ويحيى وعكرمة ومجاهد وقتادة وطلحة والمقري وابن عباس وأبو عامر في رواية عنهما وأبو عمرو في رواية وهشام في رواية كذلك الا انهم ضموا التاء وزيد بن علي وابن أبي اسحاق كذلك الا أنهما سهلا الهمزة * وذكر النحاس انه قرئ بكسر الهاء بعدها ياء ساكنة وكسر التاء * وقرأ ابن كثير وأهل مكة بفتح الهاء وسكون الياء وضم التاء وباقي السبعة أبو عمرو والكوفيون وابن مسعود والحسن والبصريون كذلك الا أنهم فتحوا التاء وابن عباس وأبو الاسود وابن أبي اسحق وابن محيصن وعيسى البصرة كذلك وعن ابن عباس هييت مثل حييت فهذه تسع قراءات هي فيها اسم فعل الا قراءة ابن عباس الاخيرة فانها فعل مبني للمفعول مسهل الهمزة من هيأت الشيء والا من ضم التاء وكسر الهاء سواء همز أم لم يهمز فانه يحتمل أن يكون اسم فعل كحالها عند فتح التاء أو كسرها ويحتمل أن يكون فعلا واقعا ضميرا المتكلم من هاء الرجل يهيء اذا أحسن هيئته على مثال جاء يجيء أو بمعنى تهيأت يقال هيت وتهيأت بمعنى واحد فاذا كان فعلا تعلقت اللام به وفي هذه الكلمة لغات أخر وانتصب معاذ الله على المصدر أي عياذا بالله من فعل السوء والضمير في انه الاصح انه يعود على الله تعالى أي ان الله ربي أحسن مثواي إذ نجاني من الجب وأقامني في أحسن مقام واما أن يكون ضمير الشأن وعنى بربه سيده العزيز فلا يصلح لي أن أخونه وقد أكرم مثواي وائتمنني قاله مجاهد والسدي وابن اسحاق ويبعد جدا إذ لا يطلق نبي كريم على مخلوق انه ربه ولا بمعنى السيد لأنه لم يكن في الحقيقة مملوكا له انه لا يفلح الظالمون أي المجازون الاحسان بالسوء * وقيل الزناة * وقيل الخائنون * وقرأ أبو الطفيل والجحدري مثوي كما قرأ يا بشري وما أحسن هذا التنصل من الوقوع في السوء استعاذ أولا بالله الذي بيده العصمة وملكوت كل شيء ثم نبه على أن احسان الله أو احسان العزيز الذي سبق منه لا يناسب أن يجازى بالاساءة ثم نفى الفلاح عن الظالمين وهو الظفر والفوز بالبغية فلا يناسب أن أكون ظالما أضع الشيء غير موضعه وأتعدى ما حده الله تعالى لي ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه طول

المفسرون فى تفسير هذين الهمين ونسب بعضهم ليوسف مالا يجوز نسبته لآحاد الفساق والذى أختاره ان يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها البتة بل هو منفى لوجود رؤية البرهان كما تقول لقد قارفت لولا ان عصمك الله ولا تقول ان جواب لولا متقدم عليها وان كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك بل صريح أدوات الشرط العاملة مختلف فى جواز تقديم أجوبتها عليها وقد ذهب الى ذلك الكوفيون ومن اعلام البصريين أبو زيد الانصارى وأبو العباس المبرد بل نقول ان جواب لولا محذوف لدلالة ماقبله عليه كما تقول جمهور البصريين فى قول العرب أنت ظالم ان فعلت فيقدرونه ان فعلت فانت ظالم ولا يدل قوله أنت ظالم على ثبوت الظلم بل هو مثبت على تقدير وجود الفعل وكذلك هنا التقدير لولا أن رأى برهان ربه لهم بها فكان موجدا لهم على تقدير انتفاء رؤية البرهان لكنه وجد رؤية البرهان فانتفى الهم ولا التفات الى قول الزجاج ولو كان الكلام ولهم بها كان بعيدا فكيف مع سقوط اللام لانه يوهم ان قوله وهم بها هو جواب لولا ونحن لم نقل بذلك وانما هو دليل الجواب وعلى تقدير أن يكون نفس الجواب فاللام ليست بلازمة لجواز ان ما يأتى جواب لولا اذا كان بصيغة الماضى باللام وبغير لام تقول لولا زيد لاكرمتك ولولا زيد أكرمتك فمن ذهب الى أن قوله وهم بها هو نفس الجواب لم يبعد ولا التفات لقول ابن عطية ان قول من قال ان الكلام قد تم فى قوله ولقد همت به وان جواب لولا فى قوله وهم بها وان المعنى لولا أن رأى البرهان لهم بها فلم يهم يوسف عليه السلام قال وهذا قول يرده لسان العرب وأقوال السلف انتهى أما قوله يرده لسان العرب فليس كما ذكر وقد استدل من ذهب الى جواز ذلك بوجوده فى لسان العرب قال الله تعالى ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين فقوله ان كادت لتبدى به اما أن يتخرج على أنه الجواب على ماذهب اليه ذلك القائل واما أن يتخرج على ماذهبنا اليه من انه دليل الجواب والتقدير لولا أن ربطنا على قلبها لكادت تبدى به وأما أقوال السلف فنعتقد انه لا يصح عن أحد منهم شئ من ذلك لانها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضا مع كونها قادحة فى بعض فساق المسلمين فضلا عن المقطوع لهم بالعصمة والذى روى عن السلف لا يساعد عليه كلام العرب لأنهم قدروا جواب لولا محذوفا ولا يدل عليه دليل لانهم لم يقدروا لهم بها ولا يدل كلام العرب الاعلى أن يكون المحذوف من معنى ماقبل الشرط لان ماقبل الشرط دليل عليه ولا يحذف الشئ لغير دليل عليه وقد طهرنا كتابنا هذا عن نقل مافى كتب التفسير مما لا يليق ذكره واقتصرنا على مادل عليه لسان العرب ومساق الآيات التى فى هذه السورة مما يدل على العصمة وبراءة يوسف عليه السلام من كل مايشين ومن أراد أن يقف على مانقل عن المفسرين فى هذه الآية فليطالع ذلك فى تفسير الزمخشرى وابن عطية وغيرهما والبرهان الذى رآه يوسف هو ما آتاه الله تعالى من العلم الدال على تحريم ماحرمه الله والله لا يمكن الهم به فضلا عن الوقوع فيه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء * قال الزمخشرى الكاف منصوب المحل أى مثل ذلك التثبيت ثبتناه أو مرفوعة أى الامر مثل ذلك * وقال ابن عطية والكاف من قوله كذلك متعلقة بمضمر تقديره جرت أفعالنا وأقدارنا كذلك لنصرف ويصح أن تكون الكاف فى موضع رفع بتقدير عصمته كذلك لنصرف * وقيل فى الكلام تقديم وتأخير تقديره همت به وهم بها كذلك ثم قال لولا أن رأى برهان ربه لنصرف عنه ماهم به انتهى * وقال الحوفى كذلك الكاف للتشبيه فى موضع نصب أى أريناه البراهين كذلك * وقيل فى موضع رفع أى أمر البراهين كذلك والنصب

(الدر)

لانهم قدروا جواب لولا محذوفا ولم يدل عليه دليل لانهم لم يقدروا لهم بها ولا يدل كلام العرب الاعلى أن المحذوف من معنى ماقبل الشرط لان ماقبل الشرط دليل عليه ولا يحذف الشئ لغير دليل عليه والبرهان الذى رآه يوسف هو ما آتاه الله تعالى من العلم الدال على تحريم ماحرمه الله وانه لا يمكن الهم فضلا عن الوقوع فيه

﴿ واستبقا الباب وقدت قميصه ﴾ الآية أي واستبق يوسف وامرأة العزيز الى الباب هذا للهروب والخروج منها وهذه لمنعه ومراودته وأصل استبق أن يتعدى بالى فحذف اتساعا وقدت قميصه أي قطعته والقد القطع والشق وأكثر استعماله فيما كان طولا ﴿ من دبر ﴾ أي من وراء وألفيا أي وجدا وصادفا زوجها والمرأة تقول لبعلها سيدي ولم يضف اليهما لان زوجها ليس سيدا ليوسف على الحقيقة ﴿ ماجزاء ﴾ ما نافية وبدأت بالسجن ابقاء على محبوبها ثم ترقت الى العذاب الاليم قيل وهو الضرب بالسوط وقولها ماجزاء أي أن الذنب ثابت متقرر في حقه وأتت بلفظة سوء أي مما يسوؤها وليس نصا في معصية كبرى إذ يحتمل خطابه لها بما يسوؤها أو ضربه اياها وقولهم الا ان يسجن أو عذاب أليم يدل على عظم موقع السجن من ذوى الأقدار حيث قرنته بالعذاب الاليم ولما أغرت بيوسف صلى الله عليه وسلم وأظهرت تهمته احتاج الى ازالة التهمة عن نفسه فقال ﴿ هي راودتني عن نفسي ﴾ ولم يسبق أولا الى القول سترا عليها فلما خاف على نفسه

وعلى عرضه الطاهر قال هي راودتني وأتى بضمير الغيبة اذ كان غلب عليه الحياء أن يشير اليها ويعينها بالاشارة فيقول هذه راودتني أو تلك راودتني لان في المواجهة بالقبيح ما ليس في الغيبة ولما تعارض قولاهما عند العزيز وكان رجلا فيه إناءة ونصفة طلب الشاهد من كل منهما فشهد شاهد من أهلها فقيل كان ابن اخالتها طفلا في المهد أنطقه الله ليكون أدل على الحجة وجواب الشرط فصدقت وفكذبت وهو على اضمار قد أي فقد صدقت وفقد كذبت ﴿ فلما رأى ﴾ أي زوجها ﴿ قميصه قد من دبر قال انه ﴾ أي ان قولك ماجزاء الى آخره أوان هذا الامر وهو طمعها في يوسف والخطاب في ﴿ كيدكن ﴾ لها ولجواريها أولها وللنساء ووصف كيد النساء بالعظم وان كان قد يوجد في الرجال لانهن ألطف كيدا بما جبلن عليه وبما تفرغن له واكتسب بعضهن من بعض وهن أنفذ حيلة وقال تعالى ومن شر النفاثات في العقد وأما اللواتي في القصور فمعهن من ذلك مالا يوجد لغيرهن لكونهن أكثر تفرغا من غيرهن وأكثر تأنسا بأمثالهن ﴿ يوسف أعرض عن هذا ﴾ أي هذا الأمر واكتمه ولا تتحدث به وفي ندائه باسمه تقريب له وتلطف ثم أقبل عليها فقال ﴿ واستغفري ﴾ ثم ذكر سبب الاستغفار وهو قوله ﴿ لذنبك ﴾ ثم أكد ذلك بقوله ﴿ انك كنت من الخاطئين ﴾ ولم يقل من الخاطئات لان الخاطئين أعم لأنه ينطلق على الذكور والاناث بالتغليب خطئ اذا أذنب متعمدا وقال الزمخشري وما كان العزيز الاحليما روى أنه كان قليل الغيرة انتهى وتربة اقليم مصر اقتضت هذا وأين هذا مما جرى لبعض ملوكنا أنه كان مع ندمائه المختصين به في مجلس أنس وجارية تغنيهم من وراء ستر فاستعاد بعض خلصائه بيتين من الجارية كانت قد غنت بهما فالبث أن جيء برأس الجارية مقطوعا في طشت وقال له الملك استعد البيتين من هذا الرأس فسقط في يد ذلك المستعيد ومرض مدة حياة ذلك الملك

أجود لمطالبة حروف الجر للافعال أو معانيها * وقال أبو البقاء كذلك في موضع رفع أي الامر كذلك * وقيل في موضع نصب أي نراعيه كذلك انتهى * وأقول ان التقدير مثل تلك الرؤية أو مثل ذلك الرأى نرى براهيننا لنصرف عنه فتجعل الاشارة الى الرأى أو الرؤية والناصب للكاف مادل عليه قوله لولا أن رأى برهان ربه ولنصرف متعلق بذلك الفعل الناصب للكاف ومصدر رأى رؤية ورأى قال

ورأى عيني الفتى أباكا * يعطي الجزيل فعليك ذاكا

* وقرأ الاعمش ليصرف بياء الغيبة عائدا على ربه * وقرأ العربيان وابن كثير المخلصين اذا كان فيه ال حيث وقع بكسر اللام وباقي السبعة بفتحها وفي صرف السوء والفحشاء عنه وكونه من المخلصين دليل على عصمته ﴿ واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوأ الا أن يسجن أو عذاب أليم * قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين * وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين * فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم * يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين ﴾ أي واستبق يوسف وامرأة العزيز الى الباب هذا للخروج والهروب منها وهذه لمنعه ومراودته وأصل استبق أن يتعدى بالى فحذف اتساعا وتقدم ان الابواب سبعة فكان تنفتح له الابواب بابا بابا من غير مفتاح على مانقل عن كعب ان فراش القفل كان يتناثر ويسقط حتى خرج من الأبواب ويحتمل أن تكون الابواب المغلقة ليست على الترتيب بابا فبابا بل تكون في جهات مختلفة كلها منافذ للمكان الذي كانا فيه فاستبقا الى باب يخرج منه ولا يكون السابع على الترتيب بل أحدها وقدت يحتمل أن يكون معطوفا على

واستبقاو يحتمل أن يكون حالاأى وقدقدت جذبته من خلفه بأعلى القميص من طوقه فانخرق الى أسفله والقدّ القطع والشق وأكثر استعماله فيما كان طولا قال

تقدّ السلوقى المضاعف نسجه * وتوقد بالصفاح نار الحباحب

والقط يستعمل فيما كان عرضا *وقال المفضل بن حرب رأيت فى مصحف قط من دبر أى شق * قال يعقوب الشق فى الجلد فى الصحيح والثوب الصحيح * وقال ابن عطية وقرأت فرقة قط وألفيا سيدها أى وجدا وصادفا زوجها وهو قطفير والمرأة تقول لبعلها سيدى ولم يضف اليهما لان قطفير ليس سيد يوسف على الحقيقة ويقال ألفاه وارطه وصادفه والطه ولاطه كله بمعنى واحد * قيل ألفياه مقبلا يريد أن يدخل * وقيل مع ابن عم المرأة وفى الكلام حذف تقديره فرابه أمرهما وقال ما لكما فلما سأل وقد خافت لومه أوسبق يوسف بالقول بادرت ان جاءت بحيلة جمعت فيها بين تبرئة ساحتها من الريبة وغضبها على يوسف وتخويفه طمعا فى مواقعتها خيفة من مكرها كرها لما آيست أن يواقعها طوعا ألا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن ولم تصرح باسم يوسف بل أتت بلفظ عام وهو قولها ما جزاء من أراد وهو أبلغ فى التخويف وما الظاهر انها نافية ويجوز أن تكون استفهامية أى أى شئ جزاؤه الا السجن وبدأت بالسجن ابقاء على محبوبها ثم ترقت الى العذاب الأليم * قيل وهو الضرب بالسوط وقولها ما جزاء أى ان الذنب ثابت متقرر فى حقه وأتت بلفظ بسوء أى بما يسوء وليس نصا فى معصية كبرى اذ يحتمل خطابه لها بما يسوؤها أوضربه اياها وقولها الا أن يسجن أو عذاب يدل على عظم موقع السجن من ذوى الاقدار حيث قرنته بالعذاب الأليم * وقرأ زيد بن على أو عذابا أليما وقدره الكسائى أو يعذب عذابا أليما ولما أغرت بيوسف وأظهرت تهمته احتاج الى ازالة التهمة عن نفسه فقال هى راودتنى عن نفسى ولم يسبق الى القول أولا سترا عليها فلما خاف على نفسه وعلى عرضه الظاهر قال هى وأتى بضمير الغيبة اذ كان غلب عليه الحياء أن يشير اليها ويعينها بالاشارة فيقول هذه راودتنى أو تلك راودتنى لان فى المواجهة بالقبيح ما ليس فى الغيبة ولما تعارض قولاهما عند العزيز وكان رجلا فيه اناءة ونصفة طلب الشاهد من كل منهما فشهد شاهد من أهلها *فقال أبو هريرة وابن عباس والحسن وابن جبير وهلال بن يساف والضحاك كان ابن خالتها طفلا فى المهد أنطقه الله تعالى ليكون أدل على الحجة وروى فى الحديث انه من الصغار الذين تكلموا فى المهد وأسنده الطبرى وفى صحيح البخارى وصحيح مسلم لم يتكلم فى المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وابن السوداء * وقيل كان ابن عمها الذى كان مع زوجها لدى الباب ولا ينافى هذا قول قتادة كان رجلا حليما من أهلها ذا رأى يأخذ الملك برأيه ويستشيره * وقيل كان حكما حكمه زوجها فحكم بينهما وكان الشاهد من أهلها ليكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف وأنفى للتهمة ويحتمل أن يكون معهما فى الدار بحيث لا يشعر به فبصر بما جرى بينهما فأغضبه الله ليوسف وشهد بالحق ويبعد قول مجاهد وابن حبيب ان الشاهد هو القميص المقدود لقوله شاهد من أهلها ولا يوصف القميص بكونه شاهدا من أهل المرأة وسمى الرجل شاهدا من حيث دل على الشاهد وهو تخريق القميص * وقال الزمخشرى سمى قوله شهادة لانه أدى تأديتها فى ان ثبت قول يوسف وبطل قولها وان كان قميصه محكى اما بقال مضمرة على مذهب البصريين واما بشهد لان الشهادة قول من الأقوال على مذهب الكوفيين وكان هنا دخلت عليها أداة الشرط وتقدم خلاف المبرد والجمهور

فيها هل هي باقية على مضيها ولم تقلبها أداة الشرط أو المعنى ان يتبين كونه فأداة الشرط في الحقيقة انما دخلت على هذا المقدر وجواب الشرط فصدقت وفكذبت وهو على اضمار قد أي فقد صدقت وفقد كذبت ولو كان فعلا جامدا أو دعاء لم يحتج الى تقدير قد * وقرأ الجمهور من قبل ومن دبر بضم الباء فيهما والتنوين * وقرأ الحسن وأبو عمرو في رواية بتسكينها وبالتنوين وهي لغة الحجاز وأسد * وقرأ ابن يعمر وابن أبي اسحق والعطاردي وأبو الزناد ونوح القارىء والجارود بن أبي سبرة بخلاف عنه من قبل ومن دبر بثلاث ضمات * وقرأ ابن يعمر وابن أبي اسحق والجارود أيضا في رواية عنهم باسكان الباء مع بنائهما على الضم جعلوهما غاية نحو من قبل ومعنى الغاية أن يصير المضاف غاية نفسه بعدما كان المضاف اليه غايته والأصل اعرابهما لانهما اسمان متمكنان وليسا بظرفين * وقال أبو حاتم وهذا رديء في العربية وانما يقع هذا البناء في الظروف * وقال الزمخشري والمعنى من قبل القميص ومن دبره وأما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن أبي اسحق انه قرأ من قبل ومن دبر بالفتح كان جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتأنيث وقال أيضا (فان قلت) ان دل قد قميصه من دبر على انها كاذبة وانها هي التي تبعته واجتذبت ثوبه اليها فقدته فمن أين دل قده من قبل على انها صادقة وانه كان تابعها (قلت) من وجهين أحدهما انه اذا كان تابعها وهي دافعة عن نفسها فقدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني أن يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في قدام قميصه فيشقه انتهى وقوله وهو من الكاذبين وهو من الصادقين جملتان مؤكدتان لان من قوله فصدقت يعلم كذبه ومن قوله فكذبت يعلم صدقه وفي بناء قد للمفعول ستر على من قده ولما كان الشاهد من أهلها راعى جهة المرأة فبدأ بتعليق صدقها على تبين كون القميص قد من قبل ولما كانت كل جملة مستقلة بنفسها أبرز اسم كان بلفظ المظهر ولم يضمر ليدل على الاستقلال ولكون التصريح به أوضح وهو نظير قوله من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى فلما رأى العزيز * وقيل الشاهد قميصه قد من دبر قال انه أي ان قولك ما جزاء الى آخره قاله الزجاج أو ان هذا الأمر وهو طمعها في يوسف ذكره الماوردي والزمخشري أو الى تمزيق القميص قاله مقاتل والخطاب في من كيدكن لها ولجواريها أو لها وللنساء ووصف كيد النساء بالعظم وان كان قد يوجد في الرجال لانهن ألطف كيدا بما جبلن عليه وبما تفرغن له واكتسب بعضهن من بعض وهن أنفذ حيلة * وقال تعالى ومن شر النفاثات في العقد وأما اللواتي في القصور فمعهن من ذلك ما لا يوجد لغيرهن لكونهن أكثر تفرغا من غيرهن وأكثر تأنسا بأمثالهن يوسف أعرض عن هذا أي عن هذا الأمر واكتمه ولا تحدث به وفي ندائه باسمه تقريب له وتلطيف ثم أقبل عليها وقال واستغفري لذنبك والظاهر ان المتكلم بهذا هو العزيز * وقال ابن عباس ناداه الشاهد وهو الرجل الذي كان مع العزيز وقال استغفري لذنبك أي لزوجك وسيدك انتهى ثم ذكر سبب الاستغفار وهو قوله لذنبك ثم أكد ذلك بقوله انك كنت من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات لان الخاطئين أعم لانه ينطلق على الذكور والاناث بالتغليب يقال خطئ اذا أذنب متعمدا * قال الزمخشري وما كان العزيز الا حليما روى انه كان قليل الغيرة انتهى وتربة اقليم قطفير اقتضت هذا وأين هذا مما جرى لبعض ملوكنا انه كان مع ندمائه المختصين به في مجلس أنس وجارية تغنيهم من وراء ستر فاستعاد بعض خلصائه بيتين من الجارية كانت قد غنت بهما فما لبث أن جيء برأس الجارية مقطوعا في طست وقال له الملك استعد البيتين من هذا الرأس فسقط في يد ذلك

(الدر)

(ش) وما كان العزيز الا حليما وروى انه كان قليل الغيرة (ح) وتربة اقليم قطفير اقتضت هذا وأين هذا مما جرى لبعض ملوكنا وهو انه كان مع ندمائه المختصين به في مجلس أنس وجارية تغنيهم من وراء ستر فاستعاد بعض خاصاته بيتين من الجارية كانت قد غنت بهما فما لبث أن جيء برأس الجارية مقطوعا في طست وقال له الملك استعد البيتين من هذا الرأس فسقط في يد ذلك الرجل المستعيد ومرض مدة حياة ذلك الملك قال جامعه الملك المشار اليه هو المنصور ابن أبي عامر الاجدي المتقلب على دولة هشام بن الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر الاموي أمير الاندلس الملقب بالمؤيد وكان المنصور جبارا وله في ذلك أخبار

المستعيد ومرض مدة حياة ذلك الملك ﴿ وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها فى ضلال مبين * فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم * قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين * قال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين * فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم * ثم بدا لهم من بعد مارأوا الآيات ليسجننه حتى حين * ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما انى أرانى أعصر خمرا وقال الآخر انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين * قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمنى ربى انى تركت ملة قوم لايؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون * واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون * ياصاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار * ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون * ياصاحبى السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الامر الذى فيه تستفتيان * وقال للذى ظن أنه ناج منهما اذكرنى عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ياأيها الملأ أفتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون * قالوا أضغاث أحلام ومانحن بتأويل الاحلام بعالمين ﴾ النسوة بكسر النون فعلة وهو جمع تكسير للقلة لاواحد له من لفظه وزعم ابن السراج انه اسم جمع * وقال الزمخشرى النسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقى ولذا لم تلحق فعله تاء التأنيث انتهى وعلى أنه جمع تكسير لايلحق التاء لانه يجوز قامت الهنود وقام الهنود وقد تضم نونه فتكون اذ ذاك اسم جمع وتكسيره للكثرة على نسوان والنساء جمع تكسير للكثرة أيضا ولا واحد له من لفظه * شغف خرق الشغاف وهو حجاب القلب * وقيل سويداؤه * وقيل داء يصل الى القلب فينفذ الى القلب وكسر الغين لغة تميم * وقيل الشغاف جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب شغف وصلت الحدة الى القلب فكان يحترق من شغف البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران والمشغوف الذى أحرق الحب قلبه ومنه قول الأعشى

يعصى الوشاة وكان الحب آونة * ممايزين للمشغوف ماصنعا

وقد تكسر غينه * المتكأ الوسادة والنمرقة * المتك الاترج والواحد متكة قال الشاعر

* فاهدت متكة لبنى أبيها *

وقيل اسم يعم جميع مايقطع بالسكين الاترج وغيره من الفواكه قال

يشرب الاثم بالصواع جهارا * ونرى المتك بيننا مستعارا

وهو من متك بمعنى بتك الشئ أى قطعه * وقال صاحب اللوامح المتك بالضم عند الخليل العسل وعند الأصمعى الاترج * وقال أبو عمر والشراب الخالص وقال أبو عمر وفيه ثلاث لغات المتك بالحركات الثلاث * وقيل بالكسر الخلال * وقيل بل المسك وقال الكسائى أيضا فيه اللغات الثلاث وقد يكون بالفتح المجمر عند قضاعة وقال أيضا قد يكون فى اللغات الثلاث الفالوذ المعقد

﴿وقال نسوة فى المدينة ﴾ لم تلحق تاء التأنيث لأنه جمع تكسير المؤنث و يجوز فيه الوجهان ونسوة كما ذكرنا جمع قلة وكن على ما نقل خمسا امرأة خبازه وامرأة ساقيه وامرأة بوابه وامرأة سجانه وامرأة صاحب دوابه فى المدينة هى مصر ومعنى فى المدينة أنهم أشاعوا هذا الامر من حب امرأة لعزيز ليوسف وصرحوا باضافتها الى العزيز مبالغة فى التشنيع لان النفوس أميل لسماع أخبار ذوى الاخطار وما يجرى لهم وعبرن بتراوده وهو (٣٠٠) المضارع الدال على أنه صار ذلك سجية لها تخادعه دائما عن نفسه كما تقول زيد يعطى و يمنع ولم يقلن راودت فتاها ثم نبهن على علة ديمومة المراودة وهى كونها قد شغفها حبا أى بلغ حبه شغاف قلبها الشغاف حجاب القلب وقيل سويداؤه قال امرؤ القيس

* أتقتلنى أنى شغفت فؤادها
كما شغف المهنوءة الرجل الطالى *

وانتصب حبا على التميز المنقول من الفاعل والفتى الغلام وعرفه فى المملوك وفى الحديث لا يقل أحدكم عبدى وأمتى وليقل فتاى وفتاتى وقد قيل فى غير المملوك وأصل الفتى فى اللغة الشاب ولكنه لما كان جل الخدمة شبانا

* وقال الفضل فى اللغات الثلاث هو البزماورد وكل ملفوف بلحم ورقاق وقال أيضا المتك بالضم المائدة أو الخمر فى لغة كندة * السكين تذكر وتؤنث قاله الفراء والكسائى ولم يعرف الأصمعى فيه الا التذكير * حاش قال الفراء من العرب من يتمها وفى لغة الحجاز حاش لك و بعض العرب حشى زيد كانه أراد حشى لزيد وهى فى أهل الحجاز انتهى * وقال الزمخشرى حاشى كلمة تفيد معنى التنزيه فى الاستثناء تقول أساء القوم حاشى زيد قال

حاشى أبى ثوبان ان لنا * ضنا عن الملحاة والشتم

وهى حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاش الله براءة الله وتنزيه الله انتهى وما ذكر انها تفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء غير معروف عند النحويين لا فرق بين قولك قام القوم الا زيدا وقام القوم حاشى زيد ولما مثل بقوله أساء القوم حاشى زيد وفهم من هذا التمثيل براءة زيد من الاساءة جعل ذلك مستفادا منها فى كل موضع وأما ما أنشده من قوله حاشى أبى ثوبان فكذا ينشده ابن عطية وأكثر النحاة وهو بيت ركبوا فيه صدر بيت على عجز آخر وهما من بيتين وهما

حاشى أبى ثوبان ان أبا ثوبان ليس ببكمة قدم
عمرو بن عبد الله ان به * ضنا عن الملحاة والشتم

عصر العنب وغيره أخرج ما فيه من المائع بقوة * الخبز معروف وجمعه اخباز ومعانيه خباز * البضع ما بين الثلاث الى التسع قاله قتادة * وقال مجاهد من الثلاثة الى السبعة * وقال أبو عبيده البضع لا يبلغ العقد ولا نصف العقد وانما هو من الواحد الى العشرة * وقال الفراء ولا يذكر البضع الا مع العشرات ولا يذكر مع مائة ولا ألف * السمن معروف وهو مصدر سمن يسمن واسم الفاعل سمين والمصدر واسم الفاعل على غير قياس * العجفاء المهزولة جدا قال

* ورجال مكة مسنتون عجاف * الضغث أقل من الحزمة وأكثر من القبضة من النبات والعشب من جنس واحد أو من اخلاط النبات والعشب فمن جنس واحد ما روى فى قوله وخذ بيدك ضغثا فاضرب به انه أخذ عثكالا من النخل و روى ان الرسول صلى الله عليه وسلم فعل نحو هذا فى اقامة حد على رجل * وقال ابن مقبل

خود كان فراشها وضعت به * أضعاث ريحان غداة شمال

ومن الاخلاط قول العرب فى أمثالها ضغث على إبالة ﴿ وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها فى ضلال مبين ﴾ لم تلحق تاء التأنيث لأنه جمع تكسير

(الدر)

(ش) حاشى كلمة تفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء تقول أساء القوم حاشى زيد قال

حاشى أبى ثوبان ان به * ضنا عن الملحاة والشتم

وهى حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشى الله براءة الله وتنزيه الله (ح) ماذكره من انها تفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء غير معروف عند النحويين لا فرق بين قولك قام القوم الا زيدا وقام القوم حاشى زيد ولما مثل بقوله أساء القوم حاشى زيد وفهم هو من هذا التمثيل براءة زيد من الاساءة جعل ذلك مستفادا منها فى كل موضع وأما ما أنشده قوله حاشى أبى ثوبان البيت فهكذا أنشده (ع) وأكثر النحاة وهو بيت ركبوا فيه صدر بيت على عجز بيت آخر وهما من بيتين وهما حاشى أبى ثوبان ان أبا ثو * بان ليس ببكمة قدم عمرو بن عبد الله ان به * ضنا عن الملحاة والشتم

استعيرلهم اسم الفتى ثم نقمن ذلك عليها فقلن انا لنراها فى ضلال مبين أى تحير واضح للناس ﴿ فلما سمعت بمكرهن ﴾ روى أن تلك المقالة الصادرة عن النسوة انما قصدن بها المكر بامرأة العزيز ومكرهن هو اغتيابهن اياها وسوء مقالتهن فيها أنها عشقت يوسف وسمى الاغتياب مكرا لأنه فى خفية وحال غيبة كما يخفى الماكر مكره ﴿ أرسلت اليهن ﴾ الضمير عائد على تلك النسوة القائلة ماقلن عنها ﴿ وأعتدت ﴾ أى عدت ﴿ لهن متكئا ﴾ أى يسرت وهيأت لهن مايتكئن عليه من النمارق والمخاد والوسائد وغير ذلك ﴿ وآتت كل واحدة منهن سكينا ﴾ ومعلوم أن مثل هذا المجلس لابد فيه من طعام وشراب فيكون فى جملة الطعام مايقطع بالسكاكين فقيل كان لحما وكانوا لاينهشون اللحم انما كانوا يأكلونه حزا بالسكاكين ﴿ وقالت اخرج عليهن ﴾ هذا الخطاب ليوسف وخروجه يدل على طواعيتها فيما لايعصى الله فيه وفى الكلام حذف تقديره فخرج عليهن ومعنى أكبرنه أعظمنه ودهشن برؤية ذلك الجمال الفائق الرائع قيل كان فضل يوسف على الناس فى الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء ﴿ وقطعن أيديهن ﴾ أى جرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدى والتضعيف للتكثير فالجرح كأنه وقع مرارا فى اليد الواحدة وصاحبتها لا تشعر لما ذهلت بما راعها من جمال يوسف فكأنها غابت عن حسها والظاهر أن الأيدى هى الجوارح المسماة بهذا الاسم ولما فعلن هذا الفعل الصعب من جرح أيديهن وغلب عليهن ما رأين من يوسف وحسنه ﴿ قلن حاشا لله ﴾ أى حاشا يوسف أن يقارف مارمته به ومعنى لله لطاعة الله أو لمكانته من الله أو لترفيع الله أن يرمى بمارمته به أو يدعن الى مثله لان تلك أفعال البشر وهو ليس منهم انما هو ملك فعلى هذا تكون اللام فى لله للتعليل أى جانب يوسف المعصية لأجل طاعة الله قال الزمخشرى حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء تقول أساء القوم حاشى زيد * قال

حاشا أبى ثوبان ان به * ضنا عن الملحاة والشتم *

وهى حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله أى براءة الله وتنزيه الله انتهى ماذكره من أنها تفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء غير معروف عند النحويين لافرق بين قولك قام القوم الا زيدا وقام القوم حاشى زيد ولما مثل بقوله أساء القوم حاشا زيد وفهم هو من التمثيل براءة زيد من الاساءة جعل ذلك مستفادا منها فى كل موضع وأما ما أنشده حاشا أبى ثوبان البيت فهكذا أنشده أيضا ابن عطية وأكثر النحاة وهو بيت ركبوا فيه صدر بيت على عجز بيت آخر وهما من بيتين وهما

حاشا أبى ثوبان أن أبا * ثوبان ليس ببكمة قدم * عمرو بن عبد الله أن به * ضنا عن الملحاة والشتم

﴿ ماهذا بشرا ﴾ ولما كان غريب الجمال فائق الحسن عما عليه حسن صور الانسان نفين عنه البشرية وأثبتن له الملكية لما كان مركوزا فى الطباع حسن الملك وان كان لا يرى وقد نطق بذلك شعراء العرب والمحدثون قال بعض العرب

المؤنث ويجوز فيه الوجهان ونسوة كما ذكرنا جمع قلة وكن على مانقل خمسا امرأة خبازه وامرأة ساقيه وامرأة بوابه وامرأة سجانه وامرأة صاحب دوابه فى المدينة هى مصر ومعنى فى المدينة انهم أشاعوا هذا الأمر من حب امرأة العزيز ليوسف وصرحوا باضافتها الى العزيز مبالغة فى التشنيع لأن النفوس أقبل لسماع ذوى الاخطار ومايجرى لهم وعبرن بتراود وهو المضارع الدال على انه صار ذلك سجية لها تخادعه دائما عن نفسه كما تقول زيد يعطى و يمنع ولم يقلن راودت فتاها ثم نبهن على علة ديمومة المراودة وهى كونه قد شغفها حبا أى بلغ حبه شغاف قلبها وانتصب حبا على التمييز المنقول من الفاعل كقوله ملأت الاناء ماء أصله ملأ الماء الاناء وأصل هذا شغفها حبه والفتى الغلام وعرفه فى المملوك وفى الحديث لايقل أحدكم عبدى وأمتى وليقل فتاى وفتاتى * وقد قيل فى غير المملوك وأصل الفتى فى اللغة الشاب ولكنه لما كان جل الخدمة شبانا استعير لهم اسم الفتى * وقرأ ثابت البنانى شغفها بكسر الغين المعجمة والجمهور بالفتح * وقرأ على بن أبى طالب وعلى بن الحسين وابنه محمد بن على وابنه جعفر بن محمد والشعبى وعوف الاعرابى بفتح العين المهملة وكذلك قتادة وابن هرمز ومجاهد وحميد والزهرى بخلاف عنهم وروى عن ثابت البنانى وابن رجاء كسر العين المهملة * قال ابن زيد الشغف فى الحب والشعف فى البغض * وقال الشعبى الشغف والمشغوف بالغين منقوطة فى الحب والشعف الجنون والمشعوف المجنون وأدغم النحويان وحمزة وهشام وابن محيصن دال قد فى شين شغفها ثم نقمن عليها ذلك فقلن انا لنراها فى ضلال مبين أى فى تحير واضح للناس ﴿ فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكئا وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ﴾ روى ان تلك المقالة الصادرة عن النسوة انما قصدن بها المكر بامرأة العزيز ليغضبنها

حتى تعرض عليهن يوسف ليبين عذرها أو يحق لومها ومكرهن هو اغتيابهن اياها وسوء مقالتهن فيها انها عشقت يوسف وسمى الاغتياب مكرا لأنه فى خفية وحال غيبة كما يخفى الماكر مكره * وقيل كانت استكتمتهن سرها فأفشينه عليها أرسلت اليهن ليحضرن * قيل دعت أربعين امرأة منهن الجنس المذكورات والظاهر عود الضمير على تلك النسوة القائلة ما قلن عنها وأعتدت لهن متكئا أى يسرت وهيأت لهن ما يتكئن عليه من النمارق والمخاد والوسائد وغير ذلك مما يكون فى مجلس أعد للكرامة ومن المعلوم ان هذا النوع من الاكرام لا يخلو من طعام وشراب وهنا محذوف تقديره فجئن واتكأن ومتكئا إما أن يراد به الجنس وإما أن يكون المراد وأعتدت لكل واحدة منهن متكئا كما جاءت وآتت كل واحدة منهن سكينا * قال ابن عباس متكئا مجلسا ذكره الزهراوى ويكون متكئا ظرف مكان أى مكانا يتكئن فيه وعلى ما تقدم تكون الآلات التى يتكأ عليها * وقال مجاهد المتكأ الطعام يحز حزا * قال القتبى يقال اتكأنا عند فلان أى أكلنا ويكون هذا من المجاز عبر بالهيئة التى يكون عليها الآكل المترف بالمتكأ وهى عادة المترفين ألا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم أما أنا فلا آكل متكئا أو كما قال واذا كان المتكأ ليس معبرا به عما يؤكل فمعلوم ان مثل هذا المجلس لابد فيه من طعام وشراب فيكون فى جملة الطعام ما يقطع بالسكاكين * فقيل كان لحما وكانوا لا ينهشون اللحم انما كانوا يأكلونه حزا بالسكاكين * وقيل كان أترجا * وقيل كان بزماورد وهو شبيه بالاترج موجود فى تلك البلاد * وقيل هو مصنوع من سكر ولوز وأخلاط ومضمونه انه يحتاج الى أن يقطع بالسكين وعادة من يقطع شيأ أن يعتمد عليه فيكون متكئا عليه * قيل وكان قصدها فى بروزهن على هذه الهيئات متكئات فى أيديهن سكاكين يحززن بها شيئين أحدهما دهشهن عند رؤيته وشغلهن بأنفسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها فتبكتهن ويكون ذلك مكرا بهن إذ ذهلن عما أصابهن من تقطيع أيديهن وما أحسسن به مع الألم الشديد لفرط ما غلب عليهن من استحسان يوسف وسلبه عقولهن والثانى التهويل على يوسف بمكرها اذا خرج على نساء مجتمعات فى أيديهن الخناجر توهمه انهن يثبن عليه فيكون يحذر مكرها دائما ولعله يجيبها الى مرادها على زعمها ذلك ويوسف قد عصمه الله من كل ما تريده به من السوء * وقرأ الزهرى وأبو جعفر وشيبة متكى مشدد التاء من غير همز بوزن متق فاحتمل ذلك وجهين أحدهما أن يكون من الاتكاء وفيه تخفيف الهمز كما قالوا فى توضأت توضيت والثانى يكون مفتعلا من أوكيت السقاء اذا شددته أى ما يشتددن عليه اما بالاتكاء واما بالقطع بالسكين * وقرأ الاعرج متكأ مفعلا من تكأ يتكأ اذا اتكأ * وقرأ الحسن وابن هرمز متكاء بالمد والهمز وهو مفتعل من الاتكاء الا أنه أشبع الفتحة فتولدت منها الالف كما قالوا * ومن ذم الرجال بمنتزاح * وقالوا

أعوذ بالله من العقراب * الشائلات عقد الاذناب

* وقرأ ابن عباس وابن عمر ومجاهد وقتادة والضحاك والجحدرى والكلبى وابان بن تغلب متكا بضم الميم وسكون التاء وتنوين الكاف وجاء كذلك عن ابن هرمز * وقرأ عبد الله ومعاذ وكذلك الا أنهما فتحا الميم وتقدم تفسير متك ومتك فى المفردات وقالت اخرج عليهن هذا الخطاب ليوسف عليه السلام وخروجه يدل على طواعيتها فيما لا يعصى الله فيه وفى الكلام حذف تقديره فخرج عليهن ومعنى أكبرنه أعظمنه ودهشن برؤيه ذلك الجمال الفائق الرائع * قيل كان فضل يوسف على الناس فى الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وفى حديث الاسراء ان الرسول صلى الله

فلست لانسى ولكن لملأك
تنزل من جو السماء يصوب
وقال بعض المحدثين *
قوم اذا قوبلوا كانوا
ملائكة *
حسنا وان قوتلوا كانوا
عفاريتا *
وانتصاب بشرا على لغة
الحجاز وكذا جاء ماهن
أمهاتهم فما منكم من
أحد عنه حاجزين ولغة
تميم الرفع قال ابن عطية
ولم يقرأ به وقال الزمخشرى
ومن قرأ على سليقته من
بنى تميم قرأ بشر بالرفع
وهى قراءة ابن مسعود
انتهى

عليه وسلم لما أخبر بلقيا يوسف قيل يارسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر * وقيل كان اذا سار في أزقة مصر يرى تلأ لؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس * وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه * وقيل ورث الجمال عن جدته سارة * وقال عبد الصمد بن على الهاشمى عن أبيه عن جده معناه حضن وأنشد بعض النساء حجة لهذا التأويل

يأتى النساء على اطهارهن ولا * يأتى النساء اذا أكبرن اكبارا

قال ابن عطية وهذا قول ضعيف والبيت مصنوع مختلق كذلك قال الطبرى وغيره من المحققين وليس عبد الصمد من رواة العلم رحمه الله * وقال الزمخشرى وقيل أكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال أكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته من الكبر لانها بالحيض تخرج عن حد الصغر الى حد الكبر وكأن أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع * فان لحت حاضت في الخدور العواتق

انتهى واجماع القراء على ضم الهاء في الوصل دليل على انها ليست هاء السكت اذ لو كانت هاء السكت وكان من أجرى الوصل مجرى الوقف لم يضم الهاء والظاهر ان الضمير يعود في أكبرنه على يوسف ان ثبت ان أكبر بمعنى حاض فتكون الهاء عائدة على المصدر أى أكبرن الاكبار وقطعن أيديهن أى جرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدى والتضعيف للتكثير امابالنسبة لكثرة القاطعات واما بالنسبة لتكثير الحز في يد كل واحدة منهن فالجرح كانه وقع مرارا في اليد الواحدة وصاحبتها لاتشعر لما ذهلت بما راعها من جمال يوسف فكانها غابت عن حسها والظاهر ان الأيدى هى الجوارح المسماة بهذا الاسم * وقال عكرمة الأيدى هنا الاكمام ولما فعلن هذا الفعل الصعب من جرح أيديهن وغلب عليهن ما رأين من يوسف وحسنه قلن حاش لله * قرأ الجمهور حاش لله بغير ألف بعد الشين ولله بلام الجر * وقرأ أبو عمرو حاشا لله بغير ألف ولام الجر * وقرأت فرقة منهم الاعمش حشى على وزن رمى لله بلام الجر * وقرأ الحسن حاس بسكون الشين وصلا ووقفا بلام الجر * وقرأ أبى وعبد الله حاشى الله بالاضافة وعنهما كقراءة أبى عمرو وقاله صاحب اللوامح * وقرأ الحسن حاش الاله * قال ابن عطية محذوفا من حاشى * وقال صاحب اللوامح بحذف الألف وهذه تدل على كونه حرف جر يجر مابعده فاما الاله فانه فكه عن الادغام وهو مصدر أقيم مقام المفعول ومعناه المألوه بمعنى المعبود قال وحذفت الالف من حاس للتخفيف انتهى وهذا الذى قاله ابن عطية وصاحب اللوامح من أن الالف في حاشى في قراءة الحسن محذوفة لاتتعين الا ان نقل عنه أنه يقف في هذه القراءة بسكون الشين فان لم ينقل عنه في ذلك شئ فاحتمل أن تكون الالف حذفت لالتقاء الساكنين اذ الاصل حاشى الاله ثم نقل فحذف الهمزة وحرك اللام بحركتها ولم يعتد بهذا التحريك لانه عارض كما تحذف في يخشى الاله ولو اعتد بالحركة لم تحذف الألف * وقرأ أبو السمال حاشا الله بالتنوين كرعيا الله فاما القراآت لله بلام الجر في غير قراءة أبى السمال فلا يجوز أن يكون ماقبلها من حاشى أو حاس أو حشى أو حاس حرف جر لان حرف الجر لايدخل على حرف الجر ولانه تصرف فيهما بالحذف وأصل التصرف بالحذف أن لا يكون في الحروف وزعم المبرد وغيره كابن عطية انه يتعين فعليتها ويكون الفاعل ضمير يوسف أى حاشى يوسف أن يقارف مارمته به ومعنى لله لطاعة الله أو لمكانه من الله أو لترفيع الله أن يرمى بما رمته به أو يدعن الى مثله لان تلك أفعال البشر وهو ليس منهم انما هو ملك وعلى هذا تكون اللام في لله

للتعليل أي جانب يوسف المعصية لاجل طاعة الله أو لما ذهب قبل وذهب غير المبرد الى انها اسم وانتصابها انتصاب المصدر الواقع بدلا من اللفظ بالفعل كانه قال تنزيها لله ويدل على اسميتها قراءة أبي السمال حاشا منونا وعلى هذا القول يتعلق لله بمحذوف على البيان كلك بعد سقيا ولم ينون في القراآت المشهورة مراعاة لاصله الذي نقل منه وهو الحرف ألا تراهم قالوا من عن يمينه فجعلوا عن اسما ولم يعربوه وقالوا من عليه فلم يثبتوا ألفه مع المضمر بل أبقوا عن على بنائه وقلبوا ألف على مع الضمير مراعاة لأصلها وأما قراءة الحسن وقراءة أبي بالاضافة فهو مصدر مضاف الى ألفه كما قالوا سبحان الله وهذا اختيار الزمخشري * وقال ابن عطية وأما قراءة أبي بن كعب وابن مسعود فقال أبو علي ان حاشى حرف استثناء كما قال الشاعر * حاشى أبي ثوبان * انتهى وأما قراءة الحسن حاش بالتسكين ففيها جمع بين ساكنين وقد ضعفوا ذلك * قال الزمخشري والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله وأما قوله حاشى لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ماهذا بشرا لما كان غريب الجمال فائق الحسن عما عليه حسن صور الانسان نفين عنه البشرية وأثبتن له الملكية لما كان مركوزا في الطباع حسن الملك وان كان لا يرى وقد نطق بذلك شعراء العرب والمحدثون قال بعض العرب

فلست لأنسي ولكن لملاك * تنزل من جو السماء يصوب

وقال بعض المحدثين

قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة * حسنا وان قوتلوا كانوا عفاريتا

وانتصاب بشرا على لغة الحجاز ولذا جاء ماهن أمهاتهن ومامنكم من أحد عنه حاجزين ولغة تميم الرفع * قال ابن عطية ولم يقرأ به * وقال الزمخشري ومن قرأ على سليقته من بني تميم قرأ بشر بالرفع وهي قراءة ابن مسعود انتهى * وقرأ الحسن وأبو الحويرث الحنفي ماهذا بشرى قال صاحب اللوامح فيحتمل أن يكون معناه بمبيع أو بمشرى أي ليس هذا مما يشترى ويباع ويجوز أن يكون ليس بثمن كانه قال هو أرفع من أن يجرى عليه شئ من هذه الأشياء فالشراء هو مصدر أقيم مقام المفعول به وتابعهما عبد الوارث عن أبي عمرو على ذلك وزاد عليهما الاملك بكسر اللام واحد الملوك فهم نفوا بذلك عنه ذل المماليك وجعلوه في حيز الملوك والله أعلم انتهى ونسب ابن عطية كسر اللام للحسن وأبي الحويرث الذين قرآ بشرى قال لما استعظمن حسن صورته قلن هذا ما يصلح أن يكون عبدا بشرى ان هذا الا يصلح أن يكون ملكا كريما * وقال الزمخشري وقرئ ماهذا بشرى أي بعبد مملوك لئيم ان هذا الا ملك كريم تقول هذا بشرى أي حاصل بشرى بمعنى هذا مشترى وتقول هذا لك بشرى أي بكرا * وقال واعمال ماعمل ليس هي اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القرآن انتهى وانما قال القدمى لان الكثير في لغة الحجاز انما هو جر الخبر بالباء فتقول مازيد بقائم وعليه أكثر ما جاء في القرآن وأما نصب الخبر فمن لغة الحجاز القديمة حتى ان النحويين لم يجدوا شاهدا على نصب الخبر في أشعار الحجازيين غير قول الشاعر

وأنا النذير بحرة مسودة * تصل الجيوش اليكم أقوادها

أبناؤها متكنفون أباهم * حنقو الصدور وماهم أولادها

* وقال الفراء وهو سامع لغة حافظ ثقة لا يكاد أهل الحجاز ينطقون الا بالباء فلما غلب على أهل الحجاز النطق بالباء قال الزمخشري اللغة القدمى الحجازية فالقرآن جاء باللغتين القدمى وغيرها

(الدر)

(ش) واعمال ماعمل ليس هي اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القرآن انتهى (ح) انما قال القدمى لان الكثير في لغة الحجاز انما هو جر الخبر بالباء فتقول مازيد بقائم وعليه أكثر ما جاء في القرآن وأما نصب الخبر فمن لغة الحجاز القديمة حتى ان النحويين لم يجدوا شاهدا على نصب الخبر في أشعار الحجازيين غير قول الشاعر

وأنا النذير بحرة مسودة يصل الجيوش اليكم أقوادها

أبناؤها متكنفون أباهم حنقو الصدور وماهم أولادها

وقال الفراء وهو سامع لغة حافظ ثقة لا يكاد أهل الحجاز ينطقون الا بالباء فلما غلب على أهل الحجاز النطق بالباء قال (ش) اللغة القدمى الحجازية فالقرآن جاء باللغتين القدمى وغيرها

﴿قالت فذلكن الذي لمتنني فيه﴾ ذا اسم إشارة واللام لبعد المشار وكن خطاب لتلك النسوة والمعنى ان هذا الذي صدر منكن من الاكبار وتقطيع الايدي ونفي البشرية عنه واثبات الملكية له هو الذي لمتنني فيه أي في محبته ثم جعلت تتوعده مقسمة على ذلك وهو يسمع قولها ﴿ولئن لم يفعل ما آمره﴾ وما موصولة والضمير في ما آمره عائد على يوسف والعائد على الموصول محذوف تقديره ما آمره به أي من الموافقة لي فيما أريد واللام في لئن مؤذنة بقسم محذوف وجوابه ﴿ليسجنن﴾ وجاءت النون المشددة لانها آكد من المخففة ثم عطف عليه ﴿وليكونن﴾ بالنون الخفيفة لان الصغار أخف من السجن فقالت له النسوة أطع وافعل ما أمرتك به فقال ﴿رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه﴾ فاسند الفعل اليهن كلهن لما نصحن له وزين له مطاوعتها ونهينه عن القاء نفسه في السجن والصغار الذل فالتجأ الى الله والتقدير دخول السجن أحب الي وقرأ يعقوب وجماعة السجن بفتح السين وهو مصدر سجن أي حبسهم اياي في السجن أحب الي وأحب هنا ليست على بابها من التفضيل لانه لم يحبب ما يدعونه اليه قط وانما هذان شران فآثر أحد الشرين على الآخر وان كان في أحدهما مشقة وفي الآخر لذة لكن لما ترتب على تلك اللذة من معصية الله تعالى وسوء العاقبة لم يخطر له ببال ولما في الآخر من احتمال المشقة في ذات الله والصبر على النوائب وانتظار الفرج والحضور مع الله في كل وقت داعياله في تخليصه آثره ثم ناط العصمة بالله واستسلم له كعادة الانبياء والصالحين وأنه تعالى لا يصرف السوء الا هو فقال ﴿والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن﴾ أي أمل الى ما يدعونني اليه وجعل جواب الشرط قوله اليهن وهي كلمة مشعرة بالميل فقط لا بمباشرة المعصية ﴿وأكن من الجاهلين﴾ أي من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء وذكر استجابة الله له ولم يتقدم لفظ دعاء لان قوله والا تصرف عني فيه معنى طلب الصرف والدعاء وكأنه قال رب اصرف عني كيدهن ﴿فصرف عنه كيدهن﴾ أي حال بينه وبين المعصية ﴿انه هو السميع﴾ لدعاء الملتجئ اليه ﴿العليم﴾ بأحواله وما انطوت عليه نياته ﴿ثم بدا لهم من بعد﴾ أي ظهر والفاعل لبدا ضمير يفسره ما يدل عليه المعنى أي بدا لهم هو أي رأي وبدا كما قال الشاعر * بدا لك من تلك القلوص بداء * هكذا قاله النحاة والمفسرون الا من أجاز أن يكون الجملة فاعلة فانه زعم أن قوله ليسجننه في موضع الفاعل لبدا أي سجنه حتى حين والرد على هذا المذهب مذكور في النحو والذي أذهب اليه أن الفاعل ضمير يعود على السجن المفهوم من قوله ليسجنن أو من قوله السجن على قراءة الجمهور أو السجن على قراءة من قرأ بفتح السين والضمير في لهم للعزيز وأهله والآيات هي الشواهد الدالة على براءة يوسف وليسجننه جواب قسم محذوف والقسم وجوابه معمول لقول محذوف تقديره قائلين حتى حين والمعنى الى زمان والحين يدل على مطلق الوقت ومن عين له هنا زمانا فانما كان ذلك باعتبار مدة سجن يوسف لا أنه موضوع في اللغة لذلك وكأنها اقترحت زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي سجنهم ليوسف دليل على مكيدة النساء واستنزال المرأة لزوجها ومطاوعته لها وعشقه لها وجعله زمام أمره بيدها هذا مع ظهور خيانتها وبراءة يوسف صلى الله عليه وسلم وروي أنه لما امتنع يوسف من المعصية ويئست منه امرأة العزيز قالت لزوجها ان هذا الغلام العبراني قد فضحني في الناس وهو يعتذر اليهم ويصف الامر بحسب اختياره وأنا محبوسة محجوبة فاما أذنت لي فخرجت الى الناس فاعتذرت وكذبته واما حبسته كما أنا محبوسة فحينئذ بدا لهم سجنه قال ابن عباس فأمر به فحمل على حمار وضرب امامه بالطبل ونودي عليه في أسواق مصر أن يوسف العبراني أراد سيدته فهذا جزاؤه أن يسجن قال أبو صالح ما ذكر ابن عباس هذا الحديث الا بكى

﴿قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين * قال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين * فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم * ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين﴾ ذا اسم الاشارة واللام لبعد المشار وكن خطاب لتلك النسوة واحتمل أن يكون لما رأى دهشهن وتقطيع أيديهن بالسكاكين وقولهن ماهذا بشرا بعد عنهن ابقاء عليهن في أن لا تزداد فتنتهن وفي أن يرجعن الى حسنهن فأشارت اليه باسم الاشارة الذي للبعيد ويحتمل أن تكون أشارت اليه وهو للبعد قريب بلفظ البعيد رفعا لمنزلته في الحسن واستبعادا لمحله فيه وانه لغرابته بعيد أن يوجد منه واسم الاشارة تضمن الاوصاف السابقة

فيه كانه قيل الذي قطعتن أيديكن بسببه وأكبرتنه وقلتن فيه ماقلتن من نفي البشرية عنه واثبات الملكية له هو الذي لمتنني فيه أي في محبته وشغفي به * قال الزمخشري ويجوز أن يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول هذا ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن ثم لمتنني فيه يعني انكن لو تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به انتهى والضمير في فيه عائد على يوسف * وقال ابن عطية ويجوز أن تكون الاشارة الى حب يوسف والضمير عائد على الحب فيكون ذلك اشارة الى غائب على بابه انتهى ثم أقرت امرأة العزيز للنسوة بالمراودة واستنامت اليهن في ذلك اذ علمت انهن قد عذرنها * فاستعصم قال ابن عطية معناه طلب العصمة وتمسك بها وعصاني * وقال الزمخشري والاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع واستجمع الرأي واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لامزيد عليه وبرهان لاشيء أنور منه على أنه بريء مما أضاف اليه أهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان انتهى والذي ذكر التصريفيون في استعصم أنه موافق لاعتصم فاستفعل فيه موافق لافتعل وهذا أجود من جعل استفعل فيه للطلب لان اعتصم يدل على وجود اعتصامه وطلب العصمة لايدل على حصولها وأما أنه بناء مبالغة يدل على الاجتهاد في الاستزادة من العصمة فلم يذكر التصريفيون هذا المعنى لاستفعل وأما استمسك واستوسع واستجمع الرأي فاستفعل فيه موافقة لافتعل والمعنى امتسك واتسع واجتمع الرأي وأما استفحل الخطب فاستفعل فيه موافقة لتفعل أي تفحل الخطب نحو استكبر وتكبر ثم جعلت تتوعده مقسمة على ذلك وهو يسمع قولها بقولها ولئن لم يفعل ما آمره والضمير في آمره عائد على الموصول أي ما آمر به فحذف الجار كما حذف في أمرتك الخير ومفعول آمر الاول محذوف وكان التقدير ما آمره به وان جعلت ما مصدرية جاز فيعود الضمير على يوسف أي أمري اياه ومعناه موجب امري * وقرأت فرقة وليكونن بالنون المشددة وكتبها في المصحف بالألف مراعاة لقراءة الجمهور بالنون الخفيفة ويوقف عليها بالألف كقول الأعشى * ولاتعبد الشيطان والله فاعبدا * ومن الصاغرين من الاذلاء ولم يذكر هنا العذاب الأليم الذي ذكرته في ماجزاء من أراد بأهلك سوأ لانها اذذاك كانت في طراوة غيظها ومتنصلة من أنها هي التي راودته فناسب هناك التغليظ بالعقوبة وأما هنا فانها في طماعية ورجاء وأقامت عذرها عند النسوة فرقت عليه فتوعدته بالسجن وقال له النسوة أطع وافعل ما أمرتك به فقال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه فاسند الفعل اليهن لماينصحن له وزين له مطاوعتها ونهينه عن القاء نفسه في السجن والصغار فالتجأ الى الله تعالى والتقدير دخول السجن * وقرأ عثمان ومولاه طارق وزيد بن علي والزهري وابن أبي اسحاق وابن هرمز ويعقوب السجن بفتح السين وهو مصدر سجن أي حبسهم اياي في السجن أحب الي وأحب هنا ليست على بابها من التفضيل لانه لم يحب مايدعونه اليه قط وانما هذان شران فآثر أحد الشرين على الآخر وان كان في أحدهما مشقة وفي الآخر لذة لكن لما يترتب على تلك اللذة من معصية الله وسوء العاقبة لم يخطر له ببال ولما في الآخر من احتمال المشقة في ذات الله والصبر على النوائب وانتظار الفرج والحضور مع الله تعالى في كل وقت داعياله في تخليصه آثره ثم ناط العصمة بالله واستسلم لله كعادة الانبياء والصالحين وأنه تعالى لايصرف السوء الاهو فقال والاتصرف عني كيدهن أصب اليهن أي أمل الى ما

يدعونني اليه وجعل جواب الشرط قوله أصب وهي كلمة مشعرة بالميل فقط لا بمباشرة المعصية * وقرئ أصب اليهن من صببت صبابة فانا صب والصبابة افراط الشوق كأنه ينصب فيما يهوى * وقراءة الجمهور أصب من صبا الى اللهو يصبو صبا وصبوا و يقال صبا يصبا صبا والصبا بالكسر اللهو واللعب وأكن من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء أو من السفهاء لان الوقوع في موافقة النساء والميل اليهن سفاهة قال الشاعر

احدى بليلى وما هام الفؤاد بها * الا السفاه والاذكرة حلما

وذكر استجابة الله ولم يتقدم لفظ دعاء لان قوله والا تصرف عني فيه معنى طلب الصرف والدعاء وكأنه قال رب اصرف عني كيدهن فصرف عنه كيدهن أي حال بينه و بين المعصية انه هو السميع لدعاء الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما انطوت عليه نياتهم ثم بدا لهم أي ظهر لهم والفاعل لبدا ضمير يفسره ما يدل عليه المعنى أي بدا لهم هو أي رأى أو بدا كما قال

* بدا لك من تلك القلوص بداء * هكذا قاله النحاة والمفسرون الا من أجاز أن تكون الجملة فاعلة فانه زعم أن قوله ليسجننه في موضع الفاعل لبدا أي سجنه حتى حين والرد على هذا المذهب مذكور في علم النحو والذي أذهب اليه ان الفاعل ضمير يعود على السجن المفهوم من قوله ليسجنن أو من قوله السجن على قراءة الجمهور أو على السجن على قراءة من فتح السين والضمير في لهم للعزيز وأهله والآيات هي الشواهد الدالة على براءة يوسف * قال مجاهد وغيره قد القميص فان كان الشاهد طفلا فهي آية عظيمة وان كان رجلا فيكون استدلالا بالعادة والذي يظهر ان الآية انما يعبر بها عن الواضح الجلي وبجمعها يدل على ظهور أمور واضحة دلت على براءته وقد تكون الآيات التي رأوها لم ينص على جميعها في القرآن بل رأوا قول الشاهد وقد القميص وغير ذلك مما لم يذكره وأما ما ذكره عكرمة ان من الآيات خمش وجهها والسدي من حز أيديهن فليس في ذلك دلالة على البراءة فلا يكون آية وليسجننه جواب قسم محذوف والقسم وجوابه معمول لقول محذوف تقديره قائلين * وقرأ الحسن لتسجننه بالتاء على خطاب بعضهم العزيز ومن يليه أو العزيز وحده على وجه التعظيم * وقرأ ابن مسعود عتى بابدال الحاء عينا وهي لغة هذيل وأقرأ بذلك فكتب اليه يأمره أن يقرئ بلغة قريش حتى لا بلغة هذيل والمعنى الى زمان والحين يدل على مطلق الوقت ومن عين له هنا زمانا فانما كان ذلك باعتبار مدة سجن يوسف لا انه موضوع في اللغة كذلك وكانها اقترحت زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي سجنهم ليوسف دليل على مكيدة النساء واستنزال المرأة زوجها ومطاوعته لها وعشقه لها وجعله زمام أمره بيدها هذا مع ظهور رخيانتها وبراءة يوسف * روى انه لما امتنع يوسف من المعصية و يئست منه امرأة العزيز قالت لزوجها ان هذا الغلام العبراني قد فضحني في الناس وهو يعتذر اليهم و يصف الامر بحسب اختياره وانا محبوسة محجوبة فاما أذنت لي نخرجت الى الناس فاعتذرت وكذبته والا حبسته كما أنا محبوسة فحينئذ بدا لهم سجنه * قال ابن عباس فامر به فحمل على حمار وضرب بالطبل ونودي عليه في أسواق مصر ان يوسف العبراني أراد سيدته فهذا جزاؤه أن يسجن * قال أبو صالح ما ذكر ابن عباس هذا الحديث الا بكى ﴿ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما اني أراني أعصر خمرا

الاعظم الوليد بن الريان أحدهما خبازه والآخر ساقيه واتهمهما الملك بأن الخابز منهما أراد سمه و وافقه على ذلك الساقي فسجنهما ومع تدل على الصحبة واستعدادها فدل على أنهم سجنوا الثلاثة في ساعة واحدة ولما دخل يوسف السجن استمال الناس بحسن حديثه وفضله ونبله وكان يسلي حزينهم ويعود مريضهم و يسأل لفقيرهم و يهديهم الى الخير فأحبه الفتيان ولزماه وأحبه صاحب السجن والقيم عليه وقال له كن في أي البيوت شئت وكان

(الدر)

ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين (ح) الفاعل لبدا ضمير يفسره ما يدل عليه المعنى أي بدا لهم هو أي رأى أو بدا كما قال الشاعر

* بدا لك في تلك القلوص بداء *

هكذا قال النحاة والمفسرون الا من أجاز أن تكون الجملة فاعلة فانه زعم ان قوله ليسجننه في موضع الفاعل لبدا أي سجنه حتى حين والرد على هذا المذهب مذكور في علم النحو والذي أذهب اليه أن الفاعل ضمير يعود على السجن المفهوم من قوله ليسجنن أو من قوله السجن على قراءة الجمهور أو على السجن على قراءة من فتح السين

يوسف صلى الله عليه وسلم قال لاهل السجن انى أعبر الرؤيا وأجيد ورأى الحلمية جرت مجرى أفعال القلوب فى جواز كون فاعلها ومفعولها ضميرين متحدى المعنى فأرانى فيه ضمير الفاعل المستكن وقد تعدى الفعل الى الضمير المتصل

وقال الآخر انى أرانى أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين ﴾ فى الكلام حذف تقديره فسجنوه فدخل معه السجن غلامان * وروى انهما كانا للملك الاعظم الوليد بن الريان أحدهما خبازه والآخر ساقيه * وروى ان الملك اتهمهما بان الخابز منهما أراد سمه ووافقه على ذلك الساقى فسجنهما قاله السدى ومع تدل على الصحبة واستحداثها فدل على انهم سجنوا الثلاثة فى ساعة واحدة ولما دخل يوسف السجن استمال الناس بحسن حديثه وفضله ونبله وكان يسلى حزينهم ويعود مريضهم ويسأل لفقيرهم ويندبهم الى الخير فأحبه الفتيان ولزماه وأحبه صاحب السجن والقيم عليه وقال له كن فى أى البيوت شئت فقال له يوسف لا تحبنى يرحمك الله فلقد أدخلت على المحبة مضرات أحبتنى عمتى فامتحنت بمحبتها وأحبنى ابى فامتحنت بمحبته وأحبتنى امرأة العزيز فامتحنت بمحبتها بما ترى وكان يوسف عليه السلام قد قال لاهل السجن انى أعبر الرؤيا وأجيد * وروى ان الفتيين قالا له انا لنحبك من حين رأيناك فقال أنشدكما الله أن لا تحبانى وذكر ما تقدم * وعن قتادة كان فى السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول اصبروا وابشروا تؤجروا ان لهذا الاجر افقالوا بارك الله عليك ما أحسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا فى جوارك فمن أنت يا فتى قال يوسف ابن صفى الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك وهذه الرؤيا التى للفتيين قال مجاهد رأيا ذلك حقيقة فأرادا سؤاله وقال ابن مسعود والشعبى استعملاها ليجرباه والذى رأى عصر الخمر اسمه بنو قال رأيت حبلة من كرم لها ثلاثة اغصان حسان فيها عناقيد عنب حسان فكنت اعصرها وأسقى الملك والذى رأى الخبز اسمه ملحب قال كنت أرى أن أخرج من مطبخة الملك وعلى رأسى ثلاث سلال فيها خبز والطير تأكل من أعلاه ورأى الحالمية جرت مجرى أفعال القلوب فى جواز كون فاعلها ومفعولها ضميرين متحدى المعنى فأرانى فيه ضمير الفاعل المستكن وقد تعدى الفعل الى الضمير المتصل وهو رافع للضمير المتصل وكلاهما لمدلول واحد ولا يجوز أن يقول اضربنى ولا أكرمنى وسمى العنب خمرا باعتبار ما يؤول اليه * وقيل الخمر بلغة غسان اسم العنب * وقيل فى لغة أزد عمان * وقال المعتمر لقيت اعرابيا يحمل عنبا فى وعاء فقلت ما تحمل قال خمرا أراد العنب * وقرأ أبى وعبد الله أعصر عنبا وينبغى أن يحمل ذلك على التفسير لمخالفته سواد المصحف وللثابت عنهما بالتواتر قراءتهما أعصر خمرا * قال ابن عطية ويجوز أن يكون وصف الخمر بأنها معصورة اذ العصر لها ومن أجلها وفى مصحف عبد الله فوق رأسى ثريدا تأكل الطير منه وهو أيضا تفسير لا قراءة والضمير فى تأويله عائد الى ما قصا عليه أجرى مجرى اسم الاشارة كانه قيل بتأويل ذلك * وقال الجمهور من المحسنين أى فى العلم لانهما رأيا منه ما علما به انه عالم * وقال الضحاك وقتادة من المحسنين فى حديثه مع أهل السجن واجماله معهم * وقال ابن اسحق أرادا إخباره انهما يريان له احسانا عليهما وبدا اذا تأول لهما ما رأياه ﴿ قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمنى ربى انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون *

وهو رافع الضمير المتصل وكلاهما لمدلول واحد ولا يجوز أن يقول اضربنى ولا أكرمنى وأعصر فى موضع المفعول الثانى وخمرا ليس المعصور انما عصير ما يؤول ماؤه الى الخمر فعبر عنه بما يكون مآله الى الخمر نبئنا يدل على أنه كان نبأهم على أنه كان يحسن تعبير الرؤيا ﴿قال لا يأتيكما طعام ﴾ الآية لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترض ذلك فوصف يوسف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وأنه ينبئهما بما يجعل لهما من الطعام قبل أن يأتيهما ويصفه لهما وقيل كان ذلك فى اليقظة وقيل كان فى النوم فقالا له ومن أين لك ما تدعيه من العلم وأنت لست بكاهن ولا منجم فقال لهما ﴿ذلكما مما علمنى ربى ﴾ وجعل ذلك تخلصا الى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح لهما الشرك بالله تعالى وروى أنه نبئ فى السجن والظاهر أن قوله ﴿ انى تركت ﴾ استئناف اخبار بما هو عليه اذ كانا قد أحباه وكلفا به وبحسن أخلاقه ليعلمهما ما هو عليه من مخالفة قومهما فيتبعاه وفى الحديث لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وعبر بتركت مع أنه لم يتشبث بتلك الملة قط اجراء للترك مجرى التجنب من أول حاله واستجلابا لهما لان يترك تلك الملة التى كانا فيها والذين لا يؤمنون هم أهل مصر

ونبه على أصلين عظيمين الايمان بالله والايمان بدار الجزاء وكرر لفظة هم على سبيل التوكيد وحسن ذلك الفصل قال الزمخشري وتكريرهم للدلالة على أنهم خصوصا كافرون بالآخرة وأن غيرهم مؤمنون بها ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على

واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون * قال الزمخشري لما استعداه ووصفاه بالاحسان افترض ذلك فوصف يوسف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وانه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما أخبرهما ويجعل ذلك تخلصا الى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح لهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذي علم أن يسلكها مع الجهال والفسقة اذا استفتاه واحد منهم أن يقدم الارشاد والموعظة والنصيحة أولا ويدعوه الى ما هو أولى به وأوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه أن يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية بتأويله بيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب عن معانيه انتهى وهذا الذي قاله الزمخشري يدل على ان اتيان الطعام يكون في اليقظة وهو قول ابن جريج قال أراد يوسف لا يأتيكما في اليقظة ترزقانه الانبأتكما منه بعلم وبما يؤول اليه أمر كما قبل أن يأتيكما فعلى هذا أراد أن يعلمهم أنه يعلم مغيبات لا تتعلق بالرؤيا وهذا على ما روى أنه نبئ في السجن * وقال السدي وابن اسحق لما علم من تعبير منامه رأى الخبز أنها تؤذن بقتله أخذ في غير ذلك الحديث تنسية لهما أمر المنام وطماعية في ايمانهما ليأخذ المقتول بحظه من الايمان وتسلم له آخرته فقال لهما معلنا بعظيم علمه للتعبير انه لا يجيئكما طعام في يومكما تريان انكما رزقتماه الا أعلمتكما بتأويل ذلك الطعام أي بما يؤول اليه أمره في اليقظة قبل أن يظهر ذلك التأويل الذي أعلمكما به فروى انهما قالا له ومن أين لك ما تدعيه من العلم وأنت لست بكاهن ولا منجم فقال لهما ذلك مما علمني ربي والظاهر ان قوله لا يأتيكما الى آخره انه في اليقظة وان قوله مما علمني ربي دليل على انه إذ ذاك كان نبيا يوحى اليه والظاهر أن قوله اني تركت استئناف إخبار بما هو عليه إذ كانا قد أحباه وكلفا بحبه وبحسن أخلاقه ليعلمهما ما هو عليه من مخالفة قومهما فيتبعاه وفي الحديث لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وعبر بتركت مع انه لم يتشبث بتلك الملة قط اجراء للترك مجرى التجنب من أول حالة واستجلابا لهما لأن يتركا تلك الملة التي كانا فيها ويجوز أن يكون اني تركت تعليلا لما قبله أي علمني ذلك وأوحى الي لاني رفضت ملة أولئك واتبعت ملة الانبياء وهي الملة الحنيفية وهؤلاء الذين لا يؤمنون هم أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم ونبه على أصلين عظيمين وهما الايمان بالله والايمان بدار الجزاء وكررهم على سبيل التوكيد وحسن ذلك الفصل * وقال الزمخشري وتكريرهم للدلالة على أنهم خصوصا كافرون بالآخرة وان غيرهم مؤمنون بها ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء انتهى وليست عندنا هم تدل على الخصوص وباقي ألفاظه ألفاظ المعتزلة ولما ذكر أنه رفض ملة أولئك ذكر اتباعه ملة آبائه ليريهما أنه من بيت النبوة بعد أن عرفهما أنه نبي بما ذكر من اخباره بالغيوب لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه واتباع قوله * وقرأ الاشهب العقيلي والكوفيون آبائي باسكان الياء وهي مروية عن أبي عمرو * ما كان لنا ما صح

ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها الا كافر بدار الجزاء انتهى ليست عندنا هم تدل على الخصوص وباقي ألفاظه ألفاظ المعتزلة

﴿ واتبعت ملة آبائي ﴾ لما ذكر أنه رفض ملة أولئك ذكر اتباعه ملة آبائه ليريهما أنه من بيت النبوة بعد أن عرفهما أنه نبي بما ذكره من اخباره بالغيوب لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه وايقاع قوله ﴿ ما كان لنا ﴾ ما صح وما استقام لنا معشر الأنبياء ﴿ أن نشرك بالله من شئ ﴾ عموم في الملك والجني والانسي فكيف بالصنم الذي لا يسمع ولا يبصر فشئ يراد به المشرك ويجوز أن يراد به المصدر أي شئ من الاشراك فيعم الاشراك ويلزم عموم متعلقاته ومن زائدة لانها في حيز النفي اذ المعنى ما نشرك بالله شيئا والاشارة بذلك الى شرعهم وملتهم

(الدر)

(ش) وتكريرهم للدلالة على انهم خصوصا كافرون بالآخرة وان غيرهم مؤمنون بها ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء (ح) ليست عندنا هم تدل على الخصوص وباقي ألفاظه ألفاظ المعتزلة

﴿ ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴾ لما ذكر ماهو عليه من الدين الحنيف تلطف في حسن الاستدلال على فساد ماعليه قوم الفتيين من عبادة الاصنام فناداهما باسم الصحبة في المكان الشاق الذي تخلص فيه المودة وتمحض فيه النصيحة واحتمل قوله ياصاحبي السجن أن يكون من باب الاضافة الى الظرف والمعنى ياصاحبي في السجن واحتمل أن يكون من باب إضافته الى شبه المفعول كأنه قيل ياساكني السجن كقوله تعالى أصحاب النار وأصحاب الجنة ثم أورد الدليل على بطلان ملة قومهما بقوله أأرباب فأبرز ذلك في صورة الاستفهام حتى لاينفر طباعهما من المفاجأة بالدليل من غير استفهام وهكذا الوجه في محاجة الجاهل أن يؤخذ بدرجة يسيرة من الاحتجاج يقبلها فاذا قبلها لزمته عنها درجة أخرى فوقها ثم كذلك حتى يصل الى الاذعان بالحق وقابل تفرق آلهتهم بالوحدانية وجاء بصفة القهار تنبيها على أنه تعالى له هذا الوصف الذي معناه الغلبة والقدرة التامة واعلاما بعجز أصنامهم عن هذا الوصف الذي لاينبغي أن يعبد الا المتصف به وهم عالمون بأن تلك الاصنام جماد والمعنى أعبادة أرباب متكاثرة في العدد خير أم عبادة واحد قهار وهو الله تعالى فمن ضرورة العاقل يرى خيرية عبادة الله تعالى ثم استطرد بعد هذا الاستفهام الى الاخبار عن حقيقة ماتعبدون والخطاب بقوله ﴿ماتعبدون﴾ لهما ولقومهما من أهل مصر ومعنى ﴿الأسماء﴾ الألفاظا أحدثتموها ﴿أنتم وآباؤكم﴾ فهي فارغة لامسميات تحتها وتقدم تفسير مثل هذه الجملة في الأعراف ﴿ ان الحكم الا لله ﴾ أي ليس لكم ولا لأصنامكم حكم ما الحكم في العبادة والدين الا لله ثم بين ماحكم به فقال ﴿ أمر ألا تعبدوا الا اياه ﴾ ومعنى القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين ﴿لايعلمون﴾ لجهالاتهم وغلبة الكفر عليهم ﴿ ياصاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا ﴾ الآية لما ألقى اليهما

ولا اعتقام لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شئ عموم في الملك والجني والانسي فكيف بالصنم الذي لايسمع ولا يبصر فشئ يراد به المشرك ويجوز أن يراد به المصدر أي من شئ من الاشراك فيعم الاشراك ويلزم عموم متعلقاته ومن زائدة لأنها في حيز النفي إذ المعنى مانشرك بالله شيئا والاشارة بذلك الى شركهم وملتهم أي ذلك الدين والشرع الحنيفي الذي انتفى فيه الاشراك بالله من فضل الله علينا أي على الرسل إذ خصوا بأن كانوا وسائط بين الله وعباده وعلى الناس أي على المرسل اليهم إذ يساقون به الى النجاة حيث أرشدوهم اليه وقوله لايشكرون أي لايشكرون فضل الله فيشركون ولا ينتبهون *وقيل ذلك من فضل الله علينا لأنه نصب لنا الادلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل ذلك لسائر الناس من غير تفاوت ولكن أكثر الناس لاينظرون ولا يشكرون اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين ﴿ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ماتعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أمر أن لاتعبدوا الا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ لما ذكر ماهو عليه من الدين الحنيفي تلطف في حسن الاستدلال على فساد ماعليه قوم الفتيين من عبادة الاصنام فناداهما باسم الصحبة في المكان الشاق الذي تخلص فيه المودة وتمحض فيه النصيحة واحتمل قوله ياصاحبي السجن ان يكون من باب الاضافة الى الظرف والمعنى ياصاحبي في السجن واحتمل أن يكون من اضافته الى شبه المفعول كأنه قيل ياساكني السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة ثم أورد الدليل على بطلان ملة قومهما بقوله أأرباب فأبرز ذلك في صورة الاستفهام حتى لاتنفر طباعهما من المفاجأة بالدليل من غير استفهام وهكذا الوجه في محاجة الجاهل ان يؤخذ بدرجة يسيرة من الاحتجاج يقبلها فاذا قبلها لزمته عنها درجة أخرى فوقها ثم كذلك الى ان يصل الى الاذعان بالحق وقابل تفرق أربابهم بالواحد وجاء بصفة القهار تنبيها على أنه تعالى له هذا الوصف الذي معناه الغلبة والقدرة التامة واعلاما بعجز أصنامهم عن هذا الوصف الذي لاينبغي أن يعبد الا المتصف به وهم عالمون بأن تلك الاصنام جماد والمعنى أعبادة أرباب متكاثرة في العدد خير أم عبادة واحد قهار وهو الله فمن ضرورة العاقل يرى خيرية عبادته ثم استطرد بعد الاستفهام الى الاخبار عن حقيقة ما يعبدون والخطاب بقوله ماتعبدون لهما ولقومهما من أهل ومعنى الأسماء أي ألفاظا أحدثتموها أنتم وآباؤكم فهي فارغة لامسميات تحتها وتقدم تفسير مثل هذه الجملة في الاعراف ان الحكم الا لله أي ليس لكم ولا لأصنامكم حكم ما الحكم في العبادة والدين الا لله ثم بين ماحكم به فقال أمر ان لاتعبدوا الا إياه ومعنى القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين لايعلمون بجهالاتهم وغلبة الكفر عليهم ﴿ ياصاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي

الأمر الذي فيه تستفتيان * وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين * لما ألقى اليهما ما كان أهم وهو أمر الدين رجاء في ايمانهما ناداهما ثانيا لتجمع أنفسهما لسماع الجواب فروى انه قال لبنو "أما أنت فتعود الى مرتبتك وسقاية ربك وما رأيت من الكرامة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده وأما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة أيام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه * وقال للخباز أما أنت فما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتصلب فروى انهما قالا ما رأينا شيئا وانما تحالمنا لنجرب بك * وروى انه لم يقل ذلك الا الذي حدثه بالصلب * وروى انهما رأيا ثم أنكرا * وقرأ الجمهور فيسقي ربه من سقى وفرقة فيسقي من أسقى وهما لغتان بمعنى واحد * وقرئ في السبعة نسقيكم ونسقيكم * وقال صاحب اللوامح سقى وأسقى بمعنى واحد في اللغة والمعروف ان سقاه ناوله ليشرب وأسقاه جعل له سقيا ونسب ضم الفاء لعكرمة والجحدري ومعنى ربه سيده * وقال ابن عطية وقرأ عكرمة والجحدري فيسقى ربه خمرا بضم الياء وفتح القاف أي ما يروى به * وقال الزمخشري وقرأ عكرمة فيسقى ربه فيسقى ما يروى به على البناء للمفعول ثم أخبرهما يوسف عليه السلام عن غيب علمه من قبل الله ان الامر قد قضي ووافق القدر وسواء كان ذلك منكما حلما أو تحالما وأفرد الامر وان كان أمر هذا لأن المقصود انما هو عاقبة أمرهما الذي أدخلا به السجن وهو اتهام الملك اياهما بسمه فرأيا ما رأيا أو تحالما بذلك فقضيت وأمضيت تلك العاقبة من نجاة أحدهما وهلاك الآخر * وقال أي يوسف للذي ظن أي أيقن هو أي يوسف انه ناج وهو الساقي ويحتمل أن يكون ظن على بابه والضمير عائد على الذي وهو الساقي أي لما أخبره يوسف بما أخبره ترجح عنده أنه ينجو ويبعد أن يكون الظن على بابه ويكون مسندا الى يوسف على ما ذهب اليه قتادة والزمخشري * قال قتادة الظن هنا على بابه لأن عبارة الرؤيا ظن * وقال الزمخشري الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تأويله بطريق الاجتهاد فيبعد لأن قوله قضي الامر فيه تحتم ما جرى به القدر وامضاؤه فيظهر ان ذلك بطريق الوحي الا أن حمل قضي الامر على قضي كلامي وقلت ما عندي فيجوز أن يعود على يوسف والمعنى أن يوسف عليه السلام قال لساقي الملك حين علم انه سيعود الى حالته الأولى مع الملك اذكرني عند الملك أي بعلمي ومكاني وما أنا عليه مما آتاني الله أو اذكرني بمظلمتي وما امتحنت به بغير حق وهذا من يوسف على سبيل الاستعانة والتعاون في تفريج كربه وجعله باذن الله وتقديره سببا للخلاص كما جاء عن عيسى عليه السلام من أنصاري الى الله وكما كان الرسول يطلب من يحرسه والذي أختاره أن يوسف انما قال لساقي الملك اذكرني عند ربك ليتوصل الى هدايته وايمانه بالله كما توصل الى ايضاح الحق للساقي ورفيقه والضمير في فأنساه عائد على الساقي ومعنى ذكر ربه ذكر يوسف لربه والاضافة تكون بأدنى ملابسة وانساء الشيطان له بما يوسوس اليه من اشتغاله حتى يذهل عما قال له يوسف لما أراد الله بيوسف من اجزال أجره بطول مقامه في السجن وبضع سنين مجمل * فقيل سبع * وقيل اثنا عشر والظاهر أن قوله فلبث في السجن اخبار عن مدة مقامه في السجن منذ سجن الى أن أخرج * وقيل هذا اللبث هو ما بعد خروج الفتيين وذلك سبع * وقيل سنتان * وقيل الضمير في انساه عائد على يوسف ورتبوا على ذلك أخبارا لا تليق نسبتها الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام

ما كان أهم وهو أمر الدين رجاء في ايمانهما ناداهما ثانيا لتجمع أنفسهما السماع الجواب فروى أنهما قالا ما رأينا شيئا وانما تحالمنا لنجرب بك فأخبرهما يوسف صلى الله عليه وسلم عن غيب علمه من قبل الله أن الأمر قد قضي ووافق القدرة وسواء كان ذلك منكما حلما أم تحالما وأفرد الامر وان كان أمر هذا غير أمر هذا الان المقصود انما هو عاقبة أمرهما الذي أدخلا به السجن وهو اتهام الملك اياهما بسمه فرأيا ما رأيا أو تحالما بذلك ﴿وقال﴾ أي يوسف ﴿للذي ظن﴾ أي أيقن هو أي يوسف ﴿أنه ناج﴾ هو الساقي والذي يظهر أن يوسف صلى الله عليه وسلم انما قال لساقي الملك ﴿اذكرني عند ربك﴾ ليتوصل الى هدايته وايمانه بالله كما توصل الى ايضاح الحق للساقي ورفيقه والضمير في فأنساه عائد على الساقي ومعنى ذكر ربه أي ذكر يوسف لربه والاضافة تكون بأدنى ملابسة وإنساء الشيطان له بما يوسوس اليه من اشتغاله حتى يذهل عما قال له يوسف لما أراد الله بيوسف من اجزال أجره بطول مقامه في السجن و ﴿بضع سنين﴾ مجمل فقيل سبع وقيل اثنا عشر والظاهر أن قوله فلبث في السجن اخبار عن مدة مقامه في السجن منذ سجن الى أن أخرج

﴿ وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون * قالوا أضغاث أحلام ومانحن بتأويل الاحلام بعالمين﴾ لما دنا فرج يوسف عليه السلام رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته فرأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا آخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فلم يجد فى قومه من يحسن عبارتها أرى يعنى فى منامه ودل على ذلك أفتونى فى رؤياى وأرى حكاية حال فلذلك جاء بالمضارع دون رأيت وسمان صفة لقوله بقرات ميز العدد بنوع من البقرات وهى السمان منهن لا بجنسهن ولو نصب صفة لسبع لكان التميز بالجنس لا بالنوع ويلزم من وصف البقرات بالسمن وصف السبع به ولا يلزم من وصف السبع به وصف الجنس به لانه يصير المعنى سبعا من البقرات سمانا وفرق بين قولك عندى ثلاث رجال كرام وثلاثة رجال كرام لان المعنى فى الاول ثلاثة من الرجال الكرام فيلزم كرم الثلاثة لانهم بعض من الرجال الكرام والمعنى فى الثانى ثلاثة من الرجال كرام فلا يدل على وصف الرجال بالكرم ولم يضف سبع الى عجاف لان اسم العدد لا يضاف الى الصفة الا فى الشعر انما تتبعه الصفة وثلاثة فرسان وخمسة أصحاب من الصفات التى أجريت مجرى الاسماء ودل قوله سبع بقرات على ان السبع العجاف بقرات كانه قيل سبع بقرات عجاف أو بقرات سبع عجاف وجاء جمع عجفاء على عجاف وقياسه عجف كخضراء وخضر حملا على سمان لانه نقيضه وقد يحمل النقيض على النقيض كما يحمل النظير على النظير والتقسيم فى البقرات يقتضى التقسيم فى السنبلات فيكون قد حذف اسم العدد من قوله وأخر يابسات لدلالة قسيمه وماقبله عليه فيكون التقدير وسبعا أخر يابسات ولا يصح أن يكون وأخر مجرورا عطفا على سنبلات خضر لانه من حيث العطف عليه كان من جملة مميز سبع ومن جهة كونه أخر كان مباينا السبع فتدافعا بخلاف ان لو كان التركيب سبع سنبلات خضر ويابسات فانه كان يصح العطف ويكون من توزيع السنبلات الى خضر ويابسات والملأ اشراف دولته وأعيانهم الذين يحضرون عند الملك * وقرأ أبو جعفر بالادغام فى الرؤيا وبابه بعد قلب الهمزة واوا ثم قلبها ياء لاجتماع الواو والياء وقد سبقت احداهما بالسكون ونصوا على شذوذه لان الواو هى بدل غير لازم واللام فى الرؤيا مقوية لوصول الفعل الى مفعوله اذا تقدم عليه فلو تأخر لم يحسن ذلك بخلاف اسم الفاعل فانه لضعفه قد تقوى بها فتقول زيد ضارب لعمرو فصيحا والظاهر ان خبر كنتم هو قوله تعبرون * وأجاز الزمخشرى فيه وجوها متكلفة أحدها أن تكون الرؤيا للبيان قال كقوله وكانوا فيه من الزاهدين فتتعلق بمحذوف تقديره أعنى فيه وكذلك تقدير هذا ان كنتم أعنى الرؤيا تعبرون ويكون مفعول تعبرون محذوفا تقديره تعبرونها * والثانى أن تكون الرؤيا خبر كان قال كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا آخر أو حالا * والثالث أن يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وعبارة الرؤيا مأخوذة من عبر النهر اذا جازه من شط الى شط فكان عابر الرؤيا ينتهى الى آخر تأويلها وعبر الرؤيا بتخفيف الباء ثلاثيا وهو المشهور وأنكر بعضهم

رؤيا عجيبة هالته فرأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فلم يجد فى قومه من يحسن عبارتها أرى يعنى فى منامه ودل على ذلك أفتونى فى رؤياى وأرى حكاية حال فلذلك جاء بالمضارع دون رأيت وجاء لفظ بقرات وسنبلات مجموعا جمع سلامة فى المؤنث لانه موضوع فى القلة فناسب لفظ سبع وللرؤيا مفعول تعبرون قوى تعدى الفعل باللام لتأخره فتقول زيدا ضربت ولزيد ضربت فلو تأخر المفعول عن الفعل لم يجئ باللام الا قليلا كقول الشاعر
فلما أن توافقنا قليلا * أنخنا للكلاكل فارتمينا
يريد أنخنا الكلاكل وأضغاث خبر مبتدإ محذوف تقديره هى أى تلك الرؤيا أضغاث أحلام والاضغاث جمع ضغث أى تخاليط أحلام وهو ما يكون من حديث النفس أو وسوسة الشيطان أو مزاج الانسان وأصله اخلاط النبات استعير للاحلام وجمعوا الاحلام وان كانت رؤياه واحدة اما باعتبار متعلقاتها اذ هى أشياء ونفوا عن أنفسهم العلم بتأويل الأحلام أى لسنا من أهل تعبير الرؤيا

التشديد وأنشد المبرد في الكامل قول الشاعر

رأيت رؤياثم عبرتها * وكنت للاحلام عبارا

وأضغاث جمع ضغث أي تخاليط أحلام وهي ما يكون من حديث النفس أو وسوسة الشيطان أو مزاج الانسان وأصله اخلاط النبات استعير للاحلام وجمعوا الاحلام وان رؤياه واحدة امابا عتبار متعلقاتها اذهي أشياء واما باعتبار جواز ذلك كما تقول فلان يركب الخيل وان لم يركب الافرسا واحدا تعليقا بالجنس واما بكونه قص عليهم مع هذه الرؤيا غيرها والاحلام جمع حلم وأضغاث خبر مبتدأ محذوف أي هي أضغاث أحلام والظاهر أنهم نفوا عن أنفسهم العلم بتأويل الاحلام أي لسنا من أهل تعبير الرؤيا ويجوز أن تكون الاحلام المنفي علمها أرادوا بها الموصوفة بالتخليط والاباطيل أي وما نحن بتأويل الاحلام التي هي أضغاث بعالمين أي لايتعلق علم لنا بتأويل تلك لانه لاتأويل لها انما التأويل للمنام الصحيح فلا يكون في ذلك نفي للعلم بتأويل المنام الصحيح ولاتصور علمهم والباء في بتأويل متعلقة بقوله بعالمين ﴿وقال الذي نجا منهما وادّكر بعد أمّة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون * يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع الى الناس لعلهم يعلمون * قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون * ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون * وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بكيدهن عليم * قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين * ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين * وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم * وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين * قال اجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليم * وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين * ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون * وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون * ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين * فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون * قالوا سنراود عنه أباه وانا لفاعلون * وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى أهلهم لعلهم يرجعون * فلما رجعوا الى أبيهم قالوا ياأبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وانا له لحافظون * قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين * ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا ياأبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير﴾ أمه يأمه أمها وأمها نسي * يغاث يحتمل أن يكون من الغوث وهو الفرج يقال أغاثهم الله فرج عنهم ويحتمل أن يكون من الغيث تقول غيثت البلاد اذا أمطرت ومنه قول الاعرابية * غثنا ماشئنا * الخطب الشان والامر الذي فيه خطر ويجمع على خطوب قال

وما المرء مادامت حشاشة نفسه * بمدرك أطراف الخطوب ولا آل

حصحص تبين بعد الخفاء قاله الخليل * وقيل مأخوذ من الحصة حصحص الحق بانت حصته من

﴿ وقال الذي نجا منهما ﴾ أي تذكر ما سبق له مع يوسف ﴿ بعد أمة ﴾ أي مدة طويلة والجملة من قوله وادكر حالية وأصله اذتكر أبدلت التاء دالا وأدغمت الدال فيها فصار ادّكر ﴿ أنا أنبئكم بتأويله ﴾ أي أخبركم عمن عنده علمه ﴿ فأرسلون ﴾ أي ابعثوني وفي الكلام حذف تقديره فأرسلوه الى يوسف فأتاه فقص عليه رؤيا الملك قال تزرعون الى آخره تضمن هذا الكلام من يوسف عليه السلام ثلاثة أنواع من القول أحدها تعبير بالمعنى لا باللفظ الثاني عرض رأي وأمر به وهو قوله فذروه في سنبله والثالث الاعلام بالغيب في أمر العام الثامن والظاهر أن قوله تزرعون سبع سنين دأبا خبر أخبر أنهم تتوالى لهم هذه السنون السبع لا ينقطع فيها زرعهم للري الذي يوجد ﴿ فذروه في سنبله ﴾ اشارة برأي نافع بحسب طعام مصر وحنطتها التي لا تبقى عامين بوجه الا بحيلة ابقائها في السنبل فاذا بقيت فيها انحفظت والمعنى اتركوا الزرع في السنبل الا ما لا غنى عنه للاكل فيجمع الطعام ويتركب ويؤكل الاقدم فالاقدم فاذا جاءت السنون الجدبة تقوت الاقدم فالاقدم من ذلك المدخر وحذف المميز في قوله سبع شداد أي سبع سنين شداد لدلالة قوله سبع سنين عليه وأسند الاكل اليهن في قوله يأكلن على سبيل المجاز من حيث انه يؤكل فيها كما قال تعالى والنهار مبصرا ومعنى تحصنون تحرزون وتخبئون مأخوذ من الحصن وهو الحرز والملجأ وقرئ دأبا بفتح الهمزة وسكونها وما شرطية وجوابه فذروه قال ابن عباس ﴿ يغاث ﴾ من الغيث وقيل من الغوث وهو الفرج ففي الاول يبنى من ثلاثي وفي الثاني من رباعي تقول غاثنا الله من الغيث وأغاثنا من الغوث وقرئ تعصرون بالتاء على الخطاب وقرئ بالياء على الغيبة والجمهور على انه من عصر النبات كالعنب والقصب والزيتون والسمسم والفجل وجميع ما يعصر ومصر بلد عصير لأشياء كثيرة وفي الكلام

حصة الباطل * وقيل ثبت واستقر ويكون متعديا من حصحص البعير ألقى ثفناته للاناخة قال * حصحص في صم الصفا ثفناته * الجهاز ما يحتاج اليه المسافر من زاد ومتاع وكل ما يحمل وجهاز العروس ما يكون معها من الاثاث والشورة وجهاز الميت ما يحتاج اليه في دفنه * الرحل ما على ظهر المركوب من متاع الراكب أو غيره وجمعه رحال في الكثرة وأرحل في القلة * مار يمير وأمار يمير اذا جلب الخير وهي الميرة قال

بعثتك مائرا فمكثت حولا * متى يأتي غياثك من تغيث

البعير في الاشهر الجمل مقابل الناقة وقد يطلق على الناقة كما يطلق على الجمل فيقول على هذا نعم البعير الجمل لعمومه ويمتنع على الأشهر لترادفه وفي لغة تكسر باؤه ويجمع في القلة على أبعرة وفي الكثرة على بعران ﴿ وقال الذي نجا منهما وادّكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع الى الناس لعلهم يعلمون * قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون * ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون * ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ﴾ لما استفتى الملك في رؤياه وأعضل على الملا تأويلها تذكر الناجي من القتل وهو ساقي الملك يوسف وتأويل رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبته اليه ليذكره عند الملك وادكر أي تذكر ما سبق له مع يوسف بعد أمة أي مدة طويلة والجملة من قوله وادكر حالية وأصله واذتكر أبدلت التاء دالا وأدغمت الذال فيها فصار ادّكر وهي قراءة الجمهور * وقرأ الحسن واذكر بابدال التاء ذالا وادغام الذال فيها * وقرأ الاشهب العقيلي بعد إمّة بكسر الهمزة أي بعد نعمة أنعم عليه بالنجاة من القتل * وقال ابن عطية بعد نعمة أنعم الله بها على يوسف في تقريب اطلاقه والامة النعمة قال

ألا لا أرى ذا إمة أصبحت به * فتتركه الأيام وهي كما هيا

* قال الاعلم الامة النعمة والحال الحسنة * وقرأ ابن عباس وزيد بن علي والضحاك وقتادة وأبو رجاء وشبيل بن عزرة الضبعي وربيعة بن عمرو بعد أمه بفتح الهمزة والميم مخففة وهاء وكذلك قرأ ابن عمر ومجاهد وعكرمة واختلف عنهم * وقرأ عكرمة وأيضا مجاهد وشبيل بن عزرة بعد أمه بسكون الميم مصدر أمه على غير قياس * وقال الزمخشري ومن قرأ بسكون الميم فقد أخطأ انتهى وهذا على عادته في نسبته الخطأ الى القراء * انا أنبئكم بتأويله أي أخبركم به عمن عنده علمه لا من جهتي * وقرأ الحسن أنا آتيكم مضارع أتى من الاتيان وكذا في الامام وفي مصحف أبي فأرسلون أي ابعثوني اليه لأسأله ومروني باستعباره استأذن في المضي الى يوسف * فقال ابن عباس كان في السجن في غير

مدينة الملك * وقيل كان فيها و برسم الناس اليوم سجن يوسف فى موضع على النيل بينه و بين الفسطاط ثمانية أميال وفى الكلام حذف التقدير فأرسلوه الى يوسف فأتاه فقال والصديق بناء مبالغة كالشريب والسكير وكان قد صحبه زمانا وجرب صدقه فى غير ماشئ كتأويل رؤياه ورؤيا صاحبه وقوله لعلى أرجع الى الناس أى بتفسير هذه الرؤيا واحترز بلفظة لعلى لانه ليس على يقين من الرجوع اليهم اذ من الجائز أن يخترم دون بلوغه اليهم وقوله لعلهم يعلمون كالتعليل لرجوعه اليهم بتأويل الرؤيا * وقيل لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبونك و يخلصونك من محنتك فتكون لعل كالتعليل لقوله أفتنا*قال تزرعون الى آخره تضمن هذا الكلام من يوسف ثلاثة أنواع من القول * أحدها تعبير بالمعنى لا باللفظ * والثانى عرض رأى وأمر به وهو قوله فذروه فى سنبله * والثالث الاعلام بالغيب فى أمر العام الثامن قاله قتادة * قال ابن عطية و يحتمل هذا أن لا يكون غيبا بل علم العبارة أعطى انقطاع الخوف بعد سبع ومعلوم أنه الأخصب انتهى والظاهر أن قوله تزرعون سبع سنين دأبا اخبار أخبر أنهم تتوالى لهم هذه السنون السبع لا ينقطع فيها زرعهم للرى الذى يوجد * وقال الزمخشرى تزرعون خبر فى معنى الأمر كقوله تؤمنون بالله و رسوله وتجاهدون وانما يخرج الأمر فى صورة الخبر للمبالغة فى ايجاب انجاز المأمور به فيجعل كأنه وجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه فى معنى الامر قوله فذروه فى سنبله انتهى ولا يدل الامر بتركه فى سنبله على أن تزرعون فى معنى ازرعوا بل تزرعون اخبار غيب بما يكون منهم من توالى الزرع سبع سنين وأما قوله فذروه فهو أمر اشارة بما ينبغى أن يفعلوه ومعنى دأبا ملازمة كعادتكم فى المزارعة * وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة والجمهور باسكانها وهما مصدران لدأب وانتصابه بفعل محذوف من لفظه أى تدأبون دأبا فهو منصوب على المصدر وعند المبرد بتزرعون بمعنى تدأبون وهى عنده مثل قعد القرفصاء *وقيل مصدر فى موضع الحال أى دائبين أو ذوى دأب حالا من ضمير تزرعون وما فى قوله فما حصدتم شرطية أو موصولة بذروه وفى سنبله اشارة برأى نافع بحسب طعام مصر وحنطتها التى لا تبقى عامين بوجه الا بحيلة ابقائها فى السنبل فاذا بقيت فيها انحفظت والمعنى اتركوا الزرع فى السنبل الا ما لا غنى عنه للاكل فيجتمع الطعام و يتركب و يؤكل الاقدم فالاقدم فاذا جاءت السنون الجدبة تقوت الاقدم فالاقدم من ذلك المدخر * وقرأ السلمى مما يأكلون بالياء على الغيبة أى يأكل الناس وحذف المميز فى قوله سبع شداد أى سبع سنين شداد لدلالة قوله سبع سنين عليه وأسند الأكل الذى فى قوله يأكلن على سبيل المجاز من حيث انه يؤكل فيهما كما قال والنهار مبصرا ومعنى تحصنون تحرزون وتخبؤن مأخوذ من الحصن وهو الحرز والملجأ * وقال ابن عباس ومجاهد والجمهور يغاث من الغيث * وقيل من الغوث وهو الفرج ففى الأول بنى من ثلاثى وفى الثانى من رباعى تقول غاثنا الله من الغيث وأغاثنا من الغوث * وقرأ الاخوان تعصرون بالتاء على الخطاب و باقى السبعة بالياء على الغيبة والجمهور على انه من عصر النبات كالعنب والقصب والزيتون والسمسم والفجل وجميع ما يعصر ومصر بلد عصير لاشياء كثيرة والحلب منه لانه عصر للضروع وروى انهم لم يعصروا شيأ مدة الجدب * وقال أبو عبيدة وغيره مأخوذ من العصرة والعصر وهو المنجى ومنه قول أبى زبيد فى عثمان رضى الله عنه

صاديا يستغيث غير مغاث * ولقد كان عصرة المنجود

يوسف قال له ارجع الى ربك وهو الملك فسئله ما بال النسوة ليعلم الملك براءة يوسف صلى الله عليه وسلم مما نسب اليه فأحضر الملك النسوة وقال الملك ما خطبكن ومن كرم يوسف صلى الله عليه وسلم أنه سكت عن زوج العزيز مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب

(الدر)

(ش) تزرعون خبر فى معنى الأمر كقوله تؤمنون بالله و رسوله وتجاهدون وانما يخرج الأمر فى صورة الخبر للمبالغة فى ايجاب انجاز المأمور به فيجعل كانه قد وجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه فى معنى الامر قوله فذروه فى سنبله انتهى (ح) لا يدل الامر بتركه فى سنبله على ان تزرعون فى معنى ازرعوا بل تزرعون اخبار غيب عما يكون منهم من توالى الزرع سبع سنين وأما قوله فذروه فهو أمر اشارة بما ينبغى أن يفعلوه قال جامعه الذى أراده (ش) أنهم أمروا بترك المحصود فى سنبله ولا يمكن ذلك الا بالزرع فكانهم أمروا بالزرع

عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره واستشهد بعلم الله تعالى على أنهن كذبه وأنه برىء مما قذف به فالضمير فى بكيدهن عائد على النسوة المذكورات لا للجنس لانها حالة توقيف على ذنب وجاء النسوة بالألف واللام للعهد فى قوله وقال نسوة كما قال تعالى فأرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول ﴿ قال ماخطبكن ﴾ فى الكلام حذف تقديره فرجع اليه الرسول فاخبره بما قال يوسف فجمع الملك النسوة وامرأة العزيز وقال لهن ماخطبكن وهذا استدعاء منه أن يعلمنه بالقصة ونزه جانب يوسف بقوله ﴿ إذ راودتن يوسف عن نفسه ﴾ ومراودتهن له قولهن له أطع مولاتك فأجاب النسوة بجواب جيد تظهر منه براءة أنفسهن جملة وتنزيه يوسف بقولهن ﴿ ماعلمنا عليه من سوء ﴾ فلما سمعت امرأة العزيز مقالتهن فى براءة يوسف أقرت باعظم ماأقررن به اذ كانت هى من أقوى سبب فيما جرى من المراودة ومن سجن يوسف ﴿ قالت الآن حصحص الحق ﴾

فالمعنى ينجون بالعصرة * وقرأ جعفر بن محمد والاعرج وعيسى البصرة يعصرون بضم الياء وفتح الصاد مبنيا للمفعول وعن عيسى أيضا تعصرون بالتاء على الخطاب مبنيا للمفعول ومعناه ينجون من عصره اذا أنجاه وهو مناسب لقوله يغاث الناس * وقال ابن المستنير معناه يمطرون من أعصرت السحابة ماءها عليهم فجعلوا معصرين مجازا باسناد ذلك اليهم وهو الماء الذى يمطرون به * وحكى النقاش أنه قرئ يعصرون بضم الياء وكسر الصاد وشدها من عصر مشددا للتكثير * وقرأ زيد ابن على وفيه تعصرون بكسر التاء والعين والصاد وشدها وأصله تعتصرون فادغم التاء فى الصاد ونقل حركتها الى العين واتبع حركة التاء لحركة العين واحتمل أن يكون من اعتصر العنب ونحوه ومن اعتصر بمعنى نجا قال الشاعر

لو بغير الماء حلقى شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصارى

أى نجائى تأول يوسف عليه السلام البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بمجىء العام الثامن مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحى وعن قتادة زاده الله علم سنة والذى من جهة الوحى هو التفضيل بحال العام بانه فيه يغاث الناس وفيه يعصرون والافعلوم بانتهاء السبع الشداد مجىء الخصب ﴿ وقال الملك ائتونى به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله مابال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ان ربى بكيدهن عليم * قال ماخطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ماعلمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ﴾ فى الكلام حذف تقديره فحفظ الرسول ما أول به يوسف الرؤيا وجاء الى الملك ومن أرسله وأخبرهم بذلك وقال الملك * وقال ابن عطية فى تضاعيف هذه الآيات محذوفات يعطيها ظاهر الكلام ويدل عليها والمعنى فرجع الرسول الى الملك ومن مع الملك فنص عليهم مقالة يوسف فرأى الملك وحاضروه نبل التعبير وحسن الرأى وتضمن الغيب فى أمر العام الثامن مع ماوصفه به الرسول من الصدق فى المنام المتقدم فعظم يوسف فى نفس الملك وقال ائتونى به فلما وصل الرسول فى اخراجه اليه وقال ان الملك قد أمر بان تخرج اليه قال له ارجع الى ربك أى الى الملك وقل له مابال النسوة ومقصد يوسف عليه السلام انما كان وقل له يستقصى عن ذنبى وينظر فى أمرى هل سجنت بحق أو بظلم وكان هذا الفعل من يوسف اناءة وصبرا وطلبا لبراءة الساحة وذلك أنه فيما روى خشى أن يخرج وينال من الملك مرتبة ويسكت عن أمر دينه صفحا فيراه الناس بتلك العين أبدا ويقولون هذا الذى راود امرأة مولاه فأراد يوسف عليه السلام أن يبين براءته ويحقق منزلته من العفة والخير وحينئذ يخرج للاحظاء والمنزلة * وقال الزمخشرى انما تأنى وتثبت فى اجابة الملك وقدم سؤال النسوة لتظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح أمره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ماخلد فى السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به أن يسجن ويعذب ويكشف سره وفيه دليل على أن الاجتهاد فى نفى التهم واجبة وجوب اتقاء الوقوف فى مواقفها قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم انتهى ولاجل هذا كان الزمخشرى وكان مقطوع الرجل قد أثبت على القضاة أن رجله لم تقطع فى خيانة ولا فساد وكان يظهر ذلك المكتوب فى كل بلد دخله خوفا من تهمة السوء وانما قال سل الملك عن

وقرئ حصحص مبنيا للمفعول وأتبعت ذلك بقولها ﴿ أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ﴾

شأن النسوة ولم يقل سله أن يفتش عنهن لان السؤال مما يهيج الانسان و يحركه للبحث عما سئل عنه فأراد أن يورد عليه السؤال ليجري التفتيش عن حقيقة القصة وقص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل ومن كرم يوسف عليه السلام أنه لم يذكر زوج العزيز مع ماصنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات الايدي * وقرأ أبو حيوة وأبو بكر عن عاصم في رواية النسوة بضم النون وقرأت فرقة اللاي بالياء وكلاهما جمع التي ان ربي أي ان الله بكيدهن عليم أراد أن كيدهن عظيم لايعلمه الا الله لبعد غوره وا ستشهد بعلم الله على انهن كدنه وأنه برىء مما قذف به أو أراد الوعيد لهن أو هو عليم بكيدهن فيجازيهن عليه * وقال ابن عطية و يحتمل أن يريد بالرب العزيز مولاه ففي ذلك استشهاد به وتقريع وماذكره ابن عطية من هذا الاحتمال لايسوغ والضمير في بكيدهن عائد على النسوة المذكورات لا للجنس لانها حالة توقيف على ذنب قال ماخطبكن في الكلام حذف تقديره فرجع الرسول فاخبره بما قال يوسف فجمع الملك النسوة وامرأة العزيز وقال لهن ماخطبكن وهذا استدعاء منه أن يعلمنه بالقصة ونزه جانب يوسف بقوله اذ راودتن يوسف عن نفسه مراودتهن له قولهن ليوسف أطع مولاتك * وقال الزمخشري هل وجدتن منه ميلا لكن قلن حاش لله تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها * وقال ابن عطية أجاب النساء بجواب جيد تظهر منه براءة أنفسهن جملة وأعطين يوسف بعض براءة وذلك ان الملك لما قررهن انهن راودنه قلن جوابا عن ذلك حاش لله و يحتمل أن يكون قولهن حاش لله في جهة يوسف عليه السلام وقولهن ماعلمنا عليه من سوء ليس بابراء تام وانما كان الابراء التام وصف القصة على وجهها حتى يتقرر الخطأ في جهتهن فلما سمعت امرأة العزيز مقالتهن وحيدتهن عن الوقوع في الخزي قالت الآن حصحص الحق وقرىء حصحص على البناء للمفعول أقرت على نفسها بالمراودة والتزمت الذنب وأبرأت يوسف البراءة التامة ﴿ذلك ليعلم اني لم أخنه بالغيب وان الله لايهدي كيد الخائنين * وما أبرىء نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم﴾ الظاهر أن هذا من كلام امرأة العزيز وهو داخل تحت قوله قالت والمعنى ذلك الاقرار والاعتراف بالحق ليعلم يوسف اني لم أخنه في غيبته والذب عنه وأرميه بذنب هو منه برىء ثم اعتذرت عما وقعت فيه مما يقع فيه البشر من الشهوات بقولها وما أبرىء نفسي والنفوس مائلة الى الشهوات امارة بالسوء * وقال الزمخشري وما أبرىء نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قذفته وقلت ماجزاء من أراد بأهلك سوءا الا أن يسجن وأودعته السجن تريد الاعتذار لما كان منها ان كل نفس لأمارة بالسوء الا نفسا رحمها الله بالعصمة ان ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت ومن ذهب الى أن قوله ذلك ليعلم الى آخره من كلام يوسف يحتاج الى تكلف ربط بينه و بين ماقبله ولا دليل يدل على أنه من كلام يوسف فقال ابن جريج في الكلام تقديم وتأخير وهذا الكلام متصل بقول يوسف ان ربي بكيدهن عليم وعلى هذا فالاشارة بقوله ذلك الى القائه في السجن والتماسه البراءة أي هذا ليعلم سيدي اني لم أخنه وقال بعضهم انما قال يوسف هذه المقالة حين قالت امرأة العزيز كلامها الى قولها وانه لمن الصادقين فالاشارة على هذا الى قولها وصنع الله فيه وهذا يضعف لأنه يقتضي حضوره مع النسوة عند الملك فكيف يقول الملك بعد ذلك ائتوني به وفسر الزمخشري الآية أولا على انها من كلام يوسف فقال أي ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز اني لم أخنه بظهر الغيب في حرمته وان الله لايهدي كيد الخائنين لاينفذه

﴿ ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾ الآية الظاهر أن هذا من كلام امرأة العزيز وهو داخل تحت قوله قالت والمعنى ذلك الاقرار والاعتراف بالحق ليعلم يوسف أني لم أخنه في غيبته وأكذب عليه وأرميه بذنب هو برىء منه ثم اعتذرت عما وقعت فيه مما يقع فيه البشر من الشهوات بقولها ﴿ وما أبرىء نفسي﴾ والنفوس مائلة الى الشهوات أمارة بالسوء ومن ذهب الى أن قوله ذلك ليعلم إلى آخره من كلام يوسف يحتاج الى تكلف ربط بينه و بين ماقبله ولا دليل يدل على أنه من كلام يوسف اذ لم يكن يوسف حاضرا وقت سؤال الملك النسوة واقرار امرأة العزيز بما أقرت به

(الدر)

(ع) ويحتمل أن يريد بالرب مولاه العزيز ففي ذلك استشهاد به وتقريع له انتهى (ح) ماذكره (ع) من هذا الاحتمال لايسوغ

﴿ وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى ﴾ الآية روى أن الرسول جاءه فقال أجب الملك فخرج من السجن ودعا لأهله فلما دخل على الملك قال اللهم انى أسئلك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ماهذا اللسان قال لسان آبائى وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فأجابه يوسف عليه السلام بجميعها فتعجب منه ومعنى أستخلصه أجعله خالصا لنفسى وخاصالى وفى الكلام حذف تقديره فأتوه به والظاهر أن الفاعل بكلمه ضمير يوسف أى فلما كلم يوسف الملك ورأى الملك حسن منطقه بما صدق به الخبر ﴿ قال انك اليوم لدينا مكين ﴾ أى ذو مكانة ومنزلة ﴿ أمين ﴾ مؤتمن على كل شئ ولما وصفه الملك بالتمكن عنده والامانة طلب من الاعمال ما يناسب هذين الوصفين ﴿ فقال اجعلنى على خزائن الارض ﴾ أى ولنى خزائن أرضك ﴿ انى حفيظ ﴾ أحفظ ما تستحفظه ﴿ عليم ﴾ بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة والكفاءة وهما مقصود الملوك ممن يولونه اذ هما يعمان وجوه التثقيف والحياطة ولا خلل معهما لعامل وجاء حفيظ بصفة المبالغة وهى مقصودة ولمناسبة قوله عليم وكان الملك لا يصدر عن رأى يوسف ولا يعترض عليه فى كل ما رأى وكان فى حكم التابع ﴿ وكذلك ﴾ أى مثل ذلك التمكين فى نفس الملك ﴿ مكنا ليوسف فى الارض ﴾ مصر ﴿ يتبوأ منها حيث يشاء ﴾ أى يتخذ منها مباءة ومنزلا كل مكان أراد فاستولى على جميعها ودخلت تحت سلطانه روى أن الملك توجه بتاجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه وجعل له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه

ولا يسدده وكأنه تعريض بامرأته فى خيانتها فى أمانة زوجها و به فى خيانته أمانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه ويجوز أن يكون توكيدا لأمانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده ثم أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا ولحالها فى الامانة معجبا كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وليبين ان ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال وما أبرئ نفسى من الزلل وما أشهد لها بالبراءة الكلية ولا أزكيها ان النفس لأمارة بالسوء أراد الجنس أى هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل على ما فيه من الشهوات انتهى وفيه تكثير وتحميل للفظ ما ليس فيه ويزيد على عادته فى خطابته ولما أحس الزمخشرى باشكال قول من قال انه من كلام يوسف قال (فان قلت) كيف صح أن يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك (قلت) كفى بالمعنى دليلا قائدا الى أن يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملأ من قوم فرعون ان هذا الساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم انتهى وهذا ليس كما ذكر إذ لا يتعين فى هذا التركيب أن يكون من كلام فرعون بل هو من كلام الملأ تقدمهم فرعون الى هذه المقالة فقالوا ذلك بعض لبعض فيكون فى قول فرعون يريد أن يخرجكم خطابا للملأ من فرعون ويكون فى هذا التركيب خطابا من بعضهم لبعض ولا يتنافى اجتماع المقالتين وبالغيب يحتمل أن يكون حالا من الفاعل أى غائبا عنه أو من المفعول أى غائبا عنى أو ظرفا أى بمكان الغيب والظاهر ان الا ما رحم ربى استثناء متصل من قوله لأمارة بالسوء لأنه أراد الجنس بقوله ان النفس فكأنه قال الا النفس التى رحمها ربى فلا تأمر بالسوء فيكون استثناء من الضمير المستكن فى أمارة ويجوز أن يكون مستثنى من مفعول أمارة المحذوف إذ التقدير لأمارة بالسوء صاحبها الا الذى رحمه ربى فلا تأمره بالسوء وجوزوا أن يكون مستثنى من ظرف الزمان المفهوم عمومه من ما قبل الاستثناء وما ظرفية إذ التقدير لأمارة بالسوء مدة بقائها الا وقت رحمة الله العبد وذهابه بها عن اشتهاء المعاصى وجوزوا أن يكون استثناء منقطعا وما مصدريه وذكر ابن عطية انه قول الجمهور أى ولكن رحمة ربى هى التى تصرف الاساءة ﴿ وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين * قال اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم * وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوأ منها حيث

(الدر) (ش) فان قلت كيف صح ان يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك * قلت كفى بالمعنى دليلا قائدا الى أن يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم انتهى (ح) هذا ليس كما ذكر اذ لا يتعين فى هذا التركيب أن يكون من كلام فرعون بل هو من كلام الملأ تقدمهم فرعون الى هذه المقالة فقالوا ذلك بعض لبعض فيكون فى قول فرعون يريد أن يخرجكم خطابا للملأ من فرعون ويكون فى هذا التركيب خطابا من بعضهم لبعض ولا يتنافى اجتماع المقالتين

يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين * ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ روى ان الرسول جاءه فقال أجب الملك فخرج من السجن ودعا لأهله اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار فى الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انى أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ماهذا اللسان فقال لسان آبائى وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه وقال أيها الصديق انى أحب أن أسمع رؤياى منك قال رأيت بقرات سمان فوصف لونهن وأحوالهن وما كان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التى رآها الملك لا يخرم منها حرفا وقال له من حفظك أن تجعل الطعام فى الاهراء فيأتيك الخلق من النواحى يمتارون منك ويجتمع لك من المكنون ما لم يجتمع لاحد قبلك وكان يوسف قصد أولا بتثبته فى السجن أن يرتقى الى أعلى المنازل فكان استدعاء الملك اياه أولا بسبب علم الرؤيا فلذلك قال ائتونى به فقط فلما فعل يوسف ما فعل فظهرت أمانته وصبره وهمته وجودة نظره وتأنيه فى عدم التسرع اليه بأول طلب عظمت منزلته عنده فطلبه ثانيا ومقصوده استخلاصه لنفسه ومعنى أستخلصه أجعله خالصا لنفسى وخاصا بى وسمى الله فرعون مصر ملكا إذ هى حكاية اسم مضى حكمه وتصرم زمنه فلو كان حيا لكان حكمه اذا قيل لكافر ملك أو أمير ولهذا كتب النبى صلى الله عليه وسلم الى هرقل عظيم الروم ولم يقل ملكا ولا أميرا لأن ذلك حكم والجواب مسلم وتسلموا وأما كونه عظيمهم فتلك صفة لا تفارقه كيف ما تقلب وفى الكلام حذف التقدير فسمع الملك كلام النسوة وبراءة يوسف مما رمى به فأراد رؤيته وقال ائتونى به فأتاه فلما كلمه والظاهر أن الفاعل بكلمه هو ضمير الملك أى فلما كلمه الملك ورأى حسن جوابه ومحاورته ويحتمل أن يكون الفاعل ضمير يوسف أى فلما كلم يوسف الملك ورأى الملك حسن منطقه بما صدق به الخبر الخبر والمرء مخبوء تحت لسانه قال انك اليوم لدينا مكين أى ذو مكانة ومنزلة أمين مؤتمن على كل شئ * وقيل أمين آمن والوصف بالامانة هو الابلغ فى الاكرام وبالامن يحط من اكرام يوسف ولما وصفه الملك بالتمكن عنده والامانة طلب من الاعمال ما يناسب هذين الوصفين فقال اجعلنى على خزائن الارض أى ولنى خزائن أرضك انى حفيظ أحفظ ما تستحفظه عليم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة والكفاءة وهما مقصود الملوك ممن يولونه إذ هما يعمان وجوه التثقيف والحياطة ولا خلل معهما لقائل * وقيل حفيظ للحساب عليم بالالسن * وقيل حفيظ لما استودعتنى عليم بسنى الجوع وهذا التخصيص لا وجه له ودل إثناء يوسف على نفسه انه يجوز للانسان ان يثنى على نفسه بالحق إذا جهل أمره ولا يكون ذلك التزكية المنهى عنها وعلى جواز عمل الرجل الصالح للرجل التاجر بما يقتضيه الشرع والعدل لا بما يختاره ويشتهيه مما لا يسيغه الشرع وانما طلب يوسف هذه الولاية ليتوصل الى امضاء حكم الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله تبعث الانبياء الى العباد ولعله ان غيره لا يقوم مقامه فى ذلك فان كان الملك قد أسلم كما روى مجاهد فلا كلام وان كان كافرا ولا سبيل الى الحكم بأمر الله ودفع الظلم الا بتمكينه فللمتولى أن يستظهر به * وقيل كان الملك يصدر عن رأى يوسف ولا

فوجدها عذراء لان العزيز كان لا يطأها فولدت له ولدين أفرائيم ومنشا وأقام العدل بمصر وأحبه الرجال والنساء وأسلم على يده الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر فى سنى القحط الطعام بالدراهم والدنانير فى السنة الاولى حتى لم يبق معهم شئ ثم بالحلى والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم ثم استرقهم جميعا فقالوا والله ما رأينا كاليوم ملكا أجل ولا أعظم منه فقال للملك كيف رأيت صنع الله فى وفيما خولنى فما ترى قال الرأى رأيك قال فانى أشهد الله وأشهدك أنى أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وكان لا يبيع من أحد من الممتارين أكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام نحو ما أصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين ﴿نصيب برحمتنا﴾ أى بنعمتنا من الملك والغنى وغيرهما ولا نضيع فى الدنيا أجر من أحسن ثم ذكر ان أجر الآخرة خير لانه الدائم الذى لا يفنى وفى الآية إشارة الى أن حال يوسف فى الآخرة خير من حالته العظيمة فى الدنيا

﴿وجاء اخوة يوسف﴾ الآية أي جاؤا من القريات من أرض فلسطين بغور الشام الى مصر ليمتاروا منها فتوصلوا الى يوسف للميرة فعرفهم لانه فارقهم وهم رجال ورأى زيهم قريبا من زيه اذ ذاك ولان همته كانت معمورة بهم وبمعرفتهم وكان يتأمل ويتفطن وانكارهم اياه كان لطول العهد ومفارقته إياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن قلبه أفكارهم فيه ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حالته التي فارقوه عليها طريحا في البئر مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم انه هو لكذبوا أنفسهم ولان الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر منه المعروف ﴿ولما جهزهم بجهازهم﴾ وكان الجهاز الذي لهم هو الطعام الذي امتاروه وفي الكلام حذف تقديره وقد كان استوضح منهم أنه لهم أخ قعد عند أبيه روي أنه لما عرفهم أراد أن يخبروه بجميع أمرهم فباحثهم بأن قال لهم ترجمانه أظنكم جواسيس فاحتاجوا الى التعريف بأنفسهم فقالوا نحن أبناء رجل صديق وكنا اثني عشر فذهب منا واحد في البرية وبقي أصغرنا عند أبينا ونحن جئنا للميرة وسقنا بعير الباقي منا وكانوا عشرة ولهم أحد عشر بعيرا فقال لهم يوسف ولم تخلف أحدكم قالوا لمحبة أبينا فيه قال فأتوني بهذا الاخ حتى أعلم حقيقة قولكم وأرى لم أحبه أبوكم أكثر منكم ان كنتم صادقين ثم ذكر ما يحرضهم به على الاتيان بأخيهم بقوله ﴿ألا ترون أني أوف الكيل وأنا خير المنزلين﴾ أي المضيفين يعني في قطره وفي زمانه يؤنسهم بذلك ويستميلهم ثم توعدهم ان لم يأتوا اليه بحرمانهم من الميرة في المستقبل واحتمل قوله ﴿ولا تقربون﴾ أن يكون نهيا وأن يكون نفيا مستقلا ومعناه النهي وحذفت النون وهو مرفوع كما حذفت في قوله فبم تبشرون وأن يكون نفيا داخلا في الجزاء معطوفا على محل فلا كيل لكم عندي فيكون مجزوما والمعنى أنهم لا يقربون له بلدا ولا طاعة وظاهر كل ما فعله يوسف صلى الله عليه وسلم معهم أنه بوحي من الله والا فانه كان مقتضى البر أن يبادر الى أبيه ويستدعيه لكن الله أراد تكميل أجر يعقوب ومحنته وليفسر الرؤيا الاولى ﴿قالوا سنراود عنه أباه﴾ أي سنخادعه ونستميله في رفق الى أن يتركه يأتي معنا اليك ثم أكدوا ذلك الوعد بأنهم فاعلو ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى وقرئ ﴿لفتيانه﴾ ولفتيته فالكثرة على مراعاة

يعترض عليه في كل ما رأى فكان في حكم التابع وما زال قضاة الاسلام يتولون القضاء من جهة من ليس بصالح ولولا ذلك لبطلت أحكام الشرع فهم مثابون على ذلك اذا عدلوا وكذلك أي مثل ذلك التمكين في نفس الملك مكنا ليوسف في أرض مصر يتبوأ منها حيث يشاء أي يتخذ منها مباءة ومنزلا كل مكان أراد فاستولى على جميعها ودخلت تحت سلطانه روي ان الملك توجه بتاجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه أمره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امرأته فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء لان العزيز كان لا يطأ فولدت له ولدين افرائيم ومنشا وأقام العدل بمصر وأحبه الرجال والنساء وأسلم على يده الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم ثم استرقهم جميعا فقالوا والله ما رأينا كاليوم ملكا أجل ولا أعظم منه فقال للملك كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني فما ترى * قال الرأي رأيك قال فاني أشهد الله وأشهدك اني أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وكان لا يبيع من أحد من الممتارين أكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام نحو ما أصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين * وقرأ الحسن وابن كثير بخلاف عنهم أبو جعفر وشيبة ونافع حيث نشاء بالنون * والجمهور بالياء والظاهر ان قراءة الياء يكون فاعل نشاء ضميرا يعود على يوسف ومشيئته معذوقة بمشيئة الله اذ هو نبيه ورسوله واما أن يكون الضمير عائدا على الله أي حيث يشاء الله فيكون التفاتا نصيب برحمتنا أي بنعمتنا من الملك والغنى وغيرهما ولا نضيع في الدنيا أجر من أحسن ثم ذكر ان أجر الآخرة خير لانه الدائم الذي لا يفنى * وقال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق وتلا هذه الآية وفي الحديث ما يوافق ما قال سفيان وفي الآية اشارة الى أن حال يوسف في الآخرة خير من حالته العظيمة في الدنيا * وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون * ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني باخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوف الكيل وأنا خير المنزلين * فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون * قالوا سنراود عنه أباه وانا لفاعلون * وقال لفتيانه

اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى أهلهم لعلهم يرجعون﴾ أى جاؤا من القريات من أرض فلسطين بارض الشام * وقيل من الاولاج من ناحية الشعب الى مصر ليمتاروا منها فتوصلوا الى يوسف للميرة فعرفهم لانه فارقهم وهم رجال ورأى زيهم قريبا من زيهم اذ ذاك ولان همته كانت معمورة بهم وبمعرفتهم فكان يتأمل ويتفطن * وروى انهم انتسبوا فى الاستئذان عليه فعرفهم وأمر بانزالهم ولذلك قال الحسن ماعرفهم حتى تعرفوا اليه وانكارهم اياه كان قال الزمخشرى لطول العهد ومفارقته اياهم فى سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن أوهامهم لقلة فكرهم فيه ولبعد حاله التى بلغها من الملك والسلطان عن حالته التى فارقوه عليها طريحا فى البئر مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم انه هو لكذبوا أنفسهم ولان الملك مما يبدل الزى ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ماينكر منه المعروف * وقيل رأوه على زى فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير فى عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج فاخطر لهم أنه هو * وقيل ما رأوه الا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوائج * ولما جهزهم بجهازهم وكان الجهاز الذى لهم هو الطعام الذى امتاروه وفى الكلام حذف تقديره وقد كان استوضح منهم انهم لهم أخ قعد عند أبيهم * روى انه لما عرفهم أراد أن يخبروه بجميع أمرهم فباحثهم بان قال لهم ترجمانه أظنكم جواسيس فاحتاجوا الى التعريف بانفسهم فقالوا نحن أبناء رجل صديق وكنا اثنى عشر ذهب منا واحد فى البرية وبقى أصغرنا عند أبينا وجئنا نحن للميرة وسقنا بعير الباقى منا وكانوا عشرة ولهم أحد عشر بعيرا فقال لهم يوسف ولم تخلف أحدكم قالوا المحبة أبينا فيه قال فأتونى بهذا الأخ حتى أعلم حقيقة قولكم وأرى لم أحبه أبوكم أكثر منكم ان كنتم صادقين * وأورد الزمخشرى هذا القصص بألفاظ أخر تقارب هذه فى المعنى وفى آخره قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون وان الذى تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها أحد يشهد لنا * قال فدعوا بعضكم عندى رهينة وائتونى بأخيكم من أبيكم وهو يحمل رسالة من أبيكم حتى أصدقكم فاقترعوا فأصاب القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا فى يوسف فخلفوه عنده وكان قد أحسن انزالهم وضيافتهم * وقيل لم يرتهن أحدا * وروى غير هذا فى طلب الأخ من أبيهم * قيل كان يوسف ملثما أبدا استرا لجماله وكان ينقر فى الصواع فيفهم من طنينه صدق الحديث أوكذبه فسئلوا عن أخبارهم فكلما صدقوا قال لهم صدقتم فلما قالوا وكان لنا أخ أكله الذئب أطن يوسف الصواع وقال كذبتم ثم تغير لهم وقال أراكم جواسيس وكلفهم سوق الأخ الباقى ليظهر صدقهم * وقرئ بجهازهم بكسر الجيم وتنكير أخ ولم يقل بأخيكم وان كان قد عرفه وعرفهم مبالغة فى كونه لا يريد أن يتعرف لهم ولا انه يدرى من هو ألا ترى فرقا بين مررت بغلامك ومررت بغلام لك انك فى التعريف تكون عارفا بالغلام وفى التنكير أنت جاهل به فالتعريف يفيد نوع عهد فى الغلام بينك وبين المخاطب والتنكير لا عهد فيه البتة وجائز أن تخبر عمن تعرفه اخبار النكرة فتقول قال رجل لنا وأنت تعرفه لصدق اطلاق النكرة على المعرفة ثم ذكر ما يحرضهم به على الاتيان بأخيهم بقوله ألا ترون أنى أوفى الكيل وأنا خير المنزلين أى المضيفين يعنى فى قطره وفى زمانه يؤنسهم بذلك ويستميلهم ثم توعدهم ان لم يأتوا به اليه بحرمانهم من الميرة فى المستقبل واحتمل قوله ولا تقربون أن يكون نهيا وأن يكون نفيا مستقلا ومعناه النهى وحذفت النون وهو مرفوع كما حذفت فى فبم تبشرون وأن يكون نفيا داخلا فى الجزاء معطوفا على محل فلا كيل لكم عندى فيكون مجزوما وما والمعنى انهم لا يقربون له

المأمورين والقلة على مراعاة المتناولين فهم الخدمة الكائلون أمرهم بجعل المال الذى اشتروا به الطعام فى رحالهم مبالغة فى استمالتهم ﴿لعلهم يعرفونها﴾ أى يعرفون حق ردها وحق التكريم باعطاء البدلين فيرغبون فيها ﴿اذا انقلبوا الى أهلهم﴾ وفرغوا ظروفهم ولعلهم يعرفونها تعليق بالجعل و﴿لعلهم يرجعون﴾ تعليق بترجى معرفة البضاعة للرجوع الى يوسف قيل وكانت بضاعتهم النعال والادم

﴿ فلما رجعوا الى أبيهم قالوا ياأبانا منع منا الكيل ﴾ الآية أى رجعوا من مصر ممتارين بادروا بما كان أهم الاشياء عندهم من التوطئة لارسال أخيهم معهم وذلك قبل فتح متاعهم وعلمهم إحسان العزيز إليهم من ردّ بضاعتهم وأخبروا بما جرى لهم مع العزيز الذى على أهراء مصر وأنه استدعى منهم العزيز أن (٣٢٢) يأتوا بأخيهم حتى يتبين له صدقهم أنهم ليسوا جواسيس وقولهم منع منا الكيل اشارة الى قول يوسف قال فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ويكون منع يراد به فى المستأنف والافقد كيل لهم وجاؤا بالميرة لكن لما أنذروا بمنع الكيل قالوا منع وقيل أشاروا الى بعير بنيامين الذى منع من الميرة وهذا أولى بحمل منع على الماضى حقيقة ولقولهم فأرسل معنا أخانا نكتل ويقويه قراءة يكتل بالياء أى يكتل أخونا فانما منع كيل بعيره لغيبته ﴿ قال هل آمنكم عليه ﴾ هذا تقرير وتوقيف وتألم من فراقه بنيامين ولم يصرح بمنعه من حمله لما رأى فى ذلك من المصلحة وشبه هذا الائتمان فى ابنه هذا بائتمانه إياهم فى حق يوسف قلتم فيه وإنا له لحافظون كما قلتم فى هذا فاخاف أن تكيدوا له كما كدتم لذلك لكن يعقوب لم يخف عليه كما خاف على يوسف واستسلم لله فقال ﴿ فالله خير حفظا ﴾ وقرئ حافظا اسم فاعل وانتصب حفظا وحافظا على التمييز والمنسوب له الخير هو حفظ الله والحافظ الذى من جهة الله وجاز الزمخشرى أن يكون حافظا حالا وليس بجيد لان فيه تقييد خير بهذه الحالة ﴿ وهو أرحم الراحمين ﴾ اعتراف بان الله تعالى هو ذو الرحمة الواسعة فارجو منه حفظه ولا يجمع على مصيبته ومصيبة أخيه

بكذا ولا طاعة وظاهر كل ما فعله يوسف عليه السلام معهم انه بوحى والا فانه كان مقتضى البر أن يبادر الى أبيه ويستدعيه لكن الله تعالى أراد تكميل أجر يعقوب ومحنته ولتتفسر الرؤيا الأولى قالوا سنراود عنه أباه أى سنخادعه ونستميله فى رفق الى أن يتركه يأتى معنا اليك ثم أكدوا ذلك الوعد بأنهم فاعلو ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى * وقرأ الاخوان وحفص لفتيانه وباقى السبعة لفتيته فالكثرة على مراعاة المأمورين والقلة على مراعاة المتأولين فهم الخدمة الكائلون أمرهم بجعل المال الذى اشتروا به الطعام فى رحالهم مبالغة فى استمالتهم لعلهم يعرفونها أى يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين فيرغبون فينا اذا انقلبوا الى أهلهم وفرغوا ظروفهم ولعلهم يعرفونها تعليق بالجعل ولعلهم يرجعون تعليق بترجى معرفة البضاعة للرجوع الى يوسف * قيل وكانت بضاعتهم النعال والادم * وقيل يرجعون متعد فالمعنى لعلهم يردون البضاعة * وقيل تخوف أن لا يكون عند أبيه من المتاع ما يرجعون به * وقيل علم ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون امساكها فيرجعون لأجلها * وقيل جعلها توطئة لجعل السقاية فى رحل أخيه بعد ذلك ليتبين انه لم يسرق لمن يتأمل القصة * قال ابن عطية ويظهر ان ما فعله يوسف من صلتهم وجبرهم فى تلك الشدة كان واجبا عليه اذ هو ملك عادل وهم أهل ايمان ونبوة ﴿ فلما رجعوا الى أبيهم قالوا ياأبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وانا له لحافظون * قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ﴾ أى رجعوا من مصر ممتارين بادروا بما كان أهم الأشياء عندهم من التوطئة لارسال أخيهم معهم وذلك قبل فتح متاعهم وعلمهم باحسان العزيز اليهم من رد بضاعتهم وأخبروا بما جرى لهم مع العزيز الذى على اهراء مصر وانهم استدعى منهم العزيز أن يأتوا بأخيهم حتى يتبين صدقهم انهم ليسوا جواسيس وقولهم منع منا الكيل اشارة الى قول يوسف فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ويكون منع يراد به فى المستأنف والا فقد كيل لهم وجاؤا أباهم بالميرة لكن لما أنذروا بمنع الكيل قالوا منع * وقيل أشاروا الى بعير بنيامين الذى منع من الميرة وهذا أولى بحمل منع على الماضى حقيقة ولقولهم فارسل معنا أخانا نكتل ويقويه قراءة يكتل بالياء أى يكتل أخونا فانما منع كيل بعيره لغيبته أو يكن سببا للاكتيال فان امتناعه فى المستقبل تشبيه وهى قراءة الأخوين وقرأ باقى السبعة بالنون أى نرفع المانع من الكيل أو نكتل من الطعام ما نحتاج اليه وضمنوا له حفظه وحياطته قال هل آمنكم هذا توقيف وتقرير وتألم من فراقه بنيامين ولم يصرح بمنعه من حمله لما رأى فى ذلك من المصلحة وشبه هذا الائتمان فى ابنه هذا بائتمانه اياهم فى حق يوسف قلتم فيه وانا له لحافظون كما قلتم فى هذا فاخاف أن تكيدوا له كما كدتم لذلك لكن يعقوب لم يخف عليه كما خاف على يوسف واستسلم لله وقال فالله خير حفظا * وقرأ الاخوان وحفص حافظا اسم فاعل وانتصب حفظا وحافظا على التميز والمنسوب له الخير هو حفظ الله والحافظ الذى من جهة الله * وأجاز الزمخشرى أن يكون حافظا حالا وليس بجيد

﴿ الدر ﴾ (ش) ويجوز أن يكون حالا بمعنى حافظا (ح) ليس جعله حالا بجيد لان فيه تقييد خبره بهذه الحال

﴿ولما فتحوا متاعهم﴾ الآية ما نبغي استفهامية أي أي شيء نبغي ونطلب من الكرامة هذه أموالنا ردت الينا وكانوا قالوا لأبيهم قدمنا على
خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته والجملة من قوله هذه بضاعتنا ردت الينا
موضحة لقولهم ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها على تقدير فنستظهر بها أو نستعين بها ﴿ونمير أهلنا﴾ في رجوعنا الى الملك
﴿ونحفظ أخانا﴾ فلا يصيبه سيء مما تخافه وكرر حفظ الأخ مبالغة في الحض على ارساله ﴿ونزداد﴾ باستصحاب أخينا وسق
بعير على أوساق بعيرنا لانه انما كان حمل لهم عشرة أبعرة ولم يحمل الحادي عشر لغيبة صاحبه والاشارة بذلك الظاهر اما الى
كيل بعير أي يسير بمعنى قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه قال الزمخشري أي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعني ما يكال لهم
فازدادوا إليه ما يكال لأخيهم ويجوز أن يكون من كلام يعقوب أي حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك
ليعلم انتهى يعني ظاهر الكلام انه من كلامهم وهو من كلام يعقوب كما أن قوله ذلك ليعلم ظاهره أنه من كلام امرأة العزيز وهو من
كلام يوسف وهذا كله تحميل للفظ القرآن ما يبعد تحميله وفيه مخالفة الظاهر لغير دليل ولما كان يعقوب غير مختار لارسال ابنه
وألحوا عليه في ذلك علق ارساله باخذ الموثق عليهم وهو الحلف (٣٢٣) بالله إذ به تؤكد العهود وتشدد ﴿لتأتنني به﴾ جواب
الحلف لان معنى حتى تؤتون موثقا حتى تحلفوا لي لتأتنني به وقوله ﴿الا أن يحاط بكم﴾ لفظ عام لجميع وجوه الغلبة والمعنى تعمكم الغلبة عن جميع الجهات حتى لا تكون لكم حيلة ولا وجه مخلص وهذا الاستثناء من المفعول من أجله مراعى في قوله لتأتنني وان كان مثبتا بمعنى النفي لان المعنى لا تمتنعون من الاتيان به لشيء من الاشياء الا لأن يحاط بكم ومثاله من المثبت في اللفظ ومعناه النفي
قولهم أنشدك الله الا فعلت أي ما أنشدك الا الفعل وفي الكلام حذف تقديره فأجابوه الى ما طلب ﴿فلما آتوه موثقهم قال﴾
يعقوب ﴿الله على ما نقول﴾ من طلب الموثق واعطائه ﴿وكيل﴾ رقيب مطلع ونهيه اياهم أن يدخلوا من باب واحد هو
خشية العين وكانوا أحد عشر كرجل واحد أهل جمال وبسطة قاله ابن عباس والعين حق وفي الحديث ان العين لتدخل
الرجل القبر والجمل القدر وفي التعوذ من كل عين لامة ويظهر أن خوفه عليهم من العين في هذه الكرة بحسب أن محبوبه
فيهم وهو بنيامين الذي كان يتسلى به عن شقيقه يوسف ولم يكن فيهم في الكرة الأولى فأهمل أمرهم ولم يحتفل بهم لسوء
صنيعهم في يوسف ﴿ان الحكم الا لله﴾ أي هو الذي يحكم وحده وينفذ ما يريد فعليه وحده توكلت ومن حيث أمرهم أبوهم أي
من أبواب متفرقة روي أنهم لما ودعوا أباهم قال لهم بلغوا ملك مصر سلامي وقولوا له ان أبانا يصلي عليك ويدعو لك ويشكر
صنيعك معنا وفي كتاب أبي منصور المهداني أنه خاطبه بكتاب قرئ على يوسف صلى الله عليه وسلم فبكى وجواب لما قوله
﴿ما كان يغني عنهم من الله من شيء﴾ وفيه حجة لمن زعم أن لما حرف وجوب لوجوب لا ظرف زمان بمعنى حين اذ لو كان
ظرف زمان جاز أن يكون معمولا لما بعد ما النافية لا يجوز حين قام زيد ما قام عمرو ويجوز لما قام زيد ما قام عمرو فدل ذلك على
أن لما حرف يترتب جوابه على ما بعده ﴿وانه لذو علم﴾ يعني لقوله ان الحكم الا لله وما بعده وعلمه بأن القدر لا يرفعه الحذر وهذا

لان فيه تقييد خير بهذه الحال * وقرأ الأعمش خير حافظ على الاضافة فالله تعالى متصف بالحفظ
وزيادته على كل حافظ * وقرأ أبو هريرة خير الحافظين كذا نقل الزمخشري * وقال ابن عطية
وقرأ ابن مسعود فالله خير حافظا وهو خير الحافظين وينبغي أن تجعل هذه الجملة تفسيرا لقوله فالله
خير حافظا لانها قرآن وهو أرحم الراحمين اعتراف بان الله هو ذو الرحمة الواسعة فارجو منه
حفظه وأن لا يجمع على مصيبته ومصيبة أخيه ﴿ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا
يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير قال
لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على
ما نقول وكيل * وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم
من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم
أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن
أكثر الناس لا يعلمون﴾ قرأ علقمة ويحيى بن وثاب والاعمش ردت بكسر الراء نقل حركة الدال
المدغمة الى الراء بعد توهم خلوها من الضمة وهي لغة لبني ضبة كما نقلت العرب في قيل وبيع *
وحكى قطرب النقل في الحرف الصحيح غير المدغم نحو ضرب زيد بمعنى المشدود المربوط بجملته
متاعا فالملك حسن الفتح فيه وما نبغي ما فيه استفهامية أي أي شيء نبغي ونطلب من الكرامة هذه

(الدر)   (ش) أي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعني ما يكال لهم فازدادوا اليه ما يكال لأخيهم ويجوز أن يكون من كلام يعقوب أي حمل بعير واحد شئ يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم (ح) يعني ان ظاهر الكلام أنه من كلامهم وهو من كلام يعقوب كما ان قوله ذلك ليعلم ظاهره انه من كلام امرأة العزيز وهو من كلام يوسف وهذا كله تحميل للفظ القرآن ما يبعد تحميله وفيه مخالفة الظاهر بغير دليل (ح) ظاهر قوله لتأتنني به الا أن يحاط بكم ان هذا الاستثناء من المفعول من أجله

أموالنا ردت الينا قاله قتادة وكانوا قالوا لابيهم قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته * وقال الزجاج يحتمل أن تكون ما نافية أي ما بقي لنا ما نطلب ويحتمل أيضا أن تكون نافية من البغي أي ما افترينا فكذبنا على هذا الملك ولا في وصف اجماله واكرامه هذه البضاعة مردودة وهذا معنى قول الزمخشري ما نبغي في القول ما نتزيد فيما وصفنا لك من إحسان الملك والكرامة * وقيل معناه ما نريد منك بضاعة أخرى * وقرأ عبد الله وأبو حيوة ما تبغي بالتاء على خطاب يعقوب وروتها عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ما في هذه القراءة الاستفهام والنفي كقراءة النون * وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي ونمير بضم النون والجملة من قولهم هذه بضاعتنا ردت الينا موضحة لقولهم ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها على تقدير فنستظهر بها ونستعين بها ونمير أهلنا في رجوعنا الى الملك ونحفظ أخانا فلا يصيبه شئ مما تخافه واذا كان ما نبغي بمعنى ما نتزيد وما نكذب جاز أن يكون ونمير معطوفا على ما نبغي أي لا نبغي فيما نقول ونمير أهلنا ونفعل كيت وكيت وجاز أن يكون كلاما مبتدأ وكرروا حفظ الاخ مبالغة في الحض على ارساله ونزداد باستصحاب أخينا وسق بعير على أوساق بعيرنا لانه انما كان حمل لهم عشرة أبعرة ولم يحمل الحادي عشر لغيبة صاحبه والظاهر ان البعير هو من الابل * وقال مجاهد كيل حمار قال وبعض العرب تقول للحمار بعير وهذا شاذ والظاهر ان قوله ذلك كيل يسير من كلامهم لا من كلام يعقوب والاشارة بذلك الظاهر انها الى كيل بعير أي يسير بمعنى قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه أو يسير بمعنى سهل عليه متيسر لا يتعاظمه * وقيل يسير عليه أن يعطيه * وقال الحسن وقد كان يوسف عليه السلام وعدهم أن يزيدهم حمل بعير بغير ثمن * قال الزمخشري أي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعني ما يكال لهم فازدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز أن يكون من كلام يعقوب أي حمل بعير واحد شئ يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم انتهى ويعني ان ظاهر الكلام انه من كلامهم وهو من كلام يعقوب كما ان قوله ذلك ليعلم ظاهره انه من كلام امرأة العزيز وهو من كلام يوسف وهذا كله تحميل للفظ القرآن ما يبعد تحميله وفيه مخالفة الظاهر لغير دليل ولما كان يعقوب غير مختار لارسال ابنه وألحوا عليه في ذلك علق ارساله بأخذ الموثق عليهم وهو الحلف بالله اذ به تؤكد العهود وتشدد ولتأتنني به جواب للحلف لان معنى حتى تؤتون موثقا حتى تحلفوا لي لتأتنني به وقوله الا أن يحاط بكم لفظ عام لجميع وجوه الغلبة والمعنى تعمكم الغلبة من جميع الجهات حتى لا يكون لكم حيلة ولا وجه تخلص * وقال مجاهد الا أن تهلكوا وعنه أيضا الا أن لا تطيقوا ذلك وهذا الاستثناء من المفعول من أجله مراعى في قوله لتأتنني وان كان

مراعى في قوله لتأتنني وان كان مثبتا بمعنى النفي لان المعنى لا تمتنعون من الاتيان به لشئ من الاشياء الالان يحاط بكم ومثاله من المثبت في اللفظ ومعناه النفي قولهم أنشدك الله الافعلت أي ما أنشدك الا الفعل ولا يجوز أن يكون مستثنى من الاحوال مقدرا بالمصدر الواقع حالا وان كان صريح المصدر قد يقع حالا فيكون التقدير لتأتنني به على كل حال الا احاطة بكم أي أي محاطا بكم لانهم نصوا على ان أن الناصبة للفعل لا تقع حالا وان كانت ظرف زمان ويكون التقدير لتأتنني به في كل وقت الا احاطة بكم أي الاوقت احاطة بكم * قلت منع من ذلك ابن الانباري فقال ما معناه يجوز خروجنا صياح الديك أي وقت صياح الديك ولا يجوز خروجنا أن يصيح الديك وان كانت ان وما مصدريتين وانما يقع ظرفا المصدر المصرح به بلفظه وأجاز ابن جني أن تقع ان ظرفا كما يقع صريح المصدر فأجاز في قول تأبط شرا

وقالوا لها لا تنكحيه فانه * لاول نصل أن يلاقي مجمعا

وقول أبي ذؤيب الهذلي

وبالله ما ان شهلة أم واحد * بأوجد مني أن يهان صغيرها

أن يكون أن يلاقي تقديره وقت لقائه الجمع وان يكون ان يهان تقديره وقت اهانة صغيرها فعلى ما أجازه ابن جني يجوز أن تخرج الآية ويبقى لتأتنني به على ظاهره من الاثبات ولا يقدر فيه معنى النفي

مثبتا معنى النفي لان المعنى لاتمتنعون من الاتيان به لشئ من الأشياء الالأن يحاط بكم ومثاله من المثبت في اللفظ ومعناه النفي قولهم أنشدك الله الافعلت أى ماأنشدك الا الفعل ولا يجوز أن يكون مستثنى من الاحوال مقدرا بالمصدر الواقع حالا وان كان صريح المصدر قد يقع حالا فيكون التقدير لتأتننى به على كل حال الا احاطة بكم أى محاطا بكم لانهم نصوا على ان ان الناصبة للفعل لاتقع حالا وان كانت مقدرة بالمصدر الذى قد يقع بنفسه حالا فان جعلت ان والفعل واقعة موقع المصدر الواقع ظرف زمان ويكون التقدير لتأتننى به في كل وقت الا احاطة بكم أى الاوقت احاطة بكم * قلت منع ذلك ابن الانبارى فقال مامعناه يجوز خروجنا صياح الديك أى وقت صياح الديك ولا يجوز خروجنا أن يصيح الديك ولا ما يصيح الديك وان كانت ان وما مصدريتين وانما يقع ظرفا المصدر المصرح بلفظه وأجاز ابن جنى أن تقع ان ظرفا كما يقع صريح المصدر فاجاز في قول تابط شرا

وقالوا لها لاتنكحيه فانه * لاول فصل أن يلاقى مجمعا

وقول أبي ذؤيب الهذلى

وتالله ما ان شهلة أم واحد * باوجد منى أن يهان صغيرها

أن يكون أن تلاقى تقديره وقت لقائه الجمع وأن يكون أن يهان تقديره وقت اهانة صغيرها فعلى ماأجازه ابن جنى يجوز أن تخرج الآية و يبقى لتأتننى به على ظاهره من الاثبات ولا يقدر فيه معنى النفي وفي الكلام حذف تقديره فاجابوه الى ماطلبه فلما آتوه موثقهم قال يعقوب الله على مانقول من طلب الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع ونهيه اياهم أن يدخلوا من باب واحد هو خشية العين وكانوا أحد عشر لرجل واحد اهل جمال و بسطة قاله ابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم والعين حق وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وفي التعوذ ومن كل عين لامة وخطب الزمخشرى فقال لانهم كانوا ذوى بهاء وشارة حسنة وقد أشهرهم أهل مصر بالقربة عند الملك والكرامة الخاصة التى لم تكن لغيرهم فكانوا امظنة لطموح الابصار اليهم من الوفود وان يشار اليهم بالاصابع و يقال هؤلاء أضياف الملك انظروا اليهم ماأحسنهم من فتيان وما أحقهم بالاكرام لامر ماأكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا الجالهم وجلالة امرهم في الصدور و يصيبهم مايسوءهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق في المرة الأولى لانهم كانوا مجهولين معمورين بين الناس انتهى و يظهر ان خوفه عليهم من العين في هذه الكرة بحسب ان محبوبه فيهم وهو بنيامين الذى كان يتسلى به عن شقيقه يوسف ولم يكن فيهم في الكرة الاولى فاهمل أمرهم ولم يحتفل بهم لسوء صنيعهم في يوسف * وقيل نهاهم خشية أن يستراب بهم لقول يوسف أنتم جواسيس * وقيل طمع بافتراقهم أن يتسمعوا اخبر يوسف ثم نفى عن نفسه أن يغنى عنهم شيأ يعنى بوصاته ان الحكم الا لله أى هو الذى يحكم وحده وينفذ مايريد فعليه وحده توكلت ومن حيث أمرهم أبوهم أى من أبواب متفرقة * روى انهم لما ودعوا أباهم قال لهم بلغوا ملك مصر سلامى وقولوا له ان أبانا يصلى عليك و يدعولك و يشكر صنيعك معنا وفي كتاب أبي منصور المهرانى انه خاطبه بكتاب قرى على يوسف فبكى وجواب لما قوله ما كان يغنى عنهم من الله من شئ وفيه حجة لمن زعم ان لما حرف وجوب لوجوب لاظرف زمان بمعنى حين اذ لو كانت ظرف زمان ماجاز أن تكون معمولة لما بعد ما النافية لايجوز حين قام زيد ماقام عمرو و يجوز لما قام زيد ماقام عمرو فدل ذلك على ان لما حرف يترتب جوابه على مابعده * وقال ابن عطية و يجوز أن

يكون جواب لما محذوفا مقدرا ثم يخبر عن دخولهم انه ما كان يغني ومعنى الجملة لم يكن في دخولهم متفرقين دفع قدر الله الذي قضاه عليهم من تشريفهم وافتضاحهم بذلك وأخذ أخيهم بوجدان الصاع في رحله وتزايد مصيبته على أبيهم بل كان اربا ليعقوب قضاه وتطييبا لنفسه * وقيل معنى ما كان يغني عنهم من الله من شئ ما يرد عنهم قدرا لانه لو قضى أن يصيبهم عين لاصابتهم متفرقين أو مجتمعين وانما طمع يعقوب أن تصادف وصيته قدر السلامة فوصى وقضى بذلك حاجة نفسه في أن يتنعم براحته أن يصادف وصيته القدر في سلامتهم وانه لذو علم يعني لقوله ان الحكم الا لله وما بعده وعلمه بان القدر لا يدفعه الحذر وهذا ثناء من الله على يعقوب عليه السلام * وقال قتادة لعامل بما علمناه * وقال سفيان من لا يعمل لا يكون عالما ولفظة ذو علم لا تساعده على هذا التفسير وان كان صحيحا في نفسه * وقرأ الاعمش مما علمناه ﴿ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه قال اني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون * فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون * قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون * قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم * قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين * قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين * قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين * فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم * قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون * قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين * قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون * فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين * ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين * واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وانا لصادقون * قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم * وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم * قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين﴾ العير الابل التي عليها الاحمال سميت بذلك لانها تعير أي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير وأصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وعيد والعير مؤنث وقالوا في الجمع عيرات فشذوا في جمعه بالالف والتاء وفي فتح يائه وقال الشاعر

غشيت ديار الحي بالبكرات * فعارمة فبرقة العيرات

قال الاعلم العيرات هنا مواضع الاعيار وهي الحمير * الصواع الصاع وفيه لغات تأتي في القرآن ويؤنث ويذكر * الوعاء الظرف الذي يحفظ فيه الشيء وتضم واوه ويجوز أن تبدل واوه همزة * فتئ من أخوات كان الناقصة قال أوس بن حجر

فافتئت حتى كان غبارها * سرادق يوم ذي رياح يرفع

وقال أيضا

فافتئت خيل تثوب وتدعي * ويلحق منها لاحق وتقطع

ثناء من الله تعالى على يعقوب عليه السلام ﴿ ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه ﴾ روى أنهم قالوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندى فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخى يوسف حيا لاجلسنى معه فقال يوسف صلى الله عليه وسلم بقى أخوكم وحيدا فأجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكلهم وقال أنتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثانى معه فيكون معى وبات يوسف يضمه إليه ويشم رائحته حتى أصبح وسأله عن ولده فقال لى عشرة بنين اشتققت أسماءهم من اسم أخ لى هلك فقال أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف صلى الله عليه وسلم وقام اليه وعانقه وقال أنا أخوك يوسف ﴿ فلا تبتئس ﴾ فلا تحزن ﴿ بما كانوا يعملون ﴾ بنا فيما مضى فان الله قد أحسن الينا وجمعنا على خير فلا تعلمهم بما أعلمتك * وعن ابن عباس تعرف اليه أنه أخوه وهو الظاهر * قال ابن عطية و يحتمل أن يشير بقوله بما كانوا يعملون الى ما يعمله فتيان يوسف من أمر السقاية ونحو ذلك انتهى (٣٢٧) ولا يحتمل ذلك لانه لو كان التركيب بما يعملون بغير كانوا لأمكن على بعده لأن الكلام انما هو مع اخوة يوسف وأما ذكر فتيانه فبعيد جدا لأنه لم يتقدم لهم ذكر إلا فى قوله وقال لفتيانه وقد حال بينهما قصص واتسق الكلام مع الاخوة اتساقا لا ينبغى أن يعدل عن أن الضمير عائد اليهم وان ذلك اشارة الى ما كان يلقى منهم قديما من الأذى اذ قد أمن من ذلك باجتماعه بأخيه يوسف والظاهر أن الذى جعل السقاية فى رحل أخيه هو يوسف و يظهر من حيث كونه ملكا انه لم يباشر ذلك بنفسه بل أمر غيره من فتيانه أو غيرهم أن يجعلها وقال ابن عمر وابن عباس وجماعة السقاية اناء يشرب به الملك و به كان يكال الطعام للناس ﴿ ثم أذن مؤذن ﴾ أى نادى مناد أذن أعلم وأذن أكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه وثم تقتضى مهلة بين جعل السقاية والتأذين فروى أنه لما فصلت العير بأوقارها وخرجوا من مصر أدركوا وقيل لهم ذلك والظاهر أن العير الابل وقال مجاهد كانت دوابهم حميرا ومناداة العير والمراد أصحابها كقوله يا خيل الله اركبى ولذلك جاء الخطاب ﴿ انكم لسارقون ﴾ فروعى المحذوف ولم يراع العير كما روعى فى اركبى وفى قوله ﴿ والعير التى أقبلنا فيها ﴾ ويجوز أن يطلق العير على القافلة أو الرفقة فلا يكون من مجاز الحذف ﴿ قالوا ﴾ أى إخوة يوسف ﴿ وأقبلوا ﴾ جملة حالية أى وقد أقبلوا ﴿ عليهم ﴾ أى على طالبى السقاية أو على المؤذن إن كان أريد به جمع كأنه جعل مؤذنين ينادون وساءهم ان يرموا بهذه المثلبة العظيمة وقالوا ﴿ ماذا تفقدون ﴾ ليقع التفتيش فتظهر براءتهم واحتمل أن تكون ماذا استفهاما فى موضع نصب بتفقدون واحتمل أن يكون ما وحدها استفهاما مبتدأ وذا موصولة بمعنى الذى خبر عن ما وتفقدون صلة لذا والعائد محذوف أى تفقدونه و ﴿ صواع الملك ﴾ هو المكيال وهو السقاية سماه أولا باحدى جهتيه وآخرا بالثانية ﴿ ولمن جاء به ﴾ أى لمن دل على سارقه وفضحه وهذا جعل ﴿ وأنا به زعيم ﴾ من كلام المؤذن أى وأنا بحمل البعير كفيل أؤديه الى من جاء به وأراد به وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله ﴿ قالوا تالله ﴾ أقسموا بالتاء من حروف القسم لانها يكون فيها التعجب غالبا كأنهم عجبوا من رميهم بهذا الامر العظيم وروى أنهم ردوا البضاعة التى وجدوها فى الرحال وتحرجوا من أخذ الطعام بلا ثمن وكانوا قد اشتهروا بمصر بصلاح وعفة وكانوا يجعلون الاكمة فى أفواه ابلهم لئلا تنال زرع الناس فأقسموا على اثبات شئ قد علموه منهم وهو انكم قد علمتم

ويقال فيها فتأ على وزن ضرب وأفتأ على وزن أكرم وزعم ابن مالك انها تكون بمعنى سكن وأطفأ فتكون تامة ورددنا عليه ذلك فى شرح التسهيل و بينا ان ذلك تصحيف منه صحف الثاء بثلاث بالتاء بنقطتين من فوق وشرحها بسكن وأطفأ * الحرض المشفى على الهلاك يقال حرض فهو حرض بكسر الراء حرضا بفتحها وهو المصدر ولذلك يستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع وأحرضه المرض فهو محرض قال

أرى المرء كالازواد يصبح محرضا * كاحراض بكر فى الديار مريض

﴿ وقال الآخر ﴾

انى امرؤ لج بى حب فأحرضنى * حتى بليت وحتى شفنى السقم

وقال رجل حرض بضمتين كجنب وشلل * ﴿ ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه قال انى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون * فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون * قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون * قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم * قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين * قالوا فما جزاؤه ان

ان مجيئنا لم يكن لفساد ثم استأنفوا الاخبار عن نفي صفة السرقة عنهم وأن ذلك لم يوجد منهم قط * قال ابن عطية والتاء في تالله بدل مما وكما أبدلت في تراث وفي التوراة والتخمة ولا تدخل التاء في القسم الا في الله من بين أسمائه تعالى وغير ذلك لا تقول تا الرحمن وتا الرحيم انتهى أما قوله والتاء في تالله بدل من واو فهو قول أكثر النحويين وقال السهيلي انها أصل بنفسها وليست بدلا من واو وأما قوله وفي التوراة فعلى مذهب البصريين اذ زعموا أن الاصل ووراة من ورى الزند ومن النحويين من زعم أن التاء زائدة وذلك مذكور في النحو وأما قوله فلا تدخل الى آخره فقد حكى عن العرب دخولها على الرب وعلى الرحمن وعلى حياتك قالوا ترب الكعبة وتالرحمن وتحياتك والظاهر اتحاد الضمائر في قوله ﴿ قالوا جزاؤه من وجد في رحله ﴾ اذ التقدير اذ ذاك قالوا جزاء الصاع أي سرقته من وجد الصاع في رحله وقولهم جزاؤه من وجد في رحله كلام من لم يشك انهم برآء مما رموا به ولا عتقادهم البراءة علقوا الحكم على وجدان الصاع لا على سرقته وجزاؤه مبتدأ ومن مبتدأ فان كانت شرطية فوجد في رحله الخبر وجواب الشرط فهو جزاؤه وان كانت موصولة فوجد في رحله صلتها وفهو جزاؤه في موضع خبرها قال ابن عطية والضمير في قالوا جزاؤه للسارق وهذا لا يصح لخلو الجملة الواقعة خبر جزاؤه من رابط وقال الزمخشري المعنى قالوا جزاء سرقته ويكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والأصل جزاؤه من وضع في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من أخو زيد فتقول أخوه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم تقول فهو أخوه مقيما للظهر مقام المضمر ووضع الظاهر موضع المضمر للربط انما هو فصيح في مواضع التفخيم والتهويل وغير فصيح فيما سوى ذلك نحو زيد قام زيد وينزه القرآن عنه وقال الزمخشري أيضا جزاؤه خبر مبتدأ محذوف أي المسئول عنه جزاؤه ثم أفتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما تقول من يستفتي في جزاء صيد الحرم جزاء صيد الحرم ثم تقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم وهو متكلف اذ تصير الجملة من قوله المسؤول عنه جزاؤه وعلى هذا التقدير ليس فيه كبير فائدة اذ قد علم من قوله فما جزاؤه ان الشيء المسئول عنه جزاء سرقته فأي فائدة في نطقهم بذلك وكذلك القول في المثال الذي مثل به من قول المستفتي ومعنى فهو جزاؤه أي فاستعباده اذ كانت عادتهم استعباد السارق ﴿ كذلك ﴾ أي مثل ذلك الجزاء وهو الاسترقاق ﴿ نجزي الظالمين ﴾ أي بالسرقة وهو ديننا وسنتنا في أهل السرقة

ان كنتم كاذبين * قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين ﴾ روى انهم قالوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندي فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لأجلسني معه * فقال يوسف بقي أخوكم وحيدا فأجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكلهم وقال أنتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا الثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى أصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت أسماءهم من اسم أخ لي هلك فقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال له أنا أخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله قد أحسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما أعلمتك * وعن ابن عباس تعرف اليه انه أخوه وهو الظاهر وهو قول ابن اسحاق وغيره أعلمه انه أخوه حقيقة واستكتمه وقال له لا تبالي بكل ما تراه من المكروه في تحيلي في أخذك منهم * قال ابن عطية وعلى هذا التأويل يحتمل أن يشير بقوله بما كانوا يعملون الى ما يعمله فتيان يوسف من أمر السقاية ونحو ذلك انتهى ولا يحتمل ذلك لأنه لو كان التركيب بما يعملون بغير كانوا لأمكن على بعده لأن الكلام انما هو مع اخوة يوسف وأما ذكر فتيانه فبعيد جدا لأنهم لم يتقدم لهم ذكر الا في قوله وقال لفتيانه وقد حال بينهما قصص

(الدر) (ع) وعلى هذا التأويل يحتمل أن يشير بقوله بما كانوا يعملون الى ما يعمله فتيان يوسف من أمر السقاية ونحو ذلك انتهى (ح) لا يحتمل ذلك لانه لو كان التركيب بما يعملون بغير كانوا لامكن على بعد لان الكلام انما هو مع اخوة يوسف وأما ذكر فتيانه فبعيد جدا لأنه لم يتقدم لهم ذكر الا في قوله وقال لفتيانه وقد حال بينهما قصص واتسق الكلام مع الاخوة اتساقا لا ينبغي أن يعدل عن أن الضمير عائد اليهم وان كان ذلك اشارة الى ما كان يلقى منهم قديما من الاذى اذ قد أمن من ذلك باجتماعه بأخيه يوسف

واتسق الكلام مع الاخوة اتساقا لا ينبغي أن يعدل عن الضمير عائدا اليهم وان ذلك اشارة الى ما كان يلقى منهم قد يما من الاذى إذ قد أمن من ذلك باجتماعه بأخيه يوسف * وقال وهب انما أخبر انه أخوه فى الود مقام أخيه الذاهب ولم يكشف اليه الأمر بل تركه تجوز عليه الحيلة كسائر اخوته والظاهر ان الذى جعل السقاية فى رحل أخيه هو يوسف ويظهر من حيث كونه ملكا انه لم يباشر ذلك بنفسه بل جعل غيره من فتيانه أو غيرهم ان يجعلها وتقدم قول وهب انه لم يكشف له انه أخوه وانه تركه تجوز عليه الحيلة * وروى انه قال ليوسف انا لا أفارقك قال قد علمت اغتمام والدى فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا أن أنسبك الى مالا يحمل قال لا أبالى فافعل ما بدا لك قال فانى أدس صاعى فى رحلك ثم أنادى عليك بأنك سرقته ليتهيأ لى ردك بعد تسريحك معهم قال فافعل * وقرأ عبد الله فيما نقل الزمخشرى وجعل السقاية فى رحل أخيه أمهلهم حتى انطلقوا ثم أذن وفى نقل ابن عطية وجعل السقاية بزيادة واو فى جعل دون الزيادة التى زادها الزمخشرى بعد قوله فى رحل أخيه فاحتمل أن تكون الواو زائدة على مذهب الكوفيين واحتمل أن يكون جواب لما محذوفا تقديره فقدها حافظها كما قيل انما أوحى الى يوسف أن يجعل السقاية فقط ثم ان حافظها فقدها فنادى برأيه على ما ظهر له ورجحه الطبرى وتفتيش الاوعية يرد هذا القول والذى يظهر ان تأذين المؤذن كان عن أمر يوسف * وقال السدى كان هذا الجعل من غير علم من بنيامين وما تقدم يدل على انه كان بعلم منه * وقال الجمهور وابن عمر وابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك وابن زيد السقاية إناء يشرب به الملك وبه كان يكال الطعام للناس * وقيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها * وقال ابن جبير الصواع هو مثل المكوك الفارسى وكان اناء يوسف الذى يشرب فيه وكان الى الطول ما هو (٣) قال وحدثنى ابن عباس انه كان للعباس مثله يشرب به فى الجاهلية وقال ابن جبير أيضا الصواع المكوك الفارسى الذى يلتقى طرفاه كانت تشرب به الاعاجم والسقاية من فضة أو ذهب أو فضة مموهة بالذهب أو نحاس أو مسك أو كانت مرصعة بالجواهر أقوال أولها للجمهور ولعزة الطعام فى تلك الاعوام قصر كيله على ذلك الاناء * ثم أذن مؤذن أى نادى مناد أذن أعلم وآذن أكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه وثم تقتضى مهلة بين جعل السقاية والتأذين فروى انه لما فصلت العير بأوقارها وخرجوا من مصر أدركوا وقيل لهم ذلك * وقيل قبل الخروج من مصر أمر بهم فحبسوا وأذن مؤذن والظاهر وقول الجمهور ان العير الابل * وقال مجاهد كانت دوابهم حميرا ومناداة العير والمراد أصحابها كقوله يا خيل الله اركبى ولذلك جاء الخطاب انكم لسارقون فروعى المحذوف ولم يراع العير كما روعى فى اركبى وفى قوله والعير التى أقبلنا فيها ويجوز أن تطلق العير على القافلة أو الرفقة فلا يكون من مجاز الحذف والذى يظهر أن هذا التحيل ورمى أبرياء بالسرقة وادخال الهم على يعقوب بوحى من الله لما علم تعالى فى ذلك من الصلاح ولما أراد من محنتهم بذلك ويقويه قوله كذلك كدنا ليوسف * وقيل لما كانوا باعوا يوسف استجيز أن يقال لهم هذا ونسبة السرقة اليهم جميعا وان كان الصواع انما وجد فى رحل واحد منهم كما تقول بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم قالوا أى اخوة يوسف وأقبلوا جملة حالية أى وقد أقبلوا عليهم أى على طالبى السقاية أو على المؤذن ان كان أريد به جمع كأنه جعل مؤذنين ينادون وساءهم أن يرموا بهذه المثلبة وقالوا ماذا تفقدون ليقع التفتيش فتظهر براءتهم ولم يلوذوا بالانكار من أول بل سألوا كمال الدعوى رجاء أن يكون فيها ما

(الدر)(ع) والتاء فى تالله بدل من واو كما أبدلت فى تراث وفى التوراة والتخمة ولاتدخل التاء فى القسم الا فى المكتوبة من أسماء الله تعالى وغير ذلك لاتقول تالرحمن وتالرحيم انتهى (ح) أماقوله والتاء فى تالله بدل من واو فهو قول أكثر النحويين وخالفهم السهيلى فزعم انها أصل بنفسها وليست بدلا من واو وهو الصحيح على ماقررناه فى النحو وأماقوله وفى التوراة فعلى مذهب البصريين الاصل اذ زعموا ان وو راة من ورى الزند ومن النحويين من زعم ان التاء زائدة وذلك مذكور فى النحو وأما قوله ولاتدخل الى آخره فقد حكى عن العرب دخولها على الرب وعلى الرحمن وعلى حياتك فقال ترب الكعبة وتالرحمن وتحياتك (ش) فما جزاؤه الضمير للصواع فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين فى جحودكم وادعائكم البراءة منه (ح) وجعله ع للسارق أى فما جزاء السارق ان كنتم كاذبين فى قولكم وما كنا سارقين والظاهر هو قول (ش) لاتحاد الضمائر فى قوله قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه اذ التقدير اذ ذاك قالوا جزاء الصاع أى سرقته من وجد الصاع فى رحله (ح) جوزوا فى اعراب هذا الكلام وجوها أحدها أن يكون جزاؤه مبتدأ ومن شرطية أو موصولة مبتدأ ثان وفهو جزاؤه جواب الشرط أو خبر من الموصولة والجملة من قوله من وجد الى آخره خبر المبتدأ الأول والضمير فى قوله جزاؤه للسارق قاله (ع) وهذا لايصح لخلو الجملة الواقعة خبر جزاؤه من رابط الثانى ان المعنى قالوا جزاء سرقته ويكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هى خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والأصل جزاؤه من وجد فى رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من أخو زيد فيقول أخوه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثانى الى الاخ ثم تقول فهو أخوه مقيما للمظهر مقام المضمر قاله (ش) ووضع الظاهر موضع المضمر للربط انما هو فصيح فى مواضع التفخيم والتهويل وغير فصيح فيما

تبطل به فلا يحتاج الى خصام واحتمل أن يكون ماذا استفهاما فى موضع نصب بتفقدون ويحتمل أن يكون ماوحدها استفهاما مبتدأ وذا موصولة بمعنى الذى خبر عن ما وتفقدون صلة لذا والعائد محذوف أى تفقدونه * وقرأ السلمى تفقدون بضم التاء من أفقدته اذا وجدته فقيدا نحو أحمدته اذا أصبته محمودا وضعف هذه القراءة أبو حاتم ووجهها ماذكرناه وصواع الملك هو المكيال وهو السقاية سماه أولا باحدى جهتيه وآخرا بالثانية * وقرأ الجمهور صواع بضم الصاد بعدها واو مفتوحة بعدها ألف بعدها عين مهملة * وقرأ أبو حيوة والحسن وابن جبير فيما نقل ابن عطية كذلك الا انه كسر الصاد * وقرأ أبو هريرة ومجاهد صاع بغير واو على وزن فعل فالالف فيها بدل من الواو المفتوحة * وقرأ أبو رجاء صوع على وزن قوس * وقرأ عبد الله بن عون بن أبى أرطبان صوع بضم الصاد وكلها لغات فى الصاع * وقرأ الحسن وابن جبير فيما نقل عنهما صاحب اللوامح صواغ بالغين المعجمة على وزن غراب * وقرأ يحيى بن يعمر كذلك الا انه يحذف الألف ويسكن الواو * وقرأ زيد بن على صوغ مصدر صاغ وصواغ وصوغ مشتقان من الصوغ مصدر صاغ يصوغ أقيما مقام المفعول بمعنى مصوغ الملك ولمن جاء به أى ولمن دل على سارقه وفضحه وهذا جعل وأنا به زعيم من كلام المؤذن وأنا بحمل البعير كفيل أؤديه الى من جاء به وأراد به وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله قالوا تالله أقسموا بالتاء من حروف القسم لانها تكون فيها التعجب غالبا كأنهم عجبوا من رميهم بهذا الأمر * وروى انهم ردوا البضاعة التى وجدوها فى الطعام وتحرجوا من أكل الطعام بلاثمن وكانوا قد اشتهروا بمصر بصلاح وكانوا يجعلون الأكمة فى أفواه ابلهم لئلا تنال زروع الناس فأقسموا على اثبات شئ قد علموه منهم وهو انكم قد علمتم ان مجيئنا لم يكن لفساد ثم استأنفوا الاخبار عن نفى صفة السرقة عنهم وان ذلك لم يوجد منهم قط ويحتمل أن يكون فى حيز جواب القسم فيكون معطوفا على قوله لقد علمتم * قال ابن عطية والتاء فى تالله بدل من واو كما أبدلت فى تراث وفى التوراة والتخمة ولاتدخل التاء فى القسم الا فى المكتوبة من بين أسماء الله تعالى وغير ذلك لاتقول تالرحمن ولا تالرحيم انتهى أماقوله والتاء فى تالله بدل من واو فهو قول أكثر النحويين وخالفهم السهيلى فزعم انها أصل بنفسها وليست بدلا من واو وهو الصحيح على ماقررناه فى النحو وأماقوله وفى التوراة فعلى مذهب البصريين اذ زعموا ان الأصل ووراه من ورى الزند ومن النحويين من زعم ان التاء زائدة وذلك مذكور فى النحو وأماقوله ولاتدخل الى آخره فقد حكى عن العرب دخولها على الرب وعلى الرحمن وعلى حياتك قالوا ترب الكعبة وتالرحمن وتحياتك والخطاب فى لقد علمتم لطالبى الصواع والضمير فى جزاؤه عائد على السارق فما جزاء السارق ان كنتم كاذبين فى قولكم وما كنا سارقين له قاله ابن عطية * وقال الزمخشرى فما جزاؤه الضمير

﴿فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه﴾ قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش أوعيتكم فانطلق بهم الى يوسف صلى الله عليه وسلم فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة وتمكين الحيلة واتقاء ظهورها حتى بلغ وعاءه فقال ما أظن هذا أخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه أطيب لنفسك وأنفسنا فاستخرجها منه ﴿كذلك كدنا ليوسف﴾ يعني علمناه إياه وأوحينا به إليه وقولهم

للصواع أي فاجزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه انتهى وقوله هو الظاهر لاتحاد الضمائر في قوله قالوا اجزاؤه من وجد في رحله اذ التقدير اذ ذاك قال جزاء الصاع أي سرقته من وجد الصاع في رحله وقولهم جزاؤه من وجد في رحله كلام من لم يشك أنهم برآء مما رموا به ولاعتقادهم البراءة علقوا الحكم على وجدان الصاع لا على سرقته فكأنهم يقولون لا يمكن أن نسرق الا يمكن أن يوجد الصاع في رحالنا وكان في دين يعقوب استعباد السارق * قال الزمخشري سنة وكان في دين مصر أن يضرب و يضعف عليه الغرم ولذلك أجابوا على شريعتهم وجوزوا في اعراب هذا الكلام وجوها * أحدها أن يكون جزاؤه مبتدأ ومن شرطية أو موصولة مبتدأ ثان فهو جزاؤه جواب الشرط أو خبر ما الموصولة والجملة من قوله من وجد الى آخره خبر المبتدأ الأول والضمير في فالوا اجزاؤه للسارق قاله ابن عطية وهذا لا يصح لخلو الجملة الواقعة خبر جزاؤه من رابط * الثاني ان المعنى قالوا جزاء سرقته و يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والأصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من أخو زيد فتقول أخوه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم تقول فهو أخوه مقيما للمظهر مقام المضمر قاله الزمخشري ووضع الظاهر موضع المضمر للربط انما هو فصيح في مواضع التفخيم والتهويل وغير فصيح فيما سوى ذلك نحو زيد قام زيد و ينزه القرآن عنه * قال سيبويه لو قلت كان زيد منطلقا زيد لم يكن ضد الكلام وكان ههنا ضعيفا ولم يكن كقولك ما زيد منطلقا هو لانك قد استغنيت عن اظهاره وانما ينبغي لك أن تضمره * الثالث أن يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف أي المسؤل عنه جزاؤه ثم أفتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما تقول من يستفتي في جزاء صيد الحرم جزاء صيد الحرم ثم تقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم قاله الزمخشري وهو متكلف اذ تصير الجملة من قوله المسئول عنه جزاؤه على هذا التقدير ليس فيه كثير فائدة اذ قد علم من قوله فما جزاؤه ان الشئ المسئول عنه جزاء سرقته فأي فائدة في نطقهم بذلك وكذلك القول في المثال الذي مثل به من قول المستفتي * الرابع أن يكون جزاؤه مبتدأ أي جزاء سرقة الصاع والخبر من وجد في رحله أي أخذ من وجد في رحله وقولهم فهو جزاؤه تقرير لحكم أي فأخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد أن يكسى و يطعم و ينعم عليه فذلك جزاؤه أو فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه قاله الزمخشري وقال معناه ابن عطية الا انه جعل القول الواحد قولين قال و يصح أن يكون من خبرا على ان المعنى جزاء السارق من وجد في رحله عائد على من و يكون قوله فهو جزاؤه زيادة بيان وتأكيد ثم قال و يحتمل أن يكون التقدير جزاؤه استرقاق من وجد في رحله ثم يؤكد بقوله فهو جزاؤه وهذا القول هو الذي قبله غير انه أبرز المضاف المحذوف في قوله استرقاق من وجد في رحله وفيما قبله لا بد من تقديره لان الذات لا تكون خبرا عن المصدر فالتقدير في القول قبله جزاؤه أخذ من وجد في رحله أو استرقاق هذا لا بد منه على هذا الاعراب وهذا الوجه هو أحسن الوجوه وأبعدها من التكلف كذلك أي مثل ذلك الجزاء وهو الاسترقاق نجزي الظالمين أي بالسرقة وهو ديننا وسنتنا في أهل السرقة ﴿فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ

(الدر)

سوى ذلك نحو زيد قام زيد و ينزه القرآن عنه قال سيبويه لو قلت كان زيد منطلقا زيد لم يكن حد الكلام وكان هاهنا ضعيفا ولم يكن كقولك ما زيد منطلقا هو لانك قد استغنيت عن إظهاره وانما ينبغي لك أن تضمره الثالث أن يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف أي المسؤل عنه جزاؤه ثم أفتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما تقول من يستفتي في جزاء صيد الحرم جزاء صيد الحرم ثم تقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم قاله (ش) وهو متكلف اذ تصير الجملة من قوله المسؤل عنه جزاؤه على هذا التقدير ليس فيه كبير فائدة اذ قد علم من قوله فما جزاؤه ان الشئ المسؤل عنه جزاء سرقته فأي فائدة في نطقهم بذلك وكذلك القول في المثال الذي مثل به من قول المستفتي الرابع أن يكون جزاء مبتدأ أي جزاء سرقة الصاع والخبر من وجد في رحله أي أخذ من وجد في رحله وقولهم فهو جزاؤه تقرير لحكم أي فأخذ السارق نفسه وهو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد أن

﴿ ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل ﴾ لا يدل على الجزم بانه سرق بل أخرجوا ذلك مخرج الشرط أى ان كان وقع منه سرقة فهو تأسى بمن سرق قبله فقد سرق أخ له من قبل والتعليق على الشرط على أن السرقة فى حق بنيامين وأخيه ليست مجزوما بها كأنهم قالوا ان كان هذا الذى رمى به بنيامين حقا فالذى رمى به يوسف من قبل حق لكنه قوى الظن عندهم فى حق يوسف بما ظهر لهم أنه جرى من بنيامين ولذلك قالوا إن ابنك سرق وقيل حققوا السرقة فى جانب بنيامين وأخيه بحسب ظاهر الامر فكأنهم قالوا ان كان قد سرق فغير بدع من ابنى راحيل لان أخاه يوسف قد كان قد سرق فعلى هذا القول يكون قولهم انحاء على يوسف و بنيامين وقولهم هذا هو بحسب الظاهر والاخبار بامر جرى لتزول المعرة عنهم و تختص بالشقيقين وتنكير أخ فى قولهم فقد سرق أخ له من قبل لان الحاضرين لا علم لهم به وقالوا له لانه كان شقيقه والجمهور على أن السرقة التى نسبت الى يوسف صلى الله عليه وسلم هى أن عمته ربته وشب عندها وأراد يعقوب أخذه فاشفقت من فراقه فاخذت منطقة اسحق وكانت متوارثة عندهم فنطقته بها من تحت ثيابه ثم صاحت وقالت فقدت المنطقة ففتشت فوجدت عند يوسف فاسترقته حسبما كان عندهم فى شرعهم و بقى عندها حتى ماتت فصار عند أبيه والضمير فى فاسرها يفسره سياق الكلام أى الحزازة التى حدثت فى نفسه من قولهم والظاهر من قوله ﴿ أنتم شر مكانا ﴾ خطابهم بهذا القول فى الوجه فكأنه أسر كراهية مقالتهم ثم و بخهم بقوله أنتم شر مكانا وفيه اشارة الى تكذيبهم ومعنى ﴿ أعلم بما تصفون ﴾ يعنى هو أعلم بما تصفون منكم لانه عالم بحقائق الامور وكيف كانت سرقة أخيه التى

أخاه فى دين الملك الا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم * قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فاسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون ﴾ قيل قال لهم من وكل بهم لابد من تفتيش أوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفى التهمة وتمكين الحيلة وابقاء ظهورها حتى بلغ وعاءه فقال ما أظن هذا أخذ شيأ فقالوا والله ما نتركه حتى تنظر فى رحله فانه أطيب لنفسك وأنفسنا فاستخرجوه منه * وقرأ الحسن من وعاء بضم الواو وجاء كذلك عن نافع * وقرأ ابن جبير من إعاء بابدال الواو المكسورة همزة كما قالوا إشاح و إسادة فى وشاح ووسادة وذلك مطرد فى لغة هذيل يبدلون من الواو المكسورة الواقعة أولا همزة وأنث فى قوله ثم استخرجها على معنى السقاية أو لكون الصواع يذكر و يؤنث * وقال أبو عبيد يؤنث الصواع من حيث سمى سقاية و يذكر من حيث هو صاع وكان أبا عبيد لم يحفظ تأنيث الصواع * وقيل الضمير فى قوله ثم استخرجها عائد على السرقة كذلك أى مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعنى علمناه اياه وأوحينا به اليه * وقال الضحاك والسدى كدنا صنعنا * قال ابن عطية وأضاف الله تعالى الكيد الى ضميره لما أخرج القدر الذى أباح ليوسف أخذ أخيه مخرج ما هو فى اعتياد الناس كيد وفسر ابن عباس فى دين الملك بسلطانه وفسره قتادة بالقضاء والحكم انتهى وقال الزمخشرى ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك تفسير للكيد و بيان له لانه كان فى دين ملك مصر وما كان يحكم به فى السارق أن يغرم مثلى ما أخذ الا أن يلزم و يستعبد الا ان يشاء الله الا بمشيئته واذنه وقال ابن عطية والاستثناء حكاية حال التقدير الا ان يشاء الله ما وقع من هذه الحيلة انتهى والذى يظهر انه استثناء منقطع أى لكن بمشيئة الله أخذه فى دين غير الملك وهو دين آل يعقوب ان الاسترقاق جزاء السارق * وقرأ الكوفيون وابن محيصن نرفع بنون درجات منونا من نشاء بالنون و باقى السبعة كذلك الا انهم أضافوا درجات * وقرأ يعقوب بالياء فى يرفع ويشاء أى يرفع الله درجات من يشاء رفع درجاته وقرأ عيسى البصرة نرفع بالنون درجات منونا من يشاء بالياء * قال صاحب اللوامح وهذه قراءة مرغوب عنها تلاوة و جملة وان لم يمكن انكارها * وقال ابن عطية وقرأ الجمهور نرفع على ضمير المعظم وكذلك نشاء * وقرأ الحسن وعيسى و يعقوب بالياء أى الله تعالى انتهى ومعناه فى العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وعليم صفة مبالغة وقوله ذى علم أى عالم فالمعنى ان فوقه أرفع منه درجة فى علمه وهذا معنى قول الحسن وقتادة وابن عباس وعنه ان العليم هو الله عز وجل * قيل روى عنه انه حدث بحديث عجيب فتعجب منه رجل ممن حضر فقال الحمد لله وفوق كل ذى علم عليم فقال له

(الدر) يكسى و يطعم و ينعم عليه فذلك جزاؤه أو فهو حقه لتقرير ما ذكرته من استحقاقه قاله (ش) وقال معناه (ع) وهذا الوجه هو أحسن الوجوه وأبعدها من التكلف

ابن عباس بئس ماقلت انما العليم الله وهو فوق كل ذي علم * وقرأ عبد الله وفوق كل ذي عالم فخرجت على زيادة ذي أو على ان قوله عالم مصدر بمعنى علم كالباطل أو على ان التقدير وفوق كل ذي شخص عالم * روي ان اخوة يوسف عليه السلام لما رأوا اخراج الصواع من رحل أخيهم بنيامين قالوا يابنيامين ابن راحيل قبحك الله ولدت أمك أخوين لصين كيف سرقت هذه السقاية فرفع يديه الى السماء وقال والله مافعلت فقالوا فمن وضعها في رحلك قال الذي وضع البضاعة في رحالكم * وقال الزمخشري مامعناه رموا بالسرقة تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وان كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لوصرح به كما صرح بالتسريق لكان له وجه لانهم قالوا وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب والكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله وخذ بيدك ضغثا فيتخلص من جلدها ولا يحنث وقول ابراهيم عليه السلام هي أختي لتسلم من يد الكافر وعلم الله في هذه الحيلة التي لقنها ليوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة انتهى وقولهم ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل لا يدل على الجزم بانه سرق بل أخرجوا ذلك مخرج الشرط أي ان كان وقعت منه سرقة فهو يتأسى بمن سرق قبله فقد سرق أخ له من قبل والتعليق على الشرط على ان السرقة في حق بنيامين وأخيه ليس مجزوما بها كانهم قالوا ان كان هذا الذي رمي به بنيامين حقا فالذي رمي به يوسف من قبل حق لكنه قوي الظن عندهم في حق يوسف بما ظهر لهم انه جرى من بنيامين ولذلك قالوا ان ابنك سرق * وقيل حققوا السرقة في جانب بنيامين وأخيه بحسب ظاهر الامر فكانهم قالوا ان كان قد سرق فغير بدع من ابني راحيل لان أخاه يوسف قد كان سرق فعلى هذا القول يكون قولهم انحاء على يوسف و بنيامين * وقيل التقدير فقد قيل عن يوسف انه سرق وقولهم هذا هو بحسب الظاهر والاخبار بامر جرى لتزول المعرة عنهم وتختص بالشقيقين وتنكير أخ في قوله فقد سرق أخ له من قبل لان الحاضرين لاعلم لهم به وقالوا له لانه كان شقيقه والجمهور على ان السرقة التي نسبت هي ان عمته ربته وشب وأراد يعقوب أخذه فاشفقت من فراقه فاخذت منطقة اسحق وكانت متوارثة عندهم فنطقته بها من تحت ثيابه ثم صاحت وقالت فقدت المنطقة ففتشت فوجدت عند يوسف فاسترقته حسبما كان في شرعهم وبقي عندها حتى ماتت فصار عند أبيه * وقال قتادة وابن جبير أمرته أمه أن يسرق صنما وفي كتاب الزجاج من ذهب لابيها فسرقه وكسره وكان ذلك منها تغييرا للمنكر * وقال ابن ادريس عن أبيه انما أكل بنو يعقوب طعاما فاخذ يوسف عرقا فخبأه * وقيل كان في البيت عناق أو دجاجة فاعطاها السائل * وقرأ أحمد بن جبير الانطاكي وابن أبي شريح عن الكسائي والوليد بن حسان عن يعقوب وغيرهم فقد سرق بالتشديد مبنيا للمفعول بمعنى نسب الى السرقة بمعنى جعل سارقا ولم يكن كذلك حقيقة والضمير في قوله فاسرها يفسره سياق الكلام أي الحزازة التي حدثت في نفسه من قولهم كما فسره في قول حاتم

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى * اذا حشرجت نفس وضاق بها الصدر

* وقيل اسر المجازاة * وقيل الحجة * وقال الزمخشري اختار على شريطة التفسير تفسيره أنتم شر مكانا وانما أنث لان قوله أنتم شر مكانا جملة أو كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كانه قيل فاسر الجملة أو الكلمة التي هي قوله * وقرأ عبد الله وابن أبي عبلة فاسره بضمير تذكير * قال

أحلتم سرقته عليه ﴿قالوا يا أيها العزيز﴾ الآية استعطفوا يوسف اذ كان قد أخذ عليهم الميثاق ومعنى كبيرا في السن أو القدر وكانوا قد أعلموا يوسف بانه كان له ابن هلك وهذا شقيقه ليستأنس به وخاطبوه بالعزيز اذ كان في تلك الخطة بعزل قطفير وموته على ماسبق ومعنى مكانه أي بدله على جهة الاسترهان والاستعباد وقوله من المحسنين وصفوه بماشاهدوه من احسانه لهم

ولغيرهم أو من المحسنين الينا في هذه اليد ان أسديتها الينا و ﴿معاذ الله﴾ تقدم الكلام عليه في معاذ الله انه ربي ﴿فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا﴾ استفعل هنا بمعنى المجرد يئس واستيأس بمعنى واحد نحو سخر واستسخر وعجب واستعجب ومعنى خلصوا نجيا انفردوا من غيرهم يناجي بعضهم بعضا والنجي فعيل بمعنى مفاعل كالخليط والعشير وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى بمعنى التناجي وهو لفظ يوصف به من له نجوى واحدا كان أو جماعة مؤنثا أو مذكرا ﴿قال كبيرهم﴾ في السن وهو روبيل ذكرهم الميثاق في قول يعقوب لتأتنني به الا أن يحاط بكم وما زائدة أي ومن قبل هذا فرطتم في يوسف ومن قبل متعلق بفرطتم وقد جوزوا في اعرابه وجوها أحدها أن تكون ما مصدرية

أي ومن قبل تفريطكم قال الزمخشري على أن محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم في يوسف وقال ابن عطية ولا يجوز أن يكون قوله من قبل متعلقا بما فرطتم وانما يكون ما على هذا مصدرية التقدير من قبل تفريطكم في يوسف واقع ومستقر وبهذا المقدر يتعلق قوله من قبل انتهى وهذا قول الزمخشري راجع الى معنى واحد وهو أن مافرطتم يقدر بمصدر مرفوع بالابتداء ومن قبل في موضع الخبر وذهلا عن قاعدة عربية وحق لهما أن يذهلا وهو أن هذه الظروف التي هي غايات اذا بنيت لا تقع أخبارا للمبتدا جرت أولم تجر

الزمخشري يريد القول أو الكلام انتهى والظاهر من قوله أنتم شر مكانا خطابهم بهذا القول في الوجه فكأنه أسر كراهية مقالتهم ثم وبخهم بقوله أنتم شر مكانا وفيه اشارة الى تكذيبهم وتقويه أنهم تركوا أن يشفعوا بانفسهم وعدلوا الى الشفاعة بابيه الشيخ يعقوب عليه السلام * وقال قوم لم يقل يوسف هذا الكلام لهم مواجهة انما قاله في نفسه وهو تفسير قوله الذي أسر في نفسه وهو قول الزمخشري المتقدم ومعنى شر مكانا أي منزلة في السرق لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم أخاكم من أبيكم ومعنى أعلم بما تصفون يعني هو أعلم بما تصفون منكم لانه عالم بحقائق الامور وكيف كانت سرقة أخيه التي أحلتم سرقته عليه * وروى ان روبيل غضب ووقف شعره حتى خرج من ثيابه فامر يوسف ابناله يمسه فسكن غضبه فقال روبيل لقد مسني أحد من ولد يعقوب ثم انهم تشاوروا في محاربة يوسف وكانوا أهل قوة لايدانون في ذلك فلما أحس يوسف بذلك قام الى روبيل فلببه وصرعه فرأوا من قوته مااستعظموه وعند ذلك ﴿قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين * قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون﴾ استعطفوا يوسف اذ كان قد أخذ عليهم الميثاق ومعنى كبيرا في السن أو القدر وكانوا قد أعلموا يوسف بانه كان له ابن قد هلك وهذا شقيقه يستأنس به وخاطبوه بالعزيز اذ كان في تلك الخطة بعزل قطفير أو موته على ماسبق ومعنى مكانه أي بدله على جهة الاسترهان أو الاستعباد قاله الزمخشري * وقال ابن عطية يحتمل قولهم أن يكون مجازا وهم يعلمون انه لا يصح أخذ حر بسارق بدل من قد أحكمت السنة رقه وانما هذا كمن يقول لمن يكره فعله اقتلني ولا تفعل كذا وكذا وأنت لا تريد أن يقتلك ولكنك تبالغ في استنزاله وعلى هذا يتجه قول يوسف معاذ الله لانه تعوذ من غير جائز ويحتمل أن يكون قولهم حقيقة وبعيد عليهم وهم أنبياء أن يريدوا استرقاق حر فلم يبق الا ان يريدوا بذلك طريق الحمالة أي خذ أحدنا حتى ينصرف اليك صاحبك ومقصدهم بذلك أن يصل بنيامين الى أبيه ويعرف يعقوب جلية الامر وقوله من المحسنين وصفوه بما شاهدوه من احسانه لهم ولغيرهم أو من المحسنين الينا في هذه اليد ان أسديتها الينا وهذا تأويل ابن اسحق ومعاذ الله تقدم الكلام فيه في قوله معاذ الله انه ربي والمعنى وجب على قضية فتواكم أخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده فلو أخذنا غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ماعرفتم انه ظلم وباطنه ان الله أمرني وأوحى الي بأخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة أو مصالح جمة علمها في ذلك فلو أخذت غير من أمرني باخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحي وأن نأخذ تقديره من أن نأخذ واذن جواب وجزاء أي ان أخذنا بدله ظلمنا * وروى انه قال لما أيأسهم من حمله معهم اذا أتيتم أباكم فاقرؤا عليه السلام وقولوا له ان ملك مصر يدعو لك أن لا تموت حتى ترى ولدك يوسف ليعلم ان في أرض مصر صديقين مثله ﴿فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم

تقول يوم السبت مبارك والسفر بعده ولا يجوز والسفر بعد وعمرو وجاء وزيد خلفه ولا يجوز أن يقال وزيد خلف وعلى ماذكراه يكون تفريطكم مبتدأ ومن قبل خبر وهو مبني وذلك لا يجوز وهو مقرر في علم العربية ولهذا ذهب أبو علي الى أن المصدر مرفوع بالابتداء وفي يوسف هو الخبر أي كائن أو مستقر في يوسف والظاهر أن في يوسف معمول لقوله فرطتم لأنه في موضع خبر وأجاز الزمخشري وابن عطية أن تكون ما مصدرية والمصدر المسبوك في موضع نصب والتقدير ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقا ومن قبل تفريطكم في يوسف وقدره الزمخشري وتفريطكم من قبل في يوسف وهذا الذي ذهبا إليه ليس بجيد لأن فيه الفصل بالجار والمجرور بين حرف العطف الذي هو على حرف واحد وبين المعطوف فصار نظير ضربت زيدا وبسيف عمرا وقد زعم أبو علي الفارسي أنه لا يجوز ذلك الا في ضرورة الشعر وأما تقدير الزمخشري وتفريطكم من قبل في يوسف فلا يجوز لان فيه تقديم معمول المصدر المنحل لحرف مصدري والفعل عليه وهو لا يجوز وأجاز أيضا أن تكون موصوله بمعنى الذي قال الزمخشري ومحله الرفع أو النصب على الوجهين (٣٣٥) انتهى يعني بالرفع أن يرتفع على الابتداء ومن قبل الخبر وقد

موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الارض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين * ارجعوا الى أبيكم فقولوا ياأبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين * واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وانا لصادقون * قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم * استفعل هنا بمعنى المجرد يئس واستيأس بمعنى واحد نحو سخر واستسخر وعجب واستعجب وزعم الزمخشري أن زيادة السين والتاء في المبالغة قال نحو ما مر في استعصم انتهى * وقرأ ابن كثير استأيسوا استفعلوا من أيس مقلوبا من يئس ودليل القلب كون ياء أيس لم تنقلب ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ومعنى خلصوا نجيا انفردوا من غيرهم يناجي بعضهم بعضا والنجي فعيل بمعنى مفاعل كالخليط والعشير ومعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى بمعنى التناجي وهو لفظ يوصف به من له نجوى واحدا كان أو جماعة مؤنثا أو مذكرا فهو كعدل ويجمع على أنجية قال لبيد

وشهدت أنجية الافاقة عاليا * كعبي وأرداف الملوك شهود

وقال آخر * انى اذا ما القوم كانوا أنجيه * ويقول قوم نجي وهم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الأوصاف ويجوز أن يكون هم نجي من باب هم صديق لانه بزنة المصادر محصوا التناجي ينظرون ماذا يقولون لابيهم في شأن أخيهم لهذا الذي دهمهم من الخطب فيه فاحتاجوا الى التشاور وكبيرهم أي رأيا وتدبيرا وعلما وهو شمعون قاله مجاهد أو كبيرهم في السن وهو روبيل قاله قتادة وقيل في العقل والرأي وهو يهوذا ذكرهم الميثاق في قول يعقوب لتأتنني به الا أن يحاط بكم وما زائدة أي

ذكرنا أن ذلك لا يجوز ومعنى بالنصب أن يكون عطفا على المصدر المنسبك من قوله ان أباكم قد أخذ عليكم وفيه الفصل بين حرف العطف الذي هو الواو وبين المعطوف فأحسن هذه الاوجه ما بدأنا به من كون ما زائدة وبرح التامة تكون بمعنى ذهب وبمعنى ظهر ومنه برح الخفاء أي ظهر وذهب لا ينتصب الظرف المكاني المختص بها انما يصل اليه بواسطة في فاحتيج الى اعتقاد تضمين برح معنى فارق وعنى بالارض أرض مصر التي فيها الواقعة ثم غيا ذلك بغايتين احداهما خاصة وهي قوله حتى يأذن لي أبي في الانصراف اليه والثانية عامة وهي قوله أو يحكم الله لي لان إذن أبيه له هو من حكم الله تعالى له في مفارقة أرض مصر وكأنه لما علق الامر بالغاية الخاصة رجع الى نفسه فأتى بغاية عامة تفويضا لحكم الله ورجوعا الى من له الحكم حقيقة ومقصوده التضييق على نفسه كأنه سجنها في القطر الذي أداه إلى سخط أبيه وفي الكلام حذف تقديره فرجعوا الى أبيهم وأخبروه بالقصة وقول من قال ارجعوا ثم استشهدوا بأهل القرية التي كانوا فيها وهي مصر قاله ابن عباس وبل للاضراب فيقتضي كلاما محذوفا قبلها حتى يصح الاضراب فيها وتقديره ليس الامر حقيقة كما أخبرتم بل سولت وتقدم شرح سولت واعراب فصبر جميل ثم ترجى من الله تعالى أن يأتيه بهم وهم يوسف وبنيامين وكبيرهم على الخلاف الذي فيه وترجى يعقوب للرؤيا التي رآها يوسف وكان ينتظرها ولحسن ظنه بالله في كل حال ولما أخبر به عن ملك مصر أنه يدعو له برؤية ابنه ووصفه الله تعالى بهاتين الصفتين لائق بما يؤخره تعالى من لقاء بنيه وتسليم لحكم الله فيما جرى عليه والضمير في بهم عائد على يوسف وأخيه وعلى كبيرهم الذي امتنع أن يسير معهم إلى أبيهم وباقي الاخوة كانوا عند يعقوب صلى الله عليه وسلم

ومن قبل هذا فرطتم في يوسف ومن قبل متعلق بفرطتم وقد جوزوا في اعرابه وجوها * أحدها أن تكون مامصدرية أي ومن قبل تفريطكم * قال الزمخشري على أن محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو ومن قبل ومعناه وقع من قبل تفريطكم في يوسف * وقال ابن عطية ولا يجوز أن يكون قوله من قبل متعلقا بما فرطتم وانما تكون على هذا مصدرية التقدير من قبل تفريطكم في يوسف واقع ومستقر وبهذا القدر يتعلق قوله من قبل انتهى وهذا وقول الزمخشري راجع الى معنى واحد وهو ان مافرطتم يقدر بمصدر مرفوع بالابتداء ومن قبل في موضع الخبر وذهلا عن قاعدة عربية وحق لهما أن يذهلا وهو ان هذه الظروف التي هي غايات اذا ثبتت لاتقع أخبار المبتدأ جرت أولم تجر تقول يوم السبت مبارك والسفر بعده ولا يجوز والسفر بعد وعمرو زيد خلفه ولا يقال عمرو زيد خلف وعلى ماذكراه يكون تفريطكم مبتدأ ومن قبل خبر وهو مبني وذلك لايجوز وهذا مقرر في علم العربية ولهذا ذهب أبو على الى أن المصدر مرفوع بالابتداء وفي يوسف هو الخبر أي كائن أو مستقر في يوسف والظاهر ان في يوسف معمول لقوله فرطتم لانه في موضع خبر * وأجاز الزمخشري وابن عطية أن تكون مامصدرية والمصدر المسبوك في موضع نصب والتقدير ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقا من قبل وتفريطكم في يوسف وقدره الزمخشري وتفريطكم من قبل في يوسف وهذا الذي ذهبا اليه ليس بجيد لان فيه الفصل بالجار والمجرور بين حرف العطف الذي هو على حرف واحد وبين المعطوف فصار نظير ضربت زيدا وبسيف عمرا وقد زعم أبو على الفارسي انه لايجوز ذلك الا في ضرورة الشعر وأما تقدير الزمخشري وتفريطكم من قبل في يوسف فلا يجوز لان فيه تقديم معمول المصدر المنحل لحرف مصدري والفعل عليه وهو لايجوز وأجاز أيضا أن تكون موصولة بمعنى الذي * قال الزمخشري ومحله الرفع أو النصب على الوجهين انتهى يعني بالرفع أن يرتفع على الابتداء ومن قبل الخبر وقد ذكرنا أن ذلك لايجوز ويعني بالنصب أن يكون عطفا على المصدر المنسبك من قوله ان أباكم قد أخذ وفيه الفصل بين حرف العطف الذي هو الواو وبين المعطوف وأحسن هذه الأوجه مابدأنا به من كون ماز ائدة وبرح التامة تكون بمعنى ذهب وبمعنى ظهر ومنه برح الخفاء أي ظهر وذهب لاينتصب الظرف المكاني المختص بها انما يصل اليه بوساطة في فاحتيج الى اعتقاد تضمين برح بمعنى فارق فانتصب الارض على أنه مفعول به ولا يجوز أن تكون ناقصة لانه لاينعقد من اسمها والارض المنصوب على الظرف مبتدأ وخبر لانه لايصل الا بحرف في لوقلت زيد الارض لم يجز وعني بالأرض أرض مصر التي فيها الواقعة ثم غيا ذلك بغايتين احداهما خاصة وهي قوله حتى يأذن لي أبي يعني في الانصراف اليه والثانية عامة وهي قوله أو يحكم الله لي لان اذن الله له هو من حكم الله له في مفارقة أرض مصر وكأنه لما علق الأمر بالغاية الخاصة رجع الى نفسه فاتى بغاية عامة تفويضا لحكم الله تعالى ورجوعا الى من له الحكم حقيقة ومقصوده التضييق على نفسه كأنه سجنها في القطر الذي أداه الى سخط أبيه ابلاء لعذره وحكم الله تعالى له بجميع أنواع العذر كالموت وخلاص أخيه أو انتصافه من أخذ أخيه * وقال أبو صالح أو يحكم الله لي بالسيف أو

ان محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه وقع من تفريطكم في يوسف وقال (ع) ولا يجوز أن يكون قوله من قبل متعلقا بما فرطتم وان ماتكون على هذا مصدرية التقدير من قبل تفريطكم في يوسف واقع ومستقر وبهذا التقدير يتعلق قوله من قبل انتهى وهذا وقول (س) راجع الى معنى واحد وهو ان مافرطتم يقدر بمصدر مرفوع بالابتداء ومن قبل في موضع الخبر وذهلا عن قاعدة عربية وحق لهما أن يذهلا عنها وهي أن هذه الظروف التي هي غايات اذا ثبتت لاتقع أخبارا للمبتدأ جرت أولم تجر تقول يوم السبت مبارك والسفر بعده ولا يجوز والسفر بعد وعمرو زيد خلفه ولا يقال عمرو زيد خلف وعلى ماذكراه يكون تفريطكم مبتدأ ومن قبل خبر وهو مبني وذلك لايجوز وهذا مقرر في علم العربية ولهذا ذهب أبو على الى ان المصدر مرفوع بالابتداء وفي يوسف هو الخبر أي كائن أو مستقر في يوسف والظاهر ان في يوسف معمول لقوله فرطتم لأنه في موضع خبر وأجاز (ش) و (ع) أن تكون مامصدرية والمصدر المسبوك في موضع نصب والتقدير ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقا ومن قبل تفريطكم في يوسف وقدره (ش) وتفريطكم من قبل في يوسف وهذا الذي ذهبا اليه ليس بجيد لأن فيه الفصل بالجار والمجرور

غير ذلك والظاهر ان و يحكم معطوف على يأذن وجوز أن يكون منصو باباضمار ان بعد أو فى جواب النفى وهو فلن أبرح الأرض أى الا أن يحكم الله لى كقولك لالزمنك أو تقضينى حقى أى الا أن تقضينى ومعناها ومعنى الغاية متقاربان روى انهم لما وصلوا الى يعقوب أخبروه بالقصة فبكى وقال يابنى ماتذهبون عنى مرة الا نقصتم ذهبتم فنقصتم شمعون حيث ارتهن ثم ذهبتم فنقصتم بنيامين و روبيل والظاهر ان الأمر بالرجوع هو من قول كبيرهم * وقيل من قول يوسف لهم * وقرأ الجمهور سرق ثلاثيا مبنيا للفاعل إخبارا بظاهر الحال * وقرأ ابن عباس وأبو رزين والكسائى فى رواية سرق بتشديد الراء مبنيا للمفعول لم يقطعوا عليه بالسرقة بل ذكروا انه نسب الى السرقة و يكون معنى وماشهدنا الا بما علمنا من التسريق وما كنا للغيب أى للامر الخفى حافظين أسرق بالصحة أم دس الصاع فى رحله ولم يشعر * وقرأ الضحاك سارق اسم فاعل وعلى قراءة سرق وسارق اختلف التأويل فى قوله الا بما علمنا * قال الزمخشرى بما علمنا من سرقته وتيقنا لأن الصواع أخرج من وعائه ولا شئ أبين من هذا * وقال ابن عطية أى وقولنا لك ان ابنك سرق انما هى شهادة عندك بما علمناه من ظاهر ما جرى والعلم فى الغيب الى الله تعالى ليس ذلك فى حفظنا هذا قول ابن اسحاق * وقال ابن زيد أرادوا وماشهدنا به عند يوسف ان السارق يسترق فى شرعك الا بما علمنا من ذلك وما كنا للغيب حافظين ان السرقة تخرج من رحل أحدنا بل حسبنا ان ذلك لا يكون البتة فشهدنا عنده حين سألنا بعلمنا و يحتمل قوله وما كنا للغيب حافظين أى حين واثقناك انما قصدنا أن لا يقع منا نحن فى جهته شئ يكرهه ولم نعلم الغيب فى أنه سيأتى هو بما يوجب رقه * وقال الزمخشرى وما كنا للغيب حافظين وما علمنا أنه يسترق حين أعطيناك الموثق أو ربما علمنا انك تصاب كما أصبت بيوسف ومن غريب التفسير ان المعنى قولهم للغيب لليل والغيب الليل بلغة حمير وكأنهم قالوا وماشهدنا الا بما علمنا من ظاهر حاله وما كنا بالليل حافظين لما يقع من سرقته هو أو التدليس عليه وفى الكلام حذف تقديره رجعوا الى أبيهم وأخبروه بالقصة وقول من قال ارجعوا ثم استشهدوا بأهل القرية التى كانوا فيها وهى مصر قاله ابن عباس أى أرسل الى القرية واسأل عن كنه القصة والعير كانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب * وقيل من أهل صنعاء فالظاهر ان ذلك على اضمار أهل كأنه قيل وسل أهل القرية وأهل العير الا ان أريد بالعير القافلة فلا اضمار فى قوله والعير وأحالوا فى توضيح القصة على ناس حاضرين الحال فيشهدون بما سمعوا وعلى ناس غيب يرسل اليهم فيسألون * وقالت فرقة بل أحالوه على سؤال الجمادات والبهائم حقيقة ومن حيث هو نبى ولا يبعد أن يخبره بالحقيقة وحذف المضاف هو قول الجمهور * قال ابن عطية وهذا مجاز * وحكى أبو المعالى عن بعض المتكلمين انه قال هذا من الحذف وليس من المجاز قال وانما المجاز لفظة استعيرت لغير ماهى له قال وحذف المضاف هو عين المجاز وعظمه هذا مذهب سيبويه وغيره * وحكى انه قول الجمهور أو نحو هذا انتهى وفى المحصول لأبى عبد الله محمد الرازى وفى مختصراته ان الاضمار والمجاز متباينان ليس أحدهما قسما من الآخر و بل للاضراب فيقتضى كلاما محذوفا قبلها حتى يصح الاضراب فيها وتقديره ليس الامر حقيقة كما أخبرتم بل سولت * قال ابن عطية والظاهر ان قوله بل سولت لكم أنفسكم أمرا انما هو ظن سوء بهم كما كان فى قصة يوسف قبل فاتفق ان صدق ظنه هناك ولم يتحقق هنا * وقال الزمخشرى بل سولت لكم أنفسكم أمرا أردتموه والا فما أدرى ذلك الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم وتقدم شرح سولت واعراب فصبر جميل ثم

(الدر)

بين حرف العطف الذى هو على حرف واحد و بين المعطوف فصار نظير ضربت زيدا و بسيف عمرا وقد زعم أبو على الفارسى انه لا يجوز ذلك الا فى ضرورة الشعر وأما تقدير (ش) وتفريطكم من قبل فى يوسف فلا يجوز لأن فيه تقديم معمول المصدر المنحل بحرف مصدرى والفعل عليه وهو لا يجوز وأجاز أيضا أن تكون موصولة بمعنى الذى قال (ش) ومحله الرفع أو النصب على الوجهين انتهى يعنى بالرفع أن يرتفع على الابتداء ومن قبل الخبر وقد ذكرنا ان ذلك لا يجوز و يعنى بالنصب أن يكون عطفا على المصدر المنسبك من قوله ان اباكم قد أخذ وفيه الفصل بين حرف العطف الذى هو الواو و بين المعطوف فأحسن الوجوه ما بدأنا به من كون ما زائدة

﴿وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف﴾ الآية وتولى عنهم أي أعرض عنهم كراهة لما جاؤا به وأنه ساء ظنه بهم ولم يصدق قولهم وجعل يتفجع ويتأسف ونادى يعقوب الاسف على سبيل المجاز على معنى هذا زمانك فاحضر والظاهر انه مضاف الى ياء المتكلم قلبت الياء ألفا كما قالوا في يا غلامي يا غلاما وذكر يعقوب ما دهاه من أمر بنيامين والقائل فلن أبرح الارض فقدانه يوسف فتأسف عليه وحده ولم يتأسف عليهما لانه هو الذي لا يعلم أحي هو أم ميت بخلاف أخويه ولانه كان أصل الرزايا عنده اذ ترتبت

عليه وكان أحب أولاده اليه وكان دائما يذكره ولا ينساه وابيضاض عينيه من توالي العبرة عليهما فينقلب سواد العين الى بياض كدر والظاهر انه كان عمي لقوله تعالى فارتد بصيرا وقال وما يستوي الاعمى والبصير فقابل البصير بالاعمى وعلل الابيضاض بالحزن وانما هو من البكاء المتوالي وهو ثمرة الحزن فعلل بالاصل الذي نشأ منه البكاء وهو الحزن والكظيم إما للمبالغة وهو الظاهر اللائق بحال يعقوب أي شديد الكظم كما قال والكاظمين الغيظ ولم يشك يعقوب الى أحد وانما كان يكتمه في نفسه ويمسك همه في صدره فكان يكظمه أي يرده إلى قلبه ولا يرسله بالشكوى والغضب والضجر واما أن يكون فعيلا بمعنى مفعول وهو لا ينقاس وقاله قوم كما قال تعالى اذ نادى وهو مكظوم وجواب القسم تفتؤ حذفت منه لا وحذفها جائز والمعنى لا تزال واسمها ضمير الخطاب وتذكر خبر تفتؤ وحتى للغاية بمعنى الى أن فكأنهم قالوا له ذلك على جهة تفنيد الرأي أي لا تزال تذكر يوسف الى حال القرب من الهلاك أو الى أن تهلك فقال هو ﴿انما أشكوا بثي وحزني الى الله﴾ أي لا أشكو الى أحد منكم ولا غيركم قال أبو عبيدة وغيره البث أشد الحزن سمي بذلك لانه من صعوبته لا يطيق حمله فيبثه أي ينشره ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ أي أعلم من صنعة الله ورحمته وحسن ظني به أنه يأتي بالفرج من حيث لا أحتسب ﴿اذهبوا﴾ أمر بالذهاب الى أرض مصر التي جاؤا منها وتركوا بها إخوتهم بنيامين والمقيم بها وأمرهم بالتحسس

ترجي ان الله يجمعهم عليه وهم يوسف وبنيامين وكبيرهم على الخلاف الذي فيه وترجي يعقوب للرؤيا التي رآها يوسف فكان ينتظرها ويحسن ظنه بالله في كل حال ولما أخبر به عن ملك مصر انه يدعو له برؤية ابنه ووصفه الله بهاتين الصفتين لائق بما يؤخره تعالى من لقاء بنيه وتسليم لحكمة الله فيما جرى عليه ﴿وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم * قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين * قال انما أشكوا بثي وحزني الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون * يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون﴾ وتولى عنهم أي أعرض عنهم كراهة لما جاؤا به وانه ساء ظنه بهم ولم يصدق قولهم وجعل يتفجع ويتأسف * قال الحسن خصت هذه الامة بالاسترجاع ألا ترى الى قول يعقوب يا أسفى ونادى الاسف على سبيل المجاز على معنى هذا زمانك فاحضر والظاهر انه يضاف الى ياء المتكلم قلبت ألفا كما قالوا في يا غلامي يا غلاما * وقيل هو على الندبة وحذف الهاء التي للسكت * قال الزمخشري والتجانس بين لفظتي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير مستعمل فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض أرضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون صنعا من سبأ بنبأ انتهى ويسمى هذا تجنيس التصريف وهو ان تنفرد كل كلمة من الكلمتين عن الأخرى بحرف وذكر يعقوب ما دهاه من أمر بنيامين والقائل لن أبرح الارض فقدانه يوسف فتأسف عليه وحده ولم يتأسف عليهما لأنه هو الذي لا يعلم أحي هو أم ميت بخلاف اخوته ولأنه كان أصل الرزايا عنده إذ ترتبت عليه وكان أحب أولاده اليه وكان دائما يذكره ولا ينساه وابيضاض عينيه من توالي العبرة فينقلب سواد العين الى بياض كدر والظاهر انه كان عمي لقوله فارتد بصيرا وقال وما يستوي الاعمى والبصير فقابل البصير بالاعمى * وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا وعلل الابيضاض بالحزن وانما هو من البكاء المتوالي وهو ثمرة الحزن فعلل بالاصل الذي نشأ منه البكاء وهو الحزن * وقرأ ابن عباس ومجاهد من الحزن بفتح الحاء والزاي وقتادة بضمها والجمهور بضم الحاء واسكان الزاي والكظيم إما للمبالغة وهو الظاهر اللائق بحال يعقوب أي شديد الكظم كما قال والكاظمين الغيظ ولم يشك يعقوب الى أحد وانما كان يكتمه في نفسه ويمسك همه في صدره فكان يكظمه أي يرده الى قلبه ولا يرسله بالشكوى والغضب والضجر واما أن يكون فعيلا بمعنى مفعول وهو لا ينقاس وقاله قوم كما قال في يونس إذ نادى وهو مكظوم * قال ابن عطية وانما يتجه على تقدير انه ملئ بحزنه فكأنه كظم حزنه في صدره وفسر ناس الكظيم بالمكروب وبالمكمود * وروى انه ما جفت عيناه من فراق يوسف الى لقائه ثمانين عاما وان وجده عليه وجد سبعين ثكلى وأجره

أجر مائة شهيد * وقال الزمخشري فهو كظيم فهو مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوؤهم انتهى وقد ذكرنا ان فعيلا بمعنى مفعول لا ينقاس وجواب القسم تفتؤ حذفت منه لا لأن حذفها جائز والمعنى لا تزال * وقال مجاهد لا تفتر من حبه كأنه جعل الفتوء والفتور أخوين والحرض الذي قد رناموته * قال مجاهد مادون الموت * وقال قتادة البالي الهرم وقال نحوه الضحاك والحسن * وقال ابن اسحاق الفاسد الذي لا عقل له وكأنهم قالوا له ذلك على جهة تفنيد الرأي أي لا تزال تذكر يوسف الى حال القرب من الهلاك أو الى أن تهلك فقال هو انما أشكو بثي وحزني الى الله أي لا أشكو الى أحد منكم ولا غيركم * وقال أبو عبيدة وغيره البث أشد الحزن سمى بذلك لأنه من صعوبته لا يطيق حمله فيبثه أي ينشره * وقرأ الحسن وعيسى وحزني بفتحتين * وقرأ قتادة بضمتين وأعلم من الله ما لا تعلمون أي أعلم من صنعه و رحمته وحسن ظني به انه يأتي بالفرج من حيث لا أحتسب قاله الزمخشري * وقال ابن عطية و يحتمل انه أشار الى الرؤيا المنتظرة أو الى ما وقع في نفسه من قول ملك مصر اني أدعو له برؤية ابنه قبل الموت * وقيل رأى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا هو حي فاطلبه * اذهبوا أمر بالذهاب الى الارض التي جاؤا منها وتركوا بها أخويهم بنيامين والمقيم بها وأمرهم بالتحسس وهو الاستقصاء والطلب بالحواس و يستعمل في الخير والشر * وقرئ بالجيم كالذي في الحجرات ولا تجسسوا والمعنى فتحسسوا نبأ من أمر يوسف وأخيه وانما خصهما لأن الذي أقام وقال فلن أبرح الارض انما أقام مختارا * وقرأ الجمهور تيأسوا وفرقة تأيسوا * وقرأ الاعرج تئسوا بكسر التاء وروح الله رحمته وفرجه وتنفيسه * وقرأ عمر بن عبد العزيز والحسن وقتادة من روح الله بضم الراء * قال ابن عطية وكان معنى هذه القراءة لا تيأسوا من حي معه روح الله الذي وهبه فان من بقي روحه يرجي ومن هذا قول الشاعر *

* وفي غير من قد وارت الارض فاطمع * ومن هذا قول عبيد بن الابرص

وكل ذي غيبة يؤوب * وغائب الموت لا يؤوب

* وقال الزمخشري من روح الله بالضم أي من رحمته التي تحيا بها العباد انتهى * وقرأ أبي من رحمة الله من صفات الكافر إذ فيه التكذيب بالربوبية أو الجهل بصفات الله ﴿ فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين * قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون قالوا أإنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا انه من يتق و يصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين * قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين * قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين * اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين * ولما فصلت العير قال أبوهم اني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون * قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم * فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون * قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين * قال سوف أستغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم * فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين * ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي اذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني و بين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم ﴾ المزجاة المدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا

وهو الاستقصاء والطلب بالحواس و يستعمل في الخير والشر وقرئ بالجيم والمعنى فتجسسوا شيئا من أمر يوسف وأخيه وانما خصهما لان الذي أقام وقال فلن أبرح الارض انما أقام مختارا و روح الله رحمته وفرجه وتنفيسه

من أزجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب وقال حاتم الطائي

لبيك على ملحان ضيف مدفع * وأرملة تزجي مع الليل ارملا

الايثار لفظ يعم جميع التفضل وأنواع العطايا * التثريب التأنيب والعتب وعبر بعضهم عنه بالتعيير ومنه اذا زنت أمة أحدكم فليجلدها ولا يثرب أي لا يعير وأصله من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد والتقريع ازالة الجلد والقرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق الاعراض ويذهب بهاء الوجه * الفند الفساد قال

ألا سليمان اذ قال الاله له * قم في البرية فاحددها عن الفند

وفندت الرجل أفسدت رأيه ورددته قال

يا عاذليّ دعا لومي وتفنيدي * فليس ما قلت من أمر بمردود

وأفند الدهر فلانا أفسده قال ابن مقبل

دع الدهر يفعل ما أراد فانه * اذا كلف الافناد بالناس أفندا

القديم الذي مرت عليه اعصار وهو أمر نسبي * البدو البادية وهي خلاف الحاضرة ﴿فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين * قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون﴾ في الكلام حذف تقديره فذهبوا من الشام الى مصر ودخلوا عافلما دخلوا عليه والضمير في عليه عائد على يوسف وكان آكد ما حدثوه فيه شكوى ما أصابهم من الجهد قبل ما وصاهم به من تحسس نبأ يوسف وأخيه والضر الهزال من الشدة والجوع والبضاعة كانت زيوفا قاله ابن عباس * وقال الحسن قليلة * وقال ابن جبير ناقصة * وقيل كانت عروضا * قيل كانت صوفا وسمنا * وقيل صنوبرا وحبة الخضراء وهي الفستق قاله أبو صالح وزيد بن أسلم * وقيل سويق المقل والاقط وقيل قديد وحش * وقيل حبالا واعدالا واقتابا ثم التمسوا منه ايفاء الكيل وقد استدل بهذا على ان الكيل على البائع ولا دليل فيه وتصدق علينا أي بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة أو زد نا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة * قيل لان الصدقات محرمة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام * وقيل كانت تحل لغير نبينا صلى الله عليه وسلم * وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال ألم تسمع وتصدق علينا أرادا نها كانت حلالا لهم * وقال الزمخشري والظاهر انهم تمسكنوا له وطلبوا أن يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك ان عرفهم نفسه وقوله ان الله يجزي المتصدقين شاهد لذلك لذكر الله وجزائه انتهى * وقيل كانت الصدقة محرمة ولكن قالوها تجوزا استعطافا منهم له في المبايعة كما تقول لمن ساومته في سلعة هبني من ثمنها كذا فلم يقصد أن يهبك وانما حسنت معه الافعال حتى يرجع منك الى سومك * وقال ابن جريج انما خصوا بقولهم وتصدق علينا أمر أخيهم بنيامين أي أوف لنا الكيل في المبايعة وتصدق علينا برد أخينا على أبيه * وقال النقاش في قوله ان الله يجزي المتصدقين هي من المعاريض التي هي مندوحة عن الكذب وذلك انهم كانوا يعتقدونه ملكا كافرا على غير دينهم ولو قالوا ان الله يجزيك بصدقتك في الآخرة كذبوا فقالوا له لفظا يوهم انهم أرادوه وهم يصح لهم اخراجه منه بالتأويل * وروى انهم لما قالوا له مسنا وأهلنا الضر واستعطفوه رق لهم ورحمهم * قال ابن اسحق وارفض دمعه باكيا

عليه والضمير في عليه عائد على يوسف وكان آكد ما حدثوه فيه شكوى ما أصابهم من الجهد قبل ما وصاهم به من تحسيس نبأ يوسف وأخيه والضر الهزال من الشدة والجوع والبضاعة كانت زيوفا قاله ابن عباس ثم التمسوا منه ايفاء الكيل وقد استدل بهذا على أن الكيل على البائع ولا دليل فيه ﴿وتصدق علينا﴾ أي بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة أو زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة ﴿قال هل علمتم ما فعلتم﴾ الآية نسبهم إما الى جهل المعصية وإما الى جهل الشباب وقلة الحنكة وقيل أتاهم من جهة الدين وكان عليه السلام حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب فقال هل علمتم أي قبح ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك أقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتبتم الى الله منه لان علم القبيح يدعو الى الاستقباح والاستقباح يجر التوبة فكان كلامه شفقة عليهم ونصحا لهم في الدين وايثار حق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب

وينفث المصدور و يشتفى المغيظ المحنق و يدرك ثاره الموتور ﴿ قالوا أإنك لأنت يوسف قال أنا يوسف ﴾ الآية لما خاطبهم بقوله هل علمتم أدركوا انه لا يستفهم ملك لم ينشأ عندهم ولا تتبع أحوالهم وليس منهم فيما يظهر الا وعنده علم منهم بحالهم فيقال انه كان يكلمهم من وراء حجاب فرفعه ووضع التاج وتبسم وكان يضيء ما حوله من نور تبسمه ورأوا لمعة بيضاء كالشامة في فرقه حين وضع التاج وكان مثلها لابيه وجده وسارة فتوسموا أنه يوسف واستفهموه استفهام استخبار وقيل استفهام تقرير لانهم كانوا عرفوه بتلك العلامات التي سبق ذكرها ولما استفهموه أجابهم فقال أنا يوسف كاشفا لهم أمره وزادهم في

شرع في كشف أمره اليهم فيروى انه حسر قناعه وقال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه أي من التفريق بينهما في الصغر واذاية بنيامين بعد مغيب يوسف وكانوا يذلونه ويشتمونه * قال ابن عطية ونسبهم اما الى جهل المعصية واما الى جهل السباب وقلة الحنكة * وقال الزمخشري أتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك أقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتبتم الى الله منه لان علم القبح يدعو الى الاستقباح والاستقباح يجر التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين وايثار الحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب و ينفث المصدور و يشتفى المغيظ المحنق و يدرك ثاره الموتور فلله أخلاق الانبياء ما أوطاها وأسمحها ولله حصى عقولهم ما أرزنها وأرجحها انتهى * وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم لما فعلوا ما لا يقتضيه العلم وتقدم عليه الا جاهل سماهم جاهلين وفي التحرير ما لخص منه وهو أن قول الجمهور هل علمتم استفهام معناه التقريع والتوبيخ ومراده تعظيم الواقعة أي ما أعظم ما ارتكبتم من يوسف كما يقال هل تدري من عصيت * وقيل هل بمعنى قد لانهم كانوا عالمين وفعلتم بيوسف افراده من أبيهم وقولهم بان الذئب أكله والقاؤه في الجب وبيعه بثمن بخس ان كانوا هم الذين باعوه وقولهم ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل والذي فعلوا بأخيه أذاهم له وجفاؤهم له واتهامه بسرقة الصاع وتصريحهم بأنه سرق ولم يذكر لهم ما اذواجه أباهم تعظيما القدره وتفخيما لشأنه أن يذكره مع نفسه وأخيه * قال ابن عباس والحسن جاهلون صبيان * وقال مقاتل مذنبون * وقيل جاهلون بما يجب من بر الأب وصلة الرحم وترك الهوى * وقيل جاهلون بما يؤول اليه أمر يوسف * وقيل جاهلون بالفكر في العاقبة وعدم النظر الى المصلحة * وقال المفسرون وغرض يوسف توبيخ اخوته وتأنيبهم على ما فعلوا في حق أبيهم وفي حق أخويهم قال والصحيح انه قال ذلك تأنيسا لقلوبهم و بسط عذر كأنه قال انما أقدمكم على ذلك الفعل القبيح جهالة الصبا أو الغرور وكأنه لقنهم الحجة كقوله ما غرك بربك الكريم وما حكاه ابن الهيصم في قصة من انه صلبهم والثعلبي في حكايته انه غضب عليهم فأمر بقتلهم فبكوا وجزعوا فرق لهم وقال هل علمتم الآية لا يصح البتة وكان يوسف من أرق خلق الله وأشفقهم على الاجانب فكيف مع اخوته ولما اعترفوا بالخطأ قال لا تثريب عليكم الآية ﴿ قالوا أإنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا انه من يتق و يصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين * قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين * قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين * اذهبوا

الجواب قوله وهذا أخي لانه سبق قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه وكان في ذكر أخيه بيان لما سألوا عنه وان كان معلوما عندهم وتوطئة لما ذكر بعد من قوله ﴿ قد من الله علينا ﴾ أي بالاجتماع بعد الفرقة والانس بعد الوحشة ثم ذكر ان سبب من الله تعالى هو بالتقوى والصبر والاحسن أن لا يخص التقوى بحالة ولا الصبر وقرأ قنبل ويتقي فقيل هو مجزوم بحذف الياء التي هي لام الكلمة وقيل جزمه بحذف الحركة على لغة من يقول لم يرمي زيد وقد حكوا ذلك لغة وقيل هو مرفوع ومن موصولة بمعنى الذي وعطف عليه مجزوم وهو يصبر وذلك على التوهم كأنه توهم أن من شرطية ويتقي مجزوم والمحسنين عام يندرج فيه من تقدم

أو وضع موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين فكأنه قيل لا يضيع أجرك وآثرك الله فضلك بالملك أو بالصبر والعلم قاله ابن عباس ﴿ لا تثريب عليكم ﴾ الآية التثريب التأنيب والعتب وعبر بعضهم عنه بالتعيير ومنه اذا زنت أمة أحدكم فليجلدها ولا يثرب عليها أي لا يعيرها وأصله من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كما أن التجليد والتقريع ازالة الجلد فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب بهاء الوجه وتثريب اسم لا وعليكم الخبر واليوم منصوب بالعامل في الخبر أي لا تثريب مستقر عليكم اليوم قال الزمخشري * فان قلت بم تعلق اليوم * قلت بالتثريب أو المقدر عليكم من معنى الاستقرار أو بيغفر والمعنى لا أثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الأيام ثم ابتدأ فقال ﴿ يغفر الله لكم ﴾ فدعا لهم بمغفرة

بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين ﴾ لما خاطبهم بقوله هل علمتم أدركوا انه لا يستفهم ملك لم ينشأ عندهم ولا تتبع أحوالهم وليس منهم فيما يظهر الا وعنده علم بحالهم فيقال انه كان يكلمهم من وراء حجاب فرفعه ووضع التاج وتبسم وكان يضيء ماحوله من نور تبسمه أو رأوا لمعة بيضاء كالشامة في فرقه حين وضع التاج وكان مثلها لأبيه وجده وسارة فتوسموا انه يوسف واستفهموه استفهام استخبار * وقيل استفهام تقرير لانهم كانوا عرفوه بتلك العلامات التي سبق ذكرها * وقال الزمخشري (فان قلت) كيف عرفوه (قلت) رأوا في روائه وشمائله حين كلمهم بذلك ماشعروا به انه هو مع علمهم بان ماخاطبهم به لا يصدر الا عن حنيف مسلم من نسل ابراهيم عليه السلام لا عن بعض أعزاء مصر * وقرأ الجمهور أئنك على الاستفهام والخلاف في تحقيق الهمزتين أو تليين الثانية وادخال ألف في التليين أو التحقيق مذكور في القراآت السبع * وقرأ قتادة وابن محيصن وابن كثير انك بغير همزة استفهام والظاهر انها مرادة ويبعد حمله على الخبر المحض وقد قاله بعضهم لتعارض الاستفهام والخبر ان اتحد القائلون في القول وهو الظاهر فان قدران بعضا استفهم وبعضا أخبر ونسب في كل من القراءتين الى المجموع قول بعضهم أمكن وهو مع ذلك بعيد وقرأ أبي أئنك أو أنت يوسف وخرجه ابن جني على حذف خبر ان وقدره أئنك لأنت يوسف أو أنت يوسف وقدره الزمخشري أئنك يوسف أو أنت يوسف فحذف الأول لدلالة الثاني عليه قال وهذا كلام مستعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات انتهى * وحكى أبو عمرو الداني في قراءة أبي بن كعب قالوا أو أنت يوسف وفي قراءة الجمهور أئنك لانت يجوز أن تكون اللام دخلت على أنت وهو فصل وخبر ان يوسف كما تقول ان كان زيد لهو الفاضل ويجوز أن تكون دخلت على أنت وهو مبتدأ ويوسف خبره والجملة في موضع خبر ان ولا يجوز أن يكون أنت توكيد الضمير الذي هو اسم ان لحيلولة اللام بينهما ولما استفهموه أجابهم فقال أنا يوسف كاشفا لهم أمره وزادهم في الجواب قوله وهذا أخي لانه سبق قوله هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه وكان في ذكر أخيه بيان لما سألوا عنه وان كان معلوما عندهم وتوطئة لما ذكر بعد من قوله قد من الله علينا أي بالاجتماع بعد الفرقة والانس بعد الوحشة ثم ذكر ان سبب من الله عليه هو بالتقوى والصبر والأحسن أن لا تخص التقوى بحالة ولا الصبر * وقال مجاهد من يتق في تركه المعصية ويصبر في السجن * وقال النخعي من يتق الزنا ويصبر على العزوبة * وقيل ومن يتق الله ويصبر على المصائب * وقال الزمخشري من يتق من يخف الله وعقابه ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات * وقيل من يتق معاصي الله ويصبر على أذى الناس وهذه كلها تخصيصات بحسب حالة يوسف ونوازله * وقرأ قنبل من يتقي فقيل هو مجزوم بحذف الياء التي هي لام الكلمة وهذه

مافرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع جميعا ومنه قول المشمت يغفر الله لكم ويصلح بالكم أو اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل الغفران لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم انتهى أما قوله ان اليوم متعلق بالتثريب فهذا لا يجوز لأن التثريب مصدر وقد فصل بينه وبين معموله بقوله عليكم وعليكم إما أن يكون خبرا أو صفة لتثريب ولا يجوز الفصل بينهما لان معمول المصدر من تمامه وأيضا لو كان اليوم متعلقا بتثريب لم يجز بناؤه وكان يكون من قبيل المشبه بالمضاف وهو الذي يسمى المطول ويسمى المطول وكان يكون معربا منونا وأما تقديره الثاني فتقدير حسن ولذلك وقف على قوله اليوم أكثر القراء وابتدؤا بيغفر الله لكم على جهة الدعاء وهو تأويل ابن اسحاق والطبري وأما تقديره الثالث وهو أن يكون اليوم متعلقا بيغفر فقول وقد وقف بعض القراء على عليكم وابتدأ اليوم يغفر الله لكم ولما دعا لهم بالمغفرة أخبر عن الله تعالى بالصفة التي هي سبب الغفران وهو أنه تعالى أرحم الراحمين فهو يرجو منه قبول دعائه لهم بالمغفرة والباء في بقميصي الظاهر انها للحال أي مصحوبين أو ملتبسين به والظاهر انه قميص من ملبوس يوسف صلى الله عليه وسلم بمنزلة قميص كل أحد قال ابن عطية وهكذا تبين الغرابة في أن وجد يعقوب ريحه من بعد ولو كان من قمص الجنة كما قيل ما كان في ذلك غرابة ولوجده كل أحد وقوله فالقوه على وجه أبي يأت بصيرا يدل على أنه علم أنه عمي من الحزن اما باعلامهم واما بوحي من الله تعالى وقوله يأت بصيرا يظهر أنه بوحي من الله تعالى وأهلوه الذين أمر أن يؤتى بهم سبعون وقيل غير ذلك وفي واحد من هذا العدد حلوا بمصر ونموا حتى خرج من ذريتهم مع موسى ستمائة ألف مع قرب المدة عجب عظيم ومعنى يأت أتني وانتصب بصيرا على الحال ثم أمرهم بأمرين أحدهما الذهاب بقميصه اذ كان أسر اليه ارتداد

(الدر) (ح) تثريب اسم لا وعليكم الخبر واليوم منصوب بالعامل فى الخبر أى لا تثريب مستقر عليكم اليوم (ش) فان قلت بم تعلق اليوم * قلت بالتثريب أو بالمقدر فى عليكم من معنى الاستقرار أو بيغفر الله لكم والمعنى لا أثربكم اليوم وهو اليوم الذى هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الأيام ثم ابتدأ فقال (٣٤٣) يغفر الله لكم فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك

الياء اشباع * وقيل جزمه بحذف الحركة على لغة من يقول لم يرمى زيد وقد حكوا ذلك لغة * وقيل هو مرفوع ومن موصول بمعنى الذى وعطف عليه مجزوم وهو ويصبر وذلك على التوهم كانه توهم ان من شرطية ويتقى مجزوم * وقيل ويصبر مرفوع عطفا على مرفوع وسكنت الراء لا للجزم بل لتوالى الحركات وان كان ذلك من كلمتين كما سكنت فى يأمركم ويشعركم وبعولتهن أو مسكنا للوقف وأجرى الوصل مجرى الوقف والاحسن من هذه الاقوال أن يكون يتقى مجزوما على لغة وان كانت قليلة ولا يرجع الى قول أبى على قال وهذا مما لا يحمل عليه لانه انما يجيء فى الشعر لا فى الكلام لان غيره من رؤساء النحويين قد نقلوا انه لغة والمحسنين عام يندرج فيه من تقدم أو وضع موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين كانه قيل لا يضيع أجرهم وآثرك فضلك بالملك أو بالصبر والعلم قالهما ابن عباس أو بالحلم والصفح ذكره أبو سليمان الدمشقى أو بحسن الخلق والخلق والعلم والحلم والاحسان والملك والسلطان وبصبرك على أذانا قاله صاحب الغنيان أو بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين قاله الزمخشرى وهو مناسب لقوله انه من يتق الآية وخطاهم اياه بذلك استنزال لاحسانه واعتراف بما صدر منهم فى حقه وخاطئين من خطئ اذا تعمد وأما أخطأ فقصد الصواب ولم يوفق له ولا تثريب لا لوم ولا عقوبة وتثريب اسم لا وعليكم الخبر واليوم منصوب بالعامل فى الخبر أى لا تثريب مستقر عليكم اليوم * وقال الزمخشرى (فان قلت) بم تعلق اليوم (قلت) بالتثريب أو بالمقدر فى عليكم من معنى الاستقرار أو بيغفر والمعنى لا أثربكم اليوم وهذا اليوم الذى هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدأ فقال يغفر الله لكم فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضى والمضارع جميعا ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم أو اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل الغفران لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم انتهى أما قوله ان اليوم يتعلق بالتثريب فهذا لا يجوز لان التثريب مصدر وقد فصل بينه وبين معموله بقوله عليكم وعليكم اما أن يكون خبرا أو صفة لتثريب ولا يجوز الفصل بينهما لان معمول المصدر من تمامه وأيضا لو كان اليوم متعلقا بتثريب لم يجز بناؤه وكان يكون من قبيل المشبه بالمضاف وهو الذى يسمى المطول ويسمى الممطول فكان يكون معربا منونا وأما تقديره الثانى فتقدير حسن ولذلك وقف على قوله اليوم أكثر القراء وابتدؤا بيغفر الله لكم على جهة الدعاء وهو تأويل ابن اسحق والطبرى وأما تقديره الثالث وهو أن يكون اليوم متعلقا بيغفر فقول وقد وقف بعض القراء على عليكم وابتدأ اليوم يغفر الله لكم * قال ابن عطية والوقف على اليوم أرجح فى المعنى لان الآخر فيه حكم على مغفرة الله اللهم الا أن يكون ذلك بوحى وأما قوله فبشارة الى آخره فعلى طريق المعتزلة فان الغفران لا يكون الا لمن تاب * قال ابن الانبارى انما أشار الى ذلك اليوم لانه أول أوقات العفو وسبيل العافى فى مثله أن لا يراجع عقوبة وأجاز الحوفى أن يكون عليكم فى موضع الصفة لتثريب ويكون الخبر اليوم وهو وجه حسن * وقيل عليكم بيان كلك فى قولهم

ويغفر الله لك على لفظ الماضى والمضارع جميعا. ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم أو اليوم يغفر الله لكم بشارة بالغفران لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم (ح) أما قوله اليوم يتعلق بالتثريب فهو لا يجوز لان التثريب مصدر وقد فصل بينه وبين معموله بقوله عليكم وعليكم اما أن يكون خبرا أو صفة لتثريب ولا يجوز الفصل بينهما لان معمول المصدر من تمامه وأيضا لو كان اليوم متعلقا بتثريب لم يجز بناؤه وكان يكون من قبيل المشبه بالمضاف وهو الذى يسمى المطول ويسمى المطاول فكان يكون معربا منونا وأما تقديره الثانى فتقدير حسن ولذلك وقف على قوله اليوم أكثر القراء وابتدؤا يغفر الله لكم على جهة الدعاء وهو تأويل ابن اسحاق والطبرى وأما تأويله الثالث وهو ان يكون متعلقا بيغفر فقول وقد وقف بعض القراء على عليكم وابتدأ اليوم يغفر الله لكم قال (ع) والوقف على اليوم أرجح فى المعنى لأن الآخر فيه حكم على مغفرة الله اللهم الا أن يكون ذلك بوحى وأما قوله فبشارة الى آخره فعلى طريق المعتزلة فان الغفران لا يكون الا لمن تاب ولو قيل ان الخبر محذوف وعليكم متعلق بمحذوف يدل عليه تثريب وذلك المحذوف هو العامل فى اليوم وتقديره لا تثريب يثرب عليكم اليوم

بصر أبيه بالقاء قيصه على وجهه والامر الثانى اتيانهم بأهلهم جميعا لتكمل مسرته بذلك ﴿ولما فصلت العير قال أبوهم انى لأجد ريح يوسف﴾ الآية يقال فصل من البلد يفصل فصولا انفصل منه وجاوز حيطانه وهو لازم وفصل الشئ فصلا فرق وهو متعد ومعنى فصلت العير انفصلت من عريش مصر قاصدة مكان يعقوب صلى الله عليه وسلم وكان قريبا من بيت المقدس وهو الصحيح لان آثارهم وقبورهم هناك الى الآن وقرأ ابن عباس ولما انفصلت قال ابن عباس وجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام هاجت ريح فحملت عرفه وقيل غير ذلك ومعنى لأجد لاشم فهو وجود حاسة الشم وقال الشاعر

وانى لاستشفى بكل غمامة * يهب بها من نحو أرضك ريح *

ومعنى ﴿تفندون﴾ قال ابن عباس تسفهون وتجهلون وقال منذر بن سعيد البلوطى يقال شيخ مفند أى قد فسد رأيه ولا يقال عجوز مفندة لان المرأة لم يكن لها قط رأى أصيل فيدخله التفنيد ولولا هنا حرف امتناع لوجود وأن تفندون فى موضع المبتدأ تقديره لولا تفنيدكم وجوابها محذوف قال الزمخشرى المعنى لولا تفنيدكم اياى لصدقتمونى انتهى وقد يقال تقديره لولا أن تفندون لاخبرتكم بكونه حيا لم يمت لان وجدان ريحه دال على حياته والمخاطب بقوله تفندون الظاهر انه من تناسق الضمائر انه عائد على من كان بقى عنده من أولاده غير الذين راحوا يمتارون اذ كان أولاده جماعة وقيل المخاطب ولد ولده ومن كان بحضرته من قرابته والضلال هنا لا يراد به ضد الهدى والرشاد قال ابن عباس المعنى انك لفى خطائك وكان حزن يعقوب قد تجدد بقصة بنيامين ﴿فلما أن جاء البشير﴾ أن زائدة للتأكيد وزيادتها بعد لما قياس مطرد قال ابن عباس البشير كان يهوذا لانه كان جاء بقميص الدم والضمير المستكن فى ألقاه عائد على البشير وقوله ﴿انى أعلم من الله مالا تعلمون﴾ من حياة يوسف وان الله تعالى يجمع بيننا ولما رجع اليه بصره وقرت عينه بالمسير الى ابنه يوسف وقررهم على قوله ﴿ألم أقل لكم﴾ طلبوا منه أن يستغفر لهم الله لذنوبهم واعترفوا بالخطأ السابق منهم وسوف أستغفر لكم عدة لهم بالاستغفار بسوف وهى أبلغ فى التنفيس من السين فعن ابن مسعود أنه أخر الاستغفار لهم الى السحر وعن ابن عباس الى ليلة الجمعة وعنه الى سحرها ولما وعدهم بالاستغفار رجاهم بحصول الغفران بقوله انه هو الغفور الرحيم وفى الكلام حذف تقديره فامتثلوا ما أمرهم به يوسف من الذهاب والاتيان باهلهم

سقيا لك فيتعلق بمحذوف ونصوا على انه لا يجوز أن يتعلق عليكم بتثريب لأنه كان يعرب فيكون منونا لأنه يصير من باب المشبه بالمضاف ولو قيل ان الخبر محذوف وعليكم متعلق بمحذوف يدل عليه تثريب وذلك المحذوف هو العامل فى اليوم وتقديره لا تثريب يثرب عليكم اليوم كما قدروا فى لا عاصم اليوم من أمر الله أى يعصم اليوم لكان وجها قويا لأن خبر لا اذا علم كثر حذفه عند أهل الحجاز ولم يلفظ به بنو تميم ولما دعا لهم بالمغفرة أخبر عن الله بالصفة التى هى سبب الغفران وهو انه تعالى أرحم الراحمين فهو يرجو منه قبول دعائه لهم بالمغفرة والباء فى بقميصى الظاهر انها للحال أى مصحوبين أو ملتبسين به * وقيل للتعدية أى اذهبوا قميصى أى احملوا قميصى * قيل هو القميص الذى توارثه يوسف وكان فى عنقه وكان من الجنة أمره جبريل عليه السلام أن يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفى * وقيل كان لابراهيم كساه الله اياه من الجنة حين خرج من النار ثم لاسحاق ثم ليعقوب ثم ليوسف * وقيل هو القميص الذى قد من دبر أرسله ليعلم يعقوب انه عصم من الفاحشة والظاهر أنه قميص من ملبوس يوسف بمنزلة قميص كل واحد * قال ذلك ابن عطية وهكذا تتبين الغرابة فى ان وجد يعقوب ريحه من بعد ولو كان من قمص الجنة ما كان فى ذلك غرابة ولوجده كل أحد وقوله فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا يدل على انه علم انه عمى من الحزن اما باعلامهم واما بوحى وقوله يأت بصيرا يظهر انه بوحى وأهلوه الذين أمر بأن يؤتى بهم سبعون أو ثمانون أو ثلاثة وتسعون أو ستة وتسعون أقوال أولها للكلبى وثالثها لمسروق وفى واحد من هذا العدد حلوا بمصر ونموا حتى خرج من ذريتهم مع موسى عليه السلام ستمائة ألف ومعنى يأت يأتينى وانتصب بصيرا على الحال ﴿ولما فصلت العير قال أبوهم انى لأجد ريح يوسف لولا ان تفندون * قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم * فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم انى أعلم من الله مالا تعلمون * قالوا ياأبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين * قال سوف أستغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم﴾ فصل من البلد يفصل فصولا انفصل منه وجاوز حيطانه وهو لازم

(الدر) كما قدروا فى لا عاصم اليوم من أمر الله أى يعصم لكان وجها قويا لان خبر لا اذا علم كثر حذفه عند أهل الحجاز ولم يلفظ به بنو تميم

وفصل الشئ فصلا فرق وهو متعد ومعنى فصلت العير انفصلت من عريش مصر قاصدة مكان يعقوب وكان قريبا من بيت المقدس وقيل بالجزيرة وبيت المقدس هو الصحيح لأن آثارهم وقبورهم هنالك الى الآن * وقرأ ابن عباس ولما انفصل العير * قال ابن عباس وجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام هاجت ريح فحملت عرفه * وقال الحسن وابن جريج من ثمانين فرسخا وكان مدة فراقه منه سبعا وسبعين سنة وعن الحسن أيضا وجده من مسيرة ثلاثين يوما وعنه مسيرة عشر ليال وعن أبي أيوب الهروى ان الريح استأذنت في ايصال عرف يوسف الى يعقوب فأذن لها في ذلك * وقال مجاهد صفقت الريح القميص فراحت روائح الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة فعلم انه ليس في الدنيا من ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص ومعنى لأجد لا شم فهو وجود حاسة الشم وقال الشاعر

وانى لاستشفى بكل غمامة * يهب بها من نحو أرضك ريح

ومعنى تفندون قال ابن عباس ومجاهد وقتادة تسفهون وعن ابن عباس أيضا تجهلون وعنه أيضا تضعفون * وقال عطاء وابن جبير تكذبون * وقال الحسن تهرمون * وقال ابن زيد والضحاك ومجاهد أيضا تقولون ذهب عقلك وخرفت * وقال أبو عمرو تقبحون * وقال الكسائى تعجزون * وقال أبو عبيد تضللون * وقيل تخطئون وهذه كلها متقاربة في المعنى وهى راجعة لاعتقاد فساد رأى المفند إما لجهله أو لهوى غالب عليه أو لكذبه أو لضعفه وعجزه لذهاب عقله بهرمه * وقال منذر ابن سعيد البلوطى يقال شيخ مفند أى قد فسد رأيه ولا يقال عجوز مفندة لأن المرأة لم يكن لها رأى قط أصيل فيدخله التفنيد * وقال معناه الزمخشرى قال التفنيد النسبة الى الفند وهو الخوف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لأنها لم تكن في شبيبتها ذات رأى فتفند في كبرها ولولا هنا حرف امتناع لوجود وجوابها محذوف * قال الزمخشرى المعنى لولا تفنيدكم اياى لصدقتمونى انتهى وقد يقال تقديره لولا أن تفندونى لأخبرتكم بكونه حيا لم يمت لأن وجدانى ريحه دال على حياته والخاطب بقوله تفندون الظاهر من تناسق الضمائر انه عائد على من كان بقى عنده من أولاده غير الذين راحوا يمتارون إذ كان أولاده جماعة * وقيل المخاطب ولد ولده ومن كان بحضرته من قرابته والضلال هنا لا يراد به ضد الهدى والرشاد * قال ابن عباس المعنى انك لفى خطئك وكان حزن يعقوب قد تجدد بقصة بنيامين ولذلك يقال له ذو الحزنين * وقال مقاتل الشقاء والعناء * وقال ابن جبير الجنون ويعنى والله أعلم غلبة المحبة * وقيل الهلاك والذهاب من قولهم ضل الماء في اللبن أى ذهب فيه * وقيل الحب ويطلق الضلال على المحبة * وقال ابن عطية ذلك من الجفاء الذى لا يسوغ لهم مواجهته به وقد تأوله بعض الناس على ذلك ولهذا قال قتادة قالوا لوالدهم كلمة غليظة لم يكن ينبغى لهم أن يقولوها لوالدهم ولا لنبى الله صلى الله عليه وسلم * وقال الزمخشرى لفى ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك لقاءه وكان عندهم انه قد مات روى عن ابن عباس ان البشير كان يهوذا لأنه كان جاء بقميص الدم * وقال أبو الفضل الجوهرى قال يهوذا لاخوته قد علمتم انى ذهبت اليه بقميص القرحة فدعونى أذهب اليه بقميص الفرحة فتركوه وقال هذا المعنى السدى وأن تطرد زيادتها بعد لما والضمير المستكن في ألقاه عائد على البشير وهو الظاهر هو لقوله فألقوه * وقيل يعود على يعقوب والظاهر انه أريد الوجه كله كما جرت العادة انه متى وجد الانسان شيأ يعتقد فيه البركة مسح به وجهه * وقيل عبر بالوجه عن العينين

﴿فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه﴾ الآية ذكروا أن يوسف جهز الى أبيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف عليه السلام قيل والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب صلى الله عليه وسلم وهو يمشي يتوكأ على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا أهذا فرعون مصر قال لا ولكن هذا ولدك فلما لقيه يعقوب قال السلام عليك يا مذهب الاحزان آوى اليه أبويه أي ضمهما اليه وعانقهما والظاهر أنهما أبوه وأمه راحيل فقال الحسن وابن اسحاق كانت أمه بالحياة وظاهر قوله ادخلوا

مصر أنه أمر بانشاء دخول مصر قال السدي قال لهم ذلك وهم في الطريق حين تلقاهم انتهى فيبقى قوله فلما دخلوا على يوسف كانه ضرب لهم مضرب أو بيت حالة التلقي في الطريق فدخلوا عليه فيه ومعنى ادخلوا أي تمكنوا واستقروا فيها والظاهر تعليق الدخول على مشيئة الله تعالى لما أمرهم بالدخول علق ذلك على مشيئة الله لان جميع الكائنات انما تكون بمشيئته تعالى وما لم يشأ لم يكن ﴿ورفع أبويه على العرش﴾ والعرش سرير الملك ولما دخل يوسف مصر وجلس في مجلسه على سريره واجتمعوا اليه أكرم أبويه فرفعهما على السرير وخصهما بذلك تكريما لهما دون اخوته والضمير في ﴿وخروا﴾ عائد على أبويه واخوته وظاهر قوله وخروا له سجدا انه السجود المعهود وان الضمير في له عائد على يوسف لمطابقة الرؤيا في قوله اني رأيت أحد عشر كوكبا الآية وكان السجود اذ ذاك جائزا من باب التكريم بالمصافحة وتقبيل اليد والقيام مما شهر بين الناس من باب التعظيم والتوقير ﴿وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل﴾ أي سجودكم هذا تأويل أي عاقبة رؤياي ان تلك الكواكب والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ومن متعلق برؤياي والمحذوف في من قبل تقديره من قبل هذه الكوائن والحوادث التي جرت بعد رؤياي ثم ابتدأ يوسف بتعديد نعم الله تعالى عليه فقال ﴿قد

لأنهما فيه * وقيل عبر بالكل عن البعض وارتد عده بعضهم في أخوات كان والصحيح انها ليست من أخواتها فانتصب بصيرا على الحال والمعنى انه رجع الى حالته الأولى من سلامة البصر ففي الكلام ما يشعر أن بصره عاد أقوى مما كان عليه وأحسن لأن فعيلا من صيغ المبالغة وما عدل من مفعل الى فعيل الا لهذا المعنى انتهى وليس كذلك لأن فعيلا هنا ليس للمبالغة إذ فعيل الذي للمبالغة هو معدول عن فاعل لهذا المعنى وأما بصيرا هنا فهو اسم فاعل من بصر بالشيء فهو جار على قياس فعل نحو ظرف فهو ظريف ولو كان كما زعم بمعنى مبصر لم يكن للمبالغة أيضا لأن فعيلا بمعنى مفعل ليس للمبالغة نحو أليم وسميع بمعنى مؤلم ومسمع * وروي ان يعقوب سأل البشير كيف يوسف قال ملك مصر قال ما أصنع بالملك قال على أي دين تركته قال على الاسلام قال الآن تمت النعمة * وقال الحسن لم يجد البشير عند يعقوب شيأ يثيبه به وقال ما خبزنا شيأ منذ سبع ليال ولكن هون الله عليك سكرات الموت * وقال الضحاك رجع اليه بصره بعد العمى والقوة بعد الضعف والشباب بعد الهرم والسرور بعد الكرب والظاهر ان قوله اني أعلم محكي بالقول ويريد به انما أشكو بثي وحزني الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون * فقيل ما لا تعلمون من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا وبينه * وقيل من صحة رؤيا يوسف عليه السلام * وقيل من بلوى الانبياء بالحزن ونزول الفرج * وقيل من أخبار ملك الموت اياي وكان أخبره انه لم يقبض روحه * وقال ابن عطية ما لا تعلمون هو انتظاره لتأويل الرؤيا ويحتمل أن يشير الى حسن ظنه بالله فقط * وقال الزمخشري ألم أقل لكم يعني قوله اني لأجد ريح يوسف أو قوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله اني أعلم كلام مبتدأ لم يقع عليه القول انتهى وهو خلاف الظاهر الذي قدمناه ولما رجع اليه بصره وقرت عينه بالمسير الى ابنه يوسف وقررهم على قوله ألم أقل لكم طلبوا منه ان يستغفر لهم الله ذنوبهم واعترفوا بالخطأ السابق منهم وسوف أستغفر لكم عدة لهم بالاستغفار بسوف وهي أبلغ في التنفيس من السين * فعن ابن مسعود انه أخر الاستغفار لهم الى السحر * وعن ابن عباس الى ليلة الجمعة وعنه الى سحرها * قال السدي ومقاتل والزجاج أخر لاجابة الدعاء لا ضنة عليهم بالاستغفار وقالت فرقة سوف الى قيام الليل * وقال ابن جبير وفرقة الى الليالي البيض فان الدعاء فيها يستجاب * وقال الشعبي أخره حتى يسأل يوسف فان عفا عنهم استغفر لهم * وقيل أخرهم ليعلم حالهم في صدق التوبة واخلاصها * وقيل أراد الدوام على الاستغفار لهم ولما وعدهم بالاستغفار رجاهم بحصول الغفران بقوله انه هو الغفور الرحيم ﴿فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين * ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد

جعلها ربي حقا ﴾ أي صادقة رأيت ما وقع لي في المنام يقظة حقيقة لا باطل فيها ولا لغو وفي المدة التي كانت بين رؤياه وسجودهم خلاف متناقض وأحسن أصله أن يتعدى بالى قال تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك وقد يتعدى بالباء قال تعالى وبالوالدين احسانا وقد يكون ضمن أحسن معنى لطف فعداه بالباء وذكر اخراجه من السجن وعدل عن اخراجه من الجب صفحا عن ذكر ما يتعلق بفعل اخوته وتناسيا لما جرى منهم إذ قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وتنبيها على طهارة نفسه وبراءتها مما نسب اليه من المراودة وعلى ما تنقل اليه من الرياسة في الدنيا بعد خروجه من السجن بخلاف ما تنقل اليه بالخروج من الجب الى أن بيع بيع العبيد ﴿ وجاء بكم من البدو ﴾ أي من البادية وكان منزل (٣٤٧) يعقوب باطراف الشام بالبادية بادية فلسطين وكان رب ابل وغنم وبادية وقابل يوسف نعمة اخراجه من السجن بمجيئهم من البدو والاشارة بذلك الى الاجتماع بابيه واخوته وزوال حزن أبيه وفي الحديث من برد الله به خيرا ينقله من البادية الى الحاضرة ﴿ من بعد أن نزغ الشيطان ﴾ أي أفسد وتقدم الكلام على نزغ وأسند النزوغ الى الشيطان لانه هو الموسوس كما قال تعالى فازلهما الشيطان عنها وذكر هذا القدر من أمر إخوته لان النعمة اذا جاءت اثر بلاء وشدة كانت أحسن موقعا ﴿ إن ربي لطيف ﴾ أي لطيف التدبير ﴿ لما يشاء ﴾ من الأمور رفيق ومن في قوله من الملك وفي من تأويل للتبعيض لأنه لم يؤته الا بعض ملك الدنيا ولا علم الا بعض التأويل وانتصب فاطر على الصفة أو على النداء ﴿ أنت وليي ﴾ تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي وذكر كثير من المفسرين أنه لما عدد نعم الله عليه تشوف الى لقاء ربه ولحاقه بصالحي سلفه ورأى أن الدنيا كلها فانية فتمنى الموت والذي يظهر أنه ليس في الآية تمني الموت وانما عدد نعمه تعالى عليه ثم دعا أن يتم عليه النعم في باقي أمره أي توفني اذا حان أجلي على الاسلام واجعل لحاقي بالصالحين وانما تمنى الوفاة على الاسلام لا الموت والصالحين أهل الجنة وقيل غير ذلك وعلماء التاريخ يزعمون أن يوسف صلى الله عليه وسلم عاش مائة عام وسبعة أعوام وله من الولد أفرائيم ومنشا

جعلها ربي حقا وقد أحسن بي اذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم * رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين ﴾ في الكلام حذف تقديره فرحل يعقوب بأهله أجمعين وساروا حتى تلقوا يوسف * قيل وجهز يوسف الى أبيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف قيل والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب عليه السلام وهو يمشي يتوكأ على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا أهذا فرعون مصر فقال لا هذا ولدك فلما لقيه يعقوب عليه السلام قال السلام عليك يا مذهب الاحزان * وقيل ان يوسف قال له لما التقيا يا أبت بكيت علي حتى ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بيني وبينك * آوى اليه أبويه أي ضمهما اليه وعانقهما والظاهر انهما أبوه وأمه راحيل * فقال الحسن وابن اسحق كانت أمه بالحياة * وقيل كانت ماتت من نفاس بنيامين وأحياها الله ليصدق رؤياه في قوله والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين * حكى هذا عن الحسن وابن اسحق أيضا * وقيل أبوه وخالته وكان يعقوب تزوجها بعد موت راحيل والخالة أم روى عن ابن عباس وكانت ربت يوسف والرابة تدعى أما وقال بعضهم أبوه وجدته أم أمه حكاه الزهراوي وفي مصحف عبد الله آوى اليه أبويه واخوته وظاهر قوله ادخلوا مصر انه أمر بانشاء دخول مصر * قال السدي قال لهم ذلك وهم في الطريق حين تلقاهم انتهى فيبقى قوله فلما دخلوا على يوسف كانه ضرب له مضرب أو بيت حالة التلقي في الطريق فدخلوا عليه فيه * وقيل دخلوا عليه في مصر ومعنى ادخلوا مصر أي تمكنوا منها واستقروا فيها والظاهر تعلق الدخول على مشيئة الله لما أمرهم بالدخول علق ذلك على مشيئة الله لان جميع الكائنات انما تكون بمشيئة الله وما لا يشاء لا يكون * وقال الزمخشري التقدير ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ان شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال ومن بدع التفاسير أن قوله ان شاء الله من باب التقديم والتأخير وان موضعه بعد قوله سوف أستغفر لكم ربي في كلام يعقوب انتهى

(الدر) (ش) ومن بدع التفاسير ان قوله ان شاء الله من باب التقديم والتأخير وان موضعه بعد قوله سوف أستغفر لكم ربي من كلام يعقوب انتهى (ح) هذا البدع من التفسير مروي عن ابن جريج وهو في غاية البعد بل في غاية الامتناع

وهذا البدع من التفسير مروى عن ابن جريج وهو فى غاية البعد بل فى غاية الامتناع والعرش سرير الملك ولما دخل يوسف مصر وجلس فى مجلسه على سريره واجتمعوا اليه أكرم أبويه فرفعهما معه على السرير ويحتمل أن يكون الرفع والخرور قبل دخول مصر بعد قوله ادخلوا مصر فكان يكون فى قبة من قباب الملوك التى تحمل على البغال أو الابل فحين دخلوا اليه آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ورفع أبويه وخروا له والضمير فى وخروا عائد على أبويه وعلى اخوته * وقيل الضمير فى وخروا عائد على اخوته وسائر من كان يدخل عليه لاجل هيبته ولم يدخل فى الضمير أبواه بل رفعهما على سرير ملكه تعظيما لهما وظاهر قوله وخروا له سجدا انه السجود المعهود وان الضمير فى له عائد على يوسف لمطابقة الرؤيا فى قوله انى رأيت أحد عشر كوكبا الآية وكان السجود اذ ذاك جائزا من باب التكريم بالمصافحة وتقبيل اليد والقيام مما شهر بين الناس فى باب التعظيم والتوقير * وقال قتادة كانت تحية الملوك عندهم وأعطى الله هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة * وقيل هذا السجود كان ايماء بالرأس فقط * وقيل كان كالركوع البالغ دون وضع الجبهة على الأرض ولفظة وخروا تأبى هذين التفسيرين * قال الحسن الضمير فى له عائد على الله أى خروا لله سجدا شكرا على ما أوزعهم من هذه النعمة وقد تأول قوله رأيتهم لى ساجدين على ان معناه رأيتهم لاجلى ساجدين واذا كان الضمير ليوسف فقال المفسرون كان السجود تحية لا عبادة * وقال أبو عبد الله الدارانى لا يكون السجود الا لله لا ليوسف ويبعد من عقله ودينه أن يرضى بأن يسجد له أبوه مع سابقته من صون أولاده والشيخوخة والعلم والدين وكمال النبوة * وقيل الضمير وان عاد على يوسف فالسجود كان لله تعالى وجعلوا يوسف قبلة كما تقول صليت للكعبة وصليت الى الكعبة وقال حسان

ما كنت أعرف ان الدهر منصرف * عن هاشم ثم عنها عن أبى حسن
أليس أول من صلى لقبلتكم * وأعرف الناس بالاشياء والسنن

* وقيل السجود هنا التواضع والخرور بمعنى المرور لا السقوط على الأرض لقوله والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا أى لم يمروا عليها * وقال ثابت هذا تأويل رؤياى من قبل أى سجودكم هذا تأويل أى عاقبة رؤياى أن تلك الكواكب والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ومن قبل متعلق برؤياى والمحذوف فى من قبل تقديره من قبل هذه الكوائن والحوادث التى جرت بعد رؤياى ومن تأول ان أبويه لم يسجدا له زعم أن تعبير الرؤيا لا يلزم أن يكون مطابقا للرؤيا من كل الوجوه فسجود الكواكب والشمس والقمر يعبر بتعظيم الاكابر من الناس ولا شك أن ذهاب يعقوب عليه السلام مع ولده من كنعان الى مصر لاجل يوسف نهاية فى التعظيم له فكفى هذا القدر فى صحة الرؤيا وعن ابن عباس انه لما رأى سجود أبويه واخوته هاله ذلك واقشعر جلده منه * وقال ليعقوب هذا تأويل رؤياى من قبل ثم ابتدأ يوسف عليه السلام بتعديد نعم الله عليه فقال قد جعلها ربى حقا أى صادقة رأيت ما يقع لى فى المنام يقظة لا باطل فيها ولا لغو وفى المدة التى كانت بين رؤياه وسجودهم خلاف متناقض * قيل ثمانون سنة * وقيل ثمانية عشر عاما * وقيل غير ذلك من رتب العدد وكذا المدة التى أقام يعقوب فيها بمصر عند ابنه يوسف خلاف متناقض وأحسن أصله أن يتعدى بالى قال وأحسن كما أحسن الله اليك وقد يتعدى بالباء قال تعالى وبالوالدين احسانا كما يقال أساء اليه وبه قال الشاعر

ورحمة زوجة أيوب قال الزهرى وولد لافرائيم نون ولنون يوشع وهو فتى موسى وولد لمنشا موسى وهو قبل موسى بن عمران ويزعم أهل التوراة أنه صاحب الخضر وكان ابن عباس ينكر ذلك وثبت فى الحديث الصحيح أن صاحب الخضر موسى بن عمران وتوارثت الفراعنة ملك مصر ولم تزل بنو اسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف عليه السلام وأبيه الى أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم

أسيئ بنا أوأحسني لاملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت
وقد يكون ضمن أحسن معنى لطف فعداه بالباء وذكر اخراجه من السجن وعدل عن اخراجه من الجب صفحا عن ذكر ماتعلق بقول اخوته وتناسيا الماجرى منهم اذقال لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وتنبيها على طهارة نفسه وبراءتها مما نسب اليه من المراودة وعلى ماتنقل اليه من الرياسة فى الدنيا بعد خروجه من السجن بخلاف ماتنقل اليه بالخروج من الجب الى أن بيع مع العبيد وجاء بكم من البدو من البادية وكان ينزل يعقوب عليه السلام بأطراف الشام ببادية فلسطين وكان رب ابل وغنم وبادية * وقال الزمخشرى كانوا أهل عمد وأصحاب مواش يتنقلون فى المياه والمناجع * قيل كان تحول الى بادية وسكنها فان الله لم يبعث نبيا من أهل البادية * وقيل كان خرج الى بدا وهو موضع واياه عنى جيل بقوله
وأنت التى حببت شعبا الى بدا * الى وأوطانى بلاد سواهما
وليعقوب عليه السلام بهذا الموضع مسجد تحت جبل * يقال بدا القوم بدوا اذا أتوا بدا كما يقال غار واغورا اذا أتوا الغور والمعنى وجاء بكم من مكان بدا ذكره القشيرى وحكاه الماوردى عن الضحاك وعن ابن عباس وقابل يوسف عليه السلام نعمة اخراجه من السجن بمجيئهم من البدو والاشارة بذلك الى الاجتماع بابيه واخوته وزوال حزن أبيه ففى الحديث من يرد الله به خيرا ينقله من البادية الى الحاضرة * من بعد أن نزغ أى أفسد وتقدم الكلام على نزغ وأسند النزغ الى الشيطان لانه الموسوس كما قال فازلهما الشيطان عنها وذكر هذا القدر من أمر اخوته لان النعمة اذا جاءت إثر شدة و بلاء كانت أحسن موقعا * ان ربى لطيف أى لطيف التدبير لما يشاء من الامور رفيق ومن فى قوله من الملك وفى من تأويل للتبعيض لانه لم يؤته الا بعض ملك الدنيا ولا علمه الا بعض التأويل و يبعد قول من جعل من زائدة أو جعلها لبيان الجنس والظاهر ان الملك هنا ملك مصر * وقيل ملك نفسه من انفاذ شهوته * وقال عطاء ملك حساده بالطاعة ونيل الامانى من الملك * وقرأ عبد الله وعمرو بن ذر آتيتن وعلمتن بحذف الياء منهما اكتفاء بالكسرة عنهما مع كونهما ثابتتين خطا * وحكى ابن عطية عن ابن ذر انه قرأ رب آتيتنى بغير قد وانتصب فاطر على الصفة أو على النداء وأنت وليى تتولانى بالنعمة فى الدارين وتوصل الملك الفانى بالملك الباقى وذكر كثير من المفسرين انه لما عدنعم الله عنده تشوق الى لقاء ربه ولحاقه بصالحى سلفه ورأى أن الدنيا كلها فانية فتمنى الموت * وقال ابن عباس لم يتمن الموت حى غير يوسف والذى يظهر انه ليس فى الآية تمنى الموت وانما عدد نعمه عليه ثم دعا أن يتم عليه النعم فى باقى أمره أى توفنى اذا حان أجلى على الاسلام واجعل لحاقى بالصالحين وانما تمنى الوفاة على الاسلام لا الموت والصالحين أهل الجنة أو الانبياء أو آباؤه ابراهيم واسحق و يعقوب وعلماء التاريخ يزعمون أن يوسف عليه السلام عاش مائة عام وسبعة أعوام وله من الولد افرائيم ومنشا ورحمة زوجة أيوب عليه السلام * قال الذهبى و ولد لافرائيم نون ولنون يوشع وهو فتى موسى عليه السلام و ولد لمنشا موسى وهو قبل موسى بن عمران عليه السلام و يزعم أهل التوراة انه صاحب الخضر وكان ابن عباس ينكر ذلك وثبت فى الصحيح ان صاحب الخضر هو موسى بن عمران وتوارثت الفراعنة ملك مصر ولم تزل بنو اسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف عليه السلام الى أن بعث موسى عليه السلام ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك

﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك ﴾ قال ابن الانبارى سألت قريش واليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فنزلت مشروحة شرحا شافيا وأمل صلى الله عليه وسلم أن يكون سببا لاسلامهم فخالفوا تأميله فعزاه الله بقوله وما أكثر الناس الآيات والاشارة بذلك الى ماقصه الله تعالى من قصة يوسف واخوته

﴿ وما كنت لديهم ﴾ أى عندبنى يعقوب حين أجمعوا أمرهم على أن يجعلوه فى الجب ولاحين ألقوه فيه ولاحين التقطته السيارة ولاحين بيع ﴿وهم يمكرون﴾ أى يبغون الغوائل ليوسف ويتشاورون فيمايفعلون به أو يمكرون بيعقوب حين أتوابالقميص ملطخابالدم وفى هذاتصريح لقريش بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا النوع فى علم البيان يسمى بالاحتجاج النظرى و بعضهم يسميه المذهب الكلامى وهوأن يلزم الخصم ماهولازم لهذا الاحتجاج وتقدم نظيرذلك فى آل عمران وفى هود وهذا تهكم بقريش و بمن كذبه لأنه لايخفى على أحد أنه لم يكن من جملة هذا الحديث وأشباهه ولالقى فيه أحدا يعلمه بشئ من ذلك ولم يسمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا أخبر به وقصه هذا القصص الذى أعجز حملته ورواته لم تقع شبهة فى أنه ليس منه وانه من جهة الوحى فاذا أنكروه تهكم بهم وقيل لهم قدعلمتم انه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربى اذقضينا الى موسى الامر فقوله وما كنت هنالك على جهة التهكم بهم لأنه قدعلم كل أحد أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان معهم وأجمعوا أمرهم أى عزمواعلى إلقاء يوسف فى الجب وهم يمكرون جملة حالية والمكرأن يدبر على الانسان تدبيرا يضره و يؤذيه والناس الظاهر العموم لقوله تعالى ولكن أكثر الناس لايؤمنون وعن ابن عباس أنهم أهل مكة ﴿ولوحرصت﴾ ولو بالغت فى طلب ايمانهم لايؤمنون لفرط عنادهم وتصميمهم على الكفر وجواب لو محذوف أى ولوحرصت لم يؤمنوا انما يؤمن من يشاء الله إيمانه والضمير فى عليه عائد على مايحدثهم به ويذكرهم أن ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطى حملة الأحاديث والأخبار ان هو الا عظة وذكر من الله تعالى للعالمين عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخبر تعالى أنهم لفرط كفرهم يمرون على الآيات التى تكون سببا للايمان فيعرضون عنها ولا تفيدعندهم شيئا ولاتؤثرفيهم وان تلك الآيات هى فى العالم العلوى وفى العالم السفلى ومعنى يمرون عليها أى يمشون عليها والمراد مايرون من آثار الامم الهالكة وغيرذلك من العبر ﴿وهم مشركون﴾ جملة حالية أى ايمانهم ملتبس بالشرك قال ابن عباس هم أهل الكتاب أشركوا بالله من حيث كفروا بنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿أفأمنوا﴾ استفهام انكار فى معنى التوبيخ والتهديد ﴿ غاشية ﴾ نقمة تغشاهم أى تغطيهم كقوله تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال الضحاك يعنى الصواعق والقوارع انتهى واتيان الغاشية يعنى فى الدنيا وذلك لمقابلته بقوله ﴿ أوتأتيهم الساعة ﴾ أى يوم القيامة ﴿ بغتة ﴾ فجأة فى الزمان ومن حيث لايتوقع ﴿وهم لايشعرون﴾ تأكيد لقوله بغتة قال الكرمانى لايشعرون باتيانها أى وهم غيرمستعدين لها قال ابن عباس تأخذهم الصيحة وهم على أسواقهم ومواضعهم

وما كنت لديهم اذأجمعوا أمرهم وهم يمكرون * وماأكثر الناس ولوحرصت بمؤمنين * وماتسألهم عليه من أجر ان هو الا ذكر للعالمين * وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون * ومايؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون * أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أوتأتيهم الساعة بغتة وهم لايشعرون ﴾ قال ابن الانبارى سألت قريش واليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فنزلت مشروحة شرحا وافيا وأمل أن يكون ذلك سببا لاسلامهم فخالفوا تأميله فعزاه الله تعالى بقوله وماأكثر الناس ولوحرصت بمؤمنين الآيات وقيل فى المنافقين وقيل الثنوية * وقيل فى النصارى * وقال ابن عباس فى تلبية المشركين * وقيل فى أهل الكتاب آمنوا ببعض وكفروا ببعض فجمعوا بين الايمان والشرك والاشارة بذلك الى ماقصه الله من قصة يوسف واخوته وما كنت لديهم أى عندبنى يعقوب حين أجمعوا أمرهم على أن يجعلوه فى الجب ولاحين ألقوه فيه ولاحين التقطته السيارة ولاحين بيع وهم يمكرون أى يبغون الغوائل ليوسف ويتشاورون فيمايفعلون به أو يمكرون بيعقوب حين أتوابالقميص ملطخابالدم وفى هذا تصريح لقريش بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا النوع من علم البيان يسمى بالاحتجاج النظرى و بعضهم يسميه المذهب الكلامى وهوأن يلزم الخصم ماهولازم لهذا الاحتجاج وتقدم نظير ذلك فى آل عمران وفى هود وهذا تهكم بقريش و بمن كذبه لانه لايخفى على أحد انه لم يكن من جملة هذا الحديث وأشباهه ولالقى فيها أحدا ولاسمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا أخبر به وقصه هذا القصص الذى أعجز حملته ورواته لم تقع شبهة فى أنه ليس منه وانما هو من جهة القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربى اذقضينا الى موسى الامر فقوله وما كنت هنا تهكم بهم لانه قدعلم كل أحد ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان معهم وأجمعوا أمرهم أى عزمواعلى القاء يوسف فى الجب وهم

يمكرون جملة حالية والمكر أن يدبر على الانسان تدبيرا يضره و يؤذيه والناس الظاهر العموم لقوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون * وعن ابن عباس انهم أهل مكة ولو حرصت ولو بالغت في طلب إيمانهم لا يؤمنون لفرط عنادهم وتصميمهم على الكفر وجواب لو محذوف أي ولو حرصت لم يؤمنوا انما يؤمن من يشاء الله ايمانه والضمير في عليه عائد على دين الله أي ماتبتغي عليه أجرا على دين الله * وقيل على القرآن * وقيل على التبليغ * وقيل على الانباء بمعنى القول وفيه توبيخ للكفرة واقامة الحجة عليهم أو ومانسألهم على ماتحدثهم به وتذكرهم ان ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطى حملة الاحاديث والاخبار ان هو الا موعظة وذكر من الله للعالمين عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقرأ بشر بن عبيد ومانسألهم بالنون ثم أخبر تعالى انهم لفرط كفرهم يمرون على الآيات التي تكون سببا للايمان ولا تؤثر فيهم وان تلك الآيات هي في العالم العلوي وفي العالم السفلي وتقدم قراءة ابن كثير وكائن * قال ابن عطية وهو اسم فاعل من كان فهو كائن ومعناها معنى كم في التكثير انتهى وهذا شئ يروى عن يونس وهو قول مرجوح في النحو والمشهور عندهم انه مركب من كاف التشبيه ومن أي وتلاعبت العرب به فجاءت به لغات وذكر صاحب اللوامح ان الحسن قرأ وكي بياء مكسورة من غير همز ولا ألف ولا تشديد وجاء كذلك عن ابن محيصن فهي لغة انتهى من آية علامة على توحيد الله وصفاته وصدق ماجيء به عنه وقرأ عكرمة وعمرو بن فائد والارض بالرفع على الابتداء ومابعده خبر ومعنى يمرون عليها فيشاهدون مافيها من الآيات * وقرأ السدي والارض بالنصب وهو من باب الاشتغال أي ويطوون الارض يمرون عليها على آياتها وما أودع فيها من الدلالات والضمير في عليها وعنها في هاتين القراءتين يعود على الارض وفي قراءة الجمهور وهي بجر الارض يعود الضمير على آية أي يمرون على تلك الآيات ويشاهدون تلك الدلالات ومع ذلك لا يعتبرون * وقرأ عبد الله والارض برفع الضاد ومكان يمرون يمشون والمراد مايرون من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من العبر وهم مشركون جملة حالية أي إيمانهم ملتبس بالشرك * وقال ابن عباس هم أهل الكتاب أشركوا بالله من حيث كفروا بنبيه أو من حيث ماقالوا في عزير والمسيح * وقال عكرمة ومجاهد وقتادة وابن زيد هم كفار العرب أقروا بالخالق الرازق المحيي المميت وكفروا بعبادة الاوثان والاصنام * وقال ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه * وقيل هم أهل مكة قالوا الله ربنا لا شريك له والملائكة بناته فاشركوا ولم يوحدوا * وعن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة أيضا ذلك في تلبيتهم يقولون لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وماملك وفي الحديث كان صلى الله عليه وسلم اذا سمع أحدهم يقول لبيك لا شريك لك يقول له قط قط أي قف هنا ولا تزد الا شريك هو لك * وقيل هم الثنوية قالوا بالنور والظلمة * وقال عطاء هذا في الدعاء ينسى الكفار ربهم في الرخاء فاذا أصابهم البلاء أخلصوا في الدعاء * وقيل هم المنافقون جهروا بالايمان وأخفوا الكفر * وقيل على بعض اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا الكواكب * وقيل قريش لما غشيهم الدخان في سني القحط قالوا انا مؤمنون ثم عادوا الى الشرك بعد كشفه * وقيل جميع الخلق مؤمنهم بالرسول وكافرهم فالكفار تقدم شركهم والمؤمنون فيهم الشرك الخفي وأقربهم الى الكفر المشبهة ولذلك قال ابن عباس آمنوا مجملا وكفروا مفصلا وثانيها من يطيع الخلق بمعصية الخالق وثالثها من يقول نفعني فلان وضرني فلان * أفأمنوا استفهام انكار فيه توبيخ وتهديد غاشية نقمة تغشاهم أي تغطيهم كقوله يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم * وقال الضحاك يعني الصواعق والقوارع انتهى واتيان الغاشية يعني في

(الدر)

(ع) وهو أي كائن اسم فاعل من كان فهو كائن ومعناها معنى التكثير (ح) هذا شئ يروى عن يونس وهو قول مرجوح في النحو والمشهور عندهم انه مركب من كاف التشبيه ومن أي وتلاعبت العرب به فجاءت فيه لغات

﴿قل هذه سبيلي أدعوا﴾ الآية لما تقدم من قول يوسف صلى الله عليه وسلم توفني مسلما وكان قوله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين دالا على أنه حارص على ايمانهم مجتهد في ذلك داع اليه مثابر عليه وذكر وما تسألهم عليه من أجر اشارة الى ما فهم من ذلك وهو شريعة الاسلام والايمان وتوحيد الله تعالى فقال قل يا محمد هذه الطريقة والدعوة طريقي التي سلكتها وأنا عليها ثم فسر تلك السبيل فقال أدعو الى الله تعالى يعني لا الى غيره من ملك أو انسان أو كوكب أو صنم انما دعائي الى الله وحده قال الجمهور سبيلي ديني ومفعول أدعو هو محذوف تقديره أدعو الناس والظاهر تعلق على بصيرة بأدعو وأنا توكيد للضمير المستكن في أدعو ومن معطوف على ذلك الضمير والمعنى أدعو أنا اليها أو يدعو اليها من اتبعني ويجوز أن يكون على بصيرة خبرا مقدما وأنا مبتدأ ومن معطوف عليه ويجوز أن يكون على بصيرة حالا من ضمير أدعو فيتعلق بمحذوف ويكون أنا فاعلا بالجار والمجرور النائب عن ذلك المحذوف ﴿ومن اتبعني﴾ معطوف على أنا وأجاز أبو البقاء أن يكون ومن اتبعني مبتدأ خبره محذوف تقديره كذلك أي داع الى الله على بصيرة ومعنى بصيرة حجة واضحة وبرهان متيقن من قوله قد جاءتكم بصائر من ربكم ﴿وسبحان الله﴾ داخل تحت قوله قل أي قل وتنزيه الله من الشركاء أي براءة الله من أن يكون له شريك ولما أمر بأن يخبر عن نفسه صلى الله عليه وسلم أنه يدعو هو ومن اتبعه الى الله وأمر أن يخبر أنه تنزه الله تعالى عن الشركاء أمر أيضا أن يخبر أنه في خاصة نفسه منتف عن الشرك وأنه ليس ممن أشرك وهو نفي عام في الازمان لم يكن منه ولا في وقت من الاوقات ﴿الا رجالا﴾ حصر في المرسل دعاة الى الله فلا يكون ملكا قال ابن عباس رجالا يعني لا نساء فلا رسول امرأة والقرى المدن ﴿أفلم يسيروا﴾ الضمير في أفلم يسيروا عائد على من أنكر ارسال الرسل من البشر ومن عاند الرسول وأنكر رسالته وكفر أي هلا يسيرون في الارض فيعلمون بالتواتر أخبار الرسل السابقة ويرون مصارع الامم المكذبة فيعتبرون بذلك ﴿ولدار الآخرة خير﴾ هذا حض على العمل لدار الاخرة والاستعداد لها واتقاء المهلكات وفي هذه الاضافة تخريجان أحدهما أنها من اضافة الموصوف الى صفته وأصله وللدار الآخرة خير وهو تخريج كوفي والثاني أن يكون من حذف الموصوف واقامة صفته مقامه وأصله ولدار المدة الاخيرة أو النشأة الاخيرة خير وهو تخريج بصري وحتى غاية لما قبلها وليس في اللفظ ما يكون له غاية فاحتيج الى تقدير فقدره الزمخشري وما أرسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استيئسوا عن النصر وقال ابن عطية ويتضمن قوله أفلم يسيروا الى من قبلهم أن الرسل الذين بعثهم الله من اهل القرى دعوهم فلم يؤمنوا بهم حتى نزلت بهم المثلات فصاروا في حيز من يعتبر بعاقبته فلهذا المضمر حسن أن يدخل حتى في قوله حتى اذا استيأس الرسل انتهى ولم يتلخص لنا من كلامه شئ يكون ما بعد حتى غاية له لانه علق الغاية بما ادعى أنه فهم ذلك من قوله أفلم يسيروا الآية وقال أبو الفرج بن الجوزي المعنى متعلق بالآية الاولى فتقديره وما أرسلنا من قبلك الا رجالا فدعوا قومهم فكذبوهم وصبروا وطال دعاؤهم وتكذيب قومهم حتى اذا استيأس الرسل وهو نوع من كلام الزمخشري وقال القرطبي في تفسيره المعنى وما أرسلنا من قبلك يا محمد الا رجالا ثم لم نعاقب أممهم بالعقاب حتى اذا استيأس الرسل وقرئ كذبوا بالتشديد مبنيا للمفعول والضمير في وظنوا وفي أنهم عائد على الرسل والظن بمعنى اليقين والمعنى وأيقنت الرسل انهم قد كذبهم قومهم وقرئ كذبوا بالتخفيف في الذال مبنيا للمفعول أيضا والضمائر في ظنوا وفي أنهم عائدة على المرسل اليهم والمعنى وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبهم من جاءهم بالوحي وقرئ فننجي بنونين مضارع أنجي وقرئ فنجي بنون واحدة وشد الجيم وفتح الياء مبنيا للمفعول وقرأت فرقة فننجي بنونين مضارع أنجي وفتح الياء قال ابن عطية رواها هبيرة عن حفص عن عاصم وهي غلط من هبيرة انتهى وليست غلطا ولها وجه في العربية وهو أن الشرط والجزاء يجوز أن يأتي بعدهما المضارع منصوبا باضمار أن بعد الفاء كقراءة من قرأ وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر بنصب فيغفر باضمار أن بعد الفاء ولا فرق في ذلك بين أن تكون أداة الشرط جازمة أو غير جازمة ومفعول نشاء محذوف تقديره نجيه ﴿ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾ والبأس هنا الهلاك

الدنيا وذلك لمقابلته بقوله أو تأتيهم الساعة أي يوم القيامة بغتة أي فجأة في الزمان من حيث لا يتوقع وهم لا يشعرون تأكيد لقوله بغتة * قال الكرماني لا يشعرون باتيانها أي وهم غير مستعدين لها * قال ابن عباس تأخذهم الصيحة على أسواقهم ومواضعهم * وقرأ أبو حفص وبشر بن عبيد أو يأتيهم الساعة ﴿قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون * حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾ لما

تقدم من قول يوسف عليه السلام توفني مسلما وكان قوله تعالى وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين دالا على أنه حارص على ايمانهم مجتهد في ذلك داع اليه مثابر عليه وذكر وما تسألهم عليه من أجر أشار الى ما فيهم من ذلك وهو شريعة الاسلام والايمان وتوحيد الله * فقال قل يا محمد هذه الطريقة والدعوة طريقي التي سلكتها وأناعليها ثم فسر تلك السبيل فقال أدعو الى الله يعني لا الى غيره من ملك أو انسان أو كوكب أو صنم انما دعائي الى الله وحده * قال ابن عباس سبيلي أي دعوتي * وقال عكرمة صلاتي * وقال ابن زيد سنتي * وقال مقاتل والجمهور ديني * وقرأ عبد الله قل هذا سبيلي على التذكير والسبيل يذكر ويؤنث ومفعول أدعو هو محذوف تقديره أدعو الناس والظاهر تعلق على بصيرة بأدعو وانا توكيد للضمير المستكن في ادعو ومن معطوف على ذلك الضمير والمعنى أدعو انا اليها من اتبعني ويجوز أن يكون على بصيرة خبرا مقدما وانا مبتدا ومن معطوف عليه ويجوز أن يكون على بصيرة حالا من ضمير ادعو فيتعلق بمحذوف ويكون أنا فاعلا بالجار والمجرور النائب عن ذلك المحذوف ومن اتبعني معطوف على أنا وأجاز أبو البقاء أن يكون ومن اتبعني مبتدا خبره محذوف تقديره كذلك أي داع الى الله على بصيرة ومعنى بصيرة حجة واضحة وبرهان متيقن من قوله قد جاءتكم بصائر من ربكم وسبحان الله داخل تحت قوله قل أي قل وتبرئة الله من الشركاء أي براءة الله من أن يكون له شريك ولما أمر بان يخبر عن نفسه أنه يدعو هو ومن اتبعه الى الله وأمر أن يخبر أنه ينزه الله عن الشركاء أمر أن يخبر أنه في خاصة نفسه منتف عن الشرك وأنه ليس ممن أشرك وهو نفي عام في الازمان لم يكن منهم ولا في وقت من الأوقات * الا رجالا حصر في الرسل دعاة الى الله فلا يكون ملكا وهذا رد على من قال لو شاء ربنا لأنزل ملائكة وكذلك قال ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا * وقال ابن عباس يعني رجالا لا نساء فالرسول لا يكون امرأة وهل كان في النساء نبية فيه خلاف والنبي أعم من الرسول لانه منطلق على من يأتيه الوحي سواء أرسل أولم يرسل قال الشاعر في سجاح المتنبئة

أمست نبيتنا أنثى نطيف بها * ولم تزل أنبياء الله ذكرانا
فلعنة الله والاقوام كلهم * على سجاح ومن بالافك أغرانا
أعني مسيلمة الكذاب لا سقيت * أصداؤه ماء مزن أينما كانا

وقرأ أبو عبد الرحمن وطلحة وحفص نوحي بالنون وكسر الحاء موافقا لقوله وما أرسلنا * وقرأ الجمهور بالياء وفتح الحاء مبنيا للمفعول والقرى المدن * قال ابن زيد أهل القرى أعلم وأحلم من أهل البادية فانهم قليل نبلهم ولم ينشئ الله قط منهم رسولا وقال الحسن لم يبعث الله رسولا من أهل البادية ولا من النساء ولا من الجن والتبدي مكروه الا في الفتن ففي الحديث من بدا جفا ثم استفهام توبيخ وتقريع والضمير في يسير وا عائد على من أنكر ارسال الرسل من البشر ومن عاند الرسول وأنكر رسالته كفر أي هلا يسيرون في الأرض فيعلمون بالتواتر أخبار الرسل السابقة ويرون مصارع الأمم المكذبة فيعتبرون بذلك ولدار الآخرة خير هذا حض على العمل لدار الآخرة والاستعداد لها واتقاء المهلكات ففي هذه الاضافة تخريجان * أحدهما انها من اضافة الموصوف الى صفته وأصله وللدار الآخرة * والثاني ان يكون من حذف الموصوف واقامة صفته مقامه وأصله ولدار المدة الآخرة أو النشأة الآخرة والأول تخريج كوفي والثاني تخريج بصري * وقرأ الجمهور أفلا يعقلون بالياء رعيا لقوله أفلم يسيروا * وقرأ الحسن وعلقمة والاعرج وعاصم وابن عامر ونافع

وهذه الجملة فيها وعيد وتهديد لمعاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالتاء على خطاب هذه الأمة تحذيراً لهم مما وقع فيه أولئك فيصيبهم ما أصابهم * قال الكرماني أفلا يعقلون انها خير فيتوسلوا اليها بالايمان انتهى والاستيئاس من النصر أو من ايمان قومهم قولان وحتى غاية لما قبلها وليس في اللفظ ما يكون له غاية فاحتيج الى تقدير فقدره الزمخشري وما أرسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استيأسوا عن النصر * وقال ابن عطية ويتضمن قوله أفلم يسيروا والى ماقبلهم ان الرسل الذين بعثهم الله من أهل القرى دعوهم فلم يؤمنوا بهم حتى نزلت بهم المثلات فصاروا في حيز من يعتبر بعاقبته فلهذا المضمن حسن أن يدخل حتى في قوله حتى اذا استيأس الرسل انتهى ولم يتحصل لنا من كلامه شئ يكون مابعد حتى غاية له لانه علق الغاية بما ادعى انه فهم ذلك من قوله أفلم يسيروا الآية * وقال أبو الفرج بن الجوزي المعنى متعلق بالآية الأولى فتقديره وما أرسلنا من قبلك الا رجالا يدعوا قومهم فكذبوهم وصبروا وطال دعاؤهم وتكذيب قومهم حتى اذا استيأس الرسل * وقال القرطبي في تفسيره المعنى وما أرسلنا من قبلك يامحمد الا رجالا ثم لم نعاقب أممهم بالعقاب حتى اذا استيأس الرسل * وقرأ أبي وعلي وابن مسعود وابن عباس ومجاهد وطلحة والأعمش والكوفيون كذبوا بتخفيف الذال وباقي السبعة والحسن وقتادة ومحمد ابن كعب وأبو رجاء وابن أبي مليكة والاعرج وعائشة بخلاف عنها بتشديدها وهما مبنيان للمفعول فالضمائر على قراءة التشديد عائدة كلها على الرسل والمعنى ان الرسل أيقنوا انهم كذبهم قومهم المشركون * قال ابن عطية ويحتمل أن يكون الظن على بابه يعني من ترجيح أحد الجائزين قال والضمير للرسل والمكذبون مؤمنون أرسل اليه أي لما طالت المواعيد حسبت الرسل ان المؤمنين أولا قد كذبوهم وارتابوا بقولهم وعلى قراءة التخفيف فالضمير في وظنوا عائد على المرسل اليهم لتقدمهم في الذكر في قوله كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولأن الرسل تستدعي مرسلا اليهم وفي أنهم وفي قد كذبوا عائد على الرسل والمعنى وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبهم من ادعوا انه جاءهم بالوحي عن الله وبنصرهم إذ لم يؤمنوا به ويجوز في هذه القراءة ان تكون الضمائر الثلاثة عائدة على المرسل اليهم أي وظن المرسل اليهم انهم قد كذبهم الرسل فيما ادعوه من النبوّة وفيما يوعدون به من لم يؤمن بهم من العذاب وهذا مشهور قول ابن عباس وتأويل عبد الله وابن جبير ومجاهد ولا يجوز أن تكون الضمائر في هذه القراءة عائدة على الرسل لأنهم معصومون فلا يمكن أن يظن أحد منهم انه قد كذبه من جاءه بالوحي عن الله * وقال الزمخشري في هذه القراءة حتى اذا استيأسوا من النصر وظنوا أنهم قد كذبوا أي كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم انهم ينصرون أو رجاهم كقوله رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب انتهى فجعل الضمائر كلها للرسل وجعل الفاعل الذي صرف من قوله قد كذبوا اما أنفسهم وامارجاؤهم وفي قوله اخراج الظن عن معنى الترجيح وعن معنى اليقين الى معنى التوهم حتى تجري الضمائر كلها في القراءتين على سنن واحد * وروي عن ابن مسعود وابن عباس وابن جبير ان الضمير في وظنوا وفي قد كذبوا عائد على الرسل والمعنى كذبهم من أخبرهم عن الله والظن على بابه قالوا والرسل بشر فضعفوا وساء ظنهم * وردت عائشة وجماعة من أهل العلم هذا التأويل وأعظموا أن يوصف الرسل بهذا * قال الزمخشري ان صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة

﴿لقد كان في قصصهم﴾ الآية الضمير في قصصهم عائد على الرسل والمرسل اليهم واندرجت فيه قصة يوسف وغيره وقرأ في قصصهم بكسر القاف أحمد بن جبير الانطاكي عن الكسائي والقصبي عن عبد الوارث عن أبي عمرو جمع قصة والعبرة الدلالة التي يعبر بها الى العلم والعبرة الاتعاظ والظاهر أن اسم كان مضمر يعود على القصص أي ما كان القصص حديثا مختلقا بل هو حديث صدق ناطق بالحق جاء به من لم يقرأ الكتب ولا تتلمذ

لأحد ولا خالط العلماء وانتصب تصديق على أنه خبر كان المحذوفة تقديره ولكن كان أي الحديث المشتمل على قصص الأنبياء تصديق الذي بين يديه أي بين يدي الحديث ومعنى بين يديه أي الكتب المنزلة الالهية وتفصيل كل شئ مما يحتاج إليه في الشريعة وقرأ حمدان بن أعين وعيسى الكوفي تصديق وتفصيل وهدى ورحمة برفع الاربعة أي ولكن هو تصديق والجمهور بنصب الاربعة وقال ذو الرمة*

وما كان لي من تراث ورثته ... ولا دية كانت ولا كسب مأثم
ولكن عطاء الله من كل رحلة * الى كل محجوب السرادق خضرم

برفع اعطاء على اضمار هو ونصبه على اضمار كان وهدى ورحمة أي سبب هداية في الدنيا وسبب حصول الرحمة في الآخرة وخص المؤمنون بذلك لانهم هم الذين ينتفعون بذلك كما قال تعالى هدى للمتقين وتقدم أول السورة قوله تعالى انا أنزلناه قرآنا عربيا وقوله نحن نقص عليك أحسن القصص وفي آخرها ما كان حديثا يفترى فلذلك احتمل أن يعود الضمير على القرآن وأن يعود على القصص والله تعالى أعلم

وحديث النفس على ما عليه البشرية وأما الظن الذي هو ترجيح أحد الجانبين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم أعرف بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح انتهى وآخره مذهب الاعتزال * فقال أبو علي ان ذهب ذاهب الى أن المعنى ظن الرسل ان الذي وعد الله أممهم على لسانهم قد كذبوا فيه فقد أتى عظيما لا يجوز أن ينسب مثله الى الانبياء ولا الى صالحي عباد الله قال وكذلك من زعم ان ابن عباس ذهب الى أن الرسل قد ضعفوا وظنوا انهم قد أخلفوا لأن الله لا يخلف الميعاد ولا مبدل لكلماته * وقرأ ابن عباس ومجاهد والضحاك قد كذبوا بتخفيف الذال مبنيا للفاعل أي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما قالوا عن الله من العذاب والظن على بابه وجواب إذا جاءهم نصرنا والظاهر ان الضمير في جاءهم عائد على الرسل * وقيل عائد عليهم وعلى من آمن بهم * وقرأ عاصم وابن عامر فنجي بنون واحدة وشد الجيم وفتح الياء مبنيا للمفعول * وقرأ مجاهد والحسن والجحدري وطلحة بن هرمز كذلك الا أنهم سكنوا الياء وخرج على انه مضارع ادغمت فيه النون في الجيم وهذا ليس بشئ لأنه لا تدغم النون في الجيم وتخريجه على انه ماض كالقراءة التي قبلها سكنت الياء فيه لغة من يستثقل الحركة صلة على الياء كقراءة من قرأ ما تطعمون أهاليكم بسكون الياء ورويت هذه القراءة عن الكسائي ونافع وقرأهما في المشهور وباقي السبعة فننجي بنونين مضارع أنجي * وقرأت فرقة كذلك الا أنهم فتحوا الياء * قال ابن عطية رواها هبيرة عن حفص عن عاصم وهي غلط من هبيرة انتهى وليست غلطا ولها وجه في العربية وهو ان الشرط والجزاء يجوز أن يأتي بعدهما المضارع منصوبا باضمار ان بعد الفاء كقراءة من قرأ وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر بنصب يغفر باضمار ان بعد الفاء ولا فرق في ذلك بين أن تكون اداة الشرط جازمة أو غير جازمة * وقرأ نصر بن عاصم والحسن وأبو حيوة وابن السميقع ومجاهد وعيسى وابن محيصن فنجي جعلوه فعلا ماضيا مخفف الجيم * وقال أبو عمرو الداني وقرأت لابن محيصن فنجي بشد الجيم فعلا ماضيا على معنى فنجي النصر * وذكر الداني ان المصاحف متفقة على كتبها بنون واحدة وفي التحبير ان الحسن قرأ فننجي بنونين الثانية مفتوحة والجيم مشددة والياء ساكنة * وقرأ أبو حيوة من يشاء بالياء أي فنجي من يشاء الله نجاته ومن يشاء هم المؤمنون لقوله ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين والبأس هنا الهلاك * وقرأ الحسن بأسه بضمير الغائب أي بأس الله وهذه الجملة فيها وعيد وتهديد لمعاصري الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شئ

(الدر) (ح) قرأت فرقة فننجي من نشاء بنونين مضارع أنجي وفتح الياء (ع) رواها هبيرة عن حفص عن عاصم وهي غلط من هبيرة انتهى (ح) ليست غلطا ولها وجه في العربية وهو ان الشرط والجزاء يجوز أن يأتي بعدهما المضارع منصوبا باضمار أن بعد الفاء كقراءة من قرأ وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر بنصب يغفر باضمار ان بعد الفاء ولا فرق في ذلك بين أن

وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ الضمير في قصصهم عائد على الرسل أو على يوسف وأبويه واخوته أو عليهم وعلى الرسل ثلاثة أقوال الأول اختاره الزمخشري قال و ينصره قراءة من قرأ قصصهم بكسر القاف انتهى ولا ينصره اذ قصص يوسف وأبيه واخوته مشتمل على قصص كثيرة وأنباء مختلفة والذي قرأ بكسر القاف هو أحمد بن جبير الانطاكي عن الكسائي والقصبي عن عبد الوارث عن أبي عمرو جمع قصة واختار ابن عطية الثالث بل لم يذكر غيره والعبرة الدلالة التي يعبر بها عن العلم واذا عاد الضمير على يوسف عليه السلام وأبويه واخوته فالاعتبار بقصصهم من وجوه اعزاز يوسف عليه السلام بعد القائه في الجب واعلاؤه بعد حبسه في السجن وتملكه مصر بعد استعباده واجتماعه مع والديه واخوته على ما أحب بعد الفرقة الطويلة والاخبار بهذا القصص اخبار اعن الغيب والاعلام بالله تعالى من العلم والقدرة والتصرف في الأشياء على ما لا يخطر على بال ولا يجول في فكر وانما خص أولو الألباب لانهم هم الذين ينتفعون بالعبر ومن له لب وأجاد النظر ورأى ما فيها من امتحان ولطف واحسان علم انه أمر من الله تعالى ومن عنده تعالى والظاهر ان اسم كان مضمر يعود على القصص أي ما كان القصص حديثا مختلقا بل هو حديث صدق ناطق بالحق جاء به من لم يقرأ الكتب ولا تتلمذ لأحد ولا خالط العلماء فمحال أن يفترى هذه القصة بحيث تطابق ما ورد في التوراة من غير تفاوت * وقيل يعود على القرآن أي ما كان القرآن الذي تضمن قصص يوسف عليه السلام وغيره حديثا يختلق ولكن كان تصديق الكتب المتقدمة الالهية وتفصيل كل شئ واقع ليوسف مع أبويه واخوته ان كان الضمير عائدا على قصص يوسف أو كل شئ مما يحتاج الى تفصيله في الشريعة ان عاد على القرآن * وقرأ حمران بن أعين وعيسى الكوفي فيما ذكر صاحب اللوامح وعيسى الثقفي فيما ذكر ابن عطية تصديق وتفصيل وهدى ورحمة برفع الأربعة أي ولكن هو تصديق والجمهور بالنصب على اضمار كان أي ولكن تصديق أي كان هو أي الحديث ذا تصديق الذي بين يديه و ينشد قول ذي الرمة

وما كان مالي من تراث ورثته * ولا دية كانت ولا كسب مأثم
ولكن عطاء الله من كل رحلة * الى كل محجوب السرادق خضرم

بالرفع في عطاء ونصبه أي ولكن هو عطاء الله أو ولكن كان عطاء الله ومثله قول لوط بن عبيد العائي اللص

واني بحمد الله لامال مسلم * أخذت ولا معطي اليمين محالف
ولكن عطاء الله من مال فاجر * قصي المحل معور للمقارف

وهدى أي سبب هداية في الدنيا ورحمة أي سبب لحصول الرحمة في الآخرة وخص المؤمنون بذلك لانهم هم الذين ينتفعون بذلك كما قال تعالى هدى للمتقين وتقدم أول السورة قوله تعالى انا أنزلناه قرآنا عربيا وقوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص وفي آخرها ما كان حديثا يفترى الى آخره فلذلك احتمل أن يعود الضمير على القرآن وأن يعود على القصص والله تعالى أعلم

﴿ سورة الرعد ثلاث وأربعون آية مكية ومدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل اليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾

﴿ سورة الرعد ﴾
بسم الله الرحمن الرحيم

(الدر)

تكون أداة الشرط جازمة أو غير جازمة (ش) الضمير في قصصهم عائد على الرسل و ينصره قراءة من قرأ في قصصهم بكسر القاف انتهى (ح) وقيل على يوسف وعلى أبويه واخوته وقيل عليهم وعلى الرسل وقوله و ينصره لا ينصره ذلك اذ قصص يوسف وأبويه واخوته مشتمل على قصص كثيرة وأنباء مختلفة والذي قرأ بكسر القاف هو أحمد بن جبير الانطاكي عن الكسائي والقصبي عن عبد الوارث عن أبي عمرو جمع قصة واختار (ع) الثالث بل لم يذكر غيره

الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون * وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون * وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون * وان تعجب فعجب قولهم أءذا كنا ترابا أءنا لفى خلق جديد * أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الاغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب * ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه انما أنت منذر ولكل قوم هاد * الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شئ عنده بمقدار * عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار * له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال * هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال * ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال * له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا فى ضلال * ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال * قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار * أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الامثال * للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد * العمد اسم جمع ومن أطلق عليه جمعا فلكونه يفهم منه ما يفهم من الجمع وهى الاساطين قال الشاعر

وجيش الجن انى قد أذنت لهم * يبغون تدمر بالصفاح والعمد

والمفرد عماد وعمد كاهاب وأهب * وقيل عمود وعمد كاديم وأدم وقضيم وقضم والعماد والعمود ما يعمد به يقال عمدت الحائط أعمده عمدا اذا أدعمته فاعتمد الحائط على العماد أى امتسك بها ويقال فلان عمدة قومه اذا كانوا يعتمدونه فيما يحزبهم ويجمع عماد على عمد بضمتين كشهاب وشهب وعمود على عمد أيضا كرسول ورسل وزبور وزبر وهذا فى الكثرة ويجمعان فى القلة على أعمدة * الصنو الفرع يجمعه وآخر أصل واحد وأصله المثل ومنه قيل للعم صنو وجمعه فى لغة الحجاز صنوان بكسر الصاد كقنو وقنوان وبضمها فى لغة تميم وقيس كذئب وذؤبان ويقال صنوان بفتح الصاد وهو اسم جمع لا جمع تكسير لانه ليس من أبنيته * الجديد ضد الخلق والبالى ويقال ثوب جديد أى كما فرغ من عمله وهو فعيل بمعنى مفعول كانه كما قطع من النسج * المثلة العقوبة ويجمع بالالف

والتاء كسموة وسماوات ولغة الحجاز مثلة بفتح الميم وسكون الثاء ولغة تميم بضم الميم وسكون الثاء وسميت العقوبة بذلك لما بين العقاب والمعاقب من المماثلة كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها أو لانها من المثال بمعنى القصاص يقال أمثلت الرجل من صاحبه وأقصصته أو لانها العظم نكالها يضرب بها المثل * السارب اسم فاعل من سرب أى تصرف كيف شاء قال الشاعر

انى سربت وكنت غير سروب * وتقرب الاحلام غير قريب

وقال الآخر

وكل أناس قاربوا قيد فحلهم * ونحن حللنا قيده فهو سارب

أى فهو منصرف كيف شاء لا يدفع عن جهة يفتخر بعزة قومه * المحال القوة والاهلاك قال الأعشى

فرع نبع يهش فى غصن المجـ * ـد غزير الندى شديد المحال

وقال عبد المطلب

لا يغلبن صليبهم * ومحالهم أبدا محالك

ويقال محل الرجل بالرجل مكر به وأخذه بسعاية شديدة والمماحلة المكايدة والمماكرة ومنه تمحل لكذا أى تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه * وقال أبو زيد المحال النقمة * وقال ابن عرفة المحال الجدال ماحل عن أمره أى جادل * وقال القتبى أى شديد الكيد وأصله من الحيلة جعل ميمه كميم مكان وأصله من الكون ثم يقال تمكنت وغلطه الازهرى فى زيادة الميم قال ولو كان مفعلا لظهر من الواو مثل مرود ومحول ومحور وانما هو مثال كمهاد ومراس * الكف عضو معروف وجمعه فى القلة أكف كصك وأصك وفى الكثرة كفوف كصكوك وأصله مصدر كف * ظل الشئ مايظهر من خياله فى النور وبمثله فى الضوء * الزبد قال أبو الحجاج الاعلم هو ما يطرحه الوادى اذا جاش ماؤه واضطربت أمواجه * وقال ابن عطية هو ما يحمله السيل من غثاء ونحوه وما يرمى به على ضفتيه من الحباب الملتبك * وقال ابن عيسى الزبد وضر الغليان وخبثه قال الشاعر

فما الفرات اذا هب الرياح له * ترمى غواربه العبرين بالزبد

الجفاء اسم لما يجفاه السيل أى يرمى يقال جفأت القدر بزبدها وجفأ السيل بزبده وأجفأ وأجفل وقال ابن الانبارى جفاء أى متفرقا من جفأت الريح الغيم اذا قطعته وجفأت الرجل صرعته ويقال جف الوادى اذا نشف ﴿المر تلك آيات الكتاب والذى أنزل اليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون * الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ هذه السورة مكية فى قول الحسن وعكرمة وعطاء وابن جبير وعن عطاء الا قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا وعن غيره الا قوله هو الذى يريكم البرق الى قوله له دعوة الحق ومدنية فى قول الكلبى ومقاتل وابن عباس وقتادة واستثنيا آيتين قالا نزلتا بمكة وهما ولو أن قرآنا سيرت به الجبال الى

وقيل تلك اشارة الى جميع كتب الله المنزلة ويكون المعنى تلك الآيات التى قصصت عليك خبرها هى آيات الكتاب الذى أنزلته قبل هذا الكتاب الذى أنزلته اليك والظاهر أن قوله والذى مبتدأ والحق خبره ومن ربك متعلق بأنزل وأكثر الناس عام فى كفار مكة وغيرهم ولما ذكر انتفاء الايمان عن أكثر الناس ذكر عقيبه ما يدل على صحة التوحيد والمعاد وما يجب بهم الى الايمان مما يفكر فيه العاقل ويشاهده من عظيم القدرة وبديع الصنع والجلالة مبتدأ والذى هو الخبر والضمير فى ترونها عائد على السموات أى تشاهدون السموات خالية عن عمد واحتمل هذا الوجه أن يكون ترونها كلاما مستأنفا واحتمل أن يكون جملة حالية أى رفعها مرئية لكم بغير عمد وهى حال مقدرة لانه حين رفعها لم تكن مخلوقين وقيل ضمير النصب فى

ترونها عائد على عمد أى بغير عمد مرئية فترونها صفة للعمد وتقدم تفسير ثم استوى على العرش فى الاعراف ﴿كل يجرى﴾ قال ابن عباس منازل الشمس والقمر وهى الحدود التى لا تتعداها قدر لكل منهما سيرا خاصا الى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطء انتهى والاجل المسمى هو يوم القيامة فعند مجيئه ينقطع ذلك الجريان والتسيير كما قال تعالى اذا الشمس كورت وقال وجمع

آخرهما وعن ابن عباس الا قوله ولا يزال الذين كفروا الى آخر الآية وعن قتادة مكية الا قوله ولا يزال الذين كفروا الآية حكاه المهدوي وقيل السورة مدنية حكاه القاضي منذر بن سعد البلوطي ومكي بن أبي طالب * قال الزمخشري تلك اشارة الى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة أي تلك آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها * وقال ابن عطية من قال حروف أوائل السور مثال لحروف المعجم قال الاشارة هنا بتلك هي الى حروف المعجم ويصح على هذا أن يكون الكتاب يراد به القرآن ويصح أن يراد به التوراة والانجيل والمر على هذا ابتداء وتلك ابتداء ثان وآيات خبر الثاني والجملة خبر الأول انتهى ويكون الرابط اسم الاشارة وهو تلك * وقيل الاشارة بتلك الى ما قص عليه من أنباء الرسل المشار اليها بقوله تلك من أنباء الغيب والذي قال ويصح أن يراد به التوراة والانجيل هو قريب من قول مجاهد وقتادة والاشارة بتلك الى جميع كتب الله تعالى المنزلة ويكون المعنى تلك الآيات التي قصصت عليك خبرها هي آيات الكتاب الذي أنزلته قبل هذا الكتاب الذي أنزلته اليك والظاهر أن قوله والذي مبتدأ والحق خبره ومن ربك متعلق بأنزل وأجاز الحوفي أن يكون من ربك الخبر والحق مبتدأ محذوف أو هو خبر بعد خبر أو كلاهما خبر واحد انتهى وهو اعراب متكلف وأجاز الحوفي أيضا أن يكون والذي في موضع رفع عطفا على آيات وأجاز هو وابن عطية أن يكون والذي في موضع خفض وعلى هذين الاعرابين يكون الحق خبر مبتدا محذوف أي هو الحق ويكون والذي أنزل مما عطف فيه الوصف على الوصف وهما لشئ واحد كما تقول جاءني الظريف العاقل وأنت تريد شخصا واحدا ومن ذلك قول الشاعر

الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم

وأجاز الحوفي أن يكون الحق صفة للذي يعني اذا جعلت والذي معطوفا على آيات وأكثر الناس قيل كفار مكة لا يصدقون ان القرآن منزل من عند الله تعالى * وقيل المراد به اليهود والنصارى والاولى انه عام ولما ذكر انتفاء الايمان عن أكثر الناس ذكر عقيبه ما يدل على صحة التوحيد والمعاد وما يجذبهم الى الايمان فيما يفكر فيه العاقل ويشاهده من عظيم القدرة وبديع الصنع والجلالة مبتدأ والذي هو الخبر بدليل قوله تعالى وهو الذي مد الارض ويجوز أن يكون صفة وقوله يدبر الامر يفصل الآيات خبرا بعد خبر وينصره ما تقدمه من ذكر الآيات قاله الزمخشري * وقرأ الجمهور عمد بفتحتين * وقرأ أبو حيوة ويحيى بن وثاب بضمتين وبغير عمد في موضع الحال أي خالية عن عمد والضمير في ترونها عائد على السموات أي تشاهدون السموات خالية عن عمد واحتمل هذا الوجه أن يكون ترونها كلاما مستأنفا واحتمل أن يكون جملة حالية أي رفعها مرئية لكم بغير عمد وهي حال مقدرة لانه حين رفعها لم نكن مخلوقين * وقيل ضمير النصب في ترونها عائد على عمد أي بغير عمد مرئية فترونها صفة للعمد ويدل على كونه صفة لعمد قراءة أبي ترونه فعاد الضمير مذكرا على لفظ عمد اذ هو اسم جمع * قال أي ابن عطية اسم جمع عمود والباب في جمعه عمد بضم الحروف الثلاثة كرسول ورسل انتهى وهو وهم وصوابه بضم الحرفين لان الثالث هو حرف الاعراب فلا يعتبر ضمه في كيفية الجمع هذا التخريج يحتمل وجهين أحدهما انها لها عمد ولا ترى تلك العمد وهذا ذهب اليه مجاهد وقتادة * وقال ابن عباس وما يدريك انها بعمد لا ترى * وحكى بعضهم أن العمد جبل قاف المحيط بالارض والسماء عليه كالقبة والوجه الثاني أن يكون نفي العمد والمقصود نفي الرؤية عن العمد فلا عمد ولا رؤية أي لا عمد لها فترى والجمهور على أن السموات لا عمد لها البتة ولو كان لها عمد

الشمس والقمر ومعنى تدبير الامر انفاذه وابرامه وعبر بالتدبير تقريبا للافهام إذ التدبير انما هو النظر في ادبار الامور وعواقبها وذلك من صفات البشر والأمر أمر ملكوته وربوبيته وهو عام في جميع الامور من ايجاد واعدام واحياء واماته وانزال وحي وبعث رسل وتكليف وغير ذلك وتفصيل الآيات جعلها فصولا مبينة مميزا بعضها عن بعض والآيات هنا دلالاته وعلاماته في سمواته على وحدانيته وهاتان الجملتان استئناف اخبار عن الله تعالى والخطاب في لعلكم للكفرة وتوقنون بالجزاء وبان هذا المدبر والمفصل لابد لكم من الرجوع اليه

(الدر)

سورة الرعد

بسم الله الرحمن الرحيم

(ع) عمد اسم جمع عمود والباب في جمعه عمد بضم الحروف الثلاثة كرسول ورسل انتهى (ح) هذا وهم وصوابه بضم الحرفين لان الثالث هو حرف الاعراب فلا يعتبر ضمه في كيفية الجمع

﴿وهو الذى مدّ الارض﴾ الآية لما قرر الدلائل السماوية أردفها بتقرير الدلائل الأرضية وقوله مدّ الارض يقتضي أنها بسيطة لا كروية وهذا هو ظاهر الشريعة قال أبو عبد الله الرازي ثبت بالدليل أن الارض كرة ولا ينافي ذلك قوله مدّ الارض وذلك أن الأرض جسم عظيم والكرة اذا كانت في غاية الكبر كانت كل قطعة منها تشاهد كالسطح والتفاوت بينه وبين السطح لا يحصل الا في علم الله تعالى ألا ترى أنه قال والجبال أوتادا مع أن العالم والناس عليها يستقرون فكذلك هنا وأيضا انما ذكر مدّ الارض ليستدل به على وجود الصانع وكونها مجتمعة تحت البيت على ماقيل أمر غير مشاهد ولا محسوس فلا يمكن الاستدلال به على وجود الصانع فتأويل مدّ الأرض أنه جعلها مختصة بمقدار معين وكونها تقبل الزيادة والنقص أمر جائز ممكن في نفسه والاختصاص بذلك المقدار المعين لابد أن يكون بتخصيص مخصص وتقدير مقدر وبهذا يحصل الاستدلال على وجود الصانع انتهى ملخصا والرواسي الثوابت والمعنى جبالا رواسي وأيضا فقد غلب على الجبال وصفها بالرواسي وصارت الصفة تغني عن الموصوف فجمع جمع الاسم كحائط وحوائط وكاهل وكواهل وكانت الأرض مضطربة فثقلها الله بالجبال في أحيازها فزال اضطرابها والاستدلال بوجود الجبال على وجود الصانع القادر الحكيم قيل من جهة أن طبيعة الأرض واحدة فحصول الجبل في بعض جوانبها دون بعض لابد

لاحتاجت تلك العمد الى عمد و يتسلسل الامر فالظاهر انها ممسكة بالقدرة الالهية ألا ترى الى قوله تعالى و يمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ونحو هذا من الآيات * وقال أبو عبد الله الرازي العماد ما يعتمد عليه وهذه الاجسام واقفة في الحيز العالي بقدرة الله تعالى فعمدها قدرة الله تعالى فلها عماد في الحقيقة الا أن تلك العمد امساك الله تعالى وحفظه وتدبيره وابقاؤه اياها في الحيز العالي وأنتم لا ترون ذلك التدبير ولا تعرفون كيفية ذلك الامساك انتهى وعن ابن عباس ليست من دونها دعامة تدعمها ولا فوقها علاقة تمسكها وأبعد من ذهب الى أن ترونها خبر في اللفظ ومعناه الامر أي رها وانظر واهل لها من عمد وتقدم تفسير ثم استوى على العرش * قال ابن عطية ثم هنا لعطف الجمل لا للترتيب لان الاستواء على العرش قبل رفع السموات وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض انتهى وسخر الشمس والقمر أي ذللهما لما يراد منهما * وقيل لمنافع العباد وعبر بالجريان عن السير الذي فيه سرعة وكل مضافة في التقدير والظاهر ان المحذوف هو ضمير الشمس والقمر أي كلهما يجري الى أجل مسمى * وقال ابن عطية والشمس والقمر في ضمن ذكرهما ذكر الكواكب ولذلك قال كل يجري لاجل مسمى أي كل ما هو في معنى الشمس والقمر من المسخر وكل لفظة تقتضي الاضافة ظاهرة أو مقدرة انتهى وشرح كل بقوله أي كل ما هو في معنى الشمس والقمر ما أخرج الشمس والقمر من ذكر جريانهما الى أجل مسمى وتحريره أن يقول على زعمه ان الكواكب في ضمن ذكرهما أي ومما هو في معناهما الى أجل مسمى * وقال ابن عباس منازل الشمس والقمر وهي الحدود التي لا تتعداها قدر لكل منهما سيرا خاصا الى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطء * وقيل الأجل المسمى هو يوم القيامة فعند مجيئه ينقطع ذلك الجريان والتسيير كما قال تعالى اذا الشمس كورت وقال وجمع الشمس والقمر ومعنى تدبير الأمر انفاذه وابرامه وعبر بالتدبير تقريبا للافهام إذ التدبير انما هو النظر في ادبار الامور وعواقبها وذلك من صفات البشر والأمر أمر ملكوته وربوبيته وهو عام في جميع الامور من ايجاد واعدام واحياء واماتة وانزال وحي وبعث رسل وتكليف وغير ذلك * وقال مجاهد يدبر الامر يقضيه وحده و يفصل الآيات يجعلها فصولا مبينة مميزا بعضها من بعض والآيات هنا دلائله وعلاماته في سمواته على وحدانيته أو آيات الكتب المنزلة أو آيات القرآن أقوال * وقرأ النخعي وأبو رزين وابان بن ثعلب عن قتادة ندبر الامر نفصل بالنون فيهما وكذا قال أبو عمرو الداني عن الحسن فيهما وافق في نفصل بالنون الخفاف وعبد الواحد عن أبي عمرو وهبيرة عن حفص * وقال صاحب اللوامح جاء عن الحسن والاعمش نفصل بالنون فقط * وقال المهدوي لم يختلف في يدبر وليس كما قال اذ قد تقدمت قراءة ابان ونقل الداني عن الحسن والذي تقتضيه الفصاحة أن هاتين الجملتين استفهام اخبار عن الله تعالى * وقيل يدبر حال من الضمير في وسخر ونفصل حال من الضمير في يدبر والخطاب في لعلكم للكفرة وتوقنون بالجزاء أو بان هذا المدبر والمفصل لابد لكم من الرجوع اليه ﴿ وهو الذى مدّ الارض

وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ لما قرر الدلائل السماوية أردفها بتقرير الدلائل الارضية ومد الارض بسطها طولا وعرضا ليمكن التصرف فيها والاستقرار عليها * قيل مدها ودحاها من مكة من تحت البيت فذهبت كذا وكذا * وقيل كانت مجتمعة عند بيت المقدس فقال لها اذهبي كذا وكذا * قال ابن عطية وقوله مد الارض يقتضي انها بسيطة لا كرة وهذا هو ظاهر الشريعة * قال أبو عبد الله الداراني ثبت بالدليل ان الارض كرة ولا ينافي ذلك قوله مد الارض وذلك ان الارض جسم عظيم والكرة اذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها تشاهد كالسطح والتفاوت بينه و بين السطح لا يحصل الا في علم الله تعالى ألا ترى انه قال والجبال أوتادا مع أن العالم والناس يسيرون عليها فكذلك هنا وأيضا انما ذكر مد الارض ليستدل به على وجود الصانع وكونها مجتمعة تحت البيت أمر غير مشاهد ولا محسوس فلا يمكن الاستدلال به على وجود الصانع فتأويل مد الارض انه جعلها بمقدار معين وكونها تقبل الزيادة والنقص أمر جائز ممكن في نفسه فالاختصاص بذلك المقدار المعين لا بد أن يكون بتخصيص مخصص وتقدير مقدر وبهذا يحصل الاستدلال على وجود الصانع انتهى ملخصا * وقال أبو بكر الاصم المد البسط الى ما لا يرى منتهاه فالمعنى جعل الارض حجما يسيرا لا يقع البصر على منتهاه فان الارض لو كانت أصغر حجما مما هي الآن عليه لما كمل الانتفاع به انتهى وهذا الذي ذكره من انها لو كانت أصغر الى آخره غير مسلم لان المنتفع به من الارض المعمور والمعمور أقل من غير المعمور بكثير فلو أراد تعالى ان يجعلها مقدار المعمور المنتفع به لم يكن ذلك ممتنعا فتحصل في قوله مد الارض ثلاث تأويلات بسطها بعد أن كانت مجتمعة واختصاصها بمقدار معين وجعل حجمها كبيرا لا يرى منتهاه والرواسي الثوابت ومنه قول الشاعر

به خالدات ما يرمن وهامد * وأشعث أرسته الوليدة بالفهر

والمعنى جبالا رواسي وفواعل الوصف لا يطرد الا في الاناث الا ان جمع التكسير من المذكر الذي لا يعقل يجري مجرى جمع الاناث وأيضا فقد غلب على الجبال وصفها بالرواسي وصارت الصفة تغني عن الموصوف فجمع جمع الاسم كحائط وحوائط وكاهل وكواهل * وقيل رواسي جمع راسية والهاء للمبالغة وهو وصف الجبل كانت الأرض مضطربة فثقلها الله بالجبال في أحيازها فزال اضطرابها والاستدلال بوجود الجبال على وجود الصانع القادر الحكيم * قيل من جهة ان طبيعة الارض واحدة فحصول الجبل في بعض جوانبها دون بعض لا بد أن يكون بتخليق قادر حكيم ومن جهة ما يحصل منها من المعادن الجوهرية والرخامية وغيرها كالنفط والكبريت يكون الجبل واحدا في الطبع وتأثير الشمس واحد دليل على أن ذلك بتقدير قادر قاهر متعال عن مشابهة الممكنات ومن جهة تولد الانهار منها * قيل وذلك لأن الجبل جسم صلب و يتصاعد بخاره من قعر الارض اليه و يحتبس هناك فلا يزال يتكامل فيه فيحصل بسببه مياه كثيرة فلقوتها تشق وتخرج وتسيل على وجه الارض ولهذا في أكثر الامر اذا ذكر الله تعالى الجبال ذكر الانهار كهذه الآية وكقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم وأنهارا فقال المفسرون الانهار المياه الجارية في الارض * وقال الكرماني مسيل الماء وتقدم الكلام في الانهار في أوائل سورة البقرة والظاهر ان قوله من كل الثمرات متعلق بجعل ولما ذكر الأنهار ذكر ما ينشأ عنها وهو الثمرات والزوج هنا الصنف الواحد الذي هو نقيض الاثنين يعني انه

أن يكون بتخليق قادر حكيم ومن جهة ما يحصل منها من المعادن الجوهرية والرخامية وغيرهما كالنفط والكبريت يكون الجبل واحدا في الطبع وتأثير الشمس واحد دليل على أن ذلك بتقدير قادر قاهر متعال عن مشابهة الممكنات ومن جهة تولد الانهار منها قيل وذلك لان الجبل جسم صلب وتتصاعد أبخرة قعر الأرض اليه و يحتبس هنالك فلا يزال يتكامل فيه فيحصل بسببه مياه كثيرة فلقوتها تشق الأرض وتخرج وتسيل على وجه الأرض ولهذا في أكثر الامر اذا ذكر الله الجبال ذكر الانهار كهذه الآية وكقوله تعالى وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم وأنهارا قال المفسرون الانهار المياه الجارية في الارض وتقدم الكلام في الانهار في أوائل البقرة ﴿ومن كل الثمرات﴾ متعلق بجعل ولما ذكر الانهار الجارية في الأرض وذكر ما ينشأ عنها وهو الثمرات والزوج هنا الصنف الواحد الذي هو

نقيض الاثنين يعنى أنه حين مدّ الارض جعل ذلك ثم تكثرت وتنوعت ﴿ وفى الارض قطع متجاورات ﴾ الآية قطع جمع قطعة وهى الجزء متجاورات متلاصقة متدانية قريب بعضها من بعض قال ابن عباس أرض طيبة وأرض سبخة تنبت هذه وهذه الى جنبها لا تنبت وقرئ و زرع ونخيل صنوان برفع الاربعة عطفا على جنات وبالجر عطفا على من أعناب الصنو الفرع يجمعه وآخر أصل واحد وأصله المثل ومنه قيل للعم صنو وجمعه فى لغة الحجاز صنوان بكسر الصاد كقنو وقنوان وبضمها فى لغة بنى تميم وقيس كذئب وذؤبان ويقال صنوان بفتح الصاد وهو اسم جمع لا جمع تكسير لانه ليس من أبنيته ﴿ يسقى بماء واحد ﴾ ماء مطر أو ماء بحر أو ماء نهر أو ماء عين أو ماء نبع لا يسيل على وجه الارض وخص التفضيل فى الاكل وان كانت متفاضلة فى غيره لانه غالب وجوه الانتفاع من الثمرات ألا ترى الى تفاوتها فى الاشكال والالوان والروائح والمنافع وما يجرى مجرى ذلك قيل نبه تعالى فى هذه الآية على قدرته وحكمته وأنه المدبر للاشياء كلها وذلك أن الشجر تخرج أغصانها وثمراتها فى وقت معلوم لا يتأخر عنه ولا يتقدم ثم يتصعد الماء فى ذلك الوقت علوا علوا وليس من طبعه الا التسفل ثم يتفرق ذلك الماء فى الورق والاغصان والثمر كل بقسطه و بقدر ما فيه صلاحه ثم تختلف طعوم الثمار والماء واحد والشجر جنس واحد وكل ذلك دليل على مدبر دبره وأحكمه لا يشبه المخلوقات ﴿ ان فى ذلك ﴾ قال ابن عباس فى اختلاف الألوان والروائح والطعوم ﴿ لآيات ﴾ لحججا ودلالات ﴿ لقوم يعقلون ﴾ يعلمون الادلة فيستدلون بها على وحدانية الصانع القادر ولما كان الاستدلال فى هذه الآية باشياء فى غاية الوضوح من مشاهدة تجاور القطع والجنات وسقيها وتفصيلها جاء ختمها بقوله لقوم يعقلون بخلاف الآية التى قبلها فان الاستدلال بها يحتاج الى تأمل وتدبر نظر جاء ختمها بقوله لقوم يتفكرون

حين مد الأرض جعل ذلك ثم تكثرت وتنوعت * وقيل أراد بالزوجين الاسود والأبيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك من الاصناف المختلفة * وقال ابن عطية وهذه الآية تقتضى ان كل ثمرة موجود فيها نوعان فان اتفق أن يوجد من ثمرة أكثر من نوعين فغير ضار فى معنى الآية * وقال الكرمانى الزوج واحد والزوج اثنان ولهذا قيد ليعلم ان المراد بالزوج هنا الفرد لا التثنية فيكون أربعا وخص اثنين بالذكر وان كان من أجناس الثمار ما يزيد على ذلك لأنه الأقل اذ لا نوع تنقص أصنافه عن اثنين انتهى و يقال ان فى كل ثمرة ذكر وأنثى وأشار الى ذلك الفراء * وقال أبو عبد الله الرازى لما خلق الله تعالى العالم وخلق فيه الاشجار خلق من كل نوع من الأنواع اثنين فقط فلو قال خلق زوجين لم يعلم ان المراد النوع أو الشخص فلما قال اثنين علمنا انه أول ما خلق من كل زوجين اثنين لا أقل ولا أزيد فالشجر والزرع كبنى آدم حصل منهم كثرة وابتداؤهم من زوجين اثنين بالشخص وهما آدم وحواء والاستدلال بخلق الثمرات على ما ذكر تعالى من جهة ربو الحبة فى الارض وشق أعلاها وأسفلها فمن الشق الأعلى الشجرة الصاعدة ومن الأسفل العروق الغائصة وطبيعة تلك الحبة واحدة وتأثيرات الطبائع والأفلاك والكواكب فيها واحد ثم يخرج من الأعلى ما يذهب صعدا فى الهواء ومن الأسفل ما يغوص فى الثرى ومن المحال ان يتولد من الطبيعة الواحدة طبيعتان متضادتان فعلمنا ان ذلك بتقدير قادر حكيم ثم تلك الشجرة يكون بعضها خشبا و بعضها لوزا و بعضها ثمرا ثم تلك الثمرة يحصل فيها أجسام مختلفة الطبائع وذلك بتقدير القادر الحكيم انتهى وفيه تلخيص * وقيل تم الكلام عند قوله ومن كل الثمرات فيكون معطوفا على ما قبله من عطف المفردات و يتعلق بقوله وجعل فيها رواسى فالمعنى انه جعل فى الارض من كل ذكر وأنثى اثنين وقيل الزوجان الشمس والقمر * وقيل الليل والنهار يغشى الليل النهار تقدم تفسير هذه الجملة وقرا آتها فى الأعراف وخص المتفكرين لأن ما احتوت عليه هذه الآيات من الصنيع العجيب لا يدرك الا بالتفكر ﴿ وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ قطع جمع قطعة وهى الجزء ومتجاورات متلاصقة متدانية قريب بعضها من بعض * قال ابن عباس ومجاهد وأبو العالية والضحاك أرض طيبة وأرض سبخة نبتت هذه وهذه الى جنبها لا تنبت * وقال ابن قتيبة وقتادة يعنى القرى المتجاورة * وقيل متجاورة فى المكان مختلفة فى الصفة صلبة الى رخوة وسحرا الى مرد(٣) أو مخصبة الى مجدبة وصالحة للزرع لا للشجر وعكسها مع انتظام جميعها فى الأرضية * وقيل فى الكلام حذف معطوف أى وغير متجاورات

والمتجاورات المدن وما كان عامرا وغير المتجاورات الصحارى وما كان غير عامر * قال ابن عطية والذى يظهر من وصفه لها بالتجاور انما هو من تربة واحدة ونوع واحد وموضع العبرة فى هذا أبين لانها مع اتفاقها فى الترب والماء تفضل القدرة والارادة بعض أكلها على بعض كما قال النبى صلى الله عليه وسلم حين سئل عن هذه الآية فقال الدقل والفارس والحلو والحامض * وقال ابن عطية وقيد منها فى هذا المثال ماجاور وقرب بعضه من بعض لان اختلاف ذلك فى الأكل أغرب وفى بعض المصاحف قطعا متجاورات بالنصب على جعل * وقرأ الجمهور وجنات بالرفع * وقرأ الحسن بالنصب باضمار فعل * وقيل عطفا على رواسى * وقال الزمخشرى بالعطف على زوجين اثنين أو بالجر على كل الثمرات انتهى والاولى اضمار فعل لبعد ما بين المتعاطفين فى هذه التخاريج والفصل بينهما بجمل كثيرة * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان بالرفع فى الجميع على مراعاة قطع * وقال ابن عطية عطفا على أعناب وليست عبارة محررة أيضا لان فيها ماليس بعطف وهو قوله صنوان وقرأ باقى السبعة بخفض الأربعة على مراعاة من أعناب قال وجعل الجنة من الأعناب من رفع الزرع والجنة حقيقة انما هى الأرض التى فيها الأعناب وفى ذلك تجوز ومنه قول الشاعر

كان عينى فى غربى مقبله * من النواضح تسقى جنة سحقه

أى نخيل جنة اذ لا يوصف بالسحق الا النخل ومن خفض الزرع فالجنات من مجموع ذلك لا من الزرع وحده لانه لا يقال للمزرعة جنة الا اذا خالطها ثمرات * وقرأ الجمهور صنوان بكسر الصاد فيهما وابن مصرف والسلمى وزيد بن على بضمها والحسن وقتادة بفتحها وبالفتح هو اسم للجمع كالسعدان * وقرأ عاصم وابن عامر وزيد بن على يسقى بالياء أى يسقى ماذكر وباقى السبعة بالتاء وهى قراءة الحسن وأبى جعفر وأهل مكة أنثوا لعود الضمير على لفظ ماتقدم ولقوله ونفضل بالنون وحمزة والكسائى بالياء وابن محيصن بالياء فى تسقى وفى نفضل * وقرأ يحيى بن يعمر وأبو حيوة والحلبى عن عبد الوارث ويفضل بالياء وفتح الضاد بعضها بالرفع * قال أبو حاتم وجدته كذلك فى مصحف يحيى بن يعمر وهو أول من نقط المصاحف وتقدم فى البقرة خلاف القراء فى ضم الكاف من الأكل وسكونها والأكل بضم الهمزة المأكول كالنقض بمعنى المنقوض وبفتحها المصدر والظاهر من تفسير أكثر المفسرين للصنوان أن يكون قوله صنوان صفة لقوله ونخيل ومن فسره منهم بالمثل جعله وصفا لجميع ماتقدم أى اشكال وغير اشكال * قيل ونظير هذه الكلمة قنو وقنوان ولا يوجد لهما ثالث ونص على الصنوان لانها بمثال التجاور فى القطع فظهر فيها غرابة اختلاف الأكل ومعنى بماء واحد ماء مطر أو ماء بحر أو ماء نهر أو ماء عين أو ماء نبع لا يسيل على وجه الأرض وخص التفضيل فى الأكل وان كانت متفاضلة فى غيره لانه غالب وجوه الانتفاع من الثمرات ألا ترى الى تقاربها فى الأشكال والألوان والروائح والمنافع ومايجرى مجرى ذلك * قيل نبه الله تعالى فى هذه الآية على قدرته وحكمته وانه المدبر للاشياء كلها وذلك أن الشجرة تخرج أغصانها وثمراتها فى وقت معلوم لاتتأخر عنه ولاتتقدم ثم يتصعد الماء فى ذلك الوقت علوا علوا وليس من طبعه الا التسفل يتفرق ذلك الماء فى الورق والاغصان والثمر كل بقسطه وبقدر مافيه صلاحه ثم تختلف طعوم الثمار والماء واحد والشجر جنس واحد وكل ذلك دليل على مدبر دبره وأحكمه لايشبه المخلوقات قال الراجز

والأرض فيها عبرة للمعتبر * تخبر عن صنع مليك مقتدر

﴿وان تعجب فعجب قولهم﴾ الآية لما أقام الدليل على عظيم قدرته بما أودعه من الغرائب فى ملكوته التى لا يقدر عليها سواه عجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من انكار المشركين وحدانيته وتوهينهم قدرته لضعف عقولهم فنزل وان تعجب قال ابن عباس وان تعجب من تكذيبهم اياك بعدما كانوا حكموا عليك انك من الصادقين فهذا أعجب وقال الزمخشرى وان تعجب يا محمد فى قولهم فى انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بأن يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعى بخلقهن كانت الاعادة أهون شئ عليه وأيسره فكان انكارهم أعجوبة من الاعاجيب انتهى وليس مدلول اللفظ ما ذكر لانه جعل متعلق عجبه صلى الله عليه وسلم هو قولهم فى انكار البعث فاتحد الشرط والجزاء اذ صار التقدير وان تعجب من قولهم فى انكار البعث فاعجب من قولهم فى انكار البعث وانما مدلول اللفظ ان يقع منك عجب فليكن من قولهم أئذا متنا الآية وكان المعنى الذى ينبغى أن يتعجب منه هو

انكار البعث لأنه تعالى المخترع للاشياء ومن كان قادرا على ابرازها من العدم الصرف كان قادرا على الاعادة كما قال تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه أى هين عليه وقوله فعجب خبر مقدم واجب التقديم واختلف القراء فى الاستفهامين اذا اجتمعا فى أحد عشر موضعا منها هذا الموضع والظاهر ان أئذا معمول لقولهم محكى به وقال الزمخشرى أئذا متنا الى آخر قولهم يجوز أن يكون فى محل الرفع بدلا من قولهم انتهى وهذا اعراب متكلف وعدول عن الظاهر واذا متمحضة للظرف وليس فيها معنى الشرط فالعامل فيها محذوف يفسره ما يدل عليه الجملة الثانية وتقديره أنبعث أونحشر ﴿أولئك﴾ إشارة الى قائلى تلك المقالة وهى تقدير مصمم على انكار البعث فلذلك حكم عليهم بالكفر إذ عجزوا قدرته عن اعادة ما أنشأ واخترع ابتداء ولما حكم عليهم بالكفر فى الدنيا ذكر ما يؤولون اليه فى الآخرة على سبيل الوعيد وأبرز ذلك فى جملة مستقلة مشار اليهم والظاهر أن الاغلال تكون فى أعناقهم حقيقة فى الآخرة كما قال تعالى اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون ولما كانوا متوعدين بالعذاب ان أصروا على الكفر وكانوا مكذبين بما أنذروا به من العذاب سألوا واستعجلوا فى الطلب أن يأتيهم العذاب وذلك على سبيل الاستهزاء كما قالوا فامطر علينا حجارة وقالوا أوتسقط السماء كما زعمت علينا كسفا قال ابن عباس السيئة العذاب والحسنة العافية ﴿وقد خلت من قبلهم المثلات﴾ أى يستعجلونك بالسيئة مع علمهم بما حل بغيرهم من مكذبى الرسل فى الأمم السالفة وهذا يدل على سخف عقولهم اذ يستعجلون بالعذاب والحالة هذه فلو أنه لم يسبق تعذيب أمثالهم لكانوا ربما يكون لهم عذر ولكنهم لا يعتبرون فيستهزئون قال ابن عباس المثلات العقوبات المستأصلات كمثلة قطع الانف والاذن ونحوهما ﴿وان ربك لذو مغفرة للناس على

تسقى بماء واحد أشجارها * وبقعة واحدة قرارها
والشمس والهواء ليس يختلف * وأكلها مختلف لا يأتلف
لو أن ذا من عمل الطبائع * أو أنه صنعة غير صانع
لم يختلف وكان شيأ واحدا * هل يشبه الأولاد الا الوالدا
الشمس والهواء يا معاند * والماء والتراب شئ واحد
فما الذى أوجب ذا التفاضلا * الا حكيم لم يرده باطلا

* وقال الحسن هذا مثل ضربه الله تعالى لقلوب بنى آدم كانت الأرض طينة واحدة فسطحها فصارت قطعا متجاورات فنزل عليها ماء واحد من السماء فتخرج هذه زهرة وثمرة وتخرج هذه سبخة وملحا وخبثا وكذلك الناس خلقوا من آدم فنزلت عليهم من السماء مذكرة فرقت قلوب وخشعت قلوب وقست قلوب ولهت قلوب * وقال الحسن ما جالس أحد القرآن الا قام عنه بزيادة أو نقصان قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا انتهى وهو شبيه بكلام الصوفية * ان فى ذلك قال ابن عباس فى اختلاف الألوان والروائح والطعوم لآيات لحججا ودلالات لقوم يعقلون يعلمون الأدلة فيستدلون بها على وحدانية الصانع القادر ولما كان الاستدلال فى هذه الآية بأشياء فى غاية الوضوح من مشاهدة تجاور القطع والجنات وسقيها وتفضيلها جاء ختمها بقوله لقوم يعقلون بخلاف الآية التى قبلها فان الاستدلال بها يحتاج الى تأمل ومزيد نظر جاء ختمها بقوله لقوم يتفكرون ﴿وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد *أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على

ظلمهم﴾ ترجية للغفران وعلى ظلمهم في موضع الحال والمعنى أنه يغفر لهم مع ظلمهم أنفسهم باكتساب الذنوب أي ظالمين أنفسهم قال ابن عباس ليس في القرآن آية أرجى من هذه و﴿لشديد العقاب﴾ تخويف وارهاب بعد ترجية وقال سعيد بن المسيب لما نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله ومغفرته لما هنأ لاحد عيش ولولا عقابه لاتكل كل أحد وفي حديث آخر ان

(الدر) (ش) وإن تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بأن تتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة أهون شيء عليه وأيسره فكان انكارهم أعجوبة من الاعاجيب انتهى (ح) ليس مدلول اللفظ ما ذكر لأنه جعل متعلق عجبه (٣٦٥) صلى الله عليه وسلم هو قولهم في انكار البعث وجواب الشرط هو قولهم في انكار البعث فاتحد الجزاء والشرط اذ صار التقدير وان تعجب من قولهم في انكار البعث فاعجب من قولهم في انكار البعث وانما مدلول اللفظ ان يقع منك عجب فليكن من قولهم أئذا متنا الآية وكان المعنى الذي ينبغي أن يتعجب منه هو انكار البعث لانه تعالى هو المخترع للاشياء ومن كان قادرا على ابرازها من العدم الصرف كان قادرا على الاعادة كما قال تعالى وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه (ح) وان تعجب فعجب قولهم فعجب خبر مقدم ولا بد فيه من تقدير صفة لانه لا يتمكن المعنى بمطلق فلا بد من قيد وتقديره والله أعلم فعجب أي عجب أو فعجب غريب واذا قدرناه موصوفا جاز أن يعرب مبتدأ لانه نكرة فيها مسوغ الابتداء وهو الوصف وقد وقعت موقع الابتداء ولا يضر كون الخبر معرفة وذلك كما أجاز سيبويه ذلك في كم مالك لمسوغ الابتداء فيه أيضا وهو كونه عاملا فيما بعده وقال أبو البقاء وقيل عجب بمعنى متعجب قال فعلى هذا يجوز أن يرتفع قولهم به انتهى وهذا الذي أجازه لا يجوز لانه لا يلزم من كون الشيء بمعنى الشيء أن يكون حكمه في العمل كحكمه فمعجب يعمل وعجب لا يعمل ألا ترى ان فعلا كذبح وفعلا كقبض وفعلة كغرفة هي بمعنى مفعول ولا تعمل عمله فلا تقول مررت برجل ذبح كبشه ولا برجل قبض ماله ولا برجل غرفة ماؤه بمعنى مذبوح كبشه ومقبوض ماله ومغروف ماؤه وقد نصوا على ان هذه تنوب في الدلالة في العمل عن المفعول وقد خص النحويون ما يرفع الفاعل

ظلمهم وان ربك لشديد العقاب﴾ ولما أقام الدلائل على عظيم قدرته بما أودعه من الغرائب في ملكوته التي لا يقدر عليها سواه عجب الرسول عليه الصلاة والسلام من انكار المشركين وحدانيته وتوهينهم قدرته لضعف عقولهم فنزل وان تعجب قال ابن عباس وان تعجب من تكذيبهم اياك بعدما كانوا حكموا عليك انك من الصادقين فهذا أعجب * وقيل وان تعجب يا محمد من عبادتهم ما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا بعدما عرفوا الدلائل الدالة على التوحيد فهذا أعجب * قال الزمخشري وان تعجب من قولهم يا محمد في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بأن يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة أهون شيء عليه وأيسره فكان انكارهم أعجوبة من الأعاجيب انتهى وليس مدلول اللفظ ما ذكر لانه جعل متعلق عجبه صلى الله عليه وسلم هو قولهم في انكار البعث فاتحد الجزاء والشرط اذ صار التقدير وان تعجب من قولهم في انكار البعث فاعجب من قولهم في انكار البعث وانما مدلول اللفظ ان يقع منك عجب فليكن من قولهم أئذا كنا الآية وكان المعنى الذي ينبغي أن يتعجب منه هو انكار البعث لانه تعالى هو المخترع للاشياء ومن كان قادرا على ابرازها من العدم الصرف كان قادرا على الاعادة كما قال تعالى وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه أي هين عليه * وقال ابن عطية هذه الآية توبيخ للكفرة أي ان تعجب يا محمد من جهالتهم واعراضهم عن الحق فهم أهل لذلك وعجيب وغريب أن تنكر قلوبهم العود بعد كوننا خلقا جديدا ويحتمل اللفظ منزعا آخر ان كنت تريد عجبا فهلم فان من أعجب العجب قولهم انتهى * واختلف القراء في الاستفهامين اذا اجتمعا في أحد عشر موضعا هنا موضع وكذا في المؤمنين وفي العنكبوت وفي النمل وفي السجدة وفي الواقعة وفي والنازعات وفي بني اسرائيل موضعان وكذا في والصافات * وقرأ نافع والكسائي بجعل الأول استفهاما والثاني خبرا الا في العنكبوت والنمل بعكس نافع وجمع الكسائي بين الاستفهامين في العنكبوت وأما في النمل فعلى أصله الا انه زاد نونا فقرأ إننا لمخرجون * وقرأ ابن عامر بجعل الاول خبرا والثاني استفهاما الا في النمل والنازعات فعكس وزاد في النمل نونا كالكسائي والا في الواقعة فقرأهما باستفهامين وهي قراءة باقي السبعة في هذا الباب الا ابن كثير وحفصا قرأ في العنكبوت بالخبر في الاول وبالاستفهام في الثاني وهم على أصولهم في اجتماع الهمزتين من تخفيف

وتحقيق وفصل بين الهمزتين وتركه وقولهم فعجب هو خبر مقدم ولابد فيه من تقدير صفة لانه لا يتمكن المعنى بمطلق فلابد من قيده وتقديره والله أعلم فعجب أى عجب أو فعجب غريب واذا قدرناه موصوفا جاز أن يعرب مبتدأ لانه نكرة فيها مسوغ الابتداء وهو الوصف وقد وقعت موقع الابتداء ولا يضر كون الخبر معرفة ذلك كما أجاز سيبويه ذلك فى كم مالك لمسوغ الابتداء فيه وهو الاستفهام وفى نحو اقصد رجلا خير منه أبوه لمسوغ الابتداء أيضا وهو كونه عاملا فيما بعده * وقال أبو البقاء وقيل عجب بمعنى معجب قال فعلى هذا يجوز أن يرتفع قولهم به انتهى وهذا الذى أجازه لا يجوز لانه لا يلزم من كون الشئ بمعنى الشئ أن يكون حكمه فى العمل كحكمه فعجب يعمل ومجب لا يعمل ألا ترى ان فعلا كذبح وفعلا كقبض وفعلة كغرفة هى بمعنى مفعول ولا يعمل عمله فلا تقول مررت برجل ذبح كبشه ولا برجل قبض ماله ولا برجل غرف ماءه بمعنى مذبوح كبشه ومقبوض ماله ومغروف ماؤه وقد نصوا على أن هذه تنوب فى الدلالة لا فى العمل عن المفعول وقد حصر النحويون ما يرفع الفاعل والظاهر أن أئذا معمول لقولهم محكى به * وقال الزمخشرى أئذا كنا الى آخر قولهم يجوز أن يكون فى محل الرفع بدلا من قولهم انتهى هذا اعراب متكلف وعدول عن الظاهر واذا متمحضة للظرف وليس فيها معنى الشرط فالعامل فيها محذوف يفسره ما يدل عليه الجملة الثانية وتقريره أنبعث أو أنحشر أولئك اشارة الى قائل تلك المقالة وهو تقرير مصمم على انكار البعث فلذلك حكم عليهم بالكفر اذ عجز واقدرته عن اعادة ما أنشأ واخترع ابتداء ولما حكم عليهم بالكفر فى الدنيا ذكر ما يؤولون اليه فى الآخرة على سبيل الوعيد وأبرز ذلك فى جملة مستقلة مشار اليهم والظاهر ان الاغلال تكون حقيقة فى أعناقهم كالاغلال ثم ذكر ما يستقرون عليه فى الآخرة كما قال اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل * وقيل يحتمل أن يكون مجازا أى هم مغلولون عن الايمان فتجرى اذا مجرى الطبع والختم على القلوب كما قال تعالى انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا وكما قال الشاعر * لهم عن الرشد أغلال وأقياد * وقيل الاغلال هنا عبارة عن أعمالهم الفاسدة فى أعناقهم كالاغلال ثم ذكر ما يستقرون عليه فى الآخرة وأبرز ذلك فى جملة مستقلة مشار اليهم رادة عليهم ما أنكروه من البعث اذلا يكون أصحاب النار الابعد الحشر ولما كانوا متوعدين بالعذاب ان أصروا على الكفر وكانوا مكذبين بما أنذروا به من العذاب سألوا واستعجلوا فى الطلب أن يأتيهم العذاب وذلك على سبيل الاستهزاء كما قالوا فامطر علينا حجارة وقالوا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا * قال ابن عباس السيئة العذاب والحسنة العافية * وقال قتادة بالشر قبل الخير * وقيل بالبلاء والعقوبة قبل الرخاء والعافية وهذه الاقوال متقاربة وقد خلت من قبلهم المثلات أى يستعجلونك بالسيئة مع علمهم بما حل بغيرهم من مكذبى الرسل فى الامم السالفة وهذا يدل على سخف عقولهم اذ يستعجلون بالعذاب والحالة هذه فلو أنه لم يسبق تعذيب أمثالهم لكانوا بما يكون لهم عذر ولكنهم لا يعتبرون فيستهزؤن * قال ابن عباس المثلات العقوبات المستأصلات كمثلات قطع الانف والاذن ونحوهما * وقال السدى النقمات * وقال قتادة وقائع الله الفاضحة كمسخ القردة والخنازير * وقال مجاهد الامثال المضروبة * وقرأ الجمهور بفتح الميم وضم الثاء ومجاهد والاعمش بفتحهما * وقرأ عيسى ابن عمير وفى رواية الاعمش وأبو بكر بضمهما وابن وثاب بضم الميم وسكون الثاء وابن مصرف بفتح الميم وسكون الثاء ولذو مغفرة للناس على ظلمهم ترجية للغفران وعلى ظلمهم فى موضع الحال والمعنى انه يغفر لهم مع ظلمهم أنفسهم باكتساب الذنوب أى ظالمين أنفسهم * قال ابن عباس ليس فى القرآن

العبد لو علم قدر عفو الله لما أمسك عن ذنب ولو علم قدر عقوبته لقمع نفسه فى عبادة الله

(الدر)

وليس منها المصدر اذا كان بمعنى اسم الفاعل (ش) أئذا متنا الى آخر قولهم يجوز أن يكون فى محل رفع بدلا من قولهم (ح) هذا اعراب متكلف وعدول عن الظاهر والظاهر أن أئذا معمول لقولهم محكى به

آية أرجى من هـذه * وقال الطبري ليغفر لهم في الآخرة * وقال القاسم بن يحيي وقوم ليغفر لهم الظلم السالف بتوبتهم في الآنف * وقيل ليغفر السيئات الصغيرة لمجتنب الكبائر * وقيل ليغفر لهم بستره وامهاله فلا يعجل لهم العذاب مع تعجيلهم بالمعصية * قال ابن عطية والظاهر من معنى المغفرة هنا هو ستره في الدنيا وإمهاله للكفرة ألا ترى التيسير في لفظ مغفرة وانها منكرة مقللة وليس فيها مبالغة كما في قوله تعالى واني لغفار لمن تاب ومحط الآية يعطي هذا حكمه عليهم بالنار ثم قال و يستعجلونك فما اظهر سوء فعلهم وجب في نفس السامع تعذيبهم فاخبر بسيرته في الامم وانه يمهل مع ظلم الكفرة انتهى ولشديد العقاب تخويف وارتقاب بعد ترجية * وقال سعيد بن المسيب لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله ومغفرته لما هنأ لاحد عيش ولولا عقابه لاتكل كل أحد وفي حديث آخر ان العبد لو علم قدر عفو الله لما أمسك عن ذنب ولو علم قدر عقوبته لقمع نفسه في عبادة الله عز وجل ﴿ و يقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه انما أنت منذر ولكل قوم هاد ﴾ عن ابن عباس لما نزلت وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره فقال أنا المنذر وأومأ بيده الى منكب علي وقال أنت الهادي يا علي بك يهتدي من بعدي * وقال القشيري نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب والذين كفروا مشركو العرب أومن أنكر نبوته من مشركيهم والكفار ولم يعتدوا بالآيات الخارقة المنزلة كانشقاق القمر وانقياد الشجر وانقلاب العصا سيفا ونبع الماء من بين الاصابع وأمثال هذه فقترحوا اعنادا آيات كالمذكورة في سبحان وفي الفرقان كالتفجير للينبوع والرقي في السماء والملك والكنز فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم انما أنت منذر تخوفهم من سوء العاقبة وناصح كغيرك من الرسل ليس لك الاتيان بما اقترحوا اذ قد أتى بآيات عدد الحصا والآيات كلها متماثلة في صحة الدعوى لاتفاوت فيها فالاقتراح انما هو عناد ولم يجر الله العادة باظهار الآيات المقترحة الا للآية التي حتم بعذابها واستئصالها وهاد يحتمل أن يكون قد عطف على منذر وفصل بينهما بقوله لكل قوم و به قال عكرمة وأبو الضحى فان أخذت ولكل قوم هاد على العموم فمعناه وداع الى الهدى كما قال بعثت الى الاسود والاحمر فان أخذت هاد على حقيقته فلكل قوم مخصوص أي ولكل قوم قائلين هاد * وقيل ولكل أمة سلفت هاد أي نبي يدعوهم والقصد فليس أمرك ببدع ولا منكر و به قال مجاهد وابن زيد والزجاج قال نبي يدعوهم بما يعطى من الآيات لا بما يتحكمون فيه من الاقتراحات وتبعهم الزمخشري * فقال هاد من الأنبياء يهديهم الى الدين و يدعوهم الى الله بوجه من الهداية و بآية خص بها ولم يجعل الأشياء شرعا واحدا في آيات مخصوصة وقالت فرقة الهادي في هذه الآية هو الله تعالى *روي ان ذلك عن ابن عباس ومجاهد وابن جبير وهاد على هذا مخترع للارشاد * قال ابن عطية وألفاظ تتعلق بهذا المعنى وتعرف ان الله تعالى هو الهادي من غير هذا الموضع * وقال الزمخشري في هذا القول وجه آخر وهو ان يكون المعنى انهم يجحدون كون ما أنزل عليك آيات و يعاندون فلا يهمنك ذلك انما أنت منذر فما عليك الا أن تنذر لا ان تثبت الايمان بالالجاء والذي يثبته بالالجاء هو الله تعالى انتهى ودل كلامه على الاعتزال * وقال في معنى القول الذي تبع فيه مجاهد وابن زيد ما نصه ولقد دل بما أردفه من ذكر آيات علمه وتقديره الأشياء على قضايا حكمته ان اعطاء كل منذر آيات أمر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في اجابتهم الى مقترحهم خيرا أو مصلحة لاجابهم اليه * وقال الزمخشري أيضا في معنى ان الهادي هو الله تعالى أي بالالجاء على زعمه

﴿ و يقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ الآية عن ابن عباس لما نزلت وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال أنا المنذر وأومأ بيده الى منكب علي رضي الله عنه وقال أنت الهادي يا علي بك يهتدي من بعدي

﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ الآية مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما تقدم انكارهم البعث لتفرق الأجزاء واختلاط بعضها ببعض بحيث لا يتهيأ الامتياز بينها نبه على احاطة علمه تعالى وان من كان عالما بجميع المعلومات هو قادر على اعادة ما أنشأ أولا الله يعلم كلام مستأنف مبتدأ وخبر وما موصولة والعائد عليها محذوف تقديره تحمله وهو هنا من حمل البطن لا من حمل الظهر ﴿ وما تغيض ﴾ قال ابن عباس تنقص من الخلقة وتزداد تتم وظاهر عموم قوله ﴿ وكل شئ عنده بمقدار ﴾ أي بحد لا يتجاوزه ولا يقصر عنه والمراد من العندية العلم أي هو عالم بكمية كل شئ وكيفيته على الوجه المفصل المبين فامتنع وقوع اللبس في تلك المعلومات ولما ذكر تعالى أنه عالم بأشياء خفية لا يعلمها الا هو وكانت أشياء جزئية من خفايا علمه ذكر أن علمه محيط بجميع الأشياء فعلمه تعالى متعلق بما يشاهده العالم تعلقه بما يغيب عنهم والكبير العظيم الشأن الذي كل شئ دونه المتعال المستعلي على كل شئ بقدرته أو الذي كبر عن صفات المحدثين وتعالى عنها ولما ذكر تعالى أنه عالم الغيب والشهادة على العموم ذكر تعالى تعلق علمه بشئ خاص من أحوال المكلفين فقال ﴿سواء منكم﴾ الآية والمعنى سواء في علمه المسر بالقول والجاهر به لا يخفى عليه شئ من أقواله وسواء تقدم الكلام فيه وفي معانيه وهو هنا بمعنى مستو وأعربوا سواء خبرا مقدما ومن أسر والمعطوف عليه مبتدأ مؤخرا ويجوز أن يكون سواء مبتدأ لانه موصوف بقوله منكم المعطوف عليه الخبر قال ابن عباس مستخف مستتر وسارب ظاهر وسارب معطوف على مستخف ومن موصول برادبه التثنية وحمل على المعنى في تقسيم خبر المبتدأ الذي هو هو وعلى لفظ من في افراده والمعنى سواء اللذان هما مستخف بالليل وسارب بالنهار وانظر الى حسن هذه المقابلات في قوله تعالى تغيض وتزداد والغيب والشهادة وأسر وجهر ومستخف وسارب والليل والنهار ﴿ له معقبات ﴾ الضمير في له عائد على الله تعالى أي لله معقبات ملائكة من بين يدي العبد ومن خلفه والمعقبات على هذه الملائكة الحفظة على العباد أعمالهم والحفظة لهم أيضا قاله الحسن وروى فيه حديث عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الزمخشري والاصل معتقبات فأدغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون يعني المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به انتهى وهذا وهم فاحش لا تدغم التاء في القاف ولا القاف في التاء لا من كلمتين ولا من كلمة وقد نص التصريفيون على أن القاف والكاف كل منهما يدغم في الآخر ولا يدغمان في غيرهما ولا يدغم غيرهما فيهما وأما تشبيهه بقوله وجاء المعذرون فلا يتعين أن يكون أصله المعتذرون وأما قوله ويجوز معقبات بكسر العين فهذا لا يجوز لانه بناه على أن أصله معتقبات فأدغمت التاء في القاف وقد ذكرنا أن ذلك وهم فاحش ولما ذكر تعالى احاطة علمه بخفايا الأشياء وجلاياها وأن الملائكة تعتقب على المكلفين لحفظ ما يصدر منهم كان الصادر منهم خيرا أو

مانصه وأما هذا الوجه الثاني فقد دل به على ان من هذه القدرة قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم بأي طريق يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغيره انتهى * وقالت فرقة الهادي علي بن أبي طالب وان صح ما روى عن ابن عباس مما ذكرناه في صدر هذه الآية فانما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب مثالا من علماء الامة وهداتها الى الدين فكأنه قال أنت يا علي هذا وصفك ليدخل في ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وسائر علماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم ثم كذلك علماء كل عصر فيكون المعنى على هذا انما أنت يا محمد منذر ولكل قوم في القديم والحديث دعاة هداة الى الخير * وقال أبو العالية الهادي العمل * وقال علي بن عيسى ولكل قوم سابق سبقهم الى الهدى الى نبي أولئك القوم * وقيل هاد قائد الى الخير أو الى الشر قال تعالى في الخير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد وقال في الشر فاهدوهم الى صراط الجحيم قاله أبو صالح ووقف ابن كثير على هاد وواق حيث وقعا وعلى وال هنا وباق في النحل باثبات الياء وباقي السبعة بحذفها وفي الاقناع لابي جعفر بن الباذش عن ابن مجاهد الوقف على جميع الباب لابن كثير بالياء وهذا لا يعرفه المكيون وفيه عن أبي يعقوب الازرق عن ورش انه خيره في الوقف في جميع الباب بين أن يقف بالياء وبين أن يقف بحذفها والباب هو كل منقوص منون غير منصرف ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شئ عنده بمقدار * عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال * سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار * له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها هو ما نبه عليه الزمخشري من انه تعالى لما طلب الكفار أن ينزل على الرسول صلى الله عليه وسلم آية وكم آية نزلت أردف ذلك بذكر آيات

علمه الباهر وقدرته النافذة وحكمته البليغة وان ما نزل عليه من الآيات كافية لمن تبصر فلا يقترحون غيرها وان نزول الآيات انما هو على ما يقدره الله تعالى * وقيل مناسبة ذلك انه لما تقدم انكارهم البعث لتفرق الأجزاء واختلاط بعضها ببعض بحيث لا يتهيأ الامتياز بينها نبه على احاطة علمه وان من كان عالما بجميع المعلومات هو قادر على اعادة ما أنشأ * وقيل مناسبة ذلك انهم لما استعجلوا بالسيئة نبه على علمه بجميع المعلومات وانه انما نزل العذاب بحسب ما يعلم كونه مصلحة * قال ابن عطية قص فى هذا المثل المنبه على قدرة الله القاضية بتجويز البعث فمن ذلك الواحدة من الجنس التى هى مفاتيح الغيب يعنى التى لا يعلمها الا هو وما تحمله الاناث من النطفة من كل نوع من الحيوان وهذا البدء يبين انه لا يتعذر على القادر عليها الاعادة والله يعلم كلام مستأنف مبتدأ وخبر ومن فسر الهادى بالله جاز أن يكون الله خبر مبتدأ محذوف أى هو الله تعالى ثم ابتدأ اخبارا عنه فقال يعلم ويعلم هنا متعدية الى واحد لانه لا يراد هنا النسبة انما المراد تعلق العلم بالمفردات وما جوزوا أن تكون بمعنى الذى والعائد عليها فى صلاتها محذوف ويكون تغيض متعديا وأن تكون مصدرية فيكون تغيض وتزداد لازمان وسماع تعديتهما ولزومهما ثابت من كلام العرب وأن تكون استفهاما مبتدأ وتحمل خبره ويعلم متعلقه والجملة فى موضع المفعول وتحمل هنا من حمل البطن لا من الحمل على الظهر وفى مصحف أبى ما تحمل كل أنثى وما تضع وتحمل على التفسير لانها زيادة لم تثبت فى سواد المصحف * قال ابن عباس تغيض تنقص من الخلقة وتزداد تتم * وقال مجاهد غيض الرحم أن يهرق دما على الحمل فيضعف الولد فى البطن ويشحب فاذا بقى الولد فى بطنها بعد تسعة أشهر مدة كمل فيها من خسة وصحبه ما نقص من هراقة الدم انتهى كلام ابن عباس * وقال عكرمة تغيض بظهور الحيض فى الحبل وتزداد بدم النفاس بعد الوضع * وقال قتادة الغيض السقط والزيادة البقاء فوق تسعة أشهر * وقال الضحاك غيض الرحم ان تسقط المرأة الولد والزيادة ان تضعه لمدة كاملة تامة وعن الضحاك أيضا الغيض النقص من تسعة أشهر والزيادة الى سنتين * وقيل من عدد الاولاد فقد تحمل واحدا وقد تحمل أكثر * وقال الجمهور غيض الرحم الدم على الحمل * قال الزمخشرى ان كانت ما موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمل من الولد على أى حال هو من ذكورة وأنوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة المترقبة ويعلم ما تغيضه الأرحام تنقصه وما تزداد أى تأخذه زائدا تقول أخذت منه حقى وازددت منه كذا ومنه وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد وما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلاثة وأربعة * ويروى ان شريكا كان رابع أربعة فى بطن أمه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته فانها تكون أقل من تسعة أشهر فما زاد عليها الى سنة عند أبى حنيفة والى أربع عند الشافعى والى خمس عند مالك * وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حبان بقى فى بطن أمه أربع سنين ولذلك سمى هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض الارحام وازديادها فلا يخفى عليه شئ من ذلك من أوقاته وأحواله ويجوز أن يراد غيوض ما فى الارحام وزيادته فأسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها على ان الفعل غير متعد ويعضده قول الحسن الغيضوضة أن يقع لثمانية أشهر أو أقل من ذلك والازدياد أن يزيد على تسعة أشهر وعنه الغيض الذى يكون سقطا لغير تمام والازدياد ولدا لتمام انتهى وهو جمع ما قاله المفسرون مفرقا وبمقدار يقدر ويطلق المقدار على القدر وعلى ما يقدر به الشئ والظاهر عموم قوله وكل شئ

ثم اذكر تعالى أن ما خولهم فيه من النعم وأسبغ عليهم من الاحسان لا يزيله عنهم الى الانتقام منهم الا بكفر تلك النعمة واهمال أمره بالطاعة واستبدالها بالمعصية فكان فى ذكر ذلك تنبيه على لزوم الطاعة وتحذير لوبال المعصية والظاهر أنه لا يقع تغيير النعم بقوم حتى يقع تغيير منهم بالمعاصى والسوء يجمع كل ما يسوء من مرض وفقر وعذاب وغير ذلك من البلاء ومن وال أى من ملجأ

عنده بمقدار أي بحد لا يجاوزه ولا يقتصر عنه * وقال ابن عباس وكل شيء من الثواب والعقاب عنده بمقدار أي بقدر الطاعة والمعصية * وقال الضحاك من الغيض والازدياد * وقال قتادة من الرزق والاجل * وقيل صحة الجنين ومرضه وموته وحياته ورزقه وأجله والاحسن حمل هذه الاقوال على التمثيل لا على التخصيص لأنه لا دليل عليه والمراد من العندية العلم أي هو تعالى عالم بكمية كل شيء وكيفيته على الوجه المفصل المبين فامتنع وقوع اللبس في تلك المعلومات * وقيل المراد بالعندية انه تعالى خصص كل حادث بوقته بعينه وحالة معينة بمشيئته الازلية وارادته السرمدية ولما ذكر انه عالم بأشياء خفية لا يعلمها الا هو وكانت أشياء جزئية من خفايا علمه ذكر أن علمه محيط بجميع الاشياء فعلمه تعالى متعلق بما يشاهده العالم تعلقه بما يغيب عنهم * وقيل الغائب المعدوم والشاهد الموجود * وقيل الغائب ما غاب عن الحس والشاهد ما حضر للحس * وقرأ زيد بن علي عالم الغيب بالنصب الكبير العظيم الشأن الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته أو الذي كبر عن صفات المحدثين وتعالى عنها وأثبت ابن كثير وأبو عمرو في رواية ياء المتعال وقفا ووصلا وهو الكثير في لسان العرب وحذفها الباقون وصلا ووقفا لأنها كذلك رسمت في الخط واستشهد سيبويه بحذفها في الفواصل ومن القوافي وأجاز غيره حذفها مطلقا ووجه حذفها مع أنها تحذف مع التنوين وان تعاقب التنوين فحذفت مع المعاقب اجراء له مجرى المعاقب ولما ذكر انه تعالى عالم الغيب والشهادة على العموم ذكر تعالى تعلق علمه بشيء خاص من أحوال المكلفين * فقال سواء منكم الآية والمعنى سواء في علمه المسر القول والجاهر به لا يخفى عليه شيء من أقواله وسواء تقدم الكلام فيه وفي معانيه وهو هنا بمعنى مستو وهو لا يثنى في أشهر اللغات * وحكى أبو زيد تثنيته فتقول هما سواآن * وقيل هو على حذف أي سواء منكم سر من أسر القول وجهر من جهر به وأعربوا سواء خبر مبتدأ ومن أسر والمعطوف عليه مبتدأ ويجوز أن يكون سواء مبتدأ لأنه موصوف بقوله منكم ومن المعطوف الخبر وكذا أعرب سيبويه قول العرب سواء عليه الخير والشر وقول ابن عطية ان سيبويه ضعف ذلك بأنه ابتداء بنكرة وهو لا يصح * وقال ابن عباس مستخف مستتر وسارب ظاهر * وقال مجاهد مستخف بالمعاصي وتفسير الاخفش وقطرب المستخفي هنا بالظاهر وان كان موجودا في اللغة ينبو عنه اقترانه بالليل واقتران السارب بالنهار وتقابل الوصفان في قوله ومن هو مستخف إذ قابل من أسر القول وفي قوله سارب بالنهار إذ قابل ومن جهر به والمعنى والله أعلم انه تعالى محيط علمه بأقوال المكلفين وأفعالهم لا يعزب عنه شيء من ذلك وظاهر التقسيم يقتضي تكرار من لكنه حذف للعلم به إذ تقدم قوله من أسر القول ومن جهر به لكن ذلك لا يجوز على مذهب البصريين وأجازه الكوفيون ويجوز أن يكون وسارب معطوفا على من لا على مستخف فيصح التقسيم كأنه قيل سواء شخص هو مستخف بالليل وشخص هو سارب بالنهار ويجوز أن يكون معطوفا على مستخف وأريد بمن اثنان وحمل على المعنى في تقسيم خبر المبتدأ الذي هو هو وعلى لفظ من في افراد هو والمعنى سواء اللذان هما مستخف بالليل والسارب بالنهار هو رجل واحد يستخفي بالليل ويسرب بالنهار وليرى تصرفه في الناس * قال ابن عطية فهذا قسم واحد جعل الله نهاره راحته والمعنى هذا والذي أمره كله واحد بريء من الريب سواء في اطلاع الله تعالى على الكل ويؤيد هذا التأويل عطف السارب دون تكرار من ولا يأتي حذفها الا في الشعر وتحتمل الآية أن تتضمن ثلاثة أصناف فالذي يسر طرف والذي يجهر طرف

مضاد للأول والثالث متوسط متلون يعصى بالليل مستخفيا و يظهر البراءة بالنهار انتهى * وقيل ومن هو مستخف بالليل بظلمته يريد إخفاء عمله فيه كما قال * أزورهم وسواد الليل يشفع لى * وقال * وكم لظلام الليل عندى من يد * والظاهر عود الضمير فى له على من كأنه قيل لمن أسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات * وقال ابن عباس هو عائد على من فى قوله ومن هو مستخف وكذلك فى باقى الضمائر التى فى الآية * قال ابن عطية والمعقبات على هذا حرس الرجل وجلاوزته الذين يحفظونه قال والآية على هذا فى الرؤساء الكافرين واختار هذا القول الطبرى وهو قول عكرمة وجماعة * وقال الضحاك هو السلطان المحرس من أمر الله وذكر الماوردى أن الكلام على هذا التأويل نفى تقريره لا يحفظونه من أمر الله انتهى وحذف لا لا فى الجواب قسم بعيد * قال المهدوى ومن جعل المعقبات الحرس فالمعنى يحفظونه من الله على ظنه وزعمه * وقيل الضمير فى له عائد على الله تعالى أى لله معقبات ملائكة من بين يدى العبد ومن خلفه والمعقبات على هذا الملائكة الحفظة على العباد وأعمالهم والحفظة لهم أيضا * وروى فيه حديث عن عثمان عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو قول مجاهد والنخعى * وقيل الضمير فى له عائد على الرسول صلى الله عليه وسلم وان لم يجر له ذكر قريب وقد جرى ذكره فى قوله و يقولون لولا أنزل عليه آية من ربه والمعنى ان الله تعالى جعل لنبيه صلى الله عليه وسلم حفظة من متمردى الجن والانس * قال أبو زيد الآية فى النبى صلى الله عليه وسلم نزلت فى حفظ الله له من أربد بن قيس وعامر بن الطفيل من القصة التى سنشير اليها بعد فى ذكر الصواعق والقول الأول فى عود الضمير هو الأولى الذى ينبغى أن يحمل عليه وعليه يفسر و يقول لما تقدم أن من أسر القول ومن جهر به ومن استخفى بالليل وسرب بالنهار مستو فى علم الله تعالى لا يخفى عليه من أحوالهم شئ ذكر أيضا أن لذلك المذكور معقبات جماعات من الملائكة تعقب فى حفظه وكلاءته ومعقب وزنه مفعل من عقب الرجل اذا جاء على عقب الآخر لأن بعضهم يعقب بعضا أو لأنهم يعقبون ما يتكلمون به فيكتبونه * وقال الزمخشرى والاصل معتقبات فأدغمت التاء فى القاف كقوله وجاء المعذرون يعنى المعتذرون و يجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به انتهى وهذا وهم فاحش لا تدغم التاء فى القاف ولا القاف فى التاء لا من كلمة ولا من كلمتين وقد نص التصريفيون على أن القاف والكاف يدغم كل منهما فى الآخر ولا يدغمان فى غيرهما ولا يدغم غيرهما فيهما وأما تشبيهه بقوله وجاء المعذرون فلا يتعين أن يكون أصله المعتذرون وقد تقدم فى براءة توجيهه وانه لا يتعين ذلك فيه وأما قوله و يجوز معقبات بكسر العين فهذا لا يجوز لأنه بناه على أن أصله معتقبات فأدغمت التاء فى القاف وقد ذكرنا أن ذلك وهم فاحش والمعقبات جمع معقبة * وقيل الهاء فى معقبة للمبالغة فيكون كرجل نسابة * وقيل جمع معقبة وهى الجماعة التى تأتى بعد الأخرى جمعت باعتبار كثرة الجماعات ومعقبة ليست جمع معقب كما ذكر الطبرى وشبه ذلك برجل ورجال ورجالات وليس الأمر كما ذكر لأن ذلك كجمل وجمال وجمالات ومعقبة ومعقبات انما هى كضارب وضاربات قاله ابن عطية و ينبغى أن يتأول كلام الطبرى على انه أراد بقوله جمع معقب انه أطلق من حيث الاستعمال على جمع معقب وان كان أصله ان يطلق على مؤنث معقب وصار مثل الواردة للجماعة الذين يردون وان كان أصله أن يطلق على مؤنث وارد من حيث أن يجمع جموع التكسير للعاقل يجوز أن يعامل معاملة المفردة المؤنثة فى الاخبار وفى عود الضمير لقوله العلماء قائلة كذا وقولهم الرجال وأعضادها وتشبيه الطبرى ذلك برجل ورجال ورجالات من حيث المعنى لا من حيث

(الدر)

(ش) والاصل معتقبات فأدغمت التاء فى القاف كقوله وجاء المعذرون يعنى المعتذرون و يجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به انتهى (ح) هذا وهم فاحش لا تدغم التاء فى القاف ولا القاف فى التاء لا من كلمة ولا من كلمتين وقد نص التصريفيون على أن القاف والكاف كل منهما يدغم فى الآخر ولا يدغمان فى غيرهما ولا يدغم غيرهما فيهما وأما تشبيهه بقوله وجاء المعذرون فلا يتعين أن يكون أصله المعتذرون وقد تقدم فى براءة توجيهه وانه لا يتعين ذلك فيه وأما قوله و يجوز معقبات بكسر العين فهذا لا يجوز لانه بناه على ان أصله معتقبات فادغمت التاء فى القاف وقد ذكرنا ان ذلك وهم فاحش

صناعة النحو يين فبين أن معقبة من حيث أريد به الجمع كرجال من حيث وضع للجمع وأن معقبات من حيث استعمل جمعا لمعقبة المستعمل للجمع كرجالات الذى هو جمع رجال * وقرأ عبيد بن زياد على المنبر له المعاقب وهي قراءة أبي وابراهيم * وقال الزمخشري وقرىء له معاقيب * قال أبو الفتح هو تكسير معقب بسكون العين وكسر القاف كمطعم ومطاعم ومقدم ومقاديم وكان معقبا جمع على معاقبة ثم جعلت الياء في معاقيب عوضا من الهاء المحذوفة في معاقبة * وقال الزمخشري جمع معقب أو معقبة والياء عوض من حذف أحد القافين في التكسير * وقرىء له معتقبات من اعتقب * وقرأ أبي من بين يديه ورقيب من خلفه * وقرأ ابن عباس ورقباء من خلفه وذكر عنه أبو حاتم أنه قرأ له معقبات من خلفه ورقيب من بين يديه وينبغي حمل هذه القراآت على التفسير لأنها قرآن لمخالفتها سواد المصحف الذى أجمع عليه المسلمون والظاهر أن قوله تعالى من أمر الله متعلق بقوله يحفظونه * قيل من للسبب كقولك كسرته من عرى ويكون معناها ومعنى الباء سواء كأنه قيل يحفظونه بأمر الله وباذنه فحفظهم اياه متسبب عن أمر الله لهم بذلك * قال ابن جريج يحفظون عليه عمله فحذف المضاف * وقال قتادة يكتبون أقواله وأفعاله وقراءة علي وابن عباس وعكرمة وزيد بن علي وجعفر بن محمد يحفظونه بأمر الله يؤيد تأويل السببية في من وفي هذا التأويل قال الزمخشري يحفظونه من أجل أمر الله تعالى أى من أجل ان الله تعالى أمرهم بحفظه * وقال ابن عطية وقتادة معنى من أمر الله بأمر الله أى يحفظونه بما أمر الله وهذا تحكم في التأويل انتهى وليس بتحكم وورود من للسبب ثابت من لسان العرب * وقيل يحفظونه من بأس الله ونقمته كقولك حرست زيدا من الاسد ومعنى ذلك اذا أذن الله لهم في دعائهم أن يمهله رجاء أن يتوب عليه وينيب كقوله تعالى قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن يصير معنى الكلام الى التضمين أى يدعون له بالحفظ من نقمات الله رجاء توبته ومن جعل المعقبات الحرس وجعلها في رؤساء الكفار فيحفظونه معناه في زعمه وتوهمه من هلاك الله ويدفعون قضاءه في ظنه وذلك لجهالته بالله تعالى أو يكون ذلك على معنى التهكم به وحقيقة التهكم هو أن يخبر بشيء ظاهره مثلا الثبوت في ذلك الوصف وفي الحقيقة هو منتصف ولذلك حمل بعضهم يحفظونه على أنه مراد به لا يحفظونه فحذف لا وعلى هذا التأويل في من تكون متعلقة كما ذكرنا بيحفظونه وهي في موضع نصب * وقال الفراء وجماعة في الكلام تقديم وتأخير أى له معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه * وروى هذا عن مجاهد والنخعي وابن جريج فيكون من أمر الله في موضع رفع لانه صفة لمرفوع ويتعلق اذ ذاك بمحذوف أى كائنة من أمر الله تعالى ولا يحتاج في هذا المعنى الى تقدير تقديم وتأخير بل وصفت المعقبات بثلاث صفات في الظاهر أحدها من بين يديه ومن خلفه أى كائنة من بين يديه والثانية يحفظونه أى حافظات له والثالثة كونها من أمر الله وان جعلنا من بين يديه ومن خلفه يتعلق بقوله يحفظونه فيكون اذ ذاك معقبات وصفت بصفتين احداهما يحفظونه من بين يديه ومن خلفه والثانية قوله من أمر الله أى كائنة من أمر الله غاية ما في ذلك أنه بدىء بالوصف بالجملة قبل الوصف بالجار والمجرور وذلك شائع فصيح وكان الوصف بالجملة الدالة على الديمومة في الحفظ آكد فلذلك قدم الوصف بها وذكر أبو عبد الله الرازي في الملائكة الموكلين علينا وفي الكتبة منهم أقوالا عن المنجمين وأصحاب الطلسمات وناس سماهم حكماء الاسلام يوقف على ذلك من تفسيره ولما ذكر تعالى احاطة علمه بخفايا الاشياء وجلاياها وأن الملائكة تعقب على المكلفين لضبط ما يصدر منهم وان كان الصادر منهم

﴿ هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ﴾ لما خوف تعالى العباد بقوله واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له أتبعه بما يشتمل على أمور دالة على قدرة الله تعالى وحكمته تشبه النعم من وجه والنقم من وجه وتقدم الكلام فى البرق والرعد والصواعق والسحاب فى البقرة قال ابن عباس خوفا من الصواعق وطمعا فى الغيث وقال أبو عبدالله الرازى اعلم أن المحققين من الحكماء يذكرون أن هذه الآثار العلوية انما تتم بقوى روحانية فلكية وللسحاب روح معين من الارواح الفلكية يدبره وكذا القول فى الرياح وفى سائر الآثار العلوية وهذا عين ماقلنا ان الرعد اسم لملك من الملائكة يسبح الله تعالى فهذا الذى قاله المفسرون بهذه العبارة هو عين ماذكره المحققون من الحكماء فكيف بالعاقل الانكار انتهى وهذا الرجل غرضه جريان ماتنتحله الفلاسفة على مناهج الشريعة ولن يكون ذلك أبدا وقد تقدم أقوال المفسرين فى الرعد فى البقرة ولم يجمعوا على أن الرعد اسم لملك وعلى تقدير أن يكون اسما لملك لايلزم أن يكون ذلك الملك يدبر لا السحاب ولا غيره اذ لا يستفاد مثل هذا الا من النبى المشهود له بالعصمة لا من الفلاسفة الضلال والظاهر عود الضمير فى قوله من خيفته على الله تعالى كما عاد عليه فى قوله بحمده ومعنى من خيفته من هيبته واجلاله ومن مفعول بيصيب وهو من باب الاعمال أعمل فيه الثانى اذ يرسل يطلب من وفيصيب يطلبه ولو أعمل الأول لكان التركيب فى غير القرآن ويرسل الصواعق فيصيبه بها على من يشاء لكن جاء على الكثير فى لسان العرب المختار عند البصريين وهو اعمال الثانى ومفعول يشاء محذوف تقديره من يشاء اصابته والضمير فى وهم عائد على الكفار المكذبين الرسول عليه السلام المنكرين الآيات يجادلون فى قدرة الله تعالى على البعث واعادة الخلق بقولهم من يحيى العظام وهى رميم وفى وحدانيته باتخاذ الشركاء والانداد ونسبة التوالد اليه بقولهم الملائكة بنات الله والمحال بكسر الميم العداوة يعنى لمن جادل فى الله قاله ابن عباس والضمير فى له عائد على الله ودعوة الحق قال ابن عباس دعوة الحق لا إله الا هو وما كان من الشريعة فى معناها قال الزمخشرى له دعوة الحق فيه وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة الى الحق الذى هو نقيض الباطل كما يضاف الكلمة اليه فى قوله كلمة الحق للدلالة على أن الدعوة ملابسة للحق مختصة به فانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله تعالى يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعى سؤاله إن كان مصلحة له وكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعاء لما فى دعوته من الجدوى والنفع بخلاف مالا ينفع ولا يجدى دعاؤه والثانى أن تضاف الى الحق الذى هو الله عز وجل

خيرا وشرا اذ كر تعالى أن ماخولهم فيه من النعم وأسبغ عليهم من الاحسان لايزيله عنهم الى الانتقام منهم الا بكفر تلك النعم واهمال أمره بالطاعة واستبدالها بالمعصية فكان فى ذكر ذلك تنبيه على لزوم الطاعة وتحذير لوبال المعصية والظاهر أن لايقع تغيير النعم بقوم حتى يقع تغيير منهم بالمعاصى * قال ابن عطية وهذا الموضع مؤول لانه صح الخبر بما قدرت الشريعة من أخذ العامة بذنوب الخاصة وبالعكس ومنه قوله تعالى واتقوا فتنة لاتصيبن الآية وسؤالهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث فى أشياء كثيرة فمعنى الآية حتى يقع تغيير إما منهم وإما من الناظر لهم أو ممن هو منهم تسبب كما غير الله تعالى المنهزمين يوم أحد بسبب تغيير الرماة ما بأنفسهم الى غير هذا فى أمثلة الشريعة فليس معنى الآية أنه ليس ينزل بأحد عقوبة الا بان يتقدم منه ذنب بل قد تنزل المصائب بذنوب الغير وثم أيضا مصائب يزيد الله بها أجر المصاب فتلك ليست تغييرا انتهى وفى الحديث اذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه يوشك أن يعمهم الله بعقاب * وقيل هذا يرجع الى قوله ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة فبين تعالى أنه لاينزل بهم عذاب الاستئصال الا والمعلوم منهم الاصرار على الكفر والمعاصى الا ان علم الله تعالى أن فيهم أو فى عقبهم من يؤمن فانه تعالى لاينزل بهم عذاب الاستئصال وما موصولة صلتها بقوم وكذا ما بأنفسهم وفى ما ابهام لايتغير المراد منها الا بسياق الكلام واعتقاد محذوف يتبين به المعنى والتقدير لايغير مابقوم من نعمة وخير الى ضد ذلك حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعته الى توالى معصيته والسوء يجمع على كل ما يسوء من مرض وخير وعذاب وغير ذلك من البلاء ولما كان سياق الكلام فى الانتقام من العصاة اقتصر على قوله سوء والا فالسوء والخير اذا أراد الله تعالى شيأ منها فلا مرد له فذكر السوء مبالغة فى التخويف * وقال السدى من وال من ملجأ * وقال الزمخشرى ممن يلى أمرهم ويدفع عنهم * وقيل من ناصر يمنع من عذابه ﴿ هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال * ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال

له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه ومادعاء الكافرين الا في ضلال ﴾ لما خوف تعالى العباد بقوله تعالى واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له أتبعه بما يشتمل على أمور دالة على قدرة الله تعالى وحكمته تشبه النعم من وجه والنقم من وجه وتقدم الكلام في البرق والرعد والصواعق والسحاب في البقرة * قال ابن عباس والحسن خوفا من الصواعق وطمعا في الغيث * وقال قتادة خوفا للمسافر من أذى المطر وطمعا للمقيم في نفعه وقريب منه ماذكره الزجاج وهو خوفا للبلد الذي يخاف ضرر المطر له وطمعا لمن يرجو الانتفاع به وذكر الماوردي خوفا من العقاب وطمعا في الثواب * وعن ابن عباس وغيره أنه كنى بالبرق عن الماء لما كان المطر يقاربه غالبا وذلك من باب اطلاق الشيء مجازا على مايقاربه غالبا * قال الحوفي خوفا وطمعا مصدران في موضع الحال من ضمير الخطاب وجوزه الزمخشري أي خائفين وطامعين * قال ومعنى الخوف والطمع أن وقوع الصواعق يخوف عند لمع البرق ويطمع في الغيث * قال أبو الطيب

فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى * يرجى الحيا منه وتخشى الصواعق

* وقيل يخاف البرق المطر من له منه ضرر كالمسافر ومن في جرينته التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر انتهى وقوله الاول في تفسير الخوف والطمع هو قول ابن عباس والحسن الذي تقدم وقوله كأهل مصر ليس كما ذكر بل ينتفعون بالمطر في كثير من أوقات نمو الزرع وأنه به ينمو ويجود بل تمر على الزرع أوقات يتضرر وينقص نموه بامتناع المطر * وأجاز الزمخشري أن يكونا منصوبين على الحال من البرق كأنه في نفسه خوف وطمع أو على ذا خوف وطمع * وقال أبو البقاء خوفا وطمعا مفعول من أجله * وقال الزمخشري لا يصح أن يكون مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل الفاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف أي ارادة خوف وطمع أو على معنى اخافة واطماعا انتهى وانما لم يكونا على ظاهرهما بفعل الفاعل الفعل المعلل لان الارادة فعل الله والخوف والطمع فعل للمخاطبين فلم يتحد الفاعل في الفعل في المصدر وهذا الذي ذكره الزمخشري من شرط اتحاد الفاعل فيهما ليس مجمعا عليه بل من النحويين من لا يشترط ذلك وهو مذهب ابن خروف والسحاب اسم جنس يذكر ويؤنث ويفرد ويجمع قال والنحل باسقات ولذلك جمع في قوله الثقال ويعني بالماء وهو جمع ثقيلة * قال مجاهد وقتادة معناه تحمل الماء والعرب تصفها بذلك قال قيس بن أخطم

فما روضة من رياض القطا * كأن المصابيح جودانها
بأحسن منها ولا مزنة * ولوح يكشف أوجانها

والدلوح المثقلة والظاهر اسناد التسبيح الى الرعد فان كان مما يصح منه التسبيح فهو اسناد حقيقي وان كان مما لا يصح منه فهو اسناد مجازي وتنكيره في قوله فيه ظلمات ورعد وبرق ينفي أن يكون علما للملك * وقال ابن الانباري الاخبار بالصوت عن التسبيح مجاز كما يقول القائل قد غمني كلامك * وقال الزمخشري ويسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له أي يضجون بسبحان الله والحمد لله وفي الحديث سبحان من يسبح الرعد بحمده * وعن علي سبحان من سبحت له اذا اشتد الرعد * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا

الوجه الثاني الذي ذكره الزمخشري لا يظهر والظاهر أن هذه الاضافة من باب اضافة الموصوف الى الصفة كقوله تعالى ولدار الآخرة خير على أحد الوجهين والتقدير لله الدعوة الحق بخلاف غيره فان دعوته باطلة والمعنى ان الله تعالى الدعوة له هي الدعوة الحق ولما ذكر تعالى جدال الكفار لله تعالى وكان جدالهم في اثبات آلهة معه ذكر تعالى أن له الدعوة الحق أي من يدعو له فدعوته هي الحق بخلاف أصنامهم التي جادلوا في الله لاجلها فان دعاءها باطل لا يحصل منه شيء فقال والذين تدعون والضمير في تدعون عائد على الكفار والعائد على الذين محذوف أي تدعونهم من دونه أي الله ﴿ الا كباسط كفيه ﴾ شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم من أراد أن يغرف الماء بيديه ليشرب به فبسطهما ناشرا أصابعه فلم تبق كفاه منه شيئا ولم يبلغ مراده من شربه وهذا مبالغة عظيمة في الخيبة لدعائهم آلهتهم ﴿ وما دعاء الكافرين ﴾ آلهتهم ﴿ الا في ضلال ﴾ أي حيرة واضمحلال لانه لا يجدي شيئا ولا يفيد فقد ضل ذلك الدعاء عنهم كما ضل المدعون قال تعالى أينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا

قبل ذلك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم انتهى * وقال ابن عطية وقيل فى الرعد أنه ريح يختنق بين السحاب روى ذلك عن ابن عباس وهذا عندى لايصح لأن هذا نزغات الطبيعيين وغيرهم من الملاحدة * وقال أبو عبد الله الرازى اعلم أن المحققين من الحكماء يذكرون أن هذه الآثار العلوية انما تتم بقوى روحانية فلكية وللسحاب روح معين من الأرواح الفلكية يدبره وكذا القول فى الرياح وفى سائر الآثار العلوية وهذا عين ماقلنا أن الرعد اسم لملك من الملائكة يسبح الله تعالى فهذا الذى قاله المفسرون بهذه العبارة هو عين ماذكره المحققون من الحكماء فكيف بالعاقل الانكار انتهى وهذا الرجل غرضه جريان ماتنتحله الفلاسفة على مناهج الشريعة وذلك لا يكون أبدا وقد تقدمت أقوال المفسرين فى الرعد فى البقرة فلم يجمعوا على أن الرعد اسم لملك وعلى تقدير أن يكون اسما لملك لايلزم أن يكون ذلك الملك يدبر السحاب ولا غيره اذ لايستفاد مثل هذا الا من النبى صلى الله عليه وسلم المشهود له بالعصمة لامن الفلاسفة الضلال والظاهر عود الضمير فى قوله من خيفته على الله تعالى كما عاد عليه فى قوله بحمده ومعنى خيفته من هيبته واجلاله * وقيل يعود على الرعد والملائكة أعوانه جعل الله له ذلك فهم خائفون خاضعون طائعون له والرعد وان كان مندرجا تحت لفظ الملائكة فهو تعميم بعد تخصيص انتهى وهو قول ضعيف ومن مفعول فيصيب وهو من باب الاعمال أعمل فيه الثانى اذ يرسل يطلب من وفيصيب يطلبه ولو أعمل الأول لكان التركيب ويرسل الصواعق فيصيب بها على من يشاء لكن جاء على الكثير فى لسان العرب المختار عند البصريين وهو اعمال الثانى ومفعول يشاء محذوف تقديره من يشاء اصابته وفى الخبر أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث الى جبار من العرب ليسلم فقال أخبرنى عن إله محمد أمن لؤلؤ هو أم من ذهب فنزلت عليه صاعقة ونزلت الآية فيه * وقال مجاهد ناظر يهودى الرسول صلى الله عليه وسلم فبيناهو كذلك نزلت صاعقة فأخذت قحف رأسه فنزلت الآية فيه * وقال ابن جريج سبب نزولها قصة أربد بن ربيعة وعامر بن الطفيل وذكر قصتهما المشهورة مضمونها أن عامرا توعد الرسول صلى الله عليه وسلم اذ لم يجبه الى ماطلب وأنه وأربد راما الفتك به فعصمه الله تعالى وأصاب عامرا بغدة فمات غريبا وأربد بصاعقة فقتلته ولأخيه لبيد فيه عدة مراث منها قوله

أخشى على أربد الحتوف ولا * أرهب نوء السماك والأسد

فجعنى البرق والصواعق بالفا * رس يوم الكريهة النجد

وهذه الصلات الاربع التى وصلت بها الذى تدل على القدرة الباهرة والتصرف التام فى العالم العلوى والسفلى فالمتصف بها ينبغى أن لايجادل فيه وأن يعتقد ماهو عليه من الصفات العلوية والضمير فى وهم يجادلون عائد على الكفار المكذبين للرسول صلى الله عليه وسلم المنكرين الآيات يجادلون فى قدرة الله على البعث واعادة الخلق بقولهم من يحيى العظام وهى رميم وفى وحدانيته باتخاذ الشركاء والانداد ونسبة التوالد اليه بقولهم الملائكة بنات الله تعالى والمعنى أنه عز وجل متصف بهذه الأوصاف ومع ذلك رتبوا عليها غير مقتضاها من المجادلة فيه وفى أوصافه تعالى وكان مقتضاها التسليم لما جاءت به الأنبياء * وقيل وهم يجادلون حال من مفعول يشاء أى فيصيب بها من يشاء فى حال جدالهم كما جرى لليهودى وكذلك الجبار ولاربد وهو شديد المحال جملة حالية من الجلالة * وقرأ الجمهور المحال بكسر الميم فعن ابن عباس المحال العداوة وعنه الحقد وعن على الاخذ

نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه فى قوله كلمة الحق للدلالة على أن الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل عن الباطل والمعنى أن الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعى سؤله ان كان مصلحة له وكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بأن يوجه اليه الدعاء لما فى دعوته من الجدوى والنفع بخلاف مالاينفع ولايجدى دعاؤه والثانى أن يضاف الى الحق الذى هو الله عز وجل على معنى دعوة المدعو الحق الذى يسمع فيجيب وعن الحسن رحمه الله الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق انتهى (ح) هذا الوجه الذى ذكره (ش) لايظهر لان مآله الى تقدير لله دعوة الله كما تقول لزيد دعوة زيد وهذا التركيب لايصح والذى يظهر أن هذه الاضافة من باب اضافة الموصوف الى صفته كقوله ولدار الآخرة على أحد الوجهين والتقدير لله الدعوة الحق بخلاف غيره فان دعوتهم باطلة والمعنى ان الله تعالى الدعوة له هى الدعوة الحق

* وعن مجاهد القوة * وعن قطرب الغضب * وعن الحسن الهلاك بالمحل وهو القحط * وقرأ الضحاك والأعرج المحال بفتح الميم فعن ابن عباس الحول وعن عبيدة الحيلة يقال المحال والمحالة وهى الحيلة ومنه قول العرب فى مثل * المرء يعجز لا المحالة * قال الزمخشرى و يجوز أن يكون المعنى شديد العقاب ويكون مثلا فى القوة والقدرة كما جاء فساعد الله أشد وموساه أحد لأن الحيوان اذا اشتدت غاية كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره ألا ترى الى قولهم فقرته الفواقر وذلك ان الفقار عمود الظهر وقوامه والضمير فى له عائد على الله تعالى ودعوة الحق قال ابن عباس دعوة الحق لا اله الا الله وما كان من الشريعة فى معناها * وقال على بن أبى طالب دعوة الحق التوحيد * وقال الحسن ان الله هو الحق فدعاؤه دعوة الحق * وقيل دعوة الحق دعاؤه عند الخوف فانه لايدعى فيه الا هو كما قال ضل من تدعون الا إياه * قال الماوردى وهو أشبه بسياق الآية * وقيل دعوة الطلب الحق أى مرجو الاجابة ودعاء غير الله لا يجاب * وقال الزمخشرى فيه وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة الى الحق الذى هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه فى قوله كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعى سؤله ان كانت مصلحة له فكانت دعوته ملابسة للحق لكونه حقيقا بأن يوجه اليه الدعاء لما فى دعوته من الجدوى والنفع بخلاف مالاينفع ولايجدى دعاؤه والثانى ان تضاف الى الحق الذى هو الله عز وجل على معنى دعوة المدعو الحق الذى يسمع فيجيب * وعن الحسن رحمه الله الحق هو الله تعالى وكل دعاء اليه دعوة الحق انتهى وهذا الوجه الثانى الذى ذكره الزمخشرى لايظهر لأن مآله الى تقدير لله دعوة الله كما تقول لزيد دعوة زيد وهذا التركيب لايصح والذى يظهر ان هذه الاضافة من باب اضافة الموصوف الى الصفة كقوله ولدار الآخرة على أحد الوجهين والتقدير لله الدعوة الحق بخلاف غيره فان دعوتهم باطلة والمعنى ان الله تعالى الدعوة له هى الدعوة الحق ولما ذكر تعالى جدال الكفار فى الله تعالى وكان جدالهم فى اثبات آلهة معه ذكر تعالى انه له الدعوة الحق أى من يدعوه فدعوته هى الحق بخلاف أصنامهم التى جادلوا فى الله لأجلها فان دعاءها باطل لا يتحصل منه شئ فقال والذين يدعون * قال الزمخشرى والآلهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله لا يستجيبون لهم بشئ من طلباتهم الا استجابة كاستجابة باسط كفيه أى كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جاد لايشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر أن يجيب دعاءه و يبلغ فاه وكذلك مايدعونه جاد لايحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولايقدر على نفعهم * وقيل شبهوا فى قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشرب به فبسطهما ناشرا أصابعه فلم تبق كفاه منه شيأ ولم يبلغ طلبته من شربه انتهى فالضمير فى يدعون عائد على الكفار والعائد على الذين محذوف أى يدعونهم ويؤيده قراءة من قرأ بالتاء فى تدعون وهى قراءة اليزيدى عن أبى عمرو * وقيل الذين أى الكفار الذين يدعون ومفعول يدعون محذوف أى يدعون الاصنام والعائد على الذين الواو فى يدعون والواو فى لا يستجيبون عائد فى هذا القول على مفعول يدعون المحذوف وعلى القول الأول على الذين * قال ابن عباس كالناظر الى خياله فى الماء يريد تناوله فكذا المحتاج يخيل اليه فى الاحتياج اليه خيال الاحتياج اليه * وقال الضحاك كمن بسط يديه الى الماء ليصل اليه بلا اغتراف * وقال أبو عبيدة أى كالقابض على الماء ليس على شئ قال والعرب تضرب المثل فى

الساعي فيما لا يدركه بالقابض على الماء وأنشد سيبويه

فأصبحت فيما كان بيني وبينها * من الود مثل القابض الماء باليد

﴿ وقال آخر ﴾

واني واياكم وشوقا اليكم * كقابض ماء لم تسعه أنامله

* وقيل شبه الكفار في دعائهم لأصنامهم عند ضرورتهم برجل عطشان لا يقدر على الماء جلس على شفير بئر يدعو الماء ليبل غلته فلا هو يبلغ قعر البئر الى الماء ولا الماء يرتفع اليه لأنه جاد ولا يحس بعطشه ودعائه كذلك ما يدعو الكفار من الاوثان جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم انتهى والكاف في موضع نصب أي مثل استجابة واستجابة مضافة في التقدير الى باسط وهي اضافة المصدر الى المفعول وفاعل المصدر محذوف تقديره كاجابة الماء من يبسط كفيه اليه فلما حذف أظهر في قوله الى الماء ولو كان ملفوظا به لعاد الضمير اليه فكان يكون التركيب كفيه اليه هذا الذي يقدر من كلام الزمخشري في هذا التشبيه وتبعه أبو البقاء * وقال ابن عطية ومعنى الكلام الذي يدعونهم الكفار الى حوائجهم ومنافعهم لا يجيبون ثم مثل تعالى مثالا لاجابتهم بالذي يبسط كفيه الى الماء ويشير اليه بالاقبال فهو لا يبلغ فمه أبدا فكذلك اجابة هؤلاء والانتفاع بهم لا يقع انتهى وفاعل ليبلغ ضمير الماء وليبلغ متعلق بباسط وما هو أي وما الماء ببالغه أي ببالغ الفم ويجوز أن يكون هو ضمير الفم والهاء في ببالغه للماء أي وما الفم ببالغ الماء لأن كلا منهما لا يبلغ الآخر على هذه الحالة * وقرئ كباسط كفيه بتنوين باسط وما دعاء الكافرين الا في ضلال أي في حيرة أو في اضمحلال لأنه لا يجدي شيأ ولا يفيد فقد ضل ذلك الدعاء عنهم كما ضل المدعون قال تعالى أينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا * قال الزمخشري الا في ضياع لا منفعة فيه لأنهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الآلهة لم تستطع اجابتهم * وقال ابن عباس أصوات الكافرين محجوبة عن الله فلا يسمع دعاؤهم ﴿ ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال قل من رب السموات والارض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الاعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ﴾ ان كان السجود بمعنى

﴿ ولله يسجد من في السموات والارض ﴾ الآية ان كان السجود بمعنى الخضوع والانقياد فهي على عمومها ينقاد كلهم لما أراده تعالى بهم شاؤا أو أبوا وينقاد له تعالى ظلالهم حيث هي على مشيئته من الامتداد والتقلص والفيء والزوال وان كان السجود عبارة عن الهيئة المخصوصة وهو وضع الجبهة بالمكان الذي يكون فيه الواضع فيكون عاما مخصوصا اذ يخرج منه من لا يسجد ويكون قد عبر بالطوع عن سجود الملائكة والمؤمنين وبالكره عن سجود من ضمه السيف الى الاسلام والذي يظهر أن مساق هذه الآية انما هو أن العالم كله مقهور لله تعالى خاضع لما أراده منه مقصور على مشيئته لا يكون منه الا ما قدر تعالى فالذين يعبدونهم كائنا ما كانوا داخلون تحت القهر ويدل على هذا المعنى تشريك الظلال في السجود والظلال ليست أشخاصا يتصور منها السجود بالهيئة المخصوصة ولكنها داخلة تحت مشيئته يصرفها على ما أراد اذ هي من العالم والعالم جواهره واعراضه داخلة تحت ارادته كما قال تعالى أولم يروا الى ما خلق الله من شئ الآية قال الفراء الظل مصدر يعني في الاصل ثم أطلق على الخيال الذي يظهر للجرم وطوله بسبب انحطاط الشمس وقصره بسبب ارتفاعها فهو منقاد لله في طوله وقصره وميله من جانب الى جانب وخص هذان الوقتان بالذكر لان الظلال انما تعظم وتكبر فيهما وتقدم شرح الغدو والآصال في آخر الاعراف ﴿ قل من رب السموات والارض ﴾ أي قل يا محمد للكفار من رب

السموات والارض استفهام تقرير واستنطاق فانهم يقولون الله فاذا قالوها قل الله أي هو كما قلتم وروى أنه لما قال هذا للمشركين عطفوا عليه فقالوا أجب أنت فأمره الله فقال قل الله واستفهم بقوله قل أفاتخذتم على سبيل التوبيخ والانكار أي بعد أن علمتم أنه تعالى هو رب السموات والارض تتخذون من دونه أولياء وتتركونه فجعلتم ما كان يجب أن يكون سببا للتوحيد من علمكم واقراركم سببا للاشراك ثم وصف تلك الاولياء بصفة العجز وهي كونها لا تملك لانفسها نفعا ولا ضرا ومن بهذه المثابة فكيف يملك لكم نفعا أو ضرا ثم مثل ذلك حالة الكافر والمؤمن ثم حالة الكفر والايمان وأبرز ذلك في صورة الاستفهام الذي يبادر المخاطب الى الجواب فيه من غير فكر ولا روية بقوله ﴿ قل هل يستوى الاعمى والبصير ﴾ ثم انتقل الى الاستفهام عن الوصفين القائمين بالكافر وهو الظلمات وبالمؤمن وهو النور وتقدم الكلام

الخضوع والانقياد فمن عموم ما ينقاد كلهم الى ما أراده تعالى بهم شاؤا أو أبوا وتنقاد له تعالى ظلالهم حيث هي على مشيئته من الامتداد والتقلص والفيء والزوال وان كان السجود عبارة عن الهيئة المخصوصة وهو وضع الجبهة بالمكان الذي يكون فيه الواضع فيكون عاما مخصوصا إذ يخرج منه من لا يسجد ويكون قد عبر بالطوع عن سجود الملائكة والمؤمنين وبالكره عن سجود من ضمه السيف الى الاسلام كما قاله قتادة فيسجد كرها واما نفاقا أو يكون الكره أول حاله فتستمر عليه الصفة وان صح ايمانه بعد * وقيل طوعا لا يثقل عليه السجود وكرها يثقل عليه لأن الزام التكاليف مشقة * وقيل من طالت مدة اسلامه فألف السجود وكرها من بدأ بالاسلام الى أن يألف السجود قاله ابن الانباري * وقيل هو عام على تقدير كون السجود عبارة عن الهيئة المخصوصة وذلك بأن يكون يسجد صيغته صيغة الخبر ومدلوله أمر أو يكون معناه يجب أن يسجد له كل من في السموات والارض فعبر عن الوجوب بالوقوع والذي يظهر ان مساق هذه الآية انما هو ان العالم كله مقهور لله تعالى خاضع لما أراد منه مقصور على مشيئته لا يكون منه الا ما قدر تعالى فالذين تعبدونهم كائنا ما كانوا داخلون تحت القهر ويدل على هذا المعنى تشريك الظلال في السجود والظلال ليست أشخاصا يتصور منها السجود بالهيئة المخصوصة ولكنها داخلة تحت مشيئته تعالى يصرفها على ما أراد اذ هي من العالم فالعالم جواهره وأعراضه داخلة تحت ارادته كما قال تعالى أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وكون الظلال يراد بها الأشخاص كما قال بعضهم ضعيف وأضعف منه قول ابن الانباري انه تعالى جعل للظلال عقولا تسجد بها وتخشع بها كما جعل للجبال أفهاما حتى خاطبت وخوطبت لان الجبل يمكن أن يكون له عقل بشرط تقدير الحياة وأما الظل فعرض لا يتصور قيام الحياة به وانما معنى سجود الظلال ميلها من جانب الى جانب كما أراد تعالى * وقال الفراء الظل مصدر يعني في الأصل ثم أطلق على الخيال الذي يظهر للجرم وطوله بسبب انحطاط الشمس وقصره بسبب ارتفاعها فهو منقاد لله تعالى في طوله وقصره وميله من جانب الى جانب وخص هذان الوقتان بالذكر لان الظلال انما تعظم وتكثر فيهما وتقدم شرح الغدو والآصال في آخر الاعراف * روى ان الكافر اذا سجد لصنمه كان ظله يسجد لله حينئذ * وقرأ أبو مجلز والايصال * قال ابن جني هو مصدر أصل أي دخل في الأصيل كما تقول أصبح أي دخل في الاصباح ولما كان السؤال عن أمر واضح لا يمكن أن يدفع منه أحد كان جوابه من السائل فكان السبق اليه أفصح في الاحتجاج اليهم وأسرع في قطعهم في انتظار الجواب منهم اذ لا جواب الا هذا الذي وقعت المبادرة اليه كما قال تعالى قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله ويبعد ما قال مكي من انهم جهلوا الجواب فطلبوه من جهة السائل فاعلمهم به السائل لانه قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله فاذا كانوا مقرين بأن منشئ السموات والأرض ومخترعها هو الله فكيف يقال بأنهم جهلوا الجواب فطلبوه من السائل وقال الزمخشري قل الله حكاية لاعترافهم وتأكيد له عليهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والأرض لم يكن لهم بد من معبوداتهم وغيرها وهم أيضا مقرون بذلك ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله واحتمل أن يكون قوله وهو الواحد القهار داخلا تحت الامر بقل فيكون قد أمر أن يخبر بانه تعالى الواحد المنفرد بالألوهية القهار الذي جميع الاشياء تحت قدرته وقهره واحتمل أن يكون استئناف اخبار منه تعالى بهذين الوصفين الوحدانية والقهر فهو تعالى لا يغالب وما سواه مقهور

في جمع الظلمات وافراد النور في البقرة وأم في قوله أم هل منقطعة تتقدر ببل والهمزة على المختار والتقدير بل أهل يستوى وهل وان نابت عن همزة الاستفهام في كثير من المواضع فقد جامعتها في قول الشاعر

*أهل رأونا بواد القفر ذي الأكم

ومثال قوله تعالى أم هل في الجمع بين أم وهل قول علقمة

أم هل كثير بكى لم تقض عبرته

ثم انتقل من خطابهم الى الاخبار عنهم غائبا اعراضا عنهم وتنبيها على توبيخهم في جعلهم شركاء وتعجبا منهم وانكارا عليهم وتضمن هذا الاستفهام التهكم بهم لانه معلوم بالضرورة أن هذه الاصنام وما اتخذوا من دون الله أولياء وجعلوهم شركاء لا يقدر على خلق ذرة ولا ايجاد شئ البتة والمعنى أن هؤلاء الشركاء هم خالقون شيئا حتى يستحقوا العبادة وجعلهم شركاء لله تعالى أي جعلوا لله شركاء موصوفين بالخلق مثل خلق الله فتشابه ذلك عليهم فيعبدونهم ومعلوم أنهم لا يخلقون شيئا وهم يخلقون فكيف يشركون في العبادة أفمن يخلق كمن لا يخلق ثم أمره تعالى فقال قل الله خالق كل شئ أي موجد الاشياء كلها

أن يقولوا الله كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه أهذا قولك فاذا قال هذا قولي قال هذا قولك فحكى اقراره تقريرا عليه واستئنافا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز أن يكون تلقينا أي ان كفوا عن الجواب فلقنهم فانهم يتلقنونه ولا يقدرون أن ينكروه * وقال الكرماني قل يا محمد للكفار من رب السموات والأرض استفهام تقرير واستنطاق بأنهم يقولون الله فاذا قالوها قل الله أي هو كما قلتم * وقيل فان أجابوك والا فقل الله اذ لا جواب غير هذا انتهى وهو تلخيص القولين اللذين قالهما الزمخشري * وقال البغوي روى انه لما قال هذا للمشركين عطفوا عليه فقالوا أجب أنت فأمره الله فقال قل الله انتهى واستفهم بقوله قل أفاتخذتم على سبيل التوبيخ والانكار أي بعد ان علمتم انه تعالى هو رب السموات والأرض تتخذون من دونه أولياء وتتركونه فجعلتم ما كان يجب أن يكون سببا للتوحيد من علمكم واقراركم سببا للاشراك ثم وصف تلك الأولياء بصفة العجز وهي كونها لا تملك لانفسها نفعا ولا ضرا ومن بهذه المثابة فكيف يملك لهم نفعا أو ضرا ثم مثل ذلك حالة الكافر والمؤمن ثم حالة الكفر والايمان وأبرز ذلك في صورة الاستفهام للذي يبادر المخاطب الى الجواب فيه من غير فكر ولا روية بقوله قل هل يستوي الاعمى والبصير ثم انتقل الى الاستفهام عن الوصفين القائمين بالكافر وهو الظلمات وبالمؤمن وهو النور وتقدم الكلام في جمع الظلمات وافراد النور في سورة البقرة * وقرأ الاخوان وأبو بكر أم هل يستوي بالياء والجمهور بالتاء أم في قوله أم هل منقطعة تتقدر ببل والهمزة على المختار والتقدير بل أهل تستوي وهل وان نابت عن همزة الاستفهام في كثير من المواضع فقد جامعتها في قول الشاعر

* أهل رأونا بوادي القفر ذي الاكم * واذا جامعتها مع التصريح بها فلأن تجامعها مع أم المتضمنة لها أولى وهل بعد أم المنقطعة يجوز أن يؤتى بها لشبهها بالادوات الاسمية التي للاستفهام في عدم الاصالة فيه كقوله أم من يملك السمع والابصار ويجوز أن لا يؤتى بها بعد أم المنقطعة لان أم تتضمنها فلم يكونوا ليجمعوا بين أم والهمزة لذلك وقال الشاعر في عدم الاتيان بهل بعد أم والاتيان بها

هل ما علمت وما استودعت مكتوم * أم حبلها اذ نأتك اليوم مصروم
أم هل كبير بكى لم يقض عبرته * اثر الاحبة يوم البين مشكوم

ثم انتقل من خطابهم الى الاخبار عنهم غائبا اعراضا عنهم وتنبيها على توبيخهم في جعل شركاء لله وتعجيبا منهم وانكارا عليهم وتضمن هذا الاستفهام التهكم بهم لانه معلوم بالضرورة ان هذه الاصنام وما اتخذوها من دون الله أولياء وجعلوهم شركاء لا تقدر على خلق ذرة ولا ايجاد شئ البتة والمعنى ان هؤلاء الشركاء هم خالقون شيأ حتى يستحقوا العبادة وجعلهم شركاء لله أي جعلوا لله شركاء موصوفين بالخلق مثل خلق الله فتشابه ذلك عليهم فيعبدونهم ومعلوم انهم لا يخلقون شيأ وهم يخلقون فكيف يشركون في العبادة أفمن يخلق كمن لا يخلق ثم أمره تعالى فقال قل الله خالق كل شئ أي موجد الاشياء كلها معبوداتهم وغيرها وهم أيضا مقرون بذلك ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله واحتمل أن يكون قوله وهو الواحد القهار داخلا تحت الأمر بقل فيكون قد أمر أن يخبر بأنه تعالى هو الواحد المنفرد بالالوهية القهار الذي جميع الاشياء تحت قدرته وقهره واحتمل أن يكون استئناف اخبار فيه يقال بهذين الوصفين الوحدانية والقهر فهو

(الدر)

(ح) أم في قوله أم هل منقطعة تتقدر ببل والهمزة على المختار والتقدير بل أهل تستوي وهل نابت عن همزة الاستفهام في كثير من المواضع فقد جامعتها في قول الشاعر

أهل رأونا بوادي القفر ذي الأكم

واذا جامعتها مع التصريح بها فلان تجامعها مع أم المتضمنة لها أولى وهل بعد أم المنقطعة يجوز أن يؤتى بها لشبهها بالادوات الاسمية التي للاستفهام في عدم الاصالة فيه كقوله أم من يملك السمع والابصار ويجوز أن لا يؤتى بها بعدها وذلك لشبهها بالهمزة في الحرفية فان الهمزة لا يؤتى بها بعد أم المنقطعة لان أم تتضمنها فلم يكونوا ليجمعوا بين أم والهمزة لذلك وقال الشاعر في عدم الاتيان بهل بعد أم والاتيان بها

* هل ما علمت وما استودعت مكتوم
أم حبلها اذ نأتك اليوم مصروم*
*أم هل كبير بكى لم يقض عبرته
أثر الاحبة يوم البين مشكوم*

مربوب له تعالى ﴿أنزل من السماء ماء﴾ الآية هذا مثل ضربه الله للقرآن والقلوب والحق والباطل فالماء مثل القرآن لما فيه من حياة القلوب وبقاء الشرع والدين والأودية مثل القلوب ومعنى بقدرها على سعة القلوب وضيقها فمنها ما انتفع به فحفظه ووعاه فتدبر فيه فظهرت ثمرته وأدرك تأويله ومعناه ومنها دون ذلك بطبقة ومنها دونه بطبقات والزبد مثل الشكوك والشبه وانكار الكافرين أنه كلام الله تعالى ودفعهم اياه والماء الصافي المنتفع به مثل الحق وفي الحديث الصحيح ما يؤيد هذا التأويل وهو قوله صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثت به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا وكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها طائفة أجادب فأمسكت الماء فانتفع الناس به وسقوا ورعوا وكانت منها قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل ما جئت به من العلم والهدى ومثل من لم يقبل هدى الله الذي أرسلت به والماء المطر ونكر أودية لان المطر انما ينزل على طريق المناوبة فيسيل بعض الأودية دون بعض وأودية جمع قلة كقولهم نادو أندية والزبد قال الرماني وضر الغليان وخبثه قال الشاعر فما الفرات اذا هب الرياح له * ترمي غواربه العبرين بالزبد ومعنى بقدرها أي على قدر صغرها وكبرها أو بما قدر لها من السماء بسبب نفع الممطور عليهم لا ضررهم ألا ترى الى قوله تعالى وأما ما ينفع الناس فالمطر مثل للحق فهو نافع خال من الضرر وعرف السيل لانه عنى به ما فهم من الفعل والذي يتضمنه الفعل من المصدر هو نكرة فاذا عاد عليه الظاهر كان معرفة كما كان لو صرح به نكرة ولذلك يضمر اذا عاد على ما دل عليه الفعل من المصدر نحو من كذب كان شرا له أي كان الكذب ولو جاء هنا مضمرا لكان جائزا عائدا على المصدر المفهوم من فسالت واحتمل بمعنى حمل جاء فيه افتعل بمعنى المجرد كاقتدر وقدر ورابيا منتفخا عاليا على وجه السيل ومنه الربوة (٣٨٠) ﴿ومما توقدون﴾ أي ومن الاشياء التي توقدون عليها وهي الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والقصدير ونحوها مما يوقد عليه وله زبد وانتصب ابتغاء على أنه مفعول من أجله والحلية ما يعمل للنساء مما يتزين به من الذهب والفضة والمتاع ما يتخذ من الحديد والنحاس وما أشبههما من الآلات التي هي قوام العيش كالأواني والمساحي وآلات الحرث وقطاعات الاشجار والسكك وغير ذلك وزبد مرفوع بالابتداء وخبره في قوله ومما توقدون ومن الظاهر انها للتبعيض لان ذلك الزبد هو بعض ما يوقد عليه من تلك المعادن ومن أيضا تكون لابتداء الغاية أي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء والمماثلة في كونهما يتولدان من الاوساخ والاكدار والحق والباطل على حذف مضاف أي مثل الحق والباطل شبه الحق بما يخلص من جرم هذه المعادن من الاقذار والخبث ودوام الانتفاع بها وشبه الباطل بالزبد المجتمع من الخبث والاقذار ولا بقاء له ولا قيمة وفصل ما سبق ذكره مما ينتفع به ومن الزبد فبدأ بالزبد اذ هو المتأخر في قوله زبدا رابيا وفي قوله زبد مثله ولكون الباطل كناية عنه وهو متأخر وهي طريقة فصيحة يبدأ في التقسيم بما ذكر آخرا كقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم والبداءة بالسابق فصيحة مثل قوله تعالى فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا وكأنه والله أعلم يبدأ في التفصيل بما هو أهم في الذكر وانتصب جفاء على الحال أي مضمحلا متلاشيا لا منفعة فيه ولا بقاء له والجفاء اسم لما يجفاه السيل أي يرمي به يقال جفأت القدر بزبدها وجفأ السيل بزبده وأجفأ وأجفل وقال ابن الانباري جفاء متفرقا من جفأت الريح الغيم اذا قطعته وجفأت الرجل صرعته ويقال جفأ الوادي وأجفأ اذا نشف والزبد يراد به ما سبق مما احتمله السيل وما خرج من خبث المعادن وأفرد الزبد ولم يثن وان تقدم زبدان لاشتراكهما في مطلق الزبدية فهما واحد باعتبار القدر المشترك ﴿وأما ما ينفع الناس﴾ أي من الماء الخالص من الغثاء ومن الجوهر المعدني الخالص من الخبث ﴿فيمكث في الارض﴾ لانتفاع الناس به والكاف في موضع نصب أي مثل ذلك الضرب كمثل الحق والباطل يضرب الله الامثال والظاهر أنه لما ضرب هذا المثل للحق والباطل انتقل الى ما لاهل الحق من الثواب وأهل الباطل من العقاب فقال ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى﴾ أي للذين دعاهم الله على لسان رسوله فأجابوه الى ما دعاهم اليه من اتباع دينه الحالة الحسنى

تعالى لا يغالب وما سواه مقهور مربوب له عز وجل ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال * للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ قال الزمخشري هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه كما ضرب الاعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق

وأهله بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم أنواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الأواني والآلات المختلفة ولو لم يكن الا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى فيه وان ذلك ماكث في الارض باق ببقاء ظاهر ايثبت الماء في منافعه وتبقى آثاره في العيون والبئار والحبوب والثمار التي تنبت به ممايدخر ويكثر وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه اذا أذيب * وقال ابن عطية صدر هذه الآية تنبيه على قدرة الله تعالى واقامة الحجة على الكفرة به فلما فرغ ذكر ذلك جعله مثالا للحق والباطل والايمان والكفر والشك في الشرع واليقين به انتهى * وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن والقلوب والحق والباطل فالماء مثل القرآن لما فيه من حياة القلوب وبقاء الشرع والدين والاودية مثل للقلوب ومعنى بقدرها على سعة القلوب وضيقها فمنها ما انتفع به فحفظه ووعاه وتدبر فيه فظهرت ثمرته وأدرك تأويله ومعناه ومنها دون ذلك بطبقة ومنها دونه بطبقات والزبد مثل الشكوك والشبه وانكار الكافرين انه كلام الله ودفعهم إياه بالباطل والماء الصافي المنتفع به مثل الحق انتهى وفي الحديث الصحيح مايؤيد هذا التأويل وهو قوله صلى الله عليه وسلم مثل مابعثت به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا وكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها طائفة أجادب فأمسكت الماء فانتفع الناس به وسقوا ورعوا وكانت منها قيعان لاتمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل ماجئت به من العلم والهدى ومثل من لم يقبل هدى الله الذي أرسلت به * وقال ابن عطية وروي عن ابن عباس انه قال قوله تعالى أنزل من السماء ماء يريد به الشرع والدين فسالت أودية يريد القلوب أي أخذ النبيل بحظه والبليد بحظه وهذا قول لايصح والله أعلم عن ابن عباس لأنه ينحو الى أقوال أصحاب الرموز وقد تمسك به الغزالي وأهل تلك الطريق ولا توجيه لاخراج اللفظ عن مفهوم كلام العرب بغير علة تدعو الى ذلك والله الموفق للصواب وان صح هذا القول عن ابن عباس فانما قصد ان قوله تعالى كذلك يضرب الله الحق والباطل معناه الحق الذي يتقرر في القلوب والباطل الذي يعتريها أيضا انتهى والماء المطر ونكر أودية لأن المطر انما يدل على طريق المناوبة فتسيل بعض الاودية دون بعض ومعنى بقدرها أي على قدر صغرها وكبرها أو بما قدر لها من الماء بسبب نفع الممطور عليهم لاضررهم ألا ترى الى قوله وأما ماينفع الناس فالمطر مثل للحق فهو نافع خال من الضرر * وقرأ الجمهور بقدرها بفتح الدال * وقرأ الاشهب العقيلي وزيد ابن علي وأبو عمرو في رواية بسكونها * وقال الحوفي بقدرها متعلق بسالت * وقال أبو البقاء بقدرها صفة لاودية وعرف السيل لأنه عني به مافهم من الفعل والذي يتضمنه الفعل من المصدر هو نكرة فاذا عاد عليه الظاهر كان معرفة كما كان لو صرح به نكرة ولذلك تضمن اذا عاد ما دل عليه الفعل من المصدر نحو من كذب كان شرا له أي كان الكذب شرا له ولو جاء هنا مضمرا لكان جائزا عائدا على المصدر المفهوم من فسالت واحتمل بمعنى حمل جاء فيه افتعل بمعنى المجرد كاقتدر وقدر ورابيا منتفخا عاليا على وجه السيل ومنه الربوة ومما توقدون عليه أي ومن الاشياء التي توقدون عليها وهي الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والقصدير ونحوها مما يوقد عليه وله زبد * وقرأ حمزة والكسائي وحفص وابن محيصن ومجاهد وطلحة ويحيى وأهل الكوفة يوقدون بالياء على الغيبة أي يوقد الناس * وقرأ باقي السبعة والحسن وأبو جعفر والاعرج وشيبة بالتاء على الخطاب

وذلك هو النصر في الدنيا وما اختصوا به من نعمه تعالى ودخول الجنة في الآخرة فالحسنى مبتدأ وخبره في قوله للذين قال الزمخشري للذين استجابوا متعلق بيضرب أي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا أي هما مثلا الفريقين فالحسنى صفة لمصدر استجابوا أي استجابوا الاستجابة وقوله لو أن لهم كلام مبتدأ ذكر ما أعد لغير المستجيبين انتهى التفسير الاول أولى لانه فيه ضرب الامثال غير مقيد بمثل هذين والله تعالى قد ضرب أمثالا كثيرة في هذين وفي غيرهما ولانه فيه ذكر ثواب المستجيبين بخلاف قول الزمخشري فلما ذكر ما لغير المستجيبين من العقاب ذكر ما للمستجيبين من الثواب ولان تقديره الاستجابة الحسنى مشعر بتقييد الاستجابة ومقابلها ليس نفي الاستجابة مطلقا إنما مقابلها نفي الاستجابة بالحسنى والله تعالى قد نفى الاستجابة مطلقا ولانه على

وعليه متعلق بتوقدون وفى النار قال أبو علي والحوفى متعلق بتوقدون * وقال أبو علي قد يوقد على كل شئ وليس فى النار كقوله فأوقد لى ياهامان على الطين فذلك البناء الذى أمر به يوقد عليه وليس فى النار لكن يصيبه لهبها * وقال مكى وغيره فى النار متعلق بمحذوف تقديره كائنا أو ثابتا ومنعوا تعليقه بقوله توقدون لأنهم زعموا أنه لا يوقد على شئ الا وهو فى النار وتعليق حرف الجر بتوقدون يتضمن تخصيص حال من حال أخرى انتهى ولو قلنا انه لا يوقد على شئ الا وهو فى النار لجاز أن يكون متعلقا بتوقدون ويجوز ذلك على سبيل التوكيد كما قالوا فى قوله يطير بجناحيه وانتصب ابتغاء على انه مفعول من أجله وشروط المفعول من أجله موجودة فيه * وقال الحوفى هو مصدر فى موضع الحال أى مبتغين حلية وفى ذكر متعلق ابتغاء تنبيه على منفعة ما يوقدون عليه والحلية ما يعمل للنساء مما يتزين به من الذهب والفضة والمتاع ما يتخذ من الحديد والنحاس وما أشبههما من الآلات التى هى قوام العيش كالاوانى والمساحى وآلات الحرب وقطاعات الاشجار والسكك وغير ذلك وزبد مرفوع بالابتداء وخبره فى قوله ومما توقدون ومن الظاهر انها للتبعيض لأن ذلك الزبد هو بعض ما يوقد عليه من تلك المعادن * وأجاز الزمخشرى أن تكون من لابتداء الغاية أى ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء والمماثلة فى كونهما يتولدان من الاوساخ والاكدار والحق والباطل على حذف مضاف أى مثل الحق والباطل شبه الحق بما يخلص من جرم هذه المعادن من الاقذار والخبث ودوام الانتفاع بها وشبه الباطل بالزبد والمجتمع من الخبث والاقذار ولا بقاء له ولا قيمة وفصل ما سبق ذكره مما ينتفع به ومن الزبد فبدأ بالزبد إذ هو المتأخر فى قوله زبدا رابيا وفى قوله زبد مثله ولكون الباطل كناية عنه وصف متأخر وهى طريقة فصيحة يبدأ فى التقسيم بما ذكر آخرا كقوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم والبداءة بالسابق فصيحة مثل قوله فمنهم شقى وسعيد فأما الذين شقوا ففى النار وكأنه والله أعلم يبدأ فى التفصيل بما هو أهم فى الذكر وانتصب جفاء على الحال أى مضمحلا متلاشيا لا منفعة فيه ولا بقاء له والزبد يراد به ما سبق من ما احتمله السيل وما خرج من حيث المعادن وأفرد الزبد بالذكر ولم يثن وان تقدم زبدان لاشتراكهما فى مطلق الزبدية فهما واحد باعتبار القدر المشترك وقرأ رؤبة جفالا باللام بدل الهمزة من قولهم جفلت الريح السحاب اذا حملته وفرقته وعن أبى حاتم لا يقرأ بقراءة رؤبة لأنه كان يأكل الفار بمعنى انه كان اعرابيا جافيا وعن أبى حاتم أيضا لا تعتبر قراءة الاعراب فى القرآن وأما ما ينفع الناس أى من الماء الخالص من الغثاء ومن الجوهر المعدنى الخالص من الخبث أى مثل ذلك الضرب كمثل الحق والباطل يضرب الله الامثال والظاهر انه لما ضرب هذا المثل للحق والباطل انتقل الى ما لأهل الحق من الثواب وأهل الباطل من العقاب فقال للذين استجابوا لربهم الحسنى أى الذين دعاهم الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فأجابوا الى ما دعاهم اليه من اتباع دينه الحالة الحسنى وذلك هو النصر فى الدنيا وما اختصوا به من نعمة الله ودخول الجنة فى الآخرة فالحسنى مبتدأ وخبره فى قوله للذين والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره ما بعده وغاير بين جملتى الابتداء لما يدل عليه تقديم الجار والمجرور فى الاعتناء والاهتمام وعلى رأى الزمخشرى من الاختصاص أى لهؤلاء الحسنى لا لغيرهم ولأن قراءة شيوخنا يقفون على قوله الامثال ويبتدئون للذين وعلى هذا المفهوم أعرب الحوفى الحسنى مبتدأ وللذين خبره وفسر ابن عطية وفهم السلف قال ابن عباس جزاء الحسنى وهى لا اله الا الله * وقال مجاهد الحياة الحسنى ما فى الطيبة * وقيل الجنة لأنها فى نهاية الحسنى * وقيل المكافأة أضعافا وعلق الزمخشرى

قوله يكون قوله لو أن لهم ما فى الارض كلاما مفلتا مما قبله أو كالمفلت اذ يصير المعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين والكافرين لو أن لهم ما فى الارض فلو كان التركيب بحرف رابط لو بما قبلها زال التفلت وأيضا فيوهم الاشتراك فى الضمير وان كان تخصيص ذلك بالكافرين معلوما لهم والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره ما بعده وغاير بين جملتى الابتداء لما يدل عليه تقديم الجار والمجرور من الاعتناء والاهتمام لو أن لهم ما فى الارض جميعا وسوء الحساب قال ابن عباس أن لا تقبل حسناتهم ولا تغفر سيئاتهم وتقدم تفسير مثل ومأواهم جهنم

للذين بقوله يضرب فقال للذين استجابوا متعلقة بيضرب أي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين
الذين استجابوا والكافرين الذين لم يستجيبوا أي هما مثلا الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا
أي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله لو أن لهم كلام مبتدأ ذكر ما أعد لغير المستجيبين انتهى
والتفسير الأول أولى لأنه فيه ضرب الامثال غير مقيد بمثل هذين والله تعالى قد ضرب أمثالا كثيرة
في هذين وفي غيرهما ولأنه فيه ذكر ثواب المستجيبين بخلاف قول الزمخشري فكما ذكر ما لغير
المستجيبين من العقاب ذكر ما للمستجيبين من الثواب ولأن تقديره الاستجابة الحسنى مشعر بتقييد
الاستجابة ومقابلها ليس نفي الاستجابة مطلقا انما مقابلها نفي الاستجابة الحسنى والله تعالى قد نفى
الاستجابة مطلقا ولانه على قوله يكون قوله لو أن لهم ما في الأرض جميعا كلاما مفلتا مما قبله أو
كالمفلت اذ يصير المعنى كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين والكافرين لو أن لهم ما في الأرض
فلو كان التركيب بحرف رابط لو بما قبلها زال التفلت وأيضا فيوهم الاشتراك في الضمير وان
كان تخصيص ذلك بالكافرين معلوما لهم وأيضا فقد جاء هذا التركيب وتقدم تفسير مثل قوله
لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به وسوء الحساب قال ابن عباس أن لا تقبل حسناتهم
ولا تغفر سيآتهم * وقال النخعي وشهد وفرقد أن يحاسب على ذنوبه كلها ولا يحاسب ويؤاخذ بها من
غير أن يغفر له شئ * وقال أبو الجوزاء المناقشة * وقيل التوبيخ عند الحساب والتقريع وتقدم
تفسير مثل ومأواهم جهنم وبئس المهاد * أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما
يتذكر أولوا الالباب * الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به
أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب * والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا
الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار * جنات
عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام
عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار * والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به
أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار * الله يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع * ويقول الذين كفروا لولا
أنزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من أناب * الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم
بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب * الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب *
كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلوا عليهم الذي أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن
قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب * ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به
الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعا أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا
ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله ان الله
لا يخلف الميعاد * ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان
عقاب * أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم
في الارض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله
فماله من هاد * لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق * مثل الجنة
التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين
النار * والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل

والكافرين الذين لم يستجيبوا أي هما مثلا الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا أي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله لو أن لهم كلام مبتدأ ذكر ما أعد لغير المستجيبين انتهى (ح) التفسير الاول أولى لانه فيه ضرب الامثال غير مقيد بمثل هذين والله تعالى قد ضرب أمثالا كثيرة في هذين وفي غيرهما ولانه فيه ذكر ثواب المستجيبين بخلاف قول (ش) فكما ذكر ما للمستجيبين من العقاب ذكر ما للمستجيبين من الثواب ولان تقديره الاستجابة الحسنى مشعر بتقييد الاستجابة ومقابلها ليس نفي الاستجابة مطلقا انما مقابلها نفي الاستجابة الحسنى والله تعالى قد نفى الاستجابة مطلقا ولانه على قوله يكون قوله لو أن لهم ما في الارض كلاما مفلتا مما قبله أو كالمفلت اذ يصير المعنى كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين والكافرين لو أن لهم ما في الارض فلو كان التركيب بحرف رابط لو بما قبلها زال التفلت وأيضا فيوهم الاشتراك في الضمير وان كان تخصيص ذلك بالكافرين معلوما

«أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق» الآية قال ابن عباس نزلت في حمزة وأبي جهل ولماذا كر تعالى مثل المؤمن والكافر وذكر مالمؤمن من الثواب وماللكافر من العقاب ذكر استبعاد من يجعلهما سواء وأنكر ذلك فقال أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى أي ليسا مشتبهين لان العالم بالشئ بصير به والجاهل به كالاعمى والمراد عمى البصيرة ولذلك قابله بالعلم والهمزة للاستفهام المراد به انكار أن تقع شبهة بعد ماضرب من المثل في أن حال من علم انما أنزل اليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد مابين الزبد والماء والخبث والابريز ثم ذكر أنه لايتذكر بالموعظة وضرب الامثال الأصحاب العقول والفاء للعطف وقدمت همزة (٣٨٤) الاستفهام لان له صدر الكلام والتقدير فأمن يعلم والذين

انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه أدعوا واليه مآب * وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق * ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله لكل أجل كتاب * يمحوا الله مايشاء و يثبت وعنده أم الكتاب » القارعة الرزية التي تقرع قلب صاحبها أي تضربه بشدة كالقتل والاسر والنهب وكشف الحريم * وقال الشاعر

فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه * ببعض أبت عيدانه أن تكسرا

أي ضربنا بقوة * وقال الزجاج القارعة في اللغة النازلة الشديدة تنزل بأمر عظيم * المحو الازالة محوت الخط أذهبت أثره ومحا المطر رسم الدار أذهبه وأزاله و يقال في مضارعه يمحو و يمحى لان عينه حرف حلق والاثبات ضد المحو « أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولوا الالباب * الذين يوفون بعهد الله ولاينقضون الميثاق والذين يصلون ماأمر الله به أن يوصل و يخشون ربهم و يخافون سوء الحساب * والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية و يدرؤن بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار * جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » قال ابن عباس نزلت أفمن يعلم في حمزة وأبي جهل * وقيل في عمر بن الخطاب وأبي جهل * وقيل في عمار بن ياسر وأبي جهل * قرأ زيد بن علي أومن بالواو بدل الفاء انما أنزل مبنيا للفاعل ولماذكر تعالى مثل المؤمن والكافر وذكر ماللمؤمن من الثواب وماللكافر من العقاب ذكر استبعاد من يجعلهما سواء وأنكر ذلك فقال أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى أي ليسا مشتبهين لان العالم بالشئ بصير به والجاهل به كالاعمى والمراد أعمى البصيرة ولذلك قابله بالعلم والهمزة للاستفهام المراد به انكار أن تقع شبهة بعد ماضرب من المثل في ان حال من علم انما أنزل اليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد مابين الزبد والماء والخبث والابريز ثم ذكر انه لايتذكر بالموعظة وضرب الامثال الا أصحاب العقول والفاء للعطف وقدمت همزة الاستفهام لانه صدر الكلام والتقدير فأمن يعلم و يبعد هاأن يكون فعل محذوف بين الهمزة والفاء عاطفة مابعدها على ذلك الفعل

بدل من الواو أوصفة له أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هم الذين والظاهر اضافة العهد الى الفاعل أي بما عهد الله والظاهر أن قوله ولاينقضون الميثاق جملة توكيدية لقوله يوفون بعهد الله لان العهد هو الميثاق و يلزم من ايفاء العهد انتفاء نقضه «وما أمر الله به أن يوصل» ظاهره العموم في كل ما أمر به في كتابه وعلى لسان رسوله «و يخشون ربهم» أي وعيده كله «و يخافون سوء الحساب» أي استقصاءه فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا وصبر واطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والأموال ومشاق التكليف وجاءت الصلة هنا بلفظ الماضي وفي الموصولين قبل بلفظ المضارع في قوله الذين يوفون والذين يصلون وماعطف عليهما على سبيل التفنن في الفصاحة و يظهر أيضا أن اختصاص هذه الصلة بالماضي وتينك بالمضارع أن تينك الصلتين قصد بهما الاستصحاب والالتباس دائما وهذه الصلة قصد بها تقدمها على تينك الصلتين وما عطف عليهما لان حصول تلك الصلات انما هي مترتبة على حصول الصبر وتقدمه عليها ولذلك لم تأت صلة في القرآن بالصبر الا بصيغة الماضي اذهو شرط في حصول التكاليف وايقاعها «و يدرؤن» يدفعون أي يدفعون الشر بالخير و«عقبى الدار» عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها و«جنات عدن» بدل من عقبى الدار و يحتمل أن يراد عقبى دار الآخرة لدار الدنيا أي العقبى الحسنة في الدار الآخرة هي لهم و يحتمل أن تكون جنات خبر مبتدأ محذوف تقديره هي

كما قدره الزمخشري في قوله أفلم ييأس واوقوله أفلا يعقلون وجوزوا في الذين أن يكون بدلا من أولو أوصفة له وصفة لمن من قوله أفمن يعلم وانما يتذكر اعتراض ومبتدأ خبره أولئك لهم عقبى الدار كقوله والذين ينقضون عهد الله ثم قال أولئك لهم اللعنة والظاهر عموم العهد * وقيل هو خاص فقال السدي ماعهد اليهم في القرآن * وقال قتادة في الازل وهو قوله ألست بربكم قالوا بلى * وقال القفال مافي حيلتهم وعقولهم من دلائل التوحيد والنبوات * وقيل في الكتب المتقدمة والقرآن * وقيل المأخوذ على ألسنة الرسل * وقيل الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والظاهر اضافة العهد الى الفاعل أي بما عهد الله والظاهر ان قوله ولا ينقضون الميثاق جملة توكيدية لقوله يوفون بعهد الله لان العهد هو الميثاق و يلزم من ايفاء العهد انتفاء نقيضه * وقال الزمخشري وعهد الله ماعقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق ولا ينقضون كل ماوثقوه على أنفسهم وقبلوه من الايمان بالله تعالى وغيره من المواثيق بينهم و بين الله تعالى و بين العباد تعميم بعد تخصيص انتهى فأضاف العهد الى المفعول وغاير بين الجملتين بكون الثانية تعميما بعد تخصيص انتهى اذ أخذ الميثاق عام بينهم و بين الله و بين العباد * وقال ابن عطية بعهد الله اسم الجنس أي بجميع عهود الله و بين أوامره ونواهيه التي وصى بها عبيده و يدخل في هذه الالفاظ التزام جميع الفروض وتجنب جميع المعاصي وقوله ولا ينقضون الميثاق أي اذا اعتقدوا في طاعة الله عهدا لم ينقضوه * قال قتادة وتقدم وعيد الله الى عباده في نقض الميثاق ونهى عنه في بضع وعشرين آية و يحتمل انه يشير الى ميثاق معين وهو الذي أخذه تعالى على ظهر أبيهم آدم عليه السلام انتهى * وقال ابن العربي من أعظم المواثيق في الذكر أن لا يسأل سواه وذكر قصة أبي حمزة الخراساني ووقوعه في البئر ومرور الناس عليه وتغطيتهم البئر وهو لا يسألهم أن يخرجوه الى أن جاء من اخرجه بغير سؤال ولم ير من أخرجه وهتف به هاتف كيف رأيت ثمرة التوكل * قال ابن العربي هذا رجل عاهد الله فوجد الوفاء على التمام فاقتدوا به وقد أنكر أبو الفرج بن الجوزي فعل أبي حمزة هذا و بين خطأه وأن التوكل لا ينافي الاستغاثة في تلك الحال * وذكر أن سفيان الثوري وغيره قالوا ان انسانا لو جاع فلم يسأل حتى مات دخل النار ولا ينكر أن يكون الله تعالى لطف بأبي حمزة الجاهل *وما أمر الله به أن يوصل ظاهره العموم في كل ماأمر به في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم * وقال الحسن المراد به صلة الرسول صلى الله عليه وسلم بالايمان به *وقال نحوه ابن جبير * وقال قتادة الرحم * وقيل صلة الايمان بالعمل * وقيل صلة قرابة الاسلام بافشاء السلام وعيادة المرضى وشهود الجنائز ومراعاة حق الجيران والرفقاء والاصحاب والخدم * وقيل نصرة المؤمنين وأمر يتعدى الى اثنين بحرف جر وهو به والاول محذوف تقديره ماأمرهم الله به وأن يوصل في موضع جر بدل من الضمير أي بوصله و يخشون ربهم أي وعيده كله و يخافون سوء الحساب أي استقصاءه فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا *وقيل يخشون ربهم يعظمونه * وقيل في قطع الرحم * وقيل في جميع المعاصي *وقيل فيما أمرهم بوصله وصبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والاموال وميثاق التكليف وجاءت الصلة هنا بلفظ الماضي وفي الموصلين قبل بلفظ المضارع في قوله الذين يوفون والذين يصلون وماعطف عليهما على سبيل التفنن في الفصاحة لان المبتدأ هنا في معنى اسم الشرط بالماضي كالمضارع في اسم الشرط فكذلك فيما أشبهه ولذلك قال النحويون اذا وقع الماضي صلة أو صفة لنكرة عامة

جنات والظاهر أن ومن معطوف على الضمير في يدخلونها وقد فصل بينهما بالمفعول ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾ أي بالتحف والهدايا من الله تكرمة لهم وارتفع سلام على الابتداء وعليكم الخبر والجملة محكية بقول محذوف تقديره يقولون سلام عليكم والمخصوص بالمدح محذوف أي فنعم عقبى الدار الجنة أو فنعم عقبى الدار الصبر و بما صبرتم متعلق بذلك المحذوف الذي هو يقولون سلام عليكم بسبب صبركم أي تحية الملائكة لهم ودخولهم عليهم من كل باب بالتحف والهدايا هو بسبب صبرهم

احتمل أن يراد به المضى وأن يراد به الاستقبال فمن المراد به المضى فى الصلة الذين قال لهم الناس ومن المراد به الاستقبال الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ويظهر أيضا أن اختصاص هذه الصلة بالماضى وتينك بالمضارع أن تينك الصلتين قصد بهما الاستصحاب والالتباس دائما وهذه الصلة قصد بها تقدمها على تينك الصلتين وما عطف عليهما لان حصول تلك الصلات انما هى مترتبة على حصول الصبر وتقدمه عليها ولذلك لم تأت صلة فى القرآن الا بصيغة الماضى اذ هو شرط فى حصول التكاليف وايقاعها والله أعلم وانتصب ابتغاء قيل على أنه مصدر فى موضع الحال والاولى أن يكون مفعولا لاجله أى ان صبرهم هو لابتغاء وجه الله خالصا لا لرجاء أن يقال ما أصبره ولا لمخافة أن يعاب بالجزع أو تشمت به الاعداء كما قال

وتجلدى للشامتين أريهم * انى لريب الدهر لا أتضعضع

ولان الجزع لا طائل تحته أو يعلم أنه لا مرد لما فات ولا لما وقع والظاهر فى معنى الوجه هنا جهة الله أى الجهة التى تقصد عنده تعالى بالحسنات لتقع عليها المثوبة كما تقول خرج زيد لوجه كذا ونبه على هاتين الخصلتين العبادة البدنية والعبادة المالية اذ هما عمود الدين والصبر عليهما أعظم صبر لتكرر الصلوات ولتعلق النفوس بحب تحصيل المال ونبه على حالتى الانفاق فالسر أفضل حالات انفاق التطوع كما جاء فى السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها والعلانية أفضل حالات انفاق الفروض لان الاظهار فيها أفضل * وقال الزمخشرى مما رزقناهم من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله انتهى وهذا على طريق المعتزلة وللسلف هنا فى الصبر أقوال متقاربة * قال ابن عباس صبروا على أمر الله * وقال أبو عمران الجونى صبروا على دينهم * وقال عطاء صبروا على الرزايا والمصائب * وقال ابن زيد صبروا على الطاعة وعن المعصية ويدرؤن يدفعون * قال ابن زيد الشر بالخير * وقال قتادة ردوا عليهم معروفا كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما * وقال الحسن اذا حرموا أعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا * وقال القتبى اذا سفه عليهم حلموا * وقال ابن جبير يدفعون المنكر بالمعروف * وقال ابن كيسان اذا أذنبوا تابوا واذا هربوا أنابوا اليه دفعوا عن أنفسهم بالتوبة معرة الذنب وهذا المعنى قول ابن عباس فى رواية الضحاك عنه * وقيل يدفعون بلا اله الا الله شركهم * وقيل بالسلام غوائل الناس * وقيل من رأوا منه مكروها بالتى هى أحسن * وقيل بالصالح من العمل السيء ويؤيده ماروى فى الحديث ان معاذا قال أوصنى يا رسول الله فقال اذا عملت سيئة فاعمل الى جنبها حسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية * وقيل العذاب بالصدقة * وقيل اذا هموا بالسيئة فكروا ورجعوا عنها واستغفروا وهذه الاقوال كلها على سبيل المجاز وبالجملة لا يكافئون الشر بالشر كما قال الشاعر

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن اساءة أهل السوء احسانا

وهذا بخلاف خلق الجاهلية كما قال

جرىء متى يظلم يعاقب بظلمه * سريعا وان لا يبد بالظلم يظلم

* وروى ان هذه الآية نزلت فى الانصار ثم هى عامة بعد ذلك فى كل من اتصف بهذه الصفات وعقبى الدار عاقبة الدنيا وهى الجنة لأنها التى أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا وموضع أهلها وجنات عدن بدل من عقبى الدار ويحتمل أن يراد عقبى دار الآخرة لدار الدنيا فى العقبى الحسنة فى الدار الآخرة هى لهم ويحتمل أن يكون جنات خبر ابتداء محذوف * وقرأ الجمهور جنات والنخعى جنة بالافراد

* وروى عن ابن كثير وأبى عمرو ويدخلونها مبنيا للمفعول * وقرأ ابن أبى عبلة ومن صلح بضم اللام والجمهور بفتحها وهو أفصح * وقرأ عيسى الثقفى وذريتهم بالتوحيد والجمهور بالجمع * وقرأ ابن يعمر فنعم بفتح النون وكسر العين وهى الاصل كما قال الراجز * نعم الساعون فى اليوم الشطر * * وقرأ ابن وثاب فنعم بفتح النون وسكون العين وتخفيف فعل لغة تميمية والجمهور نعم بكسر النون وسكون العين وهى أكثر استعمالا * قال مجاهد وغيره ومن صلح أى عمل صالحا وآمن انتهى وهذا يدل على أن مجرد النسب من الصالح لا ينفع انما تنفع الاعمال الصالحة * وقيل يحتمل قوله ومن صلح أى لذلك بقدر الله تعالى وسابق علمه * قال ابن عباس هذا الصلاح هو الايمان بالله وبالرسول صلى الله عليه وسلم وهذه بشارة بنعمة اجتماعهم مع قراباتهم فى الجنة والظاهر ان ومن معطوف على الضمير فى يدخلونها وقد فصل بينهما بالمفعول * وقيل يجوز أن يكون مفعولا معه أى يدخلونها مع من صلح ويشتمل قوله من آبائهم أبوى كل واحد والده ووالدته وغلب الذكور على الاناث فكأنه قيل ومن صلح من آبائهم وأمهاتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب أى بالتحف والهدايا من الله تعالى تكرمة لهم * قال أبو بكر الورّاق هذه ثمانية أعمال تشير الى ثمانية أبواب الجنة من عملها دخلها من أى باب شاء قال الاصم نحو هذا قال من كل باب باب الصلاة وباب الزكاة وباب الصبر ولأبى عبد الله الرازى كلام عجيب فى الملائكة ذكر ان الملائكة طوائف منهم روحانيون ومنهم كروبيون فالعبد اذا راض نفسه بأنواع الرياضات كالصبر والشكر والمراقبة والمحاسبة فلكل مرتبة من هذه المراتب جوهر قدسى وروح علوى يختص بتلك الصفة مزيد اختصاص فعند الموت اذا أشرقت تلك الجواهر القدسية تجلت فيها من كل روح من الارواح السمائية ما يناسبها من الصفة المخصوصة فيفيض عليها من ملائكة الصبر كمالات مخصوصة نفسانية لا تظهر الا فى مقام الصبر ومن ملائكة الشكر كمالات روحانية لا تتجلى الا فى مقام الشكر وهكذا القول فى جميع المراتب انتهى وهذا كلام فلسفى لا تفهمه العرب ولا جاءت به الانبياء فهو كلام مطرح لا يلتفت اليه المسلمون * قال ابن عطية وحكى الطبرى رحمه الله فى صفة دخول الملائكة أحاديث لم نطول بها لضعف أسانيدها انتهى وارتفع سلام على الابتداء وعليكم الخبر والجملة محكية بقول محذوف أى يقولون سلام عليكم والظاهر أن قوله تعالى سلام عليكم تحية الملائكة لهم ويكون قوله تعالى بما صبرتم خبر مبتدأ محذوف أى هذا الثواب بسبب صبركم فى الدنيا على المشاق أو تكون الباء بمعنى بدل أى بدل صبركم أى بدل ما احتملتم من مشاق الصبر هذه الملاذ والنعم * وقيل سلام جمع سلامة أى انما سلمكم الله تعالى من أهوال يوم القيامة بصبركم فى الدنيا * وقال الزمخشرى ويجوز أن يتعلق بسلام أى يسلم عليكم ويكرمكم بصبركم والمخصوص بالمدح محذوف أى فنعم عقبى الدار الجنة من جهنم والدار تحتمل الدنيا وتحتمل الآخرة * وقالت فرقة المعنى ان عقبوا الجنة من جهنم * قال ابن عطية وهذا التأويل مبنى على حديث ورد وهو ان كل رجل فى الجنة قد كان له مقعد معروف فى النار فصرفه الله تعالى عنه الى النعيم فيعرض عليه ويقال له هذا مكانك مقعدك فبدّلك الله منه الجنة بايمانك وطاعتك وصبرك انتهى ولما كان الصبر هو الذى نشأ عنه تلك الطاعات السابقة ذكرت الملائكة ان النعيم السرمدى انما هو حاصل بسبب الصبر ولم يأت التركيب بالايفاء بالعهد ولا بغير ذلك ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون

الاشقياء وما ترتب لهم من الامور المخزية وتقدم تفسير الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه فى أوائل البقرة وترتب هنالك للسعداء التصريح بعقبى الدار وهى الجنة واكرام الملائكة لهم بالسلام وذلك غاية القرب والتأنيس وهنا ترتب للاشقياء الابعاد من رحمة الله وسوء الدار أى الدار السوء وهى النار أو سوء عاقبة الدار وتكون دار الدنيا ولما كان كثير من الاشقياء فتحت عليهم نعم الدنيا ولذاتها أخبر تعالى أنه هو الذى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر والكفر والايمان لا تعلق لهما بالرزق قد يقدر على المؤمن ليعظم أجره ويبسط للكافر إملاء لازدياد آثامه ويقدر مقابل يبسط وهو التضييق والضمير فى وفرحوا عائد على الذين ينقضون وهو استئناف اخبار عن جهلهم بما أوتوا من بسطه الدنيا عليهم وفرحهم هو فرح بطر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ومتاع معناه ذاهب مضمحل يستمتع به قليلا ثم يفنى كما قال الشاعر

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى * غير أن لا بقاء للانسان

فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار * الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع ﴾ قال مقاتل نزلت والذين ينقضون فى أهل الكتاب * وقال ابن عباس نزلت الله يبسط فى مشركى مكة ولما ذكر تعالى حال السعداء وما ترتب لهم من الأمور السنية الشريفة ذكر حال الأشقياء وما ترتب لهم من الامور المخزية وتقدم تفسير الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه و يقطعون ما أمر الله به أن يوصل الآية فى أوائل البقرة وترتب للسعداء هنالك التصريح بعقبى الدار وهى الجنة وأكرام الملائكة لهم بالسلام وذلك غاية القرب والتأنيس وهنا ترتب للاشقياء الابعاد من رحمة الله وسوء الدار أى الدار السوء وهى النار وسوء عاقبة الدار وتكون دار الدنيا ولما كان كثير من الأشقياء قصت عليهم نعم الدنيا ولذاتها أخبر تعالى انه هو الذى يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر والكفر والايمان لاتعلق لهما بالرزق قد يقدر على المؤمن ليعظم أجره و يبسط للكافر املاء لازدياد آثامه و يقدر مقابل يبسط وهو التضييق من قوله ومن قدر عليه رزقه وعليه يحمل فظن أن لن نقدر عليه وقول ذلك الذى أحرق وذرى فى البحر لئن قدر الله على أى لئن ضيق * وقيل يقدر يعطى بقدر الكفاية * وقرأ زيد بن على و يقدر بضم الدال حيث وقع والضمير فى فرحوا عائد على الذين ينقضون وهو استئناف اخبار عن جهلهم بما أوتوا من بسطة الدنيا عليهم وفرحهم فرح بطر و بسط لافرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة بفضل الله به واستجهلهم بهذا الفرح اذ هو فرح بما يزول عن قريب و ينقضى و يبعد قول من ذهب الى انه معطوف على صلات والذين ينقضون أى يفسدون فى الأرض وفرحوا بالحياة الدنيا وفى الكلام تقديم وتأخير ومتاع معناه ذاهب مضمحل يستمتع به قليلا ثم يفنى كما قال الشاعر

تمتع يامشعث ان شيأ * سبقت به الممات هو المتاع

﴿ وقال آخر ﴾

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى * غير أن لابقاء للانسان

﴿ وقال آخر ﴾

تمتع من الدنيا فانك فان * من النشوات والنسأ الحسان

قال الزمخشرى خفى عليهم ان نعيم الدنيا فى جنب نعيم الآخرة ليس الا شيأ نذرا يتمتع به كعجالة الراكب وهو ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق أوغير ذلك انتهى وهذا معنى قول الحسن أعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن الحياة الدنيا فى جنب ما أعد الله لاوليائه فى الآخرة نذر ليس يقتع به كعجالة الراكب وهو ما يتعجله من تميرات أوشربة سويق أوغير ذلك * وقال ابن عباس زاد كزاد الرعى * وقال مجاهد قليل ذاهب من متع النهار اذا ارتفع فلابد له من زوال ﴿ و يقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء و يهدى اليه من أناب * الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب * الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب ﴾ نزلت و يقول الذين كفروا فى مشركى مكة طلبوا مثل آيات الانبياء والملتمس ذلك هو عبد الله بن أبى أمية وأصحابه رد تعالى على مقترحى الآيات من كفار قريش كسقوط السماء عليهم كسفا وقولهم سير علينا الاخشبين واجعل لنا البطاح محارث ومغترسا

هو عبد الله بن أبى أمية وأصحابه رد تعالى على مقترحى الآيات من كفار قريش ان الامر بيد الله يضل من يشاء و يهدى من يشاء ومفعول يشاء محذوف تقديره من يشاء اضلاله واليه متعلق بيهدى أى الى طاعته و ﴿ الذين آمنوا ﴾ بدل من من أناب واطمئنان القلوب سكونها بعد الاضطراب من خشيته وذكر تعالى ذكر مغفرته ورحمته ﴿ الذين ﴾ بدل من الذين أو خبر مبتدإ محذوف تقديره هم الذين أو مبتدأ خبره ما بعده و ﴿ طوبى ﴾ فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا للضمة ماقبلها كما قلبت فى موسر وطوبى مبتدأ خبره لهم ﴿ وحسن مآب ﴾ معطوف عليه وطوبى تأنيث الاطيب وكان القياس أن يكون بالالف واللام وقد جاء نظيرها بغير ألف ولام كقولهم * فى سعى دنيا طال ماقد مدت * وقول الآخر * وان دعوت الى جلى ومكرمة يوما اليك كرام الناس فادعينا * وتأنيث الافعل مما عينه ياء أن يأتى على فعلى فتارة تبدل ياؤه واوا فقالوا الحورى وتارة يقرونها ياء قالوا الخيرى فطوبى جاءت على أحد الوجهين

كالاردن وأحى لنا مضينا وأسلافنا ولم تجر عادة الله فى الاتيان بالآيات المقترحة الا اذا أراد هلاك مقترحها فرد تعالى عليهم بأن نزول الآية لا يقتضى ضرورة ايمانكم وهدايتكم لان الأمر بيد الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء * وقال الزمخشرى (فان قلت) كيف يطابق قولهم لولا أنزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء (قلت) هو كلام يجرى مجرى التعجب من قولهم وذلك أن الآيات الباهرة المتكاثرة التى أوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤتها نبى قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية فاذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كأنه لم ينزل عليه قط كان موضع التعجب والاستنكار فكأنه قيل لهم ما أعظم عنادكم وما أشد تصميمكم على كفركم ان الله يضل من يشاء فمن كان على صفتكم من التصميم وشدة التسليم فى الكفر فلا سبيل الى اهتدائكم وان أنزلت كل آية ويهدى اليه من كان على خلاف صفتكم * وقال أبو على الجبائى يضل من يشاء عن رحمته وثوابه عقوبة له على كفره ويهدى اليه من أناب أى الى جنته من أناب أى من تاب والهدى تعلقه بالمؤمن هو الثواب لانه يستحقه على ايمانه وذلك يدل على أنه يضل عن الثواب بالعقاب لا عن الدين بالكفر على ماذهب اليه من خالفنا انتهى وهى على طريقة الاعتزال والضمير فى اليه عائد على القرآن أو على الرسول صلى الله عليه وسلم والظاهر أنه عائد على الله تعالى على حذف مضاف أى الى دينه وشرعه وأناب أقبل الى الحق وحقيقته دخل فى توبة الخير والذين آمنوا بدل من أناب واطمئنان القلوب سكونها بعد الاضطراب من خشيته وذكر الله ذكر رحمته ومغفرته أو ذكر دلائله على وحدانيته المزيلة لعلق الشبه أو تطمئن بالقرآن لانه أعظم المعجزات تسكن به القلوب وتنتبه ثم ذكر الحض على ذكر الله وانه به تحصل الطمأنينة ترغيبا فى الايمان والمعنى انه بذكره تعالى تطمئن القلوب لا بالآيات المقترحة بل ربما كفر بعدها فنزل العذاب كما سلف فى بعض الأمم وجوزوا فى الذين أن يكون بدلا من الذين وبدلا من القلوب على حذف مضاف أى قلوب الذين وان يكون خبر مبتدا محذوف أى هم الذين وان يكون مبتدا خبره مابعده وطوبى فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ماقبلها كما قلبت فى موسر واختلفوا فى مدلولها * فقال أبو الحسن الهنائى هى جمع طيبة قالوا فى جمع كيسة كوسى وصيفة صوفى وفعلى ليست من ألفاظ الجموع فلعله يعنى بها اسم جمع * وقال الجمهور هى مفرد مصدر كبشرى وسقيا ورجعى وعقبى واختلف القائلون بهذا فى معناها فقال الضحاك المعنى غبطة لهم * وعنه أيضا أصبت خيرا * وقال عكرمة نعمى لهم * وقال ابن عباس فرح وقرة عين * وقال قتادة حسنى لهم * وقال النخعى خير لهم وعنه أيضا كرامة لهم * وعن سميط ابن عجلان دوام الخير وهذه أقوال متقاربة والمعنى العيش الطيب لهم * وعن ابن عباس وابن جبير طوبى اسم للجنة بالحبشية * وقيل بلغة الهند * وقال أبو هريرة وابن عباس أيضا ومعتب بن سمى وعبيد بن عمير ووهب بن منبه هى شجرة فى الجنة * وروى مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث عتبة بن عبيد السلمى أنه قال وقد سأله أعرابى يارسول الله أفى الجنة فاكهة قال نعم فيها شجرة تدعى طوبى وذكر الحديث * قال القرطبى الصحيح انها شجرة للحديث المرفوع حديث عتبة وهو صحيح على ماذكره السهيلى وذكره أبو عمر فى التمهيد والثعلبى وطوبى مبتدا وخبره لهم فان كانت علما للشجرة فى الجنة فلا كلام فى جواز الابتداء وان كانت نكرة فسوغ الابتداء بها ماذهب اليه سيبويه من أنه ذهب بها مذهب الدعاء كقولهم سلام عليك الا أنه التزم فيه

(الدر) طوبى لهم (ح) طوبى مبتدأ وخبره لهم فان كانت (٣٨٩) علما للشجرة فى الجنة فلا كلام فى جواز الابتداء بها وان كانت نكرة فسوغ الابتداء بها ماذهب اليه سيبويه رحمه الله من أنه ذهب بها مذهب الدعاء كقوله سلام عليك الا أنه التزم فيه الرفع على الابتداء فلا تدخل عليه نواسخه هكذا قال ابن مالك ويرده انه قرئ وحسن مآب بالنصب قرأه كذلك عيسى الثقفى وخرج ذلك ثعلب على أنه معطوف على طوبى وانها فى موضع نصب وحسن مآب معطوفا عليها قال ثعلب وطوبى على هذا مصدر كما قالوا سقيا وخرجه صاحب اللوامح على النداء قال بتقدير ياطوبى لهم وياحسن مآب فحسن معطوف على المنادى المضاف فى هذه القراءة وهذا نداء للتحنين والتشويق كما كان ياأسفى على الفوت والندبة انتهى ويعنى بقوله معطوف على المنادى المضاف ان طوبى مضاف للضمير واللام مقحمة كما أقحمت فى قوله

* يابؤس للجهل ضرارا لاقوام *

وفى قوله يابؤس للحرب التى ولذلك سقط التنوين من بؤس فكأنه قيل طوباهم وحسن مآب اى ما أطيبهم وأحسن مآبهم كما تقول ياطيبها الليلة اي ما أطيبها الليلة

ارسالهم أرسلناك ويدل على ذلك قوله قد خلت من قبلها أمم أى رسل أمم ولتتلو متعلق بارسلناك وهم يكفرون بالرحمن جملة حالية أى أرسلناك فى أمة رحمة لهامنى وهم يكفرون بى أى وحال هؤلاء أنهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة والظاهر أن الضمير فى قوله وهم عائد على أمة المرسل اليهم الرسول صلى الله عليه وسلم أعاد على المعنى اذ لو أعاد على اللفظ لكان التركيب وهى تكفر والمعنى أرسلناك اليهم وهم يدينون دين الكفر فهدى الله تعالى بك من أراد هدايته والمعنى الاخبار بان الامم السالفة المرسل اليهم الرسل والامة التى أرسلت اليها جميعهم جاءتهم الرسل وهم يدينون دين الكفر فيكون فى ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أمته مثل الامم السالفة ونبه على الوصف الموجب لارسال الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الرحمة الموجبة لشكر الله على انعامه عليهم ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم والايمان به

الرفع على الابتداء فلا تدخل عليه نواسخه هكذا قال ابن مالك ويرده أنه قرئ وحسن مآب بالنصب قرأه كذلك عيسى الثقفى وخرج ذلك ثعلب على أنه معطوف على طوبى وانها فى موضع نصب وحسن مآب معطوف عليها * قال ثعلب وطوبى على هذا مصدر كما قالوا سقيا وخرجه صاحب اللوامح على النداء قال بتقدير ياطوبى لهم وياحسن مآب فحسن معطوف على المنادى المضاف فى هذه القراءة فهذا نداء للتحنين والتشويق كما قال يا أسفى على الفوت والندبة انتهى ويعنى بقوله معطوف على المنادى المضاف أن طوبى مضاف للضمير واللام مقمحة كما أقحمت فى قوله * يابوس للجهل ضرارا لاقوام وقول الآخر يابوس للحرب التى ولذلك سقط التنوين من بوس وكأنه قيل ياطوباهم وحسن مآب أى ماأطيبهم وأحسن مآبهم كما تقول ياطيبها ليلة أى ما أطيبها ليلة * وقرأ بكرة الاعرابى طيبى بكسر الطاء لتسلم الياء من القلب وان كان وزنها فعلى كما كسروا فى بيض لتسلم الياء وان كان وزنها فعلا كحمر * وقال الزمخشرى أصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب أو الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة فى قوله وحسن مآب بالرفع والنصب بذلك على محلها واللام فى لهم للبيان مثلها فى سقيا لك وقرئ وحسن مآب بفتح النون ورفع مآب فحسن فعل ماض أصله وحسن نقلت ضمة سينه الى الحاء وهذا جائز فى فعل اذا كان للمدح أو الذم كما قالوا حسن ذا أدبا ﴿ كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلوا عليهم الذى أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا إله إلا هو عليه توكلت واليه متاب ﴾ قال قتادة وابن جريج ومقاتل لما رأوا كتاب الصلح يوم الحديبية وقد كتب بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل بن عمرو مايعرف الرحمن الامسيلمة فنزلت * وقيل سمع أبو جهل الرسول صلى الله عليه وسلم يقول يارحمن فقال ان محمدا ينهانا عن عبادة آلهة وهو يدعو الهين فنزلت ذكر هذا على بن أحمد النيسابورى وعن ابن عباس لما قيل لكفار قريش اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فنزلت * قال الزمخشرى مثل ذلك الارسال أرسلناك يعنى أرسلناك ارسالا له شأن وفضل على سائر الارسالات انتهى ولم يتقدم ارسال يشار اليه بذلك الا ان كان يفهم من المعنى فيمكن ذلك * وقال الحسن كارسالنا الرسل أرسلناك فذلك اشارة الى ارساله الرسل * وقيل الكاف متعلقة بالمعنى الذى فى قوله قل ان الله يضل من يشاء ويهدى اليه من أناب كما أنفذ الله هذا كذلك أرسلناك * وقال ابن عطية والذى يظهر لى أن المعنى كما أجرينا العادة بان الله يضل من يشاء ويهدى بالآيات المقترحة فكذلك فعلنا فى هذه الامة أرسلناك اليهم بوحى لا بالآيات المقترحة فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء انتهى * وقال الحوفى الكاف للتشبيه فى موضع نصب أى كفعلنا الهداية والاضلال والاشارة بذلك الى ماوصف به نفسه من أنه يضل من يشاء ويهدى من يشاء * وقال أبو البقاء كذلك التقدير الامر كذلك * قد خلت من قبلها أمم أى تقدمتها أمم كثيرة والمعنى أرسلت فيهم رسل فثل ذلك الارسال أرسلناك ودل هذا المحذوف الذى يقتضيه المعنى على أن الاشارة بذلك الى ارساله تعالى الرسل كما قال الحسن ولتتلو أى لتقرأ عليهم الكتاب المنزل عليك وعلة الارسال هى الابلاغ للدين الذى أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم وهم يكفرون أى وحال هؤلاء أنهم يكفرون بالرحمن جملة حالية أى أرسلناك فى أمة رحمة لهامنى وهم يكفرون بى أى وحال هؤلاء أنهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة والظاهر أن الضمير فى قوله وهم عائد على أمة المرسل اليهم الرسول اعادة على المعنى اذ لو أعاد على اللفظ لكان التركيب وهى تكفر والمعنى أرسلناك

﴿ولو أن قرآناً سيرت به الجبال﴾ الآية قال ابن عباس وغيره ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم سير جبلي مكة فقد ضيقا علينا واجعل لنا أرضاً قطعاً غراسة وأحي لنا آباءنا وأجدادنا وفلاناً وفلاناً فنزلت معلمة أنهم لا يؤمنون ولو كان ذلك كله ولما ذكر تعالى عليه ارساله وهي تلاوته ما أوحاه اليه ذكر تعظيم هذا الموحى وأنه لو كان قرآناً تسير به الجبال عن مقارها أو تقطع به الأرض حتى تتزايل قطعاً قطعاً أو تكلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار والتخويف كما قال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية فجواب لو محذوف وهو ما قدرناه ويجوز أن يكون جواب لو ما آمنوا ﴿بل لله الامر جميعاً﴾ بل هنا للانتقال أي أن الايمان والكفر بيد الله يخلقهما فيمن يشاء واليأس القنوط من الشيء وهو هنا في قول الأكثرين بمعنى العلم كأنه قيل أفلم يعلم الذين آمنوا قال القاسم بن معن هي لغة هوازن وقال ابن الكلبي هي لغة حي من النخع وأنشد والسحيم بن وثيل الرياحي

أقول لهم بالشعب اذ يسرونني
ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم

وأن لو يشاء أقبله قسم محذوف تقديره وأقسم أن لو يشاء الله وقد صرح بالقسم قبل أن ولو في قول الشاعر

وأقسم أن لو التقينا وأنتم
لكان لنا يوم من الشر مظلم

وأن زائدة في هذا التركيب نص على ذلك سيبويه ومفعول يشاء محذوف تقديره الهداية وجواب لو لهدى الناس ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا﴾ من كفرهم وسوء أعمالهم ﴿قارعة﴾ داهية تقرعهم بما يحل الله تعالى بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم أو تحل القارعة قريباً منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها ﴿حتى يأتي وعد الله﴾ وهو موتهم أو القيامة ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك﴾ تقدم الكلام عليه ﴿فكيف كان عقاب﴾

اليهم وهم يدينون دين الكفر فهدى الله بك من أراد هدايته * وقيل يعود على الذين قالوا لولا أنزل عليه آية من ربه * وقيل يعود على أمة وعلى أمم والمعنى الاخبار بأن الامم السالفة أرسلت اليهم الرسل والامة التي أرسلت اليها جميعهم جاءتهم الرسل وهم يدينون دين الكفر فيكون في ذلك تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم اذ أمته مثل الامم السالفة ونبه على الوصف الموجب لارسال الرسول وهو الرحمة الموجبة لشكر الله على انعامه عليهم ببعثة الرسول والايمان به فقل هو أي الرحمن الذي كفروا به هو ربي الواحد المتعال عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم وجميع أموري واليه مرجعي فيثيبني على مجاهدتكم ﴿ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعاً أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريباً من دارهم حتى يأتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد * ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم سير جبلي مكة فقد ضيقا علينا واجعل لنا أرضاً قطعاً غراساً وأحي لنا آباءنا وأجدادنا وفلاناً وفلاناً فنزلت معلمة أنهم لا يؤمنون ولو كان ذلك كله ولما ذكر تعالى عليه ارساله وهي تلاوة ما أوحاه اليه ذكر تعظيم هذا الموحى وأنه لو كان قرآناً تسير به الجبال عن مقارها أو تقطع به الارض حتى تتزايل قطعاً قطعاً أو تكلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار والتخويف كما قال لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية فجواب لو محذوف وهو ما قدرناه وحذف جواب لو لدلالة المعنى عليه جائز نحو قوله تعالى ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ولو ترى اذ وقفوا على النار * وقال الشاعر

وجدك لو شيء أتانا رسوله * سواك ولكن لم نجد عنك مدفعا

* وقيل تقديره لما آمنوا به كقوله تعالى ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا قاله الزجاج وقال الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآناً سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وعلى قول الفراء يترتب جواب لو أن يكون لما آمنوا لأن قولهم وهم يكفرون بالرحمن ليس جواباً وانما هو دليل على الجواب * وقيل معنى قطعت به الارض شققت فجعلت أنهاراً وعيوناً ويترتب على أن يكون الجواب المحذوف لما آمنوا قوله بل لله الأمر جميعاً أي الايمان والكفر انما يخلقهما الله تعالى ويريدهما وأما على تقدير لكان هذا القرآن فيحتاج الى ضميمة وهو أن يقدر لكان هذا القرآن الذي أوحينا اليك المطلوب فيه ايمانهم وما تضمنه من التكاليف ثم قال بل لله الامر جميعاً أي الايمان والكفر بيد الله يخلقهما فمن يشاء * وقال الزمخشري بل لله الامر جميعاً على معنيين أحدهما بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على

﴿أفمن هو قائم على كل نفس﴾ الآية من موصولة صلتها مابعدها وهي مبتدأ والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك من شركائهم
التي لاتضر ولاتنفع كما حذف من قوله أفمن شرح الله صدره للاسلام تقديره كالقاسي قلبه الذي هو في ظلمة

فاقسم ان لو التقينا وأنتم * لكان لنا يوم من الشر مظلم

وقد ذكر سيبويه ان أن تأتي بعد القسم وجعلها ابن عصفور رابطة للقسم بالجملة المقسم عليها وأما على تأويل الجمهور فان عندهم هي المخففة من الثقيلة أي انه لو يشاء الله * وقرأ علي وابن عباس قال الزمخشري وجماعة من الصحابة والتابعين وقال غيره وعكرمة وابن أبي مليكة والجحدري وعلي بن الحسين وابنه زيد وأبو يزيد المزني وعلي بن نديمة وعبد الله بن يزيد أفلم يتبين من بينت كذا اذا عرفته وتدل هذه القراءة على أن معنى أفلم ييأس هنا معنى العلم كما تظافرت النقول انها لغة لبعض العرب وهذه القراءة ليست قراءة تفسير لقوله أفلم ييأس كما يدل عليه ظاهر كلام الزمخشري بل هي قراءة مسندة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وليست مخالفة للسواد اذ كتبوا ييئس بغير صورة الهمزة وهذه كقراءة فتبينوا وفتثبتوا وكلتاهما في السبعة وأما قول من قال انما كتبه الكاتب وهو ناعس فسوى أسنان السين فقول زنديق ملحد * وقال الزمخشري وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الامام وكان متقلبا في أيدي أولئك الاعلام المحتاطين في دين الله المهتمين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء هذه والله فرية مافيها مرية انتهى * وقال الفراء لا يتلى الا كما أنزل أفلم ييأس انتهى والكفار عام في جميع الكفار وهذا الامر مستمر فيهم الى يوم القيامة قاله الحسن وابن السائب أو هو ظاهر اللفظ * وقال ابن عطية كفار قريش والعرب لا تزال تصيبهم قوارع من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزواته * وقال مقاتل والزمخشري كفار مكة * قال الزمخشري تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء أعمالهم قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في أنفسهم وأولادهم وأموالهم أو تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير اليهم شررها وتتعدى اليهم شرورها حتى يأتي وعد الله وهو موتهم أو القيامة انتهى * وقال الحسن حال الكفرة هكذا هو أبدا ووعد الله قيام الساعة والظاهر ان الضمير في تحل عائد على قارعة قاله الحسن * وقالت فرقة التاء للخطاب والضمير للرسول صلى الله عليه وسلم أو تحل أنت يامحمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية وعزاه الطبري الى ابن عباس ومجاهد وقتادة وقاله عكرمة ويكون وعد الله فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك وقاله ابن عباس ومجاهد * وقرأ مجاهد وابن جبير أو يحل بالياء على الغيبة واحتمل أن يكون عائدا على معنى القارعة راعى فيه التذكير لانها بمعنى البلاء أو تكون الهاء في قارعة للمبالغة فذكر واحتمل أن يكون عائدا على الرسول صلى الله عليه وسلم أي ويحل الرسول قريبا * وقرأ أيضا من ديارهم على الجمع * وقال ابن عباس القارعة العذاب من السماء * وقال عكرمة السرايا والطلائع وفي قوله ولقد استهزئ الآية تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام وان حالك حال من تقدمك من الرسل وأن المستهزئين بهم أملي لهم أي يمهلون ثم يؤخذون وتنبيه على أن حال من استهزأ بك وان أمهل حال أولئك في أخذهم ووعيدهم وفي قوله فكيف كان عقاب استفهام معناه التعجب بما حل وفي ضمنه وعيد معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم من الكفار ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الارض أم بظاهر من القول بل

ودل عليه قوله وجعلوا لله شركاء كما دل على كالقاسي قوله فويل للقاسية قلوبهم ويحسن حذف هذا الخبر كون المبتدأ يكون مقابله الخبر المحذوف وقد جاء مثبتا كثيرا كقوله تعالى أفمن يخلق كمن لايخلق أفمن يعلم ثم قال كمن هو أعمى والظاهر أن قوله وجعلوا لله شركاء استئناف اخبار عن سوء صنيعهم وكونهم أشركوا مع الله مالا يصلح للالوهية نعى عليهم هذا الفعل القبيح هذا والباري تعالى محيط باحوال النفوس جليها وخفيها ونبه على بعض حالاتها وهو الكسب ليتفكر الانسان فيما يكسب من خير وشر وما يترتب على الكسب من الجزاء وعبر بقائم عن الاحاطة والمراقبة التي لايغفل عنها أمره تعالى أن يقول لهم سموهم أي اذكروهم بأسمائهم والمعنى أنهم ليسوا ممن يذكر ولا يسمى انما يذكر ويسمى من ينفع ويضر وأم في قوله أم تنبئونه منقطعة تتقدر ببل والهمزة تقديره بل أتنبئونه والضمير

 في أتنبئونه عائد على الله تعالى ومافي بما موصولة والعائد محذوف تقديره

يعلمه والضمير في يعلم عائد على الله والمعنى أتنبئون الله (٣٩٤) لشركه الاصنام التي لا تتصف بعلم البتة وذكر نفي العلم في الارض لا

زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فماله من هاد لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق ومالهم من الله من واق ﴿ من موصولة صلتها ما بعدها وهي مبتدا والخبر محذوف تقديره كمن ييئس كذلك من شركائهم التي لا تضر ولا تنفع كما حذف من قوله أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه تقديره كالقاسي قلبه الذي هو في ظلمة ودل عليه قوله تعالى وجعلوا لله شركاء كما دل على القاسي فويل للقاسية قلوبهم ويحسن حذف هذا الخبر كون المبتدا يكون مقابله الخبر المحذوف وقد جاء مثبتا كثيرا كقوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق أفمن يعلم ثم قال كمن هو أعمى والظاهر ان قوله تعالى وجعلوا لله شركاء استئناف اخبار عن سوء صنيعهم وكونهم أشركوا مع الله مالا يصلح للالوهية نعي عليهم هذا الفعل القبيح هذا والباري تعالى هو المحيط بأحوال النفوس جليها وخفيها ونبه على بعض حالاتها وهو الكسب ليتفكر الانسان فيما يكسب من خير وشر وما يترتب على الكسب في الجزاء وعبر بقائم عن الاحاطة والمراقبة التي لا يغفل عنها * وقال الزمخشري ويجوز أن يقدر ما يقع خبرا للمبتدا ويعطف عليه وجعلوا لله أي وجعلوا وتمثيله أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء وهو الله الذي يستحق العبادة وحده انتهى وفي هذا التوجيه اقامة الظاهر مقام المضمر في قوله وجعلوا لله أي وجعلوا له وفيه حذف الخبر عن المقابل وأكثر ما جاء هذا الخبر مقابلا وفي تفسير أبي عبد الله الرازي قال الشديد صاحب العقد الواو في قوله تعالى وجعلوا واو الحال والتقدير أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت موجود والحال انهم جعلوا له شركاء ثم أقيم الظاهر وهو لله مقام المضمر تقرير الألوهيته وتصريحا بها كما تقول معطي الناس ومغنيهم موجود ويحرم مثلي انتهى * وقال ابن عطية أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أحق بالعبادة أم الجمادات التي لا تضر ولا تنفع هذا تأويل ويظهر ان القول مرتبط بقوله وجعلوا لله شركاء كأن المعنى أفمن له القدرة والوحدانية ويجعل له شريك أهل ينتقم ويعاقب أم لا وأبعد من ذهب الى ان قوله أفمن هو قائم المراد به الملائكة الموكلون ببني آدم حكاه القرطبي عن الضحاك والخبر أيضا محذوف تقديره كغيره من المخلوقين وأبعد أيضا من ذهب الى ان قوله وجعلوا معطوفا على استهزئ أي استهزؤوا وجعلوا ثم أمره تعالى أن يقول لهم سموهم أي اذكروهم بأسمائهم والمعنى انهم ليسوا ممن يذكر ويسمى انما يذكر ويسمى من هو ينفع ويضر وهذا مثل من يذكر لك ان شخصا يوقر ويعظم وهو عندك لا يستحق ذلك فتقول لذا كره سمه حتى أبين لك زيفه وانه ليس كما تذكر وقريب من هذا قول من قال في قوله قل سموهم انما يقال ذلك في الشئ المستحقر الذي يبلغ في الحقارة الى أن لا يذكر ولا يوضع له اسم فعند ذلك يقال له سمه ان شئت أي هو أخس من أن يذكر ويسمى ولكن ان شئت أن تضع له اسما فافعل فكأنه قال سموهم بالآلهة على جهة التهديد والمعنى سواء سميتموهم بهذا الاسم أم لم تسموهم به فانها في الحقارة بحيث لا يستحق أن يلفت العاقل اليها * وقيل سموهم اذا صنعوا وأماتوا وأحيوا لتصح الشركة * وقيل طالبوهم بالحجة على انها آلهة * وقيل صفوهم وانظروا هل يستحقون الالهية * وقال الزمخشري جعلتم له شركاء فسموهم له من هم وبينوهم بأسمائهم * وقيل هذا تهديد كما تقول لمن تهدده على شرب الخمر سم الخمر بعد هذا وأم في قوله أم تنبؤونه منقطعة وهو استفهام توبيخ * قال الزمخشري بل أتنبؤونه بشركاء لا

الارض هي مقر تلك الاصنام فاذا انتفى علمها في المقر التي هي فيه فانتفاؤه في السموات أحرى وعلى هذا التأويل يكون الفاعل بيعلم ضمير يعود على ما وعلى الاول ذكرنا أنه عائد على الله تعالى والمعنى على هذا استفهام التوبيخ على أنه عندهم لا يكون علمه في السموات ولا في الارض بل علمه تعالى محيط بجميع الاشياء والظاهر في أم من قوله أم بظاهر أنها منقطعة أيضا أي بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة أي أنكم تنطقون بتلك الاسماء وتسمونها آلهة ولا حقيقة لها اذ أنتم تعلمون انها لا تتصف بشئ من أوصاف الاله لقوله تعالى ما تعبدون من دونه الا أسماء والظاهر أن قوله أم بظاهر معطوف على قوله بما لا يعلم والعذاب في الدنيا هو ما يصيبهم بسبب كفرهم من القتل والاسر والنهب والذلة والحروب والبلايا في أجسامهم وغير ذلك مما يمتحن به الكفار

وكان عذاب الآخرة أشق على النفوس لانه احراق بالنار دائما كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ومن واق من ساتر يحفظهم عن العذاب ويحميهم ولما ذكر ما أعد للكفار في الآخرة ذكر ما أعد للمؤمنين فقال

يعلمهم فى الارض وهو العالم بما فى السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشئ يتعلق به العلم والمراد نفى أن يكون له شركاء ونحوه قل أتنبؤون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض انتهى فجعل الفاعل فى قوله بما لا يعلم عائدا على الله والعائد على ما محذوف أى بما لا يعلمه الله وكنا قد خرجنا تلك الآية على الفاعل فى قوله بما لا يعلم عائد على ما وقررنا ذلك هنالك وهو يتقرر هنا أيضا أى أتنبؤون الله بشركة الاصنام التى لا تتصف بعلم البتة وذكر نفى العلم فى الارض اذ الارض هى مقر تلك الاصنام فاذا انتفى علمها فى المقر التى هى فيه فانتفاؤه فى السموات أحرى * وقرأ الحسن تنبئونه من أنبأ * وقيل المراد تقدرون أن تعلموه بأمر تعلمونه أنتم وهو لا يعلمه وخص الارض بنفى الشريك بأنه لم يكن له شريك البتة لانهم ادعوا ان لله شركاء فى الارض لا فى غيرها والظاهر فى أم فى قوله أم بظاهر انها منقطعة أيضا أى بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة أى انكم تنطقون بتلك الاسماء وتسمونها آلهة ولا حقيقة لها اذ أنتم لا تعلمون أنها لا تتصف بشئ من أوصاف الالوهية كقوله ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها * وقال مجاهد أم بظاهر من القول * وقال قتادة بباطل من القول لا باطن له فى الحقيقة ومنه قول الشاعر

أعيرتنا ألبانها ولحومها * وذلك عار يا ابن ريطة ظاهر

أى باطل * وقيل أم متصلة والتقدير أم تنبئونه بظاهر من القول لا حقيقة له كقوله ذلك قولهم بأفواههم ثم قال بعد هذا الحجاج على وجه التحقير لما هم عليه بل زين للذين كفروا مكرهم * وقال الواحدى لما ذكر الدلائل على فساد قولهم وقال دع ذلك الدليل لانهم لا ينتفعون به لانه زين لهم مكرهم * وقرأ مجاهد بل زين على البناء للفاعل مكرهم بالنصب * والجمهور زين على البناء للمفعول مكرهم بالرفع أى كيدهم للاسلام بشركهم وما قصدوا بأقوالهم وأفعالهم من مناقضة الشرع * وقرأ الكوفيون وصدّوا هنا وفى غافر بضم الصاد مبنيا للمفعول فالفعل متعد * وقرأ باقى السبعة بفتحها فاحتمل التعدّى واللزوم أى صدوا أنفسهم أو غيرهم * وقرأ ابن وثاب وصدوا بكسر الصاد وهى كقراءة ردت الينا بكسر الراء وفى اللوامح الكسائى لابن يعمر وصدوا بالكسر لغة وفى الضم أجراه بحرف الجر نحو وقيل فاما فى المؤمن فبالكسر لابن وثاب انتهى * وقرأ ابن أبى اسحق وصد بالتنوين عطفا على مكرهم * قال الزمخشرى ومن يضلل الله ومن يخذله يعلمه انه لا يهتدى فماله من هاد فماله من احد يقدر على هدايته انتهى وهو على طريقة الاعتزال والعذاب فى الدنيا هو ما يصيبهم بسبب كفرهم من القتل والأسر والنهب والذلة والحروب والبلايا فى أجسامهم وغير ذلك مما يمتحن به الكفار وكان عذاب الآخرة أشق على النفوس لانه احراق بالنار دائما كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ومن واق ومن ساتر يحفظهم من العذاب و يحميهم ولما ذكر ما أعد للكفار فى الآخرة ذكر ما أعد للمؤمنين فقال ﴿ مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ﴾ مثل الجنة أى صفتها التى هى فى غرابة المثل وارتفع مثل على الابتداء فى مذهب سيبويه والخبر محذوف أى فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وتجرى من تحتها الأنهار تفسير لذلك المثل تقول مثلت الشئ اذا وصفته وقربته للفهم وليس هنا ضرب مثل لها فهو كقوله تعالى وله المثل الأعلى أى الصفة العليا وأنكر أبو على أن يكون مثل بمعنى صفة قال انما معناه التنبيه * وقال الفراء أى صفتها انها تجرى من تحتها الأنهار ونحو هذا موجود فى كلام العرب انتهى ولا يمكن حذف انها وانما فسر المعنى ولم يذكر

﴿ مثل الجنة ﴾ أى صفتها التى هى فى غرابة المثل وارتفع مثل على الابتداء فى مذهب سيبويه والخبر محذوف أى فيما قصصنا عليكم مثل الجنة و﴿ تجرى من تحتها الانهار ﴾ تفسير لذلك المثل وتقول مثلت الشئ اذا وصفته وقربته للفهم وليس هنا ضرب مثل فهو كقوله وله المثل الاعلى أى الصفة العليا والا كل ما يؤكل فيها ومعنى دوامه أنه لا ينقطع أبدا كما قال لا مقطوعة ولا ممنوعة تلك أى تلك الجنة عاقبة الذين اتقوا الشرك

﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾ نزلت فى مؤمنى أهل الكتابين من أسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب وأصحابهما ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران واثنان (٣٩٦) وثلاثون بأرض الحبشة ﴿ومن الاحزاب﴾ يعنى ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف وأصحابه والسيد والعاقب أسقفى نجران وأشياعها ﴿من ينكر بعضه﴾ لانهم كانوا لاينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعانى مما هو ثابت فى كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ماهو نعت الاسلام ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه ﴿اليه أدعوا﴾ أى الى شرعه ودينه واليه مرجعى عند البعث يوم القيامة أواليه مرجعى فى جميع الاحوال فى الدنيا والآخرة ﴿وكذلك﴾ أى مثل انزالنا الكتاب على الانبياء قبلك لان قوله والذين آتيناهم الكتاب يتضمن انزاله تعالى الكتاب وهذا الذى أنزلناه هو بلسان العرب كما أن الكتب السابقة بلسان من نزلت عليه وأراد بالحكم أنه فصل بين الحق والباطل ومحكم وانتصب ﴿حكما﴾ على الحال من ضمير النصب فى أنزلناه والضمير عائد على القرآن والحكم ماتضمنه القرآن من المعانى ولما كانت العبارة عنه بلسان العرب نسبه اليها ﴿ولئن اتبعت﴾ الخطاب لغير الرسول صلى الله عليه وسلم لان الرسول صلى الله عليه وسلم معصوم من اتباع أهوائهم

الاعراب وتأول قوم على القرآن مثل مقحم وان التقدير الجنة التى وعد المتقون تجرى واقحام الأسماء لايجوز وحكوا عن الفراء أن العرب تقحم كثيرا المثل والمثل وخرج على ذلك ليس كمثله شئ أى كهو شئ فقال غيرهما الخبر تجرى كما تقول صفة زيد اسمر وهذا أيضا لايصح أن يكون تجرى خبرا عن الصفة وانما يتأول تجرى على اسقاط أن ورفع الفعل والتقدير ان تجرى خبر ثان الانهار * وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجرى على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد انتهى * وقال أبو على لايصح ماقال الزجاج لاعلى معنى الصفة ولا على معنى الشبه لان الجنة التى قدرها جنة ولاتكون الصفة ولان الشبه عبارة عن المماثلة التى بين المتماثلين وهو حدث والجنة جنة فلاتكون المماثلة * وقرأ على وابن مسعود مثال الجنة على الجمع أى صفاتها وفى اللوامح على السلمى أمثال الجنة جمع ومعناه صفات الجنة وذلك لانها صفات مختلفة فلذلك جمع نحو الحلقوم والاسعال والأكل مايؤكل فيها ومعنى دوامه انه لاينقطع أبدا كما قال تعالى لامقطوعة ولاممنوعة * وقال ابراهيم التيمى أى لذاته دائمة لاتزاد بجوع ولاتمل من شبع وظلها أى دائم البقاء والراحة لاتنسخه شمس ولايميل لبرد كما فى الدنيا تلك أى تلك الجنة عاقبة الذين اتقوا أى اجتنبوا الشرك ﴿ والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه أدعو واليه مآب وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ماجاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق ﴾ نزلت فى مؤمنى أهل الكتابين ذكره الماوردى واختاره الزمخشرى فقال من أسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب وأصحابهما ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون من نجران وثمانية من اليمن واثنان وثلاثون من الحبشة ومن الاحزاب يعنى ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الأشرف وأصحابه والسيد والعاقب أسقفى نجران وأشياعهما من ينكر بعضه لانهم كانوا لاينكرون الأقاصيص وبعض الاحكام والمعانى مما هو ثابت فى كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ماهو نعت الاسلام ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم مما حرفوه وبدلوه انتهى * وعن ابن عباس وابن زيد فى مؤمنى اليهود كعبد الله بن سلام وأصحابه وعن قتادة فى أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم مدحهم الله تعالى بأنهم يسرون بما أنزل اليك من أمر الدين وعن مجاهد والحسن وقتادة أن المراد بأهل الكتاب جميعهم يفرحون بما أنزل من القرآن اذ فيه تصديق كتبهم وثناء على أنبيائهم وأحبارهم ورهبانهم الذين هم على دين موسى وعيسى عليهما السلام وضعف هذا القول بان همهم به أكثر من فرحهم فلايعتد بفرحهم وأيضا فان اليهود والنصارى ينكرون بعضه وقد فرق تعالى بين الذين ينكرون بعضه وبين الذين آتيناهم الكتاب * والاحزاب قال مجاهد هم اليهود والنصارى والمجوس * وقالت فرقة هم أحزاب الجاهلية من العرب * وقال مقاتل الاحزاب بنو أمية وبنو المغيرة وآل أبى طلحة ولما كان ماأنزل اليه يتضمن عبادة الله ونفى الشريك أمر بجواب المنكرين * فقيل له قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به فانكاركم لبعض القرآن الذى أنزل انكار لعبادة الله وتوحيده وأنتم تدعون

﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك ﴾ الآية قال الكلبي عيرت اليهود الرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا ما نرى لهذا الرجل همة الا النساء والنكاح ولو كان نبيا كما زعم لشغله أمر النبوة عن النساء فنزلت هذه الآية قيل وكانوا يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فرد الله عليهم بأن الرسل قبله كانوا مثله ذوي أزواج وذرية وما كان لهم أن يأتوا بآيات برأيهم ولا يأتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم يحكم فيه على العباد أي يفرض عليهم ما يريده تعالى وقوله لكل أجل كتاب لفظ عام في الاشياء التي لها آجال لأنه ليس منها شئ الا وله أجل في بداءته وفي خاتمته وذلك الاجل مكتوب ومحصور والظاهر أن المحو عبارة عما نسخ من الشرائع والاحكام والاثبات عبارة عن دوامها وتقررها وبقائها أي يمحو ما يشاء محوه ويثبت ما يشاء اثباته ﴿وعنده أم الكتاب﴾ هو ديوان الأمور المحدثة التي سبق في القضاء أن تبدل تمحى وتثبت ﴿ وإما نرينك ﴾ تقدم الكلام عليه في يونس وإما هنا فقال الحوفي وغيره فانما عليك جواب الشرط والذي تقدم شرطان لان المعطوف على الشرط شرط أما كونه جوابا للشرط فليس بظاهر لانه يترتب عليه اذ يصير المعنى لاما نرينك يعني ما نعدهم من العذاب فانما عليك البلاغ وأما كونه جوابا للشرط الثاني وهو أو نتوفينك فكذلك لانه يصير التقدير ان ما نتوفينك فانما عليك البلاغ ولا يترتب وجوب التبليغ عليه على وفاته صلى الله عليه وسلم لان التكليف ينقطع بعد الوفاة فيحتاج الى تأويل وهو أن يتقدر لكل شرط منهما ما يناسب أن يكون جزاء مترتبا عليه وذلك أن يكون التقدير والله أعلم واما نرينك بعض الذين نعدهم به من العذاب فذلك شافيك من أعدائك ودليل على صدقك اذ أخبرت بما يحل بهم ولم يعين زمان حلوله بهم واحتمل أن يقع ذلك في حياتك واحتمل أن يقع بهم بعد وفاتك أو نتوفينك أو ان نتوفينك قبل حلوله بهم فلا لوم عليك ولا عتب اذ قد حل بهم بعض ما وعد الله به على لسانك من عذابهم فانما عليك البلاغ لا حلول العذاب بهم اذ ذاك راجع الينا وعلينا جزاؤهم في تكذيبهم اياك وكفرهم بما جئت به

وجوب العبادة ونفي الشريك اليه أدعوا الى شرعه ودينه واليه مرجعي عند البعث يوم القيامة في جميع أحوالي في الدنيا والآخرة * وقرأ أبو جليد عن نافع ولا أشرك بالرفع على القطع أي وأنا لا أشرك به وجوز أن يكون حالا أي ان أعبد الله غير مشرك به * وكذلك أي مثل انزالنا الكتاب على الانبياء قبلك لان قوله والذين آتيناهم الكتاب يتضمن انزاله الكتاب وهذا الذي أنزلناه هو بلسان العرب كما أن الكتب السابقة بلسان من نزلت عليه وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم وأراد بالحكم أنه يفصل بين الحق والباطل ويحكم * وقال ابن عطية وقوله وكذلك المعنى كما يسرنا لهؤلاء الفرح ولهؤلاء الانكار لبعض كذلك أنزلناه حكما عربيا انتهى وانتصب حكما على الحال من ضمير النصب في أنزلناه والضمير عائد على القرآن والحكم ما تضمنه القرآن من المعاني ولما كانت العبارة عنه بلسان العرب نسبه اليها ولئن اتبعت الخطاب لغير الرسول صلى الله عليه وسلم لانه معصوم من اتباع أهوائهم * وقال الزمخشري هذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه أن لا يزل زال عند الشبه بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الشكيمة بمكان ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله لكل أجل كتاب يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب * واما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ قال الكلبي عيرت اليهود الرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا ما نرى لهذا الرجل همة الا النساء والنكاح ولو كان نبيا كما زعم لشغله أمر النبوة عن النساء فنزلت هذه الآية * قيل وكانوا يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فرد الله تعالى عليهم بان الرسل قبله كانوا مثله ذوي أزواج وذرية وما كان لهم أن يأتوا بآيات برأيهم ولا يأتون بما يقترح عليهم ومن الشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم يكتب فيه على العباد أي يفرض عليهم ما يريده تعالى وقوله لكل أجل كتاب لفظ عام في الاشياء التي لها آجال لانه ليس منها شئ الا وله أجل في بدئه وفي خاتمته وذلك الاجل مكتوب محصور * وقال الضحاك والفراء المعنى لكل كتاب أجل ولا يجوز ادعاء القلب الا في ضرورة الشعر وأما هنا فالمعنى في غاية الصحة بلا عكس ولا قلب بل ادعاء القلب هنا لا يصح المعنى عليه اذ ثم أشياء كتبها الله تعالى أزلية كالجنة ونعيم أهلها لا أجل لها والظاهر أن المحو عبارة عن النسخ من الشرائع والاحكام والاثبات عبارة عن دوامها وتقررها وبقائها أي

يمحو مايشاء محوه و يثبت مايشاء اثباته * وقيل هذا عام فى الرزق والاجل والسعادة والشقاوة ونسب هذا الى عمر و ابن مسعود وأبى وائل والضحاك وابن جريج وكعب الاحبار والكلبى * وروى عن عمر وابن مسعود وأبى وائل فى دعائهم مامعناه ان كنت كتبتنى فى السعداء فأثبتنى فيهم أوفى الاشقياء فامحنى منهم وان صح عنهم فينبغى أن يتأول على أن المعنى ان كنت أشقيتنا بالمعصية فامحها عنا بالمغفرة ومعلوم أن الشقاء والسعادة والرزق والخلق والاجل لايتغير شئ منها * وقال ابن عباس يمحوا الله مايشاء من أمور عباده الا السعادة والشقاوة والآجال فانه لامحو فيها * وقال الحسن وفرقة هى آجال بنى آدم تكتب فى ليلة القدر * وقيل فى ليلة نصف شعبان آجال الموتى فتمحى ناس من ديوان الاحياء و يثبتون فى ديوان الاموات * وقال قيس بن عباد فى العاشر من رجب يمحوا الله مايشاء و يثبت * وقال ابن عباس والضحاك يمحو من ديوان الحفظة ماليس بحسنة ولاسيئة لأنهم مأمورون بكتب كل قول وفعل و يثبت غيره * وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة و يثبت ايمانهم وطاعتهم * وقيل يمحو بعض الخلائق و يثبت بعضا من الاناسى وسائر الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها وأحوالها * وقال الزمخشرى يمحو الله مايشاء ينسخ مايستصوب نسخه و يثبت بدله مايرى المصلحة فى اثباته أو يتركه غير منسوخ والكلام فى نحو هذا واسع المجال انتهى وهو وقول قتادة وابن جبير وابن زيد قالوا يمحو الله مايشاء من الشرائع والفرائض فينسخه و يبدله و يثبت مايشاء فلاينسخه * وقال مجاهد يحكم الله أمر السنة فى رمضان فيمحو مايشاء و يثبت مايشاء الا الحياة والموت والشقاوة والسعادة * وقال الكلبى يمحو من الرزق و يزيد فيه * وقال ابن جبير أيضا يغفر مايشاء من ذنوب عباده و يترك مايشاء فلايغفره * وقال عكرمة يمحو يعنى بالتوبة جميع الذنوب و يثبت بدل الذنوب حسنات قال تعالى الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات * وقيل ينسى الحفظة من الذنوب ولاينسى * وقال الحسن يمحو الله مايشاء أجله و يثبت من يأتى أجله * وقال السدى يمحو الله يعنى القمر و يثبت يعنى الشمس بيانه فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة الآية * وقال ابن عباس ان لله لوحا محفوظا وذكر وصفه فى كتاب التحبير ثم قال لله تعالى فيه فى كل يوم ثلاثمائة وستون نظرة يثبت مايشاء و يمحو مايشاء * وقال الربيع هذا فى الارواح حالة النوم يقبضها عند النوم اذا أراد موته فجأة أمسكه ومن أراد بقاءه أثبته وردّه الى صاحبه بيانه قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الآية * وقال على بن أبى طالب يمحو الله مايشاء من القرون لقوله ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون و يثبت مايشاء منها لقوله تعالى ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين فيمحو قرنا و يثبت قرنا * وقال ابن عباس يمحو يميت الرجل على ضلالة وقد عمل بالطاعة الزمن الطويل يختمه بالمعصية و يثبت عكسه * وقيل يمحو الدنيا و يثبت الآخرة وفى الحديث عن أبى الدرداء انه تعالى يفتح الذكر فى ثلاث ساعات بقين من الليل فينظر مافى الكتاب الذى لاينظر فيه أحد غيره فيمحو مايشاء و يثبت مايشاء * وقال الغزنوى مافى اللوح المحفوظ خرج عن الغيب لاحاطة بعض الملائكة فيحتمل التبديل واحاطة الخلق بجميع علم الله تعالى ومافى علمه تعالى من تقدير الاشياء لايبدل انتهى * وقيل غير ذلك ممايطول نقله وقد استدلت الرافضة بقوله يمحو الله ما يشاء و يثبت على ان البداء جائز على الله تعالى وهو أن يعتقد شيأ ثم يظهر له ان الأمر خلاف مااعتقده وهذا باطل لأن علمه تعالى من لوازم ذاته المخصوصة وما كان كذلك كان دخول التغيير والتبديل

﴿أولم يروا انا نأتى الارض ننقصها من أطرافها﴾ الضمير فى يروا عائد على الذين وعدوا وفى ذلك اتعاظ لمن اتعظ نبهوا على أن ينظروا نقص الارض من اطرافها ونأتى يعنى بالأمر والقـدرة كقوله تعالى فأتى الله بنيانهم والارض أرض الـكفار المذكورين ومعنى ننقصها من أطرافها نفتحها للمسلمين من جوانبها كان المسلمون يغزون من حوالى أرض الـكفار مما يلى المدينة و يغلبون على جوانب ارض مكة والاطراف الجوانب ﴿لا معقب لحـكمه﴾ المعقب الذى يكر على الشئ فيبطله وحقيقته الذى يعقبه أى بالرد والابطال ومنه قيـل لصاحب الحق معقب لانه يقضى غريمه بالاقتضاء والطلب والمعنى أنه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الـكفر بالادبار والانتـكاس والجملة من قوله لا معقب لحـكمه فى موضع الحال أى نافذا حكمه ﴿وهو سريع الحساب﴾ تقدّم الـكلام عليه ثم أخبر تعالى أن الأمم السالفة كان يصدر منهم المـكر بأنبيائهم كما فعلت قريش وان ذلك عادة المـكذبين للرسل مكر بابراهيم نمروذ و بموسى فرعون و بعيسى اليهود وجعل تعالى مكرهم كلا مكر اذ أضـاف المـكر كله له تعالى ومعنى مكره تعـالى عقوبته اياهم سماها مكرا اذ كانت ناشئة عن المـكر

فيه محالا وأما الآية فقد احتملت تلك التأويلات المتقدمة فليست نصا فيما ادعوه ولو كانت نصا وجب تأويله * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم و يثبت مخففا من أثبت و باقى السـبعة مثقلا من ثبت وأما قوله أم الـكتاب فقال ابن عباس أم الـكتاب الذكر وقال أيضا هو وكعب هو علم ما هو خالق وما خلقه عاملون * وقالت فرقة الحلال والحرام وهو قول الحسن * وقال الزمخشرى أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لأن كل كائن مكتوب فيـه انتهى وما جرى مجرى الاصل للشئ تسميه العرب أما كقولهم أم الرأس للدماغ وأم القرى مكة * وقال ابن عطيـة وأصوب ما يفسر به أم الـكتاب انه ديوان الامور المحدثة التى قد سبق فى القضاء أن تبدل وتمحى أو تثبت * وقال نحوه قتادة ان جواب الشرط الاول محذوف وكلام ابن عطية فى ما ونون التوكيد * وقال الزمخشرى واما نرينك وكيفما دارت الحال أريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم أو نتوفينك قبـل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة وعلينا لا عليك حسابهـم وجزاؤهم على أعمالهم فلا يهمنك اعراضهـم ولا تستعجل بعذابهـم انتهى * وقال الحوفى وغيـره فانما عليك البلاغ جواب الشرط والذى تقدم شرطان لأن المعطوف على الشرط شرط فاما كونه جوابا للشرط الأول فليس بظاهر لأنه لا يترتب عليه إذ يصير المعنى و إما نرينك بعض ما نعدهم من العذاب فانما عليك البلاغ وأما كونه جوابا للشرط الثانى هو أو نتوفينك فـكذلك لأنه يصير التقدير ان ما نتوفينك فانما عليك البلاغ ولا يترتب وجوب التبليغ عليه على وفاته عليه السلام لأن التـكليف ينقطع بعد الوفاة فيحتاج الى تأويل وهو أن يتقدر لـكل شرط منهما ما يناسب أن يكون جزاء مترتبا عليه وذلك أن يكون التقدير والله أعلم وان ما نرينك بعض الذى نعدهم به من العـذاب فذلك شافيك من أعدائك ودليل على صدقك اذا أخبرت بما يحل بهم ولم يعين زمان حلوله بهم فاحتمل أن يقع ذلك فى حياتك واحتمل أن يقع بهم بعد وفاتك أو نتوفينك أى أو ان نتوفينك قبل حلوله بهـم فلا لوم عليك ولا عتب إذ قد حل بهم بعض ما وعد الله به على لسانك من عذابهـم فانما عليك البلاغ لا حلول العذاب بهم إذ ذاك راجع الىّ وعلينا جزاؤهم فى تـكذيبهم إياك وكفرهم بما جئت به ﴿أولم يروا انا نأتى الارض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحـكمه وهو سريع الحساب * وقد مكر الذين من قبلهم فلله المـكر جميعا يعلم ما تـكسب كل نفس وسيعلم الـكفار لمن عقبى الدار * و يقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا

(الدر)

(ح) قال الحوفى وغيره فانما عليك البلاغ جواب الشرط والذى تقـدم شرطان لان المعطوف على الشرط شرط فاما كونه جوابا للشرط الاول فليس بظاهر لانه لا يترتب عليه اذ يصير المعـنى وأما نرينك بعض ما نعدهم من العذاب فانما عليك البلاغ وأما كونه جوابا للشرط الثانى وهو أو نتوفينك فـكذلك لانه يصير المعنى التقـدير ان ما نتوفينك فانما عليك البلاغ ولا يترتب وجوب التبليغ عليه على وفاته عليه السلام لان التـكليف ينقطع بعد الوفاة فيحتاج الى تأويل وهو أن يتقدر لـكل شرط منهما ما يناسب أن يكون جزاء مترتبا عليه وذلك أن يكون التقدير والله أعلم واما نرينك بعض الذى نعدهم به من العذاب فذلك شافيك من أعدائك ودليل على صدقك اذ أخبرت بما يحل بهم ولم يعين زمان حلوله بهم واحتمل أن يقع ذلك فى حياتك واحتمل أن يقع بهم بعـد وفاتك أو نتوفينك أى أو ان نتوفينك قبل حلوله بهم فلا لوم عليك ولا عتب اذ قد حل بهم بعض ما وعد الله به على لسانك من عذابهم فانما عليك البلاغ لا حلول العذاب بهم اذ ذاك راجع الى وعلينـا جزاؤهم فى تـكذيبهم اياك وكفرهم بما جئت به انتهى

بيني و بينكم ومن عنده علم الكتاب * الضمير في أولم يروا عائد على الذين وعدوا وفي ذلك اتعاظ لمن اتعظ نبهوا على أن ينظروا بعض الارض من أطرافها ونأتي يعني بالأمر والقدرة كقوله فأتى الله بنيانهم والارض أرض الكفار المذكورين ويعني بنقصها من أطرافها للمسلمين من جوانبها كان المسلمون يغزون من حوالى أرض الكفار مما يلي المدينة ويغلبون على جوانب أرض مكة والاطراف الجوانب * وقيل الطرف من كل شئ خياره ومنه قول علي بن أبي طالب العلوم أودية في أي واد أخذت منها خسرت فخذوا من كل شئ طرفا يعني خيارا قاله ابن عطية والذي يظهر ان معنى طرفا جانبا و بعضا كأنه أشار الى أن الانسان يكون مشاركا في أطراف من العلوم لأنه لا يمكنه استيعاب جميعها ولم يشر الى أنه يستغرق زمانه في علم واحد * وقال ابن عباس والضحاك نأتي أرض هؤلاء بالفتح عليك فننقصها بما يدخل في دينك من القبائل والبلاد المجاورة لهم فما يؤمنهم أن يمكنك منهم وهذا التفسير لا يتأتى الا أن قدر نزول هذه الآية بالمدينة * وقيل الارض اسم جنس والانتقاص من الاطراف بتخريب العمران الذي يحله الله بالكفرة و روى هذا عن ابن عباس أيضا ومجاهد وعنهما أيضا الانتقاص هو بموت البشر وهلاك الثمرات ونقص البركة وعن ابن عباس أيضا موت أشرافها وكبرائها وذهاب الصلحاء والأخيار فلي هذا الاطراف هنا الاشراف * وقال ابن الاعرابي الطرف والطرف الرجل الكريم * وعن عطاء بن أبي رباح ذهاب فقهائها وخيار أهلها * وعن مجاهد موت الفقهاء والعلماء * وقال عكرمة والشعبي هو نقص الانفس * وقيل هلاك من أهلك من الامم قبل قريش وهلاك أرضهم بعدهم والمناسب من هذه الاقوال هو الاول ولم يذكر الزمخشري الا ما هو قريب منه قال نأتي الأرض أرض الكفر ننقصها من أطرافها بما يفتح على المسلمين من بلادهم فينقص دار الحرب ويزيد في دار الاسلام وذلك من آيات الغلبة والنصرة ونحوه أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون سنريهم آياتنا في الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر و يتجه قول من قال النقص بموت الاشراف والعلماء والخيار وتقريره أولم يروا أنا نحدث في الدنيا من الاختلافات خرابا بعد عمارة وموتا بعد حياة وذلا بعد عز ونقصا بعد كمال وهذه تغييرات مدركة بالحس فما الذي يؤمنهم أن يقلب الله الامر عليهم و يصيرون ذليلين بعد ان كانوا قاهرين * وقرأ الضحاك ننقصها مثقلا من نقص عداه بالتضعيف من نقص اللازم والمعقب الذي يكر على الشئ فيبطله وحقيقته الذي يعقبه أي بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب * قال لبيد

* طلب المعقب حقه المظلوم * والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس * وقيل تتعقب أحكامه أي ينظر في أعقابها أمصيبة هي أم لا والجملة من قوله لا معقب لحكمه في موضع الحال أي نافذا حكمه وهو سريع الحساب تقدم الكلام على مثل هذه الجملة ثم أخبر تعالى ان الأمم السابقة كان يصدر منهم المكر بأنبيائهم كما فعلت قريش وان ذلك عادة المكذبين للرسل مكر بابراهيم نمروذ وبموسى فرعون و بعيسى اليهود وجعل تعالى مكرهم كلا مكر اذ أضاف المكر كله له تعالى ومعنى مكره تعالى عقوبته إياهم سماها مكرا اذ كانت ناشئة عن المكر وذلك على سبيل المقابلة كقوله الله يستهزئ بهم ثم فسر قوله فلله المكر بقوله يعلم

وذلك على سبيل المقابلة كقوله تعالى الله يستهزئ بهم ثم فسر قوله فلله المكر بقوله يعلم ما تكسب كل نفس والمعنى يجازي كل نفس بما كسبت ثم هدد الكافر بقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار اذ يأتيه العذاب من حيث هو في غفلة عنه فحينئذ يعلم لمن هي العاقبة المحمودة ولما قال الكفار لست مرسلا أي انما أنت مدع ما ليس لك أمره تعالى أن يكتفي بشهادة الله بينهم اذ قد ظهر على يديه من الأدلة على رسالته ما في بعضها كفاية لمن وفق ثم أردف شهادة الله بشهادة من عنده علم الكتاب وقرأ ورش ومن عنده بمن الجارة ذكره الاهوازي في الموجز والكتاب هنا القرآن والمعنى أن من عرف ما ألف فيه من المعاني الصحيحة والنظم المعجز الفائت لقدر البشر يشهد بذلك

ما تكسب كل نفس والمعنى يجازي كل نفس بما كسبت ثم هدد الكافر بقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار اذ يأتيه العذاب من حيث هو في غفلة عنه فحينئذ يعلم لمن هي العاقبة المحمودة * وقرأ جناح بن حبيش وسيعلم الكافر مبنيا للمفعول من أعلم أي وسيخبر * وقرأ الحرميان وأبو عمرو الكافر على الافراد والمراد به الجنس وباقي السبعة الكفار جمع تكسير وابن مسعود الكافرون جمع سلامة وأبي الذين كفروا وفسر عطاء الكافر بالمستهزئين وهم خمسة والمقتسمين وهم ثمانية وعشرون * وقال ابن عباس يريد بالكافر أبا جهل وينبغي أن يحمل تفسيره وتفسير عطاء على التمثيل لان الاخبار بعلم الكافر لمن عقبى الدار معنى يعم جميع الكفار ولما قال الكفار لست مرسلا أي انما أنت مدع ما ليس لك أمره تعالى أن يكتفي بشهادة الله تعالى بينهم اذ قد أظهر على يديه من الادلة على رسالته ما في بعضها كفاية لمن وفق ثم أردف شهادة الله بشهادة من عنده علم الكتاب والكتاب هنا القرآن والمعنى ان من عرف ما ألف فيه من المعاني الصحيحة والنظم المعجز الفائت لقدر البشر يشهد بذلك * وقيل الكتاب التوراة والانجيل والذي عنده علم الكتاب من أسلم من علمائهم لانهم يشهدون نعته عليه الصلاة والسلام في كتبهم * قال قتادة كعبد الله بن سلام وتميم الداري وسلمان الفارسي * وقال مجاهد يريد عبد الله بن سلام خاصة وهذان القولان لا يستقيمان الا على أن تكون الآية مدنية والجمهور على انها مكية وقال محمد بن الحنفية والباقر هو علي بن أبي طالب * وقيل جبريل والكتاب اللوح المحفوظ * وقيل هو الله تعالى قاله الحسن وابن جبير والزجاج * وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيني وبينكم * قال ابن عطية ويعترض هذا القول بأن فيه عطف الصفة على الموصوف وذلك لا يجوز وانما تعطف الصفات بعضها على بعض انتهى وليس ذلك كما زعم من عطف الصفة على الموصوف لان من لا يوصف بها ولا بشئ من الموصولات الا بالذي والتي وفروعهما وذو وذوات الطائيتين وقوله وانما تعطف الصفات بعضها على بعض ليس على اطلاقه بل له شرط وهو ان تختلف مدلولاتها ويعني ابن عطية لا تقول مررت بزيد والعالم فتعطف والعالم على الاسم وهو علم لم يلحظ منه معنى صفة وكذلك الله علم ولما شعر بهذا الاعتراض من جعله معطوفا على الله قدر قوله بالذي يستحق العبادة حتى يكون من عطف الصفات بعضها على بعض لا من عطف الصفة

(الدر) (ح) ومن عنده علم الكتاب والكتاب اللوح المحفوظ وقيل هو الله تعالى قاله الحسن وابن جبير والزجاج وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيني وبينكم (ع) ويعترض هذا القول بان فيه عطف الصفة على الموصوف وذلك لا يجوز وانما تعطف الصفات بعضها على بعض انتهى (ح) ليس ذلك كما زعم من عطف الصفة على الموصوف لان من لا يوصف بها ولا بشئ من الموصولات الا بالذى والتى وفروعهما وذو وذات الطائيتين وقوله وانما تعطف الصفات بعضها على بعض ليس على اطلاقه بل له شرط وهو أن تختلف مدلولاتها ويعنى (ع) لا تقول مررت بزيد والعالم فتعطف العالم على الاسم وهو علم لا تلحظ فيه معنى صفة وكذلك الله علم ولما شعر بهذا الاعتراض من جعله معطوفا على الله قدر قوله بالله بالذى يستحق العبادة حتى يكون من عطف الصفات بعضها على بعض لا من عطف الصفة على الاسم (ش) يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة أوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذى في الدار أخوه فأخوه فاعل كما تقول بالذى استقر في الدار أخوه فأخوه فاعل كما تقول بالذى استقر في الدار أخوه انتهى (ح) هذا الذى قاله (ش) ليس على وجه التحتم لان الظرف والجار والمجرور اذا وقعا صلتين أو صفتين أو حالين أو خبرين اما في الاصل واما في الناسخ أو تقدمهما أداة نفي أو استفهام جاز فيما

بعدهما من الاسم الظاهر أن يرتفع على الفاعل وهو الاجود وجاز أن يكون ذلك المرفوع مبتدأ والظرف أو الجار والمجرور في موضع خبره والجملة من المبتدأ والخبر صلة أو صفة أو حال أو خبر وهذا مبني على اسم الفاعل فكما جاز ذلك في اسم الفاعل وان كان الاحسن اعماله في الظاهر فكذلك يجوز في ما ناب عنه من ظرف أو مجرور وقد نص سيبويه على اجازة ذلك في نحو مررت برجل حسن وجهه فأجاز حسن وجهه على رفع حسن على انه خبر مقدم وهكذا تلقفنا هذه المسئلة عن الشيوخ وقد يتوهم بعض النشأة في النحو ان اسم الفاعل اذا اعتمد على شئ مما ذكرناه يتحتم اعماله في الظاهر وليس كذلك وقد أعرب الحوفي عنده علم الكتاب مبتدأ وخبرا في صلة من وقال أبو البقاء ويجوز أن يكون خبرا يعني عنده والمبتدأ علم الكتاب انتهى

واضح جدا لانه ذكر فيها ولو أن قرآنا ثم قال وكذلك أنزلناه حكما عربيا ومن عنده علم الكتاب فناسب هذا قوله الر كتاب أنزلناه اليك وأيضا فانهم لما قالوا على سبيل الاقتراح لولا أنزل عليه آية من ربه وقيل له ان الله يضل من يشاء ويهدى اليه من أناب أنزل الر كتاب أنزلناه اليك كأنه قيل أولم يكفهم من الآيات كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات وهى الضلال الى النور وهو الهدى كتاب خبر مبتدإ محذوف تقديره هذا كتاب أنزلناه جملة فى موضع الصفة لتخرج متعلق بانزلناه وهى لام العلة من الظلمات متعلق بتخرج الى النور متعلق بتخرج أيضا ﴿الى صراط العزيز الحميد﴾ بدل من قوله الى النور وأعيد معه حرف الجر وهو الى كما تقول مررت بزيد بأخيك وقرئ الله بالجر على البدل أو عطف بيان وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ أو خبر مبتدإ أى هو الله وويل مبتدأ خبره للكافرين

على الاسم ومن فى قراءة الجمهور فى موضع خفض عطفا على لفظ الله أو فى موضع رفع عطفا على موضع الله اذ هو فى مذهب من جعل الباء زائدة فاعل بكفى * وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون فى موضع رفع بالابتداء والخبر محذوف تقديره أعدل وأمضى قولا ونحو هذا مما يدل عليه لفظة شهيدا ويراد بذلك الله تعالى * وقرئ وبمن بدخول الباء على من عطفا على بالله * وقرأ على وأبى وابن عباس وعكرمة وابن جبير وعبد الرحمن بن أبى بكرة والضحاك وسالم بن عبد الله بن عمرو بن أبى اسحق ومجاهد والحكم والأعمش ومن عنده علم الكتاب بجعل من حرف جر وجر ما بعده به وارتفاع علم بالابتداء والجار والمجرور فى موضع الجر * وقرأ على أيضا وابن السميقع والحسن بخلاف عنه ومن عنده بجعل من حرف جر علم الكتاب بجعل علم فعلا مبنيا للمفعول والكتاب رفع به وقرئ ومن عنده بحرف جر علم الكتاب مشددا مبنيا للمفعول والضمير فى عنده فى هذه القراآت الثلاث عائد على الله تعالى * وقال الزمخشرى فى القراءة التى وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر فى الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة أوغل فى شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل على الفعل كقولك مررت بالذى فى الدار أخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذى استقر فى الدار اخوه انتهى وهذا الذى قاله الزمخشرى ليس على وجه التحتم لان الظرف والجار والمجرور اذا وقعا صلتين أو حالين أو خبرين اما فى الاصل واما فى الناسخ أو تقدمهما أداة نفى أو استفهام جاز فيما بعدهما من الاسم الظاهر أن يرتفع على الفاعل وهو الاجود وجاز أن يكون ذلك المرفوع مبتدأ والظرف أو الجار والمجرور فى موضع رفع خبره والجملة من المبتدإ والخبر صلة أو صفة أو حال أو خبر وهذا مبنى على اسم الفاعل فكما جاز ذلك فى اسم الفاعل وان كان الاحسن اعماله فى الاسم الظاهر فكذلك يجوز فى ما ناب عنه من ظرف أو مجرور وقد نص سيبويه على اجازة ذلك فى نحو مررت برجل حسن وجهه فأجاز حسن وجهه على رفع حسن على انه خبر مقدم وهكذا تلقفنا هذه المسألة عن الشيوخ وقد يتوهم بعض النشأة فى النحو أن اسم الفاعل اذا اعتمد على شئ مما ذكرناه يتحتم اعماله فى الظاهر وليس كذلك وقد أعرب الحوفى عنده علم الكتاب مبتدأ وخبرا فى صلة من * وقال أبو البقاء ويجوز أن يكون خبرا يعنى عنده والمبتدأ علم الكتاب انتهى ومن قرأ ومن عنده على أنه حرف جر فالكتاب فى قراءته هو القرآن والمعنى أنه تعالى من جهة فضله واحسانه علم الكتاب أو علم الكتاب على القراءتين أى علمت معانيه وكونه أعظم المعجزات الباقى على مر الاعصار فتشريف العبد بعلوم القرآن انما ذلك من احسان الله تعالى اليه وتوفيقه على كونه معجزا وتوفيقه لادراك ذلك

﴿سورة ابراهيم عليه السلام﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وويل للكافرين من عذاب شديد * الذين يستحبون

ومن عذاب فى موضع الصفة لويل ولا يضر الفصل بالخبر بين الصفة والموصوف ولا يجوز أن يكون متعلقا بويل لانه مصدر ولا يجوز الفصل بين المصدر وما يتعلق به بالخبر ويظهر من كلام الزمخشرى أنه ليس فى موضع الصفة قال * فان قلت ما وجه اتصال قوله

من عذاب شديد بالويل قلت لان المعنى أنهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون ياويلاه لقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا انتهى فظاهره يدل على تقدير عامل يتعلق به من عذاب شديد ويحتمل هذا العذاب أن يكون واقعا بهم في الدنيا أو واقعا بهم في الآخرة والاستحباب الايثار والاختيار

وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشئ على غيره كأنه يطلب من نفسه أن يكون أحب اليها وأفضل عندها من الآخر ويجوز أن يكون استفعل بمعنى افعل كاستجاب وأجاب والمضمن معنى الايثار عدى بعلى وجوزوا في اعراب الذين أن يكون مبتدأ خبره أولئك في ضلال بعيد وأن يكون مقطوعا على الذم إما خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين واما منصوبا باضمار فعل تقديره أذم وأن يكون صفة للكافرين ونص على هذا الوجه الأخير الحوفي والزمخشري وأبو البقاء وهو لا يجوز لان فيه الفصل بين الصفة والموصوف بأجنبي منهما وهو قوله من عذاب شديد سواء أكان من عذاب شديد في موضع الصفة لويل أم متعلقا بفعل محذوف أي يضجون ويولولون من عذاب شديد وتقدم الكلام على ويبغونها عوجا في آل عمران وعلى وصف الضلال بالبعد

الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أولئك في ضلال بعيد﴾ هذه السورة مكية كلها في قول الجمهور وعن ابن عباس وقتادة هي مكية الا من قوله ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الآية الى قوله الى النار وارتباط أول هذه السورة بالسورة قبلها واضح جدا لانه ذكر فيها ولو أن قرآنا ثم وكذلك أنزلناه حكما عربيا ثم ومن عنده علم الكتاب فناسب هذا قوله الر كتاب أنزلناه اليك وأيضا فانهم لما قالوا على سبيل الاقتراح لولا أنزل عليه آية من ربه * وقيل له قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من أناب أنزل الر كتاب أنزلناه اليك كأنه قيل أولم يكفهم من الآيات كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات هي الضلال الى النور وهو الهدى وجوزوا في اعراب الر أن يكون في موضع رفع بالابتداء وكتاب الخبر أو في موضع رفع على خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الر وفي موضع نصب على تقدير الزم أو اقرأ الر وكتاب أنزلناه اليك جملة مفسرة في هذين الاعرابين وكتاب مبتدأ وسوغ الابتداء به كونه موصوفا في التقدير أي كتاب أي عظيم أنزلناه اليك وجوزوا أن يكون كتاب خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا كتاب وأنزلناه جملة في موضع الصفة وفي قوله أنزلناه واسناد الانزال الى نون العظمة ومخاطبته تعالى بقوله اليك واسناد الاخراج اليه عليه الصلاة والسلام تنويه عظيم وتشريف له صلى الله عليه وسلم من حيث المشاركة في تحصيل الهداية بانزاله تعالى وباخراجه عليه الصلاة والسلام اذ هو الداعي والمنذر وان كان في الحقيقة مخترع الهداية هو الله تعالى والناس عام اذ هو مبعوث الى الخلق كلهم والظلمات والنور مستعاران للكفر والايمان ولما ذكر علة انزال الكتاب وهي قوله لتخرج قال باذن ربهم أي ذلك الاخراج بتسهيل مالكهم الناظر في مصالحهم اذهم عبيده فناسب ذكر الرب هنا تنبيها على منة المالك وكونه ناظرا في حال عبيده وباذن ظاهره التعلق بقوله لتخرج وجوز أبو البقاء أن يكون باذن ربهم في موضع الحال قال أي مأذونا لك * وقال الزمخشري باذن ربهم بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق انتهى وفيه دسيسة الاعتزال والظاهر أن قوله الى صراط بدل من قوله الى النور ولا يضر هذا الفصل بين المبدل منه والبدل لان باذن معمول للعامل في المبدل منه وهو لتخرج وأجاز الزمخشري أن يكون الى صراط على وجه الاستئناف كأنه قيل الى أي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وقرئ ليخرج مضارع خرج بالياء بنقطتين من تحتها والناس رفع به ولما كان قوله الى النور فيه ابهام ما أوضحه بقوله الى صراط ولما تقدم شيآن أحدهما اسناد انزال هذا الكتاب اليه والثاني اخراج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم ناسب ذكر هاتين الصفتين صفة العزة المتضمنة للقدرة والغلبة وذلك من حيث انزال الكتاب وصفة الحمد المتضمنة استحقاقه الحمد من حيث الاخراج من الظلمات الى النور اذ الهداية الى الايمان هي النعمة التي يجب على العبد الحمد عليها والشكر وتقدمت صفة العزيز لتقدم ما دل عليها وتليها صفة الحميد لتلو ما دل عليها * وقرأ نافع

(الدر)

سورة ابراهيم عليه السلام

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (ح) قرأ نافع وابن عامر الله بالرفع فقيل مبتدأ خبره الذي وقيل خبر مبتدأ محذوف أي هو الله وهذا الاعراب أمكن لظهور تعلقه بما قبله وتفلته على التقدير الأول وقرأ باقي السبعة والاصمعي عن نافع الله بالجر على البدل في قول (ع) والحوفي وأبي البقاء وعلى عطف البيان في قول (ش) قال لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي يحق له

وابن عامر الله بالرفع فقيل مبتدأ محذوف أي هو الله وهذا الاعراب أمكن لظهور تعلقه بما قبله وتفلته على التقدير الاول * وقرأ باقي السبعة والاصمعي عن نافع الله بالجر على البدل في قول ابن عطية والحوفي وأبي البقاء وعلى عطف البيان في قول الزمخشري قال لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي يحق له العبادة كما غلب النجم على الثريا انتهى وهذا التعليل لايتم الاعلى تقدير أن يكون أصله الاله ثم نقلت الحركة الى لام التعريف وحذفت الهمزة والتزم فيه النقل والحذف ومادته اذ ذاك الهمزة واللام والهاء وقد تقدمت الاقوال في هذا اللفظ في البسملة أول الحمد * وقال الاستاذ أبو الحسن بن عصفور لاتقدم صفة على موصوف الاحيث سمع وذلك قليل وللعرب فيما وجد من ذلك وجهان أحدهما ان تقدم الصفة وتبقيتها على ما كانت عليه وفي اعراب مثل هذا وجهان أحدهما اعرابه نعتا مقدما والثاني أن يجعل ما بعد الصفة بدلا والوجه الثاني أن تضيف الصفة الى الموصوف اذا قدمتها انتهى فعلى هذا الذي ذكره ابن عصفور يجوز أن يكون العزيز الحميد يعرب بان صفتين متقدمتين ويعرب لفظ الله موصوفا متأخرا ومما جاء فيه تقديم مالو تأخير لكان صفة وتأخير مالو تقدم لكان موصوفا قول الشاعر

والمؤمن العائذات الطير يمسحها * ركبان مكة بين الغيل والسعد

فلو جاء على الكثير لكان التركيب والمؤمن الطير العائذات وارتفع ويل على الابتداء وللكافرين خبره لما تقدم ذكر الظلمات دعا بالهلكة على من لم يخرج منها ومن عذاب شديد في موضع الصفة لويل ولا يضر الفصل بالخبر بين الصفة والموصوف ولا يجوز أن يكون متعلقا بويل لانه مصدر ولا يجوز الفصل بين المصدر وما يتعلق به بالخبر ويظهر من كلام الزمخشري أنه ليس في موضع الصفة قال (فان قلت) ما وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل (قلت) لان المعنى أنهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون ياويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا انتهى وظاهره يدل على تقدير عامل يتعلق به من عذاب شديد ويحتمل هذا العذاب أن يكون واقعا بهم في الدنيا أو واقعا بهم في الآخرة والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشئ على غيره كأنه يطلب من نفسه يكون أحب اليها وأفضل عندها من الآخر ويجوز أن يكون استفعل بمعنى أفعل كاستجاب وأجاب ولما ضمن معنى الايثار عدي بعلى وجوزوا في اعراب الذين أن يكون مبتدأ خبره أولئك في ضلال بعيد وأن يكون معطوفا على الذم إما خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين وإما منصوبا باضمار فعل تقديره أذم وأن يكون بدلا وأن يكون صفة للكافرين ونص على هذا الوجه الاخير الحوفي والزمخشري وأبو البقاء وهو لا يجوز لان فيه الفصل بين الصفة والموصوف بأجنبي منهما وهو قوله من عذاب شديد سواء كان من عذاب شديد في موضع الصفة لويل أم متعلقا بفعل محذوف أي يضجون ويولولون من عذاب شديد ونظيره اذا كان صفة أن تقول الدار لزيد الحسنة القرشي فهذا التركيب لا يجوز لانك فصلت بين زيد وصفته بأجنبي منهما وهو صفة الدار والتركيب الفصيح أن تقول الدار الحسنة لزيد القرشي أو الدار لزيد القرشي الحسنة * وقرأ الحسن ويصدون مضارع أصد الداخل عليه همزة النقل من صد اللازم صدودا وتقدم الكلام على قوله تعالى ويبغونها عوجا في آل عمران وعلى وصف الضلال بالبعد قوله عز وجل ﴿وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم﴾ *

﴿وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه﴾ الآية سبب نزولها (٤٠٤) ان قريشا قالوا ما بال الكتب كلها أعجمية وهذا عربي فنزلت والظاهر أن قوله وما أرسلنا من رسول العموم فيندرج

(الدر)

العبادة كما غلب النجم على الثريا انتهى وهذا التعليل لايتم الا على تقدير أن يكون أصله الاله ثم نقلت الحركة الى لام التعريف وحذفت الهمزة والتزم فيه النقل والحذف ومادته اذ ذاك الهمزة واللام والهاء وقد تقدمت الاقوال في هذا اللفظ في البسملة في أول الحمد وقال الاستاذ أبو الحسن بن عصفور لا تقدم صفة على موصوف الا حيث سمع وذلك قليل وللعرب فيما وجد من ذلك وجهان أحدهما أن تقدم الصفة وتبقيتها على ما كانت عليه وفي اعراب مثل هذا وجهان أحدهما اعرابه نعتا مقدما والثاني أن تجعل ما بعد الصفة بدلا والوجه الثاني أن تضيف الصفة الى الموصوف اذا قدمتها انتهى فعلى ما ذكره ابن عصفور يجوز أن يكون العزيز الحميد يعرب بان صفتين متقدمتين ويعرب لفظ الله موصوفا متأخرا ومما جاء فيه تقديمه مالو تأخر لكان صفة وتأخيرما لو تقدم لكان موصوفا قول الشاعر

والمؤمن العائذات الطير يمسحها * ركبان مكة بين الغيل والسعد فلو جاء على الكثير لكان التركيب والمؤمن الطير العائذات

ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور * سبب نزولها ان قريشا قالوا ما بال الكتب كلها أعجمية وهذا عربى فنزلت وساق قصة موسى انه تعالى أرسله الى قومه بلسانه أن أخرج قومك من الظلمات الى النور كما أرسلك لتخرج الناس من الظلمات الى النور والظاهر ان قوله وما أرسلنا من رسول العموم فيندرج فيه الرسول عليه الصلاة والسلام فان كانت الدعوة عامة للناس كلهم أو اندرج فى اتباع ذلك الرسول من ليس من قومه كان من لم تكن لغته لغة ذلك النبى موقوفا على تعلم تلك اللغة حتى يفهمها او يرجع فى تفسيرها الى من يعلمها * وقيل فى الكلام حذف تقديره وما أرسلنا من رسول قبلك الا بلسان قومه وأنت أرسلناك للناس كافة بلسان قومك وقومك يترجمون لغيرهم بألسنتهم ومعنى بلسان قومه بلغة قومه * وقرأ أبو السمال وأبو الجوزاء وأبو عمران الجونى بلسن باسكان السين قالوا هو كالريش والرياش * وقال صاحب اللوامح واللسن خاص باللغة واللسان قد يقع على العضو وعلى الكلام * وقال ابن عطية مثل ذلك قال اللسان فى هذه الآية يراد به اللغة ويقال لسن ولسان فى اللغة فأما العضو فلا يقال فيه لسن * وقرأ أبو رجاء وأبو المتوكل والجحدرى لسن بضم اللام والسين وهو جمع لسان كعماد وعمد وقرىء أيضا بضم اللام وسكون السين مخفف كرسل ورسل والضمير فى قومه عائد على رسول أى قوم ذلك الرسول * وقال الضحاك والضمير فى قومه عائد على محمد صلى الله عليه وسلم قال والكتب كلها نزلت بالعربية ثم أداها كل نبى بلغة قومه * قال الزمخشرى وليس بصحيح لأن قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤدى الى أن الله أنزل التوراة من السماء بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد انتهى * وقال الكلبى جميع الكتب تأدت الى جبريل بالعربية وأمره تعالى أن يأتى رسول كل قوم بلغتهم * وأورد الزمخشرى هنا سؤالا وابن عطية آخرهما فى كتابيهما ويقول قامت الحجة على البشر باذعان الفصحاء الذين يظن بهم القدرة على المعارضة واقرارهم بالعجز كما قامت باذعان السحرة لموسى والاطباء لعيسى عليهما السلام وبين تعالى العلة فى كون من أرسل من الرسل بلغة قومه وهى التبيين لهم ثم ذكر انه تعالى يضل من يشاء اضلاله ويهدى من يشاء هدايته فليس على ذلك الرسول غير التبليغ والتبيين ولم يكلف أن يهدى بل ذلك بيد الله على ما سبق به قضاؤه وهو العزيز الذى لا يغالب الحكيم الواضع الاشياء على ما اقتضته حكمته وارادته * وقال الزمخشرى والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف وكان ذلك كناية عن الكفر والايمان وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته الحكيم فلا يخذل الا أهل الخذلان ولا يلطف الا بأهل اللطف انتهى وهو على طريقة الاعتزال والجمهور على تفسير قوله بآياتنا بها تسع الآيات التى أجراها الله على يد موسى عليه السلام * وقيل يجوز أن يراد بها آيات التوراة والتقدير كما أرسلناك يا محمد بالقرآن بلسان عربى وهو آياتنا كذلك أرسلنا موسى بالتوراة بلسان قومه وان أخرج يحتمل ان أن تكون تفسيرية وان تكون مصدرية ويضعف زعم من زعم انها زائدة وفى قوله قومك خصوص لرسالته الى قومه بخلاف لتخرج الناس والظاهر أن قومه هم بنو اسرائيل * وقيل القبط فان كانوا القبط فالظلمات هنا الكفر والنور الايمان وان كانوا بنى اسرائيل وقلنا انهم كلهم كانوا مؤمنين فالظلمات ذل العبودية والنور العزة بالدين وظهور أمر الله وان كانوا أشياعا متفرقين فى الدين قوم مع القبط فى عبادة فرعون وقوم على غير شىء فالظلمات الكفر والنور الايمان * قيل وكان موسى مبعوثا الى القبط

فيه الرسول عليه السلام فان كانت الدعوة عامة للناس كلهم أو اندرج فى اتباع ذلك الرسول من ليس من قومه كان من لم تكن لغته لغة ذلك الرسول موقوفا على تعلم تلك اللغة حتى يفهمها أو يرجع فى تفسيرها الى من يعلمها ﴿وان أخرج﴾ يحتمل أن تكون أن مفسرة بمعنى أى وأن تكون مصدرية وفى قوله قومك خصوص لرسالته الى قومه بخلاف قوله لتخرج الناس والظاهر أن قومه هم بنو اسرائيل ﴿وذكرهم﴾ معطوف على قوله أخرج قومك والاشارة بقوله ان فى ذلك الى التذكير بأيام الله وصبار وشكور صفتا مبالغة وهما مشعرتان بأن أيام الله المراد بها بلاؤه ونعماؤه أى صبار على بلائه شكور لنعمائه

﴿وإذ قال موسى لقومه﴾ الآية لما تقدم أمره تعالى لموسى عليه السلام بالتذكير بأيام الله ذكرهم بما أنعم عليهم من نجاتهم من آل فرعون وفي ضمنها تعداد شيء مما جرى عليهم من نقمات الله وتقدم اعراب إذ في نحو هذا التركيب في قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء وتقدم تفسير نظير هذه الآية الا أن هنا (٤٠٦) ويذبحون بالواو وفي البقرة بغير واو وفي الاعراف يقتلون فحيث لم يؤت بالواو جعل الفعل تفسيرا لقوله يسومونكم وحيث أتى بها دل على المغايرة وأن سوء العذاب كان بالتذبيح وبغيره وحيث جاء يقتلون جاء باللفظ المطلق المحتمل للتذبيح ولغيره من أنواع القتل وتقدم شرح تأذن وتلقيه بالقسم في قوله في الاعراف وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم واحتمل إذ أن يكون منصوبا باذكروا وأن يكون معطوفا على اذ أنجاكم لان هذا الاعلام بالمزيد على الشكر من نعمه تعالى والظاهر أن متعلق الشكر هو الانعام أي لئن شكرتم انعامي لأزيدنكم ولئن كفرتم أي نعمتي فلم تشكروها رتب العذاب الشديد على كفر نعمه تعالى ولم يبين محل الزيادة فاحتمل أن يكون في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما وجاء التركيب على ما عهد في القرآن من أنه اذا ذكر الخير أسند اليه تعالى واذا ذكر العذاب بعده عدل عن نسبته اليه فقال لأزيدنكم ونسب الزيادة اليه تعالى وقال ان عذابي لشديد ولم يأت التركيب لأعذبنكم وصرح في لأزيدنكم بالمفعول وهنا لم يذكر وان كان المعنى عليه أي ان عذابي لكم لشديد وجواب ان تكفروا محذوف لدلالة المعنى عليه التقدير فانما ضرر كفركم لاحق بكم والله تعالى متصف بالغنى المطلق والحمد سواء كفروا أم شكروا وفي خطابه لهم تحقير لشأنهم وتعظيم لله تعالى وكذلك في ذكر هاتين الصفتين

وبني اسرائيل * وقيل الى القبط بالاعتراف بوحدانية الله وان لا يشرك به والايمان بموسى وانه نبي من عند الله والى بني اسرائيل بالتكليف وبفروع شريعته إذ كانوا مؤمنين ويحتمل وذكرهم أن يكون أمرا مستأنفا وان يكون معطوفا على ان أخرج فيكون في حيزان * وأيام الله قال ابن عباس ومجاهد وقتادة نعم الله عليهم ورواه أبي مرفوعا * ومنه قول الشاعر

وأيام لنا غرّ طوال * عصينا الملك فيها ان ندينا

* وعن ابن عباس أيضا ومقاتل وابن زيد وقائعه ونقماته في الأمم الماضية ويقال فلان عالم بأيام العرب أي وقائعها وحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم فضة وغيرها وروي نحوه عن مالك قال بلاؤه وقال الشاعر * وأيامنا مشهورة في عدونا * أي وقائعنا وعن ابن عباس أيضا نعماؤه وبلاؤه واختاره الطبري فنعماؤه بتظليله عليهم الغمام وانزال المنّ والسلوى وفلق البحر وبلاؤه باستعباد فرعون لهم وتذبيح أبنائهم واهلاك القرون قبلهم وفي حديث أبي في قصة موسى والخضر عليهما السلام بينما موسى عليه السلام في قومه يذكرهم بأيام الله وأيام الله بلاؤه ونعماؤه واختار الطبري هذا القول الآخر ولفظة الأيام تعم المعنيين لأن التذكير يقع بالوجهين جميعا وفي هذه اللفظة تعظيم الكوائن المذكر بها وعبر عنها بالظرف الذي وقعت فيه وكثيرا ما يقع الاسناد الى الظرف وفي الحقيقة الاسناد لغيرها كقوله بل مكر الليل والنهار ومن ذلك قولهم يوم عبوس ويوم عصيب ويوم بسام والحقيقة وصف ما وقع فيه من شدّة أو سرور والاشارة بقوله ان في ذلك الى التذكير بأيام الله وصبار شكور صفتا مبالغة وهما مشعرتان بأن أيام الله المراد بهما بلاؤه ونعماؤه أي صبار على بلائه شكور لنعمائه فاذا سمع بما أنزل الله من البلاء على الأمم أو بما أفاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر اذا أصابه بلاء ومن الشكر اذا أصابته نعماء وخص الصبار والشكور لأنهما هما اللذان ينتفعان بالتذكير والتنبيه ويتعظان به * وقيل أراد لكل مؤمن ناظر لنفسه لأن الصبر والشكر من سجايا أهل الايمان ﴿وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم * وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد * وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد﴾ لما تقدم أمره تعالى لموسى بالتذكير بأيام الله ذكرهم بما أنعم تعالى عليهم من نجاتهم من آل فرعون وفي ضمنها تعداد شيء مما جرى عليهم من نقمات الله وتقدم اعراب إذ في نحو هذا التركيب في قوله واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء وتفسير نظير هذه الآية الا أن هنا ويذبحون بالواو وفي البقرة بغير واو وفي الاعراف يقتلون فحيث لم يؤت بالواو وجعل الفعل تفسيرا لقوله يسومونكم وحيث أتى بها دل على المغايرة وان سوم سوء العذاب كان بالتذبيح وبغيره وحيث جاء يقتلون جاء باللفظ المطلق المحتمل للتذبيح

﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم﴾ الآية الظاهر أن هذا خطاب من موسى عليه لقومه وقيل ابتداء خطاب من الله لهذه الأمة وخبر قوم نوح وعاد وثمود قد قصه الله في كتابه وتقدم في الاعراف وهود والهمزة في ألم للتقرير والتوبيخ والظاهر أن والذين في موضع خفض عطفا على ماقبله اما على قوم نوح وعاد وثمود قال الزمخشري والجملة من قوله لايعلمهم الا الله اعتراض والمعنى أنهم في الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله انتهى وليست جملة اعتراض لان جملة الاعتراض تكون بين جزءين يطلب أحدهما الآخر وقال أبو البقاء تكون هذه الجملة حالا من الضمير في من بعدهم فان عنى من الضمير المجرور في من بعدهم فلا يجوز لأنه حال مما جر بالاضافة وليس له محل اعراب من رفع أو نصب وان عنى من الضمير المستقر في الجار والمجرور النائب عن العامل أمكن وقال أبو البقاء أيضا ويجوز أن يكون مستأنفا وكذلك جاءتهم وأجاز الزمخشري وتبعه أبو البقاء أن يكون والذين مبتدأ وخبره لا يعلمهم الا الله وقال الزمخشري والجملة من المبتدإ والخبر وقعت اعتراضا انتهى وليست باعتراض لأنها لم تقع بين جزءين يطلب أحدهما الآخر والضمير في جاءتهم عائد على الذين من قبلكم والجملة تفسيرية للنبأ والظاهر أن الايدي هي الجوارح وأن الضميرين في أيديهم وفي أفواههم عائدان على الذين جاءتهم الرسل وقالوا انا كفرنا بادروا أولا الى الكفر وهو التكذيب المحض ثم أخبروا أنهم في شك وهو التردد كأنهم نظروا بعض نظر اقتضى أن انتقلوا من التكذيب المحض الى التردد أو هما قولان من طائفتين طائفة بادرت بالتكذيب والكفر وطائفة شكت والشك في مثل ماجاءت به الرسل عليهم السلام كفر ومريب صفة توكيدية ودخلت همزة الاستفهام الذي معناه الانكار على الظرف على الجار الذي هو خبر على المبتدإ لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لايحتمل الشك لظهور الادلة وشهادتها عليه وقدر مضاف فقيل أفي الاهيته أو في وحدانيته ثم نبههم على الوصف الذي يقتضي أن لايقع فيه شك البتة وهو كونه منشئ العالم وموجده فقال ﴿فاطر السموات والارض﴾ وفاطر صفة لله ولايجوز الفصل بين الموصوف وصفته بمثل هذا المبتدإ فيجوز أن تقول في الدار زيد الحسنة وان كان أصل التركيب في الدار الحسنة زيد ولما ذكر تعالى أنه موجد العالم ونبه على الوصف الذي لايناسب أن يكون معه فيه شك ذكر ماهو عليه من اللطف بهم والاحسان اليهم فقال ﴿يدعوكم ليغفر لكم﴾ أي يدعوكم الى الايمان كما قال اذ تدعون الى الايمان أو يدعوكم لأجل

ولغيره من أنواع القتل * وقرأ ابن محيصن ويذبحون مضارع ذبح ثلاثيا * وقرأ زيد بن علي كذلك الا انه حذف الواو وتقدم شرح تأذن وتلقيه بالقسم في قوله في الاعراف وإذ تأذن ربك ليبعثن واحتمل إذ أن يكون منصوبا باذكروا وان يكون معطوفا على إذ أنجاكم لأن هذا الاعلام بالمزيد على الشكر من نعمه تعالى والظاهر أن متعلق الشكر هو الانعام أي لئن شكرتم انعامي وقاله الحسن والربيع * قال الحسن لأزيدنكم من طاعتي * وقال الربيع لأزيدنكم من فضلي * وقال ابن عباس أي لئن وحدتم وأطعتم لأزيدنكم في الثواب وكأنه راعى ظاهر المقابلة في قوله ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وظاهر الكفر المراد به الشرك فلذلك فسر الشكر بالتوحيد والطاعة وغيره قال ولئن كفرتم أي نعمتي فلم تشكروها ورتب العذاب الشديد على كفران نعمة الله تعالى ولم يبين محل الزيادة فاحتمل أن يكون في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما وجاء التركيب على ماعهد في القرآن من انه اذا ذكر الخير أسند اليه تعالى واذا ذكر العذاب بعده عدل عن نسبته اليه فقال لأزيدنكم فنسب الزيادة اليه وقال ان عذابي لشديد ولم يأت التركيب لأعذبنكم وخرج في لأزيدنكم بالمفعول وهنا لم يذكر وان كان المعنى عليه أي ان عذابي لكم لشديد * وقرأ عبد الله واذ قال ربكم كأنه فسر قوله تأذن لانه بمعنى أذن أي أعلم وأعلم يكون بالقول ثم نبه موسى عليه السلام قومه على ان الباري تعالى وان أوعد بالعذاب الشديد على الكفر فهو غير مفتقر الى شكركم لانه تعالى هو الغني عن شكركم الحميد المستوجب الحمد على ما أسبغ من نعمه وان لم يحمده الحامدون فثمرة شكركم انما هي عائدة اليكم وأنتم خطاب لقومه وقال ومن في الأرض يعني الناس كلهم لان من كان في العالم العلوي وهم الملائكة لايدخلون في من في الأرض وجواب ان تكفروا محذوف لدلالة المعنى التقدير فانما ضرر كفركم لاحق بكم والله تعالى متصف بالغنى المطلق والحمد سواء كفروا أم شكروا وفي خطابه لهم تحقير لشأنهم وتعظيم لله تعالى وكذلك في ذكر هاتين الصفتين ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لايعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب * قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم

من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى قالوا ان أنتم الابشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين ﴾ الظاهر أن هذا من خطاب موسى لقومه * وقيل ابتداء خطاب من الله لهذه الأمة وخبر قوم نوح وعاد وثمود قد قصه الله فى كتابه وتقدم فى الاعراف وهود والهمزة فى ألم للتقرير والتوبيخ والظاهر ان والذين فى موضع خفض عطفا على ماقبله اما على الذين واما على قوم نوح وعاد وثمود * قال الزمخشرى والجملة من قوله لايعلمهم الاالله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لايعلم عددهم الاالله انتهى وليست جملة اعتراض لان جملة الاعتراض تكون بين جزءين يطلب أحدهما الآخر * وقال أبو البقاء تكون هذه الجملة حالا من الضمير فى من بعدهم فان عنى من الضمير المجرور فى بعدهم فلا يجوز لانه حال مما جر بالاضافة وليس له محل اعراب من رفع أو نصب وان عنى من الضمير المستقر فى الجار والمجرور النائب عن العامل أمكن * وقال أبو البقاء أيضا ويجوز أن يكون مستأنفا وكذلك جاءتهم * وأجاز الزمخشرى وتبعه أبو البقاء أن يكون والذين مبتدأ وخبره لايعلمهم الاالله * وقال الزمخشرى والجملة من المبتدأ والخبر وقعت اعتراضا انتهى وليست باعتراض لانها لم تقع بين جزءين أحدهما يطلب الآخر والضمير فى جاءتهم عائد على الذين من قبلكم والجملة تفسيرية للنبأ والظاهر أن الأيدى هى الجوارح وان الضمير فى أيديهم وفى أفواههم عائد على الذين جاءتهم الرسل * وقال ابن مسعود وابن زيد أى جعلوا أى أيدى أنفسهم فى أفواه أنفسهم ليعضوها غيظا مما جاءت به الرسل * وقال ابن زيد عضوا عليكم الأنامل من الغيظ والعض بسبب مشهور من البشر وقال الشاعر

قد أفنى أنامله أزمة * وأضحى يعض على الوظيفا

﴿ وقال آخر ﴾

لوأن سلمى أبصرت تخددى * ودقة فى عظم ساقى ويدى

وبعد أهلى وجفاء عوّدى * عضت من الوجد باطراف اليد

* وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم الى أفواههم * وقال أبو صالح لما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انا رسول الله اليكم أشاروا بأصابعهم الى أفواههم أن اسكت تكذيبا له وردا لقوله واستبشاعا لما جاء به * وقيل ردّوا أيديهم فى أفواههم ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه * وقيل أشاروا بأيديهم الى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما أرسلتم به أى هذا جواب لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق * وقيل الضميران عائدان على الرسل قاله مقاتل قال أخذوا أيدى الرسل ووضعوها على أفواه الرسل ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم * وقال الحسن وغيره جعلوا أيدى أنفسهم فى أفواه الرسل ردّا لقولهم وهذا أشنع فى الرد وأذهب فى الاستطالة على الرسل والنيل منهم فعلى هذا الضمير فى أيديهم عائد على الكفار وفى أفواههم عائد على الرسل * وقيل المراد بالايدى هنا النعم جمع يد المراد بها النعمة أى ردوا نعم الأنبياء التى هى أجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما أوحى اليهم من الشرائع والآيات فى أفواه الانبياء لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها فى أفواههم ورجعوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل * وقيل الضمير فى أفواههم على هذا القول عائد على الكفار وفى بمعنى الباء أى بأفواههم والمعنى كذبوهم بأفواههم وفى بمعنى الباء يقال جلست فى البيت وبالبيت

﴿ ويؤخركم الى أجل مسمى ﴾ قبل الموت ولا يعاجلكم بالعذاب ومعنى مسمى أى قد سماه وبين مقداره ﴿ ان أنتم ﴾ أى ما أنتم ﴿ الابشر مثلنا ﴾ لافضل بيننا وبينكم ولافضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا والظاهر أن طلبهم السلطان المبين وقد أتتهم الرسل بالبينات انما هو على سبيل التعنت والاقتراح والا فما أتوا به من الدلائل والآيات كاف لمن استبصر ولكنهم قلدوا آباءهم فيما كانوا عليه من الضلال ألا ترى أنهم لما ذكروا أنهم مماثلوهم قالوا ﴿ تريدون أن تصدونا ﴾ عما كان يعبد آباؤنا أى ليس مقصودكم الأن نكون لكم تبعا ونترك ما نشأنا عليه من دين آبائنا

(الدر)

(ش) والجملة من قوله لا يعلمهم الاالله اعتراض والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لايعلم عددهم الاالله انتهى (ح) ليست جملة اعتراض لان جملة الاعتراض تكون بين جزءين يطلب أحدهما الآخر (ش) ويجوز أن يكون والذين مبتدأ وخبره لايعلمهم الاالله والجملة من المبتدا وقعت اعتراضا (ح) ليست باعتراض لانها لم تقع بين جزءين يطلب أحدهما الآخر

* وقال الفراء قدوجدنامن العرب من يجعل فى موضع الباء فتقول أدخلك الله الجنة وفى الجنة * وأنشد

وارغب فيها من لقيط ورهطه * ولكنني عن شنبس لست أرغب

يريد أرغب بها * وقال أبو عبيدة هذا ضرب مثل أى لم يؤمنوا ولم يجيبوا والعرب تقول للرجل اذا سكت عن الجواب وأمسك رد يده فى فيه وقاله الاخفش أيضا * وقال القتبى لم يسمع أحد من العرب يقول رد يده فى فيه اذا ترك ما أمر به انتهى ومن سمع حجة على من لم يسمع هذا أبو عبيدة والاخفش نقلا ذلك عن العرب فعلى ماقاله أبو عبيدة يكون ذلك من مجاز التمثيل كان الممسك عن الجواب الساكت عنه وضع يده على فيه وقدرد الطبرى قول أبى عبيدة وقال انهم قد أجابوا بالتكذيب لانهم قالوا انا كفرنا بما أرسلتم به ولا يرد ماقاله الطبرى لانه يريد أبو عبيدة انهم أمسكوا وسكتوا عن الجواب المرضى الذى يقتضيه مجيء الرسل بالبينات وهو الاعتراف بالايمان والتصديق للرسل * قال ابن عطية ويحتمل أن يتجوز فى لفظة الايدى أى انهم ردوا قوتهم ومدافعتهم ومكافحتهم فيما قالوا بأفواههم من التكذيب فكان المعنى ردوا جميع مدافعتهم فى أفواههم أى فى أقوالهم وعبر عن جميع المدافعة بالايدى اذ الايدى موضع أشد المدافعة والمرادة انتهى بادروا أولا الى الكفر وهو التكذيب المحض ثم أخبروا بأنهم فى شك وهو التردد كأنهم نظروا بعض نظر اقتضى أن انتقلوا من التكذيب المحض الى التردد أو هما قولان من طائفتين طائفة بادرت بالتكذيب والكفر وطائفة شكت والشك فى مثل ماجاءت به الرسل كفر * وقرأ طلحة مما تدعونا بادغام نون الرفع فى الضمير كما تدغم فى نون الوقاية فى مثل أتحاجونى والمعنى مما تدعوننا اليه من الايمان بالله ومريب صفة توكيدية ودخلت همزة الاستفهام الذى معناه الانكار على الظرف الذى هو خبر عن المبتدا لان الكلام ليس فى الشك انما هو فى المشكوك فيه وأنه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادتها عليه وقدر مضاف فقيل أفى الاهية الله * وقيل أفى وحدانيته ثم نبههم على الوصف الذى يقتضى أن لا يقع فيه شك البتة وهو كونه منشئ العالم وموجده فقال فاطر السموات والأرض وفاطر صفة لله ولا يضر الفصل بين الموصوف وصفته بمثل هذا المبتدأ فيجوز أن تقول فى الدار زيد الحسنة وان كان أصل التركيب فى الدار الحسنة زيد * وقرأ زيد بن على فاطر نصبا على المدح ولما ذكر أنه موجد العالم ونبه على الوصف الذى لا يناسب أن يكون معه فيه شك ذكر ماهو عليه من اللطف بهم والاحسان اليهم فقال يدعوكم ليغفر لكم أى يدعوكم الى الايمان كما قال اذ تدعون الى الايمان أو يدعوكم لاجل المغفرة نحو دعوته لينصرنى * وقال الشاعر

دعوت لما نابنى مسورا * فلبى فلبى يدى مسور

ومن ذنوبكم ذهب أبو عبيدة والاخفش الى زيادة من أى ليغفر لكم ذنوبكم وجمهور البصريين لا يجيز زيادتها فى الواجب ولا اذا جرت المعرفة والتبعيض يصح فيها اذ المغفور هو ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم وبطريق آخر يصح التبعيض وهو أن الاسلام يجب ماقبله ويبقى مايستأنف بعد الايمان من الذنوب مسكوتا عنه فهو فى المشيئة والوعد انما هو بغفران ماتقدم لا بغفران مايستأنف * وقال الزمخشرى مامعناه ان الاستقراء فى الكافرين ان يأتى من ذنوبكم وفى المؤمنين ذنوبكم وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولان لا يسوى بين الفريقين انتهى ويقال مافائدة الفرق فى الخطاب والمعنى مشترك اذ الكافر اذا آمن والمؤمن اذا تاب مشتركان فى الغفران

(الدر)

(ش) الاستقراء فى الكافرين أن يأتى من ذنوبكم وفى المؤمنين ذنوبكم وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين (ح) ويقال ما فائدة الفرق فى الخطاب والمعنى مشترك اذ الكافر اذا آمن والمؤمن اذا تاب مشتركان فى الغفران وما تخيلت فيه مغفرة بعض الذنوب فى الكافر الذى آمن هو موجود فى المؤمن الذى تاب وقال أبو عبدالله الرازى أما قول صاحب الكشاف المراد تمييز خطاب المؤمن من خطاب الكافر فهو من باب الطامات لان هذا التبعيض ان حصل فلا حاجة الى هذا الجواب وان لم يحصل كان هذا الكلام فاسدا انتهى

وماتخيلت فيه مغفرة بعض الذنوب فى الكافر الذى آمن هو موجود فى المؤمن الذى تاب * وقال أبو عبدالله الرازى أماقول صاحب الكشاف المراد تمييز خطاب المؤمن من خطاب الكافر فهو من باب الطامات لان هذا التبعيض ان حصل فلاحاجة الى ذكر هذا الجواب وان لم يحصل كان هذا الكلام فاسدا وقال الى أجل مسمى الى وقت قد بيناه أو بينا مقداره ان آمنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت انتهى وهذا بناء على القول بالاجلين وهو مذهب المعتزلة وتقدم الكلام فى طرف من هذا فى سورة الاعراف فى قوله ولكل أمة أجل * وقيل هنا و يؤخركم الى أجل مسمى قبل الموت فلا يعاجلكم بالعذاب ان أنتم الا بشر مثلنا لا فضل بيننا و بينكم ولا فضل لكم علينا فلم تختصون بالنبوة دوننا * قال الزمخشرى ولو أرسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة انتهى وهذا على مذهب المعتزلة فى تفضيل الملائكة على من سواهم * وقال ابن عطية فى قولهم استبعاد بعثة البشر * وقال بعض الناس بل أرادوا احالته وذهبوا مذهب البراهمة أو من يقول من الفلاسفة أن الاجناس لا يقع فيها هذا القياس فظاهر كلامهم لا يقتضى أنهم أغمضوا هذا الاغماض و يدل على ماذكرت أنهم طلبوا منهم حجة و يحتمل أن طلبهم منهم السلطان انما هو على جهة التعجيز أى بعثتكم محال والا فأتوا بسلطان مبين أى انكم لا تفعلون ذلك أبدا فتقوى بهذا الاحتمال منحاهم الى مذهب الفلاسفة انتهى والذى يظهر أن طلبهم السلطان المبين وقد أتتهم الرسل بالبينات انما هو على سبيل التعنت والاقتراح والا فما أتوا به من الدلائل والآيات كاف لمن استبصر ولكنهم قلدوا آباءهم فيما كانوا عليه من الضلال ألا ترى الى أنهم لما ذكروا أنهم مماثلوهم قالوا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا أى ليس مقصودكم الا أن نكون لكم تبعا ونترك ما نشأنا عليه من دين آبائنا * وقرأ طلحة ان تصدونا بتشديد النون جعل ان هى المخففة من الثقيلة وقدر فصلا بينها و بين الفعل وكان الاصل أنه تصدوننا فأدغم نون الرفع فى الضمير والاولى أن تكون أن الثنائية التى تنصب المضارع لكنه هنا لم يعملها بل ألغاها كما ألغاها من قرأ لمن أراد أن يتم الرضاعة برفع يتم حملا على ما المصدرية أختها ﴿ قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون * وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون * وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين * ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد * واستفتحوا

﴿قالت لهم رسلهم ان نحن﴾ الآية سلموا لهم فى أنهم مماثلوهم فى البشرية وحدها وأما ماسوى ذلك من الاوصاف التى اختصوا بها فلم يكونوا مثلهم ولم يذكروا ماهم عليه من الوصف الذى تميزوا به تواضعا منهم ونسبة ذلك الى الله تعالى ولم يصرحوا بمن الله عليهم وحدهم ولكن أبرزوا ذلك فى عموم من يشاء من عباده والمعنى يمن بالنبوة على من يشاء تنبئته ومعنى باذن الله بتسويغه وارادته أى الآية التى اقترحوها ليس لنا الاتيان بها ولا هى فى استطاعتنا ولذلك كان التركيب وما كان لنا وانما ذلك أمر متعلق بالمشيئة وفليتوكل أمر منهم للمؤمنين بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا وأمروها به كأنهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله فى الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجرى علينا منكم ألا ترى الى قولهم ومالنا ألا نتوكل على الله ومعناه وأى عذر لنا فى أن لا نتوكل على الله وقد هدانا فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذى يجب سلوكه فى الدين والأمر الأول وهو قوله فليتوكل المؤمنون لاستحداث التوكل والثانى للثبات على ما استحدثوا من توكلهم ﴿ولنصبرن﴾ جواب قسم و يدل على ما سبق ما يجب فيه الصبر وهو الأذى وما مصدرية وجوزوا أن يكون بمعنى الذى والضمير محذوف أى أى ما آذيتموناه وكان أصله به فهل حذف به أو الباء فوصل الفعل الى الضمير قولان ﴿لنخرجنكم﴾ أقسموا على أنه لابد من اخراجهم أو عودهم فى ملتهم كأنهم قالوا ليكونن أحد هذين ولما أقسموا هم على اخراج الرسل أو العودة فى ملتهم أقسم تعالى على اهلاكهم وأى اخراج أعظم من الاهلاك بحيث لا يكون لهم عودة إليها أبدا وعلى اسكان الرسل ومن آمن بهم وذرياتهم أرض أولئك المقسمين على اخراج الرسل والاشارة بذلك الى توريث الارض الانبياء ومن آمن بهم بعد اهلاك الظالمين كقوله تعالى والعاقبة للمتقين ومقام يحتمل المصدر أى قيامى عليه بالحفظ لاعماله ومراقبتى اياه كقوله تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت والظاهر أن الضمير فى واستفتحوا عائد على الانبياء أى استنصروا الله على أعدائهم كقوله تعالى إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح و يجوز أن

يكون من الفتاحة وهي الحكومة أي استحكموا الله طلبوا منه القضاء بينهم واستنصار الرسل في القرآن كثير ﴿وخاب﴾ معطوف على محذوف تقديره فنصروا وظفروا وخاب كل جبار عنيد وهم قوم الرسل وتقدم شرح جبار والعنيد المعاند كالخليط بمعنى المخالط ﴿من ورائه﴾ ذكر مايؤول اليه حال الجبار العنيد في الآخرة ووراء من الاضداد ينطلق على خلف وعلى أمام كأنه قيل من أمامه وبين يديه جهنم ﴿ويسقى﴾ معطوف على محذوف تقديره يدخلها ويسقى والظاهر ارادة حقيقة الماء وصديد قال مجاهد وغيره هو مايسيل من أجساد أهل النار وقال الزمخشري صديد عطف بيان لماقال ويسقى من ماء فابهمه ابهاما ثم بينه بقوله صديد انتهى والبصريون لايجيزون عطف البيان في النكرات وأجازه الكوفيون وتبعهم الفارسي فاعرب زيتونة عطف بيان لشجرة مباركة فعلى رأي البصريين لايجوز أن يكون قوله صديد عطف بيان وتجرع تفعل والظاهر انها للتكلف نحو تحلم أي يأخذه شيئا فشيئا والظاهر هنا انتفاء مقاربة اساغته واذا انتفت انتفت الاساغة فيكون كقوله لم يكد يراها أي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها والحديث جاء بانه يشربه فان صح الحديث كان المعنى ولا يكاد يسيغه قبل أن يشربه ثم شربه كما جاء فذبحوها وما كادوا يفعلون أي وما كادوا يفعلون قبل الذبح ﴿ويأتيه الموت﴾ أي أسبابه والظاهر أن قوله من كل مكان معناه من الجهات الست وذلك تفظيع لما يصيبه من الآلام ﴿وما هو بميت﴾ لتطاول شدائد الموت وامتداد سكراته و﴿من ورائه﴾ الخلاف في من ورائه هنا كالخلاف في من ورائه جهنم

وخاب كل جبار عنيد * من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد * يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وماهو بميت ومن ورائه عذاب غليظ ﴾ سلموا لهم في أنهم يماثلونهم في البشرية وحدها وأماماسوى ذلك من الاوصاف التي اختصوا بها فلم يكونوا مثلهم ولم يذكروا ماهم عليه من الوصف الذي تميزوا به تواضعا منهم ونسبة ذلك الى الله ولم يصرحوا بمن الله عليهم وحدهم ولكن أبرزوا ذلك في عموم من يشاء من عباده والمعنى يمن بالنبوة على من يشاء تنبئته ومعنى باذن الله بتسويغه وارادته أي الآية التي اقترحتموها ليس لنا الاتيان بها ولا هي في استطاعتنا ولذلك كان التركيب وما كان لنا وانما ذلك أمر متعلق بالمشيئة فليتوكل أمر منهم للمؤمنين بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا وأمروها به كأنهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم ألا ترى الى قولهم ومالنا أن لانتوكل على الله ومعناه وأي عذر لنا في أن لانتوكل على الله وقد هدانا فعل بنا مايوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يوجب عليه سلوكه في الدين والامر الاول وهو قوله فليتوكل المؤمنون لاستحداث التوكل والثاني للثبات على مااستحدثوا من توكلهم ولنصبرن جواب قسم ويدل على سبق مايجب فيه الصبر وهو الاذى وما مصدرية وجوزوا أن يكون بمعنى الذي والضمير محذوف أي ما آذيتموناه وكان أصله به فهل حذف به أو الباء فوصل الفعل الى الضمير قولان * وقرأ الحسن بكسر لام الامر في ليتوكل وهو الاصل وأو لأحد الامرين أقسموا على انه لابد من اخراجهم أوعودهم في ملتهم كأنهم قالوا ليكونن أحد هذين وتقدير أو هنا بمعنى حتى أو بمعنى الأ أن قول من لم ينعم النظر في مابعدها لأنه لايصح تركيب حتى ولا تركيب الأ أن مع قوله لتعودن بخلاف لألزمنك أو تقضيني حقي والعود هنا بمعنى الصيرورة أو يكون خطابا للرسل ومن آمنوا بهم وغلب حكم من آمنوا بهم لأنهم كانوا قبل ذلك في ملتهم فيصح ابقاء لتعودن على المفهوم منها أولا إذ سبق كونهم كانوا في ملتهم وأما الرسل فلم يكونوا في ملتهم قط أو يكون المعنى في عودهم الى ملتهم سكوتهم عنهم وكونهم اغفالا عنهم لايطالبونهم بالايمان بالله وماجاءت به الرسل * وقرأ أبو حيوة ليهلكن الظالمين وليسكننكم بياء الغيبة اعتبارا بقوله فأوحى اليهم ربهم إذ لفظه لفظ الغائب وجاء ولنسكننكم بضمير الخطاب تشريفا لهم بالخطاب ولم يأت بضمير الغيبة كما في قوله فأوحى اليهم ربهم ولما أقسموا بهم على اخراج الرسل والعودة في ملتهم أقسم تعالى على اهلاكهم وأي اخراج أعظم من الاهلاك بحيث لا يكون لهم عودة اليها أبدا وعلى اسكان الرسل ومن آمن بهم وذرياتهم أرض أولئك المقسمين على اخراج الرسل * قال ابن عطية وخص الظالمين من الذين كفروا إذ جائز أن يؤمن من الكفرة الذين قالوا المقالة ناس وانما توعد لاهلاك من خلص للظلم وقال غيره أراد بالظالمين المشركين قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم والاشارة بذلك الى توريث الارض الانبياء ومن آمن بهم بعد اهلاك الظالمين كقوله تعالى والعاقبة للمتقين ومقام يحتمل المصدر والمكان * فقال الفراء مقامي مصدر أضيف الى الفاعل أي قيامي عليه بالحفظ لأعماله ومراقبتي إياه لقوله أفمن هو

قائم على كل نفس بما كسبت * وقال الزجاج مكان وقوفه بين يدى للحساب وهو موقف الله الذى يقف فيه عباده يوم القيامة كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وعلى اقحام المقام أى لمن خافنى والظاهر أن الضمير فى واستفتحوا عائد على الانبياء أى استنصروا الله على أعدائهم كقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ويجوز أن يكون من الفتاحة وهى الحكومة أى استحكموا الله طلبوا منه القضاء بينهم واستنصار الرسل فى القرآن كثير كقول نوح فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى وقول لوط رب نجنى وأهلى مما يعملون وقول شعيب ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقول موسى ربنا انك آتيت فرعون الآية * وقال ابن زيد الضمير عائد على الكفار أى واستفتح الكفار على نحو ماقالت قريش عجل لنا قطنا وقول أبى جهل اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لايعرف فاحنه الغداة وكأنهم لما قوى تكذيبهم وأذاهم ولم يعاجلوا بالعقوبة ظنوا ان ماجاؤا به باطل فاستفتحوا على سبيل التهكم والاستهزاء كقول قوم نوح فأتنا بما تعدنا وقوم شعيب فاسقط علينا كسفا وعاد ومانحن بمعذبين وبعض قريش فأمطر علينا حجارة * وقيل الضمير عائد على الفريقين الانبياء ومكذبيهم لأنهم كانوا كلهم سألوا أن ينصر المحق ويبطل المبطل ويقوى عود الضمير على الرسل خاصة قراءة ابن عباس ومجاهد وابن محيصن واستفتحوا بكسر التاء أمر للرسل معطوفا على ليهلكن أى أوحى اليهم ربهم وقال لهم ليهلكن وقال لهم استفتحوا أى اطلبوا النصر وسلوه من ربكم * وقال الزمخشرى ويحتمل أن يكون أهل مكة قد استفتحوا أى استمطروا والفتح المطر فى سنى القحط التى أرسلت عليهم بدعوة الرسول فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وانه خيب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى فى جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد أهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل وأممهم انتهى وخاب معطوف على محذوف تقديره فنصروا وظفروا وخاب كل جبار عنيد وهم قوم الرسل وتقدم شرح جبار والعنيد المعاند كالخليط بمعنى المخالط على قول من جعل الضمير عائدا على الكفار كأن وخاب عطفا على واستفتحوا * من ورائه قال أبو عبيدة وابن الانبارى أى من بعده * وقال الشاعر

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مهرب

وقال أبو عبيدة أيضا وقطرب والطبرى وجماعة ومن ورائه أى ومن أمامه وهو معنى قول الزمخشرى من بين يديه * وأنشد

عسى الكرب الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

* وهذا وصف حاله فى الدنيا لأنه مرصد لجهنم فكأنها بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله فى الآخرة حين يبعث ويوقف * وقال الشاعر

أيرجو بنو مروان سمعى وطاعتى * وقوم تميم والفلاة ورائيا

﴿ وقال آخر ﴾

أليس ورائى ان تراخت منيتى * لزوم العصا تحنى عليها الاصابع

ووراء من الاضداد قاله أبو عبيدة والازهرى * وقيل ليس من الاضداد * وقال ثعلب اسم لما توارى عنك سواء كان أمامك أم خلفك * وقيل بمعنى من خلفه أى فى طلبه كما تقول الامر من ورائك أى سوف يأتيك ويسقى معطوف على محذوف تقديره يلقى فيها ويسقى أو معطوف على العامل فى من ورائه وهو واقع موقع الصفة وارتفاع جهنم على الفاعلية والظاهر ارادة حقيقة الماء

وصديد قال ابن عطية هو نعت لماء كما تقول هذا خاتم حديد وليس بماء لكنه لما كان بدل الماء في العرف عندنا يعني أطلق عليه ماء * وقيل هو نعت على اسقاط أداة التشبيه كما تقول مررت برجل أسد التقدير مثل صديد فعلى قول ابن عطية هو نفس الصديد وليس بماء حقيقة وعلى هذا القول لا يكون صديدا ولكنه ما يشبه بالصديد * وقال الزمخشري صديد عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء فأبهمه ابهاما ثم بينه بقوله صديد انتهى والبصريون لا يجيزون عطف البيان في النكرات وأجازه الكوفيون وتبعهم الفارسي فأعرب زيتونة عطف بيان لشجرة مباركة فعلى رأى البصريين لا يجوز أن يكون قوله صديد عطف بيان * وقال الحوفي صديد نعت لماء * وقال مجاهد وقتادة والضحاك هو ما يسيل من أجساد أهل النار * وقال محمد بن كعب والربيع هو غسالة أهل النار في النار * وقيل هو ما يسيل من فروج الزناة والزواني * وقيل صديد بمعنى مصدود عنه أي لكراهته يصد عنه فيكون مأخوذا عنه من الصد وذكر ابن المبارك من حديث أبي أمامة عن الرسول قال في قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب اليه فيتكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه واذا شرب به قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره * يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه أي ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الاساغة والظاهر هنا انتفاء مقاربة إساغته إياه واذا انتفت الاساغة فيكون كقوله لم يكد يراها أي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها والحديث جاء نا تم يشرب به فان صح الحديث كان المعنى ولا يكاد يسيغه قبل أن يشرب به ثم شرب به كما جاء فذبحوها وما كادوا يفعلون أي وما كادوا يفعلون قبل الذبح وتجرع تفعل ويحتمل هنا وجوها ان يكون للمطاوعة أي جرعه فتجرع كقولك علمته فتعلم وأن يكون للتكلف نحو تحلم وأن يكون لمواصلة العمل في مهلة نحو تفهم أي يأخذه شيأ فشيأ وأن يكون موافقا للجرد أي تجرعه كما تقول عدا الشئ وتعداه ويتجرعه صفة لما قبله أو حال من ضمير ويسقى أو استئناف ويأتيه الموت أي أسبابه والظاهر ان قوله من كل مكان معناه من الجهات الست وذلك لفظيع ما يصيبه من الآلام * وقال ابراهيم التيمي من كل مكان من جسده حتى من أطراف شعره * وقيل حتى من ابهام رجليه والظاهر أن هذا في الآخرة * وقال الأخفش أراد البلايا التي تصيب الكافر في الدنيا سماها موتا وهذا بعيد لان سياق الكلام يدل على ان هذا من أحوال الكافر في جهنم وقوله وما هو بميت لتطاول شدائد الموت وامتداد سكراته ومن ورائه الخلاف في من ورائه كالخلاف في من ورائه جهنم * وقال الزمخشري ومن بين يديه عذاب غليظ أي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا أشد مما قبله وأغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الأجساد انتهى * وقيل الضمير في ورائه هو يعود على العذاب المتقدم لا على كل جبار ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد * ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز * وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ قالوا لو هدانا الله لهدينا كم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص * وقال الشيطان لما قضى الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي انى كفرت بما أشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم * وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات

(الدر)

(ش) صديد عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء فابهمه ابهاما ثم بينه بقوله صديد (ح) البصريون يجيزون عطف البيان في النكرات واجازه الكوفيون وتبعهم الفارسي فاعرب زيتونة عطف بيان لشجرة مباركة فعلى رأى البصريين لا يجوز أن يكون قوله صديد عطف بيان

﴿ مثل الذين كفروا بربهم ﴾ الآية ارتفاع مثل على الابتداء وخبره محذوف تقديره عند سيبويه فيما يتلى عليكم أو يقص قال ابن عطية وقيل هو مبتدأ وأعمالهم ابتداء ثان وكرماد خبر الثاني والجملة خبر الاول وهذا عندي أرجح الاقوال وكانك

تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام * ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار * يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء * ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها وبئس القرار ﴾ الرماد معروف * وقال ابن عيسى هو جسم يسحقه الاحراق سحق الغبار ويجمع على رمد في الكثرة وأرمدة في القلة وشذ جمعه على أفعلاء قالوا أرمداء ورماد رمدد اذا صار هباء أرق ما يكون * الجزع عدم احتمال الشدة وهو نقيض الصبر قال الشاعر

جزعت ولم أجزع من البين مجزعا * وعذبت قلبا بالكواعب مولعا

المصرخ المغيث * قال الشاعر

فلا تجزعوا اني لكم غير مصرخ * وليس لكم عني غناء ولا نصر

والصارخ المستغيث صرخ يصرخ صرخا وصراخا وصرخة * قال سلامة بن جندل

كنا اذا ما أتانا صارخ فزع * كان الصراخ له قرع الظنابيب

واصطرخ بمعنى صرخ وتصرخ تكلف الصراخ واستصرخ استغاث فقال استصرخني فاصرخته والصريخ مصدر كالتريح ويوصف به المغيث والمستغيث من الأضداد * الفرع الغصن من الشجرة ويطلق على مايولد من الشئ والفرع الشعر يقال رجل أفرع وامرأة فرعاء لمن كثر شعره * وقال الشاعر وهو امرؤ القيس بن حجر * وفرع يغشي المتن اسود فاحم * اجتث الشئ اقتلعه وجث الشئ قلعه والجثة شخص الانسان قاعدا وقائما * وقال لقيط الايادي

هو الجلاء الذي يجتث أصلكم * فمن رأى مثل ذا آت ومن سمعا

البوار الهلاك * قال الشاعر

فلم أر مثلهم أبطال حرب * غداة الحرب اذ خيف البوار

﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لايقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد﴾ ارتفاع مثل على الابتداء وخبره محذوف تقديره عند سيبويه فيما يتلى عليكم أو يقص والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وأعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال كانه قيل كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد كما تقول صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول * وقال ابن عطية ومذهب الكسائي والفراء انه على الغاء مثل وان المعنى الذين كفروا أعمالهم كرماد * وقال الحوفي مثل رفع بالابتداء وأعمالهم بدل من مثل بدل اشتمال كما قال الشاعر

ماللجمال مشيها وئيدا * أجندلا يحملن أم حديدا

وكرماد الخبر * وقال الزمخشري أو يكون أعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل أعمالهم وكرماد الخبر وقال ابن عطية * وقيل هو ابتداء وأعمالهم ابتداء ثان وكرماد خبر الثاني والجملة خبر

قلت المتحصل مثالا في النفس للذين كفروا هذه الجملة المذكورة وهي أعمالهم في فسادها وقت الحاجة وتلاشيها كالرماد الذي تذروه الرياح وتفرقه بشدتها حتى لايبقى له أثر ولايجتمع منه شئ انتهى هذا القول الذي رجحه ابن عطية قاله الحوفي وهو لايجوز لان الجملة الواقعة خبرا عن المبتدأ الاول الذي هو مثل عارية من رابط يعود على المثل وليست نفس المبتدإ في المعنى فلا تحتاج الى رابط والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وأعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال كانه قيل كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد كما تقول صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول ووصف اليوم بقوله عاصف وان كان من صفة الريح على سبيل التجوز كما قالوا يوم ماطر وليل نائم ﴿لايقدرون﴾ يوم القيامة ﴿مما كسبوا﴾ من أعمالهم ﴿ على شئ ﴾ أي لايرون له أثرا من ثواب كما لايقدر من الرماد المطير بالرياح على شئ ﴿ذلك﴾ اشارة الى كونهم بهذه الحال وعلى مثل هذا الغرر والبعيد الذي يعمق فيه صاحبه وأبعد عن طريق النجاة

(الدر) (ع) وقيل هو ابتداء وأعمالهم ابتداء ثان وكرماد خبر الثاني والجملة خبر الأول وهذا عندي أرجح الاقوال وكانك قلت المتحصل مثالا في النفس للذين كفروا هذه الجملة المذكورة وهي أعمالهم في فسادها وقت الحاجة وتلاشيها كالرماد

أوالبعيد عن الحق والثواب وفي البقرة لا يقدرون على شئ مما كسبوا وهنا لا يقدرون مما كسبوا على شئ من التفنن في الفصاحة والتغاير في التقديم والتأخير والمعنى واحد ﴿ ألم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق ﴾ الظاهر أن قوله يذهبكم خطاب عام للناس وعن ابن عباس خطاب للكفار ﴿ و يأت بخلق جديد ﴾ الظاهر أن يكون المعنى ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بناس آخرين من جنسكم آدميين ﴿ و برزوا ﴾ أي ظهروا من قبورهم الى جزاء الله وحسابه والذين استكبروا هم رؤساؤهم

الأول وهذا عندي أرجح الأقوال وكانك قلت المتحصل مثالا في النفس للذين كفروا هذه الجملة المذكورة وهي أعمالهم في فسادها وقت الحاجة وتلاشيها كالرماد الذي تذروه الريح وتفرقه بشدتها حتى لا يبقى له أثر ولا يجتمع منه شئ انتهى وهذا القول الذي رجحه ابن عطية قاله الحوفي وهو لا يجوز لان الجملة الواقعة خبرا عن المبتدأ الاول الذي هو مثل عارية من رابط يعود على المثل وليست نفس المبتدأ في المعنى فلا تحتاج الى رابط وأعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين والاجارة وغير ذلك شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير أساس من معرفة الله والايمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف * وقرأ نافع وأبو جعفر الرياح على الجمع والجمهور على الافراد ووصف اليوم بقوم عاصف وان كان من صفة الريح على سبيل التجوز كما قالوا يوم ماحل وكيل نائم * وقال الهروي التقدير في يوم عاصف الريح فحذف لتقدم ذكرها كما قال الشاعر

* اذا جاء يوم مظلم الشمس كاسف * يريد كاسف الشمس * وقيل عاصف من صفة الريح الا انه لما جاء بعد اليوم اتبع اعرابه كما قيل جحر ضب خرب يعني انه خفض على الجوار * وقرأ ابن أبي اسحق وابراهيم بن أبي بكر عن الحسن في يوم عاصف على اضافة اليوم لعاصف وهو على حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه تقديره في يوم ريح عاصف وتقدم تفسير العصوف في يونس في قوله جاءتها ريح عاصف وعلى قول من أجاز اضافة الموصوف الى صفته يجوز أن تكون القراءة منه لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم على شئ أي لا يرون له أثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير بالريح على شئ * وقيل لا يقدرون من ثواب ما كسبوا فهو على حذف مضاف وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله ان ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم و يطعم المسكين هل ذلك نافعه قال لا ينفعه لانه لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين وفي الصحيح أيضا ان الكافر ليطعم بحسناته في الدنيا ما عمل لله منها ذلك اشارة الى كونهم بهذه الحال وعلى مثل هذا الغرر البعيد الذي يعمق فيه صاحبه وأبعد عن طريق النجاة والبعيد عن الحق أو الثواب وفي البقرة لا يقدرون مما كسبوا على شئ من التفنن في الفصاحة والمغايرة في التقديم والتأخير والمعنى واحد ﴿ ألم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم و يأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز * و برزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ﴾ قرأ السلمي ألم تر بسكون الراء ووجهه أنه أجرى الوصل مجرى الوقف وتوجيه آخر وهو ان ترى

وقادتهم استتبعوا الضعفاء واستغووهم واستكبروا تكبروا وأظهروا تعظيم أنفسهم أو استكبروا عن اتباع الرسل وعبادة الله تعالى وتبعا يحتمل أن يكون اسم جمع لتابع كخادم وخدم وغائب وغيب و يحتمل أن يكون مصدرا كقوم عدل ورضا وهل أنتم مغنون عنا استفهام بمعناه تو بيخهم اياهم وتقريعهم وقد علموا أنهم لن يغنوا شيئا والمعنى انا تبعناكم فيما كنتم فيه من الضلال كما أمرتمونا وما أغنيتم عنا شيئا ولذلك جاءجوابهم لو هدانا الله لهديناكم أجابوا بذلك على سبيل الاعتذار والخجل ورد الهداية الى الله تعالى وهو كلام حق في نفسه قال الزمخشري من الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل هل أنتم مغنون عنا بعض الشئ الذي هو عذاب الله و يجوز أن يكونا للتبعيض معا أي هل أنتم مغنون عنا بعض شئ هو بعض عذاب الله أي بعض بعض عذاب الله انتهى هذان التوجيهان اللذان وجههما الزمخشري في المكانين يقتضي أولهما التقديم في قوله من شئ على قوله من عذاب الله لانه جعل من شئ هو المبين بقوله من عذاب الله ومن

(الدر) الذي تذروه الريح وتفرقه لشدتها حتى لا يبقى له أثر ولا يجتمع منه شئ (ح) هذا القول الذي رجحه (ع) قاله الحوفي وهو لا يجوز لان الجملة الواقعة خبرا عن المبتدا الأول الذي هو مثل عارية من رابط يعود على المثل وليست نفس المبتدا في المعنى فلا يحتاج الى رابط

حذفت العرب ألفها فى قولهم قام القوم ولو ترما زيد كما حذفت ياء لا أبالى فى لا أبال فلما دخل الجازم تخيل أن الراء هى آخر الكلمة فسكنت للجازم كما قالوا فى لا أبالى لم أبل تخيلوا اللام آخرا الكلمة والرؤية هنا بمعنى العلم فهى من رؤية القلب * وقرأ الاخوان خالق اسم فاعل والارض بالخفض * وقرأ باقى السبعة خلق فعلا ماضيا والأرض بالفتح ومعنى بالحق قال الزمخشرى بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة * وقال ابن عطية بالحق أى بما يحق من جهة مصالح عباده وانفاذ سابق قضائه وليدل عليه وعلى قدرته * وقيل بقوله وكلامه * وقيل بالحق حال أى محقا والظاهر أن قوله يذهبكم خطاب عام للناس وعن ابن عباس خطاب للكفار و يأت بخلق جديد يحتمل أن يكون المعنى ان يشأ يذهبكم أيها الناس و يأت بناس آخرين من جنسكم آدميين و يحتمل من غير جنسكم والاول قول جمهور المفسرين وتقدم تجويز هذين الاحتمالين للمفسرين فى قوله فى النساء ان يشأ يذهبكم أيها الناس و يأت بآخرين و ينافى ذلك أنه لا يحتمل الا الوجه الاول وما ذلك أى وما ذهابكم والاتيان بخلق جديد بممتنع ولا متعذر عليه تعالى لانه تعالى هو القادر على ما يشاء * وقال الزمخشرى لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعى الى شئ وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريك أصبعك واذا دعا اليه داع ولم يعترض من دونه صارف انتهى وفيه دسيسة الاعتزال لقوله القادر لانهم يثبتون القادرية و ينفون القدرة ولتشبيه فعله تعالى بفعل العبد فى قوله كتحريك أصبعك وعندنا أن تحريك أصبعنا ليس الا بقدرة الله تعالى وأن ما نسب الينا من القدرة ليس مؤثرا فى ايجاد شئ * وقال الزمخشرى أيضا وهذه الآية بيان لابعادهم فى الضلال وعظيم خطبهم فى الكفر بالله لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وأنه هو الحقيق بان يعبد و يخاف عقابه و يرجى ثوابه فى دار الجزاء انتهى و برزوا أى ظهروا من قبورهم الى جزاء الله وحسابه * وقال الزمخشرى ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شئ حتى يبرز أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش و يظنون أن ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا أن الله لا يخفى عليه خافية * وقال ابن عطية و برزوا معناه صاروا بالبراز وهى الارض المتسعة فاستعير ذلك لجمع يوم القيامة * وقال أبو عبد الله الرازى تأويل الحكماء أن النفس اذا فارقت الجسد فكأنه زال الغطاء و بقيت متجردة بذاتها عارية عن كل ما سواها وذلك هو البروز لله تعالى وهذا الرجل كثيرا ما يورد كلام الفلاسفة وهم مباينون لاهل الشرائع فى تفسير كلام الله تعالى المنزل بلغة العرب والعرب لا تفهم شيأ من مفاهيم أهل الفلسفة فتفسيرهم كاللغز والاحاجى و يسميهم هذا الرجل حكماء وهم من أجهل الكفرة بالله تعالى و بأنبيائه والضمير فى و برزوا عائد على الخلق المحاسبين وعبر بلفظ الماضى لصدق المخبر به فكأنه قد وقع * وقرأ زيد بن علىّ و برزوا مبنيا للمفعول و بتشديد الراء والضعفاء الاتباع والعوام وكتب بواو فى المصحف قبل الهمزة على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ومثله علمؤا بنى اسرائيل والذين استكبروا هم رؤساؤهم وقاداتهم استغووا الضعفاء واستتبعوهم واستكبروا وتكبروا وأظهروا تعظيم أنفسهم أو استكبروا عن اتباع الرسل وعبادة الله وتبعا يحتمل أن يكون اسم جمع لتابع كخادم وخدم وغائب وغيب و يحتمل أن يكون مصدرا كقوله عدل و رضا وهل أنتم مغنون استفهام معناه توبيخهم اياهم وتقريعهم وقد علموا أنهم لن يغنوا والمعنى انا اتبعناكم فيما كنتم فيه من الضلال كما أمرتمونا وما أغنيتم عنا شيأ فلذلك جاء

الشيئية يتقدم عليها ما تبينه ولا يتأخر والتوجيه الثانى وهو بعض شئ هو بعض العذاب يقتضى أن يكون بدلا فيكون بدل عام من خاص لأن من شئ أعم من قوله من عذاب الله وان عنى بشئ شيئا من العذاب فيؤول المعنى الى ما قدر وهو بعض بعض عذاب الله وهذا لا يقال لأن بعضية الشئ مطلقة فلا يكون لها بعض والظاهر أن قوله سواء علينا أجزعنا أم صبرنا الى آخره داخل تحت قول المستكبرين وجاءت جملا بلا واو عطف كأن كل جملة أنشئت مستقلة غير معطوفة وان كانت مرتبطا بعضها ببعض من جهة المعنى لأن سؤالهم هل أنتم مغنون عنا انما كان لجزعهم مما هم فيه فقالوا لهم ذلك سواء بينهم و بينهم ذلك لاجتماعهم فى عقاب الضلالة التى كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة فى الجزع كما لا فائدة فى الصبر أو لما قالوا لو هدانا الله اتبعوا ذلك بالاقناط من النجاة فقالوا ما لنا من محيص أى منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا وتقدم الكلام فى مثل هذه التسوية فى البقرة والظاهر أن هذه المحاورة بين الضعفاء والرؤساء هى فى موضع العرض وقت البروز بين يدى الله تعالى

جوابهم لو هدانا الله لهدينا كم أجابوا بذلك على سبيل الاعتذار والخجل ورد الهداية لله تعالى وهو كلام حق فى نفسه * وقال الزمخشرى من الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل هل أنتم مغنون عنا بعض الشئ الذى هو عذاب الله ويجوز أن يكونا للتبعيض معا بمعنى هل أنتم مغنون عنا بعض شئ هو بعض عذاب الله أى بعض بعض عذاب الله انتهى وهذان التوجيهان اللذان وجههما الزمخشرى فى من فى المكانين يقتضى أولهما التقديم فى قوله من شئ على قوله من عذاب الله لانه جعل من شئ هو المبين بقوله من عذاب الله ومن التبيينية يتقدم عليها ما تبينه ولا يتأخر والتوجيه الثانى وهو بعض شئ هو بعض العذاب يقتضى أن يكون بدلا فيكون بدل عام من خاص لان من شئ أعم من قوله من عذاب الله وان عنى بشئ شيأ من العذاب فيؤول المعنى الى ماقدر وهو بعض بعض عذاب الله وهذا لا يقال لان بعضية الشئ مطلقة فلا يكون لها بعض ونص الحوفى وأبو البقاء على أن من فى قوله من شئ زائدة * قال الحوفى من عذاب الله متعلق بمغنون ومن فى من شئ لاستغراق الجنس زائدة للتوكيد * وقال أبو البقاء ومن زائدة أى شيأ كائنا من عذاب الله ويكون محمولا على المعنى تقديره هل تمنعون عنا شيأ ويجوز أن يكون شئ واقعا موقع المصدر أى غنى فيكون من عذاب الله متعلقا بمغنون انتهى ومسوغ الزيادة كون الخبر فى سياق الاستفهام فكان الاستفهام دخل عليه وباشره وصارت الزيادة هنا كالزيادة فى تركيب فهل تغنون * وقال الزمخشرى أجابوهم معتذرين عما كان منهم اليهم بأن الله لو هداهم الى الايمان لهدوهم ولم يضلوهم اماموركين الذنب فى ضلالهم واضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ يقولون ذلك فى الآخرة كما كانوا يقولونه فى الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شئ انتهى * وحكى أبو عبد الله الرازى عن الزمخشرى أنهم قالوا ذلك مع أنهم كذبوا فيه ويدل عليه قوله تعالى حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شئ * قال أبو عبد الله الرازى واعلم أن المعتزلة لا يجوزون صدور الكذب على أهل القيامة فكان هذا القول منه مخالفا لاصول مشايخه فلا يقبل منه * وقال الزمخشرى أيضا ويجوز أن يكون المعنى لو كنا من أهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان * قال أبو عبد الله الرازى وذكر القاضى هذا الوجه وزيفه بأن قال لا يجوز حمل هذا على اللطف لان ذلك قد فعله الله * وقيل لو خلصنا الله من العذاب وهدانا الى طريق الجنة لهديناكم * وقال الزمخشرى فى بسط هذا القول لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم أى لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل الهلكة انتهى * وقيل ويدل على أن المراد بالهدى الهدى الى طريق الجنة أنه هو الذى التمسوه وطلبوه فوجب أن يكون المراد * وقال ابن عباس لو أرشدنا الله لأرشدناكم والظاهر ان قوله سواء علينا أجزعنا أم صبرنا الى آخره داخل تحت قول المستكبرين وجاءت جمله بلا واو عطف كأن كل جملة أنشئت مستقلة غير معطوفة وان كانت مرتبطا بعضها ببعض من جهة المعنى لأن سؤالهم هل أنتم مغنون عنا انما كان لجزعهم مما هم فيه فقالوا لهم ذلك سوّوا بينهم وبينهم فى ذلك لاجتماعهم فى عقاب الضلالة التى كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة فى الجزع كما لا فائدة فى الصبر ولما قالوا لو هدانا الله أتبعوا ذلك بالاقناط من النجاة فقالوا مالنا من محيص أى منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا * وقيل سواء علينا من كلام الضعفاء والذين

(ش) من الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل هل أنتم مغنون عنا بعض الشئ الذى هو عذاب الله ويجوز أن يكونا للتبعيض معا بمعنى هل أنتم مغنون عنا بعض شئ هو بعض عذاب الله أى بعض بعض عذاب الله (ح) هذان التوجيهان اللذان وجههما (ش) فى من فى المكانين يقتضى أولهما التقديم فى قوله من شئ على قوله من عذاب الله لانه جعل من شئ هو المبين بقوله من عذاب الله ومن التبيينية يتقدم عليها ماتبينه ولا يتأخر والتوجيه الثانى وهو بعض شئ هو بعض العذاب يقتضى أن يكون بدلا فتكون بدل عام من خاص لان من شئ أعم من قوله من عذاب الله فان عنى بشئ شيأ من العذاب فيؤول المعنى الى ماقدر وهو بعض بعض عذاب الله وهذا لا يقال لان بعضية الشئ مطلقة فلا يكون لها بعض

﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر﴾ مناسبة هذه لما قبلها أنه لما ذكر محاورة الاتباع لرؤسائهم الكفرة ذكر محاورة الشيطان وأتباعه من الانس وذلك لاشتراك الرؤساء والشيطان في التلبس بالاضلال والشيطان هنا ابليس وهو رأس الشياطين ومعنى قضي الامر تعين قوم للجنة وقوم للنار وذلك كله في الموقف ووعد الحق يحتمل أن يكون من اضافة الموصوف الى صفته أي الوعد الحق وأن يكون الحق صفة الله أي وعده وأن يكون الحق الشيء الثابت وهو البعث والجزاء على الأعمال أي يوفي لكم بما وعدكم ﴿ووعدتكم﴾ خلاف ذلك ﴿فأخلفتكم﴾ والاان دعوتكم الظاهر أنه استثناء منقطع لان دعاءه إياهم الى الضلالة ووسوسته ليس من جنس السلطان وهو الحجة البينة ﴿ما أنا بمصرخكم﴾ أي مغيثكم ﴿وما أنتم بمصرخي﴾ أي بمغيثي وقرأ الجمهور بمصرخي بفتح الياء وقرأ يحيى بن وثاب

والأعمش وحمزة بكسر الياء وقد طعن ناس في هذه القراءة وماذهبوا إليه لايلتفت اليه لان هذه قراءة متواترة نقلها السلف واقتفى آثارهم فيها الخلف وقد نقل جماعة من أهل العربية أنها لغة لكنه قل استعمالها ونص قطرب على أنها لغة في بني يربوع وأنشدوا للاغلب العجلي

*قال لها هل لك ياتافي
قالت له ما أنت بالمرضي*

وما في بما أشركتموني مصدرية ومن قبل متعلق بأشركتموني أي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم أي في الدنيا ﴿إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ الظاهر أنه من تمام كلام ابليس حكى الله عنه ماسيقوله في ذلك الوقت ليكون تنبيها للسامعين على النظر في عاقبتهم والاستعداد لما لابد منه وأن يتصور في أنفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان مايقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم ﴿وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات﴾ الآية لما جمع الفريقين في قوله وبرزوا لله جميعا وذكر شيأ من أحوال الكفار ذكر ما آل اليه أمر المؤمنين من ادخالهم الجنة قال الزمخشري * فان قلت فبم يتعلق يعني باذن ربهم في القراءة الأخرى وقولك فأدخلهم أنا باذن ربهم كلام غير ملتئم * قلت الوجه في هذه القراءة أن يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده أي تحيتهم فيها سلام باذن ربهم يعني أن الملائكة يحيونهم باذن ربهم انتهى ظاهر كلامه أن باذن ربهم معمول لقوله تحيتهم ولذلك قال يعني أن الملائكة يحيونهم باذن ربهم وهذا لايجوز لان تقديم معمول المصدر المنحل لحرف مصدري والفعل عليه هو غير جائز وتقدم تفسير تحيتهم فيها سلام في أوائل يونس

استكبروا والتقدير قالوا جميعا سواء علينا يخبرون عن حالهم وتقدم الكلام في مثل هذه التسوية في أول البقرة والظاهر أن هذه المحاورة بين الضعفاء والرؤساء هي في موضع العرض وقت البروز بين يدي الله وعن محمد بن كعب وابن زيد أن قولهم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا بعد صبرهم في النار خمسمائة عام وبعد جزعهم مثلها ﴿وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي اني كفرت بما أشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها انه لما ذكر محاورة الاتباع لرؤسائهم الكفرة ذكر محاورة الشيطان واتباعه من الانس وذلك لاشتراك الرؤساء والشياطين في التلبس بالاضلال والشيطان هنا ابليس وهو رأس الشياطين وفي حديث الشفاعة من حديث عقبة بن عامر ان الكافرين يقولون وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا فيقولون ماهو غير ابليس هو الذي أضلنا فيأتونه فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا فانك أضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه أنتن ريح شمه أحد ويقول عند ذلك ان الله قد وعدكم الآية وعن الحسن يقف ابليس خطيبا في جهنم على منبر من نار يسمعه الخلائق جميعا فيقول ان الله وعدكم وعد الحق يعني البعث والجنة والنار وثواب المطيع وعقاب العاصي فصدقكم وعده ووعدتكم أن لابعث ولاجنة ولانار ولاثواب ولاعقاب فأخلفتكم قضي الامر تعين قوم للجنة وقوم للنار وذلك كله في الموقف وعليه يدل حديث الشفاعة أو بعد حصول أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ويدل عليه ماذكرناه عن الحسن وهو تأويل الطبري وقيل قضي الامر قطع وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين الى مقريهما ووعد الحق يحتمل أن يكون من اضافة الموصوف الى صفته أي الوعد الحق وان يكون الحق صفة الله أي وعده وأن يكون الحق الشيء الثابت وهو البعث والجزاء على الاعمال أي فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فأخلفتكم والاان دعوتكم الظاهر انه استثناء منقطع لأن دعاءه اياهم الى الضلالة ووسوسته ليس من جنس السلطان وهو الحجة البينة * قيل ويحتمل أن يريد بالسلطان

الغلبة والتسليط والقدرة أى ما اضطررتكم ولا خوفتكم بقوة منى بل عرضت عليكم شيأ فأبى رأيكم عليه * وقيل هو استثناء متصل لأن القدرة على حمل الانسان على الشئ تارة يكون بالقهر من الحامل وتارة يكون بتقوية الداعية فى قلبه وذلك بالقاء الوسواس اليه فهذا نوع من أنواع التسليط * قيل وظاهر هذا الكلام يدل على ان الشيطان لاقدرة له على صرع الانسان وتعويج أعضائه وجوارحه وازالة عقله فلا تلومونى * وقرئ فلا يلومونى بالياء على الغيبة وهو التفات بريد فى ما آتيتموه من الضلال ولوموا أنفسكم فى سوء نظركم واستجابتكم لدعائى من غير تثبت ولا حجة * وقال الزمخشرى ولوموا أنفسكم حيث اغتررتم وأطعتمونى إذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم إذ دعاكم وهذا دليل على ان الانسان هو الذى يختار الشقاوة والسعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما يزعم المجبرة لقال فلا تلومونى ولا أنفسكم فان الله قد قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه انتهى وهو على طريق الاعتزال * ما أنا بمصرخكم قال ابن عباس بنافعكم * وقال ابن جبير بمنقذكم * وقال الربيع بمنجيكم * وقال مجاهد بمغيثكم وكلها أقوال متقاربة * وقرأ يحيى بن وثاب والاعمش وحمزة بمصرخى بكسر الياء وطعن كثير من النحاة فى هذه القراءة * قال الفراء لعلها من وهم القراء فانه قل من سلم منهم من الوهم ولعله ظن ان الباء فى بمصرخى خافضة للفظ كله والياء للمتكلم خارجة من ذلك * وقال أبو عبيد نراهم غلطوا ظنوا أن الباء تكسر لما بعدها * وقال الاخفش ما سمعت هذا من أحد من العرب ولا من النحويين * وقال الزجاج هذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة ولا وجه لها الا وجه ضعيف * وقال النحاس صار هذا اجماعا ولا يجوز أن يحمل كتاب الله على الشذوذ * وقال الزمخشرى هى ضعيفة واستشهد والها ببيت مجهول

قال لها هل لك ياتا فىّ * قالت له ما أنت بالمرضى

وكأنه قدر ياء الاضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه أصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لأن ياء الاضافة لا تكون الامفتوحة حيث قبلها ألف نحو عصاى فما بالها وقبلها ياء (فان قلت) جرت الياء الأولى مجرى الحرف الصحيح لأجل الادغام فكأنها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل (قلت) هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذى هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل اليه القياسات انتهى أما قوله واستشهدوا لها ببيت مجهول فقد ذكر غيره انه للاغلب العجلى وهى لغة باقية فى أفواه كثير من الناس الى اليوم يقول القائل ما فىّ أفعل كذا بكسر الياء وأما التقدير الذى قال فهو توجيه الفراء ذكره عنه الزجاج وأما

 (ش) هى ضعيفة يعنى قراءة حمزة بمصرخى بكسر الياء واستشهدوا لها ببيت مجهول
قال لها هل لك ياتا فىّ * قالت له ما أنت بالمرضى * وكأنه قدر ياء الاضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه أصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لان ياء الاضافة لا تكون الامفتوحة حيث قبلها ألف نحو عصاى فما بالها وقبلها ياء * فان قلت جرت الياء الأولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكأنها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح فحركت بالكسر على الاصل قلت هذا قياس حسن ولكن لاستعمال المستفيض الذى بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل اليه القياسات (ح) أما قوله واستشهدوا لها ببيت مجهول فقد ذكر غيره أنه للاغلب العجلى وهى لغة باقية فى أفواه كثير من الناس الى اليوم يقول القائل ما فىّ أفعل كذا بكسر الياء وأما التقدير الذى قال فهو توجيه الفراء ذكره عنه الزجاج وأما قوله فى غضون كلامه حيث قبلها ألف فلا أعلم حيث تضاف الى الجملة المصدرة بالظرف نحو قعد زيد حيث أمام بكر عمرو فيحتاج هذا التركيب الى سماع وأما قوله لان ياء الاضافة الى آخره فقد روى سكون الياء بعد الألف وقرأ بذلك القراء نحو ومحياى وما ذهب اليه من ذكرنا من النحاة من الطعن على هذه القراءة لا ينبغى أن يلتفت اليه لان هذه قراءة متواترة نقلها السلف واقتفى آثارهم فيها الخلف فلا يجوز أن يقال فيها انها خطأ أو قبيحة أو رديئة وقد نقل جماعة من أهل اللغة أنها لغة لكنه قل استعمالها ونص قطرب على أنها لغة فى بنى يربوع وقال القاسم بن معن وهو من رؤساء النحويين الكوفيين هى صواب وسأل حسين الجعفى أبا عمرو بن العلاء وذكر له تلحين أهل النحو فقال هى جائزة وقال أيضا لا تبالى الى أسفل حركتها أو الى فوق وعنه انه قال هى بالخفض حسن وعنه أيضا انه قال هى جائزة وليست عند الاعراب بذلك ولا التفات الى انكار أبى حاتم على أبى عمرو تحسينها فابو عمرو امام لغة وامام نحو وامام قراءة وعربى صريح وقد أجازها وحسنها وقدرو وابنت السابعه

قوله فى غضون كلامه حيث قبلها ألف فلا أعلم حيث يضاف الى الجملة المصدرة بالظرف نحو قعد زيد حيث أمام عمرو بكر فيحتاج هذا التركيب الى سماع وأما قوله لأن ياء الاضافة الى آخره فدروى سكون الياء بعد الألف * وقرأ بذلك القراء نحو محياى وماذهب اليه من ذكرنا من النحاة لاينبغى أن يلتفت اليه واقتفى آثارهم فيها الخلف فلا يجوز أن يقال فيها انها خطأ أو قبيحة أورديئة وقد نقل جاعة من أهل اللغة انها لغة لكنه قل استعمالها ونص قطرب على انها لغة فى بنى يربوع * وقال القاسم بن معن وهو من رؤساء النحويين الكوفيين هى صواب وسأل حسين الجعفى أباعمرو بن العلاء وذكر تلحين أهل النحو فقال هى جائزة * وقال أيضا لاتبالى الى أسفل حركتها أوالى فوق وعنه انه قال هى بالخفض حسنة * وعنه أيضا انه قال هى جائزة وليست عند الاعراب بذلك ولا التفات الى انكار أبى حاتم على أبى عمرو وتحسينها فأبو عمرو امام لغة وامام نحو وامام قراءة وعربى صريح وقد أجازها وحسنها وقد رووا بيت النابغة

علىّ لعمرو نعمة بعد نعمة * لوالده ليست بذات عقارب

بخفض الياء من علىّ ومافى بما اشركتمونى مصدرية ومن قبل متعلق باشركتمونى أى كفرت اليوم باشرا ككم اياى من قبل هذا اليوم أى فى الدنيا كقوله انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم * وقال ويوم القيامة يكفرون بشرككم * وقيل موصولة بمعنى الذى والتقدير كفرت بالصنم الذى أشركتمونيه فحذف العائد * وقيل من قبل متعلق بكفرت ومابمعنى الذى أى كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذى اشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا فاذا أدخلت همزة النقل قلت أشركت زيدا عمرا أى جعلته له شريكا الان فى هذا القول اطلاق ماعلى الله تعالى وماالاصح فيها انها لاتطلق على آحاد من يعلم * وقال الزمخشرى ونحو ماهذه يعنى فى اطلاقها على الله مافى قولهم سبحان ماسخركن لنا انتهى ومن منع ذلك جعل سبحان علما على معنى التسبيح كما جعل برة علما للبرة ومامصدرية ظرفية ويكون ذلك من ابليس اقرارا على نفسه بكفره الاقدم أى خطيئتى قبل خطيئتكم فلا اصراخ عندى ان الظالمين لهم عذاب أليم الظاهر انه من تمام كلام ابليس حكى الله عنه ماسيقوله فى ذلك الوقت ليكون تنبيها للسامعين على النظر فى عاقبتهم والاستعداد لما لابد منه وأن يتصوروا فى أنفسهم ذلك المقام الذى يقول فيه الشيطان مايقول فيخافوا ويعملوا مايخلصهم منه وينجيهم * وقيل هو من كلام الخزنة يوم ذاك * وقيل من كلام الله تعالى ولأبى عبد الله الرازى كلام هنا فى الشيطان والملائكة يوقف عليه من تفسيره ﴿ وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام﴾ لما جمع الفريقين فى قوله وبرزوا لله جميعا وذكر شيأ من أحوال الكفار ذكر ما آل اليه أمر المؤمنين من ادخالهم الجنة * وقرأ الجمهور وأدخل ماضيا مبنيا للمفعول * وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد وأدخل بهمزة المتكلم مضارع أدخل أى وأدخل أنا وعلى قراءة الجمهور يحتمل أن يكون الفاعل الملائكة والظاهر تعلق باذن ربهم بادخل * وقال الزمخشرى (فان قلت) فبم يتعلق يعنى باذن ربهم فى القراءة الأخرى وقولك وأدخلهم أنا باذن ربهم كلام غير ملتئم (قلت) الوجه فى هذه القراءة أن يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده أى تحيتهم فيها سلام باذن ربهم يعنى ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم انتهى فظاهر كلامه ان باذن ربهم معمول لقوله

مابمعنى الذى أى كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذى أشركتمونيه وهو الله تعالى تقول شركت زيدا فاذا أدخلت همزة النقل قلت أشركت زيدا عمرا أى جعلته له شريكا الآن فى هذا القول اطلاق ماعلى الله تعالى وماالاصح فيها انها لاتطلق على آحاد من يعلم (ش) ونحو ماهذه يعنى فى اطلاقها على الله مافى قولهم سبحان ماسخركن لنا (ح) من منع ذلك جعل سبحان علما على معنى التسبيح كما جعل برة علما للبرة وما مصدرية ظرفية (ش) فان قلت فبم يتعلق يعنى باذن ربهم فى القراءة الأخرى وقولك وأدخلهم أنا باذن ربهم كلام غير ملتئم * قلت الوجه فى هذه القراءة أن يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده أى تحيتهم فيها سلام باذن ربهم يعنى أن الملائكة يحيونهم باذن ربهم (ح) ظاهر كلامه ان باذن ربهم معمول لقوله تحيتهم ولذلك قال يعنى ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم وهذا لايجوز لان فيه تقديم معمول المصدر المنحل بحرف مصدرى والفعل عليه وهو غير جائز

تحيتهم ولذلك قال يعني ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم وهذا لا يجوز لان فيه تقديم معمول المصدر المنحل بحرف مصدري والفعل عليه وهو غير جائز * وقال أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي الحسن أدخل برفع اللام على الاستقبال باخبار الله تعالى عن نفسه فيصير بذلك باذن ربهم ألطف لهم وأحنى عليهم وتقدم تفسير تحيتهم فيها سلام في أوائل سورة يونس ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار * يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ تقدم الكلام في ضرب مع المثل في أوائل البقرة فكان يغني ذلك عن الكلام فيه هنا الا ان المفسرين أبدوا هنا تقديرات فأعرب الحوفي والمهدوي وأبو البقاء مثلا مفعولا بضرب وكلمة بدل من مثلا واعرابهم هذا تفريع على ان ضرب مثل لا يتعدى الا الى مفعول واحد * وقال ابن عطية وأجازه الزمخشري مثلا مفعول بضرب وكلمة مفعول أول تفريعا على انها مع المثل تتعدى الى اثنين لانها بمعنى جعل وعلى هذا تكون شجرة خبر مبتدأ محذوف أي جعل كلمة طيبة مثلا هي أي الكلمة كشجرة طيبة وعلى البدل تكون كشجرة نعتا للكلمة * وأجاز الزمخشري وبدأ به أن تكون كلمة نصبا بمضمر أي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس انتهى وفيه تكلف اضمار لا ضرورة تدعو اليه * وقرىء شاذا كلمة طيبة بالرفع * قال أبو البقاء على الابتداء وكشجرة خبره انتهى ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف والتقدير هو أي المثل كلمة طيبة كشجرة وكشجرة نعت لكلمة والكلمة الطيبة هي لا اله الا الله قاله ابن عباس أو الايمان قاله مجاهد وابن جريج أو المؤمن نفسه قاله عطية العوفي والربيع أو جميع طاعاته أو القرآن قاله الاصم أو دعوة الاسلام قاله ابن بحر أو الثناء على الله أو التسبيح والتنزيه والشجرة الطيبة المؤمن قاله ابن عباس أو جوزة الهند قاله علي وابن عباس أو شجرة في الجنة قاله ابن عباس أيضا أو النخلة وعليه أكثر المتأولين وهو قول ابن مسعود وابن عباس وأنس ومجاهد وعكرمة والضحاك وابن زيد وجاء ذلك نصا من حديث ابن عمر مما خرجه الدارقطني عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الآية فقال أتدرون ما هي فوقع في نفسي انها النخلة الحديث * وقال أبو العالية أتيت أنس بن مالك فجيء بطبق عليه رطب فقال أنس كل يا أبا العالية فانها الشجرة الطيبة التي ذكرها الله في كتابه ثم قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصاع بسر فتلا هذه الآية وفي الترمذي من حديث أنس نحو هذا * وقال الزمخشري

﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة ﴾ تقدم الكلام في ضرب مع المثل في أوائل البقرة فأغنى عن اعادته والكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة لا إله الا الله قاله ابن عباس ﴿ أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾ يريد بالفرع أعلاها ورأسها وان كان المشبه به ذا فروع فيكون من باب الاكتفاء بلفظ الجنس ومعنى في السماء في جهة العلو والصعود لا المظلة ولما شبهت الكلمة الطيبة كانت الكلمة أصلها ثابت في قلوب أهل الايمان وما يصدر عنها من الافعال الزكية والاعمال الصالحة هو فرعها يصعد الى السماء الى الله تعالى كما قال اليه يصعد الكلم الطيب وما يترتب على ذلك العمل وهو ثواب الله تعالى هو جناها و وصف هذه الشجرة بأوصاف الاول قوله طيبة أي كريمة المنبت والاصل في الشجرة لذيذة في المطعم الثاني رسوخ أصلها وذلك يدل على تمكنها وأن الرياح لا تقصفها فهي بطيئة الفناء الثالث علو فرعها وذلك يدل على تمكن الشجرة و رسوخ عروقها وعلى بعدها من عفونات الارض وعلى صفائها من الشوائب الرابع ديمومة وجود ثمرتها وحضورها في كل الاوقات والحين في اللغة قطعة من الزمان والكلمة الخبيثة هي كلمة الكفر والظاهر أن التشبيه وقع بشجرة غير معينة اذا وجدت منها هذه الاوصاف ومعنى اجتثت أي اقتلعت جثتها بنزع الاصول و بقيت في غاية الوهي والضعف فيقلبها أقل ريح فالكافر يرى أن بيده شيأ وهو لا يستقر ولا يغني عنه شيأ ﴿ ما لها من قرار ﴾ أي استقرار يقال قر الشيء قرارا ثبت ثباتا وهذا النوع من المجاز هو من تشبيه المعقول بالمحسوس ﴿ يثبت الله ﴾ بدأ بحال المؤمن وتثبيته في الدنيا كونه لو فتن عن دينه في الدنيا لثبت عليه وما زال كما جرى لأصحاب الاخدود ثم ذكر حال الكافر بقوله ﴿ ويضل الله الظالمين ﴾ ولما ذكر تعالى ما فعل بكل واحد من القسمين ذكر أنه لا يمكن اعتراض عليه فيما خص به كل واحد منهما اذ ذاك راجع الى مشيئة الله تعالى فقال ﴿ ويفعل الله ما يشاء ﴾ لا يسأل عما يفعل

كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك انتهى وقد شبه الرسول المؤمن الذي يقرأ القرآن بالاترجة فلا يبعد أن يشبه أيضا بشجرتها * أصلها ثابت أي في الارض ضارب بعروقه فيها * وقرأ أنس بن مالك كشجرة طيبة ثابت أصلها أجريت الصفة على الشجرة لفظا وان كانت في الحقيقة للسببي وقراءة الجماعة فيها اسناد الثبوت الى السببي لفظا ومعنى وفيها حسن التقسيم اذ جاء أصلها ثابت وفرعها في السماء يريد بالفرع أعلاها ورأسها وان كان المشبه به ذا فروع فيكون من باب الاكتفاء بلفظ الجنس ومعنى في السماء جهة العلو والصعود لا المظلة وفي الحديث خلق الله آدم طوله في السماء ستون ذراعا ولما شبهت الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة كانت الكلمة أصلها ثابت في قلوب أهل الايمان ومايصدر عنها من الأفعال الزكية والاعمال الصالحة هو فرعها يصعد الى السماء الى الله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ومايترتب على ذلك العمل وهو ثواب الله هو جناها ووصف هذه الشجرة بأربعة أوصاف * الاول قوله طيبة أي كريمة المنبت والاصل في الشجرة له لذة في المطعم * قال الشاعر

طيب الباءة سهل ولهم * سبل ان شئت في وحش وعر

أي ساحتهم سهلة طيبة * الثاني رسوخ أصلها وذلك يدل على تمكنها وان الرياح لاتقصفها فهي بطيئة الفناء وما كان كذلك حصل الفرح بوجدانه * والثالث علو فرعها وذلك يدل على تمكن الشجرة ورسوخ عروقها وعلى بعدها عن عفونات الارض وعلى صفائها من الشوائب * الرابع ديمومة وجود ثمرتها وحضورها في كل الاوقات والحين في اللغة قطعة من الزمان قال الشاعر

تناذرها الراقون من سوء سمها * تطلقه حينا وحينا تراجع

والمعنى تعطي جناها كل وقت وقته الله له * وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن أي كل سنة ولذلك قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحكم وحماد وجماعة من الفقهاء من حلف أن لا يفعل شيأ حينا فانه لا يفعله سنة واستشهدوا بهذه الآية * وقيل ثمانية أشهر قاله علي ومجاهد ستة أشهر وهي مدة بقاء الثمر عليها * وقال ابن المسيب الحين شهران لان النخلة تدوم مثمرة شهرين * وقيل لاتتعطل من ثمر تحمل في كل شهر وهي شجرة جوز الهند * وقال ابن عباس أيضا والضحاك والربيع كل حين أي كل غدوة وعشية ومتى أريد جناها ويتخرج على انها شجرة في الجنة والتذكر المرجو بضرب المثل هو التفهم والتصور للمعاني المدركة بالعقل فتى أبرزت مشبهة بالمحسوسات لم ينازع فيها الحس والخيال والوهم وانطبق المعقول على المحسوس فحصل الفهم والوصول الى المطلوب والكلمة الخبيثة هي كلمة الكفر على قول الجمهور * وقال مسروق الكذب وقال ان تجر دعوة الكفر ومايعزى اليه الكافر * وقيل كل كلام لا يرضاه الله تعالى * وقرأ أبي وضرب الله مثلا كلمة خبيثة وقرئ ومثل كلمة بنصب مثل عطفا على كلمة طيبة والشجرة الخبيثة شجرة الحنظل قاله الاكثرون ابن عباس ومجاهد وأنس بن مالك ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم * وقال الزجاج وفرقة شجرة الثوم * وقيل شجرة الكشوث وهي شجرة لا ورق لها ولا أصل قال وهي كشوت فلا أصل ولا ثمر * وقال ابن عطية ويرد على هذه الاقوال أن هذه كلها من النجم وليست من الشجر والله تعالى انما مثل بالشجر فلا تسمى هذه شجرة الابتجوز فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الثوم والبصل من أكل من هذه الشجرة * وقيل الطحلبة * وقيل الكمأة * وقيل كل شجر لا يطيب له ثمر وعن ابن عباس هي الكافر وعنه أيضا شجرة لم تخلق على الارض * وقال ابن عطية

والظاهر عندي أن التشبيه وقع بشجرة غير معينة اذا وجدت منها هذه الاوصاف هو أن يكون كالعضاة أو شجرة السموم ونحوها اذا اجتثت أي اقتلعت جثها بنزع الاصول و بقيت في غاية الوهي والضعف فتقلبها أقل ريح فالكافر يرى أن بيده شيأ وهو لا يستقر ولا يغني عنه كهذه الشجرة التي يظن بها على بعد الجاهل أنها شئ نافع وهي خبيثة الجنى غير نافعة انتهى واجتثت من فوق الارض مقابل لقوله أصلها ثابت أي لم يتمكن لها أصل ولا عرق في الارض وانما هي نابتة على وجه الارض مالها من قرار أي استقرار يقال قر الشئ قرارا ثبت ثباتا شبه بهذه الشجرة القول الذي لم يعضد بحجة فهو لا يثبت بل يضمحل عن قريب لبطلانه والقول الثابت هو الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه واطمأنت اليه نفسه وتثبيتهم به في الدنيا كونهم لو فتنوا عن دينهم في الدنيا لثبتوا عليه وماز لوا كما جرى لاصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير وكشطت لحومهم بامشاط الحديد كما ثبت جرجيس وشمعون و بلال حتى كان يعذب بالرمضاء وهو يقول أحد أحد وتثبيتهم في الآخرة كونهم اذا سئلوا عند توافق الاشهاد عن معتقدهم ولم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم أهوال الحشر والذين آمنوا عام من لدن آدم الى يوم القيامة * وقال طاوس وقتادة وجمهور من العلماء أن تثبيتهم في الدنيا هو مدة حياة الانسان وفي الآخرة هو وقت سؤاله في قبره ورجح هذا القول الطبري * وقال البراء بن عازب وجماعة في الحياة الدنيا هي وقت سؤاله في قبره ورواه البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي الآخرة هو يوم القيامة عند العرض * وقيل معنى تثبيته في الحياة الدنيا وفي الآخرة هو حياته على الايمان وحشره عليه * وقيل التثبيت في الدنيا الفتح والنصر وفي الآخرة الجنة والثواب وما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث البراء من تلاوته عند ايعاد المؤمن في قبره وسئل وشهد شهادة الاخلاص قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا الآية لا يظهر منه يعني أن الحياة الدنيا هي حياة الانسان وأن الآخرة في القبر ولا أن الحياة الدنيا هي في القبر وأن الآخرة هي يوم القيامة بل اللفظ محتمل ومعنى يثبت يديمهم عليه و يمنعهم من الزلل ومنه قول عبد الله بن رواحة

فثبت الله ما آتاك من حسن * تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

والظاهر أن بالقول الثابت متعلق بقوله يثبت * وقيل يتعلق بآمنوا وسؤال العبد في قبره معتقد أهل السنة و يضل الله الظالمين أي الكافرين لمقابلتهم بالمؤمنين واضلالهم في الدنيا كونهم لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل أقدامهم وهي الحيرة التي تلحقهم اذ ليسوا متمسكين بحجة وفي الآخرة هو اضطرابهم في جوابهم ولما تقدم تشبيه الكلمة الطيبة على تشبيه الكلمة الخبيثة تقدم في هذا الكلام من نسبت اليه الكلمة الطيبة وتلاه من نسبت اليه الكلمة الخبيثة ولما ذكر تعالى ما فعل بكل واحد من القسمين ذكر أنه لا يمكن اعتراض فيما خص به كل واحد منهما اذ ذلك راجع الى مشيئته تعالى ان الله يفعل ما يشاء لا يسئل عما يفعل * وقال الزمخشري و يفعل الله ما يشاء أي توجيه الحكمة لان مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتأييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم و بين شأنهم عند زللهم انتهى وفيه دسيسة الاعتزال ﴿ ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها وبئس القرار * وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار ﴾ لما ذكر حال المؤمنين وهداهم وحال الكافرين واضلالهم ذكر السبب في اضلالهم والذين بدلوا ظاهره أنه عام

﴿ ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا ﴾ الآية الذين بدلوا ظاهره أنه عام في جميع المشركين وسأل ابن عباس عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال هما الافجران من قريش أخوالي أي بني مخزوم واستؤصلوا ببدر وأعمامك أي بني أمية و بدل يتعدى الى اثنين أحدهما بالباء أو ما جرى مجراها وقد تحذف الباء وهي هنا محذوفة تقديره بنعمة الله أي بشكر نعمة الله وتقدم الكلام على مثل ذلك في قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان ﴿ وأحلوا قومهم دار البوار ﴾ أي دار الهلاك وجهنم بدل من قوله دار البوار والمخصوص بالذم محذوف تقديره وبئس القرار هي أي جهنم ﴿ وجعلوا لله أندادا ﴾ أي زادوا الى كفر نعمته أن صيروا له أندادا وهي الاصنام التي اتخذوها آلهة من دون الله والظاهر أن اللام لام الصيرورة والمآل لما كانت نتيجة جعل الأنداد آلهة آل الى الضلال والامر بالتمتع أمر تهديد و وعيد

في جميع المشركين قاله الحسن بدلوا بنعمة الايمان الكفر * وقال مجاهد هم أهل مكة أنعم الله تعالى عليهم ببعثه رسولا منهم يعلمهم أمر دينه وشرفهم به وأسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته فوضعوا مكان شكر هذه النعمة كفرا وسأل ابن عباس عمر عنهم فقال هما الاعراب من قريش أخوالي أي بني مخزوم واستؤصلوا ببدر وأعمامك أي بني أمية ومتعوا الى حين وعن علي نحو من ذلك * وقال قتادة هم قادة المشركين يوم بدر وعن علي هم قريش الذين تحزبوا يوم بدر وعلي انهم قريش جاعة من الصحابة والتابعين وعن علي أيضا هم منافقو قريش أنعم عليهم باظهار علم الاسلام بأن صان دماءهم وأموالهم وذراريهم ثم عادوا الى الكفر وعن ابن عباس في جبلة بن الايهم ولا يريد انها نزلت فيه لأن نزول الآية قبل قصته وقصته كانت في خلافة عمر وانما يريد ابن عباس انها تخص من فعل فعل جبلة الى يوم القيامة ونعمة الله على حذف مضاف أي بدلوا شكر نعمة الله كقوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون أي شكر رزقكم كأنه وجب عليهم الشكر فوضعوا مكانه كفرا وجعلوا مكان شكرهم التكذيب * قال الزمخشري ووجه آخر وهو انهم بدلوا نفس النعمة بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم أهل مكة أسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته وأكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما ألزمهم من الشكر العظيم أو أصابهم الله بالنعمة والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم الله بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وبقي الكفر طوقا في أعناقهم انتهى ونعمة الله هو المفعول الثاني لأنه هو الذي يدخل عليه حرف الجر أي بنعمة الله وكفرا هو المفعول الاول كقوله فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات أي بسيئاتهم حسنات فالمنصوب هو الحاصل والمجرور بالباء أو المنصوب على اسقاطها هو الذاهب على هذا لسان العرب وهو على خلاف ما يفهمه العوام وكثير ممن ينتمي الى العلم وقد أوضحنا هذه المسألة في قوله في البقرة ومن يتبدل الكفر بالايمان واذا قدرت مضافا محذوفا وهو شكر نعمة الله فهو الذي دخلت عليه الباء ثم حذفت واذا لم يقدر مضاف محذوف فالباء دخلت على نعمة ثم حذفت وأحلوا قومهم أي من تابعهم على الكفر وزعم الحوفي وأبو البقاء ان كفرا هو مفعول ثان لبدلوا وليس بصحيح لأن بدل من اخوات اختار فالذي يباشره حرف الجر هو المفعول الثاني والذي يصل اليه الفعل بنفسه لا بواسطة حرف الجر هو المفعول الأول وأعرب الحوفي وأبو البقاء جهنم بدلا من دار البوار والزمخشري عطف بيان فعلى هذا يكون الاحلال في الآخرة ودار البوار جهنم وقاله ابن زيد وقيل عن علي يوم بدر وعن عطاء بن يسار نزلت في قتلى بدر فيكون دار البوار أي الهلاك في الدنيا كقليب بدر وغيره من المواضع التي قتلوا فيها وعلى هذا أعرب ابن عطية وأبو البقاء جهنم منصوبا على الاشتغال أي يصلون جهنم يصلونها ويؤيد هذا التأويل قراءة ابن أبي عبلة جهنم بالرفع على أنه يحتمل أن يكون جهنم مرفوعا على انه خبر مبتدأ محذوف وهذا التأويل أولى لأن النصب على الاشتغال مرجوح من حيث انه لم يتقدم ما يرجحه ولا ما يكون مساويا وجمهور القراء على النصب ولم يكونوا ليقرؤا بغير الراجح أو المساوي إذ زيد ضربته أفصح من زيدا ضربته فلذلك كان ارتفاعه على انه خبر مبتدأ محذوف في قراءة ابن أبي عبلة راجحا وعلى تأويل الاشتغال يكون يصلونها لا موضع له من الاعراب وعلى التأويل الأول جوزوا أن يكون حالا من جهنم أو حالا من دار البوار أو حالا من قومهم والمخصوص بالذم محذوف تقديره وبئس القرار هي أي جهنم وجعلوا لله أندادا أي زادوا الى كفرهم نعمته أن صيروا له أندادا وهي الاصنام التي اتخذوا آلهة من دون الله *

﴿قل لعبادي الذين آمنوا﴾ الآية لما ذكر حال الكفار وكفرهم نعمته وجعلهم أندادا وتهددهم أمر المؤمنين بلزوم الطاعة والتيقظ لانفسهم والتزام عمودي الاسلام الصلاة والزكاة قبل مجيء يوم القيامة ومعمول قبل محذوف تقديره أقيموا الصلاة ويقيموا جواب لهذا الامر المحذوف وعلامة الجزم فيه حذف النون قال ابن عطية ويظهر أن المقول هو الآية التي بعد أي قوله الله الذي خلق السموات والارض انتهى وهذا الذي ذهب اليه من كون معمول القول هو قوله الله الذي خلق الآية تفكيك للكلام يخالفه ترتيب التركيب ويكون قوله يقيموا الصلاة كلاما مفلتا من القول ومعموله أو يكون جوابا فصل به بين القول ومعموله ولا يترتب أن يكون جوابا لان قوله تعالى الله الذي خلق السموات والارض لا يستدعي اقامة الصلاة والانفاق الا بعد تقدير بعيد جدا وتقدم الكلام على قوله تعالى لا بيع (٤٢٥) فيه في البقرة ولما أطال الكلام في وصف أحوال السعداء والاشقياء ختم وصفه بالدلائل الدالة على وجود الصانع فقال الله الذي خلق الآية وذكر أنواعا من الدلائل فذكر أولا إبداعه وانشاءه السموات والأرض ثم أعقب بباقي الدلائل وأبرزها في جملة مستقلة ليدل وينبه على أن كل جملة منها مستقلة في الدلالة ولم يجعل متعلقاتها معطوفات عطف المفرد على المفرد والله مرفوع على الابتداء والذي خبره قال ابن عطية ويجوز أن تكون من لبيان الجنس كأنه قال فأخرج به رزقا لكم هو الثمرات وهذا ليس بجيد لأن من التي لبيان الجنس انما تأتي بعد المبهم الذي تبينه قال

الزمخشري ويجوز أن يكون من الثمرات مفعول أخرج ورزقا حالا من المفعول أو نصبا على المصدر من أخرج لأنه في معنى رزق وقيل من زائدة انتهى هذا لا يجوز عند جمهور البصريين لان ما قبلها واجب وبعدها معرفة ويجوز عند الأخفش وانتصب دائبين على الحال والمعنى يدأبان في سيرهما وإنارتهما واصلاحهما ما يصلحان من الأرض والأبدان والنبات والضمير المنصوب في سألتموه عائد على ما وهي موصولة بمعنى الذي والذي يظهر أن النعمة هو المنعم به وانه هو اسم جنس لا يراد به الواحد بل يراد به الجمع كأنه قيل وان تعدوا نعم الله ومعنى لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدها والمراد بالانسان هنا الجنس أي توجد فيه هذه الخلال وهي الظلم والكفر يظلم النعمة باغفال شكرها ويكفرها بجحدها وجاء في النحل وان تعدوا نعمة الله وجاءت مختتمة بقوله ان الله لغفور رحيم وسيأتي الكلام عليه ان شاء الله تعالى

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وليضلوا هنا وليضل في الحج ولقمان والزمر بفتح الياء وباقي السبعة بضمها والظاهر أن اللام لام الصيرورة والمآل لما كانت نتيجة جعل الانداد آلهة الضلال أو الاضلال جرى مجرى لام العلة في قولك جئتك لتكرمني على طريقة التشبيه * وقيل قراءة الفتح لا تحتمل أن تكون اللام لام العاقبة وأما بالضم فتحتمل العاقبة والعلة والامر بالتمتع أمر تهديد ووعيد على حد قوله اعملوا ما شئتم * قال الزمخشري تمتعوا ايذان بأنهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مأمورون به قد أمرهم آمر مطاع لا يسعهم أن يخالفوه ولا يملكون لأنفسهم أمرا دونه وهو آمر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما أنتم عليه من الامتثال لأمر الشهوة فان مصيركم الى النار ويجوز أن يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار انتهى ومصيركم مصدر صار التامة بمعنى رجع وخبر ان هو قوله الى النار ولا يقال هنا صار بمعنى انتقل ولذلك تعدى بالى أي فان انتقالكم الى النار لأنه تبقى ان بلا خبر ولا ينبغي أن يدعى حذفه فيكون التقدير فان مصيركم الى النار واقع لا محالة أو كائن لأن حذف الخبر في مثل هذا التركيب قليل وأكثر ما يحذف اذا كان اسم ان نكرة والخبر جار ومجرور وقد أجاز الحوفي أن يكون الى النار متعلقا بمصيركم فعلى هذا يكون الخبر محذوفا ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال * الله الذي خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الانهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار * وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار﴾ لما ذكر تعالى حال الكفار وكفرهم نعمته وجعلهم له أندادا وتهددهم أمر المؤمنين بلزوم الطاعة والتيقظ لأنفسهم والزام عمودي الاسلام الصلاة والزكاة قبل مجيء يوم القيامة ومعمول قل محذوف تقديره أقيموا الصلاة يقيموا ويقيموا المجزوم على جواب الامر وهذا قول الاخفش والمازني ورد بأنه لا يلزم من القول ان

(الدر) قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة (ح) معمول قل محذوف تقديره أقيموا الصلاة يقيموا ويقيموا مجزوم على

(الدر) جواب الامر وهـذا قول الاخفش والمازني ورد بانه لايلزم من القول أن يقيموا ورد هـذا الرد بانه أمر للمؤمنين بالاقامة لا للكافرين والمؤمنون متى أمرهم الرسول بشئ فعلوه لامحالة قال (ع) ويحتمل أن يكون يقيموا جواب الامر الذى يعطينا معناه قوله قل وذلك أن يجعل قل فى هذه الآية بمعنى بلغ وأد الشريعة يقيموا الصلاة انتهى وهذا قريب مما قبله الا أن فيما قبله معمول القول أقيموا وفى هـذا الشريعة على تقدير بلغ الشريعة وذهب الكسائى والزجاج الى أن معمول قل هو قوله يقيموا وهو أمر مجزوم بلام الامر محذوفة على حـد قول الشاعر * محمـد تفد نفسك كل نفس * أنشده سيبويه الا أنه قال ان هذا لايجوز الا فى الشعر وقال (ش) فى هذا القول وانما جاز حذف اللام لان الامر الذى هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحـذف اللام لم يجز انتهى وذهب المبرد الى أن التقدير قل لهم أقيموا فيقيموا المصرح به جواب أقيموا المحذوف قيـل وهو فاسد لوجهين أحدهما ان جواب الشرط يخالف الشرط اما فى الفعل أو فى الفاعل أو فيهما فاما اذا كان مثله فيهما فهو خطأ كقولك قم تقم والتقدير على هذا الوجه ان يقيموا يقيموا والوجه الثانى ان الأمر المقدر للمواجهة يقيموا على لفظ الغيبة وهو خطأ اذا كان الفاعل واحدا وقيـل التقدير ان تقل لهم أقيموا يقيموا قاله سيبويه فيما حكى (ع) وقال الفراء جواب الامر معه شرط مقـدر تقول أطع الله يدخلك الجنة أى ان تطعه يدخلك الجنـة ومخالفة هذا القول للقول قبـله من أن الشرط فى هذا مقدر بعد فعل الأمر وفى الذى قبـله الأمر مضمن معنى الشرط وقيل هو مضارع بلفظ الخبر صرف عن لفظ الأمر والمعنى أقيموا قاله أبو على وفرقة ورد بانه لو كان مضارعا بلفظ الخبر ومعناه الأمر لبقى على اعرابه كقوله هل أدلكم على تجارة ثم قال تؤمنون والمعنى آمنوا واعتل أبو على لذلك بانه لما كان بمعنى الأمر بنى يعنى على حذف النون لان المراد أقيموا وهذا كما هى الاسم المتمكن فى النداء فى قولك يازيد يعنى على الضمة لما شبه بقبل وبعد انتهى ومتعلق القول الملفوظ به والمقدر على هذه التخاريج هو الأمر بالاقامة والانفاق الا فى قول (ع) فتعلقه الشريعة فهو أعم اذ قدر قل بمعنى بلغ وأد الشريعـة قال (ع) ويظهر ان المقول هو الآية التى بعـد أعنى قوله الله الذى خلق السموات والأرض انتهى وهذا الذى ذهب اليه من كون معمول القول هو قوله تعالى الله الذى الآية تفكيك للكلام يخالفه ترتيب التركيب ويكون قوله يقيموا الصـلاة كلاما مفلتا من القول ومعموله أو يكون جوابا فصـل به بين القول ومعموله ولا يترتب أن يكون جوابا لان قوله الله الذى خلق السموات والارض لايستدعى إقامة الصلاة والانفاق الا بتقدير بعيد جدا

يقيموا ورد هـذا الردّ بأنه أمر المؤمنين بالاقامة لا الكافرين والمؤمنون متى أمرهم الرسول بشئ فعلوه لامحالة * قال ابن عطية ويحتمل أن يكون يقيموا جواب الامر الذى يعطينا معناه قوله قل وذلك ان تجعل قل فى هذه الآية بمعنى بلغ وأدّ الشريعة يقيموا الصلاة انتهى وهذا قريب مما قبله الا أن فى ما قبله معمول القول أقيموا وفى هـذه الشريعـة على تقدير بلغ الشريعـة وذهب الكسائى والزجاج وجماعة الى أن معمول قل هو قوله يقيموا وهو أمر مجزوم بلام الامر محذوفة على حد قول الشاعر * محمـد تفد نفسك كل نفس * أنشـده سيبويه الا أنه قال ان هذا لايجوز الا فى الشعر وقال الزمخشرى فى هذا القول وانما جاز حذف اللام لأن الامر الذى هو قل عوض منـه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز انتهى وذهب المبرد الى أن التقدير قل لهم أقيموا يقيموا فيقيموا المصرح به جواب أقيموا المحذوف قيل وهو فاسد لوجهين أحدهما ان جواب الشرط يخالف الشرط اما فى الفعل أو فى الفاعل أو فيهما فاما اذا كان مثله فيهما فهو خطأ كقولك قم يقم والتقدير على هذا الوجه ان يقيموا يقيموا والوجه الثانى ان الامر المقدر للمواجهة ويقيموا على لفظ الغيبـة وهو خطأ اذا كان الفاعل واحدا * وقيل التقـدير ان تقل لهم أقيموا يقيموا قاله سيبويه فيما حكاه ابن عطية * وقال الفراء جواب الامر معه شرط مقدر تقول أطع الله يدخلك الجنة أى ان تطعه يدخلك الجنة ومخالفة هذا القول للقول قبله ان الشرط فى هذا مقدر بعد فعل الامر وفى الذى قبله الامر مضمن معنى الشرط * وقيل هو مضارع بلفظ الخبر صرف عن لفظ الامر والمعنى أقيموا قاله أبو على وفرقة ورد بأنه لو كان مضارعا بلفظ الخبر ومعناه الامر لبقى على اعرابه بالنون كقوله هل أدلكم على تجارة ثم قال تؤمنون والمعنى آمنوا واعتـل أبو على لذلك بانه لما كان بمعنى الامر بنى يعنى على حذف النون لان المراد أقيموا وهـذا كما بنى الاسم المتمكن فى

النداء فى قولك يازيد يعنى على الضمة لما شبه بقبل و بعد انتهى ومتعلق القول الملفوظ به أو المقدر فى هذه التخاريج هو الامر بالاقامة والانفاق الا فى قول ابن عطية فتعلقه الشريعة فهو أعم اذ قدر قل بمعنى بلغ وأد الشريعة قال ابن عطية ويظهر أن المقول هو الآية التى بعد أعنى قوله الله الذى خلق السموات والارض انتهى وهذا الذى ذهب اليه من كون معمول القول هو قوله تعالى الله الذى الآية تفكيك للكلام يخالفه ترتيب التركيب ويكون قوله يقيموا الصلاة كلاما مفلتا من القول ومعموله أو يكون جوابا فصل به بين القول ومعموله ولا يترتب أن يكون جوابا لان قوله الله الذى خلق السموات والارض لا يستدعى اقامة الصلاة والانفاق الا بتقدير بعيد جدا واحتمل الصلاة ان يراد بها العموم أى كل صلاة فرض وتطوع وأن يراد بها الخمس وبذلك فسرها ابن عباس وفسر الانفاق بزكاة الاموال وتقدم اعراب سرا وعلانية وشرحها فى أواخر البقرة * وقال أبو عبيدة البيع هنا البدل والخلال المخالة وهو مصدر من خاللت خلالا ومخالة وهى المصاحبة انتهى ويعنى بالبدل مقابل شئ * وقال امرؤ القيس

صرفت الهوى عنهن من خشية الردى * ولست بمقلى الخلال ولا قال

* وقال الأخفش الخلال جمع خلة وتقدم الخلاف فى قراءة لا بيع فيه ولا خلال بالفتح أو بالرفع فى البقرة والمراد بهذا اليوم يوم القيامة قال الزمخشرى (فان قلت) كيف طابق الأمر بالانفاق وصف اليوم بأنه لا بيع فيه ولا خلال (قلت) من قبل ان الناس يخرجون أموالهم فى عقود المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفى المكارمات ومهاداة الاصدقاء ليستخرجوا بهداياهم أمثالها أو خيرا منها وأما الانفاق لوجه الله خالصا كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله فى يوم لا بيع فيه ولا خلال أى لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة ولا بما ينفقون فيه أموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله انتهى ولما أطال تعالى الكلام فى وصف أحوال السعداء والاشقياء وكان حصول السعادة بمعرفة الله وصفاته والشقاوة بالجهل بذلك ختم وصفه بالدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته فقال الله الذى خلق السموات والأرض وذكر عشرة أنواع من الدلائل فذكر أولا ابداعه وانشاء السموات والأرض ثم أعقب بباقى الدلائل وأبرزها فى جمل مستقلة ليدل وينبه على ان كل جملة منها مستقلة فى الدلالة ولم يجعل متعلقاتها معطوفات عطف المفرد على المفرد والله مرفوع على الابتداء والذى خبره * قال ابن عطية ومن أخبر بهذه الجملة وتقررت فى نفسه آمن وصلى وأنفق انتهى يشير الى ما تقدم من قوله ان معمول قل هو قوله تعالى الله الذى خلق السموات والارض الآية فكانه يقول يقيموا الصلاة جواب لقوله قل لعبادى الله الذى خلق السموات والارض والظاهر أن مفعول أخرج هو رزقا لكم ومن للتبعيض ولما تقدم على النكرة كان فى موضع الحال ويكون المعنى ان الرزق هو بعض جنى الاشجار ويخرج منها ما ليس برزق كالمجرد للمضرات ويجوز أن تكون من لبيان الجنس قاله ابن عطية والزمخشرى وكانه قال فأخرج به رزقا لكم هو الثمرات وهذا ليس بجيد لان من التى لبيان الجنس انما تأتى بعد المبهم الذى تبينه * وقال الزمخشرى ويجوز أن يكون من الثمرات مفعول أخرج ورزقا حالا من المفعول أو نصبا على المصدر من أخرج لانه فى معنى رزق * وقيل من زائدة وهذا لا يجوز عند جمهور البصريين لان ما قبلها واجب وبعدها معرفة ويجوز عند الاخفش والفلك هنا جمع فلك ولذلك قال

(الدر)

(ش) (ع) ويجوز أن يكون من بيان الجنس كأنه قال فاخرج به رزقا لكم هو الثمرات (ح) هذا ليس بجيد لان من التى لبيان الجنس انما تأتى بعد المبهم الذى تبينه (ش) ويجوز أن يكون من الثمرات مفعول أخرج ورزقا حالا من المفعول أو نصبا على المصدر من أخرج لأنه فى معنى رزق وقيل من زائدة انتهى (ح) هذا لا يجوز عند جمهور البصريين لان ما قبلها واجب وبعدها معرفة ويجوز عند الاخفش

لتجرى ومعنى بأمره راجع الى الامر القائم بالذات * وقال الزمخشرى لقوله كن وانطوى فى تسخيرا لفلك تسخيرالبحار وتسخير الرياح وأما تسخيرالانهار فبجريانها وبتفجيرها للانتفاع بها وانتصب دائبين على الحال والمعنى يدأبان فى سيرهما وانارتهما واصلاحهما مايصلحان من الأرض والابدان والنبات عن مقاتل بن حبان يرفعه الى ابن عباس انه قال معناه دائبين فى طاعة الله * قال ابن عطية وهذا قول ان كان يراد به ان الطاعة انقياد منهما فى التسخير فذلك موجود فى قوله سخر وان كان يراد أنها طاعة مقصودة كطاعة العبادة من البشر فهذا جيد والله أعلم انتهى وتسخير الليل والنهار كونهما يتعاقبان خلفة للمنام والمعاش وقال المتكلمون تسخير الليل والنهار مجاز لانهما عرضان والاعراض لاتسخر ولما ذكر تعالى تلك النعم العظيمة ذكر انه لم يقتصر عليها فقال وآتاكم من كل ماسألتموه والخطاب للجنس من البشر أى أن الانسان قد أوتى من كل ماشأنه أن يسأل وينتفع به ولا يطرد هذا فى كل واحد واحد من الناس وانما تفرقت هذه النعم فى البشر فيقال بحسب هذا الجميع أوتيتم كذا على جهة التقرير للنعمة * وقرأ ابن عباس والضحاك والحسن ومحمد بن على وجعفر بن محمد وعمرو بن قائد وقتادة وسلام ويعقوب ونافع فى رواية من كل بالتنوين أى من كل هذه المخلوقات المذكورات وما موصولة مفعول ثان أى ماشأنه أن يسأل بمعنى يطلب الانتفاع به * وقيل مانافية والمفعول الثانى هو من كل كقوله وأوتيت من كل شئ أى غير سائليه أخبر بسبوغ نعمته عليهم بما لم يسألوه من النعم ولم يعرض لماسألوه والجملة المنفية فى موضع نصب على الحال وهذا القول بدأ به الزمخشرى وثنى به ابن عطية وقال انه تفسير الضحاك وهذا التفسير يظهر انه مناف لقراءة الجمهور من كل ماسألتموه بالاضافة لان فى تلك القراءة على ذلك التخريج تكون مانافية فيكونون لم يسألوه وفى هذه القراءة يكونون قد سألوه وما بمعنى الذى وأجيز أن تكون مصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول ولما أحس الزمخشرى بظهور التنافى بين هذه القراءة وبين تلك على تقدير ان مانافية قال ويجوز أن تكون ماموصولة على وآتاكم من كل ذلك مااحتجتم اليه ولم تصلح أحوالكم ومعائشكم الا به فكأنكم سألتموه أوطلبتموه بلسان الحال فتأول سألتموه بقوله ما احتجتم اليه والضمير فى سألتموه ان كانت مامصدرية عائد على الله تعالى ويكون المصدر يراد به المسئول وان كانت موصولة بمعنى الذى عاد عليها والتقدير من كل الذى سألتموه اياه ولا يجوز أن يكون عائدا على الله والرابط للصلة بالموصول محذوف لانك ان قدرته متصلا فيكون التقدير ماسألتموهوه فلا يجوز أو منفصلا فيكون التقدير ماسألتموه اياه فالمنفصل لا يجوز حذفه والنعمة هنا قال الواحدى اسم أقيم مقام المصدر يقال أنعم انعاما ونعمة أقيم الاسم مقام الانعام كقولك أنفقت انفاقا ونفقة ولذلك لم يجمع لانه فى معنى المصدر انتهى والذى يظهر أن النعمة هو المنعم به وأنه هو اسم جنس لا يراد به الواحد بل يراد به الجمع كأنه قيل وان تعدوا نعمة الله ومعنى لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدها هذا اذا أرادوا أن يعدوها على الاجمال وأما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله * وقال أبو الدرداء من لم ير نعمة الله عليه الا فى مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه والمراد بالانسان هنا الجنس أى توجد فيه هذه الخلال وهى الظلم والكفر يظلم النعمة باغفال شكرها ويكفرها بجحدها * وقيل ظلوم فى الشدة فيشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع وفى النحل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والفرق بين الختمين أنه هنا تقدم قوله ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا وبعده وجعلوا لله أندادا فكان ذلك

نصا على مافعلوا من القبائح من كفران النعمة والظلم الذي هو الشرك بجعل الانداد ناسب ان يختم بذم من وقع ذلك منه فجاء ان الانسان لظلوم كفار وأما في النحل فلما ذكر عدة تفضلات وأطنب فيها وقال أفمن يخلق كمن لا يخلق أي من أوجد هذه النعم السابق ذكرها ليس كمن لا يقدر على الخلق ولا على شئ منه ذكر من تفضلاته اتصافه بالعذاب والرحمة تحريضا على الرجوع اليه وان هاتين الصفتين هو متصف بهما كما هو متصف بالخلق ففي ذلك اطماع لمن آمن به وانتقل من عبادة المخلوق الى عبادة الخالق انه يغفر زلله السابق و يرحمه وأيضا فانه لما ذكر انه تعالى هو المتفضل بالنعم على الانسان ذكر ماحصل من المنعم ومن جنس المنعم عليه فحصل من المنعم مايناسبه حالة عطائه وهو الغفران والرحمة اذ لولاهما لما أنعم عليه وحصل من جنس المنعم عليه مايناسبه حالة الانعام عليه وهو الظلم والكفران فكأنه قيل ان صدر من الانسان ظلم فالله غفور أو كفران نعمة فالله رحيم لعلمه بعجز الانسان وقصوره ودعوى أن هذه الآية منسوخة بآية النحل لا يلتفت اليها ونقل ذلك السخاوى عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ﴿ و إذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني و بني أن نعبد الاصنام رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم * ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون * ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء * الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربي لسميع الدعاء * رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء * ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب * ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار * مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء * وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال * وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال * وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال * فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام * يوم تبدل الارض غير الارض والسموات و برزوا لله الواحد القهار * وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد * سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار * ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب * هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر أولوا الالباب ﴾ جنب مخففا وأجنب رباعيا لغة نجد وجنب مشددا لغة الحجاز والمعنى منع وأصله من الجانب * الهوى الهبوط بسرعة قال الشاعر

واذا رميت به الفجاج رأيته * تهوى مخارمها هوى الاجدل

شخص البصر أحد النظر ولم يستقر في مكانه * المهطع المسرع في مشيه قال الشاعر

بمهطع سرح كأن عنانه * في رأس جذع من أراك مشذب

* وقال عمران بن حطان

اذا دعانا فأهطعنا لدعوته * داع سميع فلبونا وساقونا

* وقال أبو عبيدة قد يكون الاهطاع الاسراع وادامة النظر * المقنع هو الرافع رأسه المقبل ببصره على ما بين يديه قاله ابن عرفة والقتبي * وقال الشاعر

يباكرن العضاة بمقنعات * نواجذهن كالحدإ الوقيع

نصف الابل بالاقناع عند رعيها أعالي الشجر و يقال أقنع رأسه نكسه وطأطأه فهو من الاضداد * قال المبرد وكونه بمعنى رفع أعرف في اللغة انتهى * وقيل منه قنع الرجل اذا رضي كأنه رفع رأسه عن السؤال وفم مقنع معطوفة أسنانه اليه داخلا ورجل مقنع بالتشديد عليه بيضة الرأس معروف و يجمع في القلة على أرؤس * الطرف العين * وقال الشاعر

وأغض طرفي مابدت لي جارتي * حتى يواري جارتي مأواها

و يقال طرف الرجل طبق جفنه على الآخر وسمي الجفن طرفا لأنه يكون فيه ذلك * الهواء مابين السماء والارض وهو الخلاء الذي لم تشغله الاجرام الكثيفة واستعير للجبان فقيل قلب فلان هواء * وقال الشاعر

كأن الرحل منها فوق صعل * من الظلمات جؤجؤه هواء

المقرن المشدود في القرن وهو الحبل * الصفد الغل والقيد يقال صفده صفدا قيده والاسم الصفد وفي التكثير صفده مشددا * قال الشاعر * وأبقى بالملوك مصفدينا * وأصفدته أعطيته * وقيل صفد وأصفد معا في القيد والاعطاء * قال الشاعر * فلم أعرض أبيت اللعن بالصفد * أي بالعطاء وسمي العطاء صفدا لأنه يقيد و يعبد * السربال القميص يقال سر بلته فتسربل * القطران مايحلب من شجر الابهل فيطبخ وتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته وهو أقبل الاشياء اشتعالا و يقال فيه قطران بوزن سكران وقطران بوزن سرحان ﴿ وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني و بني أن نعبد الاصنام * رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ﴾ مناسبة هذه الآية لماقبلها أنه تعالى لما ذكر التعجيب من الذين بدلوا نعمة الله كفرا وجعلوا لله أندادا وهم قريش ومن تابعهم من العرب الذين اتخذوا آلهة من دون الله وكان من نعم الله عليهم اسكانه إياهم حرمه أردف ذلك بذكر أصلهم ابراهيم وأنه صلوات الله عليه دعا الله تعالى أن يجعل مكة آمنة ودعا بأن يجنب بنيه عبادة الأصنام وأنه أسكنه وذريته في بيته ليعبدوه وحده بالعبادة التي هي أشرف العبادة وهي الصلاة لينظروا في دين أبيهم وأنه مخالف لما ارتكبوه من عبادة الأصنام فيزدجروا و يرجعوا عنها وتقدم الكلام على قوله هنا هذا البلد معرفا وفي البقرة منكرا * وقال الزمخشري هنا سأل في الأول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون وفي الثاني أن يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا انتهى ودعا ابراهيم أولا بما هو على طاعة الله تعالى وهو كون محل العابد آمنا لايخاف فيه اذ يتمكن فيه من عبادة الله تعالى ثم دعا ثانيا بأن يجنب هو و بنوه من عبادة الأصنام ومعنى واجنبني و بني أدمني واياهم على اجتناب عبادة الأصنام وأراد بقوله و بني أولاده من صلبه الاقرباء وأجابه الله تعالى بجعل الحرم آمنا ولم يعبد أحد من بنيه الاقرباء لصلبه صنما * قال سفيان بن عيينة وقد سئل كيف عبدت العرب الأصنام قال ماعبد أحد من ولد اسماعيل صنما وكانوا ثمانية انما كانت لهم حجارة ينصبونها و يقولون حجر فحيث مانصبوا حجرا فهو بمعنى البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر و يسمونه الدوار انتهى * قال ابن عطية وهذا الدعاء من الخليل عليه السلام يقتضي افراط خوفه على نفسه ومن حصل في رتبته فكيف يخاف أن يعبد صنما لكن هذه الآية ينبغي أن يقتدى بها في الخوف وطلب الخاتمة وكرر النداء استعطافا لربه تعالى وذكر سبب طلبه أن يجنب هو و بنوه عبادة الأصنام بقوله انهن أضللن كثيرا من الناس اذ قد شاهد أباه

﴿ واذ قال ابراهيم ﴾ مناسبة هذه الآية لماقبلها أنه تعالى لما ذكر التعجب من الذين بدلوا نعمة الله كفرا وجعلوا لله أندادا وهم قريش ومن تابعهم من العرب الذين اتخذوا من دون الله آلهة وكان من نعمة الله عليهم اسكانه اياهم حرمه أردف ذلك بذكر أصلهم ابراهيم وانه صلوات الله عليه دعا الله تعالى أن يجعل مكة آمنة ودعا بأن يجنب بنيه عبادة الاصنام ﴿ رب انهن أضللن كثيرا من الناس ﴾ كقوم نوح ﴿ فمن اتبعني ﴾ أي على ديني وما أنا عليه ﴿ فانه مني ﴾ جعله بعضه لفرط الاختصاص به وملابسته له ﴿ ومن عصاني ﴾ هذا فيه طباق معنوي لأن التبعية طاعة ﴿ فانك غفور رحيم ﴾ معناه لمن عصاه بغير الشرك

﴿ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع﴾ الآية كرر النداء رغبة فى الاجابة واظهار التذلل والالتجاء الى الله وأتى بضمير جماعة المتكلمين لأنه تقدم ذكره وذكر بنيه فى قوله واجنبنى وبنى ﴿ومن ذريتى﴾ هو اسمعيل ومن ولد منه وذلك ان هاجر لما ولدت اسمعيل غارت منها سارة فروى أنه ركب البراق هو وهاجر والطفل فجاء فى يوم واحد من الشام الى بطن مكة فنزل وأنزل ابنه وأمته هنالك وركب منصرفا من يومه ذلك وكان هذا كله بوحى من الله فلما ولى دعا بما فى ضمن هذه الآية ومن للتبعيض لأن اسحق كان بالشام والوادى ما بين الجبلين وليس من شرطه فيه ماء وانما قال غير ذى زرع لأنه كان علم أن الله لا يضيع هاجر وابنها فى ذلك الواد؛ وأنه يرزقهما الماء ﴿ليقيموا﴾ متعلق بأسكنت وربنا دعاء معترض والمعنى أنه لا يحاو هذا البيت المعظم من العبادة ومن للتبعيض قال الزمخشرى بواد هو وادى مكة غير ذى زرع لا يكون فيه شئ من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذى عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير انتهى استعمل قط وهو ظرف لا يستعمل الا مع الماضى معمولا لقوله لا يكون وهو ليس ماضيا وهو مكان أبدا الذى يستعمل فيه مع غير الماضى من المستقبلات و﴿أفئدة﴾ هو على حذف مضاف تقديره ذوى أفئدة وأصل الهوى أن يكون من علو قال الزمخشرى ويجوز أن تكون من للابتداء كقولك القلب منى سقيم * يريد قلبى فكأنه قيل أفئدة ناس وانما نكرت المضاف اليه فى هذا التمثيل لتنكير أفئدة لأنها فى الآية نكرة لتناول بعض الافئدة انتهى لا يظهر كونها لابتداء الغاية لانه ليس لها فعل يبتدأ به لغاية ينتهى اليها اذ لا يصح ابتداء جعل الافئدة

وقومه يعبدون الأصنام ومعنى أضللنا كنا سببا الاضلال كثير من الناس والمعنى أنهم ضلوا بعبادتها كما تقول فتنتهم الدنيا أى افتتنوا بها واغتروا بسببها * وقرأ الجحدرى وعيسى الثقفى وأجنبنى من أجنب وأنث الأصنام لانه جمع ما لا يعقل يخبر عنه أخبار المؤنث كما تقول الاجذاع انكسرت والاخبار عنه اخبار جمع العاقل المذكر بالواو مجاز نحو قوله فقد ضلوا كثيرا فمن تبعنى أى على دينى وما أنا عليه فانه منى جعله لفرط الاختصاص به وملابسته له كقوله من غشنا فليس منا أى ليس بعض المؤمنين تنبيها على تعظيم الغش بحيث هو يسلب الغاش الايمان والمعنى أن الغش ليس من أوصاف أهل الايمان ومن عصانى هذا فيه طباق معنوى لان التبعية طاعة فقوله فانك غفور رحيم * قال مقاتل ومن عصانى فيما دون الشرك * وقال الزمخشرى تغفر لى ما سلف من العصيان اذا بدالى فيه واستحدث الطاعة * قال ابن عطية ومن عصانى ظاهره بالكفر لمعادلة قوله فمن تبعنى فانه منى واذا كان كذلك فقوله فانك غفور رحيم معناه حين يؤمنوا لأنه أراد ان الله يغفر لكل كافر لكنه حمله على هذه العبارة ما كان يأخذ نفسه به من القول الجميل والنطق الحسن وجميل الادب صلى الله عليه وسلم وكذلك قال نبى الله عيسى عليه السلام وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ﴿ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ كرر النداء رغبة فى الاجابة واظهارا للتذلل والالتجاء الى الله تعالى وأتى بضمير جماعة المتكلمين لأنه تقدم ذكره وذكر بنيه فى قوله واجنبنى وبنى ومن ذريتى هو اسماعيل ومن ولد منه وذلك هاجر لما ولدت اسماعيل غارت منها سارة فروى أنه ركب البراق هو وهاجر والطفل فجاء فى يوم واحد من الشام الى مكة فنزل وترك ابنه وأمته هنالك وركب منصرفا من يومه ذلك وكان هذا كله بوحى من الله تعالى فلما ولى دعا بما فى ضمن هذه الآية وأما كيفية بقاء هاجر وماجرى لها ولاسماعيل هنالك ففى كتاب البخارى والسير وغيره ومن للتبعيض لأن اسحاق كان فى الشام والوادى ما بين الجبلين وليس من شرطه ان يكون فيه ماء وانما قال غير ذى زرع لانه كان علم أن الله لا يضيع هاجر وابنها فى ذلك الوادى وأنه يرزقها الماء وانما نظر النظر البعيد فقال غير ذى زرع ولو لم يعلم ذلك من الله تعالى لقال غير ذى ماء على ما كانت عليه حال الوادى عند ذلك * قال ابن عطية وقد يقال ان انتفاء كونه ذا زرع مستلزم لانتفاء الماء الذى لا يمكن أن يوجد زرع الا حيث وجد الماء فنفى ما يتسبب عن الماء وهو الزرع لانتفاء سببه وهو الماء وقال الزمخشرى بواد هو

(الدر) (ش) بواد هو وادى مكة غير زرع لا يكون فيه شئ من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذى عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير (ح) استعمل قط وهو ظرف لا يستعمل الا مع الماضى معمولا لقوله لا يكون وهو ليس ماضيا وهو مكان أبدا الذى يستعمل فى غير الماضى من المستقبلات

وادي مكة غير ذي ذرع لا يكون فيه شئ من زرع قط كقوله قرآناً عربيا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير انتهى واستعمل قط وهي ظرف لا يستعمل الا مع الماضي معمولا لقوله لا يكون وليس هو ماضيا وهو مكان أبدا الذي يستعمل مع غير الماضي من المستقبلات والظاهر ان قوله عند بيتك المحرم يقتضي وجود البيت حالة الدعاء وسبقه قبله وتقدم الكلام في البيت ومتى وضع في البقرة وفي آل عمران ووصف بالمحرم لكونه حرم على الطوفان أي منع منه كما سمي بعتيق لانه أعتق منه فلم يستول عليه أو لكونه لم يزل عزيزا ممنعا من الجبابرة أو لكونه محترما لا يحل انتهاكه وليقيموا متعلق بأسكنت وربنا دعاء معترض والمعنى انه لا يخلو هذا البيت المعظم من العبادة * وقيل هي لام الامر دعا لهم باقامة الصلاة * وقال أبو الفرج بن الجوزي اللام متعلقة بقوله واجنبني وبني أن نعبد الاصنام ليقيموا الصلاة انتهى وهذا بعيد جدا وخص الصلاة دون سائر العبادات لانها أفضلها أو لانها سبب لكل خير وقوله ليقيموا بضمير الجمع دلالة على ان الله أعلمه بان هذا الطفل سيعقب هنالك ويكون له نسل وأفئدة جمع فؤاد وهي القلوب سمي القلب فؤادا لانفاده مأخوذ من فأد ومنه المفتأد وهو مستوقد النار حيث يشوى اللحم * وقال مؤرج الافئدة القطع من الناس بلغة قريش واليه ذهب ابن بحر * قال مجاهد لو قال ابراهيم عليه السلام أفئدة الناس لازدحمت على البيت فارس والروم * وقال ابن جبير لحجته اليهود والنصارى والظاهر ان من للتبعيض إذ التقدير أفئدة من أفئدة الناس * قال الزمخشري ويجوز أن تكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم يريد قلبي فكأنه قيل أفئدة ناس وانما نكر المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكير أفئدة لأنها في الآية نكرة لتتناول بعض الافئدة انتهى ولا يظهر كونها لابتداء الغاية لأنه ليس لنا فعل يبتدأ فيه لغاية ينتهى اليها إذ لا يصح ابتداء جعل الافئدة من الناس وانما الظاهر في من التبعيض * وقرأ هشام أفئيدة بياء بعد الهمزة نص عليه الحلواني عنه وخرج ذلك على الاشباع ولما كان الاشباع لا يكون الا في ضرورة الشعر حمل بعض العلماء هذه القراءة على أن هشاما قرأ بتسهيل الهمزة كالياء فعبر الراوي عنها بالياء فظن من أخطأ فهمه انها بياء بعد الهمزة والمراد بياء عوضا من الهمزة قال فيكون هذا التحريف من جنس التحريف المنسوب الى من روى عن أبي عمرو بارئكم ويأمركم ونحوه باسكان حركة الاعراب وانما كان ذلك اختلاسا قال أبو عمرو الداني الحافظ ما ذكره صاحب هذا القول لا يعتمد عليه لان النقلة عن هشام وأبي عمرو كانوا من أعلم الناس بالقراءة ووجوهها وليس يفضي بهم الجهل الى أن يعتقد فيهم مثل هذا * وقرئ آفدة على وزن فاعلة فاحتمل أن يكون اسم فاعل من أفد أي دنا وقرب وعجل أي جماعة آفدة أو جماعات آفدة وأن يكون جمع ذلك فؤاد ويكون من باب القلب وصار بالقلب أأفدة فأبدلت الهمزة الساكنة ألفا كما قالوا في ارآم أآرام فوزنه أعفلة * وقرئ أفدة على وزن فعلة فاحتمل أن يكون جمع فؤاد وذلك بحذف الهمزة ونقل حركتها الى الساكن قبلها وهو الفاء وان كان تسهيلها بين بين هو الوجه وان يكون اسم فاعل من أفد كما تقول فرح فهو فرح * وقرأت أم الهيثم أفودة بالواو المكسورة بدل الهمز * قال صاحب اللوامح وهو جمع وفد والقراءة حسنة لكني لا أعرف هذه المرأة بل ذكرها أبو حاتم انتهى أبدل الهمزة في فؤاد بعد الضمة كما أبدلت في جون ثم جمع واقرها في الجمع اقرارها في المفرد أو هو جمع وفد كما قال صاحب اللوامح وقلب اذ الأصل أوفده وجمع فعل على أفعلة شاذ نحو نجد وأنجدة ووهي وأوهية وأم الهيثم

(الدر)

(ش) ويجوز أن تكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي فكأنه قيل أفئدة ناس وانما نكرت المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكير أفئدة لانها في الآية نكرة ليتناول بعض الأفئدة انتهى (ح) لا يظهر كونها لابتداء الغاية لانه ليس لنا فعل يبتدأ فيه لغاية ينتهى اليها اذ لا يصح ابتداء جعل الافئدة من الناس وانما الظاهر في من التبعيض

امرأة نقل عنها شئ من لغات العرب * وقرأ زيد بن علي افادة على وزن اشارة ويظهر أن الهمزة بدل من الواو المكسورة كما قالوا اشاح في وشاح فالوزن فعالة أي فاجعل ذوي وفادة ويجوز أن يكون مصدر أفاد إفادة أو ذوي افادة وهم الناس الذين يفيدون وينتفع بهم * وقرأ الجمهور تهوي اليهم أي تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا ولما ضمن تهوي معنى تميل عداه بالى وأصله أن يتعدى باللام * قال الشاعر

حتى اذا ما هوت كف الوليد بها * طارت وفي كفه من ريشها تبك

ومثال ما في الآية قول الشاعر

تهوي الى مكة تبغي الهدى * ما مؤمن الجن ككفارها

* وقرأ مسلمة بن عبد الله تهوى بضم التاء مبنيا للمفعول من أهوى المنقولة بهمزة التعدية من هوى اللازمة كانه قيل يسرع بها اليهم * وقرأ علي بن أبي طالب وزيد بن علي ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ومجاهد تهوى مضارع هوى بمعنى أحب ولما ضمن معنى النزوع والميل عدى بالى وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا ما فيه شئ منها بأن يجلب اليهم من البلاد كقوله يجبى اليه ثمرات كل شئ وروى عن مسلم بن محمد الطائفي انه لما دعا عليه السلام بان يرزق سكان مكة الثمرات بعث الله جبريل عليه السلام فاقتلع بجناحه قطعة من فلسطين * وقيل من الاردن فجاء بها وطاف بها حول البيت سبعا ووضعها قريب مكة فهي الطائف وبهذه القصة سميت وهي موضع ثقيف وبها أشجار وثمرات * وروى نحو منه عن ابن عباس لعلهم يشكرون * قال الزمخشري النعمة في أن يرزقوا أنواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لاجرم أن الله عز وجل أجاب دعوة ابراهيم فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ثم فضله في وجود أصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى أخصب البلاد وأكثرها ثمارا وفي أي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة التي يريكها الله بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب ﴿ ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء * الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء * رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء * ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ﴾ كرر النداء للتضرع والالتجاء ولا يظهر تفاوت بين اضافة رب الى ياء المتكلم و بين اضافته الى جمع المتكلم وما نخفي وما نعلن عام فيما يخفونه وما يعلنونه * وقيل ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء * وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق وما نعلن مما جرى بينه و بين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله كلكم قالت آلله أمرك بهذا قال نعم قالت لا نخشى تركتنا الى كاف والظاهر أن قوله وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء من كلام ابراهيم لاكتناف ما قبله وما بعده بكلام ابراهيم لما ذكر أنه تعالى عم ما يخفى هو ومن كنى عنه تمم جميع الأشياء وانها غير خافية عنه تعالى * وقيل وما يخفى الآية من كلام الله عز وجل تصديقا لابراهيم عليه السلام كقوله تعالى وكذلك يفعلون والظاهر أن

﴿وما يخفى على الله من شئ﴾ والظاهر أن هذه الجمل التي تكلم بها ابراهيم عليه السلام لم تقع منه في زمن واحد وانما حكى الله تعالى عنه ما وقع منه في أزمان مختلفة يدل على ذلك أن اسحاق لم يكن موجودا حالة دعائه اذ ترك هاجر والطفل بمكة والظاهر أن حمده الله على هبة ولديه له كان بعد وجود اسحاق و ﴿على الكبر﴾ يدل على مطلق الكبر ولم يتعين لتعين المدة التي وهب له فيها ولداه وروى أنه ولد له اسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة قال الزمخشري ويجوز أن يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله انتهى هذا بعيد لاستلزامه أن يكون من باب الصفة المشبهة والصفة متعدية ولا يجوز ذلك الا عند أبي علي الفارسي حيث لا يكون لبس وأما هنا فاللبس حاصل اذ الظاهر أنه من اضافة المثال للمفعول لا من اضافته للفاعل وانما أجاز ذلك الفارسي في مثل زيد ظالم العبيد اذا علم أن له عبيدا ظالمين والظاهر أن ابراهيم عليه السلام سأل المغفرة لأبويه القريبين وكانت أمه مؤمنة

هذه الجمل التي تكلم بها ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم تقع منه في زمان واحد وانما حكى الله عنه ماوقع في أزمان مختلفة يدل على ذلك أن اسحاق لم يكن موجودا حالة دعائه اذ ترك هاجر والطفل بمكة فالظاهر ان حمده الله تعالى على هبة ولديه له كان بعد وجود اسحاق وعلى الكبر يدل على مطلق الكبر ولم يتعرض لتعيين المدة التي وهب له فيها ولداه وروى أنه ولد له اسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحاق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة * وقيل اسماعيل لاربع وستين واسحاق لتسعين وعن ابن جبير لم يولد له الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة فيها بهبة الولد أعظم من حيث ان الكبر مظنة اليأس من الولد فان مجيء الشئ بعد الاياس أحلى في النفس وأبهج لها وعلى الكبر في موضع الحال لانه قال وأنا كبير وعلى على بابها من الاستعلاء لكنه مجاز اذ الكبر معنى لاجرم يتكون وكأنه لما أسن وكبر صار مستعليا على الكبر * وقال الزمخشري على في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله

اني على ماترين من كبري * أعلم من حيث يؤكل الكتف

وكنى بسميع الدعاء عن الاجابة والتقبل وكان قد دعا الله أن يهبه ولدا بقوله رب هب لي من الصالحين فحمد الله على ماوهبه من الولد وأكرمه به من اجابة دعائه والظاهر اضافة سميع الى المفعول وهو من اضافة المثال الذي على وزن فعيل الى المفعول فيكون اضافة من نصب ويكون ذلك حجة على إعمال فعيل الذي للمبالغة في المفعول على ماذهب اليه سيبويه وقد خالف في ذلك جمهور البصريين وخالف الكوفيون فيه وفي اعمال باقي الخمسة الامثلة فعول وفعال ومفعال وفعل وهذا مذكور في علم النحو ويمكن أن يقال في هذا ليس ذلك اضافة من نصب فيلزم جواز إعماله بل هي اضافة كاضافة اسم الفاعل في نحو هذا ضارب زيد أمس * وقال الزمخشري ويجوز أن يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله انتهى وهو بعيد لاستلزامه أن يكون من باب الصفة المشبهة والصفة متعدية ولا يجوز ذلك الا عند أبي علي الفارسي حيث لا يكون لبس وأما هنا فاللبس حاصل اذ الظاهر أنه من اضافة المثال للمفعول لامن اضافته الى الفاعل وانما أجاز ذلك الفارسي في مثل زيد ظالم العبيد اذا علم أن له عبيدا ظالمين ودعاؤه بان يجعله مقيم الصلاة وهو مقيمها انما يريد بذلك الديمومة ومن ذريتي من للتبعيض لانه أعلم أن من ذريته من يكون كافرا أومن يهمل اقامتها وان كان مؤمنا * وقرأ طلحة والأعمش دعاء ربنا بغير ياء * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بياء ساكنة في الوصل وأثبتها بعضهم في الوقف * وروى ورش عن نافع اثباتها في الوصل والظاهر أن ابراهيم سأل المغفرة لابويه القريبين وكانت أمه مؤمنة وكان والده لم ييأس من ايمانه ولم تتبين له عداوة الله وهذا يتمشى اذا قلنا ان هذه الادعية كانت في أوقات مختلفة فجمع هنا أشياء مما كان دعا بها * وقيل أراد أمه ونوحا عليه السلام * وقيل آدم وحواء والاظهر القول الاول وقد جاء نصا دعاؤه لابيه بالمغفرة في قوله واغفر لابي انه كان من الضالين * وقال الزمخشري (فان قلت) كيف جاز له أن يستغفر لابويه وكانا كافرين (قلت) هو من تجويزات العقل لايعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف انتهى وهو في ذلك موافق لاهل السنة مخالف لمذهب الاعتزال * وقرأ الحسين بن علي ومحمد وزيد ابنا علي الخير وابن يعمر والزهري والنخعي ولولدي بغير ألف وبفتح اللام يعني اسماعيل واسحاق وأنكر عاصم الجحدري هذه القراءة وقال ان في مصحف أبي بن كعب ولابوي وعن يحيى بن يعمر ولولدي بضم الواو وسكون اللام فاحتمل أن

(الدر)

(ش) ويجوز أن يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله (ح) هذا بعيد لاستلزامه أن يكون من باب الصفة المشبهة والصفة متعدية ولا يجوز ذلك الا عند أبي علي الفارسي حيث لا يكون لبس وأما هنا فاللبس حاصل اذ الظاهر أنه من اضافة المثال للمفعول لامن اضافته الى الفاعل وانما أجاز ذلك الفارسي في مثل زيد ظالم العبيد اذا علم أن له عبيدا ظالمين (ش) فان قلت كيف جاز له أن يستغفر لأبويه وكانا كافرين وهو من مجوزات العقل لايتعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف (ح) هو في ذلك موافق لاهل السنة مخالف لمذهب الاعتزال

وكان والده لم ييأس من إيمانه ولم تتبين له عداوة الله ﴿ولا تحسبن الله غافلا﴾ الآية الخطاب في قوله ولا تحسبن للسامع الذي يمكن منه حسبان مثل هذه الجملة بصفات الله لا للرسول صلى الله عليه وسلم لانه مستحيل ذلك في حقه وفي هذه الآية وعيد عظيم للظالمين ومعنى ﴿مهطعين﴾ مسرعين ومعنى ﴿مقنعي رؤسهم﴾ وجوه الناس يومئذ الى السماء لا ينظر أحد الى أحد ومعنى ﴿أفئدتهم هواء﴾ أي اضطراب أفئدتهم وجيشانها في الصدور وأنها تجيء وتذهب وتبلغ على ماروى حناجرهم فهي في ذلك كالهواء الذي هو أبدا في اضطراب وحصول هذه الصفات الخمس للظالمين قيل عند المحاسبة بدليل ذكرها عقيب قوله تعالى يوم يقوم الحساب ﴿وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب﴾ هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم منصوب على أنه مفعول ثان لانذر ولا يصح أن يكون ظرفا لان ذلك اليوم ليس بزمان الانذار وهذا اليوم هو يوم القيامة وأنذر الناس الظالمين وبين ذلك قوله ﴿فيقول الذين ظلموا﴾ لأن المؤمنين يبشرون ولا ينذرون ﴿أولم تكونوا﴾ هو على اضمار القول والظاهر أن التقدير فيقال لهم والقائل الملائكة أو البارى تعالى يوبخون بذلك ويذكرون بذلك مقالتهم في انكار البعث واقسامهم على ذلك كما قال تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت قال الزمخشري أولم تكونوا أقسمتم على ارادة القول وفيه وجهان أن يقولوا ذلك بطرا وأشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه وأن يقولوا بلسان الحال حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا وما لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله أقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقال ما لنا من زوال والمعنى أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزولون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون الى دار أخرى انتهى جعل الزمخشري أولم تكونوا محكيا بقولهم مخالف لما قدمناه وقوله لا تزولون بالموت والفناء ليس بجيد لأنهم مقرون بالموت والفناء وقيل هو قول مجاهد ومعنى ما لكم من زوال من الأرض بعد الموت أي لا نبعث من القبور ﴿وسكنتم﴾ ان كان من السكون

يكون جمع ولد كأسد في أسد ويكون قد دعا الذريته وأن يكون لغة في الولد * وقال الشاعر

فليت زيادا كان في بطن أمه * وليت زيادا كان ولد حمار

كما قالوا العدم والعدم * وقرأ ابن جبير ولوالدي باسكان الياء على الافراد كقوله واغفر لابي وقيام الحساب مجاز عن وقوعه وثبوته كما يقال قامت الحرب على ساق أو على حذف مضاف أي أهل الحساب كما قال يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾ الخطاب بقوله ولا تحسبن للسامع الذي يمكن منه حسبان مثل هذا الجهله بصفات الله لا للرسول صلى الله عليه وسلم فانه مستحيل ذلك في حقه وفي هذه الآية وعيد عظيم للظالمين وتسلية للظلومين * وقرأ طلحة ولا تحسب بغير نون التوكيد وكذا فلا تحسب الله مخلف وعده والمراد بالنهي عن حسبانه غافلا الايذان بأنه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شئ وأنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز أن يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير * وقرأ السلمي والحسن والاعرج والمفضل عن عاصم وعباس بن الفضل وهارون العتكي ويونس بن حبيب عن أبي عمرو نؤخرهم بنون العظمة والجمهور بالياء أي يؤخرهم الله مهطعين مسرعين قاله ابن جبير وقتادة وذلك بذلة واستكانة كاسراع الاسير والخائف * وقال ابن عباس وأبو الضحى شديدي النظر من غير أن يطرفوا * وقال ابن زيد غير رافعي رؤسهم * وقال مجاهد مديمي النظر * وقال الاخفش مقبلين للاصغاء * وأنشد بدجلة دارهم ولقد أراهم * بدجلة مهطعين الى السماع * وقال الحسن مقنعي رؤسهم وجوه الناس يومئذ الى السماء لا ينظر أحد الى أحد انتهى * وقال ابن جريج هواء صفر من الخير خاوية منه * وقال أبو عبيدة جوف لا عقول لهم * وقال ابن عباس ومجاهد وابن زيد خربة خاوية ليس فيها خير ولا عقل * وقال سفيان خالية الا من فزع ذلك اليوم كقوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا أي الا من هم موسى وهواء تشبيه محض لانها ليست بهواء حقيقة ويحتمل أن يكون التشبيه في فراغها من الرجاء والطمع في الرحمة فهي منخرقة مشبهة الهواء في تفرغه من الأشياء وانخراقه وأن يكون في اضطراب أفئدتهم وجيشانها في الصدور وأنها تجيء وتذهب وتبلغ على ماروى حناجرهم فهي في ذلك كالهواء الذي هو أبدا في اضطراب وحصول هذه الصفات الخمس للظالمين قبل المحاسبة بدليل ذكرها عقيب قوله يوم يقوم الحساب * وقيل عند اجابة الداعي والقيام من القبور * وقيل عند ذهاب السعداء الى الجنة والاشقياء الى النار ﴿وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال * وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم

فالمعنى انهم قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم فى الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقى الظالمون قبلهم ﴿ وتبين لكم ﴾ بالخبر والمشاهدة ما فعلنا بهم من الهلاك والانتقام ﴿ وضربنا لكم الأمثال ﴾ أى صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهى فى الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم ﴿ وقد مكروا مكرهم ﴾ الآية الظاهر أن الضمير فى مكروا عائد على المخاطبين فى قوله أولم تكونوا أقسمتم أى مكروا بالشرك بالله تعالى وتكذيب الرسل ومعنى مكرهم المكر العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم والظاهر أن هذا إخبار من الله تعالى لنبيه بما صدر منهم فى الدنيا وأنه ليس مقولا فى الآخرة الظاهر اضافة مكر وهو المصدر الى الفاعل كما هو مضاف فى الأول إليه كأنه قيل وعند الله ما مكروا أى مكرهم قال الزمخشرى أو يكون

وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال ﴾ هذا خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ويوم منصوب على أنه مفعول ثان لانذر ولا يصح أن يكون ظرفا لان ذلك اليوم ليس بزمان للانذار وهذا اليوم هو يوم القيامة والمعنى وأنذر الناس الظالمين ويبين ذلك قوله فيقول الذين ظلموا لأن المؤمنين يبشرون ولا ينذرون * وقيل اليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى كقوله لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق ومعنى التأخر الى أجل قريب الرد الى الدنيا قاله الضحاك اذ الامهال الى أمد وحد من الزمان قريب قاله السدى أى لتدارك ما فرطوا من اجابة الدعوة واتباع الرسل أولم تكونوا هو على اضمار القول والظاهر أن التقدير فيقال لهم والقائل الملائكة أو القائل الله تعالى يوبخون بذلك ويذكرون مقالتهم فى انكار البعث وإقسامهم على ذلك كما قال تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ومعنى ما لكم من زوال من الارض بعد الموت أى لا نبعث من القبور * وقال محمد بن كعب ان هذا القول يكون منهم وهم فى النار ويرد عليهم أولم تكونوا ومعناه التوبيخ والتقريع * وقال الزمخشرى أولم تكونوا أقسمتم على ارادة القول وفيه وجهان أن يقولوا ذلك بطرا وأشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه وأن يقولوا بلسان الحال حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا وما لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله أقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال والمعنى أقسمتم أنكم باقون فى الدنيا لا تزولون بالموت والفناء * وقيل لا تنتقلون الى دار أخرى انتهى فجعل الزمخشرى أولم تكونوا محكيا بقولهم وهو مخالف لما قدمناه من أنه يقال لهم ذلك وقوله لا يزولون بالموت والفناء ليس بجيد لانهم مقرون بالموت والفناء وقوله هو قول مجاهد وسكنتم ان كان من السكون فالمعنى انهم قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين بسيرة من قبلهم فى الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقى الظالمون قبلهم وان كان من السكنى فان السكنى من السكون الذى هو اللبث والاصل تعديته بفى كما يقال أقام فى الدار وقر فيها ولكنه لما أطلق على سكون خاص تصرف فيه * فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها وتبين لكم بالخبر وبالمشاهدة ما فعلنا بهم من الهلاك والانتقام * وقرأ الجمهور وتبين فعلا ماضيا وفاعله مضمر يدل عليه الكلام أى وتبين لكم هو أى حالهم ولا يجوز أن يكون الفاعل كيف لان كيف انما تأتى اسم استفهام أو شرط وكلاهما لا يعمل فيه ما قبله الا ما روى شاذا من دخول على على كيف فى قولهم على كيف تبيع الاحمرين والى فى قولهم انظر الى كيف تصنع وانما كيف هنا سؤال عن حال فى موضع نصب بفعلنا * وقرأ السلمى فيما حكى عنه أبو عمرو والدانى ونبين بضم النون ورفع النون الاخيرة مضارع بين وحكاها صاحب اللوامح عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك على اضمار ونحن نبين والجملة حالية * وقال المهدوى عن السلمى انه قرأ كذلك الا أنه جزم النون عطفا على أولم تكونوا أى ولم نبين فهو مشارك فى التقرير وضربنا لكم الامثال أى صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهى فى الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم ﴿ وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال *

(الدر)

(ش) أولم تكونوا أقسمتم على ارادة القول وفيه وجهان أن يقولوا بطرا وأشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه وان يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا وما لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله أقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال والمعنى أقسمتم انكم باقون فى الدنيا لا تزولون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون الى دار الآخرة انتهى (ح) جعل (ش) أولم تكونوا محكيا لقولهم وهو مخالف لما قدمناه من أنه يقال لهم ذلك وقوله لا تزولون بالموت والفناء ليس بجيد لانهم مقرون بالموت والفناء وقوله وقيل هو قول مجاهد

مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذى يمكرهم به وهو عذابهم الذى يستحقونه يأتيهم من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون انتهى هذا لا يصح الا ان كان مكر يتعدى بنفسه كما قدرهو يمكرهم به والمحفوظ أن مكر لا يتعدى الى مفعول به بنفسه قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ولا يحفظ زيد ممكور وانما يقال ممكور به وقرئ لتزول بفتح اللام الاولى وضم الثانية ولتزول بكسر الاولى وفتح الثانية والذى يظهر أن زوال الجبال مجاز ضرب مثلا لمكر قريش وعظمه والجبال لا تزول وهذا من باب الغلو والايغال والمبالغة فى ذم مكرهم ﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾ هذا الوعد هو قوله تعالى انا لننصر رسلنا ﴿ان الله عزيز﴾ لا يمتنع عليه شئ ولا يغالب ﴿ذو انتقام﴾ من الكفرة لا يعفو عنهم والتبديل يكون فى الذات أى تزول ذات وتجىء أخرى ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين ويكون فى الصفات تقول بدلت الحلقة خاتما فالذات لم تفقد لكنها انتقلت من شكل الى شكل واختلفوا فى التبديل هنا أهو فى الذات أم هو فى الصفات فقال ابن عباس تمد كما يمد الأديم وتزال عنها جبالها وآكامها وشجرها وجميع ما فيها حتى تصير مستوية لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وتبدل السموات بتكوير شمسها وانتثار كواكبها وانشقاقها وخسوف قمرها ﴿وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الاصفاد﴾ مقرنين مشدودين فى القرن أى مقرون بعضهم مع بعض فى القيود والاغلال والظاهر تعلق فى الاصفاد بقوله مقرنين أى يقرنون فى الاصفاد ﴿سرابيلهم من قطران﴾ السرابيل القمص فيجمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته واسراع النار فى جلودهم واللون الوحش ونتن الريح ﴿ليجزى الله﴾ متعلق بقوله وبرزوا لله ﴿وترى المجرمين﴾ جملة معترضة بينهما و﴿كل نفس﴾ عام فى الطائعة والعاصية ﴿بما كسبت﴾ أى فى حياتها من طاعة ومعصية فيثيب الطائعة ويعاقب العاصية ﴿ان الله سريع الحساب﴾ تقدم شرحه والاشارة بهذا الى ما ذكره تعالى من قوله ولا تحسبن الله غافلا الى قوله سريع الحساب ومعنى بلاغ كفاية فى الوعظ والتذكير فالاشارة بهذا الى اعلام الله تعالى بما يجرى فى الآخرة ولينذروا وما بعده متعلق بمحذوف يدل عليه ما تقدم تقديره فأعلمنا به لينذروا به ﴿وليعلموا أنما هو﴾ الضمير فى هو عائد على الله سبحانه وتعالى وهو المتصرف فى ذلك اليوم وغيره وهو المتوحد بالالوهية ﴿وليذكر أولوا الالباب﴾ هم أرباب العقول

فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام * يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار * وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الاصفاد * سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار * ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب * هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر أولوا الالباب ﴾ الظاهر ان الضمير فى مكروا عائد على المخاطبين فى قوله أولم تكونوا أقسمتم من قبل أى مكروا بالشرك بالله وتكذيب الرسل * وقيل الضمير عائد على قوم الرسول كقوله وأنذر الناس أى وقد مكر قومك يا محمد وهو الذى فى قوله وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية ومعنى مكرهم أى المكر العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم والظاهر ان هذا اخبار من الله لنبيه بما صدر منهم فى الدنيا وليس مقولا فى الآخرة * وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون مما يقال يوم القيامة للظلمة الذين سكن فى منازلهم وعند الله مكرهم أى علم مكرهم فهو مطلع عليه فلا ينفذ لهم فيه قصدا ولا يبلغهم فيه أملا أو جزاء مكرهم وهو عذابه لهم والظاهر اضافة مكر وهو المصدر الى الفاعل كما هو مضاف فى الاول اليه كأنه قيل وعند الله ما مكروا أى مكرهم * وقال الزمخشرى أو يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذى يمكرهم به وهو عذابهم الذى يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون انتهى وهذا لا يصح الا ان كان مكر يتعدى بنفسه كما قال هو إذ قدر يمكرهم به والمحفوظ ان مكر لا يتعدى الى مفعول به بنفسه قال تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا وتقول زيد ممكور به ولا يحفظ زيد ممكور بسبب كذا * وقرأ الجمهور وان كان بالنون * وقرأ عمر وعلى وعبد الله وأبى وأبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو اسحاق السبيعى وزيد بن على وان كاد بدال مكان النون لتزول بفتح اللام الأولى ورفع الثانية وروى كذلك عن ابن عباس * وقرأ ابن عباس

(الدر) وان كان مكرهم (ح) الظاهر اضافة مكر وهو المصدر الى الفاعل كما هو مضاف فى الاول اليه كأنه قيل وعند الله ما مكروا أى مكرهم (ش) أو يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذى يمكرهم به وهو عذابهم الذى يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون انتهى (ح) هذا لا يصح الا ان كان مكر يتعدى بنفسه كما قال هو ان قدر يمكرهم به والمحفوظ أن مكر لا يتعدى الى مفعول به بنفسه قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا وتقول ممكور به ولا يحفظ زيد ممكور بسبب كذا

ومجاهد وابن وثاب والكسائي كذلك الا أنهم قرؤا وان كان بالنون فعلى هاتين القراءتين تكون ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وذلك على مذهب البصريين وأما على مذهب الكوفيين فان نافية واللام بمعنى الا فمن قرأ كاد بالدال فالمعنى انه يقرب زوال الجبال بمكرهم ولا يقع الزوال وعلى قراءة كان بالنون يكون زوال الجبال قد وقع ويكون في ذلك تعظيم مكرهم وشدته وهو بحيث يزول منه الجبال وتنقطع عن أماكنها ويحتمل أن يكون معنى لتزول ليقرب زوالها فيصير المعنى كمعنى قراءة كاد ويؤيد هذا التأويل ماذكره أبو حاتم من أن في قراءة أبي ولولا كلمة الله لزال من مكرهم الجبال وينبغي أن تحمل هذه القراءة على التفسير لمخالفتها لسواد المصحف المجمع عليه * وقرأ الجمهور وباقي السبعة وان كان بالنون مكرهم لتزول بكسر اللام ونصب الاخيرة وروبت هذه القراءة عن علي واختلف في تخريجها فعن الحسن وجماعة ان ان نافية وكان تامة والمعنى وتحقير مكرهم وانه ما كان لتزول منه الشرائع والنبوات وأقدار الله التي هي كالجبال في ثبوتها وقوتها ويؤيد هذا التأويل ماروى عن ابن مسعود انه قرأ وما كان بما النافية لكن هذا التأويل وماروى عن ابن مسعود من قراءة وما بالنفي يعارض ماتقدم من القراءات لأن فيها تعظيم مكرهم وفي هذا تحقيره ويحتمل على تقدير انها نافية ان تكون كان ناقصة واللام لام الجحود وخبر كان على الخلاف الذي بين البصريين والكوفيين أهو محذوف أو هو الفعل الذي دخلت عليه اللام وعلى ان ان نافية وكان ناقصة واللام في لتزول متعلقة بفعل في موضع خبر كان خرجها الحوفي * وقال الزمخشري وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وان عظم مكرهم وتتابع في الشدة بضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته أي وان كان مكرهم مستو لازالة الجبال معدا لذلك * وقال ابن عطية ويحتمل عندي هذه القراءة ان تكون بمعنى تعظيم مكرهم أي وان كان شديدا بما يفعل ليذهب به عظام الامور انتهى وعلى تخريج هذين تكون ان هي المخففة من الثقيلة وكان هي الناقصة وعلى هذا التخريج تتفق معاني القراءات أو تتقارب وعلى تخريج النفي تتعارض كما ذكرنا * وقرىء لتزول بفتح اللام الأولى ونصب الثانية وذلك على لغة من فتح لام كي والذي يظهر أن زوال الجبال مجاز ضرب مثلا لمكر قريش وعظمه والجبال لاتزول وهذا من باب الغلو والايغال والمبالغة في ذم مكرهم وأما ماروى أن جبلا زال بحلف امرأة اتهمها زوجها وكان ذلك الجبل من حلف عليه كاذبا مات فحملها للحلف فكرت بأن رمت نفسها عن الدابة وكانت وعدت من اتهمت به أن يكون في المكان الذي وقعت فيه عن الدابة فأركبها زوجها وذلك الرجل وحلفت على الجبل انها مامسها غيرهما فنزلت سالمة وأصبح الجبل قد اندك وكانت المرأة من عدنان وماروى من قصة النمرود أو بخت نصر واتخاذ الانسر وصعودهما عليها الى قرب السماء في قصة طويلة وماتأول بعضهم انه عبر بالجبال عن الاسلام والقرآن لثبوته ورسوخه وعبر بمكرهم عن اختلافهم فيه من قولهم هذا سحر هذا شعر هذا افك فأقوال ينبو عنها ظاهر اللفظ وبعيد جدا قصة الانسر والنهي عن الحسبان كهو في قوله ولا تحسبن الله غافلا وأطلق الحسبان على الامر المتحقق هنا كما قال الشاعر

فلا تحسبن اني أضل منيتي * فكل امرىء كأس الحمام يذوق

وهذا الوعد كقوله تعالى انا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا ورسلي * وقرأ الجمهور باضافة مخلف الى وعده ونصب رسله واختلف في اعرابه فقال الجمهور الفراء وقطرب والحوفي والزمخشري وابن عطية وأبو البقاء انه مما أضيف فيه اسم الفاعل الى المفعول الثاني كقولهم هذا معطي درهم

زيدا لما كان يتعدى الى اثنين جاز اضافته الى كل واحد منهما فينتصب ماتأخر وأنشد بعضهم نظيرا له * قول الشاعر

ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه * وسائره باد الى الشمس أجمع

* وقال أبو البقاء هو قريب من قولهم ياسارق الليلة أهل الدار * وقال الفراء وقطرب لما تعدى الفعل اليهما جميعا لم يبال بالتقديم والتأخير * وقال الزمخشري (فان قلت) هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الاول (قلت) قدم الوعد ليعلم انه لا يخلف الوعد أصلا لقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده أحدا وليس من شأنه اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته انتهى وهو جواب على طريقة الاعتزال في ان وعد الله واقع لا محالة فمن وعده بالنار من العصاة لا يجوز أن يغفر له أصلا ومذهب أهل السنة ان كل ماوعد من العذاب للعصاة المؤمنين هو مشروط انفاذه بالمشيئة * وقيل مخلف هنا متعد الى واحد كقوله لا يخلف الميعاد فأضيف اليه وانتصب رسله بوعده إذ هو مصدر ينحل بحرف مصدري والفعل كأنه قال مخلف ماوعد رسله وما مصدرية لا بمعنى الذي وقرأت فرقة مخلف وعده رسله بنصب وعده واضافة مخلف الى رسله ففصل بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول وهو كقراءة قتل أولادهم شركائهم وتقدم الكلام عليه مشبعا في الانعام وهذه القراءة تؤيد اعراب الجمهور في القراءة الاولى وانه مما تعدى فيه مخلف الى مفعولين ان الله عزيز لا يمتنع عليه شئ ولا يغالب ذوانتقام من الكفرة لا يعفو عنهم والتبديل يكون في الذات أي تزول ذات وتجيء أخرى ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين ويكون في الصفات كقولك بدلت الحلقة خاتما فالذات لم تفقد لكنها انتقلت من شكل الى شكل واختلفوا في التبديل هنا أهو في الذات أو في الصفات * فقال ابن عباس تمد كما يمد الاديم وتزال عنها جبالها وآكامها وشجرها وجميع مافيها حتى تصير مستوية لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وتبدل السموات بتكوير شمسها وانتثار كواكبها وانشقاقها وخسوف قمرها * وقال ابن مسعود تبدل الأرض بأرض كالفضة نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل فيها خطيئة * وقال علي تلك الأرض من فضة والجنة من ذهب * وقال محمد بن كعب وابن جبير هي أرض من خبز يأكل منها المؤمنون من تحت أقدامهم وجاء هذا مرفوعا * وقيل تصير نارا والجنة من ورائها ترى أكوابها وكواعبها * وقال أبي تصير السموات حقابا * وقيل تبديلها طيها * وقيل مرة كالمهل ومرة وردة كالدهان قاله ابن الانباري * وقيل بانشقاقها فلا تظل وفي الحديث ان الله يبدل هذه الأرض بأرض عفراء بيضاء كأنها قرصة نقي وفي كتاب الزمخشري وعن علي تبدل أرضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك أرضا من فضة بيضاء كالصحائف وعن ابن عباس هي تلك الأرض وانما تغير وأنشد

وما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التي كنت تعلم

* قال ابن عطية وسمعت من أبي رضي الله عنه روي ان التبديل يقع في الأرض ولكن تبدل لكل فريق بما يقتضيه حاله فالمؤمن يكون على خبز يأكل منه بحسب حاجته اليه وفريق يكونون على فضة ان صح السند بها وفريق الكفرة يكونون على نار ونحو هذا وكله واقع تحت قدرة الله تعالى وفي الحديث المؤمنون وقت التبديل في ظل العرش وفيه انهم ذلك الوقت على الصراط * وقال أبو عبد الله الرازي المراد من تبديل الأرض والسموات هو انه تعالى يجعل الارض جهنم ويجعل

(الدر)

(ش) فان قلت هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الاول قلت قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلا لقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن أنه اذا لم يخلف وعده أحدا وليس من شأنه اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته (ح) هذا جواب على طريقة الاعتزال في أن ماوعد الله واقع لا محالة فمن وعده بالنار من العصاة لا يجوز أن يغفر له أصلا ومذهب أهل السنة ان كل ماوعد من العذاب للعصاة المؤمنين هو مشروط انفاذه بالمشيئة انتهى

السموات الجنة والدليل عليه قوله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وقوله كلا ان كتاب الأبرار لفي عليين انتهى وكلامه هذا يدل على ان الجنة والنار غير مخلوقتين وظاهر القرآن والحديث انهما قد خلقتا وصح في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع عليهما ولا يمكن أن يطلع عليهما حقيقة الا بعد خلقهما او برزوا أي ظهروا الا يواريهم بناء ولا حصن وانتصاب يوم على انه بدل من يوم يأتيهم قاله الزمخشري أو معمولا لمخلف وعده وان وما بعدها اعتراض قاله الحوفي * وقال أبو البقاء لا يجوز أن يكون ظرفا لمخلف ولا لوعده لان ماقبل أن لا يعمل فيما بعدها ولكن جوز أن يلحق من معنى الكلام ما يعمل في الظرف أي لا يخلف وعده يوم تبدل انتهى واذا كان ان وما بعدها اعتراضا لم يبال انه فصل بين العامل والمعمول أو معمولا لانتقام قاله الزمخشري والحوفي وأبو البقاء أو لاذكر قاله أبو البقاء * وقرئ نبدل بالنون الارض بالنصب والسموات معطوف على الارض وثم محذوف أي غير السموات حذف لدلالة ماقبله عليه والظاهر استئناف وبرزوا * وقال أبو البقاء يجوز أن يكون حالا من الارض وقد معه مرادة ومعنى لله لحكم الله أو لموعوده من الجنة والنار * وقرأ زيد بن علي وبرزوا بضم الباء وكسر الراء مشددة جعله مبنيا للمفعول على سبيل التكثير بالنسبة الى العالم وكثرتهم لا بالنسبة الى تكرير الفعل وجيء بهذين الوصفين وهما الواحد وهو الواحد الذي لا يشركه أحد في ألوهيته ونبه به على ان آلهتهم في ذلك اليوم لاتنفع والقهار وهو الغالب لكل شئ وهذا نظير قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ يوم اذ تبدل وبرزوا مقرنين مشدودين في القرن أي مقرون بعضهم مع بعض في القيود والأغلال أو مع شياطينهم كل كافر مع شيطانه في غل أو تقرن أيديهم الى أرجلهم مغللين والظاهر تعلق في الأصفاد بقوله مقرنين أي يقرنون في الاصفاد ويجوز أن يكون في موضع الصفة لمقرنين وفي موضع الحال فيتعلق بمحذوف كانه قيل مستقرين في الاصفاد * وقال الحسن مافي جهنم وادولا مفازة ولا قيد ولا سلسلة الا اسم صاحبه مكتوب عليه * وقرأ علي وأبو هريرة وابن عباس وعكرمة وابن جبير وابن سيرين والحسن بخلاف عنه وسنان بن سلمة بن المحنق وزيد بن علي وقتادة وأبو صالح والكلبي وعيسى الهمداني وعمرو بن فائد وعمرو بن عبيد من قطر بفتح القاف وكسر الطاء وتنوين الراء أن اسم فاعل من أنى صفة لقطر * قيل وهو القصدير * وقيل النحاس وعن عمر رضي الله عنه أنه قال ليس بالقطران ولكنه النحاس يصير بلونه والآني الذائب الحار الذي قد تناهى حره * قال الحسن قد سعرت عليه جهنم منذ خلقت فتناهى حره * وقال ابن عباس أي آن أن يعذبوا به يعني حان تعذيبهم به * وقال الزمخشري ومن شأنه أي القطران أن يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو أسود اللون منتن الريح فيطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص لتجتمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله أو أوعد به في الآخرة فبينه وبين ما يشاهده من جنسه مالا يقادر قدره وكأنه ماعندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمة فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق فيما ينجينا من عذابه انتهى * وقرأ عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب من قطران بفتح القاف واسكان الطاء وهو في شعر أبي النجم قال * لبسنه القطران والمسوحا * وقرأ الجمهور وتغشى وجوههم بالنصب * وقرئ بالرفع فالأول على نحو قوله والليل اذا يغشى فهي على

حقيقة الغشيان والثانية على التجوز جعل ورود الوجه على النار غشيانا * وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى وخص الوجوه هنا وفي قوله أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة ويوم يسحبون في النار على وجوههم لان الوجه أعز موضع في ظاهر البدن وأشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة وليجزي متعلق بمحذوف تقديره يفعل بالمجرمين مايفعل ليجزي كل نفس أي مجرمة بما كسبت أو كل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم قاله الزمخشري ويظهر انها تتعلق بقوله وبرزوا أي الخلق كلهم ويكون كل نفس عاما أي مطيعة ومجرمة والجملة من قوله وترى معترضة * وقال ابن عطية اللام متعلقة بفعل مضمر تقديره فعل هذا أو أنفذ هذا العقاب على المجرمين ليجزي في ذلك المسيء على اساءته انتهى والاشارة بهذا الى ماذكر به تعالى من قوله ولا تحسبن الله غافلا الى قوله سريع الحساب * وقيل الاشارة الى القرآن وقيل الى السورة ومعنى بلاغ كفاية في الوعظ والتذكير ولينذروا به * قال الماوردي الواو زائدة وعن المبرد هو عطف مفرد على مفرد أي هذا بلاغ وانذار انتهى وهذا تفسير معنى لا تفسير اعراب * وقيل هو محمول على المعنى أي ليبلغوا ولينذروا * وقيل اللام لام الأمر * قال بعضهم وهو حسن لولا قوله وليذكر فانه منصوب لا غير انتهى ولا يخدش ذلك إذ يكون وليذكر ليس معطوفا على الامر بل يضمر له فعل يتعلق به * وقال ابن عطية المعنى هذا بلاغ للناس وهو لينذروا به انتهى فجعله في موضع رفع خبر الهو المحذوفة * وقال الزمخشري ولينذروا معطوف على محذوف أي لينصحوا ولينذروا به هذا البلاغ انتهى * وقرأ مجاهد وحميد بتاء مضمومة وكسر الذال كان البلاغ العموم والانذار للمخاطبين * وقرأ يحيى بن عمارة الذراع عن أبيه وأحمد بن يزيد بن أسيد السلمي ولينذروا بفتح الياء والذال مضارع نذر بالشيء اذا علم به فاستعد له قالوا ولم يعرف لهذا الفعل مصدر فهو مثل عسى وغيره مما استعمل من الافعال ولم يعرف له أصل وليعلموا لأنهم اذا خافوا ما أنذروا به دعاهم ذلك الى النظر فيتوصلون الى توحيد الله وافراده بالعبادة إذ الخشية أصل الخير وليذكر أي يتعظ ويراجع نفسه بما سمع من المواعظ وأسند التذكر والاتعاظ الى من له لب لأنهم هم الذين يجدي فيهم التذكر * وقيل هي في أبي بكر الصديق وناسب مختتم هذه السورة مفتتحها وكثيرا ما جاء في سور القرآن حتى ان بعضهم زعم ان قوله ولينذروا به معطوف على قوله لتخرج الناس

﴿ سورة الحجر ﴾
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سورة الحجر تسع وتسعون آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين * ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين * ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون * وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم * ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون * وقالوا ياأيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون * لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين * ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا إذا منظرين * إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون * ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين * وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن * كذلك نسلكه في قلوب المجرمين * لايؤمنون به وقد خلت سنة الأولين * ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون * لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون * ولقد

جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين * وحفظناها من كل شيطان رجيم * الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين * والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شئ موزون * وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين * وان من شئ الا عندنا خزائنه وماننزله الابقدر معلوم * وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وماأنتم له بخازنين * وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون * ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين * وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم * ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون * والجان خلقناه من قبل من نار السموم ﴿ رب حرف جر لا اسم خلافا للكوفيين والاخفش في أحد قوليه وابن الطراوة ومعناها في المشهور التقليل لا التكثير خلافا لزاعمه وناسبه الى سيبويه ولمن قال لا تفيد تقليلا ولا تكثيرا بل هي حرف اثبات ودعوى أبي عبدالله الرازي الاتفاق على انها موضوعة للتقليل باطلة وقول الزجاج ان رب للكثرة ضد مايعرفه أهل اللغة ليس بصحيح وفيها لغات وأحكامها كثيرة ذكرت في النحو ولم تقع في القرآن الا في هذه السورة على كثرة وقوعها في لسان العرب * ذر أمر استغنى غالبا عن ماضيه بترك وفي الحديث ذروا الحبشة ماوذرتكم * لوما حرف تحضيض فيليها الفعل ظاهرا أو مضمرا وحرف امتناع لوجود فيليها الاسم مبتدأ على مذهب البصريين ومنه * قول الشاعر

لوما الحياء ولوما الدين عبتكما * ببعض مافيكما إذ عبتما عوري

وقال بعضهم الميم في لوما بدل من اللام في لولا ومثله استولى على الشئ واستوما وخاللته وخالمته فهو خلي وخلمي أي صديق * وقال الزمخشري لو ركبت مع لا ومالمعنيين وأما هل فلم تركب الا مع لا وحدها للتحضيض انتهى والذي أختاره البساطة فيهما الا التركيب وان ماليست بدلا من لا * سلك الخيط في الابرة وأسلكها أدخله فيها ونظمه * قال الشاعر

حتى اذا أسلكوهم في قتائدة * شلا كما تطرد الجمالة الشردا

﴿ وقال الآخر ﴾

وكنت لزاز خصمك لم أعود * وقد سلكوك في يوم عصيب

الشهاب شعلة النار ويطلق على الكوكب لبريقه شبه بالنار * وقال أبو تمام

والعلم في شهب الارماح لامعة * بين الخميسين لا في السبعة الشهب

* اللواقح الظاهر انها جمع لاقح أي ذوات لقاح كلابن وتامر وذلك ان الريح تمر على الماء ثم تمر على السحاب والشجر فيكون فيها القاح قاله الفراء * وقال الازهري حوامل تحمل السحاب وتصرفه وناقة لاقح ونوق لواقح اذا حملت الاجنة في بطونها * وقال زهير

اذا لقحت حرب عوان مضرة * ضروس تهر الناس أنيابها عصل

* وقال أبو عبيدة أي ملاقح جمع ملقحة لأنها تلقح السحاب بالقاء الماء * وقال

* ومختبط مما تطيح الطوائح * أي المطاوح جمع مطيحة * الصلصال قال أبو عبيدة الطين اذا خلط بالرمل وجف * وقال أبو الهيثم الصلصال صوت اللجام وماأشبهه وهو مثل القعقعة في الثوب * وقيل التراب المدقق وصلصل الرمل صوت وصلصال بمعنى مصلصل كالقضقاض أي المقضقض وهو فيه كثير ويكون هذا النوع من المضعف مصدرا فتقول زلزل زلزالا بالفتح وزلزالا بالكسر ووزنه عند البصريين فعلال وهكذا جميع المضاعف حروفه كلها أصول لا فعفع خلافا للفراء وكثير من النحويين ولا فعفل خلافا لبعض البصريين وبعض الكوفيين ولا ان أصله فعل بتشديد العين أبدل من

﴿ الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴾ هذه السورة مكية بلا خلاف مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر في آخر السورة قبلها أشياء من أحوال القيامة من تبديل السموات والارض وأحوال الكفار في ذلك اليوم وأن ما أتى به هو على حسب التبليغ والانذار ابتدأ في هذه السورة بذكر القرآن الذي هو بلاغ للناس وأحوال الكفر وودادتهم ﴿ لو كانوا مسلمين ﴾ وتلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا وأي قرآن مبين كانه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان والظاهر أن ما في ربما مهيئة وذلك أنها من حيث هي حرف جر على خلاف فيه لا يليها الا الاسماء فجيء بما مهيئة لمجيء الفعل بعدها وفي رب لغات وأحكام ذكرت في النحو وعلى كثرة مجيء رب في كلام العرب لم تجيء في القرآن الا في هذا الموضع وقد اختلفوا أتفيد التقليل أم التكثير والذي يظهر أن ذلك يفهم من سياق الكلام لا من وضعها ومثال هذا التركيب القرآني قول الشاعر * ربما تكره النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال * وما مهيئة لمجيء الفعل بعدها ودعوى أنها نكرة موصوفة بعيد كتأويل من قال رب شيء توده وحذف الضمير العائد على شيء وأكثر ما يأتي الفعل بعدها ماضيا كقول الشاعر ربما أوفيت في علم * ترفعن ثوبي شمالات وقد جاء مستقبلا فقال سليم القشيري ومعتصم بالحي من خشية الردى * سيردى وغاز مشفق سيؤوب فيود مستقبل لا يحتاج الى تأويله بمعنى ود وكثر مجيء لو بعد ود ينسبك منها مصدر تقديره أن لو كانوا مسلمين أي كونهم مسلمين ومن لم يثبت أن لو حرف مصدري يتأول مفعولا محذوفا للود وجوابا

للو فيقدر يود الذين كفروا الاسلام لو كانوا مسلمين لينجوا بذلك ﴿ ذرهم يأكلوا ﴾ أمر تهديد لهم ووعيد أي ليسوا ممن يرعوي عما هو فيه من الكفر والتكذيب ولا ممن تنفعه النصيحة والتذكير فهم انما حظهم حظ البهائم من الاكل والتمتع بالحياة الدنيا والأمل في تحصيلها هو الذي يلهيهم ويشغلهم عن الايمان بالله تعالى وبرسوله وفي قوله يأكلوا ويتمتعوا اشارة الى أن التلذذ والتنعم وعدم الاستعداد للموت والتأهب له ليس من اخلاق من يطلب النجاة من عذاب الله تعالى ﴿ فسوف يعلمون ﴾ تهديد ووعيد أي فسوف يعلمون عاقبة أمرهم وما يؤولون اليه في الدنيا من الذل والقتل والسبي وفي الآخرة من العذاب السرمدي ولما توعدهم بما يحل بهم أردف ذلك بما يشعر بهلاكهم وأنه لا يستبطأ فان له أجلا لا يتعداه والمعنى من أهل قرية كافرين والظاهر أن المراد بالهلاك هلاك الاستئصال لمكذبي الرسل وهو أبلغ في الزجر ومن قرية مفعول أهلكنا ومن لاستغراق الجنس ﴿ ولها كتاب معلوم ﴾ جملة حالية ومن زائدة تفيد استغراق الجنس أي ما تسبق أمة وأنث أجلها على لفظ أمة وجمع وذكر في وما يستأخرون حملا على المعنى وحذف عنه لدلالة الكلام عليه قال الزمخشري الجملة واقعة صفة لقرية والقياس أن لا تتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني زيد وعليه ثوب انتهى ووافقه على ذلك أبو البقاء فقال الجملة نعت لقرية كقولك ما لقيت رجلا الا عالما قال وقد ذكرنا حال الواو في مثل هذا في البقرة في قوله وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهذا الذي قاله الزمخشري وتبعه فيه أبو البقاء لا نعلم أحدا قاله من النحويين وهو مبني على أن ما بعد الا يجوز أن يكون صفة وقد منعوا ذلك قال الاخفش لا يفصل بين الصفة والموصوف بالا ثم قال ونحو ما جاءني رجل الا راكب تقديره الا رجل راكب وفيه قبح لجعل الصفة كالاسم وقال أبو علي الفارسي تقول ما مررت بأحد الا قائما فقائما حال من أحد ولا يجوز الا قائم لان الا لا تعترض بين الصفة والموصوف وقال ابن مالك وقد ذكر

الثاني حرف من جنس الحرف الاول خلافا لبعض الكوفيين وينبني على هذه الاقوال ورب صلصال * الحمأ طين اسود منتن واحدة حمأة بتحريك الميم قاله الليث ووهم في ذلك وقالوا لا نعرف في كلام العرب الحمأة الا ساكنة الميم قاله أبو عبيدة والاكثرون كما قال أبو الاسود

يجيئك بملئها طورا وطورا * يجيء بحمأة وقليل ماء

وعلى هذا لا يكون حمأ بينه وبين مفرده تاء التأنيث لاختلاف الوزن * السموم افراط الحر يدخل في المسام حتى يقتل من نار أو شمس أو ريح * وقيل السموم بالليل والحرور بالنهار ﴿ الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين * ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين * ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون * وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم * ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ﴾ هذه السورة مكية بلا خلاف ومناسبتها لما قبلها انه تعالى لما ذكر في

آخر السورة قبلها أشياء من أحوال القيامة من تبديل السموات والارض وأحوال الكفار في ذلك اليوم وان ما أتى به هو على حسب التبليغ والانذار ابتدأ في هذه السورة بذكر القرآن الذي هو بلاغ للناس وأحوال الكفرة ووداتهم لو كانوا مسلمين * قال مجاهد وقتادة الكتاب هنا ما نزل من الكتب قبل القرآن فعلى قولهما تكون تلك اشارة الى آيات الكتاب * قال ابن عطية ويحتمل أن يراد بالكتاب القرآن وعطفت الصفة عليه ولم يذكر الزمخشري الا ان تلك الاشارة لما تضمنته السورة من الآيات قال والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا وأي قرآن مبين كانه قيل والكتاب الجامع للكمال والغرابة في الشأن والظاهر أن ما في ربما مهيئة وذلك انها من حيث هي حرف جر لا يليها الا الاسماء فجيء بما مهيئة لمجيء الفعل بعدها وجوزوا في ما أن تكون نكرة موصوفة ورب جارة لها والعائد من جلة الصفة محذوف تقديره رب شئ يوده الذين كفروا ولو كانوا مسلمين بدل من ما على أن لو مصدرية وعلى القول الأول تكون في موضع نصب على المفعول ليود ومن لا يرى أن لو تأتي مصدرية جعل مفعول يود محذوفا ولو في لو كانوا مسلمين حرف لما كان سيقع لوقوع غيره وجواب لو محذوف أي ربما يود الذين كفروا الاسلام لو كانوا مسلمين لسروا بذلك وخلصوا من العذاب ولما كانت رب عند الاكثرين لا تدخل على مستقبل تأولوا يود في معنى ود لما كان المستقبل في اخبار الله لتحقق وقوعه كالماضي فكأنه قيل ود وليس ذلك بلازم بل قد تدخل على المستقبل لكنه قليل بالنسبة الى دخولها على الماضي ومما وردت فيه للمستقبل قول سليم القشيري

ومعتصم بالجبن من خشية الردى * سيردى وغاز مشفق سيؤوب

﴿ وقول هند أم معاوية ﴾

يا رب قائلة غدا * يالهف أم معاويه

﴿ وقول جحدر ﴾

فان أهلك فرب فتى سيبكي * على مهذب رخص البنان

في عدة أبيات وقول أبي عبد الله الرازي انهم اتفقوا على ان كلمة رب مختصة بالدخول على الماضي لا يصح فعلى هذا لا يكون يود محتاجا الى تأويل وأما من تأول ذلك على اضمار كان أي ربما كان يود فقوله ضعيف وليس هذا من مواضع اضمار كان ولما كان عند الزمخشري وغيره ان رب للتقليل احتاجوا الى تأويل مجيء رب هنا وطول الزمخشري في تأويل ذلك ومن قال انها للتكثير فالتكثير فيها هنا ظاهر لان وداتهم ذلك كثيرة ومن قال ان التقليل والتكثير انما يفهم من سياق الكلام لا من موضوع رب قال دل سياق الكلام على الكثرة * وقيل تدهشهم أهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان كانت منهم افاقة في بعض الأوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل * وقرأ عاصم ونافع ربما بتخفيف الباء وباقي السبعة بتشديدها وعن أبي عمرو الوجهان * وقرأ طلحة بن مصرف وزيد ابن علي ربتما بزيادة تاء ومتى يودون ذلك قيل في الدنيا * فقال الضحاك عند معاينة الموت * وقال ابن مسعود هم كفار قريش ودوا ذلك في يوم بدر حين رأوا الغلبة للمسلمين * وقيل حين حل بهم ما حل من تملك المسلمين أرضهم وأموالهم ونساءهم ودوا ذلك قبل أن يحل بهم ما حل * وقيل ودوا ذلك في الآخرة اذا أخرج عصاة المسلمين من النار قاله ابن عباس وأنس بن مالك

ما ذهب اليه الزمخشري من قوله في نحو ما مررت بأحد الا زيد خير منه أن الجملة بعد الا صفة لاحد لانه مذهب لم يعرف لبصري ولا كوفي فلا يلتفت اليه وأبطل ابن مالك قول الزمخشري أن الواو توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف

ومجاهد وعطاء وأبو العالية وابراهيم ورواه أبو موسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقرأ الرسول هذه الآية * وقيل حين يشفع الرسول ويشفع حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة ورواه مجاهد عن ابن عباس * وقيل اذا عاينوا القيامة ذكره الزجاج * وقيل عند كل حالة يعذب فيها الكافر ويسلم المؤمن ذكره ابن الانبارى ثم أمر تعالى نبيه بان ينذرهم وهو أمر وعيد لهم وتهديد أى ليسوا ممن يرعوى عن ماهو فيه من الكفر والتكذيب ولا ممن تنفعه النصيحة والتذكير فهم انما حظهم حظ البهائم من الاكل والتمتع بالحياة الدنيا والامل فى تحصيلها هو الذى يلهيهم ويشغلهم عن الايمان بالله ورسوله وفى قوله يأكلوا ويتمتعوا اشارة الى أن التلذذ والتنعم وعدم الاستعداد للموت والتأهب له ليس من أخلاق من يطلب النجاة من عذاب الله فى الآخرة وعن بعض العلماء التمتع فى الدنيا من أخلاق الهالكين * وقال الحسن ما أطال عبد الامل الا أساء العمل والجزم بأكلوا وما عطف عليه جوابا للامر ويظهر انه أمر بتركهم قتالهم وتخلية سبيلهم وبمهادنتهم وموادعتهم ولذلك ترتب أن يكون جوابا لانه لو شغلهم بالقتال ومصالتة السيوف وايقاع الحرب ماهناهم أكل ولا تمتع ويدل على ذلك ان السورة مكية واذا جعلت ذرهم أمرا بترك نصيحتهم وشغل باله بهم فلا يترتب عليه الجواب لانهم يأكلون ويتمتعون سواء ترك نصيحتهم أم لم يتركها فسوف يعلمون تهديد ووعيد أى فسوف يعلمون عاقبة أمرهم وما يؤولون اليه فى الدنيا من الذل والقتل والسبى وفى الآخرة من العذاب السرمدى ولما توعدهم بما يحل بهم أردف ذلك بما يشعر بهلاكهم وانه لا يستبطأ فان له اجلا لا يتعداه والمعنى من أهل قرية كافرين والظاهر ان المراد بالهلاك هلاك الاستئصال لمكذبى الرسل وهو أبلغ فى الزجر * وقيل المراد الاهلاك بالموت والواو فى قوله ولها واو الحال * وقال بعضهم مقحمة أى زائدة وليس بشئ * وقرأ ابن أبى عبلة باسقاطها * وقال الزمخشرى الجملة واقعة صفة لقرية والقياس أن لاتتوسط الواو بينهما كما فى قوله تعالى وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال فى الحال جاءنى زيد عليه ثوب وجاءنى وعليه ثوب انتهى ووافقه على ذلك أبو البقاء فقال الجملة نعت لقرية كقولك ما لقيت رجلا الا عالما قال وقد ذكرنا حال الواو فى مثل هذا فى البقرة فى قوله وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم انتهى وهذا الذى قاله الزمخشرى وتبعه فيه أبو البقاء لانعلم أحدا قاله من النحويين وهو مبنى على أن ما بعد الا يجوز أن يكون صفة وقد منعوا ذلك قال الاخفش لا يفصل بين الصفة والموصوف بالا ثم قال ونحو ما جاءنى رجل الا راكب تقديره الا رجل راكب وفيه قبح بجعلك الصفة كالاسم * وقال أبو على الفارسى تقول ما مررت بأحد الا قائما فقائما حال من أحد ولا يجوز الا قائم لان الا لا تعترض بين الصفة والموصوف * وقال ابن مالك وقد ذكر ماذهب اليه الزمخشرى من قوله فى نحو ما مررت باحد الا زيد خير منه ان الجملة بعد الا صفة لأحد انه مذهب لم يعرف لبصرى ولا كوفى فلا يلتفت اليه وأبطل ابن مالك قول الزمخشرى ان الواو توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف * وقال القاضى منذر بن سعيد هذه الواو هى التى تعطى ان الحالة التى بعدها فى اللفظ هى فى الزمن قبل الحالة التى قبل الواو ومنه قوله تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها انتهى والظاهر ان الكتاب المعلوم هو الأجل الذى كتب فى اللوح وبين ويدل على ذلك ما بعده * وقيل مكتوب فيه أعمالهم وأعمارهم وآجال هلاكهم * وذكر الماوردى كتاب معلوم أى

(ش) الجملة واقعة صفة لقرية والقياس أن لاتتوسط الواو بينهما كما فى قوله تعالى وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال فى الحال جاءنى زيد عليه ثوب وجاءنى وعليه ثوب (ح) وافقه على ذلك أبو البقاء فقال الجملة نعت لقرية كقولك ما لقيت رجلا الا عالما قال وقد ذكرنا حال الواو فى مثل هذا فى البقرة فى قوله وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم انتهى وهذا الذى قاله (ش) وتبعه فيه أبو البقاء لانعلم أحدا قاله من النحويين وهو مبنى على ان ما بعد الا يكون صفة وقد منعوا ذلك قال الأخفش لا يفصل بين الصفة والموصوف بالا ثم قال ونحو ما جاءنى رجل الا راكب تقديره الا رجل راكب وفيه قبح بجعلك الصفة كالاسم وقال أبو على الفارسى يقول ما مررت باحد الا قائما فقائما حال من أحد ولا يجوز الا قائم لان الا لا تعترض بين الصفة والموصوف وقال ابن مالك وقد ذكر ماذهب اليه (ش) من قوله فى نحو ما مررت باحد الا زيد خير منه أن الجملة بعد الا صفة لاحد انه مذهب لم يعرف لبصرى ولا كوفى فلا يلتفت اليه وأبطل ابن مالك قول (ش) ان الواو توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف

﴿ وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر ﴾ الآية قال مقاتل نزلت فى عبد الله بن أمية والنضر بن الحرث ونوفل بن خويلد والوليد بن المغيرة وهذا الوصف بأنه الذى نزل عليه الذكر قالوه على جهة الاستهزاء والاستخفاف لانهم لايقرون بتنزيل الذكر عليه وينسبونه الى الجنون وهذا كقول فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون اذلو كان مؤمنا

فرض محتوم ومن زائدة تفيد استغراق الجنس أى ماتسبق أمة وأنث أجلها على لفظ أمة وجمع وذكر فى ومايستأخرون حملا على المعنى وحذف عنه لدلالة الكلام عليه ﴿ وقالوا ياأيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون * لوماتأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين * ماننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذامنظرين * انانحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ﴾ قال مقاتل نزلت فى عبد الله بن أمية والنضر بن الحرث ونوفل بن خويلد والوليد بن المغيرة * وقرأ زيد بن على نزل عليه الذكر ماضيا مخففا مبنيا للفاعل * وقرأ ياأيها الذى ألقى اليه الذكر وينبغى أن تجعل هذه القراءة تفسيرا لأنها مخالفة لسواد المصحف وهذا الوصف بأنه الذى نزل عليه الذكر قالوه على جهة الاستهزاء والاستخفاف لانهم لايقرون بتنزيل الذكر عليه وينسبونه الى الجنون اذلو كان مؤمنا برسالة موسى وماأخبر عنه بالجنون ثم اقترحوا عليه أن يأتيهم بالملائكة شاهدين لصدقك وبصحة دعواك وانذارك كما قال لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أومعاقبين على تكذيبك كما كانت تأتى الامم المكذبة * وقرأ الحرميان والعربيان ماتنزل مضارع تنزل أى ماتتنزل الملائكة بالرفع * وقرأ أبو بكر ويحيى بن وثاب ماتنزل بضم التاء وفتح النون والزاى الملائكة بالرفع * وقرأ الاخوان وحفص وابن مصرف ماننزل بضم النون الاولى وفتح الثانية وكسر الزاى الملائكة بالنصب * وقرأ زيد بن على مانزل ماضيا مخففا مبنيا للفاعل الملائكة بالرفع والحق هنا العذاب قاله الحسن أوالرسالة قاله مجاهد أوقبض الأرواح عند الموت قاله ابن السائب أوالقرآن ذكره الماوردى * وقال الزمخشرى ألاتنزلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة فى أن تأتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبى صلى الله عليه وسلم لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار * وقال ابن عطية والظاهر أن معناها كما يجب ويحق من الوحى والمنافع التى أرادها الله تعالى لعباده لاعلى اقتراح كافر ولاباختيار معترض ثم ذكر عادة الله فى الأمم من أنه لم يأتهم بآية اقتراح الاومعها العذاب فى اثرها ان لم يؤمنوا فكان الكلام ماننزل الملائكة الا بحق واجب لا باقتراحكم وأيضافلو نزلت لم تنظروا بعدذلك بالعذاب أى تؤخروا المعنى وهذا لا يكون إذ كان فى علم الله ان منهم من يؤمن أو يلد من يؤمن * وقال الزمخشرى واذن جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء بالشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما أخر عنهم ولما قالوا على سبيل الاستهزاء ياأيها الذى نزل عليه الذكر رد عليهم بأنه هو المنزل عليه فليس من قبله ولا قبل أحد بل هو الله تعالى الذى بعث به جبريل عليه السلام الى رسوله وأكد ذلك بقوله انا نحن بدخول إن وبلفظ نحن ونحن مبتدأ أوتأكيد لاسم ان ثم قال وانا له لحافظون أى حافظون له من الشياطين وفى كل وقت تكفل تعالى بحفظه فلايعتريه زيادة ولانقصان ولاتحريف ولاتبديل بخلاف غيره من الكتب المتقدمة فانه تعالى لم يتكفل حفظها بل قال تعالى ان الربانيين والأحبار استحفظوها ولذلك وقع فيها الاختلاف وحفظه اياه دليل على أنه من عنده تعالى اذلو كان من قول البشر لتطرق

برسالة موسى صلى الله عليه وسلم ما أخبر عنه بالجنون ثم اقترحوا عليه أن يأتيهم بالملائكة شاهدين بصدقك وبصحة دعواك وانذارك كما قال لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو معاقبين على تكذيبك كما كانت باقى الأمم المكذبة ولو ما حرف تحضيض بمعنى هلا وقرئ ماتنزل بشد التاء أصله تتنزل فأدغم التاء فى التاء ﴿ الا بالحق ﴾ الظاهر أن معناها كما يجب ويحق من الوحى والمنافع التى أرادها الله تعالى لعباده لاعلى اقتراح كافر ولاباختيار معترض ثم ذكر عادة الله تعالى فى الأمم من أنه لم يأتهم بآية اقتراح الاومعها العذاب فى اثرها إن لم يؤمنوا فكان الكلام ماننزل الملائكة لابحق لاباقتراحكم وأيضافلو نزلت لم تنظروا بعد ذلك بالعذاب أى تؤخروا والمعنى وهذا لايكون اذ كان فى علم الله أن منهم من يؤمن أو يلد من يؤمن ﴿ وانا له لحافظون ﴾ أى حافظون

ه من الشياطين وفى كل وقت تكفل تعالى بحفظه فلاتعتريه زيادة ولانقصان ولاتحريف ولا تبديل بخلاف غيره من الكتب المتقدمة فانه تعالى لم يتكفل بحفظها بل قال تعالى ان الربانيين والاحبار استحفظوها ولذلك وقع فيها الاختلاف وحفظه اياه دليل على أنه من عنده تعالى اذلو كان من قول البشر لتطرق إليه ماتطرق لكلام البشر

﴿ ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين ﴾ لما ذكر تعالى استهزاء الكفار به ونسبته الى الجنون واقتراح نزول الملائكة سلاه الله تعالى بأن من أرسل من قبلك كان ديدن المرسل إليهم مثل ديدن هؤلاء معك وتقدم تفسير الشيع في أواخر الأنعام ومفعول أرسلنا محذوف أي أرسلنا من قبلك رسلا قال الزمخشري وما يأتيهم حكاية حال ماضية لأن ما لا تدخل على مضارع الا وهو في موضع الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال انتهى هذا الذي ذكره هو قول الاكثرين أن ما تخلص المضارع للحال وتعينه وذهب غيره الى أن ما يكثر دخولها على المضارع مرادا به الحال و تدخل عليه مرادا به الاستقبال وأنشد شاهدا على ذلك قول أبي ذؤيب

أودى بني وأودعوني حسرة * عند الرقاد وغبره ما تقلع

وقال الاعشى يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

له نافلات ما يغب نوالها * وليس عطاء اليوم مانعه غدا

وقال تعالى ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع الا ما يوحى الي ﴿ كذلك نسلكه في قلوب المجرمين ﴾ الظاهر عود الضمير على الاستهزاء المفهوم من قوله يستهزئون والباء في به للسبب والمجرمون هنا كفار قريش ومن دعاهم الرسول الى الايمان و﴿ لا يؤمنون ﴾ إن كان إخبارا مستأنفا فهو من العام المراد به الخصوص فيمن حتم عليه اذ قد آمن عالم ممن كذب الرسول ﴿ وقد خلت سنة الاولين ﴾ في تكذيبهم رسلهم أوفى اهلاكهم حين كذبوا رسلهم واستهزؤوا بهم وهو تهديد لمشركي قريش والضمير في عليهم عائد على المشركين وذلك لفرط تكذيبهم و بعدهم عن الايمان حتى ينكروا ماهو مشاهد بالاعين محسوس مماس بالاجساد بالحركة والانتقال وهذا بحسب المبالغة التامة في انكار الحق والظاهر أن الضمير في فظلوا عائد على من عاد عليه في قوله عليهم أي لو فتح لهم باب من السماء وجعل لهم معراج يصعدون فيه لقالوا هو شئ نتخيله لا حقيقة له وقد سحرنا بذلك وجاء لفظ فظلوا مشعرا بحصول ذلك في النهار ليكونوا مستوضحين لما عاينوا

اليه ما تطرق لكلام البشر * وقال الحسن حفظه بابقاء شريعته الى يوم القيامة * وقيل يحفظه في قلوب من أراد بهم خيرا حتى لو غير أحد نقطة لقال له الصبيان كذبت وصوابه كذا ولم يتفق هذا لشئ من الكتب سواه وعلى هذا فالظاهر ان الضمير في له عائد على الذكر لانه المصرح به في الآية وهو قول الأكثر مجاهد وقتادة وغيرهما * وقالت فرقة الضمير في له عائد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يحفظه من أذاكم و يحوطه من مكركم كما قال تعالى والله يعصمك من الناس وفي ضمن هذه الآية التبشير بحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظهر الله به الدين ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين * وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون * كذلك نسلكه في قلوب المجرمين * لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين * ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون * لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾ لما ذكر تعالى استهزاء الكفار به عليه السلام ونسبته الى الجنون واقتراح نزول الملائكة سلاه تعالى بأن من أرسل من قبلك كان ديدن الرسل اليهم مثل ديدن هؤلاء معك وتقدم تفسير الشيع في أواخر الأنعام ومفعول أرسلنا محذوف أي رسلا من قبلك * وقال الفراء في شيع الأولين هو من اضافة الشئ الى صفته كقوله حق اليقين و بجانب الغربي أي الشيع الموصوف أي في شيع الأمم الأولين والاولون هم الاقدمون * وقال الزمخشري وما يأتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في موضع الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال انتهى وهذا الذي ذكره هو قول الأكثر من ان ما تخلص المضارع للحال وتعينه له وذهب غيره الى أن ما يكثر دخولها على المضارع مرادا به الحال وتدخل عليه مرادا به الاستقبال وأنشد على ذلك * قول أبي ذؤيب

أودى بني وأودعوني حسرة * عند الرقاد وعبرة ما تقلع

* وقول الأعشى يمدح الرسول عليه السلام

له نافلات ما يغب نوالها * وليس عطاء اليوم مانعه غدا

وقال تعالى ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ان أتبع الا ما يوحى الي والضمير في نسلكه عائد على

(الدر) (ش) وما يأتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في موضع الحال ولا ماض الا وهو قريب من الحال انتهى (ح) هذا الذي ذكره هو قول الاكثر من أن ما تخلص المضارع للحال وتعينه له وذهب غيره الى ما يكثر دخولها على المضارع مرادا به الحال و يدخل عليه مرادا به الاستقبال وانشد شاهدا على ذلك قول أبي ذؤيب أودى بني وأودعوني حسرة * عند الرقاد وعبرة ما تقلع وقول الأعشى يمدح النبي صلى الله عليه وسلم له نافلات ما يغب نوالها * وليس عطاء اليوم مانعه غدا

(الدر)

وقال تعالى ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى أن اتبع الا ما يوحى الى

الذكر قاله الزمخشري قال والضمير للذكر أي مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر في قلوب المجرمين على معنى أنه يلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول كما لو أنزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك أنزلها باللئام يعني مثل هذا الانزال أنزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله لا يؤمنون النصب على الحال أي غير مؤمن به أو هو بيان لقوله كذلك نسلكه انتهى وما ذهب اليه من أن الضمير عائد على الذكر ذكره الغزنوي عن الحسن * قال الحسن معناه نسلك الذكر الزاما للحجة * وقال ابن عطية الضمير في نسلكه عائد على الاستهزاء والشرك ونحوه وهو قول الحسن وقتادة وابن جريج وابن زيد ويكون الضمير في به يعود أيضا على ذلك نفسه وتكون باء السبب أي لا يؤمنون بسبب شركهم واستهزائهم ويكون قوله لا يؤمنون به في موضع الحال ويحتمل أن يكون الضمير في نسلكه عائدا على الذكر المحفوظ المتقدم الذكر وهو القرآن أي مكذبا به مردودا مستهزأ به يدخله في قلوب المجرمين ويكون الضمير في به عائدا عليه ويحتمل أن يكون الضمير في نسلكه عائدا على الاستهزاء والشرك والضمير في به يعود على القرآن فيختلف على هذا عود الضميرين انتهى * وروى ابن جريج عن مجاهد نسلك التكذيب فعلى هذا تكون الباء في به للسبب والذي يظهر عوده على الاستهزاء المفهوم من قوله يستهزؤن والباء في به للسبب والمجرمون هنا كفار قريش ومن دعاهم الرسول الى الايمان ولا يؤمنون ان كان اخبارا مستأنفا فهو من العام المراد به الخصوص فمن ختم عليه إذ قد آمن عالم ممن كذب الرسول وقد خلت سنة الأولين في تكذيبهم رسلهم أو في اهلاكهم حين كذبوا رسلهم واستهزؤا بهم وهو تهديد لمشركي قريش والضمير في عليهم عائد على المشركين وذلك لفرط تكذيبهم وبعدهم عن الايمان حتى ينكروا ما هو محسوس مشاهد بالاعين مماس بالاجساد بالحركة والانتقال وهذا بحسب المبالغة التامة في انكار الحق والظاهر ان الضمير في فظلوا عائد على من عاد عليه في قوله عليهم أي لو فتح لهم باب من السماء وجعل لهم معراج يصعدون فيه لقالوا هو شيء نتخيله لا حقيقة له وقد سحرنا بذلك وجاء لفظ فظلوا مشعرا بحصول ذلك في النهار ليكونوا مستوضحين لما عاينوا على أن ظل يأتي بمعنى صار أيضا وعن ابن عباس ان الضمير في فظلوا يعود على الملائكة لقولهم لو ما تأتينا بالملائكة أي ولو رأوا الملائكة تصعد وتتصرف في باب مفتوح في السماء لما آمنوا * وقرأ الاعمش وأبو حيوة يعرجون بكسر الراء وهي لغة هذيل في العروج بمعنى الصعود وجاء لفظ انما مشعرا بالحصر كأنه قال ليس ذلك الا تسكيرا للابصار * وقرأ الحسن ومجاهد وابن كثير سكرت بتخفيف الكاف مبنيا للمفعول وقرأ باقي السبعة بشدها مبنيا للمفعول * وقرأ الزهري بفتح السين وكسر الكاف مخففة مبنيا للفاعل شبهوا رؤية أبصارهم برؤية السكران لقلة تصوره ما يراه فأما قراءة التشديد فعن ابن عباس وقتادة منعت عن رؤية الحقيقة من السكر بكسر السين وهو الشد والحبس وعن الضحاك شدت وعن جوهر جدعت وعن مجاهد حبست وعن الكلبي عميت وعن أبي عمرو غطيت وعن قتادة أيضا أخذت وعن أبي عبيد غشيت وأما قراءة التخفيف فقيل بالتشديد الا أنه للتكثير والتخفيف يؤدي عن معناه * وقيل معنى التشديد أخذت ومعنى التخفيف سحرت والمشهور ان سكر لا يتعدى * قال أبو علي ويجوز أن يكون سمع متعديا في البصر * وحكى أبو عبيد عن أبي عبيدة انه يقال سكرت أبصارهم اذا غشيها سهاد حتى لا يبصروا * وقيل التشديد من سكر الماء والتخفيف من سكر الشراب وتقول العرب سكرت الريح تسكر سكرا اذا ركدت ولم تنفذ لما كانت بسبيله أولا وسكر الرجل من الشراب سكرا اذا تغيرت

حاله وركدولم ينفذ فيما كان للانسان أن ينفذ فيه ومن هذا المعنى سكران لايبت أى لايقطع أمرا وتقول العرب سكرت فى مجارى الماء اذا طمست وصرفت الماء فلم ينفذ لوجهه فان كان من سكر الشراب أومن سكر الريح فالتضعيف للتعدية أومن سكر مجارى الماء فللتكثير لأن مخففه متعد وأما سكرت بالتخفيف فان كان من سكر الماء ففعله متعد أومن سكر الشراب أوالريح فيكون من باب وجع زيد ووجعه غيره فتقول سكر الرجل وسكره غيره وسكرت الريح وسكرها غيرها كما جاء سعد زيد وسعده غيره ولخص الزمخشرى فى هذا فقال وسكرت حيرت أو حبست من السكر أو السكر * وقرىء بالتخفيف أى حبست كما يحبس النهر عن الجرى انتهى * وقرأ ابان بن تغلب سحرت أبصارنا ويجىء قوله بل نحن قوم مسحورون انتقالا الى درجة عظمى من سحر العقل و ينبغى أن تجعل هذه القراءة تفسير معنى لاتلاوة لمخالفتها سواد المصحف وجاء جواب ولو قوله لقالوا أى انهم يشاهدون مايشاهدون ولايشكون فى رؤية المحسوس ولكنهم يقولون مالايعتقدون مواطأة على العناد ودفع الحجة ومكابرة وايثار الغلبة كما قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا * ﴿ ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين * وحفظناها من كل شيطان رجيم * الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين ﴾ لما ذكر حال منكرى النبوة وكانت مفرعة على التوحيد ذكر دلائله السماوية و بدأ بها ثم أتبعها بالدلائل الارضية * وقال ابن عطية لما ذكر تعالى انهم لو رأوا الآية المذكورة فى السماء لعاندوا فيها عقب ذلك بهذه الآية كأنه قال وان فى السماء لعبرا منصوبة غير هذه المذكورة وكفرهم بها واعراضهم عنها اصرار منهم وعتو انتهى والظاهر أن جعلنا بمعنى خلقنا وفى السماء متعلق بجعلنا و يحتمل أن يكون بمعنى صيرنا وفى السماء المفعول الثانى فيتعلق بمحذوف والبروج جمع برج وتقدم شرحه لغة * قال الحسن وقتادة هى النجوم * وقال ابو صالح الكواكب السيارة * وقال على بن عيسى اثناعشر برجا الحمل * والثور *والجوزاء والسرطان * والاسد * والسنبلة * والميزان * والعقرب * والقوس * والجدى * والدلو * والحوت وهى منازل الشمس والقمر * وقال ابن عطية قصور فى السماء فيها الحرس وهى المذكورة فى قوله ملئت حرسا شديدا وشهبا * وقيل الفلك اثناعشر برجا كل برج ميلان ونصف والظاهر ان الضمير فى وزيناها عائد على البروج لأنها المحدث عنها والاقرب فى اللفظ * وقيل على السماء وهو قول الجمهور وخص بالناظرين لأنها من المحسوسات التى لاتدرك الا بنظر العين و يجوز أن يكون من نظر القلب لما فيها من الزينة المعنوية وهو مافيها من حسن الحكم و بدائع الصنع وغرائب القدرة والضمير فى حفظناها عائد على السماء ولذلك قال الجمهور ان الضمير فى وزيناها عائد على السماء حتى لاتختلف الضمائر وحفظ السماء هو بالرجم بالشهب على ماتضمنته الأحاديث الصحاح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشياطين تقرب من السماء أفواجا فينفرد المارد منها فيستمع فيرمى بالشهاب فيقول لأصحابه وهو يلتهب انه الامر كذا وكذا فتزيد الشياطين فى ذلك و يلقون الى الكهنة فيزيدون على الكلمة مائة كلمة ونحو هذا الحديث * وقال ابن عباس ان الشهب تخرج وتؤذى ولاتقتل * وقال الحسن تقتل وفى الاحاديث مايدل على أن الرجم كان فى الجاهلية ولكنه اشتد فى وقت الاسلام وحفظت السماء حفظا تاما وعن ابن عباس كانوا لايحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها والظاهر أن قوله الامن استرق استثناء متصل والمعنى فانها لم تحفظ منه ذكره الزهراوى وغيره

﴿ ولقد جعلنا فى السماء بروجا ﴾ الآية لما ذكر تعالى حال منكرى النبوة وكانت مفرعة على التوحيد ذكر دلائله السماوية و بدأ بها ثم أتبعها بالدلائل الارضية والبروج جمع برج قال ابن عيسى الرمانى البروج اثنا عشر برجا * الحمل * والثور *والجوزاء *والسرطان *والاسد * والسنبلة* والميزان * والعقرب* والقوس *والجدى *والدلو والحوت * وهى منازل الشمس والقمر والظاهر أن الضمير فى وزيناها عائد على البروج لانها المحدث عنها والاقرب فى اللفظ وقيل على السماء وهو قول الجمهور وخص بالناظرين لانها من المحسوس الذى لايدرك الا بنظر العين و يجوز أن يكون من نظر القلب لما فيها من الزينة المعنوية وهو مافيها من حسن الحكم و بدائع الصنع وغرائب القدرة والضمير فى وحفظناها عائد على السماء وكذلك قال الجمهور ان الضمير فى وزيناها عائد على السماء حتى لاتختلف الضمائر وحفظ السماء هو بالرجم بالشهب على ما تضمنته الاحاديث الصحاح

الجبال والظاهر أن الضمير في فيها عائد على الارض المدودة وقال ابن عباس وغيره موزون مقدر بقدر وتقدم تفسير المعايش في أول الاعراف والظاهر أن من لمن يعقل و يراد به العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون أنهم يرزقونهم و يخطئون فان الله هو الرزاق يرزقكم واياهم ومن مجرور معطوف على الضمير في لكم وحسن العطف الفصل بينهما بقوله فيها معايش أو يدخل معهم مالا يعقل بحكم التغليب كالانعام والدواب وما بتلك المثابة مما رزقه الله تعالى وقد سبق الى ظنهم انهم هم الرازقون لهم وتقدم شرح الخزائن وان نافية ومن زائدة والظاهر أن المعنى ومامن شئ ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به فتكون الخزائن وهي ماتحفظ فيه الأشياء مستعارة من المحسوس الذي هو الجسم الى المعقول و ﴿لواقح﴾ جمع لاقح يقال ريح لاقح جائيات بخير من انشاء السحاب الماطر كما قيل للتي لاتأتي بخير بل بشر ريح عقيم و ﴿المستقدمين﴾ قال ابن عباس الاموات ﴿والمستأخرين﴾ الأحياء ﴿وان ربك﴾ فيه التفات وخروج من ضمير العظمة للواحد الى الاسم الظاهر تنبيها على أن المتصف بتلك الأفعال السابقة هو ربك

والمعنى انه سمع من خبرها شيئا وألقاه الى الشياطين * وقيل هو استثناء منقطع والمعنى انها حفظت منه وعلى كلا التقديرين فمن في موضع نصب * وقال الحوفي من بدل من كل شيطان وكذا قال أبو البقاء جر على البدل أي الا ممن استرق السمع وهذا الاعراب غير سائغ لان ماقبله موجب فلا يمكن التفريغ فلا يكون بدلا لكنه يجوز أن يكون الا من استرق نعتا على خلاف في ذلك * وقال أبو البقاء ويجوز أن يكون من في موضع رفع على الابتداء وفأتبعه الخبر وجاز دخول الفاء من أجل ان من بمعنى الذي أو شرط انتهى والاستراق افتعال من السرقة وهي أخذ الشئ بخفية وهو ان يخطف الكلام خطفة يسيرة والسمع المسموع ومعنى مبين ظاهر للمبصرين ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شئ موزون * وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين * وان من شئ الا عندنا خزائنه وماننزله الا بقدر معلوم * وأرسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما أنتم له بخازنين * وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون * ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين * وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم ﴾ مددناها بسطناها ليحصل بها الانتفاع لمن حلها * قال الحسن أخذ الله طينة فقال لها انبسطي فانبسطت * وقيل بسطت من تحت الكعبة ولما كانت هذه الجملة بعدها جملة فعلية كان النصب على الاشتغال أرجح من الرفع على الابتداء فلذلك نصب والارض والرواسي الجبال وفي الحديث ان الأرض كانت تتكفأ بأهلها كما تتكفأ السفينة فثبتها الله بالجبال ومن في من كل للتبعيض وعند الأخفش هي زائدة أي كل شئ والظاهر ان الضمير في فيها يعود على الارض الممدودة * وقيل يعود على الجبال * وقيل عليها وعلى الارض معا * قال ابن عباس وابن جبير موزون مقدر بقدر * وقال الزمخشري قريبا منه قال وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار يقتضيه لايصلح فيه زيادة ولانقصان * وقال ابن عطية قال الجمهور معناه مقدر محرر بقصد وارادة فالوزن على هذا مستعار * وقال ابن زيد المراد مايوزن حقيقة كالذهب والفضة وغير ذلك مما يوزن * وقال قتادة موزون مقسوم * وقال مجاهد معدود * وقال الزمخشري أوله وزن وقدر في أبواب النعمة والمنفعة وبسطه غيره فقال ماله منزلة كما تقول ليس له وزن أي قدر ومنزلة ويقال هذا كلام موزون أي منظوم غير منتثر فعلى هذا أي أنبتنا فيها مايوزن من الجواهر والمعادن والحيوان وقال تعالى وأنبتها نباتا حسنا والمقصود بالانبات الانشاء والايجاد * وقرأ الاعرج وخارجة عن نافع معائش بالهمز * قال ابن عطية والوجه ترك الهمز وعلل ذلك بما هو معروف في النحو * وقال الزمخشري معايش بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث فان تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمزة أو اخراج الياء بين بين وتقدم تفسير المعايش أول الاعراف والظاهر أن من لمن يعقل و يراد به العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون انهم يرزقونهم و يخطئون فان الله هو الرزاق يرزقكم واياهم * وقال معناه الفراء و يدخل معهم مالا يعقل بحكم التغليب كالانعام والدواب وما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم أنهم الرازقون وقال معناه الزجاج * وقال مجاهد الدواب والانعام والبهائم * وقيل الوحوش والسباع والطير فعلى هذين القولين يكون من لما لايعقل والظاهر ان من في موضع جر

عطفا على الضمير المجرور في لكم وهو مذهب الكوفيين ويونس والاخفش وقد استدل القائل على صحة هذا المذهب في البقرة في قوله وكفر به والمسجد الحرام * وقال الزجاج من منصوب بفعل محذوف تقديره وأعشنا من لستم أي أماغيركم لان المعنى أعشناكم * وقيل عطفا على معايش أي وجعلنا لكم من لستم له برازقين من العبيد والصناع * وقيل والحيوان * وقيل عطفا على محل لكم * وقيل من مبتدأ خبره محذوف لدلالة المعنى عليه أي ومن لستم له برازقين جعلنا له فيها معايش وهذا لا بأس به فقد أجاز واضربت زيدا وعمرو بالرفع على الابتداء أي وعمرو ضربته فحذف الخبر لدلالة ماقبله عليه وتقدم شرح الخزائن وان نافية ومن زائدة والظاهر ان المعنى ومامن شيء ينتفع به العباد الاونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به فتكون الخزائن وهي مايحفظ فيه الاشياء مستعارة من المحسوس الذي هو الجسم الى المعقول * وقال قوم المراد الخزائن حقيقة وهي التي تحفظ فيها الاشياء وان للريح مكانا وللمطر مكانا ولكل مكان ملك وحفظة فاذا أمر الله باخراج شيء منه أخرجته الحفظة * وقيل المراد بالشيء هنا المطر قاله ابن جريج * وقرأ الأعمش ومانرسله مكان وماننزله والارسال أعم وهي قراءة تفسير معنى لانها لفظ قرآن لمخالفتها سواد المصحف وعن ابن عباس والحكم بن عيينة انه ليس عام أكثر مطرا من عام ولكن الله تعالى ينزله في مواضع دون مواضع ولواقح جمع لاقح يقال ريح لاقح جائيات بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لاتأتي بخير بل بشر ريح عقيم أوملاقح أي حاملات للمطر وفي صحيح البخاري لواقح ملاقح ملقحة * وقال عبيد بن عمير يرسل الله المبشرة تقم الارض قما ثم المثيرة فتثير السحاب ثم المؤلفة فتؤلفه ثم يبعث الله اللواقح فتلقح الشجر ومن قرأ بافراد الريح فعلى تأويل الجنس كما قالوا أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض وسقى وأسقى قد يكونان بمعنى واحد * وقال أبو عبيدة من سقى الشفة سقى فقط أوالارض والثمار أسقى وللداعي لارض وغيرها بالسقيا أسقى فقط * وقال الازهري العرب تقول لكل ما كان من بطون الانعام ومن السماء أونهر يجري أسقيته أي جعلته شربا له وجعلت له منه مسقى فاذا كان للشفة قالوا سقى ولم يقولوا أسقى * وقال أبو علي سقيته حتى روي وأسقيته نهرا جعلته شربا له وجاء الضمير هنا متصلا بعد ضمير متصل كما تقدم في قوله أنلزمكموها وتقدم ان مذهب سيبويه فيه وجوب الاتصال وما أنتم له بخازنين أي بقادرين على ايجاده تنبيها على عظيم قدرته واظهار العجز هم أي لستم بقادرين عليه حين احتياجكم اليه * وقال سفيان بخازنين أي بمانعين المطر نحيي نخرجه من العدم الصرف الى الحياة ونميت نزيل حياته ونحن الوارثون الباقون بعد فناء الخلق * والمستقدمين قال ابن عباس والضحاك الاموات والمستأخرين الاحياء * وقال قتادة وعكرمة وغيرهما المستقدمين في الخلق والمستأخرين الذين لم يخلقوا بعد * وقال مجاهد المستقدمين من الامم والمستأخرين أمة محمد صلى الله عليه وسلم * وقال الحسن وقتادة أيضا في الطاعة والخير والمستأخرين بالمعصية والشر * وقال ابن جبير في صفوف الحرب والمستأخرين فيها * وقيل من قتل في الجهاد والمستأخرين من لم يقتل * وقيل في صفوف الصلاة والمستأخرين بسبب النساء لينظر واليهن * وقال قتادة أيضا السابقين الى الاسلام والمتقاعسين عنه والاولى حمل هذه الاقوال على التمثيل لا على الحصر والمعنى انه تعالى محيط علمه بمن تقدم وبمن تأخر وباحوالهم ثم أعلم تعالى انه يحشرهم * وقرأ الاعمش يحشرهم بكسر الشين * وقال ابن عباس ومروان بن الحكم وأبو الجوزاء كانت تصلي وراء الرسول امرأة جميلة فبعض يتقدم لئلا تفتنه

المالك لك والناظر في مصلحتك وهو توكيد للفظ الرب

﴿ولقد خلقنا الانسان من صلصال﴾ الآية لما نبه تعالى على منتهى الخلق وهو الحشر يوم القيامة الى ما يستقرون فيه نبههم على مبدأ أصلهم آدم صلى الله عليه وسلم وما جرى لعدوه ابليس من المحاورة مع الله تعالى وتقدم شئ من هذه القصة فى أوائل البقرة عقب ذكر الاماتة والاحياء والرجوع اليه تعالى وفى الاعراف بعد ذكر يوم القيامة وذكر الموازين فيه وفى الكهف بعد ذكر الحشر وكذا فى سورة ص بعد ذكر ما أعد من الجنة والنار لخلقه فحيث ذكر منتهى هذا الخلق ذكر مبدأهم وقصته مع ابليس ليحذرهم من كيده ولينظروا ما جرى له معه حتى أخرجه من الجنة التى هى مقر السعادة والراحة الى الارض التى هى مقر التكليف والتعب فيحترزوا من كيده * الصلصال قال أبو عبيدة الطين اذا خلط بالرمل وجف والحما الطين أسود منتن واحده حماة بتحريك الميم وقال ابن عباس المسنون الرطب ومعناه المصبوب لانه لا يكون مصبوبا الا وهو رطب فكنى عن المصبوب بوصفه لأنه موضوع والسموم قال ابن عباس الريح الحارة التى تقتل وعنه نار لا دخان لها ومنها تكون الصواعق ومعنى ﴿سويته﴾ أكملت خلقه والتسوية عبارة عن الاتقان وجعل أجزائه مستوية فيما خلقت له ﴿ونفخت فيه من روحى﴾ أى خلقت الحياة فيه ولا نفخ هناك ولا منفوخ حقيقة وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى (٤٥٢) به فيه واضافة الروح إليه تعالى على سبيل التشريف نحو بيت الله وناقة الله أو الملك اذ هو المتصرف فى الانشاء للروح والمودعها حيث يشاء ﴿فقعوا له ساجدين﴾ أى اسقطوا على الارض وحرف الجر محذوف من أن أى مالك فى أن لا يكون وأى داع دعاك الى إبائك السجود ولا سجد اللام لام الجحود والمعنى لا يناسب حالى السجود له وفى البقرة نبه على العلة المانعة له وهى الاستكبار أى رأى نفسه أكبر من أن يسجد وفى الاعراف صرح بجهة الاستكبار وهى ادعاء الخيرية والافضلية بادعاء المادة المخلوق منها كل منهما وهنا نبه على مادة آدم وحده وهنا فاخرج منها وفى الاعراف فاهبط منها وتقدم ذكر الخلاف فيما يعود عليه ضمير منها و﴿بما أغويتنى﴾ ما مصدرية وهنا أقسم بالاغواء وفى مكان آخر قال فبعزتك فيكون ذلك فى محاورتين ﴿ولأزينن﴾ جواب القسم و﴿لهم﴾ ضمير يعود على ما يفهم من الكلام وهم ذرية آدم صلى الله عليه وسلم ﴿قال هذا صراط على﴾ الاشارة بهذا الى ما تضمنه المخلصين من المصدر أى الاخلاص الذى يكون فى عبادى هو صراط مستقيم لا يسلكه أحد فيضل أو يزل لان من اصطفيته أو أخلص لى العمل لا سبيل لك عليه قيل ولما قسم ابليس ذرية آدم الى غاو ومخلص قال تعالى هذا أمر مصيره الى ووصفه بالاستقامة أى هو حق وصيرورتهم الى هذين القسمين ليس لك والعرب تقول طريقك فى هذا الأمر على فلان أى اليه يصير النظر فى أمرك وقرأ الجمهور على جارا ومجرورا ويتعلق بقوله مستقيم أى مستقيم على ارادتى وحكمى وقرأ يعقوب على على وزن فعيل وهو صفة لقوله صراط والاضافة فى قوله ان عبادى اضافة تشريف أى المختصين بعبادتى وعلى هذا لا يكون قوله الا من اتبعك استثناء متصلا بل يكون منقطعا بمعنى لكن من اتبعه لم يندرج فى قوله ان عبادى وان كان أريد بعبادى عموم الخلق فيكون الا من اتبعك استثناء متصلا لاندراجه فى عموم العباد ومن فى من الغاوين لبيان الجنس أى الذين هم الغاوون ولموعدهم مكان وعد اجتماعهم والضمير للغاوين قال ابن عطية

وبعض يتأخر ليسرق النظر اليها فى الصلاة فنزلت الآية فيهم وفصل هذه الآية بهاتين الصفتين من الحكمة والعلم فى غاية المناسبة ﴿ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون * والجان خلقناه من قبل من نار السموم * واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون * الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين * قال يا ابليس مالك أن لا تكون مع الساجدين * قال لم أكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون * قال فاخرج منها فانك رجيم * وان عليك اللعنة الى يوم الدين * قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون * قال فانك من المنظرين * الى يوم الوقت المعلوم * قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين * الا عبادك منهم المخلصين * قال هذا صراط على مستقيم * ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين * وان جهنم لموعدهم أجمعين * لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ لما نبه تعالى على منتهى الخلق وهو الحشر يوم القيامة الى ما يستقرون فيه نبههم على مبدأ أصلهم آدم وما جرى لعدوه ابليس من المحاورة مع الله تعالى وتقدم شئ من هذه القصة فى أوائل البقرة عقب ذكر الاماتة والاحياء والرجوع اليه تعالى وفى الاعراف بعد ذكر يوم القيامة وذكر الموازين فيه وفى الكهف بعد ذكر الحشر وكذا فى سورة ص بعد ذكر ما أعد من الجنة والنار لخلقه فحيث ذكر منتهى هذا الخلق ذكر مبدأهم

وقصته مع عدوه ابليس ليحذرهم من كيده ولينظروا ماجرى له معه حتى أخرجه من الجنة مقر السعادة والراحة الى الأرض مقر التكليف والتعب فيتحرزوا من كيده * ومن حما قال الحوفى بدل من صلصال باعادة الجار * وقال أبو البقاء من حا فى موضع جر صفة لصلصال * وقال ابن عباس المسنون الطين ومعناه المصبوب لانه لا يكون مصبوبا الا وهو رطب فكنى عن المصبوب بوصفه لانه موضوع له * وقال مجاهد وقتادة ومعمر المنتن * قال الزمخشرى من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذى يسيل بينهما سنين ولا يكون الامنتنا * وقال غيره من أسن الماء اذا تغير ولا يصح لاختلاف المادتين * وقيل مصبوب من سننت التراب والماء اذا صببته شيأ بعد شئ فكان المعنى أفرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة فى أمثلتها * قال الزمخشرى وحق مسنون بمعنى مصور أن يكون صفة لصلصال كانه أفرغ الحما فصور منها تمثال انسان أجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر انتهى * وقيل المسنون المصور من سنة الوجه وهى صورته قال الشاعر * تريك سنة وجه غير مقرفة * وقيل المسنون المنسوب أى ينسب اليه ذريته والجان هو أبو الجن قاله ابن عباس * قال الزمخشرى والجان للجن كآدم للناس * وقال الحسن وقتادة هو ابليس خلق قبل آدم * وقال ابن بحر هو اسم لجنس الجن والانسان المراد به آدم ومن قبل أى من قبل خلق الانسان * وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد والجأن بالهمز * والسموم قال ابن عباس الريح الحارة التى تقتل وعنه نار لا دخان لها منها تكون الصواعق * وقال الحسن نار دونها حجاب وعن ابن عباس نفس النار وعنه لهب النار * وقيل نار اللهب السموم * وقيل أضاف الموصوف الى صفته أى النار السموم وسويته أكملت خلقه والتسوية عبارة عن الاتقان وجعل أجزائه مستوية فيما خلقت ونفخت فيه من روحى أى خلقت الحياة فيه ولا نفخ هنالك ولا منفوخ حقيقة وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه وأضاف الروح اليه تعالى على سبيل التشريف نحو بيت الله وناقة الله أو الملك اذ هو المتصرف فى الانشاء للروح والمودعها حيث يشاء وقعوا له أى اسقطوا على الارض وحرف الجر محذوف من ان أى مالك فى ان لا تكون وأى داع دعاك الى إبائك السجود ولا سجد اللام لام الجحود والمعنى لا يناسب حالى السجود له وفى البقرة نبه على العلة المانعة له وهى الاستكبار أى رأى نفسه أكبر من أن يسجد وفى الاعراف صرح بجهة الاستكبار وهى ادعاء الخيرية والافضلية بادعاء المادة المخلوق منها كل منهما وهنا نبه على مادة آدم وحده وهنا فاخرج منها وفى الاعراف فاهبط منها وتقدم ذكر الخلاف فيما يعود عليه ضمير منها وقد تقدمت منها مباحث فى سورة البقرة والاعراف أعادها المفسرون هنا ونحن نحيل على ما تقدم الا ماله خصوصية بهذه السورة فنحن نذكره * فنقول وضرب يوم الدين غاية للعنة امالانه أبعد غاية يضرب بها الناس فى كلامهم واما أن يراد انك مذموم مدعو عليك باللعنة فى السموات والارض الى يوم الدين من غير أن تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه و يوم الدين و يوم يبعثون و يوم الوقت المعلوم واحد وهو وقت النفخة الاولى حتى تموت الخلائق ووصف بالمعلوم امالانفراد الله بعلمه كما قال قل انما علمها عند ربى ان الله عنده علم الساعة أو لانه معلوم فناء العالم فيه فيكون قد عبر بيوم الدين و بيوم يبعثون و يوم الوقت المعلوم عما كان قريبا من ذلك اليوم * قال الزمخشرى ومعنى إغوائه اياه تسبيبه لغيه بأن أمره بالسجود لآدم عليه السلام فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لامر الله

وأجمعين تأكيد وفيه معنى الحال انتهى هذا جنوح لمذهب من زعم ان أجمعين يدل على اتحاد الوقت والصحيح أن مدلوله مدلول كلهم والظاهر ان جهنم هى واحدة و ﴿ لها سبعة أبواب ﴾ قيل أعلاها للموحدين والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين

ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى برىء من غيه ومن ارادته والرضا به انتهى
وهو على طريقة الاعتزال والضمير في لهم عائد على غير مذكور بل على مايفهم من الكلام وهو ذرية
آدم ولذلك قال في الآية الاخرى لئن أخرتن الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الاقليلا والتزين تحسين
المعاصي لهم ووسوسته حتى يقعوا فيها في الارض أي في الدنيا التي هي دار الغرور لقوله تعالى
أخلد الى الارض واتبع هواه أو أراد اني أقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الاكل من الشجرة
وهو في السماء فانا على التزيين لاولاده أقدر أو أراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولارفعن
رتبتي فيها أي لازينها في أعينهم ولاحدثنهم بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الآخرة
و يطمئنوا اليها دونها ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي قاله الزمخشري والاعباداك استثناء القليل
من الكثير اذ المخلصون بالنسبة الى الغاوين قليل واستثناؤهم ابليس لانه علم ان تزيينه لايؤثر فيهم
وفيه دليل على جلاله هذا الوصف وانه أفضل ما اتصف به الطائع * وقرأ الكوفيون ونافع والحسن
والاعرج بفتح اللام ومعناه الامن أخلصته للطاعة أنت فلا يؤثر فيه تزييني * وقرأ باقي السبعة
والجمهور بكسرها أي الامن أخلص العمل لله ولم يشرك فيه غيره ولا رآى به والفاعل لقال الله أي
قال الله والاشارة بهذا الى ماتضمنه المخلصين من المصدر أي الاخلاص الذي يكون في عبادي هو
صراط مستقيم لايسلكه أحد فيضل أو يزل لان من اصطفيته أو أخلص لي العمل لاسبيل لك عليه
* وقيل لما قسم ابليس ذرية آدم الى غاو ومخلص قال تعالى هذا أمر مصيره الى ووصفه بالاستقامة
أي هو حق وصير ورتهم الى هذين القسمين ليست لك والعرب تقول طريقك في هذا الأمر
على فلان أي اليه يصير النظر في أمرك * وقال الزمخشري هذا طريق حق على أن أراعيه
وهو أن يكون لك سلطان على عبادي الامن اختار اتباعك منهم لغوايته انتهى فجعل هذا اشارة الى
انتفاء تزيينه واغوائه وكونه ليس له عليهم سلطان فكأنه أخذ الاشارة الى مااستثناه ابليس والى
ماقرره تعالى بقوله ان عبادي وتضمن كلامه مذهب المعتزلة * وقال صاحب اللوامح أي هذا صراط
عهدة استقامته على وفي حفظه أي حفظه على وهو مستقيم غير معوج * وقال الحسن معنى على الى
* وقيل على كأنه من مر عليه مر على أي على رضواني وكرامتي * وقرأ الضحاك وابراهيم
وأبو رجاء وابن سيرين ومجاهد وقتادة وقيس بن عباد وحميد وعمرو بن ميمون وعمارة بن أبي حفصة
وأبو شرف مولى كندة ويعقوب على مستقيم أي عال لارتفاع شأنه وهذه القراءة تؤكد أن الاشارة
الى الاخلاص وهو أقرب اليه والاضافة في قوله ان عبادي اضافة تشريف أي ان المختصين بعبادتي
وعلى هذا لا يكون قوله الامن اتبعك استثناء متصلا لأن من اتبعه لم يندرج في قوله ان عبادي وان
كان أريد بعبادي عموم الخلق فيكون الامن اتبعك استثناء من عموم ويكون فيه دلالة على
استثناء الاكثر وبقاء المستثنى منه أقل وهي مسألة اختلف فيها النحاة فأجاز ذلك الكوفيون وتبعهم
من أصحابنا الاستاذ أبو الحسن بن خروف ودلائل ذلك مسطرة في كتب النحو والذي يظهر أن
ابليس لما استثنى العباد المخلصين كانت الصفة ملحوظة في قوله ان عبادي أي عبادي المخلصين الذين
ذكرتهم ليس لك عليهم سلطان ومن في من الغاوين لبيان الجنس أي الذين هم الغاوون * وقال
الجبائي هذه الآية تدل على بطلان قول من زعم ان الشيطان والجن يمكنهم صرع الناس وازالة
عقولهم كما تقول العامة وربما نسبوا ذلك الى السحرة قال وذلك خلاف مانص الله تعالى عليه
ولموعدهم مكان وعدا جماعهم والضمير للغاوين * وقال ابن عطية وأجمعين تأكيد وفيه معنى الحال

(الدر)
(ع) وأجمعين تأكيد فيه
معنى الحال (ح) هذا
جنوح لمذهب من يزعم
أن أجمعين يدل على اتحاد
الحال والصحيح ان مدلوله
مدلول كلهم

انتهى وهذا جنوح لمذهب من يزعم ان أجمعين تدل على اتحاد الوقت والصحيح ان مدلوله مدلول كلهم والظاهر ان جهنم هي واحدة ولها سبعة أبواب * وقيل أبواب النار أطباقها وأدراكها فأعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصائبين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين * وقرأ ابن القعقاع جز بتشديد الزاى من غير همز ووجهه انه حذف الهمزة وألقى حركتها على الزاى ثم وقف بالتشديد نحو هذا فرج ثم أجرى الوصل مجرى الوقف واختلف عن الزهرى ففي كتاب ابن عطية وقرأ ابن شهاب بضم الزاى ولعله تصحيف من الناسخ لأنى وجدت في التحرير وقرأ ابن وثاب بضمها مهموزا فيهما * وقرأ الزهرى بتشديد الزاى دون همز وهي قراءة ابن القعقاع وان فرقة قرأت بالتشديد منهم ابن القعقاع وفي كتاب الزمخشرى وكتاب اللوامح انه قرأ بالتشديد وفي اللوامح هو وأبو جعفر ﴿ ان المتقين في جنات وعيون * ادخلوها بسلام آمنين * ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين * لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين * نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم * وأن عذابى هو العذاب الأليم * ونبئهم عن ضيف ابراهيم * إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وجلون * قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم * قال أبشرتمونى على أن مسنى الكبر فبم تبشرون * قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين * قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون * قال فما خطبكم أيها المرسلون * قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين * الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين * الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين * فلما جاء آل لوط المرسلون * قال انكم قوم منكرون * قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون * وأتيناك بالحق وانا لصادقون * فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون * وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين * وجاء أهل المدينة يستبشرون * قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون * واتقوا الله ولا تخزون * قالوا أولم ننهك عن العالمين * قال هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين * لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون * فأخذتهم الصيحة مشرقين * فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل إن في ذلك لآيات للمتوسمين * وانها لبسبيل مقيم * ان في ذلك لآية للمؤمنين * وان كان أصحاب الأيكة لظالمين * فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين * ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين * وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين * فأخذتهم الصيحة مصبحين * فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون * وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل * ان ربك هو الخلاق العليم * ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم * لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين * وقل إنى أنا النذير المبين * كما أنزلنا على المقتسمين * الذين جعلوا القرآن عضين * فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون * فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين * إنا كفيناك المستهزئين * الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون * ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون * فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ السرر جمع سرير ككليب وكلب وبعض تميم يفتح الراء وكذا كل مضاعفة فعيل * النصب التعب * القنوط أتم اليأس يقال قنط يقنط بفتحها وقنط بفتح النون يقنط بكسرها وبضمها * الفضح والفضيحة مصدران لفضح يفضح اذا أتى من أمر الانسان ما يلزمه به العار ويقال فضحك الصبح اذا تبين للناس * قال الشاعر

بين الفريقين ﴿ ونزعنا مافى صدورهم ﴾ تقدم شرحه فى الاعراف وانتصب اخوانا على الحال وهى حال من الضمير المجرور فى صدورهم والحال من المضاف نادرة وقد تأول نصبه على غير الحال من الضمير المجرور ﴿ على سرر ﴾ جمع سرير وعلى سرر ومتقابلين حالان والقعود على السرير دليل على الرفعة والكرامة التامة وعن ابن عباس على سرر مكللة بالياقوت والزبرجد والدر ﴿متقابلين ﴾ متساوين فى التواصل والتوادد ﴿لايمسهم فيها نصب ﴾ أى تعب مما يقاسونه فى الدنيا واذا انتفى المس انتفت الديمومة وأكد انتفاء الاخراج بدخول الباء فى بمخرجين ومنها متعلق بمخرجين ولما تقدم ذكر مافى النار وذكر مافى الجنة أكد تعالى تنبيه الناس وتقرير ذلك وتمكينه فى النفوس بقوله ﴿نبئ عبادى﴾ وناسب ذكر الغفران والرحمة اتصال ذلك بقوله ان المتقين وتقديما لهذين الوصفين

ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا * مثل القلامة قدقصت من الظفر

* التوسم تفعل من الوسم وهى العلامة التى يستدل بها على مطلوب غيرها يقال توسم فيه الخير اذا رأى ميسم ذلك * وقال عبدالله بن رواحة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم

انى توسمت فيك الخير أجمعه * والله يعلم أنى ثابت البصر

﴿ وقال الشاعر ﴾

توسمت لما أن رأيت مهابة * عليه وقلت المرء من آل هاشم

واتسم الرجل جعل لنفسه علامة يعرف بها وتوسم الرجل طلب كلاء الوسمى * وقال ثعلب الواسم الناظر اليك من فرقك الى قدمك وأصل التوسم التثبت والتفكر مأخوذ من الوسم وهو التأثير بحديدة فى جلد البعير أوغيره * الأيكة الشجرة الملتفة واحدة أيك * قال الشاعر

تجلو بقادمتى حمامة أيكة * بردا أسف لثاته بالاثمد

* الخفض مقابل الرفع وهو كناية عن الالانة والرفق * عضين جمع عضة وأصلها الواو والهاء يقال عضيت الشئ تعضية فرقته وكل فرقة عضة فأصله عضوة * وقيل العضة فى قريش السحر يقولون للساحر عاضه وللساحرة عاضهة * قال الشاعر

أعوذ بربى من النافثات * فى عقد العاضه المعضه

وفى الحديث لعن الله العاضهة والمستعضهة وفسر بالساحر والمستسحرة فأصله الهاء * وقيل من العضه يقال عضهه عضها وعضيهة رماه بالبهتان * قال الكسائى العضه الكذب والبهتان وجمعها عضون وذهب الفراء الى أن عضين من العضاة وهى شجرة تؤذى تخرج كالشوك ومن العرب من يلزم الياء ويجعل الاعراب فى النون فيقول عضينك كما قالوا سنينك وهى كثيرة فى تميم وأسد * الصدع الشق وتصدع القوم تفرقوا وصدعته فانصدع أى شققته فانشق وقال مؤرج أصدع أفصل وقال ابن الاعرابى أقصد ﴿ ان المتقين فى جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين * ونزعنا مافى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين * لايمسهم فيها نصب وماهم منها بمخرجين * نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم * وأن عذابى هو العذاب الأليم ﴾ لما ذكر تعالى ماأعد لأهل النار ذكر ماأعد لأهل الجنة ليظهر تباين مابين الفريقين ولما كان حال المؤمنين معتنى به أخبر أنهم فى جنات وعيون جعل مايستقرون فيه فى الآخرة كأنهم مستقرون فيه فى الدنيا ولذلك جاء ادخلوها على قراءة الأمر لان من استقر فى الشئ لايقال له أدخل فيه وجاء حال الغاوين موعودا به فى قوله لموعدهم لانهم لم يدخلوها والعيون جمع عين * وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص وهشام وعيون بضم العين وباقى السبعة بكسرها * وقرأ الحسن ادخلوها ماضيا مبنيا للمفعول من الادخال * وقرأ يعقوب فى رواية رويس كذلك وبضم التنوين وعنه فتحه ومابعده أمر على تقدير أدخلوها اياهم من الادخال أمر الملائكة بادخال المتقين الجنة وتسقط الهمزة فى القراءتين * وقرأ الجمهور ادخلوها أمر من الدخول فعلى قراءتى الأمر ثم محذوف أى يقال لهم أو يقال للملائكة وبسلام فى موضع نصب على الحال واحتمل أن يكون المعنى مصحوبين بالسلامة وأن يكون المعنى مسلما عليكم أى محيون كما حكى عن الملائكة انهم يدخلون على أهل الجنة يقولون سلام عليكم * ونزعنا مافى

العظيمين اللذين وصف بهما نفسه تعالى وجاء قوله ﴿وأن عذابى ﴾ فى غاية اللطف اذ لم يقل على وجه المقابلة وأنى المعذب المؤلم كل ذلك ترجيح لجهة العفو والرحمة وسدت أن مسد مفعولى نبئ ان قلنا انها تعدت الى ثلاثة ومسد واحد ان قلنا انها تعدت الى اثنين

دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وجلون * قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم * قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون * قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين * قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ﴾ ولما ذكر تعالى ما أعد للعاصين من النار وللطائعين من الجنة ذكر العرب باحوال من يعرفونه ممن عصى وكذب الرسل فحل به عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة ليزدجروا عن كفرهم وليعتبروا بما حل بغيرهم فبدأ بذكر جدهم الاعلى ابراهيم عليه السلام وما جرى لقوم ابن أخيه لوط ثم بذكر أصحاب الحجر وهم قوم صالح ثم بأصحاب الأيكة وهم قوم شعيب * وقرأ أبو حيوة ونبيهم بابدال الهمزة ياء وضيف ابراهيم هم الملائكة الذين بشروه بالولد وبهلاك قوم لوط وأضيفوا الى ابراهيم وان لم يكونوا أضيافا لانهم في صورة من كان ينزل به من الاضياف اذ كان لا ينزل به أحد الا ضافه وكان يكنى أبا الضيفان وكان لقصره أربعة أبواب من كل جهة باب لئلا يفوته أحد والضيف أصله المصدر والافصح أن لا يثنى ولا يجمع للمثنى والمجموع ولا حاجة الى تكلف اضمار كما قاله النحاس وغيره من تقدير أصحاب ضيف وسلاما مقتطع من جملة محكية بقالوا فليس منصوبا به والتقدير سلمت سلاما من السلامة أو سلمنا سلاما من التحية * وقيل سلاما نعت لمصدر محذوف تقديره فقالوا قولا سلاما وتصريحه هنا بأنه وجل منهم كان بعد تقريبه اليهم ما أضافهم به وهو العجل الحنيذ وامتناعهم من الاكل وفي هود انه أوجس في نفسه خيفة فيمكن ان هذا التصريح كان بعد ايجاس الخيفة ويحتمل أن يكون القول هنا مجازا بانه ظهرت عليه مخايل الخوف حتى صار كالمصرح به القائل * وقرأ الجمهور لا توجل مبنيا للفاعل * وقرأ الحسن بضم التاء مبنيا للمفعول من الايجال * وقرئ لا تاجل بابدال الواو ألفا كما قالوا تابة في توبة * وقرئ لا تواجل من واجله بمعنى أوجله انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل أي انك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل والمبشر به هو اسحق وذلك بعد أن ولد له اسماعيل وشب بشروه بأمرين أحدهما انه ذكر والثاني وصفه بالعلم على سبيل المبالغة * فقيل النبوة كقوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا * وقيل عليم بالدين * وقرأ الاعرج بشرتموني بغير همزة الاستفهام وعلى أن مسني الكبر في موضع الحال * وقرأ ابن محيصن الكبر بضم الكاف وسكون الباء واستنكر ابراهيم عليه السلام أن يولد له مع الكبر وفبم تبشرون تأكيد استبعاد وتعجب وكأنه لم يعلم انهم ملائكة رسل الله اليه فلذلك استفهم واستنكر أن يولد له ولو علم أنهم رسل الله ما تعجب ولا استنكر ولا سيما وقد رأى من آيات الله عيانا كيف أحيا الموتى * قال الزمخشري كأنه قال فبأي أعجوبة تبشروني أو أراد أنكم تبشرونني بما هو غير متصور في العادة فبأي شئ تبشرون يعني لا تبشروني في الحقيقة بشئ لأن البشارة بمثل هذا بشارة بغير شئ ويجوز أن لا تكون صلة لبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني بأي طريقة تبشرونني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة انتهى وكأنه قال أعلى وصفي بالكبر أم على اني أرد الى الشباب * وقيل لما استطاب البشارة أعاد السؤال ويضعف هذا قولهم له بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين * وقرأ الحسن تبشروني بنون مشددة وياء المتكلم أدغم نون الرفع في نون الوقاية وابن كثير بشدها مكسورة دون ياء ونافع يكسرها مخففة وغلطه أبو حاتم وقال هذا يكون في الشعر اضطرارا وخرجت على أنه حذف نون الوقاية وكسر نون الرفع للياء ثم حذفت الياء لدلالة الكسرة عليها وقالوا هو مثل قوله
* يسوء القاليات اذا قليني * وقول الآخر * لا أباك تخوفيني * وقرأ باقي السبعة بفتح

كالمصرح به القائل ﴿انا نبشرك﴾ استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل بشروه بأمرين أحدهما أنه ذكر والثاني وصفه بالعلم على سبيل المبالغة واستنكر ابراهيم صلى الله عليه وسلم أن يولد له مع الكبر وفبم تبشرون تأكيد استبعاد وتعجب وكأنه لم يعلم أنهم ملائكة رسل الله تعالى اليه فلذلك استفهم واستنكر أن يولد له ولو علم أنهم رسل الله ما تعجب ولا استنكر ولا سيما وقد رأى من آيات الله عيانا كيف أحيا الموتى وبالحق أي باليقين الذي لا ريب فيه وقولهم فلا تكن من القانطين نهي والنهي عن الشئ لا يدل على التلبس بالمنهي عنه ولا بمقاربته وقوله ﴿ومن يقنط﴾ رد عليهم وأن المحاورة في البشارة لا تدل على القنوط بل ذلك على سبيل الاستبعاد لما جرت به العادة وفي ذلك اشارة الى أن هبة الولد على الكبر من رحمة الله إذ يشد عضد والده به ويؤازره حالة كونه لا يستقل ويرث منه علمه ودينه

﴿قال فما خطبكم﴾ الآية لما بشروه بالولد وراجعوه في ذلك علم أنهم ملائكة الله ورسله فاستفهم بقوله فما خطبكم والخطب لا يكاد يقال الا في الأمر الشديد فأضافه إليهم من حيث انهم هم حاملوه الى أولئك القوم المعذبين وذكر الى قوم مجرمين فأبرزه في صورة النكرة وان كان أريد به معينون يدل على ذلك قولهم في سورة هود انا أرسلنا الى قوم لوط فعينهم وانما نكر ههنا على سبيل الاستهانة بهم وان كانوا معينين من جهة المعنى فقوله الا آل لوط استثناء نكرة في الظاهر ولكنهم معينون في المعنى وكثيرا ما تأتي النكرة يراد بها التعين كقول من صحب رجلا عالما معينا فيقول لقد صحبت رجلا عالما ﴿الا امرأته﴾ استثناء من الضمير المنصوب في منجوهم قال الزمخشري فان قلت فقوله الا امرأته مما استثنى وهل هو استثناء من استثناء * قلت استثنى من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء لأن الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال أهلكناهم الا آل لوط الا امرأته كما اتحد الحكم في قول المطلق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان على عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهما فاما في الآية فقد اختلف الحكمان لأن الا آل لوط متعلق (٤٥٩) بأرسلنا أو بمجرمين والا امرأته قد تعلق بمنجوهم فاني يكون استثناء من استثناء انتهى لما استسلف الزمخشري أن الا امرأته مستثنى من الضمير المجرور لم يجوز أن يكون استثناء من استثناء ومن قال انه استثناء من استثناء فيمكن تصحيح كلامه باحد وجهين أحدهما أنه كان الضمير في لمنجوهم عائدا على آل لوط وقد استثنى منه المرأة فصار كأنه مستثنى من آل لوط لأن المضمر هو الظاهر في المعنى والوجه الآخر أن قوله الا آل لوط لما حكم عليهم بغير الحكم على قوم مجرمين اقتضى ذلك نجاتهم في قوله انا لمنجوهم أجمعين تأكيد المعنى الاستثناء اذ المعنى الا آل لوط فلم يرسل عليهم بالعذاب ونجاتهم مترتبة على عدم الارسال اليهم بالعذاب فصار نظير قولك قام القوم الا زيدا فانه لم يقم أو الا زيدا لم يقم فهذه الجملة تأكيد لما تضمنه الاستثناء من الحكم على ما بعد الا بضد الحكم السابق على المستثنى منه فالا امرأته على هذا التقرير الذي قررناه استثناء من آل لوط لان الاستثناء مما جيء به للتأسيس أولى من الاستثناء مما جيء به للتأكيد وجاء الضمير في أرسلنا وفي إنا وفي قدرنا مسندا الى الملائكة لأنهم هم المأمورون باهلاكهم ووصف قوم بمنكرون لانه نكرتهم نفسه ونفرت منهم وخاف أن يطرقوه بشر وبل اضراب عن قول محذوف أي ما جئناك لشيء تخافه بل جئنا بالعذاب لقومك اذ كانوا يمترون فيه أي يشكون في وقوعه فيجادلونك فيه تكذيبا لك بما وعدتهم به عن الله تعالى ﴿واتبع أدبارهم﴾ نهاه أولا عن الالتفات وأمره باتباع أدبارهم ويكون ذلك أحفظ لهم من أن ينزل ساقة خلفه وحيث تؤمرون قال ابن عباس هي الشام ولما ضمن قضينا معنى أوحينا تعدت تعديها بالى أي وأوحينا الى لوط مقضيا مبتوتا والاشارة بذلك الى ما وعده تعالى من اهلاك قومه وان دابر تفخيم للامر وتعظيم له وهو في موضع نصب على البدل من ذلك و ﴿مصبحين﴾ داخلين في الصباح

وهي علامة الرفع قال الحسن فبم تبشرون على وجه الاحتقار وقلة المبالاة بالمبشرات لمضي العمر واستيلاء الكبر * وقال مجاهد عجب من كبره وكبر امرأته وتقدم ذكر سنه وقت البشارة وبالحق أي باليقين الذي لا لبس فيه أو بالطريقة التي هي حق وهي قول الله ووعده وأنه قادر على أن يوجد ولدا من غير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر * وقرأ ابن وثاب وطلحة والاعمش ورويت عن أبي عمرو من القنطين من قنط يقنط * وقرأ النحويان والاعمش ومن يقنط وفي الروم والزمر بكسر النون وباقي السبعة بفتحها وزيد بن علي والاشهب بضمها وهو استفهام في ضمنه النفي ولذلك دخلت الا في قوله الا الضالون وقولهم له فلا تكن من القانطين نهي والنهي عن الشيء لا يدل على تلبس المنهي عنه به ولا بمقارنته وقوله ومن يقنط رد عليهم وان المحاورة في البشارة لا تدل على القنوط بل ذلك على سبيل الاستبعاد لما جرت به العادة وفي ذلك اشارة الى أن هبة الولد على الكبر من رحمة الله إذ يشد عضد والده به ويؤازره حالة كونه لا يستقل ويرث منه علمه ودينه ﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون * قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين * الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين * الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين * فلما جاء آل لوط المرسلون * قال انكم قوم منكرون * قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون * وأتيناك بالحق وانا لصادقون * فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون * وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾ لما بشروه بالولد راجعوه في ذلك علم أنهم ملائكة الله ورسله فاستفهم بقوله فما خطبكم الخطب لا يكاد يقال الا في الأمر الشديد فأضافه اليهم من حيث انهم حاملوه الى أولئك القوم المعذبين ونكر قوما وصفتهم تقليلا لهم واستهانة بهم وهم قوم لوط أهل مدينة سدوم

والمعنى أرسلنا بالهلاك والا آل لوط يحتمل أن يكون استثناء من الضمير المستكن فى مجرمين والتقدير أجرموا كلهم الا آل لوط فيكون استثناء متصلا والمعنى الا آل لوط فانهم لم يجرموا ويكون قوله انا لمنجوهم أجمعين استئناف اخبار عن نجاتهم وذلك لكونهم لم يجرموا ويكون حكم الارسال منسحبا على قوم مجرمين وعلى آل لوط لاهلاك هؤلاء وإنجاء هؤلاء والظاهر انه استثناء منقطع لأن آل لوط لم يندرج فى قوله قوم مجرمين لا على عموم البدل لأن وصف الاجرام منتف عن آل لوط ولا على عموم الشمول لتنكير قوم مجرمين ولانتفاء وصف الاجرام عن آل لوط واذا كان استثناء منقطعا فهو مما يجب فيه النصب لأنه من الاستثناء الذى لا يمكن توجه العامل على المستثنى فيه لأنهم لم يرسلوا اليهم أصلا وانما أرسلوا الى القوم المجرمين خاصة ويكون قوله انا لمنجوهم جرى مجرى خبر لكن فى اتصاله بآل لوط لأن المعنى لكن آل لوط منجون وقد زعم بعض النحويين فى الاستثناء المنقطع المقدر بلكن اذا لم يكن بعده ما يصح أن يكون خبرا ان الخبر محذوف وانه فى موضع رفع لجريان الا وتقديرها بلكن * قال الزمخشرى (فان قلت) فقوله الا امرأته مم استثنى وهل هو استثناء من استثناء (قلت) استثنى من الضمير المجرور فى قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء من الاستثناء فى شئ لأن الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وأن يقال أهلكناهم الا آل لوط الا امرأته كما اتحد الحكم فى قول المطلق أنت طالق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وفى قول المقر لفلان على عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهما فأما فى الآية فقد اختلف الحكمان لأن الا آل لوط متعلق بأرسلنا أو بمجرمين والا امرأته قد تعلق بمنجوهم فأنى يكون استثناء من استثناء انتهى ولما استسلف الزمخشرى ان الا امرأته مستثنى من الضمير المجرور فى لمنجوهم لم يجوز أن يكون استثناء من استثناء ومن قال انه استثناء من استثناء فيمكن تصحيح كلامه بأحد وجهين أحدهما انه لما كان الضمير فى لمنجوهم عائدا على آل لوط وقد استثنى منه المرأة صار كأنه مستثنى من آل لوط لان المضمر هو الظاهر فى المعنى والوجه الآخر ان قوله الا آل لوط لما حكم عليهم بغير الحكم على قوم مجرمين اقتضى ذلك نجاتهم فجاء قوله انا لمنجوهم أجمعين تأكيدا لمعنى الاستثناء اذ المعنى الا آل لوط فلم يرسل اليهم بالعذاب ونجاتهم مترتبة على عدم الارسال اليهم بالعذاب فصار نظير قولك قام القوم الا زيدا فانه لم يقم والا زيدا لم يقم فهذه الجملة تأكيد لما تضمنه الاستثناء من الحكم على ما بعد الا بضد الحكم السابق على المستثنى منه فالا امرأته على هذا التقرير الذى قررناه استثناء من آل لوط لان الاستثناء مما جيء به للتأسيس أولى من الاستثناء مما جيء به للتأكيد * وقرأ الاخوان لمنجوهم بالتخفيف وباقى السبعة بالتشديد * وقرأ أبو بكر قدرنا بالتخفيف وباقى السبعة بالتشديد وكسرت انها اجراء لفعل التقدير مجرى العلم اما لكونه بمعناه واما لترتبه عليه وأسندوا التقدير اليهم ولم يقولوا قدر الله لانهم هم المأمورون باهلاكهم كما يقول من يلوذ بالملك ومن هو متصرف بأوامره أمرنا بكذا والآمر هو الملك * وقال الزمخشرى لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذى ليس لأحد غيرهم انتهى فادرج مذهب الاعتزال فى تفضيل الملائكة فى غضون كلامه ووصف قوم

(ش) فان قلت فقوله الا امرأته مما استثنى وهل هو استثناء قلت استثناء من الضمير المجرور فى قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء من الاستثناء فى شئ لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال أهلكناهم الا آل لوط الا امرأته كما اتحد الحكم فى قول المطلق أنت طالق ثلاثا الا اثنين الا واحدة وفى قول المقر لفلان على عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهما فاما فى الآية فقد اختلف الحكمان لان آل لوط متعلق بارسلنا أو بمجرمين والا امرأته قد تعلق بمنجوهم فأنى يكون استثناء من استثناء لما استسلف الزمخشرى الا امرأته مستثنى من الضمير المجرور فى قوله لمنجوهم لم يجز أن يكون استثناء من استثناء ومن قال انه استثناء من استثناء فيمكن تصحيح كلامه بأحد وجهين أحدهما انه لما كان الضمير فى لمنجوهم عائدا على آل لوط وقد استثنى منه المرأة صار كأنه مستثنى من آل لوط لان الضمير هو الظاهر فى المعنى والوجه الآخر أن قوله الا آل لوط لما حكم عليهم بغير الحكم على قوم مجرمين اقتضى ذلك نجاتهم فجاء قوله انا لمنجوهم أجمعين تأكيدا لمعنى الاستثناء اذ المعنى الا آل لوط فلم نرسل اليهم بالعذاب ونجاتهم مترتبة على عدم الارسال اليهم بالعذاب فصار نظير قولك قام القوم الا زيدا فانه لم يقم أو الا زيدا لم يقم فهذه الجملة تأكيد لما تضمنه الاستثناء من الحكم على ما بعد الا بضد الحكم السابق على المستثنى منه فالا امرأته على هذا التقرير الذى قررناه استثناء من آل لوط لان الاستثناء مما جيء به للتأسيس أولى من الاستثناء مما جيء به للتأكيد

بمنكرون لانه نكرتهم نفسه ونفرت منهم وخاف أن يطرقوه بشر و بل اضراب عن قول محذوف أى ماجئناك بشئ تخافه بل جئناك بالعذاب لقومك اذ كانوا يمترون فيه أى يشكون فى وقوعه أو يجادلونك فيه تكذيبا لك بماوعدتهم عن الله ويحتمل أن يكون نكرهم لكونهم ليسوا بمعروفين فى هذا القطر فخاف الهجوم منهم عليه أو أن يتعرض اليهم أحد من قومه اذ كانوا فى صورة شباب حسان مرد وأتيناك بالحق أى باليقين من عذابهم وانا لصادقون فى الاخبار لحلوله بهم وتقدم الخلاف فى القراءة فى فأسر و روى صاحب الاقليد فسر من السير وحكاها ابن عطية وصاحب اللوامح عن اليمانى وحكى القاضى منذر بن سعيد ان فرقة قرأت بقطع بفتح الطاء وتقدم الكلام فى القطع وفى الالتفات فى سورة هود وخطب الزمخشرى هنا فقال (فان قلت) مامعنى أمره باتباع أدبارهم ونهيهم عن الالتفات (قلت) قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه وأهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن بد من الاجتهاد فى شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فأمر بأن يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى أحوالهم فلا يفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات فى تلك الحالة المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم أحد لغرض له فيصيبه وليكون مسيره مسير الهارب الذى تقدم سربه وتفوت به * وحيث تؤمرون قال ابن عباس الشام * وقيل موضع نجاة غير معروف * وقيل مصر * وقيل الى أرض الخليل بمكان يقال له اليقين وحيث على بابها من انها ظرف مكان وادعاء أنها قد تكون هنا ظرف زمان من حيث انه ليس فى الآية أمر الا قوله فاسر بأهلك بقطع من الليل ثم قيل له حيث تؤمر ضعيف ولفظ تؤمر يدل على خلاف ذلك اذ كان يكون التركيب من حيث أمرتم وحيث من الظروف المكانية المبهمة ولذلك يتعدى اليها الفعل وهو امضوا بنفسه تقول قعدت حيث قعد زيد وجاء فى الشعر دخول فى عليها * قال الشاعر

فأصبح فى حيث التقينا شريدهم * طليق ومكتوف اليدين ومزعف

ولما ضمن قضينا معنى أوحينا تعدت تعديها بالى أى وأوحينا الى لوط مقضيا مبتوتا والاشارة بذلك الى ماوعده تعالى من اهلاك قومه وان دابر تفخيم للامر وتعظيم له وهو فى موضع نصب على البدل من ذلك قاله الاخفش أو على اسقاط الباء أى بان دابر قاله الفراء وجوزه الحوفى وان دابر هؤلاء مقطوع كناية عن الاستئصال وتقدم تفسير مثله فى قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا ومصبحين داخلين فى الصباح وهو حال من الضمير المستكن فى مقطوع على المعنى ولذلك جمعه وقدره الفراء وأبو عبيد اذا كانوا مصبحين كما تقول أنت راكبا أحسن منك ماشيا فان كان تفسير معنى فصحيح وان أراد الاعراب فلا ضرورة تدعو الى هذا التقدير * وقرأ الاعمش وزيد بن على ان دابر بكسر الهمزة لما ضمن قضينا معنى أوحينا فكان المعنى أعلمنا علق الفعل فكسر ان أو لما كان القضاء بمعنى الايحاء معناه القول كسر ان ويؤيده قراءة عبد الله وقلنا ان دابر وهى قراءة تفسير لا قرآن لمخالفتها السواد والمدينة سدوم وهى التى ضرب بقاضيها المثل فى الجور ﴿ وجاء أهل المدينة يستبشرون * قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون * واتقوا الله ولا تخزون * قالوا أولم ننهك عن العالمين * قال هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين * لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون * فأخذتهم الصيحة

والظاهر أن هذا المجىء ومحاورة لوط مع قومه فى حق أضيافه وعرضه بناته عليهم كان ذلك كله قبل اعلامه بهلاك قومه وعلمه بانهم رسل الله ولذلك سماهم ضيفا وخاف الفضيحة منهم لاجل تعاطيهم مالا يجوز من الفعل القبيح وقد جاء ذلك مرتبا هكذا فى سورة هود والواو لا ترتب ولا تخزون من الخزى وهو الاذلال أو من الخزاية وهو الاستحياء وفى قولهم ﴿ أولم ننهك ﴾ دليل على تقدم نهيهم اياه عن أن يضيف أو يجير أحدا أو يدفع عنه أو يمنع بينهم و بينه فانهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان هو عليه السلام يقوم بالنهى عن المنكر والحجز بينه و بين من تعرض له فأوعدوه بأنه ان لم ينته أخرجوه وتقدم الكلام فى قوله تعالى بناتى ومعنى الاضافة فى هود وان كنتم فاعلين شك فى قبولهم لقوله كأنه قال ان فعلتم ما أقول لكم وما أظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ماحرم واللام فى لعمرك لام الابتداء وعمرك مبتدأ خبره محذوف تقديره لعمرك قسمى واذا كان فى القسم كانت العين مفتوحة ومعناها البقاء وجواب القسم فقيل القسم من الملائكة خطابا للوط صلى الله عليه وسلم وقيل خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكنى عن الضلالة والغفلة

مشرقين * فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل * ان فى ذلك لآيات للمتوسمين * وانها لبسبيل مقيم * ان فى ذلك لآية للمؤمنين ﴾ استبشارهم فرحهم بالاضياف الذين وردوا على لوط عليه السلام والظاهر ان هذا المجيء ومحاورته مع قومه فى حق أضيافه وعرضه بناته عليهم كان ذلك كله قبل اعلامه بهلاك قومه وعلمه بأنهم رسل الله ولذلك سماهم ضيفان خوف الفضيحة لاجل تعاطيهم مالا يجوز من الفعل القبيح وقد جاء ذلك مرتبا هكذا فى هود والواو لا ترتب * قال ابن عطية ويحتمل أن يكون المجيء والمحاورة بعد علمه بهلاكهم وحاور تلك المحاورة على جهة التكتم عنهم والاملاء لهم والتربص بهم انتهى ونهاهم عن فضحهم اياه لان من أساء الى ضيفه أو جاره فقد أساء اليه ولا تخزون من الخزى وهو الاذلال أو من الخزاية وهو الاستحياء وفى قولهم أولم ننهك دليل على تقدم نهيهم اياه عن أن يضيف أو يجير أحدا أو يدفع عنه أو يمنع بينهم و بينه فانهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان هو صلى الله على نبينا وعليه يقوم بالنهى عن المنكر والحجز بينهم و بين من تعرضوا له فأوعدوه بأنه ان لم ينته أخرجوه وتقدم الكلام فى قوله بناتى ومعنى الاضافة فى هود وان كنتم فاعلين شك فى قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما أقول ولكم ما أظنكم تفعلون * وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم واللام فى لعمرك لام الابتداء والكاف خطاب للوط عليه السلام والتقدير قالت الملائكة للوط لعمرك وكنى عن الضلالة والغفلة بالسكرة أى تحيرهم فى غفلتهم وضلالتهم منعهم عن ادراك الصواب الذى يشير به من ترك البنين الى البنات * وقيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو قول الجمهور ابن عباس وأبو الجوراء وغيرهما أقسم تعالى بحياته تكريما له والعمر بفتح العين وضمها البقاء وألزموا الفتح القسم ويجوز حذف اللام وبذلك قرأ ابن عباس وعمرك * وقال أبو الهيثم لعمرك لدينك الذى يعمر * وأنشد

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان

أى عبادتك الله * وقال ابن الاعرابى عمرت ربى أى عبدته وفلان عامر لربه أى عابد قال ويقال تركت فلانا يعمر ربه أى يعبده فعلى هذا لعمرك لعبادتك * وقال الزجاج ألزموا الفتح القسم لانه أخف عليهم وهم يكثرون القسم بلعمرى ولعمرك فلزموا الاخف وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف أى ما أقسم به * وقال بعض أصحاب المعانى لا يجوز أن يضاف الى الله لانه لا يقال لله تعالى عمر وانما يقال هو أزلى وكأنه يوهم ان العمر لا يقال الا فيما له انقطاع وليس كذلك العمر والعمر البقاء * قال الشاعر

اذا رضيت علىّ بنو قشير * لعمر الله أعجبنى رضاها

﴿ وقال الاعشى ﴾

ولعمر من جعل الشهور علامة * فبين منها نقصها وكمالها

وكره النخعى أن يقال لعمرى لانه حلف بحياة المقسم * وقال النابغة

* لعمرى وما عمرى على بهين * والضمير فى سكرتهم عائد على قوم لوط * وقال الطبرى لقريش وهذا مروى عن ابن عباس * قال ما خلق الله نفسا أكرم على الله من محمد قال له وحياتك انهم أى قومك من قريش لفى سكرتهم أى ضلالهم وجهلهم يعمهون يترددون * قال ابن عطية وهذا بعيد لانقطاعه مما قبله ومابعده * وقرأ الاشهب سكرتهم بضم السين وابن أبى عبلة سكراتهم بالجمع والاعمش سكرهم بغير تاء وأبو عمرو فى رواية الجهضمى انهم بفتح همزة انهم والصيحة صيحة الهلاك * وقيل صوت جبريل عليه السلام * وقال ابن عطية هى صيحة الوحشة وليست كصيحة ثمود

بالسكر أى تحيرهم فى غفلتهم وضلالتهم منعهم عن ادراك الصواب الذى يشير به والصيحة صيحة الهلاك ومشرقين داخلين فى الشروق وهو بزوغ الشمس وقيل أول العذاب كان عند الصبح وامتد الى شروق الشمس فكان تمام الهلاك عند ذلك والضمير فى عاليها سافلها عائد على المدينة المتقدمة الذكر ﴿ للمتوسمين ﴾ للمتفرسين وعن ابن عباس هم أهل الصلاح والخير ﴿ وانها لبسبيل مقيم ﴾ أى ممر ثابت وهى بحيث يراها الناس ويعتبرون بها لم تندرس وهو تنبيه لقريش ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى فى صنعنا بقوم لوط لعلامة ودليلا لمن آمن بالله تعالى

مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس * وقيل أول العذاب كان عند الصبح وامتد الى شروق الشمس فكانه تمام الهلاك عند ذلك والضمير في عاليها سافلها عائد على المدينة المتقدمة الذكر * وقال الزمخشري لقرى قوم لوط ولم يتقدم لفظ القرى * وقال مقاتل وابن زيد للمتوسمين للمتفكرين * وقال الضحاك للناظرين * قال الشاعر

أوكلما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا الى عريفهم يتوسم

* وقال أبو عبيدة للمتبصرين * وقال قتادة للمعتبرين * وروى نهشل عن ابن عباس للمتوسمين قال لأهل الصلاح والخير والضمير في وانها عائد على المدينة المهلكة أي انها لبطريق ظاهر بين للمعتبر قاله مجاهد وقتادة وابن زيد * قيل ويحتمل أن يعود على الآيات ويحتمل أن يعود على الحجارة وقوله لبسبيل أي ممر ثابت وهي بحيث يراها الناس ويعتبرون بها لم تندرس وهو تنبيه لقريش وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل * وقيل عائد على الصيحة أي وان الصيحة لبمرصد لمن يعمل عملهم لقوله وماهي من الظالمين ببعيد * وقيل مقيم معلوم * وقيل معتد دائم * وقال ابن عباس هلاك دائم السلوك ان في ذلك أي في صنعنا بقوم لوط لعلامة ودليلا لمن آمن بالله ﴿وان كان أصحاب الايكة لظالمين * فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين﴾ هم قوم شعيب والايكة التي أضيفوا اليها كانت شجر الدوم * وقيل المقل * وقيل السدر * وقيل الايكة اسم الناحية فيكون علما ويقويه قراءة من قرأ في الشعراء وص ليكة ممنوع الصرف كفروا فسلط الله عليهم الحر وأهلكوا بعذاب الظلة ويأتي ذلك مستوفى ان شاء الله تعالى في سورة الشعراء وان عند البصريين هي المخففة من الثقيلة وعند الفراء نافية واللام بمعنى الا وتقدم نظير ذلك في وان كانت لكبيرة في البقرة والظاهر قول الجمهور من ان الضمير في وانهما عائد على قريتي قوم لوط وقوم شعيب أي على انهما ممر السابلة * وقيل يعود على شعيب ولوط أي وانهما لبامام مبين أي بطريق من الحق واضح والامام الطريق * وقيل وانهما أي الحر بهلاك قوم لوط وأصحاب الأيكة لفي مكتوب مبين أي اللوح المحفوظ * قال مؤرج والامام الكتاب بلغة حمير * وقيل يعود على أصحاب الأيكة ومدين لأنه مرسل اليهما فدل ذكر أحدهما على الآخر فعاد الضمير اليهما ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين * وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين * وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين * فأخذتهم الصيحة مصبحين * فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ أصحاب الحجر ثمود قوم صالح عليه السلام والحجر أرض بين الحجاز والشام وتقدمت قصته في الاعراف مستوفاة والمرسلين يعني بتكذيبهم صالحا لأن من كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا * قال الزمخشري أو أراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبيون في ابن الزبير وأصحابه وعن جابر قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم الا أن تكونوا باكين حذر أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فأسرع حتى خلفها وفي بعض طرقه ثم قال هؤلاء قوم صالح أهلكهم الله الا رجلا كان في حرم الله منعه حرم الله من عذاب الله * قيل من هو يارسول الله قال أبو رغال واليه تنسب ثقيف * وآتيناهم آياتنا قيل أنزل اليهم آيات من كتاب الله * وقيل براد نصب الادلة فأعرضوا عنها * وقيل كان في الناقة آيات خمس * خروجها من الصخرة * ودنو نتاجها عند خروجها * وعظمها حتى لم تشبهها ناقة * وكثرة لبنها حتى يكفيهم جميعا * وقيل كانت له آيات غير الناقة * وقرأ الجمهور ينحتون بكسر الحاء * وقرأ الحسن وأبو

﴿وان كان أصحاب الايكة لظالمين﴾ هم قوم شعيب والايكة التي أضيفوا اليها كانت شجر السدوم وقيل غير ذلك كفروا فسلط الله عليهم الحر وأهلكوا بعذاب الظلة ويأتي ذلك مستوفى في سورة الشعراء ﴿وانهما﴾ الضمير يعود على أصحاب الايكة ومدين لأنه مرسل اليهما فدل ذكر أحدهما على الآخر فعاد الضمير اليهما ﴿لبامام مبين﴾ أي بطريق من الحق واضح والامام الطريق ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر﴾ الآية أصحاب الحجر ثمود قوم صالح صلى الله عليه وسلم والحجر أرض بين الحجاز والشام وتقدمت قصته في الاعراف مستوفاة والمرسلين يعني بتكذيبهم صالحا لان من كذب واحدا منهم فكأنما كذبهم جميعا وتقدم ذكر قصتهم في الاعراف ويأتي أيضا بعض خبرهم

﴿ وما خلقنا السموات والارض ﴾ الآية أي خلقا ملتبسا بالحق لم يخلق شيء من ذلك عبثا ولا هملا بل ليطيع من أطاع بالتفكر في ذلك الخلق العظيم وليتذكر النشأة الآخرة بهذه النشأة الأولى ولذلك نبه من يتنبه بقوله وان الساعة لآتية فيجازي من أطاع ومن عصى ﴿ ولقد آتيناك سبعا ﴾ الآية والمثاني جمع مثناة والمثناة كل شيء يثنى أي يجعل اثنين من قولك ثنيت الشيء ثنيا أي عطفته وضممت اليه آخر وهذا مجمل ولا سبيل الى تعيينه الا بدليل منفصل جوز الزجاج أن تكون أم القرآن سميت السبع المثاني لأنها يثنى بها على الله قال ابن عطية وفي هذا القول من جهة التصريف نظر انتهى لا نظر في ذلك لأنها جمع مثنى بضم الميم مفعل من أثنى رباعيا أي مقر ثناء على الله أي فيها ثناء على الله وقال عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم السبع هنا آيات الحمد قال ابن عباس هي سبع بسم الله الرحمن الرحيم وقال غيره سبع دون البسملة وقال أبو العالية لقد أنزلت هذه السورة وما نزل من السبع الطوال شيء ﴿ لا تمدن ﴾ ظاهره أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى نهي أمته عن ذلك لان من أوتي القرآن شغله النظر فيه وامتثال تكاليفه وفهم معانيه عن الاشتغال بزهرة الدنيا ومد العين للشيء انما هو لاستحسانه وايثاره ﴿ أزواجا ﴾ أي أصنافا ونهاه تعالى عن الحزن عليهم ان لم يؤمنوا وكان كثير الشفقة على من بعث اليه وأمره بخفض الجناح لمن آمن وهي كناية عن اللطف والرفق وأصله أن الطائر اذا ضم الفرخ اليه بسط جناحه له ثم قبضه على فرخه والجناحان من ابن آدم جانباه ثم أمره بأن يبلغ أنه النذير الكاشف لكم ما جئت به اليكم من تعذيبكم ان لم تؤمنوا ﴿ كما أنزلنا على المقتسمين ﴾ يحتمل وجهين أحدهما أن يكون متعلقا بقوله تعالى ولقد آتيناك أي أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على المقتسمين القرآن فنسبوه الى سحر وكذب وافتراء ومعنى عضين أي فرقا والثاني أن يكون متعلقا بقوله اني أنا النذير المبين أي انذارك مثل انذار المقتسمين قال الزمخشري فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بقوله ولقد آتيناك أي أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا بعنادهم وعداوتهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزؤن به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول اخر سورة آل عمران لي ويجوز أن يراد بالقرآن ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبأن اليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى أقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقرآن تكذيبهم وقولهم سحر وشعر وأساطير الاولين بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني أن يتعلق بقوله وقل اني أنا النذير المبين أي وأنذر قريشا مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لأنه اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير أي أنذر العضين الذين يجزؤن القرآن الى شعر وسحر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب ويقول الآخر شاعر فأهلكهم الله يوم بدر وقبلهم بآفات

حيوة بفتحها وصفهم بشدة النظر للدنيا والتكسب منها فذكر من ذلك مثالا وهو نقرهم بالمعاول ونحوها في الحجارة وآمنين * قيل من الانهدام * وقيل من حوادث الدنيا * وقيل من الموت لاغترارهم بطول الاعمار * وقيل من نقب اللصوص ومن الاعداء * وقيل من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه * قال ابن عطية وأصح ما يظهر في ذلك انهم كانوا يأمنون عواقب الآخرة فكانوا لا يعملون بحسبها بل كانوا يعملون بحسب الامن منها ومصبحين داخلين في الصباح والظاهر ان ما في قوله فما أغنى نافية وتحتمل الاستفهام المراد منه التعجب وما في ما كانوا يحتمل أن تكون مصدرية والظاهر أنها بمعنى الذي والضمير محذوف أي يكسبونه من البيوت الوثيقة والاموال والعدد بل خروا جاثمين هلكى ﴿ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل * ان ربك هو الخلاق العليم * ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم * لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين * وقل اني أنا النذير المبين * كما أنزلنا على المقتسمين * الذين جعلوا القرآن عضين * فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون * فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين * انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون * ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون * فسبح بحمد ربك وكن من

كالوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم أو مثل ما أنزلنا على الرهط الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام بمعنى التقاسم * فان قلت اذا علقت قوله كما أنزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن الى آخره قلت لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعدواتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهى عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كونهم ومن الأمر بأن يقبل (٤٦٥) بمجامعه على المؤمنين انتهى أما الوجه الأول وهو تعلق كما بآتينا فذكره أبو البقاء على تقدير وهو أن يكون فى موضع نصب نعتا لمصدر محذوف تقديره آتيناك سبعا من المثانى ايتاء كما أنزلنا أو انزالا كما أنزلنا لان آتيناك بمعنى أنزلنا عليك وأما قوله ان المقتسمين هم أهل الكتاب فهو قول الحسن ومجاهد ورواه الحوفى عن ابن عباس وأما قوله اقتسموا القرآن فهو قول ابن عباس فيما رواه عنه سعيد بن جبير وأما قوله اقتسموه فقال بعضهم سورة البقرة الى آخره فقاله عكرمة وقال السدى هم الاسود بن عبد المطلب والاسود بن عبد يغوث والوليد والعاصى والحرث بن قيس ذكروا القرآن فمن قائل البعوض لى ومن قائل النمل لى ومن قائل الذباب لى وآخر العنكبوت لى استهزاء فأهلكم الله جميعهم وأما قوله ان القرآن عبارة عما يقرؤنه من كتبهم

الى آخره فقاله مجاهد وأما قوله ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير أى أنذر العضين فلا يجوز أن يكون منصوبا بالنذير كما ذكر لأنه موصوف بالمبين ولا يجوز أن يعمل اذا وصف قبل ذكر المعمول على مذهب البصريين لا يجوز هذا عليم شجاع علم النحو فتفصل بين عليم وعلم بقولك شجاع وأجاز

الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ الا بالحق أى خلقا ملتبسا بالحق لم يخلق شئ من ذلك عبثا ولا هملا بل ليطيع من أطاع بالتفكر فى ذلك الخلق العظيم وليتذكر النشأة الآخرة بهذه النشأة الأولى ولذلك نبه من يتنبه بقوله وان الساعة لآتية فيجازى من أطاع ومن عصى ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصفح وذلك يقتضى المهادنة وهى منسوخة بآية السيف قاله قتادة أو اظهار الحكم عنهم والاغضاء لهم ولما ذكر خلق السموات والارض وما بينهما قال ان ربك هو الخلاق أتى بصفة المبالغة لكثرة ما خلق أو الخلاق من شاء لما شاء من سعادة أو شقاوة * وقال الزمخشرى الخلاق الذى خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجرى بينكم أو ان ربك هو الذى خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم أن الصفح اليوم أصلح الى أن يكون السيف أصلح * وقرأ زيد بن على والجحدرى والاعمش ومالك بن دينار هو الخالق وكذا فى مصحف أبى وعثمان من المثانى والمثانى جمع مثناة والمثنى كل شئ يثنى أى يجعل اثنين من قولك ثنيت الشئ ثنيا أى عطفته وضممت اليه آخر ومنه يقال لركبتى الدابة ومرفقيه مثانى لانه يثنى بالفخذ والعضد ومثانى الوادى معاطفه فتقول سبعا من المثانى مفهوم سبعة أشياء من جنس الاشياء التى تثنى وهذا مجمل ولا سبيل الى تعيينه الا بدليل منفصل * قال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر ومجاهد وابن جبير السبع هنا هى السبع الطوال البقرة * وآل عمران * والنساء * والمائدة * والانعام * والاعراف * والانفال وبراءة * لانهما فى حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وسميت الطوال مثانى لان الحدود والفرائض والامثال ثنيت فيها قاله ابن عباس وعلى قوله من لبيان الجنس * وقيل السابعة سورة يونس قاله ابن جبير * وقيل براءة وحدها قاله أبو مالك والمثانى على قول هؤلاء وابن عباس فى قوله المتقدم القرآن كما قال تعالى كتابا متشابها مثانى وسمى بذلك لان القصص والاخبار تثنى فيه وتردد * وقيل السبع آل حميم أو سبع صحائف وهى الاسباع * وقيل السبع هى المعانى التى أنزلت فى القرآن أمر ونهى وبشارة وانذار وضرب أمثال وتعداد النعم واخبار الأمم قاله زياد بن أبى مريم * وقال عمر وعلى وابن مسعود وابن عباس أيضا والحسن وأبو العالية وابن أبى مليكة وعبيد بن عمير وجماعة السبع هنا هى آيات الحمد * قال ابن عباس وهى سبع ببسم الله الرحمن الرحيم * وقال غيره سبع دون البسملة * وقال أبو العالية لقد نزلت هذه السورة وما نزل من السبع الطوال شئ ولا ينبغى أن يعدل عن هذا القول بل لا يجوز العدول عنه لما فى حديث أبى ففى آخره هى السبع المثانى وحديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انها السبع المثانى وأم القرآن وفاتحة الكتاب وسميت بذلك لانها تثنى فى كل ركعة * وقيل لانها يثنى بها على الله تعالى جوزه الزجاج * قال ابن عطية وفى هذا القول من جهة التصريف نظر انتهى ولا نظر فى ذلك لانها جمع مثنى بضم الميم مفعل من أثنى رباعيا أى مقر

(الدر) (ح) جوز الزجاج أن يكون أم القرآن سميت السبع المثانى لانها يثنى بها على الله تعالى (ع) وفى هذا القول

ذلك الكوفيون وهي مسئلة خلافية ذكرت دلائلها في علم النحو وأما قوله الذين يجزؤن القرآن الى شعر وسحر وأساطير فروى
عن قتادة الا أنه قال بدل شعر كهانة وأما قوله الذين اقتسموا مداخل مكة فهو قول السائب وفيه أن الوليد بن المغيرة قال

ثناء على الله تعالى أي فيها ثناء على الله تعالى * وقال ابن عباس لان الله استثناها لهذه الامة ولم يعطها لغيرها وقال نحوه ابن أبي مليكة وعلى هذا التفسير الوارد في الحديث تكون من لبيان الجنس كأنه قيل التي هي المثاني وكذا في قول من جعلها أسباع القرآن أو سبع المعاني وأما من جعلها السبع الطوال أو آل حميم فمن للتبعيض وكذا في قول من جعل سبعا الفاتحة والمثاني القرآن * قال الزمخشري يجوز أن تكون كتب الله كلها مثاني لانها تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها * وقرأ الجمهور والقرآن العظيم بالنصب فان عني بالسبع الفاتحة أو السبع الطوال لكان ذلك من عطف العام على الخاص وصار الخاص مذكورا مرتين احداهما بجهة الخصوص والأخرى بجهة العموم أولان ما دون الفاتحة أو السبع الطوال ينطلق عليه لفظ القرآن اذ هو اسم يقع على بعض الشئ كما يقع على كله وان عني الاسباع فهو من باب عطف الشئ على نفسه من حيث ان المعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم أي الجامع لهذين المعنيين وهو الثناء والتنبيه والعظم * وقرأت فرقة والقرآن العظيم بالخفض عطفا على المثاني وأبعد من ذهب الى أن الواو مقحمة والتقدير سبعا من المثاني القرآن العظيم ولما ذكر تعالى ما أنعم به على رسوله صلى الله عليه وسلم من اتيانه ما آتاه نهاه وقد قلنا ان النهي لا يقتضي الملابسة ولا المقاربة عن طموح عينه الى شئ من متاع الدنيا وهذا وان كان خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم فالمعنى نهي أمته عن ذلك لان من أوتي القرآن شغله النظر فيه وامتثال تكاليفه وفهم معانيه عن الاشتغال بزهرة الدنيا ومد العين للشئ انما هو لاستحسانه وايثاره * وقال ابن عباس أي لا تتمن ما فضلنا به أحدا من متاع الدنيا أزواجا منهم أي رجالا مع نسائهم أو أمثالا في النعم وأصنافا من اليهود والنصارى والمشركين أقوال ونهاه تعالى عن الحزن عليهم ان لم يؤمنوا وكان كثير الشفقة على من بعث اليه وادّا أن يؤمنوا بالله كلهم فكان يلحقه الحزن عليهم نهاه تعالى عن الحزن عمن لم يؤمن وأمره بخفض جناحه لمن آمن وهي كناية عن التلطف والرفق وأصله أن الطائر اذا ضم الفرخ اليه بسط جناحه له ثم قبضه على فرخه والجناحان من ابن آدم جانباه ثم أمره أن يبلغ أنه هو النذير الكاشف لكم ما جئت به اليكم من تعذيبكم ان لم تؤمنوا وانزال نقم الله المخوفة بكم * والكاف قال الزمخشري فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بقوله ولقد آتيناك أي أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه * وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي ويجوز أن يراد بالقرآن ما يقرؤونه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبأن اليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى أقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر وأساطير بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني أن يتعلق بقوله تعالى وقل اني أنا النذير المبين وأنذر قريشا مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة

ليقل بعضكم كاهن وبعضكم ساحر وبعضكم غاو وهم حنظلة بن أبي سفيان وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن المغيرة وأبو جهل والعاص بن هشام وأبو قيس بن الوليد وقيس بن الفاكه وزهير ابن أمية وهلال بن عبد الاسود والسائب بن صيفي والنضر بن الحرث وأبو البختري بن هشام وزمعة ابن الحجاج وأمية بن خلف وأوس بن المغيرة تقاسموا

(الدر)

من جهة التصريف نظر (ح) لانظر في ذلك لانها جمع مثنى بضم الميم مفعل ن أثنى رباعيا اى ثناء على له تعالى أي فيها ثناء على الله تعالى كما أنزلنا (ش) يه وجهان أحدهما أن تعلق بقوله ولقد آتيناك ى أنزلنا عليك مثل ما زلنا على أهل الكتاب هم المقتسمون الذين علوا القرآن عضين حيث لوا بعنادهم وعدوانهم ضه حق موافق للتوراة لانجيل وبعضه باطل الف لهما فاقتسموه الى ق وباطل وعضوه وقيل نوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي ويجوز أن يراد بالقرآن ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى أقرت ببعض الانجيل

على تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهلكوا جميعا وأما قوله انهم الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحا فقول عبد الله بن زيد قال ابن عطية والكاف في كما متعلقة بفعل محذوف تقديره وقل اني أنا النذير عذابا كالذي أنزلناه على المقتسمين فالكاف اسم في موضع نصب هذا قول المفسرين وهو عندي غير صحيح لان كما ليس هو مما يقوله محمد صلى الله عليه وسلم بل هو من قول الله فينفصل الكلام وانما يترتب هذا القول بأن يقدر بأن الله تعالى قال له أنذر عذابا كما والذي أقول في هذا المعنى وقل اني أنا النذير المبين كما قال قبلك رسلنا وأنزلنا عليهم كما أنزلنا عليك ويحتمل أن يكون المعنى وقل اني أنا النذير المبين كما قد أنزلنا في الكتب انك ستأتي نذيرا أوهذا على أن المقتسمين أهل الكتاب انتهى أما قوله وهو عندي غير صحيح الى آخره فقد استعذر بعضهم

(الدر) وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر وأساطير بان غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني أن يتعلق بقوله وقل اني أنا النذير المبين أي وأنذر قريشا مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو ماجرى على قريظة والنضير جعل المتوقع كالواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير أي أنذر المعضين الذين يجزئون القرآن الى شعر وسحر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لاتغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب ويقول الآخر شاعر فأهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم أومثل ما أنزلنا على الرهط الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام بمعنى التقاسم (ش) * فان قلت اذا علقت قوله كما أنزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط (٤٦٧) لاتمدن عينيك الى آخره بينهما * قلت لما كان ذلك تسلية

الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير أي أنذر المعضين الذين يجزؤون القرآن الى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فقعدوا في كل مدخل

لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الامر بأن يقبل بمجامعه على المؤمنين (ح) أما الوجه الاول وهو تعلق كما بآتينا فذكره أبو البقاء على تقدير وهو أن يكون في موضع نصب نعتا لمصدر محذوف تقديره ايتاء سبعا من المثاني آتينا كما أنزلنا أو انزالا كما أنزلنا لان آتيناك بمعنى أنزلنا عليك وأما قوله ان المقتسمين هم أهل الكتاب هو قول الحسن ومجاهد ورواه العوفي عن ابن عباس وأما قوله اقتسموا القرآن هو قول ابن عباس فيما رواه عنه سعيد بن جبير وأما قوله اقتسموا فقال بعضهم سورة البقرة الى آخره فقاله عكرمة وقال السدي هم الاسود بن عبد المطلب والاسود بن عبد يغوث والوليد والعاصي والحرث بن قيس ذكروا القرآن فمن قائل البعوض لي ومن قائل النمل لي ومن قائل الذباب لي وآخر العنكبوت لي استهزاء فأهلك الله جميعهم وأما قوله ان القرآن عبارة عما كفروا به من كتبهم الى آخره فقاله مجاهد وأما قوله ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير أي أنذر المعضين فلا يجوز أن يكون منصوبا بالنذير كما ذكر لانه موصوف بالمبين ولا يجوز له أن يعمل اذا وصف قبل ذكر المعمول على مذهب البصريين لا يجوز هذا عليم شجاع علم النحو فيفصل بين عليم وعلم بقوله شجاع وأجاز ذلك الكوفيون وهي مسئلة خلافية تذكر دلائلها في علم النحو وأما قوله الذين يجزؤن القرآن الى سحر وشعر وأساطير فروى عن قتادة الا أنه قال بدل شعر كهانة وأما قوله الذين اقتسموا مداخل مكة فهو قول ابن السائب وفيه ان الوليد بن المغيرة قال ليقل بعضكم كاهن وبعضكم ساحر وبعضكم شاعر وبعضكم غار وهم حنظلة بن أبي سفيان وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن المغيرة وأبو جهل والعاصي بن هشام وأبو قيس بن الوليد وقيس بن الفاكه وزهير بن أمية وهلال بن عبد الاسود وأوس بن المغيرة والسائب بن صيفي والنضر بن الحرث وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الحجاج وأمية بن خلف تقاسموا على تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهلكوا جميعا وأما قوله انهم الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحا فقول عبد الله بن زيد (ع) والكاف من قوله كما متعلقة بفعل محذوف تقديره وقل اني أنا النذير عذابا كالذي أنزلنا على المقتسمين فالكاف اسم في موضع نصب هذا قول المفسرين وهو عندي غير صحيح لان كما ليس مما يقوله محمد عليه السلام بل هو من قول الله تعالى فينفصل

عن ذلك فقال الكاف متعلقة بمحذوف دل عليه المعنى تقديره أنا النذير بعذاب مثل ما أنزلنا وان كان المنزل الله كما يقول بعض خواص الملك أمرنا بكذا وان كان الملك هو الآمر وأما قوله والذى أقوله فى هذا المعنى الى آخره فكلام مثبج ولعله من الناسخ ولعله أن يكون وأنزلنا عليك كما أنزلنا عليهم ﴿عضين﴾ جمع عضة وهو جمع لا ينقاس جمع بالواو رفعا وبالياء نصبا وجرا ولامه أصلها واو أوهاء يقال عضيت تعضية أى فرقت (٤٦٨) وكل فرقة عضة يقولون للساحر عاضه وللساحرة عاضهة والضمير فى لنسألنهم يظهر عوده على المقتسمين وهو وعيد وسؤال تقريع ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ الصدع الشق وتصدع القوم تفرقوا وصدعته فانصدع أى شققته فانشق وقال مؤرج اصدع أفصل وقال ابن الاعرابى افصد وما فى بما موصولة بمعنى الذى والعائد عليها محذوف تقديره أمرته أى به وأمر يتعدى الى اثنين أحدهما بنفسه والآخر بحرف الجر ويجوز حذفه وقد جمع الشاعر بينهما قال

* أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * فقد تركتك ذا مال وذا نشب *

المفعول الاول فى الآية ضمير المخاطب المستكن فى تؤمر والثانى الهاء محذوفة العائدة على ما

متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فأهلكهم الله تعالى يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم أو مثل ما أنزلنا على الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام بمعنى التقاسم (فان قلت) اذا علقت قوله كما أنزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن الى آخره بينهما (قلت) لما كان ذلك تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهى عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بمجامعه على المؤمنين انتهى أما الوجه الاول وهو تعلق كما بآتيناك فذكره أبو البقاء على تقدير وهو وأن يكون فى موضع نصب نعتا لمصدر محذوف تقديره آتيناك سبعا من المثانى ايتاء كما أنزلنا أو انزالا كما أنزلنا لان آتيناك بمعنى أنزلنا عليك وأما قوله ان المقتسمين هم أهل الكتاب فهو قول الحسن ومجاهد ورواه العوفى عن ابن عباس وأما قوله اقتسموا القرآن فهو قول ابن عباس فيما رواه عنه سعيد بن جبير وأما قوله اقتسموا فقال بعضهم سورة البقرة وبعضهم سورة آل عمران الخ فقاله عكرمه وقال السدى هم الاسود بن عبد المطلب والاسود بن عبد يغوث والوليد والعاصى والحرث بن قيس ذكروا القرآن فمن قائل البعوض لى ومن قائل النمل لى وقائل الذباب لى وقائل العنكبوت لى استهزاء فأهلك الله جميعهم * وأما قوله ان القرآن عبارة عما يقرؤنه من كتبهم الى آخره فقاله مجاهد * وأما قوله ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير أى أنذر المعضين فلا يجوز أن يكون منصوبا بالنذير كما ذكر لانه موصوف بالمبين ولا يجوز أن يعمل اذا وصف قبل ذكر المعمول على مذهب البصريين لا يجوز هذا عليم شجاع علم النحو فتفصل بين عليم وعلم بقوله شجاع وأجاز ذلك الكوفيون وهى مسألة خلافية تذكر دلائلها فى علم النحو * وأما قوله الذين يجزؤن القرآن الى سحر وشعر وأساطير فروى عن قتادة الا انه قال بدل شعر كهانة * وأما قوله الذين اقتسموا مداخل مكة فهو قول السائب وفيه أن الوليد بن المغيرة قال ليقل بعضكم كاهن وبعضكم ساحر وبعضكم شاعر وبعضكم غاو وهم حنظلة بن أبى سفيان وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن المغيرة وأبو جهل والعاصى بن هشام وأبو قيس بن الوليد وقيس بن الفاكه وزهير بن أمية وهلال ابن عبد الاسود والسائب بن صيفى والنضر بن الحرث وأبو البحترى بن هشام وزمعة بن الحجاج وأمية بن خلف وأوس بن المغيرة تقاسموا على تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهلكوا جميعا * وأما قوله انهم الذين تقاسموا أن يبيتوا صالحا فقول عبد الله بن زيد * وقال ابن عطية

(الدر)

كلام وانما يقرب هذا قول بأن يقدر أن الله الى قال له أنذر عذابا كما والذى أقول فى هذا المعنى وقل أنا النذير المبين كما قال فتلك رسلنا وأنزلنا عليهم كما أنزلنا عليك ويحتمل أن ون المعنى وقل انى أنا النذير المبين كما قد أنزلنا فى الكتب انك ستأتى نذيرا وهذا على أن المقتسمين أهل الكتاب انتهى ح) أما قوله وهو عندى غير صحيح الى آخره فقد استعذر بعضهم عن ذلك فقال الكاف متعلقة بمحذوف دل عليه المعنى تقديره النذير بعذاب مثل ما أنزلنا وان كان المنزل الله كما يقول بعض خواص الملك أمرنا بكذا وان كان الملك هو الآمر وأما قوله لذى أقول فى هذا المعنى الى آخره فكلام مثبج ولعله من الناسخ ولعله أن يكون وأنزلنا عليك كما أنزلنا عليهم

الموصولة قال الزمخشري ويجوز أن تكون مامصدرية أي بأمر لـمصدر من المبنى المفعول انتهى هذا ينبني على مذهب من يجوز أن يكون المصدر يراد به أن والفعل المبنى للمفعول والصحيح أن ذلك لا يجوز ثم أخبره تعالى أنه كفاه المستهزئين بمصائب أصابتهم لم يسع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تكلف لها مشقة قال عروة وابن جبير هم خمسة

الوليد بن المغيرة والعاصي ابن وائل والاسود بن المطلب وأبو زمعة والاسود بن عبد يغوث ومن بني خزاعة الحرث ابن الطلاطلة ﴿فسوف يعلمون﴾ وعيد لهم بالمجازاة على استهزائهم وجعلهم إلها مع الله في الآخرة كما جوزوا في الدنيا وكنى بالصدر عن القلب لانه محله وتجعل سبب الضيق ما ينطقون به من الاستهزاء والطعن فيما جاء به ثم أمره تعالى بتنزيهه عما نسبوه اليه من اتخاذ الشريك معه مصحوبا بحمده والثناء عليه على ما أسدى اليه من نعمة النبوة والرسالة والتوحيد وغيرها من النعم فهذا في المعتقد والفعل القلبي وأمره بكونه من الساجدين والمراد أنه من المصلين وكنى بالسجود عن الصلاة وهي أشرف أفعال الجسد وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ثم أمره تعالى بالعبادة التي هي شاملة لجميع أنواع

والكاف من قوله كما متعلقة بفعل محذوف تقديره وقل اني أنا النذير عذابا كالذي أنزلنا على المقتسمين فالكاف اسم في موضع نصب هذا قول المفسرين وهو عندي غير صحيح لان كما ليس مما يقوله محمد صلى الله عليه وسلم بل هو من قول الله تعالى فينفصل الكلام وانما يترتب هذا القول بأن يقدر ان الله تعالى قال له أنذر عذابا كما والذي أقول في هذا المعنى وقل أنا النذير المبين كما قال قبلك رسلنا وأنزلنا عليهم كما أنزلنا عليك ويحتمل أن يكون المعنى وقل اني أنا النذير المبين كما قد أنزلنا في الكتب انك ستأتي نذيرا وهذا على أن المقتسمين أهل الكتاب انتهى * أما قوله وهو عندي غير صحيح الى آخره فقد استعذر بعضهم عن ذلك فقال الكاف متعلقة بمحذوف دل عليه المعنى تقديره أنا النذير بعذاب مثل ما أنزلنا وان كان المنزل الله كما يقول بعض خواص الملك أمرنا بكذا وان كان الملك هو الآمر * وأما قوله والذي أقول في هذا المعنى الى آخره فكلام مثبج ولعله من الناسخ ولعله أن يكون وأنزلنا عليك كما أنزلنا عليهم * وقال أبو البقاء وقيل التقدير متعناهم تمتيعا كما أنزلنا والمعنى متعنا بعضهم كما عذبنا بعضهم * وقيل التقدير انذار مثل ما أنزلنا انتهى * وقيل الكاف زائدة التقدير أنا النذير المبين ما أنزلنا على المقتسمين هذه أقوال وتوجيهات متكلفة والذي يظهر لي انه تعالى لما أمره بأن لا يحزن على من لم يؤمن وأمره بخفض جناحه للمؤمنين أمره أن يعلم المؤمنين وغيرهم انه هو النذير المبين لئلا يظن المؤمنون انهم لما أمر عليه الصلاة والسلام بخفض جناحه لهم خرجوا من عهدة النذارة فأمره تعالى بأن يقول لهم اني أنا النذير المبين لكم ولغيركم كما قال تعالى انما أنت منذر من يخشاها وتكون الكاف نعتا لمصدر محذوف تقديره وقل قولا مثل ما أنزلنا على المقتسمين انك نذير لهم فالقول للمؤمنين في النذارة كالقول للكفار المقتسمين لئلا يظن انذارك للكفار مخالف لانذار المؤمنين بل أنت في وصف النذارة لهم بمنزلة واحدة تنذر المؤمنين كما تنذر الكافرين كما قال تعالى نذير وبشير لقوم يؤمنون والظاهر ان الذين صفة للمقتسمين وجوزوا أن يكون خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن ينتصب على الذم وتقدم تجويز الزمخشري له أن يكون مفعولا بالنذير فوربك أقسم تعالى بذاته وربوبيته مضافا الى رسوله على جهة التشريف والضمير في لنسألنهم يظهر عوده على المقتسمين وهو وعيد من سؤال تقريع ويقال انه يعود على الجميع من كافر ومؤمن اذ قد تقدم ذكرهما والسؤال عام للخلق ويجوز أن يكون السؤال كناية عن الجزاء وعن ما كانوا يعملون عام في جميع الاعمال * وقال أبو العالية يسأل العباد عن حالتين عن ما كانوا يعبدون وعن ما أجابوا المرسلين وقال ابن عباس يقال لهم لم عملتم كذا قال أنس وابن عمر ومجاهد السؤال عن لا اله الا الله وذكره الزهراوي عن النبي صلى الله عليه وسلم واذا ثبت ذلك فيكون المعنى عن الوفاء بلا إله الا الله والصدق لمقالها كما قال الحسن ليس الايمان بالتحلي ولا الدين بالتمني ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال * وقال ابن عباس فاصدع بما تؤمر امض به * وقال الكلبي اجهر به وأظهره من الصديع وهو الفجر

ما يتقرب اليه تعالى وهذه الأوامر معناها دم على كذا لأنه عليه السلام ما زال متلبسا بها أي دم على التسبيح والسجود والعبادة والجمهور على أن المراد باليقين الموت أي ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة وقيل ليس اليقين من أسماء الموت وانما العلم به يقين لا يمترى فيه عاقل فسمي يقينا تجوزا أي يأتيك الامر اليقين علمه ووقوعه

قال الشاعر * كأن بياض غرته صديع * وقال السدى تكلم بماتؤمر * وقال ابن زيد أعلم بالتبليغ * وقال ابن بحر جردلهم القول فى الدعاء الى الايمان * وقال أبوعبيدة عن رؤبة مافى القرآن أغرب من قوله فاصدع بما تؤمر وما فى بما بمعنى الذى والمفعول الثانى محذوف تقديره بما تؤمره وكان أصله تؤمر به من الشرائع فحذف الحرف فتعدى الفعل اليه * وقال الأخفش ماموصولة والتقدير فاصدع بماتؤمر بصدعه فحذف المضاف ثم الجار ثم الضمير * وقال الزمخشرى و يجوز أن تكون مامصدرية أى بأمرك مصدر من المبنى للفعول انتهى وهذا ينبنى على مذهب من يجوز أن المصدر يراد به أن والفعل المبنى للفعول والصحيح أن ذلك لايجوز وأعرض عن المشركين من آيات المهادنات التى نسختها آية السيف قاله ابن عباس ثم أخبره تعالى أنه كفاه المستهزئين بمصائب أصابتهم لم يسع فيها الرسول ولا تكلف لها مشقة * قال عروة وابن جبيرهم خمسة الوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل والاسود بن المطلب وأبوزمعة والاسود بن عبد يغوث ومن بنى خزاعة الحرث بن الطلاطلة * قال أبو بكر الهذلى قلت للزهرى ان ابن جبير وعكرمة اختلفا فى رجل من المستهزئين فقال ابن جبير هو الحرث بن عيطلة وقال عكرمة هو الحرث بن قيس فقال الزهرى صدقا انه عيطلة وأبوه قيس وذكر الشعبى فى المستهزئين هبار بن الاسود وذلك وهم لان هبارا أسلم يوم الفتح ورحل الى المدينة * وعن ابن عباس ان المستهزئين كانوا ثمانية وفى رواية مكان الحرث بن قيس عدى بن قيس * وقال الشعبى وابن أبى بزة كانوا سبعة فذكر الوليد والحرث بن عدى والأسودين والاثرم و بعكك ابنى الحرث بن السباق وكذا قال مقاتل الاأنه قال مكان الحرث بن عدى الحرث بن قيس السهمى وذكر المفسرون والمؤرخون ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أكفيكهم فاومأ الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فنعه الكبر أن يطامن لنزعه فاصاب عرقا فى عقبه قال قتادة ومقسم وهو الاكحل فقطعه فمات وأومأ الى أخمص العاصى فدخلت فيه شوكة * وقيل ضربته حية فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات وأومأ الى عينى الاسود بن المطلب فعمى وهلك وأشار الى أنف الحرث بن قيس فامتخط قيحا فمات * وقيل أصابته سموم فاسود حتى صار كأنه حبشى فاتى أهله فلم يعرفوه وأغلقوا الباب فى وجهه فصار يطوف فى شعاب مكة حتى مات وفى بعض ما أصاب هؤلاء اختلاف والله أعلم * وقال مقاتل أصاب الاثرم أو بعككا الدبيلة والآخر ذات الجنب فاتا فسوف يعلمون وعيد لهم بالمجازاة على استهزائهم وجعلهم الهامع الله فى الآخرة كما جوزوا فى الدنيا وكنى بالصدر عن القلب لانه محله وجعل سبب الضيق مايقولون وهو ماينطقون به من الاستهزاء والطعن فيما جاء به ثم أمره تعالى بتنزيهه عن مانسبوا اليه من اتخاذ الشريك معه مصحوبا بحمده والثناء على ماأسدى اليه من نعمة النبوة والرسالة والتوحيد وغيرها من النعم فهذا فى المعتقد والفعل القلبى وأمره بكونه من الساجدين والمراد والله أعلم من المصلين فكنى بالسجود عن الصلاة وهى أشرف أفعال الجسد وأقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد ولما كان الصادر من المستهزئين اعتقادا وهو فعل القلب وقولا وهو مايقولون فى الرسول وماجاء به وهو فعل جارحة أمر تعالى بما يقابل ذلك من التنزيه لله ومن السجود وهما جامعان فعل القلب وفعل الجسد ثم أمره تعالى بالعبادة التى هى شاملة لجميع أنواع مايتقرب بها اليه تعالى وهذه الأوامر معناها دم على كذا لانه صلى الله عليه وسلم مازال متلبسا بها أى دم على التسبيح والسجود والعبادة والجمهور على أن المراد باليقين الموت

(الدر)

(ش) ويجوز أن تكون مامصدرية أى بأمرك مصدر من المبنى للفعول انتهى (ح) هذا ينبنى على مذهب من يجوز أن يكون المصدر يراد به أن والفعل المبنى للفعول والصحيح أن ذلك لايجوز

أي مادمت حيا فلا تخل بالعبادة وهو تفسير ابن عمر ومجاهد والحسن وقتادة وابن زيد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في عثمان بن مظعون عند موته أما هو فقد رأى اليقين وروى فقد جاءه اليقين وليس اليقين من أسماء الموت وإنما العلم به يقين لا يمترى فيه عاقل فسمي يقينا تجوزا أي يأتيك الأمر اليقين علمه ووقوعه * وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون المعنى حتى يأتيك اليقين في النصر الذي وعدته انتهى وقاله ابن بحر قال اليقين النصر على الكافرين انتهى وحكمة التغيية باليقين وهو الموت أنه يقتضي ديمومة العبادة مادام حيا بخلاف الاقتصار على الأمر بالعبادة غير مغيا لأنه يكون مطلقا فيكون مطيعا بالمرة الواحدة والمقصود أن لا يفارق العبادة حتى يموت

﴿ سورة النحل مائة وثمان وعشرون آية مكية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون * ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون * خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون * خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين * والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون * ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون * وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم * والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون * وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين * هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون * وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون * وماذرأ لكم في الارض مختلفا ألوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون * وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون * وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون * وعلامات وبالنجم هم يهتدون * أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون * وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم * والله يعلم ما تسرون وما تعلنون * والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيأ وهم يخلقون * أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون * الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون * لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين * واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين * ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون * قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ النطفة القطرة من الماء نطف رأسه ماء أي قطر * الدفء اسم لما يدفأ به أي يسخن وتقول العرب دفئ يومنا فهو دفئ اذا حصلت فيه سخونة تزيل البرد ودفئ الرجل دفاء ودفأ وجمع الدفء أدفاء ورجل دفآن وامرأة دفأى والدفئة الابل الكثيرة الاوبار لادفاء بعضها بعضا بأنفاسها وقد تشدد وعن الأصمعي الدفئة الكثيرة الاوبار والشحوم * وقال الجوهري الدفء نتاج الابل وألبانها وما ينتفع به منها * البغل معروف ولعمرو بن بحر الجاحظ كتاب البغال * الحمار معروف يجمع في القلة على أحمرة وفي الكثرة على

﴿ سورة النحل ﴾
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حمر وهو القياس وعلى حير * الطرى فعيل من طرو يطر وطراوة مثل سرو يسر سراوة * وقال الفراء طرى يطرى طراء وطراوة مثل شقى يشقى شقاء وشقاوة * المخر شق الماء من يمين وشمال يقال مخر الماء الأرض * وقال الفراء صوت جرى الفلك بالرياح * وقيل الصوت الذى يكون من هبوب الريح اذا اشتدت وقد يكون من السفينة ونحوها * ماد تحرك ودار * السقف معروف ويجمع على سقوف وهو القياس وعلى سقف وسقف وفعل وفعل محفوظان فى فعل وليسا مقيسين فيه ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون * ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله الا أنا فاتقون * خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون * خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين * والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون * ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون * وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس ان ربكم لرؤف رحيم * والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون * وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين ﴾ قال الحسن وعطاء وعكرمة وجابر هى كلها مكية * وقال ابن عباس الا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة بعد حمزة وهى قوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا الى قوله بأحسن ما كانوا يعملون * وقيل الا ثلاث آيات وان عاقبتم الآية نزلت فى المدينة فى شأن التمثيل بحمزة وقتلى أحد وقوله واصبر وما صبرك الا بالله وقوله ثم ان ربك للذين هاجروا * وقيل من أولها الى قوله يشركون مدنى وماسواه مكى وعن قتادة عكس هذا ووجه ارتباطها بما قبلها أنه تعالى لما قال فوربك لنسألنهم أجمعين كان ذلك تنبيها على حشرهم يوم القيامة وسؤالهم عما أجرموه فى دار الدنيا * فقيل أتى أمر الله وهو يوم القيامة على قول الجمهور وعن ابن عباس المراد بالامر نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهوره على الكفار * وقال الزمخشرى كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة أو نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد انتهى وهذا الثانى قاله ابن جريج قال الأمر هنا ما وعد الله نبيه من النصر وظفره باعدائه وانتقامه منهم بالقتل والسبي ونهب الاموال والاستيلاء على منازلهم وديارهم * وقال الضحاك الامر هنا مصدر أمر والمراد به فرائضه وأحكامه * قيل وهذا فيه بعد لانه لم ينقل ان أحدا من الصحابة استعجل فرائض من قبل أن تفرض عليهم * وقال الحسن وابن جريج أيضا الامر عقاب الله لمن أقام على الشرك وتكذيب الرسول واستعجال العذاب منقول عن كثير من كفار قريش وغيرهم وقريب من هذا القول قول الزجاج هو ما وعدهم به من المجازاة على كفرهم * وقيل الامر بعض أشراط الساعة وأتى قيل باق على معناه من المضى والمعنى أتى أمر الله وعدا فلا تستعجلوه وقوعا * وقيل أتى أمر الله أتت مبادئه وأماراته * وقيل عبر بالماضى عن المضارع لقرب وقوعه وتحققه وفى ذلك وعيد للكفار * وقرأ الجمهور تستعجلوه بالتاء على الخطاب وهو خطاب للمؤمنين أو خطاب للكفار على معنى قل لهم فلا تستعجلوه وقال تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها * وقرأ ابن جبير بالياء نهيا للكفار والظاهر عود الضمير فى فلا تستعجلوه على الامر لانه هو المحدث عنه * وقيل يعود على الله أى فلا تستعجلوا الله بالعذاب أو باتيان يوم القيامة كقوله ويستعجلونك بالعذاب * وقرأ حمزة والكسائى تشركون بتاء الخطاب وباقى السبعة والاعرج وأبو جعفر وابن وضاح وأبو رجاء والحسن * وقرأ عيسى الاولى بالتاء من فوق والثانية بالياء والتاء من فوق معا الأعمش وأبو العالية وطلحة وأبو عبد الرحمن وابن وثاب والجحدرى وما يحتمل أن تكون بمعنى

﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ هذه السورة مكية كلها وقيل الا ثلاث آيات فانها مدنية ووجه ارتباطها بما قبلها أنه تعالى لما قال فوربك لنسألنهم أجمعين كان ذلك تنبيها على حشرهم يوم القيامة وسؤالهم عما أجترموه فى دار الدنيا فقيل أتى أمر الله وهو يوم القيامة على قول الجمهور وعن ابن عباس المراد بالأمر نصر رسول صلى الله عليه وسلم وظهوره على الكفار وأتى قيل باق على معناه من المضى والمعنى أتى أمر الله وعدا فلا تستعجلوه وقوعا قال ابن عباس الروح الوحى ينزل به الملائكة على الانبياء صلى الله عليهم ونظيره قوله يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده وأن مصدرية وهى التى من شأنها أن تنصب المضارع ووصلت بالامر كما وصلت فى قولهم كتبت اليه بأن قم وهو بدل من الروح أى بانذاره وقيل أن تفسيرية بمعنى أى فلا موضع لها من الاعراب قال الزمخشرى وأن أنذروا بدل من الروح أى تنزلهم بأن أنذروا وتقديره بأنه أنذروا أى بأن الشان

أقول لكم أنذروا أنه لا اله إلا أنا انتهى جعلها المخففة من الثقيلة وأضمر اسمها وهو ضمير الشأن وقدر اضمار القول حتى يكون الخبر جملة خبرية وهى أقول ولا حاجة الى هذا التكلف مع سهولة كونها الثنائية التى من شأنها نصب المضارع وقوله الا أنا انتقل من ضمير الغيبة الى ضمير التكلم فى قوله الا أنا واذا هنا للمفاجاة وبعد خلقه من النطفة لم تقع المفاجاة بالخاصمة الابعد أحوال تطور فيها فتلك الاحوال محذوفة وتقع المفاجاة بعدها وخصيم مبين يحتمل وجهين أحدهما أن يراد به الذم وهو مخاصمته لانبياء الله صلى الله عليهم وأوليائه بالحجج الداحضة وأكثر ما ذكر الانسان (٤٧٣) فى القرآن فى معرض الذم أو مردفا بالذم والوجه الثانى أن يراد به المدح لانه تعالى قواه على منازعة الخصوم وجعله مبين الحق من الباطل ونقله من تلك الحالة الجادية وهو كونه نطفة الى الحالة الشريفة وهى حالة النطق والابانة ولما ذكر تعالى خلق الانسان ذكر ما امتن به عليه فى قوام معيشته فذكر أولا أكثرها منافع وألزم لمن أنزل القرآن بلغتهم وذلك الانعام وتقدم شرح الانعام فى الانعام والذى يظهر أن يكون لكم فيها دفء استئنافا لذكر ما ينتفع به من جهتها ولذلك قابله بقوله ولكم فيها جمال ودفء مبتدأ ولكم خبره ويتعلق فيها بما فى لكم من معنى الاستقرار وجوز

الذى ومصدرية وأفضل قراءته عما يشركون باستعجالهم لان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ينزل مخففا وباقى السبعة مشددا وزيد بن على والاعمش وأبو بكر تنزل مشددا مبنيا للمفعول الملائكة بالرفع والجحدرى كذلك الا أنه خفف والحسن وأبو العالية والاعرج والمفضل عن عاصم ويعقوب بفتح التاء مشددا مبنيا للفاعل * وقرأ ابن أبى عبلة ماننزل بنون العظمة والتشديد وقتادة بالنون والتخفيف * قال ابن عطية وفيهما شذوذ كثيرا انتهى وشذوذهما ان ماقبله ومابعده ضمير غيبة ووجهها به التفات والملائكة هنا جبريل وحده قاله الجمهور أو الملائكة المشار اليهم بقوله والنازعات غرقا * وقال ابن عباس الروح الوحى تنزل به الملائكة على الانبياء ونظيره يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده * وقال الربيع بن أنس هو القرآن ومنه وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا * وقال مجاهد المراد بالروح أرواح الخلق لا ينزل ملك الا ومعه روح * وقال الحسن وقتادة الروح الرحمة * وقال الزجاج ما معناه الروح الهداية لانها تحيا بها القلوب كما تحيا الابدان بالارواح * وقيل الروح جبريل ويدل عليه نزل به الروح الامين وتكون الباء للحال أى ملتبسة بالروح * وقيل بمعنى مع * وقيل الروح حفظة على الملائكة لا تراهم الملائكة كما الملائكة حفظة علينا لا نراهم * وقال مجاهد أيضا الروح اسم ملك ومنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا * وعن ابن عباس ان الروح خلق من خلق الله كصور ابن آدم لا ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد منهم وقال نحوه ابن جريج * قال ابن عطية وهذا قول ضعيف لم يأت به سند * وقال الزمخشرى بالروح من أمره بما تحيا به القلوب الميتة بالجهل من وحيه أو بما يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد انتهى ومن للتبعيض أو لبيان الجنس ومن يشاء هم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان مصدرية وهى التى من شأنها أن تنصب المضارع وصلت بالامر كما وصلت فى قولهم كتبت اليه بأن قم وهو بدل من الروح أو على اسقاط الخافض بأن أنذروا فيجرى الخلاف فيه أهو فى موضع نصب أو فى موضع خفض * وقال الزمخشرى وان أنذروا بدلا من الروح أى ننزلهم بأن أنذروا وتقديره أنذروا أى بأن الشأن أقول لكم أنذروا أنه لا اله الا أنا انتهى فجعلها المخففة من الثقيلة وأضمر اسمها وهو ضمير الشأن وقدر اضمار القول حتى يكون الخبر جملة خبرية وهى أقول ولا حاجة الى هذا التكلف مع سهولة كونها الثنائية التى من شأنها نصب المضارع وجوز ابن عطية وأبو البقاء وصاحب الغنيان أن تكون مفسرة فلا موضع لها من الاعراب وذلك لما فى التنزل بالوحى من معنى القول أى أعلموا الناس من نذرت بكذا اذا أعلمته * قال الزمخشرى والمعنى يقول لهم أعلموا الناس قولى لا اله الا أنا فاتقون انتهى لما جعل ان هى التى حذف منها ضمير

(الدر)

﴿سورة النحل﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

وقرأ ابن أبى عبلة ماننزل بنون العظمة والتشديد

وقتادة بالنون والتخفيف وفيهما شذوذ كثير (ح) وشذوذهما ان ماقبله ومابعده ضمير غيبة ووجهه انه التفات (ش) وان أنذروا بدل من الروح أى ننزلهم بأن أنذروا وتقديره بأنه أنذروا أى بأن الشأن أقول لكم أنذروا انه لا اله الا أنا انتهى (ح) جعلها المخففة من الثقيلة وأضمر اسمها وهو ضمير الشأن وقدر اضمار القول حتى تكون الجملة جملة خبرية وهى أقول ولا حاجة الى هذا التكلف مع سهولة كونها الثنائية التى من شأنها نصب المضارع

الشأن قدر هذا التقدير وهو يقول لهم أعلموا * وقرئ لينذروا أنه وحسنت النذارة هنا وان لم يكن في اللفظ مافيه خوف من حيث كان المنذرون كافرين بالوهيته ففي ضمن أمرهم مكان خوف وفي ضمن الاخبار بالوحدانية نهي عما كانوا عليه ووعيد وتحذير من عبادة الاوثان ومعنى فاتقون أي اتقوا عقابي باتخاذكم الهاغيري وجاءت الحكاية على المعنى في قوله الا أنا ولو جاءت على اللفظ لكان لا اله الا الله وكلاهما سائغ وحكاية المعنى هنا أبلغ اذ فيها نسبة الحكم الى ضمير المتكلم المنزل الملائكة ثم دل على وحدانيته وأنه لا اله الا هو بماذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وهم مقرون بأنه تعالى هو خالقها وبالحق أي بالواجب اللائق وذلك انها تدل على صفات تحق لمن كانت له أن يخلق و يخترع وهي الحياة والعلم والقدرة والارادة بخلاف شركائهم التي لا يحق لها شيء من ذلك * وقرأ الاعمش فتعالى بزيادة فاء وجاءت هذه الجملة منبهة على تنزيه الله تعالى موجد هذا العالم العلوي والعالم السفلي عن أن يتخذ معه شريك في العبادة ولما ذكر مادل على وحدانيته من خلق العالم العلوي والارض وهو استدلال بالخارج ذكر الاستدلال من نفس الانسان فذكر إنشاءه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وكان حقه والواجب عليه أن يطيع و ينقاد لامر الله والخصيم من صفات المبالغة من خصم بمعنى اختصم أو بمعنى مخاصم كالخليط والجليس والمبين الظاهر الخصومة أو المظهر ها والظاهر ان سياق هذين الوصفين سياق ذم لما تقدم من قوله سبحانه وتعالى عما يشركون وقوله آن أنذروا الآية ولتكرير تعالى عما يشركون ولقوله في يس أو لم ير الانسان الآية وقال بل هم قوم خصمون وعنى به مخاصمتهم لأنبياء الله وأوليائه بالحجج الداحضة وأكثر ماذكر الانسان في القرآن في معرض الذم أو مردفا بالذم * وقيل المراد بالانسان هنا أبي بن خلف الجمحي * وقال قوم سياق الوصفين سياق المدح لأنه تعالى قواه على منازعة الخصوم وجعله مبين الحق من الباطل ونقله من تلك الحالة الجادية وهو كونه نطفة الى الحالة العالية الشريفة وهي حالة النطق والابانة و إذا هنا للمفاجأة و بعد خلقه من النطفة لم تقع المفاجأة بالمخاطبة الابعد أحوال تطور فيها فتلك الاحوال محذوفة وتقع المفاجأة بعدها * وقال أبو عبد الله الرازي اعلم أن أشرف الاجسام بعد الافلاك والكواكب هو الانسان ثم ذكر الانسان وانه مركب من بدن ونفس في كلام كثير يوقف عليه في تفسيره ولا نسلم ماذكره من أن الافلاك والكواكب أشرف من الانسان ولما ذكر خلق الانسان ذكر ماامتن به عليه في قوام معيشته فذكر أولا أكثرها منافع وألزم لمن أنزل القرآن بلغتهم وذلك الانعام وتقدم شرح الانعام في الانعام والاظهر أن يكون لكم فيها دفء استئناف لذكر ماينتفع بها من جهتها ودفء مبتدأ وخبره لكم و يتعلق فيها بما في لكم من معنى الاستقرار وجوز أبو البقاء أن يكون فيها حالا من دفء اذ لو تأخر لكان صفة وجوز أيضا أن يكون لكم حالا من دفء وفيها الخبر وهذا لا يجوز لأن الحال اذا كان العامل فيها معنى فلا يجوز تقديمها على الجملة بأسرها لا يجوز قائما في الدار زيد فان تأخرت الحال عن الجملة جازت بلاخلاف أو توسطت فأجاز ذلك الاخفش ومنعه الجمهور وأجاز أيضا أن يرتفع دفء بلكم أو بفيها والجملة كلها حال من الضمير المنصوب انتهى ولا تسمى جملة لأن التقدير خلقها لكم فيها دفء أو خلقها لكم كائنا فيها دفء وهذا من قبيل المفرد لا من قبيل الجملة وجوزوا أن يكون لكم متعلقا بخلقها وفيها دفء استئناف لذكر منافع الانعام و يؤيد كون لكم فيها دفء يظهر فيه الاستئناف مقابلته بقوله ولكم فيها جمال فقابل المنفعة الضرورية بالمنفعة غير الضرورية *

أبو البقاء أن يكون فيها حالا من دفء اذ لو تأخر كان صفة وجوز أيضا أن يكون لكم حالا من دفء وفيها الخبر وهذا لا يجوز لأن الحال اذا كان العامل فيها معنى فلا يجوز تقديمها على الجملة بأسرها لا يجوز قائما في الدار زيد فان تأخرت الحال عن الجملة جازت بلا خلاف والدفء اسم لما يدفأ به أي يسخن وتقول العرب دفئ يومنا فهو دفئ اذا حصلت فيه سخونة تزيل البرد وقال الزمخشري * فان قلت تقدم الظرف في قوله ومنها تأكلون مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها * قلت الا كل منها هو الاصل الذي يعتمده الناس في معايشهم وأما الا كل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه انتهى وماقاله بناء منه على أن تقديم الظرف أو المفعول دال على الاختصاص وقد رددنا عليه ذلك في قوله اياك نعبد * جمال مصدر جمل بضم الميم حين تريحون يقال أراح الماشية ردها بالعشي من المرعى وسرحها يسرحها سرحا وسروحا

أخرجها غدوة الى المرعى وسرحت هي يكون متعديا ولازما وأكثر ما يكون ذلك أيام الربيع اذا سقط الغيث وكثر الكلأ وخرجوا للنجعة وقدّم الاراحة على السرح لان الجمال فيها أظهر (٤٧٥) اذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضرع ثم أوت الى

وقال ابن عباس الدفء نسل كل شئ وذكره الاموى عن لغة بعض العرب والظاهر أن نصب والانعام على الاشتغال وحسن النصب كون جملة فعلية تقدمت ويؤيد ذلك قراءته فى الشاذ برفع الانعام * وقال الزمخشرى وابن عطية يجوز أن يكون قد عطف على البيان وعلى هذا يكون لكم استئناف أو متعلق بخلقها * وقرأ الزهرى وأبو جعفر دف بضم الفاء وشدها وتنوينها ووجهه أنه نقل الحركة من الهمزة الى الفاء بعد حذفها ثم شدد الفاء اجراء للوصل مجرى الوقف إذ يجوز تشديدها فى الوقف * وقرأ زيد بن على دف بنقل الحركة وحذف الهمزة دون تشديد الفاء * وقال صاحب اللوامح الزهرى دف بضم الفاء من غير همز والفاء محركة بحركة الهمزة المحذوفة ومنهم من يعوض من هذه الهمزة فيشدد الفاء وهو أحد وجهى حمزة بن حبيب وقفا * وقال مجاهد ومنافع الركوب والحمل والالبان والسمن والنضح عليها وغير ذلك وأفرد منفعة الأكل بالذكر كما أفرد منفعة الدفء لأنهما من أعظم المنافع * وقال الزمخشرى (فان قلت) تقدم الظرف فى قوله ومنها تأكلون مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها (قلت) الأكل منها هو الاصل الذى يعتمده الناس فى معائشهم وأما الأكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجارى مجرى التفكه وماقاله منه على أن تقديم الظرف أو المفعول دال على الاختصاص وقد رددنا عليه ذلك فى قوله إياك نعبد والظاهر ان من للتبعيض كقولك اذا أكلت من الرغيف * وقال الزمخشرى ويحتمل ان طعمتكم منها لأنكم تحرثون بالبقر والحب والثمار التى تأكلونها منها وتكتسبون باكراء الابل وتبيعون نتاجها وألبانها وجلودها انتهى فعلى هذا يكون التبعيض مجازا أو تكون من للسبب * الجمال مصدر جمل بضم الميم والرجل جميل والمرأة جميلة وجملاء عن الكسائى وأنشد

فهى جملاء كبدر طالع * بزت الخلق جميعا بالجمال

ويطلق الجمال ويراد به التجمل كانه مصدر على اسقاط الزوائد والجمال يكون فى الصورة بحسن التركيب يدركه البصر ويلقيه فى القلب فتتعلق به النفس من غير معرفة وفى الاخلاق باشتمالها على الصفات المحمودة كالعلم والعفة والحلم وفى الافعال بوجودها ملائمة لمصالح الخلق وجلب المنفعة اليهم وصرف الشر عنهم والجمال الذى لنا فى الانعام هو خارج عن هذه الانواع الثلاثة والمعنى انه لنا فيها جمال وعظمة عند الناس باقتنائها ودلالتها على سعادة الانسان فى الدنيا وكونه فيها من أهل السعة فمنّ الله تعالى بالتجمل بها كما منّ بالانتفاع الضرورى لأن التجمل بها من اغراض أصحاب المواشى ومفاخر أهلها والعرب تفتخر بذلك ألا ترى الى قول الشاعر

لعمرى لقوم قد نرى أمس فيهم * مرابط للامهار والعكر الدثر

أحب الينا من أناس بقنة * يروح على آثار شائهم النمر

والعكرة من الابل ما بين الستين الى السبعين والجمع عكر والدثر الكثير ويقال أراح الماشية ردها بالعشى من المرعى وسرحها يسرحها سرحا وسروحا أخرجها غدوة الى المرعى وسرحت هى يكون متعديا ولازما وأكثر ما يكون ذلك أيام الربيع اذا سقط الغيث وكثر الكلأ وخرجوا

الحظائر بخلاف وقت سرحها وان كانت فى الوقتين تزين الافنية وتجاوب فيها الرغاء والثغاء فيأنس أهلها ويفرح أربابها وتجلهم فى أعين الناظرين اليها وتكسبهم الجاه والحرمة والاثقال الامتعة واحدها ثقل وقوله الى بلد لايراد به معين أى الى أى بلد بعيد توجهتم اليه لاغراضكم وبالغيه صفة للبلد الا بشق الانفس أى الا بمشقتها وناسب الامتنان بهذه النعمة من حملها الاثقال الختم بصفة الرأفة والرحمة لان من رأفته تيسير هذه المصالح وتسخير الانعام لكم ولما ذكر تعالى منته بالانعام ومنافعها الضرورية ذكر الامتنان بمنافع الحيوان التى ليست بضرورية ولما كان الركوب أعظم منافعها

(الدر)

(ش) فان قلت تقدّم الظرف فى قوله ومنها تأكلون مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها * قلت الاكل منها هو الاصل الذى تعتمده الناس فى معايشهم وأما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجارى فى مجرى التفكه (ح) ماقاله بناء منه على ان تقديم الظرف أو المفعول دال على الاختصاص وقد رددنا عليه ذلك فى قوله اياك نعبد

للنجعة وقدم الاراحة على السرح لأن الجمال فيها أظهر اذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم أوت الى الحظائر بخلاف وقت سرحها وان كانت فى الوقتين تزين الافنية وتجاوب فيها الرغاء والثغاء فيأتنس أهلها وتفرح أربابها وتجلهم فى أعين الناظرين اليها وتكسبهم الجاه والحرمة لقوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا وقوله تعالى زين للناس حب الشهوات ثم قال تعالى والانعام والحرث * وقرأ عكرمة والضحاك والجحدرى حينا فيهما بالتنوين وفك الاضافة وجعلوا الجملتين صفتين حذف منهما العائد كقوله واتقوا يوما لا تجزى ويكون العامل فى حينا على هذا اما المبتدأ لأنه فى معنى التجمل واما خبره بما فيه من معنى الاستقرار والاثقال الامتعة واحدها ثقل * وقيل الاجسام لقوله تعالى وأخرجت الارض أثقالها أى أجساد بنى آدم وقوله الى بلد لا يراد به معين أى الى بلد بعيد توجهتم اليه لاغراضكم * وقيل المراد به معين وهو مكة قاله ابن عباس وعكرمة والربيع ابن أنس * وقيل مدينة الرسول * وقيل مصر وينبغى حمل هذه الاقوال على التمثيل لا على المراد إذ المنة لا تختص بالحمل اليها * ولم تكونوا بالغيه صفة للبلد ويحتمل أن يكون التقدير بها وذلك تنبيه على بعد البلد وانه مع الاستعانة بها بحمل الاثقال لا يصلون اليه الا بالمشقة أو يكون التقدير لم تكونوا بالغيه بأنفسكم دونها الا بالمشقة عن أن تحملوا على ظهوركم أثقالكم * وقرأ الجمهور بشق بكسر الشين * وقرأ مجاهد والاعرج وأبو جعفر وعمرو بن ميمون وابن أرقم بفتحها وروىت عن نافع وأبى عمرو وهما مصدران معناهما المشقة * وقيل الشق بالفتح المصدر وبالكسر الاسم ويعنى به المشقة * وقال الشاعر فى الكسر

وذى ابل يسعى ويحسبها له * أخى نصب من شقها ودؤوب

أى مشقتها وشق الشئ نصفه وعلى هذا حمله الفراء هنا أى بذهاب نصف الانفس كأنها قد ذابت تعبا ونصبا كما تقول لا تقدر على كذا الا بذهاب جل نفسك وبقطعة من كبدك ونحو هذا من المجاز ويقال أخذت شق الشاة أى نصفها والشق الجانب والاخ الشقيق وشق اسم كاهن وناسب الامتنان بهذه النعمة من حملها الاثقال الختم بصفة الرأفة والرحمة لان من رأفته تيسير هذه المصالح وتسخير الانعام لكم ولما ذكر تعالى منته بالانعام ومنافعها الضرورية ذكر الامتنان بمنافع الحيوان التى ليست بضرورية * وقرأ الجمهور والخيل وما عطف عليه بالنصب عطفا على والانعام * وقرأ ابن أبى عبلة بالرفع ولما كان الركوب أعظم منافعها اقتصر عليه ولا يدل ذلك على انه لا يجوز لكل الخيل خلافا لمن استدل بذلك وانتصب وزينة ولم يكن باللام ووصل الفعل الى الركوب بوساطة الحرف وكلاهما مفعول من أجله لان التقدير خلقها والركوب من صفات المخلوق لهم ذلك فانتفى شرط النصب وهو اتحاد الفاعل فعدى باللام والزينة من وصف الخالق فاتحد الفاعل فوصل الفعل اليه بنفسه * وقال ابن عطية وزينة نصب باضمار فعل تقديره وجعلناها زينة وروى قتادة عن ابن عباس لتركبوها زينة بغير واو * قال صاحب اللوامح والزينة مصدر أقيم مقام الاسم وانتصابه على الحال من الضمير فى خلقها أو من لتركبوها * وقال الزمخشرى أى وخلقها زينة لتركبوها أو بجعل زينة حالا من هاء وخلقها لتركبوها وهى زينة وجمال * وقال ابن عطية والنصب حينئذ على الحال من الهاء فى تركبوها والظاهر نفى العلم عن ذوات ما يخلق تعالى * فقال الجمهور المعنى ما لا تعلمون من الآدميين والحيوانات والجمادات التى خلقها كلها لمنافعكم فأخبر بان له من الخلائق ما لا علم لنا به لنزداد دلالة على قدرته بالاخبار وان طوى عنا علمه حكمة له فى طيه وما خلق تعالى من الحيوان

اقتصر عليه ولا يدل ذلك على أنه لا يجوز أكل الخيل خلافا لمن استدل بذلك وانتصب وزينة ولم يكن باللام ووصل الفعل الى الركوب بواسطة الحرف وكلاهما مفعول من أجله لان التقدير خلقها والركوب من صفات المخلوق لهم ذلك فانتفى شرط النصب وهو اتحاد الفاعل فعدى باللام والزينة من وصف الخالق فاتحد الفاعل فوصل الفعل اليه بنفسه ولما ذكر الحيوان الذى ينتفع به انتفاعا ضروريا وغير ضرورى أعقب بذكر الحيوان الذى لا ينتفع به غالبا على سبيل الاجمال اذ تفاصيله خارجة عن الاحصاء والعد والقصد مصدر يوصف به يقال سبيل قصد وقاصد اذا كان مستقيما كأنه يقصد الوجه الذى يؤمه السالك لا يعدل عنه والسبيل هنا مفرد اللفظ والجائر العادل عن الهداية والاستقامة كما قال طرفة

* يجور بها الملاح طورا ويهتدى *

ولو شاء مفعول شاء محذوف تقديره هدايتكم قال ابن عطية قال الزجاج

وغيره لايحيط بعلمه بشر * وقال قتادة مالا تعلمون أصل حدوثه كالسوس فى النبات والدود فى الفواكه * وقال ابن بحر لاتعلمون كيف يخلقه * وقال مقاتل هو ما أعد الله لأوليائه فى الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر * قال الطبرى وزاد بعد فى الجنة وفى النار لاهلها والباقى بالمعنى وروبت تفاسير فى مالا تعلمون فى الحديث عن ابن عباس ووهب بن منبه والشعبى الله أعلم بصحتها و يقال لما ذكر الحيوان الذى ينتفع به انتفاعا ضروريا وغير ضرورى أعقب بذكر الحيوان الذى لاينتفع به غالبا على سبيل الاجمال اذ تفاصيله خارجة عن الاحصاء والعد والقصد مصدر يقصد الوجه الذى يؤمه السالك لايعدل عنه والسبيل هنا مفرد اللفظ * فقيل مفرد المدلول وأل فيه للعهد وهى سبيل الشرع وليست للجنس اذ لو كانت له لم يكن منها جائر والمعنى وعلى الله تبيين طريق الهدى وذلك بنصب الادلة و بعثة الرسل * وقال ابن عطية و يحتمل أن يكون المعنى ان من سلك الطريق القاصد فعلى الله رحمته ونعيمه وطريقه والى ذلك مصيره وعلى أن أل للعهد يكون الضمير فى قوله ومنها جائر عائد على السبيل التى يتضمنها معنى الآية كانه قيل ومن السبيل جائر فأعاد عليها وان لم يجر لها ذكر لان مقابلها يدل عليها * قال ابن عطية و يحتمل أن يعود منها على سبيل الشرع وتكون من للتبعيض والمراد فرق الضلالة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم كانه قال ومن بنيات الطرق فى هذه السبيل ومن شعبها * وقيل أل فى السبيل للجنس وانقسمت الى مصدر وهو طريق الحق والى جائر وهو طريق الباطل والجائر العادل عن الاستقامة والهداية كما قال

* يجور بها الملاح طورا و يهتدى * وكما قال الآخر

ومن الطريقة جائر وهدى * قصد السبيل ومنه ذو دخل

قسم الطريقة الى جائر والى هدى والى ذى دخل وهو الفساد * وقال الزمخشرى ومعنى قوله وعلى الله قصد السبيل ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه لقوله ان علينا للهدى (فان قلت) لم غير أسلوب الكلام فى قوله ومنها جائر (قلت) ليعلم بما يجوز اضافته اليه من السبيلين ومالا يجوز ولو كان كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها أو وعليه الجائر * وقرأ عبد الله ومنكم جائر يعنى ومنكم جائر عن القصد بسوء اختياره والله برىء منه ولو شاء لهداكم أجمعين قسرا والجاء انتهى وهو تفسير على طريقة الاعتزال * وقيل الضمير فى ومنها يعود على الخلائق أى ومن الخلائق جائر عن الحق و يؤيده قراءة عيسى ومنكم جائر وكذا هى فى مصحف عبد الله وقراءة على فمنكم جائر بالفاء * قال ابن عباس هم أهل الملل المختلفة * وقيل اليهود والنصارى والمجوس ولهداكم لخلق فيكم الهداية فلم يضل أحد منكم وهى مشيئة الاختيار * وقال الزجاج لفرض عليكم آية تضطركم الى الاهتداء والايمان * قال ابن عطية وهذا قول سوء لاهل البدع الذين يرون أن الله لايخلق أفعال العباد لم يحصله الزجاج ووقع فيه رحمه الله من غير قصد انتهى ولم يعرف ابن عطية أن الزجاج معتزلى فلذلك تأول عليه انه لم يحصله وانه وقع فيه من غير قصد * وقال أبو على لو شاء لهداكم الى الثواب أو الى الجنة بغير استحقاق * وقال ابن زيد لو شاء لمحض قصد السبيل دون الجائر ومفعول شاء محذوف لدلالة لهداكم أى ولو شاء هدايتكم ﴿ هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل

العباد لم يحصله الزجاج ووقع فيه رحمه الله من غير قصد انتهى لم يعرف ابن عطية أن الزجاج معتزلى فلذلك تأول عليه أنه لم يحصله وأنه وقع فيه من غير قصد ﴿ هو الذى أنزل من السماء ماء ﴾ الآية مناسبة هذه لما قبلها أنه تعالى لما امتن عليهم بايجادهم بعد العدم الصرف وايجاد ماينتفعون به من الانعام وغيرها من المركوب ذكر ماامتن به عليهم من انزال الماء الذى هو قوام حياتهم وحياة الحيوان ومايتولد عنه من أقواتهم وأقواتها من الزرع وما عطف عليه فذكر منها الاغلب ثم عم بقوله ومن كل الثمرات ثم اتبع ذلك بخلق الليل الذى هو سكن لهم والنهار الذى هو معاشهم فيه ثم بالنيرين اللذين جعلهما الله تعالى مؤثرين بارادته فى اصلاح مايحتاجون اليه ثم بماذرأ فى الأرض والظاهر ان لكم فى موضع الصفة لما يتعلق بمحذوف و يرتفع شراب به أى ماء كائنا لكم منه شراب و يجوز أن يتعلق بأنزل و يجوز أن

(الدر) (ح) قال الزجاج عليكم أنه يضطركم الى الاهتداء والايمان انتهى (ع) وهو قول سوء لأهل البدع الذين يرون ان الله لايخلق أفعال العباد لم يحصله الزجاج ووقع فيه رحمه الله من غير قصد

والأعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون * وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون * وماذرأ لكم فى الارض مختلفا ألوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون ﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها انه لما امتن بايجادهم بعد العدم وايجاد ماينتفعون به من الأنعام وغيرها من الركوب ذكر ما امتن به عليهم من انزال الماء الذى هو قوام حياتهم وحياة الحيوان ومايتولد عنه من أقواتهم وأقواتها من الزرع وماعطف عليه فذكر منها الأغلب ثم عمم بقوله ومن كل الثمرات ثم أتبع ذلك بخلق الليل الذى هو سكن لهم والنهار الذى هو معاش ثم بالنيرين اللذين جعلهما الله تعالى مؤثرين بارادته فى اصلاح مايحتاجون اليه ثم بماذرأ فى الارض والظاهر أن لكم فى موضع الصفة لماء فيتعلق بمحذوف ويرتفع شراب به أى ماء كائنا لكم منه شراب ويجوز أن يتعلق بانزل ويجوز أن يكون استئنافا وشراب مبتدأ لما ذكر انزال الماء أخذ فى تقسيمه والشراب هو المشروب والتبعيض فى منه ظاهر وأما فى منه شجر فمجاز لما كان الشجر انباته على سقيه بالماء جعل الشجر من الماء كما قال * أسنمة الآبال فى ربابه * أى فى سحاب المطر * وقال ابن الانبارى هو على حذف المضاف اما قبل الضمير أى ومن جهته أو سقيه شجر واما قبل شجر أى شرب شجر كقوله وأشربوا فى قلوبهم العجل أى حبه والشجر هنا كل ماتنبته الأرض قاله الزجاج * وقال * نطعمها اللحم اذا عز الشجر * فسمى الكلأ شجرا * وقال ابن قتيبة الشجر هنا الكلأ وفى حديث عكرمة لا تأكلوا الشجر فانه سحت يعنى الكلأ ويقال أسام الماشية وسومها جعلها ترعى وسامت بنفسها فهى سائمة وسوام رعت حيث شاءت * قال الزجاج من السومة وهى العلامة لانها تؤثر فى الأرض علامات * وقرأ زيد بن على تسيمون بفتح التاء فان سمع متعديا كان هو وأسام بمعنى واحد وان كان لازما فتأويله على حذف مضاف تسيمون أى تسيم مواشيكم لما ذكر ومنه شجر أخذ فى ذكر غالب ماينتفع به من الشجر ان كان المراد من قوله ومنه شجر العموم وان كان المراد الكلأ فهو استئناف اخبار منافع الماء ويقال نبت الشئ وأنبته الله فهو منبوت وهذا قياسه منبت * وقيل يقال أنبت الشجر لازما * وأنشد الفراء رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم * قطينا بها حتى اذا أنبت البقل

أى نبت وكان الأصمعى يأبى أنبت بمعنى نبت * وقرأ أبو بكر ننبت بنون العظمة * وقرأ الزهرى ننبت بالتشديد قيل للتكثير والتكرير والذى يظهر أنه تضعيف التعدية * وقرأ أبى ينبت من نبت ورفع الزرع وماعطف عليه وخص الأربعة بالذكر لانها أشرف ماينبت وأجمعه للمنافع وبدأ بالزرع لانه قوت أكثر العالم ثم بالزيتون لما فيه من فائدة الاستصباح بدهنه وهى ضرورية مع منفعة أكله والائتدام به وبدهنه والاطلاء بدهنه ثم بالنخل لان ثمرته من أطيب الفواكه وقوت فى بعض البلاد ثم بالاعناب لانها فاكهة محضة ثم قال ومن كل الثمرات أتى بلفظ من التى للتبعيض لان كل الثمرات لاتكون الا فى الجنة وانما أنبت فى الارض بعض من كلها للتذكرة ولما ذكر الحيوانات المنتفع بها على التفصيل أعقبه بقوله ويخلق مالا تعلمون كذلك هنا ذكر الأنواع المنتفع بها من

يكون استئنافا وشراب مبتدأ لما ذكر انزال الماء أخذ فى تقسيمه والشراب هو المشروب والتبعيض فى منه شراب ظاهر وأما فى منه شجر فمجاز لما كان الشجر انباته على سقيه بالماء جعل الشجر من الماء ومنه تسيمون يقال أسام الماشية وسومها جعلها ترعى وسامت بنفسها فهى سائمة وسوام رعت حيث شاءت وبدأ بالزرع لأنه قوت أكثر العالم ثم بالزيتون لما فيه من فائدة الاستصباح بدهنه وهى ضرورية مع منفعة أكله والائتدام به وبدهنه والاطلاء بدهنه ثم بالنخيل لأن ثمرته من أطيب الفواكه وقوت فى بعض البلاد ثم بالاعناب لأنها فاكهة محضة ثم قال ومن كل الثمرات أتى بلفظ من التى للتبعيض لأن كل الثمرات لا يكون الا فى الجنة وانما أنبت فى الارض بعض من كلها للتذكرة وختم ذلك بقوله تعالى يتفكرون لأن النظر فى ذلك يحتاج الى فضل تأمل واستعمال فكر ألا ترى أن الحبة الواحدة اذا وضعت فى الارض ومرّ عليها مقدار من الزمان معين لحقها من نداوة الارض ماتنتفخ به فيشق أعلاها فتصعد منه شجرة الى الهواء وأسفلها يغوص منه فى عمق الارض شجرة أخرى وهى العروق ثم ينمو الاعلى ويقوى وتخرج الأوراق والازهار والاكمام والثمار المشتملة على أجسام مختلفة الطبائع والطعوم والألوان والروائح والاشكال والمنافع وذلك بتدبير قادر مختار وهو الله تعالى وأفرد فى قوله لآية استدلالا بانبات الماء وهو واحد وان كثرت أنواع النبات وقرأ الجمهور والشمس وما بعده منصوبا وانتصب مسخرات على أنها حال مؤكدة وقرئ والشمس وما بعده بالرفع على

النبات ثم قال ومن كل الثمرات تنبيها على أن تفصيل القول فى أجناسها وأنواعها وصفاتها ومنافعها مما لا يكاد يحصر كما ان تفصيل ماخلق من باقى الحيوان لا يكاد يحصر وختم ذلك تعالى بقوله لآية لقوم يتفكرون لان النظر فى ذلك يحتاج الى فضل تأمل واستعمال فكر ألا ترى ان الحبة الواحدة اذا وضعت فى الارض ومر عليها مقدار من الزمان معين لحقها من نداوة الأرض ماتنتفخ به فينشق أعلاها فيصعد منه شجرة الى الهواء وأسفلها يغوص منه فى عمق الأرض شجرة أخرى وهى العروق ثم ينمو الاعلى ويقوى وتخرج الأوراق والأزهار والاكمام والثمار المشتملة على أجسام مختلفة الطبائع والطعوم والالوان والروائح والاشكال والمنافع وذلك بتقدير قادر مختار وهو الله تعالى * وقرأ الجمهور والشمس ومابعده منصوبا وانتصب مسخرات على أنها حال مؤكدة ان كان مسخرات اسم مفعول وهو اعراب الجمهور * وقال الزمخشرى ويجوز أن يكون المعنى انه سخرها أنواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كأنه قيل وسخرها لكم تسخيرات بامره انتهى * وقرأ ابن عامر والشمس ومابعده بالرفع على الابتداء والخبر وحفص والنجوم مسخرات برفعهما وهاتان القراءتان يبعدان قول الزمخشرى ان مسخرات بمعنى تسخيرات وقرأ ابن مسعود والأعمش وابن مصرف والرياح مسخرات فى موضع والنجوم وهى مخالفة لسواد المصحف والظاهر فى قراءة نصب الجميع ان والنجوم معطوف على ماقبله * وقال الأخفش والنجوم منصوب على اضمار فعل تقديره وجعل النجوم مسخرات فاضمر الفعل وعلى هذا الاعراب لاتكون مسخرات حالا مؤكدة بل مفعولا ثانيا لجعل ان كان جعل المقدرة بمعنى صير وحالا مبينة ان كان بمعنى خلق وتقدم شرح تسخير هذه النيرات فى الأعراف وجمع الآيات هنا وذكر العقل وأفرد فيما قبل وذكر التفكر لان فيما قبل استدلالا بانبات الماء وهو واحد وان كثرت أنواع النبات والاستدلال هنا متعدد ولان الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة * وماذرأ معطوف على الليل والنهار يعنى ماخلق فيهما من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلفا ألوانه من البياض والسواد وغير ذلك * وقيل مختلفا ألوانه أصنافه كما تقول هذه ألوان من الثمر ومن الطعام * وقيل المراد به المعادن ان فى ذلك أى فيما ذرأ على هذه الحال من اختلاف الألوان أوان فى ذلك أى اختلاف الألوان وختم هذا بقوله يذكرون ومعناه الاعتبار والاتعاظ كان علمهم بذلك سابق طرأ عليه النسيان فقيل يذكرون أى يتذكرون مانسوا من تسخير هذه المكونات فى الأرض ﴿ وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون * وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون * وعلامات وبالنجم هم يهتدون ﴾ لماذكر تعالى الاستدلال بما ذرأ فى الارض ذكر ماامتن به من تسخير البحر ومعنى تسخيره كونه يتمكن الناس من الانتفاع به للركوب فى المصالح والغوص فى استخراج مافيه وللاصطياد لما فيه والبحر جنس يشمل الملح والعذب وبدأ أولا من منافعه بما هو الاهم وهو الاكل ومنه على حذف مضاف أى لتأكلوا من حيوانه طريا ثم ثنى بما يتزين به وهو الحلية من اللؤلؤ والمرجان ونبه على غاية الحلية وهو اللبس وفيه منافع غير اللبس فاللحم الطرى من الملح والعذب والحلية من الملح * وقيل ان العذب يخرج منه لؤلؤ لايلبس الاقليلا وانما يتداوى به ويقال ان فى الزمرد بحريا فأما لتأكلوا فعام فى النساء والرجال وأما تلبسونها فخاص بالنساء والمعنى يلبسها نساؤكم وأسند اللبس الى

الابتداء والخبر وقرأ حفص والنجوم مسخرات برفعهما على الابتداء والخبر وجمع الآيات عند ذكر العقل لأن الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة وما ذرأ معطوف على الليل والنهار يعنى ماخلق فيهما من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلفا ألوانه من البياض والسواد وغير ذلك وختم هذا بقوله يذكرون ومعناه الاعتبار والاتعاظ كان علمهم بذلك سابق طرأ عليه النسيان فقيل يذكرون أى يتذكرون مانسوا من تسخير هذه المكونات فى الارض وأفرد الآية هنا لأن الذى ذكره مفرد فى قوله ماذرأ ووصفه بمفرد وهو قوله مختلفا ﴿ وهو الذى سخر البحر ﴾ الآية لما ذكر الاستدلال بما ذرأ فى الارض ذكر ما امتن به من تسخير البحر ومعنى تسخيره كونه يتمكن الناس من الانتفاع به للركوب فى المصالح والغوص فى استخراج مافيه وللاصطياد لما فيه والبحر جنس يشمل الملح والعذب وبدأ أولا

الذكور لان النساء انما يتزين بالحلية من أجل رجالهن فكأنها زينتهم ولباسهم ولما ذكر تعالى نعمة الاكل منه والاستخراج للحلية ذكر نعمة تصرف الفلك فيه ماخرة أي شاقة فيه أوذات صوت لشق الماء لحمل الامتعة والاقوات للتجارة وغيرها وأسند الرؤية الى المخاطب المفرد فقال وترى وجعلها جملة معترضة بين التعليلين تعليل الاستخراج وتعليل الابتغاء فلذلك عدل عن جمع المخاطب والظاهر عطف ولتبتغوا على التعليل قبله كما أشرنا اليه وأجاز ابن الانبارى أن يكون معطوفا على علة محذوفة أي لتبتغوا بذلك ولتبتغوا وأن يكون على اضمار فعل أي وفعل ذلك لتبتغوا والفضل هنا حصول الارباح بالتجارة والوصول الى البلاد الشاسعة وفي هذا دليل على جواز ركوب البحر ولعلكم تشكرون على ما منحكم من هذه النعم * قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر أحد على ظهرها فاصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت وعطف وأنهارا على رواسي ومعنى ألقى جعل ألا ترى الى قوله ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وقوله وجعل فيها رواسي من فوقها * وقال وألقيت عليك محبة مني أي جعلت * وقال ابن عطية قال المتأولون ألقى بمعنى خلق وجعل وهي عندي أخص من خلق وجعل وذلك ان ألقى يقتضي أن الله أوجد الجبال ليس من الارض لكن من قدرته واختراعه ويؤيد هذا النظر ما روى في القصص عن الحسن عن قيس بن عباد ان الله تعالى لما خلق الارض جعلت تمور الى آخر الكلام السابق وهو أيضا مروى عن وهب بن منبه * وقال ابن عطية أيضا وقوله وأنهارا منصوب بفعل مضمر تقديره وجعل أو خلق أنهارا واجماعهم على اضمار هذا الفعل دليل على خصوص ألقى ولو كانت ألقى بمعنى خلق لم يحتج الى هذا الاضمار انتهى وأي اجماع في هذا وقد حكى عن المتأولين أن ألقى بمعنى خلق وجعل * وقال الزمخشري وأنهارا وجعل فيها أنهارا لان ألقى فيه معنى جعل ألا ترى الى قوله ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا * وقال ابو البقاء أي وشق أنهارا وعلامات أي وضع علامات ويجوز أن يعطف على رواسي * وقال أبو عبد الله الرازي ثبت في العلوم العقلية ان أكثر الانهار انما تتفجر منابعها في الجبال فلهذا السبب أتبع ذكرها بتفجير الانهار وسبلا طرقا الى مقاصدكم لعلكم تهتدون بالسبل الى مقاصدكم هذا هو الظاهر ويدل عليه ما بعده وقال تعالى وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون * وقيل تهتدون أي بالنظر في دلالة هذه المصنوعات على صانعها فهو من الهداية الى الحق ودين الله وعلامات هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل وسهل وغير ذلك قاله الزمخشري وهو معنى قول ابن عباس * وقال أبو عبد الله الرازي ورأيت جماعة يتعرفون الطرقات بشم التراب * وقال ابن عيسى العلامة صورة يعلم بها ما يراد من خط أو لفظ أو اشارة أو هيئة * وقال ابن عطية وعلامات نصب كالمصدر أي فعل هذه الاشياء لعلكم تعتبرون بها وعلامات أي عبرة واعلاما في كل سلوك فقد يهتدى بالجبال وبالانهار وبالسبل انتهى * وقال ابن الكلبي العلامات الجبال * وقال النخعي ومجاهد النجوم وأغرب ما فسرت به العلامات انها حيتان طوال رقاق كالحيات في ألوانها وحركاتها تسمى بالعلامات وذلك في بحر الهند الذي يسار اليه من اليمن فاذا ظهرت كانت علامة للوصول لبلاد الهند وأمارة للنجاة * وقرأ الجمهور وبالنجم على انه اسم جنس ويؤيد ذلك قراءة ابن وثاب وبالنجم بضم النون والجيم وقراءة الحسن بضم النون وفي اللوامح الحسن النجم بضمتين وابن وثاب بضمة واحدة وجاء كذلك عن ابن هشام الرفاعي ولا شك في أنه يذكره عن أصحاب عاصم انتهى وذلك جمع كسقف وسقف ورهن

من منافعه بما هو الاهم وهو الأكل ومنه على حذف مضاف أي لتأكلوا من حيوانه لحما طريا ثم ثنى بما يتزين به وهو الحلية من اللؤلؤ والمرجان ونبه على غاية الحلية وهو اللبس وفيه منافع غير اللبس فاللحم الطري من الملح والعذب والحلية من الملح ولما ذكر تعالى نعمة الأكل منه ونعمة الاستخراج للحلية ذكر نعمة تصرف الفلك فيه مواخر أي شاقة فيه أوذات صوت لشق الانفس بحمل الامتعة والاقوات للتجارة وغيرها وأسند الرؤية الى المخاطب

(الدر)

(ح) لم يعرف ابن عطية أن الزجاج معتزلي فلذلك تأول عليه انه لم يحصل وانه وقع فيه من غير قصد (ع) وقوله وأنهارا منصوب بفعل مضمر تقديره وجعل أو خلق أنهارا واجماعهم على اضمار هذا الفعل دليل على خصوص ألقى ولو كانت ألقى بمعنى خلق لم يحتج الى هذا الاضمار (ح) وأي اجماع في هذا وقد حكى هو عن المتاولين أن ألقى بمعنى خلق وجعل

و رهن وجعله مما جمع على فعل أولى من حمله على انه أراد النجوم فحذف الواو الا أن ابن عصفور ذكر أن قولهم النجم من ضرورة الشعر وأنشد

ان الذى قضى بذا قاض حكم * أن يرد الماء اذا غاب النجم

قال يريد النجوم مثل قوله * حتى اذا ابتلت حلاقيم الحلق * يريد الحلوق * والتسكين قيل تخفيف * وقيل لغة وعن السدى هو الثريا والفرقدان و بنات نعش والجدى *وقال الفراء المراد الجدى والفرقدان انتهى * قيل والجدى هو السابع من بنات نعش الصغرى والفرقدان الأولان منها وليس بالجدى الذى هو المنزلة و بعضهم يصغره فيقول جدى * وفى الحديث عن ابن عباس انه سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن قوله و بالنجم فقال هو الجدى ولو صح هذا لم يعدل أحد عنه * وقال ابن عباس عليه قبلتكم و به تهتدون فى بركم و بحركم * وقيل هو القطب الذى لا يجرى * وقيل هو الثريا * وقال الشاعر

اذا طلب الجوزاء والنجم طالع * فكل مخاضات الفرات معابر

﴿ وقال آخر ﴾

حتى اذا ما استقل النجم فى غلس * وغودر البقل ملوى ومحصود

أى ومنه ملوى ومنه محصود وذلك انما يكون عند طلوع الثريا وهم ضمير غيبة خرج من الخطاب الى الغيبة كان الضمير النعت به الى قريش اذ كان لهم اهتداء بالنجوم فى مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم وقدم المجرور على ما يتعلق به اعتناء ولأجل الفاصلة والزمخشرى على عادته كأنه قيل و بالنجم خصوصا هم يهتدون ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون * وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم * والله يعلم ما تسرون وما تعلنون * والذين تدعون من دونه لا يخلقون شيأ وهم يخلقون * أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون * إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون * لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين ﴾ ذكر تعالى التباين بين من يخلق وهو البارى تعالى و بين من لا يخلق وهى الأصنام ومن عبد ممن لا يعقل فجدير أن يفرد بالعبادة من له الانشاء دون غيره وجىء بمن فى الثانى لاشتمال المعبود غير الله على من يعقل وما لا يعقل أو لاعتقاد الكفار أن لها تأثيرا وأفعالا فعوملت معاملة أولى العلم أو للمشاكلة بينه و بين من يخلق أو لتخصيصه بمن يعلم فاذا وقعت البينونة بين الخالق و بين غير الخالق من أولى العلم فكيف بمن لا يعلم البتة كقوله ألهم أرجل يمشون بها أى أن آلهتهم منحطة عن حال من له أرجل لان من له هذه حى وتلك أموات فكيف يصح أن يعبد لا أن من له رجل يصح أن يعبد *قال الزمخشرى (فان قلت) هو الزام للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الالزام أن يقال لهم أفمن لا يخلق كمن يخلق (قلت) حين جعلوا غير الله مثل الله فى تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه و بينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فأنكر عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق ثم وبخهم بقوله أفلا تذكرون أى مثل هذا لا ينبغى أن تقع فيه الغفلة والنعمة يراد بها النعم لا نعمة واحدة يدل على ذلك قوله تعالى وان تعدوا وقوله لا تحصوها إذ ينتفى العد والاحصاء فى الواحدة والمعنى لا تحصوا عدها الا انها لكثرتها خرجت عن احصائكم لها وانتفاء احصائها يقتضى انتفاء القيام بحقها من الشكر ولما ذكر نعما سابقة أخبر أن جميع نعمه

المفرد فقال وترى وجعلها جملة معترضة بين التعليلين تعليل الاستخراج وتعليل الابتغاء فلذلك عدل عن جمع المخاطب والظاهر عطف ولتبتغوا على التعليل قبله كما أشرنا اليه والفضل هنا الارباح بالتجارة والوصول الى البلاد الشاسعة وفى هذا دليل على جواز ركوب البحر ولعلكم تشكرون على ما منحكم من هذه النعم والسبل الطرق قال ابن عطية قوله وأنهارا منصوب بفعل مضمر تقديره وجعل أو خلق أنهارا واجماعهم على اضمار هذا الفعل دليل على خصوص ألقى ولو كانت ألقى بمعنى خلق لم يحتج الى هذا الاضمار انتهى وأى اجماع فى هذا وقد حكى هو عن المتأولين أن ألقى بمعنى خلق وجعل ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق ﴾ الآية ذكر تعالى التباين بين من يخلق وهو البارى و بين من لا يخلق وهى الأصنام وجىء بمن فى الثانى لاشتمال المعبود غير الله على من يعقل وما لا يعقل أو لاعتقاد الكفار أن لها تأثيرا وأفعالا فعوملت معاملة أولى العلم أو المشاكلة

لايطيقون عدها وأتبع ذلك بقوله ان الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم فى أداء شكر النعم ولايقطعها عنكم لتفريطكم ولايعاجلكم بالعقوبة على كفرانها ولما كان الانسان غير قادر على أداء شكر النعم وان له حالة يعرض فيها منه كفرانها قال فى عقب الآية التى فى ابراهيم ان الانسان لظلوم كفار أى لظلوم بترك الشكر كفار للنعمة وفى هذه الآية ذكر الغفران والرحمة لطفا به وايذانا فى التجاوز عنه وأخبر تعالى انه يعلم مايسرون وضمنه الوعيد لهم والاخبار بعلمه تعالى وفيه التنبيه على نفى هذه الصفة الشريفة عن آلهتهم * وقرأ الجمهور بالتاء من فوق فى تسرون وتعلنون وتدعون وهى قراءة مجاهد والأعرج وشيبة وأبى جعفر وهبيرة عن عاصم على معنى قل لهم * وقرأ عاصم فى مشهوره يدعون بالياء من تحت و بالتاء فى السابقتين * وقرأ الأعمش وأصحاب عبدالله ولم الذى يبدون وما يكتمون وتدعون بالتاء من فوق فى الثلاثة * وقرأ طلحة مايخفون ومايعلنون وتدعون بالتاء من فوق وهاتان القراءتان مخالفتان لسواد المصحف والمشهور ماروى عن الأعمش وغيره فوجب حملها على التفسير لاعلى أنها قرآن ولما أظهر تعالى التباين بين الخالق وغيره نص على أن آلهتهم لاتخلق وعلى انها مخلوقة وأخبرانهم أموات وأكد ذلك بقوله غير أحياء ثم نفى عنهم الشعور الذى يكون للبهائم فضلا عن العلم الذى تتصف به العقلاء وعبر بالذين وهو للعاقل عومل غيره معاملته لكونها عبدت واعتقدت فيها الالوهية * وقرأ محمد اليمانى يدعون بضم الياء وفتح العين مبنيا للمفعول والظاهر أن قوله وهم يخلقون أى الله أنشأهم واخترعهم * وقال الزمخشرى وجه آخر وهو أن يكون المعنى أن الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لايقدرون على ذلك فهم أعجز من عبدتهم انتهى وأموات خبر مبتدا محذوف أى هم أموات ويجوز أن يكون خبرا بعد خبر والظاهر أن هذه كلها مما حدث به عن الأصنام ويكون بعثهم اعادتها بعد فنائها ألاترى الى قوله تعالى انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم * وقيل معنى بعثها إثارتها كما تقول بعثت النائم من نومه اذا نبهته كأنه وصفهم بغاية الجمود أى وان طلبتهم بالتحريك أوحركتهم لم يشعروا بذلك ونفى عنهم الحياة لان من الأموات مايعقب موته حياة كالنطف التى ينشئها الله حيوانا وأجساد الحيوان التى تبعث بعد موتها وأما الاصنام من الحجارة والخشب فأموات لايعقب موتها حياة وذلك أعرق فى موتها * وقيل والذين تدعون هم الملائكة وكان ناس من الكفار يعبدونهم وأموات أى لابد لهم من الموت وغير أحياء أى غير باق حياتهم ومايشعرون أى لاعلم لهم بوقت بعثهم وجوزوا فى قراءة والذين يدعون بالياء من تحت أن يكون قوله أموات يراد به الكفار الذين ضميرهم فى يدعون شبههم بالاموات غير الاحياء من حيث هم ضلال غير مهتدين ومابعده عائد عليهم والبعث الحشر من قبورهم * وقيل فى هذا التقدير وعيد أى أيان يبعثون الى التعذيب * وقيل الضمير فى ومايشعرون للأصنام وفى يبعثون لعبدتها أى لاتشعر الاصنام متى تبعث عبدتها وفيه تهكم بالمشركين وأن آلهتهم لايعلمون وقت بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم وتلخص من هذه الاقوال أن تكون الاخبار بتلك الجمل كلها عن المدعوين آلهة اما الاصنام واما الملائكة أو يكون من قوله أموات الى آخره اخبارا عن الكفار أو يكون ومايشعرون أيان يبعثون فقط اخبارا عن الكفار أو يكون ومايشعرون اخبارا عن المدعوين ويبعثون اخبارا عن الداعين العابدين * وقرأ أبو عبد الرحمن إيان بكسر الهمزة وهى لغة قومه سليم والظاهر أن قوله إيان معمول ليبعثون والجملة فى موضع نصب بيشعرون لأنه معلق إذ معناه العلم

بينه وبين من يخلق ﴿وان تعدوا نعمة الله﴾ الآية تقدم الكلام عليه وأخبر تعالى أنه يعلم مايسرون وضمنه الوعيد لهم والاخبار بعلمه تعالى وفيه التنبيه على نفى هذه الصفة الشريفة عن آلهتهم ولما أظهر تعالى التباين بين الخالق وغيره نص على أن آلهتهم لا تخلق وعلى أنها مخلوقة وأخبر أنهم أموات وأكد ذلك بقوله غير أحياء ثم نفى عنهم الشعور الذى يكون للبهائم فضلا عن العلم الذى يتصف به العقلاء وعبر بالذين وهو العاقل عومل غيره معاملته لكونها عبدت واعتقد فيها الألوهية وأيان ظرف زمان وعن ابن عباس ان الله تعالى يبعث الاصنام لها أرواح ومعها شياطينها فيؤمر بكلهم الى النار وتقدم الكلام فى لاجرم فى سورة هود ولا يحب المستكبرين عام فى الكافرين والمؤمنين

﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم﴾ الآية قيل سبب نزولها أن النضر بن الحرث سافر من مكة الى الحيرة وكان قد اتخذ كتب التواريخ والامثال ككليلة ودمنة وأخبار اسفنديار ورستم فجاء الى مكة وكان يقول انما يحدث محمد بأساطير الاولين وحديثي أجمل من حديثه فنزلت وماذا كلمة استفهام مفعول بأنزل أو ما مبتدأ خبره ذا بمعنى الذي وعائده في أنزل محذوف أي أي شئ الذي أنزله وأجاز الزمخشري أن يكون ماذا مرفوعا بالابتداء قال بمعنى أي شئ أنزله ربكم وهذا (٤٨٣) لا يجوز عند البصريين الا في ضرورة الشعر والضمير في لهم عائد على كفار قريش وما أنزل ليس معمولا لقيل على مذهب البصريين لانه جملة والجملة لا تقع موقع المفعول الذي لم يسم فاعله كما لا تقع موقع الفاعل فالمفعول الذي لم يسم فاعله قيل هو ضمير المصدر المفهوم من قيل تقديره قيل هو أي القول والجملة بعده تفسير لذلك الضمير لا أنها هي المفعول الذي لم يسم فاعله واللام في ليحملوا لام الأمر على معنى الحتم عليهم والصغار الموجب لهم وكاملة حال أي لا ينقص منها شئ ومن في من أوزار للتبعيض فالمعنى أنه يحمل من وزر كل من أضل أي بعض وزر من ضل باضلالهم وقال الواحدي ليست من للتبعيض لانه يستلزم تخفيف الأوزار عن الاتباع وذلك غير جائز لقوله صلى الله عليه وسلم من غير أن ينقص من أوزارهم شئ لكنها للجنس أي ليحملوا من جنس أوزار الاتباع انتهى ولا تتقدر من التي لبيان الجنس هذا الذي قدره الواحدي وانما يقدر الأوزار التي هي أوزار الذين يضلونهم فيؤول من حيث المعنى الى قول الأخفش وان اختلفا في التقدير وقال الزمخشري بغير علم حال من المفعول أي يضلون من لا يعلم أنهم ضلال انتهى وقال غيره حال من الفاعل وهو أولى اذ هو المحدث عنه والمسند اليه الاضلال على جهة الفاعلية والمعنى أنهم يقدمون على هذا الاضلال جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على الاضلال ثم أخبر تعالى

والمعنى أنه نفى عنهم علم ما انفرد بعلمه الحي القيوم وهو وقت البعث اذا أريد بالبعث الحشر الى الآخرة * وقيل تم الكلام عند قوله وما يشعرون وايان يبعثون ظرف لقوله الهكم اله واحد أخبر عن يوم القيامة ان الاله فيه واحد انتهى ولا يصح هذا القول لأن أيان إذ ذاك تخرج عما استقر فيها من كونها ظرفا اما استفهاما واما شرطا وفي هذا التقدير تكون ظرفا بمعنى وقت مضافا للجملة بعدها معمولا لقوله واحد كقولك يوم يقوم زيد قائم وفي قوله أيان يبعثون دلالة على انه لابد من البعث وانه من لوازم التكليف ولما ذكر تعالى ما اتصفت به آلهتهم بما ينافي الالوهية أخبر تعالى أن اله العالم هو واحد لا يتعدد ولا يتجزأ وأن الذين لا يؤمنون بالجزاء بعد وضوح بطلان ان تكون الالهية لغيره بل له وحده هم مستمرون على شركهم منكرون وحدانيته مستكبرون عن الاقرار بها لاعتقادهم الالهية لأصنامهم وتكبرها في الوجود ووصفهم بأنهم لا يؤمنون بالآخرة مبالغة في نسبة الكفر اليهم إذ عدم التصديق بالجزاء في الآخرة يتضمن التكذيب بالله تعالى وبالبعث إذ من آمن بالبعث يستحيل أن يكذب الله عز وجل * وقيل مستكبرون عن الايمان برسول الله واتباعه * وقال العلماء كل ذنب يمكن التستر به واخفاؤه الا التكبر فانه فسق يلزمه الاعلان وفي الحديث الصحيح ان المستكبرين يجيئون أمثال الذر يوم القيامة يطؤهم الناس بأقدامهم أو كما قال صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام في لا جرم في هود * وقرأ عيسى الثقفي ان بكسر الهمزة على الاستئناف والقطع مما قبله * وقال بعض أصحابنا وقد يغني لا جرم عن لفظ القسم تقول لا جرم لآتينك فعلى هذا يكون لقوله ان الله بكسر الهمزة تعلق بلا جرم ولا يكون استئنافا وقد قال بعض الاعراب لمرداس الخارجي لا جرم والله لا فارقتك أبدا نفى كلامه تعلقها بالقسم وفي قوله يعلم ما يسرون وما يعلنون وعيد وتنبيه على المجازاة وقال يحيى بن سلام والنقاش المراد هنا بما يسرون تشاورهم في دار الندوة في قتل النبي صلى الله عليه وسلم انتهى ولا يحب المستكبرين عام في الكافرين والمؤمنين يأخذ كل واحد منهم بقسطه *﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين * ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون * قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون * ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين * الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون * فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين﴾ قيل سبب نزول وإذا قيل لهم الآية ان النضر بن الحرث سافر عن مكة الى الحيرة وكان قد اتخذ كتب التواريخ والامثال ككليلة ودمنة وأخبار اسفنديار ورستم فجاء الى مكة فكان يقول انما يحدث محمد

عن سوء ما يعملونه للآخرة وتقدم الكلام على نظير اعراب ألا ساء ما يزرون ﴿ فأتى الله ﴾ أى أتى أمره وعذابه والبنيان قيل حقيقة * قال ابن عباس وغيره الذين من قبلهم منهم نمرود بنى صرحا ليصعد بزعمه الى السماء وأفرط فى علوه وطوله فى السماء فرسخين فخر عليهم السقف من فوقهم قال ابن الاعرابى العرب تقول خر علينا سقف ووقع علينا حائط اذا كان يملكه وان لم يكن وقع عليه فجاء بقوله من فوقهم ليخرج هذا الذى من كلام العرب فقال من فوقهم أى عليهم وقع وكانوا تحته فهلكوا وأتاهم العذاب قال ابن عباس فى قصة النمرود ويخزيهم يعم جميع المكاره التى تحل بهم ويقتضى ذلك ادخالهم النار لقوله تعالى ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته أى أهنته كل الاهانة (٤٨٤) وجمع بين الاهانة بالفعل والاهانة بالقول بالتقريع والتوبيخ فى جملة

بأساطير الأولين وحديثى أجل من حديثه وماذا كلمة استفهام مفعول بأنزل أو مبتدأ خبره ذا بمعنى الذى وعائده فى أنزل محذوف أى أى شئ الذى أنزله وأجاز الزمخشرى أن يكون ماذا مرفوعا بالابتداء قال بمعنى أى شئ أنزله ربكم وهذا لا يجوز عند البصريين الا فى ضرورة الشعر والضمير فى لهم عائد على كفار قريش وماذا أنزل ليس معمولا لقيل على مذهب البصريين لأنه جملة والجملة لا تقع موقع المفعول الذى لم يسم فاعله كما لا تقع موقع الفاعل * وقرئ شاذا أساطير بالنصب على معنى ذكرتم أساطير أو أنزل أساطير على سبيل التهكم والسخرية لأن التصديق بالانزال ينافى أساطير وهم يعتقدون أنه ما نزل شئ ولا ان ثم منزل وبنى قيل للمفعول فاحتمل أن يكون القائل بعضهم لبعض واحتمل أن يكون المؤمنون قالوا لهم على سبيل الامتحان * وقيل قائل ذلك الذين تقاسموا مداخل مكة ينفرون عن الرسول صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج ماذا أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أحاديث الأولين * وقرأ الجمهور برفع أساطير فاحتمل أن يكون التقدير المذكور أساطير أو المنزل أساطير جعلوه منزلا على سبيل الاستهزاء وان كانوا لا يؤمنون بذلك واللام فى ليحملوا لام الأمر على معنى الحتم عليهم والصغار الموجب لهم أو لام التعليل من غير أن يكون غرضا كقولك خرجت من البلد مخافة الشر وهى التى يعبر عنها بلام العاقبة لأنهم لم يقصدوا بقولهم أساطير الأولين أن يحملوا الاوزار ولما قال ابن عطية انه يحتمل ان تكون لام العاقبة قال ويحتمل أن يكون صريح لام كى على معنى قدر هذا لكذا وهى لام التعليل لكنه لم يعلقها بقوله قالوا بل أضمر فعلا آخر وهو قدر هذا وكاملة حال أى لا ينقص منها شئ ومن للتبعيض فالمعنى انه يحمل من وزر كل من أضل أى بعض وزر من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لأن المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على اضلاله فيتحاملان الوزر * وقال الاخفش من زائدة أى وأوزار الذين يضلونهم والمعنى ومثل أوزار الذين يضلونهم كقوله فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة المراد ومثل وزر والمعنى أن الرئيس اذا وضع سنة قبيحة عظم عقابه حتى أن ذلك العقاب يكون مساويا للعقاب كل من اقتدى به فى ذلك * وقال الواحدى ليست من للتبعيض لأنه يستلزم تخفيف الاوزار عن الاتباع وذلك غير جائز لقوله عليه الصلاة والسلام من غير أن ينقص من أوزارهم شئ لكنها للجنس أى ليحملوا من جنس أوزار الاتباع انتهى ولا تتقدر من التى لبيان

(الدر)

(ش) يجوز أن يكون ماذا مرفوعا بالابتداء قال بمعنى أى شئ أنزله ربكم (ح) هذا لا يجوز عند البصريين الا فى ضرورة الشعر بل ماذا كله استفهام مفعول بأنزل أو ما مبتدأ خبره ذا بمعنى الذى فى أنزل محذوف أى أى شئ الذى أنزله (ح) ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم من للتبعيض فالمعنى أنه يحمل من وزر كل من أضل أى بعض وزر من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على اضلاله فيتحاملان الوزر وقال الاخفش من زائدة أى وأوزار الذين يضلونهم والمعنى ومثل أوزار الذين يضلونهم لقوله فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة المراد ومثل وزر والمعنى ان الرئيس اذا وضع سنة قبيحة عظم عقابه حتى ان ذلك العقاب يكون مساويا لعقاب كل من اقتدى به فى ذلك وقال الواحدى ليست من للتبعيض لانه يستلزم تخفيف الاوزار عن الاتباع وذلك غير جائز لقوله عليه السلام من غير أن ينقص من أوزارهم شئ لكنها للجنس أى ليحملوا من جنس أوزار الاتباع انتهى ولا تتقدر من التى لبيان الجنس هذا التقدير الذى قدره الواحدى وانما تقدر والاوزار التى هى أوزار الذين يضلونهم فيؤول من حيث المعنى الى قول الاخفش وان اختلفا فى التقدير (ش) بغير علم حال من المفعول أى يضلون من لا يعلم انهم ضلال (ح) قال غيره حال من الفاعل وهو أولى اذ هو المحدث عنه والمسند اليه الاضلال على جهة الفاعلية والمعنى انهم يقدمون على هذا الاضلال جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على

الجنس هذا التقدير الذى قدره الواحدى وانما تقدر الاوزار التى هى أوزار الذين يضلونهم فيؤول
من حيث المعنى الى قول الاخفش وان اختلفا فى التقدير * وبغير علم قال الزمخشرى حال من
المفعول أى يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وقال غيره حال من الفاعل وهو أولى إذ هو المحدث عنه
المسند اليه الاضلال على جهة الفاعلية والمعنى انهم يقدمون على هذا الاضلال جهلا منهم بما يستحقونه
من العذاب الشديد على ذلك الاضلال ثم أخبر تعالى عن سوء ما يتحملونه للآخرة وتقدم الكلام
فى اعراب مثل ساء ما يزرون فأتى الله أى أمره وعذابه والبنيان قيل حقيقة * قال ابن عباس وغيره
الذين من قبلهم نمرود بنى صرحا ليصعد بزعمه الى السماء وأفرط فى علوه وطوله فى السماء فرسخين على
ما حكى النقاش وقاله كعب الاحبار * وقال ابن عباس ووهب طوله فى السماء خمسة آلاف ذراع
وعرضه ثلاثة آلاف ذراع فبعث الله تعالى عليه ريحا فهدمته وخر سقفه عليه وعلى اتباعه * وقيل
هدمه جبريل بجناحه وألقى أعلاه فى البحر والحقف من أسفله * وقال ابن الكلبى المراد المقتسمون
المذكورون فى سورة الحجر * وقيل الذين من قبلهم بخت نصر وأصحابه * وقال الضحاك قريات
قوم لوط وقالت فرقة المراد بالذين من قبلهم من كفر من الامم المتقدمة ومكر ونزلت به عقوبة من
الله ويكون فأتى الله بنيانهم الى آخره تمثيلا والمعنى انهم سوّوا منصوبات ليمكروا بها الله ورسوله
فجعل الله هلاكهم فى تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فأتى البنيان من
الاساطين بأن تضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه * من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا
ومن القواعد لابتداء الغاية أى أتاهم أمر الله من جهة القواعد وقالت فرقة المراد بقوله فخر عليهم
السقف من فوقهم جاءهم العذاب من قبل السماء التى هى فوقهم وقاله ابن عباس * وقيل المعنى
أحبط الله أعمالهم فكانوا بمنزلة من سقط بنيانه * قال ابن عطية وهذا ينجر الى اللغز ومعنى قوله
من فوقهم رفع الاحتمال فى قوله فخر عليهم السقف فانك تقول انهدم على فلان بناؤه وليس تحته كما
تقول انفسد عليه وقوله من فوقه ألزم أنهم كانوا تحته انتهى وهذا الذى قاله ابن الاعرابى قال يعلمك
أنهم كانوا جالسين تحته والعرب تقول خر علينا سقف ووقع علينا سقف ووقع علينا حائط اذا كان
يملكه وان لم يكن وقع عليه فجاء بقوله من فوقهم ليخرج هذا الذى فى كلام العرب فقال من فوقهم
أى عليهم وقع وكانوا تحته فهلكوا فأتاهم العذاب * قال ابن عباس يعنى البعوضة التى أهلكت بها نمروذ
* وقيل من حيث لا يشعرون من حيث ظنوا أنهم فى أمان * وقرأ الجمهور بنيانهم وقرأت فرقة
بنيتهم * وقرأ جعفر بيتهم والضحاك بيوتهم * وقرأ الجمهور السقف مفردا والأعرج السقف
بضمتين وزيد بن على ومجاهد بضم السين فقط وتقدم توجيه مثل هاتين القراءتين فى والنجم *
* وقرأت فرقة السقف بفتح السين وضم القاف وهى لغة فى السقف ولعل السقف مخفف منه
ولكنه كثر استعماله كما قالوا فى رجل رجل وهى لغة تميمية ولما ذكر تعالى ما حل بهم فى دار الدنيا
ذكر ما يحل بهم فى الآخرة ويخزيهم يعم جميع المكاره التى تحل بهم ويقتضى ذلك ادخالهم النار
كقوله ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته أى أهنته كل الاهانة وجمع بين الاهانة بالفعل والاهانة
بالقول بالتقريع والتوبيخ فى قوله يخزيهم ويقول أين شركائى أضاف تعالى الشركاء اليه والاضافة
تكون بأدنى ملابسة والمعنى شركائى فى زعمكم اذ أضاف على الاستهزاء * وقرأ الجمهور شركائى
ممدودا مهموزا مفتوح الياء وفرقة كذلك تسكنها فسقط فى الدرج لالتقاء الساكنين والبزى
عن ابن كثير بخلاف عنه مقصورا وفتح الياء هنا خاصة وروى عنه ترك الهمز فى القصص والعمل

يخزيهم ويقول أين شركائى أضاف تعالى الشركاء اليه والاضافة تكون بأدنى ملابسة والمعنى شركائى فى زعمكم أو أضاف على جهة الاستهزاء بهم ومفعولا تزعمون محذوفان التقدير تزعمونهم شركاء الذين تتوفاهم صفة للكافرين فيكونون داخلا تحت القول قال ابن عطية ويحتمل أن يكون الذين مرتفعا بالابتداء منقطعا مما قبله وخبره فى قوله فالقوا السلم فزيدت الفاء فى الخبر وقد يجىء مثل هذا انتهى هذا لا يجوز الا على مذهب الأخفش فانه يجيز زيد فقام أى قام ولا يتوهم أن الفاء هى الداخلة فى خبر المبتدأ اذا تضمن معنى الشرط فلا يجوز فيما ضمن معناه * ظالمى أنفسهم تقدم الكلام عليه فى سورة النساء والسلم هنا الاستسلام * ما كنا نعمل من سوء هو على اضمار القول ويكون ذلك كذبا منهم ولذلك ردّ عليهم بقوله بلى أى كنتم تعملون السوء * ان الله عليم بما كنتم تعملون لما أكذبوهم فى دعواهم أخبروا أنه هو العالم بأعمالهم فهو المجازى

على الهمز فيه وقصر الممدود ذكروا أنه من ضرورة الشعر ولا ينبغي ذلك لثبوته في هذه القراءة فيجوز قليلا في الكلام والمشاقة المفاداة والمخاصمة للمؤمنين * وقرأ الجمهور تشاقون بفتح النون وقرأ نافع بكسرها ورويت عن الحسن ولا يلتفت الى تضعيف أبي حاتم هذه القراءة * وقرأت فرقة بتشديدها أدغم نون الرفع في نون الوقاية والذين أوتوا العلم عام فيمن أوتي العلم من الانبياء وعلماء أممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم وينكرون عليهم * وقيل هم الملائكة وقاله بن عباس * وقيل الحفظة من الملائكة * وقيل من حضر الموقف من ملك وأنسي وغير ذلك * وقال يحيي بن سلام هم المؤمنون انتهى ويقول أهل العلم شماتة بالكفار وتسميعا لهم وفي ذلك اعظام للعلم اذ لا يقول ذلك الا أهله * الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم تقدم تفسيره في سورة النساء والظاهر ان الذين صفة للكافرين فيكون ذلك داخلا في القول فان كان القول يوم القيامة فيكون تتوفاهم حكاية حال ماضية وان كان القول في الدنيا لما أخبر تعالى أنه يخزيهم يوم القيامة ويقول لهم ما يقول قال أهل العلم اذا أخبر الله تعالى بذلك ان الخزي اليوم الذي أخبر الله أنه يخزيهم فيه فيكون تتوفاهم على بابها ويشمل من حيث المعنى من توفته ومن تتوفاه ويجوز أن يكون الذين خبر مبتدأ محذوف وأن يكون منصوبا على الذم فاحتمل أن يكون مقولا لأهل العلم واحتمل أن يكون غير مقول بل من اخبار الله تعالى * وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون الذين مرتفعا بالابتداء منقطعا مما قبله وخبره في قوله فألقوا السلم فزيدت الفاء في الخبر وقد يجيء مثل هذا انتهى وهذا لا يجوز الا على مذهب الاخفش فانه يجيز زيد فقام أي قام ولا يتوهم ان الفاء هي الداخلة في خبر المبتدإ اذا كان موصولا وضمن معنى الشرط لانه لا يجوز دخولها في مثل هذا الفعل مع صريح الشرط فلا يجوز فيما ضمن معناه * وقرأ حمزة والاعمش يتوفاهم بالياء من أسفل في الموضعين وقرئ بادغام تاء المضارعة في التاء بعدها وفي مصحف عبد الله بتاء واحدة في الموضعين والسلم هنا الاستسلام قاله الاخفش أو الخضوع قاله مقاتل أي انقادوا حين عاينوا الموت قد نزل بهم * وقيل في القيامة انقادوا وأجابوا بما كانوا على خلافه في الدنيا من الشقاق والكبر والظاهر عطف فألقوا على تتوفاهم وأجاز أبو البقاء أن يكون معطوفا على قوله الذين وأن يكون مستأنفا * وقيل تم الكلام عند قوله ظالمي أنفسهم ثم عاد الكلام الى حكاية كلام المشركين يوم القيامة فعلى هذا يكون قوله قال الذين الى قوله فألقوا جملة اعتراضية بين الاخبار بأحوال الكفار ما كنا نعمل من سوء هو على اضمار القول أي ونعتهم بحمل السوء اما أن يكون صريح كذب كما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فقال تعالى انظر كيف كذبوا على أنفسهم وإما أن يكون المعنى عند أنفسنا أي لو كان الكفر عند أنفسنا سوءا ما عملناه ويرجح الوجه الأول الرد عليهم ببلى اذ لو كان ذلك على حسب اعتقادهم لما كان الجواب بلى على أنه يصح على الوجه الثاني أن يرد عليهم ببلى والمعنى انكم كذبتم في اعتقادكم أنه ليس بسوء بل كنتم تعتقدون انه سوء لانكم تبينتم الحق وعرفتموه وكفرتم لقوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا والظاهر أن هذا السياق كله هو مع أهل العلم والكفار وان أهل العلم هم الذين ردوا عليهم اخبارهم بنفي عمل السوء ويجوز أن يكون الرد من الملائكة وهم الآمرون بالدخول في النار يسوقونهم اليها * وقيل الخزنة والظاهر الابواب حقيقة * وقيل المراد الدركات * وقيل الأصناف كما يقال فلان ينظر في باب من العلم أي صنف وأبعد من قال المراد بذلك عذاب القبر مستدلا بما جاء القبر روضة

عليها ثم أمرهم بالدخول واللام في فلبئس لام التوكيد ولا يدخل على الماضي المتصرف ودخلت على الجامد لبعده عن الافعال وقربه من الاسماء والمخصوص بالذم محذوف تقديره فلبئس مثوى المتكبرين هي أي جهنم ووصف التكبر دليل على استحقاق صاحبه النار

(الدر)

ذلك الاضلال (ع) ويحتمل أن يكون الذين مرتفعا بالابتداء منقطعا مما قبله وخبره في قوله فألقوا السلم فزيدت الفاء في الخبر وقد يجيء مثل هذا انتهى (ح) هذا لا يجيء الا على مذهب الاخفش فانه يجيز زيد فقام أي قام ولا يتوهم أن الفاء هي الداخلة في خبر المبتدإ اذا كان موصولا وضمن معنى الشرط لانه لا يجوز دخولها في مثل هذا الفعل مع صريح أداة الشرط فلا يجوز فيما ضمن معناه

من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ولما أ كذبوهم من دعواهم أخبر وأنه هو العالم بأعمالهم فهو المجازي عليها ثم أمروهم بالدخول واللام في فلبئس لام تأكيد ولا تدخل على الماضي المنصرف ودخلت على الجامد لبعده عن الافعال وقربه من الاسماء والمخصوص بالذم محذوف أي فلبئس مثوى المتكبرين هي أي جهنم ووصف التكبر دليل على استحقاق صاحبه النار وذلك اشارة الى قوله قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين * جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك يجزي الله المتقين * الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون * هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون * فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون * وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين * ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين * إن تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل ومالهم من ناصرين * وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون * ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين * انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون * والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوأنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون * الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون * وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون * بالبينات والزبر وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون * أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون * أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين * أو يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤوف رحيم * أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ﴾ خسف المكان يخسف خسوفا ذهب وخسفه الله يريد أذهبه في الأرض به * دخر دخورا تصاغر وفعل ما يؤمر شاء أو أبى * فقال ابن عطية تواضع * قال ذوالرمة

فلم يبق الا داخر في مجلس * ومنجحر في غير أرضك في جحر

﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين * جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك يجزي الله المتقين * الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ تقدم اعراب ماذا الأنه اذا كانت ذا موصولة لم يكن الجواب على وفق السؤال لكون ماذا مبتدأ وخبرا والجواب نصب وهو جائز ولكن المطابقة في الاعراب أحسن * وقرأ الجمهور خيرا بالنصب أي أنزل خيرا * قال الزمخشري (فان قلت) لم نصب هذا ورفع الأول (قلت) فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعني ان هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا وأطبقوا الجواب على السؤال مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا وأولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الأولين وليس من الانزال في شئ انتهى * وقرأ زيد بن علي خير بالرفع أي المنزل

﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم﴾ الآية أي أنزل خيرا ودل هذا النصب على أن ماذا أنزل مفعول بأنزله وطابق الجواب السؤال في النصب والظاهر أن قوله للذين مندرج تحت القول وهو تفسير للخير الذي أنزل الله في الوحي ان من أحسن في الدنيا بالطاعة فله حسنة في الدنيا ونعيم في الآخرة بدخول الجنة والظاهر أن المخصوص بالمدح هو جنات عدن والكاف في موضع نصب نعتا لمصدر محذوف أي جزاء مثل جزاء الذين أحسنوا نجزي المتقين وطيبين حال من مفعول تتوفاهم والمعنى أنهم صالحو الأعمال مستعدون للموت والطيب الذي لا خبث فيه يقولون سلام عليكم الظاهر أن هذا القول في الآخرة ولذلك جاء بعده أدخلوا الجنة فهو من قول خزنة الجنة بما كنتم تعملون أي بالعمل الصالح

فتطابق هذه القراءة تأويل من جعل اذا موصولة ولا تطابق من جعل ماذا منصوبة لاختلافهما في الاعراب وان كان الاختلاف جائزا كما ذكرنا وروى ان أحياء العرب كانوا يبعثون أيام المواسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوفد كفه المقتسمون وأمروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول أنا شر وافد ان رجعت الى قومي دون أن أستطلع أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأراه فيلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا والظاهر أن قوله للذين مندرج تحت القول وهو تفسير للخير الذي أنزله الله في الوحي ان من أحسن في الدنيا بالطاعة فله حسنة في الدنيا ونعيم في الآخرة بدخول الجنة * وقال الزمخشري للذين أحسنوا وما بعده بدل من خير حكاية لقول الذين اتقوا أي قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه انتهى * وقالت فرقة هو ابتداء كلام من الله تعالى مقطوع مما قبله وهو بالمعنى وعد متصل بذكر احسان المتقين في مقالتهم ومعنى حسنة مكافأة في الدنيا باحسانهم ولهم في الآخرة ماهو خير منها ولما ذكر حال الكفار في الدنيا والآخرة ذكر حال المؤمنين في الدارين والظاهر أن المخصوص بالمدح هو جنات عدن * وقال الزمخشري ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذف المخصص بالمدح لتقدم ذكره وجنات عدن خبر مبتدأ محذوف انتهى وقاله ابن عطية وقبلهما الزجاج وابن الأنباري وجوزوا أن يكون جنات عدن مبتدأ والخبر يدخلونها * وقرأ زيد بن ثابت وأبو عبد الرحمن جنات عدن بالنصب على الاشتغال أي يدخلون جنات عدن يدخلونها وهذه القراءة تقوي اعراب جنات عدن بالرفع انه مبتدأ ويدخلونها الخبر * وقرأ زيد ابن علي ولنعمت دار بتاء مضمومة ودار مخفوض بالاضافة فيكون نعمت مبتدأ وجنات الخبر * وقرأ السلمي تدخلونها بتاء الخطاب * وقرأ اسماعيل بن جعفر عن نافع يدخلونها بياء على الغيبة والفعل مبني للمفعول وروبت عن أبي جعفر وشيبة تجري * قال ابن عطية في موضع الحال * وقال الحوفي في موضع نعت لجنات انتهى فكان ابن عطية لحظ كون جنات عدن معرفة والحوفي لحظ كونها نكرة وذلك على الخلاف في عدن هل هي علم أو نكرة بمعنى اقامة والكاف في موضع نصب نعتا لمصدر محذوف أي جزاء مثل جزاء الذين أحسنوا يجزي وطيبين حال من مفعول تتوفاهم والمعنى انهم صالحو الاحوال مستعدون للموت والطيب الذي لاخبث فيه ومنه طبتم فادخلوها خالدين * وقال أبو معاذ طيبين طاهرين من الشرك بالكلمة الطيبة * وقيل طيبين سهلة وفاتهم لاصعوبة فيها ولا ألم بخلاف ما يقبض روح الكافر والمخلط * وقيل طيبة نفوسهم بالرجوع الى الله تعالى * وقيل زاكية أفعالهم وأقوالهم * وقيل صالحين * وقال الزمخشري طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي أنفسهم ويقولون نصب على الحال من الملائكة وتسليم الملائكة عليهم بشارة من الله تعالى وفي هذا المعنى أحاديث صحاح وقوله هدى للمتقين هو وقت قبض أرواحهم قاله ابن مسعود ومحمد بن كعب ومجاهد والاكثرون جعلوا التبشير بالجنة دخولا مجازا * وقال مقاتل والحسن عند دخول الجنة وهو قول خزنة الجنة لهم في الآخرة سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار فعلى هذا القول يكون يقولون حالا مقدرة ولا يكون القول وقت التوفي وعلى هذا يحتمل أن يكون الذين مبتدأ والخبر يقولون والمعنى يقولون لهم سلام عليكم ويدل لهذا القول قولهم ادخلوا الجنة ووقت الموت لايقال لهم ادخلوا الجنة فالتوفي هنا توفي الملائكة لهم وقت الحشر وقوله بما كنتم تعملون ظاهره في دخول الجنة

بالعمل الصالح ﴿ هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وماظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون * فأصابهم سيئات ماعملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون * وقال الذين أشركوا لوشاء الله ماعبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولاحرمنا من دونه من شئ كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين ﴾ مناسبة هذه الآية لماقبلها انه تعالى لماذكر طعن الكفار في القرآن بقولهم أساطير الأولين ثم أتبع ذلك بوعيدهم وتهديدهم ثم توعد من وصف القرآن بالخيرية بين أن أولئك الكفرة لايرتدعون عن حالهم الا أن تأتيهم الملائكة بالتهديد أوأمر الله بعذاب الاستئصال * وقرأ حمزة والكسائي يأتيهم بالياء وهي قراءة ابن وثاب وطلحة والاعمش و باقي السبعة بالتاء على تأنيث الجمع واتيان الملائكة لقبض الارواح وهم ظالمو أنفسهم وأمر ربك العذاب المستأصل أو القيامة والكاف في موضع نصب أي مثل فعلهم في انتظار الملائكة أوامر الله فعل الكفار الذين يقدمونهم * وقيل مثل فعلهم في الكفر والديمومة عليه فعل متقدموهم من الكفار * وقيل فعل هنا كناية عن اغترارهم كانه قيل مثل اغترارهم باستبطاء العذاب اغترالذين من قبلهم والظاهر القول الاول لدلالة هل ينظرون عليه وما ظلمهم الله باهلاكهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بكفرهم وتكذيبهم الذي أوجب لهم العذاب في الدنيا والآخرة وقوله فاصابهم معطوف على فعل وماظلمهم اعتراض وسيئات عقوبات كفرهم وحاق بهم أحاط بهم جزاء استهزائهم * وقال الذين أشركوا تقدم تفسير مثل هذه الآية في آخر الانعام فاغنى عن الكلام في هذا * وقال الزمخشري هنا يعني انهم أشركوا بالله وحرموا ماأحل من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا لوشاء الله لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم أي أشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوا على ربهم فهل على الرسل الا أن يبلغوا الحق وان الله لايشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان و يطلعوا على بطلان الشرك وقبحه و براءة الله من أفعال العباد وانهم فاعلوها بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله تعالى باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه انتهى وهو على طريقة الاعتزال وهذا القول صادر ممن أقر بوجود الباري تعالى وهم الاكثرون أو ممن لايقول بوجوده فعلى تقدير ان الرب الذي يعبده محمد و يصفه بالعلم والقدرة يعلم حالنا وهذا جدال من أي الصنفين كان ليس فيه استهزاء * وقال الزجاج قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء ومن المطابقة التي أنكرت مطابقة الادلة لاقامة الحجة من مذهب خصمها مستهزئة في ذلك ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا منهم أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين * ان تحرص على هداهم فان الله لايهدي من يضل ومالهم من ناصرين * وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت بلى

﴿ هل ينظرون الا أن تأتيهم ﴾ الآية ومناسبتها لماقبلها أنه تعالى لماذكر طعن الكفار في القرآن بقولهم أساطير الاولين ثم أتبع ذلك بوعيدهم وتهديدهم ثم توعد من وصف القرآن بالخيرية فبين أن أولئك الكفرة لايرتدعون عن حالهم الى أن تأتيهم الملائكة بالتهديد أوأمر الله تعالى بعذاب الاستئصال والكاف (٤٨٩) في موضع نصب أي مثل فعلهم في انتظار الملائكة أوامر الله فعل الكفار الذين تقدموهم ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ بكفرهم وتكذيبهم الذي أوجب لهم العذاب في الدنيا والآخرة وقوله فأصابهم معطوف على فعل وماظلمهم اعتراض وستأتي عقوبات كفرهم ﴿ وحاق بهم ﴾ أي أحاط بهم جزاء استهزائهم ﴿ وقال الذين أشركوا ﴾ تقدم الكلام عليه في آخر سورة الانعام ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ﴾ الآية ذكر الله تعالى بعثه الرسل في الأمم السالفة فلا يستنكر بعثه محمدا صلى الله عليه وسلم في هذه الأمة وأن يجوز أن تكون تفسيرية بمعنى أي وأن تكون مصدرية وتقدم مدلول الطاغوت في البقرة ﴿ من هدى الله ﴾ أي فمنهم من اعتبر فهداه الله ومنهم من أعرض وكفر ثم أحالهم في معرفة ذلك على المسير في الارض عاقبة المكذبين لرسلهم بما جاؤا به عن الله تعالى

ثم خاطب نبيه عليه السلام وأعلمه أن من حتم تعالى عليه بالضلالة لايجدي فيه الحرص على هدايته وقرئ لايهدى مبنيا للمفعول ومن مفعول مالم يسم فاعله والفاعل في يضل ضمير الله تعالى والعائد على من محذوف تقديره من يضله الله وقرئ يهدي مبنيا للفاعل والظاهر أن في يهدي ضميرا يعود على الله ومن مفعول وقرأت فرقة يهدي بضم الياء وكسر الدال وهي ضعيفة انتهى * حكى الفراء أن هدى بمعنى اهتدى لازما واذا ثبت ان هدى بمعنى اهتدى كما حكاه الفراء

وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لايعلمون * ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين﴾ قال الزمخشرى ولقد أمد ابطال قدر السوء ومشيئة الشر بانه مامن أمة الاوقد بعث فيهم رسولا يأمرهم بالخير الذى هو الايمان وعبادة الله واجتناب الشر الذى هو الطاغوت فنهم من هدى الله أى لطف به لانه عرفه من أهل اللطف ومنهم من حقت عليه الضلالة أى ثبت عليه الخذلان والشرك من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لايأتى منه خير فسيروا فى الأرض فانظروا مافعلت بالمكذبين حتى لاتبقى لكم شبهة وانى لا أقدر الشر ولا أشاؤه حيث أفعل ماأفعل بالاشرار انتهى وهو على طريقة الاعتزال ولما قال فهل على الرسل الا البلاغ المبين بين ذلك هنا بانه بعث الرسل بعبادته وتجنب عبادة غيره فنهم من اعتبر فهداه الله ومنهم من أعرض وكفر ثم أحالهم فى معرفة ذلك على السير فى الأرض واستقراء الأمم والوقوف على عذاب الكافرين المكذبين ثم خاطب نبيه وأعلمه أن من حتم عليه بالضلالة لايجدى فيه الحرص على هدايته * وقرأ النخعى وان بزيادة واو وهو والحسن وأبو حيوة تحرص بفتح الراء مضارع حرص بكسرها وهى لغة * وقرأ الجمهور بالكسر مضارع حرص بالفتح وهى لغة الحجاز * وقرأ الحرميان والعربيان والحسن والأعرج ومجاهد وشيبة وشبل ومزاحم الخراسانى والعطاردى وابن سيرين لايهدى مبنيا للمفعول ومن مفعول لم يسم فاعله والفاعل فى يضل ضمير الله والعائد على من محذوف تقديره من يضله الله * وقرأ الكوفيون وابن مسعود وابن المسيب وجماعة يهدى مبنيا للفاعل والظاهر ان فى يهدى ضميرا يعود على الله ومن مفعول وعلى ماحكى الفراء ان هدى يأتى بمعنى اهتدى يكون لازما والفاعل من أى لايهتدى من يضله الله * وقرأت فرقة منهم عبد الله لايهدى بفتح الياء وكسر الهاء والدال كذا قال ابن عطية ويعنى وتشديد الدال وأصله يهتدى فأدغم كقولك فى يختصم يخصم * وقرأت فرقة يهدى بضم الياء وكسر الدال * قال ابن عطية وهى ضعيفة انتهى واذا ثبت ان هدى لازم بمعنى اهتدى لم تكن ضعيفة لانه أدخل على اللازم همزة التعدية فالمعنى لايجعل مهتديا من أضله وفى مصحف أبى لاهادى لمن أضل * وقال الزمخشرى وفى قراءة أبى فان الله لاهادى لمن يضل ولمن أضل * وقرئ يضل بفتح الياء وقال أيضا حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمان قريش وعرفه أنهم من قسم من حقت عليه الضلالة وانه لايهدى من يضل أى لايلطف بمن يخذل لانه عبث والله تعالى متعال عن العبث لانه من قبيل القبائح التى لاتجوز عليه انتهى وهو على طريقة الاعتزال والضمير فى لهم عائد على معنى من والضمير فى وأقسموا عائد على كفار قريش وعن أبى العالية نزلت فى رجل من المسلمين تقاضى دينا على رجل من المشركين فكان فيما تكلم به المسلم الذى ادخره بعد الموت فقال المشرك وأنكر انك تبعث بعد الموت واقسم بالله لايبعث الله من يموت بلى رد عليه مانفاه وأكده بالقسم والتقدير بلى يبعثه وانتصب وعدا وحقا على انهما مصدران مؤكدان لما دل عليه بلى من تقدير المحذوف الذى هو يبعثه * وقال الحوفى حقا نعت لوعدا * وقرأ الضحاك بلى وعد وحق والتقدير بعثهم وعد عليه حق وحق صفة لوعد * وقال الزمخشرى وأقسموا بالله معطوف على وقال الذين أشركوا ايذانا بانهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بأن تحكيا وتدونا توريك ذنوبهم على مشيئة الله وانكارهم البعث مقسمين عليه وبين ان الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه ولكن أكثر الناس لايعلمون انهم يبعثون أو انه وعد واجب على الله لانهم

لم تكن ضعيفة لأنه أدخل على اللازمة همزة التعدية والمعنى لايحصل مهتديا من أصله والضمير فى لهم عائد على معنى من والضمير فى وأقسموا عائد على كفار قريش ﴿جهد أيمانهم﴾ تقدم الكلام عليه فى الانعام وانتصب وعدا وحقا على أنهما مصدران مؤكدان لما دل عليه بلى من تقدير المحذوف الذى هو يبعثه ليبين لهم اللام فى ليبين متعلقة بالفعل المقدر بعد بلى أى يبعثهم ليبين لهم كما تقول الرجل ما ضربت أحدا فتقول بلى زيدا أى ضربت زيدا ويعود الضمير فى يبعثهم المقدر وفى لهم على معنى من فى قوله من يموت وهو شامل للمؤمنين والكفار والذين اختلفوا فيه هو الحق وأنهم كانوا كاذبين فيما اعتقدوا من جعل آلهة مع الله تعالى وانكار النبوات وانكار البعث وغير ذلك مما أمروا به وبين لهم أنه دين الله فكذبوا به وكذبوا فى نسبة أشياء اليه تعالى

(الدر)

(ع) وقرأت فرقة يهدى بضم الياء وكسر الدال وهى ضعيفة انتهى (ح) حكى الفراء أن هدى يأتى بمعنى اهتدى لازما واذا ثبت أن هدى لازم بمعنى اهتدى كما حكاه الفراء لم تكن ضعيفة لانه أدخل على اللازم همزة التعدية فالمعنى لايجعل مهتديا من أضله

﴿ انما قولنا لشئ اذا أردناه ﴾ الآية لما تقدم انكارهم البعث وأكدوا ذلك بالحلف بالله الذى أوجدهم ورد عليهم بقوله بلى وذكر حقيته وعده بذلك أوضح أنه تعالى متى تعلقت ارادته بوجود شئ أوجده وقد أقروا بأنه تعالى خالق هذا العالم سمائه وأرضه وأن ايجاده لذلك لم يتوقف على سبق مادة ولا آلة فكما قدر على الايجاد ابتداء وجب أن يكون قادرا على الاعادة وتقدم الكلام فى قوله كن فى البقرة والظاهر أن اللام فى لشئ وفى له هى للتبليغ كقولك قلت لزيد قم * قال ابن عطية اذا أردناه تنزل منزلة مراد ولكنه أتى بهذه الألفاظ المستأنفة بحسب أن الموجودات تجئ وتظهر شيئا بعد شئ فكأنه قال اذا ظهر المراد فيه وعلى هذا الوجه يخرج قوله فسيرى الله عملكم ورسوله وقوله ليعلم (٤٩١) الله الذين آمنوا منكم ونحو هذا معناه يقع منكم بارادة الله تعالى فى الأزل وعلمه وقوله أن نقول له كن فيكون تنزل منزلة المصدر كأنه قال قولنا ولكن أن مع الفعل تعطى استئنافا ليس فى المصدر فى أغلب أمرها وقد يجئ فى مواضع لا يلحظ فيها الزمن كهذه الآية وكقوله تعالى ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره وغير ذلك انتهى قوله ولكن أن مع الفعل يعنى الفعل المضارع وقوله فى أغلب أمرها ليس بجيد بل يدل على المستقبل فى جميع أمورها وأما قوله فقد يجئ الى آخره فلم يفهم ذلك من دلالة أن وانما ذلك من نسبة قيام السماء والأرض بأمر الله لان هذا لا يختص بالمستقبل دون الماضى فى حقه تعالى ونظيره ان الله كان على كل شئ قديرا وكان تدل على اقتران الجملة بالزمن الماضى وهو تعالى متصف بهذا الوصف ماضيا وحالا ومستقبلا وتقييد الفعل بالزمن لا يدل على نفيه بغير ذلك الزمن ﴿ والذين هاجروا فى الله ﴾ عام فى المهاجرين كائنا ما كانوا فيشمل أولهم وآخرهم ﴿ من بعد ما ظلموا ﴾ كخباب بن الارت والخرجين الى أرض الحبشة والظاهر انتصاب حسنة على أنه نعت لمصدر محذوف يدل عليه الفعل أى تبوئة حسنة وقيل انتصاب حسنة على المصدر على غير الصدر لان معنى لنبوئنهم فى الدنيا أى لنحسنن إليهم فحسنة فى معنى احسانا والضمير فى يعلمون عائد على المؤمنين أى لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم والذين صبروا على تقديرهم الذين أو أعنى الذين صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن لاسيما حرم الله تعالى المحبوب لكل قلب مؤمن فكيف لمن كان مسقط

يقولون لا يجب على الله شئ لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة انتهى وهو على طريقة الاعتزال وأكثر الناس هم الكفار المكذبون بالبعث وأما قول الشيعة ان الاشارة بهذه الآية انما هى لعلى بن أبى طالب وأن الله سيبعثه فى الدنيا فسخافة من القول والقول بالرجعة باطل وافتراء على الله على عادتهم رده ابن عباس وغيره واللام فى ليبين متعلقة بالفعل المقدر بعد بلى أى نبعثهم ليبين لهم كما يقول الرجل ما ضربت أحدا فيقول بلى زيدا أى ضربت زيدا ويعود الضمير فى يبعثهم المقدر وفى لهم على معنى من فى قوله من يموت وهو شامل للمؤمنين والكفار والذى اختلفوا فيه هو الحق وانهم كانوا كاذبين فيما اعتقدوا من جعل آلهة مع الله وانكار النبوات وانكار البعث وغير ذلك مما أمروا به وبين لهم انه دين الله فكذبوا به وكذبوا فى نسبة أشياء الى الله تعالى * وقال الزمخشرى انهم كذبوا فى قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ وفى قولهم لا يبعث الله من يموت انتهى وفى قولهم دسيسة الاعتزال * وقيل تتعلق ليبين بقوله ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أى ليظهر لهم اختلافهم وان الكفار كانوا على ضلالة من قبل بعث ذلك الرسول كاذبون فى رد ما يجئ به الرسل ﴿ انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون * والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون * الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ لما تقدم انكارهم البعث وأكدوا ذلك بالحلف بالله الذى أوجدهم ورد عليهم تعالى بقوله بلى وذكر حقية وعده بذلك أوضح أنه تعالى متى تعلقت ارادته بوجود شئ أوجده وقد أقروا بأنه تعالى خالق هذا العالم سمائه وأرضه وأن ايجاده ذلك لم يوقف على سبق مادة ولا آلة فكما قدر على الايجاد ابتداء وجب أن يكون قادرا على الاعادة وتقدم تفسير قوله تعالى كن فيكون فى البقرة فأغنى عن اعادته والظاهر أن اللام فى لشئ وفى له للتبليغ كقولك قلت لزيد قم * وقال الزجاج هى لام السبب أى لأجل ايجاد شئ وكذلك له أى لأجله * قال ابن عطية وما فى ألفاظ هذه الآية من معنى الاستقبال والاستئناف انما هو راجع الى المراد لا الى الارادة وذلك ان الأشياء المرادة المكونة فى وجودها استئناف واستقبال لا فى ارادة ذلك ولا فى الأمر به لان ذينك قديمان فمن أجل المراد عبر باذا ونقول وأما قوله لشئ فيحتمل وجهين * أحدهما انه لما كان وجوده حتما جاز أن يسمى شيأ وهو فى حالة عدم * والثانى أن قوله لشئ تنبيه على الأمثلة التى ينظر فيها وان ما كان

منها موجودا كان مرادا وقيل له كن فكان فصار مثالا لما يتأخر من الأمور بما تقدم وفى هذا مخلص من تسمية المعدوم شيأ انتهى وفيه بعض تلخيص * وقال اذا أردناه منزل منزلة مراد ولكنه أتى بهذه الألفاظ المستأنفة بحسب ان الموجودات تجىء وتظهر شيأ بعد شئ فكأنه قال اذا ظهر المراد فيه وعلى هذا الوجه يخرج قوله فسيرى الله عملكم وقوله ليعلم الذين آمنوا منكم ونحو هذا معناه يقع منكم ما أراد الله تعالى فى الأزل وعلمه وقوله أن نقول ينزل منزلة المصدر كأنه قال قولنا ولكن أن مع الفعل تعطى استئنافا ليس فى المصدر فى أغلب أمرها وقد تجىء فى مواضع لا يلحظ فيها الزمن كهذه الآية وكقوله تعالى ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره وغير ذلك انتهى وقوله ولكن ان مع الفعل يعنى المضارع وقوله فى أغلب أمرها ليس بجيد بل تدل على المستقبل فى جميع أمورها وأما قوله وقد تجىء الى آخره فلم يفهم ذلك من دلالة أن وانما ذلك من نسبة قيام السماء والأرض بأمر الله لان هذا لا يختص بالمستقبل دون الماضى فى حقه تعالى ونظيره ان الله كان على كل شئ قديرا فكان تدل على اقتران مضمون الجملة بالزمن الماضى وهو تعالى متصف بهذا الوصف ماضيا وحالا ومستقبلا وتقييد الفعل بالزمن لا يدل على نفيه عن غير ذلك الزمن * والذين هاجروا قال قتادة نزلت فى مهاجرى أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم * وقال داود بن أبى هند فى أبى جندل بن سهيل بن عمرو وعن ابن عباس فى صهيب و بلال وخباب بن الأرت وأضرابهم عذبهم المشركون بمكة فبوأهم الله المدينة وعلى هذا الاختلاف فى السبب يتنزل المراد بقوله والذين هاجروا * قال ابن عطية لما ذكر الله كفار مكة الذين أقسموا ان الله لا يبعث من يموت ورد على قولهم ذكر مؤمنى مكة المعاصرين لهم وهم الذين هاجروا الى أرض الحبشة هذا قول الجمهور وهو الصحيح فى سبب الآية لان هجرة المدينة ما كانت الا بعد وقت نزول الآية انتهى والذين هاجروا عموم فى المهاجرين كائنا ما كانوا فيشمل أولهم وآخرهم * وقرأ الجمهور لنبوأنهم والظاهر انتصاب حسنة على أنه نعت لمصدر محذوف يدل عليه الفعل أى تبوئة حسنة * وقيل انتصاب حسنة على المصدر على غير الصدر لان معنى لنبوأنهم فى الدنيا لنحسنن اليهم فحسنة فى معنى احسانا * وقال أبو البقاء حسنة مفعول ثان لنبوأنهم لان معناه لنعطينهم ويجوز أن يكون صفة لمحذوف أى دارا حسنة انتهى * وقال الحسن والشعبى وقتادة دارا حسنة وهى المدينة * وقيل التقدير منزلة حسنة وهى الغلبة على أهل مكة الذين ظلموا وعلى العرب قاطبة وعلى أهل المشرق والمغرب * وقال مجاهد الرزق الحسن * وقال الضحاك النصر على عدوهم * وقيل ما استولوا عليه من فتوح البلاد وصار لهم فيها من الولايات * وقيل ما بقى لهم فيها من الثناء وما صار فيها لأولادهم من الشرف * وقيل الحسنة كل شئ مستحسن ناله المهاجرون * وقرأ على وعبد الله ونعيم ابن ميسرة والربيع بن خيثم لنثوينهم بالثاء المثلثة مضارع أثوى المنقول بهمزة التعدية من ثوى بالمكان أقام فيه وانتصب حسنة على تقدير إثواة حسنة أو على نزع الخافض أى فى حسنة أى دار حسنة أو منزلة حسنة ودل هذا الاخبار بالمؤكد بالقسم على عظيم محل الهجرة لانه بسببها ظهرت قوة الاسلام كما ان بنصرة الأنصار قويت شوكته وفى الله دليل على اخلاص العمل لله ومن هاجر لغير الله هجرته لما هاجر اليه وفى الاخبار عن الذين بجملة القسم المحذوفة الدال عليها الجملة المقسم

(الدر)

(ع) اذا أردناه تنزل منزلة مراد ولكنه أتى بهذه الالفاظ المستأنفة بحسب ان الموجودات تجىء وتظهر شيأ بعد شئ فكأنه قال اذا ظهر المراد فيه وعلى هذا الوجه يخرج قوله فسيرى الله عملكم ورسوله وقوله ليعلم الله الذين آمنوا منكم ونحو هذا معناه يقع منكم بارادة الله فى الأزل وعلمه وقوله أن نقول تنزل منزلة المصدر كأنه قال قولنا الشئ ولكن أن مع الفعل تعطى استئنافا ليس فى المصدر فى أغلب أمرها وقد تجىء فى مواضع لا يلحظ فيها الزمن كهذه الآية وكقوله تعالى ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره وغير ذلك (ح) ولكن أن مع الفعل يعنى المضارع وقوله فى أغلب أمرها ليس بجيد بل تدل على المستقبل فى جميع أمرها وأما قوله وقد يجىء الى آخره فلم يفهم ذلك من دلالة أن وانما ذلك من نسبة قيام السماء والارض بأمر الله لان هذا لا يختص بالمستقبل دون الماضى فى حقه تعالى ونظيره ان الله كان على كل شئ قديرا فكان تدل على اقتران مضمون الجملة بالزمن الماضى وهو تعالى متصف بهذا الوصف ماضيا وحالا ومستقبلا وتقييد الفعل بالزمن لا يدل على نفيه عن غير ذلك الزمن

﴿ وما أرسلنا من قبلك ﴾ الآية نزلت الى ما يؤمرون فى مشركى مكة أنكروا نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا الله أعظم أن يكون رسوله بشرا فهلا بعث إلينا ملكا وتقدم تفسير هذه الجملة فى أواخر سورة يوسف والمعنى يوحى إليهم على ألسنة الملائكة والأجود أن يتعلق قوله بالبينات بمضمر يدل عليه ما قبله كانه قيل بم أرسلوا فقال أرسلناهم بالبينات والزبر فتكون على كلامين قال الزمخشرى يتعلق بما أرسلنا قوله بالبينات داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا أى وما أرسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط لأن أصله ضربت زيدا بالسوط انتهى هذا قاله الحوفى وقال أبو البقاء وفيه ضعف لأن ما قبل إلا لا يعمل فيما بعدها اذا تم الكلام على الا وما يليها إلا أنه قد جاء فى الشعر قول الشاعر ليتهم عذبوا بالنار جارهم * ولا يعذب إلا الله بالنار * انتهى وهذا الذى أجازه الحوفى والزمخشرى لا يجوز على مذهب جمهور البصريين لانهم لا يجيزون أن يقع بعد الا إلا مستثنى أو مستثنى منه أو تابع وما ظن من غير الثلاثة معمولا لما قبل إلا قدر له عامل ﴿ وأنزلنا اليك الذكر ﴾ هو القرآن وقيل له ذكر لأنه موعظة وتنبيه للغافلين ويحتمل أن يريد لتبين بتفسير لك المجمل وشرحك ما أشكل فيدخل فى هذا ما بينته السنة من أمر الشريعة ﴿ ولعلهم يتفكرون ﴾ أى إرادة أن يصغوا إلى تنبيهاته فيتنبهوا ويتأملوا والسيئات نعت لمصدر محذوف أى المكرات السيئات والذين مكروا فى قول الاكثرين هم أهل مكة مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم والخسف بلع الارض المخسوف به وقعودها به الى أسفل وذكر النقاش أنه وقع الخسف فى هذه الأمة بهم الأرض كما فعل بقارون وذكر لنا أن اخلاطا من بلاد الروم خسف بها وحين أحس أهلها بذلك فر أكثرهم وأن بعض التجار ممن كان يرد إليها رأى ذلك من بعيد فرجع بتجارته ﴿ من حيث لا يشعرون ﴾ من الجهة التى لا شعور لهم بمجىء العذاب منها كما فعل بقوم لوط ﴿ فى تقلبهم ﴾ فى أسفارهم والاخذ هنا الاهلاك كقوله تعالى فكلا أخذنا بذنبه وعلى تخوف على نقص قاله ابن عباس وقال ابن بحر ضد البغتة أى على حدوث حالات يخاف منها كالرياح والزلازل والصواعق ولهذا ختم بقوله

عليها دليل على صحة وقوع الجملة القسمية خبرا للمبتدا خلافا لثعلب وأجاز أبو البقاء أن يكون الذين منصوبا بفعل محذوف يدل عليه لنبوأنهم وهو لا يجوز لانه لا يفسر الا ما يجوز له أن يعمل ولا يجوز زيدا لأضربنه فلا يجوز زيدا لأضربنه * وعن عمر رضى الله عنه انه كان اذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاءه قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك فى الدنيا وما ادخر لك فى الآخرة أكثر ولأجر الآخرة أى ولأجر الدار الآخرة أكبر أى أكبر أن يعلمه أحد قبل مشاهدته كما قال واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا والضمير فى يعلمون عائد على الكفار أى لو كانوا يعلمون ان الله يجمع لهؤلاء المستضعفين فى أيديهم الدنيا والآخرة لرغبوا فى دينهم * وقيل يعود على المؤمنين أى لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم والذين صبروا على تقديرهم الذين أو أعنى الذين صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن لا سيما حرم الله المحبوب لكل قلب مؤمن فكيف لمن كان مسقط رأسه وعلى بذل الروح فى ذات الله واحتمال الغربة فى دار لم ينشأ بها وناس لم يألفهم أجانب حتى فى النسب ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون * بالبينات والزبر وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون * أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين * أو يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم ﴾ نزلت فى مشركى مكة أنكروا نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام وقالوا الله أعظم أن يكون رسوله بشرا فهلا بعث الينا ملكا وتقدم تفسير هذه الجملة فى آخر يوسف والمعنى نوحى اليهم على ألسنة الملائكة * وقرأ الجمهور يوحى بالياء وفتح الحاء وقرأت فرقة بالياء وكسرها وعبد الله والسلمى وطلحة وحفص بالنون وكسرها وأهل الذكر اليهود والنصارى قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وعن مجاهد أيضا اليهود والذكر التوراة لقوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر وعن عبد الله بن سلام وسلمان * وقال الاعمش وابن عيينة من أسلم من اليهود والنصارى * وقال الزجاج عام فيمن يعزى اليه علم * وقال أبو جعفر وابن زيد أهل القرآن ويضعف هذا القول وقول من قال من أسلم من الفريقين لأنه لا حجة على الكفار فى اخبار المؤمنين لأنهم مكذبون لهم * قال ابن عطية والاظهر انهم اليهود والنصارى الذين لم

(الدر) (ح) أجاز أبو البقاء أن يكون الذين منصوبا بفعل محذوف يدل عليه لنبوئنهم وهذا لا يجوز لأنه لا يفسر الا ما يجوز له أن يعمل ولا يجوز أن يقول زيدا لاضرب فلا يجوز أن تقول زيدا لاضربنه لما ذكرناه

يسألوهم فى هذه الآية النازلة انما يخبرون من الرسل عن البشر واخبارهم حجة على هؤلاء فانهم لم يزالوا مصدقين لهم ولا يتهمون بشهادة لهم لنا لأنهم مدافعون فى صدر ملة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا هو كسر حجتهم ومذهبهم لا انا افتقرنا الى شهادة هؤلاء بل الحق واضح فى نفسه وقد أرسلت قريش الى يهود يثرب يسألونهم ويسندون اليهم انتهى والاجود أن يتعلق قوله بالبينات بمضمر يدل عليه ماقبله كأنه قيل بم أرسلوا فقال أرسلناهم بالبينات والزبر فيكون على كلامين وقاله الزمخشرى وابن عطية وغيرهما وقد يتعلق بقوله وما أرسلنا وهذا فيه وجهان أحدهما ان النية فيه التقديم قبل أداة الاستثناء والتقدير وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر الارجالا حتى لا يكون مابعد الا معمولين متأخرين لفظا ورتبة داخلين تحت الحصر لما قبلها وهذا حكاه ابن عطية عن فرقة والوجه الثانى ان لا ينوى به التقديم بل وقعا بعد الا فى نية الحصر وهذا قاله الحوفى والزمخشرى وبدأ به قال تتعلق بما أرسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا أى وما أرسلنا الارجالا بالبينات كقولك ماضربت الا زيدا بالسوط لأن أصله ضربت زيدا بالسوط انتهى * وقال أبو البقاء وفيه ضعف لأن ماقبل الا لا يعمل فيما بعدها اذا تم الكلام على الا وما يليها الا أنه قد جاء فى الشعر * قال الشاعر

ليتهم عذبوا بالنار جارهم * ولا يعذب الا الله بالنار

انتهى وهذا الذى أجازه الحوفى والزمخشرى لا يجوز على مذهب جمهور البصريين لأنهم لا يجيزون أن يقع بعد الا الامستثنى أو مستثنى منه أو تابعا وماظن من غير الثلاثة معمولا لما قبل الا قدر له عامل وأجاز الكسائى أن تقع معمولا لما قبلها منصوب نحو ماضرب الا زيد عمرا ومخفوض نحو مامر الا زيد بعمرو ومرفوع نحو ماضرب الا زيدا عمرو ووافقه ابن الانبارى فى المرفوع والاخفش فى الظرف والجار والحال فالقول الذى قاله الحوفى والزمخشرى يتمشى على مذهب الكسائى والاخفش ودلائل هذه المذاهب مذكورة فى علم النحو وأجاز الزمخشرى أن يكون صفة لرجال أى رجالا ملتبسين بالبينات فيتعلق بمحذوف وهذا وجه سائغ لأنه فى موضع صفة لما بعد الا فوصف رجالا بيوحى اليهم وبذلك العامل فى بالبينات كما تقول ما أكرمت الا رجلا مسلما ملتبسا بالخير وأجاز أيضا أن يتعلق بيوحى اليهم وان يتعلق بلا يعلمون قال على أن الشرط فى معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطنى حقى وقوله فاسألوا أهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة يعنى من التى ذكر غير الوجه الاخير وأنزلنا اليك الذكر هو القرآن وقيل له ذكر لأنه موعظة وتنبيه للغافلين * وقيل الذكر العلم ما نزل اليهم من المشكل والمتشابه لأن النص والظاهر لا يحتاجان الى بيان * وقال الزمخشرى مما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا وأوعدوا * وقال ابن عطية لتبين بسردك بنص القرآن ما نزل اليهم ويحتمل أن يريد لتبين بتفسيرك المجمل وشرحك ما أشكل فيدخل فى هذا ما تبينه السنة من أمر الشريعة وهذا قول مجاهد انتهى ولعلهم يتفكرون أى وارادة أن يصغوا الى تنبيهاته فيتنبهوا ويتأملوا والسيئات نعت لمصدر محذوف أى المكرات السيئات قاله الزمخشرى أو مفعول بمكروا على تضمين مكروا معنى فعلوا وعملوا والسيئات على هذا معاصى الكفر وغيره قاله قتادة أو مفعول بامن ويعنى به العقوبات التى تسوءهم ذكرهما ابن عطية وعلى هذا الاخير يكون أن يخسف بدلا من السيئات وعلى القولين قبله مفعول بامن والذين مكروا فى قول الاكثرين هم أهل مكة مكروا بالرسول صلى الله عليه وسلم * وقال مجاهد هو نمرود والخسف بلع الارض المخسوف به وقعودها به الى أسفل وذكر النقاش انه وقع الخسف فى هذه الامة بهم الارض

تعالى إن ربكم لرؤوف رحيم لان فى ذلك مهلة وامتداد وقت فيمكن فيه التلافى

(الدر)

(ش) يتعلق بما أرسلنا يعنى قوله بالبينات داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا أى وما أرسلنا الارجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط لان أصله ضربت زيدا بالسوط انتهى (ح) هذا قاله الحوفى وقال أبو البقاء وفيه ضعف لان ماقبل الا لا يعمل فيما بعدها اذا تم الكلام على الا وما يليها الا أنه قد جاء فى الشعر قوله

ليتهم عذبوا بالنار جارهم
ولا يعذب الا الله بالنار

انتهى وهذا الذى أجازه الحوفى (وش) لا يجوز على مذهب جمهور البصريين لانهم لا يجيزون أن يقع بعد الا الامستثنى أو مستثنى منه أو تابع وما ظن من غير الثلاثة معمولا لماقبل الا قدر له عامل

﴿أولم يروا الى ماخلق الله من شئ﴾ الآية لماذكر تعالى قدرته على تعذيب الماكرين واهلاكهم بانواع من الاخذ ذكر تعالى طواعية ماخلق من غيرهم وخضوعهم ضد حال الماكرين لينبهم على أنه ينبغى بل يجب عليهم أن يكونوا طائعين منقادين لامره تعالى والاستفهام هنا معناه التوبيخ والجملة من قوله يتفيأ فى موضع الصفة لشئ وما موصولة والعائد محذوف تقديره خلقه ومن شئ تبيين لما انبهم فى لفظ ما ويتفيؤ يتفعل من الفئ وهو الرجوع يقال فاء الظل يفئ فيأ رجع وعاد بعد مانسخه ضياء الشمس وفاء اذا عدى فبالهمزة كقوله تعالى ما أفاء الله على رسوله أو بالتضعيف نحو فيأ الله الظل فتفيأ وتفيأ من باب المطاوعة فهو لازم وقد استعمله أبو تمام متعديا قال * طلبت ربيع ربيعة المهمى لها * وتفيأت ظلالها ممدودا * ويحتاج ذلك الى نقله من كلام العرب متعديا ويمين الفلك هو المشرق وشماله هو المغرب وخص هذان الاسمان بهذين الجانبين وقال شيخنا الاستاذ أبو الحسن على بن محمد بن يوسف الكتامى المعروف بابن الصائغ أفرد وجمع بالنظر الى الغايتين لان ظل الغداة يضمحل حتى لايبقى منه الا اليسير فكانه فى جهة واحدة وهو بالعشى على العكس لاستيلائه على جميع الجهات فلحظت الغايتان فى الآية هذا من جهة المعنى وفيه من جهة اللفظ المطابقة لان سجدا جمع فطابقه جمع الشمائل لاتصاله به فحصل فى الآية مطابقة اللفظ للمعنى ولحظهما معا وتلك الغاية فى الاعجاز انتهى والظاهر حمل الظلال على حقيقتها وعلى ذلك وقع كلام أكثر المفسرين وقالوا اذا طلعت الشمس وأنت متوجهة الى القبلة كان الظل قدامك فاذا ارتفعت كان على يمينك فاذا كان بعد ذلك كان خلفك فاذا أردت الغروب كان عن يسارك قال الزمخشرى سجدا حال من الظلال ﴿وهم داخرون﴾ حال من الضمير فى ظلاله وما أجازه الزمخشرى من أن وهم داخرون حال من الضمير فى ظلاله فعلى مذهب جمهور البصريين لايجوز وهى مسئلة جاءنى غلام هند ضاحكة فلا يجوز جاءنى ضاحكة غلام هند ولما كان سجود الظلال فى غاية الظهور بدئ به ثم انتقل الى سجود ما فى السموات والأرض قال الزمخشرى * فان قلت فهلا جئ بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم * قلت لأنه لو جئ بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء

كما فعل بقارون وذكر لنا أن اخلاط من بلاد الروم خسف بها وحين أحس أهلها بذلك فر أكثرهم وان بعض التجار ممن كان يرد البهار أى ذلك من بعيد فرجع بتجارته من حيث لا يشعرون من الجهة التى لاشعور لهم بمجئ العذاب منها كما فعل بقوم لوط فى تقلبهم فى أسفارهم قاله قتادة أو فى منامهم روى هذا وماقبله عن ابن عباس * وقال الضحاك وابن جريج ومقاتل فى ليلهم ونهارهم أى حالة ذهابهم ومجيئهم فيهما * وقيل فى تقلبهم فى مكرهم وحيلهم فيأخذهم قبل تمام ذلك * وقال الزجاج جميع مايتقلبون فيه فما هم بسابقين الله ولا فائتيه والاخذ هنا الاهلاك كقوله فكلا أخذنا بذنبه وعلى تخوف على تنقص قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك * وقال ابن قتيبة يقال خوفته وتخوفته اذا تنقصته وأخذت من ماله وجسمه * وقال الهيثم بن عدى هو النقص بلغة أزدشنوءة وفى حديث لعمر انه سأل عن التخوف فأجابه شيخ بأنه التنقص فى لغة هذيل * وأنشده قول أبى كثير الهذلى

تخوف الرجل منها تامكا قردا * كما تخوف عود النبعة السفر

وهذا التخوف بمعنى التنقص * قيل من أعماله * وقيل يأخذوا حدا بعد واحد وروى عن ابن عباس * وقال الزجاج بنقص ثمارهم وأموالهم حتى يهلكهم * وقيل على تخوف على خوف أن يعاقبهم أو يتجاوز عنهم قاله قتادة * وقال الزمخشرى على تخوف متخوفين وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لايشعرون انتهى وقاله الضحاك يأخذ قرية فتخاف القرية الاخرى * وقال ابن بحر على تخوف ضد البغتة أى على حدوث حالات يخاف منها كالرياح والزلازل والصواعق ولهذا ختم بقوله تعالى ان ربكم لرؤف رحيم لأن فى ذلك مهلة وامتداد وقت فيمكن فيه التلافى * وقال الليث بن سعد على تخوف على عجل * وقيل على تقريع بما قدموه وهذا مروى عن ابن عباس ولما كان تعالى قادرا على هذه الامور ولم يعاجلهم بها ناسب وصفه بالرأفة والرحمة ﴿أولم يروا الى ماخلق الله من شئ يتفيؤ اظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون * ولله يسجد مافى السموات ومافى الارض من دابة والملائكة وهم لايستكبرون * يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون﴾ لماذكر تعالى قدرته على تعذيب الماكرين واهلاكهم بأنواع من الاخذ ذكر تعالى طواعية ماخلق من غيرهم وخضوعه ضد حال الماكرين لينبههم على انه ينبغى بل يجب عليهم أن يكونوا طائعين منقادين لأمره * وقرأ السلمى والاعرج

يجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم انتهى ظاهره تسليم أن من قد يشمل العقلاء وغيرهم على جهة التغليب وظاهر الجواب تخصيص من بالعقلاء وأن الصالح للعقلاء وغيرهم ما دون من وهذا ليس بجواب لأنه أورد السؤال على التسليم ثم ذكر الجواب على غير التسليم فصار المعنى أن من يغلب بها

والجواب لا يغلب بها وهذا في الحقيقة ليس بجواب

ومن دابة يجوز أن يكون بيانا لما في الظرفين ويكون في السموات خلق يدبون ويجوز أن يكون بيانا لما في الأرض ولهذا قال ابن عباس يريد كل ما دب على الأرض وعطفوا الملائكة على ما في السموات وما في الأرض وهم مندرجون في عموم ما تشريفا لهم وتكريما والظاهر أن الضمير في قوله يخافون عائد على المنسوب اليهم السجود في ولله يسجد والفوقية المكانية مستحيلة بالنسبة اليه تعالى فان علقته بيخافون كان على حذف مضاف أي يخافون عذابه كائنا من فوقهم لأن العذاب انما ينزل من فوق وان علقته بربهم كان حالا منه أي يخافون ربهم قاهرا غالبا كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده والجملة من يخافون يجوز أن تكون حالا من الضمير في لا يستكبرون ويفعلون ما يؤمرون أما المؤمنون فبحسب الشرع والظاهر وأما غيرهم من الحيوان فبالتسخير والقدر الذي يسوقهم الى ما نفذ من أمر الله

والاخوان أولم يروا بتاء الخطاب اما على العموم للخلق استؤنف به الاخبار واما على معنى قل لهم إذا كان خطابا خاصا * وقرأ باقي السبعة بالياء على الغيبة واحتمل أيضا أن يعود الضمير على الذين مكروا واحتمل أن يكون اخبارا عن المكلفين والاول أظهر لتقدم ذكرهم * وقرأ أبو عمرو وعيسى ويعقوب تتفيؤا بالتاء على التأنيث وباقي السبعة بالياء * وقرأ الجمهور ظلاله جمع ظل * وقرأ عيسى ظلله جمع ظلة كحلة وحلل والرؤية هنا رؤية القلب التي يقع بها الاعتبار ولكنها بواسطة رؤية العين * قيل والاستفهام هنا معناه التوبيخ * قيل ويجوز أن يكون معناه التعجب والتقدير تعجبوا من اتخاذهم مع الله شريكا وقد رأوا هذه المصنوعات التي أظهر بعجائب قدرته وغرائب صنعه مع علمهم بان آلهتهم التي اتخذوها شركاء لا تقدر على شيء البتة والجملة من قوله تتفيؤا في موضع الصفة قاله الحوفي وهو ظاهر قول ابن عطية والزمخشري * قال ابن عطية من شيء لفظ عام في كل ما اقتضته الصفة في قوله تتفيؤ ظلاله لان ذلك صفة لما عرض للعبرة في جميع الاشخاص التي لها ظل * وقال الزمخشري وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شيء تتفيؤ ظلاله وقال غير هؤلاء المعنى من شيء له ظل من جبل وشجر وبناء وجسم قائم وقوله تتفيؤ ظلاله اخبار عن قوله من شيء وصف له وهذا الاخبار يدل على ذلك الوصف المحذوف الذي هو له ظل وتتفيؤ تتفعل من الفيء وهو الرجوع يقال فاء الظل يفيء فيأ رجع وعاد بعد ما نسخه ضياء الشمس وفاء اذا عدى فبالهمزة كقوله ما أفاء الله على رسوله أو بالتضعيف نحو فيأ الله الظل فتفيأ وتفيأ من باب المطاوعة وهو لازم وقد استعمله أبو تمام متعديا قال

طلبت ربيع ربيعة الممهى لها * وتفيأت ظلالها ممدودا

ويحتاج ذلك الى نقله من كلام العرب متعديا * قال الازهري تفيؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالتفيؤ لا يكون الا بالعشي وما انصرفت عنه الشمس والظل ما يكون بالغداة وهو ما لم تنله

﴿ وقال الشاعر ﴾

فلا الظل من برد الضحى تستطيعه * ولا الفيء من برد العشي تذوق

﴿ وقال امرؤ القيس ﴾

تيممت العين التي عند ضارج * يفيء عليها الظل عرمضها طام

وعن رؤبة ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء وظل وما لم تكن عليه فهو ظل وذلك ان الشمس من طلوعها الى وقت الزوال تنسخ الظل فاذا زالت رجع ولا يزال ينمو الى أن تغيب والمشهور ان الفيء لا يكون الا بعد الزوال والاعتبار في هذه الآية من أول النهار الى آخره فمعنى تتفيؤ تتنقل وتميل وأضاف الظلال وهي جمع الى ضمير مفرد لانه ضمير ما وهو جمع من حيث المعنى لقوله لتستووا على ظهوره * وقال صاحب اللوامح في قراءة عيسى ظلله وظله الغيم وهو جسم وبالكسر الفيء وهو عرض في العامة فرأى عيسى ان التفيؤ الذي هو الرجوع بالاجسام أولى

(الدر) (ح) تفيأ من باب المطاوعة فهو لازم وقد استعمله أبو تمام متعديا فقال
طلبت ربيع ربيعة الممهى لها * وتفيأت ظلالها ممدودا * ويحتاج ذلك الى نقله عن العرب متعديا

وأما في العامة فعلى الاستعارة انتهى قالوا في قوله عن اليمين والشمائل بحثان أحدهما ما المراد بذلك والثاني ما الحكمة في افراد اليمين وجمع الشمائل أما الأول فقالوا يمين الفلك وهو المشرق وشماله هو المغرب وخص هذان الاسمان بهذين الجانبين لان أقوى جانبي الانسان يمينه ومنه تظهر الحركة الفلكية اليومية آخذة من المشرق الى المغرب لاجرم كان المشرق يمين الفلك والمغرب شماله فعلى هذا تقول الشمس عند طلوعها الى وقت انتهائها الى وسط الفلك يقع الظلال الى الجانب الغربي فان انحدرت من وسط الفلك عن الجانب الغربي وقعت الظلال في الجانب الشرقي فهذا المراد من تفيؤ الظلال من اليمين الى الشمال * وقيل البلدة التي عرضها أقل من مقدار الميل تكون الشمس في الصيف عن يمين البلدة فتقع الظلال على يمينهم * وقال الزمخشري المعنى أولم يروا الى ما خلق الله من الأجرام التي لها ظلال متفيئة عن أيمانها وشمائلها عن جانبي كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الانسان وشماله بجانبي الشئ أي ترجع الظلال من جانب الى جانب انتهى * وقال ابن عطية والمقصود العبرة في هذه الآية هو كل جرم له ظل كالجبال والشجر وغير ذلك والذي يترتب فيه أيمان وشمائل انما هو البشر فقط لكن ذكر الايمان والشمائل هنا على حسب الاستعارة لغير اللبس تقدره ذا يمين وشمال وتقدره بمستقبل أي جهة شئت ثم تنظر ظله فتراه يميل اما الى جهة اليمين واما الى جهة الشمال وذلك في كل اقطار الدنيا فهذا يعم ألفاظ الآية وفيه تجوز واتساع ومن ذهب الى أن اليمين من غدوة الزوال ويكون من الزوال الى المغيب عن الشمال وهو قول قتادة وابن جريج فانما يترتب فيما قدره مستقبل الجنوب انتهى * وأما الثاني فقال الزمخشري واليمين بمعنى الايمان لجعله وهو مفرد بمعنى الجمع فطابق الشمائل من حيث المعنى كما قال ويولون الدبر يريد الادبار * وقال الفراء كأنه اذا وجد ذهب الى واحد من ذوات الظلال واذا جمع ذهب الى كلها لان قوله ما خلق الله من شئ لفظه واحد ومعناه الجمع فعبر عن أحدهما بلفظ الواحد لقوله وجعل الظلمات والنور وقوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم * وقيل اذا فسرنا اليمين بالمشرق كانت النقطة التي هي مشرق الشمس واحدة بعينها فكانت اليمين واحدة وأما الشمائل فهي عبارة عن الانحرافات الواقعة في تلك الظلال بعد وقوعها على الارض وهي كثيرة فلذلك عبر عنها بصيغة الجمع * وقال الكرماني يحتمل أن يراد بالشمائل الشمال والقدام والخلف لان الظل يفيء من الجهات كلها فبدىء باليمين لان ابتداء التفيؤ منها أو تيمنا بذكرها ثم جمع الباقي على لفظ الشمال لما بين اليمين والشمال من التضاد وتنزل القدام والخلف منزلة الشمال لما بينهما وبين اليمين من الخلاف * وقيل وحد اليمين وجمع الشمائل لان الابتداء عن اليمين ثم ينقبض شيئا فشيئا حالا بعد حال فهو بمعنى الجمع فصدق على كل حال لفظة الشمال فتعدد بتعدد الحالات * وقال ابن عطية وما قال بعض الناس من أن اليمين أول وقعة للظل بعد الزوال ثم الآخر الى الغروب هي عن الشمائل وأفرد اليمين فتخليط من القول ومبطل من جهات * وقال ابن عباس اذا صليت الفجر كان ما بين مطلع الشمس الى مغربها ظلا ثم بعث الله عليه الشمس دليلا فقبض اليه الظل فعلى هذا تأول دورة الشمس بالظل عن يمين مستقبل الجنوب ثم يبدأ الانحراف فهو عن الشمائل لانه حركات كثيرة وظلال منقطعة فهي شمائل كثيرة فكان الظل عن اليمين متصلا واحدا عاما لكل شئ انتهى * وقال شيخنا الأستاذ أبو الحسن على بن محمد بن يوسف الكتامي المعروف بابن الصائغ أفرد وجمع بالنظر الى الغايتين لان ظل الغداة يضمحل حتى لا يبقى منه الا اليسير فكأنه في جهة واحدة وهو بالعشي على العكس

(الدر)

عن اليمين وعن الشمائل (ح) قال شيخنا أبو الحسن على ابن محمد بن يوسف الكتامي المعروف بابن الصائغ أفرد وجمع بالنظر الى الغايتين لان ظل الغداة يضمحل حتى لا يبقى منه الا اليسير فكأنه في جهة واحدة وهو بالعكس لاستيلائه على جميع الجهات فلحظت الغايتان في الآية هذا من جهة المعنى وفيه من جهة اللفظ المطابقة لان سجدا جمع فطابقه جمع الشمائل لاتصاله به فحصل في الآية مطابقة اللفظ للمعنى ولحظهما معا وهو الغاية في الاعجاز

لاستيلائه على جميع الجهات فلحظت الغايتان فى الآية هذا من جهة المعنى وفيه من جهة اللفظ المطابقة لان سجدا جمع فطابقه جمع الشمائل لاتصاله به فحصل فى الآية مطابقة اللفظ للمعنى ولحظهما معا وتلك الغاية فى الاعجاز انتهى والظاهر حمل الظلال على حقيقتها وعلى ذلك وقع كلام أكثر المفسرين وقالوا اذا طلعت الشمس وأنت متوجه الى القبلة كان الظل قدامك فاذا ارتفعت كان على يمينك فاذا كان بعد ذلك كان خلفك فاذا أرادت الغروب كان على يسارك وقالت فرقة الظلال هنا الاشخاص وهى المرادة نفسها والعرب تخبر أحيانا عن الاشخاص بالظلال * ومنه قول عبدة بن الطبيب اذا نزلنا نصبنا ظل أخبية * وفار للقوم باللحم المراجيل

وانما تنصب الأخبية * ومنه قول الشاعر * تتبع أفياء الظلال عشية * أى أفياء الاشخاص * قال ابن عطية وهذا كله محتمل غير صريح وان كان أبو على قرره انتهى والظاهر أن السجود هنا عبارة عن الانقياد وجريانها على ما أراد الله من ميلان تلك الظلال ودورانها كما يقال للمشير برأسه الى الارض على جهة الخضوع ساجد * قال الزمخشرى سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير فى ظلاله لأنه فى معنى الجمع وهو ما خلق الله من شئ له ظل وجمع بالواو لأن الدخور من أوصاف العقلاء أولان فى جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى ان الظلال منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام فى أنفسها داخرة أيضا صاغرة منقادة لأفعال الله فيها لا تمتنع انتهى فغاير الزمخشرى بين الحالين جعل سجدا حالا من الظلال وهم داخرون حالا من الضمير فى سجدا وأن يكون حالا ثانية من الظلال كما تقول جاء زيد راكبا وهو ضاحك فيجوز أن يكون وهو ضاحك حالا من الضمير فى راكبا ويجوز أن يكون حالا من زيد وهذا الثانى عندى أظهر والعامل فى الحالين هو تتفيؤ وعن متعلقة به وقاله الحوفى * وقيل فى موضع الحال وقاله أبو البقاء * وقيل عن اسم أى جانب اليمين فيكون اذ ذاك منصوبا على الظرف وأما ما أجازه الزمخشرى من أن قوله وهم داخرون حال من الضمير فى ظلاله فعلى مذهب الجمهور لا يجوز وهى مسألة جاءنى غلام هند ضاحكة ومن ذهب الى أنه اذا كان المضاف جزأ أو كالجزء جاز وقد يخبر هنا ويقول الظلال وان لم تكن جزأ من الاجرام فهى كالجزء لان وجودها ناشئ عن وجودها وذهبت فرقة الى أن السجود هنا حقيقة * قال الضحاك اذا زالت الشمس سجد كل شئ قبل القبلة من نبت وشجر ولذلك كان الصالحون يستحبون الصلاة فى ذلك الوقت * وقال مجاهد انما تسجد الظلال دون الاشخاص وعنه أيضا اذا زالت الشمس سجد كل شئ * وقال الحسن أما ظلك فيسجد لله وأما أنت فلا تسجد له * وقيل لما كانت الظلال ملصقة بالارض واقعة عليها على هيئة الساجد وصفت بالسجود وكون السجود يراد به الحقيقة وهو الوقوع على الارض على سبيل العبادة وقصدها يبعد اذ يستدعى ذلك الحياة والعلم والقصد بالعبادة وخص الظل بالذكر لانه سريع التغير والتغير يقتضى مغيرا غيره ومدبرا له ولما كان سجود الظلال فى غاية الظهور بدئ به ثم انتقل الى سجود ما فى السموات والارض ومن دابة يجوز أن يكون بيانا لما فى الظرفين ويكون من فى السموات خلق يدبون ويجوز أن يكون بيانا لما فى الارض ولهذا قال ابن عباس يريد كل ما دب على الارض وعطف والملائكة على ما فى السموات وما فى الارض وهم مندرجون فى عموم ما تشريفا لهم وتكريما ويجوز أن يراد بهم الحفظة التى فى الارض وبما فى السموات ملائكتهن فلم يدخلوا فى العموم * وقيل بين تعالى فى آية الظلال أن الجمادات بأسرها منقادة لله بين ان أشرف الموجودات وهم الملائكة وأخسها وهى

الدواب منقادة له تعالى ودل ذلك على أن الجميع منقاد لله تعالى * وقيل الدابة اسم لكل حيوان جسماني يتحرك ويدب فلما ميز الله تعالى الملائكة عن الدابة علمنا أنها ليست مما يدب بل هي أرواح مختصة بحركة انتهى وهو قول فلسفي ولما كان بين المكلفين وغيرهم قدر مشترك في السجود وهو الانقياد لارادة الله جمع بينهما فيه وان اختلفا في كيفية السجود * وقال الزمخشري (فان قلت) فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم (قلت) لانه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم انتهى وظاهر السؤال تسليم ان من قد تشمل العقلاء وغيرهم على جهة التغليب وظاهر الجواب تخصيص من بالعقلاء وأن الصالح للعقلاء وغيرهم ما دون من وهذا ليس بجواب لانه أورد السؤال على التسليم ثم ذكر الجواب على غير التسليم فصار المعنى أن من يغلب بها والجواب لا يغلب بها وهذا في الحقيقة ليس بجواب والظاهر ان الضمير في قوله يخافون عائد على المنسوب اليهم السجود في ولله يسجد وقاله أبو سليمان الدمشقي * وقال ابن السائب ومقاتل يخافون من صفة الملائكة خاصة فيعود الضمير عليهم * وقال الكرماني والملائكة موصوفون بالخوف لانهم قادرون على العصيان وان كانوا لا يعصون والفوقية المكانية مستحيلة بالنسبة اليه تعالى فان علقته بيخافون كان على حذف مضاف أي يخافون عذابه كائنا من فوقهم لان العذاب انما ينزل من فوق وان علقته بربهم كان حالا منه أي يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا لقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفي نسبة الخوف لمن نسب اليه السجود أو الملائكة خاصة دليل على تكليف الملائكة كسائر المكلفين وانهم بين الخوف والرجاء مدارون على الوعد والوعيد كما قال تعالى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم * وقيل الخوف خوف جلال ومهابة والجملة من يخافون يجوز أن تكون حالا من الضمير في لا يستكبرون ويجوز أن تكون بيانا لنفي الاستكبار وتأكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته وقوله ويفعلون ما يؤمرون أما المؤمنون فبحسب الشرع والطاعة وأما غيرهم من الحيوان فبالتسخير والقدر الذي يسوقهم الى ما نفذ من أمر الله تعالى

﴿ وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون * وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون * وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون * ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون * ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون * ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون * ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون * واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم * يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون * للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم * ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون * ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون * تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم * وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون * والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون * وان لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين * ومن ثمرات النخيل

(الدر)

(س) فان قلت فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم قلت لانه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم (ح) ظاهر السؤال تسليم ان من قد تشمل العقلاء وغيرهم على جهة التغليب وظاهر الجواب تخصيص من بالعقلاء وان الصالح للعقلاء وغيرهم ما دون من وهذا ليس بجواب لانه أورد السؤال على التسليم ثم ذكر الجواب على غير التسليم فصار المعنى ان من تغلب والجواب لا يغلب بها وهذا في الحقيقة ليس بجواب

﴿ وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين ﴾ الآية ولما كان الاسم الموضوع للافراد والتثنية قد يتجوز فيه فيراد به الجنس نحو نعم الرجل زيد ونعم الرجلان الزيدان وقال الشاعر فان النار بالعودين تذكى * وان الحرب أولها الكلام * أكد الموضوع لهما بالوصف فقال إلهين اثنين ولما نهى عن اتخاذ الالهين (٥٠٠) واستلزم النهى عن اتخاذ آلهة أخبر تعالى أنه إله واحد كما قال تعالى وإلهكم إله واحد بأداة الحصر وبالتأكيد بالوحدة ثم أمرهم بان يرهبوه والتفت من الغيبة الى الحضور لأنه أبلغ فى الرهبة وانتصب اياى بفعل محذوف مقدر التأخير عنه يدل عليه فارهبون وتقديره واياى ارهبوا وتقدم نظيره فى البقرة وقال ابن عطية واياى منصوب بفعل مضمر تقديره فارهبوا اياى فارهبون انتهى هذا ذهول عن القاعدة النحوية أنه اذا كان المفعول ضميرا منفصلا والفعل متعدالى واحد وهو الضمير وجب تأخير الفعل كقوله تعالى اياك نعبد ولا يجوز أن يتقدم الا فى ضرورة نحو قوله اليك حتى بلغت اياكا ثم التفت من التكلم الى ضمير الغيبة فاخبر تعالى أن له مافى السموات والارض ﴿ وله الدين ﴾ أى الطاعة والملك ﴿ واصبا ﴾ أى دائما يقال وصب الشئ

والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون * وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكى لا يعلم بعد علم شيأ ان الله عليم قدير * والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ماملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون * والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون و بنعمة الله هم يكفرون ﴾ وصب الشئ دام * قال أبو الاسود الدؤلى

لا أبتغى الحمد القليل بقاؤه * يوما بذم الدهر أجمع واصبا

﴿ وقال حسان ﴾

غيرته الريح يسفى به * وهزيم رعده واصب

والعليل وصيب لكن المرض لازم له * وقيل الوصب التعب وصب الشئ شق ومفازة واصبة بعيدة لا غاية لها * الجؤار رفع الصوت بالدعاء * وقال الاعشى يصف راهبا

يداوم من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا

ويروى براوح * دس الشئ فى الشئ أخفاه فيه * الفرث كثيف ما يبقى من المأكول فى الكرش أو المعى * النحل حيوان معروف * الحفدة الأعوان والخدم ومن يسارع فى الطاعة حفد يحفد حفدا وحفودا وحفدانا ومنه واليك نسعى ونحفد أى نسرع فى الطاعة * وقال الشاعر

حفد الولائد حولهن وأسلمت * بأكفهن أزمة الاجمال

﴿ وقال الاعشى ﴾

كلفت مجهودها نوقا يمانية * اذا الحداة على أكسائها حفدوا

وتتعدى فيقال حفدنى فهو حافدى * قال الشاعر

يحفدون الضيف فى أبياتهم * كرما ذلك منهم غير ذل

* قال أبو عبيدة وفيه لغة أخرى أحفد إحفادا وقال الحفد العمل والخدمة * وقال الخليل الحفدة عند العرب الخدم * وقال الأزهرى الحفدة أولاد الأولاد * وقيل الاختان * وأنشد

فلو أن نفسى طاوعتنى لاصبحت * لها حفد مما يعد كثير

ولكنها نفس على أبية * عيوف لاصحاب اللئام قذور

﴿ وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون * وله مافى السموات والارض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون * وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون * ثم

دام قال أبو الاسود الدؤلى * لا أبتغى الحمد القليل بقاؤه * يوما بذم الدهر أجمع واصبا ﴿ أفغير الله ﴾ استفهام تضمن التوبيخ والتعجب أى بعد ما عرفتم وحدانيته وأن ماسواه له ومحتاج اليه كيف تتقون وتخافون غيره ولا نفع ولا ضرر بقدر عليه وما موصولة وصلتها بكم والعامل فعل الاستقرار أى وما استقر بكم ومن نعمة تفسير لما والخبر فمن الله على اضمار مبتدأ محذوف تقديره فهى من الله ودخلت الفاء فى جملة الخبر لتضمن الموصول معنى اسم الشرط ولما ذكر تعالى أن جميع النعم منه ذكر حالة افتقار العبد

اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون * ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون * لما ذكر انقياد ما فى السموات وما فى الارض لما يريده تعالى منها فكان هو المتفرد بذلك نهى أن يشرك به ودل النهى عن اتخاذ الهين على النهى عن اتخاذ آلهة ولما كان الاسم الموضوع للافراد والتثنية قد يتجوز فيه فيراد به الجنس نحو نعم الرجل زيد ونعم الرجلان الزيدان * وقول الشاعر

فان النار بالعودين تذكى * وان الحرب أولها الكلام

أكد الموضوع لهما بالوصف * فقيل الهين اثنين * وقيل اله واحد * وقال الزمخشرى الاسم الحامل لمعنى الافراد أو التثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا أردت الدلالة على أن المعنى به منهما والذى يساق به الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به ألا ترى انك اذا قلت انما هو إله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية انتهى والظاهر أن لا تتخذوا تعدى الى واحد واثنين كما تقدم تأكيد * وقيل هو متعد الى مفعولين * فقيل تقدم الثانى على الاول وذلك جائز والتقدير لا تتخذوا اثنين إلهين * وقيل حذف الثانى للدلالة تقديره معبودا واثنين على هذا القول تأكيد وتقرير منافاة الاثنينية للالهية من وجوه ذكرت فى علم أصول الدين ولما نهى عن اتخاذ الالهين واستلزم النهى عن اتخاذ آلهة أخبر تعالى أنه اله واحد كما قال وإلهكم إله واحد بأداة الحصر وبالتأكيد بالوحدة ثم أمرهم بأن يرهبوه والتفت من الغيبة الى الحضور لانه أبلغ فى الرهبة وانتصب اياى بفعل محذوف مقدر التأخير عنه يدل عليه فارهبون وتقديره واياى ارهبوا وقول ابن عطية فاياى منصوب بفعل مضمر تقديره فارهبوا اياى فارهبون ذهول عن القاعدة فى النحو انه اذا كان المفعول ضميرا منفصلا والفعل متعديا الى واحد هو الضمير وجب تأخير الفعل كقولك اياك نعبد ولا يجوز أن يتقدم الا فى ضرورة نحو قوله * اليك حين بلغت اياكا * ثم التفت من التكلم الى ضمير الغيبة فأخبر تعالى أن له ما فى السموات والارض لانه لما كان هو الاله الواحد الواجب لذاته كان ما سواه موجودا بايجاده وخلقه وأخبر أن له الدين واصبا * قال مجاهد الدين الاخلاص * وقال ابن جبير العبادة * وقال عكرمة شهادة أن لا اله الا الله واقامة الحدود والفرائض * وقال الزمخشرى وابن عطية الطاعة زاد ابن عطية والملك * وأنشد * فى دين عمرو وحالت بيننا فدك * أى فى طاعته وملكه * وقال الزمخشرى أوله الجداد أى دائما ثابتا سرمدا لا يزول يعنى الثواب والعقاب * وقال ابن عباس وعكرمة والحسن ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد والثورى واصبا دائما * قال الزمخشرى والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه بالطاعة واجبة له على كل منعم عليه وذكر ابن الانبارى أنه من الوصب وهو التعب وهو على معنى النسب أى ذا وصب * كما قال أضحى فؤادى به فاتنا * أى ذا فتون * قال الزمخشرى أو وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمى تكليفا انتهى * وقال الزجاج يجوز أن يكون المعنى وله الدين والطاعة رضى العبد بما يؤمر به وسهل عليه أم لا يسهل فله الدين وان كان فيه الوصب والوصب شدة التعب * وقال الربيع بن أنس واصبا خالصا * قال ابن عطية والواو فى وله ما فى السموات والأرض عاطفة على قوله إله واحد ويجوز أن تكون واو ابتداء انتهى ولا يقال واو ابتداء الا لواو الحال ولا يظهر هنا الحال وانما هى عاطفة فاما على الخبر كما ذكر أولا فتكون الجملة فى

اليه وحده حيث لا يدعو ولا يتضرع لسواه وهى حالة الضر والضر عام فى جميع ما يتضرر به واليه متعلق بتجأرون والجؤار رفع الصوت بالدعاء قال الأعشى يصف راهبا

بداوم من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا

واذا الثانية للفجاءة وفى ذلك دليل على أن اذا الشرطية ليس العامل فيها الجواب لأنه لا يعمل ما بعد اذا الفجائية فيما قبلها ومنكم خطاب للذين خوطبوا بقوله وما بكم من نعمة اذ بكم خطاب عام وفريق مبتدأ ومنكم فى موضع الصفة وخبره يشركون وبربهم متعلق به والفريق هنا هم

(الدر)

ع) واياى منصوب بفعل مضمر تقديره فارهبوا اياى فارهبون (ح) هذا ذهول عن القاعدة النحوية أنه اذا كان المفعول ضميرا منفصلا والفعل متعديا الى واحد هو الضمير وجب تأخير الفعل كقوله اياك نعبد ولا يجوز أن يتقدم الا فى ضرورة نحو قوله اليك حتى بلغت اياكا

تقدير المفرد لانها معطوفة على الخبر واما على الجملة بأسرها التي هي انما هو إله واحد فيكون من عطف الجمل وانتصب واصبا على الحال والعامل فيها هو ما يتعلق به المجرور أفغير الله استفهام تضمن التوبيخ والتعجب أي بعد ما عرفتم وحدانيته وان ما سواه له ومحتاج اليه كيف تتقون وتخافون غيره ولا نفع ولا ضر يقدر عليه ثم أخبر تعالى بان جميع النعم المكتسبة لنا انما هي من ايجاده واختراعه ففيه اشارة الى وجوب الشكر على ما أسدى من النعم الدينية والدنيوية ونعمه تعالى لا تحصى كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وما موصولة وصلتها بكم والعامل فعل الاستقرار أي وما استقر بكم ومن نعمة تفسير لما والخبر فمن الله أي فهي من قبل الله وتقدير الفعل العامل بكم خاصا كحل أو نزل ليس بجيد وأجاز الفراء والحوفي أن تكون ما شرطية وحذف فعل الشرط * قال الفراء التقدير وما يكن بكم من نعمة وهذا ضعيف جدا لانه لا يجوز حذفه إلا بعد ان وحدها في باب الاشتغال أو متلوة بما النافية مدلولا عليه بما قبله نحو قوله

فطلقها فلست لها بكفء * وإلا يعل مفرقك الحسام

أي وإلا تطلقها حذف تطلقها لدلالة طلقها عليه وحذفه بعد ان متلوة بلا مختص بالضرورة نحو قوله

قالت بنات العم يا سلمى وان * كان فقيرا معدما قالت وان

أي وان كان فقيرا معدما أو أما غير ان من أدوات الشرط فلا يجوز حذفه الا مدلولا عليه في باب الاشتغال مخصوصا بالضرورة نحو قوله * أينما الريح تميلها تمل * التقدير أينما تميلها الريح تميلها تمل ولما ذكر تعالى ان جميع النعم منه ذكر حالة افتقار العبد اليه وحده حيث لا يدعو ولا يتضرع لسواه وهي حالة الضر والضر يشمل كل ما يتضرر به من مرض أو فقر أو حبس أو نهب مال وغير ذلك * وقرأ الزهري تجرون بحذف الهمزة والقاء حركتها على الجيم * وقرأ قتادة كاشف وفاعل هنا بمعنى فعل واذا الثانية للفجاءة وفي ذلك دليل على ان اذا الشرطية ليس العامل فيها الجواب لانه لا يعمل ما بعد اذا الفجائية فيما قبلها ومنكم خطاب للذين خوطبوا بقوله وما بكم من نعمة إذ بكم خطاب عام والفريق هنا هم المشركون المعتقدون حالة الرجاء ان آلهتهم تنفع وتضر وتشقي * وعن ابن عباس المنافقون * وعن ابن السائب الكفار ومنكم في موضع الصفة ومن للتبعيض وأجاز الزمخشري أن تكون من للبيان لا للتبعيض قال كأنه قال فاذا فريق كافر وهم أنتم * قال ويجوز أن تكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد انتهى واللام في ليكفروا ان كانت للتعليل كان المعنى أن اشراكهم بالله سببه كفرهم به أي جحودهم أو كفران نعمته وبما آتيناهم من النعم أو من كشف الضر أو من القرآن المنزل اليهم وان كانت للصيرورة فالمعنى صار أمرهم ليكفروا وهم لم يقصدوا بأفعالهم تلك أن يكفروا بل آل أمر ذلك الجؤار والرغبة الى الكفر بما أنعم عليهم أو الى الكفر الذي هو جحوده والشرك به وان كانت للأمر فمعناه التهديد والوعيد * وقال الزمخشري ليكفروا فتمتعوا يجوز أن يكون من الأمر الوارد في معنى الخذلان والتخلية واللام لام الأمر انتهى ولم يخل كلامه من ألفاظ المعتزلة وهي قوله في معنى الخذلان والتخلية * وقرأ أبو العالية فيمتعوا بالياء باثنتين من تحتها مضمومة مبنيا للمفعول ساكن الميم وهو مضارع متع مخففا وهو معطوف على ليكفروا وحذفت النون اما للنصب عطفا ان كان يكفروا منصوبا واما للجزم ان كان مجزوما ان كان عطفا وان للنصب ان كان جواب الأمر وعنه فسوف يعلمون بالياء على الغيبة وقد رواها مكحول الشامي عن أبي رافع مولى النبي عن النبي صلى الله عليه وسلم والتمتع هنا هو بالحياة الدنيا

المشركون المعتقدون حالة الرجاء أن آلهتهم تنفع وتضر وتشقي وتسعد واللام في ليكفروا ان كانت للتعليل كان المعنى أن اشراكهم بالله شببه كفرهم به أي جحودهم أو كفران نعمته وبما آتيناهم من النعم أو من كشف الضر أو من القرآن المنزل اليهم وان كانت للضرورة فالمعنى صار أمرهم ليكفروا وهم لم يقصدوا بافعالهم تلك أن يكفروا بل آل أمر ذلك الجؤار والرغبة الى الكفر بما أنعم عليهم أو الى الكفر الذي هو جحوده والشرك به وان كانت للأمر فمعناه التهديد والوعيد * فسوف تعلمون * مبالغة في التهديد

﴿ويجعلون لما لايعلمون﴾ الآية الضمير في يجعلون عائد على الكفار وفي لايعلمون عائد على ما التي هي الأصنام إذ هي جماد لاعلم لها ولاشعور والنصيب هو ماجعلوه لها من الحرث والانعام قبح الله تعالى فعلهم ذلك أن يجعلوا مما رزقهم نصيبا للاصنام ثم أقسم تعالى على أنه يسألهم عن افترائهم واختلافهم في إشراكهم مع الله آلهة وانها أهل للتقرب إليها بجعل النصيب إليها ولما ذكر تعالى انه يسألهم عن افترائهم ذكر أنهم مع اتخاذهم آلهة نسبوا الى الله التوالد وهو مستحيل ونسبوا ذلك إليه فيما لم يرتضوه لأنفسهم وتربد وجوههم من نسبته إليهم ويكرهونه أشد الكراهة وكانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله ﴿سبحانه﴾ تنزيه له سبحانه وتعالى عن نسبة الولد اليه ﴿ولهم مايشتهون﴾ وهم الذكور وهي جملة من مبتدإ وخبر وأجاز الزمخشري وتبع فيه الفراء والحوفي أن يكون ولهم مايشتهون معطوفا على قوله لله البنات وذهلوا عن قاعدة في النحو وهي أن الفعل إذا رفع ضميرا وجاء بعده ضمير منصوب لايجوز أن ينصبه الفعل الا ان كان من باب ظن أوفقد وعدم فلو قلت زيد ظنه قائما أو زيد ظن نفسه جاز ولو قلت زيد ضربه فتجعل في ضرب ضمير رفع عائدا على زيد وقد تعدى للضمير المنصوب لم يجز والمجرور يجري مجرى المنصوب فلو قلت زيد غضب عليه لم يجز كما لم يجز زيد ضربه فلذلك امتنع أن يكون قوله لهم متعلقا بيجعلون ﴿وإذا بشر أحدهم﴾ المشهور أن البشارة أول خبر يسر وهنا قد يراد به مطلق الاخبار أو تغير البشرة وهو القدر المشترك بينهما ﴿بالانثى﴾ أي بولادة الأنثى ﴿ظل وجهه﴾ بمعنى صار وأصل ظل اتصاف اسمها بالخبر الذي يجيء بعدها ﴿مسودا﴾

وما لها الى الزوال ﴿ ويجعلون لما لايعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون * ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون * وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء مابشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء مايحكمون * للذين لايؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم ﴾ الضمير في ويجعلون عائد على الكفار والظاهر أنه في يعلمون عائد عليهم وماهي الأصنام أي للأصنام التي لايعلم الكفار انها تضر وتنفع أو لايعلمون في اتخاذها آلهة حجة ولا برهانا وحقيقتها انها جماد لاتضر ولاتنفع ولا تشفع فهم جاهلون بها * وقيل الضمير في لايعلمون للأصنام أي للأصنام التي لاتعلم شيأ ولاتشعر به اذ هي جماد لم يقم بها علم البتة والنصيب هو ماجعلوه لها من الحرث والأنعام قبح تعالى فعلهم ذلك وهو أن يفردوا نصيبا مما أنعم به تعالى عليهم لجمادات لاتضر ولاتنفع ولاتنتفع هي بجعل ذلك النصيب لها ثم أقسم تعالى على انه يسألهم عن افترائهم واختلاقهم في اشراكهم مع الله آلهة وانها أهل للتقرب اليها بجعل النصيب لها والسؤال في الآخرة أو عند عذاب القبر أو عند القرب من الموت أقوال ولما ذكر الله تعالى انه يسألهم عن افترائهم ذكر أنهم مع اتخاذهم آلهة نسبوا الى الله تعالى التوالد وهو مستحيل ونسبوا ذلك اليه فيما لم يرتضوه وتربد وجوههم من نسبته اليهم ويكرهونه أشد الكراهة وكانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له تعالى عن نسبة الولد اليه ولهم مايشتهون وهم الذكور وهذه الجملة مبتدأ وخبر * وقال الزمخشري ويجوز فيما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على أن يكون معطوفا على البنات أي وجعلوا لأنفسهم مايشتهون من الذكور انتهى وهذا الذي أجازه من النصب تبع فيه الفراء والحوفي * وقال أبو البقاء وقد حكاه وفيه نظر وذهل هؤلاء عن قاعدة في النحو وهو ان الفعل الرافع لضمير الاسم المتصل لايتعدى الى ضميره

خبر ظل واسوداد الوجه كناية عن العبوس والغم والتكره والنفرة التي لحقته ﴿وهو كظيم﴾ أي ممتلئ القلب حزنا وغما وكظيم يحتمل أن يكون للمبالغة من كاظم ويحتمل أن يكون بمعنى مفعول كما قال تعالى وهو مكظوم ويقال سقاء مكظوم أي مملوء مسدود الفم ﴿يتوارى﴾ يختفي من القوم متعلق به من سوء من للتعليل أي لسوء مابشر به وقوله به ذكره حملا على لفظ ما وان كان أريد به الانثى ولذلك ذكره في قوله ﴿أيمسكه على هون﴾ أي على هوان وأيمسكه قبله حال محذوفة التقدير مفكرا أيمسكه أم يدسه معطوف على أيمسكه وكنى به عن الوأد وهو دفن البنت بالحياة والجملة من قوله أيمسكه الى آخرها في موضع نصب بتلك الحال المحذوفة كما تقول فكرت أزيد في الدار أم عمرو والظاهر من قوله ألا ساء مايحكمون رجوعه الى قوله ويجعلون لله البنات الآية أي ساء مايحكمون في نسبتهم الى الله ماهو مستكره عندهم نافر عنهن طبعهم لايحتملون نسبتهن إليهم وما في قوله مايحكمون مصدرية تقديره ساء حكمهم ﴿مثل السوء﴾ أي صفة السوء من الكفر بالله واشراكهم معه أصناما ونسبة الولد إليه وانكارهم البعث ﴿ولله المثل الاعلى﴾

 (ش) ويجوز فيما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على أن يكون معطوفا على البنات أي وجعلوا لانفسهم ما

أى الصفة العليا من تنزيهه تعالى عن الولد والصاحبة وجميع ماتنسب الكفرة اليه مما لا يليق به تعالى كالتشبيه والانتقال وظهوره تعالى فى صورة وناسب الختم بالعزيز وهو الذى لايوجد نظيره الحكيم الذى يضع الاشياء فى مواضعها

(الدر)

يشتهون من الذكور (ح) هذا الذى أجازه من النصب تبع فيه الفراء والحوفى وقال أبو البقاء وقد حكاه وفيه نظر وذهل هؤلاء عن قاعدة فى النحو وهو أن الفعل الرافع لضمير الاسم المتصل لايتعدى الى ضمير المتصل المنصوب فلايجوز زيد ضربه تريد ضرب نفسه الا فى باب ظن واخواتها من الافعال القلبية وفقد وعدم فيجوز زيد ظنه قائما وزيد فقده وزيد عدمه والضمير المجرور بالحرف كالمنصوب المتصل فلا يجوز زيد غضب عليه تريد غضب على نفسه فعلى هذا الذى تقرر لايجوز النصب أو يكون التقدير ويجعلون لهم مايشتهون فالواو ضمير مرفوع ولهم مجرور باللام فهو نظير زيد غضب عليه

المتصل المنصوب فلايجوز زيد ضربه تريد ضرب نفسه الافى باب ظن وأخواتها من الافعال القلبية أوفقد وعدم فيجوز زيد ظنه قائما وزيد فقده وزيد عدمه والضمير المجرور بالحرف كالمنصوب المتصل فلايجوز زيد غضب عليه تريد غضب على نفسه فعلى هذا الذى تقرر لايجوز النصب اذ يكون التقدير ويجعلون لهم مايشتهون فالواو ضمير مرفوع ولهم مجرور باللام فهو نظير زيد غضب عليه واذا بشر المشهور ان البشارة أول خبر يسر وهنا قديراد به مطلق الاخبار أو تغير البشرة وهو القدر المشترك بين الخبر السار أو المخبر بن وفى هذا تقبيح لنسبتهم الى الله المنزه عن الولد البنات واحدهم أكره الناس فيهن وأنفرهم طبعا عنهن وظل تكون بمعنى صار وبمعنى أقام نهارا على الصفة التى تسند الى اسمها تحتمل الوجهين والاظهر أن يكون بمعنى صار لان التبشير قد يكون فى ليل ونهار وقد تلحظ الحالة الغالبة وان أكثر الولادات تكون بالليل وتتأخر أخبار المولود له الى النهار وخصوصا بالانثى فيكون ظلاوله على ذلك طول النهار واسوداد الوجه كناية عن العبوس والغم والتكره والنفرة التى لحقته بولادة الانثى * قيل اذا قوى الفرح انبسط روح القلب من داخله ووصل الى الاطراف ولاسيما الى الوجه لما بين القلب والدماغ من التعلق الشديد فترى الوجه مشرقا متلألئا واذا قوى الغم انحصر الروح الى باطن القلب ولم يبق له أثر قوى فى ظاهر الوجه فيربد الوجه ويصفر ويسود ويظهر فيه أثر الارضية فمن لوازم الفرح استنارة الوجه واشراقه ومن لوازم الغم والحزن اربداده واسوداده فلذلك كنى عن الفرح بالاستنارة وعن الغم بالاسوداد وهو كظيم أى ممتلىء القلب حزنا وغما أخبر عما يظهر فى وجهه وعن مايجنه فى قلبه وكظيم يحتمل أن يكون للمبالغة ويحتمل أن يكون بمعنى مفعول لقوله وهو مكظوم ويقال سقاء مكظوم أى مملوء مشدود الفم وروى الاصمعى ان امرأة ولدت بنتا سمتها الذلفاء فهجرها زوجها فقالت

ما لأبى الذلفاء لا يأتينا * يظل فى البيت الذى يلينا

يحردان لانلد البنينا * وانما نأخذ ما يعطينا

يتوارى يختفى من الناس ومن سوء للتعليل أى الحامل له على التوارى هو سوء ماأخبر به وقد كان بعضهم فى الجاهلية يتوارى حالة الطلق فان أخبر بذكر ابتهج أوأنثى حزن وتوارى أياما يدبر فيها ما يصنع أيمسكه قبله حال محذوفة دل عليها المعنى والتقدير مفكرا أومدبرا أيمسكه وذكر الضمير ملاحظة للفظ ما فى قوله من سوء مابشر به * وقرأ الجحدرى أيمسكها على هوان أم يدسها بالتأنيث عودا على قوله بالانثى أوعلى معنى مابشر به وافقه عيسى على قراءة هوان على وزن فعال * وقرأت فرقة أيمسكه بضمير التذكير أم يدسها بضمير التأنيث * وقرأت فرقة على هون بفتح الهاء * وقرأ الاعمش على سوء وهى عندى تفسير لاقراءة لمخالفتها السواد المجمع عليه ومعنى الامساك حبسه وتربيته والهون الهوان كما قال عذاب الهون والهون بالفتح الرفق واللين يمشون على الارض هونا وفى قوله على هون قولان أحدهما انه حال من الفاعل وهو مروى عن ابن عباس * قال ابن عباس انه صفة للأب والمعنى أيمسكها مع رضاه بهوان نفسه وعلى رغم أنفه * وقيل حال من المفعول أى أيمسكها مهانة ذليلة والظاهر من قوله أم يدسه فى التراب انه يئدها وهو دفنها حية حتى تموت * وقيل دسها اخفاؤها عن الناس حتى لاتعرف كالمدسوس فى التراب والظاهر من قوله ألا ساء مايحكمون رجوعه الى قوله ويجعلون لله البنات الآية أى ساء مايحكمون فى نسبتهم الى الله ماهو مستكره عندهم نافر عنهن طبعهم بحيث لايحتملون نسبتهن اليهم ويئدونهن استنكافا منهن وينسبون اليهم

﴿ولو يؤاخذ الله الناس﴾ لما حكى تعالى عن الكفار عظيم ما ارتكبوه من الكفر ونسبة التوالد اليه بين تعالى أنه يمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة اظهارا لفضله ورحمته ويؤاخذ مضارع آخذ والظاهر أنه بمعنى المجرد الذي هو أخذ والضمير في عليها عائد على غير مذكور ودل على أنه الأرض قوله من دابة لأن الدبيب من الناس لا يكون الا في الأرض والظاهر عموم من دابة فيهلك الصالح بالطالح فكان يهلك جميع مايدب على الارض حتى الجعلان في جحرها ﴿ولكن يؤخرهم﴾ تقدم نظيره في الاعراف وما في ما يكرهون لمن يعقل وأريد بها النوع كقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم ومعنى ويجعلون يصفونه بذلك ويحكمون به وأن لهم الحسنى بدل من الكذب أو على اسقاط الحرف أي بان لهم وتقدم الكلام في لاجرم مفرطون قال الفراء تقول العرب أفرطت منهم ناسا أي خلفتهم ونسيتهم وقيل يخلفون متركون في النار ثم أخبر تعالى بارسال الرسل الى أمم من قبل أمتك مقسما على ذلك ومؤكدا بالقسم وبقد التي تقتضي تحقيق الامر على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يناله بسبب جهالات قومه ونسبتهم الى الله مالا يجوز ﴿فزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ من تماديهم على الكفر ﴿فهو وليهم اليوم﴾ حكاية حال ماضية أي لا ناصر لهم في حياتهم الا هو أو عبر باليوم عن وقت الارسال ومحاورة الرسل لهم أو حكاية حال آتية وهو يوم القيامة وأل في اليوم للعهد وهو اليوم المشهور فهو وليهم في ذلك اليوم أي قرينهم وبئس القرين والظاهر عود الضمير في وليهم الى أمم وقيل ويجوز أن يرجع الضمير الى مشركي قريش وأنه زين للكفار قبلهم أعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي فهو وليهم أي ولي أمثالهم اليوم انتهى وهذا فيه بعد لاختلاف الضمائر من غير ضرورة تدعو الى ذلك ولا الى حذف المضاف بل الضمير في الظاهر عائد الى أمم واللام في لتبين لام التعليل والكتاب القرآن والذين اختلفوا فيه من الشرك والتوحيد والجبر والقدر واثبات المعاد ونفيه وغير ذلك مما يعتقدون من الأحكام كتحريم البحيرة وتحليل الميتة والدم وغير ذلك من الاحكام ﴿وهدى ورحمة﴾ في موضع نصب على أنهما مفعول من أجله وانتصبا لاتحاد الفاعل في الفعل وفيهما لأن المنزل

الذكر كما قال ألكم الذكر وله الانثى * وقال ابن عطية ومعنى الآية يدبر أيمسك هذه الانثى على هوان يتجلد له أم يئدها فيدفنها حية فهو الدس في التراب ثم استقبح الله سوء فعلهم وحكمهم بهذا في بناتهم ورزق الجميع على الله انتهى فعلق ألا ساء ما يحكمون بصنعهم في بناتهم مثل السوء * قيل مثل بمعنى صفة أي صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق واقرارهم على أنفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلى أي الصفة العليا وهي الغنى عن العالمين والنزاهة عن سمات المحدثين * وقيل مثل السوء هو وصفهم الله تعالى بأن له البنات وسماه مثل السوء لنسبتهم الولد الى الله وخصوصا على طريق الانوثة التي هم يستنكفون منها * وقال ابن عباس مثل السوء النار * وقال ابن عطية قالت فرقة مثل بمعنى صفة أي لهؤلاء صفة السوء ولله الوصف الاعلى وهذا لا نضطر اليه لأنه خروج عن اللفظ بل قوله مثل على بابه وذلك أنهم اذا قالوا ان البنات لله فقد جعلوا لله مثلا فالبنات من البشر وكثرة البنات مكروه عندهم ذميم فهو المثل السوء والذي أخبر الله تعالى انهم لهم وليس في البنات فقط بل لما جعلوه هم البنات جعله هو لهم على الاطلاق في كل سوء ولا غاية أبعد من عذاب النار وقوله ولله المثل الاعلى على الاطلاق أي الكمال المستغنى * وقال قتادة المثل الاعلى لا اله الا الله انتهى وقول قتادة مروى عن ابن عباس ولما تقدم قوله ويجعلون لله البنات الآية تقدم ما نسبوا الى الله وأتى ثانيا ما كان منسوبا لأنفسهم وبدأ هنا بقوله للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء وأتى بعد ذلك بما يقابل قوله سبحانه وتعالى من التنزيه وهو قوله ولله المثل الاعلى وهو الوصف المنزه عن سمات الحدوث والتوالد وهو الوصف الاعلى الذي ليس يشركه فيه غيره وناسب الختم بالعزيز وهو الذي لا يوجد نظيره الحكيم الذي يضع الاشياء مواضعها ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون * ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لاجرم أن لهم النار وانهم مفرطون * تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم * وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون * والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون﴾ لما حكى الله تعالى عن الكفار عظيم ما ارتكبوه من الكفر ونسبة التوالد اليه بين تعالى أنه يمهلهم ولا يعاجلهم

بالعقوبة اظهار الفضله ورحمته ويؤاخذ مضارع آخذ والظاهر انه بمعنى المجرد الذى هو أخذ *وقال ابن عطية كان أحد المؤاخذين يأخذ من الآخر اما بمعصية كما هى فى حق الله تعالى أو باذاية فى جهة المخلوقين فيأخذ الآخر من الأول بالمعاقبة والجزاء انتهى والظاهر عموم الناس *وقيل أهل مكة والباء فى بظلمهم للسبب وظلمهم كفرهم ومعاصيهم والضمير فى عليها عائد على غير مذكور ودل على انه الارض قوله من دابة لأن الدبيب من الناس لا يكون الا فى الارض فهو كقوله فأثرن به نقعا أى بالمكان لأن والعاديات معلوم انها لا تعدو الا فى مكان وكذلك الاثارة والنقع والظاهر عموم من دابة فيهلك الصالح بالطالح فكان يهلك جميع مايدب على الارض حتى الجعلان فى جحرها قاله ابن مسعود * قال قتادة وقد فعل تعالى فى زمن نوح عليه السلام * وقال السدى ومقاتل اذا قحط المطر لم تبق دابة الا هلكت وسمع أبو هريرة رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت فى وكرها بظلم الظالم وهذا نظير واتقوا فتنة الآية والحديث أنهلك وفينا الصالحون * وقال ابن السائب واختاره الزجاج من دابة من الانس والجن * وقال ابن جريج من الناس خاصة *وقالت فرقة منهم ابن عباس من دابة من مشرك يدب عليها ولكن يؤخرهم الى أجل الآية تقدم تفسير مايشبهه فى الاعراف وما فى ما يكرهون لمن يعقل وأريد بها النوع كقوله فانكحوا ما طاب لكم ومعنى ويجعلون يصفونه بذلك ويحكمون به *وقال الزمخشرى ما يكرهون لأنفسهم من البنات ومن شركاء فى رئاستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون له أرذل أموالهم ولأصنامهم أكرمها وتصف ألسنتهم مع ذلك أن لهم الحسنى عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى انتهى * وقال مجاهد الحسنى قول قريش لنا البنون يعنى قالوا لله البنات ولنا البنون * وقيل الحسنى الجنة ويؤيده لا جرم ان لهم النار والمعنى على هذا يجعلون لله المكروه ويدعون مع ذلك انهم يدخلون الجنة كما تقول أنت تعصى الله وتقول مع ذلك انك تنجو أى هذا بعيد مع هذا وهذا القول لا يتأتى الا ممن يقول بالبعث وكان فيهم من يقول به أو على تقدير ان كان مايقول من البعث صحيحا وان لهم الحسنى بدل من الكذب أو على اسقاط الحرف أى بأن لهم *وقرأ الحسن ومجاهد باختلاف ألسنتهم باسكان التاء وهى لغة تميم جمع لسانا المذكر نحو حمار وأحمرة وفى التأنيث ألسن كذراع وأذرع * وقرأ معاذ بن جبل وبعض أهل الشام الكذب بضم الكاف والذال والباء صفة للالسن جمع كذوب كصبور وصبر وهو مقيس أو جمع كاذب كشارف وشرف ولا ينقاس وعلى هذه القراءة ان لهم مفعول تصف وتقدم الكلام فى لا جرم أن * وقرأ الحسن وعيسى بن عمر ان لهم بكسر الهمزة وان جواب قسم أغنت عنه لا جرم *وقرأ ابن عباس وابن مسعود وأبو رجاء وشيبة ونافع وأكثر أهل المدينة مفرطون بكسر الراء من أفرط حقيقة أى متجاوزون الحد فى معاصى الله وباقى السبعة والحسن والأعرج وأصحاب ابن عباس ونافع فى رواية بفتح الراء من أفرطته الى كذا قدمته معدى بالهمزة من فرط الى كذا تقدم اليه * قال القطامى

واستعجلونا وكانوا من صحابتنا * كما تعجل فراط لوراد

ومنه انا فرطكم على الحوض أى متقدمكم * وقال ابن جبير ومجاهد وابن أبى هند مفرطون مخلفون متروكون فى النار من أفرطت فلانا خلفى اذا خلفته ونسيته * قال أبو البقاء تقول العرب أفرطت منهم ناسا أى خلفتهم ونسيتهم * وقرأ أبو جعفر مفرطون مشددا من فرط أى مقصرون مضيعون وعنه أيضا فتح الراء وشدها أى مقدمون من فرطته المعدى بالتضعيف من فرط بمعنى تقدم ثم أخبر

هو الله تعالى وهو الهادى والراحم ودخلت اللام فى لتبين لاختلاف الفاعل لان المنزل هو الله تعالى والتبيين مسند للمخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزمخشرى معطوفان على محل لتبين انتهى ليس بصحيح لأن محله ليس نصبا فيعطف منصوب عليه ألا ترى أنه لو نصبه لم يجز لاختلاف الفاعل ﴿ والله أنزل من السماء ماء ﴾ الآية لما ذكر تعالى انزال الكتاب المبين كان القرآن حياة الارواح وشفاء لما فى الصدور من علل العقائد ولذلك ختم بقوله يؤمنون أى يصدقون والتصديق محله القلب ذكر انزال المطر الذى هو حياة الاجسام وسبب لبقائها ثم أشار باحياء الارض بعد موتها الى احياء القلوب بالقرآن كما قال تعالى أومن كان ميتا فأحييناه فكما تصير الارض خضرة بالنبات نضرة بعد همودها كذلك القلب يحيا بالقرآن بعد أن كان ميتا بالجهل ولذلك ختم بقوله يسمعون أى هذا التشبيه المشار اليه والمعنى سماع انصاف

وتدبر وللملاحظة هذا المعنى والله أعلم لم يختم بقوله يبصرون وان كان انزال المطر مما يبصر ويشاهد ﴿وان لكم فى الأنعام لعبرة﴾ الآية لما ذكر تعالى إحياء الارض بعد موتها ذكر ماينشأ عن المطر (٥٠٧) وهو حياة الانعام التى هى مألوف العرب بما تتناوله من

تعالى بارسال الى الرسل الى أمم من قبل أممك مقسما على ذلك ومؤكدا بالقسم و بقد التى تقتضى تحقيق الامر على سبيل التسلية للرسول صلى الله عليه وسلم لما كان يناله بسبب جهالات قومه ونسبتهم الى الله مالا يجوز فزين لهم الشيطان أعمالهم من تماديهم على الكفر فهو وليهم اليوم حكاية حال ماضية أى لاناصر لهم فى حياتهم الاهو أوعبر باليوم عن وقت الارسال ومحاورة الرسل لهم أوحكاية حال آتية وهى يوم القيامة وأل فى اليوم للعهد وهو اليوم المشهود فهو وليهم فى ذلك اليوم أى قرينهم وبئس القرين والظاهر عود الضمير فى وليهم الى أمم * وقال الزمخشرى ويجوز أن يرجع الضمير الى مشركى قريش وانه زين للكفار قبلهم أعمالهم فهو ولى هؤلاء لانهم منهم ويجوز أن يكون على حذف المضاف أى فهو ولى أمثالهم اليوم انتهى وهذا فيه بعد لاختلاف الضمائر من غير ضرورة تدعو الى ذلك ولا الى حذف المضاف واللام فى لتبين لام التعليل والكتاب القرآن والذى اختلفوا فيه من الشرك والتوحيد والجبر والقدر واثبات المعاد ونفيه وغير ذلك مما يعتقدون من الأحكام كتحريم البحيرة وتحليل الميتة والدم وغير ذلك من الاحكام وهدى ورحمة فى موضع نصب على أنهما مفعول من أجله وانتصبا لاتحاد الفاعل فى الفعل وفيهما لان المنزل هو الله وهو الهادى والراحم ودخلت اللام فى لتبين لاختلاف الفاعل لان المنزل هو الله والتبيين مسند للمخاطب وهو الرسول صلى الله عليه وسلم وقول الزمخشرى معطوف على محل لتبين ليس بصحيح لان محله ليس نصبا فيعطف منصوب عليه ألا ترى أنه لو نصبه لم يجز لاختلاف الفاعل * والله أنزل من السماء ماء قال أبو عبد الله الرازى المقصود من القرآن أربعة الالهيات والنبوات والمعاد والقدر والأعظم منها الالهيات فابتدأ فى ذكر دلائلها بالاجرام الفلكية ثم بالانسان ثم بالحيوان ثم بالنبات ثم بأحوال البحر والأرض ثم عاد الى تقدير الالاهيات فبدأ بذكر الفلكيات انتهى ملخصا * وقال ابن عطية لما أمره بتبيين مااختلف فيه قص العبر المؤدية الى بيان أمر الربوبية فبدأ بنعمة المطر التى هى أبين العبر وهى ملاك الحياة وهى فى غاية الظهور ولا يختلف فيها عاقل انتهى ونقول لما ذكر انزال الكتاب للتبيين كان القرآن حياة الارواح وشفاء لما فى الصدور من علل العقائد ولذلك ختم بقوله لقوم يؤمنون أى يصدقون والتصديق محله القلب فكذا انزال المطر الذى هو حياة الأجسام وسبب لبقائها ثم أشار باحياء الأرض بعد موتها الى احياء القلوب بالقرآن كما قال تعالى أومن كان ميتا فأحييناه فكما تصير الأرض خضرة بالنبات نضرة بعد همودها كذلك القلب يحيا بالقرآن بعد أن كان ميتا بالجهل وكذلك ختم بقوله يسمعون هذا التشبيه المشار اليه والمعنى سماع انصاف وتدبر وللملاحظة هذا المعنى والله أعلم لم يختم بلقوم يبصرون وان كان انزال المطر مما يبصر و يشاهد * وقال ابن عطية وقوله يسمعون يدل على ظهور هذا المعتبر فيه وتبيانه لانه لا يحتاج الى نظر ولا تفكر وانما يحتاج البتة الى أن يسمع القول فقط ﴿ وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين * ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون * وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا

النبات الناشئ عن المطر ونبه على العبرة العظيمة وهو خروج اللبن من بين فرث ودم والفرث كثيف مايبقى من المأكول فى الكرش أو الامعاء وذكر فى قوله مما فى بطونه ولا ضعف فى ذلك من هذه الجهة لأن التأنيث والتذكير باعتبار وجهين وأعاد الضمير مذكرا مراعاة للجنس لأنه اذا صح وقوع المفرد الدال على الجنس مقام جمعه جاز عوده عليه مذكرا كقولهم هو أحسن الفتيان وأنبله لأنه يصح هو أحسن فتى وان كان هذا لاينقاس

(الدر)

(ش) ويجوز أن يرجع الضمير الى مشركى قريش وانه زين للكفار قبلهم أعمالهم فهو ولى هؤلاء لانهم منهم ويجوز أن يكون على حذف المضاف أى فهو ولى أمثالهم اليوم (ح) هذا فيه بعد لاختلاف الضمائر من غير ضرورة تدعو الى ذلك ولا الى حذف المضاف بل الضمير فى الظاهر عائد الى أمم وهدى و رحمة هما فى موضع نصب على أنهما مفعول من أجله وانتصبا لاتحاد الفاعل فى الفعل وفيهما لان المنزل هو الله وهو الهادى والراحم ودخلت اللام فى لتبين لاختلاف الفاعل لأن المنزل هو الله والتبيين هو مسند للمخاطب وهو الرسول (ش) معطوفان على محل لتبين (ح) ليس بصحيح لأن محله ليس نصبا فيعطف منصوب عليه ألا ترى انه لو نصبه لم يجز لاختلاف الفاعل

عندسيبويه انما يقتصر فيه على ماقالته العرب قال الزمخشري ذكر سيبويه الانعام في باب مالا ينصرف من الأسماء المفردة على أفعال كقولهم ثوب أكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا انتهى قال سيبويه وأما أفعال فقد يقع للواحد فقول سيبويه

(الدر) (ش) ذكر سيبويه الانعام في باب مالا ينصرف في الأسماء المفردة على أفعال كقولهم ثوب أكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا وأما في بطونها في سورة المؤمنين فلأن معناه الجمع ويجوز أن يقال في الانعام وجهان أحدهما أن يكون تكسير نعم كالاجبال في جبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما تذكر نعم في قوله

في كل عام نعم تحوونه * يلقحه قوم وتنتجونه * واذا أنث ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه في معنى الجمع (ح) أما ماذكر عن سيبويه ففي كتابه في هذا باب ما كان على مثال مفاعل ومفاعيل مانصه وأما أجمال وفلوس فانها تنصرف وما أشبهها لانها ضارعت الواحد ألا ترى انك تقول أقوال وأقاويل واعراب وأعاريب وأيد وأياد فهذه الأحرف تخرج الى مثال مفاعل ومفاعيل كما تخرج الى الواحد اذا كسر للجمع وأما مفاعل (٥٠٨) ومفاعيل فلا تكسر فتخرج الجمع الى بناء غير هذا لأن هذا البناء هو الغاية فلما ضارعت الواحد صرفت ثم قال وكذلك الفعول لو كسرت مثل الفلوس لان تجمع جمعا لأخرجته الى فعائل كما تقول جدود وجدائد وركوب وركائب ولو فعلت ذلك بمفاعل ومفاعيل لم يجاوز هذا البناء ويقوى ذلك ان بعض العرب يقول أتي للواحد فيضم الألف وأما أفعال فقد يقع للواحد من العرب من يقول هو الانعام قال الله جل ثناؤه وعز نسقيكم مما في بطونه وقال أبو الخطاب سمعت العرب يقولون هذا ثوب أكياش

ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ لما ذكر الله تعالى احياء الأرض بعد موتها ذكر ماينشأ عن ماينشأ عن المطر وهو حياة الأنعام التي هي مألوف العرب بما يتناوله من النبات الناشئ عن المطر ونبه على العبرة العظيمة وهو خروج اللبن من بين فرث ودم * وقرأ ابن مسعود بخلاف والحسن وزيد بن علي وابن عامر وأبو بكر ونافع وأهل المدينة نسقيكم هنا وفي قد أفلح المؤمنون بفتح النون مضارع سقى وباقي السبعة بضمها مضارع أسقى وتقدم الكلام في سقى وأسقى في قوله فأسقيناكموه * وقرأ أبو رجاء يسقيكم بالياء مضمومة والضمير عائد على الله أي يسقيكم الله * قال صاحب اللوامح ويجوز أن يكون مسندا الى النعم وذكر لان النعم مما يذكر ويؤنث ومعناه وان لكم في الانعام نعما يسقيكم أي يجعل لكم سقيا انتهى * وقرأت فرقة بالتاء مفتوحة منهم أبو جعفر * قال ابن عطية وهي ضعيفة انتهى وضعفها عنده والله أعلم من حيث أنث في تسقيكم وذكر في قوله مما في بطونه ولا ضعف في ذلك من هذه الجهة لان التأنيث والتذكير باعتبار وجهين وأعاد الضمير مذكرا مراعاة للجنس لانه اذا صح وقوع المفرد الدال على الجنس مقام جمعه جاز عوده عليه مذكرا كقولهم هو أحسن الفتيان وأنبله لانه يصح هو أحسن فتى وان كان هذا الانقاس عند سيبويه انما يقتصر فيه على ماقالته العرب * وقيل جمع التكسير فيما لا يعقل يعامل معاملة الجماعة ومعاملة الجمع فيعود الضمير عليه مفردا كقوله

* مثل الفراخ نبقت حواصله * وقيل أفرد على تقدير المذكور كما يفرد اسم الاشارة بعد الجمع كما قال

انتهى والذي ذكره سيبويه هو الفرق بين مفاعل ومفاعيل وأفعال وفعول وان كان للجميع أبنية للجمع من حيث ان مفاعل ومفاعيل لا يجمعان وأفعال وفعول قد يخرجان الى بناء شبيه مفاعل أو مفاعيل فلما كانا قد يخرجان الى ذلك انصرفا ولم ينصرف كمفاعل ومفاعيل لشبه ذينك بالمفرد من حيث انه يمكن جمعهما وامتناع هذين من الجمع ثم قوى شبههما بالمفرد بأن بعض العرب قال في أتي أتي بضم الهمزة يعني انه قد جاء نادرا فعول من غير المصدر للمفرد وبأن بعض العرب قد توقع أفعالا للواحد من حيث أفرد الضمير فتقول هو الأنعام وانما يعني ان ذلك على سبيل المجاز لأن الأنعام في معنى النعم والنعم مفرد * قال تركنا الخيل والنعم المفدى * وقلنا للنساء بها أقيمي * ولذلك قال سيبويه وأما أفعال فقد تقع للواحد فقول سيبويه فقد تقع للواحد دليل على أنه ليس ذلك بالوضع فقول الزمخشري انه ذكره في الاسماء المفردة على أفعال تحريف في اللفظ وفهم عن سيبويه مالم يرده ويدل على ماقلناه ان سيبويه حين ذكر أبنية الأسماء المفردة نص على ان أفعالا ليس من أبنيتها قال سيبويه في باب مالحقته الزوائد من الثلاثة وليس في الكلام أفعيل ولا أفعول ولا أفعال ولا أفعيل ولا أفعال الا أن تكسر عليه أسماء للجمع انتهى فهذا نص منه على ان أفعالا لا يكون في الابنية المفردة

فيها خطوط مـن سواد و بلق * كأنه في الجلد توليع البهق

فقال كأنه وقدر بكان المذكور * قال الكسائي أي في بطون ماذكرنا * قال المبرد وهذا سائغ في القرآن قال تعالى ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره أي ذكر هذا الشئ * وقال فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي أي هذا الشئ الطالع ولا يكون هذا الا في التأنيث المجازي لا يجوز جاريتك ذهب * وقالت فرقة الضمير عائد على البعض اذ الذكور لا ألبان لها فكان العبرة انما هي في بعض الانعام * وقال الزمخشري ذكر سيبويه الانعام في باب مالا ينصرف في الأسماء المفردة على أفعال كقولهم ثوب أكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا وأما في بطونها في سورة المؤمنين فلأن معناه الجمع و يجوز أن يقال في الانعام وجهان أحدهما أن يكون تكسير نعم كالاجبال في جبل وأن يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله

في كل عام نعم تحوونه * يلقحه قوم وينتجونه

واذا أنث ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه في معنى الجمع انتهى وأما ماذكره عن سيبويه ففي كتابه في هذا في باب ما كان على مثال مفاعل ومفاعيل مانصه وأما أجمال وفلوس فانها تنصرف وما أشبهها لانها ضارعت الواحد ألا ترى أنك تقول أقوال وأقاويل واعراب وأعاريب وأيد وأياد فهذه الاحرف تخرج الى مثال مفاعل ومفاعيل كما يخرج اليه الواحد اذا كسر للجمع وأما مفاعل ومفاعيل فلا يكسر فيخرج الجمع الى بناء غير هذا لان هذا البناء هو الغاية فلما ضارعت الواحد صرفت ثم قال وكذلك الفعول لو كسرت مثل الفلوس لان تجمع جمعا لاخرجته الى فعائل كما تقول جدود وجدائد وركوب وركائب ولو فعلت ذلك بمفاعل ومفاعيل لم يجاوز هذا البناء ويقوي ذلك ان بعض العرب يقول أتي للواحد فيضم الألف وأما أفعال فقد تقع للواحد من العرب من يقول هو الانعام قال جل ثناؤه وعز نسقيكم مما في بطونه * وقال أبو الخطاب سمعت العرب يقولون هذا ثوب أكياش انتهى والذي ذكره سيبويه هو الفرق بين مفاعل ومفاعيل وبين أفعال وفعول وان كان الجميع أبنية للجمع من حيث ان مفاعل ومفاعيل لا يجمعان وأفعال وفعول قد يخرجان الى بناء شبه مفاعل أو مفاعيل لشبه ذينك بالمفرد من حيث انه يمكن جمعهما وامتناع هذين من الجمع ثم قوى شبههما بالمفرد بأن بعض العرب قال في أتي بضم الهمزة يعني أنه قد جاء نادرا فعول من غير المصدر للمفرد وبأن بعض العرب قد يوقع أفعالا للواحد من حيث أفرد الضمير فتقول هو الانعام وانما يعني ان ذلك على سبيل المجاز لأن الانعام في معنى النعم كما قال الشاعر

تركنا الخيل والنعم المفدى * وقلنا للنساء بها أقيمي

ولذلك قال سيبويه وأما أفعال فقد تقع للواحد دليل على انه ليس ذلك بالوضع فقول الزمخشري انه ذكره في الاسماء المفردة على أفعال تحريف في اللفظ وفهم عن سيبويه مالم يرده ويدل على ماقلناه ان سيبويه حين ذكر أبنية الاسماء المفردة نص على ان أفعالا ليس من ابنيتها قال سيبويه في باب ما لحقته الزوائد من بنات الثلاثة وليس في الكلام أفعيل ولا أفعول ولا أفعال ولا أفعيل ولا أفعال الا أن تكسر عليه اسما للجميع انتهى فهذا نص منه على أن أفعالا لا يكون في الابنية المفردة ونسقيكم مما في بطونه تبيين للعبرة * وقال الزمخشري وهو استئناف كأنه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم من بين فرث ودم أي يخلق الله اللبن وسطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله انتهى قال ابن عباس اذا

فقد يقع للواحد دليل على أنه ليس ذلك بالوضع وقول الزمخشري انه ذكره في الاسماء المفردة على أفعال تحريف في اللفظ وفهم عن سيبويه مالم يرده ويدل على ماقلناه أن سيبويه حين ذكر أبنية الاسماء المفردة نص على أن أفعالا ليس من أبنيتها قال سيبويه في باب ما لحقته الزوائد من بنات الثلاثة وليس في الكلام أفعيل ولا أفعول ولا أفعيل ولا أفعال الا أن يكسر عليه أسماء للجمع انتهى فهذا نص منه على أن أفعالا لا يكون في الابنية المفردة ولما ذكر تعالى ما من به من بعض منافع الحيوان ذكر ما من به من بعض منافع النبات ﴿ومن ثمرات﴾ متعلق بتتخذون ومنه بدل من قوله من ثمرات لأنه جمع يقع مكانه المفرد كأنه قيل ومن ثمر النخيل كما ذكرنا في افراد الضمير في قوله مما في بطونه لوقوع النعم مكان الانعام والسكر في اللغة الخمر قال الشاعر

بئس الصحاة وبئس الشرب شربهم
إذا جرى منهم المزاء والسكر

وان لكم في الأنعام لعبرة ناسب الختم بقوله يعقلون

لأنه لايعتبر الاذووالعقول كماقال تعالى ان فى ذلك لعبرة لأولى الالباب وانظر الى الاخبار عن نعمة اللبن ونعمة السكر والرزق الحسن لما كان اللبن لايحتاج الى معالجة من الناس أخبر عن نفسه بقوله نسقيكم ولما كان السكر والرزق الحسن يحتاج الى معالجة قال تتخذون فأخبر عنهم باتخاذهم منه السكر والرزق الحسن ولأمر ماعجزت العرب العرباء عن معارضته ولماذكر تعالى المنة باللبن المشروب وغيره أتم النعم بذكر العسل ولما كانت المشروبات من اللبن وغيره هو الغالب فى الناس أكثر من العسل قدم اللبن وغيره عليه وقدم اللبن على مابعده لانه المحتاج إليه كثيرا وهو الدليل على الفطرة ولذلك اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسرى به وعرض عليه اللبن والخمر والعسل وجاء ترتيبها فى الجنة لهذه الآية ففى اخراج اللبن من النعم والسكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والاعناب والعسل من النحل دلائل

استقر العلف فى الكرش صار أسفله فرثا يبقى فيها وأعلاه دما يجرى فى العروق وأوسطه لبنا يجرى فى الضرع * وقال ابن جبير الفرث فى أوسط المصارين والدم فى أعلاها واللبن بينهما والكبد يقسم الفرث الى الكرش والدم الى العروق واللبن الى الضروع * وقال أبو عبد الله الرازى قال المفسرون المراد من قوله من بين فرث ودم هو أن هذه الثلاثة تتولد فى موضع واحد فالفرث يكون فى أسفل الكرش والدم فى أعلاه واللبن فى الوسط وقد دللنا على أن هذا القول على خلاف الحس والتجربة وكان الرازى قد قدم أن الحيوان يذبح ولا يرى فى كرشه دم ولا لبن بل الحق أن الغذاء اذا تناوله الحيوان وصل الى الكرش وانطبخ وحصل الهضم الاول فيه فما كان منه كثيفا نزل الى الامعاء وصافيا انحدر الى الكبد فينطبخ فيها ويصير دما وهو الهضم الثانى مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية فتذهب الصفراء الى المرارة والسوداء الى الطحال والماء الى الكلية وخالص الدم يذهب الى الاوردة وهى العروق النابتة من الكبد فيحصل الهضم الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة ينصب الدم من تلك العروق الى الضرع وهو لحم رخو أبيض فينقلب من صورة الدم الى صورة اللبن فهذا هو الصحيح فى كيفية تولد اللبن انتهى ملخصا * وقال أيضا وأما نحن فنقول المراد من الآية هو أن اللبن انما يتولد من بعض أجزاء الدم والدم انما يتولد من الاجزاء اللطيفة التى فى الفرث وهى الاشياء المأكولة الحاصلة فى الكرش فاللبن متولد مما كان حاصلا فيما بين الفرث أولا ثم مما كان حاصلا فيما بين الدم ثانيا انتهى ملخصا أيضا والذى يظهر من لفظ الآية أن اللبن يكون وسطا بين الفرث والدم والبينية يحتمل أن تكون باعتبار المكانية حقيقة كما قاله المفسرون وادعى الرازى انه على خلاف الحس والمشاهدة ويحتمل أن تكون البينية مجازية باعتبار تولده من ماحصل فى الفرث أولا وتولده من الدم الناشئ من لطيف ما كان فى الفرث ثانيا كما قرره الرازى ومن الأولى للتبعيض متعلقة بنسقيكم والثانية لابتداء الغاية متعلقة بنسقيكم وجاز تعلقهما بعامل واحد لاختلاف مدلوليهما ويجوز أن يكون من بين فى موضع الحال فتتعلق بمحذوف لأنه لو تأخر لكان صفة أى كائنا من بين فرث ودم ويجوز أن يكون من بين فرث بدلا من مافى بطونه * وقرأت فرقة سيغا بتشديد الياء وعيسى بن عمر سيغا مخففا من سيغ كهين المخفف من هين وليس بفعل لازم كان يكون سوغا والسائغ السهل فى الحلق اللذيذ وروى فى الحديث ان اللبن لم يشرق به أحد قط ولما ذكر تعالى ماامتن به من بعض منافع الحيوان ذكر ماامتن به من بعض منافع النبات والظاهر تعلق من ثمرات بتتخذون وكررت من للتأكيد وكان الضمير مفردا راعيا لمحذوف أى ومن عصير ثمرات أو على معنى الثمرات وهو الثمر أو بتقدير من المذكور * وقيل تتعلق بنسقيكم فيكون معطوفا على مما فى بطونه أو بنسقيكم محذوفة دل عليها نسقيكم المتقدمة فيكون من عطف الجمل والذى قبله من عطف المفردات إذا اشتركا فى العامل * وقيل معطوف على الانعام أى ومن ثمرات النخيل والاعناب عبرة ثم بين العبرة بقوله تتخذون * وقال الطبرى التقدير ومن ثمرات النخيل والاعناب ماتتخذون فحذف ما وهو لايجوز على مذهب البصريين وقال الزمخشرى ويجوز أن يكون صفة موصوف محذوف كقوله * بكفى كان من أرمى البشر * تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه انتهى وهذا الذى أجازه قاله الحوفى قال أى وان من ثمرات وان شئت شئ بالرفع بالابتداء ومن ثمرات خبره انتهى والسكر فى اللغة الخمر * قال الشاعر

بئس الصحاة وبئس الشرب شربهم * اذا جرى منهم المزاء والسكر

* وقال الزمخشري سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا و رشدا * قال الشاعر

وجاؤنا بهم سكر علينا * فأجلى اليوم والسكران صاحي

وقاله ابن مسعود وابن عمر وأبو رزين والحسن ومجاهد والشعبي والنخعي وابن أبي ليلى والكلبي وابن جبير وأبو ثور والجمهور وهذه الآية مكية نزلت قبل تحريم الخمر ثم حرمت بالمدينة فهي منسوخة * قال الحسن ذكر الله نعمته في السكر قبل تحريم الخمر * وقال ابن عباس هو الخل بلغة الحبشة * وقيل العصير الحلو الحلال وسمي سكرا باعتبار مآله اذا ترك * وقال أبو عبيدة السكر الطعم يقال هذا سكر لك أي طعم واختاره الطبري قال والسكر في كلام العرب مايطعم * وأنشد أبو عبيدة

* جعلت أعراض الكرام سكرا * أي تنقلت باعراضهم * وقيل هو من الخمر وانه اذا ابترك في اعراض الناس فكأنه تخمر بها قاله الزمخشري وتبع الزجاج قال يصف انه يخمر بعيوب الناس وعلى هذه الاقوال لانسخ * وقال الزجاج قول أبي عبيدة لايصح وأهل التفسير على خلافه * وقيل السكر مالايسكر من الانبذة * وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند أبي حنيفة الى حد السكر انتهى واذا أريد بالسكر الخمر فقد تقدم أن ذلك منسوخ واذا لم نقل بنسخ فقيل جمع بين العتاب والمنة يعني بالعتاب على اتخاذ مايحرم وبالمنة على اتخاذ مايحل وهو الخل والرب والزبيب والتمر * وقال الزمخشري ويجوز أن يجعل السكر رزقا حسنا كأنه قيل تتخذون منه ماهو سكر ورزق حسن انتهى فيكون من عطف الصفات وظاهر العطف المغايرة ولما كان مفتتح الكلام وان لكم في الانعام لعبرة ناسب الختم بقوله يعقلون لأنه لايعتبر الاذوو العقول كما قال ان في ذلك لعبرة لأولي الالباب وانظر الى الاخبار عن نعمة اللبن ونعمة السكر والرزق الحسن لما كان اللبن لايحتاج الى معالجة من الناس أخبر عن نفسه تعالى بقوله نسقيكم ولما كان السكر والرزق الحسن يحتاج الى معالجة قال تتخذون فأخبر عنهم باتخاذهم منه السكر والرزق ولأمر ما عجزت العرب العرباء عن معارضته ولما ذكر تعالى المنة بالمشروب اللبن وغيره أتم النعمة بذكر العسل النحل ولما كانت المشروبات من اللبن وغيره هو الغالب في الناس أكثر من العسل قدم اللبن وغيره عليه وقدم اللبن على مابعده لأنه المحتاج اليه كثيرا وهو الدليل على الفطرة ولذلك اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم حين أسري به وعرض عليه اللبن والخمر والعسل وجاء ترتيبها في الجنة لهذه الآية قال تعالى وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ففي اخراج اللبن من النعم والسكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والاعناب والعسل من النحل دلائل باهرة على الالوهية والقدرة والاختيار والايحاء هنا الالهام والالقاء في روعها وتعليمها على وجه هو تعالى أعلم بكنهه لاسبيل الى الوقوف عليه والنحل جنس واحده نحلة و يؤنث في لغة الحجاز ولذلك قال أن اتخذي * وقرأ ابن وثاب النحل بفتح الحاء وان تفسيرية لانه تقدم معنى القول وهو وأوحى أو مصدرية أي باتخاذ * قال أبو عبد الله الرازي أن هي المفسرة لما في الوحي من معنى القول هذا قول جمهور المفسرين وفيه نظر لان الوحي هنا باجماع منهم هو الالهام وليس في الالهام معنى القول وقال قرر تعالى في أنفسها الاعمال العجيبة التي يعجز عنها العقلاء من البشر منها بناؤها البيوت المسدسة من أضلاع متساوية بمجرد طباعها ولا يتم مثل ذلك للعقلاء الا بآلات كالمسطرة والبركان ولم تبنها باشكال غير تلك فتضيق تلك البيوت عنها البقاء فرج لاتسعها ولها أمير أكبر جثة منها نافذ الحكم يخدمونه واذا انفرت

باهرة على الالوهية والقدرة والاختيار والايحاء هنا الالهام والالقاء في روعها وتعليمها على وجه هو أعلم بكنهه لاسبيل الى الوقوف عليه والنحل جنس واحد نحلة و يؤنث في لغة الحجاز ولذلك قال أن اتخذي وأن تفسيرية لانه تقدم معنى القول وهو أوحى أو مصدرية أي باتخاذ ومن للتبعيض لانها لاتبني في كل جبل وكل شجر وكل مايغرس ولا في كل مكان والظاهر أن البيوت هنا عبارة عن الكوى التي تكون في الجبال وفي متجوف الأشجار وأماما يعرش ابن آدم فالخلايا التي يصنعها للنحل ابن آدم والكوى التي تكون في الحيطان ولما كان النحل نوعين منها مامقره في الجبال والغياض ولا يتعهده أحد ومنها مايكون في بيوت الناس و يتعهده في الخلايا ونحوها شمل الأمر باتخاذ البيوت نوعين وظاهره العطف بالفاء في فاسلكي أنه يعتقب الأكل أي فاذا أكلت فاسلكي سبل ربك أي طرق ربك الى بيوتك راجعة والسبل إذ ذاك مسالكها في الطيران

وربما أجدب مكانها فانتجعت المكان البعيد ثم عادت الى مكانها الأول وأضاف السبل الى رب النحل من حيث انه سبحانه وتعالى هو خالقها ومالكها والناظر فى تهيئة مصالحها ومعاشها ﴿ذللا﴾ أى غير متوعرة عليها سبيل تسلكه فعلى هذا ذللا حال من سبل ربك كقوله تعالى هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا أو حال من الضمير فى فاسلكى متذللة ﴿يخرج من بطونها شراب﴾ وهو العسل وسماه شرابا لأنه مما يشرب وقوله من بطونها لا يدل على تعيين المكان الذى يخرج منه أمن الفم أو من المخرج ﴿مختلف ألوانه﴾ بالحمرة والبياض والسمرة ونكر شفاء إما للتعظيم فيكون المعنى فيه شفاء أى شفاء و إما لدلالته على مطلق الشفاء أى فيه بعض شفاء للناس ليس على عمومه لأن بعض الامراض لا يصلح فيها العسل ولما كان أمر النحل عجيبا فى بنائها تلك البيوت المسدسة وفى أكلها من أنواع الازهار والاوراق الحامض والمر والضار وفى طواعيتها لاميرها ولمن يملكها فى

عن وكرها الى موضع آخر وأرادوا عودها الى وكرها ضربوا الطبول وآلات الموسيقا و بوساطة تلك الألحان تعود الى وكرها فلما امتازت بهذه الخواص العجيبة وليس الا على سبيل الالهام وهى حالة تشبه الوحى لذلك قال وأوحى ربك الى النحل انتهى ملخصا ومن للتبعيض لانها لا تبنى فى كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا فى كل مكان منها والظاهر أن البيوت هنا عبارة عن الكوى التى تكون فى الجبال وفى متجوف الأشجار وأما من ما يعرش ابن آدم فالخلايا التى يصنعها للنحل ابن آدم والكوى التى تكون فى الحيطان ولما كان النحل نوعين منه ما مقره فى الجبال والغياض ولا يتعهده أحد ومنه ما يكون فى بيوت الناس و يتعهد فى الخلايا ونحوها شمل الامر باتخاذ البيوت النوعين * وقال الزمخشرى ما يدل على ان البيوت ليست الكوى وانما هى ما تبنيه هى فقال أريد معنى البعضية يعنى بمن وان لا يبنى بيوتها فى كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش * وقال ابن زيد وهما يعرشون الكروم * وقال الطبرى مما يبنون من السقوف * قال ابن عطية وهذا منهما تفسير غير متقن انتهى * وقرأ السلمى وعبيد بن نضلة وابن عامر وأبو بكر عن عاصم بضم الراء و باقى السبعة بكسرها وتقتضى ثم المهلة والتراخى بين الاتخاذ والأكل الذى تدخر منه العسل فلذلك كان العطف بثم وهو معطوف على اتخذى وهو أمر معطوف على أمر وسيأتى الكلام على أمر غير المكلف فى قوله يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم ان شاء الله وكل الثمرات عام مخصوص أى المعتادة لا كلها * قال الزمخشرى أى ابنى البيوت ثم كلى من كل ثمرة تشتهيها انتهى فدل قوله أى ابنى البيوت انه لا يريد بقوله بيوتا الكوى التى فى الجبال ومتجوف الاشجار ولا الخلايا وانما يراد البيوت المسدسة التى تبنيها هى وظاهر من فى قوله من كل الثمرات انها للتبعيض فيأ كل من الأشجار الطيبة والأوراق العطرة أشياء يولد الله منها فى أجوافها عسلا * قال ابن عطية انما تأكل النوار من الأشجار * وقال أبو عبد الله الرازى ما ملخصه يحدث الله تعالى فى الهواء طلا كثيرا يجتمع منه أجزاء محسوسة مثل الترنجبين وهو محسوس وقليلا لطيف الاجزاء صغيرها وهو الذى ألهم الله تعالى النحل التقاطه من الأزهار وأوراق الأشجار وتغتذى بها فاذا اشبعت التقطت بأفواهها شيأ من تلك الاجزاء ووضعتها فى بيوتها كانها تحاول أن تدخر لنفسها غذاءها فالمجتمع من ذلك هو العسل وعلى هذا القول تكون من لابتداء الغاية لا للتبعيض انتهى وظاهر العطف بالفاء فى فاسلكى أنه بعقيب الا كل أى فاذا أكلت فاسلكى سبل ربك أى طرق ربك الى بيوتك راجعة والسبل اذ ذاك مسالكها فى الطيران وربما أخذت مكانها فانتجعت المكان البعيد ثم عادت الى مكانها الأول * وقيل سبل ربك أى الطرق التى ألهمك وأفهمك فى عمل العسل أو فاسلكى ما أكلت أى فى سبل ربك أى فى مسالكه التى يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من أجوافك ومنافذ ما كلك وعلى هذا القول ينتصب سبل ربك على الظرف وعلى ما قبله ينتصب على المفعول به * وقيل المراد بقوله ثم كلى ثم اقصدى الأكل من الثمرات فاسلكى فى طلبها سبل ربك وهذا القول والقول الاول أقرب فى المجاز فى سبل ربك من القولين اللذين بينهما الا ان كلى بمعنى اقصدى الا كل مجاز أضاف السبل الى رب النحل من حيث انه تعالى هو خالقها ومالكها والناظر فى تهيئة مصالحها ومعاشها * وقال مجاهد ذللا غير متوعرة عليها سبيل تسلكه فعلى هذا ذللا حال من سبل ربك كقوله تعالى هو الذى جعل لكم الارض ذلولا * وقال قتادة أى مطيعة منقادة * وقال ابن زيد يخرجون بالنحل ينتجعون وهى تتبعهم فعلى هذا ذللا

حال من النحل بقوله وذللناها لهم ثم ذكر تعالى على جهة تعديد النعمة والتنبيه على المنة ثمرة هذا الاتخاذ والاكل والسلوك وهو قوله يخرج من بطونها شراب وهو العسل وسماه شرابا لأنه مما يشرب كما ذكر ثمرة الانعام وهي سقي اللبن وثمرة النخيل والاعناب وهو اتخاذ السكر والرزق الحسن وذكر تعالى المقر الذي يخرج منه الشراب وهو بطونها وهو مبدأ الغاية الأولى والجمهور على انه يخرج من أفواهها وهو مبدأ الغاية الاخيرة ولذلك * قال الحريري

تقول هذا مجاج النحل تمدحه * وان ذممت تقل قيء الزنابير

والمجاج والقيء لا يكونان الا من الفم * وروي عن علي كرم الله وجهه انه قال في تحقير الدنيا أشرف لباس ابن آدم فيها لعاب دودة وأشرف شرابه رجيع نحلة * وعنه أيضا أما العسل فونيم ذباب فظاهر هذا ان العسل يخرج من غير الفم وقد خفي من أي المخرجين يخرج أمن الفم أم من أسفل * وحكي ان سليمان عليه السلام والاسكندر وارسطاطاليس صنعوا لها بيوتا من زجاج لينظروا الى كيفية صنعها وهل يخرج العسل من فيها أم من أسفلها فلم تضع من العسل شيأ حتى لطخت باطن الزجاج الطين بحيث يمنع المشاهدة * وقال الحسن لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ما عابه مسلم فجعله لعابا كالريق الدائم الذي يخرج من فم ابن آدم * وقيل من بطونها من أفواهها سمي الفم بطنا لأنه في حكم البطن ولأنه مما يبطن ولا يظهر واختلاف ألوانه بالبياض والصفرة والحمرة والسواد وذلك لاختلاف طباع النحل واختلاف المراعي وقد يختلف طعمه لاختلاف المرعى كما في الحديث جرست نحله العرفط * وقيل الابيض تلقيه شباب النحل والاصفر كهولها والاحمر شيبها والظاهر عود الضمير فيه الى الشراب وهو العسل لأنه شفاء من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل والعسل موجود كثير في أكثر البلدان وأما السكر فمختص به بعض البلاد وهو محدث ولم يكن فيما تقدم من الازمان يجعل في الاشربة والادوية الا العسل وليس المراد بالناس هنا العموم لأن كثيرا من الامراض لا يدخل في دوائها العسل وانما المعنى للناس الذين ينجع العسل في أمراضهم ونكر شفاء اما للتعظيم فيكون المعنى فيه شفاء أي شفاء واما للدلالة على مطلق الشفاء أي فيه بعض الشفاء * وروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك والفراء وابن كيسان ان الضمير في فيه عائد على القرآن أي في القرآن شفاء للناس * قال النحاس وهذا قول حسن أي فيما قصصنا عليكم من الآيات والبراهين شفاء للناس * قال القاضي أبو بكر بن العربي أرى هذا القول لا يصح نقله عن هؤلاء ولو صح نقلا لم يصح عقلا فان سياق الكلام كله للعسل ليس للقرآن فيه ذكر ولما كان أمر النحل عجيبا في بنائها تلك البيوت المسدسة وفي أكلها من أنواع الازهار والاوراق الحامض والمر والضار وفي طواعيتها لأميرها ولمن يملكها في النقلة معه وكان النظر في ذلك يحتاج الى تأمل وزيادة تدبر ختم بقوله تعالى ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴿ والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيأ ان الله عليم قدير * والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ماملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمت الله يجحدون * والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من

نقلها معه وكان النظر في ذلك يحتاج الى تأمل و زيادة تدبر ختم بقوله تعالى ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم﴾ نبه تعالى على قدرته التامة في إنشائنا من العدم و إماتتنا وتنقلنا في حال الحياة من حالة الجهل الى حالة العلم وذلك كله دليل على القدرة التامة والعلم الواسع ولذلك ختم تعالى بقوله عليم قدير وأرذل العمر آخره الذي تفسد فيه الحواس و يختل النطق والفكر وخص بالرذيلة لانها حالة لا رجاء بعدها لاصلاح مافسد واللام في لكي لتعليل الرد الى أرذل العمر وهي حرف جر وكي هنا ناصبة بنفسها بمعنى أن ينسبك منها مع مابعدها مصدر فالتقدير لايبقى علمه شيأ بعد أن كان علمه ولما ذكر تعالى خلقنا ثم اماتتنا وتفاوتنا في السن ذكر تفاوتنا في الرزق وأن رزقنا أفضل من رزق المماليك وهم بشر مثلنا والتفاضل بالرزق يكون بالكثرة والقلة ثم نفى تعالى أن يكون من فضل في الرزق رادّا رزقه على مملوكه إذ ذلك الرزق الذي يطعمه مملوكه هو رزق الله والكل مرزوقون لله تعالى بالرزق الذي قدره للمالك والمملوك ولذلك قال تعالى ﴿فهم فيه سواء﴾ أي الملاك والمملوكون في الرزق سواء ولذلك قال بعض الأدباء * ولا تقولن لي فضل على أحد * الفضل لله ما للناس افضال * ثم استفهم عن جحودهم نعمة استفهام انكار وأتى بالنعمة الشاملة للرزق وغيره من النعم التي

أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيأ ولا يستطيعون * فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وأنتم لاتعلمون * لما ذكر تعالى تلك الآيات التى فى الانعام والثمرات والنحل ذكر مانبهنا به على قدرته التامة فى انشائنا من العدم وامانتنا وتنقلنا فى حال الحياة من حالة الجهل الى حالة العلم وذلك كله دليل على القدرة التامة والعلم الواسع ولذلك ختم بقوله عليم قدير وأرذل العمر آخره الذى تفسد فيه الحواس ويختل النطق والفكر وخص بالرذيلة لأنها حالة لا رجاء بعدها الاصلاح مافسد بخلاف حال الطفولة فانها حالة تتقدم فيها الى القوة وادراك الاشياء ولا يتقيد أرذل العمر بسن مخصوص كما روى عن على انه خمس وسبعون سنة * وعن قتادة انه تسعون وانما ذلك بحسب انسان انسان فرب ابن خمسين انتهى الى أرذل العمر ورب ابن مائة لم يرد اليه والظاهر ان من رد الى أرذل العمر عام فيمن يلحقه الخرف والهرم * وقيل هذا فى الكافر لأن المسلم لا يزداد بطول عمره الا كرامة على الله ولذلك قال تعالى ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات أى لم يردوا الى أسفل سافلين * وقال قتادة من قرأ القرآن لم يرد الى أرذل العمر واللام فى لكى قال الحوفى هى لام كى دخلت على كى للتوكيد وهى متعلقة بيرد انتهى والذى ذهب اليه محققو النحاة فى مثل لكى ان كى حرف مصدرى اذا دخلت عليها اللام وهى الناصبة كأن واللام جارة فينسبك من كى والمضارع بعدها مصدر مجرور باللام تقديرا فاللام على هذا لم تدخل على كى للتوكيد لاختلاف معناهما واختلاف عملهما لأن اللام مشعرة بالتعليل وكى حرف مصدرى واللام جارة وكى ناصبة * وقال ابن عطية يشبه أن تكون لام صيرورة والمعنى ليصير أمره بعد العلم بالاشياء الى أن لا يعلم شيأ وهذه عبارة عن قلة علمه لا انه لا يعلم شيأ البتة * وقال الزمخشرى ليصير الى حالة شبيهة بحالة الطفولة فى النسيان وان يعلم شيأ ثم يسرع فى نسيانه فلا يعلمه ان سئل عنه * وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الاول شيأ * وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه انتهى وانتصب شيأ اما بالمصدر على مذهب البصريين فى اختيار اعماله مايلى للقرب أو بيعلم على مذهب الكوفيين فى اختيار اعمال ماسبق للسبق ولما ذكر مايعرض فى الهرم من ضعف القوى والقدرة وانتفاء العلم ذكر علمه وقدرته اللذين لايتبدلان ولا يتغيران ولا يدخلهما الحوادث وليست صفة العلم ماجاورها من انتفاء العلم وتقدم أيضا ذكر مناسبة للختم بهذين الوصفين ولما ذكر تعالى خلقنا ثم اماتتنا وتفاوتنا فى السن ذكر تفاوتنا فى الرزق وان رزقنا أفضل من رزق المماليك وهم بشر مثلنا وربما كان المملوك خيرا من المولى فى العقل والدين والتصرف وان الفاضل فى الرزق لايساهم مملوكه فيما رزق فيساويه وكان ينبغى أن يرد فضل مارزق عليه ويساويه فى المطعم والملبس كما يحكى عن أبى ذر انه رئى عبده وازاره ورداؤه مثل ردائه من غير تفاوت عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون * وعن ابن عباس وقتادة ان الاخبار بقوله فما الذين فضلوا برادى رزقهم على سبيل المثل أى ان المفضلين فى الرزق لايصح منهم أن يساهموا مماليكهم فيما أعطوا حتى تستوى أحوالهم فاذا كان هذا فى البشر فكيف تنسبون أنتم أيها الكفرة الى الله تعالى انه يشرك فى الوهيته الاوثان والاصنام ومن عبد من الملائكة وغيرهم والجميع عبيده وخلقه وعن ابن عباس ان الآية مشيرة الى عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام * وقال المفسرون هذه الآية كقوله ضرب لكم مثلا من أنفسكم

لاتحصى أى ان من يفضل عليكم بالنشأة أولا ثم بما فيه قوام حياتكم جدير بان يشكر نعمه ولا يكفر ولما ذكر تعالى امتنانه بالايجاد ثم بالرزق المفضل فيه ذكر امتنانه بما يقوم بمصالح الانسان مما يأنس به ويستنصر به ويخدمه واحتمل من أنفسكم أن يكون المراد من جنسكم ونوعكم واحتمل أن يكون ذلك باعتبار خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم صلى الله عليه وسلم فنسب ذلك الى بنى آدم وكلا الاحتمالين مجاز والظاهر عطف حفدة على بنين فيكون الجميع من الازواج وأنهم غير البنين فقال الحسن الحفدة هم بنو الابن والحفدة الأعوان والخدم ومن يسارع فى الطاعة يقال حفد يحفد حفدا وحفودا وحفدانا ومنه واليك نسعى ونحفد أى نسرع فى الطاعة وقال الشاعر

* حفد الولائد حولهن وأسلمت *
بأكفهن أزمة الاجمال *

وقال الأزهرى الحفدة أولاد الأولاد ولما ذكر تعالى ما امتن به من جعل الأزواج وماينتفع به من

الآية * وقيل المعنى ان الموالى والمماليك أنا رازقهم جميعافهم فى رزقى سواء فلا تحسبن الموالى انهم يردون على مماليكهم من عندهم شيأ من الرزق فانما ذلك أجريه اليهم على أيديهم وعلى هذا القول يكون فهم فيه سواء جملة اخبار عن تساوي الجميع فى ان الله تعالى هو رازقهم وعلى القولين الآخرين تكون الجملة فى موضع جواب النفى كأنه قيل فيستووا * وقيل هى جملة استفهامية حذف منها الهمزة التقدير أفهم فيه سواء أى ليسوا مستوين فى الرزق بل التفضيل واقع لا محالة ثم استفهم عن جحودهم نعمة استفهام انكار وأتى بالنعمة الشاملة للرزق وغيره من النعم التى لا تحصى أى ان من تفضل عليكم بالنشأة أولا ثم بما فيه قوام حياتكم جدير بان تشكر نعمه ولا تكفر * وقرأ أبو بكر عن عاصم وأبو عبد الرحمن والأعرج بخلاف عنه تجحدون بالتاء على الخطاب لقوله فضل تبكيتا لهم فى جحد نعمة الله ولما ذكر تعالى امتنانه بالايجاد ثم بالرزق المفضل فيه ذكر امتنانه بما يقوم بمصالح الانسان مما يأنس به ويستنصر به ويخدمه واحتمل من أنفسكم أن يكون المراد من جنسكم ونوعكم واحتمل أن يكون ذلك باعتبار خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم فنسب ذلك الى بنى آدم وكلا الاحتمالين مجاز والظاهر أن عطف حفدة على بنين يفيد كون الجميع من الأزواج وانهم غير البنين * فقال الحسن هم بنو ابنك * وقال ابن عباس والأزهرى الحفدة أولاد الأولاد واختاره ابن العربى * وقال ابن عباس أيضا البنون صغار الأولاد والحفدة كبارهم * وقال مقاتل بعكسه * وقيل البنات لانهن يخدمن فى البيوت أتم خدمة ففى هذا القول خص البنين بالذكران لانه جمع مذكر كما قال المال والبنون زينة الحياة الدنيا وانما الزينة فى الذكور * وعن ابن عباس هم أولاد الزوجة من غير الزوج التى هى فى عصمته * وقيل وحفدة منصوب بجعل مضمرة وليسوا داخلين فى كونهم من الأزواج فقال ابن مسعود وعلقمة وأبو الضحى وابراهيم بن جبير الأصهار وهم قرابة الزوجة كأبيها وأخيها * وقال مجاهد هم الأنصار والاعوان والخدم * وقالت فرقة الحفدة هم البنون أى جامعون بين البنوة والخدمة فهو من عطف الصفات لموصوف واحد * قال ابن عطية مامعناه وهذه الاقوال مبنية على ان كل أحد جعل له من زوجه بنين وحفدة وهذا انما هو فى الغالب وعظم الناس ويحتمل عندى ان قوله من أزواجكم انما هو على العموم والاشتراك أى من أزواج البشر جعل الله منهم البنين ومنهم جعل الخدمة وهكذا رتبت الآية النعمة التى تشمل العالم ويستقيم لفظ الحفدة على مجراها فى اللغة اذ البشر بجملتهم لا يستغنى أحد منهم عن حفدة انتهى وفى قوله من أنفسكم أزواجا دلالة على كذب العرب فى اعتقادها ان الآدمى قد يتزوج من الجن ويباضعها حتى حكوا ذلك عن عمرو بن هند انه تزوج سعلاة ومن فى الطيبات للتبعيض لان كل الطيبات فى الجنة والذى فى الدنيا أنموذج منها والظاهر ان الطيبات هنا المستلذات لا الحلال لان المخاطبين كفار لا يتلبسون بشرع ولما ذكر تعالى ما امتن به من جعل الازواج وما ننتفع به من جهتهن ذكر منته بالرزق والطيبات عام فى النبات والثمار والحبوب والاشربة ومن الحيوان * وقيل الطيبات الغنائم * وقيل ما أتى من غير نصب * وقال مقاتل الباطل الشيطان ونعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم * وقال الكلبى طاعة الشيطان فى الحلال والحرام * وقيل ما يرجى من شفاعة الاصنام وبركتها * قال الزمخشرى أفبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون من منفعة الأصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الاوهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا أمارة فليس لهم ايمان الابه كأنه شئ معلوم مستيقن ونعمة الله المشاهدة المعاينة التى لا شبهة فيها لذى

جهتهن ذكر تعالى منته بالرزق والطيبات عام فى النبات والثمار والحبوب والأشربة ﴿ويعبدون﴾ استئناف اخبار عن حالهم فى عبادة الأصنام وفى ذلك تبيين لقوله تعالى أفبالباطل يؤمنون نعى عليهم فساد نظرهم فى عبادة مالا يمكن أن يقع منه مايسع عابده فى تحصيله منه وهو الرزق ولا هو فى استطاعته فنفى أولا أن يكون شئ من الرزق فى ملكهم ونفى ثانيا قدرتها على أن تحاول ذلك وما لا يملك عام فى جميع من عبد من دون الله من ملك أو آدمى أو غير ذلك وأجازوا فى شيأ انتصابه بقوله رزقا قال ابن عطية والمصدر يعمل مضافا باتفاق لانه فى تقدير الانفصال ولا يعمل اذا دخله الألف واللام لانه قد توغل فى حال الأسماء وبعد عن الفعلية وتقدير الانفصال فى الاضافة حسن عمله وقد جاء عاملا مع الألف واللام فى قوله ضعيف النكاية أعداءه البيت وقوله

* لحقت فلم أنكل عن الضرب مسمعا *

انتهى أما قوله يعمل مضافا باتفاق ان عنى من البصريين فصحيح وان عنى من النحويين فغير صحيح

لان بعض النحويين ذهب الى أنه وان أضيف لا يعمل وان نصب ما بعده أو رفعه انما هو على اضمار الفعل المدلول عليه بالمصدر وأما قوله لانه في تقدير الانفصال فليس كذلك لانه لو كان في تقدير الانفصال لكانت الاضافة غير محضة وقد قال بذلك أبو القاسم بن برهان وأبو الحسين بن الطراوة ومذهبهما فاسد لنعت هذا المصدر المضاف وتوكيده بالمعرفة وأما قوله ولا يعمل الى آخره فقد ناقض في قوله آخرا وقد جاء عاملا مع الألف واللام وأما كونه لا يعمل مع الالف واللام فهو مذهب منقول عن الكوفيين ومذهب سيبويه جواز اعماله قال سيبويه وتقول عجبت من الضرب زيدا كما تقول عجبت من الضارب زيدا تكون الالف واللام بمنزلة التنوين والظاهر عود الضمير في يستطيعون على ما على معناها (٥١٦) لانه يراد بها آلهتهم بعد ما أعاد على اللفظ في قوله لا يملك فافرد وجاز أن يكون داخلا في صلة ما وجاز أن لا يكون داخلا بل اخبار عنهم بانتفاء الاستطاعة أصلا لانهم أموات وأما قول الزمخشري انه يراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد فليس كما ذكر لان نفي الملك مغاير لنفي الاستطاعة ﴿فلا تضربوا لله الامثال﴾ قال ابن عباس لا تشبهوه بخلقه ﴿ان الله يعلم﴾ أثبت العلم لنفسه والمعنى أنه يعلم ما تفعلون من عبادة غيره والاشراك به وعبر عن الجزاء بالعلم ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ كنه ما أقدمتم عليه ولا وبال عاقبته

عقل وتمييزهم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا تتصوره العقول * وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم انتهى * وقرأ الجمهور يؤمنون بالياء وهو توقيف للرسول صلى الله عليه وسلم على ايمانهم بالباطل ويندرج في التوقيف المعطوف بعدها * وقرأ السلمي بالتاء وروي عن عاصم وهو خطاب انكار وتقريع لهم والجملة بعد ذلك مجرد اخبار عنهم فالظاهر انه لا يندرج في التقريع ويعبدون استفهام اخبار عن حالهم في عبادة الاصنام وفي ذلك تبيين لقوله أفبالباطل يؤمنون نعى عليهم فساد نظرهم في عبادة ما لا يمكن أن يقع منه ما يسعى عابده في تحصيله منه وهو الرزق ولا هو في استطاعته فنفى أولا أن يكون شيء من الرزق في ملكهم ونفى ثانيا قدرتها على أن تحاول ذلك وما لا تملك عام في جميع من عبد من دون الله من ملك أو آدمي أو غير ذلك وأجازوا في شيئا انتصابه بقوله رزقا أجاز ذلك أبو علي وغيره ورد عليه ابن الطراوة بان الرزق هو المرزوق كالرعي والطحن والمصدر هو الرزق بفتح الراء كالرعي والطحن ورد على ابن الطراوة بان الرزق بالكسر يكون أيضا مصدرا وسمع ذلك فيه فصح أن يعمل في المفعول به والمعنى ما لا يملك لهم أن يرزق من السموات والارض شيأ ومن السموات متعلق اذ ذاك بالمصدر * قال ابن عطية بعد أن ذكر أعمال المصدر منونا والمصدر يعمل مضافا باتفاق لانه في تقدير الانفصال ولا يعمل اذا دخله الالف واللام لانه قد توغل في حال الأسماء وبعد عن الفعلية وتقدير الانفصال في الاضافة حسن عمله وقد جاء عاملا مع الالف واللام في قول الشاعر * ضعيف النكاية أعداءه * البيت وقوله * لحقت فلم أنكل عن الضرب مسمعا * انتهى أما قوله يعمل مضافا بالاتفاق ان عنى من البصريين فصحيح وان عنى من النحويين فغير صحيح لان بعض النحويين ذهب الى انه وان أضيف لا يعمل وان نصب ما بعده أو رفعه انما هو على اضمار الفعل المدلول عليه بالمصدر وأما قوله لانه في تقدير الانفصال ليس كذلك لانه لو كان في تقدير الانفصال لكانت الاضافة غير محضة وقد قال بذلك أبو القاسم بن برهان وأبو الحسين بن الطراوة ومذهبهما فاسد لنعت هذا المصدر المضاف وتوكيده بالمعرفة وأما قوله ولا يعمل الى آخره فقد ناقض في قوله أخيرا وقد جاء عاملا مع الالف واللام وأما كونه لا يعمل مع الالف واللام فهو مذهب

(الدر)

(ع) والمصدر يعمل مضافا بالاتفاق لانه في تقدير الانفصال ولا يعمل اذا دخله الالف واللام لانه قد توغل في حال الاسماء وبعد عن الفعلية وتقدير الانفصال في الاضافة حسن عمله وقد جاء عاملا مع الألف واللام في قول الشاعر * ضعيف النكاية أعداءه * البيت * وقوله * لحقت فلم أنكل عن الضرب مسمعا * انتهى (ح) أما قوله يعمل مضافا بالاتفاق ان عنى من البصريين فصحيح وان عنى من النحويين فغير صحيح لأن بعض النحويين ذهب الى أنه وان أضيف لا يعمل وان نصب ما بعده أو رفعه انما هو على اضمار الفعل المدلول عليه بالمصدر وأما قوله لأنه في تقدير الانفصال فليس كذلك لانه لو كان في تقدير الانفصال لكانت الاضافة غير محضة وقد قال بذلك أبو القاسم بن برهان وأبو الحسن بن الطراوة ومذهبهما فاسد لنعت هذا المصدر والمضاف وتوكيده بالمعرفة وأما قوله ولا يعمل الى آخره فقد ناقض في قوله آخرا وقد جاء عاملا مع الألف واللام وأما كونه لا يعمل مع الالف واللام فهو مذهب منقول عن الكوفيين ومذهب سيبويه جواز اعماله قال سيبويه وتقول

منقول عن الكوفيين ومذهب سيبويه جواز اعماله * قال سيبويه وتقول عجبت من الضرب زيدا كما تقول عجبت من الضارب زيدا تكون الألف واللام بمنزلة التنوين واذا كان رزقا يراد به المرزوق فقالوا انتصب شيأ على انه بدل من رزقا كأنه قيل مالا يملك لهم من السموات والأرض شيأ وهو البدل جاريا على جهة البيان لانه أعم من رزق ولا على جهة التوكيد لانه لعمومه ليس مرادا فينبغي أن لا يجوز اذ لا يخلو البدل من أحد نوعيه هذين اما البيان واما التوكيد وأجازوا أيضا أن يكون مصدرا أي شيأ من الملك كقوله ولا تضرونه شيأ أي شيأ من الضرر وعلى هذين الاعرابين تتعلق من السموات بقوله لا يملك أو يكون في موضع الصفة لرزق فيتعلق بمحذوف ومن السموات رزقا يعني به المطر وأطلق عليه رزق لانه عنه ينشأ الرزق والأرض يعني الشجر والثمر والزرع والظاهر عود الضمير في يستطيعون على ما على معناها لانه يراد بها آلهتهم بعد ما عاد على اللفظ في قوله مالا يملك فأفرد وجاز أن يكون داخلا في صلة ما وجاز أن لا يكون داخلا بل اخبار عنهم بانتفاء الاستطاعة أصلا لانهم أموات وأما قول الزمخشري انه يراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد فليس كما ذكر لان نفي الملك مغاير لنفي الاستطاعة * وقال ابن عباس ولا يستطيعون أن يرزقوا أنفسهم وجوز الزمخشري وابن عطية أن يعود الضمير على ما عاد عليه في قوله ويعبدون وهم الكفار أي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم أحياء متصرفون أولو ألباب من ذلك شيأ فكيف بالجماد الذي لا حس به قاله الزمخشري وقال ابن عطية لا يستطيعون ذلك ببرهان يظهرونه وحجة يثبتونها انتهى ونهى تعالى عن ضرب الأمثال لله وضرب الأمثال تمثيلها والمعنى هنا تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة من قولهم هذا ضرب لهذا أي مثل والضرب النوع تقول الحيوان على ضروب أي أنواع وهذا من ضرب واحد أي من نوع واحد * وقال ابن عباس معناه لا تشبهوه بخلقه انتهى وقال ان الله يعلم أثبت العلم لنفسه والمعنى انه يعلم ما تفعلون من عبادة غيره والاشراك به وعبر عن الجزاء بالعلم وأنتم لا تعلمون كنه ما أقدمتم عليه ولا وبال عاقبته فعدم علمكم بذلك جركم وجرأكم وهو كالتعليل للنهي عن الاشراك * قال الزمخشري ويجوز أن يراد ان الله يعلم كيف نضرب الامثال وأنتم لا تعلمون انتهى وقاله ابن السائب قال يعلم ضرب المثل وأنتم لا تعلمون ذلك * وقال مقاتل يعلم انه ليس له شريك وأنتم لا تعلمون ذلك * وقيل يعلم خطأ ما تضربون من الأمثال وأنتم لا تعلمون صواب ذلك من خطئه ﴿ ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون * وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم * ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ان الله على كل شئ قدير * والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة لعلكم تشكرون * ألم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون * والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين * والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون * فان تولوا فانما عليك

(الدر)

عجبت من الضرب زيدا كما تقول عجبت من الضارب زيدا تكون الألف واللام بمنزلة التنوين (ح) الظاهر عود الضمير في يستطيعون على ما على معناها لأنه يراد بها آلهتهم بعد ما عاد على اللفظ في قوله لا يملك فأفرد وجاز أن يكون داخلا في صلة ما وجاز أن لا يكون داخلا بل اخبار عنهم بانتفاء الاستطاعة أصلا لأنهم أموات وأما قول (ش) انه يراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد فليس كما ذكر لأن نفي الملك مغاير لنفي الاستطاعة

﴿ضرب الله مثلا عبدا مملوكا﴾ الآية مناسبة ضرب هذا المثل أنه لما بين تعالى ضلالهم في اشراكهم بالله غيره وهو لا يجلب نفعا ولا ضرا لا لنفسه ولا لعابده ضرب لهم مثلا في قصة عبد في ملك غيره عاجز عن التصرف وحر غني متصرف فيما آتاه الله تعالى فاذا كان هذان لا يستويان عندكم مع كونهما من جنس واحد ومشتركين في الانسانية فكيف تشركون بالله تعالى وتسوون به من هو مخلوق له مقهور بقدرته من آدمي وغيره مع تباين الاوصاف وأن واجب الوجود لا يمكن أن يشبهه شيء من خلقه ولا يمكن لعاقل أن يشبه به غيره ﴿وضرب الله مثلا رجلين﴾ أي قصة رجلين وهذا مثل ثان ضربه تعالى لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته وألطافه والنعمة الدينية والدنيوية والاصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع والابكم الذي ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم ﴿وهو كل على مولاه﴾ أي ثقيل وعيال على من يلي أمره ويعوله ﴿أينما يوجهه﴾ حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة أو كفاية مهم لم ينفع ولم يأت بنجح ﴿هل يستوي هو﴾ ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفاية مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل ﴿وهو﴾ في نفسه ﴿على صراط مستقيم﴾ على سيرة صالحة ودين قويم ثم ذكر تعالى ان له غيب السموات والارض وهو ما غاب عن العباد وخفي فيها عنهم عامة والظاهر اتصاله بقوله ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون أخبر باستئثاره بعلم غيب السموات والارض ثم بكمال قدرته على الاتيان بالساعة التي ينكرونها في لمحة البصر أو أقرب والمعنى بهذا الاخبار أن الآلهة التي يعبدونها منتف عنها هذان الوصفان اللذان للاله وهما العلم المحيط بالمغيبات والقدرة البالغة التامة ومن ذكر أن قوله ومن يأمر بالعدل هو الله ذكر ارتباط هذه الجملة بما قبلها بأن من يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم هو الكامل في العلم والقدرة فبين ذلك بهذه الجملة ولما ذكر تعالى أمر الساعة وانها كائنة لا محالة وكان في ذلك دلالة على النشأة الآخرة وتقدم وصفهم بانتفاء العلم ذكر النشأة الاولى وفي اخراجهم من بطون أمهاتهم غير عالمين شيئا تنبيها على وقوع النشأة الآخرة ثم ذكر امتنانه عليهم بجعل الحواس التي هي سبب لادراك الاشياء والعلم قال الزمخشري والافئدة من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة إذ لم يرد في السماع غيرها كما قالوا اشسوع في جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى انتهى ودعوى الزمخشري انه لم يجئ في جمع شسع الا اشسوع لا غير

البلاغ المبين * يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون * ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون ﴾ الكل الثقيل وقد يسمى اليتيم كلا لثقله على من يكفله * وقال الشاعر

أكول لمال الكل قبل شبابه * اذا كان عظم الكل غير شديد

والكل أيضا الذي لا ولد له ولا والد والكل العيال والجمع كلول * اللمح النظر بسرعة لمحه لمحا ولمحانا * الجو مسافة ما بين السماء والأرض * وقيل هو ما يلي الأرض في سمت العلو واللوح والسكاك أبعد منه * الظعن سير البادية في الانتجاع والتحول من موضع الى موضع والظعن الهودج أيضا * الصوف للضأن والوبر للابل والشعر للمعز قاله أهل اللغة في قوله ومن أصوافها الآية * الاثاث قال المفضل متاع البيت كالفرش والاكسية * وقال الفراء لا واحد له من لفظه كما ان المتاع لا واحد له من لفظه ولو جمعت لقلت أثثة في القليل وأثث في الكثير * وقال أبو زيد واحده أثاثة * وقال الخليل أصله من قولهم أثث النبات والشعر فهو أثيث اذا كثر * قال امرؤ القيس

وفرع يزين المتن اسود فاحم * أثيث كقنو النخلة المتعثكل

الكن ما حفظ ومنع من الريح والمطر وغير ذلك ومن الجبال الغار * استعتبت الرجل بمعنى أعتبته أي أزلت عنه ما يعتب عليه ويلام والاسم العتبى وجاءت استفعل بمعنى أفعل نحو استدنيته وأدنيته ﴿ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون * وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم * ولله غيب السموات والارض وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ان الله على كل شيء قدير * والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون * ألم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ مناسبة ضرب هذا المثل انه لما بين تعالى ضلالهم في اشراكهم بالله غيره وهو لا يجلب نفعا ولا ضرا لنفسه ولا لعابده ضرب لهم مثلا قصة عبد في ملك غيره عاجز عن

التصرف وحر غني متصرف فيما آتاه الله فاذا كان هذان لا يستويان عندكم مع كونهما من جنس واحد ومشتركين في الانسانية فكيف تشركون بالله وتسوون به من هو مخلوق له مقهور بقدرته من آدمي وغيره مع تباين الاوصاف وان موجد الوجود لا يمكن أن يشبهه شيء من خلقه ولا يمكن لعاقل أن يشبه به غيره * قال مجاهد هذا مثل لله وللاصنام * وقال قتادة للمؤمن والكافر فالكافر العبد المملوك لا ينتفع بعبادته في الآخرة ومن رزقناه المؤمن * وقال ابن جبير مثل للبخيل والسخي انتهى ولما كان لفظ عبد قد يطلق على الحر خصص بمملوك ولما كان المملوك قد يكون له تصرف وقدرة كالمأذون له والمكاتب خصص بقوله لا يقدر على شيء والمعنى على شيء من التصرف في المال لانه يقدر على أشياء من حركاته كالقيام والقعود والاكل والشرب والنوم وغير ذلك والظاهر كون ومن موصولة أي والذي رزقناه ودلت الصلة وما عطف على أنه يراد به الحر * وقال أبو البقاء موصوفة * قال الزمخشري الظاهر انها موصوفة كانه قال وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع أن تكون موصولة * وقال الحوفي من بمعنى الذي ولا يقتضي ضرب المثل لشخصين موصوفين بأوصاف متباينة تعيينهما بل ما روي في تعيينهما من أنهما عثمان بن عفان رضي الله عنه وعبد له أو أنهما أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأبو جهل لا يصح اسناده وجمع الضمير في يستوون ولم يثن لسبق اثنين لأن من يحتمل أن يراد بها الجمع فيصير اذ ذاك جمع الضمير لانتظام العبد المملوك والأغنياء في الجمع وكأنه قيل عبدا مملوكا والملاك المرزوقون المنفقون ويحتمل أن يراد بعبدا مملوكا الجنس فيصلح عود الضمير جمعا عليه وعلى جنس الاغنياء ويحتمل أن يعود على العبيد والأحرار وان لم يجر للجمعين ذكر لدلالة عبدا مملوك ومن رزقناه عليهما قل الحمد لله الظاهر أنه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم * وقيل يحتمل أن يكون خطابا لمن رزقه الله أمره أن يحمد الله على أن ميزه بهذه القدرة على ذلك الضعيف * وقال ابن عطية الحمد لله شكر على بيان الأمر بهذا المثل وعلى اذعان الخصم له كما تقول لمن أذعن لك في حجة وسلم تبني أنت عليه قولك الله أكبر على هذا يكون كذا وكذا فلما قال هنا هل يستوون فكأن الخصم قال له لا فقال الحمد لله ظهرت الحجة انتهى * وقيل الحمد لله أي هو المستحق للحمد دون ما يعبدون من دونه اذ لا نعمة للاصنام عليهم فتحمد عليها انما الحمد الكامل لله لانه المنعم الخالق * وقال ابن عباس الحمد لله على ما فعل بأوليائه وأنعم عليهم بالتوحيد والظاهر نفي العلم عن أكثرهم لأن منهم من بان له الحق ورجع اليه أو أكثر الخلق لأن الأكثرهم المشركون * وقيل المراد بها العموم أي بل هم لا يعلمون ومتعلق يعلمون محذوف اما لان المعنى نفي العلم عن الأكثر ولم يلحظ متعلقه واما لانه محذوف يترتب على الاقوال التي سببها قوله الحمد لله وضرب الله مثلا رجلين أي قصة رجلين * قال الزمخشري وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته وألطافه ونعمه الدينية والدنيوية والأصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع والأبكم الذي ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم وهو كل على مولاه أي ثقيل وعيال على من يلي أمره ويعوله أينما يوجهه حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة أو كفاية مهم لم ينفع ولم يأت بنجح هل يستوي هو ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل وهو في نفسه على سيرة صالحة ودين قويم انتهى * وقال ابن عباس أحدهما أبكم مثل للكافر والذي يأمر بالعدل المؤمن * وقال قتادة هذا مثل لله تعالى والأصنام فهي كالابكم الذي لا نطق له ولا يقدر على شيء وهو عيال على من والاه من قريب أو صديق كالاصنام

فليس بصحيح بل جاء فيه جمع القلة قالوا أشساع وماذكره ابن الخطيب هنا ليس بشيء ولما كانت النشأة الاولى وجعل ما يعلمون به لهم من أعظم النعم عليهم قال لعلكم تشكرون وتقدم الكلام في أمهات في النساء ولا تعلمون جملة حالية أي غير عالمين ولما ذكر تعالى مدارك العلم الثلاثة السمع والبصر والعقل والاول مدرك المحسوس والثاني مدرك المعقول اكتفى من ذكر مدرك المحسوس بذكر النظر فانه أغرب لما يشاهد به من عظيم المخلوقات على بعدها المتفاوت كشاهدته المنيرات في الافلاك وجعل هنا موضع الاعتبار والتعجب الحيوان الطائر فان طيرانه في الهواء مع ثقل جسمه مما يتعجب منه ويعتبر به وتضمنت الآية ذكر مدرك العقل في كونه لا يسقط إذ ليس تحتهما يدعمه ولا فوقه ما يتعلق به فيعلم بالعقل أنه له ممسك قادر على امساكه وهو الله فانتظم في الآية ذكر مدرك الحس ومدرك العقل ومعنى مسخرات مذللات وبني للمفعول دلالة على أن

وصفهم بانتفاء العلم ذكر تعالى النشأة الاولى وهي اخراجهم من بطون أمهاتهم غير عالمين شيأ تنبيها على وقوع النشأة الآخرة ثم ذكر تعالى امتنانه عليهم بجعل الحواس التي هي سبب لادراك الاشياء والعلم ولما كانت النشأة الاولى وجعل مايعلمون به لهم من أعظم النعم عليهم قال لعلكم تشكرون وتقدّم الكلام في أمهات في النساء * وقرأ حمزة بكسر الهمزة والميم هنا وفي النور والزمر والنجم والكسائي بكسر الهمزة فيهن والاعمش بحذف الهمزة وكسر الميم وابن أبي ليلى بحذفها وفتح الميم * قال أبو حاتم حذف الهمزة ردىء ولكن قراءة ابن أبي أصوب انتهى وانما كانت أصوب لأن كسر الميم انما هو لاتباعها حركة الهمزة فاذا كانت الهمزة محذوفة زال الاتباع بخلاف قراءة ابن أبي ليلى فانه أقرّ الميم على حركتها ولاتعلمون جملة حالية أي غير عالمين وقالوا لاتعلمون شيأ مما أخذ عليكم من الميثاق في أصلاب آبائكم أوشيأ مما قضى عليكم من السعادة أو الشقاوة أوشيأ من منافعكم والاولى عموم لفظ شيء ولاسيما في سياق النفي * وقال وهب يولد المولود حذرا الى سبعة أيام لايدرك راحة ولاألما و يحتمل وجعل أن يكون معطوفا على أخرجكم فيكون واحدا في حيز خبر المبتدأ ويحتمل أن يكون استئناف اخبار معطوفا على الجملة الابتدائية كاستئنافها والمراد بالسمع والابصار والافئدة احساسها وادراكها فعبر عن ذلك بالآية * وقال أبو عبدالله الرازي مامعناه انما جمع الفؤاد جمع قلة لأنه انما خلق للمعارف الحقيقية اليقينية وأكثر الخلق مشغولون بالافعال البهيمية فكان فؤادهم ليس بفؤاد فلذلك ذكر في جمعه جمع القلة انتهى ملخصا وهو قول هذياني ولولا جلالة قائله وتسطيره في الكتب ماذكرته وانما يقال في هذا ماقاله الزمخشري انه من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة اذا لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع في جمع شسع لاغير فجرى ذلك المجرى انتهى الاأن دعوى الزمخشري انه لم يجيء في جمع شسع الاشسوع لاغير ليس بصحيح بل جاء فيه جمع القلة قالوا أسساع فكان ينبغي له أن يقول غلب شسوع * وقرأ ابن عامر وحمزة وطلحة والاعمش وابن هرمز ألم تروا بتاء الخطاب وباقي السبعة بالياء * قال ابن عطية واختلف عن الحسن وعيسى الثقفي وعاصم وأبي عمرو ولما ذكر تعالى مدارك العلم الثلاثة السمع والنظر والعقل والاولان مدرك المحسوس والثالث مدرك المعقول اكتفى من ذكر مدرك المحسوس بذكر النظر فانه أغرب لما يشاهد به من عظيم المخلوقات على بعدها المتفاوت كمشاهدته النيرات التي في الافلاك وجعل هنا موضع الاعتبار والتعجب الحيوان الطائر فان طيرانه في الهواء مع ثقل جسمه مما يعجب منه و يعتبر به وتضمنت الآية أيضا ذكر مدرك العقل في كونه لايسقط إذ ليس تحته مايدعمه ولا فوقه مايتعلق به فيعلم بالعقل انه له ممسك قادر على امساكه وهو الله تعالى كما قال تعالى أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن مايمسكهن الاالرحمن انه بكل شيء بصير فانتظم في الآية ذكر مدرك الحس ومدرك العقل ومعنى مسخرات مذللات وبني للمفعول دلالة على أن له مسخرا * وقال أبو عبدالله الرازي هذا دليل على كمال قدرة الله وحكمته فانه تعالى خلق الطائر خلقة معها يمكنه الطيران أعطاه جناحا يبسطه مرة و يكنه أخرى مثل مايعمل السابح في الماء وخلق الجو خلقة معها يمكن الطيران خلقه خلقة لطيفة يسهل بسببها خرقه والنفاذ فيه ولولا ذلك لما كان الطيران ممكنا انتهى وكلامه منتزع من كلام القاضي قال انما أضاف الامساك الى نفسه لأنه تعالى هو الذي أعطى الآلات لأجلها تمكن الطائر من تلك الافعال فلما كان هو المتسبب لذلك صحت هذه الاضافة انتهى والذي نقوله انه كان يمكنه أن يطير ولو لم يخلق له جناح وانه كان يمكنه خرق الشيء الكثيف وذلك بقدرة الله تعالى

(الدر)

(ح) قال أبو عبدالله الرازي مامعناه انما جمع الفؤاد جمع قلة لانه انما خلق للمعارف الحقيقية اليقينية وأكثر الخلق مشغولون بالافعال البهيمية فكأن فؤادهم ليس بفؤاد فلذلك ذكر في جمعه جمع القلة انتهى ملخصا وهو قول هذياني ولولا جلالة قائله وتسطيره في الكتب ماذكرته وانما يقال في هذا ماقاله (ش) من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة اذا لم يرد في السماع غيرها كما قالوا شسوع في جمع شسع لاغير فجرت ذلك المجرى انتهى الا ان دعوى (ش) انه لم يجئ في جمع شسع الاشسوع لاغير ليس بصحيح بل جاء فيه جمع القلة قالوا أشساع

﴿والله جعل لكم من بيوتكم﴾ الآية والسكن فعل بمعنى (٥٢٣) مفعول كالقبض وأنشد الفراء * جاء الشتاء ولما أتخذ سكنا

وان الممسك له في جو السماء هو الله تعالى وقد قام الدليل على أن جميع الافعال كلها مخلوقة لله وقام الدليل على انه تعالى هو الفاعل المختار فلا نقول انه لولا الجناح ولطف الجو ما أمكن الطيران ولا لولا الآلات ما أمكن * وقال الزمخشري ما يوافق كلامهما قال مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك ثم أحسن أخيرا في قوله ما يمسكهن في قبضهن و بسطهن ووقوفهن الا الله بقدرته انتهى لآيات جمع ولم يفرد لما في ذلك من الآيات خفة الطائر التي جعلها الله فيه لأن يرتفع بها وثقله الذي جعله فيه لأن ينزل والفضاء الذي بين السماء والارض والامساك الذي لله تعالى أو جمع باعتبار ما في هذه الآية والتي قبلها وقال لقوم يؤمنون فانهم هم الذين ينتفعون بالاعتبار ولتضمن الآية ان المسخر والممسك لها هو الله فهو اخبار منه تعالى ما يصدق به الا المؤمن ﴿ والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم و يوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين * والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون * فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين * يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون ﴾ لما ذكر تعالى ما من به عليهم من خلقهم وما خلق لهم من مدارك العلم ذكر ما امتن به عليهم مما ينتفعون به في حياتهم من الامور الخارجية عن دوابهم من البيوت التي يسكنونها من الحجر والمدر والاخشاب وغيرها والسكن فعل بمعنى مفعول كالقبض والنفض وأنشد الفراء

جاء الشتاء ولما أتخذ سكنا * ياويح نفسي من حفر القراميص

وليس السكن بمصدر كما ذهب اليه ابن عطية وكانه تعالى ذكر أولا ما غالب البيوت عليه من كونها لا تنقل بل ينتقل الناس اليها ثم ذكر ثانيا ما من به علينا من المتخذ من جلود الأنعام وهو ما ينتقل من القباب والخيام والفساطيط التي من الادم أو ذكر أولا البيوت على طريق العموم ثم ذكر بيوت الجلود خصوصا تنبيها على حال أكثر العرب فانهم لانتجاعهم انما بيوتهم من الجلود والظاهر انه لا يندرج في البيوت التي من جلود الانعام بيوت الشعر و بيوت الصوف والوبر * وقال ابن سلام تندرج لانها ثابتة فيها فهي منها ومعنى تستخفونها تجدونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها وقد يراد بالاستخفاف في وقتي السفر والحضر أي مدة النجعة والاقامة * وقرأ الحرميان وأبو عمرو ظعنكم بفتح العين وباقي السبعة بسكونها وهما لغتان وليس السكون بتخفيف كما جاء في نحو الشعر والشعر لمكان حرف الحلق والظاهر أن أثاثا مفعول والتقدير وجعل من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا * وقيل أثاثا منصوب على الحال على ان المعنى جعل من أصوافها وأوبارها وأشعارها بيوتا فيكون ذلك معطوفا على من جلود الانعام كما تقول جعلت لك من الماء شرابا ومن اللبن وفي التقدير الأول يكون قد عطف مجرورا على مجرور ومنصوبا على منصوب كما تقول ضربت في الدار زيدا وفي القصر عمرا ولما لم تكن بلادهم بلاد قطن وكتان وحرير اقتصر على هذه الثلاثة هنا واندرجت في قوله سرابيل تقيكم الحر والمتاع ما يتمتع به أي ينتفع به * وقال ابن عباس الزينة * وقال المفضل المتجر والمعاش * وقال الخليل الأثاث والمتاع واحد وجمع

* ياويح نفسي من حفر القراميص * وليس السكن بمصدر كما ذهب اليه ابن عطية والظاهر أنه يندرج في البيوت التي من جلود الانعام بيوت الشعر و بيوت الصوف والوبر ﴿يوم ظعنكم﴾ يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها و يوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها والظاهر أن أثاثا مفعول والتقدير جعل من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ﴿مما خلق ظلالا﴾ لما كانت بلاد العرب الغالب عليها الحر امتن عليهم بذكر ما يكنهم منه كالظلال فيما له ظل والأكنان من الجبال الغيران والكهوف والبيوت المنحوتة منها والسربال ما لبس على البدن من قميص وغيره وثم محذوف تقديره الحر والبرد لان ماوقى الحر جدير أن يقي البرد ﴿وسرابيل تقيكم﴾ كناية عن الدروع والمغفر وغير ذلك ﴿فان تولوا﴾ يحتمل أن يكون ماضيا أي فان أعرضوا عن الاسلام و يحتمل أن يكون مضارعا أي فان تتولوا وحذفت التاء و يكون جاريا على الخطاب السابق والماضي على الالتفات والفاء بما بعدها جواب الشرط صورة والجواب حقيقة محذوف أي فانت معذور اذ أديت ما وجب عليك فأقيم سبب العذر وهو البلاغ مقام المسبب لدلالته عليه

بينهما لاختلاف اللفظين كقوله * وألفى قولها كذباومينا * وغياتعالى ذلك بقوله الى حين *فقال ابن عباس الى الموت * وقال مقاتل الى بلى ذلك الشئ * وقيل الى انقضاء حاجتكم منه ولما ذكر تعالى مامنّ به عليهم مماسبق ذكره وكانت بلادهم غالباعليها الحر ذكر امتنانه عليهم بمايقيهم الحر من خلق الاجرام التى لهاظل كالشجر وغيره ممايمنع من أذى الشمس *وقال ابن عباس ومجاهد ظلال الغمام *وقال ابن السائب ظلال البيوت *وقال قتادة والزجاج ظلال الشجر *وقال ابن قتيبة ظلال الشجر والجبال والاكنان من الجبال هى الغيران والكهوف والبيوت المنحوتة منها والسربال مالبس على البدن من قميص وقرقل ومجول ودرع وجوشن ونحو ذلك من صوف وكتان وقطن وغيرها واقتصر على ذكر الحر امالان مايقى الحر يقى البرد قاله الزجاج أوحذف البرد لدلالة ضده عليه قاله المبرد أولانه أمس فى تلك البلاد والبرد فيهامعدوم فى الاكثر واذا جاء توقى بالاثاث فيخلص السربال لتوقى الحر فقط قاله عطاء الخراسانى وهذا فى بلاد الحجاز وأماغيرهامن بلاد العرب فيوجد فيها البرد الشديد كاقال متمم * اذا القشع من برد الشتاء تقعقعا * وقال آخر * فى ليلة من جمادى ذات أندية * والسرابيل التى تقى الناس هى الدروع *قال كعب بن زهير

شم العرانين أبطال لبوسهم * من نسج داود فى الهيجا سرابيل

والسربال عام يقع على ما كان من حديد وغيره والبأس فى أصل اللغة الشدة وهنا الحرب وفى الحديث كنا اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى تقيكم أذى الحرب وهو مايعرض فيها من الجراح الناشئة من ضرب السيف والدبوس والرمح والسهم وغير ذلك ممايعد للحديث كذلك أى مثل ذلك الاتمام للنعمة فيماسبق يتم نعمته فى المستقبل * وقرأ ابن عباس تتم بتاء مفتوحة نعمته بالرفع أسند التمام اليها اتساعا وعنه نعمه جمعا * وقرأ لعلكم تسلمون بفتح التاء واللام من السلامة والخلاص فكأنه تعليل لوقاية السرابيل من أذى الحرب أوتسلمون من الشرك وأماتسلمون فى قراءة الجمهور فالمعنى تؤمنون أوتنقادون الى النظر فى نعم الله تعالى مفض الى الايمان والانقياد *روى أن أعرابياسمع قوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا الى آخر الآيتين فقال عند كل نعمة اللهم نعم فلما سمع لعلكم تسلمون قال اللهم هذا فلا فنزلت فان تولوا يحتمل أن يكون ماضيا أى فان أعرضوا عن الاسلام ويحتمل أن يكون مضارعا أى فان تتولوا وحذفت التاء ويكون جاريا على الخطاب السابق والماضى على الالتفات والفاء ومابعدها جواب الشرط صورة والجواب حقيقة محذوف أى فأنت معذور اذ أدّيت ماوجب عليك فأقيم سبب العذر وهو البلاغ مقام المسبب لدلالته عليه * وقال ابن عطية المعنى ان أعرضوا فلست بقادر على خلق الايمان فى قلوبهم فانماعليك أن تبين وتبلغ أمر الله ونهيه انتهى ثم أخبر عنهم على سبيل التقريع والتوبيخ بأنهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وعرفانهم للنعم التى عدت عليهم حيث يعترفون بها وأنهامنه تعالى وانكارهم لها حيث يعبدون غير الله وجعل ذلك انكارا على سبيل المجاز اذلم يرتبوا على معرفة نعمه تعالى مقتضاها من عبادته وافراده بالعبادة دون مانسبوا اليه من الشركاء قال قريبا من هذا المعنى مجاهد * وقال السدّى النعمة هنا محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى يعرفون بمعجزاته وآيات نبوته وينكرون ذلك بالتكذيب ورجحه الطبرى وعن مجاهد أيضا انكارهم قولهم ورثناهامن آبائنا وعن ابن عون اضافتها الى الأسباب لا الى مسببها وحكى صاحب الغنيان يعرفونها فى الشدة ثم ينكرونها فى الرخاء * وقيل انكارهم هى بشفاعة آلهتهم عند الله *وقيل

﴿ و يوم نبعث من كل أمة ﴾ الاية لما ذكر انكارهم لنعمة الله ذكر حال يوم القيامة حيث لا ينفع فيه الانكار على سبيل الوعيد لهم بذلك اليوم وانتصب يوم باضمار اذكر على أنه مفعول به ومتعلق الاذن محذوف فقيل فى الرجوع الى دار الدنيا أو فى الكلام والاعتذار ﴿ ولاهم يستعتبون ﴾ أى لا يزول عنهم العتب والظاهر أن قوله شركاؤهم عام فى كل من اتخذوه شريكا لله تعالى من صنم وغيره والظاهر أن القول منسوب اليهم حقيقة وقيل منسوب الى جوارحهم لأنهم لما أنكروا الاشراك بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين أصمت الله ألسنتهم وأنطق جوارحهم ومعنى ندعو نعبد قالوا ذلك رجاء أن يشركوا معهم فى العذاب اذ يحصل التأسى بهم والضمير فى فألقوا عائد على الذين أشركوا واليهم (٥٢٥) عائد على الشركاء ﴿ انكم لكاذبون ﴾ خطاب العابدين للمعبودين واجهوا من كانوا يعبدونهم بأنهم كاذبون والسلم الاستسلام والانقياد لحكم الله تعالى بعد الاباء والاستكبار فى الدنيا ﴿ وضل عنهم ﴾ أى بطل عنهم ﴿ ما كانوا يفترون ﴾ من أن لله تعالى شركاء والذين مبتدأ وزدناهم الخبر صدر منهم شيئان الكفر والصد عن سبيل الله فعوقبوا بعذابين عذاب على الصد فوق العذاب الذى لهم على الكفر وفى كل أمة يبعث فيها منها حذف فى السابق من أنفسهم وأثبته هنا وحذف هناك فى وأثبته هنا والمعنى فى كليهما أنه يبعث أنبياء الامم فيهم منهم والخطاب فى بك لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاشارة بهؤلاء الى أمته ونزلنا استئناف اخبار وليس داخلا مع ما قبله لاختلاف الزمانين لما ذكر ما شرفه الله تعالى به من الشهادة على أمته ذكر ما أنزل عليه مما فيه بيان كل شئ من أمور الدين ليزيح بذلك علتهم فيما كلفوا فلا حجة لهم ولا معذرة والظاهر أن تبيانا مصدر جاء على تفعال وان كان باب المصادر أن يجئ على تفعال بالفتح كالترداد والتطواف ونظير تبيان فى كسر تائه تلقاء ونصب تبيانا على الحال ويجوز أن يكون مفعولا من أجله قال الزمخشرى فان قلت كيف كان القرآن تبيانا لكل شئ قلت المعنى أنه بين كل شئ من أمور الدين حيث كان نصا على بعضها وإحالة على السنة حيث أمر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته وفيه وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع فى قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتباع أصحابه والاقتداء بآثارهم فى قوله

يعرفونها بقلوبهم ثم ينكرونها بألسنتهم والظاهر ان المراد من وأكثرهم موضوعه الأصلى * وقال الحسن وكلهم ما من أحد يقوم بواجب حق الشكر فجعله من كفران النعمة والظاهر ان الكفر هنا هو مقابل الايمان * وقيل أكثر أهل مكة لأن منهم من أبى * وقيل معنى الكافرون الجاحدون المعاندون لان فيهم من كان جاهلا لم يعرف فيعاند * وقال الزمخشرى (فان قلت) ما معنى ثم (قلت) الدلالة على ان انكارهم مستبعد بعد حصول المعرفة لأن حق من عرف النعمة أن يعترف لا أن ينكر ﴿ و يوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولاهم يستعتبون * واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولاهم ينظرون * واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون * وألقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون * الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون * و يوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة و بشرى للمسلمين ﴾ لما ذكر انكارهم لنعمة الله تعالى ذكر حال يوم القيامة حيث لا ينفع فيه الانكار على سبيل الوعيد لهم بذلك اليوم وانتصب يوم باضمار اذكر قاله الحوفى والزمخشرى وابن عطية وأبو البقاء * وقال الزمخشرى أو يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه * وقال الطبرى هو معطوف على ظرف محذوف العامل فيه ثم ينكرونها أى ينكرونها اليوم و يوم نبعث أى ينكرون كفرهم فيكذبهم الشهيد والشهيد نبى تلك الأمة يشهد عليهم بايمانهم و بكفرهم ومتعلق الاذن محذوف * فقيل فى الرجوع الى دار الدنيا * وقيل فى الكلام والاعتذار كما قال هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون أى بعد شهادة أنبيائهم عليهم والا فقبل ذلك تجادل كل أمة عن نفسها وجاء كلامهم فى ذلك ولكنها مواطن يتكلمون فى بعضها ولا ينطقون فى بعضها ولاهم يستعتبون أى مزال عنهم العتب * وقال قوم معناه لا يسألون أن يرجعوا عن ما كانوا عليه فى الدنيا فهذا استعتاب معناه طلب عتباهم ونحوه قول من قال ولاهم يسترضون أى لا يقال لهم ارضوا ربكم لأن الآخرة ليست بدار عمل قاله الزمخشرى * وقال الطبرى معناه يعطون الرجوع الى الدنيا فيقع منهم توبة وعمل * قال الزمخشرى (فان قلت) فما معنى ثم هذه (قلت) معناها انهم يمنون بعد شهادة الأنبياء بما هو أطم منه وانهم يمنعون الكلام فلا

يؤذن لهم فى إلقاء معذرة ولا ادلاء بحجة انتهى ولما كانت حالة العذاب فى الدنيا مخالفة لحال الآخرة اذ من رأى العذاب فى الدنيا رجا أن يؤخر عنه وان وقع فيه أن يخفف عنه أخبر تعالى ان عذاب الآخرة لا يكون فيه تخفيف ولا نظرة والظاهر أن جواب اذا قوله فلا يخفف وهو على اضمار هو أى فهو لا يخفف لأنه لولا تقدير الاضمار لم تدخل الفاء لأن جواب اذا اذا كان مضارعا لا يحتاج الى دخول الفاء سواء كان موجبا أم منفيا كما قال تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر وتقول اذا جاء زيد لا يجيء عمرو * قال الحوفى فلا يخفف جواب اذا وهو العامل فى اذا وقد تقدم لنا ان ما تقدم فاء الجواب فى غير أما لا تعمل فيما قبله و بينا ان العامل فى اذا الفعل الذى يليها كسائر أدوات الشرط وان كان ليس قول الجمهور وجعل الزمخشرى جواب اذا محذوفا * فقال وقد قدر العامل فى يوم نبعث بجز وما قال و يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك واذا رأوا العذاب بغتهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله بل تأتيهم بغتة فتبهتهم الآية انتهى والظاهر ان قوله شركاءهم عام فى كل من اتخذوه شريكا لله من صنم ووثن وآدمى وشيطان وملك فيكذبهم من له منهم عقل فيكون فألقوا عائدا على من له الكلام ويجوز أن يكون عاما ينطق الله تعالى بقدرته الأوثان والأصنام واضافة الشركاء اليهم على هذا القول لكونهم هم الذين جعلوهم شركاء لله * وقال الحسن شركاؤهم الشياطين شركوهم فى الأموال والأولاد كقوله تعالى وشاركهم فى الأموال والأولاد * وقيل شركاؤهم فى الكفر وعلى القول الأول شركاؤهم فى أن اتخذوهم آلهة مع الله وعبدوهم أو شركاؤهم فى أن جعلوا لهم نصيبا من أموالهم وأنعامهم والظاهر ان القول منسوب اليهم حقيقة * وقيل منسوب الى جوارحهم لأنهم لما أنكروا الاشراك بقولهم الأن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين أصمت الله ألسنتهم وأنطق جوارحهم ومعنى ندعو نعبد قالوا ذلك رجاء أن يشركوا معهم فى العذاب اذ يحصل التأسى أو اعتذارا عن كفرهم اذ زين لهم الشيطان ذلك وحملهم عليه ان كان الشركاء هم الشياطين * وقال أبو مسلم الأصبهانى قالوا ذلك احالة هذا الذنب على تلك الأصنام وظنا ان ذلك ينجيهم من عذاب الله أو من عذابهم فعند ذلك تكذبهم تلك الأصنام * وقال القاضى هذا بعيد لان الكفار يعلمون علما ضروريا فى الآخرة ان العذاب سينزل بهم ولا نصرة ولا فدية ولا شفاعة وتقدم الاخبار بأنهم شركاء والاخبار انهم كانوا يدعونهم أى يعبدونهم فاحتمل التكذيب أن يكون عائدا للاخبار الأول أى لسنا شركاء لله فى العبادة ولا آلهة نزهوا الله تعالى عن أن يكونوا شركاء له واحتمل أن يكون عائدا على الاخبار الثانى وهو العبادة لما لم يكونوا راضين بالعبادة جعلوا عبادتهم كلا عبادة أو لما لم يدعوهم الى العبادة ألا ترى ان الأصنام والأوثان لا شعور لها بالعبادة فضلا عن أن يدعو وان من عبد من صالحى المؤمنين والملائكة لم يدع الى عبادته وان كان الشركاء الشياطين جاز أن يكونوا كاذبين فى اخبارهم بكذب من عبدهم كما كذب ابليس فى قوله انى كفرت بما أشركتمون من قبل والضمير فى فألقوا الى الله عائد على الذين أشركوا قاله الأكثرون والسلم الاستسلام والانقياد لحكم الله بعد الاباء والاستكبار فى الدنيا فلم يكن لهم اذ ذاك حيلة ولا دفع * وروى يعقوب عن أبى عمرو السلم باسكان

أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطأوا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجتهاد والاجماع والقياس مستندة الى تبيين الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شئ انتهى قوله وقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله اهتديتم لم يقل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث موضوع لا يصح بوجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال الوزير الحافظ أبو محمد على بن أحمد بن حزم فى رسالته فى ابطال القياس والرأى والاستحسان والتعليل والتقليد ما نصه وهذا خبر مكذوب موضوع باطل لم يصح قط وذكر باسناده الى البزار صاحب المسند قال سألتم عما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم مما فى أيدى العامة ترويه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال انما مثل أصحابى كمثل النجوم أو كالنجوم بأيها اقتدوا اهتدوا فهذا كلام لم يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم رواه عبد الرحيم بن زيد العمى عن أبيه عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يثبت والنبى صلى الله عليه وسلم لا يبيح الاختلاف بعده من أصحابه هذا نص كلام البزار قال ابن معين عبد الرحيم بن زيد كذاب خبيث ليس بشئ وقال البخارى هو متروك ورواه أيضا حمزة الجزرى وحمزة هذا ساقط متروك وللمسلمين متعلق ببشرى ومن حيث المعنى متعلق بهدى ورحمة

اللام * وقرأ مجاهد بضم السين واللام * وقيل الضمير عائد على الذين أشركوا وشركائهم كلهم * قال الكلبى استسلموا منقادين لحكمه والضمير فى وضلوا عائد على الذين أشركوا خاصة أى و بطل عنهم ما كانوا يفترون من ان الله شركاء وانهم ينصرونهم و يشفعون لهم حين كذبوهم وتبرأوا منهم والظاهر أن الذين مبتدأ وزدناهم الخبر * وقال ابن عطية يحتمل أن يكون قوله الذين بدلا من الضمير فى يفترون وزدناهم فعل مستأنف اخباره وصدوا عن سبيل الله أى غيرهم زدناهم عذابا بسبب الصد فوق العذاب أى الذى ترتب لهم على الكفر ضاعفوا كفرهم فضاعف الله عقابهم وهذا المزيد عن ابن مسعود عقارب كأمثال النخل الطوال وعنه حيات كأمثال الفيلة وعقارب كأمثال البغال وعن ابن عباس أنهار من صفر مذاب تسيل من تحت العرش يعذبون بها وعن الزجاج يخرجون من حر النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار وعلل تلك الزيادة بكونهم مفسدين غيرهم وحاملين على الكفر وفى كل أمة فيهما منها حذف فى السابق من أنفسهم وأثبته هنا وحذف هناك فى وأثبته هنا والمعنى فى كليهما أنه يبعث الله أنبياء الأمم فيهم منهم والخطاب فى ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم والاشارة بهؤلاء الى أمته * وقال ابن عطية و يجوز أن يبعث الله شهداء من الصالحين مع الرسل * وقد قال بعض الصحابة اذا رأيت أحدا على معصية فانهه فان أطاعك والا كنت عليه شهيدا يوم القيامة انتهى وكان الشهيد من أنفسهم لأنه كان كذلك حين أرسل اليهم فى الدنيا من أنفسهم * وقال الأصم أبو بكر المراد الشهيد هو أنه تعالى ينطق عشرة من أجزاء الانسان حتى تشهد عليه لأنه قال فى صفة الشهيد من أنفسهم وهذا بعيد لمقابلته بقوله وجئنا بك شهيدا على هؤلاء فيقتضى المقابلة ان الشهداء على الأمم أنبياؤهم كرسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلنا استئناف اخبار وليس داخلا مع ماقبله لاختلاف الزمانين لما ذكر ماشرفه الله به من الشهادة على أمته ذكر ما أنزل عليه مما فيه بيان كل شئ من أمور الدين ليزيح بذلك علتهم فيما كلفوا فلا حجة لهم ولا معذرة والظاهر أن تبيانا مصدر جاء على تفعال وان كان باب المصادر أن يجئ على تفعال بالفتح كالترداد والتطواف ونظير تبيان فى كسر تائه تلقاء وقد جوّز الزجاج فتحه فى غير القرآن * وقال ابن عطية تبيانا اسم وليس بمصدر وهو قول أكثر النحاة * وروى ثعلب عن الكوفيين والمبرد عن البصريين أنه مصدر ولم يجئ على تفعال من المصادر الاضربان تبيان وتلقاء * قال الزمخشرى (فان قلت) كيف كان القرآن تبيانا لكل شئ (قلت) المعنى انه بين كل شئ من أمور الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث أمر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع فى قوله ويتبع غير

والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة الى تبيين الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شئ (ح) قوله وقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله اهتديتم لم يقل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث موضوع لا يصح بوجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحافظ أبو محمد على بن أحمد بن حزم رحمه الله فى رسالته فى ابطال الرأى والقياس والاستحسان والتعليل والتقليد مانصه وهو خبر مكذوب موضوع باطل لم يصح قط وذكر اسناده الى البزار صاحب المسند قال سألتم عما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم مما فى أيدى العامة ترويه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انما مثل أصحابى كمثل النجوم أو كالنجوم بأيها اقتدوا اهتدوا وهذا كلام لم يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم رواه عبد الرحيم بن زيد العمى عن أبيه عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يثبت والنبى صلى الله عليه وسلم لا يبيح الاختلاف بعده من أصحابه هذا نص كلام البزار قال ابن معين عبد الرحيم بن زيد كذاب خبيث ليس بشئ وقال البخارى هو متروك ورواه أيضا حمزة الجزرى وحمزة هذا ساقط متروك

سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته اتباع أصحابه والاقتداء بآثارهم في قوله أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة الى تبيين الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شئ وقوله وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله اهتديتم لم يقل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث موضوع لا يصح بوجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن حزم في رسالته في ابطال الرأي والقياس والاستحسان والتعليل والتقليد ما نصه وهذا خبر مكذوب موضوع باطل لم يصح قط وذكر اسناده الى البزار صاحب المسند قال سألتم عما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم مما في أيدي العامة ترويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال انما مثل أصحابي كمثل النجوم أو كالنجوم بأيها اقتدوا اهتدوا وهذا كلام لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وانما أتى ضعف هذا الحديث من قبل عبد الرحيم لأن أهل العلم سكتوا عن الرواية لحديثه والكلام أيضا منكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يثبت والنبي صلى الله عليه وسلم لا يبيح الاختلاف بعده من أصحابه هذا نص كلام البزار * قال ابن معين عبد الرحيم بن زيد كذاب خبيث ليس بشئ * وقال البخاري هو متروك رواه أيضا حمزة الجزري وحمزة هذا ساقط متروك ونصبوا تبيانا على الحال ويجوز أن يكون مفعولا من أجله وللمسلمين متعلق ببشرى ومن حيث المعنى هو متعلق بهدى ورحمة *﴿ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون * وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون * ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون * ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون * ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم * ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون * ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون * من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون * فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم * انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون * واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون * قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين * ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ * النقض ضد الابرام وفي الجرم فك أجزائه بعضها من بعض * التوكيد التثبيت ويقال توكيد وتأكيد وهما لغتان وزعم الزجاج ان الهمزة بدل من الواو وليس بجيد لان التصريف جاء في التركيبين فدل على أنهما أصلان * الغزل معروف وفعله غزل يغزل بكسر الزاي غزلا وأطلق المصدر على المغزول * نفد الشئ ينفد فني * الأعجمي الذي لا يتكلم بالعربية

﴿ان الله يأمر بالعدل﴾ الآية عن ابن عباس في حديث فيه طول منه أن عثمان بن مظعون كان جليس النبي صلى الله عليه وسلم وقتا فقال له عثمان ما رأيتك تفعل فعلتك الغداة قال وما رأيتني فعلت قال شخص بصرك الى السماء ثم وضعته على يمينك فتحرفت عني اليه وتركتني فاخذت تنغض رأسك كأنك تستفقه شيئا يقال لك قال أو فطنت لذلك أتاني رسول الله آنفا وأنت جالس قال فاذا قال لك قال لي ان الله يأمر بالعدل والاحسان وذكر الآية قال عثمان فذلك حين استقر الايمان في قلبي فاحببت محمدا صلى الله عليه وسلم * ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وصل به ما يقتضي التكاليف فرضا ونفلا وأخلاقا وآدابا والعدل فعل فروض من عقائد وشرائع وسير مع الناس في أداء الأمانات وترك الظلم والانصاف واعطاء الحق والاحسان فعل كل مندوب اليه وإيتاء ذي القربى هو صلة الرحم (٥٢٩) وهو مندرج تحت الاحسان لكنه نبه عليه اهتماما به وحضا على الاحسان اليه والفحشاء الزنا والمنكر الشرك والبغي التطاول بالظلم والسعاية فيه وهو داخل في المنكر ونبه عليه اهتماما باجتنابه يعظكم به أي بالأمر والنهي لعلكم تذكرون تتنبهون لما أمرتم به ونهيتم عنه ﴿وأوفوا بعهد الله﴾ عهد الله عام لما عقده الانسان والتزمه ﴿ولا تنقضوا الايمان﴾ أي العهود الموثقة بالايمان نهى عن نقضها تهمما بها ﴿بعد توكيدها﴾ أي بعد توثيقها باسم الله تعالى وكفالة الله شهادته ومراقبته والجملة من قوله وقد جعلتم في موضع الحال ﴿ولا تكونوا﴾ أي في نقض العهد بعد توكيده وتوثيقه بالله تعالى كالمرأة الورهاء تبرم فتل غزلها ثم تنقضه نكثا وهو ما يحل فتله والتشبيه لا يقتضي تعيين المشبه به وعن الكلبي ومقاتل الورهاء هي من قريش خرقاء اسمها ريطة بنت سعد بن تيم تلقب بجعفراء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل أصبع وفلكة عظيمة على قدرها كانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن والظاهر أن قوله من بعد قوة أي شدة حدثت من تركيب قوى الغزل والنكث في اللغة الحبل اذا انتقضت قواه والدخل الفساد والدغل جعلوا الايمان ذريعة الى الخدع والغدر وذلك أن المحلوف له مطمئن فيمكن الحالف ضره بما يريده قالوا نزلت في العرب كانوا اذا حالفوا قبيلة فجاء أكثر منها عددا حالفوه وغدروا بالتي كانت أقل ﴿هي أربى﴾ أي أزيد وأكثر والضمير في به عائد على المصدر المنسبك من أن تكون أي بسبب كون أمة هي أربى من أمة

﴿ ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون * وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون * ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ﴾ عن ابن عباس في حديث فيه طول منه ان عثمان بن مظعون كان جليس النبي صلى الله عليه وسلم وقتا فقال له عثمان ما رأيتك تفعل فعلتك الغداة قال وما رأيتني فعلت قال شخص بصرك الى السماء ثم وضعته على يمينك فتحرفت عني اليه وتركتني فأخذت تنغض رأسك كأنك تستفقه شيأ يقال لك قال أو فطنت لذلك أتاني رسول الله آنفا وأنت جالس قال فاذا قال لك قال لي ان الله يأمر بالعدل الآية قال عثمان فذلك حين استقر الايمان في قلبي فأحببت محمدا صلى الله عليه وسلم لما ذكر الله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وصل به ما يقتضي التكاليف فرضا ونفلا واخلاقا وآدابا والعدل فعل كل مفروض من عقائد وشرائع وسير مع الناس في اداء الامانات وترك الظلم والانصاف واعطاء الحق والاحسان فعل كل مندوب اليه قاله ابن عطية * وقال الزمخشري العدل هو الواجب لأن الله عز وجل عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم والاحسان الندب وانما علق أمره بهما جميعا لأن الفرض لا بد أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب انتهى وفي قوله تحت طاقتهم نزغة الاعتزال وعن ابن عباس العدل لا اله الا الله والاحسان اداء الفرائض وعنه أيضا ان العدل هو الحق * وعن سفيان بن عيينة انه استواء السريرة والعلانية في العمل وذكر الماوردي انه القضاء بالحق قال تعالى واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل * وقال أبو سليمان العدل في لسان العرب الانصاف * وقيل خلع الانداد * وقيل العدل في الافعال والاحسان في الاقوال وايتاء ذي القربى هو صلة الرحم وهو مندرج تحت الاحسان لكنه نبه عليه اهتماما به وحضا على الاحسان اليه والفحشاء الزنا أو ما شنعته ظاهرة من المعاصي وفاعلها أبدا مستتر

بها أو القبيح من فعل أو قول أو البخل أو موجب الحد في الدنيا والعذاب في الآخرة أو مجاوزة حدود الله أقوال أولها لابن عباس والمنكر الشرك عن مقاتل أو ما وعد عليه بالنار عن ابن السائب أو مخالفة السريرة للعلانية عن ابن عيينة أو ما لا يوجب الحد في الدنيا لكن العذاب في الآخرة أو ما تنكره العقول أقوال ويظهر انه أعم من الفحشاء لاشتماله على المعاصي والرذائل والبغي التطاول بالظلم والسعاية فيه وهو داخل في المنكر ونبه عليه اهتماما باجتنابه وجمع في المأمور به والمنهى عنه بين ما يجب و يندب وما يحرم و يكره لاشتراك ذلك في قدر مشترك وهو الطلب في الامر والترك في النهي * وقال أبو عبد الله الرازي أمر بثلاثة ونهى عن ثلاثة فالعدل التوسط بين الافراط والتفريط وذلك في العقائد وأعمال الرعاة * فقال ابن عباس العدل لا اله الا الله وهو اثبات الاله الواحد فليس تعطيلا محضا ولا اثبات أكثر من إله واثبات كونه عالما قادرا واجب الصفات فليس نفيا للصفات ولا اثبات صفة حادثة متغيرة وكون فعل العبد بواسطة قدرته تعالى والداعية التي جعلها فيه فليس جبرا محضا ولا استقلالا بالفعل وكونه تعالى يخرج من النار من دخلها من أهل التوحيد فليس ارجاء ولا تخليدا بالمعصية وأما أعمال الرعاة فالتكاليف اللازمة لهم فليس قولا بأنه لا تكليف ولا قولا بتعذيب النفس واجتناب ما يميل الطبع اليه من أكل الطيب والتزوج ورمى نفسه من شاهق والقصاص أو الدية أو العفو فليس تشديدا في تعيين القصاص كشريعة موسى عليه السلام ولا عفوا حتما كشريعة عيسى عليه السلام وتجنب الحائض في اجتناب وطئها فقط فليس اجتنابا مطلقا كشريعة موسى عليه السلام ولا حل وطئها حالة الحيض كشريعة عيسى عليه السلام والاختتان فليس ابقاء للقلفة ولا قطعا للآلة كما ذهب اليه المانوية وقال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا والذين اذا أنفقوا ولا تجعل الآيتين ومن المشهور قولهم بالعدل قامت السموات والأرض ومعناه ان مقادير العناصر لو لم تكن متعادلة وكان بعضها أزيد لغلب الازدياد وانقلبت الطبائع فالشمس لو قربت من العالم لعظمت السخونة واحترق ما فيه ولو زاد بعدها لاستوى الحر والبرد وكذا مقادير حركات الكواكب ومراتب سرعتها و بطئها والاحسان الزيادة على الواجب من الطاعات بحسب الكمية والكيفية والدواعي والصوارف والاستغراق في شهود مقامات العبودية والربوبية ومن الاحسان الشفقة على الخلق وأصلها صلة الرحم والمنهى عنه ثلاثة وذلك انه أودع في النفس البشرية قوى أربعة الشهوانية وهي تحصيل اللذات والغضبية وهي ايصال الشر و وهمية وهي شيطانية تسعى في الترفع والرياسة على الناس فالفحشاء ما نشأ عن القوة الشهوانيه الخارجة عن أدب الشريعة والمنكر ما نشأ عن الغضبية والبغي ما نشأ عن الوهمية انتهى ما تلخص من كلامه عفا الله عنه ولما أمر تعالى بتلك الثلاث ونهى عن تلك الثلاث قال يعظكم به أي بما ذكر تعالى من أمر ونهى والمعنى ينهكم أحسن تنبيه لعلكم تذكرون أي تتنبهون لما أمرتم به ونهيتم عنه وعقد الله علم لما عاقده الانسان والتزمه مما يوافق الشريعة * وقال الزمخشري هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله انتهى وكأنه لحظ ما قيل انها نزلت في الذين بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم على الاسلام رواه عن بريدة * وقال قتادة ومجاهد فيما كان من تحالف الجاهلية في أمر بمعروف أو نهى عن منكر * وقال ميمون بن مهران الوفاء لمن عاهدته مسلما كان أو كافرا فانما العهد لله * وقال الأصم الجهاد وما فرض في الأموال من حق * وقيل اليمين بالله ولا تنقضوا العهود الموثقة بالايمان نهى عن نقضها تهمما بها بعد توكيدها أي

﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ الآية هذه المشيئة مشيئة اختيار على مذهب أهل السنة ابتلى الناس بالامر والنهى ليذهب كل الى ما يسر له ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم﴾ كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا تهمما بذلك مبالغة في النهى عنه لعظم موقعه من الدين قال ابن عطية وتردده في معاملات الناس وقال الزمخشري تأكيدا عليهم واظهار العظم ما يرتكب منه انتهى وقيل انما كرر لاختلاف المعنيين لان الأول نهى عن الدخول (٥٣١) في الحلف ونقض العهد بالقلة والكثرة وهنا نهى عن الدخل في الايمان التي يراد بها اقتطاع حقوق فكأنه قال دخلا بينكم لتتوصلوا بها الى قطع أموال الناس وأقول لم يتكرر النهى عن اتخاذ الايمان دخلا وانما سبق اخبار بأنهم اتخذوا أيمانهم دخلا معللا بشئ خاص وهو أن تكون أمة هي أربى من أمة وجاء النهى بقوله ولا تتخذوا استئناف إنشاء عن اتخاذ الايمان دخلا على العموم فيشمل جميع الصور من الحلف في المبايعة وقطع الحقوق المالية وغير ذلك وانتصب فتزل على جواب النهى وهو استعارة لمن كان مستقيما ووقع في أمر عظيم وسقط لأن القدم اذا زلت تقلب الانسان من حال خير الى حال شر ﴿ولا تشتروا بعهد الله﴾ الآية هذه آية نهى عن الرشاء وأخذ الأموال على ترك ما يجب على الآخذ فعله أو فعل ما يجب عليه تركه فان هذه هي التي عهد الله الى عباده فيها وبين تعالى الفرق بين حال الدنيا وحال الآخرة بأن هذه تنفد وتنقضي عن الانسان وينقضي عنها والتي في الآخرة باقية دائمة ودل قوله تعالى وما عند الله باق على أن نعيم الجنة لا ينقطع أبدا وما موصولة وهي اسم إن وعند الله صلة الموصول وهو خير لكم جملة في موضع خبر إن وما في الجملتين موصول بمعنى الذي وينفد خبر الأولى وباق خبر الثانية وهو مؤمن جملة حالية والظاهر من قوله فلنحيينه أن ذلك في الدنيا ويدل عليه قوله تعالى ولنجزينهم أجرهم يعني في الآخرة

توثيقها باسم الله وكفالة الله وشهادته ومراقبته لان الكفيل مراع لحال المكفول به ﴿ولا تكونوا﴾ أي في نقض العهد بعد توكيده بالله كالمرأة الورهاء تبرم فتل غزلها ثم تنقضه نكثا وهو ما يحل فتله والتشبيه لا يقتضي تعيين المشبه به * وقال السدي وعبد الله بن كثير هي امرأة حمقاء كانت بمكة وعن الكلبي ومقاتل هي من قريش خرقاء اسمها ريطة بنت سعد بن تيم تلقب بجعراء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل أصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن وعن مجاهد هذا فعل نساء أهل نجد تنقض احداهن غزلها ثم تنفشه وتخلطه بالصوف فتغزله * وقال ابن الانباري ريطة بنت عمرو المرية ولقبها الجعراء من أهل مكة وكانت معروفة عند المخاطبين والظاهر أن المراد بقوله من بعد قوة أي شدة حدثت من تركيب قوى الغزل ولو قدرناها واحدة القوى لم تكن تنتقض أنكاثا والنكث في اللغة الحبل اذا انتقضت قواه * وقال مجاهد المعنى من بعد امرار قوة والدخل الفساد والدغل جعلوا الايمان ذريعة الى الخدع والغدر وذلك ان المحلوف له مطمئن فيمكن الحالف ضره بما يريده قالوا نزلت في العرب كانوا اذا حالفوا قبيلة فجاء أكثر منها عددا حالفوه وغدروا بالتي كانت أقل * وقيل أن تكونوا أنتم أزيد خيرا فأسند الى أمة والمراد المخاطبون * وقال ابن بحر الدخل والداخل في الشئ لم يكن منه ودخلا مفعول ثان * وقيل مفعول من أجله وأن تكون أي بسبب أن تكون وهي أربى مبتدأ وخبر وأجاز الكوفيون أن تكون هي عمادا يعنون فصلا فيكون أربى في موضع نصب ولا يجوز ذلك عند البصريين لتنكير أمة والضمير في به عائد على المصدر المنسبك من أن تكون أي بسبب كون أمة أربى من أمة يختبركم بذلك * قال الزمخشري لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على أنفسكم وكدتم من أيمان البيعة للرسول صلى الله عليه وسلم أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم وليبينن لكم انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام انتهى * وقيل يعود على الوفاء بالعهد * وقال ابن جبير وابن السائب ومقاتل يعود على الكثرة * قال ابن الانباري لما كان تأنيثها غير حقيقي حمل على معنى التذكير كما حملت الصيحة على الصياح ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون * ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم * ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون * ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون * من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ هذه المشيئة مشيئة اختيار على مذهب أهل السنة ابتلى الناس بالأمر والنهى ليذهب كل

الى ما يسر له وذلك لحق الملك لا يسأل عما يفعل ولو شاء لكانوا كلهم على طريق واحدة اما هدى واما ضلالة ولكنه فرق فناس للسعادة وناس للشقاوة فخلق الهدى والضلال وتوعد بالسؤال عن العمل وهو سؤال توبيخ لا سؤال تفهم وسؤال التفهم هو المنفي في آيات ومذهب المعتزلة ان هذه المشيئة مشيئة قهر * قال العسكري المراد أنه قادر على أن يجمعكم على الاسلام قهرا فلم يفعل ذلك وخلقكم ليعذب من يشاء على معصيته ويثيب من يشاء على طاعته ولا يشاء شيأ من ذلك الآن يستحقه ويجوز أن يكون المعنى انه لو شاء خلقكم في الجنة ولكن لم يفعل ذلك ليثيب المطيعين منكم ويعذب العصاة ثم قال ولتسألن عما كنتم تعملون يعني سؤال المحاسبة والمجازاة وفيه دليل على ان الاضلال في الآية العقاب ولو كان الاضلال عن الدين لم يكن لسؤاله اياهم معنى * وقال الزمخشري أمة واحدة حنيفة مسلمة على طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك ولكن الحكمة اقتضت أن يضل من يشاء وهو أن يخذل من علم أنه يختار الكفر ويصمم عليه ويهدي من يشاء وهو أن يلطف بمن علم الله انه يختار الايمان يعني انه بنى الامر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه على الاجبار الذي لا يستحق به شئ من ذلك وحققه بقوله ولتسألن عما كنتم تعملون ولو كان هذا المضطر الى الضلال والاهتداء لما أثبت لهم عملا يسألون عنه انتهى قالوا كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا تهمما بذلك ومبالغة في النهي عنه لعظم موقعه في الدين * قال ابن عطية وترداده في معاملات الناس * وقال الزمخشري تأكيدا عليهم واظهار العظم ما يرتكب منه انتهى * وقيل انما كرر لاختلاف المعنيين لان الاول نهي فيه عن الدخول في الحلف ونقض العهد بالقلة والكثرة وهنا نهي عن الدخل في الايمان التي يراد بها اقتطاع حقوق فكأنه قال دخلا بينكم لتتوصلوا بها الى قطع أموال المسلمين وأقول لم يتكرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا وانما سبق اخبار بأنهم اتخذوا ايمانهم دخلا معللا بشئ خاص وهو أن تكون أمة هي أربى من أمة وجاء النهي بقوله ولا تتخذوا استئنافا انشاء عن اتخاذ الايمان دخلا على العموم فيشمل جميع الصور من الحلف في المبايعة وقطع الحقوق المالية وغير ذلك وانتصب فتزل على جواب النهي وهو استعارة لمن كان مستقيما وقع في أمر عظيم وسقط لأن القدم اذا زلت تقلب الانسان من حال خير الى حال شر * وقال كثير * فلما توافينا ثبت وزلت * قال الزمخشري فتزل أقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها (فان قلت) لم وحدت القدم ونكرت (قلت) لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن ثبتت عليه فكيف بأقدام كثيرة انتهى ونقول الجمع تارة يلحظ فيه المجموع من حيث هو مجموع وتارة يلحظ فيه اعتبار كل فرد فرد فاذا لوحظ فيه المجموع كان الاسناد معتبرا

 (ح) قالوا كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا تهمما بذلك ومبالغة في النهي عنه لعظم موقعه من الدين قال (ع) وترداده في معاملات الناس وقال (ش) تأكيدا عليهم واظهار العظم ما يرتكب منه انتهى وقيل انما كرر لاختلاف المعنيين لأن الأول نهي فيه عن الدخول في الحلف ونقض العهد بالقلة والكثرة وهنا نهي عن الدخل في الايمان التي يراد بها اقتطاع حقوق فكأنه قال دخلا بينكم ليتوصلوا بها الى قطع أموال المسلمين انتهى وأقول لم يتكرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا وانما سبق اخبار بأنهم اتخذوا ايمانهم دخلا معللا بشئ خاص وهو أن تكون أمة هي أربى من أمة وجاء النهي بقوله ولا تتخذوا استئناف انشاء عن اتخاذ الايمان دخلا على العموم فيشمل جميع الصور من الحلف في المبايعة وقطع الحقوق المالية وغير ذلك (ش) فتزل أقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها * فان قلت لم وحدت القدم ونكرت قلت لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن ثبتت عليه بأقدام كثيرة (ح) يقول ان الجمع تارة يلحظ فيه المجموع من حيث هو مجموع وتارة يلحظ فيه اعتبار كل فرد فرد فاذا لوحظ فيه المجموع كان الاسناد معتبرا فيه الجمعية واذا كان لوحظ كل فرد فرد فيفرد كقوله وأعتدت لهن متكأ أفرد متكأ لما كان لوحظ في قوله لهن معنى لكل واحدة ولو جاء مرادا به الجمعية أو على الكثير في الوجه الثاني بجمع المتكأ وعلى هذا المعنى ينبغي أن يحمل قول الشاعر

فاني رأيت الضامرين متاعهم * يموت ويفنى فارضخي من وعائيا

أي رأيت كل ضامر ولذلك أفرد الضمير في يموت ويفنى ولما كان المعنى هنا لا يتخذ كل واحد واحد منكم جاء فتزل قدم مراعاة لهذا المعنى ثم قال وتذوقوا مراعاة للمجموع أو للفظ الجمع على الوجه الكثير اذ قلنا ان الاسناد لكل فرد فرد فكون الآية وقد تعرضت للنهي عن اتخاذ الايمان دخلا باعتبار المجموع وباعتبار كل فرد فرد ودل عليه افراد قدم وجمع الضمير في وتذوقوا

فيه الجمعية واذا لوحظ كل فرد فرد كان الاسناد مطابقا للفظ الجمع كثيرا فيجمع ما أسند اليه ومطابقا لكل فرد فرد فيفرد كقوله وأعتدت لهن متكا أفرد متكا لما كان لوحظ في قوله لهن معنى لكل واحدة ولو جاء مرادا به الجمعية أو على الكثير في الوجه الثاني لجمع المتكأ وعلى هذا المعنى ينبغي أن يحمل قول الشاعر

فانى وجدت الضامرين متاعهم * يموت ويفنى فارضخى من وعائيا

أى رأيت كل ضامر ولذلك أفرد الضمير في يموت ويفنى ولما كان المعنى هنا لا يتخذ كل واحد منكم جاء فتزل قدم مراعاة لهذا المعنى ثم قال وتذوقوا مراعاة للمجموع أو للفظ الجمع على الوجه الكثير اذا قلنا ان الاسناد لكل فرد فرد فتكون الآية قد تعرضت للنهى عن اتخاذ الايمان دخلا باعتبار المجموع وباعتبار كل فرد فرد ودل على ذلك بافراد قدم وبجمع الضمير في وتذوقوا وما مصدرية في بما صددتم أى بصدودكم أو بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا الايمان وارتدوا لاتخذ نقضها سنة لغيرهم فيستنون بها وذوق السوء في الدنيا ولكم عذاب عظيم أى في الآخرة والسوء ما يسوءهم من قتل ونهب وأسر وجلاء وغير ذلك مما يسوء * قال ابن عطية وقوله صددتم عن سبيل الله يدل على أن الآية فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فسر الزمخشرى قال لأنهم قد نقضوا أيمان البيعة ولا يدل على ذلك لخصوصه بل نقض الايمان في البيعة مندرج في العموم * ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا هذا نهى عن نقض ما بين الله تعالى والعبد لاخذ حطام من عرض الدنيا * قال الزمخشرى كان قوم ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين وإيذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا ان ما عند الله من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة خير لكم * وقال ابن عطية هذه آية نهى عن الرشا وأخذ الاموال على ترك ما يجب على الآخذ فعله أو فعل ما يجب عليه تركه فان هذه هى التى عهد الله الى عباده فيها وبين تعالى الفرق بين حال الدنيا وحال الآخرة بأن هذه تنفد وتنقضى عن الانسان وينقضى عنها والتى في الآخرة باقية دائمة ودل قوله وما عند الله باق على أن نعيم الجنة لا ينقطع وفي ذلك حجة على جهم بن صفوان اذ زعم أن نعيم الجنة منقطع * وقرأ عاصم وابن كثير ولنجزين بالنون وباقى السبعة بالياء وصبروا أى جاهدوا أنفسهم على ميثاق الاسلام وأذى الكفار وترك المعاصى وكسب المال بالوجه الذى لا يحل بأحسن ما كانوا يعملون * قيل من التنفل بالطاعات وكانت أحسن لأنها لم يحتم فعلها فكان الانسان يأتى بالتنفلات مختارا غير ملزوم بها * وقيل ذكر الاحسن ترغيبا في عمله وان كانت المجازاة على الحسن والاحسن * وقيل الأحسن هنا بمعنى الحسن فليس أفعل التى للتفضيل والذى يظهر أن المراد بالأحسن هنا الصبر أى ولنجزين الذين صبروا بصبرهم أى بجزاء صبرهم وجعل الصبر أحسن الاعمال لاحتياج جميع التكاليف اليه فالصبر هو رأسها فكان الأحسن لذلك ومن صالحة للمفرد والمذكر وفروعهما لكن يتبادر الى الذهن الافراد والتذكير فبين بالنوعين ليعم الوعد كليهما وهو مؤمن جملة حالية والايمان شرط في العمل الصالح مخصص لقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره أو يراد بمثقال ذرة من ايمان كما جاء في من يخرج من النار من عصاة المؤمنين والظاهر من قوله تعالى فلنحيينه

﴿فاذا قرأت القرآن﴾ الآية لما ذكر تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وذكر أشياء مما بين فى الكتاب فان كان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لفظا فالمراد أمته ونفى تعالى سلطان الشيطان عن المؤمنين والسلطان هنا التسلط والولاية والمعنى أنهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريده منهم من اتباع خطواته وظاهر الاخبار انتفاء سلطنته عن المؤمنين مطلقا ولما ذكر تعالى انزال الكتاب تبيانا لكل شئ وأمر بالاستعاذة عند قراءته ذكر تعالى نتيجة ولاية الشيطان لاوليائه المشركين وما يلقيه اليهم من الأباطيل فألقى اليهم انكار النسخ لما رأوا تبديل آية مكان آية وتقدم الكلام فى النسخ فى البقرة والظاهر أن هذا التبديل رفع آية لفظا ومعنى ويجوز أن يكون التبديل لحكم المعنى (٥٣٤) وابقاء اللفظ ووجدت الكفار بذلك طعنا فى الدين وما علموا أن المصالح تختلف بحسب اختلاف الاشخاص والأوقات وكما وقع نسخ شريعة بشريعة يقع فى شريعة واحدة وأخبر تعالى أنه العالم بما ينزل لا أنتم وما ينزل مما يقره وما يرفعه فرجع علم ذلك اليه وروح القدس هنا هو جبريل صلى الله عليه وسلم وأضاف الرب الى كاف الخطاب تشريفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم باختصاص الاضافة وبالحق حال أى ملتبسا بالحق سواء كان ناسخا أم منسوخا وليثبت معناه أنهم لا يضطربون فى شئ منه لكونه نسخا بل النسخ مثبت لهم على ايمانهم ودل اختصاص التعليل بالمسلمين على اتصاف الكفار بضده من لحاق الاضطراب لهم قال الزمخشرى وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت انتهى تقدم الرد عليه وفى نحو هذا وهو قوله لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة فى هذه السورة ولا يمتنع عطفه على المصدر المنسبك من أن والفعل لأنه مجرور فيكون هدى وبشرى مجرورين كما تقول جئت لأحسن الى زيد وإكرام لخالد إذ التقدير لاحسان الى زيد وجاء اسناد التعليم الى مبهم لم يعين وقال ابن عباس كان فى مكة غلام أعجمى لبعض قريش يقال له بلعام فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه الاسلام ويرومه عليه فقالت قريش هذا يعلم محمدا من جهة الأعاجم وقد ذكروا أسماء ناس أخر غير بلعام لا يصح شئ منها قال الزمخشرى * فان قلت الجملة التى هى قوله لسان الذى يلحدون إليه أعجمى ما محلها * قلت لا محل لها لانها مستأنفة جواب لقولهم ومثله قوله الله أعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله

حياة طيبة ان ذلك فى الدنيا وهو قول الجمهور ويدل عليه قوله ولنجزينهم أجرهم يعنى فى الآخرة * وقال الحسن ومجاهد وابن جبير وقتادة وابن زيد ذلك فى الجنة * وقال شريك فى القبر * وقال علىّ ووهب بن منبه وابن عباس والحسن فى رواية عنهما هى القناعة وعن ابن عباس والضحاك الرزق الحلال وعنه أيضا السعادة * وقال عكرمة الطاعة * وقال قتادة الرزق فى يوم بيوم * وقال اسمعيل بن أبى خالد الرزق الطيب والعمل الصالح * وقال أبو بكر الورّاق حلاوة الطاعة * وقيل العافية والكفاية * وقيل الرضا بالقضاء ذكرهما الماوردى * وقال الزمخشرى المؤمن مع العمل الصالح ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله تعالى والفاجر ان كان معسرا فلا اشكال فى أمره وان كان موسرا فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه * وقال ابن عطية طيب الحياة للصالحين بانبساط نفوسهم ونيلها وقوة رجائهم والرجاء للنفس أمر ملذ وبأنهم احتقروا الدنيا فزالت همومها عنهم فان انضاف الى هذا مال حلال وصحة وقناعة فذلك كمال والا فالطيب فيما ذكرنا راتب وعاد الضمير فى فلنحيينه على لفظ من مفردا وفى ولنجزينهم على معناها من الجمع جمع وروى عن نافع وليجزينهم بالياء بدل النون التفت من ضمير المتكلم الى ضمير الغيبة وينبغى أن يكون على تقدير قسم ثان لا معطوفا على فلنحيينه فيكون من عطف جملة قسمية على جملة قسمية وكلتاهما محذوفتان ولا يكون من عطف جواب على جواب لتغاير الاسناد وافضاء الثانى الى اخبار المتكلم عن نفسه باخبار الغائب وذلك لا يجوز فعلى هذا لا يجوز زيد قلت والله لأضربن هندا ولينفينها يريد ولينفينها زيد فان جعلته على اضمار قسم ثان جاز أى وقال زيد لينفينها لان لك فى هذا التركيب أن تحكى لفظه وان تحكى على المعنى فمن الاول وليحلفن بالله ان أردنا إلا الحسنى ومن الثانى يحلفون بالله ما قالوا ولو جاء على اللفظ لكان ما قلنا ﴿فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم * إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون * واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون * قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين * ولقد نعلم انهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين﴾ لما ذكر تعالى ونزلنا عليك

الكتاب تبيانا لكل شئ وذكر أشياء مما بين في الكتاب ثم ذكر قوله من عمل صالحا ذكر ما يصون به القارئ قراءته من وسوسة الشيطان ونزغه فخاطب السامع بالاستعاذة منه اذا أخذ في القراءة فان كان الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم لفظا فالمراد أمته إذ كانت قراءة القرآن من أجل الاعمال الصالحة كما ورد في الحديث ان ثواب قراءة كل حرف عشر حسنات والظاهر بعقب الاستعاذة وقد روى ذلك بعض الرواة عن حمزة وروى عن ابن سيرين انه قال كلما قرأ الفاتحة حين تقول آمين فاستعذ وروى عن أبي هريرة ومالك وداود تعقبها القراءة كما روى عن حمزة والجمهور على ترك هذا الظاهر وتأويله بمعنى فاذا أردت القراءة * قال الزمخشري لأن الفعل يوجد عند القصد والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان بسبب قوي وملابسة ظاهرة كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وكقوله اذا أكلت فسم الله * وقال ابن عطية فاذا وصلة بين الكلامين والعرب تستعملها في مثل هذا وتقدير الآية فاذا أخذت في قراءة القرآن فاستعذ أمر بالاستعاذة فالجمهور على الندب وعن عطاء الوجوب والظاهر طلب الاستعاذة عند القراءة مطلقا والظاهر ان الشيطان المراد به ابليس وأعوانه * وقيل عام في كل متمردعات من جن وانس كما قال شياطين الانس والجن واختلف في كيفية الاستعاذة والذى صار اليه الجمهور من القراء وغيرهم واختاروه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لما روى عبدالله بن مسعود وأبو هريرة وجبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه استعاذ عند القراءة بهذا اللفظ بعينه ونفى تعالى سلطان الشيطان عن المؤمنين والسلطان هنا التسليط والولاية والمعنى انهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريدهم من اتباع خطواته كما قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكما أخبر تعالى عنه فقال في قصة أوليائه وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى * وقيل المراد بالسلطان الحجة وظاهر الاخبار انتفاء سلطنته على المؤمنين مطلقا * وقيل ليس له عليهم سلطان لاستعاذتهم منه * وقيل ليس له قدرة أن يحملهم على ذنب والضمير في به عائد على ربهم * وقيل على الشيطان وهو الظاهر لاتفاق الضمائر والمعنى والذين هم بأشراكهم ابليس مشركون بالله أوتكون الباء للسببية والامر بالاستعاذة يقتضى انها تصرف كيد الشيطان كأنها متضمنة التوكل على الله والانقطاع اليه ولما ذكر تعالى انزال الكتاب تبيينا لكل شئ وأمر بالاستعاذة عند قراءته ذكر تعالى نتيجة ولاية الشيطان لأوليائه المشركين وما يلقيه اليهم من الاباطيل فألقى اليهم انكار النسخ لما رأوا تبديل آية مكان آية وتقدم الكلام في النسخ في البقرة والظاهر ان هذا التبديل رفع آية لفظا ومعنى ويجوز أن يكون التبديل لحكم المعنى وابقاء اللفظ ووجد الكفار بذلك طعنا في الدين وماعلموا ان المصالح تختلف باختلاف الاوقات والاشخاص وكما وقع نسخ شريعة بشريعة يقع في شريعة واحدة وأخبر تعالى انه العالم بما ينزل لا أنتم وما ينزل مما يقره وما يرفعه فرجع علم ذلك اليه وهو على حسب الحوادث والمصالح وهذه حكمة انزاله شيأ فشيأ وهذه الجملة اعتراض بين الشرط وجوابه * قيل ويحتمل أن يكون حالا وبالغوا في نسبة الافتراء للرسول بلفظ انما وبمواجهة الخطاب وباسم الفاعل الدال على الثبوت وقال بل أكثرهم لأن بعضهم يعلم ويكفر عنادا ومفعول لا يعلمون محذوف لدلالة المعنى عليه أي لا يعلمون أن الشرائع حكم ومصالح هذه الآية دلت على وقوع نسخ القرآن بالقرآن وروح القدس هنا هو جبريل عليه السلام بلا خلاف وتقدم لم سمى روح القدس وأضاف الرب الى كاف الخطاب تشريفا للرسول صلى الله عليه وسلم باختصاص الاضافة واعراضا

واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله انتهى يجوز عندى أن تكون جملة حالية فموضعها نصب وذلك أبلغ في الانكار عليهم أي يقولون ذلك والحال هذه أي علمهم بأعجمية هذا البشر وآياته عربية هذا القرآن كان يمنعهم من تلك المقالة كما تقول تشتم فلانا وهو قد أحسن اليك أي عالما باحسانه لك كان يقتضى منعك من شتمه وانما ذهب الزمخشري الى الاستئناف ولم يذهب الى الحال لان مذهبه أن مجيء الجملة الحالية الاسمية بغير واو شاذ وهو مذهب مرجوح جدا ومجيء ذلك بغير واو لا يكاد ينحصر كثرة في كلام العرب وهو مذهب تبع فيه الفراء واما الله أعلم فظاهر قوله فيها الا انها جملة حالية من ضمير يعود على ذى الحال لان ذا الحال هو ضمير وفي هذه الآية ذو الحال ضمير يقولون والضمير الذى في جملة الحال هو ضمير الحال في يلحدون فالجملة ان عريت عن الواو ففيها ضمير ذي الحال

عنهم اذلم يضف اليهم و بالحق حال أي ملتبسا بالحق سواء كان ناسخا أو منسوخا فكله مصحوب بالحق
لا يعتريه شئ من الباطل وليثبت معناه انهم لا يضطربون في شئ منه لكونه نسخ بل النسخ مثبت لهم
على ايمانهم لعلمهم أنه جميعه من عند الله لصحة ايمانهم واطمئنان قلوبهم يعلمون أنه حكيم وان أفعاله
كلها صادرة عن حكمة فهي صواب كلها ودل اختصاص التعليل بالمسلمين على اتصاف الكفار
بضده من لحاق الاضطراب لهم وتزلزل عقائدهم وضلالهم * وقرئ ليثبت مخففا من أثبت * قال
الزمخشري وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت انتهى وتقدم الرد عليه في نحو
هذا وهو قوله لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة في هذه السورة ولا يمتنع عطفه على المصدر
المنسبك من أن والفعل لانه مجرور فيكون وهدى وبشرى مجرورين كما تقول جئت لاحسن الى
زيد واكرام خالد اذ التقدير لاحسان الى زيد وأجاز أبو البقاء أن يكون ارتفاع هدى وبشرى
على اضمار مبتدأ أي وهو هدى وبشرى ولما نسبوه عليه السلام للافتراء وهو الكذب على الله
لم يكتفوا بذلك حتى جعلوا ذلك الافتراء الذي نسبوه هو من تعليم بشر اياه فليس هو المختلق بل
المختلق غيره وهو ناقل عنه وظاهر قولهم انما أنت مفتر ان معناه مختلق الكذب وهو ينافي التعلم من
البشر فيحتمل أن يكون قوله مفتر في نسبة ذلك الى الله و يحتمل أن يكونوا فيه طائفتين طائفة
ذهبت الى أنه هو المفتري وطائفة أنه يتعلم من البشر و يعلم مضارع اللفظ ومعناه المضي أي ولقد
علمنا وجاء اسناد التعليم الى مبهم لم يعين * فقيل هو حبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي
* وقيل عائش أو يعيش وكان صاحب كتب مولى حويطب بن عبد العزى وكان قد أسلم فحسن
اسلامه قاله الفراء والزجاج * وقيل أبو فكيهة أعجمي مولى لمرأة بمكة * قيل واسمه يسار وكان
يهوديا قاله مقاتل وابن جبير الا أنه لم يقل كان يهوديا * وقال ابن زيد كان رجلا حدادا نصرانيا
اسمه عنس * وقال حصين بن عبد الله بن مسلم كان لنا غلامان نصرانيان من أهل عين التمر يسار
وجبر كانا يقرآن كتبا لهما بلسانهم وكان صلى الله عليه وسلم يمر بهما فيسمع قراءتهما * قيل وكانا
حدادين يصنعان السيوف فقال المشركون يتعلم منهما فقيل لاحدهما ذلك فقال بل هو
يعلمني فقال ابن عباس كان في مكة غلام أعجمي لبعض قريش يقال له بلعام فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعلمه الاسلام فقالت قريش هذا يعلم محمدا من جهة الاعاجم * وقال الضحاك
الاشارة الى سلمان الفارسي وضعف هذا من جهة ان سلمان انما أسلم بعد الهجرة وهذه السورة مكية
الا ما نبه عليه أنه مدني واللسان هنا اللغة * وقرأ الحسن اللسان الذي بتعريف اللسان بأل والذي
صفته * وقرأ حمزة والكسائي يلحدون من لحد ثلاثيا وهي قراءة عبد الله بن طلحة والسلمي
والاعمش ومجاهد وقرأ باقي السبعة وابن القعقاع بضم الياء وكسر الحاء من ألحد رباعيا وهما بمعنى
واحد * قال الزمخشري يقال ألحد القبر ولحده فهو ملحد وملحود اذا أمال حفره عن الاستقامة
فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا ألحد فلان في قوله وألحد في دينه لانه أمال
دينه عن الاديان كلها لم يمله من دين الى دين والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة
اليه لسان أعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وابطالا
لطعنهم انتهى وظاهر قول الزمخشري ان اللسان في الموضعين اللغة * وقال ابن عطية وهذا اشارة
الى القرآن والتقدير وهذا سرد لسان أو نطق لسان فهو على حذف مضاف وهذا على أن يجعل
اللسان هنا الجارحة واللسان في كلام العرب اللغة و يحتمل أن يراد في هذه الآية * وقال الكرماني

(الدر)

(ش) وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت (ح) تقدم الرد عليه في نحو هذا وهو قوله ليبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة في هذه السورة ولا يمتنع عطفه على المصدر المنسبك من ان والفعل لانه مجرور فيكون وهدى وبشرى مجرورين كما يقول جئت لأحسن الى زيد واكرام خالد اذ التقدير لاحسان الى زيد

﴿ ان الذين لايؤمنون بآيات الله ﴾ الآية أخبر تعالى عنهم بأنهم لايهديهم الله أبدا اذ كانوا جاحدين آيات الله وما أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات وخصوصا القرآن فمن بالغ فى جحد آيات الله سد الله باب الهداية عنهم وذكر تعالى وعيده بالعذاب الاليم لهم .ومعنى لايهديهم لايخلق الايمان فى قلوبهم وهذا عام مخصوص فقد اهتدى قوم كفروا بآيات الله ﴿ من كفر ﴾ من شرطية وجوابه محذوف تقديره فهو مؤاخذ بكفره والاستثناء منقطع تقديره لكن من أكره على الكفر ولفظ به وقلبه مطمئن بالايمان فلايؤاخذ به ﴿ ولكن من شرح ﴾ من شرطية جوابه فعليهم غضب وقال ابن عطية وقيل فعليهم خبر عن من الأولى والثانية اذ هو واحد بالمعنى لأن الاخبار فى قوله من كفر انما قصد الصنف الشارح بالكفر صدرا انتهى هذا وان كان كما ذكر فهانان جملتان شرطيتان وقد فصل بينهما بأداة الاستدراك فلابد لكل واحدة منهن من جواب على انفراده لايشتركان فيه فتقدير الحذف أجرى على صناعة الاعراب وعلى كون من فى موضع رفع على الابتداء يجوز أن تكون شرطية كما ذكرنا وأن تكون موصولة ومابعدها صلتها والخبر محذوف لدلالة مابعده عليه لما ذكرنا فى حذف جواب الشرط الا أن من الثانية لايجوز أن تكون شرطا حتى يقدر قبلها مبتدأ لان من وليت لكن فيتعين اذ ذاك أن تكون من موصولة فان قدر مبتدأ بعد لكن جاز أن تكون شرطية فى موضع خبر ذلك المبتدإ المقدر كقوله

ولكن متى يسترفد القوم أرفد

أى ولكن أنا فكذلك هنا أى ولكن هم من شرح بالكفر صدرا أى منهم

المعنى أنتم أفصح وأبلغهم وأقدرهم على الكلام نظما ونثرا وقد عجزتم وعجز جميع العرب فكيف تنسبونه الى أعجمى ألكن * قال الزمخشرى (فان قلت) الجملة التى هى قوله لسان الذى يلحدون اليه أعجمى مامحلها (قلت) لامحل لها لانها مستأنفة جواب لقولهم ومثله قوله الله أعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ماأوتى رسل الله انتهى ويجوز عندى أن تكون جملة حالية فموضعها نصب وذلك أبلغ فى الانكار عليهم أى يقولون ذلك والحالة هذه أى علمهم بأعجمية هذا البشر وابانة عربية هذا القرآن كان يمنعهم من تلك المقالة كما تقول تشتم فلانا وهو قد أحسن اليك أى علمك باحسانه لك كان يقتضى منعك من شتمه وانما ذهب الزمخشرى الى الاستئناف ولم يذهب الى الحال لأن من مذهبه ان مجىء الجملة الحالية الاسمية بغير واو شاذ وهو مذهب مرجوح جدا ومجىء ذلك بغير واو لا يكاد ينحصر كثرة فى كلام العرب وهو مذهب تبع فيه الفراء وأما الله أعلم فظاهر قوله فيها لانها جملة حالية من ضمير يعود على ذى الحال لان ذا الحال هو ضمير قالوا وفى هذه الآية ذو الحال ضمير يقولون والضمير الذى فى جملة الحال هو ضمير الفاعل فى يلحدون فالجملة وان عريت عن الواو ففيها ضمير ذى الحال ﴿ ان الذين لايؤمنون بآيات الله لايهديهم الله ولهم عذاب أليم * انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون * من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم * ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لايهدى القوم الكافرين * أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون * لاجرم انهم فى الآخرة هم الخاسرون * ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾ لما ذكر تعالى نسبتهم الى

 وأجاز الحوفى والزمخشرى أن تكون من بدلا من الذين

(الدر) (ش) فان قلت الجملة التى هى قوله لسان الذى يلحدون اليه أعجمى مامحلها قلت لامحل لها لأنها مستأنفة جواب لقولهم ومثله قوله الله أعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ماأوتى رسل الله انتهى (ح) يجوز عندى أن تكون جملة حالية فموضعها نصب وذلك أبلغ فى الانكار عليهم أى يقولون ذلك والحالة هذه أى علمهم بأعجمية هذا البشر وابانة عربية هذا القرآن كان يمنعهم من تلك المقالة كما تقول تشتم فلانا وهو قد أحسن اليك أى علمك باحسانه لك كان يقتضى منعك من شتمه وانما ذهب (ش) الى الاستئناف ولم يذهب الى الحال لان من مذهبه ان مجىء الجملة الحالية الاسمية بغير واو شاذ وهو مذهب مرجوح جدا ومجىء ذلك بغير واو لا يكاد ينحصر كثرة فى كلام العرب وهو مذهب تبع فيه الفراء وأما الله أعلم فظاهر قوله فيها لانها جملة حالية من ضمير يعود على ذى الحال لان ذا الحال هو ضمير قالوا وفى هذه الآية ذو الحال ضمير يقولون والضمير الذى فى جملة الحال هو ضمير الفاعل فى يلحدون فالجملة وان عريت عن الواو ففيها ضمير ذى الحال

لايؤمنون ومن الكاذبون ولم يجز الزجاج الا أن يكون بدلا من الكاذبون لانه رأى الكلام الى آخر الاستثناء غير تام فعلقه بما قبله وأجاز الزمخشري أيضا أن يكون بدلا من أولئك فاذا كان (٥٣٨) بدلا من الذين لايؤمنون فيكون قوله وأولئك هم الكاذبون جملة اعتراض بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه واستثنى منه المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء واذا كان بدلا من الكاذبون فالتقدير وأولئك هم من كفر بالله من بعد إيمانه واذا كان بدلا من أولئك فالتقدير من كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون وهذه الأوجه الثلاثة عندي ضعيفة لان الأول يقتضي أنه لايفتري الكذب الا من كفر بالله من بعد إيمانه والوجود يقتضي أن من يفتري الكذب هو الذي لايؤمن وسواء كان ممن كفر بعد الايمان أم كان ممن لم يؤمن قط بل من لم يؤمن قط هم الا كثرون المفترون الكذب وأما الثاني فيؤول المعنى الى ذلك إذ التقدير وأولئك أي الذين لايؤمنون هم من كفر بالله من بعد ايمانه والذين لايؤمنون هم المفترون وأما الثالث فكذلك اذ التقدير أن المشار اليهم هم من كفر بالله من بعد إيمانه مخبر عنهم بانهم الكاذبون قال الزمخشري ويجوز أن ينتصب على الذم وهذا بعيد أيضا والذي تقتضيه فصاحة الكلام جعل الجمل كلها مستقلة لاترتبط بما قبلها من حيث الاعراب بل من حيث المعنى والمناسبة والظاهر أن ذلك اشارة الى مااستحقوه من الغضب والعذاب أي كائن لهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة ﴿ثم ان ربك﴾ فيه دلالة على تباعد حال

الافتراء الى الرسول صلى الله عليه وسلم وان ما أتى به من عند الله انما يعلمه اياه بشر كان ذلك تسجيلا عليهم بانتفاء الايمان فأخبر تعالى عنهم انهم لايهديهم الله أبدا اذ كانوا جاحدين آيات الله وهو ما أتى به الرسول من المعجزات وخصوصا القرآن فمن بالغ في جحد آيات الله سد الله عليه باب الهداية وذكر تعالى وعيده بالعذاب الأليم لهم ومعنى لايهديهم لايخلق الايمان في قلوبهم وهذا عام مخصوص فقد اهتدى قوم كفروا بآيات الله تعالى * وقال الزمخشري لايهديهم الله لايلطف بهم لأنهم من أهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة لامن أهل اللطف والثواب انتهى وهو على طريقة الاعتزال * وقال ابن عطية المفهوم من الوجود ان الذين لايهديهم الله لايؤمنون بآياته ولكنه قدم في هذا الترتيب وأخبر تهمما بتقبيح فعلهم والتشنيع بخطئهم وذلك كقوله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والمراد ماذكرناه فكأنه قال ان الذين لم يؤمنوا لم يهدهم الله انتهى * وقال القاضي أقوى ماقيل في ذلك لايهديهم الى طريق الجنة ولذلك قال بعده ولهم عذاب أليم والمراد انهم لما تركوا الايمان بالله لايهديهم الله الى الجنة بل يسوقهم الى النار * وقال العسكري يجوز أن يكون المعنى انهم ان لم يؤمنوا بهذه الآيات لم يهتدوا والمراد بقوله لايهديهم الله أي لايهتدون وانما يقال هدى الله فلانا على الاطلاق اذا اهتدى هو وأما من لم يقبل الهدى فانه يقال ان الله هداه فلم يهتد كما قال وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ثم رد تعالى قولهم انما أنت مفتر بقوله انما يفتري الكذب أي انما يليق افتراء الكذب بمن لايؤمن لأنه لايترقب عقابا عليه ولما كان في كلامهم انما وهو يقتضي الحصر عند بعضهم جاء الرد عليهم بانما أيضا وجاء بلفظ يفتري الذي يقتضي التجدد ثم علق الحكم على الوصف المقتضي للافتراء وهو انتفاء الايمان وختم بقوله وأولئك هم الكاذبون فاقتضى التوكيد البالغ والحصر بلفظ الاشارة والتأكيد بلفظ هم وادخال أل على الكاذبون وبكونه اسم فاعل يقتضي الثبوت والدوام فجاء يفتري يقتضي التجدد وجاء الكاذبون يقتضي الثبوت والدوام * وقال الزمخشري وأولئك اشارة الى قريش هم الكاذبون هم الذين لايؤمنون فهم الكاذبون أو الى الذين لايؤمنون أي وأولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لأن تكذيب آيات الله أعظم الكذب أو أولئك هم الكاذبون عادتهم الكذب لايبالون به في كل شئ لا يحجبهم عنه مروءة ولادين أو أولئك هم الكاذبون في قولهم انما أنت مفتر انتهى والوجه الذي بدأ به بعيد وهو أن أولئك اشارة الى قريش والظاهر ان من شرطية في موضع رفع على الابتداء وهو استئناف اخبار لاتعلق له بما قبله من جهة الاعراب ولما كان الكفر يكون باللفظ وبالاعتقاد استثنى من الكافرين من كفر باللفظ وقلبه مطمئن بالايمان ورخص له في النطق بكلمة الكفر اذ كان قلبه مؤمنا وذلك مع الاكراه والمعنى الامن أكره على الكفر تلفظ بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالايمان وجواب الشرط محذوف لدلالة مابعده عليه تقديره الكافرون بعد الايمان غير المكرهين فعليهم غضب ويصح أن يكون الاستثناء من ماتضمنه جواب الشرط المحذوف أي فعليهم غضب الامن أكره فلا غضب عليه ولاعذاب ولكن من شرح وكذا قدره الزمخشري أعني الجواب

(الدر) (ع) وقالت فرقة من في قوله من كفر ابتداء وقوله من شرح تخصيص منه ودخل الاستثناء لاخراج عمار وشبهه ودنا من الاستثناء الاول الاستدراك بلكن وقوله فعليهم خبر عن من الاولى والثانية اذهو واحد بالمعنى لان الاخبار في قوله من كفر انما قصد به الصنف الشارح بالكفر صدرا (ح) هذا وان كان كما ذكر فهاتان جملتان شرطيتان وقد فصل بينهما باداة الاستدراك فلا بد لكل واحدة منهما من جواب على انفراده لايشتركان فيه فتقدير الحذف أجرى على صناعة الاعراب وقد ضعفوا مذهب أبي الحسن في ادعائه أن قوله فسلام لك من أصحاب اليمين وقوله فروح وريحان جواب لاما ولان هذا وهما اداتا شرط احداهما تلي الأخرى وعلى كون من في موضع رفع على الابتداء يجوز أن تكون شرطية كما ذكرنا ويجوز أن تكون موصولة ومابعدها صلتها والخبر محذوف لدلالة مابعدها عليه كما ذكرنا في حذف جواب الشرط الا ان من الثانية لايجوز أن تكون شرطا حتى تقدر قبلها مبتدأ لأن من وليت لكن فيتعين اذ ذاك ان تكون من موصولة فان قدر مبتدأ بعد لكن جاز ان تكون شرطية في موضع خبر ذلك المبتدأ المقدر كقول

* ولكن متى يسترفد القوم أرفد *

أي ولكن انا متى يسترفد القوم أرفد ولذلك تقدر هنا ولكن هم من شرح بالكفر صدرا أي منهم (ح أجاز الحوفي و (ش) أن تكون بدلا من الذين لا يؤمنون ومن الكاذبون ولم يجز الزجاج الأن يكون بدلا من الكاذبون لأنه رأى الكلام الى آخر الاستثناء غير تام فعلقه بماقبله وأجاز (ش) أن يكون بدلا من أولئك فاذا كان بدلا من الذين لايؤمنون فيكون قوله وأولئك هم الكاذبون جملة اعتراض بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء واذا كان بدلا من الكاذبون فالتقدير وأولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون وهذه الاوجه الثلاثة عندي ضعيفة لأن الأول يقتضي أنه لايفترى الكذب الامن كفر بالله من بعد ايمانه والوجود يقتضي أن من يفترى الكذب هو الذي لايؤمن وسواء كان ممن كفر بعد الايمان أم كان ممن لم يؤمن قط بل من لم يؤمن قط هم الاكثرون المفترون الكذب وأما الثاني فيؤل المعنى الى ذلك اذ التقدير وأولئك أي الذين لايؤمنون هم من كفر بالله من بعد ايمانه والذين لايؤمنون هم المفترون وأما الثالث فكذلك اذ التقدير ان المشار اليهم هم من كفر بالله من بعد ايمانه مخبر عنهم بأنهم الكاذبون (ش) ويجوز أن ينتصب على الذم (ح) هذا أيضا بعيد والذي تقتضيه فصاحة الكلام جعل الجمل كلها مستقلة لاترتبط بماقبلها من حيث الاعراب بل من حيث المعنى والمناسبة

قبل الاستثناء في قول من جعل من شرطا * وقال ابن عطية وقالت فرقة من في قوله من كفر ابتداء وقوله من شرح تخصيص منه ودخل الاستثناء لاخراج عمار وشبهه ودنا من الاستثناء الأول الاستدراك بلكن وقوله فعليهم خبر عن من الاولى والثانية اذهو واحد بالمعنى لان الاخبار في قوله من كفر انما قصد به الصنف الشارح بالكفر انتهى وهذا وان كان كما ذكر فهاتان جملتان شرطيتان وقد فصل بينهما باداة الاستدراك فلا بد لكل واحدة منهما من جواب على انفراده لايشتركان فيه فتقدير الحذف أحرى على صناعة الاعراب وقد ضعفوا مذهب أبي الحسن في ادعائه ان قوله فسلام لك من أصحاب اليمين وقوله فروح وريحان جواب لأما ولأن هذا وهما اداتا شرط احداهما تلي الاخرى وعلى كون من في موضع رفع على الابتداء يجوز أن تكون شرطية كما ذكرنا ويجوز أن تكون موصولة ومابعدها صلتها والخبر محذوف لدلالة مابعده عليه كما ذكرنا في حذف جواب الشرط الا ان من الثانية لايجوز أن تكون شرطا حتى يقدر قبلها مبتدأ لأن من وليت لكن فيتعين اذ ذاك أن تكون من موصولة فان قدر مبتدأ بعد لكن جاز أن تكون شرطية في موضع خبر ذلك المبتدا المقدر كقوله * ولكن متى يسترفد القوم أرفد * أي ولكن أنا متى يسترفد القوم أرفد وكذلك تقدر هنا ولكن هم من شرح بالكفر صدرا أي منهم وأجاز الحوفي والزمخشري أن تكون بدلا من الذين لايؤمنون ومن الكاذبون ولم يجز الزجاج الأن يكون بدلا من الكاذبون لانه رأى الكلام الى آخر الاستثناء غير تام فعلقه بماقبله * وأجاز الزمخشري أن يكون بدلا من أولئك فاذا كان بدلا من الذين لايؤمنون فيكون قوله وأولئك هم الكاذبون جملة اعتراض بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء واذا

كان بدلا من الكاذبون فالتقدير وأولئك هم من كفر بالله من بعد إيمانه وإذا كان بدلا من أولئك فالتقدير ومن كفر بالله من بعد إيمانه هم الكاذبون وهذه الاوجه الثلاثة عندي ضعيفة لان الاول يقتضي انه لايفتري الكذب الامن كفر بالله من بعد إيمانه والوجود يقتضي ان من يفتري الكذب هو الذي لايؤمن وسواء كان ممن كفر بعد الايمان انه كان ممن لم يؤمن قط بل من لم يؤمن قط هم الاكثرون المفترون الكذب * وأما الثاني فيؤول المعنى الى ذلك إذ التقدير وأولئك أي الذين لايؤمنون هم من كفر بالله من بعد إيمانه والذين لايؤمنون هم المفترون * وأما الثالث فكذلك إذ التقدير ان المشار اليهم هم من كفر بالله من بعد إيمانه مخبر عنهم بأنهم الكاذبون * وقال الزمخشري ويجوز أن ينتصب على الذم انتهى وهذا أيضا بعيد والذي تقتضيه فصاحة الكلام جعل الجمل كلها مستقلة لاترتبط بماقبلها من حيث الاعراب بل من حيث المعنى والمناسبة وفي قوله الامن أكره دليل على ان من فعل المكره لايترتب عليه شيء واذا كان قد سومح لكلمة الكفر أوفعل مايؤدي اليه فالمسامحة بغيره من المعاصي أولى وقد تكلموا في كيفية الاكراه المبيح لذلك وفي تفصيل الاشياء التي يقع الاكراه فيها وذلك كله مذكور في كتب الفقه والمكرهون على الكفر المعذبون على الاسلام خباب وصهيب وبلال وعمار وأبواه ياسر وسمية وسالم وحبر عذبوا فأجابهم عمار وحبر باللفظ فخلى سبيلهما وتمادى الباقون على الاسلام فقتل ياسر وسمية وهما أول قتيل في الاسلام وعذب بلال وهو يقول (أحد أحد) وعذب خباب بالنار فاأطفأها الاودك ظهره وجمع الضمير في فعليهم على معنى من وأفرد في شرح على لفظها والظاهر ان ذلك اشارة الى ما استحقوه من الغضب والعذاب أي كائن لهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة * وقال الزمخشري واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم انتهى وهي نزغة اعتزالية والضمير في بأنهم عائد على من في من شرح ولما فعلوا فعل من استحب ألزموا ذلك وان كانوا غير مصدقين بآخرة لكن من حيث أعرضوا عن النظر فيه كانوا كمن استحب غيره وقوله استحبوا هو تكسب منهم علق به العقاب وان الله لايهدي اشارة الى اختراع الله الكفر في قلوبهم فجمعت الآية بين الكسب والاختراع وهذا عقيدة أهل السنة * وقيل ذلك اشارة الى الارتداد والاقدام على الكفر لأجل انهم رجحوا الدنيا على الآخرة ولأنه تعالى ماهداهم الى الايمان وتقدم الكلام على الطبع على القلوب والسمع والابصار والختم عليها وأولئك هم الغافلون * قال ابن عباس عن مايراد منهم في الآخرة * وقال الزمخشري الكاملون في الغفلة الذين لاأحد أغفل منهم لأن الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها ولما كان الاسناد ليكتسب بالطاعات سعادة الآخرة فعمل على عكس ذلك من المعاصي الكفر وغيره عظم خسرانه فقيل فيهم هم الخاسرون لاغيرهم ومن أخسر ممن اتصف بتلك الاوصاف السابقة من كينونة غضب الله عليهم والعذاب الأليم واستحباب الدنيا وانتفاء هدايتهم والاخبار بالطبع وبغفلتهم ولما ذكر تعالى حال من كفر بعد الايمان وحال من أكره ذكر حال من هاجر بعد ما فتن * قال ابن عطية وهذه الآية مدنية ولاأعلم في ذلك خلافا * وقال ابن عباس نزلت فكتب بها المسلمون الى من كان أسلم بمكة ان الله قد جعل لكم مخرجا فخرجوا فأدركهم المشركون فقاتلوهم حتى نجا من نجا وقتل من قتل فعلى هذا السبب يكون جهادهم مع الرسول على الاسلام وروى انهم خرجوا واتبعوا وجاهدوا متبعيهم فقتل من قتل ونجا من نجا فنزلت حينئذ فعني بالجهاد جهادهم لمتبعيهم * وقال ابن اسحاق نزلت في عمار وعياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد * قال ابن عطية

﴿يوم تأتي كل نفس﴾ الآية يوم ظرف وهو منصوب باذكر على أنه مفعول به والظاهر عموم كل نفس فيجادل المؤمن والكافر وجداله بالكذب والجحد فتشهد عليهم الرسل والجوارح فحينئذ لا ينطقون ﴿وضرب الله مثلا قرية﴾ أي من قرى الأولين جعلت مثلا لمكة على معنى التحذير لأهلها ولغيرها من القرى الى يوم القيامة قال الزمخشري يجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن يكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها انتهى لا يجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة بل لابد من وجودها لقوله ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه الآية ﴿كانت آمنة﴾ ابتدأ بصفة الامن لأنه لا نعيم لخائف والاطمئنان زيادة في الامن فلا يزعجها خوف ﴿يأتيها رزقها﴾ أقواتها كل حين واسعة من جميع جهاتها لا تتعذر منها جهة وأنعم جمع نعمة كشدة وأشد والاذاقة واللباس كناية عن وصول الخوف والجوع إليهم ولما تقدم ذكر الامن وايتاء الرزق قابلهما بالجوع الناشئ عن انقطاع الرزق وبالخوف وقدّم الجوع ليلي المتأخر وهو اتيان الرزق كقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الآية والظاهر أن الضمير في ولقد جاءهم عائد على ماعاد عليه في قوله بما كانوا يصنعون ولما تقدّم فكفرت بأنعم الله جاء هنا واشكروا نعمة الله وفي البقرة جاء يا أيها الذين آمنوا كلوا مما رزقناكم لم يذكر من كفر نعمته فقال واشكروا لله ولما أمرهم بالاكل مما رزقهم عدد عليهم محرماته تعالى ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم بأهوائهم دون اتباع ماشرع الله تعالى على لسان أنبيائه وكذا جاء في البقرة ذكر ماحرم إثر قوله كلوا

وذكر عمار في هذا غير قويم فانه أرفع من طبقة هؤلاء وانما هؤلاء من باب ممن شرح بالكفر صدرا أفتح الله لهم باب التوبة في آخر الآية * وقال عكرمة والحسن نزلت في شأن عبدالله بن أبي سرح واشباهه فكأنه يقول من بعد مافتنهم الشيطان * وقال الزمخشري ثم ان ربك دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك وهم عمار وأصحابه وللذين عند الزمخشري في موضع خبر ان قال ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور انتهى وقوله منفوعا اسم مفعول من نفع وهو قياسه لأنه متعد ثلاثي وزعم الاهوازي النحوي انه لا يستعمل من نفع اسم مفعول فلا يقال منفوع وقفت له عليه في شرحه موجز الرماني * وقال أبو البقاء خبر ان الأولى قوله ان ربك لغفور وان الثانية واسمها تكرير للتوكيد انتهى واذا كانت ان الثانية واسمها تكريرا للتوكيد كما ذكر فالذي يقتضيه صناعة العربية ان يكون خبر ان الأولى هو قوله لغفور ويكون للذين متعلقا بقوله لغفور أو برحيم على الاعمال لأن ان ربك الثانية لا يكون لها طلب لما بعدها من حيث الاعراب كما انك اذا قلت قام قام زيد فزيد انما هو مرفوع بقام الاولى لأن الثانية ذكرت على سبيل التوكيد للأولى * وقيل لا خبر لان الاولى في اللفظ لان خبر الثانية أغنى عنه انتهى وهذا ليس بجيد لانه ألغى حكم الاولى وجعل الحكم للثانية وهو عكس ماتقدم ولا يجوز * وقيل للذين متعلق بمحذوف على جهة البيان كأنه قيل أعني للذين أي الغفران للذين * وقرأ الجمهور فتنوا مبنيا للمفعول أي بالعذاب والاكراه على كلمة الكفر * وقرأ ابن عامر فتنوا مبنيا للفاعل والظاهر ان الضمير عائد على الذين هاجروا فالمعنى فتنوا أنفسهم بما أعطوا المشركين من القول كما فعل عمار أو لما كانوا صابرين على الاسلام وعذبوا بسبب ذلك صاروا كأنهم هم المعذبون أنفسهم ويجوز أن يكون عائدا على المشركين أي من بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي واشباهه والضمير في من بعدها عائد على المصادر المفهومة من الافعال السابقة أي من بعد الفتنة والهجرة والجهاد والصبر * وقال ابن عطية والضمير في بعدها عائد على الفتنة أو الهجرة أو التوبة والكلام يعطيها وان لم يجر لها ذكر صريح ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ماعملت وهم لا يظلمون * وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون * ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون * فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم إياه تعبدون * انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما

(الدر) (ش) ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور (ح) قوله منفوعا اسم مفعول من نفع وهو قياسه لانه متعد ثلاثي وزعم الاهوازي النحوي انه لا يستعمل من نفع اسم مفعول فلا يقال منفوع وقفت له عليه في شرح موجز الرماني له

أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم * يوم منصوب على الظرف وناصبه رحيم أو على المفعول به وناصبه اذكر والظاهر عموم كل نفس فيجادل المؤمن والكافر وجداله بالكذب والجحد فيشهد عليهم الرسل والجوارح فحينئذ لا ينطقون * وقالت فرقة الجدال قول كل أحد من الانبياء وغيرهم نفسي نفسي * قال ابن عطية وهذا ليس بجدال ولا احتجاج انما هو مجرد رغبة * واختار الزمخشري هذا القول وركب معه ما قبله فقال كانه قيل يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء أضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك وقال يقال لعين الشئ وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الأولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها * وقال ابن عطية أي كل ذي نفس ثم أجرى الفعل على المضاف اليه المذكور فأنث العلامة ونفس الأولى هي النفس المعروفة والثانية هي بمعنى البدن كما تقول نفس الشئ وعينه أي ذاته * وقال العسكري الانسان يسمى نفسا تقول العرب ما جاءني الا نفس واحدة أي إنسان واحد والنفس في الحقيقة لا تأتي لأنها هي الشئ الذي يعيش به الانسان انتهى (فان قلت) لم لم يتعد الفعل الى الضمير لا الى لفظ النفس (قلت) منع من ذلك أن الفعل اذا لم يكن من باب ظن وفقد لا يتعدى فعل ظاهر فاعله ولا مضمره الى مضمره المتصل فلذلك لم يجئ التركيب تجادل عنها ولذلك لا يجوز ضربتها هند ولا هند ضربتها وانما تقول ضربت نفسها هند وضربت هند نفسها ما عملت أي جزاء ما عملت من احسان أو اساءة وأنث الفعل في تأتي والضمير في تجادل وفي عن نفسها وفي توفى وفي عملت حملا على معنى كل ولو روعي اللفظ لذكر وقال الشاعر

جادت عليها كل عين ثرة * فتركن كل حديقة كالدرهم

فأنث على المعنى ومما ذكر عن ابن عباس ان الجدال هنا هو جدال الجسد للروح والروح للجسد لا يظهر قال يقول الجسد رب جاء الروح بأمرك به نطق لساني وأبصرت عيني ومشت رجلي فتقول الروح أنت كسبت وعصيت لا أنا وأنت كنت الحامل وأنا المحمول فيقول الله عز وجل أضرب لكما مثل أعمى حمل مقعدا الى بستان فأصابا من ثماره فالعذاب عليكما وعن ابن عباس ومجاهد وابن زيد وقتادة أن القرية المضروب بها المثل مكة كانت لا تغزى ولا يغار عليها والارزاق تجلب اليها وأنعم الله عليها بالرسول صلى الله عليه وسلم فكفرت فأصابها السنون والخوف وسرايا الرسول وغزواته ضربت مثلا لغيرها مما يأتي بعدها وهذا وان كانت الآية مدنية وان كانت مكية فجوع السنين وخوف العذاب بسبب التكذيب ويؤيد كونها مكية قوله ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه ويجوز أن يكون قرية من قرى الأولين وعن حفصة أنها المدينة * وقال ابن عطية يتوجه عندي انها قصد بها قرية غير معينة جعلت مثلا لمكة على معنى التحذير لأهلها ولغيرها من القرى الى يوم القيامة * وقال الزمخشري يجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن يكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها انتهى ولا يجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة بل لابد من وجودها لقوله ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون كانت آمنة ابتدأ بصفة الأمن لأنه لا يقيم خائف والاطمئنان زيادة في الأمن فلا يزعجها خوف يأتيها رزقها أقواتها واسعة من جميع جهاتها لا يتعذر منها جهة وأنعم جمع نعمة كشدة وأشد * وقال قطرب جمع نعم بمعنى النعيم يقال هذه أيام طعم ونعم انتهى فيكون كبؤس

مما رزقكم وقوله انما حرم تقدم تفسير مثله في البقرة

(الدر)

(ش) يجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن يكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها

(ح) لا يجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة بل لابد من وجودها لقوله ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون

وأبؤس * وقال الزمخشري جمع نعمة على ترك التاء والاعتداد بالتاء كدرع وأدرع * وقال العقلاء ثلاثة ليس لها نهاية * الأمن والصحة والكفاية * قال أبو عبد الله الرازي آمنة اشارة الى الامن مطمئنة إشارة الى الصحة لان هواء ذلك لما كان ملازما لامزجتهم اطمأنوا اليها واستقروا يأتيها رزقها السبب في ذلك دعوة ابراهيم عليه السلام فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات * وقال الانعم جمع نعمة وجمع قلة ولم يأت بنعم الله وذلك انه قصد التنبيه بالادنى على الاعلى بمعنى ان كفران النعم القليلة أوجب العذاب فكفران الكثيرة أولى بايجابه * قال ابن عطية لما باشرهم ذلك صار كاللباس وهذا كقول الاعشى

اذا ما الضجيع ثنى جيدها * تثنت فكانت عليه لباسا

ونحو قوله تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ومنه قول الشاعر

وقد لبست بعد الزبير مجاشع * ثياب التى حاضت ولم تغسل الدما

كأن العار لما باشرهم ولصق بهم جعلهم لبسوه وقوله فأذاقها الله نظير قوله ذق انك أنت العزيز الكريم ونظير قول الشاعر * دونك ماجنيته فاحس وذق * وقال الزمخشري الاذاقة واللباس استعارتان فاوجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس فاوجه صحة ايقاعها (قلت) أما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقة العذاب شبه مايدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المر والبشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ماغشى الانسان والتبس به من بعض الحوادث وأما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه قيل فأذاقهم ماغشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان أحدهما أن ينظروا فيه الى المستعار له كما نظر اليه ههنا ونحوه قول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال

استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذى هو وصف المعروف والنوال لاصفة الرداء نظرا الى المستعار له والثانى أن ينظروا فيه الى المستعار كقوله

ينازعنى ردائى عبد عمرو * رويدك يا أخا عمرو بن بكر
لى الشطر الذى ملكت يمينى * ودونك فاعتجر منه بشطر

أراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير * ضافى الرداء اذا تبسم ضاحكا * انتهى وهو كلام حسن ولما تقدم ذكر الأمن واتيان الرزق قابلهما بالجوع الناشئ عن انقطاع الرزق وبالخوف وقدم الجوع ليلي المتأخر وهو اتيان الرزق كقوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم وأما قوله فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار فقدم مابدئ به وهما طريقان * وقرأ الجمهور والخوف بالجر عطفا على الجوع وروى العباس عن أبي عمرو والخوف بالنصب عطفا على لباس * قال صاحب اللوامح ويجوز أن يكون نصبه باضمار فعل * وقال الزمخشري يجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه أصله ولباس الخوف * وقرأ عبد الله فأذاقها الله الخوف والجوع ولا يذكر لباس والذى أقوله ان هذا تفسير المعنى لا قراءة لأن المنقول عنه مستفيضا مثل ما في سواد المصحف وفي مصحف

﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب﴾ الآية لما بين ما حرم بالغ في تأكيد ذلك بالنهي عن الزيادة فيما حرم وما مصدرية والكذب مفعول بتصف أي بوصف ألسنتكم الكذب وهذا حلال وهذا حرام تفسير للكذب ويجوز أن تكون ما موصولة بمعنى الذي وتصف صلته والضمير العائد على ما محذوف تقديره تصفه والكذب بدل من هذا الضمير

المحذوف ويجوز أن ينتصب الكذب على أنه نعت لمصدر محذوف منصوب بتقولوا أي ولا تقولوا القول الكذب لما تصف واللام للتعليل أي لما تصف وقال الزمخشري يجوز أن يكون الكذب بالجر صفة لما المصدرية كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب المراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة انتهى هذا عندي لا يجوز وذلك أنهم نصوا على أن المصدرية لا ينعت المصدر المنسبك منها ومن الفعل فلا يجوز يعجبني أن قت السريع تريد قيامك السريع ولا عجبت من أن تخرج السريع أي من خروجك السريع وحكم باقي الحروف المصدرية حكم أن فلا يوجد في كلامهم وصف المصدر المنسبك من أن ولا من ما ولا من كي بخلاف صريح المصدر فانه يجوز أن ينعت وليس لكل مصدر حكم المنطوق به وانما يتبع في ذلك ما تكلمت به العرب وارتفع متاع على أنه خبر مبتدإ محذوف تقديره عيشهم في الدنيا متاع قليل ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا﴾ تقدم ما حرم عليهم في آخر الانعام و يتعلق من قبل بقصصنا وهو الظاهر وقيل بحرمنا والمحذوف الذي في من قبل تقديره من قبل تحريمنا على أهل ملتك وال..و..ابسوء صاحبه من كفر ومعصية وغيره والكلام في الذين آمنوا وما يتعلق به تقدم نظيره

أبي بن كعب لباس الخوف والجوع بدأ بمقابل ما بدأ به في قوله كانت آمنة وهذا عندي انما كان في مصحفه قبل أن يجمعوا ما في سواد المصحف الموجود الآن شرقا وغربا ولذلك المستفيض عن أبي في القراءة انما هو كقراءة الجماعة بما كانوا يصنعون من كفران نعم الله ومنها تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم الذي جاءهم والضمير في بما كانوا يصنعون عائد على المحذوف في قوله وضرب الله مثلا قرية أي قصة أهل قرية أعاد الضمير أولا على لفظ قرية ثم على المضاف المحذوف كقوله فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون والظاهر أن الضمير في ولقد جاءهم عائد على ما عاد عليه في قوله بما كانوا يصنعون * وقال ابن عطية يحتمل أن يكون الضمير في جاءهم لأهل تلك المدينة يكون هذا بما جرى فيها كمدينة شعيب عليه السلام وغيره ويحتمل أن يكون لأهل مكة * وقال أبو عبد الله الرازي لما ذكر المثل قال ولقد جاءهم يعني أهل مكة رسول منهم يعني من أنفسهم يعرفونه بأصله ونسبه ولما وعظ تعالى بضرب ذلك المثل وصل هذا الأمر للمؤمنين بالفاء فأمر المؤمنين بأكل ما رزقهم وشكر نعمته ليباينوا تلك القرية التي كفرت بنعم الله ولما تقدم فكفرت بأنعم الله جاء هنا واشكروا نعمة الله وفي البقرة جاء يا أيها الذين آمنوا كلوا مما رزقناكم لم يذكر من كفر نعمته فقال واشكروا لله ولما أمرهم بالأكل مما رزقهم عدد عليهم محرماته تعالى ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم بأهوائهم دون اتباع ما شرع الله على لسان أنبيائه وكذا جاء في البقرة ذكر ما حرم إثر قوله كلوا مما رزقناكم وقوله انما حرم الآية تقدم تفسير مثلها في البقرة ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع قليل ولهم عذاب أليم * وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون * ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾ لما بين تعالى ما حرم بالغ في تأكيد ذلك بالنهي عن الزيادة فيما حرم كالبحيرة والسائبة وفيما أحل كالميتة والدم وذكر تعالى تحريم هؤلاء الأربع في سورة الأنعام وهذه السورة وهما مكيتان بأداة الحصر ثم كذلك في سورة البقرة والمائدة بقوله أحلت لكم الآية وأجمعوا على أن المراد بما يتلى عليكم هو قوله حرمت عليكم الآية وهما مدنيتان فكان هذا التحريم لهذه الأربع مشرعا ثابتا في أول مكة وآخرها وأول المدينة وآخرها فنهى تعالى أن يحرموا ويحلوا من عند أنفسهم ويفتروا بذلك على الله حيث ينسبون ذلك اليه *وقرأ الجمهور الكذب بفتح الكاف والباء وكسر الذال وجوزوا في ما في هذه القراءة أن تكون بمعنى الذي والعائد محذوف تقديره للذي تصفه ألسنتكم وانتصب الكذب على انه معمول لتقولوا أي ولا تقولوا الكذب للذي تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة من غير استناد ذلك الوصف

الى الوحي وهذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب أو على اضمار فعل أي فتقولوا هذا حلال وهذا حرام وأجاز الحوفي وأبو البقاء أن يكون انتصاب الكذب على انه بدل من الضمير المحذوف العائد على ما كما تقول جاءني الذي ضربت أخاك أي ضربته أخاك وأجاز أبو البقاء أن يكون منصوبا باضمار أعني * وقال الكسائي والزجاج ما مصدرية وانتصب الكذب على المفعول به أي لوصف ألسنتكم الكذب ومعمول ولا تقولوا الجملة من قوله هذا حلال وهذا حرام والمعنى ولا تحللوا ولا تحرموا لأجل قول تنطق به ألسنتكم كذبا لا بحجة وبينة وهذا معنى بديع جعل قولهم كأنه عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهه يصف الجمال وعينها تصف السحر * وقرأ الحسن وابن يعمر وطلحة والأعرج وابن أبي اسحق وابن عبيد ونعيم بن ميسرة بكسر الباء وخرج على أن يكون بدلا من ما والمعنى الذي تصفه ألسنتكم الكذب وأجاز الزمخشري وغيره أن يكون الكذب بالجر صفة لما المصدرية * قال الزمخشري كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة انتهى وهذا عندي لا يجوز وذلك انهم نصوا على أن المصدرية لا ينعت المصدر المنسبك منها ومن الفعل ولا يوجد من كلامهم يعجبني أن قمت السريع يريد قيامك السريع ولا عجبت من أن تخرج السريع أي من خروجك السريع وحكم باقي الحروف المصدرية حكم أن فلا يوجد من كلامهم وصف المصدر المنسبك من أن ولا من ما ولا من كي بخلاف صريح المصدر فانه يجوز أن ينعت وليس لكل مقدر حكم المنطوق به وانما يتبع في ذلك ما تكلمت به العرب * وقرأ معاذ وابن أبي عبلة وبعض أهل الشام الكذب بضم الثلاثة صفة للألسنة جمع كذوب * قال صاحب اللوامح أو جمع كاذب أو كذاب انتهى فيكون كشارف وشرف أو مثل كتاب وكتب ونسب هذه القراءة صاحب اللوامح لمسلمة بن محارب * وقال ابن عطية وقرأ مسلمة بن محارب الكذب بفتح الباء على أنه جمع كذاب ككتب في جمع كتاب * وقال صاحب اللوامح وجاء عن يعقوب الكذب بضمتين والنصب فأما الضمتان فلانه جمع كذاب وهو مصدر ومثله كتاب وكتب * وقال الزمخشري بالنصب على الشتم أو بمعنى الكلم الكواذب أو هو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جني انتهى والخطاب على قول الجمهور بقوله ولا تقولوا للكفار في شأن ما أحلوا وما حرموا من أمور الجاهلية وعلى ذلك الزمخشري وابن عطية * وقال العسكري الخطاب للمكلفين كلهم أي لا تسموا ما لم يأتكم حظره ولا اباحته عن الله ورسوله حلالا ولا حراما فتكونوا كاذبين على الله في اخباركم بأنه حلله وحرمه انتهى وهذا هو الظاهر لأنه خطاب معطوف على خطاب وهو فكلوا انما حرم عليكم فهو شامل لجميع المكلفين واللام في لتفتروا لام التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض قاله الزمخشري وهي التي تسمى لام العاقبة ولام الصيرورة * قيل ذلك الافتراء ما كان غرضا لهم والظاهر انها لام التعليل وانهم قصدوا الافتراء كما قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ولا يكون ذلك على سبيل التوكيد لما تقدم لتضمنه الكذب لان هذا التعليل فيه التنبيه على من افتروه عليه وهو الله تعالى * وقال الواحدي لتفتروا على الله الكذب بدل من قوله لما تصف ألسنتكم الكذب لان وصفهم الكذب هو افتراء على الله ففسر وصفهم بالافتراء على الله انتهى وهو على تقدير ما مصدرية وأما اذا كانت بمعنى الذي فاللام في لما ليست للتعليل فيبدل منها ما يقتضي التعليل بل اللام متعلقة بلا تقولوا على حد تعلقها في قولك لا تقولوا لما أحل الله هذا حرام

(الدر)

(ش) يجوز أن يكون الكذب بالجر صفة لما المصدرية كأنه قيل لوصفها الكذب يعني الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة (ح) هذا عندي لا يجوز وذلك انهم نصوا على ان المصدرية لا ينعت المصدر المنسبك منها ومن الفعل فلا يوجد في كلامهم يعجبني أن قمت السريع تريد قيامك السريع ولا عجبت من أن تخرج السريع أي من خروجك السريع وحكم باقي الحروف المصدرية حكم أن فلا يوجد في كلامهم وصف المصدر المنسبك من ان ولا من ما ولا من كي بخلاف صريح المصدر فانه يجوز أن ينعت وليس لكل مصدر حكم المنطوق به وانما تتبع في ذلك ما تكلمت به العرب

﴿ان ابراهيم كان أمة﴾ الآية مناسبة هذه الآية للتي قبلها أنه لما أبطل تعالى مذاهب المشركين في هذه السورة والطعن في نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحليل ما حرم وتحريم ما أحل وكانوا مفتخرين بجدهم ابراهيم صلى الله عليه وسلم ذكره في آخر السورة وأوضح منهاجه وما كان عليه من طاعة الله ورفض الاصنام ليكون ذلك حاملا لهم على تركها والاقتداء به قال ابن عطية قال مكي ولا يكون يعني حنيفا حالا من ابراهيم لانه مضاف اليه وليس كما قال لان الحال قد يعمل فيها حروف الخفض إذا عملت في ذي الحال كقولك مررت بزيد قائما انتهى أما ما حكى عن مكي وتعليله امتناع ذلك بكونه مضافا إليه فليس على اطلاق هذا التعليل لانه اذا كان المضاف إليه في محل رفع أو نصب جازت الحال منه نحو يعجبني قيام زيد مسرعا وشرب السويق ملتوتا وقال بعض النحاة ويجوز أيضا ذلك اذا كان المضاف جزأ من المضاف اليه كقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا أو كالجزء كقوله تعالى ملة ابراهيم حنيفا وأما قول ابن عطية في رده على مكي بقوله وليس كما قال لان الحال الى آخره فقول بعيد عن قول أهل الصنعة لان الباء في بزيد ليست هي العاملة في قائما وانما العامل في الحال مررت والباء وان عملت الجر في زيد فان زيدا في موضع نصب بمررت ولذلك اذا حذف حرف الجر حيث يجوز حذفه نصب الفعل ذلك الاسم الذي كان مجرورا بالحرف وتقدم تفسير القانت والحنيف شاكرا لأنعمه روي أنه كان صلى الله عليه وسلم لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فأخر غداءه فاذا هو

أي لا تسموا الحلال حراما وكما تقول لزيد عمرو أي لا تطلق على زيد هذا الاسم والظاهر انهم افتروا على الله حقيقة وهو ظاهر الافتراء الوارد في آي القرآن * وقال ابن عطية ويحتمل أن يريد انه كان شرعهم لاتباعهم سننا لا يرضاها الله افتراء عليه لان من شرع أمرا فكأنه قال لتابعه هذا هو الحق وهذا مراد الله ثم أخبر تعالى عن الذين يفترون على الله الكذب بانتفاء الفلاح والفلاح الظفر بما يؤمل فتارة يكون في البقاء كما قال الشاعر * والمسي والصبح لا فلاح معه * وتارة في نجح المساعي كما قال عبيد بن الأبرص

أفلح بما شئت فقد يبـ * لغ بالضعف وقد يخدع الأريب

وارتفاع متاع على أنه خبر مبتدأ محذوف فقدر الزمخشري منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم * وقال ابن عطية عيشهم في الدنيا * وقال العسكري يجوز أن يكون المتاع هنا ما احلوه لأنفسهم مما حرمه الله تعالى * وقال أبو البقاء بقاؤهم متاع قليل * وقال الحوفي متاع قليل ابتداء وخبر انتهى ولا يصح الابتداء به الا بتقدير الاضافة أي متاعهم قليل ولما بين تعالى ما يحل وما يحرم لأهل الاسلام أتبعه بما كان خص به اليهود محالا على ما تقدم ذكره في سورة الأنعام وهذا يدل على أن سورة الأنعام نزلت قبل هذه السورة اذ لا تصح الحوالة الا بذلك ويتعلق من قبل بقصصنا وهو الظاهر * وقيل بحرمنا والمحذوف الذي في من قبل تقديره من قبل تحريمنا على أهل ملتك * والسوء هنا قال ابن عباس الشرك قبل المعرفة بالله انتهى والسوء ما يسوء صاحبه من كفر ومعصية غيره والكلام في للذين عملوا وما يتعلق به تقدم نظيره في قوله ثم ان ربك للذين هاجروا فأغنى عن اعادته * وقال قوم بجهالة تعمد * وقال ابن عطية ليست هنا ضد العلم بل تعدي الطور وركوب الرأس ومنه * أو أجهل أو يجهل علي * وقول الشاعر

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

والتي هي ضد العلم تصحب هذه كثيرا ولكن يخرج منها المتعمد وهو الاكثر وقل ما يوجد في العصاة من لم يتقدم له علم بحظر المعصية التي يواقع انتهى ملخصا * وقال الزمخشري بجهالة في موضع الحال أي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه أو غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم * وقال سفيان جهالته أن يلتذ بهواه ولا يبالي بمعصية مولاه * وقال الضحاك باغترار الحال عن المآل * وقال العسكري ليس المعنى أنه يغفر لمن يعمل السوء بجهالة ولا يغفر لمن عمله بغير جهالة بل المراد ان جميع من تاب فهذا سبيله وانما خص من يعمل السوء بجهالة لأن أكثر من يأتي الذنوب يأتيها بقلة فكر في عاقبة أو عند غلبة شهوة أو في جهالة شباب فذكر الأكثر على عادة العرب في مثل ذلك والاشارة بذلك الى عمل السوء وأصلحوا استمروا على الاقلاع عن تلك المعصية * وقيل أصلحوا آمنوا وأطاعوا والضمير في من بعدها عائد على المصادر المفهومة من الافعال السابقة أي من بعد عمل السوء والتوبة والاصلاح * وقيل يعود على الجهالة * وقيل على السوء على معنى المعصية ﴿ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين * شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم

وآتيناه فى الدنيا حسنة وانه فى الآخرة لمن الصالحين * ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين * انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ لما أبطل تعالى مذاهب المشركين فى هذه السورة من اثبات الشركاء لله والطعن فى نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحليل ما حرم وتحريم ما أحل وكانوا مفتخرين بجدهم ابراهيم عليه السلام مقرين بحسن طريقته ووجوب الاقتداء به ذكره فى آخر السورة وأوضح منهاجه وما كان عليه من توحيد الله تعالى ورفض الاصنام ليكون ذلك حاملا لهم على الاقتداء به وأيضا فلما جرى ذكر اليهود بين طريقة ابراهيم ليظهر الفرق بين حاله وحالهم وحال قريش * وقال مجاهد سمى أمة لانفراده بالايمان فى وقت مدة ما وفى البخارى أنه قال لسارة ليس على الأرض اليوم مؤمن غيرى وغيرك والامة لفظ مشترك بين معان منها الجمع الكثير من الناس ثم يشبه به الرجل الصائم أو الملك أو المنفرد بطريقة وحده عن الناس فسمى أمة وقاله ابن مسعود والفراء وابن قتيبة * وقال ابن عباس كان عنده من الخير ما كان عند أمة ومن هنا أخذ الحسن ابن هانئ قوله

وليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

وعن ابن مسعود انه معلم الخير وأطلق هو وعمر ذلك على معاذ فقال كان أمة قانتا * وقال ابن الانبارى هذا مثل قول العرب فلان رحمة وعلامة ونسابة يقصدون بالتأنيث التناهى فى المعنى الموصوف به * وقيل الأمة الامام الذى يقتدى به من أم يؤم والمفعول قد يبنى للكثرة على فعلة وتقدم تفسير القانت والحنيف شاكرا لأنعمه روى انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فأخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة فى صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا ان بهم جذاما فقال الآن وجبت مؤاكلتكم شكرا لله على انه عافانى وابتلاكم * وآتيناه فى الدنيا حسنة * قال قتادة حببه الله تعالى الى كل الخلق فكل أهل الأديان يتولونه اليهود والنصارى والمسلمون وخصوصا كفار قريش فان فخرهم انما هو به وذلك باجابة دعوته واجعل لى لسان صدق فى الآخرين * وقيل الحسنة قول المصلى منا كما صليت على ابراهيم * وقال ابن عباس الذكر الحسن * وقال الحسن النبوة * وقال مجاهد لسان صدق * وقال قتادة القبول وعنه تنويه الله بذكره * وقيل الأولاد الابرار على الكبر * وقيل المال يصرفه فى الخير والبر وانه لمن الصالحين تقدم الكلام على هذه الجملة فى البقرة ولما وصف ابراهيم عليه السلام بتلك الأوصاف الشريفة أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتبع ملته وهذا الامر من جملة الحسنة التى آتاها الله ابراهيم فى الدنيا * قال ابن فورك وأمر الفاضل باتباع المفضول لما كان سابقا الى قول الصواب والعمل به * وقال الزمخشرى ثم أوحينا فى ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله والايذان بأن أشرف ما أوتى خليل الله ابراهيم عليه السلام من الكرامة وأجل ما أوتى من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت فى المرتبة من بين سائر النعوت التى أثنى الله عليه بها انتهى وأن تفسيرية أو فى موضع المفعول * واتباع ملته قال قتادة فى الاسلام وعنه أيضا جميع ملته الا ما أمر بتركه وعن عمرو بن العاص مناسك الحج * وقال القرطبى الصحيح عقائد الشرع دون الفروع لقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا * وقيل فى التبرى من الاوثان * وقال قوم كان على شريعة ابراهيم وليس له شرع ينفرد به وانما المقصود من بعثته احياء

بفوج من الملائكة فى صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له أن بهم جذاما فقال الآن وجبت مؤاكلتكم شكرا لله تعالى على أنه عافانى وابتلاكم ﴿وآتيناه فى الدنيا حسنة﴾ قال قتادة حببه الله تعالى الى كل الخلق فكل أهل الأديان يتولونه اليهود والنصارى والمسلمون وخصوصا كفار قريش فان فخرهم انما هو كان به وذلك لاجابة دعوته واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ولما وصف ابراهيم عليه السلام بتلك الأوصاف الشريفة أمر نبيه عليه السلام أن يتبع ملته وهذا الامر من جملة الحسنة التى آتاها الله ابراهيم فى الدنيا وملته أى عقائد الشرائع دون الفروع لقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم باتباع ملة ابراهيم وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد اختار يوم الجمعة فدل ذلك على أنه كان فى شرع ابراهيم عليه السلام بين ان يوم السبت لم يكن فى شرع ابراهيم والسبت مصدر وبه سمى اليوم وتقدم الكلام فى هذا اللفظ فى الاعراف

شرع ابراهيم عليه السلام * قال أبو عبدالله الرازى وهذا القول ضعيف لانه وصف ابراهيم فى هذه الآية بأنه ما كان من المشركين فلما قال اتبع ملة ابراهيم كان المراد ذلك * فان قيل ان النبى صلى الله عليه وسلم انما نفى الشرك وأثبت التوحيد بناء على الدلائل القطعية واذا كان كذلك لم يكن متابعا له فيمتنع حمل قوله أن اتبع على هذا المعنى فوجب حمله على الشرائع التى يصح حصول المتابعة فيها (قلت) يحتمل أن يكون المراد متابعته فى كيفية الدعوة الى التوحيد وهى أن يدعو اليه بطريق الرفق والسهوله وايراد الدلائل مرة بعد أخرى بأنواع كثيرة على ماهو الطريقة المألوفة فى القرآن انتهى ولا يحتاج الى هذا لان المعتقد الذى تقتضيه دلائل العقول لا يمتنع أن يوحى لتظافر المعقول والمنقول على اعتقاده ألا ترى الى قوله تعالى قل انما يوحى الى أنما الهكم اله واحد فليس اعتقاد الوحدانية بمجرد الوحى فقط وانما تظافر المنقول عن الله فى ذلك مع دليل العقل وكذلك هنا أخبر تعالى ان ابراهيم لم يكن مشركا وأمر الرسول باتباعه فى ذلك وان كان انتفاء الشرك ليس مستنده مجرد الوحى بل الدليل العقلى والدليل الشرعى تظافرا على ذلك * وقال ابن عطية قال مكى ولا يكون يعنى حنيفا حالا من ابراهيم لانه مضاف اليه وليس كما قال لان الحال قد تعمل فيها حروف الخفض اذا عملت فى ذى الحال كقولك مررت بزيد قائما انتهى أما ما حكى عن مكى وتعليله امتناع ذلك بكونه مضافا اليه فليس على اطلاق هذا التعليل لانه اذا كان المضاف اليه فى محل رفع أو نصب جازت الحال منه نحو يعجبنى قيام زيد مسرعا وشرب السويق ملتوتا * وقال بعض النحاة ويجوز أيضا ذلك اذا كان المضاف جزأ من المضاف اليه كقوله ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا أو كالجزء منه كقوله ملة ابراهيم حنيفا وقد بينا الصحيح فى ذلك فيما كتبناه على التسهيل وعلى الالفية لابن مالك وأما قول ابن عطية فى رده على مكى بقوله وليس كما قال لان الحال الى آخره فقول بعيد عن قول أهل الصنعة لان الباء فى بزيد ليست هى العاملة فى قائما وانما العامل فى الحال مررت والباء وان عملت الجر فى زيد فان زيدا فى موضع نصب بمررت وكذلك اذا حذف حرف الجر حيث يجوز حذفه نصب الفعل ذلك الاسم الذى كان مجرورا بالحرف ولما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم باتباع ملة ابراهيم عليه السلام وكان الرسول قد اختار يوم الجمعة فدل ذلك على انه كان فى شرع ابراهيم بين ان يوم السبت لم يكن تعظيمه واتخاذه للعبادة من شرع ابراهيم ولا دينه والسبت مصدر وبه سمى اليوم وتقدم الكلام فى هذا اللفظ فى الاعراف * قال الزمخشرى سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم أحلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم أن يتفقوا فى تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه والمعنى فى ذكر ذلك نحو المعنى فى ضرب القرية التى كفرت بأنعم الله مثلا وغير ما ذكر وهو الانذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لاوامره والخالعين ربقة طاعته (فان قلت) فما معنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا محلين أو محرمين (قلت) معناه انه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم فى كونهم محلين تارة ومحرمين أخرى ووجه آخر وهو ان موسى عليه السلام أمرهم أن يجعلوا فى الاسبوع يوما للعبادة وأن يكون يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذى فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم فى السبت لان بعضهم اختاره وبعضهم اختار عليه الجمعة فأذن الله لهم فى السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فأطاع أمر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون أولئك

(ع) قال مكى ولا يكون يعنى حنيفا حالا من ابراهيم لأنه مضاف اليه وليس كما قال لان الحال قد يعمل فيها حروف الخفض اذا عملت فى ذى الحال كقولك مررت بزيد قائما (ح) اما ما حكى عن مكى وتعليله امتناع ذلك بكونه مضافا اليه فليس على اطلاق هذا التعليل لأنه اذا كان المضاف اليه فى محل رفع أو نصب جازت الحال منه نحو يعجبنى قيام زيد مسرعا وشرب السويق ملتوتا وقال بعض النحاة ويجوز أيضا ذلك اذا كان المضاف جزأ من المضاف اليه كقوله ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا أو كالجزء كقوله ملة ابراهيم حنيفا وأما قول (ع) فى رده على مكى بقوله وليس كما قال لأن الحال الى آخره فقول بعيد عن قول أهل الصنعة لأن الباء فى بزيد ليست هى العاملة فى قائما وانما العامل فى الحال مررت والباء وان عملت الجر فى زيد فان زيدا فى موضع نصب بمررت ولذلك اذا حذف حرف الجر حيث يجوز حذفه نصب الفعل ذلك الاسم الذى كان مجرورا بالحرف انتهى

وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازى كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه انتهى وهو كلام ملفق من كلام المفسرين قبله * وقال الكرمانى عدى جعل بعلى لان اليوم صار عليهم لا لهم لارتكابهم المعاصى فيه انتهى ولهذا قدره الزمخشرى انما جعل وبال السبت * وقال الحسن جعل السبت لعنة عليهم بأن جعل منهم القردة * وقال ابن عباس ان الله سبحانه قال ذروا الاعمال فى يوم الجمعة وتفرغوا فيه لعبادتى فقالوا نريد السبت لان الله تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فهو أولى بالراحة * وقرأ أبو حيوة جعل بفتح الجيم والعين مبنيا للفاعل وعن ابن مسعود والأعمش انهما قرآ انما أنزلنا السبت وهى تفسير معنى لا قراءة لانها مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه ولما استفاض عن الأعمش وابن مسعود انهما قرآ كالجماعة ﴿ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين * وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين * واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون * ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الى دين الله وشرعه بتلطف وهو أن يسمع المدعو حكمة وهو الكلام الصواب القريب الواقع من النفس أجمل موقع وعن ابن عباس ان الحكمة القرآن وعنه الفقه * وقيل النبوّة * وقيل ما يمنع من الفساد من آيات ربك المرغبة والمرهبة والموعظة الحسنة مواعظ القرآن عن ابن عباس وعنه أيضا الأدب الجميل الذى يعرفونه * وقال ابن جرير هى العبر المعدودة فى هذه السورة * وقال ابن عيسى الحكمة المعروفة بمراتب الافعال والموعظة الحسنة أن تختلط الرغبة بالرهبة والانذار بالبشارة * وقال الزمخشرى الى سبيل ربك الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهى الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهى التى لا تخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز أن يريد القرآن أى ادعهم بالكتاب الذى هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف * وقال ابن عطية الموعظة الحسنة التخويف والترجئة والتلطف بالانسان بأن تجله وتنشطه وتجعله بصورة من يقبل الفضائل ونحو هذا * وقالت فرقة هذه الآية منسوخة بآية القتال * وقالت فرقة هى محكمة وان عاقبتم أطبق أهل التفسير ان هذه الآية مدنية نزلت فى شأن التمثيل بحمزة وغيره فى يوم أحد ووقع ذلك فى صحيح البخارى وفى كتاب السير وذهب النحاس الى أنها مكية والمعنى متصل بما قبلها اتصالا حسنا لأنها تتدرج الذنب من الذى يدعى وتوعظ الى الذى يجادل الى الذى يجازى على فعله ولكن ما روى الجمهور أثبت انتهى وذهبت فرقة منهم ابن سيرين ومجاهد الى أنها نزلت فيمن أصيب بظلامة أن لا ينال من ظالمه اذا تمكن الا مثل ظلامته لا يتعداها الى غيرها وسمى المجازاة على الذنب معاقبة لأجل المقابلة والمعنى قابلوا من صنع بكم صنيع سوء بمثله وهو عكس ومكروا ومكر الله * المجاز فى الثانى وفى وان عاقبتم فى الأول * وقرأ ابن سيرين وان عقبتم فعقبوا بتشديد القافين أى وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم والظاهر عود الضمير الى المصدر الدال عليه الفعل مبتدأ بالاضافة اليهم أى لصبركم وللصابرين أى لكم أيها المخاطبون فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله عليهم بصبرهم على الشدائد وبصبرهم على المعاقبة * وقيل يعود الى جنس الصبر ويراد بالصابرين جنسهم فكأنه قيل والصبر خير للصابرين فيندرج صبر المخاطبين فى الصبر ويندرجون هم فى الصابرين ونحوه فمن عفا وأصلح وأن تعفوا

﴿ادع الى سبيل ربك﴾ أمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الى دين الله وشرعه بتلطف وهو أن يسمع المدعو حكمه وهو الكلام الصواب القريب الواقع فى النفس أجمل موقع وعن ابن عباس أن الحكمة هى القرآن وعنه أيضا الموعظة الحسنة مواعظ القرآن ﴿وان عاقبتم﴾ الآية أطبق أهل التفسير أن هذه الآية مدنية نزلت فى شأن التمثيل بحمزة وغيره فى يوم أحد والظاهر عود الضمير فى لهو الى المصدر الدال عليه الفعل مقيدا بالاضافة اليهم أى لصبركم وللصابرين أى لكم أيها المخاطبون فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله تعالى عليهم بصبرهم على الشدائد أو بصبرهم على المعاقبة ولما خير المخاطبون فى المعاقبة والصبر عنها عزم على الرسول صلى الله عليه وسلم فى الذى هو خير وهو

أقرب للتقوى ولما خير المخاطبون في المعاقبة والصبر عنها عزم على الرسول صلى الله عليه وسلم في الذي هو خير وهو الصبر فأمر هو وحده بالصبر ومعنى بالله بتوفيقه وتيسيره وارادته والضمير في عليهم يعود على الكفار وكذلك في يمكرون كما قال فلا تأس على القوم الكافرين * وقيل يعود على القتلى الممثل بهم حمزة ومن مثل به يوم أحد * وقرأ الجمهور في ضيق بفتح الضاد * وقرأ ابن كثير بكسرها وروبت عن نافع ولا يصح عنه وهما مصدران كالقيل والقول عند بعض اللغويين * وقال أبو عبيدة بفتح الضاد مخفف من ضيق أي ولا تك في أمر ضيق كلين في لين * وقال أبو علي الصواب أن يكون الضيق لغة في المصدر لأنه ان كان مخففا من ضيق لزم ان تقام الصفة مقام الموصوف اذا تخصص الموصوف وليس هذا موضع ذلك والصفة انما تقوم مقام الموصوف اذا تخصص الموصوف من نفس الصفة كما تقول رأيت ضاحكا فانما تخصص الانسان ولو قلت رأيت باردا لم يحسن وبارد مثل سيبويه وضيق لا يخصص الموصوف * وقال ابن عباس وابن زيد ان ما في هذه الآيات من الأمر بالصبر منسوخ ومعنى المعية هنا بالنصرة والتأييد والاعانة

الصبر فأمر هو وحده بالصبر ومعنى بالله بتوفيقه وتيسيره وارادته والضمير في عليهم يعود على الكفار وكذلك في يمكرون كما قال تعالى فلا تأس على القوم الكافرين ومعنى المعية بالنصر والتأييد والاعانة

﴿ تم الجزء الخامس ويليه الجزء السادس وأوله سورة الاسراء ﴾